النقد الأدبي
في
كتاب الأغاني

تأليف
د. وليد محمود خالص
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

الجزء الأول

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

النقـــد الأدبـــــي

في

كتـاب الأغـانـــي

....

تـأليـف

د. وليـد محمود خالص

جامعـــة السلطان قابوس

سلطنـــة عُمـــان

....

الجـــزء الأول

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن ــ عمّان

بين يدي

كتاب النقد الأدبي في "الأغاني" (١)

لم يكن لي من قراءةٍ وافية في "كتاب النقد الأدبي ... " أن وقفت في مواد "كتاب الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني على عبارة "النقد" أو النقد الأدبي ، وكأني أذهب إلى أن هذه العبارة مما جدَّ واستعير في عصرنا فهي من المصطلح الفرنسي الذي اعتمده العرب في مطلع هذا القرن ، وأنا هنا أراه من Critique Litteraire. وليس هذا النقد الجديد شيئاً يومئ إلى "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر.

ولم يكن لنا أن ندرك الجديد أيضاً في المقدمة النقدية لكتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة، ذلك أن النظر القديم لما هو "نقد" لا نقف عليه في النقد الأدبي الحديث. ونحن لا نقف على "النقد" في "المثل السائر" إلاّ على مفهومه لدى قدامة وغيره.

ثم أتحول إلى ما هو " أدب" فلا أجد دلالة " تاريخ الأدب"(٢) في كتب الأدب القديم، ذلك أن مفهوم "الأدب" في مصادرنا شيء ذو سعة. إن صفة "الأديب" في مصادرنا تطلق على النحويّين واللغويّين ، وأصحاب علوم القرآن، وأصحاب علوم الحديث، والمؤرخين، وأصحاب الأنساب والقبائل وأيّام العرب، وأصحاب النبات والشجر والحيوان، والمعارف العامة، والشعراء والكتّاب والمُغنّين وغير هؤلاء.

وأنت تجد جمع هؤلاء مثلاً في كتاب "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء" لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، وإن كنت تلمح تأكيداً على نشأة النحو وأخبار النحويين واللغويين. وقد يكون لك مثل هذا وأنت تعرض لمعجم الأدباء" لياقوت الذي تقف فيه على شيء أفرده وخصّه بالشعراء.

و"معجم الشعراء" لياقوت الذي لم يصل إلينا نجد شيئاً منه في "معجم الأدباء" وشيئاً آخر في "معجم البلدان " الذي هو على اختصاصه بالمواضع والحواضر والمياه والجبال كتاب أدب.

---

(١) كتاب النقد الأدبي في "الأغاني" للأستاذ وليد محمود خالص.

(٢) إن مادة "تاريخ الأدب" في دلالتها الحديثة شيء جديد استعرناه من الأصل الفرنسي وهو Histoire de Litterature. فأنت لا تجد هذا المصطلح قبل القرن التاسع عشر. إن مفهوم "تاريخ الأدب" يتصل بـ"تأريخية الشعر والنثر" وأوّليته. وهو لا يخرج عن الشعراء والكتاب، فليس فيه ذكر لأهل العلم من المفكرين والفلاسفة وأهل الفنون عامة.

وأتحول بعد هذه العجالة إلى "كتاب الأغاني" فأجد أبا الفرج الذي انصرف إليه قرابة نصف قرن يجمع موادّه وأصوله ويرجع إلى الكتب والرسائل والكراريس[1] يخصه بفن واحد وسمه بالعنوان الكبير وهو "الأغاني".

لقد كان أبو الفرج مصنّفاً ذا منهج علمي جعل مادته "الأصوات المئة"، وهو يبدأ بما هو "صوت" يغنّيه مُغنٍّ بلحنه وإيقاعه ذاكراً المصطلح الموسيقي.

ثم إنه يعود إلى الأبيات فيشير إلى صاحبها ويعرض لشيء من أخباره يأتي فيها على ما صحّ منها وما اختلف فيه وزيد.

وأنت تجد فيه منجماً للعربية ففيه "النقد القديم" وفيه ما هو "تاريخ أدب" وفيه فوائد أخرى. وقد يكون ذلك وأنت تقرأ هذا الكتاب العظيم أن ترى أن مصنِّفه أبا الفرج رجل أحبَّ دنياه فرأى في لهوها مادة حياة عرفها وأدرك أسرارها.

وكان له أن تزوَّد وهو في هذا الكتاب العظيم أن أحاط بفنونٍ شتى ، فليس غريباً أن يكون له سعة في "أخبار القيان[2] والجواري". وليس غريباً أن يكون له في "الشراب ومجالسه"[3] شيء من زاد علمي.

وليس غريباً أن يكون له في "الديارات" وأصحابها ، وما اتصل بها من أدب.

وإذا كان هذا مما كان لأبي الفرج فإنه ليشير إلى ميله إلى اللهو والسماع والغناء ، فكيف أراه يعرف بانتمائه جاداً إلى "تشيّع" عرف به وهو الأمويّ المرواني؟

---

(١) لقد نفس على أبي الفرج صنعته الدقيقة فنسبه بعضهم نابزاً أنه "صحفيّ" قد جمع موادّه مما يتزوّد به من الكراريس والأوراق، وهم بهذا لا يحسبونه ممن أخذ علمه عن شيوخه. وإلى هذا ذهب المفضّل الضبّي الذي عدّه صحفياً ناقلاً ليس من أهل العلم.وقد قسا عليه وظلمه.

(٢) أقول : و"القيان" جمع "قينة" وهي الجارية المغنية. وقد أجد صلة بين مادة "ق ي ن" و"غ ن ي" فأرمي أن مادة "قين" في الحبشية تدل على الغناء،ومن هنا كان الغناء قد عُرف في الجواري القيان المولّدات.فقد عرفنا مما ورد في الأغاني (بولاق)١١٢/٢أن الوليد بن يزيد أهدى ابن ميّادة جاريةً من طبرستان، كانت كاملة من جميع الوجوه ما عدا عربيّتها، فقال فيها ابن ميّادة:

باهلي ما ألذّكِ عند نفسي ... لو انّكِ بالكلام تُعَرِّ بينا

كأنّكِ ظبيةٌ مضغتْ أراكا ... بوادي الجِزع حين تُبَغِّمينا

(٣) وقد يكون لي أن ألاحظ أن "بائع الخمر" وصاحب "حرفة الحديد" يُسمى "الحدّاد" ، وليس في هذا غرابة، وذلك لأن كليهما لم يكن عربياً، وفي الأغلب أنه غير مسلم لأن العرب ابتعدوا عن الحِرَف ، ولم يكن لهم بعد إسلامهم أن احترفوا الحِرَف، فظلّت هذه مما اختص به غيرهم، ثم إني ألاحظ أن الذي يمارس "الحدادة" قد سمّي "القَيْن" وكان "القَيْن" مما يُنبز، ولهذا دعا الفرزدق جريراً "ابن القين" نبزاً . فهل لي أن أشير إلى "القَيْن" و"القينة" وهل لي أن أذهب إلى صلة العجمة بينهما؟

وقد يكون لي أن أشير إلى حواشٍ أخرى أفادها أبو الفرج وهو يشقى في صنعته بكتاب الأغاني[١].

كأني أراه انحاز ظاهرا إلى التشيع ليفيد مما ذهب إليه في خدمة آل بويه، أصحاب الشأن الذي على العباسيين في مركز الخلافة في بغداد الذي لا يرجى فيه الخير. وكان له أن صنف "مقاتل الطالبيين" ، وهو شيء تجمع له من صنعته الكبيرة في "الأغاني".

وكأن النوبختي صاحب "فرق الشيعة" قد أدرك هذا من أبي الفرج فنبزه وعابه وأنكر أن يكون صاحب تشيع صحيح.

وإني لأذهب إلى أنه لا يمكن أن يكون شيعيا، وعندي أنه لو كان كذلك ما كان له أن يتفسح في لهوه فيذهب في نعته لسكينة بنت الحسين مذهب من نسب إليه لهوها وحبها الدنيا، وما كان من صلتها بالناس والرجال، وما عرف مما ذكره وما كان لها مع الشعراء.

وكان أحد الذين تشيعوا في عصرنا وغلا في تشيعه، وهو توفيق الفكيكي الذي حرر رسالة في وصم أبي الفرج الذي تقول كذبا على سكينة بنت الحسين، ولم يقبل منه ادعاءه التشيع.

وقد يكون لي أن أقف في مسألة إهدائه نسخة "الأغاني" الأولى للخليفة الأموي في الأندلس، وأنه تسلم جائزته.

وأعود إلى "الأغاني" فأختم القول فأذهب إلى أنه من مصادر العربية ، وأن أبا الفرج قد أحكم صنعته فيه وصرفها للشعر فأتى فيه على الشعراء منذ أول عصورهم، وجمع فيه عامة الشعراء الذين نسبوا إلى أصولهم، ولم يستبعد اليهود والنصارى وغيرهم[٢].

ولا بد لي ، وأنا أقرأ "كتاب النقد الأدبي في الأغاني" ، أن أشيد بصنعة الأستاذ وليد خالص الذي اتقن صنعته باحثا جادا ، أفاد من النقد القديم وما أضافه مما جد في عصرنا.

عمان في ١٦/ ١٢/١٩٩٩ إبراهيم السامرائي

---

(١) ولي أن أشير إلى ماله من درس مفيد في مادة "الحنين إلى الديار والأوطان".

(٢) وقد وقفت بأخرة على كتاب "الديارات" لأبي الفرج في نشرة حققها الدكتور خليل العطية ونشرها "الريس" في لندن.

أقول : والكتاب هذا شيء يسير عرض له أبو الفرج وهو يدرس الشعر في مجالس اللهو، وما كان منه خاصا بـ"الأديرة"، وكأني أراه مما ذكره الشابشتي في كتابه "الديارات" الذي نشره في بغداد الأستاذ كوركيس عواد قبل سنين، ثم أعيد نشره في بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة لا بدّ منها

إنّ لهذا الكتاب خبراً طويلاً عمره عشر سنوات وتزيد نرى هذا في تاريخ المقدمة الأولى بعـــد هذه الكلمة، وبين ذلك التاريخ البعيد، وهذا اليوم القريب غصص وشـــدائد أعـــاقت ظـــهور الكتــاب مطبوعاً في وقت مناسب لعل أهمّها وأشدها إيلاماً بعض أدعياء نشر الكتب الذين تطفلوا علـــى هــذه المهنة الكريمة، مهنة نشر العلم، وبذله بين أيدي الناس، إذ لم يكن همُّ أولئك سوى الكسب الرخيــص، والعَرَض الزائل، وكانت النتيجة أن حُبس هذا الكتاب تلك الأعوام، وها هو يحاول جاهداً شق حُجُــب الظلام من حوله ليرى النور لعل فيه ما ينفع دارسي العربية عموماً، والنقد العربي القديم خصوصــاً، لا سيما أنّ كتباً ظهرت بعده تتفق مع الأساس الذي بُني عليه نخص منها بالذكر كتابَيْ الدكتور الشاهد البوشيخي الذي جمع نصوص النقد الأدبي عند الشعراء حتى العصر الأموي فأفاد وجود، ونرجــو أن يكون ظهور الكتاب مثار تشجيع باحثين آخرين يدرسون كتباً أخرى تنتظر الدرس والكشف .

ومن الضروري أن أخصّ بالذكر هنا ثلاثة من الأساتذة الأفاضل الذين أعانوا على إخراج هــذا الكتاب، أمّا الأول فهو أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم السامرائي الذي قرأ الكتـــاب، وأثنـــى عليـــه، وتفضّل فكتب بأسلوبه المتميز كلمة يجدها القارئ في موضعها من الكتاب، فأسدى للكتاب وصاحبـــه يداً لا تنسى. وأما الثاني فهو الزميل العزيز الدكتور محمد إبراهيم حوَّر الذين رافق هذا الكتاب منـــذ أن كان فكرة حتى استوى كتاباً بين الأيدي، ورأى فيه إضافة هامة لدرس النقد العربي القديم، ثـم زاد فأعان على نشر المقدمة الأولى في البصائر الغرّاء، مجلة جامعة البتراء الأردنية، وأمّا الثالث فـــهو الأخ الدكتور نبيل أبو حلتم الذي استقبل الكتاب بخلق رضيّ ونفس طيبة على كـــبر حجمـــه، وثقـــل جرمه فأثبت أنّ الخير في هذه الأمة الكريمة موصول إلى يوم الدين كما علمنا رسول الله صلـــى الله عليه وسلم في حديثه الذائع المشهور.

إنّ هذا الكتاب ثمرة رؤية خاصة، وجهد موصول هدفه كشف النقاب عن جـــانب مـــن النقـــد العربي القديم ظلّ مهملاً مدة طويلة، وهو مما بسطنا الحديث عنه في الصفحات المقبلة.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم لا نبتغي به دنيا فانية، ومجداً زائلاً. اللهم ارحم أبــا الفرج بقدر ما قدّم لهذه الأمة الكريمة وأدبها المجيد. اللهم ارحمني ووالديّ وأساتذتي ، ولا تكلني إلـــى نفسي فإنها أمّارة بالسوء، اللهم اغفر لأولئك الأدعياء من الناشرين فقد ظلمـــوا الكتـــاب وصاحبـــه، وأهداهم سواء السبيل، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله. وآخـــر دعوانـــا أن الحمد لله رب العالمين .

وليد محمد خالص

شتاء ٢٠٠٠

المملكة الأردنية / سلطنة عُمان

جامعة السلطان قابوس /كلية الآداب

أساس هذا الكتاب

" .. لله درُّ أبي الفرج ، فلقد أبقى له بالأغاني ذكراً لا يُنسى ، وبسط نمرقة لا تبلــــى، ولقــد جمّل الدنيا بفضله الذي أظهره فيه، فهو حقيق بتسميته (الحاوي) لا الأغاني" .

الصاحب بن عبّاد
المتوفى سنة ٣٨٥هـــ عن كتاب مختار الأغاني
في الأخبار والتهاني لابن منظور ١/١

"لعمري إنّ هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذّكر، جمُّ الفوائد، عظيم العلم جـــامعٌ بيـــن الجـــدّ البحت والهزل النحت" .

ياقوت الحموي الرومي
المتوفى سنة٦٢٦هـــ عن كتابه معجم الأدباء١٢/٩٨

هذا كتاب لا يجد الدارسون له نظائر كثيرة في المكتبة العربية. إذ قلّما يعمد باحث محدث إلى مصدر ضخم من مصادر التراث العربي فينتزع منه ما يشاء من نصوص وفق نظرة خاصة ومنهج معيّن، ويحاول من خلال هذا الانتزاع تقرير واقع ورصد ظواهر واستشراف مستقبل. وهو في هذا كلّه يعالج النقد العربي القديم عامّةً ونصوصه المبثوثة في ثنايا ذلك الكتاب خاصة.

ولا يريد الباحث أن يقول إنّه قد فتح باباً جديداً في الدرس النقدي لم يعرفه السابقون، لأنّه يعلم أنّ الطريق ممهّد قبله بجهود أساتذة كبار، درسوا تاريخ النقد العربي وحلّلوا قضاياه ووقفوا عند أعلامه. ولكنّه يعلم أيضاً أنّ ذلك الطريق مليء بالأشواك محفوف بالصعاب، ذو معالم مختلطة وصُوى تكاد لا تبين، وخاصة في تلك المرحلة من تاريخ النقد وهي مرحلة النقد غير المدّون؛ ولذلك يقول ويكرّر القول إنّ هذه المرحلة المهمة من تاريخ النقد العربي. وهي مرحلة الأساس والجذور، لم يتهيأ لها دارس جادٌ يهيء مادتها الخام ويعرضها سائغة بين أيدي الدارسين، فهي متفرّقة في بطون الكتب، مبثوثة في مظان متباعدة.

والمنهج يشهد بأنّ أيّة دراسة لا تستوفي مادّتها أو تأخذ بأطراف كثيرة منها، دراسة ناقصة شوهاء، مقدّماتها هزيلة ونتائجها تقف على شفا جُرُفٍ هارٍ لا يلبث أن يتهاوى ويسقط. ويؤيّد هذا الأمر ما بأيدينا من كتب درست تاريخ النقد العربي في مراحله المتقدّمة، إذ نراها تغفل إغفالاً واضحاً تلك الجمهرة الواسعة من النصوص التي حوتها مصادر مهمّة يبدو من عنواناتها أو موضوعها العام أنّها بعيدة عن النقد وهمومه، مثل كتب الأدب بمفهومه العام الواسع، ومالنا لا نذكر كتب التفسير والطبقات، وهل نذهبُ بعيداً فندخل في هذه الدائرة كتب الأنساب والتاريخ ومعاجم اللغة والجغرافيا.

وقلّب الطرف في هذه الكتب وجُلْ في أنحائها فلن تعدم نصّاً أو نصوصاً نقدية أغفلتها كتب النقد المعتبرة، وحفظها هذا المصدر أو ذاك بين أضلاعه، أميناً عليه، ينتظر منْ يقلّبُ أوراقه ويزيح تراب الإهمال عنه.

ولمعت الفكرة في الذهن مقرونة بسؤال: لِمَ لا تُجْمع تلك النصوص وتُقدَّم على هيئة كتاب، يكون الخطوة الأولى، ولكنَّها السليمة، في اكتشاف تلك المراحل المتقدّمة وما أدّته للنقد العربي، وهاله ذلك الاتساع الذي سيضيع بين لججه، مصادر متنوّعة ومادّة غزيرة، وقد يعود الدارس خائباً بعد أن يكون قد قرأ كتباً كثيرة ذات أجزاء عدّة لم تَحْوِ شيئاً ممّا أراد، ولكنّه من المؤكد سيظفر بزاد طيّب لو أدام القراءة والتقصيّ، ثمّ أليستَ العملية كلُّها محاولة واكتشافاً؟ ففيها إذن ما في المحاولة والاكتشاف من النجاح والفشل، وفيها مابين هذا وذاك من الانتظار، والترقّب، والرجاء الشيء الكثير.

وألحَّ سؤال آخر ظلَّ يعتلج في النفس وهو: لم لا يبدأ تلك المحاولة بنفسه، ومع كتاب يختاره، وليكن كبيرَ الحجم ذائعَ الانتشار، غزير المادَّة، تردَّد في الاختيار وأمعن في الحيرة، حتى قرَّ القرار على كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، وهو من الذيوع والانتشار وكثرة الفوائد التي يقدّمها مالا يحتاج الدارس إلى دليل يقدِّمه، ومع كثرة استخدام الدارسين له منذ صدوره مطبوعاً سنة (١٨٦٨م) للمرة الأولى(١) وتكرار الطبع، وبعد هذا، التصوير ، لم يجد الباحث مَنْ يلتفت إلى غزارة المادَّة النقدية التي حواها خلا شذرات قليلة وأبحاث متفرِّقة، ولكنّها بالرغم من هذا لم تحاول لمَّ شتات تلك المادة النقدية على نفاستها وأهميتها.

وبدأت القراءة الأولى فالثانية، وفيهما يكتشف الباحث أشياء لم تكن في الحسبان، تبدأ المادة النقدية قليلةً حييَّةً خجلة، ولكنَّها تتضخَّم وتتسعُ وتغزر، ويصيب الباحثُ حظوظاً كثيرةً من وضوح الطريق، وسلاسة المنهج، وكانت القراءة الثالثة ـ ولا تعدم رابعة وخامسة لهذا الجزء أو ذاك ـ استكمالاً للسابقتين وسداً للنقص وتأصيلاً للمنهج(٢)، مما سنجده مفصَّلاً فيما سنستقبل من صفحات.

وقد صحَّ العزم على أن تسبق تلك المادة النقدية أو النصوص النقدية دراسة تتضمَّن محاور ثلاثة أولها: كتاب الأغاني ومؤلفه، يعمد فيها الدارس إلى تبيان قيمة ذلك الكتاب وجهد مؤلفه فيه، والآراء التي قيلت بشأنهما، وحرص الدارس على أن يكون هذا المحور وافياً بغرض هذا الكتاب، بعيداً عن التطويل والاغراق في التفصيل والإفاضة، والاكتفاء بالإحالة على الدراسات التي قامت حول المؤلف وكتابه.

---

(١) ينظر دراسة في مصادر الأدب، د. الطاهر أحمد مكي، ص ٢٦٨.

(٢) اعتمد الباحث في هذه الدراسة على الطبعة المصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، وهي تقع بأربعة وعشرين جزءاً.

وثاني المحاور يدور حول نوعين من الكتب ألفها باحثون محدثون في تاريخ النقد العربي القديم من جهة، وفي الاختيارات النقدية من جهة أخرى. وكان الغرض من هذا المحور أمرين:

أولهما تبيان ذلك الإهمال الواضح لكثير من النصوص النقدية في العصور: الجاهلي، الإسلامي، الأموي بسبب إغفال مصادر كثيرة ومنها كتاب الأغاني، والاكتفاء بما هو معروف مشهور من كتب النقد العربي. ومن المعلوم أنَّ هذه الكتب وحدها لا تقدِّم صورة وافية لواقع النقد في تلك العصور، ممّا أدّى بالتالي إلى إصدار أحكام واسعة عليها تفتقر إلى الدِّقة لافتقارها المادة الكافية التي تقوم عليها تلك الأحكام.

ومن الملاحظ أنّ تلك الكتب تكاد تعتمد نصوصاً متشابهة، بحيث نستطيع القول إنَّ اللاحق ينقل عن السابق مع تحوير بسيط لا يؤثر جوهرياً على نوعية النصوص وعددها، وإنّما هو التفاوت البسيط والاختلاف الذي لا يُلحظ.

أمّا الأمر الثاني فهو اكتفاء أصحاب كتب الاختيارات النقدية بانتزاع نصوصهم من كتب النقد العربي المعروفة المتداولة، ولعلّ هذا الصنيع يشبه إلى حدٍّ كبير صنيع الباحثين الذين تصدّوا للكتابة في تاريخ النقد العربي، وهو سهل متيسِّر، بسبب سهولة الحصول على الكتاب نفسه، وتحديد الدارس لميدان عمله بمجال ضيّق، ممّا ييسّر التقاطه النصوص التي يريدها ضمن الكتاب لا غير.

وقد أدّى ذلك إلى ترك كتب كثيرة حوت نصوصاً مهمّة من جهة، وتقديم صورة تكاد تكون ناقصة عن النقد العربي، باعتبار أنّها قطعت تلك النصوص الناضجة عن جذورها التي استمدّت منها نسغ الحياة والنضج من جهة أخرى.

أمّا المحور الثالث ـ وهو الأخير ـ فيتعلّق بعمل الباحث في هذا الكتاب، والمنهج الذي اتّبعه من حيث جمع المادة وترتيبها وتبويبها، والإضافة الجوهرية التي قدّمها لمسيرة النقد العربي القديم من حيث اكتشاف نصوص جديدة توسّع النظرة لتلك العصور وتعمّق طرق البحث فيها، وغير هذا من النتائج التي توصّل إليها.

لقد اقتضى إنجاز هذا العمل سنوات عدّة، فيها الكثير من الجهد والتتبّع، وللباحث رجاء مقرون بالأمل وهو أن يُقرأ هذا الكتاب بعيون منهجية أولاً وعيون نقدية ثانياً، ذلك لأنَّ المنهج الذي يقف مستترا، غير ظاهر وراء التقاط النصوص وتصنيفها حسب القضايا وترتيبها ترتيباً تاريخياً، هو الذي اقتضى من الباحث الجزء الأكبر من الزمن المتقدّم والنصيب الأوفر من

الجهد، ويعتقد الباحث أنّ القضية برمّتها في قبضة المنهج، وتأتي النصوص النقدية بعد هذا لتكمل نقصاً، وترأب صدعاً، وتسدُّ ثلمةً.

ويأمل الباحث أن يكون قد قدَّم شيئاً لخدمة النقد العربي القديم، وفتح الطريق لكتب مشابهة يقوم بها نفسه أو غيره من الباحثين الحريصين على استقصاء المادة النقدية المتناثرة في بطون المصادر، وهو يحمد الله الذي أعانه على إكمال هذا العمل حمداً متّصلاً غير مجذوذ.

مدينة العين في ١١ رمضان ١٤١٠هـ ٦ نيسان (أبريل) ١٩٩٠م.

(١)

يقف كتاب الأغاني متفرداً بين كتب الأدب والتراجم لأسباب عدة منها غزارة ترجماته وسعة مادته وتنوّع أخباره، وقد أدرك العلماء والباحثون منذ زمن بعيد تلك المكانة وذلك التفرد، ولذلك راح يذكره الذاكرون ويشيد به المشيدون وينهل منه الناهلون ويعوّل عليه الدارسون، وقلّما تجد مصنّفاً قديماً أو باحثاً محدثاً لم يكن الأغاني ضمن مصادره وهو يكتب عن عصور الشعر العربي المتباعدة حتى عصر المؤلف. واتّسع هذا الاهتمام بالكتاب، فنجد فئات مختلفة من الدارسين نظرت فيه ومحّصت مادته وتناولت جانباً أو جوانب منه.

ففئة عالجت الأصل الذي قام عليه وهو الغناء(١)، فوقفت عند الأصوات التي أوردها والآلات والمغنين وطبقاتهم والعازفين ومنازلهم، واستيعابه لهذا الفنّ وتعقّبه مَنْ ألّف فيه أخذاً أو ردّاً، وعدّته الغاية التي وصل إليها التأليف في هذا الباب(٢)، وربطت بين اهتمام أبي الفرج بالغناء واهتمامه بالشعر، ونحن نعلم الصلة القوية بين الغناء والشعر قبل زمن أبي الفرج بوقت طويل، ولذلك رأينا «الكتّاب والفضلاء من الخواصّ في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم بالغناء حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه، ولم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة»(٣).

وفئة درست نظرة أبي الفرج إلى التاريخ وحوادثه، وجعلت من كتابه واحداً من كتب التاريخ التي لا يستغني الباحث عنها بسبب اعتماده على مصادر موثوق بها، وسعة المادة التاريخية فيه

---

(١) ينظر حول هذا الموضوع: رسالة ابن المنجّم في الموسيقى وكشف رموز كتاب الأغاني، تحقيق وشرح وتعليق د. يوسف شوقي، ص١٠، ٨٧، ٨٩ وغيرها، وحلّ رموز كتاب الأغاني للمصطلحات الموسيقية العربية، الحاج هاشم محمد الرجب. وفي مقدّمة المصدر الأول مراجع مستفيضة تبيّن مدى اهتمام العرب والمستشرقين وخاصة هنري فارمر بالجانب الغنائي من الكتاب، يُنظر ص ٨٧ - ٩٥

(٢) يقول محمد عبد الجواد الأصمعي: «يعدُّ كتاب الأغاني أجمع كتاب ترجم مؤلفه لأكثر المغنين المعروفين في صدر الإسلام والدولتين: الأموية والعباسية. وجمع الأغاني العربية قديمها وحديثها. وانفرد بذكر الغناء العربي وقواعده وآلات الطرب والموسيقى التي كانت شائعة ومستعملة في أزهى العصور الإسلامية». ينظر أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، ص١٩٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٥٤، وينظر مناهج التأليف عند العلماء العرب، د. مصطفى الشكعة، ص ٣٢٨

التي تتحدث عن العصر الجاهلي والعصور الإسلامية، وأمانته في النقل، وتمحيصه الأخبار الموجودة بين يديه(١).

وفئة ثالثة وجدت فيه ضالتها، مع كتب أخرى قليلة، وهي تبحث في حياة الناس ومعيشتهم وأطوارها المختلفة، بعيداً عن التاريخ السياسي للخلفاء والقادة، فكأنه أرّخ للحياة الاجتماعية في أماد متباعدة، فقدّم بذلك خدمات جليلة لفهم الحياة العربية من جوانبها المختلفة، وساعد على تجلية الصورة ممّا جعلنا نستحضر تلك الحياة في تفصيلاتها الدقيقة(٢)، وهذا ممّا لم تمسّه كتب التاريخ المعروفة إلاّ مسّاً رفيقاً، وصبّت جهودها على أمور أخرى وقضايا معروفة.

وفئة رابعة وهي من أوسع الفئات انتشاراً وأكثرها استفادة من هذا الكتاب. وهي فئة دراسي الأدب، فقد قدّم لها هذا الكتاب مادّة في أخبار الشعراء ومذاهبهم ونماذج من شعرهم مالم يقدّمه مصدر آخر، فهو« سجلّ ضخم لتراجم أعلام الشعراء.. في عصر أبي الفرج والعصور التي سبقته»(٣)، ولذلك راح أولئك الدراسون يغترفون من ترجماته للشعراء ويعتمدون عليه اعتماداً كبيراً في رسم صورة الشعراء ومراحل حياتهم.

ولا غرابة بعد ذلك كلّه أن تُجمع جمهرة كبيرة من المصنِّفين والدراسين، قديماً وحديثاً على أهمية الكتاب ومكانته المتميّزة في تاريخ التأليف عند العرب، وقد عقد الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي فصلين طويلين في كتابه(٤) بيّن فيهما آراء القدماء والمحدثين في الكتاب، فقدّم بذلك

---

(١) ينظر حول هذا الموضوع: أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، محمد عبد الجواد الأصمعي، ص ٢٨٠ ومابعدها، ودراسة الأغاني، شفيق جبري، ص ١٨ ومابعدها، واستخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام د. علي إبراهيم حسن، ص ٦٩ ومابعدها.

(٢) ينظر حول هذا الموضوع: دراسة الأغاني، شفيق جبري ص ٩٥ ومابعدها، والعامّة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فهمي عبد الرزاق سعد، ص ٥٦، ١٠٣، ١٠٦، ١٤٧، وغيرها، ومصادر التراث العربي، د. عمر الدقاق، ص١١٦.

(٣) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، د. أمجد الطرابلسي، ص ١٨٧، وينظر كتاب شخصيات كتاب الأغاني، د. داود سلوم و د. نوري القيسي، ويقول الدكتور مصطفى الشكعة: «يعتبر كتاب الأغاني.. قمّة التأليف في الأدب العربي، ولا يزال نسيج وحده منهلاً للأدباء ومورداً سائغاً للدراسين». مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ٣٣٥.

(٤) ينظر هذان الفصلان في كتابه أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، ص ١٦٣ ـ ١٧٠ وهو الفصل الخاص بـ (آراء القدماء في كتاب الأغاني)، وص ١٧١ـ ١٩٥، وهو الفصل الخاص بـ (آراء المحدثين في كتاب الأغاني).

جهداً مشكوراً وعرضاً تاريخياً نافعاً لتداول الكتاب بين أيدي الدراسين، ممّا يثبت اتّساع الاعتماد عليه والاهتمام به. ولكنّنا لن نغفل في هذا المقام ذلك الاتهام القاسي الذي وُجِّه إلى الكتاب وصاحبه، من حيث عدالته والمادة التي تحمّلها ونقلها فيه، خاصة ونحن قد أظهرنا فضلهما وأهميّة ما قدّماه للثقافة العربية.

ولعلّ أهمّ ما يواجهنا في هذا الباب ما ذهب إليه أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي (وُلدَ سنة ٣٢٠هـ وتوفي سنة ٤٠٢هـ)، وهو معاصر لأبي الفرج، حين قال: «كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس، كان يدخل سوق الورّاقين وهي عامرة، والدكاكين مملوة بالكتب، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلّها منها»(١)، ولا شكّ في أنّ هذا الكلام يحمل بين طيّاته كثيراً من التسرّع وعدم الموضوعية، ولذلك وجدنا مَنْ يردّ عليه ويحاول تفنيده من وجهات متباينة، فنرى الأستاذ شفيق جبري يعلّق قائلاً: «هذا هو التحامل، يسلخ صاحب الأغاني خمسين سنة في تأليف كتابه ويتبع فيه الصدق وشدّة التوقّي على قدر الإمكان، فيجهد نفسه في البحث عن أصحّ الأخبار والروايات ويتبرأ فيها من كلّ عهدة، ويحاسب الرواة على الأكاذيب والخطأ والخطل، ويؤاخذهم بكل تحامل وحمق وشتم وتجهيل، فيجيء أحد النُّقاد فيقول فيه إنّه أكذب الناس دون أن يكلّف نفسه بيان موطن من مواطن هذا الكذب، هذا هو الكلام الذي لا يرضى به منطق ولا خُلُق..»(٢).

ويقول الدكتور خلف الله معقّباً على ذلك الرأي وأشباهه: «ونحن لا نستطيع أن ننقد أبا الفرج من حيث نَقَده هؤلاء، ذلك لأنّا نعلم أننا ندرس أبا الفرج من حيث هو راوية(٣)، ونحن

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٣٩٩/١١.

(٢) دراسة الأغاني ، ص٥٧.

(٣) من الضروري أن نشير هنا إلى أنّ المنهج العام الذي يكتنف كتاب الأغاني هو منهج الرواة وهو مختلف تماماً عن منهج المؤرخين، وقد فصّل الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه (صاحب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني الراوية) الحديث عن هذين المنهجين وانتهى إلى القول بأنّ أبا الفرج «واضح الدلالة في أنّه كان يجري على مذهب الرواة، وأول ما يطالعنا من هذه الدلالات أنّ أبا الفرج كان يحرص حرصاً شديداً على ألاّ يفوته أيّ شيء ممّا يعرفه الناس، فهو حريص على جمع كلّ ما قيل حتى ولو كان من المصنوعات والأكاذيب، وليس ذلك من مذاهب المؤرخين الذين يحرصون الحرص كلّه على الوقوف على الحقيقة وذكر ما يعتقدون أنّه الحقّ .. وثاني ما يطالعنا من الدلالات على أنّه كان يذهب مذهب الرواة حرصه على إيراد الخبر والقصة حتى ولو كان المعنى فاسداً أو الخبر مختلطاً غير صحيح الضبط.. أمّا ثالث ما يطالعنا من =

نعلم أنَّ من شأن الرواة جمع كلُّ ما قيل حتى لو لم يكن مروياً عن شيوخ ممتازين أو مأخوذاً عن أصول جياد»(١)، فكلا الباحثين غير مقتنعين بكلام النوبختي، وهما ينظران إلى القضية من جانبين مختلفين، فنرى الأول يطلب أدلّة لكذب أبي الفرج من الكتاب يقوّي بها النوبختي كلامه، والثاني يعتمد على المفهوم العلمي للراوية ودوره في نقل ما يسمع ويحفظ ويقرأ، بحيث تكون مرحلة التدقيق والتمحيص تالية لهذا النقل.

وينضوي تحت هذا الباب ماذهب إليه ابن الجوزي (ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ) في «المنتظم» حيث قال عن أبي الفرج: «.. ومثله لا يوثق به وبروايته، فإنّه يصرِّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق.. وربّما حكى ذلك عن نفسه، ومنْ تأمّل كتاب الأغاني رأى كلَّ قبيح ومنكر»(٢)

= الدلالات فهي روحه، تلك الروح التي تخالف معاصريه من المؤرخين من أمثال المسعودي ومسكويه». ص١٨٧ ومابعدها

(١) صاحب الأغاني، أبو الفرج الراوية، ص ١٩٧، ونودّ توضيح أمرين يتعلّقان بما ذهب إليه الدكتور خلف الله، أولهما إنَّ أبا الفرج نفسه قد أشار في مواضع كثيرة من الكتاب إلى أنّه سوف يورد كلَّ ما يعرفه عن القضية التي يعالجها، أو الشخصية التي سيترجم لها، وهذا يقرّبه من مناهج الرواة، وثاني الأمرين أنّه كان، وهو يروي تلك الجمهرة الواسعة من الأخبار، يعتمد الإسناد في النقل، ويتحرّى الصدق أيضاً، وكان كثيراً ما يبدي رأيه في الأخبار التي ينقلها، ممّا يقرّبه من طائفة المؤرخين في بعض الأحيان. وقد أشار الدكتور خلف الله نفسه إلى ظاهرة وجود الأمرين عند شخصية واحدة: الرواية والتاريخ، وقد وجدنا الطبري وهو من أشهر المؤرخين المسلمين يقول في افتتاح كتابه ما يلي: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنَّ اعتمادي في كلّ ما أحضرت ذكره فيه ممّا شرطت أنّي راسمه فيه: إنّما هو على ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مُسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج المعقول، واستُنبط بفكر النفوس، إلاّ اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى مَنْ لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم: إلاّ بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالمعقول، والاستنباط بفكرِ النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يُؤْتَ في ذلك من قبلنا، وإنّما أتي به من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ممّا أدّي إلينا» (تاريخ الرسل والملوك، ١/٧ ـ ٨)، فهذا النصّ يشير صراحة إلى أنَّ الطبري سوف يورد في تاريخه أخباراً يتبرأ منها وتكون العهدة فيها على ناقليها، فهو إذن راوية في هذا الجانب من تلك الأخبار مع معرفتنا بتدقيقه وتمحيصه في جوانب أخرى.

(٢) المنتظم، ٤/٨٥.

وينقل ابن كثير (ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ) هذا الرأي بعينه في« البداية والنهاية»(١).

وقد ناقش الدكتور خلف الله هذا الرأي وذهب إلى ضرورة التفرقة بين مناهج المحدّثين في نقل الحديث ومناهج الرواة في نقل الأخبار وهي تفرقة لابدَّ منها لتوضيح الموقف إذ «لن تكون سبيلنا إلى الثقة برواة الأدب والأخبار ألاّ يكونوا ممّن تحدَّث عنهم صاحب المنتظم، فهذه السبيل إن صلحت عند بعضهم في رواية الحديث فإنها لا تصلح بحال من الأحوال في الرواية الأدبية»(٢)، ذلك لأنَّ المحدّثين قد وضعوا شروطاً معروفة في التدقيق والإحكام لمن يتحمّل الحديث أو يؤدّيه، منها التمييز والإسلام والعدالة والضبط وغيرها، وقد استفاد منها اللغويون وهم يعملون في نقل اللغة وتدوينها(٣)، أمّا رواة الأخبار والقصص فلم تكن تحكمهم تلك الشروط لاختلاف المادة الخبرية التي ينقلونها اختلافاً بيّناً عن الحديث واللغة، ونحن نعلم ما للحديث الشريف من مكانة في نفوس المسلمين وموضعه من التشريع واستنباط الأحكام، فلذلك كان التعامل مع رجاله يقتضي ذلك الضبط والاتقان ممّا لا نجد له نظيراً في الرواية. ونحن نعلم أنَّ أبا الفرج كان راويةً في المقام الأول ولذلك لم يأخذ نفسه بتلك الشروط التي أشرنا إليها، واصطنع منهج الرواة في نقل الأخبار، وهو ممّا يتلاءم مع ثقافته ومنهجه العلمي عموماً.

ومعلوم أنَّ كتاباً يتّسم بذلك الاتساع وغزارة المادة، لا يسلم من أن يرى فيه دارسٌ نقصاً، أو أن يحكّم فيه رأياً يتّفق مع تفكير ذلك الدارس أو اتجاهه، ولكنَّ النتيجة التي توصّلت إليها الجمهرة الواسعة من الدارسين هي أهمية هذا الكتاب وسدّه نقصاً كبيراً في المكتبة العربية، ولعلّ الدكتور زكي مبارك قد نظر تلك النظرة الكليّة حين قال: «من النادر أن نجد باحثاً في تاريخ الأدب أو تاريخ الإسلام لم يتّخذ كتاب الأغاني مرجعاً له»(٤)، فهي نظرة نابعة من انتشار

---

(١) البداية والنهاية، ١١/٢٦٣و، وللأستاذ محمد كرد علي رأي في الأغاني وغيره من الكتب لا يخرج عن الرأيين السابقين، ينظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، الجزء الثالث، المجلد الثامن، سنة ١٩٢٨.

(٢) صاحب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني الراوية، ص١٤٩.

(٣) فصّل الدكتور شرف الدين علي الراجحي الكلام في كتابه (مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب) الحديث عن مناهج المحدّثين واللغويين، وشروط المحدِّث، واللغوي، وينظر هناك، ص ٣٧ ومابعدها، ومن المفيد أن نذكر هنا أنَّ اللغويين أنفسهم لم يلتزموا ذلك الالتزام الدقيق بالشروط الواجب توافرها فيمن ينقل اللغة أسوة بالمحدّثين، فهم وإنْ قلّدوهم إلاّ أنَّ «تقليدهم كان مبتوراً ذلك لأنَّهم استخدموا مصطلحات المحدّثين أنفسهم دون تقيّد بشروط أو ضوابطه. ينظر المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤) النثر الفني في القرن الرابع، ١/٢٨٨

الكتاب بين أيدي الدارسين ممّا يدلّ على مكانته وفوائده التي لا تُحصى.

(٢)

رأينا فيما تقدّم كثرة اعتماد دارسي الأدب العربي على كتاب الأغاني وإطرائهم له، ولكنّنا نرى القليل من الباحثين يلتفتون إلى جانب في الأغاني لا يقلّ أهمية عن الجانب الأدبي والتاريخي، وهو النقد الأدبي، ونحن هنا لا نطلب من القدماء الذين تعرّضوا لأبي الفرج وكتابه الالتفات إلى هذا الجانب المهم فيه. فالنقد كان جزءاً غير منفصل عن الأدب والبلاغة، وهم لم يعانوا ذلك الانفصال بين الأدب ومباحثه من جهة والنقد وقضاياه من جهة أخرى.

ونشير هنا إلى صنيع عبد القادر البغدادي (المتوفى سنة ١٠٩٣هـ)، وهو من علماء العربية المتأخرين، في كتابه «خزانة الأدب» حين طفق يسرد المصادر التي فاء إليها أو «المواد التي اعتمد عليها وانتقى منها»(١) على حدّ قوله، إذ نراه يجعل الأغاني مع الكتب التي تنضوي تحت (فنّ الأدب)(٢) ويضع معه ما يرى أنّه من نظائره مثل «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر، و«العمدة» لابن رشيق و«المثل السائر» لابن الأثير، وهي كتب لو صنّفت اليوم لوُضعَتْ مع كتب النقد الأدبي والبلاغة، إذ هي أقرب في روحها ومادّتها إليهما من الدرس الأدبي الذي وضعه البغداديّ فيها، فهو يرى المباحث النقدية سواء أكانت كتباً أم آراء مندرجة تحت فنّ الأدب، ذلك المفهوم الواسع الذي يحتمل النقد وغيره عن الدرس(٣).

---

(١) خزانة الأدب، ١/١٨

(٢) خزانة الأدب، ١/٢٣

(٣) ولعلّ ممّا يوضح الأمر ما قرّره الأستاذ طه أحمد إبراهيم وهو يتحدّث عن علم البيان، وتداخل مباحث نقدية معه، وهو يتساءل قائلاً: «أجهل العرب فنّ النقد الأدبي؟ إنّهم لم يعدّوه في علوم اللغة العربية لأنّه كان في نظر كثير من الباحثين جزءاً من علم البيان، كان من مسائله، ولكنّ علم البيان لا يتصدّى إلاّ للصياغة والمعاني ولا يخوض عادة في البحوث التي ... هي من ميادين النقد الأدبي، لم يفرّق العرب بين علم البيان وفنّ النقد الأدبي، تفرقة واضحة متميّزة كما فرّقوا بين الصرف والاشتقاق مثلاً على قرب أبحاثهما». وينتهي بعد هذا ليقول: «على أنّ من الكتب التي أُلّفت في البحث عن جمال القول ما يدلّ دلالة لا لبس فيها على أنّ العرب عرفوا فنّ النقد الأدبي كنهاً وحقيقة، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل». ويذكر من هذه الكتب طبقات ابن سلاّم، ووساطة الجرجاني والأحاديث المبثوثة عن الشعراء في الأغاني، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن المثل السائر لابن الأثير، والطراز للعلوي، وهذا يقوّي ما ذهبنا إليه سابقاً من تقارب =

كان ذلك شأن القدماء، ولهم تصوُّرهم الخاص الذي بنوا تصنيف العلوم عليه. ولكنَّ ما يجعلنا نتوقف هنا هو موقف المحدثين من النقد الأدبي في الأغاني وعدم التفاتهم بشكل جادّ إلى غزارة المادة النقدية التي حواها بين دفّتيه، ونحن لن نستطيع تبيّن ذلك الموقف على وجهه الواضح بغير الوقوف عند نوعين من الكتب أشرنا إليهما في المقدمة وهي كتب تاريخ النقد الأدبي عند العرب، وكتب الاختيارات النقدية. فإنَّ هذه الوقفة ستتيح لنا إظهار مدى الصدود الذي عاناه الأغاني وغيره من المصادر التي تزخر بالمادة النقدية، واكتفاء الدارسين بمصادر النقد المعروفة حتى وهم يؤرّخون للعصور التي سبقت التدوين في غالب الأحيان.

وقبل الدخول إلى صلب الموضوع نرى لزاماً علينا التوقف عند تلك الشذرات التي حوتها بعض كتب المحدثين، أشارت فيها إلى جانب النقد في الأغاني، وهي إشارات اعتمدت على الصورة العامة واللمحة الدالّة.

ولعلَّ من أوائل الذين رأوا في الأغاني فوائد نقدية الأستاذ طه أحمد إبراهيم الذي تحدّث عن «الأحاديث المبثوثة عن الشعراء في هذا الكتاب»(١)، والدكتور محمد مندور الذي أشار إلى امتلاء الأغاني باللمحات النقدية (٢) التي تقوم على الذوق. أمَّا الأستاذ شفيق جبري فقد أفرد فصلاً في كتابه لـ (النقد الأدبي في الأغاني)(٣)، قال فيه صراحةً إنّنا لو «جمعنا ما تشتّت من هذه الآراء والمذاهب الموجودة في الكتاب لحصلنا على كتاب في النقد قائم بذاته»(٤)، وهذا

= هذه الفنون فيما بينها، فكأنَّ القضية قضية منهج قبل أن تكون قضية وجود أو عدم. ينظر تاريخ النقد، ص ٦م

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٦

(٢) النقد المنهجي عند العرب، ص ١٥. ومن الضروري أن نذكر هنا أنَّ الدكتور مندور يرى عدم الجدوى في جمع تلك اللمحات الخاطفة، فنراه يقول: «.. وكان نقدهم كما نتوقع نقداً ذوقياً في نشأته، ونحن هنا لا نرى داعياً لأن نجمع لمحاتهم الخاطفة في هذا السبيل، فكتب الأدب غاصّةٌ بها وبخاصة الأغاني، كما أنَّ المرحوم الأستاذ طه إبراهيم قد جمع ورتّب طائفة صالحة منها في الفصول الأولى من كتابه..»

وقد استند رأيه هذا على أنَّ ذلك النقد كان ذوقياً يعيبه أمران: عدم وجود منهج، وعدم التعليل المفصَّل، وهو لذلك يرى أنَّ دراسة النقد المنهجي أجدى، وهو ممّا يتلاءم مع منهج كتابه، ويبقى لرأيه الاحترام مع الاختلاف معه.

(٣) دراسة الأغاني، ص ٢٩٢ ـ ٣١٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٩٢

هو الأساس الذي يقوم عليه هذا الكتاب مثلما هو معروف، وقد استشهد الأستاذ جبري بنصوص نقدية قليلة من الكتاب تتناسب مع كتاب يدرس الأغاني من جوانب عدّة.

ويرى الدكتور داود سلوم أنّ كتاب الأغاني يحتّل مكانة متميّزة بين كتب النقد لأنّه «ضمّ .. أغلب الروايات القديمة والآراء في الشعر والشعراء، كما أنّه تبنّى نظرية المدرسة البغدادية، التي تنظر إلى الشعر على أساس القيم الذاتية الفنان بغضّ النظر عن الأديب أو الشاعر.. وفاق مَنْ جاء بعده من نقّاد الجمال الأدبي بأن وسّع منهج الجاحظ في تحقيق النصوص والنظر في تسلسلها ونسبتها وشرحها وتوضحيها»(١)، كما قام الدكتور سلوم بدراسة جانب من جهود أبي الفرج النقدية مثل الأحكام ولغة النقد وغيرها.

وتذهب الدكتورة هند حسين طه إلى أنّ «ذوق أبي الفرج الأدبي وحسّه النقدي أهّلاه لأن يصدر أحكامه النقدية الدقيقة التي يصدرها على الشعراء، أو على شعرهم»(٢)، وهي ترى فيه قيمة نقدية لا غنى عنها، أمّا الدكتور محمد حسن عبد الله فيرى في صنيع أبي الفرج في الأغاني «وعياً وبصراً بالشعر وفنون القول»(٣)، ويلخّص ملامح رعايته للمنهج النقدي بأمور أربعة هي: استقصاء روايات الخبر الواحد، مشاركته في تصحيح نسبة بعض الأشعار إلى غير أصحابها، التزام الدّقة في رصد الأخبار، منهجه في الحكم على الشعر(٤)؛ ويخلص من هذا إلى القول بأنّ «الأغاني من الدراسات الشاملة التي لا يستغني عنها الدارس»(٥).

ويولي الأستاذ محمد خير شيخ موسى كتاب الأغاني عناية كبيرة، وخاصة في جانبه النقدي، إذ يفرد صفحات طويلة من كتابه للحديث عن سير الشعراء فيه والمصطلح النقدي، والقديم والمحدث، والسرقات وغيرها من قضايا النقد المعروفة التي حفظ هذا الكتاب نصوصها بين دفّتيه، وهو يبدي استغرابه لعدم التفات دارسي النقد إليه إذ «لم يحظَ بما هو أهل له لدى الباحثين من عناية خاصة تتجلّى في دراسة منهج مؤلفه في دراسة الشعر والشعراء، والبحث عن مواقفه المختلفة من قضايا النقد ومسائله، وتحليل آرائه النقدية حولها»(٦).

---

(١) دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه، ص ١٢ ـ ١٣ . ويشير الدكتور سلوم في قائمة مراجعه إلى رسالة جامعية للدكتور شوقي ضيف تحمل عنوان (النقد في كتاب الأغاني)، يعود تاريخها إلى سنة ١٩٣٩، وقد بذل الباحث جهوداً كبيرة للحصول على نسخة منها فلم يوفّق.

(٢) النظرية النقدية عند العرب، ص ٢٣٦

(٣) و(٤) و(٥) مقدمة في النقد الأدبي، ص ٤٨٢ ومابعدها.

(٦) فصول في النقد العربي وقضاياه، ص ٤٧.

والتفت بعض المستشرقين (١) إلى هذه القضية ورأوا ضرورة دراسة الوجوه المختلفة الموجودة في هذا الكتاب، ومنها الجانب النقدي.

هذا ما استطاع الباحث الوصول إليه من آراء لباحثين محدثين رأوا في الأغاني جانباً نقدياً يستحقّ الدراسة والجمع.

وننتقل الآن إلى ما أفردنا له الكلام في هذه الصفحات، وهو مدى استفادة مؤرخي النقد العربي ومنتخبي نصوصه من هذا الكتاب، فهل أخذت تلك الآراء والنظرات السابقة طريقها إلى أقلامهم وهم يكتبون؟ أو إلى مصادرهم وهم يعتمدون على هذا المصدر أو ذاك؟

إنّ الباحث يستطيع أن يقرّر جملة من الوقائع توصّل إليها من خلال دراسته سبعة عشر(٢) كتاباً في تاريخ النقد الجاهلي والإسلامي والأموي(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٦ ومابعدها، ففيه حديث عن آراء المستشرقين.

(٢) وهذه الكتب هي مرتبة وفق تاريخ صدورها: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع، طه أحمد إبراهيم، تاريخ المقدمة سنة ١٩٣٧، النقد الأدبي، أحمد أمين، سنة ١٩٥٢. دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، د. بدوي طبانة، سنة ١٩٥٣. في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي، د. محمد طه الحاجري، سنة ١٩٥٣. تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري، د. داود سلوم، سنة ١٩٦٩. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبد العزيز عتيق، سنة ١٩٧٤، مقدّمة في النقد الأدبي، د. محمد حسن عبد الله، سنة ١٩٧٥، النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، د. محمد إبراهيم نصر، سنة ١٩٧٨، اتجاهات النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. منصور عبد الرحمن، سنة ١٩٧٩. في مرآة النقد العربي القديم، د. فتحي محمد أبو عيسى، سنة ١٩٧٩. في النقد الأدبي عند العرب، د. محمد طاهر درويش، سنة ١٩٧٩. ملامح النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. عبد الرحمن عبد الحميد علي، سنة ١٩٨٠، عن اللغة والأدب والنقد، د. محمد أحمد العزب، سنة ١٩٨٠، مقالات في تاريخ النقد العربي، د. داود سلوم، سنة ١٩٨١، النقد العربي القديم، د. عبد الله محمود حسن محروس، سنة ١٩٨٣، محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي، د. السيد العراقي، سنة ١٩٨٣، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، بلا تاريخ.

(٣) لم يذكر الباحث كتباً مثل: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، د. أحمد مطلوب، واتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، د. منصور عبد الرحمن، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عباس، واتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، د. محمد عبد المطلب مصطفى، وذلك لأنّها تتحدّث عن النقد في عصر =

وأولى هذه الوقائع أنَّ تلك الكتب قد اعتمدت نصوصاً قليلة جداً باعتبارها تمثّل واقع النقد في تلك العصور التي أرخَتْ لها، وهي في حقيقة الأمر لا تمثّله تمثيلاً كافياً، وهذا يعني إهمالها نصوصاً كثيرة من الأغاني وغيره من الكتب العامة، كان من الممكن أن تغيّر صورة النقد في تلك العصور أو تثريها أو تعمّق نظرة الدراسين إليها(١). وهذا ما أشرنا إليه في المقدمة من حيث كونه خللاً منهجياً ينبغي تداركه.

وثاني هذه الوقائع يتمثّل في أنّ تلك الكتب تكاد تنطق بلسان واحد من حيث النصوص والأحكام المترتبة عليها، وهذا أمر بدهي، فما دامت النصوص واحدة أو متقاربة، فمن الطبيعي أن تكون النتائج متقاربة هي الأخرى، لابل إنَّ القارئ يشعر أنَّ تلك الكتب وخاصة المتأخرة تكاد تعتمد على المتقدّم منها في نقل نصوصه، ممّا جعل النصوص الموجودة فيها متداولة شائعة لا تزيد عن خمسة نصوص للعصر الجاهلي، ومثلها أو أكثر قليلاً للعصر الإسلامي، وتزداد النسبة للعصر الأموي فتقترب من ثلاثين نصّاً فحسب، ولكنَّ التشابه والتداول يظلّان سمتين تميّزان تلك النصوص، ممّا يدعو الباحث إلى التساؤل عن فائدة وضع كتاب في تاريخ النقد لا يضيف فيه مؤلفه نصّاً جديداً إلى ما سبق من الكتب أو يأتي برأي جديد.

وثالث هذه الوقائع أنَّ هذه الكتب تعتمد في نقل نصوصها على المشهور المتداول من كتب النقد العربي مثل: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلاّم، و«عيار الشعر» لابن طباطبا، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر، و«الموازنة» للآمدي، و«الوساطة» للقاضي الجرجاني، وإن بعدت قليلاً كان «الشعر والشعراء» لابن قتيبة و«الموشّح» للمرزباني، ويظلُّ الأغاني وغيره من كتب الأدب العامة، والتراجم بعيداً عن الأيدي إلاّ في القليل النادر.

ونحن نعلم أنَّ تلك الكتب لا تكفي البتّة لكشف صورة النقد في العصور الثلاثة: الجاهلي، الإسلامي الأموي، لأنَّ لها مناهجها الواضحة وغاياتها المعروفة، وهي تستخدم من النصوص ما يتلاءم مع تلك المناهج، وما يوصلها إلى تلك الغايات. وقد يأتي النصّ عرضاً في سياق الكلام لا

= التدوين وظهور الكتب المفردة للنقد والنّقاد المتخصّصين.

(١) من الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ هذا الأمر لا ينطبق على كتاب الأستاذ طه أحمد إبراهيم (تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع)، باعتباره رائداً في هذا المجال، فتح الباب لمن جاء بعده، وكان همُّه تأصيل القواعد، ووضع الأساس من خلال اللمحة الدالّة والإشارة المعبّرة مع الزمن المبكّر الذي ألقى فيه محاضراته التي أصبحت كتاباً بعد هذا.

يُقصد لذاته، بخلاف الصنف الثاني من الكتب التي جعلت هذه النصوص وكدها وغايتها، فحوت قدراً أكبر منها، وضمّت تنوّعاً في القضايا وألواناً من المشارب.

ورابع هذه الوقائع يتعلّق بالحركة النقدية في العصر العباسي، إذ نجد هذه الكتب تعتمد على مصادر النقد وحدها، تلك التي أشرنا إليها فيما تقدّم. ولا شكُّ أنَّ لهذه المصادر مكانتها الخطيرة في تلك الحركة، فهي لنقّاد كبار أثروا النقد بآرائهم الصائبة ومنهجهم المتميّز. ولكنَّ الاقتصار على تلك المصادر وحدها، لا يمنحنا بُعداً واسعاً للرؤيا عمّا كانت عليه حال النقد في العصر العباسي، إذ يرفد تلك الكتب ويسندها جمهرة كبيرة من الخلفاء والشعراء والعلماء الذين شاركوا في تلك الحركة النقدية ولم يخلّفوا كتباً في النقد، وبقيت تلك الآراء حبيسة النصوص لم تنقلها تلك المصادر، وتكفُل الأغاني وغيره من الكتب بحفظ تلك النصوص، ولا ريب في أنَّ الاستفادة من تلك النصوص يوسّع المجرى العام للنقد في ذلك العصر ويضيف إليه أمداداً واسعةً، بالإضافة إلى تلك المصادر وما قدّمته من مادة نقدية مهمة.

هذه هي أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث، من خلال الكتب التي أرخّت للنقد العربي القديم، ولم تختلف الكتب التي اختارت من النقد العربي نصوصاً عن سابقاتها، وهو الصنف الثاني الذي سنتوقف عنده الآن. ومن الملاحظ أنَّ تلك الكتب(١) قد اقتصرت في اختيار نصوصها النقدية على مجموعة من المصادر المطبوعة المتداولة لم تتجاوزها إلى غيرها، وقارئ هذه النصوص سيتوصّل بشكل أو بآخر إلى أنَّ تلك الكتب وحدها هي التي تمثّل النقد العربي القديم ومنها تُستقى نصوصه النظرية والتطبيقية على حدٍّ سواء(٢)، وهذا مخالف لحقيقة النقد

---

(١) بنى الباحث آراءه على الكتب الآتية وهي مرتّبة وفق تواريخ صدورها: نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د. جميل سعيد و د. داود سلوم، سنة ١٩٧٠، نصوص من النقد العربي، د. محمود الربيعي، سنة ١٩٧٦، النقد العربي، مداخل تاريخية حول اتجاهاته الأساسية، نصوص بلاغية ونقدية قديمة وحديثة، د. عبد المنعم تليمة و د. عبد الحكيم راضي، سنة ١٩٧٧، المتخيّر من كتب النقد العربي، د. محمود الربداوي، سنة ١٩٨١، التراث النقدي نصوص ودراسة، د. رجاء عيد، سنة ١٩٨٣. نصوص من النقد العربي القديم، إعداد الأستاذ الدكتور عثمان موافي، سنة ١٩٨٩، نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث، د. وليد قصّاب، سنة ١٩٨٧، وقد أخّرنا هذا الكتاب لأنّه الوحيد الذي يستفيد من مصادر أخرى غير مصادر النقد المعروفة، تلك التي اعتمدت عليها الكتب السابقة.

(٢) اكتفى الدكتور عثمان موافي ـ مثلاً ـ بتصوير النصوص من مصادرها بلا تعليق، واعتمد على شروح محقق الكتاب.

وما نعرفه عن عدد النصوص الكبير المهمل في تلك المصادر، والموجود في مصادر أخرى.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن بعض الكتب قد حاول جامعوها دراسة النصوص النقدية التي اختاروها مثل المتخيّر، والتراث النقدي، كما تميّز كتاب الدكتور عبد المنعم تليمة والدكتور عبد الحكيم راضي بمقدمته النفيسة وآرائه الصائبة؛ ولكنَّ الظاهرة العامة التي تسِمُ تلك الكتب هو اعتمادها الكبير على مصادر نقدية محدودة(١) معروفة متداولة.

ولا شكَّ في أنَّ هذا الأمر يدخل في باب السهولة التي تميّز الحصول على تلك النصوص، فما أقرب هذه المصادر! وما أكثر تداولها بين أيدي الدارسين! ولعلَّ هذا يفسّر إحجام الكثرة من الجامعين عن الرجوع إلى مصادر تبدو في الظاهر بعيدة عن النقد، بسبب ضخامتها، أو أنَّ الظفر بنصوص منها يقتضي زمناً، وجهداً هو أكثر بكثير من ذلك الذي بُذل في قراءة تلك المصادر المشهورة.

إنَّ الكلام السابق لا يعني بخس الناس أشياءهم، بقدر ما يشير إلى حقائق ظهرت من خلال استقراء تلك الكتب والنتائج التي توصَّل إليها ذلك الاستقراء، ولعلَّ الالتفات إلى مصادر جديدة غير تلك التي ظلَّتْ لزمن طويل هي المعتمدة في دراسة تاريخ النقد وانتقاء نصوصه، سيؤدي إلى تغيير صورة النقد في عيون القارئين، ويعمّق نظرة الدارسين إليه، ويضيف إليه مادة جديدة لم تحفظها تلك المصادر بين دفَّتيها.

(٣)

هل استطاع هذا العمل أن يفي بشيء من الآمال السابقة؟ وهل قدَّم نصوصاً جديدة للنقد في العصور: الجاهلي والإسلامي والأموي؟ وهل رفد المصادر النقدية المعروفة بروافد غير معروفة، ومشاركين جدد في الحركة النقدية في العصر العباسي؟

---

(١) من الواجب أن نذكر هنا تلك المصادر التي اعتمدت عليها هذه الكتب واجتزأت نصوصاً منها وهي: طبقات ابن سلام. الشعر والشعراء ابن قتيبة. عيار الشعر ابن طباطبا، نقد الشعر لقدامة. موازنة الآمدي. وساطة الجرجاني، عمدة ابن رشيق، منهاج البلغاء لحازم. المثل السائر لابن الأثير. سرُّ الفصاحة لابن سنان. كما نشير إلى أنَّ الدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلوم استقيا نصوصاً قليلة من غير المصادر السابقة مثل: «البيان والتبيين» للجاحظ، «الرسالة العذراء» لابن المدبّر «أخبار أبي تمام» للصولي، «البرهان في وجوه البيان» لابن وهب.

لقد تمكّن الباحث من التقاط أكثر من ألفين وسبعمائة وثمانين نصاً من الكتاب، كان نصيب العصر الجاهلي منها سبعين نصاً تقريباً، ونصيب العصر الإسلامي مئة وثلاثين نصّاً تقريباً، ونصيب العصر الأموي ثمانمائة وثمانين نصاً تقريباً، وما تبقّى فللعصر العبّاسي وهو بحدود ألف وسبعمائة نصّ تقريباً، وأغلب هذه النصوص جديدة لم توظّفها كتب تاريخ النقد وهي تتحدّث عن العصور الثلاثة الأولى، بالإضافة إلى كثرتها بالقياس إلى عدد النصوص المستخدمة، وهو ما أشرنا إليه في موضع سابق.

أمّا نصوص العصر العباسي فهي صفحة جديدة، ونافذة واسعة سيُطلُّ منها الدارس على ذلك العصر ليرى اتسّاع الحركة النقدية فيه بمعزل عن كتب النقد المتخصّصة، وسيلاحظ مشاركة طوائف كثيرة من الخلفاء، والوزراء، والقادة، والشعراء، والعلماء في الحركة النقدية، وإدلائهم بآراء صائبة، وبصرهم بالشعر وقضاياه.

وقد كان التعامل مع تلك المادة النقدية مشكلة مهمة اعترضت الباحث، كما كان المنهج غائماً، وبعد القراءة المتكرّرة والاستفادة من تجارب الآخرين، وضح المنهج واستقام واستقرّ على ثلاثة أمور: القضايا، والترتيب التاريخي، والتعليق على النصوص.

أمّا القضايا فيُقصد بها تصنيف النصوص المبعثرة في ثنايا الأغاني وفق قضايا النقد العربي الكبرى، تلك التي دارت حولها مباحث النقّاد وأخذت من كتبهم وجهدهم حيّزاً كبيراً، وهذا الأمر قد مكّن من حصر نصوص القضية في مكان واحد ممّا يسهّل الاستفادة منها من جهة، ويمكّن الدارس من النظرة الكلية إليها من جهة ثانية، وهذه القضايا هي(١):

١ـ الشعر، مكانته، فائدته، أثره، وهي مجموع النصوص التي تبيّن مكانة الشعر والشاعر في المجتمع العربي، بالإضافة إلى الفوائد التي قدّمها خلال مسيرته الطويلة، مثل فضّ الخصومات واستجلاب النوال، أمّا أثره فهو انفعال المستمع بالشعر الذي يسمعه وما يترتّب على هذا الانفعال من سلوك أو عمل. وهذه القضية من أوسع القضايا وأكثرها نصوصاً، ولايدانيها في عدد النصوص سوى القضية الثالثة وهي (آراء في الشعر).

---

(١) كان في نيّة الباحث أن يفرد لشرح الشعر موضعاً بين القضايا، ولكنّه عدل عن هذا بعد أن ظفر بكتاب هو (شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني) جمع وتصنيف طلال سالم الحديثي، وكريم علكم الكعبي، وقد توصّل الباحثان في كتابهما إلى ما يُراد منه هنا، فعدل عنه خشية التكرار وضياع الجهود. ويشكر الباحث هنا الأستاذ الدكتور داود سلّوم الذي وفّر له نسخة من هذا الكتاب، ولم يكن ليحصل عليها لولا تلك اللفتة منه.

٢ـ الأغراض الشعرية. وهي ما يتعلّق بالأغراض الشعرية المعروفة مثل: الوصف، الرثاء، الهجاء، النسيب وغيرها، وقد آثرنا فصلها عن الآراء في الشعر عامة وذلك لأنها مختصةٌ بالحديث عن هذا الغرض أو ذاك نصاً، وهذا يسهّل الاستفادة منها ويتيح للدارس مواكبة التطوّر التاريخي الذي أصاب تلك الأغراض من خلال الآراء المختلفة حولها.

٣ـ آراء في الشعر. وهي مجموع الآراء التي حواها الأغاني عن الشعر، سواء أكان هذا الشعر بيتاً أم مقطوعة أم قصيدة، وهي آراء كثيرة متنوعة لأشخاص مختلفي المشارب والثقافات، تبيّن مدى الاهتمام الذي حظي به نقد الشعر في بيئات متباعدة، وتشير إلى تعدّد منابعه ومصادره.

٤ـ آراء في الشعراء، وهذه القضية تتعلّق بآراء مختلفة في الشعراء أنفسهم من حيث مكانتهم أو مذهبهم الشعري، ولم يدخل فيها الحديث عن حياتهم وسلوكهم، فكأنّها مخصّصة للشعراء من حيث هم شعراء فحسب، وهذا أدخل في مهمة النقد ووضعه الشعراء مواضعهم التي يستحقّون. ومن المعلوم أنّ هذه القضية كانت من قضايا النقد المبكّرة وخاصة في تفضيل شاعر على آخر، وظلّت شغل النقد الشاغل إلى وقت متأخر.

٥ـ السرقات والانتحال. ولعلّها من قضايا النقد الخطيرة التي حظيت من تاريخه بمكان بارز، وأُلّفت الكتب حولها. وقد رأينا اهتمام أبي الفرج وغيره ممن نقل آراءهم فيها ممّا يشير إلى أهميتها ومكانتها.

٦ـ نسبة الشعر إلى شاعرين. وهي من القضايا المهمة عند ترجيح إحدى النسبتين خاصة، وبيان أسباب الترجيح، وغالباً ما تكون هذه الأسباب نابعة من النصّ نفسه فهي أدخل فيما يُسمّى بالنقد الداخلي للنصّ، أو معرفة الناقد بأسلوب الشاعر عامةً، فيبني رأيه على هذه المعرفة، أو يعتمد على أسباب خارجية مثل العصر، وزمن الشاعر، ومناسبة الشعر. وهي ـ مثلما نرى ـ أمور متشابكة تؤدي في النهاية إلى توثيق الشعر ونسبته إلى شاعر معيّن، مع الفوائد النقدية الكثيرة التي تتخلّل التوثيق والتثبيت.

٧ـ القدماء والمحدثون. وهي من القضايا النقدية التي ظهرت في أعقاب تمسّك بعض العلماء بالشعر القديم وتفضيله على الشعر المحدث، ومحاولة الشعراء المحدثين مقارعة أولئك العلماء بالحجّة، وإثبات أنّ هذا الشعر المحدث الذي يأتون به لا يقلّ جودة عن الشعر القديم. وقد شارك نقّاد وأدباء في هذا الصراع بين الفريقين مثلما هو مفصّل في كتب الأدب، وقد حفظ أبو

الفرج نصوصاً من هذه القضية المهمة.

٨ـ أشعر العرب أو الناس. وهما من مقاييس الحكم على جودة شاعر ما، وبلوغه الغاية في وصف معيّن أو معنى مخصوص. وقد أورد أبو الفرج نصوصاً كثيرة استُخدم فيها هذا المقياس في عصور مختلفة ممّا يشير إلى استمرار استخدامه وأخذ كثير من المشتغلين بالنقد به إلى وقت متأخر.

٩ـ الصدق والكذب في الشعر. ويراد بها تلك الآراء التي أدلى بها مَنْ تعقّبَ شعراً معيناً، حاول في هذا التعقُّب تبيان مدى ارتباط الواقع بهذا الشعر. وقوة الصلة بين الحقيقة والمعاني الموجودة فيه. وقد لاحظنا إلحاح كثير من الآراء على فكرة التطابق وطلبهم لها، ولم نعدم من أطلق للشاعر حرية التصوير والتعبير بمعزل عن واقعه أو ما يريد الحديث عنه. ومن المعروف أنْ هذه القضية قد شغلت النقاد كثيراً، ولعلّ حديث قدامة بن جعفر المستفيض عنها في كتابه «نقد الشعر» يقوّي الاتجاه الثاني المشار إليه سابقاً.

١٠ـ صنعة الشعر ودواعيه، شياطين الشعراء، ثقافة الشاعر، وقد جُمعت هذه القضايا في موضع واحد بسبب تقاربها الشديد، واهتمامها بموضوع يكاد يكون متجاوراً، وهي تقدّم نصوصاً متنوعة عن كيفية نظم الشعر، والمراحل التي يمرُّ بها الشاعر أثناء هذه العملية مع العوامل التي تساعد الشاعر على قول الشعر، كما إنّها تتحدّث عن عملية الإبداع مثلما تصوّرها كثير من الناس في عصور مختلفة وتدّخل قوى غيبية تعين الشاعر، وتنفث القول على لسانه، بالإضافة إلى ثقافة الشاعر، والعلوم التي عليه معرفتها أو الإشارة إلى ما استوعبه منها من خلال دراسة شعره.

هذا بشأن القضايا، أمّا الترتيب التاريخي فيريد الباحث أنّه بعد أن وزّع النصوص على القضايا، رأى أنَّ إلقاءها هكذا بلا ترتيب سيدخل الفوضى إليها ولن تتحقّق الفائدة المرجوّة منها، ولذلك عزم على أن يرتّب النصوص داخل كلُّ قضية وفق موقعها التاريخي، وقد وضع لذلك أربعة عصور هي: الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي.

وكان المعوّل في نسبة النصّ إلى العصر صاحبَ النّص نفسه بلا اعتبار للسند أو أيّة أمور أخرى. وقد اقتضت هذه العملية جهداً كبيراً وأناة شديدة، ولكنّها حقّقت الغاية المطلوبة منها من حيث النظر التاريخي للقضية النقدية، وهذا من الأمور الخطيرة في معالجة أيّة قضية، لأن هذا النظر يكسب البحث نظرة شاملة ويمنحه فرص الرؤية الواسعة لمعرفة التطور الذي أصاب

القضية أو الجمود على حدّ سواء.

وقد آثرتُ أن أجعل لكلّ قضية مقدّمة قصيرة تعالج محاورها الأساسية، وتبيّن أهم النقاط التي دارت حولها، وتكون بمثابة فاتحة تمهدّ السبيل للقارئ لكي يتفاعل مع النصوص، ويستفيد منها، ولم يكن الغرض من هذه المقدّمات تقديم دراسة شاملة عن القضايا، فهذا ما تكفّل به الأمر الثالث مثلما سنرى،، ولكنّها محاولة لجمع شتات الموضوعات في حيّز واحد يعين على تلمّس هذه الموضوعات من جهة، والوصول إلى نتائجها من جهة أخرى.

أمّا الأمر الثالث والأخير، فهو التعليق على النصوص، وسيرى القارئ أن أغلب النصوص قد رافقتها تعليقات تأتي بعد انتهاء النص، وقد اقتضت جهداً جديداً، وبحثاً يكاد يكون منفصلاً عن العمل الأصلي وهو جمع النصوص وترتيبها، وكانت الغاية من تلك التعليقات توضيح النصوص ووضعها في سياقها التاريخي والأدبي مما يساعد على فهمها والاستفادة منها، وممّا يجب الإشارة إليه هنا أنّ تلك التعليقات قد انتظمت في قسمين كبيرين هما: التعليق الأدبي النقدي، والتعليق اللغوي، أمّا الأول فهو انطباعات الباحث عن النصّ مع إيضاح دوره في القضية المعينة، وقدرته على تعميقها وإنضاجها، وربطه بالنصوص المشابهة له، مع محاولة للإشارة إلى ورود نظائر لتلك النصوص في كتب النقد العربي، أو القضية بشكل عام، وقد استعان لتحقيق هذا الغرض بالكثير من كتب الأدب والنقد التي أشير إليها في مواضعها، ممّا يجعل الاستفادة من النص متكاملة، مشدودة العُرى مع كتب النقد الأخرى.

أما التعليق اللغوي فهو تقديم الشروح لما ورد في النصوص من مفردات غريبة، وتركيبات

معقّدة، وقد كان جلّ هذا العمل منصباً على الشعر، مع اهتمام بالنثر أيضاً. ورأى الباحث أنَّ تلك العملية ضرورية مع نصوص أغلبُها مثقلٌ بالألفاظ الغريبة، كما إنَّ إهمالها لن يساعد على تحقيق الهدف من الكتاب، وهو الجهد النقدي في الأغاني، إذ ربّما انشغلنا بفكّ ألفاظ النصّ عن تلمسّ مغزاه النقدي، ومعالجته للقضية التي يحملها، ولهذا عوِّل، لتجاوز هذا الأمر، على هوامش الأغاني نفسه، وهي ليست كافية وحدها، فعمد إلى المعاجم يستشيرها مع خبرة متواضعة بالشعر العربي مكّنته من فهم هذا الشعر، ونقله إلى هذه الهوامش،. وقد حاول أن يقدّم من خلال هذه الشروح اللغوية، النصوص سهلةً، سائغة، قابلة للفهم السريع بلا عناء أو رجوع للمعاجم.

وسيلاحظ القارئ أنَّ بعض النصوص جاءت غُفْلاً بلا تعليق، ومردّذلك إلى عدم وجود ما يُشرح فيها لوضوحها، أو أن تكون النقطة النقدية قد عولجت في نصّ سابق، وحينذاك سيكون التعليق فُضُولاً، وزيادة لا مبررّ لها.

وهناك أربع ملاحظات يودُّ الباحث إضافتها هنا، وهي تكتنف العمل كلّه وتعين على وضوح منهجه وانتظام أقسامه:

أولى هذه الملاحظات إبقاء السند الذي أورده أبو الفرج في النصوص كلّها، ولهذا فائدتان: توثيق الخبر من جهة والاستغناء عن الكتاب من جهة أخرى.

وثاني الملاحظات هي أنَّ الباحث قد حذف من النص ما ليس له علاقة بالقضية التي وُضع فيها، ورمز لهذا الحذف بنقاط ممّا هو معروف في منهج البحث، وخاصة في تلك النصوص الطويلة التي تجيء اللمحة النقدية في سياقها، وهذا يساعد على إبراز القضية النقدية ويبعد عنها ما ليس داخلاً فيها.

وثالث الملاحظات تتعلّق بالنصوص التي تحتوي على قضيتين نقديتين مختلفتين، فقد عمد الباحث إلى حذف واحدة منهما ووضع النصّ في موضعه، ثمُّ أعاد النصُّ نفسه في موضع آخر بعد أن حذف القضية الأولى، وهذا يؤدي إلى عدم التداخل بين القضايا ويضع النصُّ في موضعه المطلوب منه.

ورابع الملاحظات هي الأرقام التي وضعت للنصوص، فلكلِّ نصٍّ رقمان، علوي وسفلي، فالرقم العلوي يشير إلى تسلسل النصُّ داخل القضية والعصر، فإذا جاء عصر جديد بدأ تسلسل جديد لذلك العصر. أمّا الرقم السفلي فيدلّ على موضع النصُّ من الأغاني حسب الجزء

والصفحة حيث يشار إلى الصفحة التي يبدأ النصُ فيها.

هذه هي أهمّ الملاحظات التي ودُ الباحث إثباتها لتسهيل الاستفادة من الكتاب والنصوص الكثيرة التي حواها. ولعلّ طبيعة هذا العمل الخاصّة، قد اقتضت أن تختلط نتائجه بمباحثه، فالإحساس بقصور كتب تاريخ النقد العربي وكتب الاختيارات النقدية، وإثبات هذا الإحساس من نتائج هذا العمل، وتوجيه الأنظار إلى مصادر جديدة واكتشاف نصوص جديدة فيها، من نتائج هذا العمل، وهذه المحاولة في التقاط تلك النصوص المتناثرة في كتاب الأغاني وتصنيفها، مع الإضافات الواضحة التي قدّمتها تلك النصوص، ربّما تكون من أهم النتائج التي توصّل إليها هذا العمل، كما إنّ انتظار دراسة هذه النصوص دراسة تفصيلية سواء حسب القضايا أم حسب موقعها التاريخي، ليدعو الباحث أو غيره للقيام بتلك الدراسة خدمة للنقد العربي القديم وتجلية لقضاياه ودفعاً للإهمال الذي ران عليه لأوقات طويلة. وهو يرجو وينتظر.

الشعر

مكانته ، فائدته، أثره

لعلَّ من نافلة القول الحديث عن مكانة الشعر عند العرب، والمنزلة العالية التي تبوَّأها بينهم، فقد كثر الكلام عن هذه القضية، وعالجتها أقلام دارسين متعدِّدين، كما أشارت إليها كتب الأدب قديماً، وتناولتها مصادر النقد العربي بالدرس والتحليل. وسنحاول هنا تبيان المحاور الأساسية لهذه القضية، ومدى ما قدَّمه {الأغاني} من نصوص لتوضيح جوانبها، وتعميق النظرة إليها.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنَّ من البيان لَسِحرا، وإنَّ من الشعر لَحُكْماً»، [ينظر الترمذي، ٤/٢١٦، وابن ماجة، ٢/ ٢١٠، وفي رواية: إنَّ من الشعر حكمةً]. وقد أرسى صلى اللهَ عليه وسلَّم بهذا الحديث، وأحاديث ومواقف أخرى، مكانة الشعر عند العرب، واستمرار الاهتمام به في ظلِّ العهد الجديد، مع التأكيد على أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلم قد حدَّد لون الشعر الذي يفضِّله، واللون الآخر الذي يرفضه بما يتناسب مع روح الإسلام وقيمه، ويقترب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه من هذا المفهوم بقوله: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه»، [طبقات فحول الشعراء، ابن سلاَّم، ١/٢٤]، وهو يشير بهذا الرأي إلى الشعر في الجاهلية الذي يوضحه ابن سلاَّم بقوله: «كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوانَ علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»، [طبقات فحول الشعراء، ١/٢٤].

ولم يتبوأْ الشعر تلك المنزلة إلاّ لأسباب وجيهة دعتْ إلى ذلك، ونرى ابن قتيبة يشير إلى بعض من تلك الأسباب بقوله: «الشعر معدن علم العرب، وسِفْرُ حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسُّور المضروب على مآثرها ... ومَنْ لم يقم عندهم على شرفه، وما يدَّعيه لسلفه من المناقب والفعال الحميدة بَيْتٌ منه، شَذَّت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرستْ على مرور الأيام وإن كانت جِساماً، ومَنْ قيَّدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر ... أخلدها على الدهر». [عيون الأخبار، ٢/١٨٥]، فلا غرو بعد هذا كلِّه أن تتمسَّك به العرب، وتتعهدَه بالرعاية والاهتمام.

ونرى بعد هذا ارتفاع منزلة الشاعر عند العرب، فهو لسان القبيلة، الذائد عن محارمها، الناشر أمجادها، والهاجي أعداءها، ولهذا احتلَّ مكاناً متميِّزاً بين أفراد القبيلة، يبيِّنها أبو عمرو بن العلاء بقوله: «كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم»، (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، للرازي، ١/٩٥). وقد استمرَّتْ هذه المنزلة الرفيعة زمناً طويلاً حتَّى

غيَّر الشعر والشاعر من موقعهما، فتغيّر هذا الموقع في النفوس أيضاً، وبدأت تلك الدرجة تأخذ في الهبوط، ولكن لا على الإطلاق، بسبب ابتذال الشاعر نفسه، وتكسّبه بشعره، ووضعه في غير موضعه، وينقل الجاحظ في هذا الصدد كلاماً مهمّاً لأبي عمرو بن العلاء وهو: «كان الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيِّد عليهم مآثرهم ويفخّمَ شأنهم ويهوّل على عدوّهم ومَنْ غزاهم .. ويهابهم شاعرُ غيرهم فيراقب شاعرهم، فلمّا كثر الشّعر والشعراء، واتّخذوا الشعر مكسبةً ورحلوا إلى السُّوقة، وتسرّعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر» [البيان والتبيين، ١/٢٤١].

ولعلّ ما قدّمه أبو عمرو يُعدُّ سبباً وجيهاً لهذا التغيّر، إذ نرى الشاعر يتخلّى عن مهمّته الجوهرية إلى منافعَ شخصية، ونَيْلِ مآربَ تنفعه وحده، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى إراقة ماء الوجه، وكسر الأعراف الاجتماعية، والهجوم على الآخرين بسبب أو بدون سبب. ويعرض الجاحظ رأياً نراه جديراً بالتوقّف، يتعلّق بصنعة القصيدة نفسها، تلك التي ينظمها الشاعر لغرض التكسب إذ يقول: «ومَنْ تكسّبَ بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السِّماطين، وبالطِّوال التي تُنشد يوم الحفل، لم يجد بُدّاً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما، فإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ...» [البيان والتبيين، ٢/١٣]. فكأنَّ الشاعر في هذا الموقف يصبح مضطراً لتنقيح قصيدته، وتثقيفها مثلما كانت تفعل مدرسة عبيد الشعر، حتى وإن لم يكن مقتنعاً بهذا اللون من التنقيح، وذلك كي تنسجم مع الموضع الذي يريد إلقاءها فيه، ولعلّ الجاحظ أراد أن يومئ من خلال هذه الإشارة إلى أنَّ الشاعر في هذه الحالة قد أصبح تابعاً من جهتين، جهة الممدوح الذي يُسمعه ما يريد، وجهة الشعر الذي ينظمه وهو غير راغب فيه، فماذا يبقى من الشاعر وفنّه بعد هذه، وتلك؟! ولابدَّ لنا من أن نشير هنا إلى أنَّ هذه المكانة التي تحدّثنا عنها لم تهبط بشكل عام بحيث ينضوي الشعراء جميعهم تحتها، إذ قدّم الأغاني نصوصاً كثيرة تشير إلى عكس هذا الاتجاه، وتدلّ على أن كثيراً من الشعراء ظلّوا يتمتّعون بمواقعهم السابقة التي ارتضوها لأنفسهم، وارتضاها المجتمع لهم، وهو ما سنفصلّ الحديث عنه بعد قليل.

ولم تكن أهمية هذه القضية، وخطورتها، لتغيبَ عن أبي الفرج، ولذلك نراه يحشد في الأغاني نصوصاً كثيرة تنضوي تحتها، وتعالج جوانبها المختلفة التي تحدّثنا فيما سبق، وقد انتظمتْ هذه النصوص عصور الأدب المتتابعة: الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، ونرى أبا الفرج يقدّم مادة ثريّة عن صورة هذه القضية في تلك العصور، والتباين الذي أصابها، والتغيّر الذي

احتوى بعض جوانبها، ونستطيع تحديد الإطار العام لهذه الصورة (القضية) مثلما وردتْ في الأغاني في أمور ثلاثة:

أولُ هذه الأمور يتعلّق بمنزلة الشاعر، فقد كانت عالية مرتفعة في العصر الجاهلي، واستمرتْ كذلك إلى العصور اللاحقة: الإسلامي، والأموي، والعباسي، وتُقدّم جمهرةٌ من النصوص اختلافاً جوهرياً عن النظرة السائدة من أنَّ مكانة الشاعر قد هبطتْ بعد تكسبّه بشعره، ووقوفه طالباً النوال، لقد طرأ تغيير على هذه المكانة سنقف عنده بعد قليل، هذا حقّ، ولكنَّ هذا التغيير لم يكن ليشمل الشعراء قاطبةً، فكثير منهم ظلَّ محتفظاً بكرامته، باذلاً شعره في قضايا دينية، أو سياسية، أو شخصية، ولم يقترب من الممدوحين راجياً نوالهم، وإن حصل هذا الاقتراب فهو قائم على الاقتناع، والإيمان بما يذهب إليه الممدوح، رأينا هذا عند شعراء صدر الإسلام، وشعراء السياسة في الدولة الأموية، وكثير منهم ظلَّ محتفظاً بعقيدته، مدافعاً عنها، باقياً على ولائه القديم بعد تغيّر الأحوال، وتبدُّل الزمان.

وقد تفرَّع عن هذا الأمر جملة نقاط منها، إنَّ شعر الشاعر كان في كثير من الأحيان يؤدي به إلى القتل، أو النفي، أو التشريد، كما إنَّ بعض مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ظلَّ محافظاً على ولائه القديم للأمويين، لم يغيّره حتى بعد مجيء الدولة العباسية، ومساطة رجالها لأولئك الشعراء، فلم ينفوا تلك (التهمة) عنهم، ولم ينَلْهم ـ في المقابل ـ من العباسييّن كبير شرّ. ونرى على النقيض من هذا كلّه وَلَعَ جمهرة أخرى من الشعراء بالتكسّب بالشعر، وطلبهم شعر المديح خاصة وسيلة لهذا التكسّب، وقد أدرك الخلفاء أهميّة الشعر في تثبيت أركان سلطانهم فراحوا يغدقون على الشعراء أموالاً طائلة، وخاصة في العصر العباسي، ونستثني من ذلك بقوة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي أبى أن يعطي الشعراء شيئاً من بيت المال، واكتفى بمنحهم شيئاً قليلاً من ماله الخاص، ولم يكن يرى في الشعراء أهمية تذكر، فضرب مثالاً فريداً في علاقة الشعراء بالخلفاء قلَّ نظيره.

وبدأنا نرى منذ العصر الأموي ظاهرة ستنتشر في العصر العباسي، وهي عدُّ أبيات القصيدة، ومَنْح الشاعر قَدْراً من المال مقابل كلّ بيت فيها، وقد أدّى هذا الأمر إلى إقبال الشعراء على المديح من جهة، وإفراطهم فيه، وذمّ الخصوم من جهة ثانية، ونما في ظلِّ هذه الظاهرة اتجاهان لم يكونا معروفين سابقاً، أولهما ارتباط الشاعر ومنزلته بالممدوح، سواء أكان خليفةً، أم وزيراً، أم قائداً، فإذا أنشد بين يدي هذا الممدوح، وقُبل مدحه ارتفعت منزلته، وإلاّ فإنّه يسقط، ولن يرتفع له ذكر آخر الدهر، ومن المعلوم أنَّ هذا الاتجاه وقتي، مرتبط بعصره

ارتباطاً وثيقاً، فليس هناك من أحد يحاكم الشاعر اليوم وفق ذلك المقياس، فلم يبقَ بين أيدينا سوى الشعر، وهو المقياس الوحيد الذي يرفع الشاعر إن كان جيداً، ويخفضه إن كان رديئاً.

أمّا الاتّجاه الثاني، وهو اتجاه خطير، عمّقه بعض الشعراء الذين ابتذلوا أنفسهم، فراحوا ينعتون الشاعر بأنّه مُضحك، وطالب فضل، لا همُّ له سوى المدح، وكسب المال، ونرى ابن رشيق في العمدة يبارك هذا الاتجاه، ممّا سنراه في موضعه من النصوص، وأوغل بعض الشعراء في هذا الأمر، فبادروا إلى تغيير قصائدهم لتتلاءم مع الممدوح الجديد، بعد أن كانت القصائد نفسها في ممدوحين زالت دولتهم ويظهر هذا واضحاً عند الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

فلا غرو بعد ما تقدّم أن تضطرب صورة الشاعر في عيون مجتمعه، وتتغيّر علواً، وهبوطاً، خاصة بعد أن أصبح أداة للمديح، ووسيلة للغضّ من خصوم ليسوا خصومه، أو خصوم قبيلته(١).

وثاني هذه الأمور ما رسخ في الأذهان من أنَّ الشعر أكثر تأثيراً في النفوس من النثر، وقد رأينا إشارات إلى هذا الأمر في بداية الحديث، عند غير أبي الفرج، وخاصة في قول ابن قتيبة السابق، فَمَنْ أراد أن يسجّل مأثرة، أو يذيع فضلاً فعليه بالشعر، فهو أسرع في الانتشار، وأبرع في التأثير. ولعلَّ هذا راجع إلى طبيعة الشعر العربي نفسه من حيث نقله روايةً لا تدويناً، فالشعر يُلقى في المحافل، وتسمعه الناس، وهم يقومون بنقله وهكذا، بلا كتاب مدوّن إلاّ فيما ندر. ولم يُفْقِدِ التدوين في العصر العباسي هذه الميزة للشعر، فما يزال الجوّ الأدبي بحاجة إلى الحفظ والإنشاد، وماتزال المجالس بحاجة إلى المديح والسمر. وكان الشعر المادّة الأساسية فيهما، فإذا أضفنا شيئاً آخر، وهو طبيعة النثر من حيث هو شكل فنّي، إذ يصعب حفظه وتداوله، كما إنّه مفتقر إلى الموسيقى التي تؤثر، وتهزّ المشاعر، وهو بعيد عن المديح وفنونه، أقول إذا أضفنا هذا كلّه أدركنا سبب تفوّق الشعر على النثر، وإلحاح الجمهرة من الناس على الأخذ به، والسعي وراءه.

---

(١) يودُّ الباحث أن يشير هنا إلى أنَّ التغيّر الكبير الذي طرأ على المجتمع العربي قد غيّر من قيم الأفراد أنفسهم، فالتحضّر، وبناء المدن، والاختلاط بالأمم الأخرى، وفوق هذا كلّه روح الإسلام التي أرست قيماً جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي. أقول، هذا كلُّه قد أثّر على الشاعر، وعلى مناحي شعره، فلم يعد ينظر بمنظور القبيلة وحدها، وإنّما أصبحت السلطة المركزية، والولاة الذين يمثّلونها، عوامل تعويض عن القبيلة، وقيمها، ولكنّنا مع هذا لا نستطيع إلغاء فكرة القبيلة، وخاصة في العصر الأموي، إذ نراها تتمثّل في مظاهر كثيرة، وما يزال الشاعر يحنّ إليها، ويعيش في جوانبها بالرغم من ذلك التغيّر الهائل.

وثالث هذه الأمور يتعلّق بمجالس الخلفاء الأمويين، والعباسيين، فقد كانت مكاناً أدبياً خصباً، أبدع فيها الشعراء، وتسابقوا إلى نَيْل الحظوة لدى هذا الخليفة، أو ذاك ولعلّ خير ما يصوّر هذا الأمر بيت بشار بن بُرد في قصيدته التي يمدح بها عقبة بن سلم (ديوانه، ١/١٤٦):

يسقطُ الطيْرُ حيث ينتثر الحبُّ وتُغشى منازلُ الكرماءِ

وقد كان (الحَبّ) كثيراً هناك، فتوافد الشعراء على تلك المجالس عارضين أشعارهم، منتظرين النوال، وتُبيّن طائفة من النصوص أنَّ استقبال الشعراء أصبحت له مراسيم معينة، وأوقات محدّدة، كأن تكون الزيارة مرّةً واحدة في العام في وقت معلوم. وتُظهر طائفة أخرى من النصوص أنَّ الشعراء يأتون إلى باب الخليفة، فإن سُمح لهم دخلوا، وإلاّ ذهبوا، على أن يكرّروا المجيء مرات أخَر، وربما انتظر أحدهم شهوراً كي يستطيع الدخول. وتبيّن طائفة ثالثة من النصوص أنَّ القائمين على باب الخليفة كانوا يلقّنون الشعراء ما عليهم أن يقولوه، والمدّة التي يستغرقها إنشادهم.

وبالرغم من اختلاف كثير من الدارسين حول أهمية تلك المجالس، فإنّها تظلّ معلماً أدبياً، ونقدياً بارزاً لا يمكن إنكاره، والنصوص الكثيرة التي حفظها أبو الفرج تشير بقوة إلى أهميّتها من خلال وصفه التفصيلي لما كان يدور فيها، والأحاديث الأدبية والنقدية التي كانت تتردّد بين جنباتها، وتكتسب هذه المجالس بُعداً جديداً حين يكون الخليفة نفسه شاعراً، أو راوية للشعر، متذوّقاً له. مثل عبد الملك بن مروان، والوليد بن يزيد، وهشام بن عبد الملك، وهارون الرشيد، وولده المأمون، إذ يتحوّل المجلس إلى ساحة أدبية ثريّة، لا تقتصر على قصيدة المديح حسب، بل تتعدّاها إلى قضايا أدبية، ونقدية مختلفة.

وقبل الدخول إلى نصوص هذه القضية المهمة، نشير إلى أن فضل أبي الفرج يتمثل فيها بالجمع والحفظ وحده، إذ لم نقف على رأي له، أو تعليق على جانب منها، إلاّ في القليل النادر، ولعلّ ذيوعها، وكثرة مَنْ أدلى بدلوه فيها لم يدعا زيادة لمستزيد، أو أنّه رأى أنَّ ما حفظه بين دفّتي الكتاب يكفي وحده لعرضها بلا مناقشة، أو تعقيب. وسنرى - فيما سنستقبل من قضايا - شخصية أبي الفرج الأدبية والنقدية تكاد تبرز بوضوح. وله في كثير من النصوص رأيه الخاص، ومذهبه المتفرِّد.

العصر الجاهلي

(١)

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بالماء الزّلالِ
عصفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعديِّ بن زيد العباديِّ، وهذه الأبياتُ قالها عديُّ بن زيد العباديِّ على سبيل الموْعظة للنُّعْمان بن المُنْذر فيقال: إنها كانت سبب دخوله في النصرانية(١). (٩٥/٢)

(٢)

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شيْخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأمويّ قال حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بنو الشهر الحرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا من رَهْطِ جبّار بن قُرْط ولا من رهط حارثة بن زيد

ـ قال: وهؤلاء كلهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: أنا، لا أبالك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فسبَّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظاً عليه. فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسر منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموءل بن عادياء الغسانيّ صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

شُريحُ لا تتْركنّي بعد ما علقتْ حبالك اليومَ بعد القدّ أظفاري
قد جلْتُ ما بين بانقيا إلى عدنٍ فطال في العُجْم تردادي وتسْياري
فكان أكْرمهم عهداً وأوثقهم عقْدا أبوك بعُرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه وفي الشداء كالمستأسد الضّاري

(١) لعل نبرة الحزن التي تكتنف البيتين، ومظاهر الموت، والرحيل فيهما قد زهّدتا النعمان في الدنيا فالتجأ إلى النصرانية يستعدّ بها لذلك الانقراض المرتقَب.

كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به في جحْفلٍ كسواد الليل جرّار
إذ سامه خُطّتيْ خسْفٍ فقال له قُلْ ما تشاء فإنّي سامعٌ حار
فقال غدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكَّ غير طويلٍ ثم قال له اقْتُل أسيرك إني مانعٌ جاري
وسوف يُعْقبنيه إن ظفرت به ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ هدراً وحافظات إذا استُودعْن أسراري
فاختار أدراعه كي لا يُسبُّ بها ولم يكن وعدُه فيها بختّار

قال: فجاء شُريح إلى الكلْبيِّ فقال له: هبْ لي هذا الأسير المضْرور. فقال: هو لك، فاطلقه. وقال له: أقِمْ عندي حتى أكرمك وأحْبوك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليَّ أن تُعْطيني ناقةً ناجية وتُخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقةً، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أن الذي وهب لشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شُريح: ابعث إليَّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوه وأعطيه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يلْحقه(١). (٦/٣٣٢)

(٣)

وقال ابن الكلبيّ: حدّثني أبي عن ابن الكاهن الأسديّ: أنَّ حُجْراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألاَّ يقيم معه أنفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك(٢). (٩/٨٧)

---

(١) يبدو واضحاً أثر الشعر في رفع قوم أو خفضهم، إذ نرى الناس تسبّ الكلبي بهجاء الأعشى له، ممّا سيصبح عاراً عليه، وقد حداه هذا الأمر إلى تعقبّه، وطلبه مع عدم معرفته، وعندما يصبح في حوزته، يُفتدى، وهو لا يعلم، فيطلبه أخرى. ولكن لات ساعة مندم، إنَّ هذا الإصرار على طلب الشاعر يدلّ بوضوح على مدى وقع الهجاء في النفس، وذيوعه بين الناس، وبانقيا: ناحية من نواحي الكوفة، والختّار هو الغادر، ومن الواضح أنَّ الأعشى يورد قصة السموأل المشهورة في حفظ العهد، وعدم تسليمه أمانة امرئ القيس، ممّا أدى إلى قتل ولده، فضرب المثل بأمانته ووفائه.

(٢) يبدو أنَّ هذه الأنفة جاءت من مواقف بعض الشعراء، وإلحافهم في الطلب، ونقرأ في العمدة (١/٤٣) «وقد حكي أنّ امرأ القيس نفاه أبوه لمّا قال الشعر، وغفل أكثر الناس عن السبب، وذلك أنّه كان خليعاً متهتكاً، شبّب بنساء أبيه، وبدأ بهذا الشرّ العظيم، واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرياسة، فكان إليه من أبيه ما كان، ليس من جهة الشعر، لكن من جهة الغيّ والبطالة، فهذه العلّة، وقد جازت كثيراً من الناس».

(٤)

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ عن الرِّياشيِّ مما أجازه له عن العُتْبيِّ عن رجل من قيس عيلان قال: كان الأعشى يُوافي سُوقَ عُكاظ في كلّ سنة، وكان المُحلّق الكلابيُّ مِئْناثاً مُمْلِقاً. فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! فما رأيتُ أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً. قال: ويحك! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحِمْل!.

قالت: الله يُخلفُها عليك، قال: فهل له بُدٌّ من الشّراب والمُسُوح؟ قالت: إنّ عندي ذخيرةً لي ولعلّي أن أجمعها. قال: فتلقّاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام؛ فقال الأعشى: مَنْ هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: المحلّق. قال: شريفٌ كريم، ثمّ سلّمه إليه فأناخه؛ فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها، ثم سقاه، وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه.

فقال: ما هذه الجواري حوْلي؟ قال: بناتُ أخيك وهنَّ ثمانٍ شريدتُهن قليلة، قال: وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً. فلما وافى سوقَ عكاظ إذا هو بسَرْحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشدهم:

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوء نار باليفاع تحرّقُ
تُشبُّ لمقرورَيْن يصطليانها ... وبات على النار النّدى والمُحلّقُ
رضيعي لبانٍ ثَدْيِ أمٍّ تحالفا ... بأسْحم داجٍ عوْضُ لا نتفرّقُ

فسلّم عليه المحلّق؛ فقال له: مرْحباً يا سيدي بسيِّد قومه. ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذْكارٌ يزوّج ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوّجها(١).
(١١٣/٩)

(٥)

وذكر علي بن محمد النوفلي في خبر المحلّق مع الأعشى غير هذه الحكايات. وزعم أن أباه حدّثه عن بعض الكلابيّين من أهل البادية قال:

---

(١) يقف الشعر هنا على نقيض ما رأيناه في النص الثاني السابق، إذ نراه يستجلب المدح، والمكانة الرفيعة للممدوح، والشاعر واحد، وتشير النصوص الآتية إلى هذا الأمر، مع تفصيلات أخرى، فالأعشى يصف، والناس تتلقّف ما يقوله الأعشى، المحلّق كريم، ذو مروءة، فليتقرّب إليه الناس بالزواج من بناته، فالشاعر صادق، نشَرَ الفضائل، وفعلَ الشعر فعلَه.

كان لأبي المحلَّق شرفٌ فمات وقد أتلف ماله، وبقي المحلَّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلَّتي بُرودٍ حبرة كان يشهد فيهما الحقوق. فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة، فنزل الماء الذي به المحلَّق، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قراه. فأقبلت عمَّة المحلَّق فقالت: يابن أخي! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهلُ الماء، والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلاَّ رفعهم ولم يهجُ قوماً إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك واحتلْ في زقٍّ من خمر من عند بعض التُّجار فأرسلْ إليه بهذه الناقة والزِّقِّ وبُرْدَى أبيك؛ فوالله لئن اعتلج الكبدُ والسنام والخمرُ في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين، ليقولنّ فيك شعراً يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقع رِسْلَها. فأقبل يدخل ويخرجُ ويهمّ ولا يفعل؛ فكلّما دخل على عمّته حضَّتْه؛ حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجلُ ومضى، قالت: الآن واللهِ أحسنُ ما كان القِرى! تُتْبعه ذلك مع غلام أبيك - مولًى له أسودَ شيخٍ - فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرهتَ أن يفوتك قراه؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده، فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التُّجار فكلّمه أن يُقْرضه ثمن زقٍّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجَّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرَّ بماء قيل: ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحةِ اليمامة فوجد عنده عدَّة من الفتيان قد غدَّاهم بغير لحم وصبَّ لهم فضيخا فهم يشربون منه، إذ قُرع الباب فقال: انظروا مَنْ هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلَّق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المحلَّق الكلابيّ أتاك بكيت وكيت. فقال: وَيْحكم ! أعرابيٌّ والذي أرسل إليَّ لأقدَر له! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنّ فيه شعراً لم أقلْ مثله. فواثبه الفتيان وقالوا: غبت عنّا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً وسقيتنا الفضيخ واللَّحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى بدا منك، فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزِّقَّ والبردين بين يديه. قال: أقْرِه السلام وقل له: وصلتْك رحمٌ، سيأتيك ثناؤنا.

وقام الفتيانُ إلى الجزور فنحروها وشقُّوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يشْوون، وصبُّوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البُرْدين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول: أرقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّق

حتى انتهى إلى قوله:

أبا مسمع سار الذي قد فعلتُم فأنجد أقوامٌ به ثم أعْرقوا(١)

(١) أنجدوا: ذهبوا إلى نجد، وأعرقوا أتوا العراق.

به تُعْقَد الآمالُ في كلِّ منزلٍ   وتُعْقَد أطرافُ الحبال وتُطْلَق

قال: فسار الشِّعر وشاع في العرب، فما أتت على المحلَّق سنةٌ حتى زوّج أخواته الثلاث كلُّ واحدة على مائة ناقة، فأيسر وشرُف. (١١٥/٩)

(٦)

وذكر الهيثم بن عديّ عن حماد الرواية عن معقل عن أبي بكر الهلالي قال: خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمرَّ ببني كلاب، فأصابه مطرٌ في ليلة ظلْماء، فأوى إلى فتىً من بني بكر بن كلاب، فبصُر به المحلَّق وهو (عبد العُزى بن) حنْتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة، فأتى أمَّه فقال: يا أمَّهْ! رأيت رجلاً أخلِقْ به أن يكْسبنا مجداً. قالت: وما تريد يا بُنيّ؟ قال: نضيفه الليلة. فأعطته جلبابها فاشترى به عشيراً من جُزور وخمراً؛ فأتى الأعشى، فأخذه إليه، فطعم وشرب واصطلى، ثم اصطبح فقال فيه: أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق

والرواية الأولى أصح. (يقصد الرواية في النصّ السابق) (١١٧/٩)

(٧)

أخبرني أحمد بن عمار قال حدّثنا يعقوب بن نُعيم قال حدثنا قعْنب بن المُحْرِز عن الأصمعي قال حدّثني رجلٌ قال: جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إنَّ لي بناتٍ قد كسدن عليَّ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تنْفُق. فشبَّب بواحدة منهنّ، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بُعث به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زُوِّجت فلانةُ، فشبَّب بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك، فسأله عنها فقيل: زُوجتْ. فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجن جميعا. (١١٨/٩)

(٨)

حدثني وكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المَوْليّ عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حماد الرواية عن سماك بن حرْب قال: قال الأعشى: أتيتُ سلامةَ ذا فائش فأطلت المُقام ببابه حتى وصلت إليه، فأنشدته:

إنَّ محـلاًّ وإن مُـرْتحـلا   وإنَّ في السَّفْرِ من مضى مهلا(١)

---

(١) المحلَّ، والمرتحل مصدران ميميان، والخبر محذوف أي إنَّ لنا في الدنيا حلولاً، وإنَّ لنا عنها ارتحالاً، وإنّ لنا عنها ارتحالاً، والسَّفْر: اسم جمع لسافر بمعنى مسافر. والمَهَل: مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة. =

استـــأثر اللهُ بالوفـاء وبالـ ـعدْل وولّى الملامـــــة الرجـلا
الشـــعـرُ قلّدتُه سـلامـة ذا فـانشَ والشيءُ حـيث مـاجُعـلا

فقال: صدقْت، الشيء حيث ما جُعل، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللا وأعطاني كرشاً مدبوغة مملوءة عنبراً وقال: إياك أن تُخدع عما فيها. فأتيت الحيرة فبعتُها بثلثمائة ناقة حمراء. (١٢٤/٩)

(٩)

قـال الأصـمعي: وبلغني أنْ هرماً كـان قـد حلَفَ ألاّ يمدحـه زُهيـر إلاّ أعطاه، ولا يسـأله إلاّ أعطاه، ولا يسلِّم عليه إلاّ أعطاه: عبْداً أو وليدة أو فرسـاً، فـاستحـيا زهيرٌ ممـا كـان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: عِمُوا صباحاً غير هرمٍ، وخيركم استثنيتُ، وروي المهلّبيّ: وخيركم تركت. (٣٠٥/١٠)

(١٠)

قال وحدّثني حمّاد الرواية عن سعيد الرواية عن سعيد بن عمرو بن سعيد: أنه بلغه أنَّ زُهيراً هجا آل بيتٍ من كلب من بني عُلَيْم بن جناب، وكان بلغه عنهم شيءٌ من وراء وراء، وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم، وأكرموه لمَّا نزل بهم وأحسنوا جواره. وكان رجلاً مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فأبى إلاّ المقامرة، قَمرَ مرّةً فردّوا عليه، ثم قَمِر أخرى فردُّوا عليه، ثم قُمرَ الثالثة فلم يردُّوا عليه، فترحلُ عنهم وشكا ما صُنع به إلى زُهيْر، والعربُ حينئذ يتّقُون الشعراء اتقاءً شديداً، فقال: ما خرجتُ في ليلة ظلْماء إلاّ خِفْتُ أن يُصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم. قال: والذي هجاهم به قوله:

عـفـا من آل فـاطمـة الجـواءُ فـيُمْنٌ فـالقـوادمُ فـالحِسـاءُ(١)
فــذُو هــاشٍ فميثُ عُريْتنــاتٍ عفتْها الرِّيحُ بعدك والسمـاءُ(٢)
جرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيري نوىً مشْــمولةً فمتى اللّقـــاءُ(٣)

= ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ٦٩/١. إنَّ هذا الشعر منحول.

(١) كانت العرب تتقي الشعراء اتقاءً شديداً، وذلك لعلمهم بتأثير الشعر على النفوس، وقدرته الواسعة، في توجيه أفكار الناس، وقد استمر هذا الاتقاء زمناً طويلاً مثلما سنرى. الجواء، وذو هاش، والحساء، وعريتنات أسماء مواضع. والميث جمع ميثاء. فإذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء.

(٢) والسماء: المطر. (٣) والسانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك.

كـأنَّ أوابدَ الثِّيران فيهـا هجائنُ في مغابنها الطِّلاء(١)
لقـد طالبتُها ولكلِّ شيءٍ وإن طالتْ لجاجته انتهاءُ
وقـد أغـدو على شَرْبٍ كـرامٍ نشـاوى واجـدين لما نشاءُ
لهم طـاسٌ وراوُوقٌ ومِسْكٌ تُعلُّ بـه جلـودُهُم ومـاءُ (١٠/٢١٠)

(١١)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عليّ بن أبي عامر السَّهْميُّ المصريُّ قال حدّثني أبو يوسف الأصبهاني قال حدّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ، وذكر هذا الخبر أيضاً التوَّزيّ عن أبي عُبيدة، فجمعت روايتيهما، قالا: كان أوْس بن حجر غزلاً مُغْرماً بالنساء؛ فخرج في سفر، حتى إذا كان بأرض بني أسد بين شرْجٍ وناظرة، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذاه فبات مكانه؛ حتى إذا أصبح غدا جواري الحيّ يجتنين الكمْأة وغيرها من نبات الأرض والناسُ في ربيع. فبينا هنّ كذلك إذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه ملْقىً، ففزعن فهربن. فدعا بجارية منهن فقال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: أنا حليمةُ بنت فضالة بن كلدة، وكانت أصغرهن؛ فأعطاها حجراً وقال لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابنُ هذا يُقرئك السلام. فأخبرته فقال: يا بُنيَّة، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل، ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيته حيث صُرِع وقال: والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ. فقال أوس بن حجر في ذلك:

جُدلتُ على ليلـةِ ساهرهْ بصحراء شرْجٍ إلى ناظره(٢)
تُزاد ليـاليَّ في طُولها فليست بطلْق ولا ساكره(٣)
أنوءُ برجـل بها ذهنُها وأعيتْ بها أختُها الغابرة(٤)

وقال في حليمة:

لعمرُك ما ملتْ ثـواء ثويِّها حليمةُ إذ ألقى مراسي مُقْعد(٥)
ولكن تلقَّتْ باليدين ضمانتي وحلَّ بشرْجٍ م القبائل عوَّدي(٦)

---

(١) الأوابد: الوحشية. الهجائن: إبلٌ بيض. (٢) جُدلت: صُرِعْتُ. شرج وناظرة: موضعات.

(٣) ليلة طلق وطلقة: طيبة لا برد فيها ولا مطر. وليلة ساكرة: ساكنة الريح.

(٤) الذهن: القوة. الغابرة: الباقية. (٥) الثواء: الإقامة. الثويّ: الضيف. المقعد: الذي به داء يقعده.

(٦) الضمانة: الداء في الجسد.

ولم تُلْهِها تلك التكاليفُ إنَّها كما شئتَ من أكرومةٍ وتخرُّدِ(١)
سأجزيك أو يجْزيك عنِّي مُثوِّبٌ وقصْرُك أنْ يُثْني عليك وتُحْمَدي(٢) (٧٢/١١)

(١٢)

أخبرني بخبره محمدُ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدّثني عمّي قال حدثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بَدْءُ تفرّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلامُ عن تهامةَ ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروج من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أوّل من ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معدّ. وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سود ابن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشئوماً فاسداً، متعرِّضاً للنساء، فعلق فاطمة بنتَ يذكر بن عنزة - واسم يذكر عامر - فشبب بها وقال فيها:

إذا الجوزاء أردفتَ الثريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا(٣)
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخْرِج الشجن الدفينا
أرى ابنة يذكرٍ ظعنت، فحلَّت جَنوبَ الحزْن ياشحطا مبينا(٤)

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمةَ بن نهد قال ليذكر بنِ عنزة: أحب أن تخرج معي حتى نأتي بقرظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمةُ بن نهد بيذكر بن عنزة قتله، فلما رجع - وليس هو معه - سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعة ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصحّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأنَّ رضاب العبير بفيها يُعلُّ به الزنجبيلُ
قتلت أباها على حبِّها فتبخلُ إنْ بخلت أو تنيلُ

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزارُ بنُ معد وهي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد. وحاءٌ وهم يومئذ ينتمون فيقولون حاءُ بنُ عمرو بنِ أدِّ بن أدَد. وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعك يومئذ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن

---

(١) التخرّد: الحياء والخفر.
(٢) قصْرُك: غايتك وكفايتك ومثله قصارك وقصاراك.
(٣) الجوزاء: برج في السماء، وأردفت الثريا: ردفتها وتلتها.
(٤) ظعنت: رحلت، والحزن: ما غلظ من الأرض، ويتبدّون: ينزلون البادية.

أدّ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يتبدَّون من تهامة إلى الشام، وكانت منازلهم بالصُّفَّاح، وكان مرٌّ وعُسْفان لربيعة ابن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة(١). (٧٨/١٣)

(١٣)

قال أبو عبيدة: وكان هُريم بنُ مرداس مجاورا في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُويلد. وبلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس، فقال يحضُّ عامراً على الطلب بثأر جاره، فقال:

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً ... فإنَّ شفاء البغي سيفُك فافصل
ونبئت أن قد عوّضوك أباعراً ... وذلك للجيران غزل بمغزل
فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ ... وفيها متاعٌ لامرئٍ متذلّل

فلمّا بلغتْه هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُريم، ثم إن أبا حُلَيْس النُّصْريَّ لقي خويلداً قاتل هُريم فقتله، فقال بنو نصر: بؤ بدم فلان النصريَّ - رجل كانت خزاعة قتلته - فقال أبو الحليس: لا، بل هو بُوَيدم هُريم بن مرداس(٢). (٣١١/١٤)

(١٤)

فذكروا أن أمَّ حاتم أوتيت وهي حُبْلى في المنام، فقيل لها: أغلام سَمْح يقال له: حاتم أحبُّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس، ليوثٌ ساعة البأس، ليسوا بأوغال ولا أنكاس، فقالت: بل حاتم فولدت حاتماً. فلما ترعرع جعل يخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرحه. فلما أتى أبوه أنه يهلك طعامه قال: له الحقْ بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جاريةً وفرساً وفلوها، فلما أتى الإبلَ طفق يبغي الناسَ فلا يجدهم، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً، فبينا هو كذلك إذ بصر بركْبٍ على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قِرى؟ فقال: تسألوني عن القرى وقد ترون الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابغة الذبياني؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفينا بكْرةٌ إذا كنت لا بدَّ متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكني رأيتُ وجوها مختلفة،

(١) قدَّم البيتان الدليل على القتل، واستدعيا معاني الثأر وطلبه، فاقتتلت الأحياء، وأصبحت فرقاً، بعد أن كانت يداً واحدة.

(٢) أثار الشعر مكامن النخوة في النفس، فطبع السلوك بطابع الزهد، والاستعداد للحرب.

وألوانا متفرِّقة، فظننت أن البُلدان غيرُ واحدة؛ فأردت أن يذكر كلُّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فضْله. فقال حاتم: أردتُ أن أحسن إليكم فكان لكم الفضْل عليّ، وأنا أعاهدُ الله أن أضربَ عراقيب إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها، ففعلوا، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً، ومضوا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه، فقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت؛ طوَّقتك بها طوقَ الحمامة مجد الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوضاً من إبلك.

فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلتَ ذلك! قال: نعم، قال: والله لا أساكنِك أبداً، فخرج أبوه بأهله، وترك حاتماً، ومعه جاريته وفرسه وفِلْوها. (٣٦٦/١٧)

العصر الإسلامي

(١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبةّ قال حدّثني الحسن بن عُثمان قال حدّثني ابن أبي زائدةَ عن محمد بن إسحاق عن أصحابه، وحدّثنا محمد بن جرير قال حدثنا (أحمد) بن حُميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه، قالوا: قتل رسول الله(ص) يوم بدرٍ عُقْبة بن أبي مُعيط صبْرا: أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان بـ «الصفُراء» قتلَ النُضْر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار، أمر علياً عليه السلام أن يضرب عنقه، قال عمر بن شبةّ في حديثه بـ «الأثيل» فقالت أخته قُتيلةُ بنتُ الحارث ترْثيه:

يا راكباً إنَّ الأثيــلَ مظنّــةٌ   من صُبْح خامسة وأنتَ موفَّقُ(١)
أبلــغْ بــه ميتــاً بأنَّ تحيَّـــة   ما إن تزالُ بها النجائبُ تخْفقُ
منّي إليك وعبْرةٌ مسـفـوحـةٌ   جـادتْ بدرَّتها وأخرى تخْنُقُ
هل يسمعنَّ النضرُ إن ناديتُه   إن كان يسمعُ هالكٌ لا ينطقُ
ظلّتْ سيوفُ بني أبيه تنوشُه   لله أرحامٌ هناكَ تُشقَّقُ
صبراً يُقادُ إلى المنيَّة مُتعباً   رسْفَ المقيّد وهو عانٍ موثقُ(٢)
أمُحمّدٌ ولأنتَ نسْلُ نجيبةٍ   في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرقُ
ما كان ضرّكَ لو مننْتَ وربُّما   منَّ الفتى وهو المغيظُ المُحنَقُ
أوْ كُنتَ قابل فديةٍ فليأتين   بأعزِّ ما يغلو لديك وينفُقُ
والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بزلّةٍ   وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعْتقُ

فبلغنا أنَّ النبيَّ (ص) قال: «لو سمعتُ هذا قبل أن أقتله ما قتلْتُهُ». فيقال: إن شعرها أكرمُ

---

(١) الأثيل موضع قرب المدينة.

(٢) رسف المقيّد أي مشيه ثقيل مثل المقيّد.

شعر موتورة(١) وأعفه وأكفه وأحلمه(٢). (١/١٨)

(٢)

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء: حدّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال حدّثني عمّي قال: قدم الحطيئةُ المدينة فارصدت قريشٌ له العطايا خوفاً من شرِّه، فقام في المسجد فصاح: منْ يحملني على بغْلين.

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمدُ بن سلاّم وأخبرني الحسينُ بن يحى المرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائنيّ ومُصعبٌ: كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريشٌ العطايا، والناسُ في سنةٍ مجدبةٍ وسخْطةٍ من خليفة، فمشى أشرافُ أهل المدينة بعضُهم إلى بعض، فقالوا: قد قدم علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يظُنّ فيُحقّقُ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جهد نفسه بهْرها، وإن حرمه هجاه، فأجْمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعداً يجمعونه بينهم له، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه، فأتوْه فقالوا له: هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان، فأخذها، فظنوا أنهم قد كفُّوه عن المسئلة، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي: مَنْ يحملني على بغلين وقاه الله كبّةَ جهنّم(٣) . (٢/١٦٤)

(٣)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو عُبيدة عن يونس قال: قدم حمّادٌ الرّاوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد؛ قال: بلى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعريّ يمدحه:

---

(١) الموتور: مَنْ قُتل فلم يدرك بدمه.

(٢) تحدثت قتيلة في شعرها عن مكارم الأخلاق، وأشارت إلى المَنّ، والفداء، ومدحته صلى الله عليه وسلم، فهل يقول غير ما قال، لقد أدّى الشعر دوره. ولَفت نظر النبي إلى هذا المقتول، وأخته، ولو جاء الشعر سابقاً للقتل لفكّ الأسير، وكان سبباً في الإطلاق.

(٣) مكانة الشاعر عند العرب أشهر من أن تساق لها الأدلة، فكيف إذا كان شاعراً مثل الحطيئة، كبير المحلّ في الشعر. لاذع الهجاء، فلا عجب بعد هذا أن تأخذ قريش أهبتها، وتجمع له المال اتّقاء شرّه، ولسانه.

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ ومـن تميم ومـن حـاءٍ ومن حام(١)
مُسْـتحقبات رواياها جحافلها يسْمُو بها أشعريٌّ طرْفُهُ سامي(٢)

فقال له بلال: ويْحك! أيمدحُ الحطيئةُ أبا موسى الأشعريَّ وأنا أروي شعر الحطيئة كلَّه فلا أعرفُها! ولكن أشِعْها تذهبْ في الناس.

وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده: جَمَعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو:

فمـا رضيتَهُم حتى رفدْتهـمُ بوائلٍ رهط ذي الجدَّين بِسْطام(٣)

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه: إني اشتريت عِرْضي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما ولي بلال بنُ أبي بُرْدة أنشده إياها حمَّادٌ الرواية فوصله أيضاً(٤). (١٧٥/٢)

(٤)

حدَّثنا أحمد بنُ عُبيد الله بن عمَّار قال حدثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدَّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضَّل: أن الحطيئة أقحمتْه السنةُ، فنزل ببني مُقلَّد بن يربوع، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إن هذا الرجل لا يسلم أحدٌ من لسانه، فتعالوا حتى نسأله عما يحبّ فنفعله وعما يكره فنجتنبه؛ فأتوه فقالوا له: يا أبا مُلَيْكة، إنك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحب أن ننتهي عنه؛ فقال: لا تُكثروا زيارتي فتُملُّوني، ولا تقطعوها فتُوحشُوني، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم، ولا تُسْمِعوا بناتي غناء شُبَّانكم،

---

(١) جمعتَ في بيت الحطيئة الأول تعود إلى الجحفل.

(٢) مستحقبات من استحقب الشيء إذا احتمله من خلف. والروايا: الإبل التي تحمل الأزواد والأثقال. والجحافل: جمع جحفلة وهي من الخيل والحمير والبغال والحافر بمنزلة الشفة للإنسان.

(٣) بسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ويسمى ذا الجدَّين.

(٤) يأبى عمر رضي الله عنه على الولاة أن يبدِّدوا أموال المسلمين، ولكنَّ إعطاء شاعر مثل الحطيئة وضع للمال في نصابه، وموضعه، كفَّاً للأذى، وتهدئة للنفوس. ولا ننسى هنا أنَّ لعمر رضي الله عنه نفسه قصة مماثلة مع الحطيئة. وسوف تأتي.

فإن الغناء رُقْية الزنا. قال: فأقام عندهم. وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال: أمُّكم الطلاقُ، لئن تغنّى أحد منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهرُنا لأضربنّه ضربةً بسيفي أخذتْ منه ما أخذتْ. فلم يزل مقيما فيما يرضى حتّى انجلتْ عنه السَّنةُ، فارتحل وهو يقول:

جاورتُ آلَ مقلّدٍ فحمدتُهم ... إذ ليس كلُّ أخي جوارٍ يُحْمَدُ
أيام مَنْ يُردِ الصنيعة يصْطَنعْ ... فينا ومن يُردِ الزَّهادة يزْهَدُ (١٧٨/٢)

(٥)

فحينئذ قال الحطيئة يهْجو الزِّبْرقان ويُناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها:

والله ما معْشرٌ لاموا امْرأً جُنُباً ... في آل لأي بن شمّاس بأكياس(١)
ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبالكمُ ... في بائس جاء يحْدو آخر الناس
لقد مريْتُكم لو أن درِّتكم ... يوماً يجيء بها مسْحي وإبْساسي(٢)
وقد مدحتُكُم عمداً لأرْشدكم ... كيما يكون لكم متْحي وإمراسي(٣)
لما بدا لي منكم غيبُ أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نوالِكُمُ ... ولن يُرى طارداً للحُرِّ كالياسِ
جارٌ لقوم أطالوا هونَ منزله ... وغادروه مقيماً بينَ أرْماس(٤)
ملُّوا قِراه وهرّتْه كلابُهُم ... وجرَّحُوه بأنيابٍ وأضْراسِ
دعِ المكارم لا ترحلْ لبُغْيتها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي
من يفْعلِ الخيرَ لا يعْدَمْ جوازيه ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس(٥)
ما كان ذنبي أن فلّتْ معاولكم ... من آلِ لأيٍ صفاةٌ أصلُها راسي
قد ناضلوك فسلُّوا من كنائنهم ... مجداً تليداً ونبْلاً غير أنْكاسِ(٦)

فاستعدى عليه الزبرقانُ عمر بن الخطاب، فرفعه عُمر إليه واستنشده فأنشده؛ فقال: عمر لحسَّان: أتراه هجاه؟ قال: نعم وسلح عليه، فحبسه عمر. (١٨٤/٢)

---

(١) الجُنُب: الغريب.

(٢) مريتكم من مري الناقة يمريها أي يمسح ضرعها، والمراد مداراتهم ومدحهم ليدرّوا عليه العطاء. الدّرة: اللبن. والابساس: صوت تسكّن به الناقة عند الحلب.

(٣) المتح: استسقاء الماء ببكرة. والإمراس: أن ينزل الحبل عن مجراه من البكرة فيردّ إليه.

(٤) الأرماس: القبور. (٥) العُرف: المعروف.

(٦) أنكاس: جمع نكس وهو أضعف السهام.

(٦)

وروي عن عبد الله بن المبارك أنّ عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحُجة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم؛ فقال الحطيئة في ذلك:

وأخذت أطرافَ الكلام فلم تدعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ

وحميْتني عرضَ اللئيم فلم يخفْ ذمّي وأصبح آمناً لا يفزَعُ[1] (١٨٩/٢)

(٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال: بلغني أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنّا ألفَ حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه، وكنا نُقْدِم إقدام عنْترة، ونأتمُّ بشعر عُرْوة بن الورْد، وننقاد لأمر الرّبيع بن زياد. (٧٤/٣)

(٨)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا معْمرُ عن الزُهْريّ عن سعيد بن المُسيِّب قال: جاء حسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هريرة، فقال: أنْشُدُك الله: أسمعتَ رسول الله (ص) يقول: «أجِبْ عنّي» ثم قال: «اللهُمَّ أيِّده بُروح القُدس»؟ قال أبو هريرة: اللّهُمَّ نعم[2]. (١٣٧/٤)

(٩)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القعنبيّ قال حدثنا مرْوان بن معاوية قال حدّثنا إياس السُلَميّ عن ابن بُريْدة قال: أعان جبريلُ عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ (ص) بسبعين بيتاً. (١٤٢/٤)

---

(١) هذا ما أشرنا إليه في النص الثالث السابق، من رغبة عمر في دفع الأذى، والمحافظة على القيم التي أرساها الإسلام.

(٢) هذا يشير بقوة إلى استمرار الاعتناء بالشعر في المجتمع الإسلامي الجديد، ورغبة الرسول في إشراك الشعر في المعركة بينه وبين المشركين، إحساساً بقدرته، وقوة تأثيره.

(١٠)

وأخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدثنا سعيد بن عامر قال حدثني جُويرية بن أسماء قال: بلغني أنّ رسول الله (ص) قال: «أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحْسنَ، وأمرتُ كعْبَ بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسّان بن ثابت فشفى واشتفى».
(١٤٢/٤)

(١١)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جُريْجٍ قال أخبرنا زياد بن أبي سهْل قال حدّثني سعيد بن المُسيّب: أنّ عمر مرَّ بحسّان بن ثابت وهو يُنْشد في مسجد رسول الله(ص) فانتهره عمر؛ فقال حسّان: قد أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.
(١٤٣/٤)

(١٢)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمر قال حدّثنا هوذةُ بن خليفة قال حدّثنا عوْفُ بن محمد قال: قال النبيّ (ص) ليلةً وهو في سفرٍ: «أين حسّان بن ثابت»؟ فقال حسّان: لبيْك يا رسول الله وسعْديك. قال: «احدُ»، فجعل يُنْشد ويُصْغي إليه النبيُّ (ص) ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ راحلته حتّى كان رأسُ الراحلة يمسُّ الورك حتّى فرغ من نشيده، فقال النبيّ(ص): «لهذا أشدُّ عليهم من وقْعِ النّبْل»(١).
(١٤٣/٤)

(١٣)

أخبرنا أحمد قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهْب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويْعلى بن شدّاد بن أوْس عن عائشة قالت: سمعتُ رسول الله (ص) يقول لحسّان بن ثابت الشاعر: «إنّ رُوحَ القدس لا يزال يُؤيّدك ما كافحتَ عن الله عز وجل وعن رسول الله»(٢).
(١٤٣/٤)

---

(١) يشير هذا النصّ، وغيره إلى اهتمام الرسول بالشعر، مع عناية خاصّة منه صلى الله عليه وسلّم بأنه أداة فعالة في الحرب، يهجو الأعداء، ويبيّن مبادئ الدين الجديد.

(٢) نرى في هذا النصّ شيئاً من التحديد، يطلبه الرسول من الشاعر، فما دام مكافحاً عن الله ورسوله، ذابّاً =

عنهما، مُعلياً شأنهما، فإنّ روح القدس يؤيده، ويعينه، وينصره، وما أعظمه من تأييد.

(١٤)

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزُهري عن سعيد بن المسيّب: أنّ عمر مرَّ على حسَّان وهو يُنشد في مسجد رسول الله (ص) فذكر مثله وزاد: وعلمت أنّه يريد النبي (ص). (١٤٤/٤)

(١٥)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مُسْلم بن يسار: أنّ عمر مرّ بحسَّان وهو يُنْشد الشعر في مسجد رسول الله (ص)، فأخذ بأذنه وقال: أرُغاءً كرُغاء البعير! فقال حسَّان: دعْنا عنك يا عمر! فوالله لتعلَمُ أنّي كنت أنْشِد في هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر عليّ! فصدّقه عمر(١). (١٤٤/٤)

(١٦)

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحرميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةُ غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزيةَ محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مُصْعَب عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المُنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت: مرَّ الزُّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله(ص)، وحسَّان بن ثابت يُنْشدهم من شعره وهو غيرُ نشاطٍ لما يسمعون منه، فجلس معهم الزُّبير فقال: مالي أراكم غيرُ أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفُريعة! فلقد كان يعْرض لرسول الله (ص) فيُحْسن استماعه ويُجْزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشيء. فقال حسّان:

أقــام على عــهــد النبيُّ وهديــه حــواريُّه والقــوْلُ بالفعْل يُعْدَلُ(٢)
أقـــام على مِنْهــاجــه وطريقــهِ يوالي واليُّ الحقّ والحقُّ أعــدل

---

(١) كانت غاية عمر نبيلةً في طلبه من حسّان الامتناع عن إنشاد الشعر في المسجد، لئلاّ يضطرب دور المسجد في نفوس بعض الناس، ولكنّه عدل بعد أن ذكرّه حسّان بما كان يصنعه من الإنشاد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تأكيد لدور الشعر في المجتمع الجديد، خاصة ذلك الشعر الذي شعّ بروح الإسلام، ومكارم الأخلاق.

(٢) حواريّ النبي صلى الله عليه وسلم هو الزبير بن العوّام رضي الله عنه.

هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي يصُولُ إذا ما كان يومُ مُحجَّل
إذا كشفتْ عن ساقها الحربُ حشَّها بأبيض سباقٍ إلى الموتِ يُرْقلِ(١)
وإنَّ امرأً كانتْ صفيّةُ أمَّهُ ومِنْ أسدٍ في بيتها لمرفَّلِ(٢)
له من رسول الله قُربى قريبةٌ ومِنْ نُصْرة الإسلام نصرٌ مؤثَّلُ
فكمْ كُرْبةٍ ذبَّ الزُّبيْرُ بسيفه عن المصطفى واللهُ يُعْطي فيُجْزِلُ
فما مثلُه فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدَّهْرَ مادام يذبلُ(٣)
ثناؤك خيرٌ من فعالِ معاشرٍ وفِعْلُك يابنَ الهاشميَّة أفضلُ(٤) (١٤٤/٤)

(١٧)

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فُضيْل عن مجالد عن الشَّعبيِّ قال: لما كان عامُ الأحزاب وردَّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيُّ(ص): «مَنْ يحْمي أعراض المسلمين»؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، وقال حسَّان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: «نعْم اهْجُهم أنت فإنَّه سيُعينك عليهم روحُ القُدس». (١٤٥/٤)

(١٨)

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو داودُ قال حدّثنا حُديج بن مُعاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبير قال: كنَّا عند ابن عبَّاس فجاء حسَّان، فقالوا: قد جاء اللَّعين. فقال ابن عبَّاس: ما هو بلعين؛ لقد نصر رسول الله بلسانه ويده(٥). (١٤٥/٤)

(١٩)

حدّثنيه أحمد بن الجعْد قال حدثنا محمد بن بكَّار قال حدّثنا حُديج بن معاوية قال حدّثنا

---

(١) حشَّ الحرب إذا أسعرها وهيجّها. ويُرقل يسرع في سيره.

(٢) المرفَّل: المعظمّ المسوَّد. (٣) يذبل: اسم جبل في بلاد نجد.

(٤) إنَّ حسن استماع الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان، وإجزال العطاء له تكريم للشعر، والشاعر على حدٍّ سواء. فليس قليلاً أن يسمع الرسول من الشاعر مع منزلته الجليلة، وشواغله الكثيرة.

(٥) لعل وصف الشاعر باللعين يعود إلى ما شاع عن بعض الشعراء من اقتراف المنكرات، وهجاء المحصنات، وجاءت قولة ابن عباس رضي الله عنهما لتصحِّح هذا الوضع عن حسان، وتضعه في موقعه السليم، ناصراً لرسول الله، مدافعاً عنه.

أبو إسحاق عن سعيد بن جُبير قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبَّاس فقال: قد جاء اللعين حسَّان من الشأم. فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله (ص) بلسانه ونفسه. (١٤٦/٤)

(٢٠)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمْرو وشُريْح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت: لمَّا قدم وفد بني تميم وضع النبيُّ (ص) لحسَّان منبراً وأجلسه عليه، وقال: «إنَّ الله ليؤيِّد حسَّان بروح القُدُس ما كافح عن نبيّه» (ص). هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً. وأتينا به على تمامه هاهنا؛ لأنَّ ذلك حسنٌ فيه: أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبيْرُ قال حدّثنا محمد بن الضحَّاك عن أبيه قال: قدم على النبيِّ (ص) وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأقرع بن حابس، والزِّبْرقان بن بدْر، وعُطارد بن حاجب، وقيْسُ بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عُيينة بن حِصْن، فقدموا المدينة، فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحُجرات، فنادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ: اخْرُجْ إلينا يا محمد؛ فقد جئنا لنفاخرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا.

فخرج إليهم رسول الله (ص) فجلس، فقام الأقرعُ بن حابس فقال: والله إنَّ مدْحي لزيْن، وإنَّ ذمِّي لشيْن. فقال النبيّ (ص) «ذلك الله». فقالوا: إنا أكرمُ العرب، فقال رسول الله (ص): «أكرمُ منكم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: ائذنْ لشاعرنا وخطيبنا، فقام رسول الله (ص) فجلس وجلس معه الناس، فقام عُطارد بن حاجب فقال: الحمدُ لله الذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزَّ أهل المشْرق، وآتانا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، ليس في الناس مثْلُنا؛ ألسنا برءوس النَّاس وذوي فضْلهم! فمنْ فاخرنا فليعْدُدْ مثل ما عددْنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنَّا نستحي من الإكثار فيما خوَّلنا الله وأعطانا. أقول هذا، فأتُوا بقوْلٍ أفضلَ من قولنا، أو أمرٍ أبيْنَ من أمرنا. ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شمَّاس فقال: الحمدُ لله الذي السمٰواتُ والأرضُ خلْقُه، قضى فيهنَّ أمره ووسع كرسيُّه علمه، ولم يقْض شيئاً إلا من فضله وقُدرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلْقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً، وأتمنه على خلْقه، وكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا رسولُ الله (ص) إلى الإيمان، فأجابه منْ قومه وذوي رحمه المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً، وأصبَحُ الناس وجوهاً، وأفضلُ الناس فعالاً. ثم كان أوّل من اتّبع رسول الله (ص) من العرب واستجاب له نحن معْشر الأنصار؛ فنحن أنصارُ الله ووزراءُ

رسوله، نُقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا: لا إله إلا اللهُ. فمنْ آمن بالله ورسوله منعَ منا ماله ودمه، ومنْ كفرَ بالله رسوله جاهدناه في الله، وكان جهادُه علينا يسيرا. أقول قولي هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. فقام الزِّبْرقان فقال:

نحنُ الملوكُ فلا حيٌّ يُقاربُنا ... منَّا الملوكُ وفينا يُؤخذُ الرُّبُعُ(١)
تلك المكارمُ حُزْناها مقارعةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا
كمْ قد نشدْنا منَ الأحياء كلِّهمُ ... عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يتَّبعُ
وننْحَرُ الكُوم عُبْطاً في منازلنا ... للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا(٢)
ونحن نُطْعِم عند المحْلِ ما أكلوا ... من العبيط إذا لم يظْهرِ القزَعُ(٣)
وننصر الناسَ تأتينا سراتُهمُ ... منْ كلِّ أوْبٍ فتمضي ثم تُتَّبَعُ

فأرسل رسولُ الله(ص) إلى حسَّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه. فقال حسان:

إنَّ النوائبَ منْ فهرٍ وإخوتِهمْ ... قد بيَّنُوا سُنَّةً للنَّاس تُتَّبَعُ
يرْضى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُه ... تقْوى الإله وبالأمر الذي شرعُوا
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُم ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نفعوا
سجيَّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدثةٍ ... إنَّ الخلائقَ فاعلم شرُّها البدع
لا يرْقَعُ الناسُ ما أوْهَتْ أكفُّهُمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رقعوا
إنْ كان في الناس سبَّاقون بعدهُمُ ... فكُلُّ سبْقٍ لأدْنى سَبْقِهِمْ تبعُ
أعفَّةٌ ذُكرتْ في الوحي عفَّتُهمْ ... لا يطمعون ولا يُزْرى بهم طمَعُ
ولا يضنُّونَ عن جارٍ بفضْلهم ... ولا يمسُّهُمُ منْ مطمعٍ طبعُ
يسْمُون للحرب تبدو وهي كالحةٌ ... إذا الزَّعانفُ من أظفارها خشعُوا(٤)
لا يفرحون إذا نالوا عدوَّهُمُ ... وإنْ أصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنَّهم في الوغى والموتُ مُكتنعٌ ... أسودُ بيشة في أرساغها فدعُ(٥)
خُذْ منهمُ ما أتى عفْواً وإنْ منعُوا ... فلا يكُنْ همُّكَ الأمرَ الذي منعُوا

---

(١) الرُّبع: كان من عادة العرب في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه، وذلك يسمّى الرُّبّع أو المرباع.

(٢) الكوم: البعير الضخم، عُبْطاً: سليمة ليس بها داء.

(٣) القزع: السحاب. (٤) الزعانف: أرذال الناس.

(٥) المكتنع: الداني والقريب. وبيشة: موضع على خمس مراحل من مكة. والفَدَع: اعوجاج في الرُّسغ.

فإنّ في حربهم ـ فاترُك عداوتهم ـ سُمّاً يُخاض عليه الصَّابُ والسَّلَعُ(١)
أكْرِمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهُمْ إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهْدى لهُم مدحي قلبٌ يؤازرُهُ فيما أراد لسانٌ حائكٌ صنعُ
فإنّهم أفضل الأحياء كلِّهِمِ إنْ جدَّ بالناس جِدُّ القولِ أو سمعوا(٢)

فقام عُطارد بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلم الناسُ فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنّا فُروعُ الناس في كلِّ موطنٍ وأنْ ليس في أرض الحجاز كدارم

فقام حسّان بن ثابت فقال:

منعْنا رسول الله من غضبٍ له على أنْفِ راضٍ من معدٍّ وراغم
هلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدى وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائم(٣)

قال: فقال الأقرع بن حابس: والله إنَّ هذا الرجلَ لَمُؤتّى له! والله لشاعره أشعرُ من شاعرنا، ولخطيبُه أخطبُ (من خطيبنا)، ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتنا! أعطني يا محمد فأعطاه فقال: زِدْني فزاده، فقال: اللّهمّ إنّه سيد العرب. فنزلتْ فيهم: (إنَّ الذين يُنادونك مِنْ وراء الحُجراتِ أكْثرُهُم لا يعْقِلُون). ثم إنَّ القوم أسلموا، وأقاموا عند النبيِّ (ص) يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدِّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله(ص) وكساهم، وقال: «أما بقي منكم أحدٌ؟»، وكان عمرو بن الأهتم في ركابهم، فقال: قيس بن عاصم، وهو من رهْطِهِ وكان مُشاحناً له، : لم يبقَ منّا أحدٌ إلاّ غلامٌ حديثُ السنِّ في ركابنا؛ فأعطاه رسول الله (ص) مثْلَ ما أعطاهم. فبلغ عمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

ظَلِلْتَ مُفْترِشَ الهلباء تشتُمني عند الرسول فلم تصدُقْ ولم تُصِبِ
إنْ تُبْغضونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ والرومُ لا تملك البغضاء للعربِ
فإنَّ سُؤْدُدنا عَوْدٌ وسُؤدَدكم مؤخَّرٌ عند أصل العجبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس:

لولا دفاعي كنتُم أعْبُداً داركُم الحيرةُ والسيلَحُونْ(٤) (١٤٧/٤)

---

(١) الصابَ والسَّلَع: ضربان من الشجر مرّان.

(٢) شمعوا: مزحوا. (٣) العَوْد: القديم.

(٤) السَّيْلَحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

(٢١)

وروى العبّاس بن ميمون طائع عن ابن عائشة قال حدّثني أبي قال: لما أحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر، حضر الحُطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أميّة متوافرون، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر، فقال:

شهد الحُطيئة يوم يلقى ربّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعذرِ
خلعوا عنانك إذ جريتَ ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري
ورأوْا شمائل ماجدٍ أنفٍ ... يُعطي على الميسور والعُسر
فنُزعت مكنوباً عليك ولم ... تنزع إلى طمع ولا فقر

قال: فسرُّوا بذلك وظنّوا أن قد قام بعذره؛ فقال رجل من بني عِجْل يردُّ على الحُطيئة:

نادى وقد تمّتْ صلاتُهُم ... أأزيدكم - ثملاً - وما يدْري
فأبوْا أبا وهْبٍ ولو فعلوا ... وصلتْ صلاتُهُم إلى العشْر

فوجم القومُ وأطرقوا، فأمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدّ(١) (٥/١٢٧)

(٢٢)

قال: وقد كان عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليد بن عُقْبة صدقات بني تغْلب، فبلغه عنه بيتٌ قاله وهو:

إذا ما شددْتُ الرأسَ منّي بمشْوذٍ ... فغيُك منّي تغْلب بنةَ وائل(٢)

فعزله(٣) . (٥/١٣٦)

(٢٣)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن القاسم الغنويّ وكان علاّمةً بأمر الأعشى: إنه وفد إلى النبيُّ (ص) وقد مدحه

---

(١) نقل الشعر الواقعة، ووصفها فكان سبباً في إقامة الحدّ. وكم حفظ الشعر من حوادث، سنرى كثيراً منها في النصوص المقبلة.

(٢) المشوذ: العمامة، وغيك منّي: أي غيّاً لك ما أطوله منّي.

(٣) ينسجم هذا العزل مع تقوى عمر رضي الله عنه وعدالته، كما يتّفق مع النمط الشعري الذي يتوخّاه، ويتطلبه من الشعراء في ظلّ مفاهيم الإسلام.

بقصيدته التي أولها:

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَـدا   وعادك ما عاد السَّليم المُسَهَّدا(١)
وماذاك من عشق النساء وإنما   تناسيتَ قبل اليوم خُلّة مَهْددا(٢)

وفيها يقول لناقته:

فـآليتُ لا أرْثي لهـا مـن كـلالةٍ   ولا من حـفاً حـتى تزُورَ محـمـدا
نبيٌّ يرى مـا لا تـرونَ وذكـره   أغـار لعـمْري في البـلاد وأنْجـدا
متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ   تُراحـي وتلْقى مـن فواضلـه يدا

فبلغ خبرُه قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صنَّاجةُ العرب، ما مدح أحداً قطُّ إلاّ رفع في قدره. فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردتُ صاحبكم هذا لأسلم. قالوا: إنَّه ينهاك عن خِلال ويحرِّمها عليك، وكلُّها بكَ رافق ولك موافق. قال: وما هنَّ؟ فقال أبو سفيان بنُ حرْب: الزِّنا. قال: لقد تركني الزِّنا وما تركته؛ ثم ماذا؟ قال: القمار. قال: لعلّي إن لقيتُه أن أصيبَ منه عوَضاً من القمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الرِّبا. قال: ما دِنْتُ ولا ادَّنْتُ؛ ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوَّهْ! أرْجِع إلى صُبابةٍ قد بقيتْ لي في المِهْراس(٣) فاشربُها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُدْنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خلفاً، وإن ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتَّبعه ليُضرمنَّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل. ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة(٤) رمى به بعيرُه فقتله. (١٢٥/٩)

(٢٤)

قال الأصمعي: وقال عمر لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدْحِ زُهيْر أباك، فأنشده فقال عمر: إن كان ليُحْسِن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنَّا لنُحْسِن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم(٥). (٢٠٤/١٠)

---

(١) السليم: الملدوغ. (٢) مهدد: معشوقة الأعشى.

(٣) المهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء.

(٤) منفوحة: قرية مشهورة من نواحي اليمامة.

(٥) يأبى عمر رضي الله عنه إلاّ أن يؤكد أهمية الشعر، وتفوّقه على الأعراض الزائلة، فلقد ذهبت هذه =

الأعراض، وبقي الشعر مخلّداً مَنْ ذكر. وليس هذا بغريب على ناقد، مرهف الحسّ مثل عمر الذي وصَف بأنّه «أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة» العمدة، (١/٣٣). وسنرى لهذا الموقف نظائر كثيرة فيما سيأتي.

(٢٥)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّةَ قال: قال عمر لابن زُهير: ما فعلت الحُلَلُ التي كساها هرمٌ أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكنَّ الحلَلَ التي كساها أبوك هرماً لم يُبْلِها الدهر. وقد ذكر الهيثمُ بنُ عديّ أن عائشة خاطبتْ بهذه المقالة بعض بناتِ زُهيرْ. (١٠/٣٠٥)

(٢٦)

قال محمد بن حبيب: أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه، فأخبره أنَّ العدَّةَ قد تمت، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها، وأوّلها:

هل تعرف الدار من عامين أو عامِ　　　دار لهند بِجِزْعِ الحرج فالدام

وفيها يقول:

وجحفلٍ كسواد الليلِ منتجعٍ　　　أرضَ العدوّ ببوسٍ بعد إنعامِ(١)
جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ　　　ومن تميم ومن حاءٍ ومن حامِ

- حاء من مذجح، وحام من خثعم -

وما رضيتَ لهم حتى رفدتهم　　　من وائل رهط بسطامٍ بأصرامِ(٢)
فيه الرماح وفيه كلُّ سابغةٍ　　　جدلاء مُحْكمةٍ من نسج سلاّمِ(٣)
وكلُّ أجردَ كالسِّرحان أضمره　　　مسحُ الأكفُّ وسقى بعد إطعامِ(٤)
مستحقباتٍ رواياها جحافِلُها　　　يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ

---

(١) بَوْس: يقول ياقوت، (١/٥٠٨)، إنّها قرية بصنعاء اليمن، وفي الديوان، ص ١٢٧، ببُوسي بعد إنعام، أي يريد أن يغزوهم ليبدّل نعمتهم ببوس.

(٢) بسطام: هو بسطام بن قيس الشيباني. وأصرام: جماعات.

(٣) سابغة: دروع، وجدلاء: لطيفة مجدولة، ومبهمة: لا تستبين فيها أطراف حلَقها، و سلاّم: أراد سليمانَ بن داوود عليهما السلام، والعرب قد تحرّف الاسم عن جهته وينقصون بعض حروفه، وجعله القاضي الجرجاني في وساطته بين المتنبّي وخصومه، ص١٤، من أغاليط الشعراء.

(٤) الأجرد: قصير الشَّعَر، والسرحان: الذئب، وسقي: يعني اللبن.

لا يزجُرُ الطَّيرَ إن مرَّت به سُنُحاً ... ولا يُفيضُ على قِدْحٍ بأزلام

وقال المدائني: لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى - وقد كان كتب من أراد وكملت العدَّةُ - فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومُه، فكتب إليه: إني اشتريت منه عرضي، فكتب إليه: أحسنت. (١٣٩/١٢)

(٢٧)

فأمّا البيت الذي ذكرتَ من شعره أنَّ فيه لعريبَ صنعةً وهو:

أضاءَتْ لهم أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ

فإنه من قصيدة لأبي الطمحان القيني مدح بها بُجير بن أوْس بن حارثة بن لأم الطائيّ، وكان أسيراً في يده، فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزَّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدَّةِ قصائد. وأوّل هذه الأبيات:

إذا قيل أيُّ الناس خيرٌ قبيلةً ... وأصبرُ يوماً لا توارى كواكبُهْ(١)

فإنَّ بني لأم بن عمرٍو أرُومةٌ ... علَتْ فوقَ صعبٍ لا تُنالُ مراقبُهْ(٢)

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهُمْ ... دُجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبُهْ(٣)

لهم مجْلسٌ لا يحصَرون عن النَّدى ... إذا مطْلبُ المعروف أجْدبَ راكبُه (٩/١٣)

(٢٨)

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباري قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائنيُّ قال: حدَّثنا (أبو) أميةَ بن عمرو بن هشام الحرانيُّ قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد بن سنان قال: حدَّثني جدِّي سنانُ بن يزيد قال: كنت مع مولاي جرير بن سهْمٍ التميمي وهو يسير أمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فرسي سيري وأمِّي الشاما ... وخلِّفي الأخوالَ والأعماما(٤)

وقطِّعي الأجْوازَ والأعلاما ... وقاتلي من خالف الإماما(٥)

---

(١) قبيلة منصوبة على التمييز، وكذلك يوماً، ويعني به الوقعات والحروب، وقوله: لا تُوارى أي لا تتوارى أي لا تستتر.

(٢) والأرومة: الأصل، والمراقب: جميع مرقبة، وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن.

(٣) الجَزْع: الخرز. (٤) أمِّي: اقصدي.

(٥) الأجواز جمع جوز وهي الجهات، والأعلام: الجبال

إني لأرجو إن لقينا العاما جمْعَ بني أميّةَ الطُغاما
أنْ نَقْتُلَ العاصي والهُماما وأن نُزيلَ من رجالٍ هاما

فلما انتهى إلى مدائن كِسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثَّل مولاي قول الأسودِ بن يعفُر:

جرتِ الرِّياحُ على مكانِ ديارهم فكأنَّما كانوا على ميعاد

فقال له عليٌّ عليه السلام: فلمَ لمْ تَقُلْ كما قال الله جلَّ وعزَّ: «كمْ تركُوا مِنْ جنات وعُيُون. وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك أورثناها قوماً آخرين). ثم قال: يابن أخي إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلَّت بهم النِّقْمةُ، فإياكم وكُفْرَ النِّعمةِ فتحِلَّ بكم النقمةُ. (١٨/١٣)

(٢٩)

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دريد. قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال: هاجر شيبانُ بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً، وكان قد أسنَّ وضعُف، فافتقرَ إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلَب على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بنُ هوذة بن مالك، وأعطاه مالا وفرساً، وقال: أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في ردِّ ابنك، فإن فعل غنمتَ مالك، وأقمتَ في قومك، وإن أبي استبقيت ما أعطيتُك ولحقت به، وخلَّفْتَ إبلك لعيالك، ثم مضى إلى عمر ـ رضوان الله عليه ـ فأخبره خبر المخبَّل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيُهلكني شيبانُ في كلِّ ليلة لقلبيَ من خوف الفراق وجيب(١)
أشيبانُ ما أدراك أنْ كلُّ ليلة غبقتُك فيها والغَبوقُ حبيبُ(٢)
غبقتُك عظماها سناماً أو انبرى برزقك برّاق المنون أريب(٣)
أشيبان إن تأبى الجيوش بحدِّهم يقاسون أياماً لهنَّ خطوب(٤)
ولا همُّ إلا البزُّ أو كلُّ سابح عليه فتىً شاكي السلاح نجيب(٥)

---

(١) الوجيب: الخفقان. (٢) الغبوق: الشرب في العشي.

(٣) برّاق المتون: أراد به السيف، والأريب: المقتال.

(٤) حدّهم: سيفهم. (٥) البزّ: السلاح، والسابح: هو الفرس الذي يسبح في جريه.

ينوبون جُند الهرمُزان كأنَّما ... ينوبون أوراد الكلاب تلوب(١)
فإن يكُ غصني أصبح اليوم ذاوياً ... وغصنُك من ماء الشباب رطيبُ
فإنّي حنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت ... فمشيي ضعيفٌ في الرجال دبيبُ
إذا قال صحبي يا ربيعُ ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبانُ أن لن يعقَّني ... تعُقُّ إذا فارقتني وتحوب(٢)
فلا تُدْخِلنَّ الدهر قبرك حوبةً ... يقوم بها يوماً عليك حسيب

- يعني بقوله «حسيب» الله عزَّ ذكره -

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفل شيبان بن المخبل ويردَّه على أبيه، فلما ورد الكتابُ عليه أعلم شيبانَ وردَّه فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمنِّي الجهاد. فقال له: إنَّها عزمةٌ من عمر، ولا خيرَ لك في عصيانه وعقوق شيخك، فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات. (١٣/١٨٩)

(٣٠)

فأخبرني أحمدُ بنُ محمَّد بن الجعد قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيِّبي قال: حدَّثنا محمد بنُ فُليح عن موسى بن عقبة، عن ابنِ شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غيْلان الثَّقفيّ قال: حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبِّيّ قال: حدَّثنا محمد بن راشد عن ابن اسحاق، وحدَّثنيه محمد بنُ جرير قال: حدَّثنا محمد بنُ حُميد قال: حدَّثنا سلمة عن ابن اسحاق - وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض - أن رسول الله (ص) قسَّم غنائم هوازن، فأكثر العطايا لأهل مكَّة، وأجزل القسْم لهم ولغيرهم ممَّن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسْم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضَّل فيها عيينة والأقرع على العبَّاس، فجاءه العباس فأنشده:

وكانت نهاباً تلافيتُها ... بكرِّي على المهْر في الأجرعِ(٣)
وإيقاظي الحيَّ أن يرقُدوا ... إذا هجع القومُ لم أهجع
فأصبح نهبي ونَهْبُ العبيـ ... ـدِ بين عُيينة والأقرع(٤)

---

(١) الهرمزان: الكبير من ملوك العجم. وتلوب: تحوم. (٢) تحوب: تأثم.
(٣) النهاب: الغنائم. (٤) العبيد: اسم فرسه.

وقـد كنتُ في الحـرب ذا تُدْرأٍ ... فلم أعطَ شـيـئـاً ولم أمنعِ(١)
ومـا كـان حـصنٌ ولا حـابسٌ ... يفـوقـان مرداس في مـجـمـع
ومـا كنت دون امـرئٍ منهـمـا ... ومن تضـع اليـومَ لا يُرفعِ(٢)

فبلغ قوله رسول الله(ص)، فدعاه فقال له: أنت القائل: «أصبَحَ نهبي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعرُ، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرك بأيّهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله(ص): اقطعوا عنّي لسانه، وأمر بأن يُعطوه من الشاء والنَّعم ما يرضيه ليُمسك، فأعطي. (٣٠٧/١٤)

(٣١)

.. أنَّ معاويةَ لما ولي بعثَ إلى جبلة بن الأيهم فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها، فأبى ولم يقبل، ثم إنَّ عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز وإلى الإسلام، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه، وهو جثامة بنُ مساحِق الكناني، فلما انتهى إليه الرجلُ بكتاب عمر أجاب إلى كلِّ شيءٍ سوى الإسلام، فلما أراد الرسولُ الانصراف قال له هرقل: هل رأيت ابن عمِّك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟ قال: لا. قال: فالقه. قال الرجل: فتوجهتُ إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسُّرور مالم أرَ بباب هرقلَ مثله، فلما أدخلت عليه إذا هو في بهوٍ عظيم، وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سريرٍ من قوارير، قوائمه أربعةُ أسدٍ من ذهب، وإذا هو رجلٌ أصهبُ سبالٍ وعُثنون، وقد أمر بمجلسه فاستُقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح، فما رأيتُ أحسنَ منه. فلمّا سلمتُ ردَّ السلام ورحّب بي، وألطفني ولامني على تركي النزول عنده، .. ثم قال للجواري: أطرِبْنني. فخفقن بعيدانهنّ يغنين:

لله درُّ عـصـابةٍ نادمـتُهم ... يومـاً بجلِّق في الزمـان الأوّلِ(٣)
بيض الوجوه كريمةٍ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأوّل
يُغشَون حتّى ما تهرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السَّواد المقبل

---

(١) ذا تدرأ: أي ذا عزّ ومنعة.

(٢) تضع: تخفض.

(٣) عصابة: جماع، وجلِّق: اسم لكورة الغوطة كلّها، وقيل: بل هي دمشق نفسها، ياقوت، (١٥٤/٢).

فاستهلَّ واستبشر وطرب ثم قال: زِدنني. فاندفعن يغنين:

لمن الـدارُ أقـفـرتْ بمعـــانِ ... بين شـاطي اليـرمـوك فـالصمّان(١)
فـحمى جـاسم فـأبنيـة الصُفْـ ... ـر مـغنـى قنـابلٍ وهجـان(٢)
فـالقُريـات مـن بلاس فداريَّا ... فـسكاءَ فـالقـصـور الدواني(٣)
ذاك مـغنى لآل جـفنة في الدَّ ... ارِ وحـقٌّ تعـاقُبُ الأزمـان
قد دنا الفِصح فـالولائد ينظمـ ... ـن سِـراعـاً أكِلَّـةَ المرْجـان(٤)
لم يُعلّلنَ بالمغـافـيـر والصمـ ... ـغ ولا نقـف حنظـل الشُريان(٥)
قد أراني هنـاك حـقّاً مكينـاً ... عند ذي التـاج مـقـعـدي ومكاني

فقال: أتعرف هذه المنازل؟ قلت: لا. قال: هذه منازلُنا في مُلكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّانَ بن ثابت، شاعر رسول الله (ص). قلت: أما إنّه مضرورُ البصر كبير السنّ. قال: يا جاريةُ هاتي. فأتته بخمسمائة دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج، فقال: ادفعْ هذا إلى حسان وأقرئه منِّي السلام. (١٥/١٦٤)

(٣٢)

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمريُّ قال: حدثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال: لم يسمع من لبيدٍ فخره في الإسلام غيرَ يومٍ واحد، فإنّه كان في رحبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سجّى نفسه بثوبه، إذ أقبل شابٌّ من غنيّ فقال: قبحَ الله طُفيلاً حيث يقول:

جزى الله عنّا جعفراً حيثُ أشرفَتْ ... بنـا نعلنـا فـي الـواطئين فزلّت
أبَوْا أن يملّـونا ولـو أن أمُنـا ... تلاقي الذي يلقـوْن منّا لملّت
فـذو المال مـوفـورٌ وكل مُعـصّبٍ ... إلى حُجـرات أدفـأت وأظلّت(٦)

---

(١) معان: مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.الصُّمان: من نواحي الشام بظاهر البلقاء.

(٢) جاسم: اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، والقنابل: جمع قنبل وقَنبلة: الطائفة من الناس والخيل، والهجان من الناس: الخالص الكريم، ومن الإبل البيض الكرام.

(٣) بلاس، وداريًا، وسكاء من قرى دمشق، ذكرها ياقوت جميعاً ينظر معجم البلدان (١/٤٧٦)، (٢/٤٣١)، (٣/٢٢٩).

(٤) الفصح: من أعياد النصارى واليهود. (٥) الشريان: موضع.

(٦) المعصَّب: مَنْ يعصب بطنه بالخرق من الجوع.

وقـــالت هلُمُّوا الدار حـــتّى تبــيَّنُوا   وتنجليَ الغــمَّـــــاءُ عـمَّا تجلَّت

ليت شعري ما الذي رأي من بني جعفرٍ حيثُ يقول هذا فيهم؟ قال: فكشف لبيدٌ الثّوبَ عن وجهه وقال: يا ابن أخي، إنّك أدركتَ الناس وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يزعون(١) بعضهم عن بعض، ودارُ رزقٍ تخرجُ الخادمُ بجرابها فتأتي برزق أهلها، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتهم، ولو أدركت طفيلاً يوم يقول هذا لم تلُمْه. ثم استلقى وهو يقول: أستغفر الله، فلم يزل يقول: أستغفر الله؛ حتى قام. (٣٦٧/١٥)

(٣٣)

أخبرني أحمد قال: أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن عباد بن حبيب المهلّبي قال: حدّثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ قال: كتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة: أن استنشد من قبِلك من شُعراء مِصرك ما قالوا في الإسلام. فأرسل إلى الأغلب الراجز العِجْلي، فقال له: أنشدني، فقال:

أرجزاً تريدُ أم قصيداً   لقد طلبتَ هيِّناً موجوداً

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال: أنشِدْني. فقال: إنْ شئت ما عُفِيَ عنه - يعني الجاهلية - فقال: لا، أنشدني ما قلتَ في الإسلام، فانطلق فكتب سُورة البقرة في صحيفةٍ ثم أتى بها وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكانَ الشعر. فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمر، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائةً وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة، فكتب الأغلب: يا أمير المؤمنين أتنقُص عطائي أن أطعتُك؟! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء لبيدٍ على ألفين وخمسمائة.

قال أبو زيد: وأراد معاويةُ أن ينقُصه من عطائه لمّا ولي الخلافة، وقال: هذان الفودان - يعني الألفين - فما بال العِلاوة؟ يعني الخمسمائة، فقال له لبيد: إنما أنا هامةُ اليوم أو غد، فأعِرني اسمها، فلعلّي لا أقبضها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان. فرقَّ له وترك عطاءه على حاله، فمات ولم يقبضْه. (٣٦٩/١٥)

(٣٤)

.. وقد روى بشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عنه قال: حدثّني أحمد بن الجعد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال: حدّثنا عتّاب بن سلمة

---

(١) يزعون: يمنعون.

عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال: كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله (ص) قال: «والذي نفسي بيدهِ، لكأنما تنضحونهم بالنُّبل بما تقولون لهم من الشعر»(١). (٢٢٧/١٦)

(٣٥)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد من عاون عثمان على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يُغْمِدوا سيوفهم انصرف، ولم ير أن الأمر يخلص إليه، ولا يجْري القوم إلى قتله؛ فلما قُتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله (ص)، فأنشدهم:

مَنْ مُبلِغُ الأنصارِ عنّي آيةً ... رُسُلا تقُصُّ عليهمُ التِّبيانا
أن قد فعلْتم فعْلة مذكورة ... كَسَتِ الفُضُوح وأبدتِ الشُّنْآنا(٢)
بقعودكم في دوركم وأميركم ... تُخْشى ضواحي داره النيرانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا
يَعلُون قُلّته السيوفَ وأنتمُ ... متلبّثون مكانكم رضوانا(٣)
الله يعلم أنني لم أرضه ... لكُمُ صنيعاً يوم ذاك وشانا
يا لهْفَ نفسي إذ يقول: ألا أرى ... نفرا من الأنصار لي أعوانا
والله لو شهد ابن قيس ثابتٌ ... ومعاشر كانوا له إخوانا(٤)
وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ ثابتٌ ... وأخو المشاهد من بني عجْلانا(٥)
ورفاعة العُمريُّ وابنُ مُعاذهم ... وأخو مُعاويَ لم يخف خذلانا(٦)
قومٌ يروْن الحق نصر أميرهم ... ويرون طاعة أمره إيمانا
إن يُتْركوا فوضى يروْا في دينهم ... أمْراً يُضيِّق عنهمُ البُلْدانا

---

(١) هذا تأكيد لما سبق من اهتمام الرسول (ص) بالشعر، وخاصة ذلك الشعر الذي هُجي به الكفّار، ودافع به الشعراء المسلمون عن بيضة الإسلام، وحرمة رسول الله.

(٢) الشنآن: البغضاء. (٣) رضوانا: راضين بما يصنعون.

(٤) ابن قيس هو ثابت بن قيس بن شمّاس.

(٥) أبو دجانة: هو سماك بن خرشة، وابن أرقم: هو ثابت البلوي، وأخو المشاهد: هو معن بن عدي.

(٦) رفاعة: هو ابن عبد المنذر العمري، وابن معاذ: هو سعد بن معاذ، وأخو معاوية: هو المنذر بن عمرو الساعدي.

فليُغلبنَ اللـــه كـــعبَ وليـــه   وليـــجـــعلنْ عـــدُوّه الذُّلاّنا
إني رأيت مــحــمــداً إخـتــاره   صـهــرا وكـــان يعُدُّه خُلصـــانا(١)
مـحْضَ الضـرائب مـاجـدا أعـراقُهُ   من خـيـرِ خِندفَ منصـبـاً ومكانا
عـــرفَتْ له عَلْيـــا مَعَدٌّ كلُّهـــا   بـعـــد النبـيِّ الملكَ والسلطـانا
من مـــعْشـــر لا يغـدرون بجـارهم   كـــانوا بمكـــة يرْتعـــون زمـــانا
يُعْطون ســائلهم ويأمنُ جـارهـم   فـــيـــهم ويُرْدون الكُمــاة طعــانا
فـلو انكم مـع نصـركم لنبـيكـم   يوم اللقـــاء نصــرتُمُ عـثـمـانا!
أنســيـــتُم عـــهـــد النبيِّ إليكُمُ   ولقـــد ألظَّ ووكـــدُ الأيمـــانا(٢)

قال: فجعل القوم يبكون، ويستغفرون الله عزوجل(٣). (١٦/٢٢٨)

(٣٦)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكر السُّهميّ قال: حدثني حاتم بن أبي صغيرة قال: حدثنا سماك بن حرب قال: أتى رسول الله (ص) فقيل: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. فقال له: أنت الذي تقول: فثبّت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

فثبت الله ما أعطاك من حسنٍ   تثبيت مُوسى، ونصْرا كالذي نصرا

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: همّت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

همت سخينةُ أنْ تغالبَ ربَّها   وليُغلَبنَّ مُغـــالبُ الغـــلاّب(٤)

فقال: أما إن الله لم ينس لك ذلك(٥). (١٦/٢٣١)

---

(١) الخلصان: الصديق الخالص. (٢) وألظَّ: ألحَّ.

(٣) أثار الشعر شجوناً قديمة وردْ الأنصار إلى فترة عصيبة مرّت بهم، بالإضافة إلى الصدق، والحرارة اللتين جلّلتا هذا الشعر، ولذلك نراه يستثير ذكرياتهم الحزينة، ويجعل العيون تهمي دمعاً غزيراً.

(٤) سخينة: طعام من دقيق وسمن أو دقيق وتمر أغلظ من الحساء، وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيِّرتْ بها، حتى سمّوا سخينة.

(٥) أضاف الرسول بُعداً جديداً لذلك الشعر الذي قاله الشعراء وهم يدافعون عن الإسلام، فقد حُسب مع أعمالهم، وجعله الحقّ سبحانه أجراً لهم لا ينساه، وحاشاه من النسيان: فما أوسعها من آماد فتحها الرسول للشعراء لكي يقولوا، ويبدعوا.

(٣٧)

قال أبو زيد: وحدّثني سعيد بن عامر قال: حدثنا أبو عون عن ابن سيرين قال: وقف رسول الله (ص) بباب كعب ابن مالك، فخرج فقال له رسول الله(ص): إيه، فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده (ثلاث مرات). فقال رسول الله(ص): لهذا أشدُّ عليهم من مواقع النَّبْل. (٢٣٣/١٦)

(٣٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكر الهذليّ قال:

لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة، لأقصدَه به، فقد منعتني التكسب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثم، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله:

لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ بحورانَ أمسى أعلقَتْه الحبائلُ
فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل
وما كان بيني لو لقيتُك سالما وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مئة ناقة . قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها. (٢٩٥/١٦)

(٣٩)

حدّثني عليُّ بن محمد، قال: حدثني إسماعيل بن عليّ، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد الأسديّ، قال:

سمعتُ أبي يقول: رأيتُ رسولَ الله (ص) في المنام، فقال: مِنْ أيِّ الناسِ أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمِنْ أيِّ العرب؟ قلت: من بني أسد، قال: من أسد بن خزيمة؟ قلت: نعم، قال لي: أهلاليٌّ أنتَ؟ قلتُ: نعم. قال: أتعرفُ الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله، عمِّي ومِنْ قبيلتي، قال: أتحفظُ مِن شعره شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أنشدني: طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ

قال: فأنشدته حتى بلغت إلى قوله:

فمالي إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالي إلاّ مشعَبَ الحقِّ مشعَبُ

فقال لي: إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام، وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة (١٧/٢٦)

(٤٠)

حدّثني عليُّ بن محمد بن عليٍّ إمام مسجد الكوفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن عليِّ الخُزاعي ـ ابن أخي دعبل ـ قال: حدّثني عمّي دعْبل بن علي قال: رأيتُ النبيَّ (ص) في النوم، فقال لي: مالك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله، وما بيني وبينه إلاّ كما بين الشعراء، فقال: لا تفعل، أليس هو القائل:

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونني ولا زِلتُ في أشْياعهم أتقلّبُ

فإنَّ الله قد غفر له بهذا البيت. قال: فانتهيتُ عن الكميت بعدها. (١٧/٢٦)

(٤١)

وجدتُ في كتاب بخطِّ المُرْهبيِّ الكوفيِّ: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام النهديّ الخراز، قال: حدّثني نصر بن مُزاحم المِنقريّ، أنّه رأى النبيَّ (ص) في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده:

من لِقلْب مُتيَّم مُسْتهام

قال: فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا الكميْتُ بن زيْد الأسديّ، قال: فجعل النبيُّ (ص) يقول له: جزاك الله خيراً! وأثنى عليه. (١٧/٢٧)

(٤٢)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ، قال: حدّثني الحجاج بن ذي الرُّقَيْبة بن عبد الرحمن بن مُضرَّب بن كعب بن زهير بن أبي سلْمى، عن أبيه، عن جدّه قال: خرج كعْب وبجُير ابْنا زهير بن أبي سلْمى إلى رسول الله (ص) حتى بلغنا أبرق العزّاف(١)، فقال كعب لبُجيْر: الحقِ الرجل، وأنا مقيم ها هنا، فانظرْ ما يقولُ لك. فقدم بُجير على رسول الله (ص)، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً، فقال:

ألا أبْلغا عنّي بُجيْراً رسالةً على أيِّ شيء ويْب غيْرك دلّكا(٢)

---

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد. (٢) ويب: مثل ويح وويل.

على خُلق لم تُلْفِ أمًا ولا أبـاً   عليـه ولم تُدْرك عليـه أخـاً لكا
ســقــاكَ أبو بكر بكأسٍ رويّةٍ   فــأنهلك المأمــونُ منهـا وعلّكا

ويروى «المأمور». قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله (ص) فأهدر دمه، وقال: مَنْ لقي منكم كعْب بن زهير فليقتُله.

فكتب إليه أخوه بُجيْر يخبره، وقال له: انجه(١) وما أراك بمُفْلتٍ وكتب إليه بعد ذلك يأمُره أنْ يُسْلم ويُقْبِل إلى رسول الله (ص) ويقول له: إنَّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسوله قبل (ص) منه، وأسقط ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله(ص):

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متْبُولُ   مُتيَّمٌ عِنْدها لم يجزَ مكْبولُ

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله (ص)، وكان مجلسه من أصحابه به مكانَ المائدة من القوم حلْقة ثم حلْقة ثم حلْقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يُحدثُهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء. فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطّى حتى جلس إلى رسول الله (ص)، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومَنْ أنْتَ؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنْتَ الذي يقول ..كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

سقاكَ أبو بكْرٍ بكأسٍ رَوِيّةٍ   وأنهلك المأمون منها وعلّكا

فقال رسول الله (ص): مأمون والله. ثم أنشده ـ يعني كعباً ـ:
بانت سعاد فقلبي اليوم متْبُول(٢) .   (٨٦/١٧)

(٤٣)

أخبرني بذلك حرميّ، عن الزبير، عن وهْب بن جرير ، عن جُويرية بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى، عن عباد بن عبْد الله بن الزبير، عن شيخ من قريش، قال: إني وفتية من قريش عند قينةٍ من قيان المدينة، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسّان، فكرِهْنا دخوله،

---

(١) انجه: أي انج، زيدت هاء السكت في آخره.

(٢) هذا النصّ يؤكد ما ذكرناه سابقاً عن اهتمام الرسول بالشعر، ولكن من وجهة أخرى، فلولا الاهتمام لما أهدر الرسول دمه، إذ إنّه تجاوز القدر المسموح به، وبدأ يذكّر أخاه بدينه القديم، ويعرّض برجال الدين الجديد، ولكنّ العفو كان الخاتمة.

وشقَّ ذلك علينا؛ فقال لنا عبد الرحمن: أيسرُّكُم ألا يجلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذ نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّي:

أولادُ جفْنةَ عند قبْرِ أبيهمُ ... قبْرِ ابْنِ مارية الكريم المُفضِلِ
يُغشَوْن حتى ما تهِرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السَّواد المقبلِ

قال: فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطتْ نفسُه ثم قال: أفيكم الفاسق! لعمْري لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم، وقام فانصرف، والله تعالى أعلم. (١٧٢/١٧)

(٤٤)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لقيْني إياس بن الحطينة، فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي كِسْر بيته عشرون ألفاً أعطاه إياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله[١] (٢٢٥/١٧)

(٤٥)

أخبرني عليُّ بنُ سُليمان الأخفش قال: حدّثنا محمدُ بنُ الحسن الأحول، عن ابنِ الأعرابيّ، عن المُفضَّل قال:

لمّا كثُرَ شُربُ أبي مِحجن الخمْر، وأقام عُمرَ بنُ الخطّاب رضي الله عنه عليه الحدَّ مراراً وهو لا ينْتهي، نفاه إلى جزيرة في البحْر يقال لها حضوضى[٢]، وبعث معه حرسياً يقال له ابنُ جهْراء، فهرب منه على ساحل البحْر، ولحق بسعْد ابن أبي وقّاص، وقال في ذلك يذْكُر هربه من ابنِ جهراء:

الحمدُ للّهِ نجّاني وخلّصني ... من ابن جهْراء والبوصيُّ قد حُبِسا[٣]
من يجشِمِ البحْرَ والبُوصيُّ مرْكبُهُ ... إلى حضوضى فبئس المرْكبُ التمسا

.. بين الصفّيْن، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلْب فبدر أمامَ الناس، فحمل على القوْم فلعب بين الصفَّيْن برُمحه وسلاحه، وكان يقصفُ الناسَ ليلْتنذ قصفاً مُنكراً؛ فعجب الناسُ منه

(١) هذا يشبه قولة عمر رضي الله عنه لبعض أولاد زهير، فالشعر هو الباقي، أمّا المال والمتاع فأعراض زائلة.

(٢) حضوضى: جزيرة أو جبل في البحر كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها.

(٣) البوصيّ: ضرب من السفن.

وهم لا يعرفُونه ولا يروْه بالأمس، فقال بعضُ القوم: هذا من أوائل أصحاب هشام بن عُتبة أو هشامٌ بنفْسه. وقال قوم: إن كان الخضر يشْهد الحروبَ فهو صاحبُ البلْقاء، وقال آخرون: لولا أنَّ الملائكة لا تُباشر القتال ظاهراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا؛ وجعل سعد يقول ـ وهو مشرف ينظر إليه ـ الطَّعنُ طعنُ أبي مِحْجن، والضَّبرُ(١) ضَبْر البلْقاء. ولولا محْبس أبي محجن لقلتُ: هذا أبو محجن وهذه البلقاء، فلم يزل يُقاتل حتى انتصف الليل، فتحاجز أهلُ العسكرين وأقبل أبو مِحْجن حتى دخل القصر، ووضع عن نفسه ودابته، وأعاد رجْليه في القيد، وأنشأ يقول:

لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غير فخر   بأنّا نحن أكرمُهم سُيوفا
وأكثرُهم دُروعاً سابغاتٍ   وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنّا رِفدُهم في كلِّ يوم   فإن جحدوا فَسَلْ بهم عريفا
وليلةَ قادسٍ لم يشْعُروا بي   ولم أكره بمخرجي الزُّحوفا
فإن أحبسْ فقد عرفوا بلائي   وإن أطلقْ أجرِّعْهم حُتوفا

فقالت له سلْمى: يا أبا محجن؛ في أيِّ شيء حبسك هذا الرجل؟ فقال: أما والله ما حبسني بحرامٍ أكلتُه ولا شربتُه، ولكني كنتُ صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤٌ شاعرٍ يدبُّ الشِّعر على لساني فينفثه أحياناً فحبسني لأني قلت(٢):

إذا متُّ فادفنِّي إلى أصل كرْمةٍ   تُرَوِّي عظامي بعد موْتي عُروقُها
ولا تدْفننِّي في الفلاة فإنني   أخافُ إذا ما متَ ألاَّ أذوقُها
ليُروى بخمر الحُصِّ لحمي فإنَّني   أسير لها من بعد ما قد أسُوقُها(٣) (٦/١٩)

(٤٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن ابن شبّة، عن أبي حرب البابيِّ ـ من آل الحجاج بن باب ـ قال: حدثنا يونس بن حبيب، عن رؤبة بن العجاج. عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة، قال: كنا مع النبي(ص) في سفر وحادٍ يحْدُو:

طافَ الخيالانِ فهاجا سقما   خيالُ لُبْنى وخيالُ تكتُما

---

(١) الضبْر: جمع القوائم والوثب.

(٢) لا ريب أنّ المعاني التي أوردها الشاعر في شعره ممّا يخالف الإسلام صراحة، وعمر رضي الله عنه خير منْ يعلم سرعة شيوع الشعر وانتشاره. ولذلك بادر إلى معاقبة الشاعر وفق منظور إسلامي خالص.

(٣) الحُصّ: موضع بنواحي حمص ينسب إليه الخمر.

قامت تريك خشية أن تصرِمَا ... ساقا بخنْداةً وكعبا أدرما(١)

والنبي (ص) يسمع ولا ينكر. (٢٠/٣٤٧)

(٤٧)

فأما خبره مع عمر فإنَّ الحسنَ بن عليٍّ أخبرني به، قال: حدثني الحارثُ بنُ محمد قال: حدثني المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ عن الزبيريّ عن عُروةَ بنِ الزبيرَ قال: هاجر كِلابُ بنُ أمية بنِ الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بنِ الخطاب، فأقام بها مدّة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوّام، فسألهما: أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد. فسأل عمر فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لِمَن شيخان قد نشدا كلابا ... كتابَ الله إن قبِل الكتابا

أناديه فيعرض في إباء ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا

إذا سجعتْ حمامةُ بطنِ وادٍ ... إلى بيْضاتها دَعَوا كلابا

أتاه مهاجران تكنفّاه ... ففارق شيخه خطئا وخابا

تركتَ أباك مُرعشةً يداه ... وأمّك ما تُسيغ لها شرابا

تُمسّح مُهره شفقاً عليه ... وتجنُبه أباعرها الصعابا

فإنّك قد تركت أباك شيخا ... يطارق أينُقا شُزُباً طِرابا(٢)

فإنك والتماسَ الأجرِ بعدي ... كباغي الماء يتّبع السرابا

فبلغتْ أبياته عمر، فلم يردُد كلابا وطال مقامه فأهتِر أمية وخُلِط جزعاً عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله (ص) وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذلَ قد عذلْتِ بغير قدرٍ ... ولا تدرين عاذلَ ما ألاقي

فإمّا كنت عاذلتي فردّي ... كِلابا إذ توجّه للعراق

ولم أقضِ اللُّبانة من كِلابٍ ... غداة غدٍ وآذن بالفراق

فتى الفتيان في عُسْرٍ ويسْرٍ ... شديدُ الرُّكن في يوم التلاقي

فلا والله ما باليتَ وجدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي

وإبقائي عليكَ إذا شتونا ... وضمُّك تحت نحري واعتناقي

---

(١) بخنداة: ممتلئة، والأدرم: المستوى.

(٢) يطارق: يطابق، وشزب: ضامرة.

فلو فلَق الفــؤاد شــديدُ وجْدٍ لهمَّ ســـوادُ قلبي بانفــلاقِ
ســأسـتعدي على الفاروق ربًا لــه دُفعَ الحجيجُ إلى بُســاق(١)
وأدعــو الله مــجــتـهــداً عليــه ببطن الأخــشــبين إلى دُقــاق
إنِ الفـــاروقُ لم يردد كــلاباً إلى شــيــخين هامُهــمــا زواق

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب بِردّ كلاب إلى المدينة(٢) (٩/٢١)

(٤٨)

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمرُ بن شبّة، قال: حدثني محمد بن عباد بنِ حبيبٍ المهلّبيُّ، قال: حدثني نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ، قال: كتب عمر بنُ الخطاب إلى المغيرة بن شعبةَ وهو على الكوفة: أن استنشد مَن قبلك من شعراء قومك وما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقال:

لقد سألتَ هيِّناً موجوداً أرجزاً تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لبيد فقال له: إن شئتَ مما عفا الله عنه - يعني الجاهلية - فعلتُ قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني الله عزوجل بهذه في الإسلام مكانَ الشعر.

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص عمرُ من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد؛ فكتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أتنقص عطائي أن أطعتك! فرد عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة. (٣٠/٢١)

(٤٩)

أخبرني محمدُ بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم قال: حدثنا عليُّ بنُ القاسم، عن الشعبيّ قال: دخل الأغلبُ على عمر، فلما رآه قال: هِيه، أنت القائل:

---

(١) بُساق: موضع.

(٢) توافرت أمورة عدّة في تشكيل موقف عمر رضي الله عنه النهائي، وكان البكاء دليلاً على التأثر والتفاعل. ومن هذه الأمور صدق الشاعر وحديثه المباشر، والمعاني السامية التي حمّلها شعره، بالإضافة إلى ذلك، التصوير الرائع في وصف حاله بعد فراق ولده، وقد لقيت هذه الأمور كلّها أذناً صاغية من عمر الناقد، المتذوق للشعر، فأمر بما أمر به.

أرجزاً تريد أم قصيدا؟ لقد سألتَ هيِّنا موجودا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن اردد عليه الخمس المائة، وأقرّ الخمسَ المائة للبيد. (٢١/٣٠)

(٥٠)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ قال: حدثني عمي قال: هاجر خِراشُ بن أبي خراش الهذليّ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرض أهلُه، وقُتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا مَن مُبلغٌ عني خِراشاً وقد يأتيك بالنبأ البعيدُ
وقد يأتيكَ بالأخبار مَنْ لا تُجهِّزُ بالحِذاء ولا تَزيدُ(١)
يُناديه ليغبِقَه كليبٌ ولا يأتي، لقد سفُه الوليدُ(٢)
فردُّ إناءه لا شيءَ فيه كأنْ دموعَ عينيه الفريد(٣)
وأصبحَ دون غابقه وأمسى جبالٌ من جرارِ الشام سُود(٤)
ألا فاعلم خِراشُ بأنَّ خيرَ المهاجر بعد هجرته زهيدُ
رأيتكَ وابتغاء البِرِّ دوني كمحصور اللُّبان ولا يصيد(٥)

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأنْ يُقْبل خراش إلى أبيه، وألا يغزوَ من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذَنَ له. (٢١/٢٢٦)

(٥١)

وحدثني علي بن سليمان الأخفش أنَّ بني أسد ظفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبِّهم وهجاهم وتآمروا في قتله، فقال بعضهم: لا تقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلفَ من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلاً منهم كان قد

---

(١) تزيد وتزّود واحد، من الزاد. (٢) الكَليب: الظمأ، ويغبقه: يسقيه مساءً.

(٣) الفريد: اللؤلؤ. (٤) حرار: جمع حرَّة وهي الأرض فيها حجارة سوداء.

(٥) اللبان: موضع اللبب من الصدر، والمحصور: المشدود.

عضَّه بهجانه، اغتفله فضربهُ بسيفه، فقتله وقال في ذلك:

قُتل ابنُ دارةَ بالجزيرة سبُنا   وزعمتَ أن سبابنا لا يقْتُلُ

قال علي بن سليمان: وقد رُوي أن البيت المتقدم:

فلا تكثروا فيه الضّجاج فإنه   محا السيف ما قال ابنُ دارة أجمعا

لهذا الشاعر الذي قتلَ ابنَ دارة، وهو من بني أسد، وهكذا ذكر السكريّ (٢٤٨/٢١)

(٥٢)

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ (ص)، ويُحرِّض عليه كُفَّار قريش في شعره، وكان النبي(ص) قدم المدينة، وهي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمعُهم دعوةُ النبي (ص)، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج، فأراد النبيّ (ص) - إذ قدم - استصلاحهم كلّهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبي (ص) يؤذونه وأصحابه أشدَّ الأذى، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفو عنهم، وأنزل في شأنهم: (ولتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم) الآية. وأنزل فيهم: (ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم) إلى قوله: (واصفحوا) فلما أبى كعبُ بنُ الأشرف أن ينزع عن أذى النبيّ (ص) وأصحابه أمر النبي(ص) سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً، فيقتلوه، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْسِ بنَ جُبير، والحارث بن أخي سعد، في خمسة رهط، فأتوه عشيّةً، وهو في مجلس قومه بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم، وكان يُذْعَر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: جئنا لنبيعك أدراعاً نستنفِق أثمانها، فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم مُذْ نزل بكم هذاالرجل، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ الناس، فجاءوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج، فقالت امرأته: ماطرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحبّ، فقال: بلى إنهم قد حدّثوني حديثهم، وخرج إليهم فاعتنقهُ أبو عبس، وضربه محمد بنُ مسلمة بالسيف في خاصرته، وانحنوا عليه، حتى قتلوه، فرعبَتْ اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين، وغدوا على النبيّ فقالوا: قد طرُق صاحبنا الليلة، وهو سيِّد من ساداتنا، فقُتل، فذكر لهم (ص) ما كان يؤذي به في أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً، فكتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، وكانت بعد النبي(ص) عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١). (١٣٢/٢٢)

---

(١) ينكرّنا هذا النص بموقف الرسول من بجير، وقد تقدّم، وإصرار هذا الشاعر على الطعن في المسلمين =

(٥٣)

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهُذليّ وابن دأب وابن جُعدبة، قالوا: أتى عتيبةُ بن مرداس - وهو ابن فسوة - عبد الله بن العباس عليهما السلامُ وهو عامل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذ شُميلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُلميّ، فاستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم، فيعطونه، ويخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بك إليّ يابن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصرٌ أو وراءك معْدى؟ جئتك لتعينني على مروءتي، وتصل قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروءة مَنْ يعصي الرحمنَ ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعيننَّك على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنَّكَ هجوت أحداً من العرب لأقطعَنّ لسانك، فأراد الكلام، فمنعه مَنْ حضر، وحبسه يومه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة(١).

(٢٢٨/٢٢)

(٥٤)

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي:

كان عتيبة بن مرداس السُلميّ شاعراً خبيثَ اللسان مخُوف المعرَّة في جاهليته وإسلامه، وكان يقدم على أمراء العراق وأشراف الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على ابن عامر بن كُريْز - وكان جواداً - فلما استؤذن له عليه أرسل إليه: إنك والله ما تسألُ بحسب ولادين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً، وأمر به فلُكِزَ وأهينَ فقال ابنُ فسْوة:

= بشعره يجعل من هذا الشعر سلاحاً ينبغي كَسْرَ شوكته، خاصة إذا انتشر وذاع وهو شأن الشعر في ذلك الوقت.

(١) كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من نقدة الكلام، وصيارفة الشعر، وله القول المشهور: «إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب»، العمدة (٣٠/١)، وينظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٦٧/١)، ولهذا لم يغب عليه ما كان الشاعر يورده في شعره من بهتان، وقطع ما أمر الله به أن يوصل على حدّ قوله، ولذلك صنع به ما صنع، وهو موقف فردي يتعلّق بذلك الشاعر وحده ولا يمكن تعميمه على الجمهرة من الشعراء.

وكـائن تـخطّتْ ناقتي وزميلُها إلى ابن كُريز منْ نُحوسٍ وأسْعُدِ(١)
وأغبرَ مسْحولِ الترابِ ترى له حيا ردّتْه الريحُ من كل مطْرَدِ(٢)
لعمرك إني عند باب ابنِ عامر لكـالظّبي عند الرَّمْيَـــةِ المتردِّدِ
فلم أر يومـاً مـثله إذ تكشّفتْ ضـبـابـتــــه عنّي ولمّـــا أقـيّــدِ

فـبلغ قـولُه ابنَ عـامـر، فـخـاف لسـانه ومـا يأتي به بعـد هذا ورجع له، وأحسن القـومُ رِفْده، وقالوا: هذا شـاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير يرضيه، فقال: رُدُّوه فردُّ، فقال له: إيه يا عتيبة، أردد عليَّ ما قلت، فقال: ما قلت إلا خيراً قال: هاته فقال: قلت:

أتعرفُ رسم الدار من أم معبدٍ نعم فرماك الشـــوقُ قبلَ التجلُّدِ
فيالكَ من شـــوقٍ وبالكِ عبرةً سوابقها مثل الجُمـــان المبدَّدِ(٣)
وكـائنْ تخطتْ ناقتي وزميلُهـــا إلى ابن كُريز من نحوس وأسعُدِ
فتى يشتري حُسنَ الثّناء بماله ويعلـــم أنَّ المـــرء غيرُ مخلَّـــدِ
إذا مـا ملمّاتُ الأمور اعتريْنه تجلّى الدُّجى عن كـوكب متـوقّدِ

فتبسم ابن عامر وقال: لعمري ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضي وانصرف.
(٢٣١/٢٢)

(٥٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني خالي يوسف بن الماجشُون قال: كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجند، فكتب إلى عثمان: إني قد اشتريتُ غلاماً حبشياً يقول الشعر، فكتب إليه عثْمان: «لا حاجة لي إليه، فاردده، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر منه، إن شبعَ أن يتشبَّب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوهم، فردَّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس. (٣٠٥/٢٢)

(٥٦)

أخبرني محمد بن خلفَ بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة، وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمر قوله:

---

(١) الزميل: الرّديف على البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمتاع، والنحوس: جمع النّحس وهي خلاف السّعْد من النجوم، والأسعد: هي الكواكب التي يقال لكلّ واحد منها سعد، أو هي من نجوم الصيف ومنازل القمر.

(٢) مسحول: ناعم. (٣) الجمان: اللؤلؤ.

تُوسِّدُني كفّاً وتثنى بمِعْصَمٍ ... عليَّ وتحوِي رِجلها من ورائيا

فقال عُمر: ويلك إنك مقتول. (٢٢/٣٠٥)

(٥٧)

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: أتي عُثمان بن عفان بعبد بن الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر: وأرادوا أن يرغّبوه فيه، فقال: لا حاجة لي به؛ إذ الشاعرُ لا حريم له، إن شبع تشبّب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيرُهُ، فلما رحل قال في طريقه:

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلة ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهْرا؟

وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعني ... بشيء ولو أمستْ أناملُه صِفرا

أخوكم ومولى مالكم وحليفُكم ... ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دَهْرا

فلما بلغهم شعرُه هذا رثوا له، فاستردّوه. فكان يشبّبُ بنسائهم، حتى قال:

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضكم ... عرقٌ على متن الفِراش وطيبُ

قال: فقتلوه. (٢٢/٣٠٦)

(٥٨)

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أبو بكر العامريّ، عن علي بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة: الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبد بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوة من بني صُبَيْر بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدّة المغالبة على إبداء المحاسن. فقال سُحيم:

كأن الصُّبيريّاتِ يومَ لقيننا ... ظباءٌ حَنَتْ أعناقها في المكانس(١)

فكم قد شققنا من رداء مُنَيَّر ... ومن برقع عن طفلة غيرِ ناعسٍ(٢)

إذا شُقّ بردٌ شُقّ بالبرد بُرقُعٌ ... على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

فيقال: إنه لما قال هذا الشعرَ اتّهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه، فلما

---

(١) الصبيريات: الجواري البيض الحسان، والمكانس: جميع مكْنِس وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تستكنّ فيه من الحرّ.

(٢) منيّر: له نير، أي علم الثوب.

اضطجع تنفّس الصُّعداء، ثم قال:

يا ذِكْرةً مالكَ في الحاضرِ تذكُرُها وأنتَ في الصادر
من كل بيضاء لها كفل مثل سنام البكرة المائرِ

قال: فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً، وقال له: مالك؟ فلجلج في منطقه، فاستراب به، فأجمعَ على قتله، فلما وردَ الماء خرجت إليه صاحبتُه، فحادثته، وأخبرته بما يرادُ به، فقام يَنْفُض ثوبَه ويُعفي أثره، ويلقط رضّاً(١) من مسكِها كان كسرها في لعبه معها، وأنشأ يقول:

أتُكتم حييتُم على النأي تُكْتما تحيةً من أمسى بحبكِ مُغرما
ومـا تُكتمين إن أتيتِ دنيةً ولا إن ركبنا يابنةَ القوم مَحْرما
ومثلكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمها إلى مجلسٍ تجرُّ بُرداً مسهَّما(٢)
وماشيةٍ مشيَ القطاةِ اتَّبعتُها من السترِ تخشى أهلها أن تكلُّما
فقالت: صهٍ يا ويحَ غيرك إنني سمعت حديثاً بينهم يقطرُ الدَّما
فنفضتُ ثوبيها ونظرت حولها ولم أخشَ هذا الليلَ أن يتصرَّما
أعفّي بآثار الثيابِ مبيتها وألقط رَضّاً من وقوف تحطّما(٣)

قال: وغدوا به ليقتلوه، فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مودّةٌ ثم فسدت، ضحكت به شماتةً تنظر إليها وقال:

فإن تضحكي مني فيا رُبَّ ليلةٍ تركتكِ فيها كالقباء المفرَّجِ

فلما قدّم ليقتل قال:

شُدُّوا وثاقَ العبد لا يُفلِتْكُم إن الحياةَ من المماتِ قريبُ
فلقد تحدَّر من جبينِ فتاتكم عرقٌ على متْنِ الفراش وطيبُ

قال: وقُدِّم فقُتل، وذكر ابن دأب أنه حُفِرَ له أخدود، وأُلقيَ فيه، وأُلقيَ عليه الحطبُ فأُحرقَ. (٣٠٧/٢٢)

---

(١) الرضّ: الكِسَر، ومسكها: سوارها أو خلخالها.

(٢) مسهَّم: فيه صورة السهم.

(٣) وقوف: جمع وقف، أي سوار من عاج وغيره.

العصر الأموي

(١)

أخبرني الجوهري والمهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدثني هارون بن عبد الله الزُّهريّ قال: حدّثنا ابن أبي ثابت، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفّان عن إسحاق عن المُسيَّبي والزُّبيريّ والمدائني ومحمد بن سلاّم، قالوا: قال أيُّوبُ بن سيَّار، وأخبرني به الحرميْ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عِمْران عن أيُّوبَ بن سيَّار عن عُمرَ الركاء قال: بيْنا ابنُ عبَّاس في المسجد الحرام وعنده نافعُ بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عُمر بن أبي ربيعةَ في ثوبين مصبْوغين مُورَّدين أو مُعصْفَريْن حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابنُ عباس فقال أنشدنا فأنشده:

أمِن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ غداة غدٍ أم رائحٌ فمُهجِّرُ

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق فقال: الله يابن عباس! إنَّا نضرب إليك أكبادَ الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلالِ والحرامِ فتتثاقلُ عنَّا، ويأتيك غلام مُترفٌ من مُترفي قريش فيُنشدك:

رأتْ رجُلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فيخْزى وأمَّا بالعشيّ فيخْسرُ

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأتْ رجُلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحى وأمَّا بالعشيّ فيخْصَرُ

فقال: ما أراك إلا وقد حفظْتَ البيتَ! قال: أجلْ! وإن شئت أن أنشدَك القصيدة أنشدتُك إيّاها. قال فإنّي أشاء؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. وفي غير رواية عمرَ بن شبّة: أنَّ ابن عباس أنشدها من أوّلها إلى آخرها، ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبة، وما سمعها قطُّ إلا تلك المرّة صفحاً. قال: وهذا غاية الذكاء. فقال له بعضهم: ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب[١]. (٧١/١)

---

(١) هذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من اهتمام عبد الله بن عباس بالشعر، وتنوّقه له، ولم يكن الموقف السابق =

(٢)

قال الزُّبير وحدّثني عمّي عن جدّي - وذكره أيضاً إسحاقُ فيما رويناه عن أبي هفّانَ عنه عن المدائنيّ - قال قال هشام بن عُروة: لا تُرَوُّوا فتياتكم شعر عمر بنِ أبي ربيعة لا يتورَّطْنَ في الزِّنا تورُّطا، وأنشد:

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حذَرَكْ

وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ: نوِّلي عُمَرَكْ (٧٤/١)

(٣)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بكّار قال حدّثتني ظَبْيَةُ مولاة فاطمة بنتِ عمر بنِ مُصْعب قالت: مررتُ بجدِّك عبد الله بن مُصْعَب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر، فقال: ما هذا معك؟ ودعاني. فجئته وقلت: شعرُ عمر بن أبي ربيعة. فقال: ويْحك! تدْخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إنْ لشعره لموْقعاً من القلوب ومدْخلاً لطيفاً، لو كان شِعْرٌ يسْحر لكان هو، فارجعي به. قالتْ: ففعلتُ(١). (٧٨/١)

(٤)

قال: قال ابن جُرَيجْ: ما ظننتُ أنّ الله عزّوجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمنَ مُنْشداً يُنشد قوله:

باللـه قولي لـه في غير معتبة ماذا أردتَ بطول المكث في اليمن

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها فمـا أخـذت بترك الحج من ثمن

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجتُ مع الحاجِّ وحججت. (١١١/١)

(٥)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابيّ، وحدّثني عليّ بن

= سوى حالة فردية أملتها معاني الشاعر نفسه، وكون ابن عباس والياً مسؤولاً عن الرعيّة، أمّا هنا فلا نسمع إلاّ صوت الشعر وحده، ذلك الشعر الذي لا يتعرّض بهجاء لأحد، أو مدح فيه، وهو ما عُرف عن شعر عمر.

(١) لعلّ هذا النصّ وما قبله يشيران إلى موقفٍ من شعر عمر، نابع من ولعه بالغزل، وذكر النساء، وقد يدعو هذا الشعر إلى شيوع ما ورد فيه من قيم لا يرضاها كثير من الناس لنسائهم، ولذلك رأيناهم يمنعون روايته وقراءته.

صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق المَوْصليّ عن رجاله، قالوا: كان ابن أبي ربيعة قد حجَّ في سنة من السنين. فلمّا انصرف من الحج ألْفى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس، فجاءه عمرُ فَسلَّم عليه وجلس إليه. فقال له: أنشدني شيئاً من شعرك فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركتُ الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد، وهما يرْويان كلَّ ما قلْتُ وهما لك. قال: ائتني بهما ففعل؛ فأنشداه قوله:

أمِنَ آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرُ

فطرب الوليدُ واهتزّ لذلك، فلم يزالا يُنْشِدانه حتى قام، فأجزل صلته وردُّ الغلامين إليه. (١/١١٩)

(٦)

أخبرني ابن المرزُبان قال حدّثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: حجَّتْ أمُّ محمدٍ بنتُ مروانَ بن الحكم، فلما قضتْ نُسُكها أتتْ عمرَ بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسها في نسوة، فحدّثها مليّاً. فلما انصرفت أتْبعها عمرُ رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثْبتها؛ فعادتْ إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيّاها.

فقالت: نشدتُك الله أن تُشهِّرني بشعْرك![1] وبعثتْ إليه بألفِ دينار، فقبلها وابتاع بها حُللاً وطيباً فأهْداه إليها، فردَّتْه. فقال لها: والله لئن لم تَقْبليه لأنهبنَّهُ[2]، فيكونُ مشهوراً؛ فقبلَتْه ورحلتْ. فقال فيها:

أيُّهــــا الراكبُ المُجِدُّ ابْتكـارا	قد قضى من تهامة الأوْطارا
من يكُنْ قلبُه صحيحاً سـليماً	ففؤادي بالخَيْفِ أمسى مُعاراً[3]
ليتَ ذا الدهـر كـان حتْماً علينا	كـلُّ يـومين حجَّـةً واعتمـارا

(١/١٦٦)

(٧)

قال حمّاد: وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية، وأخبرنا الحرميّ عن الزبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عباية قال حدثني رجل من خزاعة من أهل كُلَيَّة - وهي قرية كان فيها النصيِّب وكثير - قال: بلغني أن النصيب قال: مضيت فقدمت مصر وبها عبد العزيز بنُ مروان، فحضرتُ بابه مع الناس، فنُحِّيتُ عن مجلس الوُجوه، فكنتُ وراءهم، ورأيتُ

---

(١) نشدتك الله: سألتك بالله ألاّ تشهّرني في شعرك.

(٢) لأنهبنّه: لأبيحنّه لمن شاء نهباً.

(٣) الخيف: مبتدأ بطحاء مكة، ينظر يا قوت (٢/٤١٢).

رجُلاً جـاء على بغلةٍ حـسنَ الشَّارةِ سَهْلَ المدْخلِ، يُؤذَنُ له إذا جـاء. فلمّا انصـرف إلى منزلهِ انصرفتُ معه أماشي بلغته، فلما رآني قال: ألك حاجةٌ؟ قلت: نعم، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ، وقد مدحتُ الأمير وخرجتُ إليه راجياً معروفه، وقد ازدُريتُ فطُردْتُ من الباب ونُحِّيتُ عن الوجوه. قال: فأنشدني، فأنشدتُه. فأعجبه شعري، فقال: ويْحك! أهذا شِعْرُك؟ فإيَّاك أن تنْتحِلَ: فإنَّ الأميرَ راويةٌ عالمٌ بالشِّعْر وعنده رُواةٌ، فلا تفْضَحْني، ونفسك. فقلت: والله ما هو إلا شِعْري. فقال: ويْحك! فقُل أبياتاً تذكرُ فيها حوْفَ مصر وفضلها على غيرها، وأْلقني بها غداً. فغدوتُ عليه من غدٍ فأنشدْتُه قولي:

سـرى الهمُّ تثنيني إليكَ طلائعُـهْ ... بمصرَ وبالحوف اعترتْني روائعُهْ(١)

وباتَ وسـادي سـاعِدٌ قلَّ لحْمُـه ... عن العظْمِ حتى كاد تبْدو أشاجِعُهْ(٢)

قال: وذكرت فيها الغيْثَ فقلتُ:

وكم دونَ ذاك العارضِ البارقِ الذي ... له اشْـتقْتُ منْ وجْهٍ أسيلَ مدامعُهْ

تمشَّى بـه أفْناءُ بكْـرٍ ومـذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مـرابِعُهْ(٣)

فكـلُّ مسـيلٍ مـن تهامـةَ طيِّبٌ ... دميثُ الرُّبا تسْقي البحار دوافعُهْ(٤)

أعنِّي على برْقٍ أريكَ ومـيضـه ... تُضـيءُ دُجُنات الظَّلامِ لوامِعُـهْ

إذا اكْتحلتْ عيْنـا مُجِبٌّ بضـوْئـهِ ... تجافَتْ به حتّى الصَّباحَ مضاجِعُهْ

هنيئـاً لأمِّ البـخْتـريِّ الرُّوى بـه ... وإن أنْهَجَ الحبْلُ الذي أنا قـاطِعُهْ(٥)

ومـا زِلْتُ حـتّى قُلْتُ إنّي لخـالِعٌ ... ولائي منْ مـوْلى نمتْني قـوارِعُه

ومـانِحُ قـومٍ أنتَ منهمْ مـودّتي ... ومُتَّخِذٌ مـوْلاكَ مـوْلىً فـتـابِعُهْ

فقال: أنت والله شاعرٌ! احْضُرْ بالباب حتّى أذْكُرك للأمير. قال: فجلستُ على الباب ودخل، فما ظننْتُ أنه أمكنه أن يذْكُرني حتى دُعي بي. فدخلْتُ فسلَّمْتُ على عبد العزيز، فصعَّدَ فيَّ بصره وصوَّب، ثم قال: أنت شاعرٌ؟ ويْلَكَ! قلت: نَعَمْ، أيُّها الأميرُ. قال: فأنْشدني. فأنْشدتُه،

(١) الحوف بمصر: حوفان الشرقي والغربي وهما متَّصلان: أول الشرقي من جهة الشام، وآخر الغربي قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة، وحوف رمسيس موضع آخر بمصر.

(٢) الأشاجع: أصول الأصابع.

(٣) تمشّى: أصله تتمشّى حُذفتْ إحدى تاءيه، والأفناء: الأخلاط.

(٤) البحار: المدن والقرى والأراضي الواسعة.

(٥) الرُّوى: الماء الكثير، ودميث السهل الليِّن من الأرض.

فأعْجبهَ شِعْري. وجاء الحاجبُ فقال: أيُّها الأميرُ، هذا أيْمَنُ بن خُرَيْم الأسديَ بالباب، قال: ائذن له، فدخل فاطمأنَ. فقال له الأميرُ: يا أيمن بن خُرَيم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إليَّ فقال: والله لنعمَ الغادي في أثر المخاضُ(١)، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار. قال: فإنَّ له شِعْراً وفصاحة. فقال لي أيْمَنُ: أتقول الشعر؟ قلت: نعم. قال: قيمته ثلاثون ديناراً. قال: يا أيمن، أرْفَعهُ وتخفضهُ أنتَ! قال: لكونه أحْمقَ أيُّها الأميرُ! ما لهذا وللشِّعْر! أمثْلُ هذا يقولُ الشِّعْرَ! أو يُحْسِن شعْراً! فقال: أنشدْه يا نُصَيبُ، فأنشدتُه. فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمنُ؟ قال: شِعْرُ أسْوَدَ، هو أشعر أهل جلْدته. قال: هو والله أشْعرُ منك، قال: أمنِّي أيُّها الأميرُ؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيُّها الأميرُ، إنك لمَلُولٌ طرفٌ. قال: كذبتَ والله ما أنا كذلك! ولو كنتُ كذلك ما صبرْتُ عليك. (٣٢٦/١)

(٨)

أخبرني الحرميَ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريَ عن عبد الله بن عمرانَ بن أبي فرْوة قال: أوَّلُ مَنْ نوَّه باسم نُصيبَ وقدمَ به على عبد العزيز بن مرْوان عبدُ الله بنُ أبي فرْوة، قدمَ به عليه وهو وصيفٌ حين بلغ وأوّل ما قال الشِّعْرَ. قال: أصلَحَ اللهُ الأمير! جئتُك بوصيفٍ نوبيٍّ يقول الشعر ـ وكان نُصيب ابنَ نوبيَّيْنِ ـ فأدخله عليه، فأعجبه شعرهُ، وكان معه أيْمنُ بن خُرَيم الأسديَ، فقال عبدُ العزيز: إذا دعوتُ بالغداء فأدْخلوه عليَّ في جُبَّة صوفٍ مُحتزماً بعقالٍ، فإذا قلْتُ قوِّموه فقوِّموه وأخرجوهُ وردُّوه عليَّ في جُبَّة وشْيٍ ورداءِ وشْيٍ. فلما جلس للغداء ومعه أيمنُ بنُ خريم أدْخلَ نصيبٌ في جُبَّة صوفٍ محتزماً بعقالٍ، فقال: قوِّموا هذا الغلام. فقالوا: عشرةٌ، عشرون، ثلاثون ديناراً. فقال: ردُّوه، فأخْرجُوه ثم ردُّوه في جُبَّة وشْيٍ ورداءِ وشْيٍ. فقال: أنْشِدْنا فأنشدهم. فقال: قوِّموه، قالوا: ألفُ دينارٍ فقال أيمن: والله ما كان قطُّ أقلَّ في عيْني منه الآن، وإنه لنِعْمَ راعي المخاض. فقال له: فكيف شِعْرُه؟ قال: هو أشعرُ أهلِ جلْدته. فقال له عبد العزيز: هو والله أشعرُ منك. قال: أمنِّي أيّها الأمير؟ قال نعم. فقال أيمنُ: إنك لمَلُولٌ طَرِفٌ. فقال له: والله ما أنا بملول وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا تضع يدك حيثُ أضعُها وتلتقي يدُك مع يدي على مائدة، كلُّ ذلك أحتملك! ـ وكان بأيمن بياضٌ ـ فقال له أيمنُ: ائذن لي أن أخْرُجَ إلى بِشْرٍ. فأذن له فخرج(٢). (٣٣٠/١)

---

(١) المخاض: الحوامل من النوق، يريد: لنعم هذا العبد راعياً للإبل.

(٢) كان الشعر الوسيلة الوحيدة بيد الشاعر كي يعتق نفسه، وأهله ويدخل قبل هذا، على الأمير ليسهّل له ما أراد، ولولا الشعر لظلّ نصيب واحداً من الناس، يروح ويغدو بلا ذكر أو شهرة، لقد أنقذه الشعر ممّا هو =

(٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: يقال: إن نُصيباً أضلّ إبلاً له فخرج في بُغائها فلم يُصبْها خاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبد العزيز بن مرْوان فمدحه وذكر له قصّته؛ فأخلف عليه ما ضلّ لمواليه وابتاعه وأعْتقه. (٣٣١/١)

(١٠)

حدثّنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الخليلُ بن أسد قال حدّثنا عبدُ الله بن صالح بن مسلم قال حدّثنا كُليب بن إسماعيل موْلى بني أميّةَ وكان حدُثاً (أي حسن الحديث) قال: بلغني أن نصيباً كان حبشياً يرعى إبلاً لمواليه، فأضلّ منها بعيراً، فخرج في طلبه حتى أتى الفُسْطاط، وبه إذ ذاك عبدُ العزيز بنُ مروان، وهو وليُّ(عهد) عبد الملك بن مرْوان، فقال نُصيبٌ: ما بعد عبد العزيز واحدٌ اعتمدهُ لحاجتي فأتى الحاجب فقال: استأذنْ لي على الأمير، فإني قد هيأْتُ له مديحاً. فدخل الحاجبُ فقال: أصلح الله الأمير! بالباب رجلٌ أسودُ يستأذن عليك بمديح قد هيأهُ لك فظنّ عبدُ العزيز أنه ممن يُهْزأ به ويُضْحِكُهم، فقال: مُرْه بالحضور ليومِ حاجتنا إليه. فغدا نُصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر وأتاه آتٍ من عبد الملك فسرّه، فأمر بالسِّرير فأبرِزَ للناس، وقال: عليَّ بالأسود، وهو يريد أن يُضْحِك منه الناس. فدخل، فلما كان حيثُ يُسْمع كلامُه، قال:

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نِعَمٌ غامِرَهْ
فبابُكَ ألينُ أبوابهم ودارُك مأهولةٌ عامِرهْ(١)
وكلبُك آنسُ بالمُعْتفينَ من الأمِّ بالإبنة الزائرهْ(٢)
وكفُّك حينَ ترى السائليـ ن أندى من اللّيلة الماطرهْ
فمنك العطاءُ ومنّي الثّناءُ بكلِّ مُحبَّرةٍ سائرهْ(٣)

فقال: أعْطُوه أعْطُوه فقال: أنّي مملوكٌ. فدعا الحاجبَ فقال: اخرُجْ فابْلُغْ في قيمته؛ فدعا المقوّمين فقال: قوِّمُوا غلاماً أسودَ ليس به عيْبٌ. قالوا: مائةُ دينارٍ. قال: إنه راعٍ للإبل يُبْصرها

= فيه، وجعله من شعراء العصر الأموي المرموقين.

(١) بابك ألينُ أبوابهم: أي إنّ الدخول عليه سهل.

(٢) المعتفون: الطالبون أو القادمون.

(٣) المحبّرة: هي القصيدة التي أجيد صنعها.

ويُحْسِن القيامَ عليها. قالوا: حينئذ مائتا دينار. قال: إنه يبْري القسيَّ ويُثقِّفُها ويرْمي النَّبْلَ ويريشُها. قالوا: أربعمائة دينار. قال: إنه روايةٌ للشِّعْر بصيرٌ به. قالوا: ستُّمائة دينار. قال: إنه شاعرٌ لا يلْحَقُ حِذْقاً قالوا: ألفُ دينار. قال عبد العزيز: ادفعُوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! ثمن بعيري الذي أضللتُ. قال: وكم ثمنُه؟ قال: خمسةٌ وعشرون ديناراً. قال: ادفعُوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! جائزتي لنفْسي عن مديحي إيّاكَ. قال: اشتر نفسك ثم عُدْ إلينا. فأتى الكوفة وبها بِشْرُ بنُ مَرْوانَ، فاستأذنَ عليه فاستصعبَ الدخولَ إليه. وخرج بِشْرُ بنُ مروان متنزِّهاً فعارضه، فلما ناكَبَه (أي صار حذاء منكبه) ناداه:

يا بشرُ يابنَ الجعفريَّةِ ما   خلَقَ الإلهُ يديْك للبُخْلِ
جاءتْ به عُجُزٌ مُقابلةٌ   ما هُنَّ من جَرْمٍ ولا عُكْلِ(١)

قال: فأمر له بِشْرٌ بعشْرةِ آلاف دِرْهمٍ.   (٣٣٢/١)

(١١)

أخبرني الحرميُّ قال حدّثنا (الزُّبيري، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال حدّثنا الزُّبير) قال حدّثنا محمد بن إسماعيل الجعْفريّ قال: دخل النُّصيبُ على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدقُ، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سيُنْشِدُه مديحاً له، فأنشده قوله يفتخر:

وركْبٍ كأنَّ الريحَ تطلبُ عندهمْ   لها ترةً من جذْبها بالعصائبِ(٢)
سروْا يركبُون الريح وهي تلُفُّهم   على شُعَبِ الأكْوارِ من كلِّ جانبِ(٣)
إذا استوْضَحُوا ناراً يقولون ليتها   وقد خَصِرتْ أيديهمُ نارُ غالبِ(٤)

قال: وعمامتُه على رأسه مثلُ المِنْسَفِ(٥)؛ فغاظ سليمان وكلح(٦) في وجهه، وقال لنُصيب: قُمْ فأنشِدْ مولاك ويلْك! فقام نُصيب فأنشده قوله:

أقولُ لركْبٍ صادرينَ لقيتُهم   قفاذاتِ أوْشالٍ ومولاك قاربُ(٧)

---

(١) عُجُز: جمع عجوز، يريد بهنّ أمهاته وجدّاته، ومقابلة: الكريمة النسب من قبل أبويها.

(٢) الترة: الثأر، والعصائب: العمائم.   (٣) شُعب الأكوار: نواحيها، والكور: رحل البعير.

(٤) خصرت: بردت، ونار غالب: نار أبيه غالب.   (٥) المنسف: الغربال الكبير.

(٦) كلح: عبس.   (٧) قفاذات أوشال: وراءها، والأوشال جمع وَشَل وهو الماء القليل. وقارب: طالب الماء ليلاً.

قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنَّني ... لمعروفِه من أهلِ ودَّانَ طالبُ
فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثْنَتْ عليكَ الحقائبُ
وقالوا عهِدْناهُ وكلُّ عشيَّةٍ ... بأبوابه من طالبِ العُرْفِ راكبُ(١)
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حولَه ... ولا تُشْبِهُ البَدْرَ المضيءَ الكواكبُ

فقال له سليمان: أحسنتَ والله يا نُصيبُ! وأمر له بجائزة ولم يصنَعْ ذلك بالفرزدق. فقال الفرزدقُ وقد خرج من عنده:

وخيرُ الشِّعْرِ أكرمُه رجالاً ... وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ (٣٣٦/١)

(١٢)

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيوبُ بن عباية قال: بلغني أنَّ النُّصيبَ كان إذا قدِمَ على هشام بن عبد الملك أخْلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أميَّة، فإذا أنشده بكى وبكى معه فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها يقول فيها:

إذا استبقَ الناسُ العُلا سبقْتَهُم ... يمينُك عفواً ثم صلَّتْ شِمالُها

فقال له هشامٌ: يا أسْودُ، بلغت غايةَ المدح فسلْني. فقال: يدُك بالعطيَّة أجودُ وأبسطُ من لساني بمسئلتك. فقال: هذا والله أحسنُ من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته. (٣٣٦/١)

(١٣)

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهْريّ قال: حدّثني نُصيبٌ قال: دخلْتُ على عبد العزيز بن مروان، فقال: أنشدني قولك:

إذا لم يكنْ بينَ الخليليْنِ ردَّةٌ ... سوى ذكر شيء قد مضى درس الذِّكْرُ(٢)

فقلتُ: ليس هذا لي، هذا لأبي صخْرٍ الهُذليّ، ولكنِّي الذي أقول:

وقفتُ بذي دوْران أنْشُدُ ناقتي ... وما إنْ بها لي مِنْ قَلُوصٍ ولا بكْرِ(٣)

فقال لي عبدُ العزيز: لك جائزةٌ على صِدقِ حديثك، وجائزةٌ على شعرك؛ فأعطاني على صدق حديثي ألفَ دينارٍ، وعلى شِعْري ألفَ دينار. (٣٤٢/١)

---

(٢) العُرف: المعروف.

(٣) ردّة: بقية.

(٣) ذو دَوران: موضع بين قديد والجحفة.

(١٤)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النّطّاح قال حدّثني أبو اليقْظان عن جُوَيْرِيةَ بنِ أسماء قال: أتى النُّصيبُ عبدَ الله بن جعفرٍ فحمله وأعطاه وكساه. فقال له قائل: يا أبا جعفر، أعْطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا! فقال: والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءه لأبيضُ، وإنّ شعْره لعربيّ، ولقد استحقّ بما قال أكثر مما نال. وما ذاك! إنما هي رواحلُ تُنْضى، وثيابٌ تبلى، ودارهمُ تَفْنى، وثناءٌ يبْقى، ومدائحُ تُرْوى![1] (٣٤٣/١)

(١٥)

قال أيُّوب: وكانت بملل[2] امرأةٌ ينزل بها الناس، فنزل بها أبو عُبيدةَ بنُ عبد الله بنِ زمْعةَ وعِمْرانُ بن عبد الله بن مُطيع ونُصيب. فلمّا رحلوا وهب لها القُرشيّانِ ولم يكن مع نُصيب شيءٌ، فقال لها: اختاري إن شئت أن أضمن لك مثلَ ما أعطياك إذا قدمْتُ وإن شئت قلتُ فيك أبياتاً تنفعُك. قالت: بل الشِّعْرُ أحبُّ إليّ. فقال:

ألا حيِّ قبلَ البيْن أمّ حبيبِ ... وإن لم تكنْ منّا غداً بقريبِ
لئن لم يكن حُبِّيك حبّاً صَدَقْتُه ... فما أحدٌ عندي إذا بحبيب
تهامِ أصابتْ قلبه ملَلِيّةٌ ... غريبُ الهوى يا ويْح كلّ غريب[3]

فشهرَها بذلك، فأصابتْ بقوله ذلك فيها خيراً. (٣٤٦/١)

(١٦)

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ أبو دُلف قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال: كان نُصَيْبٌ يُكْنَى أبا الحجْناء، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال:

رأيتُ أبا الحجْناءِ في الناس حائراً ... ولونُ أبي الحجْناءِ لونُ البهائم
تراه على ما لاحه من سوادِه ... وإن كان مظلوماً لَهُ وجهُ ظالم

فقيل لنصيب: ألا تُجيبُه! فقال: لا، ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأجبتُه، ولكن الله أوصلني بهذا

---

(١) هذا يذكرّنا بموقف عمر رضي الله عنه من ابن زهير، وموقف إياس بن الحطيئة (النص ٤٤)، فلقد ذهب المال، وبقي الشعر خالداً يُروى، ويذكّر بالمجد القديم.

(٢) ملل: موضع في طرق مكة بين الحرمين، ياقوت (١٩٤/٥). (٣) تهامِ: نسبة إلى تهامة.

الشعر إلى خير، فجعلتُ على نفسي ألاّ أقوله في شر، وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق. أفلا أنشِدُكم ما وصفتُ به نفسي؟ قالوا بلى. فأنشدهم قوله:

ليس السوادُ بناة حصي مادام لي ... هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ
مَنْ كان ترفَعُه منابتُ أصلِه ... فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ منابتي
كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانه ... ماضي الجنان وبين أبيضَ صامتِ
إنـي ليحْسُدني الرفيعُ بناؤه ... من فضل ذاك وليس بي مِنْ شامِتِ

ويُروى مكان «من فضل ذاك»، «فضل البيان» وهو أجود(١). (٣٥٢/١)

(١٧)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد عن أبيه قال حدّثتُ عن السَّنُوسي قال: وقف نصيبٌ على أبيات فاستَسْقى ماءً. فخرجتْ إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسقَتْه، وقالت: شبِّبْ بي. فقال: وما اسمُكِ؟ فقالت: هندٌ. ونظر إلى جبلٍ وقال: ما اسمُ هذا العلم؟ قالت: قناً. فأنشأ يقول:

أحِبُّ قناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ ... أبالي أقُرْباً زاده الله أم بُعْدا
ألا إنَّ بالقيعان من بطن ذي قناً ... لنا حاجةً مالتْ إليه بنا عمْدا
أروني قناً أنظرْ إليه فإنّني ... أحِبُّ قناً إنّي رأيُ به هِنْدا

قال: فشاعتْ هذه الأبياتُ، وخُطبت هذه الجاريةُ من أجلها، وأصابتْ بقول نُصيب فيها خيراً كثيرا. (٣٥٣/١)

(١٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسديّ أسد قريش قال:

قال ابن أبي عتيق لنُصيب: إنِّي خارج، أفترسلُ إلى سُعْدى بشيء؟ قال: نعم، بيتَيْ شعر. قال: قل؛ فقال:

أتصبِرُ عن سُعْدى وأنت صَبُورُ ... وأنت بحُسْنِ الصبر منك جديرُ
وكدتُ ولم أُخلَق من الطير إن بدا ... سنى بارقٍ نحو الحجاز أطيرُ

---

(١) يعلم نصيب علم اليقين أنّه لم يكن يصل إلى ما وصل إليه لولا الشعر، ولذلك آثر أن لا يدخله في مضايق هو في غنى عنها، ونراه يحتكم إلى العقل في جوابه، فلم يوصف إلاّ بأنه أسود، وقد كان كذلك، ولكنّ هذا السواد لم يمنعه من أن يكون شاعراً مجيداً.

قال: فانشد ابن أبي عتيق سُعْدى البيتين، فتنفَّسَتْ تنفُّسَةً شديدةً. فقال ابنُ أبي عتيق: أوَّهْ! أجبْته والله بأجودَ من شعره، ولو سمعك خليلُك لنعق وطار إليك. (٣٦٤/١)

(١٩)

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الكاتبُ قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ عن المُسيَّبيّ قال: قال أبو النَّجم: أتيتُ الحكم بن المُطَّلب فمدحتُه، وخرج إلى السِّعاية(١) فخرجنا معه ومعه عدّةٌ من الشعراء. فبينا هو مع أصحابِه يوماً واقفٌ، إذا براكبٍ يُوضع(٢) في السَّراب وإذا هو نُصيب، فتقدّم إليه فمدحه فأمر بإنزاله، فمكث أياماً حتى أتاه فقال: إنِّي قد خلَّفْتُ صِبْيَةً صِغارا وعيالا ضعافاً. فقال له: ادخلُ الحظيرة(٣) فخُذْ منها سبعين فريضةً. فقال له: جعلني الله فداك قد أحسنت! ومعي ابنٌ لي أخاف أن يثْلِمها(٤) عليّ. قال: فادخُلْ فخذ له سبعين فريضة أخرى! فانصرف بمائة وأربعين فريضة. (٣٦٥/١)

(٢٠)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: دخل نُصيبْ على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يوم، فأنشده قصيدة امتدحه بها، فطرب لها يزيدُ واستحسنها، فقال له: أحسنت يا نصيب! سلْني ماشئت. فقال: يدُك يا أميرَ المؤمنين بالعطاء أبْسَطُ من لساني بالمسألة! فأمر به فمُلئ فمُه جوْهراً، فلم يزلْ به غنياً حتى مات. (٣٧٠/١)

(٢١)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غُزيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: دخل نُصيبُ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة، فأنشده قوله:

يابنَ الهِشاميْن لا بيْتٌ كبيتِهما إذا تسامَتْ إلى أحسابها مُضَرُ(٥)

فقال له إبراهيم: قم يا أبا مِحْجَن إلى تلك الراحلة المرْحولة فخُذْها برحْلِها. فقام إليها نُصيب متباطئاً والناس يقولون: ما رأينا عطيّةً أهْنأ من هذه ولا أكرم ولا أعْجَل ولا أجْزل.

---

(١) السِّعاية: مباشرة عمل الصدقات. (٢) يوضع: يسرع في سير.

(٣) الحظيرة: ما أحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب.

(٤) يثلمها: يأخذ منا فينقصها.

(٥) يريد بالهشامين هشام عبد الملك بن مراون أباه، وهشام بن اسماعيل المخزومي جدَ أبيه لأمّه.

فسمعهم نُصيب فأقبل عليهم وقال: والله إنكم قلّما صاحبتُم الكرام! وما راحلةٌ ورحْلٌ حتى ترْفَعُوهما فوق قدْرِهما! (٣٧١/١)

(٢٢)

قال: وبلغ إبراهيم بنَ هشام قوله: (حكم الخُضْريّ) في نساء بني مُرّة إذ يقول: «وما حملتْ إلاّ لألأم مَنْ مَشَى». فغضب ثمّ نذر دمه؛ فهرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها. (٣٠١/٢)

(٢٣)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز المُرّيّ ثم الصارديّ عن أبيه: قال جلال: وقد رأيتُ ابنَ ميّادة في بيت أبي، قال: قال لي ابنُ ميّادة وصلتُ أنا والشعراءُ إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة. وكان مولًى من موالي خرشة يقال له شُقْران يعيب ابنَ ميادة ويحسُده على مكانه من الوليد، فلما اجتمعت الشعراءُ قال الوليد بن يزيد لشُقْران: يا شُقْران، ما علِمُك في ابن ميّادة؟ قال علمي فيه يا أميرَ المؤمنين أنّه:

لئيمٌ يُباري فيه أبْردُ نَهْبلاً لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلِّ جانبِ(١)

فقال الوليد: يابن ميّادة، ما عِلْمُك في شُقْران؟ قال: عِلْمي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خرشة كاتبتْه على أربعين درهما ووعدها ـ أو قال: وعدتْه ـ أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبضَتْه إيّاها، فأغنه عنّي يا أمير المؤمنين، فليس له أصلٌ فأحتفره، ولا فرْعٌ فأهتصره؛ فقال له الوليد: اجْتنبْه يا شُقران فقد أبلغ إليك في الشّتيمة، فقصر شُقْرانُ صاغراً، ثمَّ أنشدته، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري، وأمر لي بمائة لقْحةٍ وفحْلها وراعيها وجاريةٍ بكْرٍ وفرسٍ عتيق، فاخْتلتُ ذلك اليوم وقلتُ:

أعْطيتني مائة صُفْرا مدامعها كالنخل زيَّنَ أعلى نبْته الشُّربُ(٢)
يسُوقُها يافع جعْـدٌ مفارقُـهُ مثْلُ الغرابَ غذاه الصرُّ والحلبُ(٣)
وذا سـبيبٍ صُهَيبياً لـه عُرُفٌ وهامةٌ ذاتُ فرقٍ نابُها صَخِبُ(٤) (٣٠٢/٢)

---

(١) أبرد: اسم والد ابن ميّادة، ونهبل: عبد كان تزوج ميادة قبل أبرد، ينظر شعر ابن ميادة، ص ٢٥.

(٢) مدامعها: مآقيها وهي أطراف العين، ولعلّ مسايل الدمع من الناقة تصفرّ إذا رعت الصُّفْرية وهو نبات. والشّرب: جمع شربة، وهي ما يُحفر حول النخلة أو الشجرة كالحوض ويملأ ماء فتتروى منه.

(٣) الصرّ: من الصرار وهو خيط يُشدّ فوق الخِلْف لئلا يرضعها ولدها. (٤) السبيب: هنا شعر الذنب =

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدّثني ابن ميّادة قال: قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين - وهو موضع كان الوليد ينْزله في الربيع -:

لعمْــــرك إنـــي نـــازلٌ بأبـايـنٍ   لصوْعر مشتـاقٌ وإن كنتُ مُكْرَماً(١)
أبيتُ كـأنّي أرمــدُ العين ســاهرٌ   إذا باتَ أصحـابي من الليل نُوَّمـا

قال: فقال لي الوليد: يابن ميّادة كأنّك غرَضْتَ(٢) من قُربنا؛ فقلت: ما مثلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه، ولكن:

ألا ليت شـعـري هل أبيتنّ ليلـةً   بحـرّة ليلى حـيث ربّتني أهلـيُ(٣)
وهل أسمعنّ الدهر أصوات هجْمةٍ   تطالعُ من هجْلٍ خصيبٍ إلى هجْلُ(٤)
بلادٌ بهـا نيطـتْ عليَّ تمـائمي   وقُطِّعْنَ عنّي حينَ أدركني عـقْلي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابسي   فأيْسِرْ عليَّ الرزق واجمع إذاً شمْلي

فقال: كم الهجْمة؟ قلت: مائة ناقة؛ فقال: قد صدَرْتَ بها كلُّها عُشَراء(٥). قال ابن ميّادة: فذكرت ولدانا لي بنجْد إذا استطعموا الله عزّوجل أطعمهم وأنا، وإذا استسقوْه سقاهم الله وأنا، وإذا استكسوْه كساهم الله وأنا، فقال: يابن ميّادة، وكم ولدانُك؟ فقلت: سبعة عشر، منهم عشرةُ نفرٍ وسبعُ نسوة، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي؛ فقال: يابن ميّادة، قد أطعمهم الله وأميرُ المؤمنين، وسقاهم الله وأمير المؤمنين، وكساهم الله وأمير المؤمنين؛ أمّا النساء فأربع حُللٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا الرجال فثلاثُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا السُّقْي فلا أرى مائة لقحة إلا ستُرويهم، فإن لم تُروِهم زِدتهم عينين من الحجاز؛ قلتُ: يا أمير المؤمنين، لسنا بأصحاب عيون

= والناصية، والأصهب من الإبل: الذي ليس بشديد البياض، وعرف الفرس: منبت الشعر من عنقها، وفرق الرأس ما بين الجبين إلى دائرة الرأس.

(١) صوعر: ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة.

(٢) غرضت: ضجرت ومللت.

(٣) حرّة ليلى: والحرة أرض ذات حجارة سود، وفي ديار العرب حرّات كثيرة، وأكثرها حوالي المدينة إلى الشام، ومنها حرّة ليلى هذه، وهي في ديار بني مرّة بن عوف من غطفان، يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة، وربّتني: فعل رباعي، يقال ربّت الصبي تربيتاً أي ربّاه تربية.

(٤) الهجمة: القطعة من الإبل، قيل أولها الأربعون فما زادت. والهجل: المطمئن من الأرض.

(٥) العشراء: الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار.

يأكلُنا بها البعُوض، وتأخذُنا بها الحُمّياتُ؛ قال: فقد أخلفها الله عليك؛ كلُّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العام: مائة لقِحة وفحلُها وجارية بكْر وفرس عتيق. (٣٠٩/٢)

(٢٥)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبي قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني رجلٌ من كلْب وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال: أمر الوليد بن يزيد لابن ميّادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهي الغرائب، وأن يُمسكوا التّلادُ(١)؛ فقال ابن ميّادة:

ألم يبلُغْكَ أنَّ الحيَّ كلباً أرادوا في عطيّتك ارتدادا
وقالوا إنّها صُهبٌ ووُرْقٌ وقد أعطيتها دُهْماً جِعاداً(٢)

فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد فيُغْضِبُه، فقالوا له: انطلق فخذها صُفْرا جِعادا. (٣١٢/٢)

(٢٦)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السّعْديّ: أنّ الوليد بن عبد الملك قدم مكّة، فأراد أن يأتي الطائفَ، فقال: هل من رجل عالم يُخْبرني عنها؟ فقالوا: عُمرُ بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد نسأل، فذكروه فأباه، ثم عاد فذكروه فقال: هاتوه؛ وركب معه فجعل يُحدّثه، وكان قد حمل الغريض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاته، فدعا به فقال: أسمِعْ أمير المؤمنين أحسن شيء قلته؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر

إني لأحفظُ سِرّكم ويسُرُّني لو تعلمين بصالح أن تُذْكري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَلاً أو نلتقي فيه عليّ كأشهُرِ
يا ليتني ألقى المنيّة بغتةً إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
ما كنتِ والوعدَ الذي تعدينني إلا كبرقِ سحابةٍ لم تمطُرِ
تُقْضى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

---

(١) التّلاد: مال قديم ولد أو نتج.

(٢) الصهب: جمع أصهب أو صهباء، والصهبة من الإبل: أن يكون في ظاهر الشعر حمرة وفي أصوله اسوداد، والورق: جمع أورق أو ورقاء، والورقة: سواد في غبرة وقيل: سواد في بياض، والدُّهم: جمع أدهم أو دهماء والدهمة: السواد، والجعاد: جمع جعدة من الجعودة وهي في الإبل التواء وبرها وتقبُّضه.

قال: فاشتدّ سرور الوليد بذلك وقال له: يا عمر هذه رُقْيتُكُ(١)، ووصله وكساه وقضى حوائجه. (٢/٣٩٥)

(٢٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيمُ بن المُنْذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال: سمعت أن عبد الله بن جعْفر بن أبي طالب قال لمعلِّم ولده: لا تُروِّهم قصيدةَ عُرْوةَ بنِ الورْد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسْعى فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهُم الفقيرُ

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم. (٣/٧٥)

(٢٨)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوبُ بن نُعيم قال حدّثنا أحمد بن عُبيدٍ أبو عصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزِّيادي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمرُ بن شبّة ولم يُسنده إلى أحد وروايتُه أتمّ: أنّ عبد الملك بن مرْوان لما قدمَ الكوفةَ بعد قتله مُصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب - وقال عُمر بن شبة: إنّ مصعبَ بن الزبير كان صاحب هذه القصّة - فقام معْبدُ بن خالد الجدليّ، وكان قصيراً دميماً، فتقدّمه إليه رجل منا حسنُ الهيئة؛ قال معبدٌ: فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنتَ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا، فقلتُ من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان عدْوانياً؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال: لم سُمّيَ ذا الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشتْه حيّةٌ في إصبعه فيبستْ؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبم كان يسمّى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمّى حُرْثان؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّ عَدْوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمّا بنو ناجٍ فلا تذْكُرنْهُمْ ولا تُتْبِعَنْ عينيك ما كان هالكا
إذا قُلتُ معروفاً لأصلحَ بينهم يقولُ وُهيبٌ لا أُسالمُ ذلكا

---

(١) ما يزال مستمعو الشعر الجيّد يصفونه بالرُّقية، والتعويذة، والتعويذة، كأنّهم يجعلون له أثراً في النفس يشبه ذلك الأثر الذي يحدثه السِّحر وطلاسمه في الإنسان.

وروى عمر بن شبة: لا أسلم.

فأضحى كظهر الفحل جُبَّ سنامُه   يدبُّ إلى الأعـــداء أحدبَ باركا(١)

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله: عذير الحيِّ من عدوان

قال الرجل: لستُ أَرْويها؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتُك؛ قال: ادْنُ منّي، فإني أراكَ بقومك عالماً؛ فأنشدتُه:

وليس المرءُ في شيءٍ   من الإبرام والنقض
إذا أبرم أمراً خا   له يقْضي وما يقْضي
يقولُ اليومَ أمضيه   ولا يملِكُ ما يُمْضي
عذيرَ الحيِّ من عدوا   ن كانوا حيّة الأرض(٢)
بغى بعضُهُم بعضاً   فلم يُبْقُوا على بعض
فقد صاروا أحاديث   برفع القول والخفض(٣)
ومنهم كانت السادا   ت والموفونَ بالقرض
ومنهم حكمٌ يقضي   فلا يُنقضُ ما يقضي
ومنهم من يُجيزُ النا   سَ بالسُّنَّة والفرض
وهم مَنْ ولدوا أشْبَوْا   بسرِّ الحسب المحْض(٤)
وممَّنْ ولدوا عامِـ   ـرُ ذو الطول وذو العرض
وهم بوّوا ثقيفاً دا   رَ لا ذُلٌّ ولا خفض(٥)

فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل عليَّ فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا؛ فانصرفتُ بها. (٩١/٣)

(٢٩)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريُّ عن العُتْبيِّ قال: جرى بين عبد الله بن

---

(١) جُبَّ: قُطع.

(٢) حيّة الأرض: تقول العرب للرجل المنيع الجانب: حيّة الأرض، ينظر ثمار القلوب للثعالبي، ص ٥١٧.

(٣) صاروا أحاديث: أي انتشر ذكرهم وكثر الحديث عنهم.

(٤) أشبوا: أشبى فلان إذا ولد له ولدٌ كيّس.   (٥) بوّوا: أنزلوا.

الزّبير وعُتْبة بن أبي سُفيان لحاءٌ(1) بين يدي معاوية، فجعل ابن الزُّبير يعدلُ بكلامه عن عُتبةَ ويُعرِّضُ بمعاويةَ، حتى أطال وأكثر (من ذلك)، فالتفت إليه معاويةُ متمثِّلاً وقال:

ورامٍ بعُوران الكلام كأنها ... نوافِرُ صُبحٍ نفَّرتْها المراتِعُ(2)
وقد يدْحضُ المرءُ المُوارِبُ بالخنا ... وقد تُدرك المرءَ الكريمَ المصانِعُ(3)

ثم قال لابن الزُّبير: مَنْ يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أترْويه؟ قال: لا؛ فقال: مَنْ هاهنا يروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرْويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله:

وساعٍ برجليه لآخر قاعدٍ ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسارٍ ومانِعُ
وبانٍ لأحساب الكرام وهادِمٌ ... وخافضُ مولاه سفاهاً ورافِعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوب وقد بدت ... له عَورةٌ من ذي القرابة ضاجِعُ
وطالب حُوبٍ باللسان وقلبُه ... سوى الحقِّ لا تخفى عليه الشرائعُ(4)

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبة. (٣/١٠٠)

(٢٠)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال: مدح بشّارٌ سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحرّان وخرج إليه فأنشده قوله فيه:

نأتْكَ على طُول التجاورُ زينبُ ... وما شعرتْ أن النَّوى سوف تشعبُ(5)
يرى الناسُ ما تَلْقى بزينب إذ نأت ... عجيباً وما تُخْفي بزينبَ أعجبُ
وقائلةٍ لي حين جدَّ رحيلنا ... وأجفانُ عينيها تجودُ وتسكُبُ
أغادٍ إلى حرّان في غير شيعة ... وذلك شأوٌ عن هواها مُغرَّبُ(6)
فقلتُ لها كلّفتني طلب الغنى ... وليس وراء ابنِ الخليفة مذهبُ

---

(١) اللحاء: المنازعة.

(٢) عوران الكلام: ما تنفيه الأذن، الواحدة عوراء، والنوافر: الدوّاب الفزعة المتباعدة عن المراعي.

(٣) يدحض: يزلق ويزلّ، والموارب: المخادع والمخاتل.

(٤) الحوب: الإثم، وسوى الحقّ: وسطه، يعني أنّ قلبه ملازم الحقّ.

(٥) تشعب: تفرّقُ. (٦) شيعة: جماعة، ومغرّب: بعيد.

سيكفي فتىً من سعيه حدُّ سيفه وكُورٌ علافيٌّ. ووجناء ذعْلبُ(١)
إذا استوغرتْ دارٌ عليه رمى بها بنات الصُّوى منها ركوبٌ ومُصْعَبُ(٢)
فعُدَّى إلى يوم ارتحلتُ وسائلي بزَوْرك والرُّحَّال من جاء يضربُ
لعلك أن تَسْتَيْقني أن زورتي سليمان من سير الهواجر تُعقِبُ
أغرُّ هشاميُّ القناة إذا انتمى نمتْه بدورٌ ليس فيهنّ كوكبُ
وما قصدت يوماً مخيلين خيلُه فتَصْرِفُ إلاّ عن دماء تصببُ

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال:

إن أمسِ مُنْقبِضَ اليدين عن النّدى وعن العدوّ مُخيَّس الشيطانِ(٣)
فلقد أروحُ عن اللئام مُسلَّطاً ثَلِجَ المقيل مُنعَّمَ النُّدْمانِ(٤)
في ظلّ عيش عشيرةٍ محمودةٍ تَنْدى يدي ويُخافُ فرطُ لساني
أزمانَ جِنّيُّ الشباب مُطاوعٌ وإذ الأميرُ عليَّ من حرّانِ
ريمٌ بأحْويةِ العراق إذا بدا برقتْ عليه أكلّةُ المرْجانِ(٥)
فاكحلْ بعَبْدةَ مُقْلتيك من القذى وبوشْك رؤيتها من الهملانِ
فلقُرْبُ مَنْ تهوى وأنتَ متيّمٌ أشفى لدائك من بني مروانِ

فلما رجع إلى العراق برّه ابنُ هُبيْرة ووصله، وكان يُعظِّم بشّاراً ويُقدّمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولةُ أهلِ خُراسان عَظُم شأنُه. (٢١٧/٣)

(٣١)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ: أن بشّاراً وفد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله:

يخاف المنايا أن ترحّلت صاحبي كأن المنايا في المُقامِ تُناسبُهْ(٦)

---

(١) الكور: الرّحل، والعلافي: نسبة إلى عِلاف بن طوار لأنّه أوّل مَنْ عملها، والوجناء: عظيمة الوجنتين صلبة قوية، وذعلب: سريعة.

(٢) استوغرت: حميت والمراد هنا ضاقت عليه، والصوى: جمع صوّة وهي حجارة مجموعة تجعل علماً يُهتدى بها في المفازة، وبناتها: صغارها، والركوب: المذلّل بالركوب، والمصعَب: ما لم يركب ولم يمَس من الإبل.

(٣) مخيّس: مذلّل. (٤) ثلج المقيل: بارده.

(٥) أحوية: جمع حِواء وهي جماعة البيوت المتدانية.

(٦) تناسبه: تكون له ذات نسب فهي لا تضرُّه.

فـقلتُ له إنّ العـراق مـقـامـه	وخـيمٌ إذا هبّت عليـك جنائبُـهْ(١)
لألقى بني عـيـلان إنّ فـعـالهم	تزيد على كـلّ الفـعـال مـراتبُهْ(٢)
أولاك الأُلى شقّوا العمى بسيوفهم	عن العين حتّى أبصـر الحقّ طالبُهْ(٣)
وجيشٍ كجُنح الليل يزحف بالحصا	وبالشـوك والخَطّيّ حُمراً ثعالبُـهْ(٤)
غدونا له والشّمسُ في خِدرِ أمّها	تُطـالعنا والطّلُّ لـم يجرِ ذائبُـهْ(٥)
بضـربٍ يذوق الموت من ذاق طعمه	وتُدرك من نجّى الفـرارُ مثالبُـهْ
كـأنّ مُثـارَ النقع فـوق رءوسنا	وأسـيـافنا ليلٌ تهـاوى كـواكـبُهْ(٦)
بعـثنـا لهـم مـوتَ الفُجـاءة إنّنا	بنو الموت خـفّاق علينا سـبـائبُهْ(٧)
فـراحـوا فـريقٌ في الإسـار ومـثلُهُ	قـتـيلٌ ومـثلٌ لاذ بالبـحـر هاربُـهْ
إذا الملك الجـبّار صـعّـر خـدّه	مـشينا إليـه بالسّـيـوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أعطيها بشّار ورفعتْ من ذكره، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها:

إذا كنتَ في كلّ الأمـور مُعـاتبـاً	صـديقك لم تلق الذي لا تُعـاتبُه
فـعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فـإنه	مُقـارفُ ذنبٍ مـرّةً ومجـانبُـهْ(٨)
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى	ظمئتَ وأيّ النّاس تصفو مشاربُهْ (٣/٢٣٦)

(٣٢)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني الطّلحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمْران بن موسى بن طلحة قال: لما زُفّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، عارضها موسى شهوات:

طلحـةُ الخيرِ جدُكم	ولخيـر الفـواطـم
أنتِ للطاهـراتِ من	فـرْع تيمٍ وهاشم

(١) الجنائب: جمع جنوب بمعنى ريح الجنوب.

(٢) الفَعال: الفعل الحسن خاصة. (٣) ألاك: لغة في (أولئك).

(٤) يزحف: يهجم، والحصى: العدد الكثير، والخطيّ: الرمح، وثعالبه: جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في حديدة السنان.

(٥) الطلّ: الندى. (٦) تهاوى: بمعنى تتهاوى أي تسقط وتختفي.

(٧) السبائب: الرّايات. (٨) مقارف: مُخالط.

أرْتجـــيكُمْ لنفعِكم   ولدفْـــع المظـــالــم

فأمر له بكُسْوةٍ ودنانير وطيب. (٢٥٧/٣)

(٣٣)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرّانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لقيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن معاوية على بابه بدمشق، وكان فتىً جواداً سمْحاً، فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابّته، ثم قال:

قم فصوّتْ إذا أتيت دمشقاً   يا يزيد بن خالدِ بن يزيدِ
يا يزيد بن خالدٍ إن تُجِبني   يلْقني طائري بنجم السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوةٍ، وقال له: كلما شئتَ فنادنا نُجِبْك. (٣٥٨/٣)

(٣٤)

قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العنزيّ عن العتْبيّ قال: كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز   قريعَ قريش إذا يُذْكَرُ(١)
تزوّجتِ داودَ مُخْتـارةً   ألا ذلك الخلفُ الأعْوَرُ(٢)

فكانت إذا سخِطت عليه تقول: صدق والله موسى، إنك لأنتَ الخلفَ الأعور، فيشتُمُه داود (٣٥٨/٣)

(٣٥)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعبَ الزبيريّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازي والحسين بن عليّ: قال عُبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ عن أبي مِحْنَف: أن أنسَ بن زُنَيم اللّيْثي كتب إلى عبد الله بن الزُّبير:

---

(١) الأغرّ: المشهور، المعروف، والقريع: السيّد والرئيس.

(٢) الأعور: الرديء من كلّ شيء، ويقال على الضعيف الجبان البليد الذي لا خير فيه.

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً   من ناصح لك لا يُريك خداعا
بضع الفتاةَ بألف ألفٍ كاملٍ   وتبيتُ قاداتُ الجيوش جياعاً(١)
لو لأبي حفصٍ أقولُ مقالتي   وأبثُّ ما أبثثتُكم لارتاعا(٢)

فلما وصلت الأبياتُ إليه جزع ثم قال: صدق والله، ولو لأبي حفصٍ يقول: إنّ مُصْعباً تزوّج امرأتين بألفي ألف درهم لارتاع، إنّا بعثنا مصعباً إلى العراق فأغمد سيفه وسلّ أيره وسنعْزله، فدعا بابنه حمزة، وأمُّه بنت منظور بن زبّان الفزاريّ وكان لها منه محلٌّ لطيف، فولاّه البصرة وعزل مصعباً. فبلغ قولُه عبد الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خُبيْب أغمد سيفه وأيره وخيْره. (٣/٣٦١)

(٣٦)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال: كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيْثمة بن حُذيفة العدويّ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بني أميّة يحسنون إليه ويُدرُّون عطاءه وتجيئُه صلاتُهم إلى الحجاز. وكانت فاطمةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجّها داودُ بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز   قريعِ قريشٍ إذا يُذكرُ
تزوّجت داودَ مختارةً   ألا ذلك الخلفُ الأعورُ

فغلب عليه ذلك في بني مروان، فكان يقال له: الخلفُ الأعورُ. (٣/٣٦٥)

(٣٧)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ: أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنِّ فيه حتى يكون أجزل لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى

(١) بضَع: تزوج.

(٢) (لأبي حفص أقول مقالتي): دخل على هذا الشطر (الوقص) وهو ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من (متفاعلن).

ثم غنّاه فيها معْبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار. (٣٦٥/٣)

(٣٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد:

أقبل الأحوصُ حتّى وقف على معْن بن حُميْد الأنصاريّ، أحد بني عمرو بن عوف بن جحْجبى، فقال:

رأيتك مزهُوّاً كأنّ أباكُمُ | صُهيْبة أمْسى خير عوف مُركبَا
تُقرُّ بكم كُوثى إذا ما نُسبْتُمُ | وتُنكركم عَمْرُ بن عوف بن جَحْجبى
عليك بأدنى الخَطْبِ إن أنتَ نِلْتَه | وأقصرْ فلا يذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهبا(١)

فقام إليه بنوه ومواليه؛ فقال: دعُوا الكلب، خلُّوا عنه، لا يمسّه أحدٌ منكم؛ فانصرف. حتى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان، وكان شديداً ضابطاً(٢)؛ فقال له الأحوصُ:

إنّ بقومٍ سوّدُوك لحاجةً | إلى سيِّد لو يظْفَرون بسيِّد

فألقى ثيابه وأخذ بِحلْق الأحوص، ومع الأحوص راويتُه، وجاء الناسُ ليخلّصوه، فحلف لئن خلّصه أحدٌ من يديه ليأخُذنّه وليدعنّ الأحوص؛ فخنقه حتى استرخى، وتركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ، لئن سُمِع أو سَمِعْتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أريد بها نفْسك ولو كنْتَ تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إنّ هذا مجنون، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك؛ فإيّاك أن يسمعه منك خلْق(٣). (٢٤١/٤)

(٣٩)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبيرَ بن بكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عُبيدة حدّثه: أنّ الأحوص لم يزلْ مقيماً بدهْلك(٤) حتّى مات عُمر بن عبد العزيز، فدسّ إلى حبابة فغنّت

---

(١) كوثى: محلة بمكة لبني عبد الدار. (٢) ضابطاً: شديد البطش والقوة والجسم.

(٣) لقي الشاعر شراً بسبب أبياته، ولم يكن مَنْ عناهم ليرضوا بالسكوت حتى تشيع الأبيات، وتنتشر، وكان التحذير منصباً على إخفاء الشعر ودفنه، وكان لهم ما أرادوا.

(٤) دَهْلك: جزيرة في بحر اليمن، وهو مُرْس بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة، حرجة، حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نَفَوه إليها. ينظر ياقوت (٤٩٢/٢).

يزيد بأبيات له - قال أبو عبيدة: أظنُّها قوله:

أيُّهـذا المُخـبِّري عـن يزيـدٍ بصـلاحٍ فـداكَ أهلي ومـالي
مـا أبالي إذا يزيـدُ بقي لي مَنْ تولَّتْ به صُروفُ الليـالي

قال أبو عبيدة أراه عرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدِرْ أن يصرِّح مع بني مرْوان - فقال: مَنْ يقـول هذا؟ قـالت: الأحـوص، وهوّنتْ أمره، وكلّمـتـه في أمـانه فـأمنَّه. فلمَّا أصـبـح حـضـر فاستأذنت له، ثمّ أعطاه مائة ألفِ درهم. (٢٤٩/٤)

(٤٠)

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان: أنَّ الأحوص دسّ إلى حبابة، فغنَّت يزيد قوله:

كـريمُ قُريشٍ حين يُنْسَبُ والذي أقـرَّتْ له بالمُلْكِ كـهْلاً وأمْردا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانعـاً إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافه غدا
أهان تلاد المالِ في الحمـد إنَّـه إمـامُ هُدىً يجري على مـا تعوَّدا
تشـرَّف مـجداً من أبيـه وجـدّه وقـد ورثا بُنْيـان مـجـدٍ تشـيَّدا

فقال يزيد: ويلك يا حبابةُ! مَنْ هذا من قريش؟ قالت: ومَنْ يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين. فقال: ومن قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدح به أمير المؤمنين؛ فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دهْلك، وأمر له بمالٍ وكُسْوة. (٢٥٠/٤)

(٤١)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ قال حدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لمَّا ولي يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأقْدِمَ عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم. فلمَّا قدم قُباء صبّ المال على نِطْعٍ ودعا جماعةً من قومه، وقال: إنِّي قد عمِلتُ لكم طعاماً. فلمَّا دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، وقال: (أفسِحْرٌ هذا أمْ أنْتُمْ لا تُبْصِرون). (٢٥١/٤)

(٤٢)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهيْثم بن عديّ قال: كان المطَّلبُ بن عبد الله بن حنْطَبٍ قاضياً على مكة، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة: فقال

له المطّلب: (ويْحك!) ألستَ الذي يقول:

لقد طفت سبعاً قلتُ لما قضيتُها ... ألا ليت هــذا لا علــيَّ ولا ليــا

لا قبلتُ لك شهادةً أبداً. فقال له أبو سعيد: أنا والله الذي أقول:

كأنَّ وجوه الحنْطبيِّين في الدُّجى ... قناديلُ تسْقيها السَّليط الهياكلُ(١)

فقال الحنطبيّ: إنَّك ما علمتك إلا دباباً(٢) حول البيت في الظُّلَم، مُدْمناً للطَّواف به في الليل والنهار؛ وقبل شهادته (٣٣٨/٤)

(٤٣)

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال: كان ابن رُهَيْمةَ يُشبِّبُ بزينب بنتِ عِكْرمةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويغني يونس بشعره، فافتضحتْ بذلك. فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك، فأمر بضرْبه خمسمائة سوط، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها، وأن يُفْعلَ ذلك بكلِّ مَنْ غنّى في شيء من شعره. فهرب هو ويونُس فلم يُقْدَرْ عليهما (٤٠٥/٤)

(٤٤)

وحدثني بهذا الخبر عمِّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمةَ عن مُصْعَب قال: اسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم مِن سبي فارس، وكان اسماعيل شعوبياً(٣) شديد التعصُّب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعبُ قوله:

إذ نُـربِّي بناتنــا وتدُســو ... نُ سفاها بناتِكم في التُّرابِ(٤)

فقال له أشعبُ: صدقتَ والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهنّ له. قال:

(١) الحنطبيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي الصحابي، والسَّليط، الزيت وكلّ دهن عُصر من حبّ.

(٢) دبّاباً: ماشيا بهدوء وسكينة.

(٣) الشعوبية: فرقة لا ترى للعرب فضلاً على غيرها من الأمم، وتذهب إلى التسوية بين الشعوب، ومنهم مَنْ يفضِّل غير العرب عليهم.

(٤) تدسّون سفاها بناتكم في التراب: يعرّض بما كانت العرب تفعله في جاهليتها من وأد البنات، وقد أبطل الإسلام هذا كلّه.

وماذاك؟ قال: دفن القومُ بناتهم خوفاً من العار، وربيتُموهنَّ لتنكحوهنَّ. قال: فضحك القومُ حتى استغربوا(١)، وخجل إسماعيل حتّى لو قدر أن يسيخَ(٢) في الأرض لفعل. (٤١٢/٤)

(٤٥)

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال أخبرني أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا عاصم الأسلمي قال:

بينا ابنُ يسارٍ النّسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولىً له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه؛ فأمر به الوليدُ فأُخرجَ. فقال ابن يسار:

قُلْ لوالي العهدِ إنْ لاقيْتَه ... ووليُّ العهدِ أولى بالرَّشَدْ
إنّه والله لولا أنتَ لم ... ينْجُ منّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ
إنّه قد رام منّي خُطّةً ... لم يرُمْها قبله منّي أحدْ
فهو مما رامَ منّي كالذي ... يقْنصُ الدُّراجَ من خيس الأسَدْ(٣)

فبعث إليه الوليدُ بخلْعةٍ سنيّةٍ وصلةٍ وترضّاه. وقد رُوي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في قصة أخرى، وذُكر هذا الشعر لهُ فيه. (٤١٣/٤)

(٤٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: غنّيَ الوليدُ بن يزيد في شِعْرٍ لإسماعيل بن يسار، وهو:

حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه ... وغارت الجوزاء والمِرزَمُ(٤)
خرجتُ والوطْءُ خفيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقمُ(٥)

---

(١) استغربوا: بالغوا في الضحك.

(٢) يسيخ: يغيب ويدخل في الأرض خجلاً.

(٣) الدُّراج: طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما، أغبر على خلقة القطا إلاّ أنّه ألطف، وخيس الأسد: غابته ومكانه، و(يقنص الدرّاج من خيس الأسد) مثل، يُضرب لمن يطلب ما يتعذّرُ وجوده والحصول عليه.

(٤) المِرْزَم: من نجوم المطر، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنّى، فيقال: المرزمان.

(٥) الوطء: المشي الهادئ، وخفيٌّ: هادئ، بلا صوت، والأرقم: أخبث الحيّات.

فقال: مَنْ يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النَّسائي نكتب في إشخاصه إليه. فلمّا دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

كلّكمُ أنت الهمُّ ياكلثم وأنتم دائي الذي أكتمُ
أكاتمُ الناسَ هوىً شفّني وبعضُ كتمان الهوى أحزمُ
قد لُمتني ظلماً بلا ظِنَّة وأنت فيما بيننا ألومُ
أبدي الذي تُخفينه ظاهراً أرتدُّ عنه فيك أو أقدمُ
إمّا بيأس منك أو مطمعٍ يُسدى بحسن الودّ أو يُلحَمُ
لا تتركيني هكذا ميّتاً لا أمنَعُ الودَّ ولا أصرَمُ
أوفي بما قلت ولا تندمي إنّ الوفيَّ القولِ لا يندَمُ
آية ما جئتُ على رِقْبة بعد الكرى والحيُّ قد نوّموا(١)
أخافتُ المشي حذار العدا والليلُ داجٍ حالكٌ مظلمُ
ودون ما حاولتُ إذ زرتُكم أخوكَ والخالُ معاً والعمُّ
وليس إلاّ الله لي صاحبٌ إليكمُ والصارمُ اللّهذَمُ(٢)
حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ من شفقٍ عيناك لي تسجُمُ
ثم انجلى الحزنُ وروعاته وغُيّبَ الكاشحُ والمُبرِمُ(٣)
فبتُّ فيما شئتُ من نَعْمة يمنحُنيها نحرها والفمُ(٤)
حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه وغارت الجوزاءُ والمِرزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفيٌّ كما ينسابُ من مكمنه الأرقَمُ

قال: فطربَ الوليد حتّى نزل عن فرْشه وسريره، وأمر المغنّين فغنّوه الصوتَ وشرب عليه أقداحاً، وأمر لإسماعيل بكُسْوةٍ وجائزة سنيّة، وسرّحه إلى المدينة. (٤/٤١٦)

(٤٧)

حدثّني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله عن أبيه: أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير، فسلّم ووقف موقف المُنشِد واستأذن في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يابن يسار!

---

(١) رِقبة: تحفُّظ. (٢) اللّهذم: القاطع من السيوف والأسنة.

(٣) المبرم: الجليس الثقي. (٤) النَّعمة بفتح النون: المسرّة والفرح.

إنما أنت امرؤٌ زُبيريٌّ، فبأيّ لسان تُنْشِد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك، وقد صفحتَ عن أعظم جُرْماً وأكثر غناءً لأعدائك منّي، وإنما أنا شاعر مُضْحِك. فتبسَّم عبد الملك؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنْشد. فابتدأ فأنشد قوله:

ألا يا لقومي للرُّقادِ المُسهَّدِ ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدي(١)

وللحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحُبِّ بعد السُّلْوة المُتمرِّدِ

وللمرء يُلْحى في التصابي وقبله ... صبا بالغواني كُلُّ قَرْم مُمجَّدِ(٢)

وكيف تناسى القلْبِ سلْمى وحُبُّها ... كجمْرِ غضىً بين الشَّراسيف موقد(٣)

حتى انتهى إلى قوله:

إليكَ إمامَ الناس من بطن يثْربٍ ... ونِعْمَ أخو ذي الحاجة المُتعمِّدِ

رحلْنا لأنَّ الجود منك خليقةٌ ... وأنَّك لم يذْمُمْ جنابك مُجْتدى

ملكتَ فزِدْتَ النَّاسَ ما لم يزِدْهُم ... إمامٌ من المعروف غيرِ المُصرَّدِ(٤)

وقُمْتَ فلم تنقُضْ قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي

ولمَّا وليتَ الملْكَ ضاربتَ دونه ... وأسندته لا تأتلي خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هشاماً والوليدَ ذخيرةً ... وليَّين للعهد الوثيق المؤكَّدِ

قال: فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فَقَطَّبَ سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوَّل، وقد قلتُ بعده:

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ... ومنْ يعْتصمْ بالله مثلك يرْشُدِ

فأمر له بألفي درهمٍ صلةً، وزاد في عطائه، وفرض له، وقال لولده: أعْطُوه؛ فأعطوه ثلاثة آلافِ درهم(٥). (٤/٤٢١)

---

(١) الحائم: العَطِش. (٢) يُلْحى: يلحّ ويُغْرم، والقرم: السيِّد العظيم.

(٣) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. (٤) المصرَّد: القليل.

(٥) نرى عبد الملك بن مروان يذكِّرُ الشاعر بموقفه السياسي القديم، وليس هذا بغريب من خليفة يتطلب الولاء من أتباعه، ولكنَّ الغرابة تكمن في موقف الشاعر، إذ سرعان ما يتراجع ويصف نفسه بأنه شاعر مضحك، يطلب الصفح والغفران، ويذكِّرنا هذا الأمر بما ورد في عمدة ابن رشيق (١/٧٥)، حيث أورد مواقف متشابهة لشعراء كثيرين، نرى بعضهم يُقتل بسبب شعر قاله، ولكنَّ ابن رشيق يعلِّق بقوله: «وأحمق الشعراء عندي مَنْ أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرَّض له، وما الشاعر والتعرُّض للحتوف؟ وإنَّما هو طالب =

أخبرني عمِّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال ذكر ابن النُّطاح عن أبي اليقْظان:

أنَّ إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِده مديحاً له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم:

ياربْعَ رامةَ بالعلياء من ريم ... هل ترْجِعنَ إذا حُيِّيتُ تسليمي(١)
ما بالُ حيٍّ غدتْ بُزْلُ المطيِّ بهم ... تخْدي لغربتهم سيراً بتقحيم(٢)
كأنَّني يوم ساروا شاربٌ سلبتْ ... فؤاده قهوةٌ من خمْرِ داروُم(٣)

حتى انتهى إلى قوله:

إنِّي وجدِّك ماعُودي بذي خورٍ ... عند الحِفاظِ ولا حوْضي بمهدوم(٤)
أصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحدِّ السَّيْفِ مسموم
أحْمي به مجد أقوامٍ ذوي حسبٍ ... من كلِّ قرْمٍ بتاج الْمُلْكِ معموم
جحاجحٍ سادةٍ بُلْجٍ مرازبةٍ ... جُرْدٍ عتاقٍ مساميحٍ مطاعيم(٥)
مَنْ مثلُ كِسرى وسابور الجنود معاً ... والهُرْمُزانِ لفخرٍ أو لتعظيم
أسْدُ الكتائب يوم الرَّوْعِ إن زحفوا ... وهمْ أذلُّوا ملوكَ التُّرْكِ والرُّوم
يمشون في حلقَ الماذيِّ سابغةً ... مشْيَ الضَّراغمةِ الأسْدِ اللَّهاميم(٦)

= فضل»، ولعلّ ابن رشيق وقبله اسماعيل بن يسار يمثلاّن اتجاهاً عريضاً هذا شأنه، ولولا حكمة عبد الملك المعروفة، وحسن تدبيره، لَعدَّ ما يقوله فيه وفي أولاده من جنس ما قاله في الزبيريِّن، إذ من الممكن التراجع والنكوص عنه عند أوّل سانحة، وسنرى نظائر لهذا في نصوص مقبلة، وليس الشاعر (على أيّة حال) مضحكاً مثلما أراده اسماعيل، فهو وَصْفٌ إن أراده لنفسه، لا نراه يسري على كثير من الشعراء غيره.

(١) ورامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، وقيل: رامة هضبة أو جبل ببني دارم، وريم: وادٍ لبني مزينة قرب المدينة.

(٢) بزل: جمع بزول وهي الناقة في تاسع سنيّها، وتخدي: تسرع في سيرها، والتقحيم: طيّ المنازل وعدم النزول بها.

(٣) القهوة: الخمرة، وداروم: قلعة بعد غزّة للقاصد إلى مصر، تنسب إليها الخمر. (٤) الخَوَر: الضعف.

(٥) الجحاجح: السادة، والجُرد: الأقوياء، والمساميح: الكرماء، والمرازبة: جمع مرزبان وهو رئيس الفرس.

(٦) الحلق: الدرع، والماذيّ: الدروع السهلة اللينة. واللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس.

هـنـاك إنْ تسـالي تُنْبي بأنَّ لنـا جُرْثومـةً قـهـرتْ عِزَّ الجـراثيم(١)

قال: فغضب هشامٌ وقال له: يا عاضّ بظْرِ أمّه! أعليّ تفخر وإيّاي تُنْشِد قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاج قومك!! غُطُّوه في الماء، فغطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرُج، ثم أمر بإخراجه وهو بشرٍّ ونَفاه من وقته، فأخرج عن الرُّصافة منفياً إلى الحجاز. قال: وكان مبتلىً بالعصبية للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً(٢). (٤٢٢/٤)

(٤٩)

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيْثمة قال قال ابن النُّطاح وحدّثني أبو اليقظان: أنّ إسماعيل بن يسار وفدَ إلى الوليد بن يزيد، وقد أسنّ وضعُف، فتوسّل إليه بأخيه الغمْر ومدحه بقوله:

نأتك سُلَيمى فالهوى مُتشاجرُ وفي نأيها للقلب داءٌ مُخامِرُ(٣)
نأتك وهام القلب، نأياً بذكرها ولجّ كما لجّ الخليعُ المُقامِرُ(٤)
بواضحة الأقراب خفّاقة الحشى برَهْرَهةٍ لا يجْتويها المعاشِرُ(٥)

يقول فيها يمدح الغمْر بن يزيد:

إذا عدَّد الناسُ المكارم والعُلا فلا يفخرَنْ يوماً على الغمْر فاخرُ
فما مرَّ من يومٍ على الدهر واحد على الغمْرِ إلاّ وهو في الناس غامر
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً كما خشعتْ يوماً لكسْرى الأساوِرُ(٦)
أغرُّ بطاحيٌّ كأنَّ جبينه إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهِرُ(٧)
وقى عِرْضه بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ له وأهانَ المالَ والعِرْضُ وافِرُ(٨)

---

(١) الجرثومة: الأصل.

(٢) هذا موقف يناقض ما رأيناه في النصّ السابق، إذ كيف يأمن الشاعر أن يفخر في مجلس الخليفة بقوم غير قومه، والكلّ يعلم تعصّب بني أمية للعرب، بالإضافة إلى ما رأيناه من تراجعه في مجلس عبد الملك عن موقفه من الزبيريين.

(٣) متشاجر: متكاثر متلاطم، ومخامر: مخالط.

(٤) نأتك وهام القلب نأياً بذكرها: أي نأتك نأياً وهام القلب بذكرها.

(٥) الأقراب: جمع قُرب وهي الخاصرة، وبرهرهة: المرأة البيضاء الشابة الناعمة.

(٦) الأساور: مفردها أسوار: وهو الفارس المقاتل في الجيش الفارسي.

(٧) بطاحيّ: نسبة إلى البطاح، التي كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم. (٨) جُنّة: وقاء.

وفي سيبه للمجتدين عمارةٌ | وفي سيفه للدِّين عزٌّ وناصر(١)
نماه إلى فرعي لُؤيِّ بن غالبٍ | أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامر
وخمسةُ آباء له قد تتابعوا | خلائفُ عدلٍ مُلْكُهُمْ مُتواتر
بهاليلُ سبّاقون في كلِّ غايةٍ | إذا استبقتْ في المكْرُماتِ المعاشر(٢)
هُم خيرُ مَنْ بين الحجونُ إلى الصَّفا | إلى حيثُ أفضتْ بالبطاحِ الحزاوِر(٣)
وهمْ جمعوا هذا الأنام على الهُدى | وقد فرَّقتْ بين الأنام البصائر

قال: فأعطاه الغمْرُ ثلاثةَ آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم. (٤/٤٢٤)

(٥٠)

أخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة عن مُصْعبٍ قال: لمَّا مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيلُ على هشام بن عُروةَ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عيلَ العزاءُ وخانني صبْري | لمَّا نعى النّاعي أبا بكْرِ(٤)
ورأيتُ ريْبَ الدهْر أفردني | منه وأسْلَم للعدا ظهري
من طيِّب الأثوابِ مُقْتَبِلٍ | حلْو الشمائل ماجدٍ غمْرِ(٥)
فمضى لوجْهتِه وأدركه | قدرٌ أُتيحَ له من القدْرِ
وغبرتُ مالي من تذكُّرِه | إلاّ الأسى وحرارةُ الصدر(٦)
وجوى يعاودني وقلَّ له | منِّي الجوى ومحاسنُ الذكْر
لمَّا هوتْ أيدي الرِّجال به | في قعْرِ ذات جوانبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أنِّي لن ألاقيه | في الناس حتَّى ملتقى الحشْرِ
كادتْ لفُرْقته وما ظلمتْ | نفْسي تموت على شفا القبر
ولعمْرُ مَنْ حُبِس الهديُّ له | بالأخْشبينِ صبيحةَ النَّحْرِ(٧)
لو كان نيلُ الخُلْدِ يُدْركه | بشرٌ بطيب الخيم والنَّجْرِ(٨)

---

(١) سَيْبه: عطاؤه وكرمه. (٢) البهاليل: السادة المقدَّمون.

(٣) الحزاور: جمع حَزْورة وهي الرابية الصغيرة. (٤) وعيل: نفد. (٥) الغمر: الكريم الواسع الخلق.

(٦) غبرت: مكثت وبقيت. (٧) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى.

(٨) الخيم: الطبيعة والسجيّة، والنجْر: الأصل.

لغبَرْتَ لا تخشى المَنُونَ ولا ... أوْدى بنفسك حادثُ الدَّهرِ
ولنعْمَ مأوى المُرْملينَ إذا ... قُحطوا وأخلفَ صائبُ القطْرِ
كم قُلت آونةً وقد ذرفتْ ... عيني فماءُ شؤونها يجري
أنّى وأيُّ فتىً يكون لنا ... شرْواكَ عند تفاقُم الأمر(١)
لدفاع خصْمٍ ذي مُشاغبةٍ ... ولعائلٍ تربٍ أخي فقْرِ
ولقد علمتُ وإنْ ضمنتُ جوىً ... مما أجنُّ كواهج الجمْرِ
ما لامرئٍ دون المنيَّة مِنْ ... نفقٍ فيُحْرِزُه ولا سِتْرِ

قال: وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير، فقال له: أحسنت وأسرفتَ في القول، فلو قلت هذا في رجلٍ من سادات قريش لكان كثيراً. فزجره هشام قال: بئس والله ما واجهت به جليسك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبيري وقال: ما أردتَ إلى رجلٍ شاعر ملّكَ قوله فصرف أحسنه إلى أخيه! مازدت على أن أغريته بعرْضك وأعراضنا لولا أنّي تلافيتُه(٢). (٤/٤٢٥)

(٥١)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب قال: لما خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بني جعْدة؛ فساق به يوماً فقال:

قد علم المِصْران والعراقُ ... أنّ علياً فحلُها العَتاقُ(٣)
أبيضُ جحجاحٌ له رواقُ ... وأمّه غالى بها الصّداقُ(٤)
أكرمُ من شُدَّ به نِطاقُ ... إنَّ الأُلى جاروكَ لا أفاقوا
لهم سياقٌ ولكم سياقُ ... قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاقُ

---

(١) شرواك: مثلك.

(٢) ينبّه هشام بن عروة إلى مكانة الشاعر، وقدرته على التصرّف في فنون القول، وتمكّنه من النّيل من ذلك الذي جبهه بذلك الكلام القاسي، خاصة أنّ الشاعر قد وجّه شعره إلى غاية نبيلة، وهي رثاء الأخ، ولم تكن لتضرّ أحداً. وهذا التلافي كان أمراً لا محيص عنه سدّاً لخلل، ودفعاً لأذى منتظر.

(٣) المِصران: البصرة والكوفة، والعتاق: الكريم.

(٤) جحجاح: سيّد مُقدَّم، ورواق: بيت كالفسطاط يُحمل على عمود واحد طويل، أراد أن له بيتاً يلتجئ إليه الناس فيه.

سُقتم إلى نَهْج الهُدى وساقُوا   إلى التي ليس لها عِراقُ(١)
في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ

فلما قدم معاويةُ بن أبي سفيان الكوفة، قام النابغة بين يديه فقال:

ألم تأتِ أهلَ المشرقين رسالتي   وأيُّ نصيحٍ لا يبيتُ على عتْبِ
ملكتمْ فكان الشرُّ آخرَ عهدكمْ   لئن لم تداركْكُمْ حلُومُ بني حرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة وما له؛ فدخل النّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان، فأنشده:

مَنْ راكبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي   على النَّأي والأنباءُ تُنْمى وتُجلَبُ
ويُخْبر عنِّي ما أقول ابنَ عامرٍ   ونعم الفتى يأوى إليه المُعصَّبُ(٢)
فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بظنَّةٍ   فإنّي لحرَّابُ الرجالِ مُحرَّبُ(٣)
صبورٌ على ما يكره المرءُ كلِّه   سوى الظلم إني إن ظُلمت سأغضبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألاّ تردَّ عليه شيئاً؛ فقال: ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العربُ فترويه، أما والله إن كنت لِمن يرويه! أردُد عليه كلَّ شيء أخذته منه(٤). (٥/٣٠)

(٥٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: استأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآن؛ فقال: أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي! قال: فدخلتِ الجاريةُ على حمزة فأخبرتْه، فقال: ينبغي أن يكون هذا ابنَ قيس الرقيّات، ائذني له، فأذنتْ له؛ فقال: مرْحباً بك يابنَ قيس، هل من حاجة نزعتْ بك؟ قال: نعم، زوّجتُ بنِينَ لي ثلاثةً ببناتِ أخٍ لي ثلاث،

---

(١) إلى التي ليس لها عراق: يريد إلى مضلّة لا نهاية لها لا غاية.
(٢) المعصَّب: هو الذي عصبته السنون أي أكلت ماله.
(٣) حرّاب الرجال محرَّب: يصف نفسه بأنّه شديد الكيد والنكاية.
(٤) كان معاوية راويةً للشعر، متذوقاً له، عارفاً أهميته في مجتمعه، بالإضافة إلى ما عُرف عن حسن تدبيره ونفاذ بصيرته، وما كان له بعد هذا كلّه أن يترك الشاعر يقول ما يشاء فترويه العرب فينتشر، ولذلك نراه يلبيّ للشاعر ما طلب، ويتغاضى عن قوله السابق وما مرّ له من مواقف

وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بناتٍ لي؛ قال: فلبنيكَ الثلاثة أربعمائة دينارٍ أربعمائة دينار، ولبناتك الثلاث ثمانمائة دينار ثمانمائة دينار، ولبنات أخيك الثلاث ثمانمائة دينار ثمانمائة دينار، هل بقيتْ لك من حاجة يابن قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رقاع أخْفافِ الإبل. (٩٣/٥)

(٥٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزّبير بن بكّار قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْرِيّ واسمه هارون بن عبد الله قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال: كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سلْم مولى بني تيْم إذا جاءته غلة من الخانقين(١) أن يصلَه. فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد، أغضب ذلك الحسنَ؛ فقدم من حجٍّ أو عُمرة، ودخل عليه داودُ مسلماً، فقال له الحسن: أنت القائل في جعفر:

وكُنّا حديثاً قبلَ تأميرِ جعفرٍ ... وكان المُنى في جعفر أن يُؤمّرا
حوى المِنْبرَيْن الطاهرينْ كليْهما ... إذا ما خطا عن منبرٍ أمَّ مِنْبرا(٢)
كأن بني حوّاء صفُّوا أمامه ... فخُيِّر من أنسابهم فتخيّرا؟

فقال داود: نعم، جعلني الله فداكم، فكنتم خيرة اختياره؛ وأنا الذي أقول:

لعمْري لئن عاقبتَ أوجُدْتَ مُنعِماً ... بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرا
لأنتَ بما قدّمتَ أولى بمدْحةٍ ... وأكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصرا
هو الغُرّةُ الزّهْراءُ من فرع هاشمٍ ... ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرا
وزيد النّديّ والسِّبْطِ سِبْطَ محمدٍ ... وعمَّك بالطفِّ الزكيَّ المطهرا(٣)
وما نال مِن ذا جعفرٌ غير مجلسٍ ... إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقّكمُ نالوا ذُراها فأصبحوا ... يرون به عزّاً عليكم ومفْخرا

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، ولم يزل يصلُه ويُحْسِنِ إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: «وإن كان مُعْذرا» أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثة ألفَ دينار، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه. (١٤/٦)

---

(١) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد. (٢) أمّ: قَصَد.

(٣) زيد: هو زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، والسبط: هو الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمه: يعني به الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٥٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدّثني زُهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس: أن داود بن سلْم خرج إلى حرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحلّوا عن راحلته؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول:

ولمّـــا دفـعْـــتُ لأبـوابهـــم ... ولاقيتُ حرْباً لَقيتُ النجاحا
وجـدنـــاه يحْمـــده المُجتدُون ... ويأبى على العسر إلا سماحا
ويُغشَـــوْن حتى يُرى كلبُهـم ... يهابُ الهرير وينسى النُّباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذِنَ له وأعطاه ألفَ دينار. فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه؛ فظنّ أن حرْباً ساخطٌ عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له: سلْهم لم فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضريّ حديثه فأتاه فحدّثه فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنُ من شعرك. (١٩/٦)

(٥٥)

وذكر محمد بن صالح بن النَّطّاح أنّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه: أن أعشى همْدان كان مع خالد بن عتّاب بن ورْقاء الرِّياحيّ بالرّيّ ودسْتبى(١)، وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم. فلما قدم خالدٌ من مغزاه خرج جواريه يتلقّيْنه وفيهنّ أمُّ ولد له كانت رفيعةَ القدْر عنده. فجعل الناسُ يمرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النُّعاس؛ فقالت أمُّ ولد خالد بن عتّاب لجواريها: إن امرأة خالد لتُفاخرني بأبيها وعمِّها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال: مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس: هذه جارية خالد؛ فضحك وقال لها: إليك عني يا لَكْعاء؛ ثم أنشأ يقول:

ومـا يُدْريك مـا فـرسٌ جَرُورٌ ... ومـا يدريك مـا حـمْلُ السّلاحِ(٢)
ومـا يدريك مـا شـيخ كـبـيـرٌ ... عـداه الدهر عن سَـنَن المراحِ

---

(١) دَسْتبى: كورة كانت مقسومة بين الريّ وهمذان.

(٢) الجرور: الذي لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه.

فـأقْسِمُ لو ركبتِ الوَرْد يومـاً وليلتـــه إلى وضــح الصَّبـاح
إذا لنظـرتُ منـك إلى مكـــان كسـحْق البُرْد أو أثرِ الجراح(١)

قال: فـأصبحت الجاريةُ فدخلتْ إلى خـالد فشكَتْ إليه الأعشى؛ فقالت: والله مـاتُكْرَم، ولقد اجترئ عليك! فقال لها: ومـا ذاك؟ فـأخبرتْه أنها مرّت برجل في وجه الصبح، ووصفتْه له وأنه سبَّها؛ فقال: ذلك أعشى همْدان؛ فأيّ شيء قال لك؟ فـأنشدته الأبيات. فبعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟ هذه زعمتْ أنك هجوْتها؛ فقال: أساءت سمعاً، إنما قلتُ:

مـررتُ بنســـوة متعطِّـرات كضوء الصبح أو بيض الأداحي(٢)
على شُقْر البغال فصدن قلبي بحســـن الـدَّل والحدق الملاح
فـقلتُ مَنِ الظبـاءُ فَقُلْنَ سِربٌ بـدا لك مـن ظبـاء بني ريـاح

فقالت: لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبياتَ؛ فقال له خالد: أما إنَّها لولا أنَّها قد ولدت منّي لوهبتُها لك، ولكنّي أفتدي جنايتها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له: أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاّ تُعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك.

وذكر هذا الخبرَ العنزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرها، ولم يأتِ به على هذا الشرح. (٦/٤٢)

(٥٦)

أخبرني عمّي قال حدثّنا محمد بن سعيد الكُراني قال حدثّنا العُمري عن الهيْثم بن عديّ عن مُجالدٍ عن الشَّعْبيّ:

أنه أتى البصرة أيامَ ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنفُ بن قيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل منْ أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا خولُنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! (يعني الخوارج). قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثّلتُ قول أعشى همدان:

أفـخرتم أنْ قـتلتمْ أعـبُداً وهــزمـْتُمْ مـرّةً آل عـزلْ(٣)
نحن سُـقناهمْ إليـكم عنْوةً وجمعنا أمركم بعد فشل
فـإذا فـاخـرتمونا فـاذكروا مـافـعلنا بكُم يومَ الجمـل

---

(١) سحق: الثوب البالي. (٢) الأداحي: جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل.
(٣) آل عَزّل: العزل هو الاعتزال والتنحّي، ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين.

بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونه وفتىً أبيضَ وضّاح رفل(١)
جاءنا يرفلُ في سابغةٍ فذبحناه ضحىً ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتم نعمةَ الله الأجلّ

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فخر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف، فأحسنوا مجالسته. (٦/٥٤)

(٥٧)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ومحمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال:

أمْلق أعشى همْدان فأتى خالد بنَ عتّاب بن ورْقاء فأنشده:

رأيتُ ثناء الناس بالقول طيباً عليكَ وقالوا ماجدٌ وابن ماجدِ
بني الحارث السامين للمجد، إنكم بنيتم بناءً ذكرُه غيرُ بائد
هنيئاً لما أعطاكُم الله واعلموا بأني سأُطْري خالداً في القصائد
فإن يك عتّابٌ مضى لسبيله فما مات من يبقى له مثلُ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم. (٦/٥٦)

(٥٨)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدّثنا أبو غسّان (قال): قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ـ ودخل عليه ـ: أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعرك تنكِّرني به؛ فقال: أو خيراً من شعري؟ فقال: هات؛ قال قال أعشى همدان:

وبينما المرءُ أمسى ناعماً جذِلاً في أهله معجباً بالعيش ذا أنق(٢)
غرّاً، أتيح له من حينه عرض فما تلبَّث حتى مات كالصَّعق(٣)
ثُمّتَ أضحى ضُحىً من غِبِّ ثالثة مقنَّعاً غير ذي رُوح ولا رمق
يُبكى عليه وأَدْنَوْه لمُظلمة تُعْلى جوانبُها بالتُّرب والفلق(٤)
فما تزوّد ممّا كان يجْمَعه إلاّ حنُوطاً وما واراه من خِرق

---

(١) العثنون: اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين، والرَّفَل من الناس: الطويل الذَّيل.

(٢) جذِل: فَرِح، والأَنَق: السرور والفرح.

(٣) الصَّعِق: مَنْ أصابته الصّاعقة. (٤) الفلِق: الحجارة.

وغـيـر نفـحـةِ أعـوادٍ تُشبُ له   وقـلّ ذلـك مـن زادٍ لُمنطلـق

قال: فبكى عمر حتى أخضل لحيته. (٥٧/٦)

(٥٩)

أخبرني الحرمي بن العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناريّ قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: سأل أعشى همدان شجرة بن سليمان العبْسيّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

لقد كنتَ خيّاطاً فأصبَحت فارساً   تُعدّ إذا عُدّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرت هذا فقُلْ كذا   وبيِّن لي الجُرح الذي كان قد دثر
وإصبعُكَ الوسطى عليه شهيدةٌ   وما ذاك إلا وخزُها الثوبَ بالإبر

قال وكان يقال: إن شجرة كان خياطاً، وقد كان ولي للحجاج بعض أعمال السواد. فلما قدم على الحجّاج قال له: يا شجرة، أرني إصبعك أنظُر إليها؛ قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صِفة الأعشى؛ فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المُعْطى أن يُعطى الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك امرؤٌ ذو حسب ولسان فاشتر عرضك منه(١). (٥٨/٦)

(٦٠)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثنا أحمد بن عمر الحنفيّ عن جماعة - قال المبرّد - أحسب أن أحدهم مؤرّج بن عمرو السَّدُوسيّ - قالوا: لما أتِيَ الحجاجُ بن يوسف الثقفي بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمد لله الذي أمْكن منك، ألستَ القائل:

لَمّا سفَوْنا للكفور الفتّانْ   بالسيّد الغِطْريف عبد الرحمن(٢)
سار بجمْع كالقطا من قحْطان   ومن معدٍّ قد أتى ابن عدْنان
أمكن ربّي من ثقيف همْدان   يوماً إلى الليل يُسلّى ما كان

---

(١) لعل الحجّاج يصدر من النبع ذاته الذي صدر منه مَنْ ذُكِروا سابقاً، من حيث اتّقاء الشاعر، ووضعه موضع تكريم يليق به في مجتمع يلهج بالشعر، يعدُّه من مفاخره، وكبير محاسنه.

(٢) سفونا: أسرعنا.

إنَّ ثقيفاً منهم الكذّابان كذّابُها الماضي وكذابٌ ثان

أولست القائل:

يابْنَ الأشجّ قريع كِنْدة لا أبالي فيك عتْبا(١)
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا
نُبِّئْتُ حجاج بن يو سف خرَّ من زَلَقٍ فتبّا
فانهض فُديتَ لعله يجلو بك الرحمنُ كرْبا
وابعث عطية في الخيو ل يكُبُّهنَّ عليه كبّا(٢)

كلاّ يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زلقٍ فتبَّ، وحار وانكبّ، وما لقي ما أحب؛ ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمَّته نفسُه وارتعدت فرائصُه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى الله إلا أن يتمم نوره ويطفئ نارَ الفاسقين فتخمُدا
وينزل ذُلاًّ بالعراق وأهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكّدا
وما لبث الحجاجُ أن سلَّ سيفَه علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا
وما زاحف الحجاجُ إلا رأيته حُساماً مُلقىً للحروب مُعوَّدا
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعهم ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشرّدا
بما نكثوا من بيْعة بعد بيعة إذا ضمِنوها اليوم خاسُوا بها غدا(٣)
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة من القول لم تصْعدْ إلى الله مصْعدا
ولّما دلفْنا لابن يوسف ضِلّة وأبرق منا العارضان وأرعدا(٤)
قطعنا إليه الخندقين وإنما قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصدا(٥)
فصادمنا الحجاجُ دون صفوفنا كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجُند أمير المؤمنين وخيله وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا
ليهنئْ أميرَ المؤمنين ظهورُه على أمة كانوا بُغاةً وحُسّدا
وجدنا بني مروان خير أئمة وأعظم هذا الخلْق حلماً وسؤددا

---

(١) الأشجّ: هو الأشعث بن قيس الكندي جدّ عبد الرحمن بن محمد المعنيّ في هذا الشعر، والقريع: السيّد.

(٢) عطية: هو عطية بن عمرو العنبري، وكان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق.

(٣) خاسوا: نكثوا وغدروا. (٤) ضلة: ضدُّ الهدى.

(٥) مُرْصد: مترقِّب.

وخـيـر قـريش في قـريش أرُومـةً ... وأكـرمـهـم إلاَّ النبيَّ مـحـمـدا
إذا مـا تـدبَّرنا عـواقب أمـرنـا ... وجـدنا أمـيـر المؤمنين المُسـدَّدا
سـيـغلب قـومـاً غـالبوا الله جـهْـرةً ... وإن كـايدوه كـان أقـوى وأكيـدا
كـذاك يُضـلّ الـلـه من كـان قلبُـه ... ضـعـيـفـاً ومن والى النفـاقَ وألحدا
فقـد تركوا الأمـوال والأهل خلفهـم ... وبيضـاً عليهن الجلابيب خُـرَّدا(١)
ينادينهم مـسـتـعـبـرات إليـهـمُ ... ويُذْرين دمـعـاً في الخـدود وإثْمِـدا
وإلا تنـاولْهُـنَّ مـنـك برحـمـةٌ ... يكنَّ سـبـايا والبُعـولةُ أعـبُدا
تعطَّـفْ أمـيـرَ المـؤمنين عليـهـمُ ... فـقـد تركـوا أمـر السـفـاهة والرَّدى
لعلهمُ أن يُحـدثوا العـامَ توبـةً ... وتعـرف نُصـحـاً منهمُ وتوددًا
لقد شمْتَ يابن الأشعث العام مصرنا ... فظلّـوا وما لاقوا من الطير أسـعدا
كـمـا شـاءم الله النُّجـيـر وأهلَـه ... بجـدِّك مَنْ قـد كـان أشـقى وأنكدا(٢)

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلِّ سبيله؛ فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إيّاه وأراد به أن يحرِّض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدّعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجو! ألستَ القائل! ويحك!.

وإذا سـألتَ: المجدُ أين مـحلُّـه ... فـالمجـدُ بين محـمـد وسـعـيـدِ
بين الأغـرِّ وبين قـيـس باذخٌ ... بَخٍ بَخٍ لـوالـده وللمـولـودِ

والله لا تبخبخ بعدها أبداً. أو لست القائل:

وأصـابني قومٌ وكنتُ أصـيبهم ... فـاليـوم أصبر للزمـان وأعرفُ!

كذبتَ والله، ما كنت صبوراً ولا عروفا. ثم قلت بعده:

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ ... فـاصـبرْ فكل غيابة سـتكشَّفُ

أمّا والله لتكونَنَّ نكبة لا تنكشف غيابتُها عنك أبداً! يا حرسيّ، اضربْ عنقه؛ فضرب عنقه(٣).
(٥٨/٦)

---

(١) البيض: النساء، والخرَّد: جمع خريدة وهي من النساء البكر التي لم تُمسّ.
(٢) النجيْر: حصن قرب حضرموت منيع.
(٣) لم يكن الحجّاج ليغفر للشاعر شعره القديم، ولم يستطع شعره الجديد أن يجبَّ ذلك القديم، وما فيه من هجاء للحجّاج وتحريض عليه، فكان القتل عقاب الشاعر بسبب ذلك الشعر.

(٦١)

أخبرني عمي قال حدّثني الكُراني قال حدّثنا العُمري عن العُتْبيّ والهيْثم بن عديّ ولقيط قالوا: قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية: بمَ استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأنّي أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثرمنهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميّزتُ القديم منه من المحدث؛ فقال: إنَّ هذا لعلم وأبيك كثير! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيرا، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام؛ قال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد؛ فأنشد الوليد حتى ضجِر، ثم وكّل به من استحلفه أن يصدقُه عنه ويستوفي عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم. (٦/ ٧٠)

(٦٢)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعيّ قال: قال حماد الراوية: أرسل إليّ أمير الكوفة فقال لي: قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فحُملت فقدمت عليه وهو في الصيد، فلما رجع إذِن لي، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد بالأرْمني(١) أرضُه وحيطانُه؛ فقال لي: أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك؛ قال: فما بلغ من روايتك؟ قلت: أروي سبعمائة قصيدة أوّلُ كلٌّ واحدة منها: بانت سعاد؛ فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبَّت في الكأس ثم مزجْته حتى رأيتُ له حبابا؛ فقال: أنشدني في مثل هذه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عديّ بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي ألا تستفيقُ
ثمَّ ثاروا إلى الصَّبوحِ فقامت قينةٌ في يمينها إبريق
قدَّمَتْه على سُلافٍ كريح الـ ـمسك صفّى سُلافها الرَّاووقُ(٢)
فترى فوقها فقاقيعَ كاليا قوت يجْري خلالها التصفيق

قال: فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سكر؛ ثم قام فتناول مِرْفقةً من

---

(١) منجَّد: مُزيَّن، والأرمني: لعلّه نوع من الحرير منسوب إلى أرمن وهي إقليم جبلي من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير.

(٢) الرّاووق: المصفاة.

تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى: من يشتري لحوم البقر؟ ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثَّلْتُه(١). (٦/٩١)

(٦٣)

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية: لِمَ سُمِّيت الراوية؟ وما بلغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة؛ فقال: إنَّ هذا لحفظ! هات، فاندفع يُنشد حتى ملَّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلته وصرفه. (٦/٩٣)

(٦٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال حدّثني المِسْوَر العنزيّ - وكان من رُواة العرب وكان أسنَّ من سماك بن حرْب - (عن حماد) قال: دخلت على زياد فقال لي: أنشدني؛ فقلت: مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه:

بكرتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجمالُها

قال: فما أتممتُ القصيدة حتى تبيّنت الغضبَ في وجهه(٢)؛ وقال الحاجب للناس: ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعد واللّهِ إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أوْ أمير تنبّهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة. (٦/٩٣)

(٦٥)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشي، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثعْلب عن الرياشيّ - وخبره أتم - قال الرياشيّ حدّثني أبو سلمة الغفاريّ قال قال ابن رُبَيْح راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال:

أوّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيره، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع بِرّى وصلتي والقيام بمؤونتي. فلم ينشب أن عُزل

---

(١) تأثّلته: اكتسبته.

(٢) سميّة: اسم أمّ زياد، ولهذا غضب من تطابق الاسمين وروده في الشعر.

ووُلّيَ غيره مكانه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب. فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يهبَ لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت. ثم قدم عبد الواحد المدينة، فأخبر أنّي مدحت الذي عُزل به، فأمر بي فحُجبت عنه، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنعتُ، فلم أدع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب - صلوات الله عليه وعليهم - فقلت: يابن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدح غيره، فأعطيتُه بذلك عهداً، ثم دعاني الشرَه والكدّ إلى أن مدحت الوالي بعده. وقصصت عليه قصّتي وسألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم؛ قال: كل حاجة لك مقضيّة إلا ابنَ هرمة؛ فقال له: إن رأيتَ ألاّ تستثني في حاجتي فافعل: قال: قد فعلتُ؛ قال: فحاجتي ابن هرمة؛ قال: قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته؛ قال: فتأذن له أن يُنشدك؛ قال: تُعفيني من هذه؛ قال: أسألك أن تفعل؛ قال: ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال: فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه(١) ثم وثب مُغْضباً، وتجوّزت في الإنشاد ثم لحقتُه فقلت له: جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقال: ولكنْ لا جزاك الله خيراً ياماصّ بظْر أمه، أتقول لابن مروان:

وكان أبوك قدامة الجناح

بحضرتي وأنا ابن رسول الله - (ص) - وابن عليّ بن أبي طالب - عليه السلام - ! فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدعُه به طلباً لدنياه، ووالله ما قِسْت بكم أحداً قطُّ. أفلم تسمعني قد قلتُ فيها: وبعضُ القول يذهب بالرياح، فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله، ما أظرفك!(٢). (٦/١٠٥)

---

(١) الرزّ: الصوت.

(٢) نرى الشاعر يقابل الصنيع الحسن بما لا يشبهه، فبعد الطلب والكدّ، يعفو الوالي ويصفح، ولكنّه يعود مرة أخرى ليحكم على نفسه أنّه يخدعه، ولم يكن جاداً في قوله بعد أن رأى غضباً من الطرف الآخر، ولعلّ هذا يدخل ضمن الاتجاه الذي أشرنا إليه عند النص السابع والأربعين السابق.

(٦٦)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال: اجتمع الكُميت بن يزيد ونُصيب في الحمّام، فقال له الكميت: أنشدني قولك:

بزينبَ ألم قبلَ أن يرحل الركبُ

فقال: والله ما أحفظها! فقال الكميت: لكنّي أحفظها، أفأنشدك إياها؟ قال نعم. فأقبل الكميتُ يُنشده وهو يبكي. (١٢١/٦)

(٦٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر ابن الحُويرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفْص عن مولاة لهم قالت:

إنا لبمنىً إذ نظرتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدْرِ لمن هي، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومرّ راكب يتغنّى غناء الركبان:

بزينبَ ألم قبلَ أن يرحل الركبُ

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له: شهرّتني وأذعت في الناس ذكري؛ فإذا هو نُصيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتازبهم وتغنّى ابن سريج. (١٢١/٦)

(٦٨)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم بن فراس قال حدّثنا العُمريّ عن الهيْثم بن عديّ قال: كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ(١) الناسُ ناداهم: ليخرجْ إليّ بعضُكم؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر؛ فيقول لهم: أيّما أحبُّ إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر؟ فيقولون له: أمّا القرآن فقد عرفناه مثلّ معرفتك، فأنشدْنا؛ فيقول لهم: يا فسقةُ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن، ثم لا يزال يُنْشدهم ويستنشدهم حتى يملّوا ثم يفترقون(٢). (١٥٠/٦)

---

(١) تكافّ الناس: توقفوا عن القتال.

(٢) لم يكن القوم يفضلّون الشعر على القرآن بعد أن هداهم الله، ولكنّ معرفتهم بالقرآن من جهة، وحبّهم سماع الجديد من الشعر من جهة ثانية دعاهم لطلب سماع الشعر ليروّحوا به عن قلوبهم، وينشطوا للعمل والقتال.

(٦٩)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة عن يعقوب بن داود الثقفيّ، وحدثنا به ابن عمّار والجوهريّ عن عمر بن شبّة ـ ولم يذكرا فيه يعقوب بن داود ـ قالوا جميعاً:

قال: مُسلم بن جندب الهُذليّ ـ وكان قاضي الجماعة بالمدينة ـ: إني لمع محمد بن عبد الله بن نُمَيْر بنعمان(١) وغلام يسير خلْفه يشتمه أقبح الشتيمة؛ فقلت: من هذا؟ فقال: هذا الحجاج بن يوسف، دعه فإني ذكرت أخته في شعري، فأحفظه ذلك. (١٩١/٦)

(٧٠)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عطاء عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن نُمير الثَّقفيّ يشبِّب بزينب بنتِ يوسف بن الحكم؛ فكان الحجاج يتهدّده ويقول: لولا أن يقول قائلٌ صَدَقَ لقطعتُ لسانه. فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن(٢)، وقال في هربه:

أتتْني عن الحجاجْ والبحرُ بيننا ... عقاربُ تسْري والعيونُ هواجعُ
فضِقْتُ بها ذرْعاً وأجهشتُ خيفةً ... ولم آمن الحجاج والأمرُ فاظع
وحَلَّ بي الخطب الذي جاءني به ... سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالع
فبِتُّ أدير الأمر والرأي ليلتي ... وقد أخضلتْ خدَّي الدموعُ التوابع
ولم أر خيراً لي من الصبر إنه ... أعفُّ وخيرٌ إذ عرتْني الفواجع
وما أمِنتْ نفسي الذي خفتُ شرَّه ... ولا طاب لي مما خشيتُ المضاجع
إلى أن بدا لي رأس إسْبيل طالعاً ... وإسبيلُ حصن لم تنلْه الأصابع(٣)
فلي عن ثقيفٍ إن هممتُ بنجْوة ... مهامهُ تهْوي بينهنّ الهجارع(٤)
وفي الأرضِ ذاتِ العرْض عنك ابنَ يوسف ... إذا شئتَ منأى لا أبا لك واسع
فإن نلْتني حجّاجُ فاشتفِ جاهداً ... فإنّ الذي لا يحفظ اللهُ ضائع

(١) نَعْمان: هو نعمان الأراك، وادٍ بينه وبين مكة نصف ليلة.

(٢) بحر عدن: هو بحر القلزم، ويسمّى في كلّ موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فإذا قابله بطن اليمن يُسمّى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شيء.

(٣) وإسبيل: جبل في مخلاف نمار.

(٤) الهجارع: جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السلوقية.

فطلبه الحجّاج فلم يقدر عليه. وطال على النُّميرّي مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج! فقال له: إيه يا نُميريّ! أنت القائل: فإن نلتني حجّاجُ فاشْتفِ جاهداً

فقال: بل أنا الذي أقول:

أخاف من الحجّاج مالستُ خائفاً   من الأسد العِرْباض لم يَثْنِه ذُعْرُ(١)
أخاف يديْه أن تنالا مقاتلي   بأبيض عضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ(٢)

وأنا الذي أقول:

فهاتذا طوَّفْتُ شرْقاً ومغرباً   وأبْتُ وقد دوّخت كلَّ مكان(٣)
فلو كانت العنْقاء منك تطير بي   لخِلْتك إلا أن تُصدَّ تراني

قال: فتبسم الحجاج وأمنّه، وقال له: لا تعاود ما تعلم! وخلّى سبيله. (١٩٨/٦)

(٧١)

حدّثني الحسين بن الطيِّب البلْخي الشاعر قال حدثنا قُتيبةُ بن سعيد قال حدثنا أبو بكر بن شُعيْب بن الحبحاب المِعْوليّ قال: كنت عند ابن سيرين(٤)، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سيرين:

كأنَّ المُدامة والزنجبيلَ   وريح الخُزامي ونوبَ العسلْ
يُعلُّ به بردُ أنيابها   إذا النجم وسْطَ السماء اعتدل

وقال: الله أكبر، ودخل في الصلاة. (٢٠٨/٦)

(٧٢)

أخبرني محمد بن خلفَ بن المرزُبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المرْوزي قال حدثنا

---

(١) العرباض: الأسد الثقيل العظيم.

(٢) الأبيض: السيف، وعَضْب: الباتر القاطع.

(٣) دوّخت: سرت في البلاد حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها.

(٤) محمد بن سيرين أحد الفقهاء من أهل البصرة، والمذكورين بالورع في وقته، ينظر تاريخ بغداد (٣٣١/٥)، توفي سنة ١١٠هـ، ولم نجده مع هذا الفقه والورع يمتنع عن إنشاد الشعر وروايته، إذ لم يجد في ذلك حرجاً أو إثماً، وقد عقد ابن رشيق في العمدة فصلاً (٢٧/١)، ضمنّه الكثير من القصص والأخبار عن كثير من الصحابة الكرام، والتابعين الذين كانوت ينشدون الشعر ويروونه.

العُمريّ عن لقيط والهيثم بن عديّ: أنَّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحج فأذن لها، وهو يومئذ خليفة وهي زوجته. فقدمت مكة ومعها من الجواري مالم يُر مثله حسناً. وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممن تبعها. وقدمتْ، فتراءت للناس، وتصدّى لها أهلُ الغزل والشعر، ووقعتْ عينُها على وضّاح اليمن فهويتْه. (٢١٨/٦)

(٧٣)

فحدثنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثُنا الزّبير بن بكّار قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْري عن محمد بن جعفر مولى أبي هُريرة عن أبيه عن بُديح قال: قدمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذ خليفة. فبعثتْ إلى كُثيِّر وإلى وضّاح اليمن أنِ انسُبابي. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنّسيب بها؛ فوجد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله. وأمّا كُثيِّر فعدل عن ذكرها ونسب بجاريتها غاضرة فقال:

شجا أظْعانُ غاضرة الغوادي بغير مشُورة عرضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداة بنْتم حُنُوَّ العائدات على وسادي
أوَيتِ لعاشق لم تشكميه بواقدة تلذَّعُ كالزناد(١)

قال بديحٌ: فكنتَ لمّا حجّتْ أم البنين لا تشاء أن ترى وجهاً حسناً إلا رأيته معها. فقلت لعُبيد الله بن قيس الرّقيات: بمن تشبِّب من هذا القطين؟ فقال لي:

وما تصنع بالسرِّ إذا لم تك مجنونا
إذا عالجتَ ثِقْلَ الحـ ـبِّ عالجت الأمرِّينا
وقد بُحتَ بأمرٍ كا ن في قلبيَ مكنونا
وقد هِجْتَ بما حاولْـ ـتَ أمراً كان مدفونا

قال: ثم خلا بي فقال لي: أكتُم عليّ، فإنّك موضع للأمانة؛ فأنشدني:

أصحوتَ عن أمِّ البنيـ ـن وذكرها وعنائها
وهجرتَها هجرَ امرئ لم يقْلُ صفو صفائها
قُرشيّةٌ كالشمس أشـ ـرق نورها ببهائها
زادتْ على البيض الحِسا ن بحسنها ونقائها

---

(١) أويت: رثيت له وأشفقت علي.

لمّا اسـبكرّتْ للشبـــــا ب وقُنّعـــت بردائـهـــا(١)
لـم تلتـفت للـداتهـــا ومـضتْ على غُلـوائـهـا
لــولا هــوى أمِّ البنيــ ـنَ وحــاجـتي للقــائـهـا
قـد قـربّت لي بغلــــةٌ مـحـبـوسـة لنجـائـهـا

قال بُديح: فلمّا قتل الوليدُ وضّاح اليمن(٢)، حجّتْ بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تكلّم أحداً؛ وشخصت كذلك، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات، فقال: يا بديح

بان الحـبـيبُ الذي بــه تثِــقُ واشـتـدَّ دون الحـبـيـبـة القَلَقُ
يا من لصـفْراء فـي مـفـاصـلها لينٌ وفـي بعض بطشـهـا خُرُق

وهي قصيدة قد ذُكرتْ مع أخبار ابن قيس الرقيّات. (٦/٢١٩)

(٧٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال حدّثني كثيِّر قال: حججتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبابي؛ فهبْتُ ذلك ونسبت بجاريتها غاضرة، فقلت:

شجـا أظعانُ غـاضـرة الغـوادي بغير مـشُـورة عرضــاً فؤادي
أغـاضـر لو شـهـدت غداة بنْتم حُنُوّ العــائدات على وســـادي
أويْتِ لعــــاشـقٍ لم تشـكُمــيـــه بواقـــدةٍ تلـــذّع كـــالزنـــاد

وأمّا وضّاح فنسب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله. (٦/٢٢١)

(٧٥)

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعيد الكرانيّ قال حدّثني أبو عمر العُمريّ عن العُتْبيّ قال: مدح وضّاح اليمن الوليد بن عبد الملك، وهو يومئذ خليفة، ووعدته أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده عنده وتقوّي أمره. فقدم عليه وضّاح وأنشده قوله فيه:

صـبـا قلبي ومــال إليك مـيْلا وأرّقني خــيــالُك يا أثيـــلا(٣)

---

(١) واسبكرّت: اعتدلت وتمّت.

(٢) وضّاح اليمن من الشعراء الذين قتلهم الشعر، أبى إلاّ أن ينساق وراء فنّه، ولم يستمع لنُصح أو تحذير، خاصة وأنّ الذي حذّر هو الخليفة، فانفذ أمره. (٣) أثيل: ترخيم أثيلة وهو اسم امرأة.

يمانيـــةً تُلِمّ بنــا فتُبْدي دقيق محـاسن وتُكنّ غيلا(1)
دعينا مـا أممتُ بنات نعْشٍ من الطَّيْفِ الذي ينتاب ليلا(2)
ولكنْ إن أردتِ فـصبِّحينا إذا أمّتْ ركـائبُنا سُهيلا(3)
فـإنك لو رأيت الخيلَ تعدو سِراعـاً يتخذن النَّقْعَ ذيْلا
إذاً لرأيتِ فوقَ الخيل أُسْداً تُفيد مغانماً وتُفيت نيْلا(4)
إذا سار الوليدُ بنا وسِرْنا إلى خيـل نلُفُّ بهنّ خيْلا
وندخل بالسرور ديار قوم ونُعقِب آخرين أذى ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْده وأجزل صلته. ومدحه بعدّة قصائد. ثم نُمي إليه أنه شبّب بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر في قتله.

ومدحه وضّاح بقوله أيضاً:

ما بال عينكَ لا تنام كأنما طلب الطبيبُ بها قذىً فأضلَّهُ
بل ما لقلبك لا يزال كأنه نشوانُ أنْهله النديم وعلَّه(5)
ما كنت أحسبُ أنْ أبيتَ ببلدةٍ وأخي بأخرى لا أحُلُّ محلَّه
كنّا لعمْرُك ناعمين بغبطةٍ مع ما نُحبّ مبيته ومظلَّه
فأرى الذي كنّا وكان بِغِرَّةٍ نلهو بغِرّته ونهوى دلَّه
كالطيف وافق ذا هوىً فلهـا به حتى إذا ذهب الرقاد أضلَّه
قل للذي شعف البلاءُ فؤادَه لا تهلكنّ أخاً فربّ أخ له
والق ابن مروان الذي قد هزّه عرق المكارم والنّدى فأقلّه
واشْكُ الذي لا قيته من دونه وانشُرْ إليه داء قلبك كلَّه
فعلى ابن مروان السلامُ من امرئٍ أمسى يذوق من الرُّقاد أقلَّه
شوقاً إليك فما تنالك حالُه وإذا يحُلّ الباب لم يُؤذن له
فإليك أعملتُ المطايا ضُمَّراً وقطعتُ أرْواحَ الشتاء وظلّه
ولياليـاً لو أنَّ حاضر بثِّها طرف القضيب أصابه لأشلَّه

(1) تكنّ: تخفي، وغيلا: الساعد الريّان الممتلئ.

(2) بنات نعش: من الكواكب الشامية ويعني: دعيني من طيفك حين أقصد قَصْدَ الشام للغزو.

(3) إذا أمّت ركائبنا سهيلاً: يريد إذ اتجهت ركائبنا نحو اليمن.

(4) تفيد مغانماً وتفيت نيلاً: يريد تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شيء منها. (5) علّه: سقاه قليلاً.

فلم يزل مجفُواً حتى وجد الوليد له غِرّة، فبعث إليه من اختلسه ليلاً فجاءه به، فقتله ودفنه في داره، فلم يُوقف له على خبر. (٦/٢٣٣)

(٧٦)

وقال خالد بن كلثوم في خبره: كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك، وهي أم ابنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليد تشبيُّبه بها فأمر بطلبه فأتى به، فأمر بقتله. فقال له ابنه عبد العزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقّق قوله، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دهْبل؛ فإنه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال: إذا تُحقّق قوله، ولكن تبرُّه وتحسن إليه فيستحي ويَكُفُّ. ويكذّب نفسه. فلم يقبل منه، وجعله في صندوق ودفنه حياً. فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فخارٌ خرجا فيه إلى أن أغلظا المُسابَّة، وذلك في دولة بني العبّاس؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أن أمَّ البنين عشِقَت وضاحا، فكانت تُدخله صندوقاً عندها. فوقف على ذلك خادم الوليد فأنهاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبير بن بكّار جميعاً. (٦/٢٣٤)

(٧٧)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال: بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وضّاح بأمّ البنين فهمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتني وحقّقت قوله، وتوهّم النّاس أن بينه وبين أمّي ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحنق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أمَّ البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك، وكانت زوجة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وقال فيها:

بنتُ الخليفة والخليفـــة جدُّهـا ... أختُ الخليفة والخليفة بعلُها

فرِحتْ قوابلُهـا بها وتباشـرتْ ... وكذاك كانوا في المسرّة أهلُها

فأحنق واشتدَّ غيظه وقال: أما لهذا الكلب مُزْدَجرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب! ثم دعا به فأحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفنه فيها حياً. (٦/٢٣٧)

(٧٨)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال: وفد سعد بن مُرّة بن جُبيْر مولى آل كثير بن الصلّت، وكان شاعراً، على الوليد بن

يزيد، فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزّه له، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدك وزائرك ومؤمّلك فتبادر الحرس إليه ليصدّوه عنه، فقال: دعوه، ادْنُ إليَّ فدنا إليه؛ فقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الحجاز شاعر؛ قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع منّي أربعة أبيات؛ قال: هات.

شِمْنَ المخايلَ نحو أرضك بالحيا ... ولقين ركباناً بعُرْفك قُفّلا(١)

قال: ثم مَهْ؛ قال:

فعمدن نحوك لم يُنخْن لحاجة ... إلاّ وقوع الطير حتى ترْحلا(٢)

قال: إن هذا السير حثيث؛ ثم ماذا؟ قال:

يعمدن نحو مُوطّيء حجراته ... كرماً ولم تعدل بذلك معْدلا

قال: فقد وصلت إليه، فمهْ؛ قال:

لاحت لها نيرانُ حيٍّ قسْطلٍ ... فاخترْنَ نارك في المنازل منزلا(٣)

قال: فهل غيرُ هذا؟ قال لا؛ قال: أنجحتْ وفادتُك، ووجبت ضيافتك؛ أعطوه أربعة آلاف دينار؛ فقبضها ورحل. (٧/٢٤)

(٧٩)

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدثنا العُتْبيّ قال: كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف؛ فغاضبها، ثم لم يُطعه قلبه فجعل يتسبّب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبره، فبرم به؛ فأنشده:

أعتبْتَ أن عتبتْ عليك صدوفُ ... وعتابُ مثلك مثلها تشريف

لا تقعُدنّ تلوم نفسك دائماً ... فيها وأنت بحبّها مشغوف

إن القطيعة لا يقوم لمثلها ... إلا القويّ، ومن يحبّ ضعيف

الحبّ أملكُ بالفتى من نفسه ... والذلّ فيه مسْلك مألوف

---

(١) شِمْنَ المخايل: تطلّعن إليه مترقّبات، وعرفك: معروفك، وقُفّل: عائدات.

(٢) وقوع الطيركناية عن السرعة.

(٣) قسطل: موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة.

قال: فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها. (٤٤/٧)

(٨٠)

قال: فلم يزل (يزيد بن ضبّة) مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافة، فوفد إليه فلما دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة؛ فأدناه الوليد وضمّه إليه، وقبّل يزيدُ بن ضبّة رجليه والأرض بين يديه؛ فقال: الوليد لأصحابه: هذا طريدُ الأحول(١) لصُحْبته إيّاي وانقطاعه إليّ. فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليومْ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس، والحمد لله على ذلك. فأذن له، فأنشده:

سُليْمى تلك في العير ... قفي أسألك أو سيري
إذا ما بنتِ لم تلوى ... لصبٌ القلب مغْمور
وقد بانت ولم تعْهد ... مهاةٌ في مها حُور
وفي الآل حمُولُ الحيِّ ... تُزْهى كالقراقير(٢)
يُواريها وتبدو منـ ... ـه آلٌ كالسُّمادير(٣)
وتطفو حين تطفو فيـ ... ـه كالنُّخل المواقير(٤)
لقد لاقيتُ من سلْمى ... تباريحَ التَّناكير(٥)
دعتْ عيني لها قلبي ... وأسباب المقادير
وما إنْ مَنْ به شيبٌ ... إذا يصبو بمعذور
لسلمى رسمُ أطلالٍ ... عفتْها الريحُ بالمُور(٦)
خريقٌ تنخُل التُّربَ ... بأذيال الأعاصير(٧)
فأوْحشْ إذ نأتْ سلمى ... بتلك الدُّور من نُور
سأرمي قانصات البيـ ... ـد إن عِشْتُ بعُسْبور(٨)

(١) الأحول: هو هشام بن عبد الملك بن مروان، لُقِّب كذلك لحَوَلٍ في عينيه.

(٢) الآل: السراب، والقراقير: السفن العظيمة أو الطويلة، وآل: هي الشخوص التي تظهر في السراب.

(٣) السّمادير: الأشياء التي تتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب.

(٤) المواقير: جمع ميقار وهي النخلة التي عليها حمل ثقيل. (٥) التباريح: الشدائد، والتناكير: الأمور المنكرة.

(٦) المور: الغبار المتردّد أو تراب تثيره الريح. (٧) الخريق: الريح الشديدة الهبوب.

(٨) العسبور: الناقة الشديدة.

من العيس شجوجاة طواها النّسعُ بالكُور(١)
إذا ما حَقَبٌ منها قرنّاه بتصدير(٢)
زجرْنا العيس فارقدّتْ بإعصاف وتشْمير(٣)
تُقاسيها على أيْن بإدلاج وتهْجير
إذا ما اعْصوصَب الآلُ ومال الظّلُّ بالقُور(٤)
وراحت تتقي الشمس مطايا القوم كالعُور
إلى أن يُفْضِح الصبحُ بأصوات العصافير(٥)
لتعْتام الوليد القرْ مَ أهلَ الجود والخير(٦)
تُراعي حين تُزْجيها هويّاً كالمزامير(٧)
كما جاوبت النُّيبُ رباعَ الخُلُج الخُور(٨)
ويُعْطي الذهبَ الأحمـ ـر وَزْناً بالقناطير
بلَوْناه فأحمدنا ه في عسْرٍ وميسور
كريم العود والعنصـ ـر غَمْرٌ غير منزور
له السَّبْق إلى الغايا ت في ضمّ المضامير
إمامٌ يوضح الحقّ له نور على نور
مقالٌ من أخي ودّ بحفظ الصدق مأثور
بإحكام وإخلاص وتَفْهيم وتحبير

قال: فأمر الوليدُ بأن تُعدَّ أبيات القصيدة ويُعطى لكل بيت ألف درهم؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأعْطي خمسين ألفاً(٩). فكان أوّل خليفة عدَّ أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف

---

(١) شجوجاة: الطويلة جداً. والنسع: سير مفتول يشدّ به الرّحل. والكور: الرّحل.

(٢) حَقَبٌ: حبل يُشدّ به الرّحل في بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير، والتصدير: الحزام.

(٣) الارقداد: سرعة السير. والإعصاف: الإسراع في السّير. والتشمير: الجدّ في الأمور والاجتهاد فيها.

(٤) اعصوصب: اشتدّ. والقور: جمع قارة وهي الجبيل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة.

(٥) أفضح الصبح: بدا. (٦) اعتام: اختار واصطفى.

(٧) الهويّ: الدويّ في الأذن.

(٨) الرباع: جمع رُبَع وهو ما ولد من الإبل في أوّل النتاج. والخلج: جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن التي تحنّ إلى ولدها.

(٩) نرى الشعرُ هنا يوزن بالمال. فلكلّ بيت ألف درهم. وهذا عهد جديد لم يعرفه الشعر قبل هذا الموقف. =

درهم؛ ثم لم يفعل ذلك إلاَّ هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصوراً النَّمريَّ لمَّا مدحاه وهجوا آل أبي طالب لكل بيت ألفَ درهم. (٩٧/٧)

(٨١)

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال: لما همَّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولّية الوليد ابنه العهد، كان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مدّاحاً له؛ فدخل إليه في يوم حفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامه، فمثَل بين يديه وأنشده قوله:

أشتقتَ وانهلَّ دمعُ عينك أنْ أضحى قِفاراً من أهله طلحُ(١)

حتى انتهى إلى قوله:

أزْحَتَ عنّا آلَ الزبير ولو كانوا هُمُ المالكين ما صلحوا
إن تلْقَ بلْوى فأنت مُصْطَبِرٌ وإن تُلاقِ النُّعْمى فلا فرح
ترمي بعينيْ أقْنى على شرف لم يؤذه عائرٌ ولا لَحَحُ(٢)
آلُ أبي العاص آلُ مأثرةٍ غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نفحوا
خيرُ قريشٍ وهم أفاضلُها في الجِدِّ جِدٌّ وإن هُمُ مزحوا
أرْحبُها أذْرُعاً وأصبَرُها أنتم إذا القوم في الوغى كلحوا(٣)
أمّا قريش فأنتَ وارثُها تكُفُّ من صعبهم إذا طمحوا
حفظْتَ ما ضيَّعوا وزنْدهم أوريْتَ إذ أصلدوا وقد قدحوا(٤)
آليتُ جهْداً - وصادقٌ قسمي - بربِّ عبدٍ تجنُّه الكُرُحُ(٥)
يظلّ يتلو الإنجيلَ يدرسُه من خشْية الله قلبُه طفح
لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مُطَّرح
داود عدلٌ فاحكم بسيرته ثم ابنُ حرْب فإنهم نصحوا(٦)

= وسنراه يتكرّر مع مروان والنمري وغيرهما فيما سنستقبل من نصوص.

(١) طلح وذو طلح: موضع دون الطائف لبني محرز.

(٢) الأقنى: الصقْر، والعائر: الرّمد، واللّحح: لصوق الأجفان بالرمص وهو وسخ أبيض جامد يلصق بالجفون.

(٣) كلحوا: تكشّروا في عبوس. (٤) أصلد الزند: قدحه ولم يُورِ.

(٥) تجنّه: تحويه، والكُرُح: بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان.

(٦) داود: هو نبيّ الله داود عليه السلام، وعدل: عادل. وابن حرب: هو معاوية بن أبي سفيان.

وهـم خيارٌ فاعمــل بسـنتّهم   واحْي بخير واكْدَحْ كما كدحوا

قـال: فـتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع؛ فـعلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز، فقال: لقد أدْخل ابنُ النّصرانية نفسه مُدْخلاً ضيّقاً فأوردها مورداً خطراً؛ وبالله عليّ لئن ظفرتُ به لأخْضبنّ قدمه بدمه. (١٠٦/٧)

(٨٢)

وقال أبو عمرو الشّيْباني: لما قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشّيْبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في تهنئته بالفتح:

ألا طــال التنظُّـــر والثّــواءُ   وجــاء الصـيف وانكشف الغطاءُ
وليس يُقـيم ذو شـجنٍ مـقـيمٍ   ولا يمْضــي إذا ابتُغي المضــاءُ
طــوال الدهــر إلاّ في كـتــابٍ   ومـقــدار يُوافــقــه القـضــاءُ
فما يُعطى الحريصُ غنىً لحِرْصٍ   وقــد يَنْمـى لـذي الجـود الثَّراء(١)
وكـــلُّ شــديدةٍ نــزلتْ بحــيٍّ   ســيتـبـعُها إذا انتـهت الرَّخـاء

يقول فيها:

أرُمُّ فـتىً من الأعـيـاص ملْكاً   أغــرُّ كــأنّ غُرّتــه ضـيـاء(٢)
لأسْمِعه غريبَ الشعر مدحاً   وأثْني حـيث يتّصــل الثنــاء
يزيد الخيرِ فـهـو يزيد خيراً   وينمــي كلّما ابتُغــي النَّمــاء
فضضت كتائبَ «الأزديّ» فضّاً   بكبشــك حين لفّهما اللقــا(٣)
سمكْتَ الملْكَ مقتبلاً جديدا   كما سُمِكَتْ على الأرض السما(٤)
نرجّي أن تدوم لنا إمــامــاً   وفي مُلْك الوليــد لنا رجــاءُ
«هشـامٌ» و«الوليـد» وكلُّ نفسٍ   تُريـد لك الفنــاء لك الفِـداء

وهي قصيدة طويلة، فأمر له بمائة ناقة من نعم كلْب وأن تُوقر له بُرّاً وزبيبا، وكساه وأجزل صلته. (١٠٨/٧)

---

(١) ينمى: يكثر ويزيد.
(٢) الأعياص: ذوو الأصول المعروفة.
(٣) الكبش: السيّد الشجاع.   (٤) سمكت: رفعت.

(٨٣)

قال: ووفد (النابغة الشيباني) إلى هشام لمّا ولي الخلافة؛ فلما رآه قال له: يا ماصُّ ما أبْقتِ المواسي من بظْر أمّه! ألستَ القائلَ:

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ   تريد لك الفناء لك الفداء

أخْرِجوه عنّي! والله لا يرْزُقُني شيئاً أبداً وحرمه. ولم يزل طول أيامه طريداً؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته. (١٠٩/٧)

(٨٤)

أخبرني عمّي قال حدّثني العُمريّ عن الهيْثم بن عديّ قال حدّثنا صالح بن حسّان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدُثني محمد بن عمر قال حدُثني محمد بن السُّريّ قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخبرُه أتمُّ، قال: حجّتْ عاتكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طُوىً فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحرّ وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرتْ جواريها فرفعن السِّتر وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مرَّ بها أبو دهبل الجمحيّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلمّا فطنت له سترتْ وجهها وأمرت بطرح السِّتر وشتَمَتْه. فقال أبو دهبل:

إني دعاني الحيْن فاقتادني   حتى رأيتُ الظبي بالباب(١)
يا حسنه إذ سبّني مُدْبراً   مستتراً عنّي بجلباب
سبحان من وقّفها حسرةً   صُبّت على القلب بأوصاب
يذود عنها إن تطلّبتُها   أبٌ لها ليس بوهّاب
أحلّها قصراً منيعَ الذُّرى   يُحْمى بأبواب وحُجّاب

قال: وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعض إخوانه، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّونَ، حتّى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوة، وجرتِ الرسل بينهما. فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها، فكانت تعاهدُه بالبرِّ واللُّطف(٢) حتى وردتْ دمشق وورد معها، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً.

---

(١) الحيْن: التلف والهلاك. (٢) اللّطف: الهدايا.

فقال في ذلك:

طال ليلي وبتّ كالمحزون ... ومللتُ الثَّواءَ في جيرون(١)

وأطلْتُ المُقام بالشام حتى ... ظنَّ أهلي مُرَجِّماتِ الظُّنون

فبكتْ خشيةَ التفرق جُمْلٌ ... كبكاء القرين إثْرَ القرين

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّا ... صِ ميزتْ من جوهر مكنون

وإذا ما نسبْتها لم تجدْها ... في سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها إلى القُبَّة الخضْـ ... ـراءِ تمشي في مرمرٍ مسْنون(٢)

قُبَّةٌ من مراجل ضربوها ... عند برْد الشتاء في قيْطون(٣)

عن يساري إذا دخلت من البا ... ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني

ولقد قلتُ إذا تطاول سُقْمي ... وتقلَّبتُ ليلتي في فنون

ليت شعري أمِنْ هوىً طار نومي ... أم براني الباري قصير الجفون

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه النَّاس وفيهم أبو دهبل؛ فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده إليّ؛ وجعل الناس يسلمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرف؛ فناداه معاوية: يا أبا دهبل إليّ؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنتُ ظننتُ أنَّ في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقد قلت إذ تطاول سُقْمي ... وتقلّبتُ ليلتي في فنون

ليت شعري أمن هوىً طار نومي ... أم براني الباري قصير الجفون

غير أنك قلت:

وهي زهراءُ مثل لؤلؤة الغوّاص ... ميزتْ من جوهر مكنون

وإذا ما نسبْتَها لم تجدْها ... في سناء من المكارم دون

ووالله إنَّ فتاةً أبوها معاويةُ وجدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتْبة لكما ذكرت؛ وأيُّ شيء زدت في قدْرها! ولقد أسأت في قولك:

ثم خاصرتُها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسْنون

---

(١) جيرون: حصن بدمشق وقيل هي دمشق نفسها. (٢) المسنون: المصبوب على استواء.

(٣) المراجل: ثياب من ثياب اليمن، والقيطون: البيت في جوف البيت.

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أمَّا من جهتي فلا خوف عليك، لأني أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أنَّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلٌ من لم يجُزْ، وإنما أكره لك جوار يزيد، وأخاف عليك وثباته، فإن له سورةَ الشباب وأنفةَ الملوك. وإنما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته؛ فحذر أبو دهبل فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكاتب عاتكة. فبينا معاويةُ ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصيٌ له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلمّا قرأتْه بكت ثم أخذتْه فوضعتْه تحت مُصلاها، ومازالت خاثرة النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخصيٌ، فلم يزل يلْطُف حتى أصاب منها غرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعاتكُ هلاّ إذ بخلتِ فلا تَرَيْ ... لذي صبْوة زُلْفى لديك ولا حَقّا

رددْتِ فؤاداً قد تولّى به الهوى ... وسكّنْتِ عيناً لا تملُّ ولا ترْقا(١)

ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى ... ولم أرَ يوماً منك جُودا ولا صدقا

أتنْسيْن أيّامي بربْعك مُدْنفاً ... صريعاً بأرض الشام ذا سقم ملْقى

وليس صديقٌ يُرتضى لوصيّةٍ ... وأدعو لدائي بالشّراب فما أسْقى

وأكبرُ همّي أن أرى لك مُرْسلاً ... فطول نهاري جالسٌ أرْقُبُ الطُّرقا

فواكبدي إذ ليس لي منك مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى

رأيتُك تزدادين للصبِّ غلظةً ... ويزداد قلبي كلَّ يوم لكم عشقا

قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمرُ الذي شجاك؟ قال: أمر أمْرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعملَ في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: والله إن الرأي لهيّنٌ قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزقة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أفٍّ لك! والله إنّ أمرأً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيْر ذي رأي، وأنتَ قد ضاقَ ذرْعُك وقصرُ فيها باعك حتى أردتَ أن تقتلَ رجلاً من قريش!أو ما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدّقت قوله وجعلتنا أحدوثةً أبداً! قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتْني وأوجعتني وحملْتني على ما أشرتُ به فيه. قال: وما هي؟ قال قال:

---

(١) لا ترقا: لا يجفّ دمعها.

ألاَ لا تقُلْ مـهـلاً فـقـد ذهب المهْلُ　　ومـا كـلُّ من يلْحى مـحـبّاً له عـقل

لقـد كـان في حـولين حـالاً ولم أزُرْ　　هواي وإن خُوِّفتُ عن حبـهـا شـغل

حـمى الملكُ الجبّار عنّي لقـاءهـا　　فـمن دونها تُخْشى المتالِفُ والقتل

فـلا خـيـر في حبٍّ يُخـاف وباله　　ولا في حـبـيـبٍ لا يكـون لـه وصـل

فـواكـبـدي إنّي شُهِرتُ بحـبّهـا　　ولـم يك فـيـمـا بيننا سـاعـةً بذْلُ

وياعجباً إنـي أكـــاتـم حبّهـــا　　وقد شـاع حتى قُطِّعت دونها السُّبُلُ

قال: فـقال معاوية: قد والله رفَهتَ عنّي، فـمـا كنتُ آمنُ أنه قـد وصل إليهـا؛ فـأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير، قُمْ عنّي؛ فقام يزيد فانصرف. وحج معاوية في تلك السنة؛ فلما انقضت أيام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائز كثيرةً. فلما قبض أبو دهْبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاويةُ فرجع إليه؛ فقال له: يا أبا دهبل، مالي رأيتُ أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقت به وأنفذتَه إلى خُصمائنا وموالينا، لا تَعْرِضْ لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنّه مكذوبٌ عليه. فقال له معاويةُ: لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا؛ هل تأهّلتَ؟ قال: لا. قال: فأيّ بنات عمّك أحبُّ إليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى! فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبقَ منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتنيها طالقٌ البتّةَ. فسُرّ بذلك معاويةُ وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بإدْرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف إلى دمشق ولم يحْجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل. (١٢١/٧)

(٨٥)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني سليمان بن عبّاد قال حدّثني أبو جعفر الشُّويْفعي (رجل من أهل مكة) قال: قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حرّ شديد، فكان يُنقَلُ سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء. فلما بلغ بني جُمح نُودي بأبي دهبل، فقال سليمان: أين أبو دهبل الشاعر؟ عليّ به؛ فأُتي به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهبل الشاعر؟ قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فِتْنـةٌ يُشْـعِلها وُرّادُهـا　　حطبَ النار فدعها تشْتعِلْ

فإذا ما كـان أمـنٌ فأْتِهـمْ　　وإذا ما كان خوفٌ فاعتزل

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعون مروانَ كيما يستجيبَ لهم وعند مروان خار القومُ أو رقدوا
قد كان في قوم موسى قبلهم جسد عجلٌ إذا خار فيهم خورةً سجدوا(١)

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامة! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فُتنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلَبُوا عليكم بخَيْلِهم ورجْلهم ثم أدالكم اللهُ منهم فعفوتم عنهم، وإنما فُتِنْتُ فقلت بلساني، فلمَ لا يُعْفى عنّي! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعة بحاذان باليمن. فقيل لسليمان: كيف أقطعتَه هذه القطيعة! قال: أردتُ أن أميتَه وأميتَ ذكره بها(٢). (١٣٤/٧)

(٨٦)

أخبرني علي بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المُغيرة بن حجْناء قال حدَّثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقْضي للفرزدق على جرير ويفضِّله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمرُه وكان من شعراء الناس. فلما أكثَر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هلاّ تعْجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضربتُ رأيي فيه. ثم خرج جرير ذات يومٍ يمشي ولم يركب دابته؛ وقال: والله ما يسرُّني أن يعلم أحد. وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلْقةٌ بأعلى المرْبد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرَّض له لألقاه من حيالِ حيثُ كنت أراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه، وما يسرُّني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مرَّ على بغلة له وابنُه جنْدلٌ يسير وراءه على مُهْرٍ له أحْوى محذوفِ الذَّنَبِ(٣) وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السَّبب(٤). فلما استقبلتُه قلتُ: مرْحباً بك يا أبا جنْدل! وضربتُ بشمالي على معرفة بغلته، ثم قلت: يا أبا جنْدل! إن قولك يُستمع وإنك تُفضِّل الفرزدق عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويكْفيكَ من ذاك هيِّنٌ: إذا ذُكِرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه

---

(١) الجسد: الذي لا يعقل ولا يميِّز.

(٢) من الواضح أنَّ الخليفة يذكِّر الشاعر بشعر قديم قاله، يظهر فيه الشاعر بعيداً عن الأحداث معتزلاً لها، مع تعريض برجال البيت الأموي، ولكنَّ الشاعر يقدّم حجتَه ويطلب الغفران، وهو يصدر عن ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق.

(٣) ومهر أحوى: الذي يضرب إلى السواد من شدّة خضرته، ومحذوف: مقطوف من الطرَف.

(٤) بعض السبب بعض الأمر.

لائمةٌ. قال: فبيْنا أنا وهو كذاك واقفاً على وما ردُّ عليّ بذلك شيئاً حتى لحق ابنهُ جنْدلٌ، فرفع كرْمانيةً(١) معه فضربَ بها عَجُزَ بغلته ثم قال: لا أراك واقفاً على كلبٍ من بني كُليب كأنك تخْشى منه شراً أو ترجو منه خيراً! وضرب البغلةَ ضربةً، فرمحتْني رمْحةً وقعتْ منها قلْنسُوتي، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سفيهٌ غوى - يعْني جندلاً ابنَه - ولكن لا والله ما عاج عليّ، فأخذتُ قلْنسُوتي فمسحْتُها ثم أعدتُها على رأسي ثم قلتُ:

أجنْدلُ ما تقول بنو نُميْرٍ إذا ما الأيْر في استِ أبيك غابا

فسمعتُ الرّاعي قال لابنه: أما والله لقد طرحت قلَنْسُوَته طرْحةً مشنومة. قال: جريرٌ: ولا والله ما القلْنسوةُ بأغيظ أمرِه إليّ لو كان عاجَ عليّ. فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلّى العشاء بمنزله في علّيّةٍ(٢) له قال: ارفعوا إليّ باطيةً من نبيذ وأسْرجوا لي، فأسْرَجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ. قال: فجعل يُهَمْهِمُ(٣)؛ فسمعتْ صوته عجوزٌ في الدار فاطّلَعَتْ في الدُّرجةِ حتى نظرتْ إليه، فإذا هو يحبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفُكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لطيَّتك، نحن أعلم به وبما يُمارس. فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمير. فلما ختمها بقوله:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّك من نُميرٍ فلا كعْباً بلغتَ ولا كلابا

كبَّر ثم قال: أخْزيتُه وربِّ الكعْبة. ثم أصْبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبد، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق، دعا بدُهْنٍ فادهنَ وكفَّ رأسه(٤)، وكان حسن الشّعر، ثم قال: يا غلام، أسْرِجْ لي، فسرَج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم؛ حتى إذا كان بموْضعِ السلام قال: يا غلامُ - ولم يسلِّم - قل لعبيدٍ: أبعَثَكَ نسْوتُك تكْسِبُهنَّ المالَ بالعراق! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لترْجِعنَّ إليهنَّ بميْرٍ يسوءهن ولا يسرُّهُنّ! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكس الفرزدقُ وراعي الإبل وأرمَّ(٥) القومُ، حتى إذا فرغ منها سار، وثبتَ راعي الإبل ساعةً ثم ركب بغلته بشرٍّ وعُرٍّ وخلّى المجلس حتى ترقَّى إلى منزله الذي ينزله، قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم هاهنا مُقام، فضحكم والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمك وشؤمُ ابنك. قال: فما كان إلا ترحلّهم. قال فسِرْنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّريْفِ وهو أعلى دار بني نُميرٍ. فيحلفُ بالله راعي الإبل وجدْنا في أهلنا: فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ

---

(١) كرمانية: ضرب من السياط. (٢) عليّة: غرفة.

(٣) الهمهمة: الصوت الخفيّ. (٤) كفُّ شعره: جمعه وضمُّ أطرافه.

(٥) أرمّ القوم: سكتوا.

وأقسَم بالله ما بلَّغه إنْسيٌّ قطّ، وإنَّ لجريرٍ لأشياعاً من الجنّ. فتشاءمتْ به بنو نُمير وسبُّوه وابنه، فهم يتشاءمون به إلى الآن(١). (٢٩/٨)

(٨٧)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثني الحسن بن عليل قال حدَّثني محمد بن عبد الله العبْديّ عن عمارةَ بن عقيل عن جدِّه قال: وقف الفرزدقُ على أبي بمرْبد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الراعي؛ فلما بلغ إلى قوله:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ فلا كعْباً بلغْتَ ولا كلابا

أقبل الفرزدقُ على راويته فقال: غضَّه والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلح بعدها. فلما بلغ إلى قوله:

بها برصٌ بجانبِ إسْكتيْها

وضع الفرزدقُ يده على فيه وغطّى عنْفقته(٢)؛ فقال أبي: كعنْفَقَةِ الفرزدق حين شابا

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخْزِه! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا، ولكن طَمعْتُ ألاّ يأْبَهَ فغطَّيتُ وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العنزيّ حدَّثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبيدة قال قال يونُس: ما أُرى جريراً قال هذا المصراع إلا حين غطّى الفرزدق عنْفَقته، فإنه نبَّه عليه بتغطيته إيّاها(٣). (٣٤/٨)

(٨٨)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفش قال حدَّثني محمد بن يزيد عن عمارة بنِ عُقيل عن أبيه قال: قال: جرير: وفدتُ إلى يزيدَ بن معاوية وأنا شابٌّ (يومئذ)؛ فاستُؤْذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليَّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يصلُ إلينا شاعر لا نعرفه ولا

---

(١) أدرك الراعي أنَّ ابنه فتح باباً للشرّ كبيراً، ولم يكن ليحسن التصرّف مع شاعر كبير مثل جرير. ولذلك نراه يصف فعلة ابنه بالشؤم، وقد كان هذا، ونلاحظ كذلك سرعة انتشار قصيدة جرير، وشدَّة تناقل الناس والرواة لها، حتى ظنَّ الراعي أنَّ الجنَّ هي التي قامت بعملية النشر هذه، والراعي يعلم قبل غيره أهمية جرير وشعره في ذلك المجتمع، فلا عجب أن يطير شعره وينتشر بلا حاجة إلى جنّ أو قوى خفيَّة أخرى.

(٢) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٣) كان الفرزدق خبيراً بالشعر، سابراً أغواره، ولذلك نراه يدرك منذ الوهلة الأولى شدّة وقع أبيات جرير على الراعي وأهله، ويتوقّع أن تصحبهم هذه الأبيات أينما ذهبوا، وقد صحَّ توقّع الفرزدق حين انتشرت الأبيات، ولم يفلح الراعي بعدها على حدِّ قول الفرزدق.

نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة. فقلت له: تقولُ لأمير المؤمنين: أنا القائل:

وإنّي لعفُّ الفقر مُشْـتركُ الغنى سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا(١)
جريءُ الجنانِ لا أهاب من الردى إذا ما جعلتُ السيفَ قبضَ بنانيا
وليس لسيفي في العظام بقيةٌ وللسَّيْفُ أشْوى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ؛ ثم خرج إليَّ وأذن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء؛ فكانت أوّل جائزة أخذتُها من خليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظنُّ أبياتك التي توسلّتَ بها إليَّ إلاَّ لي. (٣٦/٨)

(٨٩)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثّنا سليمان بن أبي شيْخ قال حدثّنا محمد بن الحكم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثّنا عمر بن شبّة قال حدثّنا أبو الهيْثم بدر بن سعيد العطار قال حدثّنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما استُخلف عُمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه؛ فجاء عوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود وعليه عمامةٌ قد أرخى طرفيْها فدخل؛ فصاح به جرير:

يأيُّها القارئُ المُرْخي عمامته هذا زمانُك إنّي قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنتَ لاقيهَ أنّي لدى البابِ كالمصْفودِ في قرنِ(٢)

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعراً، فلما دخل عليه غيَّره وقال:

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أخْلفنا من الخليفة ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قدراً كما أتى ربَّه موسى على قدر
أأذكر الجهْدَ والبلْوى التي نزلتْ أم تكْتفي بالذي بلّغْتَ من خبري
ما زِلتُ بعدك في دارٍ تعرقُني قد طال بعدك إصعادي ومُنحدري(٣)

---

(١) عفّ الفقر: أي هو عفيف في فقره لا يريق ماء وجهه بالسؤال، ومشترك الغنى: يُشرك غيره من الناس في ماله.

(٢) المصفود: المربوط، والقَرَن: الحبل.

(٣) تعرقُني: أخذ ما على العظم من اللحم، يريد أنّها تفقره ولا تدع له شيئاً.

لا ينفعُ الحاضرُ المجهودُ بادينا ولا يجودُ لنا بادٍ على حضرِ
كم بالمواسم من شعثاءَ أرملةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به خبلاً من الجنِّ أو مساً من النُّشَرِ(١)
ممن يعُدُّك تكفي فقدَ والده كالفرخ في العشِّ لم ينهَضْ ولم يطرِ

قال: فبكى عمرُ ثم قال: يابن الخطفى، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرف لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فيجبَ لكَ ما يجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصلُ به قومك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثر قومي مالاً، وأحسنهم حالاً، ولكنّي أسألك ما عوّدتنيه الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهم وما يتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ. فقال له عمر: كلُّ امرئٍ يلْقى فعله، وأمَّا أنا فما أرى لك في مال الله حقاً، ولكن انتظرْ، يخْرُجُ عطائي، فأنظرُ ما يكْفي عيالي سنةً منه فأدَّخِرُه لهم، ثم إن فضل فضْلٌ صرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يوفِّر أميرُ المؤمنين ويُحمد وأخرج راضياً؛ قال: فذلك أحبُّ إليَّ؛ فخرج.

فلما ولّى قال عمر: إن شرَّ هذا ليُتّقى؛ رُدّوه إليَّ، فردُّوه. فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخلعتين إذا غُسِلَتْ إحداهما لبستُ الأخرى، وأنا مقاسِمُك ذلك، على أن الله جلَّ وعزَّ يعلم أن عمر أحْوجُ إلى ذلك منك. فقال له: قد وفرَك الله يا أميرَ المؤمنين وأنا والله راض. قال: أمَّا وقد حلفْتَ فإن ما وفَّرْتَه عليَّ ولم تضيِّق به معيشتنا أثَر في نفسي من المدح، فامْضِ مُصاحباً؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ: ما صنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حزْرة؟ قال: خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراء ويُباعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راض؛ ثم وضع رِجْله في غرْزِ راحلته وأتى قومه. فقالوا له: ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حزْرة؟ فقال:

تركتُ لكم بالشام حبْلَ جماعةٍ أمينَ القوى مُسْتحصِدَ العقدِ باقيا(٢)
وجدتُ رقَى الشيطان لا تَستفزُّه وقد كان شيطاني من الجنِّ راقيا

هذه رواية عمر بن شبّة. وأما اليزيديّ فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ يا أمير المؤمنين، فإنّي ابنُ سبيل. قال: لك ما لأبناء السبيل، زادُكَ ونفقةٌ تبلِّغك وتُبدِّل راحلتُك إن لم تحملْك. فألحَّ عليه؛ فقالت له بنو أميّة: يا أبا حزْرة، مهْلاً عن أمير المؤمنين، نحن نُرْضيكَ من أموالنا عنه، فخرج. وجمعتْ له بنو أميّة مالاً عظيماً؛ فما خرج من عند خليفةٍ بأكثر ممّا خرج من عند

---

(١) النُّشر: جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

(٢) مستحصد: مستحكم.

عمر(٣). (٤٧/٨)

(٩٠)

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشم عن عمارة بن عُقيل عن أبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده، وقد كانا تهاجيا ولم ير أحدٌ منهما صاحبه، فلما استأذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمح طرْفُ جريرٍ إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومك وتهضّمْتُ قومك. فقال له جرير: ذلك أشْقى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداك! فضحك ثم قال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة. فردّ عليه بصره ثم قال: فلا حيّاك الله يابن النصرانية! أمّا منعكم نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضّمُك قومي فكيف تهضّمُهم وأنت ممن ضُرِبَتْ عليه الذّلّة وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزية عن يدٍ وهو صاغر. وكيف تتهضّم لا أمّ لك قوماً فيهم النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابنِ النّصرانية؛ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحضْرتي. (٦٢/٨)

(٩١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدّثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ(٢) واحد على جرير: (قيس وموالي بني أمية) يسلّمون عليه ويسألونه

---

(١) هذا منهج كاد يزول في الدولة الأموية لولا إحياء عمر بن عبد العزيز له، فقد دأب الخلفاء الأمويون على منح الشاعر أموالاً جزيلة، وخاصة أولئك الشعراء الذين تغنّوا بهم، واستمروا في مدحهم، وجرير واحد منهم، ولكنّ عمر بن عبد العزيز لم يكن يرى للشعراء حقّاً في بيت المال سوى حقّ عطائهم أمّا عدا هذا فهو تبذير وطيش، ولذلك نراه يبيّن لجرير هذا الأمر، ويعدّد له الوجوه التي يمكن الإنفاق فيها، وليس لجرير وجه واحد منها، ولكنّه يفيء بعد قليل إلى ما عرفه وسمعه عن الشاعر ومكانته فيطلب من جرير أن يأخذ قليلاً ممّا عنده، فيأبى جرير بأدب ويخرج راضياً، ونعتقد أن هذا الموقف، وقبله موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الحطيئة يشير إلى تغلغل الشعر في حنايا المجتمع العربي، ونفاذه إلى أدقّ مكامنه وخباياه.

(٢) العنق: الجماعة الكثيرة.

كيف كنت يا أبا حزرة في مسيرك، وكيف أهلك وأسبابك. وما يُطيف بالفرزدق إلاَّ نفرٌ من خِنْدف جلوسٌ معه. قال شُعيبٌ: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: لمدحه قيْساً وقوله في العجم:

فيجمعنا والغُرُّ أولادَ سارةٍ أبٌ لانُبالي بعده من تعذّرا(١)

قال شُعيْب: بلغني أنَّه أهْنيتْ له يومئذٍ حلَّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم: وأخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن شُعيْب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتمُّ من حكاية ابن سلاَّم. وقال أبو خليفة في خبره: سمعت عُمارة بن عُقيل بن بلال يقول: وافته في يومه ذلك مائةُ حلَّة من بني الأحرار(٢). (٨/٦٤)

(٩٢)

أخبرنا علي بن سليمان الأخْفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكري قال قال عُمارة بن عُقيل حدّثني أبي عن أبيه: أن الحجّاج أوفد ابنه محمّد بن الحجّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذن له، وكان لا يسمع من شعراء مُضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبيْريَّةً. فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يئذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممَّن والى ابنَ الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أمير المؤمنين، إنَّ العرب تتحدّث أنَّ عبدك وسيفك الحجّاج شفع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم ردّته؛ فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجّاج! ألستَ القائلَ:

من سدَّ مُطَّلَعَ النِّفاق عليكم أم من يَصُول كصوْلة الحجاج

إن الله لم ينصرني بالحجّاج وإنما نصر دينه وخليفته. أولست القائل:

أم مَنْ يغارُ على النساءِ حفيظةً إذ لا يثقْنَ بغيرةِ الأزواج

يا عاضَّ كذا وكذا من أمِّه! والله لهمَمْتُ أن أطير بك طيْرةً بطيئاً سُقوطُها، أخرُجْ عنِّي، فأخْرِج بشرٌ. فلمَّا كان بعدَ ثلاثٍ شفعٍ إليه محمدٌ لجرير وقال له: يا أمير المؤمنين، إني أدّيت رسالة عبدك الحجّاج وشفاعته في جرير، فلما أذنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشْمتَ به عدوَّه، ولو

---

(١) سارة: زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٢) بنو الأحرار: أبناء الموالي من الفرس.

لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيتَ أن تهبَ كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج، ولي فافعل، فأذن له. فاستأذنه في الإنشاد؛ فقال: لا تُنشدني إلاّ في الحجّاج، فإنما أنت للحجّاج خاصةً. فسأله أن يُنْشده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشِده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشده إلاّ من قوله في الحجّاج؛ فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزِف الرَّحيلُ قال جرير لمحمد: إن رحلتُ عن أمير المؤمنين ولم يسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذنَ لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له فقال جرير: ارحَلْ أنت وأقيم أنا. فدخل محمدٌ على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له، وسأله أن يسمعَ منه، وقبّل يده ورجله، فأذِن له. فدخل فاستأذن في الإنشاد فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشِدْ ويْحك! فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألستمُ خيرَ من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راحِ(١)

فتبسَّم عبد الملك وقال: كذلك نحن وما زِلْنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزُّبير فقال:

دعــوتَ المُلحدينَ أبـا خُبيْـب   جِماحاً هل شُفيتَ من الجِماحِ(٢)

وقد وجدوا الخليفــة هِبْرزِيـاً   ألفَّ العيصِ ليس من النَّواحي(٣)

وما شجراتُ عيصكَ في قريش   بعشّـاتِ الفُروعِ ولا ضواحي(٤)

قال: ثمَّ أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

تعــزَّتْ أمُّ حــزْرة ثم قـالت   رأيتُ المُوردين ذوي لقـاحِ

تُعلِّل وهي ســاغبةٌ بنيها   بأنفاس من الشَّبِم القراحِ(٥)

فقال عبد الملك: هل تُرويها مائة لقحة؟ فقال: إن لم يُرْوِها ذلك فلا أرْواها الله! فهل إليها - جعلني الله فداكَ يا أمير المؤمنين - من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء، وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال: له جرير: يا أمير المؤمنين، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحْلبا؟ فضحك وندس إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال: خذها لا نفعتْك! فأخذها وقال: بلى والله يا أمير المؤمنين لينفعنّي كلُّ ما منحتنيه، وخرج من عنده(٦). قال: وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال

---

(١) راح: جمعة راحة وهي باطن اليد.   (٢) أبو خبيب: هو عبد الله بن الزبير.

(٣) الهبرزي: الخالص، والألفُّ: الملتفّ، والعيص: الأصل، يريد أنّه من وسط العزّ لا من نواحيه.

(٤) العشّة: الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت.

(٥) الأنفاس: جمع نَفَس: وهو جرعة الماء، والشبم: البارد، والقراح: الخالص.

(٦) نلاحظ هنا الأثر الكبير الذي تركته السياسة وفرّقها على الشعر، فالخليفة لا يسمع من شعراء مضر =

يمدح يزيد بن عبد الملك:

أعطوا هُنَيْدةَ يحدوها ثمانيةٌ ... ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سرفُ (٦٦/٨)

(٩٣)

حدّثني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله السدّي قال حدّثني عُمارة بن عُقيل عن أبيه قال: وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تهاجيا ولم يلقَ أحدُهما صاحبه. فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلّم وجلس، وقد عرفه الأخطل، فطمح بصرُ جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومك وهضمْتُ قومك. فقال له جريرٌ: ذاك أشقى لك كائناً مَنْ كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزرة. فردَّ بصره إليه وقال: فلا حيّاك الله يا بنَ النصرانية! أمّا منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تهضُّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليهم الذِّلّة والمسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله!. إيذَنْ لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانيّة. فقال: لا يكون ذلك بين يديّ. فوثبَ جريرٌ مُغْضباً. فقال عبد الملك: قم يا أخْطل واتبَعْ صاحبك؛ فإنما قام غضباً علينا فيك؛ فنهض الأخطلُ. فقال عبد الملك لخادم له: انظر ما يصْنعان إذا برز له الأخطل.

فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حصاناً له أدْهم فركبه وهَدَرَ والفرسُ يهتزُّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلْفه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره، ؛ فضحك وقال: قاتل الله جريراً! ما أفْحله! أما والله لو كان النصرانيّ برز إليه لأكله. (٧٢/٨)

(٩٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال: كان عمر بن يزيد بن عُمير الأسدي يتعصّبُ للفرزدق على جرير: فتزوّج امرأةً من بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم؛ فقال جرير:

= قاطبة لأنّهم كانوا زبيريّة، ويؤخذ جرير بهذا الذي يراه الخليفة ذنباً فلا يُسمح له بالدخول، وبعد العناء والشفاعة، يدخل، فيُقابَل بوجه عابس كالح، ليخرج بعير طائل، ونراه مصراً على الدخول، مدمناً عليه، فهو يعتقد ـ ولعلّه اتّجاه عام ـ أنّه بفشله في مدح الخليفة وأخذ عطائه سيسقط آخر الدهر، فمكانته مرتبطة بالخليفة رضىً أو سَخطاً، وهو أمر لم نَرَه فيما سبق.

نكحتَ إلى بني عُدُس بن زيدٍ   لقد هجَّنْتَ خيلَهُم العِرابا(١)
أتنسى يومَ مسكِنَ إذ تُنادي   وقد أخطأتَ بالقدم الرُّكابا(٢)

وهي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بن يزيد. ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه. (٧٤/٨)

(٩٥)

قال ابن سلاّم فحدّثني أبو الغرّاف: أن رجال تميم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْميّ وقالوا: واللهِ ما شعراؤنا إلا بلاءٌ علينا ينشُرون مساوينا ويهْجُون أحياءنا وموْتانا؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلّظة ألاّ يعُودا في هجاء. فكفّ التَّيْميّ، وكان جريرٌ لا يزال يسلُّ الواحدة بعد الواحدة فيه؛ فيقول التَّيْميّ: والله ما نقضْتُ هذه ولا سمعتُها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح. (٧٩/٨)

(٩٦)

حدّثنا أحمد بن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن النّطاح قال، وحدّثني أبو الأخضر لُخارق بن الأخضر القيْسيّ قال: إنّي كنتُ والله الذي لا إله إلا هو أخصَّ الناس بجرير، وكان ينزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عديّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مداحاً له؛ فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النّزارية ولا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيثُ يقرُب من مجلس بن الرِّقاع إلى أن يأذن الوليدُ للناس فيدخلَ. فقلت له: يا أبا حَزْرة، اختصَصْتَ عدوَّك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلاّ لأنشده أشعاراً تُخْزيه وتُخْزي قومه. قال: ولم يكن يُنْشده شيئاً من شعره، وإنما كان يُنْشِدُه شعر غيره ليُذلّه ويخوّفه نفسه. فأذن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا، فأخذ الناسُ مجالسهم، وتخلّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسهم واطمأنّوا فيها. فبينماهم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السِّماطيْن(٣) يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرِقاع المتفرِّقة أؤلّفُ بعضها إلى بعض! ـ قال: وأنا جالسٌ أسمع ـ فقال الوليد: والله لهمَمْتُ أن أخْرِجه على ظهرك إلى الناس. فقال

---

(١) العِراب: الخيل الأصيلة، وهي خلاف البراذين.

(٢) مسكن: موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة (٧١هـ)، وفيها قُتل مصعب، ومن الواضح أنّه يعيِّره بجبنه.

(٣) السِّماطان: الصفّان.

جرير وهو قائم كما هو:

فإن تنْهني عنه فسمعاً وطاعةً وإلا فـإنّي عُرْضـةٌ للمراجِـم(١)

قال فقال له الوليد: لا كثّر الله في الناس أمثالك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سعرْتُ الأمّة(٢)، فلو كثّر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً. قال: فنظرتُ والله إلى الوليد تبسّم حتى بدتْ ثناياه تعجُّباً من جرير وجلده. قال: ثم أمره فجلس. (٧٩/٨)

(٩٧)

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا ابن النّطاح عن أبي عُبيدة قال: كان جرير عند الوليد وعديُّ بن الرِّقاع يُنْشده. فقال الوليد لجرير: كيف تسمع؟ قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عديُّ بنُ الرِّقاع قال: فإن شرُّ الثيابِ الرِّقاعُ ثم قال جرير: (عاملةٌ ناصبةٌ تَصلّى ناراً حاميةً)؛ فغضب الوليدُ وقال: يابن اللُّخْناء! ما بقي لك إلا أن تتناول كتابَ الله! والله ليرْكبنّك! يا غلام أوْكِفْه حتى يركبه. فغمز عُمر بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف. فلما سكن غضبُ الوليد قام إليه عُمرُ فكلّمه وطلب إليه وقال: هذا شاعرُ مُضر ولسانُها، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألاّ يغُضّ منه! ولم يزل به حتى أعْفاه، وقال له: والله لئن هجوته أو عرّضتَ به لأفعلنّ بك ولأفعلُن!. فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها:

أقْصِرْ فإن نزاراً لن يفاخرها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس

وذكر وقائع نزارٍ في اليمن؛ فعلمنا أنّه عناه، ولم يُجبْه الآخر بشيء(٣). (٨٠/٨)

(٩٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البلويّ: أن رهط بُثينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يثقُون بها يقال لها أمُّ منظور. فجاءها جميل فقال لها: يا أمُّ منظور، أريني بثينة. فقالت: لا! والله لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أما واللهِ لأضربُنّك؛ فقالت: المضرّةُ واللهُ في أن أريكَها. فخرج من عندها وهو يقول:

---

(١) عرضة: يقال: فلان عرضة للكلام إذا كان كثيراً ما يعترضه كلام الناس ويُقذف به، والمراجم: الكلم القبيحة.

(٢) سعرت الأمة: يريد أوقدت فيها الشرّ.

(٣) لم يكن الخليفة ليُنفّذ تهديده بالشاعر، وهو شاعر مضر ولسانها، ومحلّه في الشعر لا يُنكر، ولكنّه أراد ردعه عن شاعر أثير إليه وهو ابن الرقاع بعد ما رأى منه.

ما أنْسَ لا أنْسَ منها نظرةً سلفَتْ   بالحِجْـرِ يـومَ جلَتْهـا أمُّ منظـورِ(١)
ولا انسلابتَها خُرْسـاً جبـائرُها   إليَّ من سـاقط الأرواقِ مسـتـورِ(٢)

قال: فما كان إلاّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلّقوا بأمّ منظور فحلفتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها. هكذا ذكر الزُّبير بن بكّار في خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك. (١١٢/٨)

(٩٩)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال: استعدت جرْمٌ على ابن الطَّثْرِيَّة في وحْشية (امرأة منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَوْر أخي يزيد بن الطَّثْرية وأمره بأدبه، فجعل عقوبته حلْق لِمّته(٣) فحلقها، فقال يزيد:

أقول لثَوْرٍ وهـو يحلِـقُ لِمّتي   بحجْناءَ مردودٍ عليها نِصابُها(٤)

- قال عبد الرحمن: كان عمّي يحتجّ في تأنيث المُوسى بهذا البيت -

ترفَّـقْ بهـا يا ثَـورُ ليس ثوابُها   بهـذا ولكن غـيـرُ هذا ثوابُهـا
ألا ربَّما يا ثَوْرُ قد غـلَّ وسْـطها   أناملُ رخْصاتٌ حديثٌ خضابُها(٥)
وتسْـلُك مِدْرى العاج في مُدْلهمَّـةٍ   إذا لم تُفرَّجْ مات غمّاً صُؤابُها(٦)
فـراح بهـا ثَـوْرٌ تـرفُّ كأنـهـا   سلاسلُ دِرْعٍ خيرُها وانسكابُها(٧)
مُنَعَّمـةٌ كـالشَّرْيةِ الفـرْدِ جادها   نجـاءُ الثُّريّـا هطْلُها وذهابُهـا(٨)
فأصبح رأسي كالصُّخَيْرة أشْرفتْ   عليهـا عُقـابٌ ثم طـارتْ عُقابُها (١٧٨/٨)

---

(١) الحِجر: اسم موضع، وجلّتها: زيّنتها.

(٢) انسلابتها: انسلب في الأصل أسرع كأنّه لسرعته يخرج من جلده، والجبائر: الأساور، يريد تسلّلها إليه خفية في سرعة، والأرواق: الفساطيط.

(٣) اللِّمّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن. (٤) حجناء: وهي كلّ حديدة لُويَ طرفها.

(٥) غلّ شعره بالطيّب: أدخله في أصوله.

(٦) المِدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشَّعر المتلبّد، ومدلهمّة: سوداء.

(٧) ترفّ: تبرق، خيرها: هيئتها.

(٨) الشرْية: شجرة الحنظل، تشبّه اللمم بها لحسنها لأنّها جعدة، والنجاء: جمع نجو وهو السحاب الذي هراق ماءه.

(١٠٠)

وحدّثني أبي قال حدّثنا يونس قال قال لي أبو عباد: أتيتُ جميلة يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبقتُ الناسَ إليها، فإذا مجلسُها غاصٌّ؛ فسألتُها أن تُعلّمني شيئاً؛ فقالت لي: إنّ غيركَ قد سبقك ولا يجملُ تقديمُك على من سواك. فقلتُ: جُعِلْتُ فداك! إلى متى تفرُغين ممّن سبقني! قالت: هو ذاك، الحقُّ يسعُك ويسعُهم. فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر ـ وإنه لأوّل يومٍ رأيتُه وآخرهُ وكنت صغيراً كيّساً، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ـ فقامت وقام الناس، فتلقّته وقبّلتْ رجْليه ويديْه، وجلس في صدر المجلس على كومِلها وتحوّق(١) أصحابُه حوْله، وأشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرّق الناسُ، وغمزتْني أن لا أبرحُ فأقمتُ. وقالت: يا سيّدي وسيّدَ آبائي ومواليَّ، كيف نشطْتَ إلى أن تنْقل قدميك إلى أمتك؟ قال: يا جميلة، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألاّ تغنّي أحداً إلاّ في منزلك، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فسيحاً. قالت: جُعِلتُ فداكَ! فأنا أصيرُ إليكَ وأكفّر. قال: لا أكلّفك ذلك، وبلغني أنك تُغنّين بيتين لامرئ القيس تُجيدين الغناءَ فيهما، وكان اللهُ أنْقذ بهما جماعةً من المسلمين من الموت. قالت: يا سيّدي نعم! فاندفعت تغنّي فغنّت بعُودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء؛ فسبّح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه. وهما:

ولمّا رأتْ أنَّ الشّريعةَ همُّها ... وأنَّ البياضَ من فرائصها دامي(٢)
تيمّمَتِ العينَ التي عند ضارجٍ ... يفيءُ عليها الظّلُّ عرمَضها طامي(٣)

فلما فرغتْ قالت جميلة: أيْ سيّدي أزيدُك؟ قال: حسْبي. فقال بعض من كان معه: بأبي جُعلت فداكَ! وكيف أنْقذ اللهُ من المسلمين جماعة بهذين البيتين؟ قال: نعم أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النّبي (ص) فضلُّوا الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، وجعل الرجلُ منهم يستذري(٤) بفيءِ السّمُر والطّلح يائساً من الحياة، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعض القوم هذين البيتين فقال:

---

(١) تحوّق: استدار حوله.

(٢) الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الدّواب، وهمّها: طلبها، والفريصة: اللحم الذي بين الكتف والصدر، والضمير في رأت للحُمُر، يريد أنَّ الحمر لمّا أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمي فرائصها من سهامهم فعدلت إلى (ضارج).

(٣) ضارج: موضع في بلاد بني عبس، والعرمض: الطحلب، وطامٍ مرتفع.

(٤) يستذري: يستظلّ.

وَلمّـــا رأتْ أن الشَّـــرِيعة همُّهـــا   وأن البياض من فرائصـها دامي
تيمَّمَـتِ العينَ التي عـنـد ضـــارجٍ   يفيءُ عليها الظِّلُّ عرْمضُها طامي

فقال الراكبُ: مَنْ يقول هذا؟ قال: امرؤُ القيْس. قال: والله ما كذب؛ هذا ضـارجٌ عندكم، وأشار لهم إليه؛ فحبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عَذبٌ وإذا عليه العرْمضُ والظلُّ يفيءُ عليه، فشربوا منه ريَّهم وحملوا ما اكتفَوْا به حتى بلغوا الماءَ. فأتوا النبيَّ(ص) فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحيانا الله عزوجل ببيتين من شعر امرئ القيس، وأنشدوه الشعر. فقال رسول الله(ص): «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار». فكلٌّ استحسن الحديثَ. ونهض عبدُ الله بن جعفر ونهض القومُ معه. فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه. (١٩٧/٨)

(١٠١)

وقال هارون بن الزيَّات حدَّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْريَّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خلاد عن أبيه قال: لمّا استنزل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكلابيَّ من قرْقيسيا، أقعده معه على سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكلاع. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرمَ عليَّ منك؛ ولكنَّ لسانه لساني وحديثه يُعْجِبُني. فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال: أما والله لأقومنَّ في ذلك مقاماً لم يقُمْه ابن ذي الكلاع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينه منه قال:

وكـأسٍ مثل عين الدِّيكِ صِـرْفٍ   تُنسِّي الشـــاربين لها العقولا
إذا شـربَ الفـتى منهـا ثلاثاً   بغـيـر الماء حـاول أن يَطُولا
مـشى قُرشـيَّةٍ لاشكَّ فـيـهـا   وأرخى من مـآزره الفُضـولا

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خَطَّةٌ في رأسك. قال: أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجلِس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقد ينْبُت المرْعى على دِمَنِ الثَّرى   وتبقى حزازاتُ النفـوس كما هيا

قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدرَ زُفَر فقلبه عن السرير وقال: أذهَبَ اللهُ حزازاتِ تلك الصدور. فقال: أنشدُكَ الله يا أمير المؤمنين العهد الذي أعطيتني!. فكان زُفَرُ

يقول: ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال. (٢٩٦/٨)

(١٠٢)

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن دماذ عن أبي عُبيدة قال: قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نصْرانيّ كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: يالُكع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبّة خزّ وحِرزُ خزّ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مرْوان بغير إذن[١]. (٢٩٩/٨)

(١٠٣)

أخبرنا أبو خليفةَ قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال زعم محمد بن حفْص بن عائشة التَّيْميّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب قال: قدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبي، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دمشْق وإذا الأخطلُ فيها محبوس، فجعلتُ أنظر إليه. فسأل عنّي فأخْبِر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لرجلٌ شريف، وإني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتُك مقضيةٌ. قال: إنّ القسّ حبسني هاهنا فتكلّمْه ليُخلّي عنّي. فأتيتُ القسّ فانتسبت له، فرحبُ وعظّم، قلت: إنّ لي إليك حاجةً. قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطلُ تُخلّي عنه. قال: أعيذُكَ بالله من هذا! مثلُك لا يتكلّم فيه، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلبُ إليه حتى مضى معي متّكئاً على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عدوَّ الله! أتعود تشتُم الناس وتهجوهم وتقذف المُحْصنات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويستخذي له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناسُ يهابونك والخليفةُ يُكرمك وقدْرُك في الناس قدْرُك، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذي له!. قال: فجعل يقول لي: إنّه الدِّين! إنه الدِّين!. (٣٠٩/٨)

(١٠٤)

فأمّا السبب في مدح الأخطل عكرمة بن رِبْعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: قدِم الأخطل الكوفة فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشّيْباني، فقال: إني تحمّلتُ حمالتين

---

(١) لم يصل الأخطل إلى ما وصل إليه إلاّ بسبب الشعر، وخاصة ذلك الشعر الذي تغنّى فيه بالخلفاء الأمويين، وفضّلهم على غيرهم من منافسيهم مثل العلويين والزبيريّن، وكأنّه مهّد الطريق من بعده لمروان بن أبي حفصة في مدائحه للعباسيين التي سنراها قريباً، ولكنّ الخمر والصليب وما إليهما من أمور ممّا يخالف الإسلام حتماً. ولعلّ للخليفة رأياً رآه وارتضاه لنفسه.

لأحقن بهما دماء قومي فنهره، فأتى سيار بن البزيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عِكْرمة الفيّاض وكان كاتباً لبِشْر بن مرْوان، فسأله وأخبره بما ردّ عليه الرجلان؛ فقال: أمّا إني لا أنهرك ولا أعتذر إليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً(١) والأخرى عرضاً(٢) قال: وحدث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردتَ أن تكافئ عكرمة يوماً فاليوم. فلبس جُبّة خزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حوْشَب وسيّار نفسا عليه ذلك، وقال له عكرمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته:

لِمنِ الدّيارُ بحائلٍ فوُعالِ

حتى انتهى إلى قوله:

إنَّ ابنَ ربْعيٍّ كفاني سَيْبُه ضِغْنَ العدوِّ وغدْرَةَ المُحتالِ
أغْليْتَ حين تواكلتْني وائلٌ إنَّ المكارمَ عند ذاك غوالِ
ولقد مننتَ على ربيعة كلِّها وكفيْتَ كلَّ مُواكلٍ خذّالِ
كابن البزيعة أو كآخر مثله أوْلى لك ابنَ مُسيمة الأجمالِ(٣)
إنَّ اللّئيمَ إذا سألتَ بهرْتَه وترى الكريم يراحُ كالمختالِ(٤)
وإذا عدلتَ به رجالاً لم تَجِدْ فيضَ الفُراتِ كراشحِ الأوشالِ

قال: فجعل عِكْرمة يبتهج ويقول: هذه والله أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم. (٨/٣١٩)

(١٠٥)

وفي بني غُدانة يقول الفرزدق:

أبني غُدانة إنّني حرَّرْتُكم فوهبتُكم لعطيّة بن جِعالِ
لولا عطيّةُ لاجْتدعْتُ أنوفكم من بين ألأمِ أعينٍ وسِبالِ(٥)

وكان عُطية استوهب منه أعراضهم لصهرٍ كان بينه وبينهم، وكان عطية سيّدا من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد امتن عليّ أبو فراس بهذه الهبة وما تممها حتى ارتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم. قال: وكان عطية هذا جواداً، وفيه يقول جرير:

---

(١) العَيْن: ما ضُرب نقداً من الدنانير. (٢) العَرْض: المتاع وكلّ شيء سوى الدراهم والدنانير.

(٣) أولى لك: ويل لك فهي كلمة تقال في مقام التهديد والوعيد.

(٤) بهرته: فجأته وقطعت أنفاسه، ويَراح: ينشط إلى الشيء ويسرّ به. (٥) سبال: جمع سَبَلة وهو الشارب.

إن الجوادَ على المواطن كُلها وابنَ الجواد عطيةُ بن جِعال
يهبَ النجائبَ لا يملُّ عطاءها والمقْرِباتِ كأنهن سعالى(١) (٨/٣٨٥)

(١٠٦)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليلُ بن أسَد، قال: أنبأنا العُمري عن العُتبي، قال: أجرى الوليد بن عبد الملك الخيلَ وعنده حارثةُ بن بدرٍ الغُداني، وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الوليدُ، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهنّأه ودعا له، ثم قال:

إلى الألفين مُطّلَعٌ قريب زيادةُ أربعٍ لي قد بقينا
فإنْ أهْلِكْ فهنّ لكم وإلا فهنّ من المتاع لكم سنينا

فقال له الوليد: فتشاطرني ذلك: لك مائتان ولي مائتان. فصيّر عطاءه ألفاً وثمانمائة. ثم أجرى الوليدُ الخيل، فسبق أيضاً؛ فقال حارثةُ: هذه فرصة (أخرى). فقام فهنأه ودعا له، ثم قال:

وما احتجب الألفان إلا بهيّنٍ هما الآن أدنى منهما قبل ذالكا
فجُدْ بهما تفديك نفسي فإنني مُعلّق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليدُ له بالمائتين، فانصرفَ وعطاؤه ألفان. (٨/٣٩٦)

(١٠٧)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: أنبأنا أحمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن عمر بن زياد الكندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة، عن مجالد؛ عن الشعبي، قال: كنتُ عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأنشدتهُ لحارثة بن بدر:

وكان لنا نبعٌ تقينا عُروقه فقدْ بلغت إلا قليلاً حُلوقها
وشيّب رأسي واستخفّ حُلومنا رُعودُ المنايا فوقنا وبُروقها
وإنا لتستحلي المنايا نُفوسنا وتتركُ أخرى مُرّةً ما تذوقها
رأيتُ المنايا بادئاتٍ وعُودا إلى دارنا سهلاً إليها طريقها
فقد قُسّمتْ نفسي فريقين منهما فريقٌ مع الموتى وعندي فريقها

---

(١) النجائب: جمع نجيبة وهي الكريمة العتيقة من النوق والأفراس، والمقربات: جمع مقربة وهي الفرس يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها، والسعالي: جمع سعلاة وهي الغول.

قال الشعبيّ: فقال لي ابنُ جعفر: نحن كنا أحقَّ بهذا الشعر. وجاء غُلامه بدراهمَ في منديل، فقال له: هذه غلّة أرْضِك بمكان كذا وكذا. فقال: ألقِها في حجر الشعبيّ. فألقاها في حجري. (٨/٤٠١)

(١٠٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني بعض أصحاب الحديث قال: كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثيِّر فتطيب نفسه ويحدثنا. (٩/٥)

(١٠٩)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا المؤمّليّ عن أبي عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: دخل كثيِّر على عبد الملك بن مرْوان فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أرضاً لك يقال لها غُرُب[١] ربما أتيتُها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رُطبها وتمْرها بشراء مرّةً وطُعْمة مرّة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعمِّرنيها[٢] فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندَّمه الناس وقالوا له: أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فهلاّ سألتَ الأرض قطيعةً!. فأتى الوليدَ فقال: إنّ لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجْلسني قريباً من البِرْذَوْن. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيه! وعلم أنّ له إليه حاجةً فقال كثيِّر:

جزتك الجوازي عن صديقكَ نضْرةً   وأدناكَ ربّي في الرّفيق المُقرَّبِ
فإنّك لا يُعْطى عليك ظُلامةً   عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّبِ
وإنّك ما تمنَعْ فإنك مانعٌ   بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تتعقّبِ

فقال له: أترغب غُرُباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: اكتبوها له، ففعلوا. (٩/٩)

(١١٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني عبد الله بن أبي عُبيدة قال: كان الحزين الكنانيّ قد ضرب على كل رجل من قُريش درهمين في كل

---

(١) غُرُب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير، وغُرُب أيضاً جبل دون الشام في ديار بني كلب وعنده عين ماء تُسمّى غربة.

(٢) يعمِّرنيها: يقال: عمر فلان كذا إذا جعله له طول عمره.

شهر، منهم ابنُ أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعجف - قال: وكثيِّر مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: مَنْ هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة - قال: وكان قصيراً دميماً - فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عِرْضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لابدَّ من هجائه ببيت. قال: أوْ أشتري منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أوْ أشتري ذلك منك بدرهمين. فقال له كُثيِّر: ايذن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذِن له ابن أبي عتيق فقال:

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته　　يعضّ القُرادُ باسته وهو قائمُ

قال: فوثب كثيِّر إليه فلكزه، فسقط هو والحمار، وخلّص ابنُ أبي عتيق بينهما، وقال لكثيِّر قبحك الله! أتأذن له وتسْفَهُ عليه! فقال كثيِّر: أو أنا ظننتُه أن يبلغ بي هذا كلّه في بيت واحد!. (٩/١٠)

(١١١)

أخبرنا الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويَ قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريَ وحبيب بن نصر المهلّبيَ قالا حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا الحرميَ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا المؤمّلي عن ابن أبي عُبيدة، قالوا جميعاً: لما أراد عبد الملك الخروجَ إلى مُصْعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أمّ ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعَبَ، فإنّ آل الزُّبير ذكروا خروجك، وابعث إليه الجيوش، وبكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله:

إذا ما أراد الغزْو لم تَثْنِ همَّه　　حصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يزينُها
نهتْه فلما لم تَرَ النّهيَ عاقه　　بكتْ فبكى مما شجاها قطينها(١)

والله لكأنّه يراني ويراكِ يا عاتكة! ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحويَ في خبره -

ووافقه عليه عمر بن شبّة - فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطْرِقاً؛ فدعا به وقال: لأعلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بثّك؛ فإن أخبرتُك عنه أتصدقني؟ قال نعم!

---

(١) القطين: الخدم والأتباع والحشم.

قال: قل وحقِّ أبي تُراب لتصدُقَنّي؛ قال: والله لأصدُقَنَّك. قال: لا أوْ تحلفَ به، فحلفَ به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبه فيحاربُه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهماً عائراً(١) لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ. قال: فارجِعْ من قريب؛ وأمر له بجائزة. (٩/٢١)

(١١٢)

أخبرنا عمّي عن الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يُخْرِج شعرَ كثيِّر إلى مؤدِّب ولده مختوماً يرويِّهم إياه ويرده. (٩/٢٣)

(١١٣)

أخبرنا الحرميّ قال حدثّنا الزُّبير قال حدثّني جميع بن عليّ النُّميريّ عن عبد الله بن عبد العزيز بن محْجِن بن النُّصيْب، قال الزبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصيْب قالت: وفدَ أبي على عبد العزيز بن مرْوان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤذنْ له. فأرسلَ إليه حاجبه فقال: استنشدْه، فإن كان شعره رديئاً فارْدُدْه، وإن كان جيِّداً فأدْخِلْه. فقال نُصيب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلاّ طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إنَّ هذا لكلامُ رجلٍ ذهنٍ، فأدخله. فلما واجهه أنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقرَ بنَ مرْوان أنَّني ... أردُّ لدى الأبواب عنه وأحْجَبُ
وأنّي ثويتُ اليومَ والأمسِ قبله ... على الباب حتى كادت الشمسُ تغربُ
وأنّي إذا رمتُ الدخولَ تردُّني ... مهابةُ قيْسٍ والرِّتاجُ المُضبَّبُ(٢)

قال: وكان حاجب عبد العزيز يُسمّى قيْساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الربْعُ المقيمُ بعُتُبُبٍ ... سقتْك السّواقي من مُراحٍ ومعزَبِ(٣)

قال: فلمّا دخل على عبد العزيز أعجبَ بشعره وأوْجهه(٤)، قال: وقال نُصيبٌ فيها أيضاً:

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهمْ ... بها كاسبٌ غيري ولا متقلَّبُ

---

(١) العائر: الطائش.

(٢) رتاج مضبّب: مجعولة له ضبة.

(٣) عُتُبُب، وادٍ باليمن. (٤) أوجهه: جعله وجيهاً وشرّفه.

فهل تُلحقنِّيهم بعَبلٍ مواشِــكٍ　　على الأيْنِ من نُجْبِ ابن مروانَ أصهبِ(١)

فقال له عبد العزيز: ادخُلْ على المهاري(٢) فخُذ منها ما شئت، فلو كنتَ سألت غيره لأعْطيته. فدخل فردُّه الجمَّال. فقال عبد العزيز: دَعْه فإنما يأخذ الذي نعتَ، فأخذه. (٩/٤٥)

(١١٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عيّاش قال: حجّت أمُّ عمرو بنتُ مروان، فلما قضَتْ نُسُكَها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفَتْ نفسها في نساءٍ معها، فحادثته ثم انصرفت، وعادت إليه مُنْصرفَها من عرفات وقد أثْبتها. فقالت له: لا تذكُرْني في شعرك، وبعثت إليه بألف دينار. فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطيباً فأهداه إليها فردَّتْه. فقال: إذاً واللهِ أنْهبه الناس فيكونُ مشهوراً؛ فقبلتْه. وقال فيها:

أيُّها الرائـحُ المُجِـدُّ ابتكـــارا　　قد قضى من تهامةَ الأوطارا
مَنْ يكـن قلبُـه الغداة خـليّـاً　　ففؤادي بالخيْف أمْسى مُعارا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا　　كـلُّ يـومين حِجّــةً واعتمــارا (٩/٦٣)

(١١٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنا مُصعب بن عثمان: أنَّ عمر بن عبد العزيز لمَّا ولي الخلافة لم تكن له همَّةٌ إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ. فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُدْهما واحمِلْهما إليّ». فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كـالتُّجْمـيــرِ منظرَ ناظرٍ　　ولا كليــالي الحـجِّ أفْلَتْنَ ذا هــوى
وكـم مـالئٍ عينيه مـن شـيءِ غيره　　إذا راح نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى

فإذا لم يُفْلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون! أما والله لو اهتممتَ بأمر حَجِّك لم

---

(١) العبل: الضخم، والمواشك: السريع، والأين: الإعياء والتعب.

(٢) المهاري: جمع مهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة.

تنظر إلى شيءٍ غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أو خيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله ألاَّ أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكرَ النساء في شعرٍ أبداً وأجدِّدَ توبةً على يديك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبةٍ وخلاّه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه!

الله بيني وبين قيِّمها   يهربُ منِّي بها وأتَّبعُ

بل اللهُ بين قيِّمها وبينك! ثم أمر بنفيه إلى بيش(١)، وقيل إلى دهلك وهو الصحيح، فنُفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدةٌ من الأنصار فكلَّموه في أمره وسألوه أن يكرمه وقالوا له: قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه وقد أخرج إلى بلاد الشرك، فنطلب إليك أن تردَّه إلى حرم رسول الله (ص) ودار قومه فقال لهم عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً   فأبهتَ حتى ما أكاد أحير

- وفي رواية الزبير «أجيب» مكان «أحير» قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ   بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى   إذا لم يَزُرْ لابدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأنّ لُبْنى صبيرُ غاديةٍ   أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البيعُ(٢)
الله بيني وبين قيِّمها   يهرُب منِّي بها وأتَّبعُ

قالوا: الأحوص. قال: إنَّ الفاسق عنها يومئذ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاّه. قال: وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه - قال الزُّبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشُون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات: -

أيا راكباً إمَّا عرضت فبلِّغنْ   هُديتَ أميرَ المؤمنين رسائلي
وقُلْ لأبي حَفْصٍ إذا ما لقيته   لقد كنتَ نفّاعاً قليل الغوائلِ
فكيف ترى للعيش طيباً ولذّةً   وخالُك أمسى مُوثقاً في الحبائل
وما طمِع الحزْميُّ في الجاه قبلها   إلى أحدٍ من آل مروان عادل
وشى وأطاعوه بنا وأعانه   على أمرنا مَنْ ليس عنّا بغافلِ
وكنتُ أرى أنّ القرابة لم تدعْ   ولا الحُرُماتِ في العصور الأوائل

---

(١) بيش من بلاد اليمن قرب دهلك. (٢) صبير: السحابة الصغيرة.

إلى أحدٍ من آل مرْوان ذي حِجىً ... بأمــرٍ كــرهـنـاه مقالاً لقـــائلِ(١)
يُســرُّ بمــا أنهى العــدوُّ وإنه ... كنافلةٍ لي من خـيـارِ النوافلِ
فهل ينْقُصنّني القوم أن كنتُ مُسْلِماً ... برئيـاً بـلائي فـي ليـالٍ قـلائلِ
ألا ربَّ مـسـرورٍ بنا سـيـغـيظُه ... لـدى غبِّ أمـر عـضُّـه بـالأنامـلِ
رجا الصُّلح منّي آلُ حزْمِ بن فرْتنى ... على دينهـم جهـلاً ولسـتُ بفـاعلِ
ألا قـد يُرجُّون الهـوانَ فـإنهم ... بنو حـبقٍ ناء عن الخـيـر فـاشلِ
على حينَ حلَّ القـول بي وتنظّرت ... عـقـوبتـهم منّي رءوسُ القبـائلِ
فـمنْ يك أمْسى سـائلاً بشـمـاتـةٍ ... بمـا حلَّ بي أو شـامـتـاً غيـرَ سـائلِ
فقد عجمتْ منّي العواجمُ ما جداً ... صـبوراً على عضّـاتِ تلكَ التلاتلِ(٢)

قال الزبير: وقال الأحوص أيضاً:

هل أنتَ أمــيــرَ المؤمنين فـإنني ... بودِّك مـــن ودِّ العـبــاد لقــانعُ
مـتـمِّمُ أجـرٍ قـد مـضـى وصـنيـعـةٍ ... لكـم عندنا أو مـا تُعـدُّ الصنائعُ
فكم من عـدوٍّ سـائل ذي كـشـاحـةٍ ... ومنتظـرٍ بالغـيب مـا أنت صـانعُ

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخْلِ سبيله عمرُ؛ حتى ولي يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه(٣). (٦٤/٩)

(١١٦)

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثّنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن حسّان: كان السبب في ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنّته يوماً:

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ والذي ... أقــرّتْ لــه بالملك كهْلاً وأمردا

فطرب يزيد وقال: ويْحك! مَنْ كريمُ قريشٍ هذا؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين، ومَنْ عسى أن يكون ذلك غيرك! قال: ومَنْ قائلُ هذا الشعر فيّ؟ قالت: الأحوص وهو منفيٌّ فكتب بردّه وحمْله إليه وأنفذ إليه صلاتٍ سنيّة. فلمّا قدم إليه أدناه وقرّبه وأكرمه. وقال له يوماً في مجلس حافل: والله لو لم تَمُتّ إلينا بحقٍّ ولا صِهْرٍ ولا رحِمٍ إلاّ بقولك:

---

(١) الحجى: العقل. (٢) وعجمت: اختبرت، والعواجم: صروف الأيام، والتلاتل: الشدائد.

(٣) يتّفق صنيع عمر بن عبد العزيز بالشاعرين مع مجمل مواقفه المعروفة من الشعراء، خصوصاً أولئك الذين يتعرّضون للحُرَم، ويفعلون ما لا ينبغي فعله في وقت مثل الحجّ، ولذلك نرى الخليفة يعيد على مسامع القوم نماذج من شعر الأحوص، كأنّه ينكرّهم به، ويشير بطرف خفيّ إلى عدم تراجعه عن قرار النفي.

وإني لأستحييكُم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمَعُ

لكفاك ذلك عندنا. قال: ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات (٦٧/٩)

(١١٧)

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال: قال مصعب بن عبد الله قال: حجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له: ألست القائل:

فكم من قتيلٍ ما يُباء به دمٌ ومن غلقٍ رهناً إذا لفّه منى
ومن مالئٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُّمى
يسحبن أذيالَ المُروط بأسوقٍ خِدالٍ وأعجاز مآكمُها رِوا(١)
أوانسُ يسلُبن الحليمَ فؤاده فيا طُول ما شوق ويا طول مُجتلى

قال نعم. قال: لا جرم والله لا تحضرُ الحجّ العام مع الناس! فأخرجه إلى الطائف (٦٧/٩)

(١١٨)

أخبرني الحسن بن عليّ ووكيع قالا حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير، وأخبرناه الحرميّ بن أبي العلاء إجازةً قال حدّثنا الزُّبير عن ابن أبي أويْس عن بكّار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُرْوة: أن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له: عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وهو مُختلٍ به، فانصرف غضبان. وكان في صلاحه ربما صنعَ الأبيات، فقال لعمر:

أبِنْ لي فكُنْ مثْلي أو ابتغِ صاحباً كمثلكَ إنّي تابع صاحباً مثلي
عزيزٌ إخائي لا ينال مودّتي من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
وما يلْبَثُ الفتْيانُ أن يتفرّقوا إذا لم يُؤلَّفْ روحُ شكل إلى شكل

قال: فأخبِر عمرُ بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيْثمة وعراكَ بن مالك يعتذران عنده ويقولان: إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا ردُّ الحاجب إياك، فعذره. قال الزُّبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مُحرِز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها و أوّلها:

---

(١) المروط: كساء من خزّ أو صوف أو كتّان يؤتزر به وتتلفّع به المرأة، واحده مِرْط. وأسوق: جمع ساق. وخِدال: ممتلئة تامة.

وإنّي امرؤٌ من يُصفني الودَّ يُلْفني وإن نزحتْ دارٌ به دائمَ الوصلِ
عزيزٌ إخائي لا ينال مودّتي من الناس إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
ولولا اتّقائي اللهَ قلتُ قصيدةً تسيرُ بها الرُّكْبانُ أبردُها يغلي
بها تُنْقَضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ وينفي الكرى عنه بها صاحبُ الرَّحْلِ(١)
كفاني يسيرٌ إذ أراك بحاجتي كليلَ اللسانِ ما تُمرُّ وما تُحْلي(٢)
تُلاوِذُ بالأبوابِ منّي مخافةَ الـ ـملامةِ والإخلافُ شرٌّ من البخلِ(٣)

وذكر الأبياتَ الأولَ بعد هذه. (١٤٣/٩)

(١١٩)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيْل عن حماد الراوية، وأخبرني محمد بن حسين الكِنْدي خطيبُ القادسيّة قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثنا شيْبان بن مالك قال حدّثنا عبد الله بن إسماعيل الجحْدريّ عن حمّاد الراوية، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّياشي، قال: دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم، فكان أوّلَ مَنْ لقيتُ كثيِّر عزّة. فقلت: يا أبا صخْر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عنديَ ما عند الأحوص ونُصيْب. قلت: وما هو؟ قال: هما أحقُّ بإخبارك فقلت له: إنّا لم نَحثَّ المطيَّ نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لنا ذكرٌ. وقلَّ مَنْ يفعل ذلك، فأخبرني عما سألتُك ليكون ما تُخْبرني به حديثاً آخُذه عنك. فقال: إنه لمّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قدمتُ أنا ونُصيْب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر. فكان أوّلُ من لقينا مسْلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب، وكلُّ واحد منّا ينظر في عِطْفَيْه لا يشُكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة. فأحسن ضيافتنا وأكرم مثْوانا، ثم قال: أما علمتم أن إمامكم لا يُعْطي الشعراء شيئاً؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجِّه لنا في هذا الأمر وجْهاً فقال: إن كان ذو دينٍ من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يقْضي حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه أربعة أشهرٍ لا نصلُ إليه، وجعل مسْلمةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذن. فقلت: لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفّظتُ من كلام عمرَ شيئاً!. فأتيت المسجد فأنا أوّلُ مَنْ حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له: لكل سفرٍ زادٌ لا

---

(١) الأحلاس: جمع حِلْس وهو كلّ ما ولي ظهر البعير والدابة تحت الرَّجل والقتب والسرج.

(٢) ما تُمرّ وما تُحلي: ما تضرّ وما تنفع. (٣) تُلاوذ: تراوغ.

محالة، فتزوّدوا من الدنيا إلى الآخرة التّقوى، وكونوا كمن عاينَ ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا ولا يطولنّ عليكم الأمدُ فتقسُو قلوبكم، وتنقادوا لعدوّكم. واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنّجاة من عذاب الله في الآخرة. فأمّا منْ لا يُداوي جرْحاً إلا أصابه جُرْحٌ من ناحيةٍ أخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا! أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أنْهى نفسي عنه فتخسَرَ صفقتي، وتبْدُو عيْلتي، وتظهر مسْكنتي يومَ لا ينْفع فيه إلا الحقُّ والصدق. فارتجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بلَّ ثوبه، حتى ظننّا أنه قاضٍ نحْبه فبلغتُ إلى صاحبيَّ فقلت: جدًّا لعمر من الشّعْر غير ما أعددناه، فليس الرجلُ بدُنْيويّ. ثم إن مسْلمة استأذن لنا يومَ جُمُعة بعد ما أذن للعامّة. فدخلنا فسلّمْنا عليه بالخلافة فردَّ علينا فقلت له: يا أمير المؤمنين. طال الثّواء وقلتِ الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيّانا وفود العرب. فقال: يا كثيّر، أما سمعت إلى قول الله عزّوجلّ في كتابه (إنّما الصّدقاتُ للفُقَراءِ والمساكينِ والعاملين عليْها والمُؤلّفة قلُوبُهم وفي الرّقابِ والغارمينَ وفي سبيل اللهِ وابنِ السّبيلِ فريضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ) أفمِنْ هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ابن سبيلٍ ومُنْقطعٌ به. قال: أولستَ ضيفَ أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسبُ مَنْ كان ضيفَ أبي سعيد ابنَ سبيلٍ ولا مُنْقطعاً به. ثم استأذنتُه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلاّ حقاً؛ فإنّ الله سائلك. فقلت:

وليتَ فلم تشْتُم علياً ولم تُخفْ ... بريّاً ولم تتبع مقالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلت بالذي ... فعلتَ، فأضْحى راضياً كلُّ مسلم
ألا إنّما يكْفي الفتى بعد زيْغه ... من الأودِ الباقي ثقافُ المُقوِّم
لقد لبستْ لُبْسَ الهلُوكِ ثيابَها ... وأبْدتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعْصمِ(١)
وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ ... وتبْسِمُ عن مثل الجُمانِ المنظَّم
فأعرضتَ عنها مشمئزّاً كأنما ... سقتْك مدُوفاً من سمامٍ وعلْقَمِ(٢)
وقد كنتَ من أجبالها في مُمنَّعٍ ... ومن بحرها في مُزْبِد الموج مُفْعَم
وما زلت سبّاقاً إلى كلّ غايةٍ ... صعدت بها أعلى البناء المقدَّم
فلما أتاك الملكُ عفْواً ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تكلُّم
تركت الذي يفْنى وإن كان مُونقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمّم
فأضْررتَ بالفاني وشمّرتَ للذي ... أمامك في يومٍ من الهوْلِ مُظْلم
ومالك أن كُنتَ الخليفة مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رغيبٍ ولا دم

---

(١) الهلُوك: من النساء الفاجرة. (٢) مدوفاً: مخلوطاً.

فما بين شرق الأرض والغرب كلّها مُنادٍ ينادي من فصيح وأعجم
يقول: أميرَ المؤمنين ظلمتني بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذ درهم
ولا بسطِ كفٍّ لامرئٍ ظالمٍ له ولا السفكِ منه ظالماً ملءَ محْجم
فلو يستطيع المسلمون تقسّموا لك الشَّطْرَ من أعمارهم غير نُدَّم(١)
فعشتَ به ما حجّ لله راكبٌ مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمقام وزمْزم(٢)
فأرْبحْ بها من صفقةٍ لمُبايعٍ وأعْظِمْ بها أعْظِمْ بها ثم أعْظِمِ

فقال لي: يا كثيِّر، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ. ثم تقدّم إليه الأحوص فاستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعرُ إلاّ خطبةٌ من مؤلّفٍ بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ
فلا تَقْبلَنْ إلاّ الذي وافق الرِّضا ولا ترْجِعنّا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعْدِلْ عن الحقِّ يمْنةً ولا يسْرةً فعلَ الظَّلومِ المُجادل
ولكن أخذتَ القصْدَ جهدك كلَّه وتقْفُو مثالَ الصالحين الأوائل(٣)
فقلنا ولم نكذبْ بما قد بدا لنا ومَنْ ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذلِ
ولولا الذي قد عوَّدتنا خلائفٌ غطاريفُ كانت كالليوث البواسل(٤)
لما وخدَتْ شهراً برحْلي جسْرةٌ تفُلُّ مُتونَ البيد بين الرَّواحل(٥)
ولكن رجوْنا منك مثل الذي به صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
وكان مُصيباً صادقاً لا يعيبه سوى أنه يُبْنى بناء المنازلِ
فإن لنا قُربى ومَحْضَ مَوَدّةٍ وميراث آباءٍ مَشَوا بالمناصلِ
فذادوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دارهم وأرْسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تمايُلِ
فقبلك ما أعطى الهُنيدةَ جِلَّةً على الشعر كعْباً من سديسٍ وبازلِ(٦)
رسولُ الإله المصطفى بنُبوّةٍ عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائلِ
فكلُّ الذي عدَّدتُ يكْفيكَ بعضُه ونيلُكَ خيرٌ من بحور السوائل

---

(١) نُدَّم: نادمين. (٢) مُغذّ: مسرع في سيره.

(٣) تقفو: تتبع. (٤) الغطاريف: السادة. (٥) الجسرة: الناقة.

(٦) الهُنيدة: اسم للمائة من الإبل خاصة، وكعب: هو كعب بن زهير، والسديس: من الإبل ما دخل في السنة الثامنة، والبازل: ما دخل في التاسعة.

فقال يا عمر: يا أحوصُ، إنَّ الله سائلُك عن كلِّ ما قلت ثم تقدَّم إليه نُصيب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغضبَ غضباً شديداً، وأمره باللَّحاق بدابق(١). وأمر لي وللأحوص لكلٍّ واحد بمائة وخمسين درهماً.

وقال الرِّياشيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يخرُجَ عطائي فأواسيكم منه. فانتظرناه حتى خرج، فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظم بركةً من الثلاث المائةِ التي أعطاني، ابتعتُ بها وصيفةً فعلَّمتُها الغناء فبعتُها بألفِ دينار. (٢٠٦/٩)

(١٢٠)

أخبرني عمِّي عبد العزيز بن أحمد قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيِّ قال: قال نُكَيْنٌ الراجز: امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائم، فكرهتُ أن أرْمي بهنَّ الفجاج ولم تطِبْ نفسي ببيعهنَّ. فقدمتْ علينا رُفْقةٌ من مصر، فسألتُهم الصُّحْبةَ، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج الليلة. فأتيتُه فودَّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا نُكَيْنُ، إن لي نفساً توَّاقة، فإن صرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان. قلت: أشهِدْ لي بذلك. قال: أشهِدُ اللهَ به. قلت: ومِنْ خلْقِه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلتُ على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك!؟ قال: سالم بن عبد الله بن عمر. فقلت له: لقد استسمنت الشاهد(٢). وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ إلى بلدي بهنَّ، فرمى الله في أذنا بهنَّ بالبركة حتى اعتقدتُ(٣) منهن الإبلَ والعبيد. فإنِّي لبصحراء فلْج(٤) إذا ناعٍ ينعى سليمانَ. قلت: فمن القائمُ بعده؟ قال: عُمر بن عبد العزيز. فتوجَّهتُ نحوه، فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حَزْرة، من أين؟ فقال: من عند من يُعطي الفقراء، ويمنع الشعراء. فانطلقتُ فإذا هو في عرْصة دار وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلُص إليه فناديتُ:

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارمِ ... وعُمَرَ الدَّسائعِ العظائم(٥)
إني امرؤٌ من قطنِ بن دارم ... طلبتُ دَيني من أخي مكارم
إذ تنْتَحي والليلُ غيرُ نائم ... عند أبي يحيى وعند سالم

---

(١) دابق: قرية قرب حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(٢) استسمنت الشاهد: كناية عن ثقته وعلوّ قدره. (٣) اعتقدت: اشتريت واقتنيت.

(٤) فلج: وادٍ بين البصرة وحمى ضرية. (٥) الدسائع: الشمائل أو العطايا.

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدويّ عندي شهادة عليك. فقال: أعرفُها: أدنُ يا دُكَيْن أنا كما ذكرتُ لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قطُّ إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلتُ غاية الدنيا فنفسي تتُوق إلى الآخرة، والله ما رزأتُ من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم فخذ نصفها. قال: فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركةً منه. (٩/٢٦٠)

(١٢١)

أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو الفرّاف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عديّ بن الرِّقاع العامليّ. فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟. قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: هذا عديّ بن الرِّقاع فقال جرير: فشرُّ الثياب الرِّقاعُ قال: ممّن هو؟ قال: العامليّ. فقال جرير: هي التي يقول (فيها) الله عزّوجلّ (عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً). ثم قال:

يُقصِّرُ باعُ العامليُّ عن النَّدى ... ولكنْ أيْرَ العامليُّ طويلُ

فقال له عديّ بن الرِّقاع:

أأُمُّكَ كانت أخبرتْك بُطوله ... أم أنت امرؤٌ لم تدْرِ كيف تقول

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثب العامليّ إلى رِجْل الوليد نقبّلها وقال: أجْرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمتَه لأسْرِجنّك ولألجمنّك حتى يركبك فيعيِّرك الشعراءُ بذلك. فكنى جريرٌ عن اسمه فقال:

إني إذا الشاعر المغرورُ حرَّبني ... جارٌ لقبرٍ على مرّانَ مرْمُوس(١)
قد كان أشْوسَ آباءٌ فورَّثنا ... شغْباً على الناس في أبنائه الشُّوس(٢)
أقْصِرْ فإنّ نزاراً لن يفاضلها ... فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس
وابن اللَّبُون إذا ما لُزَّ في قرنٍ ... لم يستطعْ صولةَ البُزْلِ القناعيس(٣) (٩/٣٠٧)

(١٢٢)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة: دخل

---

(١) حرّبني: أغضبني، وقبر على مرّان: أراد قبر تميم بن مرّ بمرّان على أربع مراحل من مكة إلى البصرة.
(٢) والشوْس: التكبر والنظر بمؤخر العين.
(٣) ابن اللبون: الصغير ما يزال يرضع، ولُزّ: رُبط، وقَرَن: حبل، والبزل القناعيس: الجمال القوية الصلبة.

جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنده عديُّ بن الرِّقاع العامليّ. فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرِّقاع. قال: فشرُّ الثياب الرِّقاع، فممَّن هو؟ قال: من عاملةَ. قال: أمن التي قال الله تعالى فيها: (عاملةٌ ناصبةٌ تصلّى ناراً حاميةً)!. فقال الوليد: والله ليركبنَّك! لشاعرنا ومادحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة! يا غلام عليّ بإكاف(١) ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيه فأعفاه. فقال: والله لئن هجوته لأفعلنّ ولأفعلنّ فلم يصرِّح بهجائه وعرَّض، فقال قصيدته التي أوّلها:

حيِّ الهدملةَ من ذات المواعيس

وقال فيها يعرِّض به:

قد جرَّبَتْ عركتي في كلِّ مُعْتَركٍ ... غُلْبُ الأسودِ فما بالُ الضُّغابيسِ(٢) (٣٠٨/٩)

(١٢٣)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلّام قال: عزل الوليدُ بن عبد الملك عُبيدة بن عبد الرحمن عن الأرْدُنِّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكّلين به: من أتاه متوجِّعاً وأثنى عليه فأتوني به. فأتى عديُّ بن الرِّقاع وكان عُبيدة إليه محسناً، فوقف عليه وأنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقاً ولكن ... إلى الخيرات سبّاقاً جوادا
وكنتَ أخي وما ولدتْك أمّي ... وصُولاً باذلاً لي مستزادا
وقد هيضَتْ لنكبتك القُدامى ... كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثبَ المتوكّلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى. فتغيَّظ عليه الوليد وقال له: أتمدحُ رجلاً قد فعلتُ به ما فعلت!. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ مُحْسناً، ولي مُؤثِراً، وبي برّاً؛ ففي أيِّ وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم!. فقال: صدقتَ وكرُمتَ! فقد عفوتُ عنه وعنه لك! فخُذْه وانصرفْ. فانصرف به إلى منزله(٣). (٣١٢/٩)

---

(١) الإكاف: برذعة الحمار.

(٢) الغُلْب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة، والضغابيس: جمع ضغبوس وهو الضعيف.

(٣) سنجد نظائر لهذا الوفاء الذي يعبِّر عنه الشاعر بشعره، وهو ردٌّ على جملة من المواقف رأيناها سابقاً حين يؤثر الشاعر السلامة وينسحب من الميدان مسرعاً.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيبَ وأبو غسانَ دماذٌ عن أبي عُبيدةَ قال قال اليرْبوعيّ: قال إبراهيم بن محمد بن سعْد بن أبي وقاص الزُهْريّ: قدم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبانٍ بن عثمان. قال: فإني والفرزدقَ وكثيراً لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شخْتٌ آدَمُ في ثوبين مُمصَّرين (أي مصبوغين بصفْرة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم، فقال: أيُّكم الفرزدق؟ فقلت مخافةَ أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: ومنْ أنت لا أمّ لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النُّجّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزْم. بلغني أنك تزعُم أنك أشعر العرب وتزعُمُ مضرُ ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسُان شعراً فأردتُ أن أعرضه عليك وأؤجِّلك سنةً؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتحل. ثم أنشده قول حسّان:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلْمَعْنَ بالضُّحى وأسيافُنا يقْطُرْنَ من نجْدةٍ دما
متى ماتُزْرْنا من معدٍّ عصابةٌ وغسّانَ نمْنَع حَوْضَنا أن يُهدَّما

- قيل إن قوله: «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع معدّ -

أبى فعلُنا المعروفَ أن نَنْطق الخنا وقائلُنا بالعُرْف إلاّ تكلُّما
ولدْنا بني العنْقاء وابنَي مُحرِّقٍ فأكرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابنما

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إني قد أجلْتُك فيها حولاً، ثم انصرف. وانصرف الفرزدقُ مُغْضباً يسحبُ رداءه ما يدْري أيُّ طريقٍ يسلُك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثيِّر عليّ فقال: قاتل الله الأنصاريَ! ما أفصحَ لهجته، وأوضح حُجَّته، وأجْودَ شعره!. قال: فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاريّ بقيّة يومنا. حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كثيِّر فجلس معي. فإنّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول: ليت شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلَّةٍ أفوافٍ(١) يمانيةٍ مُوشّاةٍ، له غديرتان، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاريّ؟ قال: فنِلْنا منه وشتمناه. فقال: قاتله الله! ما رُميتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره؛ فارقتُكما فأتيتُ منزلي فأقبلتُ أصعِّد وأصوِّب في كلّ فنٍّ من الشعر، فكأنّي مُفْحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعرا حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلْتُ ناقتي ثم أخذت

---

(١) الأفواف: جمع فُوف وهو القطن.

بزمامها فقدتُها حتى أتيتُ ذباباً(١) ثم ناديتُ بأعلى صوتي: أخاكم(٢) أبا لُبْنى - وقال سعدان: أبا ليلى - فجاش صدري كما يجيش المِرْجل، ثم عقلتُ ناقتي وتوسّدتُ ذراعها؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عشر بيتاً. فبينا هو يُنشدنا، إذ طلع علينا الأنصاريّ حتى انتهى فسلّم ثم قال: أما إني لم آتِك لأعجلك عن الأجل الذي وقّتّه لك، ولكنّي أحببت ألاّ أراكَ إلا سألتُك عما صنعت. فقال: اجلس، ثم أنشده: عزفْتَ بأعْشاشٍ(٣) وما كِنْت تعْزِفُ

فلمّا فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً. فلمّا توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم في مشيخة من الأنصار فسلّموا علينا وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حللنا ومكاننا من رسول الله ووصيّته بنا، وقد بلغنا أنَّ سفيهاً من سُفهائنا تعرّض لك، فنسألك بالله لمّا حفظت فينا وصيّةَ النبيِّ(ص) ووهبتنا له ولم تفضَحْنا. قال إبراهيم بن محمد: فأقبلتُ أكلّمه أنا وكثيِّر؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ. (٣٢٧/٩)

(١٢٥)

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشّيْباني قال حدّثني بعض البصْريين منهم أبو برْزة المرْثديّ - قال وكان عالماً راويةً - قال: خرج العجاج متحفّلاً(٤) عليه جُبَّةُ خزٍّ وعمامةُ خزٍّ على ناقة له قد أجاد رحْلها حتى وقف بالمِرْبد والناسُ مجتمعون، فأنشدهم قوله: قد جبر الدّينَ الإلهُ فجبرْ

فنكر فيها ربيعةَ وهجاهم، فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النَّجْم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ وهذا العجّاج يهجونا بالمِرْبدَ قد اجتمع عليه الناس!! قال: صِفْ لي حاله وزِيَّه الذي هو فيه، فوصفَ له. فقال: ابغني جملاً طحّاناً قد أكْثِر عليه من الهِناء(٥)، فجاء بالجمل إليه. فأخذ سراويل له فجعل، احدى رجليه فيها وأتزرّ بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى مَنْ يقوده. فانطلق حتى أتى المِرْبدَ. فلمّا دنا من العجّاج قال: اخلعْ خطامَه فخلعه وأنشد:
تنكّرُ القلبُ وجهْلاً ما ذكرْ

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشمّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفسد ثيابه ورحْله بالقطران، حتى إذا بلغ إلى قوله: شيطانه أنثى وشيطاني ذكرْ

---

(١) ذباب: جبل بالمدينة.

(٢) أخاكم: يريد صاحبه من الجنّ الذي ينفث الشعر على لسانه.

(٣) أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.

(٤) متحفّل: متزيّن. (٥) الهِناء: القطران.

تعلّق الناس هذا البيت وهرب العجاج. (١٥٢/١٠)

(١٢٦)

وقال أبو عمرو الشّيباني: أتت مولاة لبني قيْسَ بن ثعْلبة أبا النَّجم فذكرتْ له أنْ بنتاً لها أدركتْ منذ سنتين، وهي من أجمل النساء، وأمدُّهنّ قامةً ولم يخطبها أحدٌ، فلو ذكرتها في الشعر! فقال: أفعل، فما اسمها؟ قالت: نفيسة. فقال:

نفيسَ يا قتَّالة الاقْوام　　أقصدتِ قلبي منك بالسّهام
وما يُصيب القلب إلاّ رامِ　　لو يعلمَ العلمَ أبو هشام
ساقَ إليها حاصلَ الشآم　　وجزْيةَ الأهْواز كلَّ عام
وما سقى النِّيلُ من الطعام　　إذ ضاق منها موْضعُ الإدْغام
أجْثَمُ جاثٍ مُسْتديرٌ حام　　يعضُّ في كيْنٍ له تؤام
عضَّ النجاريَّ على اللُّجام

فقالت: حسبُك حسبُك! ووفد إلى الشام، فلما رجع سمع الزَّمْر والجلبة. فقال: ما هذا؟ فقالوا: نفيسة تزوَّجت. (١٥٩/١٠)

(١٢٧)

ونسختُ من كتاب الخرّاز عن المدائنيّ عن عثمان بن حفْص أنّ أبا النَّجْم مدح الحجّاج برجزٍ يقول فيه:

ويل أمّ نُور عِزّةٍ ومجْدِ　　نُور ثقيفٍ بسواء نجْدِ
أهل الحصون والخيول الجُرْدِ

فأعجبَ الحجّاجَ رجزُه وقال: ما حاجتك؟ قال تُقْطعني ذا الجبنين، فوجم لها وسكت، ثم دعا كاتبه فقال: انظر ذا الجبنين، ما هو! فإن ذا الأعرابيَّ سألنيه لعلّه نهر من أنهار العراق، فسألوا عنه فقيل: واد في بلاد بني عِجْل أعلاه حشفةٌ(١) وأسفلُه سبخةٌ(٢) يخاصمه فيه بنو عمّ له، فقال: اكتبوا له به. قال: فأهلُه به إلى اليوم. (١٦٠/١٠)

(٢) السبخة: أرض ذات نَزّ وملح.

(١) الحشفة: صخرة رخوة في سهل من الأرض.

(١٢٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهْرويْه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزاميّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبي رُهْم. قال: قلت لابن سيرين: ما تقول في الشعر؟ قال: هو كلامٌ، حسنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ. قلتُ: فما تقول في النَّسيب؟ قال: لعلك تُريد مثلَ قول الشاعر:

إذا نحــن أدلجـنا وأنتِ أمــامنا ... كــفى لمطايانا بوجــهك هاديا

أليـس يزيد العيسَ خِفّــة أذرُعٍ ... وإن كُنّا حسْرى أن تكوني أماميا

قال: وأراد بإنشاده إيّاهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إياه، فلو كان به بأسٌ ما أنشدتُه(١). (١١/٢٠٢)

(١٢٩)

... قالت ليلى الأخيلية للحجاج ...

أحــجّاجُ إنّ الله أعطــاك غــايةً ... يُقــصّرُ عنهــا مَنْ أرادَ مــداها

أحـجّاجُ لا يُفْلَلْ سـلاحُكَ إنّمـا الـ ... ـمنايا بكــفّ اللــه حيث تراهـا

إذا هبطَ الحجّاج أرضـاً مريضـةً ... تتبّعَ أقصى دائها فشــفاها

شفاها من الدّاء العُضال الذي بها ... غُـلامٌ إذا هــزّ القناةَ ســقاها

ســقـاها دمـاء المارقينَ وعلّهـا ... إذا جـمَحتْ يومـاً وخـيفَ أذاها

إذا سـمع الحجّاجُ رِزّ كـتـيبـة ... أعـدّ لها قـبـل النُّزول قِـراهـا(٢)

أعـدّ لهـا مـصـقـولةً فـارسـيّةً ... بأيدي رجـال يحلُبـون صـراهـا(٣)

أحــجّاجُ لا تُعْطِ العُصـــاةَ مُناهمُ ... ولا اللــه يُعْطي للعُصـــاةِ مُنــاها

ولا كـلّ حـلاّفٍ تقلّـد بيـعــةً ... فـأعْظَمَ عــهـدَ الله ثم شـراها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقذ: لله بلادُها ما أشعرها!. فقال: مالي بشعرها علمٌ. فقال: عليَّ بعُبيدةَ بن موْهبٍ وكان حاجبه، فقال: أنشديه فأنشدته، فقال: عُبيدةُ: هذه الشاعرة الكريمةُ، قد وجب حقُّها. قال: ما أغناها عن شفاعتك! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم؛ واكْسُها خمسةَ

---

(١) أشرنا فيما مضى إلى حفظ ابن سيرين للشعر، وإنشاده له، ولم يكن يرى في هذا حرجاً مع شدّة تقواه، وغزارة علمه.

(٢) الرِزّ: الصوت تسمعه من بعيد. (٣) الصّرى هنا بقية اللبن.

أثواب أحدُها كساءُ خز، وأدْخِلْها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها: حلّيها. فقالت: أصلح الله الأمير. أضرَّ بنا العريفُ في الصدقة، وقد خربت بلادُنا، وانكسرتْ قلوبنا، فأخذ خيارَ المال. قال: اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليبْتَعْ لها خمسةَ أجمال وليجعَلْ أحدها نجيباً(١)، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزْلِ العريف الذي شكتْه. فقال ابن موْهب: أصلحَ الله الأمير، أأصلُها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتْها (هند) بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين. (٢٤٨/١١)

(١٣٠)

أخبرني محمد بن الحسن الكنديّ قال أخبرني الحسن بن عُلَيْل العنزيُّ عن محمد بن مُعاوية - وكنيتُه أبو عبد الله محمد بن معاوية! - قال: الأقيْشرُ من رهْط خُرَيْم بن فاتك الأسديُّ. وخُرَيم إنما نُسِبَ إلى جدِّ أبيه فاتكٍ، وهو خُرَيْم بن الأخرم (ابن شدّاد) ابن عمرو بن فاتكٍ الأسديّ، وفاتكُ ابنُ قُلَيْب ابن عمْرو بن أسدٍ. والأقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد. قال: وهو القائل لمّا بنى سِماكُ بن مخْرمة مسجده الذي بالكوفة وهو أكبر مسجدٍ لبني أسدٍ، وهو في خِطّة بني نصْر بن قُعَيْن:

غَضِبَتْ نُودانُ من مسْجِدنا ... وبه يعْرِفُهم كلُّ أحَدْ
لو هدمْنا غُدْوةً بُنْيانَه ... لانمحتْ أسماؤهم طُولَ الأبدْ
اسمُهم فيه وهم جيرانُه ... واسمه الدَّهْرَ لعمرو بن أسدْ
كلّما صلَّوْا قسمْنا أجْره ... فلنا النِّصفُ على كلِّ جسدْ

فحلف بنو نُودانَ ليضربُنَّه. فأتاهم فقال: قد قلت بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ. قالوا: وما هو يا فاسق؟ قال قلت:

وبنو نُودان حيٌّ سادةٌ ... حلَّ بيتُ المجْدِ فيهم والعدَدْ

فتركوه. (٢٥٢/١١)

(١٣١)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبَيد الصّحّاف الكُوفيّ عن قعنَب بن مُحْرِزٍ الباهليّ عن المدائنيّ: أنّ الأقيشر مرَّ يُريدُ

---

(١) النجيب: الكريم.

الحيرة، فاجتاز على مجلسٍ لبني عبْس، فناداه أحدُهم: يا أقيشر، وكان يغضبُ منها، فزجره الأشياخُ، ومضى الأقيْشر ثم عاد إليه ومعه رجلٌ وقال له: قِفْ معي، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لي: ولم ذلك، ثم انْصرفْ، وخُذْ هذين الدرهمين. فقال له: أنا أصيرُ معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزؤك شيئاً، قال: فافعلْ. فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرف الشابُ، فأقبل عليه وقال:

أتدعوني الأقيْشرَ ذلك اسمي وأدعوك ابن مُطْفئةِ السِّراجِ

فقال له الرجل: ولِمَ ذاك؟ فقال:

تُناجي خِدْنها بالليل سراً وربُّ الناس يعلمُ ما تُناجي

قال قعنَبٌ في خبره: فلُقِّبَ ذلك الرجلُ ابنَ مُطْفئةِ السراج. (٢٥٣/١١)

(١٣٢)

نسختُ من كتاب عُبيْد الله بن محمد اليزيديّ بخطّه: قال الهيثم بن عديّ حدّثني عطّاف بن عاصم بن الحدثان قال: مرّ أعرابيّ من بني تميم كان يهزأ بالأقيشر، فقال له:

أبا مُعْرِضٍ كن أنت إن مُتُّ دافني إلى جنْبِ قبرٍ فيه شِلْوُ المُضلّلِ

فعلّي أنْ أنجُ من النارِ إنّها تُضرَمُ للعبدِ اللئيمِ المُبخَّلِ

بذلك أوصاها الإلهُ ولم تزلْ تُحشُّ بأوصالٍ وتُرْبٍ وجنْدلِ(١)

وأنت بحمدِ الله إن شئتَ مُقْلتي بحزْمِك فاحزْمْ يا أقيشرُ واعْجلِ

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميمٍ ثم أحدِ بني الهُجيْم بن عمرو بن تميمٍ. فقال الأقيشر:

تميمَ بنَ مُرٍّ كفكفوا عن تعمّدي بذُلٍّ فإنّي لستُ بالمتذلّلِ

أيهزأ بي العبد الهُجيْميُّ ضِنّةً ومثلي رمى ذا التُدْرأ المتضلّلِ(٢)

بداهيةٍ دهْياءَ لا يستطيعُها شماريخُ من أركان سلْمى ويذبلِ(٣)

وبالله لولا أنّ حِلْمي زاجري تركتُ تميماً ضُحْكةً كلَّ محفلِ

فكفُّوا رماكم ذو الجلالِ بخزيةٍ تُصبِّحُكم في كلِّ جمْعٍ ومنزلِ

---

(١) تُحشّى: توقد، والأوصال: المفاصل واحدها وِصْل وهو كلّ عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره، والجندل: الحجارة.

(٢) ذو تَدْرأ: ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة.

(٣) شماريخ: رؤوس الجبال واحدها شمراخ، وسلمى ويذبل: جبلان.

فــأنتم لنــامُ الناسِ لا تُنْكرونه   وألأمُكم طرّاً حُــرَيْثُ بن جــنْدلِ

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجَيْمِ واعتذروا إليه واستكفَوه فكفّ. (٢٥٨/١١)

(١٣٣)

وقال ابن حبيبَ قال أبو عمرو: كان الوليدُ بن عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تغلِب، فلمّا ولي عُمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه فلم يُعْطه شيئاً، وقال: ما أرى للشُّعراء في بيت المال حقّاً، ولو كان لهم فيه حقٌّ لما كان لك: لأنك امرؤٌ نصرانيٌّ. فانصرف الأعشى وهو يقول:

لعمْري لقد عاش الوليدُ حياته   إمامَ هُدىً لا مُسْتَزادٌ ولا نَزْرُ
كـأنَّ بني مرْوانَ بعدَ وفـاتـه   جلاميدُ لا تندى وإنْ بلَّها القَطْرُ (٢٨٣/١١)

(١٣٤)

أخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمدُ بن العبّاس اليزيديُّ وقرأتُه عليه قال حدّثني عمِّي عبدُ الله قال حدّثني محمدُ بن حبيب، وأخبرني به عليّ بن سُليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابيّ قال: كان أبو جلدةَ اليشْكريُّ من أخصّ النّاس بالحجاج، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شدّاد بن الهادي الليثيِّ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجّاج منه ابنته أمَّ كُلْثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أشدِّ الناس تحريضاً على الحجّاج. فلمّا أتى الحجّاجُ برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال: كم من سرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرُج حتى أُتيتُ به مقطوعاً. فلمّا كان يومُ الزاوية(١) خرج أبو جلدةَ بين الصفّين، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فـقُلْ للحواريّات يبكين غيرنا   ولا تبْكنا إلاَّ الكلابُ النوابحُ(٢)
بكيْنَ إلينا خشْيةً أن تُبيحها   رِماحُ النّصارى والسيوفُ الجوارح
بكين لكيما يمنعوهنّ منهمُ   وتأبى قلوبٌ أضمرتْها الجوانح
ونادينَنا: أين الفِرارُ وكنتُم   تغارونَ أن تُبدو البُرى والوشائحُ(٣)

---

(١) الزاوية: موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجّاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قُتل فيها خلق كثير من الفريقين وذلك سنة ثلاث وثمانين للهجرة.

(٢) الحواريات: نساء الأمصار سُمِّين بذلك لبياضهنّ وتباعدهنّ عن قشف الأعراب، بنظافتهنّ الواحدة: حورية.

(٣) البُرى: واحدتها برة وهي الخلاخيل. والوشائح: جمع وُشاح وهو أديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة =

أأسلمتمونا للعدوّ على القنا إذا انتزعتْ منها القرونُ النواطحُ
فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ ولا عزبٌ عزتْ عليه المناكحُ

قال: فلمّا أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشدُّوا شدَّةً تضعضع لهم عسكرُ الحجّاج، وثبت لهم الحجّاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا، فكانت الدائرةُ له، فجعل يقتّل الناسَ بقيةَ يومه، حتى صاحَ به رجلٌ: والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو، ولقد خالفتَ الله فينا وما أطعته. فقال له: وكيف ويلك؟ قال: لأنَّ الله تعالى يقول: (فإذا لقيتُمُ الذين كفَرُوا فضربَ الرّقابِ حتّى إذا أثْخنتُموهُمْ فشدُّوا الوثاق فإمّا منًّا بعدُ وإمّا فداءً حتى تضَعَ الحرْبُ أوْزارها) وقد قتلت فأثْخنتَ حتى تجاوزت الحدّ، فَأسرْ ولا تقتُلْ، ثم قال: أو امْنُنْ. فقال: أولى(١) لك! ألا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ الناسَ جميعاً. قال ابن حبيب قال ابن الأعرابيّ: فبلغني أنَّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض عليَّ أحدٌ كما حرَّض أبو جلدة؛ فإنه نزل على سرْحةٍ(٢) في وسط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناسُ ينظرونَ إليه. فقالوا له: مالك ويلك أجُنِنْتَ! ما هذا الفعل! قال: كلُّكم قد فعلتم مثل هذا إلاَّ أنكم سترتموه وأظهرتُه. فشتموه وحملوا عليّ، فما أنساهم وهو يقدُمهم ويرتجز:

نحن جلبْنا الخيْلَ من زَرنجا مالك يا حجّاجُ منّا منْجى(٣)
لتُبْعَجنَّ بالسيوفِ بعْجا أوْ لتفرُنَّ فذاك أحْجى(٤)

فوالله لقد كاد أهلُ الشأم يومئذ يتضعضعون لولا أنَّ الله تعالى أيّد بنصره. (٣١٠/١١)

(١٣٥)

قال: وولي مِسْمَعُ بن مالك سجسْتانَ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلها:

بانتْ سُعادُ وأمْسى حبلُها انْقطعا وليْتَ وصْلاً لها من حبلِها رجعا
شطّتْ بها غُرْبةٌ زوْراء نازحةٌ فطارت النَّفْسُ من وجْدٍ بها قِطعا(٥)
ما قرَّتِ العينُ إذ زالتْ فينفعها طعمُ الرُّقادِ إذا ما هاجعٌ هجعا(٦)
بين علتقها وكشحيها

---

(١) أولى لك: دعاء بمعنى ويل لك. (٢) السَّرحة: الشجرة العظيمة. (٣) زرنج: قصبة سجستان.
(٤) البعج: الشّق. (٥) زوراء: بعيدة، وشطّت: بعدت. (٦) زالت: فارقت.

منعتُ نفسي من روْحٍ تعيش به ... وقد أكونُ صحيحَ الصدْرِ فانصدعا
غدتْ تلوم على ما فاتَ عاذلتي ... وقبل لوْمك ما أغنيتِ مَنْ منعا
مهْلاً ذريني فإنِّي غالني خُلُقي ... وقد أرى في بلاد الله مُتَّسعا(١)
فخْري تليدٌ وما أنفقتُ أخْلفه ... سيبُ الإله وخيرُ المال ما انْفعا
ما عضَّني الدهرُ إلاَّ زادني كرماً ... ولا استكنتُ له إنْ خانَ أو خدعا
ولا تلينُ على العِلاَّتِ معجمتي ... في النائباتِ إذا ما مسَّني طَبَعا(٢)
ولا تُليِّن من عُودي غمائزه ... إذا المُغمزُ منها لان أو خضعا(٣)
ولا أخاتلُ ربَّ البيت غفْلته ... ولا أقول لشيءٍ فاتَ ما صنعا
إنِّي لأمدح أقواماً ذوي حسبٍ ... لم يجعل اللهُ في أقوالهم قذعا(٤)
الطيِّبين على العِلاَّت مَعْجمةً ... لو يُعْصَرُ المسْكُ من أطرافهم نبعا
بني شهابٍ بها أعْني وإنَّهُمُ ... لأكرمُ النَّاسِ أخلاقاً ومُصْطنعا

قال: فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكثه. (٣١٣/١١)

(١٣٦)

قال ابن حبيب: ولحقَ أبا جِلْدةَ ضَيْم من بعض الولاة، فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان، فهتفَ بأعْلى صوته: يا مِسْمَعَ بن مالك، يا أمير بن أحْمر، ثم أنشأ يقول:

ولمَّا أنْ رأيتُ سراةَ قومي ... سكُوتاً لا يثُوبُ لهم زعيمُ
هتفتُ بمسْمعٍ وصدى أميرٍ ... وقبْرِ مُعمَّرٍ تلك القرومُ(٥)

قال: فأبكى جميع من حضر، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمْره حتى كفَّ عنه.
قال: وأمير بن أحمد رجلٌ من بني يشْكُرَ، وكان سيِّداً جواداً، وفيه يقول زِيادٌ الأعجمُ:

لولا أميرٌ هلكتْ يشْكُرٌ ... ويشْكُرٌ هلْكى على كلِّ حالْ

قال ابن الأعرابيِّ: كان أميرُ بن أحمرَ والياً على خُراسان في أيَّام معاوية. (٣١٩/١١)

---

(١) غالني: حبسني.
(٢) على العلات: أي على أيِّ حال من يُسر أو عسر، والمعجمة: القوة والصلابة، والطَّبَع: الضعف والخور.
(٣) الغمائز: جمع غميزة اسم من الغمز بمعنى العصر والتليين.
(٤) القَذَع: الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره. (٥) الصَّدَى هنا جسد الإنسان بعد موته.

(١٣٧)

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعي قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدّثنا ابن عائشة قال: وفدَ زيادٌ الأعجمُ على عبد الله بن الحشْرج الجعْديّ وهو بسابورَ(١) أميرٌ عليها، فأمر بإنزاله وألطفَه وبعث إليه ما يحتاج إليه.، ثم غدا عليه زيادٌ فأنشده:

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قبَّةٍ ضُربتْ على ابن الحشْرج
ملكٌ أغرُّ مُتوَّجٌ ذو نائلٍ ... للمُعْتفينَ يمينُه لم تشْنجِ(٢)
يا خير مَنْ صَعِدَ المنابِر بالتُّقى ... بعد النبيِّ المصطفى المتَحرِّج
لمَّا أتيتُك راجياً لنوالِكُمْ ... ألفيتُ بابَ نوالِكم لم يُرْتجِ(٣)

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٣٣/١٢)

(١٣٨)

نسختُ من كتاب جدّي لأميّ يحيى بن محمد بن ثوابة - رحمه الله تعالى - بخطه قال حدّثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: وفدَ الطِّرِمّاح بن حكيم والكُميْتُ بن زيد على مخلد بن يزيد المُهلَّبيّ، فجلس لهما ودعاهما. فتقدّم الطِّرِمّاح ليُنْشدَ؛ فقال له: أنْشدنا قائماً. فقال: كلاّ والله! ما قدرُ الشعر أن أقومَ له فيحطَّ منّي بقيامي وأحِطَّ منه بضراعتي، وهو عمودُ الفخر وبيت الذِّكْرِ لمآثر العرب. قيل له: فتنَحَّ. ودُعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم فلمّا خرج الكُميْتُ شاطرها الطِّرِمّاحَ، وقال له: أنت أبا ضبينة أبعدُ همّةً وأنا ألطفُ حيلةً. وكان الطرماح يُكْنى أبا نفْرٍ وأبا ضبينة. (٣٧/١١)

(١٣٩)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن مُجمّع قال حدّثنا هشام بن محمد قال أخبرنا ابن أبي العمرَّطة الكنْديّ قال: مدح الطِّرِمّاحُ خالدَ بن عبد الله القسْريّ، فأقبل على العُرْيان بن الهيْثم فقال: إنّي قد مدحْتُ الأمير فأحبُّ أن تُدْخلني عليه. قال: فدخل إليه فقال له: إنَّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: مالي في الشعر من حاجة. فقال العُرْيانُ للطرمّاح: تراءَ له فخرج معه، فلمّا جاوز دار زيادٍ وصعدَ المُسنّاة إذا شيءٌ قد ارتفع له، فقال: فقال: يا عُرْيان انْظُر، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصلح الله الأمير! هذا شيءٌ بعث به إليك

---

(١) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.

(٢) تشنج: تقبض ولم تشنج كناية عن الكرم. (٣) يُرتج: يُغلق.

عبدُ الله بن أبي موسى من سجسْتان؛ فإذا حُمُرٌ وبِغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ فقال: يا عُرْيان، أين طرمّاحُك هذا؟ قال هاهنا . قال: أعْطه كلَّ ما قُدِم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنْشده.
(٤٠/١٢)

(١٤٠)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزيِّ عن أبي عبيدة عن يونس قال: دخل الطرِمّاح على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله:

وشيَّبني مالا أزالُ مُناهضاً ... بغيرِ غنىً أسمُو به وأبوعُ(١)
وأنَّ رجالَ المال أضحَوْا ومالُهُم ... لهم عند أبواب الملوك شفيعُ
أمُخْترِمي ريْبُ المَنُون ولم أنَلْ ... من المالِ ما أعْصي به وأطيعُ

فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال: امْضِ الآن فاعْصِ وأطِعْ. (٤٣/١٢)

(١٤١)

أخبرني بما أذكرُ من أخباره هاهنا مجموعاً عليُّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن محمد بن حبيب، وما ذكرته متفرّقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذتُه، قال ابنُ حبيب: مرَّ فضالةُ بن شريكٍ بعاصم بن عُمر بن الخطّاب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وهو مُتَبدٍّ(٢) بناحية المدينة، فنزل به فلم يقْرِه شيئاً ولم يبْعثْ إليه ولا إلى أصحابه بشيء، وقد عرفوه مكانهم، فارتحلوا عنه. والتفت فضالةُ إلى مولى لعاصمٍ فقال له: قُلْ له: أما واللهِ لأطوِّقنَّك طوْقاً لا يبلى.
وقال يهجوه:

ألا أيها الباغي القِرى لستَ واجداً ... قِراكَ إذا ما بتَّ في دار عاصمِ
إذا جئتَه تبغي القِرى باتَ نائماً ... بطيناً وأمسى ضيفُهُ غير نائمِ
فدَعْ عاصماً أفٍّ لأفعالِ عاصمٍ ... إذا حُصِّل الأقوام أهلُ المكارمِ
فتىً من قُرَيْشٍ لا يجودُ بنائلٍ ... ويحْسَبُ أنَّ البُخْلَ ضربةُ لازمِ(٣)
ولولا يدُ الفاروق قلَّدْتُ عاصماً ... مطوَّقةً يُحدى بها في المواسمِ(٤)
فَلَيْتَكَ من جَرْمِ بن زبّان أو بني ... فُقَيْمٍ أو النوكى أبان بن دارمِ(٥)

---

(١) أبوع: يمد باعه، يريد يبسط يده بالإنفاق والبذل. (٢) متبدٍّ: مقيم بالبادية.
(٣) النائل: العطاء. (٤) مطوّقة: قصيدة، كأنّها تطوّق مَنْ قيلت فيه. (٥) النوكى: الحمقى.

أناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حلَّ بُيوتهم غدا جائعاً عيمانَ ليس بغانم(١)

(قال): فلمَّا بلغتْ أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ، فهرب فضالةُ بن شريكٍ فلحقَ بالشام، وعاذ بيزيد بن مُعاوية وعرَّفه ذنْبه وما تخوَّف من عاصم؛ فأعاده، وكتب إلى عاصمٍ يُخبره أنَّ فضالة أتاه مستجيراً به، وأنَّه يُحِبّ أن يهبه له. ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، ويضْمن له ألاَّ يعود لهجائه؛ فقبل ذلك عاصمٌ وشفَّع يزيد بن معاوية، فقال فضالةُ يمدح يزيد بن معاوية:

إذا ما قُريشٌ فاخرتْ بقديمها فَخرْتَ بمجْدٍ يا يزيدُ تليدِ
بمَجْدِ أميرِ المؤمنين ولم يَزَلْ أبوك أمينُ الله غيرَ بليدِ
به عصم اللهُ الأنامَ من الرَّدى وأدرك تبْلاً من معاشرِ صيدِ(٢)
ومجْدِ أبي سفيان ذي الباعِ والنَّدى وحرْبٍ وما حرْبُ العُلا بزهيدِ
فمنْ ذا الذي إن عدَّد الناس مجْدهم يجيء بمجْدٍ مثْلِ مجدِ يزيدِ (٧٣/١٢)

(١٤٢)

(أخبرني عمي والحسن بن عليّ قالا حدَّثني العمري قال حدَّثني أحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجمَّاز قال حدَّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطَّاب النحوي: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتُضر لأبي زُبيد بما يُصلحه في فصحه(٣) وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك فقال أهله وبنوه لأبي زُبيد: قد علمتَ أنَّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقِّك، فقدِّره لنفسك ماشئت أن تعيش، وقوِّمْ ما أوصى به لك حتَّى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم). (١٣٨/١٢)

(١٤٣)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا العتبيّ عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال: أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعيّ الذي يقال له الفياضُ، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفْته، فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن

---

(١) عيمان: عطشان.

(٢) التَّبْل: الثأر. والصيد: جمع أصْيَد، يقال: ملك أصْيَد إذا كان لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً.

(٣) الفصح: هو عيد الفصح، وهومن أعياد النصارى.

يقبلها وقال: حرمني على رءوس الناس ويبعث إليَّ سراً. (ثم هجاه بعد ذلك بقصيدة). (١٢/١٦٦)

(١٤٤)

فأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: حجّتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروانَ فقالت لكثيِّر ووضّاحٍ: انسُبابي، فأمّا وضّاح فنسب بها، وأما كثير فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول:

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادي بغير مشورة عرضا فؤادي

قال: وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتل وضّاحاً ولم يجد على كُثَيِّر سبيلا. (١٢/١٨٠)

(١٤٥)

حدثنا أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله، فقال: يا أعرابيُّ، ما عندنا ما نصلُك؛ ولكن عليك بابن جعفر. فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقلُهُ(١) قد سار نحو مكة، وراحلتُهُ بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلّق، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيّ يقول:

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة صلاتُهُم المسلمين طهورُ
أبا جعفر إن الحجيجَ ترحّلوا وليس لرحلي فاعلمنْ بعير
أبا جعفر ضنّ الأميرُ بماله وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصير

فقال: يا أعرابيّ، سار الثّقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها، وإياك أن تُخْدَع عن السّيْفِ فإني أخذتُه بألف دينار. فأنشأ الأعرابيّ يقول:

حباني عبدُ الله، نفسي فداؤهُ بأعيسَ موّارٍ سباطٍ مشافرُهْ(٢)
وأبيضَ من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليلُ داجٍ عساكرُهْ(٣)
وكل امرئ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليُمْن والبشرِ طائرُهْ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالدا وأكرمه للجار حينَ يجاوره

---

(١) ثَقَلُه: متاعه وحشمه.

(٢) الأعيس: واحد العيس وهي الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، والموّار: النشيط في سيره المفتول العضل يمور عضداه إذا تردّدا في عرض جنبيه، وسباط: ليّنة، والمشافر: جمع مشفر وهو ما يقابل الشفة في الإنسان. (٣) عساكره: ظُلَمَتُهُ.

سـألني بمـا أوليتني يابن جعفـر وما شـاكرٌ عُرْفاً كمن هو كـافِره (٢١٧/١٢)

(١٤٦)

وحدّثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدّثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال: جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جـعفـر في المنام كـسـاني من الخـزّ دُرّاعة
شكوتُ إلى صـاحـبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكَها الماجدُ الجعفريّ ومـن كفّـه الدهـرَ نفّاعـه
ومن قـال للجـود لا تعْدُني فـقـال لك السـمع والطاعـه

فقـال عبدُ الله لغلامه: ادفع إليه دُرّاعتي الخزّ ثم قـال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبي دعني أغفى إغفاءةً أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبّتي الوشي. (٢١٨/١٢)

(١٤٧)

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا هرونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال هارونُ وحدّثني محمدُ بنُ عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدّثني عمرو بنُ الحكم السُّعيديُّ وإبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنِ بنِ عنْبسة قالوا: كان معاوية بنُ عبد الله بن جعفر قد عوّد ابن هرْمَةَ البرَّ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين ديناراً بدَيْنٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً براً. فقال للجارية: قولي له: أيدينا ضيّقةٌ، وما عندنا شيءٌ إلاّ شيءٌ أخذناه بكُلْفةٍ، فرجعتْ جاريتُه بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها:

فإني ومدحكَ غيرَ المصيـ ـب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثـوابَ فكنتُ كعاصر جنْبِ الحجَرْ

وبعث بالرُّقعةِ مع الجارية، فدفعتْها إلى معاوية، فقال لها: ويحك قد علِم بها أحدٌ! قالت: لا والله إنما دفعها من يديه إلى يدي! قال: فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه، فخرجت بها إليه. فقال: كلاّ، أليس زعم أنه لا يدفع إليَّ شيئاً؟. (٢٢٤/١٢)

(١٤٨)

أخبرني أبو أيوب المدينيُّ وأخبرناه وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالا: مدح ابن هرْمةَ عبدَ الله بن جعفرَ بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه. قال ابن هرْمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذين رأيتُهُم ببابه فقال: عامتُهم غُرماءُ(١) له، فقلت: ذاك شرٌّ. واستؤذِن لي عليه فقلت: لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك، قال: لا عليك أنشدني، قلت: أعيذك بالله، واستحييت أن أنشد، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها:

حللْتَ محلَّ القلب من آل هاشم فعُشُّك مأوى بيضها المتفلّق

ولم تك بالمُعْزى إليها نصابُه لصاقا ولا ذا المركب المتعلقُ

فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفر ومثل أبيك الأريحيِّ المُرفَّقِ(٢)

فقال: مَنْ ها هنا من الغرماء؟ فقيل: فلانٌ وفلان، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا، وقال لي: اتبعهما. قال: فأعطياني مالا كثيراً. (٢٢٦/١٢)

(١٤٩)

أخبرني الحرمي بنُ أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي عن جدّي قال: خرج أبو وجْزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، وامتدح أبو زيد إبرهيم بن هشام المخزوميّ، فقال له أبو وجزة: هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا والله، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزُّبير. فقدما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه: اخرج إلى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه، فأخرج وضرب. وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرْع(٣) أن يعطي منه ستين وسْقاً(٤) من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم:

راحت قلُوصي رواحا وهي حامدة آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا(٥)

راحت بستّين وسقا في حقيبتها ما حُمّلت حِملها الأدنى ولا السُّدا(٦)

---

(١) الغرماء: طالبو دين لهم. (٢) المرفّق: الكريم الجواد الذي يغشاه الناس.

(٣) الفُرع: قرية من نواحي الرّبذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة.

(٤) الوسق: حمل بعير. (٥) القلوص: الناقة. (٦) السُّد: الوفق.

ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهم يقرون ضيفهم الملويَّةَ الجُددا

يعني السياط. (٢٤٣/١٢)

(١٥٠)

أخبرني أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبعيّ إجازةً قال حدّثنا محمدُ بن مسعود الزُّرقيّ عن مسعود بن المفضّلُ مولى آل حسن بن حسن قال: قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقَة(١)، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه:

أثنى على ابْني رسول الله أفضل ما أثنى به أحدٌ يوماً على أحد
السيدينِ الكريميّ كلُّ مُنْصرفٍ من والدين ومن صهر ومن ولد
ذريّةٌ بعضُها من بعضها عمرت في أصلِ مجد رفيع السَّمْك والعمد(٢)
ما ذا بنى لهمُ من صالحٍ حسنٌ وحسنٌ وعليّ وابتنوْا لغد
فكرُم الله ذاك البيتَ تكرمةٌ تبقى وتخلدُ فيه آخرَ الأبد
همُ السَّدَى والنَّدى، ما في قناتهم إذا تعوّجت العيدانُ من أَوَد(٣)
مهذبون هجانٌ أمّهاتُهُم إذا نُسبنَ زُلالُ البارق البرد(٤)
بين الفواطم ماذا ثمَّ من كرم إلى العواتك مجد غير مُنْتقد(٥)
ما ينتهي المجد إلا في بني حسن وما لهم دونه من دار مُلْتحد(٦)

قال: فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله بُرّاً وتمراً، وكسوه ثوبين ثوبين. (٢٤٧/١٢)

(١٥١)

أخبرني محمدُ بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني الغلاّبي قال حدّثني ابنُ عائشة قال: دخل يزيدُ بن الحكم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذّب. وقد حلّ عليه نَجْمٌ(٧) كان قد نُجّم عليه،

---

(١) سويْقة: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب. (٢) السَّمْك: البناء.

(٣) السَّدى: المعروف، والأود: الاعوجاج. (٤) هجان: كرام، والبارق: السحاب ذو البرق، والبرد: ذو البرد.

(٥) الفواطم: يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم، أمّهما فاطمة بنت رسول الله، وجدّتهما فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أبيهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعواتك: جدّات النبي، وهن ثلاث عواتك. قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك من سليم».

(٦) الملتحد: الملجأ. (٧) تنجيم الدَّين: أن يقدّر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة.

وكانت نجومه في كلّ أسبوع ستّةَ عشر ألفَ درهم فقال له:

أصبَح في قيْدك السماحةُ والجو ... دُ وفَضْلُ الصَّلاح والحسبُ
لا بطرٌ إن تتابعتْ نِعَمٌ ... وصابرٌ في البلاء محتسبُ
برزْتَ سبْقَ الجيادِ في مهلٍ ... وقصَّرتْ دون سعيك العربُ

قال: فالتفت يزيدُ بنُ المهلب إلى مولىً له، وقال: أعطه نجم هذا الأسبوع، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر. وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزةَ بنِ بيْضٍ مع يزيد. (٢٩١/١٢)

(١٥٢)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ وأبو الحسن بن محمد الأسديّ قالا: حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعي قال: تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوّار بن عبد الله ليُقيمَ عنده شهادةً، فصادفه يتمثّل قولَ الأسود بن يعفُر:

ولقد علمتُ لو أنَّ علمي نافعي ... أنَّ السَّبيلَ سبيلُ ذي الأعواد(١)
إنَّ المنيَّةَ والحُتوفَ كلاهما ... يُوفي المخارمَ يرْميانَ سوادي(٢)
ماذا أؤمِّلُ بعد آلِ مُحرِّقٍ ... تركوا منازلَهُم وبعدَ إياد(٣)
أهلِ الخورنَق والسَّدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشُّرُفات من سِنْداد(٤)
نزلوا بأنْقُرةٍ يفيض عليهمُ ... ماءُ الفُرات يفيض من أطْواد(٥)
جرتِ الرياحُ على محلِّ ديارهم ... فكأنَّما كانوا على ميعادِ

ثم أقبل على الدارميّ فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرفُ مَنْ يقولُه؟ قال: لا قال: رجلٌ من قومِك له هذه النباهةُ وقد قال مثلَ هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه! يا مُزاحم، أثْبِتْ شهادته عندك، فإني متوقِّفٌ عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنّه ضعيفاً. (١٥/١٣)

---

(١) ذو الأعواد: من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم، وقيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لمّا أسنَّ، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج، وذكره الشاعر هنا ليقول إنَّ سبيل كلّ حيّ سبيل ذي الأعواد بعد أن عمرّ طويلاً. فكان مصيره إلى الموت.

(٢) يوفي: يعلو، وسوادي: شخصي، والمخارم: أفواه الفجاج والطرق في الجبال.

(٣) آل محرّق: هم ملوك الحيرة من لخم، وإياد: حيّ من معد بن عدنان، وهم بنو إياد بن نزار.

(٤) الخورنق: قصر من قصور الحيرة، والسَّدير: قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب، وبارق: ماء بالعراق، وسنداد: منزل لإياد.

(٥) أنقرة: مدينة بالأناضول على طريق القسطنطينية.

(١٥٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: مرَّ عمرُ بن عبد العزيز ومعه مُزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفْنة. وقد خرب، فتمثّل مزاحم بقول الأسودِ بن يعْفر:

جرتِ الرّياحُ على محلِّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعاد
ولقد غَنُوا فيها بأنْعمِ عيشةٍ في ظلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ(١)
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يلْهى به يوماً يصيرُ إلى بلىً ونفاد

فقال له عمر: هلاَّ قرأت: (كمْ تركوا من جناتٍ وعيونٍ). إلى قوله جلّ وعزّ: (كذلك وأوْرثناها قوماً آخرين). (١٩/١٣)

(١٥٤)

أخبرني به حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن عبدِ العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحيل(٢) معنىً. أخبرني عبد الملك بن مسْلمة القُرشيّ الهشاميّ بأنْطاكية(٣) قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سُهيّة دخل على مرْوان بن الحكم لما اجتمع له أمرُ الخلافة، وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً، وصمد(٤) لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته، فهنّأه وكان خاصّاً به وبابْنيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده:

تشكّى قلوصي إليّ الوجى تجرُّ السّريحَ وتُبْلى الخداما(٥)
تزُورُ كريماً له عندها يدٌ لا تُعدُّ وتُهْدى السّلاما
وقلْ ثواباً له أنّها تُجيدُ القوافي عاماً فعاما
وسادتْ معدّاً على رغمها قُريشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلاما
جُعلتَ على الأمرِ فيه صفاً فما زال غمْزُك حتى استقاما(٦)
لقيتَ الزُّحوفَ فقاتلتها فجرّدتَ فيهنّ عضْباً حُساما

---

(١) غنوا: أقاموا. (٢) لا يحيل: لا يغيّر أو يفسد.

(٣) أنطاكية: بلد معروف في شمال الساحل الشامي. (٤) صَمَدَ: قَصَدَ.

(٥) الوجى: الحفا، والسّريح: الذي تشدّ به الخدمة فوق الرسغ، والخِدام: جمع خَدَمة هي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يُشدّ في رسغ البعير ثم يشدّ إليها سرائح نعلها. (٦) الصفا: الميْل.

تشـــقُّ القـــوانسَ حتى تنــا ل ما تحتها ثم تبرى العظاما(١)
نزعتَ على مـــهـــلٍ ســـابقـــاً فـــمـــا زادك النَّزْعُ إلاَّ تمامـــا(٢)
فـــزاد لك اللـــــه ســـُـــلطانـَــه وزاد لك الخـــيـــرَ منه فـــدامـــا

فكساه مرْوانُ وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرّاً وزبيباً وشعيرا. (٣١/١٣)

(١٥٥)

ونسختُ من كتاب ابنِ حبيبٍ قال ابن الأعرابي: اصطحب العجيرُ وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيّ الحسنَ بن الحسن بن عليّ عليهم السلام، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامر بنِ صعصعة كان قد نال سلطانا، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعيّ وكساه ولم يعط العامريّ العجير شيئاً، فقال العجير:

ياليتني يوم حـزِّمتُ القلُوص لـــه يَمَمْتُـهـا هاشـمـيـاً غـيـر ممذوق(٣)
محض النِّجار من البيت الذي جعلت فيه النبوَّةُ يجْـري غير مســبوق(٤)
لا يُمْسك الخـــيـــر إلا ريثَ يُســـألُهُ ولا يلاطم عنه اللحم في الســوق(٥)

فبلغت أبياتُه الحسن، فبعث إليه بصلة إلى محلّة قومه وقال له: قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدَّ له. (٦٢/١٣)

(١٥٦)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال قال الحرمازي: وقف العجيرُ السلُولي لبعض الأمراء، وقد علق غريمٌ له من أهله فقال له:

أتيـــتك أنَّ البـــاهلي يســـوقني بدين ومطلـــوبُ الدُّيون رقـــيقُ
ثلاثتُنـــا إن يسَّر اللـــه: فـــائزٌ بنخـــر، ومُعْطى حـــقّه، وعتـــيقُ

فأمر بقضاء دينه. (٧٠/١٣)

---

(١) القوانس: جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد. (٢) نزعت: جَرَيْت.
(٣) ممذوق: مخلوط، يرد أنّه هاشمي صريح النسب.
(٤) النِّجار: الأصل والحسب، والمحض: الخالص.
(٥) لا يلاطم عنه اللحم في السوق: أي لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنّما يذبح لهم في بيته.

(١٥٧)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيدُ الله بنُ محمد بن عبد الملك الزياتِ قال: حدثني الحسنُ بن جهْورٍ عن الحرمازي قال: قدم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخُزاعيّ ثم المُليحيّ، أحد بني مُليح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي ... رضاكَ وأرجو منكَ مالستُ لاقيا
وأبذُل نفسي في مواطن غيرُها ... أحبُّ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حفاظاً وتمسيكا لما كان بيننا ... لتُجْزيني ما لا إخالُكَ جازيا(١)
رأيتُك ماتنفكّ منك رغيبةٌ ... تقصّرُ دوني أو تحلُّ ورائيا(٢)
أراني إذا استمطرتُ منك رغيبةً ... لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا(٣)
وأدْليتُ دلوي في دلاء كثيرة ... فأبْنَ ملاءً غيرَ دلوي كما هيا(٤)
ولستُ بلاقٍ ذا حفاظٍ ونجدةٍ ... من القوم حُرّاً بالخسيسة راضيا
فإن تدن مني تدنُ منكَ مودتي ... وإن تنأ عني تُلْفِني عنكَ نائيا

قال: فلما أنشده هذا الشعر، قال له: أما كُنّا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا. فأمر طلحةُ خازنه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألف درهم، فقال: ما كانتْ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال. فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم. (٨٤/١٣)

(١٥٨)

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني أن سبب التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بن حبناء، أن زياداً الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقريّ، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضّل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شعره، لأن زياداً كان ألكن لا يفصح، فكان راويته يُنْشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صلاته، فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فُضِّل به؛ فانتدب له المغيرةُ من بينهم فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يُغْني غناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلنا شعبا، ولا أصدقنا وداً، ولا

---

(١) التمسيك: الصيانة. (٢) تقصر دوني: لا تصل إليّ.

(٣) استمطرت رغيبة: طلبت، والعجاج، الغبار، والسافي: الريح التي تحمل التراب. (٤) أبْنَ: عُدْنَ.

أشرفنا أبا، ولا أفصحنا لسانا! فقال له المهلب: أما إنّي والله ما جهلت شيئا مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساو، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لسنّه وشعره وموضعه من قومه، وكلُّكم كذلك عندي، وما فضلته بما يُنْفَسُ به، وأنا أعوّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به. (٨٩/١٣)

(١٥٩)

نسخت من نسخة ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بنُ حبناء يوماً يأكل مع المُفضّل بن المهلّب، فقال له المفضل:

فلم أر مِثْلَ الحنظليّ ولونِهِ أكيلَ كرامٍ أو جليسَ أميرِ

فرفع المغيرة يده وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسبُني لامِ العتيك ولا أخوالي العوقُ(١)

- العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل-

لا تحسبنَّ بياضا فيَّ منقصةً إن اللُّهاميم في ألوانها بلقُ(٢)

وبلغ المهلّب ما جرى، فتناول المفضلَ بلسانه وشتمه، وقال: أردتَ أن يتمضَّغ(٣) هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أوْ لا تؤذِه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبل رفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مؤاكلةِ أحدٍ منهم. (٩١/١٣)

(١٦٠)

نسخت من كتابِ عمرو بن أبي عمرو الشيباني، قال: كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم: يا زياد، أنت لساننا، فاذبب عن أعراضنا بشعرك، فإنْ سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له:

يقولون ذبّبْ يا زياد ولم يكن ليوقظَ في الحرب الملمّة نائما
ولو أنّهم جاءوا به ذا حفيظةٍ فيمنعهُم أو ماجداً أو مراغما(٤)
ولكنّهم جاءوا بأقلف قد مضت له حججٌ سبعون يُصبح رازما(٥)

---

(١) لام: لا من، والعتيك والعوق: قبيلتان. (٢) اللُّهاميم: مفردها لهموم، وهو الجواد من الخيل.

(٣) يتمضَّغ: يجعلها مضغة، أي يهجوهم ويسبّهم. (٤) المراغم: الملجأ.

(٥) الأقلف: الذي لم تَجْرِ عليه موس، والرازم: الذي لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزالاً وإعياءً.

لئيماً ذميماً أعجمياً لسانُه   إذا نال منّاً لم ينل المكارما(١)
وما خلتُ عبد القيس إلا نفايةً   إذا ذكر الناس العُلا والعظائما(٢)
إذا كنتَ للعبديِّ جاراً فلا تزلْ   على حذرٍ منه إذا كان طاعما
أناساً يُعدُّون الفساء لجارهم   إذا شبعوا عند الجُباة الدراهما
من الفسو يقضون الحقوق عليهم   ويعطون مولاهم إذا كان غارما
لهم زجلٌ فيه إذا ما تجاوبُوا   سمعتَ زفيراً فيهم وهماهما(٣)
لعمرك ما نجّى ابنَ زروان إذ عوى   ربيعةُ من يوم ذلك سالما
أظنُّ الخبيث ابنُ الخبيثينِ أنّني   أسلِّم عرضي أو أهابُ المقاوما
لعمركَ لا تهدي ربيعةُ للحجا   إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، مالنا ولك، تعمُّنا بالهجاء لأنْ نبحك منّا كلب، فقال وقلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجُه، وخلِّ عنا ودعْنا، وأنت وصاحبُك أعلم، فليس منّا له عليك ناصر. فقال:

لعمرُك إنّي لابنِ زروان إذ عوى   لمحتقِرٌ في دعوة الودِّ زاهدُ
ومالك أصلٌ يا زياد تعدُّه   ومالك في الأرض العريضة والدُ
ألم ترى عبد القيس منك تبرأتْ   فلاقيتَ مالم يلق في الناس واحدُ
وما طاش سهمي عنك يوم تبرّأتْ   لُكيْز بنُ أفصى منك والجند حاشدُ
ولا غاب قرنُ الشمس حتى تحدّثت   بنفيك سكّانُ القُرى والمساجدُ(٤)   (٩٤/١٣)

(١٦١)

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيع، قال: حدّثني محمد بن الهيثم بن عديّ، قال: حدّثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زيادٌ الأعجمُ يهجو بني يشكُر:

إذا يشكُريَّ مسَّ ثوبك ثوبُه   فلا تذكرنَّ الله حتّى تطهُرا(٥)
فلو أنَّ من لؤم تموتُ قبيلةٌ   إذاً لأماتَ اللؤمُ لا شكَّ يشكُرا

قال: فأتت بنو يشكُرَ سويدَ بن أبي كاهلٍ ليهجو زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

---

(١) الدّن: وعاء الخمر.   (٢) النُّفاية: الرديء.

(٣) الزجل: الصوت، والهماهم: تردّد الزئير في الصدر.   (٤) قرن الشمس: ناحيتها.

(٥) تَطّهرا: تتطهر، حذف إحدى التاءين.

وأبنتُهم يستصرخون ابنَ كاهلٍ وللـؤم فيهـم كـاهلٌ وسـنامُ(١)
فـإنْ يأتنا يرجعْ سـويدٌ ووجـهُهُ عليـه الخـزايا غـبـرةٌ وقـتـامُ(٢)
دعيٌّ إلى ذُبيـانَ طـوراً، وتـارة إلى يشـكرٍ مـا في الجـمـيع كِرامُ
فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلَّباً(٣). وأما قوله:
دعيٌّ إلى ذُبْيان طوراً وتارةً إلى يشـكر ....
فإن أمَّ سويد بن أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بني قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوّجها أبو كاهلٍ، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل ابنها لمّا ولدته، وسمّاه سويداً، واستلحقه(٤)، فكان إذا غضب على بني يشكر ادَّعى إلى بني ذبيان، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم. (١٣/١٠٢)

(١٦٢)

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيِّ الكُريزيِّ عن أبيه قال: مدح مطيعُ بن إياس الغمر بن يزيدَ بقصيدته التي يقول فيها:
لا تلْحَ قلبك في شـقـائه ودَعِ المتـيَّـم في بلائـه(٥)
كـفكفْ دموعك أنْ يفـضْـ ـنَ بنـاظرٍ غـرقٍ بمائـه
ودع النسـيـبَ وذكـره فـبحسب مثلك من عنائه
كـم لـذّةٍ قـد نلتـهـا ونعـيم عـيشٍ في بهـائه
بنواعـمٍ شـبَّـه الدُّمـى والليلُ في ثِنْيي عـمـائه(٦)
واذكـر فـتىً بيمينـه حتْفُ الزمـان لدى التوائه
وإذا أمـيَّـةُ حُـصِّـلـتْ كـان المهـذَّبَ في انتمـائه
وإذا الأمـورُ تفـاقـمَـتْ عظماً فـمصـدرها برائه(٧)
وإذا أردتَ مـديحـه لم يُكْدِ قـولُك في بنائه(٨)
في وجـهـه عـلمُ الهـدى والمجـدُ في عِطْفيْ ردائـه
وكـأنّمـا البـدر المنـ ـير مُشبَّهٌ به في ضيـائه

---

(١) الكاهل: مقدم أعلى الظهر ممّا يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ستّ فِقر. (٢) القتام: الغبار.
(٣) المغلَّب: المغلوب مراراً، وهو الشاعر الذي يُهجى فلا يردّ. (٤) استلحقه: ادّعاه إليه.
(٥) لا تلْحَ: لا تلُمْ. (٦) ثني عمائه: كناية عن شدّة الظلام وازدواجه.
(٧) برئه: برأيه، أي تصدر عن رأيه. (٨) لم يُكْدِ: لم يَخب.

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّلَ قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحرَّكته ورفعتْ من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من نُدمائه. (٢٩٧/١٣)

(١٦٣)

أخبرني عمّي عن ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابيّ قال: حبس ابنُ أمّ الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جناية وضعها عليه، وضربه ضرباً مبرّحاً لهجائه إيّاه، فاستغاث بأسماء بنِ خارجة، فلم يزل يلطُف في أمره، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحكم في أمره حتى يخلّصه، فأطلق شفاعته، وكساه أسماءُ ووصله وجعل له ولعياله جرايةً دائمةً من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير، يقول فيها:

ألم ترَ أن الجودَ أرسلَ فانتقى حليفَ صفاءٍ وآلى لا يُزايلُه(١)
تخيَّر أسماءَ بن حصنٍ فبُطِّنَتْ بفعل العُلا أيمانُه وشمائلُه
ولا مجدَ إلا مجدُ أسماءَ فوقه ولا جرى إلا جريُ أسماءَ فاضلُهْ
ومحتمِلٍ ضِغنًا لأسماءَ لو جرى بسجْلَيْنِ من أسماءَ فارت أباجِلُهْ(٢)
عوى يستجيشُ النابحاتِ وإنما بأنيابه صُمُّ الصَّفا وجنادلُه(٣)
وأقصرَ عن مجراة أسماءَ سعيُه حسيرا كما يلقى من التُّرب ناخلُه(٤)
وفضّلَ أسماءَ بن حصنٍ عليهمُ سماحةُ أسماءَ بن حصنٍ ونائلُه(٥)
فمن مثلُ أسماءَ بن حصنٍ إذا غدت شآبيبُه أم أيُّ شيءٍ يعادلُه(٦)
وكنتَ إذا لاقيت منهم حطيطةً لقيتُ أبا حسّانَ تندى أصائلُه(٧)
تضيَّفُه غسّانُ يرجون سَيْبَه وذو يمنٍ أحبوشُه ومقاولُه(٨)

---

(١) انتقى: اختار، وائتلى: أقسم.

(٢) السجل: الجري، وأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في باطن الذراع، والمعنى: لو جرى بشوطين من جري أسماء لأعيا وانبهر.

(٣) يستجيش النابحات: أي يستمدّ الكلاب النابحات، والصفا: جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم، والمعنى أنّه لا يؤثر فيه إلاّ كما يؤثر العارض على الصمّ الصلاب.

(٤) حسيراً: كليلاً. (٥) النائل: العطاء. (٦) غدت: بكرت، وشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

(٧) الحطيطة: البخس، وأبو حسّان: كنية أسماء، وأصائل: جمع أصيل وهو العشيّ.

(٨) تضيّفُه: أصله تتضيّفُه: أي تنزل عليه ضيفاً، والعيب: العطاء، والأحبوش: جماعة الحبش، والمقاول: جمع مقول وهو الملك من ملوك حمير.

فتىً لا يزال الدهر ما عاش مُخصبا ... ولـو كـان بالموْماة تخـْدى رواحلُـه(١)
فـأصبح: مـا فـي الأرض خلقٌ علمتُه ... مـن النـاس إلاَّ بـاعُ أسمـاءَ طـائلـه(٢)
تراه إذا مـــا جـئـتـــه مـتـهـلّلا ... كـــأنك تعطيــه الذي أنت ســـائلُـه
ترى الجند والأعـراب يغـشـون بابه ... كـمـا وردت مـاء الكُـلاب نواهلُـه
إذا مـا أتـوا أبوابـه قـال: مرحـبا ... لِجُوا البـاب حتى يقتل الجوعَ قاتلُه
ترى البـازلَ البُخْتيَّ فـوق خـوانـه ... مـقطَّعـةً أعـضـاؤه ومـفـاصلـه(٣)
إذا مـا أتوا أسـمـاء كـان هـو الذي ... تحلَّـب كـفـاه النـدى وأنامـلُـه
تراهمْ كـثـيـراً حين يغـشـون بابه ... فـتـسـتـرهم جُـدْرانُـه ومنازِلُـه

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم. (٢٢٥/١٤)

(١٦٤)

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابنُ الزّبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه، فوصله إليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أوّلها:

أصـَرمٌ بليلى حـادثٌ أم تجنُّـبُ ... أم الحبل منهـا واهِنٌ مـتـقـضّبُ(٤)
أم الودُّ من ليلى كـعـهـدي مكانـه ... ولكـنَّ ليلـى تسـتـزيد وتعـتـب
ألـم تعلمـي يا ليـل أنّي ليّـنٌ ... هضـومٌ وأنّي عنْبَسٌ حين أغضب(٥)
وأنّي متى أُنفقْ من المال طارفاً ... فإنّي أرجـو أن يثُـوبَ المثـوّب(٦)
أأن تلِفَ المـالُ التّلادُ بحـقِّـه ... تشـمّسُ ليلى عن كلامي وتقْطِب(٧)
عشـيـةَ قـالت والركابُ مُناخـةٌ ... بأكـوارهـا مـشـدودةً: أين تذهب؟(٨)
أفي كل مـصـرٍ نازحٍ لك حـاجـةٌ ... كـذلك مـا أمـرُ الفتى المتشـعّبُ(٩)
فـوالـلـه مـازالـت تُلبِّثُ نـاقـتـي ... وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ

---

(١) تخدى: تُسرع، والموماة: المفازة. (٢) طاله: فاقه في الطُّول.

(٣) البازل: الجمل في تاسع سنينه، والبختيّ من الجمال: طوال الأعناق.

(٤) الصرْم: القطيعة، وواهن: ضعيف، ومتقضّب: متقطّع.

(٥) الهضوم: المنفق لماله، والعنبس: الأسد. (٦) الطارف: المستحدث، وثاب وثوّب: رجع.

(٧) التّلاد: المال القديم، وتشمسُ: هي تتشمّس أي تنفر وتعرض، وتقطب: تزوي ما بين عينيها وتعبس.

(٨) الأكوار: جمع كُور وهو الرّحل بأداته. (٩) المتشعّب: المتفرّق.

دعيني ما للموت عني دافعُ ... ولا للذي ولّى من العيش مطلب
إليك عبيدَ الله تهوى ركابُنا ... تعسّفُ مجهولَ الفلاة وتدأبُ(١)
وقد ضمرت حتى كأنّ عيونها ... نِطافُ فلاةٍ ماؤها متصبّبُ(٢)
فقلت لها: لا تشتكي الأينَ إنه ... أمامك قرمٌ من أمية مُصْعَبُ(٣)
إذا ذكروا فضل امرئٍ كان قبله ... ففضلُ عبيدِ الله أثرى وأطيبُ(٤)
وأنك لو يُشفى بك القرحُ لم يعدْ ... وأنت على الأعداء نابٌ ومخلبُ(٥)
تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الـ ... ـحليفين ما أرسى ثبيرٌ ويثربُ(٦)
وأنت إلى الخيرات أوّل سابق ... فأبشِر، فقد أدركت ما كنتَ تطلب
أعنّي بسجْل من سجالك نافع ... ففي كل يوم قد سرى لك محلب(٧)
فإنك لو إيّاي تطلب حاجةً ... جرى لك أهلٌ في المقال ومرْحَبُ

قال: فقال له عُبيد الله - وقد ضحك من هذا البيت الأخير -: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السّجل الذي يُرويك؟ قال: نوالُك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٢٣٤/١٤)

(١٦٥)

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني علي بن عثّام الكلابيّ قال: دخل عبدُ الله الزّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لماوليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلمْ يأذن له، وقال له: ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابنُ خارجةَ بن حصنٍ ... فلا مطرتْ على الأرض السماءُ
ولا رجعَ الوُفود بغُنم جيشٍ ... ولا حملَتْ على الطُّهر النساءُ
لَيومٌ منك خيرٌ من أناسٍ ... كثيرٍ حولهم نعمٌ وشاء
فبُورك في بنيك وفي أبيهمْ ... إذا ذُكروا ونحن لك الفداء

(١) تهوي: تسرع في سيرها، وتعسف: هي تتعسّف ومعناها تسير في الطريق على غير هداية، وتدأب: تجدّ وتتعب.

(٢) نطاف: جمع نُطفة وهي الماء الصافي قلّ أو كثر.

(٣) الأين: الإعياء، والقرم: السيد المعظّم، ورجل مصعَب: مسوّد. (٤) أثرى: أكثر.

(٥) القَرح: عضّ السلاح ونحوه ممّا يخرج بالبدن، أراد به ما ينو به من صروف الدهر.

(٦) ثبير: جبل بظاهر مكة. (٧) السّجل: الدلو العظيمة الممتلئة.

فالتفت إليه مصعب وقال له: اذهب إلى أسماء فمالك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخَصّه به، سمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه. (٢٤٦/١٤)

(١٦٦)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيُّ عن العُمري عن العُتْبي قال: لمّا قُتل عبدُ الله الزُّبير صلب الحجّاج جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبدُ الله بن الزُّبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلّم ولا تقل إلاّ خيراً، وتوخَّ الحقَّ فيما تقولُه، فأنشأ يقول:

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت   أميّة حتّى أحرزوا القصباتِ
وجئتَ المجلّى يابن مروان سابقا   أمام قريش تنفُض العُذُرات(١)
فلا زلت سبّاقاً إلى كل غاية   من المجد نجّاةً من الغمرات(٢)

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عينا بها وأرحبُ صدْراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المُحِلِّ(٣) فيَّ وفي الحجّاج التي قلتها: فأنشده:

كأني بعبد الله يركب ردْعه   وفيه سنان زاعبيٌّ محرَّبُ(٤)
وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقتْ   به وبمن أساه عنقاءُ مُغْرب(٥)
تولّوا فخلّوه فشال بشلوه   طويل من الأجذاع عارٍ مشذّبُ(٦)
بكفّيْ غلام من ثقيفٍ نمت به   قريش وذو المجد التليد مُعتّبُ

فقال له عبدُ الملك: لا تقل غلام، ولكن هُمام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛

---

(١) المجلّى: السابق من الخيل، والعذرة: الناصية وقيل هي الخصلة من الشعر.
(٢) الغمرات: جمع غمرة وهي الشدّة.
(٣) المُحِلّ: هو عبد الله بن الزبير ودُعي كذلك لإحلاله القتال في الحرم.
(٤) يقال للقتيل: ركب درعه: إذا خرّ لوجهه على دمه، وزاعبي: نسبة إلى بلد أو رجل ومنه الرماح الزاعبية أو هي التي إذا هُزّت كأنّ كعوبها يجري بعضها في بعض، وحرب السنان: حدّده.
(٥) ويقال: عنقاء مغرب، وهي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحَسّ أو تُرَ.
(٦) الشلو: الجسد، وشال به: رفعه، أي أنّه صُلب على جذع طويل، والتشذيب: إصلاح الجذع.

والله أعلم. (٢٤٩/١٤)

(١٦٧)

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه، والكتاب بخط النضرِ بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشرٌ خلعها عليه، وكان قد بلغ بشرا عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، وجعل يتأمل من حواليه من بني أمية، ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم فقال له بشر، إن نظرك يابن الزّبير ليدلُّ أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كأنَّ بني أمية حول بشر ... نجومٌ وسْطها قمر منير
هو الفرع المقدَّم من قريش ... إذا أخذتْ مآخذها الأمورُ
لقد عمَّت نوافلُه فأضحى ... غنياً من نوافله الفقير(١)
جبرْتَ مَهيضنا وعدلْتَ فينا ... فعاش البائس الكَلُّ الكسير(٢)
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش ... لنا، والوا كِفُ الجوْنُ المطير(٣)

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه. (٢٥١/١٤)

(١٦٨)

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزّبير إلى بشر بن مروان متعرّضاً له ويُسمعه بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئاً؟ لقد نزحتَ فيه بحرك يابنَ الزّبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة، وكنتُ لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجلّ، وأملي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفَّق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني بشرُ بن مروانَ بعد ما ... تعاوتْ إلى شلوى الذئابُ العواسلُ(٤)

---

(١) النوافل: جمع نافلة وهي العطيّة.

(٢) هاض العظمت: كسره بعد الجبور أو بعدما كاد ينجبر فهو مهيض، والكَلّ: مَنْ كان عيالاً وثقلاً على صاحبه.

(٣) وكف الماء: سال، والجون: هنا السحاب الكثيف المتراكم.

(٤) الشلو: الجسد، والعواسل: جمع عاسل، وعسل الذئب: اضطرب في عدوه وهزّ رأسه.

غياث الضعاف المرملين وعصمةُ الـ ـيتامى ومن تلوي إليه العباهـل(١)
قـريعُ قـريشٍ والهـمـامُ الذي لـه أقـرّت بنـــو قـحطان طرًّا ووائل(٢)
وقـيسُ بن عـيـلان وخِنْدِفُ كلُّهـا أقـرّت وجـنُّ الأرض طرًّا وخـابل(٣)
يداك ابنَ مـروان يدٌ تقـتل العـدا وفي يـدك الأخـرى غـيـاثٌ ونـائل
إذا أمطرتْنا منك يومـاً سـحـابةٌ روينا بمـا جـادت علينا الأنامـل
فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيِّدا يُهـلّ علينـا مـنـك طـلٌّ ووابل(٤)
فـأنت المصـفّى يابن مـروان والذي توافـت إليـه بالعطـاء القـبـائلُ
يرجُّون فـضـلَ اللـه عند دعـائكمْ إذا جـمـعـتكمْ والحـجـيجَ المنازلُ
ولولا بنـو مـروان طـاشــت حلـومنا وكنّا فـراشـا أحرقـتْهـا الشـعـائل

فأمر له بجائزة وكساه خلعة. (١٤/ ٢٥٢)

(١٦٩)

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابيّ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ قال: أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعيّ فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعْها منّي وترى رأيك، فقال: هات إذاً، فأنشده قوله:

اللـه أعْطـاكَ المهابـةَ والتُّقى وأحلَّ بيتكَ في العديدِ الأكثـرِ
وأقـرَّ عـينك يوم وقـعْة خـازرٍ والخـيلُ تعـثُر بالقنا المتكسِّـر(٥)
إنّي مـدحـتُك إذ نبا بي منزلي وذممتُ إخوانَ الغنى مِنْ معْشر(٦)
وعـرفتُ أنـك لا تخيِّب مِدْحـتي ومتى أكن بسبيل خيرٍ أشــكـر
فـهلمّ نـحـوي من يمينك نفـحـةً إن الزمـان ألحَّ يابن الأشْــتـرِ

فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصلح بها أمرَ نفسي وعيالي. فأمر له بعشرين ألف درهم. (١٤/ ٢٦١)

---

(١) أرمل: نفد زاده، والعباهل: هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه. (٢) القريع: السيِّد.
(٣) الخابل: الجنّ. (٤) الطلّ: المطر الخفيف، والوابل: المطر الغزير.
(٥) خازر: نهر بين إربل والموصل، وكانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر. (٦) نبا: ضاق.

(١٧٠)

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ - وكانا لا يفارقان مجلسه - فوقف بين يديه فقال له: تكلّم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفّيك حقك، ولكنّ المجتهد محسن، فلا تهجني بمنعي الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلتَ مُجيداً محسناً مجملا. فأنشده:

كم من كميٍّ في الهياج تركته ... يهوي لِفيه مُجدّلاً مقتولا(١)

جلّلتَ مفرقَ رأسه ذا رونق ... عضْبَ المهزّة صارماً مصقولا(٢)

قُدتَ الجيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا

كم قد حربْتَ وقد جبرت معاشرا ... وكم امتننت وكم شفيتَ غليلا

فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأميرَ أعزّ الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يُفعل، فلستَ بما تصير إليه أغبطَ منا، قال: تحملني وتُخدمني وتجزل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوتِ ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذَوْن وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب:

شِمِ الغيثَ وانْظُر ويك أين تبعّجتْ ... كُلاه تجدها في يدِ ابن المهلّب

يداه يدٌ يُخزي بها الله من عصى ... وفي يده الأخرى حياةُ المعصّب

قال: فحسده ثابتُ قُطْنة وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوىً، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضباً، وقال لحاجب يزيد بن المهلّب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا، وإلاّ فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا(٣). (٢٦٦/١٤)

(١٧١)

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: أُنشد مسلمةُ بنُ عبد

---

(١) الكميّ: الشجاع المتكميّ في سلاحه، وجدّله: صرعه. (٢) جللتَ: علوتَ. وذا رونق: السيف.

(٣) يشبه هذا الموقف ما أشرنا إليه في النص الثاني والتسعين السابق، وهو متعلّق بجرير، إذ يصرّ على الدخول إلى الخليفة وإنشاده، ويرى مَنْعَه سقوطاً له إلى آخر الدهر. إذ يرى حاجب هو الآخر في منعه من الإنشاد هجاءً له ويلحّ على الأمير في إنشاده، وهذا يؤكد تعلّق الشعراء بولاة الأمر، واعتبارهم الدخول عليهم مكرمة كبيرة.

الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قول ثابت قطنة:

ياليت أسْرتك الذين تغيّبُوا كانوا ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة: وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهوداً يومئذ، فسقيتُهم بكأسه، قال: فكانَ مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلبه(١). (٢٧٨/١٤)

(١٧٢)

أخبرني الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال: حدثني ابن أبي زريق قال: شبَّبَ عبدُ الرحمن بن حسان برملةَ بنت معاوية فقال:

رمْلَ هل تذكرينَ يومَ غزالٍ إذْ قطعنا مسيرنا بالتُّمنّي
إذْ تقولين عمركَ الله هل شيءٌ وإنْ جلَّ سوف يُسليكَ عنّي
أمْ هلْ اطمعتُ منكُم بابن حسّانَ كما قد أراك أطمعتَ منّي

قال: فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب، فدخلَ على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج(٢) من أهل يثرب، يتهكّم بأعراضنا ويشبّب بنسائنا؟ قال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان، وأنشده ما قال، فقال: يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة، ولكن أمهلْ حتى يقدمَ وفدُ الأنصار ثم ذكرْني. قال: فلمّا قدموا أذكره به، فلما دخلوا عليه قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك تشبّب برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمتُ أنّ أحداً أشرفُ به شعري أشرف منها لذكرتُه، قال: وأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإنّ لها لأختاً؟ قال: نعم. قال: وإنما أراد معاوية أن يشبّب بهما جميعاً فيكذبَ نفسه. قال: فلم يرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك: أن يشبّب بهما جميعاً، فأرسل إلى كعب بن جُعيل فقال: اهج الأنصار. فقال: أفرق(٣) من أمير المؤمنين؛ ولكن أدلّك على الشاعر الكافر الماهر. قال: ومن هو؟ قال: الأخطل. قال: فدعا به فقال: اهجُ الأنصار. قال: أفرقُ من أمير المؤمنين! فقال: لا تخَفْ شيئاً: أنا لك بذلك. قال: فهجاهم فقال:

وإذا نسبتَ ابنَ الفُريعةِ خلته كالجحش بين حمارةٍ وحمارِ(٤)
لعنَ الإلهُ من اليهود عصابةً بالجِزْع بين صُليصلٍ وصِرارِ(٥)

---

(١) يشير هذا النص إلى علوّ مكانة الشعر، وتفوّقه على النثر، من حيث التأثير والانتشار.

(٢) العلج: كل جافٍ شديد من الرجال، والحمار. (٣) أفرق: أخاف. (٤) ابن الفُريعة: حسّان بن ثابت، والفُريعة أمُّه، وحمارة وحمار: يعني بذلك أبويه. (٥) صليصل: موضع بنواحي المدينة ومثله صرار.

قومٌ إذا هدرَ العصيرُ رأيتهم حُمراً عيونُهم من المُصطارِ(١)
خلُّوا المكارم لستُم من أهلها وخُذوا مساحيكم بني النَّجارِ(٢)
إنَّ الفوارس يعلمون ظهوركم أولادَ كلِّ مقبَّحٍ أكَّارِ(٣)
ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا واللؤمُ تحت عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بشيرٍ فدخلَ على معاوية فحسر عن رأسه عمامته، وقال: يا أمير المؤمنين: أترى لؤماً؟ قال: لا بلْ أرى كرماً وخيراً، ما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا. قال: أو فعل؟ قال: نعم. قال: لك لسانُه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به سأل الرسول ليدخلَ إلى يزيد أولاً، فأدخله عليه، فقال: هذا الذي كنتُ أخاف. قال: لا تخفْ شيئاً. ودخل على معاوية فقال: علامَ أرسلَ إلى هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا؟(٤) قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبلْ قوله عليه وهو يدَّعي لنفسه، ولكن تدْعوه بالبيِّنة، فإن ثبَّتَ شيئاً أخذته به له. فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها، فخلَّى سبيله. (١٠٦/١٥)

(١٧٣)

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدَّثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال: شبَّب عبد الرحمن بن حسان بأخت معاوية، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، اقتل عبد الرحمن بن حسان، قال: ولم؟ قال: شبَّب بعمَّتي. قال: وما قال؟ قال قال:

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ وملت الثَّواءَ في جيرونِ

قال معاوية: يا بُنيَّ وما علينا من طُول ليله وحزنِهِ أبعده الله؟ قال: إنه يقول:

فلذاكَ اغتربتُ بالشام حتَّى ظنَّ أهلي مرجِّماتِ الظنون

قال: يابنيَّ، وما علينا من ظنِّ أهله؟ قال: إنَّه يقول:

هي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوَّا ص ميزتْ من جوهرٍ مكنونِ

---

(١) المصطار: الخمر الحامضة.

(٢) المساحي: جمع مسحاة وهي المجرفة من حديد، وقد هجاهم بأنَّهم أهل زراعة. (٣) الأكَّار: الحرَّاث.

(٤) الجمرة: القبيلة التي لا تنضمّ إلى غيرها بحلف أو نحوه في القتال، والمراد هنا الجماعة مطلقاً.

قال: صدق يا بنيّ. قال: إنّه يقول:

وإذا ما نسبتها لم تجدْها ... في سناء من المكارم دُونِ

قال: صدق يا بنيّ، هي هكذا. قال: إنّه يقول:

ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخضـ ... ـراء تمشـي في مرمرٍ مسنونِ(١)

قال: ولا كلُّ هذا يا بني! ثم ضحك وقال: أتنشدني ما قال أيضاً. فأنشده قوله:

قُبّة مـن مراجـل نصبوهـا ... عند حـدّ الشـتـاء في قيطون

عن يسـاري إذا دخلتُ من البـا ... ب وإن كنتُ خـارجاً فيميني

تجـعل النَّدُّ والألُوّةَ والعـو ... د صـلاءً لهـا على الكانون(٢)

وقـبـابٌ قـد أشْرِجَتْ وبيـوتٌ ... نُطِّقت بالريحـان والزُّرجُـون(٣)

قال: يابني، ليس يجبُ القتل في هذا، والعقوبةُ دون القتل، ولكنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز(٤).

(١٥/١٠٩)

(١٧٤)

حدّثنا الصولي قال: حدّثنا ثعلب قال حدّثني عبد الله بن شبيب قال: مرَّ الحزين الدِّيلي على مجلسٍ لبني كعب من خزاعةَ وهو سكران، فضحكوا عليه، فوقف عليهم وقال:

لا باركَ الله في كـعبٍ ومجلسهـم ... مـاذا تجـمَّعَ مـن لـؤمٍ ومن ضـرعِ(٥)

لا يدرُسـون كـتابَ اللـه بينهـم ... ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب إليه مشايِخهم فاعتذروا منه، وسألوه الكفَّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله، فأجابهم وانصرف.

(١٥/٣٣٢)

(١٧٥)

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا عمرو بن أبي بكر المؤمّلي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين قد ضرب على كلّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين في كلّ

---

(١) خاصرتُها: أخذتُ بخصرها وأخذت بخصري. (٢) الألوّة: ضرب من عود البخور.

(٣) أشرجت: تربط أي كما تشرج الخريطة تشدّ أجزاؤها بالعرى والحبال، ونُطِّقت: جُعل لها نطاق، والزرجون: الكرم أو قضبانه.

(٤) ينظر النص الرابع والثمانون السابق حيث نُسب الشعر إلى أبي دهبل الجمحي.

(٥) الضَّرَع: الذلّ والمهانة.

شهر، منهم ابن أبي عتيق، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمارٍ أعجف، قال: وكثيّر مع ابن أبي عتيق، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين: مَن هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيرّ بن أبي جمعة. قال: وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت؟ قال: لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي، ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين. ودعا له بهما فأصفى ثم قال: لابدَّ لي من هجائه ببيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال: ما أنا بتاركه حتّى أهجوه. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ فقال له كثير: ائذن له، وما عسى أن يقول فيّ؟ فأذن له ابن أبي عتيق فقال:

قصير القميص فاحش عند بيته يعضُّ القُراد باستِهِ وهو قائمُ

فوثب كثيِّر إليه فوكزه فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير: قبحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدك، قال كثيِّر: وأنا ظننته يبلغ في هذا كلِّه في بيتٍ واحد! (١٥/٣٣٢)

(١٧٦)

وأخبرني بهذا الخبر عمي تاماً واللفظ له، ولم يذكر الزُّبير منه إلاّ يسيراً، قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثنا العمري قال: حدّثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوام منزله، فامتدحه وسأله حاجة، فقال له: ليس إلى ما تطلبُ سبيل، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذير، وما كلُّ من سألنا حاجةً استحقَّ أن نقضيها، ولربُّ مستحقٌ لها قد منعناه حاجته، فقال الحزين: أفمِنَ المستحقّين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراضَ الناس وتهتك حريمهم، وترميهم بالمعُضِلات، إنَّما المستحق من كفَّ أذاه، وبذل نداه، ووقم(١) أعداه، فقال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تُبعدني لا أمَّ لك من هذه المنزلة وأفضل منها! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول:

حلفتُ وما صبرتُ على يمينٍ ولو أُدعى إلى أيمان صبر
بربِّ الراقصات بِشُعثِ قومٍ يوافون الجمارَ لصُبْح عشر(٢)
لو أنَّ اللؤم كان مع الثريّا لكان حليفه عمرو بن عمرو
ولو أنّي عرفتُ بأنَّ عمراً حليفُ اللؤم ما ضيَّعت شعري

فقال العمري: وحدّثني لقيط أنَّ الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن

---

(١) وَقَم أعداءه: أذلَّهم وقهرهم.

(٢) الرّاقصات: الإبل ترقص في سيرها وهو ضرب من الخبب، وشعث: جمع أشعث.

الحكم، وجاءه فشكا إليه عمراً، فوصله وأحسن إليه، قال:

إذا لم يكنْ للمرء فضلٌ يزينُه سوى ما ادَّعى يوماً فليس له فضل
وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤه يروِّعك في النَّادي وليس له عقلُ(١)
وآخر تنبو العين عنه مهذَّب يجود إذا ما الضُّخم نهنههُ البخل(٢)
فيا راجياً عمرو بنَ عمرٍو وسيبه أتعرف عمراً أم أتاهُ بك الجهل
فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطئ الفتى وإن كنتَ ذا حزم إذاً حارت النبل(٣)
جهلتَ ابنَ عمرو فالتمس سيب غيره ودونك مرمىً ليس في جدِّه هزلُ(٤)
عليك ابنَ مروان الأغرُّ محمداً تجده كريماً لا يطيش له نبلُ

قال لقيط: فلما أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له: اكففْ يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك. فقال: لا والله ولا بحُمْرِ النَّعم وسُودِها، لو أعطيتها ما كففتُ عنه، لأنه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ، قليل الخير، متسلِّط على صديقه، فَظٌّ على أهله. «وخير ابن عمرو بالثريا معلق». فقال له محمد بن مروان: هذا شعر. فقال: بعد ساعة يصير شعراً، ولو شئت لعجَّلته. ثم قال:

شرُّ ابن عمرٍو حاضر لصديقه وخير ابن عمرٍو بالثريا معلَّقُ
ووجهُ ابن عمرٍو باسرٌ إن طلبته نوالاً إذا جاد الكريم الموفق(٥)
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدتْ كتائب ميجاء المنيَّة تبرق
فلا زال عمروٌ للبلايا دريَّةً تباكره حتَّى يموت وتطرق(٦)
يهرُّ هرير الكلب عمرو إذا رأى طعاماً فما ينفكّ يبكي ويشهقُ

قال: فزجره محمد عنه، وقال له: أفٍّ لك، قد أكثرتَ الهجاء، وأبلغت في الشُّتيمة. (١٥/٣٣٦)

(١٧٧)

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: أخبرني محمد بن زياد، عن ابن عائشة وأخبرني هاشم بن محمد قال: حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، وخبرُ ابنِ أبي الدُّنيا أتمّ. قال: كان زيادٌ الأعجم صديقاً لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يلي، فقال له عمر: يا أبا أمامة، لو قد

---

(١) الرُّواء: المنظر. والنادي: المجلس والمحفل. (٢) نهنهه: كفَّه ومنعه.

(٣) حارت النبل: أي ضلَّت سهامك سبيل القصد. (٤) سيب: عطاء.

(٥) باسر: كالح. (٦) الدريَّة: مسهّل الدرينة، وهي الحلقة يُتعلَّم الطعن والرمي عليها، وتطرق: تجيئه ليلاً.

وليتَ لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبداً. فلما ولى فارسَ قصدهُ، فلمَّا لقيه أنشأ يقول:

أبلـغْ أبا حـفص رسـالةَ ناصـح ... أتَتْ من زيادٍ مـسـتـبـينا كـلامُهـا
فـإنَّكَ مـثلُ الشَّمس لاسـتـرَ دونهـا ... فكيف أبا حـفـص عليَّ ظلامُهـا

فقال له عمر: لا يكون عليك ظلامُها أبداً.فقال زياد:

لقد كنتُ أدعو الله في السِّرِّ أن أرى ... أمـــورَ معـــدٍّ في يديـك نظـــامُهَا

فقال له: قد رأيتَ ذلك. فقال:

فلما أتاني ما أردتُ تباشـرتْ ... بناتي وقلنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال: فهو عامهن إن شاء الله تعالى. فقال:

فإنِّي وأرضاً أنت فيها ابنَ معمـرٍ ... كمكَّـة لـــم يطْربْ لأرضٍ حمامها(١)

قال: فهي كذلك يا زياد. فقال:

إذا اخترتَ أرضـاً للمقام رضيتُها ... لنفســي ولـم يثقُـلْ عليَّ مُقـامُها
وكنتُ أمنِّي النفسَ منك ابنَ مـعـمر ... أمـــانيَّ أرجـــو أن يتـمَّ تمـامُهـا

قال: قد أتمَّها الله عليك. فقال:

فلا أكُ كالمُجْري إلى رأسِ غايةٍ ... يُرجِّي سـمـاءً لـم يصبْهُ غمامُها

قال: لستَ كذلك فسلْ حاجتك. قال: نجيبةٌ ورحالتها(٢)، وفرسٌ رائع وسائسُه، وبَدْرةٌ وحاملها، وجاريةٌ وخادمُها، وتختُ(٣) ثيابٍ ووصيف يحمله. فقال: قد أمرنا لك بجميع ما سألت، وهو لك علينا في كلِّ عام. فخرج مِنْ عنده حتَّى قدم على عبد الله بن الحشْرج وهو بسابُور، فأنزله وألطفه(٤)، فقال في ذلك:

إنَّ السَّـمـاحـةَ والمـروءةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحشْرجِ
ملكٌ أغـــرُّ مـــتـــوَّجٌ ذو نائلٍ ... للمُعْتـــفين يمينُـــه لـم تشنجِ
يا خيـرَ من صعـدِ المنابر بالتقى ... بعـد النَّبيِّ المصطفـى المتحـرِّجِ
لما أتيـــتُك راجـيــــاً لنوالكمْ ... ألفـــيتُ بـابَ نوالكــم لم يُرتَـجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم. (١٥/٢٨٥)

---

(١) الطرب: الشوق. (٢) النجيبة: الناقة الكريمة، والرحالة: الرحل.

(٣) التخت: وعاء يصان فيه الثياب. (٤) ألطفه: أتحفه بالهدايا والألطاف.

(١٧٨)

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُراني عن العمريّ، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: مرّ يزيد بن حبْناء الضبيّ بزيادٍ الأعجم وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرِب، فأفحش فيه، فقال له يزيدُ بن حبناء: ألم يأنِ لك أن ترعوي وتتركَ تمزيق أعراضِ قومك، ويْحك! حتّى متى تتمادى في الضلال، كأنّك بالموت قد صبّحك أو مسّاك! فقال زياد فيه:

يحذّرني الموتَ ابنُ حبناءَ والفتى ... إلى الموتِ يغدو جاهداً ويروحُ
وكلُّ امرئٍ لابدَّ للموتِ صائرٌ ... وإن عاش دهراً في البلادِ يسيحُ
فقلْ ليزيدٍ يابنَ حبْناء لا تعظْ ... أخاك وعظْ نفساً فأنت جنوحُ
تركتَ التُّقى والدينُ دينُ محمدٍ ... لأهلِ التُّقى والمسلمين يلوحُ
وتابعتَ مُرّاق العراقين سادراً ... وأنتَ غليظ القُصْرَيينِ صحيح(١)

فقال له يزيد بن عاصم الشنّيّ: قبحك الله، أتهجو رجلاً وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء، هلاّ كففتَ إذا لم تقبل، أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تحبْقُ فيك عنْزان، اذهبْ ويحك فأتِه واعتذر إليه لعلّه يقبلُ عذرك. فمشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشفعوا إليه فيه، فقال: لا تثريبَ، لستُ واجداً عليه بعد يومي هذا. (٣٩٠/١٥)

(١٧٩)

أخبرني أحمد بن علي قال: سمعت جدي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جُعفيٍّ قال: كنتُ جالساً عند المهلّب إذْ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب، فلما رآه المهلّب قال: اللّهم إني أعوذُ بك من شرِّه! فجاء فقال: أصلحَ الله الأمير، إنّي قد مدحتك ببيتٍ صفدُه(٢) مائة ألف درهم. فسكت المهلّب، فأعاد القول فقال له: أنشدْه. فأنشده:

فتىً زادهُ السُلطانُ في الخير رغبةً ... إذا غيَّرَ السُّلطانُ كلَّ خليلِ

فقال له المهلّب: يا أبا أمامة، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا ولكنّ ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ(٣). وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعْجم. (٣٩١/١٥)

---

(١) المُرّاق: الخوارج جمع مارق، والقُصْرَيان: مثنّى القصرى وهي آخر ضلع في الجنب أسفل الأضلاع.

(٢) صفَده: عطاؤه.

(٣) عروض: حاجة.

(١٨٠)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه؛ أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبيّ. وأخبرني عمي قال: حدثنا الكرانيّ قال: حدثني العُمريّ عن الهيثم بن عديّ، قالوا: خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له، فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه، فقال: أعطوه ديناراً، واجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له: أعطه إياه من بيت المال، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعها منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أرَ للحاجات عند التماسها ... كنعمانَ نعمانِ الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور(١)
متى أكفرِ النعمان لا ألْفَ شاكرا ... وما خير من لا يقتدي بشكور(٢)
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ... ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير(٣) (٣٢/١٦)

(١٨١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيب بن نصر المهلّبي قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا يحيى الزبيري قال حدثني ابن أبي زريق، قال: شبَّب عبد الرحمن بن حسان برملْة بنت معاوية، فقال:

رملَ هل تذكرين يوم غزال ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمني
إذ تقولين عمْرك الله هل شيء ... وإنْ جلَّ سوف يُسْليك عني
أم هلْ اطمعْتُ منكم يابن حسا ... ن كما قد أراك أطمعتَ مني

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يايزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن

---

(١) مُدْلٍ: مُعْطٍ. (٢) أكفر: أنكر فضله.

(٣) النقير: الشيء القليل.

أمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلما قدموا أذكره به فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً، فيُكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجُعيل، فقال: اهجُ الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين. قال: لا تخف شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفُريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجِزْع بين صُليصل وصُدار
قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم ... حمرا عيونُهم من المُسْطار
خلُّوا المكارم لستُم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار
إن الفوارس يعرفون ظهوركم ... أولادَ كل مقبَّح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤما؟ قال: بل أرى كرما وخيراً. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم. قال: لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولا، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئاً. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جمْرتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبل قوله عليه، وهو المدعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئاً أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرتْ أم مالك ... لراضٍ من السلطان أن يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه ... تجللتُ حِدْبارا من الشر أنكدا(١)
فكم أنقذتني من خطوب حباله ... وخرْساء لو يُرْمى بها الفيل بلَّدا(٢)
ودافع عني يوم جِلَّقَ غمرة ... وهمّا ينسِّيني الشراب المبرّدا(٣)

---

(١) تجللت: علوت، والحدبار من النوق: الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال وبدا عَظْمُ ظهرها وجعل ذلك مثلاً للأمر الصعب. (٢) الخرساء: الداهية، وبلّد: ضعف واستكان. (٣) الغمرة: الشدّة.

وبات نجيّاً في دمشق لحيةٍ   إذا همَّ لم ينمِ السليمُ وأقصدا(١)
يُخافته طوراً، وطوراً إذا رأى   من الوجه إقبالاً ألحّ وأجهدا
أبا خالد دافعت عني عظيمةً   وأدركت لحمي قبل أن يتبددا
وأطفأت عني نار نعمان بعدما   أغذَّ لأمرٍ فاجرٍ وتجردا(٢)
ولما رأى النعمان دوني ابن حرّةٍ   طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا(٣)   (١٦/٣٤)

(١٨٢)

حدّثني عمي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادِّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً آووا رسول الله (ص) ونصروه؟! قال: أما إذا كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدلّه على الأخطل.   (١٦/٣٧)

(١٨٣)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثيِّر بمكة، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن حتى تفرقن، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجيّ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا! فقال لهم رجل مر بهم: أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حُرُم، ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد! فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل. فانصرف الرجل(٤).   (١٦/١١٦)

(١٨٤)

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص، فمطله، فقال فيه يذمه، ويمدح زيد بن الحسن بن علي عليه السلام:

لعلك والموعود حق وفاؤه   بدا لك في تلك القلوص بداءُ(٥)

---

(١) نجيّاً هنا: الرجل الداهي الشديد، والسليم: الملدوغ، وأقصدت الحيّة الرجل: إذا عضّته فمات في مكانه.

(٢) أغذّ: أسرع.   (٣) عرّد: انحرف، يُنظر النصّ الثاني والسبعون بعد المئة السابق ففيه الخبر نفسه.

(٤) هذا رأي امرأة من عامّة الناس، وهو يشير إلى رأي المجموع والكافّة من الناس، ويدلّ على مدى الأهمية التي تمتّع بها الشعر عند العرب، ولعصور متلاحقة.

(٥) بدا بَداء: أي بدا لك أمر جديد فغيّر ما كنت تريد فعله.

فإن الذي ألقى إذا قال قائل ... من الناس: هل أحسستها لعناء(١)

يقول الذي يبدي الشمات وقوله ... عليّ وإشمات العدوّ سواء

دعوتُ - وقد أخلفتني الوعد - دعوة ... بزيد فلم يضلل هناك دعاء

بأبيض مثل البدر عظّم حقه ... رجال من آل المصطفى ونساء

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه بقلوص من خيار إبله، فقال يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلْعة ... نفى جدبها واخضرُّ بالنبت عودها(٢)

وزيد ربيع الناس في كل شتْوة ... إذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشناق الديات كأنه ... سراج الدجى إذا قارنته سعودها(٣) (١٦/١٢٣)

(١٨٥)

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال: لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذ بعضادتي الباب، وقال:

أعينيّ جودا بالدموع وأسعدا ... بني رحم ما كان زيدٌ يُهينُها

ولا زيدَ إلا أن يجود بعبرة ... على القبر شاكي نكبة يستكينها(٤)

وما كنتَ تلقي وجهَ زيد ببلدة ... من الأرض إلا وجهُ زيد يزينها

لعمر أبي الناعي لعمّتْ مصيبةٌ ... على الناس واختصت قُصيّاً رصينها(٥)

وأنّى لنا أمثالُ زيد وجدُّه ... مبلِّغُ آيات الهدى وأمينُها

وكان حليفيه السماحةُ والندى ... فقد فارق الدنيا نداها ولينها

غدت غُدوةً ترمي لُؤيُّ بن غالب ... بجعْد الثرى فوق امرئ ما يشينها

أغرُّ بطاحيٌّ بكت من فراقه ... عُكاظُ فبطحاء الصفا فحجونها(٦)

فقل للتي يعلو على الناس صوتُها ... ألا لا أعان الله مَنْ لا يُعينها

---

(١) أحسستها: استفدتها، وجاء في خزانة الأدب (٩/٢١٦)، «وقوله لَعَناء خبر إنّ الذي ألقى. يقول: إن قلتُ للسائل الشامت إنّي أفدتُها فقد كذبت، وكذبي وإشمات العدوّ سواء».

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض. (٣) الأشناق: مفردها الشّنَق وهي دية الجراحات.

(٤) يستكينها: يخضع لها ويذلّ، يقول: ذهب زيد فلا يعرف قدره إلاّ مَنْ أصابته نكبة شديدة فلم يجد مَنْ يُعينه، فوقف على قبره يبكيه.

(٥) الرصين هنا: المصيبة الثقيلة. (٦) بطاحي: نسبة إلى بطحاء مكة، يعني هو من ذروة قريش ووسطها.

وأرملةٍ تبكي وقد شُقّ جيبُها عليه فـأبت وهي شُعْثٌ قرونها(١)
ولو فقهت ما يفقه الناسُ أصبحت خواشع أعلامُ الفلاة وعينها(٢)
نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا نرى الأرض فيها آيةٌ حان حينها
وزالت بنا أقدامنا وتقلبتْ ظهورُ روابيها بنا وبطونها
وأب ذوو الألباب منا كأنما يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سُقْيا رحمةٍ تُربَ حُفرة مقيم على زيدٍ ثراها وطينها

قال: فما رُئِي يوم كان أكثر باكياً من يومئذ. (١٦/١٣١)

(١٨٦)

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ قال: حدّثني عمي قال: لما قدم الفضل اللّهبيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها. فلما قدم الأحيحي على المهديّ فمدحه، قال المهدي لمن حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهبيّ لما مدحه، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثلِ عطية أبيه. فأمر للأحيحيّ بثلاثين ألف درهم. (١٦/١٨٢)

(١٨٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال: خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تُجنب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

يأيها البكر الذي أراكا عليك سهلَ الأرضِ في ممشاكا(٣)
ويلك هل تعلم من علاكا إن ابن مروان على ذُراكا
خليفة الله الذي امتطاكا لم يعْلُ بكرا مثلُ من علاكا

فعارضه الفضل اللّهبي، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس، فقال:

يأيها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا بدريّ
أغلب في العلياء غالبيٍّ وليِّن الشيمةِ هاشمي

---

(١) قرونها: شعرها. (٢) أعلام الفلاة: جبالها، والعين: جمع عيناء أي واسعة العينين يريد بقر الوحش.

(٣) البكر: الجمل.

فنظر عبد الملك إلى علي فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلما أعطى قريشاً مرُّ به اسمه فحرمه، وقال: يعطيه عليٌّ. هكذا رواية عُمر بن شبة. وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفليّ عن عمه: أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللّهبيّ يستقي، فجعل يرتجز ويقول:

يأيها السائل عن عليِّ ... سألت عن بدرٍ لها بدريِّ

مقدَّم في الخير أبطحيِّ ... ولين الشيمةِ هاشميِّ

زمزمنا بوركتِ من ركيِّ ... بوركتِ للساقي وللمسقيِّ(١)

فغضب سليمان، وهم بالفضل. فكفه عنه عليّ بن عبد الله. ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فأخذه من يديه كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحب، ووضعه في يده ولم يشربه. فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً. (١٦/١٨٣)

(١٨٨)

قال: ولمّا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس:

إمّا خُطايَ تقاربَتْ ... مشْيَ المقيَّد في الحصارِ

فبما أمشّي في الأبا ... طحِ يقتفي أثري إزاري

دع ذا ولكنْ هل ترى ... ناراً تُشَبُّ بذي مُرارِ(٢)

ما إن تُشَبُّ لقُرَّة ... للمصطلين ولا قُتارِ

ما بالُ ليلكَ ليس ينـ ... ـقُص طُوله طولُ النهارِ

لتقاصُرِ الأزمانِ أم ... غرضِ الأسيرِ من الإسارِ؟(٣)

قال: فبلغت أبياتُه معاويةَ، فرق له وأطلقه. فرجع إلى مكة. (١٦/١٩٩)

(١٨٩)

أخبرني عمي قال: حدثّنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن

---

(١) الركيّ: البئر.

(٢) ذو المرار: أرض كثيرة المرار وهو حمض أو شجر مرّ من أفضل العشب وأضخمه إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها، فبدت أسنانها. (٣) الغرض: الضجر والقلق.

بيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف درهم، من مال وحُملان(١) وثياب ورقيق وغير ذلك. (٢٠٢/١٦)

(١٩٠)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، وأخبرني وكيع قال: حدّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان، قال: حدّثني أبو الحسن الشُّيباني قال: حدّثني شعيب بن صفوان، قال: قدم حمزة بن بيض على مخْلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت، فأنشده قوله فيه:

أتيناك في حاجة فاقضها وقل مرحبا يجبِ المرحبُ
ولا تكلنُا إلى معشر متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدبٍ منهمُ ما نشأت ونعْم لعمركُ ما أدّبوا
بلغت لعشر مضت من سنيـ ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب
فهمُك فيها جسام الأمور وهمُّ لداتك أن يلعبوا
وجُدْتَ فقلتَ ألا سائل فيعطى ولا راغبٌ يرغب
فمنك العطية للسائلين وممن ينوبك أن يطلُبُوا

فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها. وقال أيضاً في خبره: فحسده الكميت. فقال له: يا حمزة، أنت كمُهْدي التمر إلى هجر، قال: نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر. (٢٠٣/١٦)

(١٩١)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرنا السُّكْن بن سعيد، عن محمد بن عباد، قال: دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلِق دون السماح والجود والنـ ـجدة بابٌ حديدهُ أشِبُ(٢)
ابنُ ثلاث وأربعين مضت لا ضَرِع واهن ولا نكِب(٣)
لا بطِر إن تتابعت نِعَم وصابر في البلاء محتسب
برّزْتَ سبقَ الجواد في مهل وقصّرتْ دون سعيك العرب

---

(١) الحملان: الدّواب التي تحمل الهبات خاصة. (٢) الأشِب: المرتفع القويّ.
(٣) الضرع: الضعيف الجبان، والنكِب: مَنْ يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً.

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا منزل لك، ثم رفع مقعداً تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه، فقال له سرا: خذه ولا تخْدَع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فأردت أن أردُّه عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة، فإذا فص ياقوت أحمر، كأنه سقط زنْد، فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق، ليُعْلَمَنَّ أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً، فلما قبضت المال وصار الفص في يده، قال لي: والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلما رأى تغير وجهي قال: إني رجل تاجر، ولست أشك أني قد غممتك. قلت: إي والله وقتلتني . فأخرج إليّ مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفر عليك تلك. (١٦/٢٠٩)

(١٩٢)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الأوّل بن مزيد، قال: حدّثنا العُمري عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرني مخْلد بن حمزة بن بيض قال: قدم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فأنشده:

ساس الخلافة والداك كلاهما ... من بين سخْطه ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا ... وعلى جبينك نُور ملك الرابع
سرِيتَ خوف بني المهلّب بعدما ... نظروا إليك بسمٍّ موتٍ ناقع
ليس الذي ولاك ربُّك منهمُ ... عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفا . (١٦/٢١٠)

(١٩٣)

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلّب، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه:

أصبح في قيدكَ السماحة والـ ... حاملُ للمعضلات والحسبُ
لا بطرٌ إن تتابعت نعمٌ ... وصابرٌ في البلاء محتسبُ

فقال له: ويحك أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنتَ هكذا لطالما أثبْتَ على الثناء.

فأحسنت الثواب والرِّفْد، فهل بأس أن نُسلفك الآن. قال: أما إذ جعلته سلفا فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، ويمنع الحق، يعطي الشعراء، ويمنع الأمراء(١).
(٢١٠/١٦)

(١٩٤)

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثني عُيينة بن المنهال قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: حدّثني أبو يعقوب الثقفيّ قال:

قال لي حمزة بن بيض: لما وفد الكُميت بن زيد إلى مخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أباه على خراسان، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها:

هلا سألتَ معالم الأطلالِ

وهي التي يقول فيها:

يمشين مشي قطا البطاحِ تأوُّدا   قُبَّ البطـون رواجـح الأكفـالِ

وقصيدته التي يقول فيها: هلا سألت منازلا بالأبرقِ

أعطاه مئة ألفِ درهم، سوى العُروض والحُمْلان، فقدم الكوفة في هيئة لم يُرَ مثلها، فقلت في نفسي: والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخْلد بن يزيد، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت، وعلى مُضر جميعا. فهيأت لمخْلد مديحاً على رويّ قصيدتي الكميت وقافيتيهما، ثم شخصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضر في البدو، فقالوا: إنك تأتي مخْلداً وهو فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك، ولكن إذا فرغ من أمرك، فأعلمه ممشانا إليك، ومسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا،

---

(١) يصدر عمر بن عبد العزيز ويزيد بن المهلب عن منهجين مختلفين، يتّفقان مع ما عُرف عنهما، وقد رأينا - فيما سبق - كيف أوقف عمر منْح الهبات للشعراء من بيت المال وفق منظور إسلامي مسؤول، وهو هنا يرى الإنفاق في وجه من وجوه الباطل، بينما يراه يزيد مكرمة، وتسجيلاً للمآثر، ولم يمنعه السجن، وسوء الحال من الاستمرار على تلك العادة. وسنرى في النص القادم (١٩٤) أنّ مخلد بن يزيد يسير على نهج والده في الإنفاق، ولم يتوقف عن إعطاء الكميت وحمزة آلاف الدراهم، بل يقطع شوطاً بعيداً مع حمزة فيصبح مستعداً أن يهبه خراج خراسان جميعه إن هو استمر في الطلب، ولم يكن عمر بن عبد العزيز ليرضى عن هذا، فكيف يتّفقان؟

فلما قدمت على مخلد خُراسان أنزلني، وفرش لي، وأخْدمني، وحملني، وكساني، وخلطني بنفسه، فكنت أسمرُ معه، فقال لي ليلة: أعليك دين يابن بيض؟ قلت: دعني من مسئلتك إيّاي عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، وإلا لم أدخل الكوفة، ولم أعيّر بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت. فأمر لي بمئة ألف درهم، كما أعطى الكميت، وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكرة بحاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته:

أتيناك في حاجة فاقضها ... وقُلْ مرحباً يجب المرحبُ
ولا تكلنَّا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأتَ ... ونِعْم لعمرُك ما أدّبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سنيـ ... ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب
فهمُك فيها جسام الأمورِ ... وهمُّ لداتك أن يلعبوا

فقال: مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت: حمالات في ديات. فتبسم، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أو غير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قلت: أدلُّ على قبر المهلّب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده. فتبسم، ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت: بل أدلُّ على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف، حتى بلغت سبعين ألفاً. فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاءك. فقال مخلد: أما والله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه. (٦/٢١١)

(١٩٥)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال: حدّثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدّثني أبو عمر العُمريّ، قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب، فوعده أن يصنع به خيراً، ثم شُغل عنه، فاختلف إليه مراراً، فلم يصل إليه، وأبطأت عليه عدته، فقال ابن بيض:

أمخلَّدَ إن الله ما شاء يصنع ... يجود، فيعطي من يشاء ويمنعُ
وإنّي قد أملت منك سحابة ... فحالت سرابا فوق بيداء تلمع

فاجمعت صرما ثم قلتُ: لعله يثوب إلى أمر جميل فيرجع(١)
فآيسني من خير مخلد أنه على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه من البغض والشنآن أمسى يُقطَّعُ(٢)
ويبخل بالمعروف عمن يوده فوالله ما أدري به كيف أصنع؟
أأصرمه فالصرم شر مغبة ونفسي إليه بالوصال تطلّع
وشتان بيني في الوصال وبينه على كل حال أستقيمُ ويَظلَع(٣)
وقد كان دهراً واصلاً لي مودةً ويمنعني من صرف دهري أضرع(٤)
وأعقبني صرْما على غير إحنة وبخلا وقدْما كان لي يتبرع(٥)
وغيَّره ما غيَّر الناسَ قبله فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فأدخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف صفة ابن بيض، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه، وأمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فإياك أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا والله، أصلحك الله، لا أحمل كتاباً لمن أعرف، ولا لمن لا أعرف. قال له مخْلد: احذر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي: وبعث إلى ابن بيض، فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا. فحدَّثه مخْلد بقصته، فقال ابن بيض: والله، أصلحك: الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوْطاً مع الخمس مائة أبداً. فضحك مخْلد، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخمسة أثواب، وقال: وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً. قال: أجلْ والله، ولكن من لي بمثلك يُعتبُني إذا استعتبته، ويفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال:

وأبيض بُهلُولٍ إذا جئت داره كفاني وأعطاني الذي جئت أسألُ(٦)
ويُعْتبُني يوماً إذا كنت عاتبا وإن قلت، زدني: قال: حقاً سأفعلُ
تراه إذا ما جئته تطلب الندى كأنك تعطيه الذي جئتَ تسألُ
فلله أبناءُ المهلب فتية إذا لقحتْ حرب عوانٌ تأكُّل(٧)

---

(١) الصرْم: الفراق. (٢) الشنآن: الكُرْه والبغض.

(٣) يظلع: يعرج في مشيه، ويريد هنا أنّه يطلب الودَّ ولكنّ الآخر ليس مثله. (٤) أضرع: أذلّ.

(٥) إحنة: عداوة وحقد. (٦) البهلول: السيِّد الكريم. (٧) لقحت: اشتعل نارها والعوان: مستعرة قوية.

هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ ... بسُمْر القنا وَالمشرفيةُ من علُ(١)
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سمام لأقوام ذُعافٌ يُثْمَلُ(٢)
وفى ليَ أبناءُ المهلّب إنهم ... إذا سئلوا المعروف لم يتسعلّوا
فذلك ميراث المهلّب إنه ... كريم نماه للمكارم أوّل
جرى وجرت آباؤه فتحرّزوا ... عن الذمّ في عيطاء لا تتوقّل(٣)

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وقال: نزيدك ما زدتنا، ونضعف لك. فقال:

أمخلّد لم تترك لنفسي بُغْيةً ... وزدت على ما كنت أرجو وأملُ
فكنتَ كما قد قال معْنٌ فإنه ... بصير بما قد قال إذ يتمثّلُ
وجدْتُ كثير المال إذ ضنّ مُعْدماً ... يذُمُّ ويلْحاه الصديق المؤمِّل
وإنْ أحقُّ الناس بالجود من رأى ... أباه جواداً للمكارم يُجْزِلْ
وجدتَ يزيداً والمهلَّبَ برّزا ... فقلت: فإني مثلَ ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية ... يُقصّر عنها السابق المتمهّل
فأنت غياث لليتامى وعصمة ... إليك جمال الطالبي الخير تُرحل
أصاب الذي رجّى نداك مخيلةٌ ... تصُبّ عزاليها عليه وتهطل(٤)
ولم تُلفَ إذ رَجَوْا نوالك باخلا ... تضن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ
وموت الفتى خير له من حياته ... إذا كان ذا مال يضنّ ويبخل

فقال له مخلد: احتكمْ، فأبى، فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاماً وبرْذَوْنا. (١٦/ ٢٢٠)

(١٩٦)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال: حدّثنا قال: حدّثنا أبو المعارك الضّبّيّ قال: حدّثني أبو مسكين قال: دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

---

(١) كانع: قريب. والقنا: الرماح، والمشرفية: السيوف.

(٢) ذعاف: سمّ قاتل من ساعته، ويثمل: سُمٌّ نُقع أياماً حتى اختمر.

(٣) العيطاء: الهضبة المرتفعة، وتتوقّل: يُصعد فيها، ويلحاه: يلومه.

(٤) العزالي: جمع عزلاء، وهي مصبُّ الماء من القربة.

رأيتك في المنام شننت خزا علىَّ بنفسجاً وقضيت ديني(١)
فصدق يا فدتك النفس رؤيا . رأتها في المنام لديك عيْني

فقال سليمان: يا غلام أدخله خزانة الكسوة، واشنُن عليه كل ثوب خزٌ بنفسجيٍّ فيها: فخرج كأنّه مشجب(٢). ثم قال له: كم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها . (١٦/٢٢٤)

(١٩٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسّان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز: أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يلْحق به، وكان بفلسطين أو بالأردنّ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: وما تصنع به؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، وأربع مئة دينار لزينب، ولك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أو تنقل إليَّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال، فتجهز المغيرة، وسيَّر ثقله، ثم دخل على يحيى فزوجه، وخرج إلى المدينة، فجعل عبدالملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاه إياها، ورجع إلى منزله. فغضب على يحيى، وخلعه عن ماله، وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كعكتان وزينب

قال: وكانت زينب تسمى المُوصلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة جده عبد الملك، ولما عقد النكاح بيْنهما، عقد في مجلس عبد الملك، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عديّ لموضعه منهم، فقال:

قمرٌ السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما من ذا رأى هذا ومن سمعا؟
دام السرور له بها ولها وتهنّيا طول الحياة معا

وقال جرير:

---

(١) من معاني الشنّ: الماء يقطر من القربة، فكأنّه قال له أفِضْ عليّ أو أعطني خزاً، والمشجب: ما تعلق عليه الثياب من أعواد متشابكة.

(٢) جعل الحرب قدراً فهي تفور وتغلي مثله.

جمع الأمير إليه أكرم حرةٍ ... في كل ما حالٍ من الأحوال
حكميَّة علت الروابي كلَّها ... بمفاخر الأعمام والأخوال
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ ... فخرتْهمُ بالسيِّد المفضال
عبد العزيز ومن يكلِّف نفسه ... أخلاقه يلْبَثْ باكسف بال
هنأتكم بمودَّة ونصيحة ... وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنك النِّعم التي خوِّلْتها ... يا خير مأمول وأفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، ولعديّ بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة. (١٦/٢٧٦)

(١٩٨)

أخبرنا محمد بن خلف بن المرْزبان، قال حدّثني إسحاق بن محمد الأموي قال: لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مرْحباً مرحباً بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر المُلحِد المُحِل (يقصد عبد الله بن الزبير) حيث كسا أشياعه ولم يكسك، وأنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ابن الزبير، وأنه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه، وأنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم. ومواليهم، ثم على كل من حضرني من أوليائي وشيعتي على دعوتهم، إلا كسا أبا العباس.

فخُلعت والله حُلل الوشي والخز والقُوهِيّ، وجُعلت تُرمى عليه، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك وجلساءه، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم. (١٦/٣٠٤)

(١٩٩)

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال: حدّثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كان هشام بن عبد الملك قد أتّهم خالد بن عبد الله ـ وكان يُقال: إنه يريد خلْعك ـ فوُجد بباب هشام يوماً رُقعةٌ فيها شعر، فدُخل بها على هشام فقُرئت عليه، وهي:

تألَّقَ برْقٌ عندنا وتقابلتْ ... أثافٍ لقدرِ الحربِ أخشى اقتبالها

فدونك قِـدْرَ الحـربِ وهـي مُقِرَّةٌ   لكفَّيك واجعل دُونَ قِدْرٍ جِعالَها(١)
ولن تنتـهي أو يبلغ الأمرُ حـدَّه   فنلها برِسْلٍ قبل ألاّ تنالها(٢)
فتجشَّم منها ما جشمتَ منَ التي   بسُوراء هرَّت نحو حالكَ حالها(٣)
تلافَ أمورَ الناس قبل تفاقُمٍ   بعقْدةِ حزْمٍ لا تخافُ انحلالها
فما أبرم الأقوامُ يوماً لحيلة   منَ الأمر إلاّ قلَّدوكَ احتيالها
وقد تُخبِرُ الحربُ العوانُ بسرِّها   - وإن لم تَبُحْ - منْ لا يُريدُ سؤالها

فأمر هشام أن يجمع له مَنْ بحضرته من الرُّواة، فجُمعوا، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شعرُ مَنْ تُشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً منْ ساعتهم أنه كلام الكُميت بن زيد الأسديّ، فقال هشام: نعم، هذا الكميت يُنْذرُني بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد بخبره، وكتب إليه بالأبيات وخالدٌ يومئذ بواسط.

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأخْذِ الكميت وحبْسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أنْ هذا يمدحُ بني هاشم ويهجُو بني أمية، فأتوني من شعره هذا بشيء. فأُتي بقصيدته اللامية التي أولّها:

ألا هـلْ عمٍ في رأيهِ مُتأمِّلُ   وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءةِ مُقْبِلُ!

فكتبها وأدْرَجها في كتابٍ إلى هشام، يقول: هذا شعرُ الكميت؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك.

فلما قرئت على هشام اغتاظ، فلما قال:

فياساسةً هاتوا لنا منْ جوابكم   ففيكم لعمْري ذُو أفانين مِقْوَلُ

اشتدَّ غيْظُه. فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطع يدي الكميت ورِجْليه ويضرب عنقه ويهدم داره، ويصلبه على تُرابها. (١٧/١٥)

(٢٠٠)

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني بن عقدة، قال: أخبرنا علي بن محمَّد الحسينيّ، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال، قال: حدّثنا مصبِّح بن الهلقام، قال:

---

(١) الجعالة: خرقة تنزل بها القدر.

(٢) الرسل: الرفق والتؤدة.   (٣) سوراء موضع.

حدّثنا محمد بن سهل صاحب الكميت، قال: دخلتُ مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال له: جُعلتُ فداك! ألا أنشدك؟ قال: إنها أيامٌ عظام، قال: إنها فيكم، قال: هاتِ ـ وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرُب ـ فأنشده، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت:

يصيبُ به الرّامون عن قوْس غيرهم فيا آخـراً سـدًى لـه الغـيُّ أوّلُ

فرفع أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ يديْه فقال: اللهم اغْفِرْ للكُميْت ما قدَّم وما أخَّر، وما أسرَّ وما أعلن، واعطه حتى يرْضى(١). (٢٣/١٧)

(٢٠١)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ، قال: حدثنا عُمر بن شبّة قال: قال محمد بن كُناسة: حدّثني صاعد مولى الكميت، قال: دخلْنا على أبي جعفر محمد بن عليّ ـ عليهما السلام ـ فأنشده الكميتُ قصيدته التي أولها: منْ لقلْبٍ متيَّم مُسْتهام؟

فقال: اللهم اغفر للكُميت، اللهم اغْفِر للكميت.

قال: ودخلْنا يوماً على أبي جعْفر محمد بن عليٍّ، فأعطانا ألفَ دينار وكُسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتُكم للدنيا، ولو أردتُ الدنيا لأتيْتُ مَنْ هيَ في يديه، ولكني أحببتُكم للآخرة؛ فأما الثيابُ التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها، وأمَّا المالُ فلا أقبله، فردَّه وقبلَ الثياب.

قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين ـ عليهما السلام ـ فقالت: هذا شاعِرُنا أهلَ البيت، وجاءت بقدْحٍ فيه سويق، فحركته بيدها وسقت الكُميت، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها؛ إني لم أحبكم للدنيا. (٢٤/١٧)

(٢٠٢)

أخبرني الحسن بن القاسم البجليُّ الكوفيُّ، قال: حدثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلى، قال: حدّثنا محمد بن فُضيل ـ يعني الصيْرفيّ ـ عن أبي بكر الحضرميّ، قال: استأذنتُ للكميت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ ـ عليهما السلام ـ في أيام التّشريق بمنىً، فأذن له، فقال له الكميت:

---

(١) يمثّل شعر الكميت لوناً سياسياً ارتضاه لنفسه وصرف همّه إليه، وقد كان آل البيت مدار شعره مثلما رأينا، وسنراه في نصوص مقبلة، وإن كان قد مدح غيرهم فسئل عنه فقال هو للدّنيا، ولهذا اعتبره العلويون شاعرهم ولسانهم.

جُعلت فداك إنّي قلتُ فيكم شعْراً أحبُّ أن أنشدكه. فقال: يا كميت، اذكر الله في هذه الأيام المعدودات، فأعاد عليه الكميت القولَ، فرقّ له أبو جعفر عليه السلام، فقال: هات، فأنشده قصيدته حتى بلغ:

يُصيب به الرّامُون عن قوْس غيرهمْ ... فيا آخراً سدّى له الغيّ أوّلُ

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفرْ للكميت. (٣٠/١٧)

(٢٠٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مهران، قال: حدثني رِبْعيُّ بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبْرة، عن أبيه، قال: دخل الكميت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ، عليهما السلام، فقال له: يا كميت! أنت القائل:

فالآن صِرْتُ إلى أمـ ... ـيّة والأمورُ إلى المصايِرْ

قال: نعم، قد قلْتُ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدنيا، ولقد عرفتُ فضلكم، قال: أما أنْ قلت ذلك فإنَّ التقيّة لتحِلّ. (٣٣/١٧)

(٢٠٤)

قال: ودخل الكُميتُ على خالد القسْريّ، فأنشده قوله فيه:

لو قيل للجُود: ومَنْ حليفُكَ؟ ما ... إنْ كان إلاّ إليك ينتسبُ
أنتَ أخوه وأنتَ صُورته ... والرأسُ منه، وغيرُك الذّنَبُ
أحْرزْتَ فضْلَ النِّضال في مهلٍ ... فكُلُّ يوْم بكفِّكَ القصبُ(١)
لو أنَّ كعْباً وحاتماً نُشرا ... كانا جميعاً منْ بعْضِ ما تهَبُ(٢)
لا تخلفُ الوعْدَ إنْ وعدتَ ولا ... أنتَ عن المعْتَفينَ تحتجبُ
ما دُونك اليوم من والٍ، ولا ... خلْفَك للراغبين مُنْقلبُ

فأمر له بمائة ألف درهم. (٣٤/١٧)

---

(١) النّضال: القتال والشجاعة في الحرب، والقصب: يريد به قصب السّبق ويقال أحرز قصب السّبق وأصله أنّهم كانوا ينصبون في حلبة السّباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليُعلم أنّه السّابق.

(٢) نُشرا: أعيد إلى الحياة وبُعثا.

(٢٠٥)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: دخل الكميت على مخْلد بن يزيد بن المهلبّ، فأنشده:

قاد الجيوشَ لخمسَ عشرَةَ حجّةً ولداتُه عن ذاك في أشغالِ
قعدتْ بهم همّاتهم وسمتْ به همَمُ الملوكِ وسوْرةُ الأبطالِ

قال: وقدُّام مخلد دارهم يقال لها الرُوَيجة، فقال: خُذْ وقُرك منها فقال له: البغلة بالباب، وهي أجلد منّي. فقال: خُذْ وقْرها، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم، فقيل لأبيه في ذلك، فقال: لا أردُّ مكرمةً فعلها ابني(١). (٣٥/١٧)

(٢٠٦)

قال الطّلحيّ في هذا الخبر: وحدثني إبرهيم بن علي الأسديّ قال: التقتْ ريًا بنت الكميت بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجّتان، فتساءلتا حتى تعارفتا، فدفعت بنت أبان إلى بنت الكميت خلْخاليْ ذهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميت: جزاكم الله خيراً يا آل أبان، فما تتركون برَّكُم بنا قديماً ولا حديثاً! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجزاكم الله خيراً؛ فإنّا أعطيناكم ما يبيدُ ويفْنى، وأعطيتُمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد، يتناشده الناسُ في المحافل فيُحْيِي ميْتَ الذكْرِ، ويرفع بقية العقبِ(٢). (٣٩/١٧)

(٢٠٧)

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمْرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جدّه، قال: أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابْنٌ ليس ابنُك أحبُّ إليَّ منه؛ فإن استطعت ألاّ يفرق بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل. فرقَّ له عبد الملك، وكفَّ عن ذلك، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ـ وكان عند عبد العزيز:

---

(١) مخلد بن يزيد بن المهلّب هو نفسه الذي أراد أن يعطي الشاعر حمزة بن بيض (ينظر النصّ الرابع والتسعون بعد المئة وفيه ذكر الكميت أيضاً)، خراج خراسان كلّه وهو مستمرّ على نهجه هنا في إعطاء الشعراء وإكرامهم.

(٢) هذه النظرة للشعر ما تزال مستمرة نراها في هذا النصّ، وقد رأيناها في نصوص سابقة.

يخلُفكَ البيضُ منْ بنيك كما ... يُخْلِفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ
ليسوا منَ الخروعِ الضِّعافِ ولا ... أشباهِ عيدانِه ولا غَرَبِهْ
نحن على بيعةِ الرسولِ التي ... أُعطيتْ في عُجْمِه وفي عَرَبِهْ
نأتي إذا ما دعوتَ في الزَّغَفِ المسْرودِ ... أبدانُه وفي جُنُبِهْ
نُهْدي رعيلاً أمامَ أرْعنَ لا ... يُعرفُ وجهُ البقاءِ في لجَبِهْ

فقال عبد الملك: لقد دخل ابنُ قيْس الرقيّات مدْخلاً ضيِّقاً، وتهدّده وشتمه. (٢٧١/١٧)

(٢٠٨)

أخبرني الحسن، قال: حدثني الخراز، عن المدائنيِّ، قال: كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يبْني مدينته التي على شاطئ الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صلاتٍ ولم يُعْطِه شيئاً، فقال:

قصائدُ حكْتُهنَّ ليَوم فخْرٍ ... رجعْنَ إليَّ صُفْراً خالياتِ
رجعن وما أفأنَ عليَّ شيئاً ... سِوى أنّي وُعِدتُ التُّرهاتِ
أقام على الفرات يزيد حوْلاً ... فقال الناس: أيُّهما الفراتي!
فيا عجبا لبحرٍ باتَ يسْقي ... جميعَ الخلْقِ لم يبْلُلْ لهاتي

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبلّ لهاتك يا أباعطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابْنه بدفعها إليه، ففعل، فقال يمدح ابنه:

أمَّا أبوكَ فعيْنُ الجودِ تعرفُه ... وأنتَ أشبَهُ خلْقِ اللهِ بالجودِ
لولا يزيد ولولا قبْلَه عمرٌ ... ألقتْ إليك معدٌّ بالمقاليدِ
ما ينبتُ العودُ إلا في أرُومتِه ... ولا يكون الجنى إلاَّ منَ العودِ (٣٣٣/١٧)

(٢٠٩)

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: وفد أبو عطاء السنديّ على نصر بن سيّار فأنشده:

قالت تريكة بيْتي وهي عاتبةٌ: ... إنَّ المقامَ على الإفلاسِ تعْذيبُ(١)
ما بال همٍّ دخيلٍ بات محتضرا ... رأس الفؤادَ فنوم العينِ توجيب
إني دعاني إليك الخيْرُ مِنْ بلدي ... والخيرُ عنْدَ ذوي الأحساب مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم. (٣٣٩/١٧)

---

(١) تريكة البيت: التي تُترك فلا تتزوج، وهي العانس في بيت أبويها.

(٢١٠)

أخبرني حبيب بن نصر، عن ابن شبة، عن العُتبيّ، عن هارون بن عتبة قال: شبَّب ذو الرمّة بخرقاء العامرية بغير هوىً؛ وإنما كانت كحّالة فداوتْ عيْنه من رمد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك؟ فقالت: عشرة أبيات تشبّب بي؛ ليرغبَ الناس فيّ إذا سمعوا أنّ فيَّ بقية للتشبيب، ففعل. (١٨/٣٦)

(٢١١)

نسختُ عن بعض الكتب: حدّثنا المدائنيُّ، عن جُويرية قال: كتب عيسى الحبْطيّ إلى رجل منهم يقال له أبو خالد، كان تخلفُ عن الخروج مع قطريّ أو غيره منهم:

أبا خالد أنفِرْ فلستَ بخالدٍ ... وما ترك الفُرقانُ عُذْراً لقاعد(١)

أتزعم أنّا الخارجون على الهدى ... وأنت مُقيمٌ بين لصٍّ وجاحد!

فكتب إليه: ما منعني عن الخروج إلاّ بناتي والحدب(٢) عليهن حين سمعتُ عمران بنَ حطّان يقول:

لقد زاد الحياةَ إليّ حبّاً ... بناتي إنّهن من الضّعاف

ولولا ذاك قد سوّمتُ مُهري ... وفي الرّحمن للضّعفاء كافٍ(٣)

قال: فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي، ويقولُ: صدق أخي، إنّ في ذلك لعُذرا له، وإنّ في الرحمن للضعفاء كافياً. (١٨/١١٥)

(٢١٢)

أخبرني محمدُ بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا عمّي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عمه العباس بن هشام، عن أبيه، قالا: قدم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبدُ الملك: ما الذي بقي منك؟ قال: أنا الذي أقول:

وما أنا في أمري ولا في خصُومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي(٤)

ولا مُسلمٍ مولاي عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شر ما أجني

---

(١) أنفرْ: أخرج للقتال. (٢) الحدب: الاعتناء والعطف.

(٣) سوّمت مهري: جعلت عليه علامة الحرب أي جعلته مستعداً لها.

(٤) مهتضم: مهضوم أي ذاهب رائح، ولا قارع سني: أي لا يُجترأ عليّ وأهان.

وإن فُـــؤادي بيـــن جنبيَّ عـــــالـمٌ   بما أبصـرت عيني وما سـمـعت أذْني
وفـــضَّلني في الشِّـعــر واللُّبِّ أنَّني   أقــولُ على علمٍ وأعــرفُ من أعْني
فـأصـبـحتُ إذ فـضُّلتُ مـروانَ وابنــه   على الناسِ قد فضُّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك: مَنْ يلومني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تُخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعه ألف جريب، وقال له: امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها. (١٨/١٣٢)

(٢١٣)

قال أبو فراس: فحدثني الكلبيّ، عن خداش، قال: دخل أعْشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال:

أتينا سليـمـــانَ الأمـيــرَ نزورُه   وكــان امــرأ يُحْبى ويُكْـرمُ زائرُهْ
إذا كُنتَ في النَّجْــوى بـه مُتَفرداً   فلا الجُودُ مُخْليه ولا البُخْلُ حاضرُه
كـلا شـافـعيْ سُؤُالِه من ضـمـيـره   على البُخْـــلِ ناهيـه وبالجـودِ آمرُه

فأعطاه وأكرمه وأمر كُلُّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه. (١٨/١٣٦)

(٢١٤)

قالوا: فلم يزل ابن مفرّغ[١] ينْتقل في قُرى الشام ونواحيها، ويهْجو بني زياد، وأشعارُهُ فيهم ترد البصْرة وتنتشر وتبلُغهم، فكتب عُبيدُ الله بنُ زياد إلى معاوية، وقال الآخرون: إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح، يقول له: إن ابن مُفرّغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره، وفضح بنيه طُولَ الدهر، وتعدّى ذلك إلى أبي سُفيان، فقذفه بالزنا وسبَّ ولده، فهرب من خُراسان إلى البصْرة، وطلبتُهُ حتى لفظتْه الأرض، فلجأ إلى الشام يتمضّغ لحومنا بها، ويهتك أعراضنا، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنْتصفَ لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابنُ مُفرّغ فيهم.

فأمر يزيدُ بطلبه، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لفظتْه الشام، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيْس، فالتجأ به واستجار، فقال له الأحنف: إني لا أجير

(١) يزيد بن المفرّغ من الشعراء الذين أورثهم شعرهم تعباً وجهداً، ذلك لأنّه أدخل نفسه مدخلاً ضيّقاً على حدّ قول عبد الملك بن مروان لابن الرقيات (ينظر النص السابع بعد المئتين السابق)، فنراه ينال بشعره الولاة والخلفاء، فكان جزاؤه التشرّد الدائم والتعذيب، والحالة السيئة ممّا قلّ وجود شبيه له بين الشعراء.

على ابن سُميّة فأعزل، وإنما يُجير الرجلُ على عشيرته، فأما على سلّطانه فلا، فإن شئت أجرتُك من بني سعْد وشعراهم، فلا يريبُك أحدٌ منهم، فقال له ابنُ مفرّغ: بأسْتاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا فيَّ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه. (٢٦٢/١٨)

(٢١٥)

وقال عُمر بنُ شبّة في خبره: جمع عبّاد بن زياد كلَّ شيء هجاه به ابنُ مفرّغ، وكتب به إلى أخيه عُبَيْدِ الله وهو يومئذ وافدٌ على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله:

إذا أوْدى مُعاويةُ بنُ حربٍ　　　نبشِّرْ شعْبَ قعْبك بانصداعِ(١)
فأشْهدُ أن أمك لم تباشر　　　أبا سفيان واضعةَ القناعِ
ولكن كان أمرٌ فيه لبْس　　　على وجلٍ شديدٍ وامتناعِ

وقوله:

ألا أبلغْ مُعاويةَ بنَ حربٍ　　　مُغلْغلةً من الرّجل اليماني
أتغضبُ أنْ يُقال أبوك عفٌّ　　　وترْضى أنْ يُقال أبوك زاني
فأشهدُ أنَّ رحمْك من زياد　　　كرِحْم الفيل من ولدِ الأتان(٢)
وأشهدُ أنها ولدت زياداً　　　وصخرٌ من سُميّةَ غيرُ داني

فدخل عُبيد الله بنُ زياد على معاوية، فأنشده هذه الأشعار، واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال: أدِّبه أدباً وجيعاً مُنكِّلا، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القتْل. (٢٦٥/١٨)

(٢١٦)

حدّثني محمد بن جرير الطّبريّ وحفظتُه، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيبُ بن نصْر المُهلّبيّ قالوا: حدثنا عُمرُ بن شبةُ قال: حدّثني عُمر بن محْروس الورّاق بن أقيْصَر السلُميُّ قال: حدّثنا يحْيى بن عُروة بن أذْينة قال: أتى أبي وجماعةٌ من الشعراءِ هشامَ بن عبد الملك، فنسبهم، فلما عرف أبي قال له: أنت القائل:

لقد علِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي　　　أنَّ الذي هو رِزْقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعنِّيني تطلُّبُه　　　ولو جلسْتُ أتاني لا يُعنِّيني

هذان البيتان فقط ذكرهما المُهلّبيّ والجوهريُّ، وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات كلها:

---

(١) الشّعب: الإصلاح والالتئام، والقعب: القدح الضخم الغليظ.　(٢) الرحم: القرابة.

وأنّ حظّ امرئٍ غيري سيبْلُغُه لابُدَّ لا بُدَّ أن يحتازه دُوني
لا خيرَ في طمعٍ يُدني لمنْقصةٍ وغُفّةٌ من قوام العيش تكْفيني(١)
لا أركبُ الأمرَ تُزْري بي عواقبُهُ ولا يعُابُ به عِرْضي ولا ديني
كم مِنْ فقيرٍ غنيِّ النفسِ تعرفُه ومِن غنيِّ فقيرِ النَّفس مِسْكينِ
ومن عدُوٍّ رماني لو قصدتُ له لم يأخذِ النِّصفَ مني حينَ يرميني(٢)
ومن أخٍ لي طوى كُشْحاً فقلتُ له: إنْ انطواءك عني سوف يطْويني
إني لأنْطق فيما كان من أربي وأكْثِرُ الصَّمْتَ فيما ليس يعْنيني
لا أبتغي وصْلَ من يبْغي مفارقتي ولا ألينُ لمَنْ لا يشْتهي ليني

فقال له ابنُ أذيْنة: نعم أنا قائلها، قال: أفلا قَعَدْتَ في بيتك حتى يأتيك رزقُك! وغفل عنه هشامُ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى مُنصرفاً، ثم افتقده هشامٌ فعرفَ خبره، فأتبعه بجائزة وقال للرَّسُول: قال له: أردت أن تُكذّبنا وتُصدِّق نفسك. فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه، فأبلغه رسالته ودفع الجائزة. فقال: قل له: صدّقني ربّي وكذّبك. قال يحيى بنُ عُروة وفرض له فريضتين، فكنت أنا في إحداهما(٣). (٣٢٤/١٨)

(٢١٧)

وإنّما قيل لعُويْف، عُويْف القوافي لبيت قاله(٤)، نسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دُريد ولم أسمعه منه. قال: أخبرنا السَّكن بنُ سعيد، عن محمد بن عبّاد، عن ابن الكلْبيّ قال: أقْبل عُويْف القوافي - وهو عُويْف بنُ معاوية بنِ عُقبة بنِ حصْن بن حُنيفة الفزاريّ، وإنّما قيل له عُويْف القوافي، كما حدّثني عمّارُ بنُ أبان بنِ سعيد بن عُييْنة، ببيت قاله:

سأكذبُ مَن قد كان يزعُم أنّني إذا قُلتُ قولاً لا أجيدُ القوافيا

---

(١) الغُفّة: البلغة من العيش. (٢) النّصف: الإنصاف.

(٣) هذا نمط من الشّعر لم يكن ليُقبَلَ في مجالس الخلفاء، ولذلك نرى الخليفة يَجْبه الشاعر بقوة ويذكرّه بذلك الشعر الذي قاله، ولكنّه يفيء بعد قليل إلى ما تعودَ عليه، فيرسل إليه جائزته وهو بعيد، فما يزال للشعر القدح المعلّى والمكان المرتفع.

(٤) كثيرٌ هم الشعراء الذين لُقّبوا ببيت شعر قالوه، فكأنّ هذا البيت قد أصبح علماً عليهم لا يُعرفون بغيره، وقد صنّف أبو سعيد السكّري كتاباً عنوانه «مَنْ قال بيتاً فلُقّب به» وأبو الفرج ينقل منه هنا، كما صنّف محمد بن حبيب كتاباً في هذا الموضوع عنوانه «كتاب مَنْ سُمّي ببيت قاله». ينظر نوادر المخطوطات (١٠٩/٦)، لعبد السلام هارون، وأفرد السيوطي في المزهر (٢/ ٢٧٠)، ذكراً لمن لُقّب ببيت قاله.

قال: فوقف على جرير بنِ عبدِ الله البجليّ وهو في مجْلسه فقال:

أصُبُّ علي بجيلة من شقاها　　　هجائي حين أدركني المشيبُ

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى. قال: بكَمْ؟، قال: بألف درْهم وبرْذون، فأمر له بما طلب فقال:

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلَهْ　　　نِعْمَ الفتى وبئْستِ القبيلهْ

فقال جرير: ما أراهم نَجْوا منك بعد. (١٨٧/١٩)

(٢١٨)

أخبرنا محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثني أحمد بنُ إسحاق، عن أبيه قال: حدّثني عزيزُ بنُ طلْحة بنِ عبد الله بنِ عثمان بن الأقرم المخْزوميّ، قال: حدّثني غيرُ واحد من مشْيخة قريش، قالوا: لم يكُنْ رجلٌ من وُلاة أولادِ عبد الملك بن مروان كان أنْفسَ على قومه، ولا أحْسَدَ لهم من الوليد بن عبد اللمك. فأذنَ يوماً للنّاس فدخلوا عليه: وأذِنَ للشُعراء، فكان أوّل مَنْ بدر بين يديه عُويْف القوافي الفزاريّ، فاستأذنه في الإنشاد فقال: ما بقّيتَ لي بعد ما قلتَ لأخي بني زُهْرة! قال: وما قلتُ له مع ما قلتُ لأمير المؤمنين؟ قال: ألستَ الذي تقول:

يا طلْحَ أنت أخو النّدى وحليفُه　　　إنّ النّدى من بعد طلْحة ماتا

إنّ الفعال إليك أطلق رحْله　　　فبحيْث بتّ من المنازل باتا

أولسْت الذي تقول:

إذا ما جاء يومُك يابنَ عوْفٍ　　　فلا مطرتْ على الأرض السّماء

ولا سار البشيرُ بغُنْم جيْشٍ　　　ولا حملتَ على الطُهْرِ النّساء

تساقى الناسُ بعدكَ يابْنَ عوْفٍ　　　نريعَ الموْتِ ليس له شفاء

ألم تقُم علينا السّاعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً، ولا أنفعُك بنافعة أبداً، أخرجوه عنّي.

فلما أخرج قال له القُرشيُّون والشاميُّون: وما الذي أعطاك طلحةُ حين استخرج هذا منْك؟ قال: أما والله لقد أعطاني غيرُه أكثر من عطيّته، ولكن لا والله ما أعطاني أحدٌ قطّ أحلى في قلْبي ولا أبقى شكْراً ولا أجْدر ألاّ أنساها ما عرفتُ الصّلات من عطيتَه، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قدمْتُ المدينة ومعي بُضيّعة لي لا تبلُغ عشْرة دنانير، أريدُ أن أبتاع قعوداً من قعدان الصّدقة، فإذا برجل في صحْن السُّوقِ على طنفسةٍ قد طُرِحت له، وإذا النّاس حوله، وإذا بين يديْه إبلٌ

معلوفة له، فظننت أنه عاملُ السّوق، فسلّمت عليه، فاثبتني وجهلته، فقلت: أي رحمك الله، هل أنت مُعيني ببصرك على قَعود من هذه القِعْدان تبتاعه لي؟ فقال: نعم، أوَ معكَ ثمنهُ؟ فقلت: نعم، فأهْوى بيده إليّ فأعطيته بُضيِّعتي، فرفع طِنْفِسته وألقاها تحتها، ومكثَ طويلاً، ثم قُمتُ إليه فقلت: أي رحمك الله، انظُر في حاجتي فقال: ما منعني منك إلا النّسيان، أمعك حبل؟ قلتُ: نعم، قال: هكذا أفرجوا، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبلَ التي بين يديه، فقال: اقرن هذه وهذه وهذه، فما برحتُ حتى أمر لي بثلاثين بكْرة أدنى بكْرة منها ـ ولا دنيّة فيها ـ خيرٌ من بضاعتي، ثم رفع طنْفسته فقال: وشانك ببضاعتك فاستعن بها على مَن ترجع إليه، فقلت: أي رحمك الله، أتدْري ما تقول! فما بقي عنده إلا منْ نهرني وشتمني، ثم بعث معي نفراً فاطردوها حتى أطلعُوها من رأس الثّنيّة، فوالله لا أنساه ما دُمت حيّاً أبداً. (١٩/١٨٧)

(٢١٩)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنْزي، قال: حدّثني محمد بن مُعاوية الأسديّ، قال: حدّثني أصحابنا الأسديُّون، عن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعْريّ قال: حضرتُ مع عُمر بنِ عبد العزيز جنازة، فلما انصرف انصرفتُ معه، وعليه عمامةٌ قد سدلها من خلفه، فما علِمْتُ به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به:

أجِبْني أبا حفص لقيتَ محمداً ... على حوْضِهِ مُسْتبْشِراً ورآكا

فقال له عُمر: لبيْك، ووقف ووقف النّاسُ معه، ثم قال له: فمه، فقال:

فأنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفيدةٌ ... شمالُك خيرٌ من يمين سِواكا

قال: ثم مه، فقال:

بلغت مدى المُجرين قبلك إذْ جروْا ... ولم يبلُغ المُجْرون بعدُ مداكا(١)

فجدّاك لاجِدّين أكرمُ منهما ... هُناك تناهى المجدُ ثم هُناكا

فقال له عمر: ألا أراك شاعراً! مالك عندي من حقّ، قال: لا، ولكني سائل وابنُ سبيل وذو سُهْمَة(٢). فالتفت عُمر إلى قهْرمانه فقال: أعطِه فضْل نفقتي، قال: وإذا هو عُويْف القوافي الفزاريّ. (١٩/١٩٣)

---

(١) المجْرُون: يريد بهم الكرماء.

(٢) السّهمة: القرابة والنصيب.

(٢٢٠)

أخبرني محمد بن خلفَ وكيع، والحسن بنُ علي قالا: حدثنا الغلابيّ، قالا: حدثنا محمد بن عُبَيْد الله، عن عطاء بن مُصْعب، عن عاصم بن الحدثان، قال: لما مات سُليمانُ بنُ عبد الملك وولي عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافة، وفد إليه عُوَيْفُ القوافي وقال شِعْراً رثى به سُليمان ومدح عُمر فيه، فلما دخل إليه أنشده:

لاح سحابٌ فرأينا برقَهُ ... ثم تدانى فسمعْنا صعْقَهُ(١)

وراحت الرِّيحُ تُزجِّي بُلقَهُ ... ودُهْمَهُ ثم تُزجِّي وُرْقَهُ(٢)

ذاك سقى قبْراً فروَّى ودْقُهُ ... قبرَ امرئٍ عظَّم ربِّي حقَّهُ

قبرَ سليمانَ الذي مَن عقَّهُ ... وجحد الخير الذي قد بقَّهُ(٣)

في المسلمين جِلَّه وبِقَّهُ ... فارق في الجحود منه صِدْقَه

قد ابتلى اللهُ بخيرٍ خلقَهُ ... ألقى إلى خير قريش وسْقَهُ(٤)

يا عُمرَ الخيرِ الملقَّى وفْقَهُ ... سُمِّيت بالفاروق فافرُقْ فرْقَهُ(٥)

وارزُق عيالَ المسلمين رِزْقَهُ ... واقصِدْ إلى الجُودِ ولا توقَّهُ

بحرُك عذبُ الماء ما أعقَّهُ ... ربُّك فالمحروم مَنْ لم يسْقَهُ

فقال له عمر: لسْنا من الشِّعر في شيء، ومالك في بيت المال حقٌّ. فألحَّ عُوَيف يسأله فقال: يا مُزاحم، انظُر فيما بقي من أرزاقنا فشاطِرْه إيّاه، ولنصبِر على الضِّيق إلى وقتِ العطاء، فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ سليْمانَ بن عبد الملك: بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رضا الرَّجُل، فقال: ما أولاك بذلك، فأخذ بيده وانْصرف به إلى منزله، وأعْطاهُ حتى رضي. (٢٠٩/١٩)

(٢٢١)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهلبيّ، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدثني عبدُ الرَّحيم بنُ أحمد بنِ زيد بن الفرج قال: حدثني محمد بن عبد الله قال: كان عبد الملك بنُ مروان مُعْجباً بشعْرِ عبد الله بن جحْش، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه، فوردَ كتابُه وقد تُوفِّي، فقال إخوانه

---

(١) الصَّعْق: الصوت الشديد.

(٢) البلق والورق هنا: السحاب بين بياض وسواد، والدهم هنا: السحاب إذا صار أسود منذراً بالمطر، والوَدْق: المطر كلّه شديده وهيِّنه، اللسان (٣٧٣/١٠)، وتزجّي: تسوق وتدفع.

(٣) بقّه: وسِّعه، وبِقُّه: ما دقّ منه وصغر. (٤) الوسق: الحمل. (٥) افرق فرقه: سِرْ سيرته.

لابنه: لو شخصتَ إلى أميرِ المؤمنين عن إذنه لأبيك لعلّه كان ينفعُك، ففعل، فبينا هو في طريقه إذ ضاع منه كتابُ الإذنِ، فهمَّ بالرَّجوع، ثم مضى لوجهه، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له: أنشدني قول أبيك:

هـل يُبلغنْهـا السـلامَ أربعـةٌ ... منّي وإن يفعلوا فـقـد نفـعـوا

على مصَكّين من جـمـالهِم ... وعنْتـريسين فـيـهـمـا سطع(١)

قـرْب جـيراننـا جـمـالَهُـم ... صُبحاً فأضحوا بها قد انْتجعوا

مـا كـنتُ أدْري بوشـك بينهمُ ... حـتى رأيتُ الحُداة قـد طلعـوا

قـد كـاد قلبي - والعين تُبصـرهم ... لمـا تـولّـى بالقـوم - ينْصدعُ

سـاروا وخلّفتُ بعـدهم دنفـاً ... أليس بالله بئسَ مـا صنعـوا!

قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه، قال: لا عليك، فأنشدني قول أبيك:

أجـدَّ اليـوم جيـرتُك الفـيارا ... رواحـاً أم أرادوه ابتكـارا

بعينك كـان ذاك وإن يبينـوا ... يزدْك البينُ صدْعـاً مُستطارا

بلى أبقت من الجيـران عندي ... أناسـاً مـا أوافقُهـم كـثارا

ومـاذا كـثْرةُ الجيـران تُغنـي ... إذا مـا بان مَنْ أهوى فسـارا

قال: لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قول أبيك:

دارٌ لصـهْبـاء التـي لا ينْثني ... عن ذكـرهـا قلبي ولا أنسـاها

صفراء يطويها الضَّجيعُ لصلْبها ... طـيّ الحمـالـة ليّن متْنـاها

لو يسـتطيعُ ضجيعُها لأجنَّها ... في القلب شـهْوةَ ريحها ونشاها(٢)

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أرويه، وإنّ صهباء هذه لأمي، قال: ولا عليك، قد يُبْغض الرجلُ أن يُشبَّب بأمِّه، ولكن إذا نسب بها غيرُ أبيه، فأفٍّ لك! ورحم اللهُ أباك، فقد ضيَّعتَ أدبه وعققته؛ إذ لم تروِ شعره. اخرُجْ فلا شيء لك عندنا. (٢١٣/١٩)

(٢٢٢)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: حدثني عمي، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرداسي قال حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيِّ قالا: حُبس

---

(١) المصكّ: القويّ، والعنتريس: الناقة القوية الغليظة، والسطع: طول العنق. (٢) أجنّها: أخفاها.

النّصيب في مسجد النبي فأنشد، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه، وأشار بيده، فرآه السريُّ بنُ عبدِ الرحمن الأنصاريُّ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال:

فقدتُ الشعرَ حين أتى نُصيبا ... ألم تستحي من مقْتِ الكرام

إذا رفعَ ابنُ ثوبة حاجبيه ... حسبت الكلبَ يُضربُ في الكِعام(١)

قال: فقال نصيب: من هذا؟ فقالوا: هذا ابنُ عُويم الأنصاريُّ، قال: قد وهبتُه لله عز وجل ولرسوله - (ص) - ولعويم بنِ ساعدة. قال: وكان لعُويم صحبةٌ ونصرةٌ. (٢٠/١٩٨)

(٢٢٣)

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني زبير بن بكار عن عمِّه: أن السريَّ بنَ عبد الرحمن وقف على عمر بنِ عمرو بنِ عثمان، وهو جالسٌ على بابه والناس حوله، فأنشأ يقول:

يابن عثمان يابنَ خيرِ قريشٍ ... أبْغني ما يكفُّني بقُباء

ربما بلَّني نداكَ وجلَّى ... عن جبيني عجاجةَ الغُرماءِ

فأعمره أرضاً بقُباء، وجعلها طُعْمةً له أيام حياته، فلم تزلْ في يده حتى مات. (٢٠/٢٠٢)

(٢٢٤)

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال: حدثنا أبو غسان دماذٌ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق: نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوتُ من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رُميلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطُّ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ؛ لأنّه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شطر حسبي وفخري، لأنه من بُحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذ ينتصف منِّي بيدي ولساني. (٢٠/٢٠٧)

(٢٢٥)

أخبرني محمدُ بن الحسين الكنديُّ خطيبُ القادسية قال: حدثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة عن أبي عمر وقال: كان الفرزدق يقول: نجوتُ من ثلاث أرجو ألاَّ يصيبني بعدهن شر: نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُميلة أبي البذال فلم يقع في رأسي، ونجوت من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ. ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمِّي، وقطع لساني عن الشعراء. (٢٠/٢١٠)

---

(١) الكعام: الكمامة.

(٢٢٦)

أخبرني محمد بن مزْيد قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق الموصليُّ قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبد الله بن عياش قال: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارميَّ، ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعةَ ليزيد تهيّب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لحُسن البقية فيهم، وكثرة من يُرشّح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرء(١) وكلام كرهه من سعيدِ بن العاص ومروان بنِ الحكم وعبد الله بن عامر، فأمر يزيدُ مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلا وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول:

إن أُدْعَ مسكيناً فإني ابن معشر ... من الناسِ أحمي عنهُم وأذودُ
إليك أميرَ المؤمنين رحلْتُها ... تُثير القطا ليلا وهنّ هُجود(٢)
وهاجرةٍ ظلت كأن ظباءها ... إذا ما اتَّقتها بالقرون سجود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومروانُ أم ماذا يقول سعيد؟
بني خلفاء اللهِ مهلا فإنما ... يُبوِّئها الرحمنُ حيث يريد
إذا المنبر الغربيَّ خلاّه ربه ... فإن أميرَ المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجدُّ صاعد ... لكلٍّ أناس طائر وجُدود(٣)
فلا زلتَ أعلى الناس كعباً ولا تزل ... وفود تساميها إليك وفود(٤)
ولا زال بيتَ المُلك فوقك عاليا ... تُشيَّد أطناب له وعمود
قُدُور ابنِ حرب كالجوابي وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرئال رُكود(٥)

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ونستخير الله. قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته. (٢٠/٢١٢)

(٢٢٧)

أخبرني عمّي، قال: حدثني الكُرانيّ وأبو العيناء عن العُتْبي، قال: لما أتى أيمنُ بن خريم

---

(١) ذرء: شيء. (٢) رَحلْتُها: يريد الناقة التي ارتحل عليها.

(٣) الجدود: الحظوظ. (٤) كعباً: يريد كعب الرمح كناية عن الشرف.

(٥) الجوابي: جمع جابية وهي الحوض يُجبى فيه الماء للإبل، والرئال: جمع رأل وهو ولد النعام.

بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً، فقال مَنْ يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه؟ فقيل له: ليس على الأمير حِجابٌ ولا ستر، فدخل وهو يقول:

يُرى بارزا للناس بشـرٌ كـأنه إذا لاح في أثوابه قـمـرٌ بدْرُ
ولو شاء بشرٌ أغلق البابَ دونه طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ شُقْر(١)
أبى ذا ولكن سهْلُ الإذنَ للتي يكون له في غبِّها الحمد والشكر(٢)

فضحك إليه بشر، وقال: إنا قوم نحْجُبُ الحُرَمَ، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم. (٢٠/٤١٣)

(٢٢٨)

حدثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال: حدثني عليُّ بنُ محمد النّوفلي عن أبيه - وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال: قال أبو نخيلة: وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب، فسألت عن أخص الناس به، فذُكر لي رجلان: أحدهما من قيس، والاخر من اليمن، فعدلتُ إلى القيْسي بالتؤدة فقلت: هو أقربهما إليّ، وأجدرهما بما أحب؛ فجلست إليه، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له: إني مسستك لتمسّني رحمك.

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعُني عنده، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه، فقال: ذلك كلُّه لك عليّ، وفي الرجل شدة، ليس كمن عهدت من أهله، وإذا سئل وخُلط مدحُه بطلبِ حُرِم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه أجدر أن ينفعك، واغد إليه غداً فإني منتظرك بالباب حتى أوصلك، والله يعينك، فصرتُ من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لي، فأدخلني معه، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله:

إلى هشامٍ وإلى مروانِ بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفّاك بالجود تباريان كما تبارى فرسا رهان(٣)
مال عليّ حدث الزمان وبيعَ ما يغلو من الغلمان

---

(١) طماطم: جمع طمطم وهو الذي في لسانه عجمة.

(٢) التيّ: يريد بها قصيدة المدح. (٣) تباريان: هي تتباريان أي تتسابقان.

بالثمن الوكْس من الأثمان والمُهر بد المُهر والحصان(١)

قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينتُ الكراهة في وجهه، ثم استأذنتُ فأذن لي، فأنشدته:

لما أتتني بغيةُ كالشَّهد والعسل الممزوج بعد الرقد(٢)
يا بردها لمُشْتفٍ بالبرْد رَفَعَتْ من أطمار مستعدَّ
وقلت للعيْس اعتلي وجدي فهي تخدَّى أبرح التخدَّي(٣)
كم قد تعسَّفتُ بها من نجد ومُجْرهدُ بعد مجْرهدُ(٤)
قد ادْرَعْن في مسير سمْد ليلاً كلون الطليسان الجرْد(٥)
إلى أمير المؤمنين المُجدي ربُّ معدَّ وسوى معدَّ
ممن دعا من أصيدٍ وعبد ذي المجد والتشريف بعد المجد
في وجهه بدر بدا بالسَّعد أنت الهُمام القرْمُ عند الجِد(٦)
طُوِّقتها مجتمِع الأشُد فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعد

قال: حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله، ثم عزفتْ نفسي وقلت: قد استنصحتُ رجلاً، وأخشى أن أخالفه فأخطئ، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً، فلمّا فرغتُ أقبل على جلسائه فقال: الغلام السَّعديَ أشعر من الشيخ العِجْلي، وخرجت. فلمَّا كان بعد أيام أتتني جائزته، ثم دخلت عليه بعد ذلك، وقد مدحتُه بقصيدة فأنشدته إياها فألقى عليَّ جُبَّة خزٍّ من جبابه مبطنةً بسمور، ثم دخلت عليه يوماً آخر، فكساني نُواجاً(٧) كان عليه من خز أحمر مبطن بسمّور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت له:

كسوتنيها فهي كالتُّجفاف من خزك المصونة الكثاف
كأنني فيها وفي اللّحاف من عبد شمس أو بني مناف
والخزّ مشتاق إلى الأفواف

قال، فضحك - وكانت عليه جبة أفواف - وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إليَّ، وقال:

---

(١) الوكس: المنخفض. (٢) الرقد: الرقاد.

(٣) تخدّى: هي تتخدَّى أي تسرع في سيرها. (٤) مجرهدّ: مكان لا نبات فيه.

(٥) سمْد: مستمر في السيْر، والجرد: الخَلِق. (٦) القرم: السيِّد.

(٧) النّواج: الثوب الواسع الذي يغطّي الجسد كلّه.

خذها، فلا بارك الله لك فيها. قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيَّرها وجعلها فيه ـ يعني الأرجوزة الدالية ـ فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح(١). (٢٠/٣٩٣)

(٢٢٩)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني أبو عمر الخصاف عن العتبي قال: لما حبس عمرُ بن هُبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يشفِّع فيه أحداً، فدخل عليه أبو نُخيلة في يوم فِطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

أطلقتَ بالأمس أسـيـر بكر   فـهـل، فـداك نفـري ووفْري(٢)
مـن سـبـبٍ أو حُجـة أو عذر   يُنْجي التـمـيـميُّ القليل الشكر
من حلقَ القيد الثِّقـال السُّـمر   ما زال مجنوناً عى أست الدهر
ذا حـسب ينمـو وعقل يحـري   هـبـه لأخـوالك يـوم الفطـر(٣)

قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر قد أُفسد، فشفعتَ فيه بكرُ بن وائل فنطلقه، وإياه عنى أبو نُخيلة، فلما أخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأخبر، فرجع إلى الحبس وقال: لا أريمه ولو متُّ. انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعة دعيّ، والله لا أخرج هكذا ولو من النار، فأخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فنطلقه، وقال: وهبتك لنفسك، وكان هجاه فحبسه لذلك، فلما عُزل ابن هبيرة وحُبس مدحه الفرزدق، فقال: ما رأيت أكرم منه، هجاني أميراً ومدحني أسيراً. (٢٠/٣٩٦)

---

(١) وردت إشارات كثيرة عن بعض الشعراء، وخاصة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية الذين غيّروا بعض قصائدهم أو أراجيزهم لتتفق مع العهد الجديد، وكانوا قد نظموها في رجالات العهد القديم، ومنهم أبو نخيلة هذا، فقد «اصطنعه مسلمة بن عبد الملك وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد فأغنوه»، ونرى الخليفة هنا يكرمه ويفضلّه على غيره، ولكنّه سرعان ما ينسى هذا كلّه فيغيِّر شعره، وينقطع إلى العباسيين ويهجو بني أمية، ولعلّه ينضوي تحت ذلك الاتجاه الذي عناه ابن رشيق، وأشرنا إليه فيما سبق وهو إنَّ الشاعر طالب فَضْل، وسنرى فيما سيأتي موقفه من السَّفاح وما قاله فيه. وينظر حول هذا الموضوع الدراسة الجيدة التي كتبها جمال نجم العبيدي عن (الرجز، نشأته، وأشهر شعرائه).

(٢) نفري: قومي، ووفري: مالي.

(٣) يحري: ينقص.

(٢٣٠)

أخبرني الحرميّ بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال: دخل جميلُ بن معْمرٍ العُذريُّ على هدبة بن خشْرمٍ السّجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بن زيد، وأهدى له بُردين من ثياب كَساه إيّاها سعيدُ بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هدبة: أأنت يابن معْمرٍ الذي تقول:

بني عامرٍ أنّى انتجعتُم وكنتُم   إذا عُدِّد الأقوامُ كالخُصْية الفرد؟

أما والله لئن خلّص الله لي ساقي لأمدنّ لك مضمارك، خذ بُرديك ونفقتك، فخرج جميلٌ، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغْنِ عنّي أجدعَ بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلّت، فحالفت لإياد. (٢١/٢٦٥)

(٢٣١)

قال ابنُ قُتيبة في حديثه: فسأل سعيدُ بن العاص أخا زيادة أن يقبلَ الدّية عنه، قال: أعطيك ما لم يُعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جدّاء[١] ولا ذاتُ داء، فقال له: والله لو نقبْتَ لي قُبّتك هذه، ثم ملأتها لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله، ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردتُ قبول الدية لمنعني قوله:

لنجدَعنّ بأيدينا أنوفكم   ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هدرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه. (٢١/٢٧١)

(٢٣٢)

وأخبرني بخبره مع النّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد: أنّ النوّار لمّا كرهت الفرزدق حين زوّجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم «المنقري ليمنعوها» فقال الفرزدق فيهم:

بنى عاصم لا تجنبوها فإنكم   ملاجئُ للسوآت دُسْم العمائم[٢]

بني عاصمٍ لو كان حيّاً أبوكم   للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصم

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنك غيلة، وخلّوه والنوار

---

(١) جدّاء: القليلة اللبن من مرض أصابها.

(٢) دسم العمائم: من الدّسم بمعنى الدنس.

وأرادت منافرته إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكريها خوفا منه. ثم إن قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أم النُّسير أكروها، فقال الفرزدق:

ولولا أن يقـول بنو عـديٍّ ... ألَمْ تـكُ أمُّ حنظلـة النَّوارُ
أتتكـم يا بني مِلْكـان عنّي ... قـوافٍ لا تُقسِّمهـا التُّجـارُ

وقال فيهم أيضاً:

لعمـري لقد أردى النَّوارَ وسـاقها ... إلى البور أحلامٌ خفافٌ عقولُها(١) (٢١/٢٩١)

(٢٣٣)

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلاّم قال: حدثنا عبد القاهر بن السَّريّ السلميّ، قال: كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضْرب، وإن شئت فاحلق، فلا عدْوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، قال: فخلّى سبيله وقال:

فمن يك خائفاً لأذاة شعري ... فقد أمِنَ الهجاء بنُو حرامِ
هم قادوا سـفيههم وخافوا ... قلائد مثل أطـواق الحمـام (٢١/٢٩٦)

(٢٣٤)

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال: مررتُ بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، وعذت بالله من شره، وجعلت أحدثه حديث أبيه وأنكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لقّبك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبيّ، فقال له بعضُ من كان يجالسه: كأنَّ ابنك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأُبّهته، فسمّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة فيّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت؛ ثم قال: فأنشد نقائضها التي أجبته بها، فقلت: ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضه؟ والله لأهجونَّ كلباً هجاء يتصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدينها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إيّاها خوفاً من شرّه. (٢١/٢٩٦)

---

(١) البور: الهلاك.

(٢٣٥)

قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبدي، عن اليربوعي عن أبي نصر قال: قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة، فمرّ بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه، ثم قالوا له: مَن أنت؟ قال: ابن شاعركم ومادحكم، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم:

أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعِرٌ ... يرمي الأعادي بالقريض الأثقل
إن غاب كعبُ بني جُعَيلٍ عنهم ... وتنمّرُ الشعراء بعد الأخطل[1]
يتباشرون بموته ووراءهم ... منّي لهم قطعُ العذاب المُرْسلِ

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أنا هو، فتنادوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إليه، فانصرف بها. (٣٠١/٢١)

(٢٣٦)

قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قالا: أتى الفرزدق الحسن، فقال: إني هجوتُ إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعنّ أو لأخرجنّ، فأقول للناس: إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق. (٣٠٤/٢١)

(٢٣٧)

قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيتا واحداً وهو قوله:

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخلُه ... فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدّار؟

قال: وقال لي يوماً: ما تقول في قول الشاعر:

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلهْ ... نِعْمَ الفتى وبئسَتِ القبيلهْ

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مُدِحَ مَنْ هُجِيَ قومه. وقال جرير بن حازم: ولم أسمعه ذكر شِعراً قط إلا:

ليس مَنْ مات فاستراح بميتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء

---

(١) كعب بن جعيل: شاعر تغلبي مرّ ذكره.

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبِّر: أيتوضأ من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال:

ألا أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشزاً ولــو رضيتْ رُمحَ استه لاستقرّتِ

ثم كبَّر. (٢١/٣٠٥)

(٢٣٨)

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ، قال: جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطاً، فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي، قال لها: وما هو، قد ضمنت خلاصك منه. قالت: إن ابناً لي أغزي إلى السِّند مع تميم بن زيد: وهو واحدي قال: انصرفي، فعليَّ انصرافُه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تميم بقوله:

تميمُ بن زيد لا تكوننَّ حاجتي بظهرٍ فلا يخفي عليَّ جوابُها
وهب لي حُبَيْشاً واتَّخذْ فيه مِنَّةً لحرْمــةِ أمٍّ ما يســوغُ شرابُها
أتتني فعــاذت يا تميمُ بغــالبٍ وبالحفْرة السَّافي عليها ترابُها

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحداً اسمه حُبيش، ولا حُنيش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إلى أهله. (٢١/٣٦٤)

(٢٣٩)

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة قال: دخل قوم من بني ضبَّة على الفرزدق فقالوا له: قبَّحك اللهُ من ابن أخت! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفيه - يعنون جريراً - حتى يشتم أعراضنا، ويذكر نساءنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قبَّحكم الله من أخوال! فوالله لقد شرَّفكم من فخري أكثرُ مما غضَّكم من هجاء جرير، أفلا ويلكم عرَّضتكم لسُويد بن أبي كاهل حيث يقول:

لقــد زَرِقَتْ عــيناك يابن مكعْبــرٍ كــمــا كلُّ ضــبِّيٍّ من اللؤم أزرقُ
ترى اللؤم فيهم لانحاً في وجوههم كمــا لاح في خيل الحلائب أبلق(١)

---

(١) الحلائب: خيول السباق، والأبلق من الخيل ونحوها: ما اجتمع فيه سواد وبياض.

أو أنا عرَضتكم الأغلب العجليّ حيث يقول:

لن تجــد الضَّبّيُّ إلاّ فــلاّ عــبــداً إذانا ولقــوم ذلاّ(١)

مــثل قــفـا المُدية أو أكـلاّ حــتى يكــون الألأمَ الأقــلاّ(٢)

أو أنا عرَضتكم له حيث يقول:

إذا رأيتَ رجـلاً من ضـبـّهْ فنكه عمداً في سواءِ السُّبهْ(٣)

إن اليمانيُّ عقاصُ الزُّبّـه

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

ولو يُذبح الضَّبيُّ بالسيف لم تجد مــن اللــؤم للضَبيّ لحـماً ولادمـاً!

والله لما ذكرتُ من شرفكم، وأظهرتُ من أيامكم أكثرُ، ألستُ القائل:

وأنا ابنُ حنظلةَ الأغــرُّ وإنني في آل ضـــبـّةَ لَلمُعِـمُّ المُخْولُ

فرعان قد بلغ السَّماء ذُراهـمـا وإليهمــا من كل خـوف يُعْقـلُ(٤) (٢٩٦/٢١)

(٢٤٠)

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا محمد الهيثم الشاميّ قال: حدثني عمّي أبو فراس عن العذريّ قال: دخل أبو حُزابة على طلحةِ الطلحات الخُزاعي، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سجستان، وكان أبو حُزابة قد مدحه، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته، ورأى ما يُعطي غيرُه من الجوائز، فأنشده:

وأدليــتُ دلـــوي في دلاء كثيــرةٍ فـجئن مِلاءً غير دلوي كمـا هيا

وأهلكني ألاّ تزالَ رغـــيـــبـــةٌ تُقـــصَّرُ دوني أو تحُـلُّ ورائيـــا

أراني إذا استمطرتُ منكَ سحابةً لتُمطرني عادتْ عجاجاً وسافيا(٥)

قال: فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّةٌ فأصاب صدره، ووقعت في حجره، ويقال: بل أعطاه أربعة أحجرٍ، وقال له: لا تُخدعْ عنها، فباعها بأربعين ألفاً. ومات طلحةُ بسجستان. (٢٦٠/٢٢)

---

(١) الفَلّ: المنهزم، إذاناً: مأخوذ من أذنه.

(٢) أكلّ: أضعف.

(٣) السواء: الوسط.

(٤) يُعقل: يُلجأ.

(٥) العجاج: الغبار، وسافيا: ريحاً يذروه التراب.

أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبيّ، قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنويّ قال: أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطريّ قال: خرج العُديل بن الفرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجبُ، فوثب عليه العُديلُ، وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالات قريش أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب. فنازعه الحاجبُ الكلامَ، فأحفظه. وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

لئن أرتج الحجاجُ بالبخل بابه   فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفتحُ(١)
فتىً لا يبالي الدهرَ ماقلَّ مالُه   إذا جعلتْ أيدي المكارم تسنَحُ
يداه يدٌ بالعرف تُنهِبُ ما حوتْ   وأخرى على الأداء تسطو وتجرحُ(٢)
إذا ما أتاه المرملون تيقَّنوا   بأن الغنى فيهم وشيكاً سيسرحُ(٣)
أقام على العافين حرّاسَ بابه   يُنادونهم والحرُّ بالحرِّ يفرحُ(٤)
هلموا إلى سَيْبِ الأمير وعُرفه   فإنَّ عطاياه على الناس تنفَحُ(٥)
وليس كعلجٍ من ثمودَ بكفِّه   من الجودِ والمعروف حزم مطوَّح

فقال له يزيدُ: عرَّضْتَ بنا وخاطرتَ بدمك، وبالله لا يصلُ إليك وأنت في حيِّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وحمله على أفراس، وقال له: الحق بطياء نجد، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجاج أو تحتجنَكَ محاجنُهُ، وابعث إليَّ في كل عام، فلك عليَّ مثلُ هذا. فارتحل، وبلغ الحجاجَ خبرُه، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العُديلَ، ففاته، وقال لما نجا:

ودون يد الحجاج من أن تنالني   بَساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ(٦)

قال: ثم ظفرَ به الحجاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولك: ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت:

إذا ذُكر الحجاجُ أضمرتُ خيفة   لها بين أحناء الضلوع نقيضُ

فتبسم الحجاجُ، وقال: أولى لك! وعفا عنه، وفرضَ له. (٢٢/ ٣٣٠)

---

(١) أرتج: أغلق، والعُرف: المعروف. (٢) تنهب: تعطي.

(٣) العافون: الطالبون. (٤) المرملون: مَنْ نفد زادهم.

(٥) السيب: العطاء. (٦) البَساط: الأرض العريضة الواسعة، والناعجات: من الإبل السريعة الكريمة.

(٢٤٢)

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ، عن حماد الراوية قال: لما قدم الحجّاجُ العراق قال العُديل بنُ الفرخ:

دعوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنّما يُهان ويُسبى كلُّ من لا يقاتلُ
لقد جرَّد الحجاجُ للحقِّ سيفه ألا فاستقيموا لا يميلنُّ مائلُ
وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم كنزْوِ القطا ضُمَّتْ عليه الحبائلُ(١)
وأصبح كالبازي يقلِّبُ طرفه على مرقبٍ والطيرُ منه دواحلُ(٢)

قال: فقال الحجاج ـ وقد بلغته ـ لأصحابه: ما تقولون؟ قالوا: نقولُ: إنه مدحك، فقال: كلاّ ولكنه حرَّض عليَّ أهلَ العراق، وأمر بطلبه فهربَ وقال:

أخوَّفُ بالحجاج حتى كأنما يُحرِّكُ عظمٌ في الفؤاد مهيضُ(٣)
ودون يدي الحجّاج من أن تنالني بساطٌ لأيدي الناعجات عريضُ
مَهامِهُ أشباه كأنَّ سرابها مُلاءٌ بأيديَ الغاسلات رحيضُ(٤)

فجدَّ الحجاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ، فأتى واسطاً، وتنكّر، وأخذ رُقعة بيده، ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقولُ:

هأنذا ضاقتْ بي الأرض كلُّها إليك وقد جوَّلتُ كلَّ مكان
فلو كنتُ في ثهلان أو شُعْبتيْ أجاً لخلتُكَ إلا أن تُصَدَّ تراني(٥)

فقال له الحجاج: العديلُ أنتَ؟ قال: نعم، أيها الأمير، فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه، وجعل يقول: إيه: بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال: لا بساط إلاّ عفوُك، قال: اذهب حيث شئت. (٢٢/٣٤٠)

(٢٤٣)

قال أبو عمر بن العلاء: أول ما حرَّك من القُطاميّ ورفع من ذكره أنه قدِمِ في خلافة الوليدِ بن عبد الملك دمشقَ ليمْدحه، فقيل له: إنّه بخيلٌ لا يُعطي الشُعراء. وقيل: بل قدمها في خلافة

---

(١) النزو: الحركة السريعة أشبه بالقفز. والحبائل: الأشراك.

(٢) دواحل: فارّة مستترة. (٣) مهيض: مكسور.

(٤) المهامه: الصحاري. (٥) ثهلان: جبل.

عُمر بن عبد العزيز، فقيل له: إن الشعر لا ينْفُق عند هذا ولا يُعطي عليه شيئاً، وهذا عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك فامتدحه، فمدحه بقصيدته التي أوّلها:

إنّا مُحيُّوكَ فاسلم أيها الطّلَلُ   وإنْ بليتَ وإن طالتْ بكَ الطِّيلُ(١)

فقال له: كم أمّلتَ من أميرِ المؤمنين؟ قال: أمّلتُ أن يُعطيني ثلاثين ناقةً. فقال: قد أمرتُ لك بخمسين ناقةً موقرةً بُرّاً وتمراً وثياباً، ثم أمر بدفع ذلك إليه. (١٩/٢٤)

(٢٢٤)

أخبرني عليّ بن سُليمان الأخْفش قال: حدثنا الحسن بن الحسين السكُّريّ، عن الرياشيّ عن الأصمعيّ، قال: وذكره المغيرة بن حجْناء قال: حدثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويُفضّله، وكان راعي الإبل قد ضَخُم أمرُه، وكان من أشعرِ النّاس، فلما أكثرَ من ذلك خرج جريرٌ إلى رجال من قوْمه فقال: ألا تعْجبُون لهذا الرّجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ويُفضّله وهو يهجُو قومه وأنا أمدحهم؟ قال جرير: ثم ضربتُ رأيي فيه، فخرجتُ ذات يوم أمشي إليه. قال: ولم يركَب جريرٌ دابّته، وقال: والله ما يسرُّني أن يعلم أحدٌ بسيْري إليه. قال: وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقةٌ بأعلى المربد بالبصْرة يجلْسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّض لها لألقاه من حيال حيثُ كنتُ أراه.

ثمّ إذا انْصرفَ من مجلسه لقيتُه، وما يَسُرّني أن يعلم أحدٌ، حتى إذا هو قد مرّ على بغلة له، وابنه جنْدل يسير وراءه راكباً مُهراً له أحْوى محذوف الذّنب وإنسانٌ يمشي معه ويسْأله عن بعض السُّبب، فلما استْقبلتُه قلت له: مرحباً بك يا أبا جنْدل، وضربتُ بشمالي إلى معرفة بغلته، ثم قلتُ: يا أبا جنْدل، إنّ قولك يُستمع، وإنك تفضّل عليّ الفرزدق تفضيلاً قبيحاً، وأنا أمدحُ قومك وهو يهجوهم، وهو ابنُ عمّي، وليس منك، ولا عليْك كُلفة في أمْري معه، وقد يكْفيك منْ ذلك هيّنٌ، وأن تقولَ إذا ذُكرنا: كلاهما شاعرٌ كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا منّي، قال: فبينا أنا وهو كذلك، وهو واقفٌ عليّ لا يردُّ جواباً لقولي. إذ لحق بالرّاعي ابنُه جنْدل، فرفع كرمانيّةً معهُ، فضرب بها عجُز بغْلته، ثم قال: أراكَ واقفاً على كلْب بني كُليْب، كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً، فضرب البغلة ضربةً شديدة، فزحمتْني زحْمةً وقعت منها قلْنسوتي. فوالله لو يعُوج عليهَ الرّاعي لقلتُ: سفيهُ غويٌ - يعني جنْدلاً ابنه - ولكنه لا والله ما عاج عليهَ، فأخذتُ قلْنسوتي فمسحْتُها وأعدتُها على رأسي وقلت:

---

(١) الطِّيَل: الدّهر.

أجندلُ مـــا تقـــول بنـــو نُمَيْر إذا ما الأيرُ في اسْتِ أبيك غابا؟

قال: فسمعتُ الرَّاعي يقول لابنه: أما والله لقد طرحتَ قلنسوته طرْحةً مشئومة. قال جرير: ولا والله ما كانت القلنسُوةُ بأغْيظَ أمره إلى لو كان عاج عليّ. فانصرف جريرٌ مُغضباً حتى إذا صلّى العشاء ومنزلُه في عِلِّيَّة قال: ارفعوا إليَّ باطية من نبيذٍ، وأسْرِجُوا لي، فأسرجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ فجعل يُهينم فسمعتْه عجوزٌ في الدار، فطلعتْ في الدُّرجة حتى إذا نظرتْ إليه فإذا هو على الفراش عُريان لما هُو فيه، فانحدرت فقالتْ: ضيفُكم مجنُون، رأيتُ منهُ كذا وكذا، فقالوا لها: اذْهبي لطيتك، نحْنُ أعلم به وبما يُمارس، فما زالَ كذلك حتّى كان السَّحرُ فإذا هو يكبّر، قد قالها ثمانين بيْتاً، فلمَّا بلغَ إلى قوله:

فغضُّ الطَّرفَ إنَّكَ منْ نُميْرٍ فــــلا كعْباً بلغْتَ ولا كــلابا

فذاكَ حين كبَّر، ثم قال: أخزيتُه والله، أخزيتُه وربِّ الكعْبة.

ثم أصبح، حتى إذا عرفَ أنَّ النَّاسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكان جرير يعرف مجْلِس الرَّاعي ومجْلس الفرزدق، فدعا بدهنٍ فادَّهن، وكفَّ رأسهُ، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غُلام أسرِجْ لي، فأسرجَ له حصاناً، ثمَّ قصد مجْلسهم، حتَّى إذا كان بموْضع السَّلام لم يُسلِّم، ثم قال: يا غُلام، قل لعُبيْد الرَّاعي: أبَعَثتْك نسْوتُك تُكْسبُهنَّ المال بالعراقِ؟ والذي نفسُ جرير بيده، لترجعنَّ إليهنَّ بما يسوءهن ولا يسرهنَّ ثم اندفع في القصيدة فأنشدها، فنكَّس الفرزدق رأسَهُ، وأطرقَ راعي الإبل، فلو انشقَّتْ لهُ الأرضُ لساخَ فيها، وأرمَّ القومُ، حتى إذا فرغ منها، سار، فوثب راعي الإبل من ساعته فركب بغلته بشرٍّ وعَرٍّ، وتفرَّق أهلُ المجلس، وصعدَ الرَّاعي إلى منزله الذي كان ينزله، ثم قال لأصحابه: ركابَكم ركابكم، فليْس لكم هاهنا مُقام، فضحكم والله جرير فقال له بعضُهم: ذلك شُؤمُك وشُؤْم جنْدل ابنك؛ قال: فما اشتغلوا بشيء غير ترحّلهم، قالوا: فسِرْنا والله إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشُّريْف، وهو أعلى دار بني نُمير، فحلف راعي الإبل أنَّهم وجدُوا في أهلهم قوْلَ جرير:

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّك من نُميْرٍ

يتناشدُه النَّاس، وأقْسَم باللهِ ما بلغه إنسان قطّ، وإنَّ لجرير لأشْياعاً من الجنّ فتشاءمت به بنو نُمير، وسبّوه وسبّوا ابنه، فهُم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم(١). (٢٠٦/٢٤)

---

(١) ينظر النص السادس والثمانون السابق ففيه القصة نفسها.

فأخبرني محمدُ بن مزيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال: حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حماد الراوية، ولفظ الرجلين كالمُتقارب قال:

استقْدمني هشامُ بن عبد الملك في خلافته، وأمر لي بصلةٍ سنيّةٍ وحُمْلان فلما دخلتُ عليه استنْشدني قصيدة الأفوهِ الأوديّ:

لنـا معاشـرُ لـم يبنُوا لقـومِهِمُ　　وإن بنى قومُهم ما أفسَدوا عادُوا

قال: فانشدتُه إياها، ثم استنشدني قولَ أبي ذُؤيْب الهُذليّ: أمِنَ المنونِ وريْبها تتوجّعُ

فانشدتُه إيّاها، ثم استنْشدني قولَ عديّ بن زيدْ: أرواحٌ مودِّعٌ أم بُكور

فانشدتُه إياها، فأمر لي بمنْزل وجراية، وأقمتُ عنده شهْراً، فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسنِ أخلاقها، وأنا أخبره وأنشده، ثم أمر لي بجائزة وخلعة وحُملان، وردّني إلى الكوفة، فعلِمْتُ أنّ أمرَه مُقبل.

ثم استقْدمني الوليد بن يزيد بعده، فما سألني عن شيْء من الجدِّ إلا مرّة واحدة، ثم جعلتُ أنشده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه، ولا يهشُّ إلى شيء منه، حتى جرى ذكر عمّار بن ذي كبار فتشوّقه وسأل عنه، وما ظننت أنّ شعر عمّار شيءٌ يُرادُ أو يُعبأ به. ثم قال لي: هل عندك شيءٌ من شعْره؟ فقلت: نعم أنا أحفظ قصيدة له، وكنت لكثرتعبثي به قد حفظتُها، فأنشدتُه قصيدته التي يقول فيها:

حـبُّذا أنت يا سـلا　　مـة ألفـين حـبُّذا
أشتـهي منْك منك منك　　مـكـانا مُـجنْبذا
مـفْعـماً في قُبـالةٍ　　بـين رُكْـنين ربـذّا
مـنْغـماً ذا مناكـب　　حـسنُ القـدّ مُحْتـذى
رابيـاً ذا مَجَسَّـة　　أخنسـاً قـد تقنْفـذا
لـم ترَ العينُ مـثلـه　　في مـنامٍ ولا كـذا
تـامكاً كـالسّنام إذْ　　بُـذَّء ـنه مُقـذّذا
ملء كفّيْ ضجيعـها　　نـال ـنها تفخّـذا
لـو تأمّلتـه دُهِشْـ　　تَ وعـاينْتَ جِهْبـذا

طيِّب العرف والمجسّـ ـــة واللمس هِرْبِذا

فأجا فيه فيه فيـ ـه .... كمثل ذا

ليتَ .... وليْت حـ ـرْكَ جميعاً تأخذا

فأخذ ذا بشعْر ذا وأخذ ذا بقَعْرِ ذا

قال: فضحك الوليد حتى سقط على قفاه، وصفَّق بيديْه ورجْليه، وأمرَ بالشراب فأحضر، وأمرني بالإنشاد، فجعلتُ أنشده هذه الأبيات وأكرّرها عليه، وهو يشرب ويُصفِّق حتى سكِر، وأمر لي بحلّتين وثلاثين ألف درهم، فقبضتُها، ثم قال لي: ما فعل عمّار؟ فقلتُ: حيٌّ كميّت، قد عشي بصرُه، وضعُفَ جِسمُه ولا حراك به. فأمر له بعشرة آلاف درْهم. (٢٤/٢٢٠)

العصر العبّاسي

(١)

أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال: وُلد بشّارٌ أعمى، وهو الأكمهُ، وقال في تَصداقِ ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه:

وعبدي فقا عينيكَ في الرَّحْمِ أيرُه   فجئتَ ولم تعلمْ لعينيكَ فاقيا

أأمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً؟   عليَّ إذاً مشيي إلى البيت حافيا

قال: ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين منكسرا. (١٤١/٣)

(٢)

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كانتْ بالبصرة قَيْنةٌ لبعض ولدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسنةً بارعةَ الظَّرْف، وكان بشّار صديقاً لسيِّدها ومدّاحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجاريةُ تُغنّي؛ فسُرَّ بحضوره وشرب حتى سكر ونام، ونهض بشارٌ؛ فقالت: يا أبا مُعاذ، أحبُّ أن تذكُرَ يومنا هذا في قصيدة ولا تنكُرَ فيها اسمي ولا اسم سيِّدي وتكْتُبَ بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه:

وذاتِ دلٍّ كأنّ البدرَ صورتُها   باتتْ تُغنّي عميدَ القلب سكرانا(١):

(إنَّ العيونَ التي في طرْفِها حورٌ   قتلْننا ثم لم يُحيينَ قتلانا)

فقلتُ أحسنْتِ يا سُؤْلي ويا أملي   فأسمعيني جزاكِ اللهُ إحساناً:

(يا حبّذا جبلُ الرّيان من جبلٍ   وحبّذا ساكنُ الرّيانِ مَنْ كانا)(٢)

قالتْ فهلّا، فدتك النفسُ، أحسن منْ   هذا لِمَنْ كان صبٌّ القلب حيرانا:

(يا قوم أذْني لبعض الحيِّ عاشقةٌ   والأذن تعشقُ قبل العين أحيانا)

فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةٌ   أضرمتِ في القلب والأحشاءِ نيرانا

---

(١) عميد القلب: مريضه. (٢) الرّيان: جبل في ديار طيء.

فـأسـمـعيني صـوتاً مطرباً هزجـاً ... يزيـدُ صـبّاً مُحباً فـيكِ أشـجـانا(١)
يا ليـتني كـنتُ تُفّاحـاً مُفلَّجـةً ... أو كنتُ من قُضُبِ الريحـان ريحـانا(٢)
حـتى إذا وجـدتْ ريحي فـأعـجـبـها ... ونحـن فـي خـلـوةٍ مُثِّلتُ إنسـانا
فـحـركتْ عُودَها ثـم انثنتْ طرباً ... تشدُو به ثم لا تُخـفـيـه كـتـمـاناً:
(أصـبـحتُ أطـوعَ خـلقِ اللـه كُلِّهـم ... لأكثرِ الخلق لي في الحبِّ عصـيـانا)
فـقلتُ أطربتنا يازينَ مـجلسنا ... فـهـاتِ إنك بالإحـسـان أولانا
لـو كـنتُ أعـلـمُ أنَّ الحـبَّ يقتلني ... أعـددتُ لي قـبل أن ألقـاكِ أكـفـانا
فـغنّتِ الشَّربَ صـوتاً مُؤنقـاً رمـلاً ... يُذكي السُّـرورَ ويُبكي العينَ ألـوانا(٣):
(لا يقـتـلُ اللـهُ مَـنْ دامتْ مـودتُهُ ... واللهُ يقـتلُ أهلَ الغـدرِ أحـيـانا)

ووجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً. (١٦٥/٣)

(٣)

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بن عُليل قال حدّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرئ الجحْدريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السَّدوسيّ وبشّارٌ عنده وعليه بزَّةُ الشعراء، فقال الأعرابيّ: من الرجلُ؟ فقالوا: رجلٌ شاعرٌ، فقال: أمولىً هو أمْ عربيّ؟ قالوا: بل مولىً، فقال الأعرابيّ: وما للموالي والشعر! فغضبَ بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً، ثم قال: أتأذنُ لي يا أبا ثور؟ قال: قل ما شئتَ يا أبا مُعاذ، فأنشأ بشّارٌ يقول:

خليلي لا أنامُ على اقـتـسـارِ ... ولا آبى عـلـى مـولىً وجـارِ
سـأخْبِرُ فـاخـرَ الأعـراب عنّي ... وعنه حـين تـأذنُ بالفـخـارِ
أحين كُسـيتَ بعد العُرْي خزّاً ... ونـادمْتَ الكـرامَ على العُقارِ
تُفـاخـرُ يابـنَ راعـيةٍ وداعٍ ... بني الأحرار حَسْبُكَ مِنْ خسارِ
وكنتَ إذا ظمئْتَ إلى قـراحٍ ... شـرِكْتَ الكلبَ في ولْغِ الإطارِ(٤)
تريـغُ بخُطبـةٍ كـسـرَ الموالي ... ويُنْسـيكَ المكارمَ صـيـدُ فـارِ(٥)

---

(١) الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه. (٢) مفلجة: مقسمة.

(٣) المؤنق: المعجب، ومن الواضح أن بشاراً يضمّن في قصيدته أبياتاً من قصيدة جرير المشهورة.

(٤) الإطار: ما ركد من الماء حول البيوت. (٥) تُريغ: تطلب.

وتغدُو للقنافذ تدرِيها ... ولم تعقلْ بدرّاج الدِّيار(١)
وتَشْحُ الشّمالَ للابسيها ... وترعى الضأنَ بالبلدِ القِفارِ(٢)
مُقامُك بيننا دنسٌ علينا ... فليتكَ غائبٌ في حرِّ نارِ
وفخرُكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ ... على مثلي من الحدثِ الكُبارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيِّ: قبحكَ اللهُ! فأنتَ كسبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالك!(٣). (١٦٥/٣)

(٤)

أخبرني عليّ بن سُليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال: كان الزُّوّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برمك السُّؤّال؛ فقال خالد: هذا والله اسم استثقله لطُلّاب الخير، وأرفع قدر الكريم عن أن يسمَّيَ به أمثال هؤلاء المؤمِّلين، لأنَّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النّعيم ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصد وأفضلُ أدباً، ولكنّا نسميِّهم الزُّوّار؛ فقال بشّار يمدحه بذلك:

حذا خالدٌ في فعله حذوَ برمكٍ ... فمجدٌ له مُستطرفٌ وأصيلُ
وكان ذوو الامالِ يُدعَوْن قبله ... بلفظٍ على الإعدام فيه دليلُ
يُسمَّون بالسؤّالِ في كلِّ موطنٍ ... وإن كان فيهم نابهٌ وجليلُ
فسمّاهُم الزُّوّارَ ستْراً عليهمُ ... فأستارُه في المُجتدين سُدُولُ

قال: وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم. (١٧٣/٣)

(٥)

أخبرني هاشم قال حدّثني دماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال: جاء أبو الشُّمقمقِ إلى

---

(١) تدْريها: تختلها لتصيدها، ودرّاج: القنفذ.

(٢) الشّمال: جمع شملة وهي الكساء يُتشحّ به.

(٣) كان مقتل بشار لأسباب تجمّعتْ، ويقف الشعر في مقدّمتها، وخاصة ذلك الشعر الذي تغلغل إلى الخفايا، ونال من أناس كبار في الدولة، بالإضافة إلى ما حمله من معانٍ شعوبية، ونزعة إلى التقليل من شأن العرب، ولم يكن الشعر في هذا النصّ بقسوته، وشدّة مجانه، يتناسب مع قولة الأعرابي، ولكنّ الشاعر أراد أن ينتقم بحدّته المعروفة عنه فخلط الحابل بالنابل، ونال من القريب والبعيد، وكان على مجزأة أن يوجّه كلاماً لبشار شبيهاً بالكلام الذي وجّهه للأعرابي يلفت نظره فيه إلى شعره العنيف الجارح.

بشّار يشكو إليه الضِّيقة ويحلف له أن ما عنده شيء؛ فقال له بشّار: والله ما عندي شيء يُغْنيكَ ولكن قُمْ معي إلى عُقبةَ بن سلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعرٌ وله شكر وثناءٌ، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشّار:

يا أحـدَ العــرب الـذي أمـسى وليس له نظيـرُ
لـو كـان مِـثْلُكَ آخـرٌ ما كان في الدنيا فقيرُ

فأمر لبشّار بألفيْ درهم؛ فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فجعل بشّار يضْحَكَ. (١٧٨/٣)

(٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بنُ قاسم بن مهْرُويَهْ قال حدّثنا زكريا بن يحيى أبو السُّكينِ الطائيّ قال حدّثني زحْرُ بنُ حصْنٍ قال: حجُّ المنصورُ فاستقبلناه بالرُّضْم(١) الذي بين زُبالة والشُّقُوقِ، فلما رحل من الشُّقوقِ رحل في وقت الهاجرة فلم يركب القُبّة(٢) وركب نجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمسُ تضحكُ(٣) بين عينيه، فقال: إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهبْتُ له جُبَّتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهاجرةٍ نصبْتُ لها جبيني يُقطِّعُ ظهرُها ظهْرَ العظايهْ

فبدر بشارٌ الأعمى فقال:

وقفْتُ بها القلوصَ ففاضَ دمعي على خـدِّي وأقْصـرَ واعظـايَهْ

فنزع الجبَّة وهو راكب فدفعها إليه. فقلتُ لبشّار بعد ذلك: مافعلتَ بالجُبَّةِ؟ فقال بشارٌ: بعتُها واللهِ بأربعمائة دينار. (١٧٨/٣)

(٧)

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: لما أنشدَ بشارٌ أرجوزته: ياطلل الحيّ بذات الصَّمْدِ

---

(١) الرُّضْم: قال ياقوت (٣/٥٠): «موضع على ستة أيام من زبالة بينه وبين الشقوق، فيه بركة، وزبالة: منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق، والشقوق: منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة.

(٢) القبّة الهودج. (٣) تضحك: تتلألأ.

أبا المِلدَّ عُقْبةَ بن سلْم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخّرها عنه وكيلُه ثلاثةَ أيام، فأمر غلامه بشّارٌ أن يكتبَ على باب عُقْبةَ عن يمين الباب:

مــازال مــامنّيــتني من همّــي والوعـــدُ غمٌّ فــأرِحْ من غــمّي
إنْ لم تُرِدْ حمْدي فراقِبْ ذمّي

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال: هذه منْ فعلات بشّار، ثم دعا بالقهْرمان(١)، فقال: هل حملتَ إلى بشّار ما أمرْتُ له به؟ فقال: أيها الأمير نحن مُضيقُون(٢) وغداً أحملُها إليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرة آلاف درهم واحمِلها إليه الساعةَ؛ فحملها من وقته. (١٨٢/٣)

(٨)

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال: سألتُ أبا عُبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال: كان أولُ ذلك استهتارُ نساء البصرة وشبّانها بشعره، حتى قال سوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بنُ دينار: ما شيءٌ ادعى لأهل هذه المدينةِ إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ ومازالا يعظانه؛ وكان واصلُ بنُ عطاءٍ يقول: إن منْ أخدع حبائل الشيطان وأغواها لَكلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، وأنشد المهديَ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهديّ من أشدّ الناس غيرةً؛ قال: فقلت له: ما أحسبُ شعرَ هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثيِّرٍ وجميلٍ وعُرْوة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعارَ يعرفُ المراد منها، وبشّار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيُّ حُرّةٍ حصانٍ تسمع قولَ بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا همٌّ لها إلا الرجال؛ ثم أنشد قوله:

قــد لامــــني فـــي خـليلتي عُمـــرُ واللّومُ في غــيـر كُنهــهِ ضــجــرُ
قــال أفـــق قلـت لا فـقــال بلــى قد شاع في الناس منكما الخبرُ
قلتُ وإذ شــاع مــا اعتـذارُك ممّا ليــس لــي فيــه عندهـــم عُـــذُرُ
مـــاذا عليـهم ومــا لهم خــرِسُوا لــو أنّهــم في عــيـوبهم نظـرُوا
أعـشـــقُ وحــدي ويؤخــذُون بـــه كــالتــركِ تغـزو فــتـؤخـذ الخزَرُ
يا عــجـبــا للخــلاف يا عَجَبــا بفي الذي لامَ في الهــوى الحَجَرُ
حـــسْبي وحـــسْبُ الذي كلِفْتُ به مـنّي ومـــنه الحــديثُ والنّظـــرُ

---

(١) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج. (٢) مضيقون: ضيّقو الحال.

أو قُبلةٌ في خــــلال ذاك ومـــــا بأسٌ إذا لـــم تُحــلْ لــي الأزُرُ
أو عــضّةٌ في ذراعــهــا ولهــا فــوق ذراعي من عــضّهـــا أثرُ
أو لمســـةٌ دون مــرْطهـــا بيــدي والبـــابُ قـــد حـــال دونـه الستُرُ
والســـــاقَ براقـــةٌ مُخلخلُهـــا أو مصُّ ريقٍ وقــد عـــلا البُهُرُ
واســتــرخت الكفُّ للعــراكِ وقـا لتْ إيـهِ عـــنّي والدمــعُ مُنحـدرُ
انهضْ فـمـا أنتَ كالذي زعـمـوا أنـــتَ وربّــي مُـفـــازلٌ أشــرُ
قــد غـابتِ اليـومَ عنكَ حـاضنتي واللـــهُ لي مـنكَ فـيكَ ينتـصــرُ
يا ربِّ خُذْلي فـقـد ترى ضــرعي مــن فــاسـقٍ جـاء مــا به سكَرُ
أهوى إلى معْضـدي فــرضّضـهُ ذو قـــوّةٍ مـــا يُطـــاقُ مُقـتـدرُ
ألصقَ بي لحــيـــةً له خــشنَتْ ذاتَ ســـوادٍ كـــأنهـــا الإبــرُ
حــتّى عــلاني وأســرتي غــيبٌ ويلي عليــهم لو أنّهم حـضــروا
أقــســم باللـــه لا نجــوتَ بهـــا فـــاذهبْ فـــأنت المُســـاورُ الظّفرُ
كــيـف بأمّـــي إذا رأتْ شـــفـتي أم كـيف إن شـاع منك ذا الخـبـرُ
قــد كنتُ أخـشى الذي ابتُليتُ به مـــنك فـــمـــاذا أقـولُ يا عــبـرُ
قلتُ لهـــا عند ذاك يا سكني لا بأس إني مُـــجـــرّبٌ خـــبِرُ
قــولي لهـــا بقّةٌ لهـــا ظُفُــرٌ إن كـــان فـي البقّ مـــاله ظُفُرُ

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تميل القلوبُ ويلين الصّعْبُ. (١٨٢/٢)

(٩)

أخبرني عمي قال حدثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجّاج قال: ورد بشّار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومطله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

أظلّتْ علينا منكَ يوماً سحابـةٌ أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رشاشُها(١)
فلا غيمُها يُجلَى فييأس طامعٌ ولا غيثُها يأتي فيَروْي عطاشُها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تتصرف السحابةُ حتى تبلّك إن شاء الله. (١٨٤/٣)

---

(١) الرِشاش: المطر الخفيف.

(١٠)

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجونِ قال: دخل بشّار يوماً على عُقبةَ بن سلْمٍ فأنشده قوله فيه:

إنّما لذّةُ الجوادِ ابنِ سلْمٍ ... في عطاءٍ ومَركَبٍ للّقاءِ
ليس يُعطيكَ للرجاءِ ولا الخو ... فِ ولكن يلذُّ طعمَ العطاءِ
يسقُطُ الطيرُ حيثُ ينتثرُ الحَـ ... ـبُّ وتُغشى منازِلُ الكُرماءِ
لا أبالي صفْحَ اللئيم ولا تجْـ ... ـري دُموعي على الحرونِ الصِّفاءِ(١)
فعلى عُقبةَ السلامُ مقيماً ... وإذا سار تحت ظلِّ اللواءِ

فوصله بعشرة آلاف درهم. (١٨٩/٣)

(١١)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال لي خلفٌ: كنت أسمعُ ببشّار قبل أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسُرعةَ جوابه وجودةَ شعره، فاستنشدتهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينّه ولأطأطئنّ منه، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيمَ الجثّة، فقلتُ: لعنَ الله مَنْ يُبالي بهذا، فوقفتُ أتأمّله طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاء رجلٌ فقال: إنّ فلاناً سبّك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منكَ؛ فقال: أوقد فعل؟ قال: نعم؛ فأطرقَ، وجلس الرجل عنده وجلستُ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يردّ عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درّتْ أوداجُه(٢)، فلم يلبثْ إلا ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه:

نبئْتُ نائكَ أمّــهِ يغتابُني ... عند الأميرِ وهل عليّ أميرُ
ناري مُحرِّقةٌ وبيتي واسعٌ ... للمعتفين ومجلسي معْمُورُ
ولي المهابةُ في الأحبّةِ والعدا ... وكأنّني أسدٌ له تامُورُ(٣)
غرِثَتْ حليلتُه وأخطأ صيدَه ... فله على لَقَمِ الطريق زئيرُ(٤)

---

(١) في ديوان بشار (١٣٧/١): الخؤون الصّفاء بدل الحرون الصّفاء وعلّق المحقّق بقوله: «الخؤون الصفاء هكذا بتعريف المضاف باللام لأنّ الإضافة لفظية، وقد اقترن المضاف إليه باللام. وفي رواية: على خؤون الصفاء وهي أحسن». ولم أجد الحرون الصفاء معنى، ورواية الديوان أقرب وأوضح.

(٢) درّتْ: امتلأت دماً، والأوداج: جمع وَدَج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

(٣) التّامور: عرين الأسد. (٤) غرثت: جاعت، ولَقَم الطريق: متْنه ووسطه.

قال: فارتعدتْ والله فرائصي واقشعرَّ جلدي وعظُمَ في عيني جداً، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرِّكَ. (١٩١/٣)

(١٢)

أخبرني عمّي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال: كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عُمَّال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عُمرَ بن العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائةَ ألفِ درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهديِّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عُمر بن العلاء خائنٌ؛ قال: ومن أين علمتَ ذلك؟ قال: كلَّمَ في رجل كان أقصى أمله ألفَ درهم فوهب له مائة ألف درهم؛ فضحك المهديُّ ثم قال: «قلْ كُلٌّ يعْمَلُ على شاكلته»، أما سَمِعْت قول بشّار في عمر:

إذا دهمتْكَ عظامُ الأمورِ فنبِّهْ لها عُمراً ثم نَمْ
فتىً لا ينامُ على دمْنَةٍ ولا يشْربُ الماءَ إلا بدمْ(١)

أو ما سمعتَ قولَ أبي العتاهية فيه:

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنّها قطعَتْ إليكَ سباسباً ورمالاً(٢)
فإذا وردْنَ بنا وردْنَ مُخفَّةً وإذا رجعْنَ بنا رجعْنَ ثقالاً(٣)

أوليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابنَ العلاء ويابنَ القرْمِ مِرْداسِ إني لأطْريكَ في صحْبي وجُلاّسي
حتى إذا قيل ما أعطاك من نشبٍ ألفيتُ من عُظْمِ ما أسديتَ كالناسي

ثم قال: من اجتمعتْ ألسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أن يُصدِّقَها بفعله. (١٩٢/٣)

(١٣)

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليِّ بن يحيى قال حدّثني علي بن مهديٍّ قال حدّثنا العباسُ بن خالد قال: مدح بشارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه:

لعمْري لقد أجْدى عليَّ ابنُ برمكٍ وما كلُّ مَنْ كان الغنى عنده يُجْدي(٤)

---

(١) الدمنة: الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنة حتى يأتي عليه الدهر.

(٢) السباسب: الصحاري. (٣) وردن مخفّة: جاءت خفيفة لا تحمل شيئاً، ورجعت ثقيلة بسبب هداياك وجوائزك. (٤) أجدى: لها أنعم.

حلبتُ بشعري راحتيه فدرّتا سماحاً كما درُّ السّحابُ مع الرعدِ
إذا جئته للحمد أشرق وجهه إليك وأعطاك الكرامةَ بالحمد
له نِعمٌ في القوم لا يستثيبُها جزاءً وكيْلَ التاجر المُدُّ بالمُدِّ
مُفيدٌ ومتلافٌ، سبيلُ تُراثه إذا ما غدا أو راحَ كالجزْرِ والمدِّ(١)
أخالدُ إنَّ الحمدَ يُبقي لأهله جمالاً ولا تبقى الكُنوزُ على الكدِّ
فأطْعِمْ وكُلْ من عارةٍ مُستردّةٍ ولا تُبقها، إن العواريَ للردِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألف درهم، وكان قبل ذلك يُعطيه في كلِّ وفادةٍ خمسةَ آلاف درهم، وأمر خالدٌ أن يُكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخِرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين(٢). (١٩٢/٣)

(١٤)

ونسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ أيضاً حدّثني (عليّ قال حدّثني) عبيد الله بن أبي الشّيص عن دعْبل بن عليّ قال: كان بشّارٌ يُعطي أبا الشَّمقمقِ في كلِّ سنة مائتيْ درهمٍ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ! فقال: ويْحكَ! أجزيةٌ هي! قال: هو ما تسمعُ؛ فقال له بشّارٌ يُمازحه: أنتَ أفصحُ منّي؟ قال: لا؛ قال: فأعلمُ منّي بمثالب الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعرُ منّي؟ قال: لا؛ قال: فلِمَ أعطيك؟ قال: لئلا أهجُوكَ؛ فقال له: إنْ هجوتني هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل مابدالك؛ فقال أبو الشمقمق:

إني إذا ما شاعرٌ هجانيهْ ولجَّ في القول له لسانيهْ
أدخلتُه في استِ أمّهِ علانيهْ بشّارُ يا بشّارُ.........

وأراد أن يقول: «يابنَ الزانيه»: فوثب بشّارٌ فأمسك فاه، وقال: أراد والله أن يشتُمني، ثم دفع إليه مائتيْ درهم ثم قال له: لا يسمعنّ هذا منكَ الصِّبيانُ يا أبا الشمقمق. (١٩٤/٣)

---

(١) التّراث: ما يخلفه الرجل لورثته، وهو بهذا المعنى لا يتمشّى مع القصد الذي يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف، فماله دائماً لذلك السبب يعتوره النّقص والزيادة، والظاهر أن كلمة تراثه محرّفة عن ثرائه، هذا ما ورد في هامش الأغاني.

(٢) مايزال للشعر تأثيره ومكانه في النفوس، وليس هيّناً أن يُكتب الشعر في صدر المجلس، ويُوصى أن يُعمل به، ويستفاد منه، وليست الكتابة والوصية سوى اعتراف بقيمة هذا الشعر وما حوى من معانٍ وجدتْ لها قبولاً في النفوس.

(١٥)

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُليلٍ العنزيُّ قال حدّثني محمد بنُ بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال: أمر عقبةُ بنُ سلْم (الهُنائيُّ) لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم، فأخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له: يا أبا مُعاذٍ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشدون:

هلّلينَـــهْ هلّلينَـــهْ　　طعْنَ قِـثّاةٍ لتـينَهْ
إنَّ بشّــارَ بـنَ بـردٍ　　تيسٌ أعمى في سفينهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتيْ درهم فقال: خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق.

(١٩٥/٣)

(١٦)

أخبرني أحمد قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني المغيرةُ بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال: مررتُ ببشّار فقلت: السّلام عليك يا أبا مُعاذٍ؛ فقال: وعليك السلام، أعبّاد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسنُ الرأي فيك؛ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!

(١٩٦/٣)

(١٧)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم المرْوزيّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثني أبي قال: لما خلعَ محمدٌ المأمونَ وندب له عليُّ بن عيسى، ندب المأمونُ للقاء عليِّ بن عيسى طاهر بنَ الحسين ذا اليمينين(١) وجلس له لعرْضهِ وعرْض أصحابه، فمرَّ به ذو اليمينين مُعترضاً وهو يُنْشدُ:

---

(١) ذو اليمينين: هو لقب طاهر بن الحسين، ولد سنة (١٥٩هـ)، وتوفي سنة (٢٠٧هـ)، يقول ابن خلكان في وفيات الأعيان (٥٢٢/٢): «واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأي معنى كان، فقيل لأنّه ضرب شخصاً في وقعته مع علي بن ماهان. فقدّه نصفين فقال فيه بعض الشعراء: (كلتا يديك يمين حين تضربه) فلقبه المأمون ذا اليمينين» وذكر الثعالبي في (ثمار القلوب ص٢٩١)، أنّه سُمّيَ بذي اليمينين «لأنَّ المأمون كتب إليه لمّا فرغ من أمر الأمين: يا أبا الطيّب، يمينك يمين أمير المؤمنين، وشمالك يمين؛ فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين، ففعل، فلزمه هذا الاسم».

رُويدَ تصاهَل بالعراق جيادُنا   كأنك بالضحّاك قد قام نادبُهْ(١)

فتفاعل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعادَ عليه؛ فقال ذو الرِّياستين(٢): يا أمير المؤمنين هو حجرُ العراق؛ قال: أجلْ. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشّار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همَّ لهم بخير. (٣/١٩٩)

(١٨)

أخبرنا محمدُ بن عِمْرانَ الصيرفيُّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُليلٍ العنزيَّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّدٍ قال: أنشدتُ الأصمعيَّ قول بشّارٍ يهجو باهلة:

ودعـــاني مـــعـــشـــرٌ كلُّهُمُ   حُمُـــقٌ دام لهـــمْ ذاكَ الحُمُـــقْ
ليس مـــن جُـــرْمٍ ولكن غـــاظَهُم   شرفي العارضُ قد سدَّ الأفُقْ

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال: ويْلي على هذا العبدِ القِنِّ ابنِ القِنّ!. (٣/٢٠٠)

(١٩)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني بعضُ أصحابنا قال: وفد بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده:

أخـــالدُ لـــم أخْبِطْ إليـــك بذمّـــةٍ   ســوى أنني عـــافٍ وأنتَ جـــوادُ(٣)
أخـالدُ بين الأجرِ والحمدِ حـاجتي   فـأيُّهمـــــا تـــأتي فـأنتَ عـمـادُ
فـإن تُعطني أفرِغْ عليك مدائحي   وإن تأبَ لـم يُضربْ عليَّ سـداد(٤)
ركـابي على حـرفٍ وقلبي مُشيَّعٌ   ومـالـي بأرض البـاخـلين بـلادُ(٥)
إذا أنكـــرتْني بلـــدةٌ أو نكـــرتُهـــا   خـــرجتُ مع البـــازي عليَّ ســـوادُ

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ، هل استقلَّ العماد؟ فلمس الأكياس ثم قال: استقلَّ والله أيّها الأمير. (٣/٢٠٢)

---

(١) تصاهل: أصلها تتصاهل.

(٢) ذو الرياستَيْن: هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولُقّب كذلك لأنّه تقلّد الوزارة والسيف. ينظر ثمار القلوب، ص٢٩٢.

(٣) أخبط: أسير إليك.   (٤) السِّداد ما تُسَدُّ به الثلمة ونحوها.

(٥) الحرف: الناقة القوية، والمشيّع: الشجاع.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال: وقف رجلٌ من بني زيد شريفٌ، لا أحبُ أن أسميه، على بشّار، فقال له: يا بشّار قد أفسدتَ علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الولاء، وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الأصل؛ فقال له بشار: والله لأصْلي أكرمُ من الذّهب، ولفرْعي أزكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنْ نسبك له بنسبه، ولو شئتُ أن أجعل جواب كلامك كلاماً لفعلت، ولكنّ موعدك غدا بالمِرْبد؛ فرجع الرجلُ إلى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضرُ معه المربد ليفاخرَه، فخرج من الغد يريد المربدَ فإذا رجل يُنشِدُ:

شهدتُ على الزّيديّ أنَّ نساءه ضباعٌ إلى أير العُقيليّ تزفِرُ(١)

فسأل عمّن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشّار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربد حتّى مات. قال ابن سلاّم: وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي:

بلوتُ بني زيدٍ فما في كبارهم حلُومٌ ولا في الأصغرينَ مُطهّرُ
فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم وإن لم يكن فيهم سراةٌ توقّرُ
لأمكم الويلاتُ إنّ قصائدي صواعقُ منها مُنجدٌ ومغوّرُ
أجدُكُم لا يتّقون دنيّةً ولا يؤثرون الخير والخير يؤثر(٢)
يلُفُّون أولاد الزّنا في عدادهم فعِدّتُهم من عدّة الناس أكثرُ(٣)
إذا ما رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم أطافوا به، والغيُّ للغيّ أصورُ(٤)
لقد فخروا بالمُلحقين عشيّةً فقلتُ افخروا إن كان في اللؤم مفخرُ(٥)
يريدون مسْعاتي ودون لقائها قناديلُ أبواب السّموات تزهَرُ(٦)
فقل في بني زيدٍ كما قال مُعْربٌ قواريرُ حجّامٍ غداً تتكسّرُ

فقال يونس للذي أنشده: حسبُك حسبك! مَنْ هيّج هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلانٌ؛ فقال: رُبَّ سفيهِ قومٍ قد كسب لقومه شرّاً عظيماً. (٣/٢٠٣)

---

(١) ضباع: جمع ضبعة وأصله الناقة تريد الفحل.

(٢) يقال أجدُك بكسر الجيم فهو استحلاف بجدّه وحقيقته، وأجدُك بفتح الجيم استحلاف بجدّه وهو بخته.

(٣) يلفّون: يجمعون. (٤) أصور: أميل.

(٥) الملحقين: الذين استلحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنا. (٦) المسعاة: المكرمة، وتزهر: تتلألأ.

(٢١)

أخبرني عمي قال حدّثنا ابنُ مهْرويه قال حدّثني عبدُ الله بنُ بشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال: قال بشار: دعاني عقبةُ بن سلْم ودعا بحمّاد عجْرد وأعشى باهلةَ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحة مثلٌ يتمثّله الناسُ: «ذهب الحمارُ يطلبُ قرنين فجاء بلا أذنين» فأخْرجُوه من الشعر، ومَن أخرجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم، وإن لم تفعلوا جلْدتُكم كلّكُم خمسمائةً؛ فقال حمّاد: أجلّنا أعزّ اللهُ الأمير شهراً؛ وقال الأعشى: أجلّنا أسبوعين؛ قال: وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم؛ فقال له عُقبة: مالك (يا أعمى) لا تتكلّمُ! أعمى الله قلبك! فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، قد حضرني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه؛ فقال قل: فقال:

شطَّ بسلْمى عاجلُ البينِ ... وجاورتْ أسْدَ بني القيْنِ
ورنَّتِ النفسُ لها رنَّةً ... كادتْ لها تنشقُّ نصفينِ
يابنةَ من لا أشتهي ذكره ... أخشى عليه عُلَقَ الشَّيْنِ
والله لو ألقاكِ لا أتّقي ... عيناً لقبّلتُكِ ألفيْنِ
طالبتُها ديني فراغتْ به ... وعلّقتْ قلبي مع الدَّيْنِ
فصرتُ كالعيْرِ غدا طالباً ... قرْناً فلم يرجِعْ بأذْنينِ

قال: فانصرف بشّارٌ بالجائزة. (٣/٢٠٥)

(٢٢)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأخفشُ طعنَ على بشّار في قوله:

فالآنَ أقْصَرَ عن سُميَّةَ باطلي ... وأشار بالوَجَلَى عليّ مُشيرُ

وفي قوله:

على الغَزَلَى منّي السّلامُ فربّما ... لهوْتُ بها في ظلّ مرْءُومةٍ زُهْرِ(١)

وفي قوله في صفة سفينة:

تُلاعِبُ نينانَ البُحورِ وربّما ... رأيتَ نُفوسَ القوم من جرْيها تجْري(٢)

---

(١) مرءومة: محبوبة مألوفة. (٢) النينان: الحيتان.

وقال: لم يُسمعْ من الوَجِل والغزل فَعَلَى، ولم أسْمع بنُونٍ ونينانٍ؛ فبلغ ذلك بشّاراً فقال: وَيْلي على القصّارين!(١) متى كانتِ الفصاحةُ في بيوت القصّارين! دعُوني وأيّاه؛ فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجزِعَ؛ فقيل له: ما يُبْكيكَ؟ فقال: ومالي لا أبكي وقد وقعْتُ في لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه إلى بشار فكتّبوا عنه واستوهبُوا منه عِرْضه وسألوه ألاَّ يهجوه؛ فقال: قد وهبْتُه للؤم عِرضه. فكان الأخفشُ بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كتُبُه ليبلُغه؛ فكفَّ عن ذكره بعد هذا.

قال: وقال غيرُ أبي حاتم: إنما بلغه أنَّ سيبويه عاب هذه الأحرف عليه لا الأخفش، فقال يهجُوه:

أسيبويْهِ يابنَ الفارسيّةُ ما الذي ... تحدَّثْتَ عن شتْمي وما كُنْتَ تنبذُ

أظلْتَ تُغنِّي سادراً في مساءتي ... وأمُّك بالمصرين تُعْطى وتأخُذُ(٢)

قال: فتوقّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجد له شاهداً من شعرِ بشّار احتجّ به استكفافاً لشرّه. (٣/٢٠٩)

(٢٣)

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثني محمدُ بن القاسم بن مهْرويْهْ قال حدثني محمد بن عثمانَ الكُرْيزيّ قال حدّثني بعضُ الشعراء قال: أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي: خذ منها ما شئتَ، أو تدري ما سبَبُها؟ قلتُ: لا؛ قال: جاءني فتىً فقال لي: أنتَ بشّار؟ فقلتُ: نعم؛ فقال: إني آليتُ أن أدفعَ إليك مائتيْ دينارٍ وذلك أني عشِقتُ امرأة فجئتُ إليها فكلّمتُها فلم تلتفِتْ إليّ، فهممْت أن أتركها فذكرتُ قولك:

لا يؤيسنَّكَ من مُخبَّأةٍ ... قولٌ تُغلّظُه وإن جرحا

عُسْرُ النّساء إلى مياسرةٍ ... والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جمحا

فعدتُ إليها فلازمتها حتى بلغتُ منها حاجتي. (٣/٢٠٩)

(٢٤)

أخبرني محمد بن عمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسنُ بن عُليلٍ العنزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن منْجوفٍ قال: كان بشّار مجاوراً لبنى عُقيلٍ وبنى سَدوسٍ في منزل الحيين، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاستعانَتْ عُقيلٌ ببشّار وقالوا له: يا أبا مُعاذٍ، نحن أهلُكَ وأنت

---

(١) القصّار: مَنْ يحوّر الثياب ويدقّها. (٢) السّادر: المتحيِّر.

وابنُنا وربيتَ في حُجورنا فاعِنَّا... فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كـأنَّ بني سَدوسٍ رهــطِ ثـورٍ خنافسُ تحت مُنكسـرِ الجـدارِ
تُحـرِّكُ للفخــارِ زُبـانييْها وفخرُ الخُنفسـاءِ من الصَّغارِ(١)

فوثبَ بنو سدُوسٍ إليه فقالوا: مالنا ولكَ يا هذا! نعوذ بالله من شرِّك! فقال: هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يعاودوها. (٣/٢١٠)

(٢٥)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخزاعيّ قال: ورد بشار بغداد فقصد يزيد بن مزْيدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهراً؛ ثم ورد روْحُ بنُ حاتم فبلغه خبر بشّار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقيْنَةً وكساه كُساً كثيرة؛ وكان يحضرُ قيساً مرّة، فقال بشّار يهجو يزيد بن مزْيد:

ولمّا التقينا بالجُنينيةِ غرَّني بمعروفه حتى خرجتُ أفُوقُ(٢)
حباني بعبدٍ قـعْسريٍّ وقَيْنةٍ ووشْـيٍ وآلافٍ لهــنَّ بريــقُ(٣)
فقُل ليزيدٍ يلعَصُ الشهد خالياً لنا دونـه عنـد الخليفة سُوقُ(٤)
رقدتَ فَنمْ يابن الخبيثة إنها مكــارِمُ لا يسْـطيعُهُنَّ لصيقُ
أبى لك عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرى جواداً ورأسٌ حين شِـبْتَ حليقُ (٣/٢١٣)

(٢٦)

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدثنا عُمرُ بنُ شبّة قال حدثني خلادُ الأرقطُ قال: لمّا أُنشدَ المهديُّ قول بشار:

لا يُؤْيِسنْــكَ مــن مُـخـبَّـأةٍ قــولٌ تغلّظُهُ وإن جـرحـا
عُسْرُ النساءِ إلى مُياسـرةٍ والصّعبُ يُمكِنُ بعد ما جمحا

فنهاه المهديّ عن قوله مثلَ هذا، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سمّان، فقال له: أنشدْنا يا أبا معاذٍ شيئاً من غزلك، فأنشأ يقول:

---

(١) زبانيا العقرب: قرناها.

(٢) الجنينة: اسم موضع، ينظر ياقوت، ٢ / ١٧٣، أفوق: كناية عن كثرة العطاء.

(٣) القعسريّ: الصلب الشديد. (٤) يلعص: يلعق.

وقائلٍ هاتِ شوِّقْنا فقلتُ له ... أنائمٌ أنتَ يا عمرو بنَ سمّانِ
أما سمعتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ ... وفي الحليفينِ من نجْرٍ وقحطانِ
قال الخليفةُ لا تنْسبْ بجاريةٍ ... إياكَ إياك أن تشْقى بعصيانِ(١) (٣/٢٢١)

(٢٧)

أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال: قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشّار فقال له: قُلْ في الحبِّ شعراً ولا تُطِلْ واجعلِ الحبَّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمِّ أحداً؛ فقال:

اجعل الحبَّ بين حِبّي وبيني ... قاضياً إنني به اليوم راضي
فاجتمعنا فقلتُ ياحِبُّ نفسي ... إنَّ عيني قليلةُ الإغماضِ
أنتَ عذّبتني وأنحلتَ جسمي ... فارحمِ اليومَ دائمَ الأمراضِ
قال لي لا يحلُّ حُكمي عليها ... أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراضِ(٢)
قلتُ لَمّا أجابني بهواها ... شمِلَ الجورُ في الهوى كلُّ قاضي

فبعث إليه المهديّ: حكمتَ علينا ووافقنا ذلك. فأمر له بألف دينار. (٣/٢٢٢)

(٢٨)

أخبرني عمّي قال حدّثني سليمانُ قال قال لي أبو عدنان حدّثني سعيدُ - جليسٌ كان لأبي زيد - قال: أتاني أعشى سُلَيْم وأبو حنشٍ فقالا لي: انطلق معنا إلى بشّار فتسأله أن يُنْشدَكَ شيئاً من هجائهِ في حمّاد عَجْرد أو في عمروٍ الظالميّ فإنه إن عرفنا لم يُنشِدْنا. فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدتُه فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء إلى وادٍ آخر وهما يستمعان وبشّار لا يعرفهُما. فلما خرجا قال أحدُهما للآخر: أمّا تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أمّا أنا فلا أعرِض - والله - والديّ له أبداً؛ وكانا قد جاءا يزُورانه، وأحسبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته. (٣/٢٢٣)

(٢٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مِهْرويه قال حدّثني أحمدُ بن خلاّد بن المبارك قال

---

(١) يوصف الخليفة المهدي بأنّه كان ذا غيرة شديدة، ولم يكن ليرضيه ما يشيعه بشّار في شعره من معاني الغزل الواضح، ولذلك جاء النهيّ متفّقاً مع أخلاق الخليفة، وموّجهاً لبشار تحذيراً - لا نظنّه - قد أخذ به، فكانت النهاية المعروفة. (٢) الإحراض: إدناف الحبّ.

حدثني أبي قال: كان بالبصرة فتىً من بني منقر أمُّه عجلية، وكان يبعثُ إلى بشّار في كل أضحيةٍ بأضحيةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسمّنونها سنةً وأكثر للأضاحي ثم تُباعُ الأضحية بعشرة دنانير، ويبعثُ معها بألف درهم؛ قال: فأمر وكيله في بعض السنين أن يُجْرِيه على رسْمه، فاشترى له نعجةً كبيرةً غير سمينةٍ وسرق باقي الثمن، وكانت نعجةً عبدليّةً من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاجٌ مرذولٌ، فلما أدخلتْ عليه قالت له جاريته ربابةُ: ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يبعثُ بها إليك؛ فقال: أدنيها منّي فأدنتْها ولمسها بيده ثم قال: اكتب يا غُلامُ:

وهبتَ لنا يا فتى منقرٍ وعجلٍ وأكْرمَهم أوّلا
وأبسطهم راحةً في الندى وأرفعهم ذروةً في العُلا
عجوزاً قد اوردها عمرُها وأسكنها الدهرُ دارَ البلى
سلوحاً توهّمتُ أن الرِّعاء سقَوْها ليُسهلها الحنظلا
وأضرط من أمّ مُبتاعها إن اقتحمتْ بُكرةً حرملا(١)
فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنَّرسيان وتدمجُ المسكَ والمندلا(٢)
لما طيّبَ اللهُ أرواحها ولابلَّ من عظمها الأقحلا(٣)
وضعتُ يميني على ظهرها فخلتُ حراقفها جندلا(٤)
وأهويتُ شمالي لعُرْقوبها فخلتُ عراقيبها مغزلا
وقلّبتُ أليتها بعد ذا فشبّهتُ عُصعُصها مِنْجلا
فقلتُ أبيعَ فلا مشرباً أرجّي لديها ولا مأكلا
أم اشوي وأطبخُ من لحمها وأطيبُ من ذاك مضغُ السلى(٥)
إذا ما أمرتْ على مجلسٍ من العُجْب سبّحَ أو هلّلا
رأوا آيةً خلفها سائقٌ يحثُّ وإن هرولتْ هرولا
وكنتَ أمرتَ بها ضخمةً بلحمٍ وشحمٍ قد استكملا
ولكنّ روحاً عدا طوره وما كنتُ أحسبُ أن يفعلا
فعضّ الذي خانَ في أمرها من است بظرها الأغرلا
ولولا مكانُك قلّدته علاطاً وأنشقته الخردلا(٦)

---

(١) الحرمل: نبات كالسمسم يُتعب آكله. (٢) النّرسيان: نوع من أجود التمر. (٣) الأقحل: اليابس.

(٤) الحراقف: جمع حرقفة وهي رأس الورك. (٥) السلى: الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمّه.

(٦) العلاط: حبل يُجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه.

ولولا استحائيك خضبْتُها ... وعلقت في جيدها جُلْجلا
فجاءتْكَ حتى ترى حالها ... فتعْلمَ أنّي بها مُبْتلى
سألتُك لحماً لصبْياننا ... فقد زِنْتني فيهمُ عيِّلا
فخُذْها وأنت بنا مُحسِنٌ ... وما زلتَ بي مُحسِناً مُجْمِلا

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك! تعلم أني أفتدي من بشّار بما أعطيه وتُوقعني في لسانه! اذهَبْ فاشترِ أضحيةً، وإن قدرتَ أن تكونَ مثل الفيل فافعل، وابلُغْ بها ما بلغتْ وابعثْ بها إليه. (٢٢٧/٣)

(٣٠)

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال: كان نافع بن عُقْبة بن سلْم جواداً مُمدَّحاً، وكان بشّار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفدَ إليه وقد ولي مكانَ أبيه، فمدحه بقوله:

ولِنافعٍ فَضْلٌ على أكفائه ... إنّ الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ
يا نافعَ الشّبَراتِ حين تناوحتْ ... هُوجُ الرياح وأعْقبتْ بُوبُولِ[1]
أشبهتَ عُقْبةَ غيرَ ما مُتشبِّهٍ ... ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قبُولِ
ووليتَ فينا أشهراً فكفيتنا ... عنتَ المُريبِ وسلَّةَ التَّضليلِ[2]
تُدْعى هِلالاً في الزمان ونافعاً ... والسِّلْمُ نِعْمَ أبُوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه في كلِّ سنة إذا وفدَ عليه. (٢٣٠/٣)

(٣١)

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ قال: لمّا مات بشّار ونُعيَ إلى أهل البصرة تباشر عامّتُهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمدوا الله وتصدّقوا، لما كانوا مُنُوا به من لسانه. (٢٤٨/٣)

(٣٢)

أخبرني عمّي قال حدثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضّل الضّبّيّ قال: وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

يا واحدَ العرب الذي ... أضحى وليس له نظيرُ

---

(١) الشّبرات: جمع شبرة وهي العطية.

(٢) سلّة التضليل: ظهور التضليل وانتشاره.

لــو كــان مثلك آخــرٌ ما كان في الدّنيا فقيرُ

قال: فدعا بخازنه وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: من الورق والعيْن(١) بقيّةٌ عشرون ألفَ دينار. فقال: ادفعْها إليه، ثم قال: يا أخي، المعْذرةِ إلى الله وإليك، والله لو أنَّ في ملكي أكثر لما احتجبتُها عنك. (٢٨٩/٣)

(٣٣)

أخبرني الحسن بن علي محمد بن خلف بن المرْزبان قالا حدثنا أحمد بن زُهير بن حرْب قال حدّثنا مُصعب الزُّبيريّ عن عبد الملك بن الماجشون قال: كان ابن المولى مدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبّاس الهاشميّيْن ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، واستفرغ مدحه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها:

يا واحد العرب الذي دانت له قحطانُ قاطبةٌ وساد نزارا
إنّي لأرجو إن لقيتُك سالما ألاّ أعالِجَ بعدك الأسفارا
رِشْتَ النّدى ولقد تكسّر ريشُه فعلا النّدى فوقَ البلاد وطارا(٢)

ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إيّاها؛ فأعطاه حتّى رضيَ. ومرض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقُل حتّى أشْفى، فلمّا أفاق من علّته ونهض، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرِّفا خبره، فقال: لوبِنْتُ والله يا أبا عبد الله ألاّ تعالج بعدي الأسفار حقاً، ثم أضعفَ صِلَته. (٢٩٠/٣)

(٣٤)

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني الزُّبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال: كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه، فلما ولاّه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقيتُه فأنشدتُه، وقد خرج من مسجد رسول الله(ص) إلى أن صار إلى مسجد الشّجرة، فأعطاني رزمتي ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشتريتُ بها ضياعا تُغِلُّ ألفَ دينار، أقومُ في أدناها وأصيح بقيّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها. (٢٩٠/٣)

(٣٥)

قال الحزْنبلُ: وحدثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال: قدم ابنُ المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

---

(١) الورق: الفضة، والعين: الذهب. (٢) رِشْتَ: جعلت له ريشاً.

وما قارع الأعداءَ مثلُ محمد إذا الحربُ أبدتْ عن حُجولِ الكَواعبِ(١)
أشمُّ من الرَّهطِ الذين كأنَّهم لدى حندس الظُّلماء زُهْرُ الكواكبِ(٢)
فتى ماجدُ الأعراق من آلِ هاشمٍ تبحْبح منها في الذُّرى والذَّوائبِ(٣)
إذا ذُكرتْ يوماً مناقبُ هاشمٍ فإنكم منها بخيرِ المناصبِ
ومَنْ عيب في أخلاقه ونصابه فما في بني العبّاس عيْبٌ لعائبِ
وإنَّ أميرَ المؤمنين ورهْطَهُ لأهلُ المعالي من لُؤيِّ بن غالبِ
أولئك أوتادُ البلادِ ووارثو النبيِّ بأمرِ الحقِّ غيرِ التَّكاذبِ

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

وما نقموا إلا المودّةَ منهمُ وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهُم نالوا لهم بدمائهم شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهُمُ بسمْرِ القنا والمُرهفاتِ القواضبِ(٤)
وحاموا على أحسابهم وكرائمٍ حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التَّرائبِ
وإن أميرَ المؤمنين لعائدٌ بإنعامه فيهم على كلِّ تائبِ
إذا ما دنَوْا أدناهُمُ وإذا هفَوْا تجاوزَ عنهم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأقْصيْن أن يركبوا الرّدى فكيف به في واشجاتِ الأقاربِ(٥)

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيَّة، وقدم المدينة فأنفق وبنى داره ولبس ثيابا فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفةٌ في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه:

هاج شوقي تفرّقُ الجيرانِ واعترتني طوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زماني حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

ولو أن امرأً ينال خلودا بمحلٍّ ومنْصِبٍ ومكانِ
أو ببيتٍ ذُراه تلْصَق بالنجـ ـم قرانا في غير برج قرانِ

---

(١) الحجول: جمع حجل وهو الخلخال. (٢) تبحبح: تمكّن.

(٣) الحندس: الليل الشديد الظلمة، والنصاب: الأصل. (٤) القواضب: القواطع.

(٥) الواشجات: جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتصلة.

أو بمجد الحياة أو بسماحٍ	أو بحلم أوفى على ثهْلانِ
أو بفضل لناله حسنُ الخيْـ	ـر بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهط أبي القا	سم رهطِ اليقين والإيمانِ
هم ذوُو النور والهُدى ومدى الأمـ	ـر البرهان والعرفانِ
معْدِنُ الحق والنبوّة والعد	ل إذا ما تنازع الخصْمانِ
وابنُ زيد إذا الرجال تجاروْا	يوم حفْل وغايةٍ ورهانِ
سابقٌ مُغْلقٌ نُجيزُ رِهانٍ	ورث السَّبْق من أبيه الهجانِ

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال: له: ياعاضٌ كذا من أمه، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإن أمير المؤمنين ورهطه	لرهطُ المعالي من لُؤيٍّ بن غالبِ
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النبيِّ	بأمر الحقِّ غير التُّكاذبِ

فقال له: أتُنْصفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل: وإن أمير المؤمنين ورهطه، ألستم رهطه؟ فقال: دعْ هذا، ألم تقدر أن ينفُق شعرُك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول:

وما نقموا إلا المودَّةَ منهُم	وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهم نالوا لهم بدمائهم	شفاء نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ

فوجمَ ابنُ المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرَّب بجهْده، ثم قام فخرج من عنده منكسراً، فأمر الحسنُ وكيله أن يحملَ إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل، فقال ابن المولى: والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ، فأما إنْ قرنها بالرضا فقبلتُها، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط البتّة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيتُ فاقبلْها، ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه:

سألتُ فأعطاني وأعطى ولم أسلْ	وجاد كما جادت غوادٍ رواعِدُ
فأقسم لا أنفكُّ أنشدُ مدْحه	إذا جمعتْني في الحجيج المشاهدُ
إذا قلتُ يوماً في ثنائي قصيدةً	ثنيْتُ بأخرى حيث تُجْزى القصائدُ (٣/٢٩٢)

(٣٦)

قال الحزنبل: وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال: لما انصرف يزيد بن

حاتم من حرب الأزارقة وقد ظَفِر، خَلَع عليه وعَقَد له لواءً على كور الأهْواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده:

ألا يا لقومي هل لما فات مطلبُ   وهل يُعْذَرَنْ ذو صبْوة وهو أشْيبُ
يحنّ إلى ليلى وقد شَطّت النوى   بليلى كما حنّ اليراعُ المثقّبُ(١)
تقرّبتُ ليلى كي تُثيبَ فزادني   بعادا على بعدٍ إليها التقرّبُ
فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن   دواءٌ لما ألقاه منها التجنُّبُ
فلا أنا عند النأي سالٍ لحبها   ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تصقبُ(٢)
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضا   ولكنني أنوي العزاءَ فأغلبُ
وليلٍ خُداريِّ الرُّواق جشمتُه   إذا هابه السارون لا أتهيّب(٣)
لأظفرَ يوماً من يزيد بن حاتم   بحبل جوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ
بلوتُ وقلّبتُ الرجال كما بلا   بكفّيه أوساط القداح مُقلِّبُ
وصعّدني هَمّي وصوّبَ مرّةً   وذو الهمّ يوماً مُصْعَدٌ ومُصوّبُ(٤)
لأعرف ما أتي فلم أر مثله   من الناس فيما جاز شرقٌ ومغربُ
أكرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً   وأوهبَ في جُودٍ لما ليس يوهبُ
تصدّى رجالٌ في المعالي ليلْحقوا   مداكَ وما أدركته فتذبْذبُوا
ورُمت الذي راموا فأذللت صعبه   وراموا الذي أذللتَ منه فأصعبوا
ومهما تناولْ من منال سنيّة   يساعدْك فيها المُنْتمى والمركّبُ(٥)
ومنصبُ آباءِ كرامٍ نماهُم   إلى المجد آباءٌ كرامٌ ومنصبُ(٦)
كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ   بدا منهمُ بدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنار به آل المهلّب بعدما   هوى منكبٌ منهم بليلٍ ومنكبُ
وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ   بنائبةٍ كادت لها الأرض تخْرَبُ
فلو أبقتِ الأيامُ حيّاً نفاسةً   لأبقاهُم للجود نابٌ ومخلبُ
وكنتَ ليومَيْ نعمةٍ ونكايةٍ   كما فيهما للنّاس كان المهلّبُ
ألا حبّذا الأحياءُ منكم وحبّذا   قبورٌ بها موتاكم حين غُيّبوا

---

(١) اليراع المثقّب: المزمار.   (٢) تصقب: تقرب.
(٣) الخداريّ: المظلم.   (٤) همّي: عزمي.
(٥) المركّب: المنبت.   (٦) المنصب: الأصل.

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخلعة، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلٌّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده. (٣/٢٩٥)

(٣٧)

قال الحزنبل: وذكر أحمدُ بن صالح بن النطّاح عن المدائنيّ: أن المهديّ لمّا ولي الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصار وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووصلهم صلاتٍ سنيّةً، فحسُنَتْ أحوالُهم بعد جُهد أصاب الناس في أيام أبيه، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن وكانت سنةُ ولايته سنةَ خصب ورُخص، فأحبّه الناس وتبركُوا به، وقالوا: هذا هو المهديّ، وهذا ابن عمّ رسول الله (ص) وسميُّه، فلقُوه فدعوا له وأثْنوا عليه، ومدحته الشعراء، فمدَّ عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرِّب منه؛ فقال له: هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده (قوله فيه):

يا ليلَ لا تبخلي يا ليل بالزاد ... واشفي بذلك داءَ الحائم الصادي
وأنجزي عدةً كانت لنا أملاً ... قد جاء ميعادُها من بعد ميعاد
ما ضرَّه غيرُ أن أبدى مودّته ... إنَّ المحبُّ هواه ظاهرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

تطوي البلاد إلى جمٍّ منافعُه ... فعّالِ خيرٍ لفعل الخيرِ عوّادِ
للمهتدين إليه من منافعه ... خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادي
أغنى قُريشا وأنصار النبيّ ومنْ ... بالمسجدَيْن بإسعاد وإحفاد(١)
كانت منافعُه في الأرض شائعةً ... تتْرى وسيرتُه كالماء للصّادي(٢)
خليفةُ الله عبدُ الله والدُه ... وأمُّه حُرّةٌ تُنْمي لأمجاد
من خير ذي يمنٍ في خير رابيةٍ ... من القبول إليها معْقِل النّادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة، وأمر صاحب الجاري بأن يُجْري له ولعياله في كلِّ سنة ما يكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء. (٣/٢٩٨)

---

(١٢) إحفاد: إسراع في مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.

(١٣) تترى: متواترة، ومعقل: ملجأ.

(٣٨)

قال: وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال: وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلْنا عليه سلّمنا ودعونا وأثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبلَ على ابن المولى فقال: هاتِ يا محمد ما قلتَ، فأنشده:

نادى الأحبةُ باحتمالِ ... إنَّ المُقيم إلى زوالِ
ردُّ القيانُ عليهمُ ... ذُلُلَ المطيّ من الجمالِ
فتحمّلوا بعقيلةٍ ... زهراءَ آنسةِ الدّلالِ
كالشمس راق جمالها ... بين النّساء على الجمالِ
لمّا رأيت جمالهم ... في الآل تفرق بالّلآلي(١)
يا ليت ذلك بعدَ أنْ ... أظهرتَ أنّك لا تُبالي
ولمثل ما جرّبتَ من ... إخلافهنَّ لذي الوصالِ
أسلاكَ عن طلب الصِّبا ... وأخو الصِّبا لابدَّ سالي
يابنَ الأطايب للأطا ... يب ذا المكارم والمعالي
وابنَ الهُداة بني الهدا ... ةِ وكاشفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكرمَ غالبٍ ... عند التّفاخر والنِّضالِ
وإذا تُحصّلُ هاشمٌ ... يعلو بمجدك كلُّ عالي(٢)
ويكون بيتُك منهُم ... في الشاهقات من القلالِ(٣)
هذا وأنت ثمالُها ... وابنُ الثّمالِ أخو الثّمالِ(٤)
ومآلُها بأمورها ... إنَّ الأمور إلى مآلِ

قال: فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجلّة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم، وقال: ذلك بحقّ المديح، وهذا بحقّ الوفادة. (٣/٢٩٩)

(٣٩)

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذريّ قال: كان لبعض التُّجارمن أهل باب الطّاق على أبي العتاهية ثمنُ

---

(١) الآل: السراب. (٢) تُحَصَّل: تخلص ويماز بين بيوتها.

(٣) القلال: جمع قلة وهي أعلى الجبل. (٤) الثمال: الغياث.

ثياب أخذها منه. فمرّ به يوماً، فقال صاحبُ الدُّكانَ للغلام ممن يخدُمه حسنِ الوجه: أدرك أبا العتاهية فلا تُفارقه حتى تأخذ منه مالنا عنده! فأدركه على رأس الجسْر، فأخذ بعنان حماره ووقفه. فقال له: ما حاجتُك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخذ ماله عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية: وكان كلُّ من مرّ فرأى الغلام مُتعلّقاً به وقف ينظُر، حتى رضي أبو العتاهية جمْعَ الناس وحفْلهم، ثم أنشأ يقول:

والله ربِّك إنّني ... لأجِلُّ وجهك عن فعالكْ
لو كان فعلُك مثلَ وجـ ... ـهك كنتُ مُكتفياً بذلكْ

فخجِل الغلام وأرسل عنانَ الحمار، ورجع إلى صاحبه، وقال: بعثتني إلى شيطان جمع عليَّ الناس وقال فيَّ الشعر حتى أخجلني فهربتُ منه. (٤/٢٠)

(٤٠)

أخبرني الصّوليّ قال حدثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارئ قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: كنّا عند ابن الأعرابيّ، فذكروا قول ابن نوْفل في عبد الملك بن عُمير:

إذا ذاتُ دلٍّ كلّمتْه لحاجة ... فهَمّ بأن يقْضي تنحْنَحَ أو سعَلْ

وأن عبد الملك قال: تركني والله وإنّ السُّعْلة لتعْرِض لي في الخلاء فأذكُر قوله فأهاب أن أسعلُ. قال: فقلت لابن الأعرابيّ: فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن مَعْن بن زائدة:

فصُغْ ما كنت حلّيتَ ... به سيفكَ خلْخالا
وما تصنع بالسيْفِ ... إذا لم تك قتّالا

فقال عبد الله بن معْن: ماليستُ سيفي قطّ فرأيت إنسانا يلمحُني إلا ظننتُ أنه يحفظ قولَ أبي العتاهية فيّ، فلذلك يتأمّلني فأخجلَ. فقال ابن الأعرابيّ: اعْجِبوا لعبد يهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شيْبان. (٤/٢٧)

(٤١)

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمْران الضّبّيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال: أجرى هارونُ الرشيد الخيلَ، فجاءه فرس يقال له المُشمّر سابقاً، وكان الرشيد مُعْجباً بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه، فبدرهم أبو العتاهية فقال:

جاء المشمّر والأفراسُ يقدُمُها ... هوْناً على رِسْله منها وما انْبهرا

وخلّف الريح حسرى وهي جاهدةٌ ومرَّ يختطفُ الأبصارَ والنظرا(١)

فأجزل صلته، وما جسر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً. (٤٣/٤)

(٤٢)

قال: وكان عليّ بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية، وكان يبرُّه في كل سنة ببرّ واسع، فأبطأ عليه بالبِرّ في سنة من السنين، وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسرُّ به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك. فلقيه ذاتَ يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتّى متى ليت شعري يابن يقْطينِ أثني عليك بما لا منك تُوليني

إنَّ السّلامَ وإنَّ البِشْرَ من رجلٍ في مثل ما أنت فيه ليس يكْفيني

هذا زمانٌ ألحَّ الناسُ فيه على تيه الملوك وأخلاقِ المساكينِ

أما علمتَ جزاك الله صالحةً وزادك اللهُ فضلاً يابن يقْطين

أنّي أريدك للدُّنيا وعاجلها ولا أريدك يومَ الدِّين للدين

فقال عليّ بن يقطين: لستُ والله أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضياً، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تسلّمه. (٥٠/٤)

(٤٣)

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرِّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني من غير وجه: أنَّ الرشيد لمَّا ضرب أبا العتاهية وحبسه، وكَّل به صاحب خبرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه، فكتب إليه أنه سمعه يُنشد:

أما والله إنَّ الظلمَ لُومُ وما زال المُسيء هو الظَّلومُ

إلى ديَّانِ يومِ الدين نمْضي وعند الله تجتمع الخصومُ

قال: فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر له بألفيْ دينار. (٥١/٤)

(٤٤)

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لمّا قال أبي في عُتْبة:

كأنَّ عتابة من حسنها دُمْيةُ قسٍّ فتنَتْ قسَّها

---

(١) على رسله: على تؤدته. حسرى: كالّة معيية.

يا ربِّ لو أنسيْتنيها بما   في جنَّة الفردوس لم أنْسها

شنَّع عليه منصور بن عمَّار بالزندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويبتذل ذِكْرها في شعره بمثل هذا التهاون! وشنَّع عليه أيضاً بقوله:

إنَّ المليكَ رآكِ أحـ   ـسنَ خلْقه ورأى جمالكْ
فحذا بقُدرةِ نفسه   حُورَ الجنان على مثالكْ

وقال: أيُصوِّر الحورَ على مثال امرأة آدميّة والله لا يحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألْسنة العامّة؛ فلقي منهم بلاءً. (٥١/٤)

(٤٥)

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُليْل العنزيّ قال حدّثني ابنُ سِنانٍ العجْليّ عن الحسن بن عائذ قال: كان أبو العتاهية يحجّ في كلّ سنة، فإذا قدم أهْدى إلى المأمون بُرْداً ومطْرفاً ونعلا سوداء ومساويكَ أراكٍ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم. (وكان) يُوصِّل الهديّة من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويجيئه بالمال. فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلّ سنة إذا قدِم، فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة. فكتب إليه أبو العتاهية:

خبِّروني أنَّ من ضَرْبِ السنهْ   جُدُداً بيضاً وصُفْراً حسنهْ
أحْدِثَتْ لكنّني لم أرها   مثْلَ ما كنتُ أرى كلَّ سنهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم، وقال: أغفلْناه حتى ذكّرنا. (٥٣/٤)

(٤٦)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني علي بن الصبّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي على الهادي فأنشده:

يا أمينَ اللهِ مالي   لستُ أدري اليومَ مالي
لم أنَلْ منك الذي قد   نال غيري من نوالِ
تبْذُلُ الحقَّ وتُعْطي   عن يمينٍ وشمالِ
وأنا البائسُ لا تنـ   ـظُر في رقّةِ حالي

قال: فأمر المُعلّى الخازن أن يُعْطيه عشرةَ آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يُعْطيها. ذلك أنّ الهادي امتحنني في شيءٍ من الشعر، وكان مهيباً، فكنتُ أخافه فلم يُطِعني طبْعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجتُ. فلمّا منعنيه المُعلّى صرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عقال،

وكان يُجالس الهادي، فقلت له:

أبلغْ سلِمتَ أبا الوليد سلامي ... عنّي أميرَ المؤمنين إمامي
وإذا فرغت من السَّلام فقل له ... قد كان ما شاهدتَ من إفحامي
وإذا حصرتُ فليس ذاك بمُبْطلٍ ... ما قد مضى من حُرْمتي وذمامي
ولطالما وفدتُ إليك مدائحي ... مخطوطةً فليات كلُّ ملامِ
أيّام لي لسنٌ ورقّةُ جِدّةٍ ... والمرءُ قد يبلى مع الأيّام

قال: فاستخرج لي الدراهمَ وأنفذها إليّ. (٥٤/٤)

(٤٧)

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: وُلد للهادي ولد في أوّل يوم ولي الخلافة: فدخل أبو العتاهية فأنشده:

أكثرَ موسى غيظ حُسّاده ... وزيّن الأرضَ بأولاده
وجاءنا مِنْ صلْبه سيّدٌ ... أصْيدُ في تقطيع أجداده
فاكتستِ الأرضُ به بهْجةً ... واستبشر الملكُ بميلاده
وابتسم المِنْبَرُ عن فرحةٍ ... عنتْ بها ذَرْوةُ أعواده
كأنّني بعد قليل به ... بين مواليه وقُوّاده
في محفلٍ تخفق راياته ... قد طبّق الأرض بأجناده

قال: فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثيرٍ. وكان ساخطاً عليه فرضي عنه. (٥٥/٤)

(٤٨)

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لايُفارق الرشيدَ في سفرٍ ولا حضر إلا في طريق الحجّ، وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون. فلمّا قدم الرشيدُ الرقّة، لبس أبي الصوفَ وتزهد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيدُ بِحَبْسه فحُبس، فكتب إليه من وقته:

أنا اليوم لي والحمدُ لله أشهُرُ ... يروح عليّ الهمُّ منكم ويبْكُرُ
تذكّرْ أمينَ الله حقّي وحرْمتي ... وما كنتَ توليني لعلك تذكُرُ
ليالي تُدْني منك بالقُرْب مجلسي ... ووجهُك من ماء البشاشة يقطُرُ
فمنْ لي بالعين التي كنتَ مرّةً ... إليّ بها في سالفِ الدهرِ تنظُرُ

قال: فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لا بأس عليك. فكتب إليه:

أرقتَ وطارَ عن عيْني النُّعاسُ ونام السامرون ولم يُواسُوا
أمينَ اللهِ أمنُك خيرُ أمنٍ عليك من التُّقى فيه لباسُ
تُساس من السماء بكلِّ برٍّ وأنت به تَسُوس كما تُساسُ
كأنَّ الخلْقَ رُكّبَ فيه روحٌ له جسدٌ وأنت عليه راسُ
أمينَ اللهِ إنَّ الحبْسَ بأسٌ وقد أرْسلت: ليس عليك باسُ

قال: وكتب إليه أيضاً في الحبس:

وكلّفتني ما حلْتَ بيني وبينه وقلتَ سأبغي ما تُريد وما تهوى
فلو كان لي قلبان كلّفْتُ واحداً هواك وكلفتَ الخليَّ لما يهْوى

قال: فأمر بإطلاقه. (٤/٦٣)

(٤٩)

حدّثني عمّي قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثني ابن أخت أبي خالد الحرْبيّ قال: قال لي الرشيد: احْبِسْ أبا العتاهية وضيِّقْ عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق في الغزل كما كان يقول. فحبستهُ في بيتٍ خمْسة أشبارٍ في مثلها؛ فصاح: الموت، أخْرجوني، فأنا أقول كلَّ ما شئتم. فقلت: قُلْ. فقال: حتى أتنفّس. فأخرجته وأعطيته دواةً وقرْطاساً؛ فقال أبياته التي أوّلها:

مَنْ لعبدٍ أذلَّه مولاهُ ماله شافعٌ إليه سواهُ
يشتكي ما به إليه ويخشا هُ ويرجوه مثل ما يخشاهُ

قال: فدفعتُها إلى مسرور الخادم فأوْصلها، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر. فلما أحضر قال له: أنشدني قولك:

يا عُتْبَ سيّدتي أمَا لكِ دين حتّى متى قلبي لديك رهينُ
وأنا الذلولُ لكلِّ ما حمّلتني وأنا الشقيُّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغداةَ لكلِّ باكٍ مُسعدٌ ولكلِّ صبٍّ صاحبٌ وخدينُ
لا بأس إنَّ لذاك عندي راحةً للصبِّ أن يلْقى الحزينَ حزينُ
يا عُتْب أينَ أفرُّ منك أميرتي وعليَّ حِصْنٌ من هواكِ حصينُ

فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم. (٤/٦٤)

(٥٠)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحُسين بن أبي السَّريّ قال: مرَّ القاسم بن الرشيد في موكبٍ عظيمٍ وكان من أتيَهِ الناس، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق. فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يزلْ قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية:

يتيهُ ابنُ آدم مـن جهلـه كأنَّ رحا الموت لا تطْحَنُهْ

فسمع بعض مَنْ في موكبه ذلك فأخبر به القاسم، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقْرعةٍ، وقال له: يابن الفاعلة! أتعرَّض بي في مثل ذلك الموضع! وحبسه في داره. فدسَّ أبو العتاهية إلى زُبيدةَ بنت جعفر، وكانت توجب له(حقّه)، هذه الأبيات:

حتّى متى ذو التّيه في تيههِ أصلحـه اللـهُ وعـافـاهُ
يتيه أهلُ التّيه من جهلهم وهـم يمـوتون وإن تاهُوا
مَنْ طلب العزَّ ليبـقى به فـإنَّ عـزَّ المـرء تقْـواهُ
لم يعتـصم بالله من خلْقه مَـنْ ليس يرْجُـوه ويخْشاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه، وكانت مائلةً إليه، فرثت له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه؛ فأحضره وكساه ووصله. ولم يرْضَ عن القاسم حتى برَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه. (٦٦/٤)

(٥١)

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال: بعث الرشيدُ بالحرْشيّ إلى ناحية الموْصِل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شبْهُ الجنون، فقلتُ له: مالك ويْحك؟! فقال لي: سبحان الله! أيُدْفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده:

اللهُ هوّنَ عندك الدنيـا وبغّضـهـا إليكـا
فـأبيْتَ إلاّ أن تُصـ ـغّر كلَّ شيء في يديْكا
مـا هانتِ الدُّنيـا على أحـدٍكمـا هانت عليْكا

فقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين، ما مُدِحَت الخلفاء بأصدق من هذا المدح.

فقال: يافضل، أعْطه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده:

إذا ما كنتَ متّخذاً خليلا ... فمثلُ الفضلِ فاتّخذِ الخليلا
يرى الشُكْرَ القليلَ له عظيماً ... ويُعْطي من مواهبه الجزيلا
أراني حيثُما يممْتُ طرْفي ... وجدتُ على مكارمه دليلا

فقال له الفضل: والله لولا أنْ أساويَ أمير المؤمنين لأعطيتُك مثلها، ولكن سنُوْصِلها إليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزادَ له خمسةَ آلاف درهم من عنده. (٦٧/٤)

(٥٢)

حدّثني الصُوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لبِس أبو العتاهية كساء صُوفٍ ودرّاعة صوفٍ، وآلى على نفسه ألاّ يقول شعراً في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييق عليه؛ فقال:

يابنَ عمِّ النبيِّ سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساء والدّراعهْ
ورجَعنا إلى الصّناعة لّما ... كان سُخْطُ الإمام تركَ الصّناعهْ

وقال أيضاً:

أما رحمتَني يومَ وَلّتْ فأسْرعتْ ... وقد تركتْني واقفاً أتلفّتُ
أقلّبُ طرْفي كي أراها فلا أرى ... وأحلِبُ عيني درَّها وأصوِّتُ

فلم يزلِ الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال:

أما والله إنّ الظلم لُومُ ... وما زال المُسيء هو الظَلُومُ
إلى ديّانِ يومِ الدّين نمْضي ... وعند الله تجتمع الخصومُ
لأمرٍ مّا تصرّفتِ الليالي ... وأمرٍ مّا تُوليتِ النُّجومُ
تموت غداً وأنت قريرُ عينٍ ... من الغفلاتِ في لجُجٍ تعومُ
تنامُ ولم تنمْ عنك المنايا ... تنبّهْ للمنيّة يا نؤُومُ
سلِ الأيّامَ عن أممٍ تقضّتْ ... ستُخبرك المعالمُ والرُّسُومُ
تروم الخُلْدَ في دار المنايا ... وكم قد رام غيرُك ماترُومُ
ألا يأيُّها الملك المُرجّى ... عليه نواهِضُ الدنيا تحومُ
أقِلْني زلّةً لم أجْرِ منها ... إلى لومٍ وما مثلي ملومُ
وخلّصْني تُخلّصْ يوم بعثٍ ... إذا للناس بُرِّزت الجحيمُ

فرقٌ له وأمر بإطلاقه. (٦٨/٤)

(٥٣)

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المُنجِّم إجازةً: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخزرجيّ الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال: ماتت بنتُ المهديّ فحزن عليها حُزْناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب. فقلتُ أبياتاً أعزّيه بها؛ فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول: لابدَّ من الصبرِ على مالا بدَّ منه، ولئن سلوْنا عمن فقدنا ليسلُونَّ عنّا من يفقدُنا وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلا أبلياه. فلمّا سمعتُ هذا منه قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أنشدك؟ قال هات؛ فأنشدته:

ما للجديدَيْن لا يبْلَى اختلافُهما ... وكلُّ غضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد ميتته ... كم بعد موتك أيضاً عنك مِنْ سالي
كأنَّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه ... من لذّة العيش يحكي لُمعة الآلِ
لا تَلعبنَّ بك الدنيا وأنت ترى ... ما شئت من عِبرٍ فيها وأمثال
ما حيلةُ الموت إلاَّ كلّ صالحةٍ ... أولا فما حيلة فيه لمحتالِ

فقال لي: أحسنتَ ويحك! وأصبتَ ما في نفسي ووعظت وأوجزت! ثم أمر لي لكلِّ بيت بألف درهم. (٧٢/٤)

(٥٤)

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرفي قال حدثنا العنزيّ قال، حدّثني أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال: لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية: قُلْ شعراً في الغزل؛ فقال: لا أقول شعراً بعد موسى أبداً، فحبسه. وأمر إبراهيم المَوْصليّ أن يغنّي؛ فقال: لا أغنّي بعد موسى أبداً، وكان مُحسناً إليهما، فحبسه. فلمّا شخص إلى الرَّقّة حفر لهما حفيرةً واسعةً وقطع بينهما بحائطٍ، وقال كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعُر أنت ويُغنّي هذا. فصبرا على ذلك بُرْهةً. وكان الرشيد يشرب ذاتَ يوم وجعفرُ بن يحيى معه، فغنّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طرباً شديداً، وكان بيتاً واحداً. فقال الرشيد: ما كان أحوجه إلى بيت ثانٍ ليطولَ الغناءُ فيه فنستمتِع مدّةً طويلة به! فقال له جعفر: قد أصبتُه. قال: مِن أينَ؟ قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيُلحقه به لقُدْرته على الشعر وسرعته. قال: هو أنكدُ من ذلك، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ. قال: بلى! فاكتُبْ إليه حتى تعلم صحة ما قلتُ لك. فكتب إليه بالقصةِ

وقال: ألحِقْ لنا بالبيت بيْتاً ثانياً. فكتب إليه أبو العتاهية:

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ فارقَ الرُّوحَ وأخلى من بدن
ولقد كُلِّفْتُ أمراً عجباً أسْألُ التُّفريجَ من بيت الحزَنْ

فلمَّا وصلتْ قال الرشيد: قد عرفْتك أنه لا يفعل. قال: فتُخرجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعرُ؛ فقد حلفتُ. فأقام أياماً لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا نُلاجُّ الخلفاء! هلُمَّ أقلْ شعراً وتُغنِّ فيه. فقال: أبو العتاهية:

بأبي مَنْ كان في قلبي له مرةً حُبٌّ قليلٌ فسُرِقْ
يابني العبَّاس فيكم مَلِكٌ شُعَبُ الإحسان منه تفترقْ
إنَّما هارونُ خيرٌ كلُّه ماتَ كلُّ الشرِّ مذْ يوم خُلِقْ

وغنى فيه إبراهيم. فدعا بهما الرشيد، فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب. (٧٣/٤)

(٥٥)

حدَّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله العبَّاس بن الفضْل بن الربيع، فقال فيه: غضِب الرشيد على جاريةٍ له فحلف ألاَّ يدخُل إليها أيَّاماً، ثم ندم فقال:

صَدَّ عنِّي إذ رآني مُفْتَتَنْ وأطال الصَّدَّ لمَّا أن فطَنْ
كان مملوكي فأضحى مالكي إنَّ هذا من أعاجيب الزَّمنْ

وقال لجعفر بن يحيى: اطلُبْ لي مَنْ يزيدُ على هذين البيتين. فقال له ليس غيرُ أبي العتاهية. فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلته. فقال: الآن طاب القولُ؛ ثم قال:

عِزَّةُ الحبِّ أرتْه ذلَّتي في هواه وله وجهٌ حسنْ
ولهذا صِرتُ مملوكاً له ولهذا شاعَ مابي وعَلَنْ

فقال: أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي! وأضْعَف صلته. (٧٤/٤)

(٥٦)

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا ابن مهْرويْه قال حدَّثني يحيى بن خليفة الرَّازي قال حدَّثنا حبيب بن الجهْم النُّميري قال: حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنجِّزاً جائزتي وفرْضي، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي، فإذا عونٌ حاجبُه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يُسلِّم عليك وقد قدم من

مكة: فقال: أعْفني منه الساعةَ يشغلُني عن ركوبي. فخرج إليه عونٌ فقال: إنَّه على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج من كُمِّه نعلاً عليها شراكٌ فقال: قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداءك. قال: فدخل بها؛ فقال: ما هذه؟ فقال: نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب. فقال: يا حبيب، اقرأ ما عليها. فقرأته فإذا هو:

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسـها قرمٌ بها يمشي إلى المجدِ
لو كانَ يصلُح أن أشـركَها خدّي جعلتُ شراكها خدّي

فقال لحاجبه عوْن: احْمِلْها معنا، فحملها. فلمَّا دخل على الأمين قال له: ياعبَّاسيّ، ما هذه النَّعل؟ فقال: أهداها إليَّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أوْلى بلُبْسها لما وصف به لابسها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد الله! وما سبقه إلى هذا المعنى أحد، هبُوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجتْ والله في بدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وانصرف. (٧٩/٤)

(٥٧)

قال عبد الله بن الحسن وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال: ما زال الفضلُ بن الربيع من أمْيلِ النَّاس إليَّ، فلمَّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدتُه:

أفنيتَ عمركَ إدباراً وإقبالا تبْغي البنين وتبْغي الأهْلَ والمالا
الموتُ هوْلٌ فكُنْ ما شئتَ ملْتمساً من هوْله حيلةً إن كنتَ مُحتالا
ألم ترَ الملكَ الأمْسيّ حين مضى هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالا
أفناه مَنْ لم يزلْ يُفْني القرونَ فقدْ أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا
كم من ملوكٍ مضى ريْبُ الزمانِ بهم فأصبحوا عِبْراً فينا وأمثالا

فاستحسنها وقال: أنت تعرف شُغْلي، فعُدْ إليَّ في وقت فراغي اقعد معك وأنسْ بك. فلم أزلْ أراقب أيَّامه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه؛ فبينما هو مُقْبلٌ عليّ يستنشدني ويسألني فأحدّثه، إذْ أنشدتُه:

ولّى الشبابُ فما له من حيلةٍ وكسا ذُؤابتي المشيبُ خمارا
أين البرامكةُ الذين عهدْتُهمْ بالأمس أعظم أهْلِها أخطارا

فلمَّا سمع ذكرى البرامكة تغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك. قال: وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديثَ ابنَ الحسنَ بن سهْل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضرك

عند الفضل بن الربيع لقد نفعك عندنا! فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجْرى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم، فلم يزل يقْبلها دارّةً إلى أن مات. (٨٩/٤)

(٥٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويْهَ قال حدّثني محمد بن سعيد المهْديّ عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ قال: مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمَّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لا تأمن الدهْرَ والْبَسْ لكُلِّ حينٍ لباسا
ليدْفنُنّا أناسٌ كما دفنّا أناسا

قال: فانصرف الناس، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية. (٩٩/٤)

(٥٩)

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السُّريّ قال قال لي الفضل بن العبّاس: قال لي أبو العتاهية: دخلتُ على يزيد بن مزْيد، فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها:

وما ذاك إلاَّ أنَّني واثقٌ بما لديك وأنّي عالمٌ بوفائكا
كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً تُقدِّر فيه حاجتي بابتدائكا
وإنَّ أميرَ المؤمنين وغيره ليعلَمُ في الهيجاء فضلَ غنائكا
كأنّك عند الكرِّ في الحرب إنَّما تفرُّ من السِّلْم الذي من ورائكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرك في الوغى ولا آفةُ الأموال غيرُ حبائكا

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، ودابّةً بسرْجها ولجامها... (١٠٠/٤)

(٦٠)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العدويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيدُ مما يُعْجبه غناءُ الملاّحين في الزَّلاّلات(١) إذا ركبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يُغنُّون فيه. فقيل له: ليس أحدٌ أقْدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبْس. قال: فوجّه إليَّ الرشيد: قُلْ

(١) الزّلاّلات: نوع من السفن.

شعراً حتّى أسمعه منهم، ولم يأمُرْ بإطلاقي؛ فغاظني ذلك فقلتُ: والله لأقولنَّ شعراً يحزُنه ولا يُسرُّ به، فعملتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حفَّظَه الملاّحين. فلمّا ركب الحرّاقة(١) سمعه، وهو:

خانكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القلبُ الجمُوحُ
لدواعي الخيرِ والشَّرِّ ... دُنُـوٌّ ونُـزُوحُ
هل لمطلوبٍ بذنبٍ ... توبةٌ منه نصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلوبٍ ... إنَّما هُنَّ قُروحُ
أحْسَنَ اللهُ بنا أنْ ... الخطايا لا تفُوحُ
فإذا المستورُ منَّا ... بينَ ثوبيْهِ فضُوحُ
كمْ رأينا مِنْ عزيزٍ ... طُويتْ عنه الكشُوحُ
صاحَ منه برحيلٍ ... صائحُ الدهْرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناس في الأرْ ... ضِ على قومٍ فُتُوحُ
سيصير المرءُ يوماً ... جسداً ما فيه رُوحُ
بين عينيْ كُلِّ حيٍّ ... علَمُ الموتِ يلوحُ
كلُّنا في غفْلةٍ والـ ... ـموتُ يغدو ويروحُ
لبني الدُّنيا مِنَ الدُّنْـ ... ـيا غبوقٌ وصبُوحُ(٢)
رُحْنَ في الوشْي وأصبَحْـ ... ـنَ عليهنَّ المُسُوحُ
كلُّ نطّاحٍ مِنَ الدهْـ ... ـرِ له يومٌ نطُوحُ
نُحْ على نفسِك يا مسكينُ إنْ كنتَ تنوحُ
لتموتَنَّ وإنْ عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نوحُ

قال: فلما سمع ذلك الرشيدُ جعل يبكي وينتحب، وكان الرشيدُ من أغزر الناس دموعاً في وقت الموْعظة، وأشدِّهم عسفاً في وقت الغضب والغلْظة. فلمّا رأى الفضلُ بن الرَّبيع كثرةَ بكائه، أومأ إلى الملاّحين أن يسكتوا. (١٠٢/٤)

(٦١)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا العنزيّ قال حدَّثني أحمد بن معاوية القرشيّ

---

(١) الحرّاقة: ضرب من السفن يستعمل بعضها للحرب والآخر للنزه.

(٢) الغبوق: ما شُرِب أو أُكِل آخر النهار، ويقابله الصبوح وهو ما أُكِل أو شُرِب أوّل النهار.

قال: لمّا عقد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية:

رحلْتُ عنِ الرَّبْعِ المُحيل قُعودي ... إلى ذي زُحوفٍ جمّةٍ وجُنُودِ
وراعٍ يُراعي اللّيل في حِفْظِ أمّةٍ ... يُدافع عنها الشرَّ غيرِ رقودِ
بألويةٍ جبريلُ يقْدُم أهلها ... ورايات نصْرٍ حوله وبُنودِ
تجافى عنِ الدُّنيا وأيْقن أنّها ... مفارقةٌ ليستْ بدارِ خُلودِ
وشدَّ عُرا الإسلام منه بفتيةٍ ... ثلاثةِ أملاكٍ ولاةِ عُهُودِ
هُمُ خيرُ أولادٍ، لَهُمْ خيرُ والدٍ ... لَهُ خيرُ آباءٍ مضتْ وجدودِ
بنو المصطفى هارونَ حولَ سريره ... فخيرُ قيامٍ حوله وقُعودِ
تُقلّبُ ألحاظَ المهابةِ بينهم ... عيونُ ظباءٍ في قلوبِ أسُودِ
جُدودهم شمسٌ أتتْ في أهلّةٍ ... تبدّتْ لراءٍ في نُجومِ سُعُودِ

قال: فوصله الرشيدُ بصلةٍ ما وصل بمثلها شاعراً قطُّ. (١٠٤/٤)

(٦٢)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا عوْن بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: قال الرشيدُ لأبي: عظني؛ فقال له: أنت آمِن. فأنشده:

لا تأمَنِ الموتَ في طرْفٍ ولا نفسٍ ... إذا تستّرْتَ بالأبواب والحرسِ
واعلَمْ بأنّ سهامَ الموت قاصدةٌ ... لكلّ مُدّرِعٍ منّا ومُتّرسِ
ترجو النجاة ولم تسْلُكْ طريقتها ... إنّ السفينةَ لا تجْري على اليبسِ

قال: فبكى الرشيد حتى بلّ كُمّه. (١٠٦/٤)

(٦٣)

نسخت من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار، وأخبرني الأخفش عن المُبرِّد عن المُغيرة بن محمد المهلّبيّ عن الزُّبير عن سليمان بن عياش السَّعْديّ قال: جاء عبد الله بن عُمرَ العَبْليّ إلى سُويقة(١) وهو طريدُ بني العبّاس؛ وذلك بعقب أيّام بني أميّةَ وابتداء خروج ملْكهم إلى بني العبّاس، فقصد عبدَ الله وحسناً ابنيْ الحسن بن حسنٍ بسويْقة؛ فاستنشده عبدُ الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده؛ فقال له: أريد أن تُنْشدني شيئاً مما رثيت به قومك؛ فأنشده قوله:

---

(١) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب.

تقـول أمـامـــةُ لمّـــا رأتْ نشــوزي عن المضْجعِ الأنْفَسِ
وقلّةَ نوْمي على مـضـجـعي لـدى هجْعـةِ الأعيُنِ النُّعَّس
أبي ما عراكَ؟ فقلتُ الهُموم عـرونَ أبـاكِ فــلا تبْلسي(١)
عـرونَ إبـاكِ فـحـبّسنه من الذُّلِّ في شرِّ ما محْبِس
لفـقْـد الأحبّـةِ إذ نـالهـا سـهـامٌ من الحـدث المُبْئِس
رمــتْهـا المنُونُ بلا نُكَّلٍ ولا طـائشـاتٍ ولا نُكَّس
بأسْـهُمِـها المُتْلفاتِ النفوس متى ما تُصِبْ مُـهْجةً تخْلِس
فصرَّعْنَهمْ في نواحي البلاد مُـلقىً بأرضٍ ولـم يُرْمَس(٢)
تقـيٍّ أصـيبَ وأثـوابُـه من العـيْبِ والعـارِ لم تدْنس
وآخـرُ قـد دُسَّ في حـفْرةٍ وآخـرَ قـد طار لم يُحْسس
إذا عـنَّ ذِكْـرُهُـمُ لم يـنَمْ أبـوكِ وأوحـش فـي المجـلسِ
فـذاك الذي غـالني فـاعلمي ولا تسـألي بامـرئٍ مُتْعَس
أذلّـوا قـناتي لمـن رامـهـا وقـد ألصقوا الرُّغم بالمعْطِس

قال: فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وأنَّ دموعه لتجري على خدّه. (٣٤٠/٤)

(٦٤)

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رباح قال: عُمِّر أبو سعيد بن أبي سنّة مولى بني أميةَ وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد؛ فلمّا حجَّ أحضره فقال: أنْشدني قصيدتك: تقول أمامةُ لمّا رأتْ

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشده الشعر لحْنه في أبياتٍ منها، أوّلُها: أفاضَ المدامعَ قتْلى كُدًى

وكان الرشيدُ مُغْضباً فسكن غضبُه وطرب. فقال: أنْشدني القصيدة. فقال: يا أمير المؤمنين، كان القومُ مواليّ وأنعموا عليّ، فرثيْتُهم ولم أهْجُ أحداً؛ فتركه(٣). (٣٤١/٤)

(٦٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدّمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار

---

(١) لا تبلسي: لا تحزني. (٢) يُرمس: يدفن.

(٣) يخالف هذا الشاعر ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه مراراً، فقد بقي على ولائه القديم، ولم يتغيّر، مثلما فعل غيره، ولم يصبح طالب فضل لو مضحكاً على حدّ قول بعض الشعراء مثلما رأينا سابقاً.

عن عمّه: أنّ سبب قتل بني أمية: أنّ السفاح أُنشِدَ قصيدةً مُدِح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مُدِحتم به! فقال: هيهاتَ! لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيْس الرُّقيات فينا:

مـا نقَمُـوا من بني أمـيَّـة إلا أنّهمْ يحلُمـون إنْ غضبـوا
وأنّهُـمْ مـعْـدِنُ المُلـوك ولا تصلُحُ إلاَّ عليـهـمُ العـربُ

فقال له: يا ماصَّ كذا من أمِّه! أوَ إنَّ الخلافةَ لفي نفسِك بعدُ! خذوهم! فأخذوا فقُتلوا. (٤/٣٤٦)

(٦٦)

أخبرني عمّي قال حدثني محمد بن سعْد الكُرانيّ قال حدثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ، وأخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائبَ سلْم بن جنادَة السُّوائيّ سمعتُ أبا نُعيْم الفضلَ بن دُكيْن يقول: دخل سُدَيْفٌ -وهو مولى لآل أبي لهبٍ- على أبي العبّاس بالحيرة. هكذا قال وكيع. وقال الكُرانيّ في خبره واللفظ له: كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسيّ، وبنو أميةَ على الوسائد قد ثُنيتْ لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاءُ منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسيّ؛ فدخل الحاجبُ فقال: يا أمير المؤمنين، بالبابِ رجلٌ حجازيٌ أسود راكبٌ على نجيبٍ متلثّمٌ يستأذن ولا يُخْبِر باسمه، ويحلف ألاّ يحْسِرَ اللّثام عن وجهه حتّى يراك. قال: هذا مولاي سُدَيْف، يدخل فدخل فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أميّة حوله، حدر اللّثام عن وجهه وأنشأ يقول:

أصبحَ المُلْكُ ثابتَ الأساس بالبهاليل من بني العبّاس(١)
بالصدور المُقدَّمين قديماً والرُّءوس القماقم الرُّؤاس(٢)
يا أميرَ المُطَهّرينَ منَ الذّم ويارأسَ منتهى كلِّ راس
أنت مهْديُّ هاشمٍ وهُداها كم أناسٍ رَجَوْكَ بعد إياس
لا تُقيلنّ عبدَ شمْسٍ عثاراً واقطعَنْ كلَّ رقْلةٍ وغراس(٣)
أنْزِلوها بحيث أنزلها اللهُ بدار الهوان والإتْعاسِ
خوْفُهم أظهرَ التَّوَدُّدَ منهم وبهم منكُم كحزِّ المواسي
أقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِمْ عنك بالسيف شأفةَ الأرْجاسِ

(١) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكلّ خير.

(٢) الرؤاس: الولاة والحكّام.

(٣) الرقلة: النخلة الطويلة التي تفوت اليد.

واذْكُرَنْ مصرَعَ الحُسينِ وزيدٍ وقتيلٍ بجانبِ المِهْراسِ(١)
والإمام الذي بحرّانَ أمسى رهْنَ قبرٍ في غُرْبةٍ وتناسي(٢)
فلقد ساءني وساء سواني قُرْبُهمْ من نمارقٍ وكراسي
نِعْم كلْبُ الهراشِ مولاك لولا أوَدٌ من حبائل الإفلاس(٣)

فتغير لونُ أبي العبّاس وأخذه زمَعٌ(٤) ورعْدة؛ فالتفتَ بعضُ ولد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم، وكان إلى جنْبه، فقال: قتلنا والله العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرى قتْلاكم من أهلي قد سلَفُوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون في الدنيا!خُذُوهم! فأخذتهم الخُراسانيّة بالكافركوبات(٥)، فأهْمِدُوا، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز فإنّه استجار بداوُد بن عليّ وقال له: إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعته إليكم؛ فأجاره واستوهبه من السفّاح، وقال له: قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا. فوهبه له وقال له: لا تريني وجهه، ولكن بحيث تأمنُه؛ وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقتْل بني أميّة. (٣٤٤/٤)

(٦٧)

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيْثم بن بِشْر مولى محمد بن علي قال: أنْشدَ سُدَيْفٌ أبا العبّاس، وعنده رجالٌ من بني أميّةَ، قوله:

يابن عمّ النبيّ أنت ضياءٌ اسْتبنّا بك اليقينَ الجليا

فلمّا بلغ قوله:

جرِّدِ السيْفَ وارْفَع العفْو حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
لا يغرّنْكَ ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الضلوع داءً دويـاً
بطن البُغْضُ في القديم فأضحى ثاوياً في قلوبهم مطْوياً

وهي طويلة، قال: يا سُديف، خُلق الإنسان من عجلٍ، ثم قال:

---

(١) زيد: هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قُتل في أيام هشام بن عبد الملك، والقتيل هنا: هو حمزة بن عبد المطلب، قتله وحشيّ غلام جبير بن مطعم يوم أحد. المهراس: ماء بنجد.

(٢) الإمام: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية صبراً.

(٣) الأود: الكدّ والتعب والجهد. (٤) الزمع: شبه الرّعدة التي تأخذ الإنسان.

(٥) الكفركوبات: لعلّه اسم أعجمي لآلات يُضرب بها كالعمد وغيرها.

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سلفُوا		فلــــنْ تبيدَ وللآبـــاء أبنـــاءُ

ثم أمر بمن عنده منهم فقُتلوا. (٣٤٨/٤)

(٦٨)

قال هارون حدَّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْريّ قال حدَّثني عمِّي عبد العزيز بن إسماعيل قال: مدح ابنُ هرْمة محمد بن عِمْران الطَّلْحيّ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبيح، فاحتجب عنه؛ فمدح محمد بن عبد العزيز؛ وكان ابن هرْمةَ مريضاً، فقال قصيدته التي يقول فيها:

إنِّي دعــوتُكَ إذْ جُــفيتُ وشــفَّني		مرضٌ تضاعفني شـديدُ المُشْتكى

وحُبِستُ عن طلب المعيشة وارتقتْ		دوني الحـوائــجُ في وُعورِ المرْتقى

فـأجِبْ أخـاك فـقـد أنافَ بصـوته		ياذا الإخـــاء وياكـــريم المُرْتجى

ولقـد حُفـيتَ صـبـيب عكَّةِ بيْتنا		نوْباً ومزْتُ بصـفْوة عـنك القـذى(١)

فـخُـذ الغنيـمـةَ واغـتنمني إنَّني		غُنْمٌ لمـثلك والمكـارمُ تُشْـتَـرى

لا تـرْمينَّ بحـــاجتي وقضـــائها		ضرْحَ الحجاب كما رمى بي مَنْ رمى(٢)

فركِب إلى جعفر بن سُليمان نصفَ النَّهار؛ فقال: ما نزعك يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أرَ فيها أحداً أكْفى منِّي. قال: وما هي؟ قال: قد مدحني ابن هرْمةَ بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقي مائة دينار.، قال: ومنْ عندي مثلُها قال: ومن الأمير أيضاً؛ قال: فجاءت المائتا الدينارِ إلى ابن هرْمةَ، فما أنفق منها إلاَّ ديناراً واحداً حتَّى مات، وورث الباقي أهلهُ. (٣٧٣/٤)

(٦٩)

وقال أحمد بن أبي خيْثمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال: امتدح ابنُ هرْمةَ أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تقعُ منِّي هذه. قال: ويحكَ! إنَّها كثيرة. قال: إنْ أردتَ أن تهنئني فأبِحْ لي الشرابَ فإنِّي مُغْرَمٌ به. فقال: ويْحكَ! هذا حدٌّ من حُدود الله. قال: احْتلْ لي يا أمير المؤمنين. قال نعم. فكتب إلى والي المدينة: مَنْ أتاك بابن هرْمةَ سكرانَ فاضْربْه مائةً واضرْب ابن هرمة ثمانين. قال: فجعل الجِلْوازُ إذا مرَّ بابن هرمة سكران، قال: مَنْ يشتري الثمانين بالمائة! (٣٧٥/٤)

(١) حُفيت: أعطيت، والعكَّة: زُقيق صغير للسمن والعسل، والنوب: العسل.

(٢) الضرح: أن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا ابن رُبيح راويةُ ابن هرْمة قال: أصابتِ ابنَ هرْمة أزمةٌ؛ فقال لي في يومٍ حارٍ: اذهبْ فتكار حمارَيْنِ إلى ستّةِ أميال، ولم يسمِّ موضعا. فركبَ واحداً وركبتُ واحداً، ثم سرْنا حتى صرْنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطْحاءِ ابنِ أزْهر، فدخلنا مسجده. فلمّا مالتِ الشمسُ خرج علينا مُشْتملاً على قميصه، فقال لمولىً له: أذِّنْ فأذّن، ولم يكلّمنا كلمةً. ثم قال: له: أقِمْ فأقام، فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هرْمةَ فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجتك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي، أبياتٌ قلتُها - وقد كان عبدُ الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدُوه شيئاً فأخلفوه - فقال هاتها. فقال:

أمّا بنو هاشمٍ حوْلي فقد قرعُوا ... نبْلَ الضِّباب التي جَمّعْتُ في قَرَنِ(١)

فما بيثْربَ منهم مَنْ أعاتبُه ... إلاّ عوائدَ أرجوهنَّ من حسنِ

اللهُ أعطاكَ فضلاً مِنْ عطيّتِهِ ... على هَنٍ وهنٍ فيما مضى وهنِ(٢)

قال: حاجتَك! قال: لابن أبي مُضرِّسٍ عليّ خمسون ومائةُ دينارٍ. قال: فقال لمولى له: يا هيْثم، اركَبْ هذه البغلةَ فأتني بابن أبي مُضرِّس وذكْرِ حقِّه. قال: فما صلّينا العصر حتّى جاء به. فقال له: مرحباً بك يابنَ مُضرِّس، أمعك ذِكْرُ حقِّك(٣) على ابن هرمة قال نعم. قال: فامْحُه، فمحاه. ثم قال: يا هيثم، بع ابنَ أبي مُضرِّس من تمر الخانقين(٤) بمائة وخمسين ديناراً وزِدْه على كلِّ دينار ربعَ دينار، وكِل ابنَ هرمة بخمسين ومائةِ دينارٍ تمراً، وكل ابنَ رُبيح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسّيالة، وقد بلغه الشعرُ، فغضب لأبيه وعُمومته فقال: أي ماصُّ بظْرِ أمّه! أنت القائل: على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهنِ

فقال: لا والله! ولكنّي الذي أقول لك:

لا والذي أنتَ منه نعمةٌ سلفتْ ... نرجو عواقبها في آخرِ الزّمَنِ

---

(١) الضّباب: الأحقاد.

(٢) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، وقد كرّرها الشاعر ثلاثاً لأنّه أراد ثلاثة أشخاص معينين.

(٣) ذكر الحقّ: الصكّ الذي يُكتب فيه الدّين.

(٤) الخانقان: موضع بالمدينة وهو مجمع أوديتها الثلاثة: بطحان والعقيق وقناة.

لقد أتيتُ بأمرٍ ما عمدتُ له ... ولا تعمَّده قولي ولا سنني

فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً ... وقد رميتُ بريءَ العُودِ بالأُبَنِ

ما غيَّرتْ وجهه أمٌّ مُهجَّنةٌ ... إذا القتامُ تغشَّى أوجهَ الهُجُنِ

قال: وأمُّ الحسن أمّ ولد. (٤/٣٧٥)

(٧١)

قال هارون: فحدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عباية قال: لمَّا قال ابنُ هرْمةَ هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبدُ الله بن حسن: والله ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أخويَّ: حسنٍ وإبراهيم. وكان عبدُ الله يُجْري على ابن هرْمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه. فأتاه يعتذر، فنُحِّي وطُرِدَ؛ فسأل رجالاً أن يكلِّموه، فردَّهم؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم مرَّ عشيةً وعبدُ الله على زرْبيَّة في ممرّ المنبر، ولم تكن تُبْسَطُ لأحدٍ غيره في ذلك المكان. فلمَّا رأى عبدَ الله تضاءل وتقنْفذَ وتصاغر وأسرع المشي. فكأنَّ عبد الله رقَّ له، فأمر به فَرُدَّ عليه، فقال: يا فاسقُ، ياشاربَ الخمر، على منٍ وهنٍ! أتُفضِّل الحسن عليَّ وعلى أخويَّ! فقال: بأبي أنت وأمّي! وربِّ هذا القبر ما عنيتُ إلاَّ فرعونَ وهامانَ وقارونَ، أفتغضب لهم! فضحك وقال: واللهِ ما أحسبك إلاَّ كاذباً. قال: والله ما كذبتُك. فأمر بأن تُردَّ عليه جرايته. (٤/٣٧٧)

(٧٢)

قال ابن هرمة: ما رأيتُ أحداً قطُّ أسْخى ولا أكرم من رجلين: إبراهيم بنِ عبد الله بن مُطيع، وإبراهيم بن طلْحة بن عمرو بن عبد الله بن معْمر. أمَّا إبراهيم ابن طلحة فأتيتُه فقال: أحْسِنوا ضيافةَ أبي إسحاق، فأتيتُ بكلِّ شيء من الطعام، فأردت أن أنْشِده؛ فقال: ليس هذا وقتَ الشعر. ثم أخرج الغلامُ إليَّ رُقْعةً فقال: ائتِ بها الوكيل. فأتيتُه بها، فقال: إنْ شئتَ أخذتُ لك جميعَ ما كتب به، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة. قلت: وما أمر لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جمَّالٌ ومِظلَّة وما تحتاج إليه، وقُوتُك وقوتُ عيالك سنةً، قلت: فأعْطني القيمة: فأعطاني مائتي دينار. وأمَّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه في منزله بمُشاش[1] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفّان؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليَّ برزْمة من ثياب وصُرَّة من دراهم ودنانير وحُليّ، ثم قال: لا والله مابقيْنا في منزلنا ثوباً إلاَّ ثوباً نُواري به امرأةً، ولا حلْياً ولا ديناراً ولا درهماً. وقال يمدح إبراهيم:

---

(١) مُشاش: موضع بين ديار بني سليم وبين مكة، وبينه وبين مكة نصف مرحلة.

أرِقَتْني تلومُني أمُّ بكرٍ ... بعد هدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤْنيني(١)
حذَّرتْني الزمانَ ثُمَّتَ قالتْ ... ليس هذا الزمانُ بالمأمون
قلتُ لمّا هبتْ تُحذِّرني الدَّهْـ ... ـرَ دعي اللَّوْمَ عنكِ واسْتبقيني
إنَّ ذا الجودِ والمكارم إبرا ... هيمَ يغْنيه كلُّ ما يعْنيني
قد خبرْناه في القديم فألفيْـ ... ـنا مواعيده كعيْنِ اليقين(٢)
قلتُ ما قلتُ للذي هو حقٌّ ... مستبينٌ لا للذي يُعْطيني
نضَحتْ أرضنا سماؤك بعد الـ ... ـجدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنون(٣)
فرعيْنا آثارَ غيْثٍ هراقتْـ ... ـهُ يدا مُحْكَمِ القُوى ميمونِ ... (٣٨١/٤)

(٧٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهْريّ عن ابن زُرَيْق، وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس بن محمد وكان من أرْوى الناس، قال: كنتُ مع السَّريّ بن عبد الله باليمامة، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هرْمةَ ويُحبُّ أن يفِدَ عليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يكلِّفني من المؤونة مالا أطيقُ. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة، فكره أن يقْدَم عليه إلاّ بكتاب منه؛ ثم طُلِبَ فشخص إليه، فنزل عليّ ومعه راويتُه ابنُ رُبيْح. فقلتُ له: ما منعك من القُدوم على الأمير وهو من الحِرْص على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال: الذي منعه من الكتاب إليّ. فدخلتُ على السَّريّ فأخبرتُه بقدومه؛ فسرَّ بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً، ثم أذِن لابن هرْمةَ فدخل عليه ومعه راويتُه ابن رُبيْح. وكان ابن هرْمة قصيراً دميماً أُرَيْمصَ(٤)، وكان ابنُ رُبيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب. فسلَّم على السَّريّ ثم قال له: أصلحك اللهُ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك. فقال: أنْشِدْ؛ فقال: هذا يُنشد فجلس فأنشده ابن رُبيْح قصيدته التي أوّلها:

عُوجا على ربْعِ ليلى أمِّ محمودِ ... كيما نُسائله من دون عبُّودِ(٥)
عن أمِّ محمودَ إذ شطَّ المزارُ بها ... لعلَّ ذلك يشْفي داءَ معمودِ(٦)
فعرِّجا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ ... شمسُ النهارِ ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ(٧)

---

(١) الهدء: نوم العيون والهدوء الذي يعمّ بعد النوم. (٢) خبرناه: جرّبْناه.
(٣) نضحت: أمطرت، ويريد بها هنا العطاء، وسماؤك: هنا جودك وكرمك.
(٤) أريمص: تصغير أرمص، والرَّمَص: ما سال ممّا تلفظ به العين. (٥) عبّود: جبل ما بين المدينة والسيالة.
(٦) المعمود: مَنْ هدَّه العشق. (٧) التغوير: النزول وقت القائلة.

شيئاً فما رجعتْ أطلالُ منزلةٍ قفرٍ جواباً لمحزون الجوى مُودي(١)

ثم قال فيها يمدح السريّ:

ذاك السُّريُّ الذي لولا تدفُّقُهُ بالعُرْف مُتْنا حليفُ المجد والجودِ
مَنْ يعْتمدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتدياً لسيْبِ عُرْفك يعْمدْ خيرَ معمودِ(٢)
يابنَ الأساة الشُّفاة المُسْتغاث بهمْ والمُطْعمينَ ذُرى الكُومِ المقاحيدِ(٣)
والسَّابقين إلى الخيرات قومُهُم سبْقَ الجياد إلى غاياتها القُودِ(٤)
أنت ابنُ مُسْلَنْطحِ البطحاء منبِتُكمْ بطحاءُ مكّةَ لا روسُ القراديدِ(٥)
لكُمْ سقايتُها قدْماً ونَدْوتُها قد حازها والدٌ منكُم لمولودِ
لولا رجاؤك لم تعْسِفْ بنا قُلُصٌ أجوازَ مهْمهةٍ قفرِ الصُّوى بيدِ(٦)
لكنْ دعاني وميضٌ لاح معترضاً من نحو أرضك في دُهْمٍ مناضيدِ(٧)

وأنشده أيضاً قصيدةً مدحه فيها، أوّلها:

أفي طللٍ قَفْرٍ تحمّلَ أهلُهُ وقفتَ وماءُ العينِ ينْهَلُّ هاملُهْ
تسائل عن سلْمى سفاهاً وقد نأتْ بسلْمى نوىً شُحْطٌ فكيف تُسائلُهْ
وترجو ولم ينطقْ وليس بناطقٍ جواباً مُحيلٌ قد تحمّلَ أهلُه(٨)
ونُؤْيٌ كخطِّ النُّونِ ما إن تبينُهُ عفتْه نيولٌ من شمالٍ تُذايلُهْ(٩)

ثم قال فيها يمدح السُّريّ:

فقُلْ للسُّريِّ الواصلِ البرْذي النّدى مديحاً إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائلُهْ

---

(١) المودي: الهالك. (٢) يعمد: يقصد.

(٣) ذرى: جمع ذروة، وذروة كلّ شيء أعلاه، والكوم: الضخام، والمقاحيد: جمع مقحاد وهي الناقة العظيمة السنام.

(٤) القود: جمع أقود، وهو من الخيل الطويل العنق.

(٥) اسلنطح الوادي: اتّسع، والقراديد: جمع قردود وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ.

(٦) العسف: السير في المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية، والصوى: الأعلام من الحجارة تنصب في الفيافي يُستدلّ بها على الطريق، والأجواز: بمعنى جاز المكان إذا قطعه، والطوى: ما يطوى من البلاد، والدهم: السود.

(٧) مناضيد: متراكبة بعضها فوق بعض، يريد سُحباً هذا وصفها. (٨) المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيّرته.

(٩) نيل الريح: ما انسحب منها على الأرض، وتذايله: تجرّ عليه نيولها.

جـوادٌ علـى العـلاّتِ يهتزُّ للنّدى   كما اهتزَّ عضْبٌ أخلصتْه صياقلُهْ(١)
نفى الظُّلْمَ عن أهل اليمامةِ عدلُه   فعاشُوا وزاح الظّلْمُ عنهم وباطلُهْ(٢)
وناموا بأمْنٍ بعد خوفٍ وشِدّةٍ   بسيرةِ عدْلٍ ما تُخافُ غوائلُهْ
وقد علم المعروفُ أنّك خِدْنُه   ويعلم هذا الجوعُ أنّك قاتلُهْ
بك الله أحيا أرضَ حجْرٍ وغيرها   من الأرض حتّى عاش بالبقْلِ آكلُهْ
وأنت تُرجّى للذي أنت أهلُه   وتنفع ذا القُرْبى لديك وسائلُهْ

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله: عُوجا نُحيِّ الطُّلولَ بالكُثُبِ(٣)

يقول فيها يمدحه:

دعْ عنك سلْمى وقُلْ مُحبَّرةً   لماجدِ الجدِّ طيِّب النَّسَبِ(٤)
محْضٍ مُصفّى العُروقِ يحمده   في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ
الواهبِ الخيْلَ في أعنّتها   والوُصفاءَ الحسانَ كالذّهبِ
مجداً وحمداً يُفيدُهُ كرماً   والحمد في الناس خيرُ مكْتَسبِ

قال: فلما فرغ ابن رُبيْح، قال السَّريُّ لابن هرْمةَ: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً. قال: (لا!) بل حُرّاً كريماً وابنَ عمّ، فماذاك؟ قال: ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنتُه، ولا صديقاً إلاّ كلّفته - قال أبو يحيى: يقول لي ابن زُرَيْق: حتّى كأنّ له ديّانا وعليه مالاً - فقال له السَّريّ: وما دينُك؟ قال: سبعمائة دينار. قال: قد قضاها الله عزّوجلّ عنك، قال فأقام أيّاماً، ثُمّ قال لي: قد اشتقتُ. فقلت له: قل شِعْراً تشوّقُ فيه. فقال قصيدته التي يقول فيها:

أألحمامةُ في نخل ابن همداج   هاجتْ صبابة عاني القلب مُهْتاج
أم المُخْبِرُ أنّ الغيثَ قد وضعتْ   منه العشارُ تماماً غير إخْداج(٥)
شقّت سوائفُها بالفرْش من ملل   إلى الأعارفِ من حَزْنٍ وأولاج(٦)
حتّى كأنّ وُجوهَ الأرض ملْبسةٌ   طرائفاً من سدى عصْبٍ وديباج

---

(١) العضب: السيف، والصياقل: الحدّادون.   (٢) زاح: ذهب.

(٣) الكثب: موضع بديار بني طيّ.   (٤) المحبّرة: القصيدة التي أجيد صُنعها.

(٥) أخرجت الناقة: ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام.

(٦) شقّت: انفطرت عن النبات، والسوائف: جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجلد أو جانب من الرمل ألين ما يكون، والفرش: واد بين غميس الحمام وملّل، والأعارف: جبال باليمامة، والحزن: ما غلظ من الأرض، والأولاج: ما غمض من الأرض.

أمّا السَّريُّ فإنّي سوف أمدحُه   ما المادحُ الذاكرُ الإحسانِ كالهاجي
ذاك الذي هو بعد الله أنقذني   فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي
ليثٌ بحَجرٍ إذا ما هاجه فزعٌ   هاجَ إليه بإلجامٍ وإسْراجِ
لأحبونَّكَ مما أصطفي مِدَحاً   مُصاحباتٍ لعُمَّارٍ وحُجَّاجِ
أسْدي الصنيعةَ من برٍّ ومن لطفٍ   إلى فروعٍ لباب المُلكِ ولاَّجِ
كَمْ مِن يدٍ لكَ في الأقوامِ قد سلَفَتْ   عند امرئٍ ذي غِنى أو عند مُحتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه، ومائةِ دينارٍ يتجهَّز بها، ومائة دينارٍ يُعرِّض بها أهله. ومائة دينار إذا قدم على أهله. (٣٨٢/٤)

(٧٤)

أخبرني الحرميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليِّ بن هرْمةَ قال: قال ابن هرْمة:

ومهما ألامُ على حُبِّهِمْ   فإنِّي أحبُّ بني فاطمهْ
بني بنت مَنْ جاء بالمُحْكماتِ   والدِّين والسُّنَّةِ القائمهْ

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله: مَنْ قائلُها؟ فقال: مَنْ عضَّ بظْر أمِّه. فقال له ابنهُ: يا أبت، ألستَ قائلها؟ قال بلى. قال: فلِمَ شتمت نفسك؟ قال: أليس أن يعضَّ المرءُ بظْرَ أمِّه خيراً من أن يأخذه ابن قحْطبة؟!(١). (٣٨٧/٤)

(٧٥)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْروية قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني المُسيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدثني ابراهيم بن سكرة جارُ أبي ضمْرةَ قال: جلس ابن هرْمةَ مع قومٍ على شراب، فذكر الحكم بن المطلّب فأطنبَ في مدحه. فقالوا له: إنّك لتُكثِر ذكر رجلٍ لو طرقته الساعةَ في شاةٍ يقال لها «غرا» تسأله إيَّاها لردَّك عنها. فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. وكانوا قد عرفوا أنَّ الحكم بها مُعْجبٌ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب. فخرج وفي رأسه مافيه، فدقَّ الباب فخرج إليه غلامُه. فقال له: أعْلمْ أبا مرْوان بمكاني - وكان قد أمرَ ألاّ يُحْجبَ إبراهيم بن هرْمة عنه - فأعلمه به، فخرج إليه متّشحا فقال: أفي مثل

(١) ينفي الشاعر نسبة البيتين إليه خوفاً من العقاب، وهو جزء من الأخطار التي يجلبها الشعر على الشاعر.

هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم جُعلتُ فداك، ولِد لأخ لي مولود فلم تدرّ عليه أمّه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَراء»، فسألني أن أسألكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقى في الدار شاة إلاّ انصرفتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهنّ. فخرج بهنّ إلى القوم، فقالوا: ويحكَ! أيُّ شيء صنعت! فقصَّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثر من عشرة. (٣٩٥/٤)

(٨٦)

وذكر الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب أن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحِب بني أمية بنهر أبي فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدح به بني هاشم؛ قال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تُمدحون به! فقال: هيهات أن يُمدح أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا:

مـا نقمُـوا مـن بني أميَّةَ إلا أنهم يحلُمُونَ إن غضبُوا

البيتين؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ: ألا أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصُّ كذا من أمّه! ثم أوْقع بهم. (٨٥/٥)

(٧٧)

أخبرني جعفر بن قدامة عن حمّاد عن أبيه قال: أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا ولَى الخلافة جائزةٌ لإبراهيم، فإنه قال يمدحه لمّا ولِي:

ألم ترَ أنَّ الشمسَ كانت مريضةً فلمَّـا ولِي هارونُ أشرق نُورُها

فألبِستِ الدّنيا جمالاً بوجهه فهارونُ واليها ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم. (٢٤٢/٥)

(٧٨)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيّوب المدينيّ عن أبي حُذافة قال: لمّا قال ابن هرْمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتـاع إلا قريبةَ الأجـل

قال ابن الكوْسَج مولى آل حُنين يجيبه:

ما يشرب الباردَ القراحَ ولا ينبح من جفْرةٍ ولا حملِ(١)

---

(١) الجفرة: من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش.

كـــأنّـــه قِـــرْدةٌ يــلاعبهـــا   قردٌ بأعلى الهضابِ من ملل

قال: فقال ابن هرْمة: لئن لم أوتَ به مربوطاً لأفعلنّ بآل حُنين ولأفعلنّ؛ فوهبوا لابن الكوْسج مائة درهم وربطوه وأتوْا به ابن هرْمة فأطلقه؛ فقال ابن الكوسج: والله لئن عاد لمثلها لأعودنّ. (٥/٢٦٤)

(٧٩)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع:

فِراقُـكَ مـثلُ فـراق الحـياةِ   وفـقـدُك مـثلُ افـتـقـاد الدِّيَمْ
عليك السلامُ فكم من وفـاءٍ   أفـارق فـيك وكـم مـن كـرَمْ

قال: فضمّني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلُح من الخارجين معنا، لأهديْتَ بذلك إليّ أنْساً وأنكرتني بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال يرد عليّ ومعه ألفُ دينار يصلُني بذلك كلما غُنّي بهذا الصوت. (٥/٣٠١)

(٨٠)

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال: لمّا ولي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُستنطقاً؛ فأنشدتُه:

لاح بالمـفْـرِقِ مـنك القتيرُ   ونوى غصنُ الشّباب النّضيرُ(١)
هزِئتْ أسـمـاءُ منّي وقـالتْ   أنت يابنَ الموصليّ كـبـيـر
ورأت شـيْباً برأسـي فصدّتْ   وابنُ سـتّين بشـيْبٍ جـديـرُ
لا يروعنّكِ شـيْبي فـإنّي   مع هذا الشّيب حلْوٌ مَـزيرُ(٢)
قـد يُفلُّ السـيفُ وهـو جُرازٌ   ويصُول الليثُ وهو عـقـيـرُ(٣)
يابني العبّاس أنتم شـفـاءٌ   وضـيـاءٌ للقلـوب ونـور

(١) المفرق: وسط الرأس، والقتير: الشيب، وقيل: هو أول ما يظهر منه.   (٢) المزير: الظريف.

(٣) الفَلّ: ثلم ينال حدَّ السيف، والجراز: الماضي القاطع، وعقير: مجروح.

أنتُم أهل الخلافةِ فينا ... ولكم منبرُها والسرير

لا يزال المُلك فيكم مدى الدَّهْـ ... ـرِ مُقيماً ما أقام ثبيرُ(١)

وأبو إسحاق خير إمام ... ما له في العالمين نظير

ماله فيما يريش ويبْري ... غير توفيق الإله وزير

واضح الغرةُ للخير فيه ... حين يبدو شاهدٌ وبشير

زانه هَدْيٌ تُقىً وجلالٌ ... وعفافٌ ووقارٌ وخير

لو تُباري جوده الريحُ يوماً ... نزعتْ وهي طليحٌ حسير(٢)

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة. ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غزاته، فأنشدتُه قولي فيه:

لأسماءَ رسمٌ عفا باللّوى ... أقامَ رهيناً لطول البلى

تعاورهَ الدهرُ في صرْفه ... بكرُ الجديدين حتى عفا

إذ البينُ لم تُخْشَ روعاتُه ... ولم يصرف الحيُ صرْفُ الرُّدى

وإذ ميْعة اللهو تجري بنا ... وحبلُ الوصال متينُ القُوى(٣)

فذلك دهرٌ مضى فابْكه ... ومَنْ ضاقَ ذرْعاً بأمرٍ بكى

وهل يشْفينك من غلّةٍ ... بكاؤك في إثْر ما قد مضى

إلى ابن الرشيد إمام الهدى ... بعثنا المطيَ تجُوب الفلا

إلى ملك حلَّ من هاشمٍ ... نؤابةَ مَجْدٍ منيفِ الذُّرى

إذا قيل أيُّ فتى هاشمٍ ... وسيّدُها كان ذاك الفتى

به نعش اللهُ آمالنا ... كما نعش الأرضَ صوْبُ الحيا

إذا ما نوى فِعْلَ أكْرُومةٍ ... تجاوز من جُوده ما نوى

كساه الإلهُ رداءَ الجمال ... ونورَ الجلال وهدْيَ التقى

قال: فأمر لي بجائزة. (٥/٣٠٢)

(٨١)

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبةَ قال حدّثني إسحاق قال:

---

(١) ثبير: من جبال مكة بينها وبين عرفة.

(٢) طليح: تَعِب هزيل، وحسير: كليل. (٣) ميعة اللهو: أوَّله.

دخلَ أعرابيٌ من بني سُلَيم سُرَّ مَنْ رأى - وكان يُكْنى أبا القنافذ - فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأذن له؛ فلمَّا مثل بين يديه أنشده:

مِراض العيونِ خماص البطون ... طــوال المتون قصار الخُطـا
عتاقَ النُّحورِ رقــاقُ الثغــور ... لطاف الخصور خدال الشَّوى(١)
عطــابيل مـن كلُّ رقراقـــة ... تلوث الإزارَ بدعْص النُّقــا(٢)
إذا هُـــنَّ منَّيْنـنـــا نائــلاً ... أبى البُخْلُ منهنَّ ذاكَ المُنى
إلى النُّفر البيض أهلِ البطاح ... وأهـلِ السَّـماحِ طلبنا النَّدى
لهــم ســطـواتٌ إذا هُيِّجــوا ... وحلمٌ إذا الجـهلُ حلَّ الحُبـا(٣)
يبين لك الخيــرُ فــي أوجــه ... لهم كـالمصـابيح تجلُو الدُّجى
سعى الناسُ كي يُدركوا فضلهم ... فقصَّـر عن سعيهم مَنْ سعى
سعى للخلافة فاقتادهــا ... وبرَّز في السَّـبْق لمَّا جـرى

قال: فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنَّيت فيها، وأمر للأعرابيِّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألف درهم؛ وما خرج الناس يومئذ إلاَّ بهذه الأبيات. (٥/٣٦٥)

(٨٢)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غنيْتُ الواثق في شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي، وهو:

يا حبذا ريحُ الجنوب إذا بدتْ ... في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ
قد حُمِّلت بردَ النَّدى وتحمَّلتْ ... عبقاً من الجثجاثِ والبسباسِ(٤)

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «ياحبذا ريحُ الجنوب»: «ياحبذا ريحُ الشَّمال»، ألم يكن أرقَّ وأعْذى وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وخامةً وأطيبَ للأنفس؟ فقلت: ما ذهب

(١) عتاق النحور: جميلاتها، والخدال: جمع خدلة وهي المرأة ذات الساق الغليظة المستديرة، والشوى: الأطراف.

(٢) العطابيل: جمع عطبولة وعطبول، وهي الجارية الفتية الممتلئة الطويلة العنق، والدعص: كثيب الرمل المجتمع.

(٣) الحُبا: جمع حُبوة، وهو الثوب الذي يحتبي به الإنسان، والاحتباء: ضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما، ويكنّى بحلّ الحباء عن القيام، ويكنّى بعقدها عن القعود، يريد أنَّ للممدوحين حلماً إذا استفزَّ أهل الجهل غضباً وطيشاً.

(٤) الجثجاث والبسباس: من نبات البادية، وأعذى: أطيب.

عليَّ ما قاله أميرُ المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعدُ؛ فقال: قل؛ فقلت:

ماذا تهيج من الصَّبابة والهوى   للصبِّ بعد ذهوله والياسِ

فقال الواثق: إنما استطبتَ ما تجيء به الجنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوب، وإليهم اشتقتَ لا إليها؛ فقلت: أجلْ يا أمير المؤمنين؛ وقمتُ فقبَّلتُ يده؛ فضحك وقال: قد أذنتُ لك بعد ثلاثة أيام، فامضِ راشداً؛ وأمر له بمائة ألفِ درهم. (٥/٤٠٦)

(٨٣)

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال: دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شفتيَّ تتحركان بشيء كنتُ أعمله؛ فقال: أتدعو أم تصنع ماذا؟ فقلتُ: بل أمدح؛ قال: قل؛ فقلت:

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جرى لنا   تجلّى لنا وجهٌ أغرُّ وسيمُ
علانيةٌ محمودةٌ وسريرةٌ   وفِعْلٌ يَسُرُّ المعتفينَ كريمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ، وقال: زد البيتين حُسناً بأن تصنعَ فيهما لحنا؛ فصنعتُ لحنا من الثقيل الثاني. (٥/٤٢٣)

(٨٤)

حدّثني الحسن بن محمد المادرانيّ الكاتب قال حدّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي - وليس خبره بتمام هذا - قال: طلب المنصور حمّاداً الراوية، فطُلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرفُوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجَّهوا إليه برسول يُشخصهُ. قال الرسول: فوجدتُه في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجانة وعلى سوأته رأس دستْجة(١)، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيت رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخصتُه إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هِفّان بن همّام بن نضْلة يرثي أباه؛ فأنشده:

خليليَّ عُوجا إنها حاجةٌ لنا   على قبر همّامٍ سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبْتغى   جداه إذا لم يحمد الأرضَ رائد
كريم الثَّنا حلو الشمائل بينه   وبين المزجَّى نفْنفٌ متباعد(٢)
إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن   عيياً ولا ثِقْلاً على من يقاعد

---

(١) إجّانة: آنية تُغسل فيها الثياب، ودستجة: الإناء الكبير من الزجاج، معرّب.

(٢) الثَّنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء. المزجّى: الضعيف. النفنف: المهواة بين الجبلين.

صبورٌ على العلاّت يُصبح بطنُه خميصاً وآتيه على الزاد حامد

وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حفيرة بُحرِّين قد راحتْ عليه العوائد(١)

صريعاً كنصل السيف تضربُ حوله ترائبهنَ المُعْولاتُ الفواقد

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه. (٨٠/٦)

(٨٥)

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسيّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بنُ أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديَّة يستخفُّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فذكر له حمادا الراوية، وكان صديقه، وكان مطَّرحاً مجفوّاً في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه. فأتى مطيع حمّاداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه؛ فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير. فأبى مطيعٌ إلاّ الذهابَ إليه، فاستعار حماد سوادا وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر. فلما دخل عليه سلّم عليه سلاما حسناً وأثنى عليه وذكر فضله؛ فردَّ عليه وأمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أنشِدني؛ فقال: لمن أيها الأمير؟ ألشاعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حمّاد: فسُلخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلا قوله:

بان الخليطُ برامتين فودَّعوا أو كلَّما اعتزموا لبيْن تجزَعُ(٢)

فاندفعتُ فأنشدتُه إياه، حتى انتهيتُ إلى قوله:

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العصا هلاّ هزئتِ بغيرنا يابَوْزَعُ

قال حمّاد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت، فأعدته؛ فقال: بوْزع، أيُّ شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة؛ فقال: امرأة اسمها بوْزع! هو بريء من الله ورسوله ونفيٌ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوْزع إلا غُولا من الغيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع؛ يا غلمان! قفاه؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا؛ ثم قال: جرُّوا برجله. فجرُّوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرَّق السواد وانكسر جفن السيف ولقيتُ شراً عظيماً مما جرى عليّ؛ وكان

---

(١) حرِّين: بلد قرب آمد.

(٢) رامتين: تثنية رامة، وهو منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة، وقيل هي هضبة أو جبل لبني دارم.

أغلظ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السُّواد وجفن السيف؛ فلما انصرفت أتاني مُطيع يتوجّع لي؛ فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأنَّ حظّي قد مضى مع بني أمية!(١).
(٨١/٦)

(٨٦)

حدّثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجحْظة قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران: دخل ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله؛ قال: وما عسى أن تقول فيّ بعد قول كعب الأشقريّ في المهلّب

براك اللهُ حين براك بحراً   وفجّر منك أنهاراً غزارا

فقال له: قد قُلت أحسنَ من هذا! قال: هات، فأنشده قوله:

له لحظات عن حفافيْ سريره   إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ(٢)

قال: فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقال له المهديّ: يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوها؛ فقال له المنصور: يابُنيّ، إني قد وهبت أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسه(٣)، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان:

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتجى   لِمُعْترِّ فِهْرٍ ومحتاجها(٤)
ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى   بإلجامها قبلَ إسراجها
أشارت نساءُ بني غالب   إليكَ به قبْلَ أزواجها   (١١٠/٦)

(٨٧)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال حدّثني عثمان بن حفص الثّقفي قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال: دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان،

---

(١) اختلط الشعر بموقف حمّاد السابق من بني أميّة، وحبه لهم، فكان ذريعة لجرّ البلاء عليه، وإيقاع الأذى به.

(٢) حفاف الشيء: جانبه.

(٣) غفر المنصور للشاعر مديحه السابق للبيت المرواني، واكتفى بإعطائه اليسير من المال، ورأى أنّ الواجب قتله بسبب ذلك الشعر الذي قاله سابقاً.

(٤) المعترّ: الفقير والمتعرّض للمعروف من غير أن يسأل.

فلما اجتمع الناس قام ابن هرْمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، شاعرك وصنيعتك(١) إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هات؛ فأنشده قوله:

سرى(٢) ثوبه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى انتهى إلى قوله:

له لحظاتٌ عن حفافيْ سريره إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ
فأمُّ الذي أمنتَ آمنةُ الردى وأمُّ الذي خوّفتَ بالثُكل ثاكل

فقال له المنصور: أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولك فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

قال: فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدر على الاعتذار؛ فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يليقُ شيئاً(٣)، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتب بذلك إلى صاحب الجاري(٤) أن يُجريها عليهم فعل؛ فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضباً عليه لقوله يمدح عبد الله بن حسن:

ما غيّرتْ وجهه أمٌّ مُهجَّنة إذا القتامُ تغشّى أوْجُهَ الهُجُنِ (٦/١١٠)

(٨٨)

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرّد قال حدثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدّثني محمد بن سليمان بن المنصور قال: وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألف دينار وخلعة، ووصفه له وقال: امض إليه؛ فإنك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له إلى بني أمية أو مواليهم، وسلْه أن يُنشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان:

---

(١) يضيف ابن هرمة إلى الشاعر وصفاً جديداً هو «الصنيعة» مع بقية الأوصاف التي رأيناها مثل: المضحك، وطالب نوال وغيرها.

(٢) سرى عنه الثوب: كشفه. (٣) لا يليق شيئاً: أي ما يمسكه ولا يلصق به.

(٤) صاحب الجاري: لعلّه الرجل الموكل بصرف المال.

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناحِ

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه(١)؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخلعة، وما أراه يُنشدك غيرها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدة قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياي مَنْ يُعاديني، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده: سرى ثوبه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له: هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ؛ فقال: أيُّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دفع إليّ؟ فقال: دعْ ذا عنك، فوالله ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلى ما حمّلك إياه.. فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمري؛ ودفع إليه الألف دينار والخِلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما. (١١٢/٦)

(٨٩)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنا عمّي عن جدّي قال: لما أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها.. فقال يابُني، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

لاستكثرتَ له ما استقللته، ولرأيتَ أنَّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير(٢). والله إني يا بُنيّ ما هممت له منذُ يومئذ بخير فذكرتُ قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهُمّ بقتله ثم أعفو عنه. فأمسك المهديّ. (١١٣/٦)

---

(١) يبدو أنّ هذه القصيدة ستظلّ تلاحق الشاعر في ظلّ العصر الجديد، ونراها تكاد تؤدي به إلى القتل لولاحسن تدبيره.

(١٦) هذا يؤكد ما ورد في النصوص السابقة من ملاحقة القصيدة للشاعر، وما يراه الخليفة في الربح الكبير الذي أنعم به عليه الذي يتمثّل في عدم قتله.

(٩٠)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدّثني أبي عن الهيثم بن عديّ عن ابن عياش قال: لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة(١) إلى مقابر قريش(٢)، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع، انظُر مَنْ في أهلي يُنشدني: أمِنَ المنون وريْبها تتوجّع حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي. قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لقلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدُّ عليّ من مصيبتي بابني. ثم قال: انظُر هل في القوّاد والعوامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإني أحبُّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها. فخرجتُ فاعترضت الناس فلم أجد أحداً يُنشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شِعْر أبي ذُؤيب فقلت: أنْشدني. فابتدأ هذه القصيدة العينيّة. فقلت له: أنت بُغْيتي. ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها. فلما قال:
والدهرُ ليس بمُعتب(٣) مَنْ يجزَعُ

قال: صدق والله. فأنْشدني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ؛ فأنشده، ثم مرَّ فيها. فلما انتهى إلى قوله:

والدهر لا يبْقى على حدثانه   جوْنُ السَّراة له جدائدُ أربعُ(٤)

قال: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمر الشيخَ بالانصراف. فاتّبعتُه فقلت له: أأمر لك أميرُ المؤمنين بشيء؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم.   (٦/٢٧٢)

(٩١)

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحّاك، فذكر نحواً منه. أخبرني الصّوليّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشْرس،

---

(١) يريد بالمدينة، بغداد.

(٢) مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة ومحلّة فيها خلق كثير، والمنصور أولُ مَنْ جعلها مقبرة لما بنى بغداد، وجعلها الخطيب في تاريخ بغداد (١/١٢٠)، من المقابر المخصوصة بالعلماء والزّهاد.

(٣) أعتبه: رجع إلى ما يرضيه وترك ما يسخطه.

(٤) جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، ويريد هنا حماراً. الجدائد: الأتن، واحدها جَدود وهي التي لا لبن لها.

قال الصُّوليّ وحدّثنيه عوْن بن محمد عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال: لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يُسمّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضّحاك، وكان من جلساء محمد المخلوع؛ فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

هلاّ بقيتَ لسدِّ فاقتنا   أبداً وكان لغيرك التّلفُ
فلقد خلفتَ خلائفاً سلفوا   ولسوْفَ يُعْوِز بعدك الخلفُ

لا حاجةَ لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق(٢٢). ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون. (١٤٨/٧)

(٩٢)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن زيد المهلّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال: لستَ تطرحُ على جواريّ وغلماني ما أستجيدُه! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجيء بالدفاتر واخْترْ منها ما شئتَ حتى ألقيه عليهم؛ فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه، فمرّ به شعر الحسين بن الضّحاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو:

أطِلْ حزناً وابْكِ الإمامَ محمدا   بحزن وإن خفْتَ الحُسامَ المهنّدا
فلا تمّتِ الأشياءُ بعد محمدٍ   ولا زال شملُ الملك منها مُبدّدا
ولا فرح المأمونُ بالملك بعده   ولا زال في الدنيا طريداً مشرّدا

فقال لي صالح: أنت تعلم أنّ المأمون يجيء إليّ في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسكّين فجعل يحكُّه؛ وصعد المأمونُ من الدّرجة ورمى صالح الدفتر. فقال المأمون: يا غلام الدفتر فأتي به، فنظر فيه ووقف على الحكّ فقال: إن قلت لكم: ماكنتم فيه تصدّقوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك: ابعث فجيء بدفاترك ليتخيّر ما تطرح.. فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكّه؛ قلنا: كذا كان. فقال: غنّه يا عمرو؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين ابن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر؛ فقال: وما يكون! غنّه فغنيّتُه؛ فقال: اردُدْه فرددتُه ثلاث مرات؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يضرُرْكَ عندي.

قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك، وكان نديمه وصديقه:

(٩٣)

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سوادةُ بن الفيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال: لمّا ولي المعتصمُ الخلافة سألني عن حسين بن الضحّاك، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم، فلما دخل وسلّم استأذن في الإنشاد فإذن له؛ فأنشده قوله:

هلاّ سألت تلذُّذ المُشتاق ومننْت قبل فراقه بتلاق
إنّ الرقيبَ ليستريبُ تنفُّساً صُعُداً إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة عبْرى عليك سخينةِ الآماق(١)
نفسي الفِداءُ لخائف مترقّب جعل الوداعَ إشارةً بعناق
إذ لا جوابَ لمُفْحَمٍ متحيّرٍ إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله:

خيرُ الوفود مبشّرٌ بخلافة خصّتْ ببهجتها أبا إسحاق
وافتْه في الشهر الحرام سليمةً من كل مُشْكلة وكلّ شقاق
أعطته صفقتها الضمائرُ طاعةً قبل الأكُفُ بأوكد الميثاق
سكن الأنامُ إلى إمام سلامة عفُّ الضمير مهذّبِ الأخلاق
فحمى رعيّته ودافع دونها وأجار مُمْلِقها من الإملاق

حتّى أتمّها. فقال له المعتصم: ادْن منّي فدنا منه؛ فملأ فمه جوهراً من جوهر كان بين يديه ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه، وأمر بأن يُنْظَم ويُدفعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله. فكان أحسن ما مُدح به يومئذ. وممّا قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال:

قُلْ للأُلى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسِّفين تعسُّف المُرّاقُ
إني أحذِّركم بوادر ضَيْغَمٍ دربٍ بحطْم موائل الأعناق(٢)
متأهّب لا يستفزّ جنانه زَجَلُ الرُّعُود ولا معُ الإبراق(٣)

---

(١) أراب الرجل: كان ذا ريبة. (٢) درب: متدرّب، ذو خبرة وتجربة.

(٣) زجل الرعود: يريد الرعود ذات الصوت المرتفع.

لم يبْقَ من متعرِّمين توثَّبوا   بالشام غيرُ جماجمٍ أفلاقِ(١)
من بين مُنْجدل تمُجّ عروقُه   علقَ الأخادع أو أسير وثاقِ(٢)
وثنى الخيولَ إلى معاقل قيصرٍ   تختال بين أحزَّةٍ ورقاقِ(٣)
يحملن كلَّ مُشمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ   ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداقِ(٤)
حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازلاً   والموتُ بين تراقبٍ وتراقِ(٥)
هرَّت بطارقُها هريرَ قساورٍ   بُدِهَتْ بأكْرهِ منظرٍ ومذاقِ(٦)
ثم استكانت للحصار ملوكُها   ذُلّاً وناطَ حلوقَها بخناقِ(٧)
هربتْ وأسلمتِ الصليب عشيَّةً   لم يبْقَ غيرُ حشاشةِ الأرماقِ

قال: فأمر له المعتصم لكلِّ بيت بألف درهم(٨)، وقال له: أنت تعلم يا حسين أنَّ هذا أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا. فقبَّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه. (١٥٢/٧)

(٩٤)

أخبرني محمد بن يحيى الخراسانيّ قال حدّثني محمد بن مُخارق قال: لمَّا بُويع الواثقُ بالخلافة ودخل عليه الحسين بن الضَّحاك فأنشده قصيدته التي أوّلها:

ألم يَرُعْ الإسلامَ موتُ نصيره   بلى حقّ أن يرتاع مَن مات ناصرُهْ
سيُسْليكَ عمَّا فات دولةُ مُفْضِلٍ   أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ
ثنى الله عطفَيْه وألَّفَ شخصه   على البرِّ مُذْ شُدَّت عليه مآزِرُه
يصبُّ ببذْل المال حتى كأنما   يرى بذله للمال نهْباً يُبادرُه(٩)
وما قدّم الرحمنُ إلاّ مقدَّماً   موارده محمودةٌ ومصادره

---

(١) المتعرِّمون: ذوو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخلق. (٢) العلق: الدم. الأخادع: عروق في العنق.
(٣) الأحزَّة: جمع حزيز، وهو الغليظ من الأرض. الرقاق: المستوى اللّيِّن من الأرض.
(٤) متغشِّم: غضوب. أهرت: واسع، وتوصف الأسود بذلك.
(٥) التراقب: عظام الصدور، وفوقها التراقي، مفردها ترقوة.
(٦) هرَّت: صوَّتت. القساور: الشجعان والأعزّة والأشدّاء من الرجال. بُدِهَتْ: بغتت.
(٧) الخناق: ما يُخنق به من حبل أو وتر ونحوه.
(٨) بدأت هذه الظاهرة منذ العصر الأموي، وهي عدُّ أبيات القصيدة، وإعطاء مبلغ من المال لكلِّ بيت، وقد أشرنا سابقاً إلى انتشارها في العصر العباسي، ونرى المعتصم يصنع هذا، وقبله الرشيد وغيرهما.
(٩) وصب بالشيء: كلف به وولع.

فقال الواثق: إن كان الحسين لينطقَ عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة. ثم أمر بأن يُعطي لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم(١). فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان، منها لعريبَ من طريقة الثقيل الأوّل. (١٥٦/٧)

(٩٥)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنّا مع الواثق بالقاطُول(٢) وهو يتصيّد؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزَّوّ(٣) من الإوزّ والدُّرّاجِ وطيرِ الماء وغير ذلك؛ ثم رجع فتغدّى، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرب وقال: من يُنشدنا؟ فقام الحسين بن الضحّاك فأنشده:

سقى اللهُ بالقاطُول مسْرحَ طرفكا ... وخصّ بسُقياه مناكبَ قصركا

حتى انتهى قوله:

تخيّنْ للدُّرّاج في جنباته ... وللغُرِّ آجالٌ قُدِرْنَ بكفِّكا
حُتُوفاً إذا وجّهْتهنّ قواضباً ... عجالاً إذا أغريتهنّ بزجركا
أبحتَ حماماً مُصْعِداً ومُصوِّباً ... وما رِمْتَ في حاليك مجلسَ لهوكا(٤)
تصرُّف فيه بين نايٍ ومُسْمِعٍ ... ومشمولةٍ من كفّ ظبيٍ لسقْيكا(٥)
قضيتَ لُباناتٍ وأنت مخيِّمٌ ... مُريحٌ وإن شطّتْ مسافةُ عزْمكا
وما نال طيبَ العيش إلاّ مُودَّعٌ ... وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدّكا

فقال الواثق: ما يعدل الراحةَ ولذّةَ الدَّعة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خُلقتَ أمينَ الله للخلق عصمةً ... وأمْناً فكلٌّ في ذراك وظلِّكا
وثقْتَ بمن سمّاك بالغيب واثقاً ... وثبّت بالتأييد أركانَ ملْككا
فأعطاكَ مُعْطيك الخلافةَ شكرها ... وأسعدَ بالتقوى سريرةَ قلبكا
وزادك من أعمارنا، غير منّةٍ ... عليك بها، أضعافَ أضعافِ عمركا

---

(١) يشبه هذا ما رأيناه في النصّ السابق، حيث يأمرَ الخليفة بأبيات القصيدةأن تُعدّ، ويعطي مالاً لكلّ بيت، وما هو الواثق يصنع صنيع أسلافه، فيعطي الشاعر وفق ذلك المقياس.

(٢) القاطول: اسم نهر كأنّه مقطوع من دجلة، حفره الرشيد وبنى على فوهته قصراً سمّاه أبا الجند.

(٣) الزوّ: نوع من السفن كان منتشراً في العصر العباسي.

(٤) رام المكان: زال عنه وفارقه. (٥) المشمولة: الخمر الباردة.

ولا زالت الأقـــدارُ في كـلّ حـــالةٍ عُداةً لمن عـــاداك سِلْمــا لسلمكا
إذا كنتُ مـن جَدْواك في كـل نعمــةٍ فلا كنتُ إن لم أفْنِ عمري بشـكركا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخْصرةٍ كانت في يده، وقال: لله درُّك يا حسين! ما أقرب قلبك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودُك يُنطق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلاّ مسروراً! ثم أمر له بخمسين ألف درهم. (١٥٨/٧)

(٩٦)

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خلف بن المرْزبان، وألفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خلف وكيع عن آخره وقصّةِ وصوله إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك. قال: وحدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ـ ولم يقل وكيع: عن أبيه ـ واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثُه أتمّ، قال: كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل إليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها؛ فظنّها له فقال: هاتِ؛ فأنشده(١):

أجِرْني فإنّي قد ظمِئتُ إلى الوعد متى تُنجزُ الوعدَ المؤكَّدَ بالعهد
أعيذُكَ من خُلْف الملوك وقد بدا تَقطُّعُ أنفاسي عليك من الوجد
أيبْخَلُ فردُ الحسن عنّي بنائلٍ قليلٍ وقد أفردتُه بهوىً فردِ

إلى أن بلغ إلى قوله:

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبدِ
ألا إنّما المأمونُ للناس عصمةٌ مميِّزةٌ بين الضَّلالةِ والرُّشْدِ

فقال المأمون: أحسنتَ يا عبد الله! فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن قائلُها! قال: ومن هو؟ فقال: عبدُك حسين بن الضّحاك؛ فغضبَ ثم قال: لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنْعم به عيناً! أليس القائلَ:

أعينيَّ جُودا وابكيا لي محمدا ولا تذْخرا دمعاً عليه وأسْعدا
فلا تمّتِ الأشياءُ بعد محمد ولا زال شملُ الملك فيه مبدَّدا
ولا فرح المأمونُ بالملك بعده ولا زال في الدّنيا طريداً مشرَّدا

---

(١) مرّ في نصّ سابق، كراهة المأمون لتقريب هذا الشاعر بسبب مدحه الأمين، وهنا يعيد ما قاله سابقاً مع تغيير جذري مثلما سنرى.

هذا بذاك! ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البوّاب: فأين فَضْلُ إحسان أمير المؤمنين وسعةُ حلمه وعادته في العفو! فأمر بإحضاره. فلمّا حضر سلّم، فردّ عليه السلاَم ردّاً جافياً! ثم أقبل عليه فقال: أخْبِرني عنك: هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمد هاشميةٌ قتلت أو هُتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

وسِرْب ظباءٍ من ذُؤابةِ هاشمٍ هتفْنَ بدعوى خير حيٍّ وميِّتِ
أرُدُّ يداً مِنّي إذا ما ذكرتُه على كبدٍ حرّى وقلبٍ مفتَّتِ
فلا بات ليلُ الشامتين بغبْطةٍ ولا بلغتْ آمالُهم ما تمنَّتِ

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرتْني؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني، وسيّد فقدتُه فأقلقني. فإن عاقبتَ فبحقّك، وأن عفوت فبفضلك(١). فدَمَعتْ عينا المأمون وقال: قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك. (١٦٥/٧)

(٩٧)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عوْن بن محمد قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال: غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ، فقال: والله لأودِّبنَّه! وحجبني أياماً. فكتبت إليه:

غضبُ الإمام أشدُّ من أدبِهْ وقد استجرْتُ وعُذْتُ من غضبِهْ
أصبحتُ معتصماً بمعتصمٍ أثنى الإلهُ عليه في كُتُبه
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً أرجو النجاةَ به سوى سببه
مالي شفيعٌ غيرُ حُرْمته ولكلٌّ من أشْفى على عطبه

قال: فلمّا قُرئ عليه التفت إلى الواثق ثم قال: بمثل هذا الكلام، يُسْتَعْطف الكرام! ما هو إلاَّ أن سمعتُ أبيات حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه. فقال له الواثق هو حقيقٌ بأن يُوهبَ له ذنبه ويُتجاوز عنه. فرضي عنّي وأمر بإحضاري. (١٦٧/٧)

---

(١) يقدّم الشاعر حُججاً مقنعة لما قاله من الشعر، فلقد رأى البناء ينهار، والسيّد الذي يحبّه يُقتل، فلم يكن أمامه سوى الشعر يبثّه لوعته، فكان أن قال ما قال، ويتأثر المأمون بهذه الحجج، فيعفو بحذر، ويصفح بلا تقريب له.

(٩٨)

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وقال حدّثني محمد بن أبي عوْن قال: حضرتُ المتوكّل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للمنادمة، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر، وقال لحسين: قل في هذا شيئاً؛ فقال:

وكالدُّرَّة البيضاءِ حيّا بعنبرٍ ... وكالورد يسْعى في قراطقَ كالورْد(١)
له عبثاتٌ عند كلّ تحيّة ... بعينيه تستدعي الحليمَ إلى الوجد
تمنيْتُ أن أُسقى بكفّيْه شربةً ... تُذكُرني ما قد نسيتُ من العهد
سقى الله عيشاً لم أبِتْ فيه ليلةً ... من الدُهر إلاّ من حبيب على وعد

فقال المتوكل: يُحمل إلى حسين لكل بيت مائةُ دينار. فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجِّب وقال: لم ذاك يا أمير المؤمنين! فوالله لقد أجاب فأسرع، وذكّر فأوجع، وأطرب فأمتع؛ ولولا أنّ يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد. فخجل المتوكّل وقال: يُعطى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار(٢). وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوْكبيّ قال حدّثنا بشْر بن محمد قال وحدّثني علي بن الجهْم: أنه حضر المتوكّل وقد أمر شفيعاً أن يسقي حسينَ بن الضحّاك؛ وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره. (١٧١/٧)

(٩٩)

حدّثني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني عبد الله بن المؤمل العسكريّ قال: لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ جلسَ للناس ودخل إليه المهنئون والشعراءُ فمدحوه وهنّئوه؛ ثم استأذن حسينُ بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد، وكان من الجُلساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء فأذن له؛ فأنشده قوله:

أكاتم وجْدي فما يَنكتمْ ... بِمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنّي على حسن ظنّي به ... لأحْذَر إن بُحْتُ أن يحْتَشِمْ
ولي عند لحْظته روْعةٌ ... تُحقّق ما ظنّه المُتّهِمْ

---

(١) القراطق: جمع قرطَق، جاء في اللسان(١٠/ ٣٢٣)، «هو تعريب كُرْته، وهو القباء».

(٢) تتكرّر ظاهرة إعطاء المال لكل بيت في القصيدة، مع الإشارة إلى ما ورد في النصّ من أنّ ابن طاهر يرى أنّ ما مُنح قليل. ويطلب المزيد للشاعر للأسباب التي ذكرها.

وقــد عـلـم النـاسُ أنّي لـــه مُحِبٌّ وأحــــســـبُه قـــد علِمْ
وإنّـــي لَمُفْـضٍ علـى لـوعـــةٍ من الشـوق في كبـدي تضْطرم
عـــشـــيّةَ ودّعتُ عن مــقلـةٍ سـفُوحٍ وزفــرةِ قلبٍ سـدِم(١)
فـمـا كـان عند النّوى مـسْعـدٌ سـوى العين تمزُج دمـعـاً بـدم
ســيــذكــر من بان أوطانـــه ويبْكي المقــيـمين من لم يُقِمْ

وقال فيها يصف السفينة:

إلى خـــازن الله في خلْقـــه ســـراجِ النّهـــار وبدْرِ الظّلُم
رحـلـنا غـرابيب زفّـافـــةً بدجْلةَ في مـوْجـهـا المُلْتَطِمْ(٢)
إذا مـا قـصـدْنا لقـاطولهـا ودُهْمُ قـراقـيـهـا تصْطَـدمْ(٣)
سكنّا إلى خـيـر مـسكونـةٍ تيـمّـمـهـا راغبٌ من أمَـمْ(٤)
مــبـاركــــةٌ شـاد بنيـانَهـا بخـيـر المواطنِ خـيـر الأممْ
كـأنَّ بـهـا نشْـرَ كـافـورةٍ لبـرْد نداهـا وطيب النَّسَـمْ
كظهر الأديم إذا مـا السـحـا بُ صـاب على متْنها وانسجم
مُبـرأة من وُحُـول الشـتـاء إذا مـا طمى وحلُـه وارتكم(٥)
فــمـــا إنْ يزال بهـا راجـلٌ يمــرُّ الهُــوينى ولا يلتطِـم
ويمشـي علـى رِسْلـــه آمـنـاً سليمَ الشّراك نقيَّ القــدم
وللنّـون والضّبّ فـي بطنهـا مــراتعُ مــسـكونةٌ والنَّعَـم
غـدوتُ على الوحْش مـفـتـرّةٌ رواتـــعَ في نورهـــا المنتظم
ورُحتُ عليـهـا وأسـرابُهـا تحُـوم بأكنافـهـا تبْـتسِمْ

ثم قال يمدح الواثق:

يضيق الفضـاءُ به إن غدا بطـودَيْ أعـاريبه والعجمْ
ترى النّصـر يقـدم راياته إذا مـا خَفَقْن أمـام القلَمْ
وفي اللـه دوّخ أعـداءه وجرّد فـيـهم سيـوفَ النِّقَمْ

---

(١) السدم: الندم والحزن.

(٢) غرابيب: سود، الواحد غربيب، والمراد به السفن لأنّها تُطلى بالقار. زفّافة: سريعة.

(٣) القراقير: السفن الطويلة. (٤) من أمَم: من قريب.

(٥) ارتكم: تجمّع وزاد.

وفي الله يكظِمِ من غيظـه ... وفي اللهيصفح عمّن جرم
رأى شيم الجود محمودةً ... وما شيمُ الجود إلاّ قسَمْ
فراح على «نعمٍ» واغتدى ... كأنْ ليس يُحسن إلاّ نعم

قال: فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم، واتّصلت أيامُه بعد ذلك، ولم يزل من ندمانه. (١٩٤/٧)

(١٠٠)

.. ثم قال الواثق قوموا بنا إلى حانة الشطّ(١) فقاموا إليها، فشرب وطرب، وماترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنّين والحشم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوتُ إليه؛ فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلته في يومنا الماضي، فقد كان حسناً فأنشدته:

يا حانةَ الشطِّ قد أكرمْتِ مثْوانا ... عُودي بيوم سرورٍ كالذي كانا
لا تُفْقدينا دُعاباتِ الإمام ولا ... طيبَ البطالة إسراراً وإعلانا
ولا تَخالعُنا في غير فاحشةٍ ... إذا يطّوينا الطُّنبورُ أحيانا
وهاج زمْرُ زُنامٍ بين ذاك لنا ... شجْواً فأهْدى لنا روْحاً وريحانا(٢)
وسلْسلَ الرِّطلَ عمروٌ ثم عمَّ به السُّقْيا ... فألحقَ أولانا بأخرانا
سقْياً لشكلك من شكل خُصصت به ... دون الدَّساكر من لذّات دنيانا
حفّتْ رياضكِ جنّاتٌ مجاورةٌ ... في كلِّ مُخْترقٍ نهراً وبستانا
لازلتِ أهلةَ الأوطان عامرةً ... بأكرم الناس أعراقاً وأغصانا

قال: فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدّدة، واستحسن الصوت. (١٩٧/٧)

(١٠١)

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: اجتمعتُ أنا وحسين بن الضحّاك وأبو شهاب الشاعر، وهو الذي يقول:

---

(١) وصف السريّ الرّفاء في كتابه المحب والمحبوب (٣٤٩/٤)، حانة الشطّ هذه وصفاً تفصيلياً، منه أنّ الواثق أمر بها أن «تفرش بفُرش الخلافة، وتعلّق الستور والستائر، وتنقل إليها من آلة الشراب محاسن ما في الخزانة .. واستعملوا فيها دناناً مذهّبة. وكراسيُّ مدهونة مذهبّة». وأورد الرّفاء قصيدة الحسن هذه في وصف الحانة مع قصيدة أخرى له.

(٢) زُنام: زمّار حاذق، خدم كلاًّ من الرشيد والمعتصم والواثق.

لقد كنتُ ريحانةً في الندى   وتُفاحــةً في يدي الكـاعب

وعمرو بن بانة يُغنيهلـ فتذاكرْنا الدّواب، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحي حسين وأبو شـهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبقه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كُلُوا واشــربوا هُنِّئتُم وتمتّعـــوا   وعيشـوا وذُمّوا الكوْدنين جميـعا(١)

فأقســـم ما كـان الذي نال منهما   مدى السبق إذ جدُّ الجراءُ سريعاً

وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه:

أيا شـاعـر الخُصْيـان حـاولتَ خُطّةً   سُبقتَ إليـهـا وانكفـأتَ ســريعـا

تُحـاول سـبقي بالقريض سـفـاهةً   لقـد رمت جـهلاً من حِمـايَ منيعـا

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سبب التباعد بينهما. وكنّا إذا أردنا العبث بحسين نقول له: أيا شاعر الخُصْيان، فيُجنُّ ويشتُمنا. (١٩٨/٧)

(١٠٢)

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال: دخل حسين بن الضّحاك على محمد الأمين بعقبِ وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم،: فهنأه بالظّفَر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

أمينَ اللّـــه ثِـقْ باللـــ   ـه تُعْطَ العــز والنُّصْرَهْ

كل الأمـــرَ إلى اللــه   كـــلاكَ الله ذو القُدرة(٢)

لنـا النصرُ بإذن اللـــ   ـه والكرَّةُ لا الفــــرَّهْ

وللمُـــرّاق أعـــدائـــ   ـك يومُ السُّوْء والدّبْرَه(٣)

وكـــأسٌ تُورد المـــوت   كــريهٌ طعـــمُهـــا مُرَّه

ســقـوْنا وســقـيناهم   فكـــانت بهـمُ الحــرَّه

كـذاك الحربُ أحـيـانـاً   عـلينـــا ولنـــا مــــرّهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُنْشده. (٢٠٧/٧)

---

(١) الكودن: الفرس الهجين والبغل، وهو أيضاً الثقيل والبليد.

(٢) كلاك: حفظك، سهّلت همزته.

(٣) الدُّبرة: الهزيمة في القتال.

(١٠٣)

حدّثني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن مُخارق قال: أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها، ولم يُقطِعْ الحسين بن الضّحاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

يا أمينَ اللـــه لا خطّـــةَ لـــي ولقد أفردتَ صحْبي بخططْ(١)
أنا في دهْيـاءَ مـــن مُظْلمـــةٍ تحـمل الشـيخَ على كلّ غلط
صـعـبـةِ المسْلك يرتاع لهـا كلُّ من أصْعد فـيـهـا وهبطْ
بـوِّنـي منك كما بوأتهـم عرْصةً تبسُط طرْفي ما انبسط(٢)
أبتني فيـهـا لنفسي موطناً ولعقْبي فرطــاً بعـد فـــرطْ(٣)
لم يزل منكَ قريباً مـسـكني فـأعدْ لي عادةَ القرب فـقطْ
كلُّ مـن قـــربتـــه مُغْتـــبِطٌ ولمن أبعــدتَ خِزْيٌ وســـخط

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها. (٢٠٩/٧)

(١٠٤)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني الحسين بن الضُّحاك قال: كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني(٤) كلّه وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ، وقد علمتُ مكانك من الأمين، وإنه لحقيقٌ بأن ترثيه، إلاّ أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهّف عليه والتوجّع له بما صار هجاءً لغيره وثلْباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ(٥) إلى العراق قد أقبل عليك؛ فأبقي على نفسك؛ يا ويْحك! أتجسر على أن تقول:

تركوا حريمَ أبيهمُ نفلاً والمُحْصناتُ صوارخٌ هُتُفُ(٦)
هيهات بعدك أن يدومَ لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شـرفُ

أكْفُفْ غرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرط منك. فعلمتُ أنه قد نصحني فجزيته

---

(١) الخطّة: المكان المختطّ لعمارة وغيرها.

(٢) بوِّني: أصلها «بوِّئني» سهِّلت الهمزة فصارت ياءً ثم حُذفت لصيغة الأمر.

(٣) الفَرَط: اسم للجمع، أي جماعة بعد جماعة. ينظر اللسان (٣٦٧/٧).

(٤) بلساني كلّه: أي بما أقدر عليه من فنون الرثاء.

(٥) منصبٌ: قادم بسرعة. (٦) النفل: الغنيمة.

الخير، وقطعتُ القول فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أن أنجو. (٢١١/٧)

(١٠٥)

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضّحاك ابن يسمّى محمداً، له أرزاق، فمات فقُطِعتْ أرزاقُهُ فقال يخاطب المتوكّل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفّى لزوجته وأولاده:

إنّي أتيتُك شافعاً ... بوليّ عهد المسلمينا
وشبيهك المعتزّ أو ... جهِ شافع في العالمينا
يا بن الخلائف الأوليـ ... ـنَ ويا أبا المتأخرينا
إن ابن عبدك مات والأ ... يامُ تخترم القرينا
ومضى وخلّف صبيةً ... بعراصه مُتلدّدينا(١)
ومُهيْرةً عبْرى خلا ... فَ أقاربٍ مُسْتعبرينا
أصبحنَ في ريب الحوا ... دث يُحسنون بك الظّنونا
قطع الوُلاةُ جرايةً ... كانوا بها مُسْتَمْسكينا
فامنُنْ بردّ جميع ما ... قطعوه غيرَ مراقبينا
أعطاك أفضلَ ما تؤمِّل ... أفضلُ المتفضِّلينا

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. (٢٢٣/٧)

(١٠٦)

أخبرني جعفر بن قُدامة حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضّحاك ونحن على نبيذ؛ فعبث بالمُغنّية وجمّشها؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به. فأنشأ يقول:

لها في وجهها عُكَنُ ... وثُلْثا وجهها ذقَنُ(٢)
وأسنانٌ كريش البطّ ... بين أصولها عفَنُ

قال: فضحكنا وبكت المغنّيةُ حتى قُلت قد عميتْ وما انتفعنا بها بقية يومنا. وشاع هذان البيتان فكسدتْ من أجلهما. وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتُجنّ، ثم هربتْ من سرّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا. (٢٢٤/٧)

---

(١) المتلدّد: المتحيّر (٢) العُكَن: ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سمناً، أي هي ذات وجه منتفخ.

(١٠٧)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العنزيّ عن ابن عائشة قال: لمّا استقام الأمر لبني العبّاس قام السيِّد إلى أبي العباس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال:

دُونكُموها يا بني هاشمٍ — فجدِّدوا من عهدها الدّارسا(١)
دُونكموها لا علا كعبُ مَنْ — كان عليكم مُلكها نافسا(٢)
دونكُموها فالبسوا تاجَها — لا تعْدموا منكم له لابسا
لو خُيِّر المنبرُ فُرسانه — ما اختار إلاّ منكُم فارسا
قد ساسها قبلكُم ساسةٌ — لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولستُ من أن تمْلكوها إلى — مهْبط عيسى فيكم آيسا(٣)

فُسّر أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنتَ يا إسماعيل! سلْني حاجتك! قال: تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل. (٧/٢٤٠)

(١٠٨)

وذكر التُّميميّ - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذنُه للسيِّد، فأمره بإيصاله، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ. ودخل فسلم وجلس. فاستنشده فأنشده قوله:

امْرُرْ على جدث الحسيـ — ـن فقُل لأعْظُمِه الزكيّه
أأعْظُماً لا زلْتِ مِن — وطْفاءَ ساكبةٍ رويّهْ
وإذا مررتَ بقبره — فأطِلْ به وقْفَ المطيّه
وابكِ المُطهّرَ للمطهّر — والمطهّرةَ النَّقيّهْ(٤)
كبُكاءِ مُعْولةٍ أتت — يوماً لواحدها المنيّه

قال: فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدّثت أبي بذلك لمّا انصرفت؛ فقال لي: ويلي على الكيْسانيّ الفاعل ابن الفاعل! يقول:

---

(١) يقصد الخلافة. الدّارس: المندثر. (٢) لا علا كعب: لا شرّفه الله ولا أسعده. (٣) كناية عن يوم القيامة.
(٤) المطهّر الأول هو الحسين بن علي، والمطهّر الثاني هو والده علي بن أبي طالب، والمطهّرة هي السيدة فاطمة بنت محمد (ص).

فـإذا مـررتَ بقبره فاطِلْ به وقْفَ المطيّه

فقلت: يا أبتِ، وماذا يصنع؟ قال: أولا ينْحر! أولا يقتُل نفسه! فثكلتْه أمُّه!. (٧/٢٤٠)

(١٠٩)

وقال التميميّ وحدّثني أبي قال قال لي فُضل الرسان أنْشد جعفرُ بن محمد قصيدةَ السيّد:

لأمِّ عمرو باللِّوى مرْبَعُ دارسةٌ أعلامُهُ بلْقَعُ

فسمعتُ النّحيبَ من داره، فسألني لمن هي، فأخبرتُه أنها للسيِّد، وسألني عنه فعرفْتُه وفاته؛ فقال: رحمه الله. قلت: إنّي رأيتُه يشرب النبيذ في الرُّسْتاق. (٧/٢٤١)

(١١٠)

قال وحدّثني أبو سليمان النّاجي قال: جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صلاتٍ لهم وهو وليُّ عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش. فجاء السيِّد فرفع إلى الربيع رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصِلْها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

قُل لابن عبّاسٍ سَميِّ محمدٍ لا تُعْطِينَ بني عديَّ درهما(١)
احْرِمْ بني تَيْم بن مُرّةَ إنهم شرُّ البريّة آخراً ومُقدَّما(٢)
إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بأن تُذَمَّ وتُشْتَما
وإنِ ائتمنتهم أو استعملتهم خانوك واتّخذوا خراجك مغْنما
ولئن منعتهم لقد بدءوكم بالمنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُراث محمدٍ أعمامه وابنيْه وابنته عديلةَ مرْيما
وتأمّروا من غير أن يُستخْلَفوا وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لم يشكروا لمحمد إنعامه أفيشكرون لغيره إن أنْعما
واللهُ منَّ عليهم بمحمدٍ وهداهُم وكسا الجنوبَ وأطعما
ثم انبرَوْا لوصيِّه ووليّه بالمُنْكرات فجرّعوه العلقما

وهي قصيدة طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبي عُبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعه؛ وانصرفَ الناس؛ ودخل السيّد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا

(١) بنو عدي: هم بنو عديّ بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) بنو تيم: هم رهط أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

نصيحتك يا إسماعيل، ولم يُعطهم شيئاً. أخبرني به عمّي عن محمد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النّخعي عن أبي سليمان الرِّياحيّ مثله. (٧/٢٤٣)

(١١١)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخعيّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كُناسة قال:

أهدي بعضُ ولاة الكوفة إلى السيِّد رداءً عدنياً؛ فكتب إليه السيد فقال:

وقد أتانا رداءٌ من هديتكم فلا عدمتُك طولَ الدهر منْ وال

هو الجمالُ جزاك الله صالحةً لو أنّه كان موصولاً بسرْبال

فبعث إليه بخلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال: يُقطع عتابُ أبي هاشم واستزادته إيانا. (٧/ ٢٧٠)

(١١٢)

وذكر محمد بن إدريس العُتبيّ أنّ مُعاذ بن يزيد الحِمْيريّ حدّثه أن السيّد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات، وأنّه مدحه بقصيدتين فأمر له ببدْرتينْ ففرّقهما. فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورّع عن قبول جوائزنا. (٧/٢٧٧)

(١١٣)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوْف عن عبد الرحمن بن مُقرِّن قال: بعثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمل برأي ابن نفيْسٍ؛ فكنت افعل ذلك، وأغشى ابنه، وكانت له جارية مغنيّة وقد كلِفَ بها فتىً من آل عثمان بنِ عفّانٍ، فكان يبيع عُقْدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها. وابتُلي برجل من أهل إفريقيّةَ ومعه ابن له، فغشيَ ابنُ الإفريقيّ بيت ابن نُفيْس فجعل يكسو الجارية وأهلها ويبرُّهم حتى حظي عندهم وغلب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ. فقُضي أن اجتمعنا عشيّةً عندها وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيّ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفّه فتناثر المِسْكُ منه، وأراد العثمانيُّ أن يكيده بفعله. فجلسنا ساعةً؛ فقال لها ابنُ الإفريقي: غنّي:

بيْنا حبالُ ذاتُ عقْدٍ لبثْنةٍ أتيح لها بعضُ الغُواة فحلّها

---

(١) العقدة: الضيعة.

يعرِّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غنّي:

ومن يرْعَ نجْداً يلْفني قد رعيْته بجنْبيه الأولى ويُورِدْ على وِرْدي

قال: فنكس ابنُ الإفريقي رأسه وخرج العثمانيُّ فذهب، وخمِدَ أهلُ البيت فما انتفعوا بقيَّةِ يومهم. (١١٩/٨)

(١١٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني مُصْعبَ بن عبد الله قال: كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبير يقال لها فُليْحة، وكانت لها صبيةٌ يقال لها رخيَّة، قد ربتْها لغير رِشْدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأتْ محمداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً، ثم تمثّل قولَ جميل:

بُثَيْنَةُ من صنْفٍ يُقلِّبْنَ أيدي الرِّمـا ةِ ومـا يحملن قوسـاً ولا نَبلا

ولكنَّما يَظْفرنَ بالصَّيـد كلمَّا جلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأعينَ النُّجْلا

يُخالسْنَ ميعاداً يُرَعْنَ لقولها إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصْلا

يريْنَ قريباً بيتها وهي لا ترى سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سهْلا

فقال له فُليْحة: كأنك تريد رخيَّة! قال: إي والله! قالت: إنّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة. فقال لها: إنَّ الدَّنس لا يلْحق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب. فقالت له: فما يضرُّ إذاً! والله ما يضرُّ إلاّ الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك. فسُرَّ بذلك وقال: أما والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها؛ لقد مكثْتُ أسعى في طلبها حوْلين. فضحكتْ وقالت: مالي ولأبياتِ جميل! والله ما ابتغيتُ إلا مسرتّك.

قال: فولدتْ منه غلاماً. وكانت فُليْحةُ تدعو الله ألاّ يُبْقيه. فبينا محمدٌ في بعض هربه من المنصور والجارية وابنُها معه إذ رهِقهما الطلبُ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطّع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أجيب في هذا الصبي دعاءُ فُليْحة. (١٢٨/٨)

(١١٥)

كلُّ مَنْ في الأرض من عربٍ بين باديه إلى حضرهْ

مستعيرٌ منه مكرُمةً يكتسيها يومَ مُفْتَخَرِهْ

وهذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمونَ على عليّ بن جبلة حتى سلّ لسانه من قفاه، وقوله في أبي دُلَف أيضاً:

أنت الذي تُنزل الأيّام منزلها ... وتنقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدى طرْفٍ إلى أحدٍ ... إلاّ قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ (٢٥٥/٨)

(١١٦)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال: قال عليّ بن جبلة: زرتُ أبا دُلَفَ بالجبل، فكان يُظهر من إكرامي وبرّي والتّحفّي بي أمراً مُفْرِطا، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياءً. فبعث إليّ معْقِلَ بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعتَ عنّي، وأحسبك استثقلتَ برّي بك، فلا يُغْضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البرّ وكتبت إليه:

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ ... وهل يُرْتجى نيْلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنّني لمّا أتيتُكَ زائراً ... فأفرطتَ في برّي عجزتَ عن الشكر
فَمِ الانَ لا آتيك إلا مُسلِّماً ... أزورك في الشهرين يوماً أو الشهرِ
فإن زدْتني بِراً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمّا قرأها معقل استحسنها جداً وقال: أحسنتَ والله! أما إنّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دُلَفَ قال: قاتله الله. ما أشعره وأدقّ معانيه! فأعجبته فأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب:

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطتُه ... وآنستُه قبل الضّيافة بالبِشْرِ
أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القِرى والعُرْف من نائلي ستْرى
وجدتُ له فضلاً عليّ بقصْدِه ... إليّ وبِراً زاد فيه على برّي
فزوّدتُه مالاً يقلُّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر[1]

قال: وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار؛ فقلت حينئذ:
إنما الدنيا أبو دُلَف ... الأبيات. (٢٥٦/٨)

(١١٧)

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خلفَ قال: بينا أبو دُلَفَ يسير مع معْقِل، وهما إذا ذاك بالعراق، إذ مرّا بقصْرٍ، فأشرفتْ منه جاريتان: فقالت

(١) نلاحظ استمرار الظاهرة القديمة التي ورد ذكرها سابقاً، وهي زوال المال وبقاء الشعر على مرّ الدهور.

إحداهما للأخرى: هذا أبو دُلَفَ الذي يقول فيه الشاعر: إنما الدنيا أبو دُلَف

فقالت الأخرى: أو هذا! قد والله كنتُ أحِبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه. فالتفت أبو دُلَف إلى معْقِل فقال: ما أنصفْنا عليَّ بن جبلةَ ولا وفيناه حقه، إن ذلك لمن كبير همّي. قال: وكان أعطاه ألفَ دينار. (٢٥٧/٨)

(١١٨)

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غضِبَ الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأخرت عن استرضائه، فغمّهُ ذلك، فوجّه إلى أبي يُعْلِمُه ويشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العِزّةُ والشرف، ولأعدائك الذّل والرُّغم. استعْمِلْ قولَ العباس بن الأحنف:

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممّن تحبّه وإن كُنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ

فإنك إلاّ تغفِرِ الذنب في الهوى يُفارِقْكَ من تهوى وأنفُكَ راغمُ

فقال: صدقتَ، وبعث إليها فترضّاها. (٣٦٨/٨)

(١١٩)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ الحسن بن أحمد قال حدّثنا عمرو بن بانةَ قال: كنّا في دار أمّ جعفر جماعةٌ من الشعراء والمغنّين؛ فخرجْت جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دراهم، فقالت: أيكم القائل:

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

فأومَئ إلى العباس بن الأحنف؛ فنثرتْ الدراهم في حِجره فنَفَضها فلقطها الفرّاشون؛ ثم دخلت ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلُّ فرّاش بدْرةٌ فيها دراهم، فمضوْا بها إلى منزل العبّاس بن الأحنف. (٣٦٩/٨)

(١٢٠)

قال محمد بنُ يزيد: وحُدّثت من غير وجه أنَّ الرشيدَ ألِفَ العباسَ بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أرْمينيةَ والعباسُ معه ماشياً إلى بغدادَ، فعارضه في طريقه فأنشده:

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفُولُ فقد جئنا خراسانا
ما أقدرَ الله أن يُدْني على شحط ... سكانَ دِجلةَ من سُكَّان جَيْحانا
متى الذي كنتُ أرجوه وآمُلُه ... أمَّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نظرتْ ... وعذِّبتْ بصنوف الهجر ألوانا

قال فقال له الرشيد: قد اشتقتَ يا عبَّاس وأذنتُ لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.
(٣٧٢/٨)

(١٢١)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عوْن بن محمد الكِنْديّ قال: لمَّا ولي المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحَّاك فهنأه بالخلافة وأنشده:

تجدَّدتِ الدنيا بُملْك محمد ... فأهْلاً وسهْلاً بالزمان المجدَّدِ
هي الدولة الغرَّاءُ راحتْ وبكَّرتْ ... مُشهَّرةً بالرُّشْد في كل مشْهد
لعمْري لقد شَدَّتْ عُرا الدين بيْعةٌ ... أعزَّ بها الرحمنُ كلَّ موحِّد
هنَتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ ... جُمِعتْ بها أهواءُ أمَّة أحمد

قال: فأظهر إكرامه والسرورَ به، وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضعُفْتَ عن الحركة، فكاتبْني بحاجاتك ولا تحْمِلْ على نفسك بكثرة الحركة. ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه.
(٣٠٣/٩)

(١٢٢)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد قال: صلَّى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فأنشده أبي لمَّا انصرف:

ما استشرف الناسُ عيداً مثْلَ عيدهُم ... مع الإمام الذي بالله ينتصرُ
غدا بجمْعٍ كجُنْحِ الليل يقدُمه ... وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجى القمرُ
يؤُمُّهم صادعٌ بالحق أحْكمه ... حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يذَرُ
لو خُيِّر الناسُ فاختاروا لأنفسهم ... أحظُّ منك لما نالوه ما قدروا

قال: فأمر له بألف دينار.
(٣٠٤/٩)

(١٢٣)

أخبرني محمد بن يونس الأنباريّ قال حدّثني أبي: أن إبراهيم بن العباس الصُّوليّ دخل

على الرِّضا لمّا عقد له المأمون وولاّه العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلُّدِ مصارعُ أولاد النبيِّ محمدِ

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه. فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مُهور نسائه، وخلّف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره. (٥٢/١٠)

(١٢٤)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني أبو العبّاس بن الفُرات والباقطانيّ قالا: كان إسحاق بن إبرهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العبّاس، فأنسخه شعره في مدح الرّضا، ثم ولي إبراهيمُ بن العبّاس في أيام المتوكّل ديوانَ الضّياعِ، فعزله عن ضياع كانت بيده بحلْوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثق به: قل لإبراهيم بن العبّاس: والله لئن لم يكُفّ عمّا يفعله فيّ لأخرجنّ قصيدته في الرّضا بخطّه إلى المتوكّل. فأحجم عنه إبرهيم وتلافاه، ووجّه من ارتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها، ثم أفرجَ عنه وأزال ما كان يطالبه به(١). (٥٢/١٠)

(١٢٥)

أخبرني حنْظلةَ قال حدثني ميمون بن هارون قال: لمّا عقد المتوكّلُ لولاة العهود من ولده ركب بسُرّ مَنْ رأى ركْبةً لم يُرَ أحسنُ منها، وركب ولاةُ العهود بين يديه، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدي المتوكّل بمناطق الذهب، في أيديهم الطُّبرزيناتُ(٢) المحلاّة بالذهب، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيّات(٣) وسائر السفن، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس، وأذن للناس فدخلوا إليه. فلما تكاملوا بين يديه، مثل إبراهيم بن العبّاس بين الصفّين، فاستأذن في الإنشاد فأذِن له، فقال:

ولمّا بدا جعفرٌ في الخميـ ـس بين المطلّ وبين العروس

بدا لابساً بهما حُلّةً أزيلتْ بها طالعاتُ النُّحوس

ولمّا بدا بين أحبابه وُلاةِ العهود وعزِّ النفوس

---

(١) استُخدم الشعر وسيلة للتهديد بعد زوال العهد الذي قيل فيه، ومجيء عهد جديد، ونلاحظ هنا أنّ التدوين يلعب دوراً مهمّاً في إثبات الشعر لصاحبه، فلا يستطيع الإفلات منه، وهو مدوّن بخطّ يده.

(٢) الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه.

(٣) الجوانحيات: نوع من السفن.

غدا قمراً بين أقمــاره   وشمساً مكلَّلة بالشموس
لإيقــاد نــارٍ وإطفــائهــا   ويومِ أنيقٍ ويومِ عبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال:

أضحتْ عُرى الإسلام وهي منوطةٌ   بالنُّصــر والإعــزاز والتــأييدِ
بخليفــةٍ مــن هاشــمٍ وثلاثــةٍ   كنفوا الخلافة من وُلاة عهود
قمرٌ توافتْ حولــه أقمــارُه   فحففْن مطلعَ سعده بسعود
رفعتهُم الأيامُ وارتفعــوا بــه   فسَمَوْا بأكرم أنْفسٍ وجدود

قال: فأمر له المتوكِّل بمائة ألف درهم، وأمر له ولاةُ العهود بمثلها. (٦٤/١٠)

(١٢٦)

قال مروان: وقدم معْن بعقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيهُ فيك لغضِب عليك. قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرّضتُ لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك:

معْنُ بن زائدةَ الذي زيدتْ بــه   شرفاً إلى شرف بنو شيْبان
إن عُدَّ أيامُ الفعــالِ فإنَّمــا   يومــاه يومُ ندىً ويومُ طعان

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله:

مـا زلت يومَ الهاشميَّةِ مُعْلماً   بالسيف دون خليفة الرحمن(١)
فمنعتَ حوْزتَه وكنتَ وقاءه   من وَقْعِ كلِّ مُهنَّدٍ وسنان

فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيته ما أعطيته لهذا القول؟ قال نعم يا أمير المؤمنين! والله لولا مخافة النِّقمة عندك لأمْكنتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إيَّاها، فقال له المنصور: لله دُرك من أعرابيّ! ما أهْوَن عليك ما يعزُّ على الرجال وأهل الحزم! (٨٦/١٠)

(١٢٧)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن

---

(١) الهاشمية: قرية قرب الكوفة فيها كانت ثورة الراوندية على المنصور، وإلى هذا يشير الشاعر، إذ أبلى فيها معن البلاء الحسن. المعلم: المعروف المكان في الحرب، وينظر شعر مروان. جمع وتحقيق د. حسين عطوان، ص ١٠٧

موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرَّبيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهديّ بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلْمُ الخاسر وغيرُه، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ قال: شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدكُ مروان بن أبي حفصة. فقال له المهديّ: ألست القائل:

أقمْنا باليمامة بعد معْنٍ مُقاماً لا نُريد به زوالا
وقلْنا أين نرحل بعد معْنٍ وقد ذهب النَّوالُ فلا نوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ، فلم جئتَ تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا، جُرُّوا برجله؛ فجرّوا برجله حتى أخرج. قال: فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء ـ وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كلّ عام مرَّة ـ فَمَثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طرقَتْك زائرة فحيِّ خيالها بيضاءُ تخلط بالجمال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوبَ إلى الصِّبا فأمالها

قال: فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله:

هل تطْمِسون من السماء نجومها بأكُفِّكم أو تسترون هلالها
أو تجْحدون مقالةً عن ربِّكم جبريلُ بلَّغها النَّبيُّ فقالها
شهدتْ من الأنفال آخرُ آية بتُراثهم فأردتُم إبْطالُها(١)

قال: فرأيت المهديّ قد زحف من صدر مُصلاّه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أوّل مائةِ ألف درهم أعطيها شاعرٌ في أيام بني العبّاس(٢).

قال: ومضت الأيام وولي هارون الرشيدُ الخلافةَ، فدخل إليه مروان: فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها. فقال له: من أنت؟ قال: شاعرُك وعبدُك(٣) يا أمير المؤمنين مروانُ

---

(١) يريد قوله تعالى «والذين آمنوا من بَعْدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منك وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكلّ شيء عليم». صدق الله العظيم.

(٢) رأينا هذا الأمر في العصر الأموي، ويفتتح المهدي عهد بني العباس بعدُ أبيات القصيدة وإعطاء الشاعر لكل بيت مبلغاً معيناً، وستكثر فيما بعد، ونرى الرشيد ـ بعد قليل ـ يصنع الصنيع نفسه مع مروان.

(٣) يكرّر الشاعر هنا ما قاله سابقاً للخليفة المهدي من أنّه شاعره وعبده، فقد أوقف شعره عليهم، ومن =

بن أبي حفصة. قال له: ألستَ القائل في معْن بن زائدة! وأنشده البيتين اللّذيْن أنشده إيّاهما المهديُّ، ثم قال: خذوا بيده فأخْرجوه، لا شيء لك عندنا، فأخْرج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلطُّف حتى دخل؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

لَعَمْرُك ما أنْسى غداةَ المُحصَّبِ ... إشارةَ سلْمى بالبنان المُخضَّبِ
وقد صدر الحُجّاجُ إلاّ أقلَّهم ... مصادر شتى موْكباً بعد موكب

قال: فأعجبْته، فقال: كم قصيدتُك من بيت؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً فكان ذلك رسْمَ مروانَ عندهم حتى مات. (٨٧/١٠)

(١٢٨)

أخبرني عمّي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق قال: دخل مروانُ بن أبي حفصة على المهديّ في أوّلِ سنةٍ قَدَمٍ عليه. قال: فدخلتُ عليه في قصره بالرُّصافة فأنشدته قولي فيه:

أمَرُّ وأحْلى ما بلا الناسُ طعمه ... عذابُ أمير المؤمنين ونائلُه
فإنْ طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ ... وإنْ قتيلَ الله مَنْ أنت قاتله
كأنْ أمير المؤمنين محمدا ... أبو جعفر في كلُّ أمر يحاوله

قال: فأعجب بها، وأمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلةُ أوّلَ صلة سنيَّة وصلتْ إليّ في أيام بني هاشم. (٨٨/١٠)

(١٢٩)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني محمد بن عبد الله العبْديّ الراوية قال حدثني حسين بن الضّحاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلتُ على المهديّ في قصر السلام، فلما سلّمتُ عليه، وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود، قلت: يا أمير المؤمنين إنّ يعقوب رجل رافضيّ وإنه سمعني أقول في الوراثة:

= الضروري أن نذكر هنا أنْ مروان بن أبي حفصة قد اختطَّ في شعره منهجاً جديداً في تثبيت حقّ العباسيين في الخلافة، والتعريض بخصومهم وخاصة من العلويين. معتمداً في ذلك على القرآن الكريم. والحديث الشريف، وحوادث التاريخ، وقد نال هذا المنهج إعجاب الخلفاء العباسيين لما فيه من قوة، وحجّة واضحة، وحاول بعض الشعراء أن يقتفوا أثر مروان، ويسيروا على خطاه، فمنهم مَنْ نجح ومَنْ أخفق، مثلما سنرى.

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثةُ الأعمام(١)

فذلك الذي حمله على عداوتي. ثم أنشدته:

كـأنَّ أمـيـر المؤمنين مـحـمـداً لرأفـتـه بالنـاس للنـاس والـدُ

على أنـه من خـالفَ الحـقَّ منهُـم سقَتْه يد الموت الحـتُوفُ الرَّواصد

ثم أنشدته: أحيا أميرُ المؤمنين محمـدٌ سُنَنَ النبيِّ حرامها وحلالها

قال فقال لي المهديّ: والله ما أعطيك إلا من صلّب مالي فاعذرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وكساني جُبَّةً ومُطْرفاً، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى. (٨٩/١٠)

(١٣٠)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا ابن الأعرابيّ أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معْن بن زائدة فأنشده قوله:

بنـو مطـرٍ يـومَ اللِّقـاء كـأنَّهـم أسـودٌ لهـا في بطْنِ خـفَّانَ أشبُلُ(٢)

هُمُ يمنعـون الجـار حـتّى كـأنما لجـارهمُ بين السِّـمـاكين مـنزل

لهاميمُ، في الإسلام سادُوا ولم يكن كـأوَّلـهـم فـي الجـاهلية أوّلُ(٣)

هم القـوم إن قـالوا أصـابو وإن دُعُوا أجابوا وإن أعطَـوْا أطـابوا وأجـزلوا

ولا يسـتطيع الفـاعلـون فـعـالهـم وإن أحـسنوا في النائبـات وأجـملوا

قال: فأمر لي بصلة سنيّة وخلع عليّ وزوّدني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابيّ: لو أعطاه كلُّ ما يملك لَما وفاه حقَّه(٤). (٨٩/١٠)

---

(١) من المفيد أن ننقل هنا ما ورد عن هذا البيت المشهور في طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٥١: «وحدثني أبو مالك عن أبيه أنَّ عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله (ص) وآله أتى الحسن بن علي فقال: أنا مولاك. وكان قديماً يكتب لعلي بن أبي طالب عليه السلام. فقال فيه مولى لتمّام بن العباس بن عبد المطلب:

جحدتَ بني العبّاس حقَّ أبيهمُ فما كنتَ في الدَّعوى كريم العواقبِ

متى كـان أولادُ البنـاتِ كوارثٍ يحوز ويُدعـى والداً في المناسبِ

فسرق مروان هذا المعنى، وأودعه قصيدته التي يقول فيها: «أنّى يكون وليس ...».

(٢) خفَّان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة، وهو مأسدة.

(٣) اللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد.

(٤) لا شكَّ في أنّ ابن الأعرابي يصدر عن ذوق عربي في الإحساس بمكانة الشاعر، وأهمية ما قاله، فنراه يتمنّى أن يعطي الممدوح كلَّ ما يملك جزاء أبيات الشاعر.

(١٣١)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثني أبو حاتم السِّجِسْتاني قال حدّثني العنْسيّ قال: لمّا قدِم معْن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله، فأخذ بعضادتي الباب(١) وأنشأ يقول:

وما أحْجَم الأعداءُ عنك بقيّةً   عليك ولكن لم يرَوْا فيك مطْمعا(٢)
له راحتانِ الجودُ والحتْفُ فيهما   أبى الله إلا أن تضُرّاً وتنْفعا

قال فقال له معْن: احتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال معْن: ربحْنا عليك تسعين ألفا. قال: أقِلْني. قال: لا أقال الله من يُقيلك. (١٠/٩١)

(١٣٢)

ودخل معْنَ على المنصور، فلما سلَّم عليه وسأله قال له: يا مَعْنُ، أعطيتَ ابن حفصة مائة ألف درهم(٣) عن قوله فيك:

معْنُ بن زائدة الذي زيدتْ به   شرفاً إلى شرفٍ بنو شيْبان

فقال له: كلاّ يا أمير المؤمنين! بل أعطيتُه لقوله:

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً   بالسيف دون خليفة الرحمن

فاستحيا المنصورُ من تهجينه إيّاه فتبسَّم وقال: أحسنتَ يا معْن في فعلك. (١٠/٩١)

(١٣٣)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال حدّثني صالح بن عطية الأضجم قال: لما قال مروان:

أنى يكون وليس ذاك بكائنٍ   لبني البنات وراثةُ الأعمام

---

(١) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه، والأخذ بعضادتي الباب إشارة إلى شدّة التصاق الشاعر بصاحب الباب، والتجائه إليه.

(٢) البقية: الإبقاء.

(٣) رأينا في النص السادس والعشرين بعد المئة السابق أنَّ الخليفة يسأل معن بن زائدة، ويشير إلى أن المال كان ألف دينار، ويبدو معن في غاية الذكاء حين نقل المديح إلى الخليفة نفسه، وأنَّ سبب العطاء كان التذكير بموقف معن وهو يدافع عن الخليفة في يوم الهاشمية.

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فاقتله أيَّ وقتٍ أمْكنني ذلك، وما زلت ألاطفُه وأبرُّه وأكتب أشعاره، حتى خُصِصْتُ به، فأنِس بي جداً، وعرفتْ ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بي، ولم أزل أطلب له غِرَّةً حتى مرض من حمَّى أصابته، فلم أزل أظهر له الجزع عليه وألازمه وألاطفه، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبتُ عليه فأخذتُ بحلْقه فما فارقتُه حتى مات، فخرجتُ وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً، وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزع عليه حتى دُفن، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به»(١). (١٠/٩٥)

(١٣٤)

حدّثني جحْظة وعمِّي قالا حدّثنا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: دخل إلينا عليّ بن الجهْم بعقب موت أبي والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين، فمثلُ قائماً وأنشدنا يرثيه:

أيُّ ركنٍ وهى من الإسلام ... أيُّ يومٍ أخْنى على الأيام
جلَّ رُزْءُ الأمير عن كلِّ رُزْءٍ ... أدركتْه خواطرُ الأوهام
سلبتْنا الأيامُ ظلاً ظليلاً ... وأباحتْ حِمىً عزيزَ المرام
يا بني مُصْعَبٍ حللْتم من النا ... س محلَّ الأرواح في الأجسام
فإذا رابكم من الدَّهر رَيْبٌ ... عمَّ ما خصَّكم جميعَ الأنام
انظروا هل ترونَ إلاّ دموعاً ... شاهداتٍ على قلوبٍ دوامي
مَنْ يُداوي الدُّنيا ومَنْ يكلأ المُلْـ ... ـكَ لدى فادح الخطوب العظام(٢)
نحن مُتْنا بموته وأجلُّ الـ ... ـخطبِ موتُ السَّادات والأعلام
لم يمُتْ والأميرُ طاهرُ حيٌّ ... دائمُ الإنتقام والإنْعام
وهو من بعده نظامُ المعالي ... وقوامُ الدُّنيا وسيفُ الإمام

قال: فما أذكر أني بكيت أو رأيتُ في دُورنا باكياً أكثر من يومئذٍ. (١٠/٢٢٦)

(١٣٥)

فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيبٍ قال: لمَّا قال أبو دُلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها:

---

(١) مروان من الشعراء الذين قتلهم شعرهم، فقد استثار هذا الشعر ـ حسب هذه الرواية ـ مَنْ يرى غير رأي مروان، فلم ينفع سوى القتل بعد أن ذاع الشعر، وانتشر، ونفّذ هذا الشخص ما أضمره للشاعر فقتله.

(٢) يكلأ: يحفظ ويرعى

أبا مُسْلِمٍ خوَّفْتني القتل فانْتحى ... عليك بمـا خوَّفتني الأسـدُ الوَرْدُ(١)
أبا مسـلم مـا غـيَّر اللـه نعـمـةً ... على عـبـده حـتى يغـيِّرها العـبـدُ

أنشدها المنصور في محْفلٍ من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم، فأمر له بها فلمَّا خلا به قال له: إيه! أما والله لو تعدَّيتها لقتلتُك. (٢٣٥/١٠)

(١٣٦)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدَّثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال: لمَّا تُوفِّي أبو العبَّاس السَّفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يُعزُّونه؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول:

أمْسيْتَ بالأنبار يابنَ محمدٍ ... لم تستطع عن عُقْرها تحويلا(٢)
ويْلي عليكَ ووَيْل أهلي كلُّهم ... ويلاً وعَوْلاً في الحياة طويلا
فلْتبْكيَنْ لك النساءُ بعَبْرةٍ ... ولْيبْكينْ لك الرِّجالُ عويلا
مات النَّدى إذ مُتَّ يابن محمد ... فجعلته لك في الثَّراء عديلا(٣)
إنّي سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم ... فوجدتُ أسمح مَنْ سألتُ بخيلا
ألشِقْوتي أُخِّرتُ بعدك للتي ... تدعُ العزيز من الرجال ذليلا
فلأحْلفنْ يمينَ حقٍّ برَّةً ... بالله ما أعْطيتُ بعدك سُولا

قال: فأبْكى الناسَ قولُه: فغضبَ المنصورُ غضباً شديداً وقال: لئن سمعتُك تُنْشدُ هذه القصيدة لأقطعنّ لسانك. فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مُكْرماً وهو الذي جاء بي من البدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: (لا تَثْريبَ عليْكُم اليومَ يغفِرُ اللهُ لكُمْ وهو أرْحَمُ الرَّاحمين). فسُرِّي عن المنصور وقال: قد أقلناك يا أبا دُلامة، فسلْ حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العبَّاس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبِضْها. فقال المنصور: ومَنْ يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء،

(١) الوَرْد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كلّ شيء، ويقصد بالأسد الخليفة الذي قتل أبا مسلم، وهو المنصور.

(٢) الأنبار: «مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ .. كان أول مَنْ عمّرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثمَّ جدّدها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وبنى بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات» معجم البلدان (٢٥٧/١). العُقْر: وسط كلّ شيء.

(٣) الثَّراء: لغة في الثرى.

وأشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مُجالد وأبو الجهْم فقالا: صدق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمانُ ادفعْها إليه(١). (٢٤٠/١٠)

(١٣٧)

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: خاصم رجلٌ أبا دُلامةَ في داره، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول:

لقد خاصمتْني دُهاةُ الرِّجالِ   وخاصمتُها سنةً وافيهْ
فما أدْحض اللهُ لي حُجّةً   ولا خيَّب الله لي قافيهْ
ومَنْ خِفْتُ من جوْرِهِ في القضاء   فلستُ أخافُك يا عافيهْ

فقال له عافيةُ: أما والله لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأعْلمنّه أنك هجوْتني قال: إذاً يعْزِلك. قال: ولم؟ قال: لأنك لاتعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دُلامة بجائزة(٢). (٢٥٧/١٠)

(١٣٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال: خرج المهديّ وعلي بن سليمان إلى الصيْد، فسنح لهما قطيعٌ من ظباء. فأرسلت الكلابُ وأجريت الخيلُ، فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرعه، ورمى عليُّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دُلامة:

قد رمى المهديّ ظبياً   شكَّ بالسهم فؤادَهْ
وعليُّ بن سليما   ن رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كـ   ـلُّ امرئ يأكل زادَهْ

فضحك المهديّ حتى كاد أن يسقُط عن سرْجه، وقال: صدق والله أبو دُلامة. وأمر له بجائزة سنيّة. أخبرني بهذا الخبر عمّي عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن الهيْثم بنْ عديّ فذكر مثْلَ ما ذكره وقال فيه: فلُقِّب عليُّ بن سليمانُ «صائد الكلب» وعلقَ به. قال ابنُ النُّطاح: وأنشد أبو دُلامة

(١) ينبع غضب المنصور من المعاني التي حوتها الأبيات، من موت الندى، والبخل المنتشر بعد موت السفّاح، ومَنْع الناس له بعده.

(٢) من الواضح أنّ الشاعر لا يخاف القاضي لأنه عادلٌ لا يجوز أن يظلم، ولعلّ القاضي فَهم الأبيات على ظاهرها، فظنّها هجاءً له.

المنصور يوماً:

هاتيك والدتي عجوزٌ همّةٌ مثلُ البليّةِ درْعها في المِشْجبِ(١)
مهزولةُ اللَّحْيين مَنْ يرها يقُلْ أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطْربِ(٢)
ما إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها مالاً يؤمِّل غيرَ بكْرٍ أجْربِ
ودجاجاً خمساً يرُحْنَ إليهمُ لمّا يبِضْنَ وغيرَ عيْرٍ مُغْربِ(٣)
كتبوا إليّ صحيفةً مطبوعةً جعلوا عليها طينةً كالعقْربِ(٤)
فعلمتُ أنَّ الشرَّ عند فكاكها ففككتُها عن مثْلِ ريحِ الجوْربِ
وإذا شبيهٌ بالأفاعي رُقِّشَتْ يوعدْنني بتلمُّظٍ وتثوُّبِ
يشكون أنَّ الجوعَ أهلك بعضهم لزباً فهل لك في عيالٍ لُزَّبِ(٥)
لا يسألونك غيرَ طلٍّ سحابةٍ تغشاهُم من سيلك المتحلِّبِ
يا باذل الخيراتِ يابن بذُولها وابنَ الكرام وكلَّ قرْمٍ مُنْجِبِ
أنتم بنو العبّاس يُعْلم أنّكم قدماً فوارسُ كلِّ يومٍ أشْهبِ
أحْلاسُ خيلِ الله وهي مُغِيرةٌ يخْرُجْنَ من خللِ الغُبارِ الأكْهبِ(٦)

قال: فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهم. وكانت الدار قريبةً من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها(٧). فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يابنَ عمِّ النبيِّ دعوةَ شيخٍ قدْ دنا هدْمُ داره ودمارُهْ
فهو كالماخض التي اعتادها الطَّلْـ ـقُ فقرَّتْ وما يقرُّ قرارُه
إن تَحُزْ عُسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً فبكفَّيْك عُسْرُه ويسارُه
أو تدعْه فللبوار، وأنّى ولماذا وأنت حيٌّ بوارُه
هل يخاف الهلاكَ شاعرُ قومٍ قدُمَتْ في مديحهم أشعارُه
لكمُ الأرضُ كلُّها فأعيروا شيخكم ما احتوى عليه جدارُه

---

(١) همّة: العجوز الفانية. المشجب: خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر. يريد أنّ أمّه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب.

(٢) اللحي: عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان. القُطْرب: هنا هو ذكر الغيلان أو الصغير من الجنّ.

(٣) العير المغرب: الحمار الذي اشتدّ بياضه حتى ابيضّت محاجره. (٤) مطبوعة: مختومة.

(٥) اللّزَب: ضيق العيش (٦) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها. الكهبة: غبرة مشوبة سواداً.

(٧) من الواضح أن الشاعر يهدّد الرجلين ويتوعدّهما بالهجاء، ويطلب من الخليفة أن يأذن له بالهجوم عليهما

فكأنْ قد مضى وخلَّف فيكم ... ما أعرتُم وأقْفَرتْ منه دارُه

فاستعبر المنصورُ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله. (١٠/٢٥٨)

(١٣٩)

قال ابن النَّطاح: ودخل أبو دُلامة على المهديّ وعنده مُحْرز ومُقاتل ابنا نُوّال يعاتبانه على تقريبه أبا دُلامة ويعيبانه عنده. فقال أبو دُلامة:

ألا أيُّها المهديّ هل أنت مُخْبري ... وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي

ألم ترْحَم اللُّحيَيْن من لحيَتَيهما ... وكلتاهما في طولها غيرُ طائل

وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرمي ... بحلْقِهما من مُحْرزٍ ومُقاتلِ

فإنْ يأذنِ المهديُّ لي فيهما أقُلْ ... مقالاً كوقع السيف بين المفاصل

وإلاّ تدَعْني والهمومُ تَنُوبني ... وقلبي من العِلْجَيْن جمُّ البلابل

فقال: أو آخُذُ لك منهما عشرة آلاف درهم يَفْديان بها أعراضهما منك؟ قال: ذلك إلى أمير المؤمنين. فأخذها له منهما وأمسك عنهما. (١٠/٢٦٠)

(١٤٠)

قال ابن النَّطاح: ودخل أبو دُلامة على سعيد بن دعْلَج مولى بني تميم فقال:

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ ... عليك ورحمةُ الله الرحيم

وأمّا بعد ذاك فلي غريمٌ ... من الأعراب قُبِّح من غريم

غريمٌ لازمٌ بفناء بيتي ... لزومَ الكلب أصحابَ الرَّقيم(١)

له مائةٌ عليّ ونصفُ أخرى ... ونصفُ النِّصْفِ في صكٍّ قديم

دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن ... وصلتُ بها شيوخَ بني تميم

أتوْني بالعشيرة يسألوني ... ولم أكُ في العشيرة باللَّئيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك! وزِدتكَ مائة. (١٠/٢٦١)

---

(١) الرقيم: جاء في اللسان (١٢/٢٥١): «قال أبو القاسم الزجاجي: في الرقيم خمسة أقوال: أحدهما عن ابن عباس أنه لوح كتب فيه أسماؤهم (يعني فتية الكهف). الثاني أنّه الدواة بلغة الروم، عن مجاهد. الثالث القرية: عن كعب. الرابع الوادي. الخامس الكتاب: عن الضحاك وقتادة وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة».

(١٤١)

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال المهدي يوماً وبين يديه مرْوان بن أبي حفصة: أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور:

له لحظاتٌ عن حِفافيْ سريره إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ(١)

فاعترضه أدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هرْمة كما قال الأخطل:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

قال: فغضب المهديّ حتى استشاط وقال: كذب والله ابنُ النُّصرانية العاضُّ بظْر أمّه وكذبتَ ياعاضُّ بظْرِ أمِّك! والله ولولا أن يقال: إني خفرتُ(٢) بك لعرفْتك منْ أكثرُ شعرا! خذوا برجل ابن الفاعلة فأخْرجوه عنّي! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمه وهو يُجرُّ ويقول: يابنَ الفاعلة! أراها في رءوسكم وأنفسكم!(٣). (٦٧/١١)

(١٤٢)

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال: كان أبو عديٍّ الذي يقال له العبْليّ مجفواً في أيّام بني مروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم، فلمّا أفضتِ الدولةُ إليهم لم يُبْقواعلى أحدٍ من بني أميّة، وكان الأمرُ في قتلهم جداً إلاَّ مَنْ هرب وطار على وجهه. فخاف أبو عديٍّ أن يقع به مكروه في تلك الفوْرة فتوارى؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرمه وماله، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح، فدخل عليه في غُمار(٤) النّاس متنكراً وجلس حجْرةً(٥) حتى تقوّض القوم وتفرّقوا، وبقي أبو العباس مع خاصته. فوثب إليه أبو عديٍّ فوقف بين يديه وقال:

ألا قُلْ للمنازل بالسِّتارِ سُقيت الغيْثَ من دمنٍ قفارِ(٦)
فهل لك بعْدنا عِلْمٌ بسلْمى وأتْرابٍ لها شبهِ الصِّوارِ(٧)

---

(١) حفافي: جانبي. (٢) خفرت: غدرتُ.

(٣) جاء في غضب الخليفة من مديح الأخطل الذائع لبني أمية، مع إعجاب أدم بهذا المديح وتفضيله على مديح الشعراء للعباسيين، فكان ما رأيناه من إيقاع الأذى بآدم بسبب ذكره ذلك الشعر.

(٤) غُمار الناس: عامّتهم وجماعتهم. (٥) حَجرة: ناحية.

(٦) الستّار: اسم موضع. (٧) الصّوار: القطيع من البقر.

أوانسُ لا عوابسُ جافياتٌ ... عن الخُلُق الجميل ولا عواري
وفيهنَّ ابنةُ القُصوىِّ سلمى ... كهمٍّ النَّفْسِ مُفْعمةُ الإزار(١)
تلوثُ خمارها بأحمَّ جعْدٍ ... تُضلُّ الفالياتُ به المداري(٢)
برهْرَهَةٌ منعَّمةٌ نمتْها ... أبوَّتُها إلى الحسبِ النُّضارِ(٣)
فدعْ ذكر الشباب وعهد سلمى ... فمالك منهما غيرُ ادِّكار
وأهْدِ لهاشمٍ غُرَرَ القوافي ... تنخَّلها بعلمٍ واختيار(٤)
لعمرُكَ إنَّني ولُزومَ نجْدٍ ... ولا أَلْقى حباءَ بني الخيار(٥)
لكالبادي لأبردَ مُستهلٌّ ... بحوباءَ كبطن العيْرِ عار(٦)
سأرحل رحْلةً فيها اعتزامٌ ... وجدٌ في رواحٍ وابتكارِ
إلى أهْلِ الرسول غدتْ برحْلي ... عُذافرةٌ ترامى بالصَّحاري(٧)
تؤمُّ المعْشرَ الأبرارَ تبغي ... فكاكاً للنِّساءِ من الإسار
أيا أهل الرسول وصيدَ فِهْرٍ ... وخيرَ الواقفين على الجمار(٨)
أتُؤخذ نسوتي ويُحازُ مالي ... وقد جاهرتُ لو أغنى جهاري
واذْعَرُ أن دُعيتُ لعبد شمسٍ ... وقد أمسكتُ بالحرم الصَّواري
بِنُصرةِ هاشمٍ شهَّرتُ نفسي ... بداري للعدا وبغير داري
بقُرْبي هاشمٍ وبحقِّ فِهْرٍ ... لأحمدَ لفَّه طيبُ النُّجارِ
ومنزلُ هاشمٍ من عبد شمسٍ ... مكانَ الجيدِ من علْيا الفقارِ

فقال له السفّاح: مَنْ أنت؟ فانتسبَ له. فقال له: حقٌّ لعمْري أعرفه قديماً ومودَّةٌ لا أجحدها،

---

(١) القصويّ: نسبة إلى قصيّ.
(٢) تلوث: تلفّ. والأحمّ: الأسود. والجعد من الشعر: خلاف السبط، وهو ما فيه التواء وتقبّض. والفاليات: من فلا الرأس يفليه ويفلوه. والمداري: جمع مدرى، وهو شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشعر المتلبّد. وأضلال المداري في الشعر كناية عن طوله وغزارته.
(٣) برهرهة: البيضاء الناعمة. النُّضار: الخالص الذي لم يَشُبْه ما يدنّسه.
(٤) تنخّلها: هي تتنخّلها، تختارها وتنتقيها. (٥) الحباء: العطاء.
(٦) البادي الخارج إلى البادية، والأبرد هنا: التمر. ومستهلّ هنا: رافع صوته. وبطن العير: المعروف أنّه يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير. والحوباء: النفس.
(٧) العذافرة من الإبل: العظيمة الشديدة.
(٨) الصيد: جمع أصيد. يريد سادات فهر وملوكها.

وكتب له إلى داوُدَ بن عليٍّ بإطلاق مَنْ حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تُبلِّغه المدينة. (٢٩٥/١١)

(١٤٣)

وأخبرني حرميّ عن الزُّبير، وأخبرني الأخفش عن المُبرِّد عن المُغيرة بن محمد المهلّبيّ عن الزُّبير عن سُليمان بن عياش السعديّ قال: جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبليّ إلى سُويقة(١) وهو طريد بني العباس، وذلك بعقبِ أيَّام بني أميَّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العباس، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُويقة، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تُنشدني شيئاً مما رثيتَ به قومك، فأنشده:

تقول أمامةُ لمَّا رأتْ نُشوزي عن المضجَعِ الأنفسِ
وقِلَّةَ نومي على مضجعي لدى هجعةِ الأعيُنِ النُّعَّسِ
أبي ما عراكَ؟ فقلتُ الهمومُ عرونَ أباكِ فلا تُبلسي(٢)
عرونَ أباكِ فحبَّسْنَه من الذُّلِّ في شرِّ ما محبَسِ
لفقدِ العشيرةِ إذ نالها سهامٌ من الحدثِ المُبْئِسِ
رمتْها المنونُ بلا نُصَّلٍ ولا طائشاتٍ ولا نُكَّسِ(٣)
بأسْهُمِها الخالساتِ النُّفوسَ حتى ما اقتضتْ مُهْجةَ تخلس
فصرعاهُمُ في نواحي البلادِ تُلقى بأرضٍ ولم تُرْمَسِ(٤)
كريمٌ أُصيبَ وأثوابُه من العارِ والذَّامِ لم تدنسِ
وآخرُ قد طار خوفَ الرَّدى وكان الهُمامَ فلم يُحْبَسِ
فكم غادروا من بواكي العيونِ مرضى ومن صِبْيةٍ بُؤَّسِ
إذا ما ذكرنَهُم لم تنَمْ لحرِّ الهموم ولم تَجْلسِ
يُرجِّعْنَ مثلَ بُكاءِ الحمامِ في مأتمٍ قلقِ المجْلسِ
فذاك الذي غالني فاعلمي ولا تسأليني فتسْتَنْحِسي(٥)

---

(١) سويقة هنا: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الإبلاس: اليأس والتحيّر، والسكوت من الغمّ والحزن.

(٣) النّصل: جمع ناصل، والناصل من السهام هنا: الذي سقط نصله، ويقال سهم نِكْس وهو الذي ينكس أو يُكسر فوقه ليجعل أعلاه أسفله والجمع أنكاس.

(٤) لم تُرمس: لم تُدفن. (٥) استنحس عن الأخبار: طلبها وتتبّعها بالاستخبار.

وأشياءُ قد ضيفَتني بالبلاد ولستُ لهنّ بمُسْتحلِس(١)
أفاض المدامِع قتلى كُدىً وقتلى بكُثْوة لم تُرْمس(٢)
وقتلى بوجٍّ وباللاّ بتيـ ـنِ من يثْربٍ خيرُ ما أنْفُس(٣)
وبالزّابيَيْن نفوسٌ ثوتْ وقتلى بنَهْرِ أبي فُطْرُس(٤)
أولئك قومٌ تداعتْ بهم نوائب من زمن متْعس
أذلّتْ قيادي لمن رامني وألزقتِ الرُّغْمَ بالمعْطِس(٥)
فما أنْس لا أنس قتلاهُم ولا عاش بعدهُم مَنْ نسي

قال: فلمَّا أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن. فقال له عمُّه الحسنُ بن حسن بن عليّ عليهم السلامُ: أتبْكي على بني أميَّةَ وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد! فقال: والله يا عمِّ لقد كنّا نقمْنا على بني أميّة ما نقمنا، فما بنو العبّاس إلاّ أقلُّ خوفاً لله منهم، وإنَّ الحُجَّةَ على بني العبّاس لأوجبُ منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر. فوثب حسن وقال: أعوذُ بالله من شرك، وبعث إلى أبي عديّ بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبرهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثتْ إليه أمُّهما هندٌ بخمسين ديناراً، وكانت منفعتُه بها كثيرة. فقال أبو عديٍّ في ذلك:

أقام ثويُّ بيتِ أبي عديٍّ بخير منازلِ الجيران جارا(٦)
تَقوّضَ بيتُه وجلا طريداً فصادفَ خيرَ دُور الناس دارا(٧)
وإنّي إن نزلتُ بدار قومٍ ذكرتُهُمُ ولم أذممْ جوارا

---

(١) ضيفنني: نزلن بي، والمستحلس للشيء: الملازم له.

(٢) كُدى: موضع أسفل مكة عند ذي طوًى، وقيل بأعلى مكة. ينظر معجم البلدان (٤/٤٣٩). كُثْوة: موضع، ينظر معجم البلدان (٤/٤٣٨).

(٣) وجّ: من أسماء الطائف القديمة، ينظر معجم البلدان، ٤/٩ اللاّبتان: تثنية لابة وهي الحرّة، والحَرّة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنّها أحرقت بالنار، ينظر معجم البلدان (٥/٣)، و(٢/٢٤٥). وذكر ياقوت لابٌ (جمع لابة) كثيرة والمقصود هنا لابتا يثرب.

(٤) والزّابان: نهران بالعراق، أحدهما الأعلى، والثاني الأسفل، ينظر معجم البلدان (٣/١٢٤). نهر أبي فُطْرُس: قال ياقوت (٥/٣١٥)، «موضع قرب الرملة من أرض فلسطين .. به كانت وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة (١٣٢)». ثم يذكر ياقوت أبياتاً من قصيدة العبلي هذه. وواضح أنَّ الشاعر يأتي على ذكر بعض المواقع المهمة التي قتل الجيش العباسي كثيراً من بني أمية فيها.

(٥) الرّغم: التراب، والمَعْطِس: الأنف. (٦) الثويّ: الضيف. (٧) جلا عن بلده: خرج.

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه: أقسمتُ عليكم إلاّ أعطيتموه خمسين ديناراً أخْرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أخرى عن هند. (٢٩٧/١١)

(١٤٤)

وذكر العبّاس بن عيسى العُقيليّ عن هارون بن موسى الفرويّ عن سعيد بن عُقْبة الجُهْنيّ قال: حضرتُ عبدَ الله بن عُمر المكنى أبا عديّ الأمويّ يُنْشدُ عبد الله بن حسن قوله:

أفاض المدامعَ قتْلى كُدَى ... وقتْلي بكُـثْوةَ لـم تُرْمَسِ

قال: فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجري على خدِّه. (٣٠٢/١١)

(١٤٥)

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصْر المهلّبيّ قالا حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعْد قال حدّثني حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلْبيّ قال حدّثني أبو السِّمْط مرْوان الأصغر قال: لمّا دخلتُ إلى المتوكّل مدحته ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة، وأنشدتُه:

سقى الله نجْداً والسلامُ على نجْدِ ... ويا حبّذا نجدٌ على النّأي والبُعْدِ

نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ

ونجدٌ بها قومٌ هواهمْ زيارتي ... ولا شيءَ أحلى من زيارتهمْ عندي

قال: فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظّهْرِ فرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ، ولم أبرحْ حتّى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول:

تخيَّرَ ربُّ النّاسِ للنّاس جعفرا ... وملّكَه أمرَ العبادِ تخيُّرا

فلما صرتُ إلى هذا البيت:

فأمْسِكْ ندى كفّيْكَ عنّي ولا تزِد ... فقد كِدْتُ أنْ أطغى وأنْ أتجبّرا

قال لي: لا والله لا أمسكُ حتّى أغرقَك بجودي. (٨٠/١٢)

(١٤٦)

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا أبو العيناء قال: دخل مرْوانُ الأصغرُ بن أبي الجنوبِ على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها، فجعل أشْناس يُحرِّك رأسه ويومئ بيديه ويُظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصلةٍ. فلمّا خرج قال له كاتبه: رأيتُ الأميرَ قد طربَ وحرّك رأسه ويديه لما كان يسمعه، فقد فهمه؟ قال نعم. قال: فأيّ شيء كان يقول؟ قال: مازال يقول عليَّ رُقْيةَ

الخُبْزِ حتّى حصَّل ما أراد وانصرف(١). (٨٥/١٢)

(١٤٧)

أخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مزيدٍ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: سخِطَ الفضلُ بن الرُّبيع على ابن سيابة، فسألتُه أن يرضى عنه فامتنع، فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها:

إنْ كان جُرْمي قد أحاطَ بحُرْمتي ... فاحِطْ بجُرْمي عفوكَ المأمولا

فكم ارْتجيْتُك في الّتي لا يُرْتجى ... في مثلها أحدٌ فنِلْتُ السُّولا(٢)

وضلَلْتُ عنك فلم أجِدْ لي مذهباً ... ووجدتُ حِلْمَك لي عليك دليلا

هبْني أسأتُ وما أسأتُ أقرُّكي ... يزداد عفْوُك بعد طَوْلك طُولا

فالعفْوُ أجْملُ والتَّفضُّلُ بامرئٍ ... لم يعْدَم الرّاجون منه جميلا

فلمّا قرأها الفضلُ دمعتْ عيناه ورضي عن ابن سيابة، وأوْصله إليه وأمر له بعشرة آلاف درهم. (٩٠/١٢)

(١٤٨)

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعْدٍ قال حدثني عبد الله بن فرْقدٍ قال أخبرني محمد بن الفضْل بن محمد بن منصور قال: لمّا افتتح عبدُ الله بن طاهر مصر ونحن معه، سوّغه المأمون خراجها، فصعد المنبرَ فلم يزلْ حتّى أجاز بها كلّها ثلاثة آلافِ ألف دينارٍ أو نحْوها. فأتاه مُعلّى الطائيُّ وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالنّاس في الجوائز، وكان عليه واجداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأمير! أنا مُعلّى الطائيّ، وقد بلغ منّي ما كان منك (إليّ) من جفاءٍ وغلظٍ. فلا يغْلُظَنّ عليّ قلبك، ولا يسْتخِفّنّك الذي بلغك. أنا الذي أقول:

يا أعظم النّاسِ عفواً عند مقْدرةٍ ... وأظْلَمَ الناس عند الجود للمال

لو أصبح النّيلُ يجري ماؤه ذهباً ... لما أشرتَ إلى خزْنٍ بمثْقالِ

---

(١) معلوم أنّ أشناس الأعجمي لم يفهم الشعر الذي قاله الشاعر يمدحه به، ولكنّه أظهر سروراً به، وأعطى الشاعر صلةً. والمهم في هذا النصّ هو إنّ أشناس يرى أنّ الشاعر جاء ليأخذ، فهو طالب فضل، ولعلّه ينضوي تحت ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه مراراً.

(٢) السؤال والسُولة، ويترك همزهما، هو ما سألته وطلبته.

(١) أغلى بالشيء: جعله غالياً.

تُغْلي بمـا فيه رقُّ الحمدِ تملكُـه ... وليس شيءٌ أعاضَ الحمدَ بالغالي(١)
تفُكُّ باليُسْرِ كفُّ العُسْـرِ من زمنٍ ... إذا اسـتطالَ على قـوم بإقـلالِ
لم تخْلُ كفُّك مـن جُودٍ لمُخْتـبطٍ ... (أ)و مُرْهَفٍ قـاتلٍ في رأس قتّالِ(٢)
ومـا بثثْتَ رعيلَ الخـيلِ في بلدٍ ... إلاّ عـصـفْـنَ بـأرزاقٍ وآجـالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ مننْتَ بـه ... فـإنَّ شُكْرك من قلبي على بالِ
مـا زلْتُ منقضباً لولا مُجاهرةٌ ... من ألْسُنٍ خُضْنَ في صدْري بأقوالِ(٣)

قال فضحك عبد الله وسُرَّ بما كان منه، وقال: يا أبا السَّمراء أقْرِضْني عشرةَ آلاف دينار، فما أمسيتُ أملكها؛ فأقرضه فدفعها إليه. (١٢/١٠١)

(١٤٩)

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحكم بن موسى السَّلوليّ قال حدّثني أبي قال: بينا نحن بالرافقة(٤) على باب الرَّشيد وقوفٌ، وما أفقدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وصيفٌ كأنَّ دُرَّةٌ فقال: يا معشر الصحابة: إنَّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم منْ كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعْفُرْ:

نام الخليُّ وما أحسُّ رُقَادي ... والهـمُّ مُحْتَضرٌ لديَّ وسادي(٥)

فليدخلْ فليُنْشدها أمير المؤمنين وله عشرةُ آلاف درهم، فنظر بعضُنا إلى بعضٍ، ولم يكنْ فينا أحدٌ يرويها. قال: فكأنّما سقطتُ والله البَدْرةُ عن قربوسي(٦) قال الحكم: فأمرني أبي فرويتُ شِعرَ الأسودِ بن يعْفر من أجل هذا الحديث. (١٣/١٧)

(١٥٠)

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني على بن سليمان الأخفش، عن محمد بنِ يزيد، قالوا جميعاً: كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمروٍ العتابي، فلما دخل عليه

---

(١) اختبطه وتخبّطه: سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودّة أو معرفة.

(٢) انقضب من أصحابه: انقطع عنهم.

(٣) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة على ضفة الفرات، ثم خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة، وصار اسم المدينة الرقة، وهي من أعمال الجزيرة، مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات.

(٤) محتضر: حاضر. (٥) القربوس: الجزء المعوج من السَّرج.

قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفادتك فسرّتني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قُسمت هاتانِ الكلمتانِ على أهل الأرضِ لوسعتاها فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتّسعِ له أمنية، ولا يبسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلاّ بك، ولا دنيا إلا معك(١). فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلقُ من لساني بالسُّؤال. فوصله صلاتٍ سنية، وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محلّ. (١١١/١٣)

(١٥١)

أخبرني الحسن بن علي قال، حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بن الحدين، قال: وَجِد(٢) الرشيد على العتّابيّ. فدخل سراً مع المتظلّمين بغير إذنٍ، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذتني الناس لك ولنفسي فيك، وردُّني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكُّرك قناعةً بغيرك، ولنعم الصّائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أخضنْني المقام الغمرَ إن كان غرّني ... سنا خُلَّبٍ أو زلّتِ القدمان(٣)
أتتركُني جدبَ المعيشةِ مُقْتِراً ... وكفّاكَ من ماء الندى تكفان(٤)
وتجعلني سهْمَ المطامع بعد ما ... بللت يميني بالنّدى ولساني

قال: فأعجب الرُّشيد قولُه، وخرج وعليه الخِلعُ، وقد أمر له بجائزةٍ، فما رأيتُ العتّابي قطُّ أبسط منه يومئذٍ. (١١٣/١٣)

(١٥٢)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه عن أبي الشِّبل. قال: دخل العتّابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

حُسن ظني وحسنُ ما عوّد اللـ ... ـهُ سواي منك الغداة أتى بي
أيُّ شيءٍ يكونُ أحسن من حسـ ... ـنِ يقينٍ حدا إليك ركابي

---

(١) يربط الشاعر ربطاً محكماً بين الدنيا وبين الخليفة، فهي لا تتحقّق لطالبها إلاّ به، وكأنه يشير بذلك إلى ما مرّ سابقاً من ارتفاع مكانة الشاعر حين يدخل على الخلفاء وينشدهم شعره، وتنخفض مكانته إذا مُنِع وحُجب.

(٢) وَجِد: غَضب. (٣) الغمر: الماء الكثير، وسنا خلّب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

(٤) تكفان: تهطلان.

قال: فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده:

ودكُّ يكفـينيكَ فـي حـاجـتي ورؤيتي كـافـيـةٌ عن سـوالْ
وكيف أخشى الفقر مـا عشتَ لي وإنّمـا كـفّـاك لي بيت مـالْ

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده:

بهجات الثّياب يُخلقها الدهـ ـرُ وثـوبُ الثّنـاء غضٌّ جديدُ(١)
فـاكسُني مـا يبيد أصلحك اللـ ـهُ فـاللـه يكسُـوك مـا لا يبيدُ

فأمر له بجائزة، وأنعم عليه بخلعة سنيّة. (١٣/١١٦)

(١٥٣)

أخبرني عمي قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بنُ إسماعيلَ العدويُّ عن موسى بنِ عبد الله التميمي قال: عتب الرشيدُ على العتابي أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوّده أياها، فأتاه متنصلاً بهذه القصيدة:

ماذا شـجاك بحُوّارين(٦١) مـن طللٍ ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ(٢)
شجاك حتّى ضميرُ القلب مشتركٌ والعين إنسـانها بالمـاء مغمـورُ
في ناظريّ انقباضٌ عن جفونهما وفي الجفـون عن الآمـاق تقصير
لو كنتِ تدرين ماشوقي إذا جعلتْ تنـأى بنـا وبـك الأوطـان والـدورُ
علمتِ أنْ سُـرى ليلي ومُطّلعي من بيت نجران والغوريْن تغوير(٣)
إذا الركـائبُ مخسوفٌ نواظرها كـمـا تضمّنتِ الدُّهـنَ القواريرُ(٤)
نادتك أرحـامنا اللاتي نمُتُّ بها كـمـا تنـادي جِلادَ الجلّة الخورُ(٥)
مُسـتنبط عـزمـاتِ القلب من فكرٍ مـا بينهنّ وبين اللـه معمـورُ
فُـتُّ المدائـح إلا أنّ أنفسـنا مستنطَقاتٌ بما تحوي الضّمائيرُ

(١) تكرّر هذه المقولة كثيراً. رأيناها منذ زمن بعيد عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمرت إلى هذا العصر، يذهب العطاء ويبقى الثناء.

(٢) حُوّارين: من قرى حلب معروفة. أو هو حصن من ناحية حلب، ينظر معجم البلدان (٢/٣١٥).

(٣) نجران: موضع بالبحرين، وموضع قرب دمشق. والتغوير: الدخول في الغور.

(٤) مخسوف نواظرها: غارت عيونها من شدّة التعب لطول السفر.

(٥) الجلاد: النوق الصلاب، والجلّة: المسان من الإبل، والخور: جمع خوّارة على غير قياس وهي الناقة الغزيرة اللبن.

ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير
إن كان منّا ذوو إفكٍ ومارقةٌ ... وعصبةٌ دينُها العُدوانُ والزُّور(١)
فإنّ منّا الذي لا يستحثُّ إذا ... حُثَّ الجياد وحازتها المضامير(٢)
ومن عرانقه السفّاح عندكم ... مجرَّبٌ من بلاء الصِّدق مخبور
الآن قد بُعدت في خطو طاعتكم ... خُطاهم حيثُ يحتل الغشامير(٣)

- يعني يزيد بن مزيدٍ، وهشامَ بن عمرٍو التغلبيّ، وهو من ولدِ سُفَيْح بن السفاحِ - قال: فرضي عنه وردَّ أرزاقه ووصله. (١٣/١٢٤)

(١٥٤)

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرد قال: حدثنا محمدُ بنُ موسى بن حمّاد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكُراني، وأخبرني به عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد حديثَ محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدثني محمد بنُ عبد الله بن آدم بن جُشم العبدي قال: حدثنا ثابتُ بن الحارث الجُشميُّ قال: كان منصورٌ النمريُّ مُصافياً للبرامكة، وكان مسكنُه بالشام، فكتب يسألهم أن يذكُروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحبَّ أن يسمعَ كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدِم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يوم نوبةِ مروان(٤)، على ما سمعه من بيانه، وكان مروانُ يقول قبل قدومه: هذا شاميٌّ وأنا حجازي، أفتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغمّ والحسد، واستنشد الرشيدُ منصوراً، فأنشده:

أمير المؤمنين إليك خُضْنا ... غمارَ الهوْل من بلد شطير(٥)
بخُوص كالأهلة خافقاتٍ ... تلين على السُّرى وعلى الهجير(٦)
حملنَ إليك أحمالاً ثقالا ... ومثل الصخر والدر النثير(٧)

---

(١) الإفك: البهتان، والمارقة: الخارجة على الدين.

(٢) المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تركض فيه الخيل.

(٣) الغشامير من الغشمرة وهي: التهضّم والظلم.

(٤) لعلّ هذا داخل في المراسيم التي أشرنا إليها سابقاً، من تحديد أوقات معينة لدخول الشعراء على الخلفاء.

(٥) شطير: بعيد. (٦) الخوص: جمع خوصاء، وهي الناقة لما في عينها من غئور وصِغَر. يعني ركبنا هذه النوق التي أتعبها طول السفر وجئنا إليك من مكان بعيد.

(٧) أراد شعراً جزلاً هو الغاية في النفاسة.

فـقـد وقــف المديحُ بمنتـهـاه وغـايتبه وصـار إلى المصيـر

إلى من لا يشـيـر إلى سـواه إذا ذُكِـر النّدى كفُّ المشيـرِ

فقال مروان: وددتُ والله أنه أخذ جائزتي وسكت. وذكر في القصيدة يحيى بن عبدِ الله بن حسن فقال:

يذلِّل مـــن رقـــاب بني علي ومن ليس بالمنِّ الصـــغيـر

مننْتَ على ابن عبد الله يحيى وكان من الحُتوف على شفير(١)

قال مروان: فما برحتُ حتى أمرني هارون أميرُ المؤمنين أن أنشده ، وكان يبتسم في وقتِ ما كان ينشده النمريّ، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته:

موسى وهارون هما اللذانِ في كتب الأخبار يوجدان

من ولـد المهـدي مـهـديّان قُــدًا عنانين على عــنان(٢)

قد أطلق المهديُّ لي لساني وشـدّ أزري ما بـه حباني

من اللُّجين ومن العـقـيـان عـيـديّةً شـاحطةَ الأثمـان(٣)

لـو خـايلت دجلـة بالألبان إذاً لقيل اشـتبـه النهران(٤)

قال: فوالله ما عاج(٥) النمريّ بذلك ولا احتفل به، فـأومـأ إليَّ هارون أن زده؛ فـأنشـدته قصيدتي التي أقول فيها:

خلُّوا الطريقَ لمعشر عاداتهمْ حطمُ المناكـب كل يوم زحـام

ارضَوْا بما قسم الإلهُ لكم بـه ودعُوا وراثةَ كلِّ أصـيـد حـام(٦)

أنَّى يكـون وليس ذاك بكـائن لبنى البنات وراثةُ الأعـمـام

قال: فوالله ما عاج عنها بشيء، وخرجت الجائزتان فأعطى مروان مائة ألف وأعطى النمريَّ سبعين ألفاً، وقال: أنت مزيدٌ في ولد علي. (١٤١/١٣)

---

(١) شفير كل شيء: ناحيته وحرفه.

(٢) قُدًا: قيسا وعملا، والعِنان: هو السَّير يشدّ به اللجام، والمعنى أنّهما يشبهان المهدي في صفاته.

(٣) العيديّة: ضرب من نجائب الإبل، وشاحطة الأثمان: غالية، مرتفعة الثمن.

(٤) خايلت: فاخرت.

(٥) عاج: انعطف واهتم بالأمر.

(٦) الأصيد: الملك الرافع رأسه كبرا، وحام: هو الذي يحمي الذّمار.

(١٥٥)

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: حدثني عبدُ الصمد بنُ المعذَّل قال: دخل مروانُ بنُ أبي حفصة وسلْم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروانُ قصيدته التي يقول فيها:

أنَّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البناتِ وراثـةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال: حضر الرّحيل وشُدَّت الأحداجُ(١)

وأنشده النمريّ قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلَّك الله منها حيثُ تجتمعُ

فأمر لكلِّ واحد منهم بمائةِ ألفِ درهم، فقال له يحيى بنُ خالدٍ: يا أمير المؤمنين، مروانُ شاعرك خاصّةً قد ألحقتهم به. قال: فلْيُزَدْ مروان عشرة آلاف. (١٤٤/١٣)

(١٥٦)

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن سعدٍ قال: حدثنا محمدُ بنُ عبد الله بن آدم العبديّ عن أبي ثابت العبديّ عن مروانَ بن أبي حفصةَ، قال: خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم، فظفر الرشيدُ، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عزوجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنَّمريّ: أنشدا. فأنشدته قولي:

طرقَتْك زائرةٌ فحيِّي خيالها غـراءُ تخلِط بالحياء دلالها(٢)

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رُزِقه، فقال: عُدُّوا قصيدته؛ فكانت مائةَ بيتٍ، فأمر لي بمائةِ ألفِ درهم(٣)، ثم قال للنَّمريّ: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمريّ:

مُضِرٌّ علـى فـأس اللجـام كـأنَّه إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطير(٤)

فظلَّ على الصُّفصـاف يومَ تباشـرت ضِـبـاعٌ وذُؤبـان به ونسـور(٥)

---

(١) الأحداج: جمع حِدج، وهو المحفَّة كالهودج. (٢) الغرَّاء: البيضاء.

(٣) أشرنا إلى انتشار ظاهرة عدّ أبيات القصيدة، ومنح الشاعر مالاً لكلّ بيت فيها، والرشيد يصنع هذا هنا.

(٤) مضِرّ على فأس اللجام: يقال أضرَّ الفرس على اللجام إذا أزمّ عليه، وفأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.

(٥) الصُّفصاف: كورة من ثغور المصيصة غزاها سيف الدولة بن حمدان في سنة (٣٣٩)، ينظر معجم البلدان =

فـاقْـسِمْ لا ينْسى لك الله أجـرهـا   إذا قُسِّـمت بين العـبـادِ أجـور

قال النمريّ: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إذكارِه بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغيث أكْدى واقشعرَّتْ نجومُه   فغيـث أمـيرِ المـؤمنين مـطيرُ(١)

ومـا حلَّ هـارونُ الخليفـةُ بلـدةً   فـأخلفـهـا غـيثٌ وكـاد يضـيـر(٢)

فقـال: أذكرتني. ورأيتـه مُتـهلِّلاً لذلك. قـال: فـألحقني بمروانَ وأمـر لي بمائةِ ألفِ درهم. (١٤٥/١٣)

(١٥٧)

أخبرني عمّي، قـال: حدّثنا ابنُ أبي سعدٍ، قال: حدّثنا علي بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سببِ غضبِ الرشيد عليه، فقال له: استقبلت منصورا النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموما واجما كئيباً، فقلت له: ما خبرُك؟ فقال: تركت امرأتي تُطلّقُ، وقد عسر عليها ولادها، وهي يدي ورجلي(٣)، والقيِّمةُ بأمري وأمرِ منزلي. فقلت له: لم لا تكتبُ على فرْجِها «هارون الرشيد»؟ قال: ليكون ماذا؟ لتلد على المكان. قال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايله   أو ضـاق أمرٌ ذكـرناه فيتّسـعُ(٤)

فقال لي: يا كشخان(٥)، والله لئن تخلصتِ امرأتي لأذكرنَّ قولك هذا للرشيد. فلما ولدت امرأته خبَّر الرشيدَ بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيدُ لذلك وأمر بطلبي، فاستترتُ عند الفضلِ بن الربيعِ، فلم يزل يسأل فيَّ حتى أذن لي في الظهور؛ فلما دخلتُ عليه، قال لي: قد بلغني ما قلته للنمريّ، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذُّبِ عليَّ إلاَّ وقوفي على ميله إلى العلويَّة، فإنْ أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلتُ. فقال: أنشدني . فأنشدته قوله:

= (٤١٣/٣)، وتُباشرُ الضباع والذئاب والنسور في ذلك اليوم معلوم، لأنَّ كثرة قتلى الخليفة ستجعل منهم فرائس سهلة لتلك الضواري.

(١) أكدى الغيث: منع ولم يسقط مطره.

(٢) أخلف الغيث: لم يمطر، وكاد يضير: كاد يُتْلف لغزارته.

(٣) وهي يدي ورجلي: أي أعتمد عليها اعتماداً كبيراً مطلقاً، وما تزال العامية البغدادية تستعمل هذا التعبير.

(٤) مخايله: جمع مَخيلة وهي السحابة. (٥) الكَشخان: الديّوث.

شاءٌ من الناس راتع هاملٌ يعلّلون النفوس بالباطلْ(١)

حتى بلغت إلى قوله:

ألا مساعير يغضبون لها بسلّة البيض والقنا الذأبل(٢)

فغضبَ من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضلِ بن الربيع: أحضرْه الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد تُوفّيَ، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزلِ الفضل يلطُف له حتى كفَّ عنه. (١٤٨/١٣)

(١٥٨)

أخبرني عمي قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال: حدّثنا يحيى بنُ الحسنِ بنِ عبد الخالقِ، قال: حدّثني بعض الزينبيين، قال: حبسَ الرشيد منصوراً النمريَّ بسبب الرفضِ، فتخلّصه الفضلُ بن الربيع، ثم بلغه شعره في آلِ عليٍّ عليه السلام، فقال للفضلِ: اطلبه. فستره الفضلُ عنده، وجعلَ الرّشيدُ يُلحُّ في طلبه، حتّى قال يوماً للفضل: ويْحك: يا فضلُ تُفوّتُني النمريّ؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حَصلّته. قال: فجئني به. وكان الفضل قد أمره أن يُطوّلَ شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحبَ وتسوء حالته، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا شعرهُ(٣)، وساءت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضلُ: يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

ألا مساعيرَ يغضبون لها بسلة البيضِ والقنا الذابل

فقال منصور: لا ياسيدي ما أنا قائلُ هذا، ولقد كُذِب عليَّ، ولكني القائل:

يا منزل الحي ذا المغاني انعم صباحاً على بلاكا(٤)

هارون يا خير من يُرجّى لم يُطِعِ اللهَ مَنْ عصاكا

---

(١) جعل بعض الناس دوابّاً هَمَلاً، واختار الشاء، ليدلّ على جهلهم، وعدم إدراكهم للأمور، لعلّه يقصد العباسيين ومَنْ والاهم، ولذلك رأينا الرشيد يغضب غضباً شديداً.

(٢) ضبط محقق الأغاني (ألا) هكذا: (إلاّ) ولا معنى لها، والصواب ألا للطلب والحثّ. والمساعير الأشدّاء الشجعان، وقد أغفل جامع شعر منصور النمري شرح البيت، ينظر شعره، جمع الطيب العشاس. (ص١٢٣ - ١٢٤)، والسلّة: استلال السيوف. أي إخراجها من أغمادها، والبيض: السيوف، والقنا: الرماح. ينظر لسان العرب (٣٦٦/٤)، والضمير في (لها) يعود إلى السيدة فاطمة بنت محمد (ص) وواضح أنّ الشاعر يدعو إلى نصرة السيدة فاطمة في أولادها، وقد فهم الرشيد في نصّ آخر هذا الأمر، إذ يقول بعد سماعه هذا البيت: «أراه يحرّض عليّ». تاريخ بغداد (٦٨/١٣)، ولذلك يأمر بمعاقبته، وملاحقته بعد موته.

(٣) عفا شعره: طال وكثر. (٤) البِلى: القِدَم.

في خير دين وخير دنيا — من لتُقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخلية سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع:

رأيت المُلك مُذ أزر — تَ قد قلمت محانيه(١)

هو الأوحد في الفضلِ — فما يعرف ثانيهِ (١٣/١٤٩)

(١٥٩)

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال أتى النمريّ يزيد بن مزيد ويزيد يومئذ في إضاقة(٢) وعسرة، فقال: اسمع منّي جُعلت فداك. فأنشده قصيدةً له، يقول فيها:

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسب — سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسب

تَلوى المكارم من بكر إلى ملك — من آل شيبانَ يحويهنّ من كثب

أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم — في منبت النَّبع لا في منبت الغرب(٣)

إنّ أبا خالد لما جرى وجرت — خيلُ الفدى أحرز الأولى من القصب(٤)

لما تلغّبهنّ الجريُ قدّمه — عتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب(٥)

إن الذين اغتزوا بالحُرّ غِرّته — كمغتزي الليث في عرّيسه الأشِب(٦)

ضرباً دراكاً وشدّاتٍ على عنقٍ — كأنّ إيقاعها النّيرانُ في الحطب(٧)

لا تقربنّ يزيداً عند صولته — لكنْ إذا ما احتبى للجُود فاقترب(٨)

فقال يزيد: والله ما أصبح في بيت ما لي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاء بمائةِ دينارٍ وحلفَ أنّه لا يملك يومئذ غيرها. (١٣/١٥٥)

---

(١) أزرت: عاونت وصرت وزيراً، ومحانيه: معاطفه.

(٢) الإضاقة: ذهاب المال والضيق.

(٣) الغَرَب: ضرب من الشجر.

(٤) قصبة السباق: هي القصبة التي توضع في آخر المضمار، ومَنْ جاء بعدها يُعدُّ سابقاً.

(٥) تلغبهنّ: أطال الطرد، والعتق: الكرم، وغير مؤتشب: غير مختلط.

(٦) اغتزوا: قصدوا، والمغتزي: القاصد، والعرِّيس: مأوى الأسد، والأشب: الشجر الملتفّ.

(٧) الدراك: لحاق الفرس الوحش واتبع الشيء بعضه بعضاً، والعَنَق: السَّير السريع.

(٨) احتبى بالثوب: اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها.

(١٦٠)

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، حدّثني محمدُ بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدّثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمريّ: كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيدُ الله بنُ هشام بنِ عمروٍ التغلبي، وقد وخطني الشَّيب يومئذ، وعبيد الله شابٌّ حديث السن. فإذا أنا بقصْرية(١) ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفَتْ، وقلت فيها:

لمّا رأيتِ سوامَ الشيب منتشرا ... في لِمّتي وعبيدَ الله لم يشبِ(٢)
سَلّلْتِ سهمين من عينيك فانتضلا ... على سبيبة ذي الأذيال والطربِ(٣)
كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... إلى الفروع معرّاة عن الخشبِ(٤)
لا أنتِ أصبحت تعتدِّيننا أربا ... ولا وعيشك ما أصبحت من أربي
إحدى وخمسين قد أنضيت جدّتها ... تحول بيني وبين اللهو واللعبِ(٥)
لا تحسبِيني وإن أغضيتُ عن بصري ... غفلتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيدَ بن مزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسبٍ ... سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسبِ
لا تحسب الناسَ قد حابَوْا بني مطرٍ ... إذ أسلمَ الجودُ فيهم عاقد الطنبِ
الجود أخشنُ لمساً يا بني مطر ... من أن تَبُزّكُموهُ كفُّ مستلبِ
ما أعرفَ الناسَ أنَّ الجُود مدفعةٌ ... للذمِّ لكنّه يأتي على النشبِ(٦)

قال: فأعطاني يزيدُ عشرة آلاف درهم. (١٥٦/١٢)

(١٦١)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدّثني عليُّ بنُ محمدٍ النّوفلي، فقال: هجا عبدُ الصمد بنُ المعذَّل قينةً بالبصرة قال فيها:

---

(١) القصرية: نسبة إلى القصر، صفة للغانية.

(٢) السوام في الأصل: الإبل الراعية، وعنى به الشيب المتفرّق في جوانب الرأس. واللمّة: الشعر المجاور شحمة الأذن.

(٣) انتضلا: خرجا. والسبيبة: الخصلة من الشَّعر.

(٤) القاصدة: المتّجهة. ومعراة من الخشب: أي تحبّ الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السنّ.

(٥) أنضيت: أخلقت وأبليت. (٦) النَّشب: المال والعقار.

تفتَرُّ عن مضحكِ السَّدْريّ إن ضحكت   كرْفَ الأتان رأت إدلاءَ أعيار(١)
يفوحُ ريحُ كنيفٍ من ترائبها   سوداءُ حالكةٌ دهماءُ كالقار(٢)

قال: فكسدت والله تلك القينةُ بالبصرة، فلم تُدْعَ ولم تُسْتَتْبع حتى أخرجتْ عنها. (٢٣٣/١٣)

(١٦٢)

أخبرني الأخفشُ، قال: حدثنا المُبرِّدُ، قال: دعا عبدُ الصمد بن المعذَّل شرْوِينَ المغنِّي، وكان مُحْسناً متقدِّما في صناعته، فتعالَل عليه ومضى إلى غيره، فقال عبدُ الصَّمد: والله لأسِمنَّه ميسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلاَّ بعد أن يبذل عرضه وحريمه. فقال فيه:

مَنْ حلَّ شروينُ له منزلا   فلتنههُ الأولى عن الثانيهْ
فليس يدعوه إلى بيته   إلا فتىً في بيته زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرُّ إلى أن خرج إلى بغداد وسرَّ مَنْ رأى. (٢٤٤/١٣)

(١٦٣)

أخبرني عمي قال: حدثَنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للناس تألُّهاً(٣) ومروءةً وسمتاً حسناً، وكان ربَّما دعا مُطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعه عنه شُغْل، فاشْتغل وجاء مطيعٌ فلم يجِدْه، فلمَّا كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

ويلي ممَّنْ جفاني   وحُبُّه قد براني
وطيفُه يلقاني   وشخصُه غير دانِ
أغرُّ كالبدرِ يغْشى   بحسنه العينان
جاريُّ لا تعذلاني   في حبِّه ودعاني
فربُّ يومٍ قصيرٍ   في جوْسق وجنان
بالراح فيه يُحيَّا   والقصفِ والريحان
وعندنا قينتانِ   وجهاهما حسنان
عُودَاهُما غَرِدانِ   كأنَّما ينطقان

---

(١) السدريّ: عنى به رجلاً اسمه أبو نبقة السَّدري، وكرف الأتان: يقال كرف الحمار وغيره يكرف، شمّ بول الأتان ثم رفع رأسه. والإدلاء: الاستعداد للبول، والأعيار: جمع عير وهو الحمار.

(٢) الترائب: عظام الصدر، أو موضع القلادة. (٣) التألُّه: التنسك والتعبُّد.

وعندنا صاحبانِ للدَّهر لا يخضعانِ
فكنتُ أوّلَ حامٍ وأوّلَ السّرعانِ(١)
في فتيةٍ غيرِ ميلٍ عند اختلاف الطِّعان
من كلِّ خوفٍ مُخيفٍ في السِّر والإعلانِ
حمّال كلِّ عظيم تضيق عنه اليدان
وإنْ ألحَّ زمانٌ لم يستكنْ للزمانِ
فزالَ ذاكَ جميعاً وكلُّ شيءٍ فانِ
من عاذري من خليلٍ موافقٍ مِلْدانِ(٢)
مُداهنٍ متوانٍ يكنى أبي دهمان
متى يعِدْك لقاءً فالنَّجمُ والفرقدانِ
وليس يُعْتِمُ إلاَّ سكرانَ مَعْ سكرانِ
يسقيه كلُّ غلامٍ كأنَّه غصنُ بانِ
من خندريس عُقارٍ كحمْرة الأرجوانِ(٣)

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دُهمان، فقال: عليك لعنةُ الله فضحتني، وهتكْتَ بي، وأذعْتَ سرِّي، لا أكلِّمُك أبداً، ولا أعاشرك ما بقيت، فما تفرُّق بين صديقك وعدوِّك. (٢٩١/١٣)

(١٦٤)

حدّثني جعفر بنُ قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضل السكوني قال: مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوّلها:

أهْلاً وسهلاً بسيِّد العربِ ذي الغُررِ الواضحاتِ والنُّجُبِ(٤)
فتى نزارٍ وكهْلها وأخي الـ ـجودِ حوى غايتيْه من كثَبِ
قيلَ أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طرّاً في السهل والرُّحب
أبو العُفاة الذي يلوذُ به من كانَ ذا رغبةٍ وذا رهب(٥)

(١) السُّرعان: المستبقون. (٢) الملدان: عنى به الليِّن الناعم.

(٣) الخندريس: الخمرة القديمة، والعقار: التي تُذهب الوعي. والأرجوان: الشديدة الحمرة.

(٤) الغرر الواضحات والنجب: المظاهر البيضاء التي تدلّ على الشرف والسيادة.

(٥) العفاة: المعدمون، طالبو النوال.

جاء الذي تُفرَجُ الهمومُ به حينَ يُلزُّ الوضينُ بالحقَبِ(١)
جاء وجاء المضاءُ يقدُمُه رأيٌ إذا همَّ غيرُ مؤتشب
شهْمٌ إذا الحربُ شبَّ دائرُها أعادها عودةً على القُطُبِ
يطفي: نيرانها ويوقدُها إذا خبت نارُها بلا حطب
إلا بوقع المُذكَّراتِ يُشبُهْنَ، إذا ما انتُضينَ بالشُّهُبِ(٢)
لم أرَ قرنًا له يُبارزُه إلا أراه كالصقْر والخرب(٣)
ليثٌ بخفَّانَ قد حمى أجماً فصار منها في منزل أشب(٤)
شِبْلاه قد أدبًا به فهما شبهاه في جِدِّه وفي لعب
قد ومقا شكله وسيرته واحكما منه أكرم الأدب(٥)
نعم الفتى تُقرَنُ الصعابُ به عند تجاثي الخصوم للرُّكبِ(٦)
ونعم ما ليلةُ الشتاءِ إذا اسْتُنْبِحَ كلبُ القِرى فلم يُجِبِ
لا ونعمْ عنده مخالفة مثل اختلاف الصعود والصَّبب(٧)
يحضُر مِن لا فلا يهمُّ بها ومنه تُضحي نعَمْ على أرَب
ترى له الحِلمَ والنُّهى خُلُقاً في صولة مثل جاحم اللَّهب
سيف الإمامين ذاكَ وذا إذا قلَّ بناةُ الوفاءِ والحسب
ذا هودةٍ لا يُخافُ نبوتُها ودينُه لا يُشابُ بالريب(٨)

فلما سمعها معن قال له: إن شئتَ مدحناك كما مدحْتنا وإن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثوابِ على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:

ثناءٌ من أميرٍ خيرُ كسْبٍ لصاحبِ فاقةٍ وأخي ثراءِ
ولكنَّ الزمانَ برى عظامي وما مِثْلُ الدراهمِ من دواءِ

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لطفت حتى تخلصت منها، صدقت، لعمري ما مثل

(١) يُلَزّ: يُقرن، والوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر، والحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير.

(٢) المذكَّرات: جمع مذكَّر، وهو السيف ذو المضاء.

(٣) الخَرب: ذكر الحباري، وهي طائر ضعيف إذا قيس بالصقر.

(٤) خفَّان: موضع معروف قرب الكوفة، وهو مأسدة فيها غياض، وأشب: كثير الشجر. (٥) ومقا: أحبّا.

(٦) جثا: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. (٧) الصَّبب: النزول السريع المندفع.

(٨) الهودة: التوبة والرجوع إلى الحقّ.

الدراهمِ من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلعَ عليه وحمله. (٣٢٣/١٣)

(١٦٥)

أخبرني عمّي قال: حدثنا ابن مهْرويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال: كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم. فجاء بعض سراياه(١) بخبر عمّه(٢)، فركب من فوْره وسار أجدَّ سيرٍ وأنا أسايره. فسمع مُنْشداً يتمثّل في عسكره:

إنَّ الأمور إذا انْسدَّتْ مسالكُها فالصبرُ يفْتَح منها كلَّ ما ارتتجا(٣)
لا تيأسنَّ وإنْ طالتْ مطالبةٌ إذا استعنتَ بصبر أن ترى فرجا

فسرَّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إليَّ وقال لي: يا عليُّ أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: مَنْ يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسب، وقال: أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا الأمر، ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدتُه قوله:

ماذا يكلِّفُك الرَّوْحات والدُّلجا البرَّ طوراً وطوراً تركبُ اللُّججا(٤)
كمْ من فتىً قصرتْ في الرِّزْق خُطْوتُه ألفيته بسهام الرزق قد فلجا(٥)
لا تيأسنَّ وإنْ طالتْ مُطالبةٌ إذا استعنتَ بصبر أن ترى فرجا
إنَّ الأمور إذا انسدَّتْ مسالكُها فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارتتجا
أخْلِقْ بذي الصبر أن يحْظى بحاجته ومُدْمِنِ القرْعِ للأبواب أن يلجا
فاطْلُبْ لرجلك قبل الخطْو موْضعها فمنْ علا زلقاً عن غرَّةٍ زلجا(٦)
ولا يغُرَّنْك صفْوٌ أنت شارِبُه فربَّما كان بالتكدير مُمتزجا
لا يُنْتِجُ النّاسُ إلا من لقاحِهِمُ يبدو لِقاحُ الفتى يوماً إذا نُتِجا(٧) (٤١/١٤)

---

(١) سرايا: جمع سريّة، وهي قطعة من الجيش، من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة.

(٢) المقصود بعمّه إبراهيم بن المهدي، وخبره هو خروجه على المأمون.

(٣) رتج الباب وأرتجه: أغلقه إغلاقاً وثيقاً، وارتج: استغلق.

(٤) الروحات: جمع روحة وهي المرّة من الرواح، والدُّلج: جمع دُلجة وهي: السّير من أول الليل، واللجج جمع لجّة، وهي معظم الماء.

(٥) فلج: ظفر وفاز. (٦) علا زلقا: أي مكاناً زَلقا، والغِرّة: الغفلة، وزلج: زلّ وزلق.

(٧) يقال: نُتجت الناقة: إذا ولدت، فإذا وليها الإنسان حتّى تضع قيل نتجها نتجاً، واللقاح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل.

(١٦٦)

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الخليل بن أسدٍ قال: سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول: بعث إليّ فلانٌ الطّاهريّ - وكنت قد هجوته فأفرطتُ - بألف دينار وثياب، وقال: أمّا ما قد مضى فلا سبيلَ إلى ردّه، ولكن أحبُّ ألا تزيدَ عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب، وكتبتُ:

لا ألبُس النعماء من رجلٍ ألبستُه عاراً على الدّهرِ (٩٢/١٤)

(١٦٧)

أخبرني ابن عمّار العنزيّ قال: كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثبْه، وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعاً، منه قوله:

عــــدُوّاكَ المكارمُ والكرامُ وخِـــلُّك دونَ خلّتكَ اللّئــــامُ(١)
ونفسُك نفسُ كلبٍ عند زوْرٍ وعُقْبي زائرِ الكلبِ التِــدامُ(٢)
تهِرُّ على الجليس بلا احترامٍ لتحْشِـمَه إذا حضر الطّعامُ(٣)
إذا مـا كـانت الهِممُ المعـالي فـهـمُّك مـا يكـون بـه الملامُ
قَبُحْتَ ولا سقـاك الله غيـثـاً وجـانبك التـحـيّـةُ والسـلامُ

قال: فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه:

مـوضـعُ أسـرارك المُريبُ وحـشْـوُ أثوابك العُيـوبُ
وتمنع الضيف فضلَ زادٍ ورحلُك الواسعُ الخصيبُ(٤)
يا جامعاً مانعاً بخيلاً ليس لـه في العُلا نصيبُ
أبالرُّشا يُستمالُ مثلي؟ كلاّ! ومَـنْ عنده الغُيوبُ(٥)
لا أرتـدي حُـلّـةً لمَنٍّ بوجـهـه من يدي نُدوبُ(٦)

---

(١) الخلّة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع. (٢) الزور: الزائر، والالتدام في الأصل: ضرب النساء صدورهنّ ووجوههنّ في النياحة. (٣) هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح، وأحشمه: أخجله.
(٤) الفضل: البقية، والرّحل هنا: منزل الرجل ومسكنه وبيته. (٥) الرُّشا: الرشوة والجُعل.
(٦) ندوب: جمع ندبة، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد.

وبين جنبيه لي كُلومٌ ... داميةٌ ما لها طبيبُ
ما كنتُ في موضع الهدايا ... منك، ولا شعْبُنا قريبُ
أنّى وقد نشّت المكاوي ... عن سمةٍ شأنُها عجيبُ(١)
وسار بالذمّ فيك شعْري ... وقيل لي مُحسنٌ مُصيبُ
مالكَ مالُ اليتيم عندي ... ولا أرى أكْلَه يطيبُ
حسْبُك من مُوجزٍ بليغ ... يبلّغُ ما يبلّغُ الخطيبُ (١٤/٩٥)

(١٦٨)

حدّثني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النّوْفليُّ قال: كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي نُوَيْب من التُّنّار، وكان مقْصدَ الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بذّة،(٢) وهيئة رثّة، ولم يعرفْه نفْسه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو نوَيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوماً - عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جهله، فردّ عليه جواباً مُحالاً كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مُغْضباً. فلمّا خرج قيل له: ماذا صنعتَ بنفسك وفتحتَ عليها من الشرّ؟ أتدري لمن تعرّضتَ؟ قال: ومنْ ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهليّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لحقه، فحلف له أنه لم يعْرِفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبل له رفْداً ولا يذكره بسوءٍ مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا:

أخْطا وردّ عليّ غير جوابي ... وزرى عليّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عجبٍ لذاك فزادني ... فيما كرِهتُ بظنّه المُرتابُ
وقضى عليّ لظاهرٍ من كُسْوةٍ ... لم يدْرِ ما اشتملتْ عليه ثيابي
مِنْ عِفّةٍ وتكرُّمٍ وتحمُّلٍ ... وتجلُّدٍ لمصيبةٍ وعقابِ
وإذا الزمان جنى عليّ وجدتني ... عُوداً لبعض صفائح الأقتاب(٣)
ولئن سألت ليُخْبِرنْك عالمٌ ... أنّي بحيثُ أحبّ من آدابِ
وإذا نبا بي منزلٌ خلّيْتُه ... قفْراً مجالَ ثعالبٍ وذئاب(٤)
وأكون مُشْتركَ الغنى مُتبذّلاً ... فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابي

---

(١) نشّت: سُمع لها صوت عند الكيّ. (٢) بذّة: رثّ اللبسة.

(٣) الأقتاب جمع قتب، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، وصفائح الأقتاب: ألواحها. يريد أنّه صلب ثابت. (٤) نبا به منزله: لم يوافقه. وقفراً: خالياً.

لكنّه رجعتْ عليه ندامةٌ   لمّا نُسِبْتُ وخافَ مَضَّ عتابي(١)
فأقلْتُهُ لمّا أقرَّ بذنبه   ليس الكريمُ على الكريم بنابِ (٩٩/١٤)

(١٦٩)

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن عليّ بن يحيى أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال: كنت مقيماً بالجبل فمرَّ بي أبو الأسد الشاعر الشّيْباني، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفتُ شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دُلف. فما احتبسني ولابرّني ولا عرض عليّ المقام عنده، وقد حضرني فيه أبيات فاكتبْها. ثم أنشدني:

إنّي مررتُ بشاهينٍ وقد نفحتْ   ريحُ العشيِّ وبرْدُ الثّلجِ يؤذيني
فما وقى عِرْضَهُ منّي بكِسْوتِه   لا بل ولا حسبٍ دانٍ ولا دينِ
إن لم يكن لَبَنُ الدّاياتِ غيّره   عن طبع آبائه الشُّمِّ العرانين(٢)
فربّما غابَ بعلٌ عن حليلته   فناكها بعضُ سُوّاسِ البراذين
وما تحرّك أيرٌ فامتلا شبقاً   إلا تحرّك عرْقٌ في استِ شاهين

ثم قال: لأمزّقنّه كلَّ مُمزّقٍ، ولأصيرنَّ إلى أبي دُلفَ فلأنشدنّه. ومضى من فوْره يريد أبا دُلَف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ فشقّ عليه وغمّه. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قِصّته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هبْه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه. (١٤١/١٤)

(١٧٠)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة - وكان علي بن سليمان استأذن أبا نواس في الشعر - فأنشده علي بن الخليل:

يا خيرَ من وخدَتْ بأرحُلِه   نُجُبٌ تَخُبُّ بمهْمَهٍ جِلْسِ(٣)
تطوي السباسبَ في أزمّتها   طيَّ التُّجار عمائمَ البُرْسِ(٤)

---

(١) مضُّ عتابي: حرقته وإيلامه.   (٢) الدّايات: جمع داية وهي الجارية المرضعة.

(٣) وخدت: أسرعت، ونُجُب: جمع نجيب، وهو وصف للناقة الخفيفة السريعة، والمَهْمَه: البلد القفْر. والجِلْس: الغليظ من الأرض.

(٤) السباسب: تجمع سَبْسَب: وهي الفلاة، والتُّجار: جمع تَجرْ، وتجر: جمع تاجر: والبُرس: القطن.

لما رأتك الشمسُ إذ طلعتْ كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمس

خيرُ البرية أنت كلُّهمُ في يومك الغادي وفي أمس

وكذاك لن تنفكَّ خيرَهُمُ تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي

لله ما هرون من ملك برٌّ السريرة طاهر النفس

ملك عليه لربِّه نِعَمٌ تزداد جِدَّتُها على اللُّبس

تحكي خلافتُه بهجتها أنقَ السرور صبيحةَ العُرْس(١)

من عترةٍ طابت أرومتُهمْ أهلِ العَفافِ ومنتهى القُدس(٢)

نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم وعن السفاهة والخنا خُرس

إني إليك لجأتُ من هربٍ قد كان شرَّدني ومن لبس(٣)

واخترتُ حكمك لا أجاوزُه حتى أوسَّدَ في ثرى رمْسي

لما استخرتُ الله في مهلٍ يمّمتُ نحوكَ رحلةَ العَنْسِ(٤)

كم قد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً ليلاً بهيمَ اللَّون كالنِّقس(٥)

إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ كان التوكّل عنده تُرسي

ما ذاك إلا أنني رجلٌ أصبو إلى بقرٍ من الإنس

بقرٍ أوانسَ لا قرونَ لها نُجْلِ العيون نواعمٍ لُعْس(٦)

ردْعُ العبير على ترائبها يُقبلن بالترحيب والخلْس(٧)

وأشاهد الفتيان بينهمُ صفراءُ عند المزْج كالورْس(٨)

للماء في حافاتها حَببٌ نُظُم كرقْم صحائف الفُرس(٩)

والله يعلم في بقيّته ما إن أضعْتُ إقامة الخمْس(١٠)

---

(١) الأنق: الفرح والسرور. (٢) عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون، والأرومة: الأصل.

(٣) اللبس: الاشتباه والالتباس. (٤) العَنْس: الناقة الصلبة.

(٥) ادّرع: لبس الدرع، والمعنى: لابساً الليل كأنّه درع، والبهيم: الأسود، والنِّقس: المداد.

(٦) نُجْل: جمع نجلاء، والنَّجَل: سعة العين، ولعس: جمع لعساء، وصف من اللَّعس، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء.

(٧) العبير: أخلاط من الطيب، والردع: أثر الطيب في الجسد، والترائب: ما ولي الترقوتين، واحدتها تريبة، والخلس: النظر خلسة.

(٨) الورس: صبغ أصفر. (٩) الحَبَب: الفقاقيع التي تطفو فوق الخمر.

(١٠) بقية الله: طاعته وانتظار ثوابه.

فأطلقه الرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله(١):

والشّـيخ لا يترك أخلاقــه   حتى يُوارى في ثرى رمسه

وقال: إنما زعمت ألاّ تتركَ الزندقة ولا تحول عنها أبداً.   (١٤/١٧٥)

(١٧١)

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بنُ عمران الضبيّ عن عليّ بن يزيد قال، ولد ليزيد بن مزْيد ابن، فأتاهُ عليّ بنُ الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسّم وقال: هات، فأنشده:

يزيدُ يابن الصيِّد من وائلٍ   أهلِ الرياسات وأهلِ المعال
يا خير من أنجبه والد   ليهنك الفارسُ ليث النزالْ
جاءت به غرّاءُ ميمونة   والسعد يبدو في طلوع الهلالْ
عليه من معْن ومن وائلٍ   سيميا تباشيرٍ وسيميا جلالْ(٢)
والله يُبقيه لنا سيّدا   مدافعا عنّا صُروف الليالْ
حتى نراه قد علا منبرا   وفاض في سؤّاله بالنوال
وسدُّ ثغراً فكفى شرّه   وقارع الأبطال تحت العوالْ(٣)
كما كفانا ذاك آباؤه   فيحتذى أفعالَهمْ عن مثال

فأمر له عن كل بيت ألف دينار(٤).   (١٤/١٨٠)

(١٧٢)

فذكر لي عمّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّ أبا الشبل لما مدح المتوكل بقوله:

أقبلي فالخيرُ مقبلْ   واتركي قولَ المعلِّلْ
وثقي بالنُّجح إذ أبـ   ـصرت وجه المتوكِّل

---

(١) أصبح الشعر في حالة صالح بن عبد القدوس وثيقة أدين بها، وأدّتْ هذه الإدانة إلى القتل.

(٢) سيميا: العلامة.

(٣) الثغر: موضع المخافة من البلدان، إذ يكون على حدود بلاد العدو، والعوالي: رؤوس الرماح.

(٤) تطالعنا هنا أيضاً ظاهرة إعطاء الشاعر لكل بيت من قصيدته على حدة، وهي منتشرة عند الخلفاء وغيرهم، و وسنراها في النصّ القادم مع الخليفة المتوكّل.

ملكٌ يُنصف ياظا　لمتي فيكِ ويعدلْ
فهْو الغاية والما　مول يرجوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألف درهم. (١٤/١٩٣)

(١٧٣)

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرتُ مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إليّ محسنا، وعليّ مُفْضلا، فجرى ذكرُ البرامكة، فوصفهم الناس بالجود، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا، فقمتُ في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمت في هذا الخطب حكماً نظمته في بيْتي شعرٍ لا يقدر أحد أن يردّه عليّ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى(١)، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فرُبَّ صوابٍ قد قلته، فقلت:

رأيتُ عبيدَ الله أفضلَ سُودداً　وأكرم من فضلٍ ويحيى بن خالد
أولئك جادوا والزّمانُ مساعدٌ　وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مساعدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال: أفرطتَ أبا الشِّبْل، ولا كلُّ هذا، فقلت: والله ما حابيتُك أيها الوزير، ولا قلتُ إلاَّ حقّاً، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخلع، وتحتي دابة(٢) بسرْجه ولجامه، وبين يديّ خمسة آلافِ درهم. (١٤/١٩٨)

(١٧٤)

قال أبو نؤاس: وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسبه إلى أنّه ابن نهْيا:

يابن نِهْيا رأسٌ عليّ ثقيلُ　واحتمالُ الروس خطْبٌ جليلُ
ادْعُ غيري إلى عبادة الاثْنيْـ　ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ
يابن نهْيا برئتُ منك إلى اللّـ　ـه جهرا، وذاك منّي قليلُ

قال: فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال: أشاط ابنُ الزانية

---

(١) ما تزال تلك النظرة إلى الشعر من حيث شيوعه وخلوده، باقية، ماثلة في الأذهان، فهو أقدر على الانتشار، وحفظ المأثر من النثر، وقد أشرنا إلى هذا في مقدّمة هذه القضية.

(٢) تُطلق الدّابة على الذكر والأنثى.

بدمي(١)، والله ما قلت إلاّ «فإنّي بواحد مشغولُ» فغيَّرها حتى شهرني في الناس (بما يهلكني). (٣٢٥/١٤)

(١٧٥)

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال: حدّثني عمّي الفضلُ عن إسحاق الموصليّ أنّ مُجاشِعَ بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيّ حينئذ ليرتفع بهجائه حمّاداً(٢)، فترك حمّادا وشبّب بأمّه، فقال:

راعتكَ أمُّ مُجاشع ... بالصدِّ بعد وصالها(٣)
واستبدلتْ بكَ والبلا ... ءُ عليكَ في استبدالها
جِنّيَّةٌ من بربرٍ ... مشهورةٌ بجمالها
فحرامُها أشهى لنا ... ولها من استحلالها

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حمّاد بصلة، وسأله الصفحَ عن أخيه، ونال أخاه بكلِّ مكروه، وقال له: ثكلتْك أمُّك، أتتعرّض لحمّاد وهو يُناقف(٤) بشّاراً ويقاومهُ، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرّضت له ليهتِكنَّك وسائر أهلك، وليفضحنّا فضيحةً لا نغسلُها أبدا عنّا. (٣٤٩/١٤)

(١٧٦)

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال: حدّثني ابن أبي فنن قال: حدّثني العتّابي، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال: قال العتّابي: وحديث ابن أبي طاهر أتمّ، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حُشيش وكانت أمّه حارثيَّة، فمدحه حمّاد عجردٍ فلم يُثبه، وتهاون به، فقال يهجوه:

يا لقومي للبلاءِ ... ومعاريض الشقاءِ

---

(١) أشاط دمه وبدمه: أذهبه، أو عمل في هلاكه.

(٢) كان بعض الشعراء المبتدئين، ممّن لايزالون يتعاطون القرزومة، يتعرّضون لكبار شعراء زمانهم، وخاصة بالهجاء، وذلك كي تذيع أسماؤهم حين يردُّ الشاعر المعروف عليهم. وغالباً ما كان كبار الشعراء يهملون المبتدئين استصغاراً لشأنهم، ينظر حول هذا الموضوع، العمدة (١٠٩/١). (٣) راعته: أفزعته.

(٤) المناقفة والنقاف: المضاربة بالسيوف على الرؤوس، وأراد بها أنّه يقف أمام بشّار، وهو مَنْ هو، كِبرَ محلٍّ في الشعر، ويجالده، فكأنّ ما بين بشار وحمّاد مثل الضرب بالسيف من شدّة وقْع الهجاء.

قـــــــمتْ ألويةٌ بيـ ـــنَ رجـــالٍ ونســــاءِ
ظفـرتْ أخْت بني الحـا رث مـنهـــا بلـــواء
حـادثٌ في الأرض يرتا عُ لــه أهــلُ الســماء

قال: فعُرضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش، فقال: أهو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لقــومي للبـلاء ومعاريض الشقاء؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله(1). (٣٥٩/١٤)

(١٧٧)

أخبرني محمد قال: حدّثنا الفضل بنُ الحُباب قال: حدّثنا أبو عثمان المازنيّ قال: قال حمّاد عجرد يشبّب بزينب بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس:

ألا من لقلبٍ مستهام معذّب بحبِّ غزالٍ في الحجال مُربّبِ(2)
يراه فـلا يسطيع ردّا لطَرْفه إليـه حـذارَ الكاشح المتـرقّب
ولـولا مليكٌ نافـذٌ فيه حُكمُـهُ لأدْني وصـالاً ذاهبا كلَّ مـذهبِ
تغبرْتُ خلْف اللّهو بعد صِراوةٍ فبحتُ بما ألقاه من حبِّ زينبِ(3)

قال: فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان، فنذر دمه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد. (٣٧٥/١٤)

(١٧٨)

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصيْرفيّ قالا: حدثنا الحسنُ بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني علي بنُ الصبّاح قال: كان محمد بن سليمان قد طلب حمّاد عجردٍ

---

(١) يبيّن هذا النصّ بجلاء، عُمْق نفاذ الشعر في قلب المجتمع، وتغلغله فيه، خاصة حين يكون الخليفة راوية للشعر، حافظاً له، فنراه يصل إلى تولية العمّال أو عزْلهم، ويصبح مقياساً لجودة الناس أو رداءتهم، فلو كان في هذا الرجل خير ما تعرّض له الشاعر، أو لم يدع الشاعر يتعرّض له بالهجاء، فهو - مثلما يرى المنصور - لم يستطع التعامل مع الشاعر. فكيف يسوس ولاية، أو يدير عملاً.

(٢) الحجال: جمع حجلة، وهي موضع يزيّن بالثياب والستور للعروس. ومربّب: مربّى.

(٣) تغبر الناقة: احتلب غبرها، والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة، والخلف: حلمة الضرع، والصرار: ما يُشدّ فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ولدها.

بسبب نسيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العبّاس، فلما هلك محمّد جدّ ابنُ سليمانَ في طلبه، وخافه حمّاد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يـابن عـمِّ الـنبـيِّ وابـنِ الـنّبـيِّ ... لـعـلـيٍّ إذا انـتـمـى وعـلـيِّ
أنت بدرُ الدُّجى المُضيءُ إذا أظـ ... ـلمَ واسـودَّ كـلُّ بـدرٍ مُضيِّ
وحَيَا الناسِ في المحـول إذا لم ... يُجْدِ غـيثُ الربيع والوسـميّ(١)
إنَّ مـولاكَ قـد أسـاء ومـن أعـ ... ـتَبَ من ذنبـه فـغـيـر مُسيِّ
ثم قـد جـاء تائبـاً فـاقبل التو ... بـةَ منه يابـن الوصيِّ الرضيِّ(٢)

قال: ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن عليّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلُنّ قبر أبي من دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضى أو تهجو محمد بنَ سليمان، فقال يهجوه:

قل لوجه الخصيِّ ذي العار إنّي ... سـوف أهـدي لزينبَ الأشعـارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخو ... ف وأنكـرتُ صـاحبيَّ نهـارا
وظننتُ القـبـورَ تمنعَ جـارا ... فـاسـتجرت الترابَ والأحجـارا
كنتُ عند استـجـارتي بأبي أيّـ ... ـوبَ أبغي ضـلالـةً وخسـارا
لم يُجـرني ولم أجد فـيـه حظّاً ... أضـرم اللـهُ ذلك القبـرَ نارا

قال: وقال فيه:

له حزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتبٍ ... وغُلْمَـةُ سِـنُّوْرٍ بليـل تُولـولُ(٣)

وقال فيه يهجوه:

يابنَ سـليمانَ يا محـمّـدُ يا ... من يشتري المكرماتِ بالسِّمَنِ
إنْ فـخرتْ هاشمٌ بمكرُمةٍ ... فـخرتَ بـالشّحم منكَ والعُكَنِ(٤)
لـؤمُـكَ بادٍ لمـن يراك إذا ... أقبلتَ في العارضينَ والذّقَنِ
ليتك إذا كنتَ ضيِّقـا نكرا ... لـم تُدْعَ من هاشمٍ ولم تَكُنِ

---

(١) الحيا: المطر، والمحول: جمع مَحْل وهو الجدب. والوسميّ: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٢) الوصيّ الرضيّ: هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

(٣) السِنَّور: الهرّ، ينظر لسان العرب (٣٨١/٤) وقد تحدّث عنه الجاحظ كثيراً في الحيوان. ينظر مثلاً (٣٣٦/٥) وما بعدها. وتولول: تُعول وتصيح.

(٤) العُكَن: لحم البطن المتثني من السِّمَن.

جدأك جدأن لم تُعب بهما   لكنّما العيبُ منك في البدن

قال: فبلغ هجاؤه محمد بنَ سليمان فقال: والله لا يُفلتني أبداً، وإنما يزداد حتْفا بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً(١). (٣٧٨/١٤)

(١٧٩)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسن بن علي الرازي قال حدّثني أحمد بن أبي فنن قال: كنّا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي:

إذا كلّمتْـه ذاتُ دلٍّ لحاجـةٍ   فهمَّ بأن يقضي تنحنح أو سعَلْ

وأن عبد الملك بن سلمان بن عمير قال: تركني والله وإنَّ السُّعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأتركها. قال: فقلت له: هذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية:

فـصُغْ مـا كنت حلّيتَ   بـه سـيـفك خلخـالا
ومـا تصنعُ بالسـيف   إذا لـم تـكُ قـتّـالا

قال: فقال عبد الله: ما لبستُ السيفَ قطُّ فلمحني إنسانٌ إلا قلت إنّه يحفظ شعر أبي العتاهية فيَّ، فينظر إليَّ بسببه، فقال ابن الأعرابيِّ: أعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان (٢٧٩/١٥)

(١٨٠)

ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: كان آدمُ بن عبد العزيز يشرب الخمر ويُفرط في المجون، وكان شاعراً، فأخذه المهديُّ فضربه ثلثمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة، فقال: والله ما أشركتُ بالله طرفة عين، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق؟ قال: فأين قولك:

اسـقني واسق غُصينا   لا تبـعْ بالنقد دينـا
اسـقنيـهـا مُزَّة الطعـ   ـم تُريك الشَّـينَ زينـا

قال: فقال لئن كنتَ ذاكَ فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة: قال: فأينَ قولك:

---

(١) اختلفت الروايات في سبب موت حمّاد، ولكنْ واحدة منها تشير أنْ محمد بن سليمان ظلَّ يلاحقه حتى ظفر به في الأهواز، فأرسل مولى له هناك فقتله. وإن صحّت هذه الرواية، فيكون حمّاد أحد الشعراء الذين قتلهم شعرهم.

اســقني واســقِ خليلي في مــدى الليلِ الطويلِ
قــهوةً صــهباءَ صِرفاً سُــبيت من نهر بيــل(١)
لونُهــا أصــفــرُ صــافٍ وهــي كـالمسك الفـتـيل(٢)
في لســان المــرء منهــا مــثلُ طعم الزنجـبــيل
ريحــهـا ينفــح مــنهــا ساطعاً من رأس مـيل
مـــن ينلْ مـنهـا ثلاثـاً ينْسَ منهـاجَ الســبـيل
فـمتى مـا نال خـمـسـاً تــركـــتْـــه كـالقـتـيـل
ليس يدري حينَ ذاكـمْ مــا دبيــر من قــبـيل
إنْ سـمـعي عن كلام الـ ـلائمــي فيـهـا الثـقـيل
لشـــديدُ الوقْــر، إنّــي غــيـــر مطواعٍ ذليلِ
قلْ لمن يلحــاك فــيـهـا مِــن فـقـيـهٍ أو نبـيـل
أنتَ دعهـا وارجُ أخرى مــن رحــيق السلسبيل
نعطش اليـومَ ونسـقـى في غـدٍ نعـتَ الطلـــول

فقال: كنت فتىً من فتيان قريش، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون، والله ما كفرتُ بالله قطُّ، ولا شككتُ فيه. فخلَّى سبيله ورقَّ له. (٢٨٧/١٥)

(١٨١)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن عليّ، ويحيى بن عليّ، قالوا: حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ، قال: حدثني أبي: أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتُكَ إذ لم يبقَ غيرك جــابر ولا واهب يعطي اللُّها والرغائبا(٣)

---

(١) نهر بيل: يقول ياقوت في معجم البلدان (٣١٨/٥)، «نهر بيل: لغة في نهر بين: طسوج من سواد بغداد متّصل بنهر بوق» ثمّ يسوق أبيات آدم تلك.

(٢) الفتيل: المفتول. ومن المفيد أن نذكر هنا أنّ صاحب اللسان يورد هذا البيت في (٥١٤/١١)، وينقل تعليق أبي حنيفة وهو: «ويروى كالمسك الفتيت، قال: وهو كالفتيل: قال أبو الحسن: وهذا يدلّ على أنّه شعر غير معروف إذ لو كان معروفاً لما اختلف في قافيته. فتفهمْه جداً».

(٣) اللُّها: جمع لهوة، وهي العطية، دراهم أو غيرها.

فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن توْسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة، في مسمع بن مالك:

قلَّدَتْه عُـرا الأمـورِ نِزار قبل أن تهلك السراةُ البحورُ(١)

قال: وأوّل هذا الشعر:

اظعني من هراة قد مر فيها حجـج مذ سكنتها وشـهور(٢)
اظعني نحـو مسـمع تجـديه نعم ذو المُثنى ونعم المزور(٣)
سوف يكفيك إن نَبَتْ بك أرض بخراسـان أو جـفاك أمـير
من بني الحصن عاملِ بن بريح لا قليلُ النـدى ولا مـنزور
والـذي يفـزع الكمـاة إليـه حين تدمى من الطعان النحور
فـاصطنع يابن مـالك آل بكرٍ واجـبـرِ العظم إنه مكسـور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأوّلها:

حديث ريـا حبذا إدلالُها
تسأل عن حالي وماسؤالها
عن امرئ قـد شفَّه خيالها
وهي شفاء النفسِ لو تنالها

يقول فيها يمدحه:

سلَّ سيوفا محدثا صقالُها
صاب على أعدائه وبالها(٤)
وعند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها، وأجزل صلته. (١٨/١٦)

(١٨٢)

أخبرني يحيى بن عليّ، عن علي بن يحيى إجازة، وحدثنا الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم، عن عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سوار بن الحارث الأسديّ، قال: أخبرني جدّي موسى بن مجمع، قال: قال الحسين

---

(١) السراة: أعالي الناس وأشرافهم، واحدهم سريّ، وجعلهم بحوراً لكرمهم وجُودهم.

(٢) هراة: مدينة عظيمة من مدن خراسان.

(٣) ذو المثنى: أي الممدوح نِعْم الرجل يثني عنه قاصده بخير كثير. (٤) صاب: انصبَّ في غزارة.

بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين تعسفتْ ... بنا البيدَ هوجاءُ النَّجاء خبوب(١)

ولو لم يكن قدامها ما تقانفت ... جبال بها مغبرة وسُهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد ... ومن غير تأنيب الرجال أديب

علا خلقُهُ خلق الرجال وخلْقه ... إذا ضاقَ أخلاق الرجال رحيب

إذا شاهد القوّاد سار أمامهم ... جريء على ما يتقون وثوب(٢)

وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة ... بها يقهر الأعداء حين يغيب

يعف ويستحي إذا كان خاليا ... كما عف واستحيا بحيث رقيب

فلما أنشدها المهديَّ أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد. (٢٢/١٦)

(١٨٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحق بن عيسى، قال: دخل الحسين بن مُطير على المهدي، فأنشده قوله:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ... ما كان في الناس إلا أنت معبود

أضحت يمينك من جودٍ مصوَّرة ... لا بل يمينك منها صُوِّر الجود

لو أن من نوره مثقال خردلة ... في السود طرا إذن لابيضت السود

فأمر له لكل بيت ألف درهم. (٢٣/١٦)

(١٨٤)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي عن أبي عكرمة، قال: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني.

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصُلب، اجتاز به الرُّقاشيّ الشاعر وهو على الجذع، فوقف يبكي أحرُّ بكاء، ثم أنشأ يقول:

---

(١) تعسّفت: من العسف، وهو أن يتخذ المسافر على غير طريق ولا جادّة، والهوجاء من الإبل: الناقة المسرعة، والنجاء: الإسراع، وخبوب: صيغة مبالغة من الخبب، وهو ضرب من عدو الإبل.

(٢) أي هو وقادته في المعركة، لا يهاب الموت.

أمــا والله لــولا خــوف واشٍ ... وعــيــن للخليــفــة لا تنــامُ
لطُفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرتُ قبلك يابن يحيى ... حساما قدَّهُ السيفُ الحسام(١)
على اللذات والدنيا جميعا ... ودولة آل برمكٍ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت(٢). قال: وكم كان يُجْري عليك؟ قال: ألفَ دينار في كل سنة. قال: فإنّا قد أضعفناها لك. (٢٤٨/١٦)

(١٨٥)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: امتدح ربيعة الرقيّ العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يُسبق إليها حُسْناً، وهي طويلة يقول فيها:

لو قيل للعباس يابن محمد ... قل: (لا) وأنت مخلَّدٌ ما قالها
ما إن أعُدُّ من المكارم خَصْلةً ... إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدة ... كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة ... حتى حللت براحتيك عقالها

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين. فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجنُّ غيظا، وقال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها:

مدحتك مدحةَ السيفِ المُحلَّى ... لتجريَ في الكرام كما جريتَ

---

(١) قدّه: قطعه.

(٢) أحبَّ الفضلُ الرّقاشي البرامكة في حياتهم، وأخلص لهم بعد نكبتهم، وهذا الخبر واحد من أخبار كثيرة تواترت على إخلاصه لهم ووفائه، حتى قيل: «إنَّ الرقاشي الشاعر فني في حبِّ البرامكة حتى خيف عليه». الأغاني (٢٤٨/١٦). ولم يكن الرشيد ليغيبَ عنه ذلك الأمر، ولذلك نراه يأخذه أخذاً رفيقاً، ويكرمه، ولا شكَّ أنَّ الرقاشي يمثّل نمطاً من الشعراء يختلف عن ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق وهو يتلخص في أنَّ الشاعر طالب فَضْل فحسب.

فهبها مدحةً ذهبت ضياعا كذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فأنتَ المرءُ ليس له وفاءٌ كأنّي إذ مدحتُك قد رثَيتُ

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه، فردها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيرا عنده، يبجِّله ويقدمه، وكان َقدْ هَمَّ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه، فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرَّقيّ. فأحضِر، فقال له الرشيد: ياماصُ كذا وكذا من أمه، أتهجو عمي، وأثر الخلق عندي، لقد هممت أن أضرب عنقك. فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها.

فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس ساعة، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط، فأمر بإحضارها فأحضرت، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها، وأعجب بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبرُّ. ثم قال للعباس: كم أثبتّه عليها؟ فسكت العباس وتغير لونه، وجرِض(١) بريقه، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدةِ على العباس، فقال: بحياتي يارقيّ، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين. فغضب الرشيد غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد، وقال: سوْءةً لك! أيةُ حال قعدتْ بك عن إثابته؟ أقلة المال؟ فوالله لقد مولْتك جُهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعتْ عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لايدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، بل نفسك فعلتْ ذلك بك، حتى فضحتَ أباك وأجدادك، وفضحتني ونفسك(٢). فنكس العباس رأسه ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلْعة، واحمله على بغلة، فلما حُمل المال بين يديه، وألبس الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يارقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان همُّ به

---

(١) جَرِض بريقه: غصَّ ولم يستطع أن يبلع ريقه من الخوف، أو الخجل.

(٢) إنّ قولة الرشيد، وموقفه من عمّه، ومن الشاعر، يشير بوضوح إلى أنّ مكانة الشاعر ما تزال في محلّ عالٍ. بحيث يُخشى لسانه، ويُجْزل العطاء له، وقد رأينا أنّ الرشيد اعتبر صُنع عمّه فضيحة عمّتْ القاصي والداني، ولم يكن له من بُدٍّ إلاّ استدراكها بذلك الوجه الذي رأيناه.

أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطِّراح. (٢٥٦/١٦)

(١٨٦)

قال أحمد بن أبي طاهر: حدّثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال: لما هجا ربيعة يزيدَ بن أسيد السُّلَميّ، وكان جليلا عند المنصور والمهديّ، وفضَّل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربيعة: يا أبا شبابة، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك، وفضلت عليه رجلا من الأزد؟ فقال: أخبرك. أملقتُ فلم يبق لي شيء إلاَّ داري، فرهنتها على خمس مئة درهم، ورحلت إليه إلى أرمينية، فأعلمته ذلك ومدحته، وأقمت عنده حولا، فوهب لي خمس مئة درهم، فتحملت وصرت بها إلى منزلي، فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دار بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فأعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجرت، فأكريت نفسي من الحمالين، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه، والبيت:

أراني ولا كفران للـه راجعا بخُفَّيْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتم

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فوصلها إليه من غير علمي ولا أمري، فبعث خلْفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ماقلت. فتمنعت، فقال: والله لتُنْشدنّي. فأنشدته فقال: واللّه لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خفيه، فنُزعا فحشاهمادنانير، وأمر لي بغلمان وجوار وكُسا، أفلا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك! قلت: بلى والله. ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه. (٢٦٢/١٦)

(١٨٧)

أخبرني الصُّولي قال: حدّثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال: حضرت أبا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

أسْقى ديارَهُم أجشُّ هزيمُ وغدتْ عليهمْ نضرةٌ ونعيمُ(١)

قال: فلما فرغ أمر له بألفِ دينار، وخلع عليه خلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام:

قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ مكتسٍ من مكارم ومساعِ(٢)

(١) الأجشّ: من السحاب، الشديد الصوت. ينظر اللسان (٢٧٤/٦)، وهزيم: أي ذو رعد وصوت. يدعو لهم بالمطر والسقيا. (٢) خِرق: سخيّ.

حُلّةٌ سابريّةٌ ورداءٌ كسحا القيض أو رداءِ الشُّجاع(١)
كالسَّراب الرَّقراق في الحسن إلا أنّه ليس مثله في الخداع(٢)
قصبيّاً تسترجفُ الريحُ متنيـ ـه بأمرٍ من الهُبوب مطاع(٣)
رجفانا كأنه الدهرَ منه كبدُ الضَّبِّ أو حشا المرْتاع
لازماً ما يليه تحسبه جزْ ءاً من المَتْنَتَيْنِ والأضلاع(٤)
يطردُ اليومَ ذا الهجير ولو شُبْـ ـهَ في حرِّه بيوم الوداع
خلعةٌ من أغرَّ أرْوعَ رحْب الصَّـ ـدر رحب الفؤاد رحْب الذراع(٥)
سوف أكسوك ما يُعفِّي عليها من ثناء كالبُرد بُرْدِ الصَّناع(٦)
حسن هاتيكَ في العيون وهذا حسنه في القُلوبِ والأسماع

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يُعْطي على هذا مُلكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعتُه إلى أبي تمام، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت. (٣٩٣/١٦)

(١٨٨)

أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال: ماكان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه. (٣٨٨/١٦)

(١٨٩)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال: قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد: بلغني أنك أعطيتَ أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

---

(١) السابريّة من الثياب: الرقيقة من النسج الجيدة، وسحا البيض: قشر البيض الذي تحت القشرة الصلبة، والشّجاع: الحيّة.

(٢) الرقراق: المتلألئ. (٣) القصبيّ من الثياب: الرقيق الناعم من الكتّان، وتسترجف: تحرك.

(٤) المتنتان: ما يجاور العمود الفقري من يمينه وشماله.

(٥) الأغرّ: الأبيض الوجه، يريد أنّه سيّد شريف كريم الفعال، والأروع: الشهم الذكي.

(٦) يعفّي عليها: يفوقها في القيمة، والصّناع: المرأة الحاذقة في العمل بيديها.

فاشدُد بهارونَ الخلافة إنه سكنٌ لوحشتها ودارُ قرار
ولقد علمت بأن ذلك مِعْصمٌ ما كنتَ تتركه بغير سوارِ

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك. (١٦/٣٩٠)

(١٩٠)

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزْيد وهو بأرْمينية، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره، وقال: تكون العشرة آلالافِ موفورة، فإن أردتَ الشخوص فاعجل، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحباء والبرّ. قال: بل أشخص. فودّعه؛ ومضت أيام، وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زُكرة(١) فيها شراب، وغلام يغنيه بالطُّنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: مافعل المال؟ فقال:

علَّمني جودُك السماحَ فما أبقيت شيئاً لديّ من صلتكْ
ما مرَّ شهر حتى سمحتُ به كأنَّ لي قدرةً كمقدرتك
تُنفق في اليوم بالهبات وفي السـ ـاعة ما تجتنيه في سنتك
فلستُ أدري من أين تنفق لو لا أن ربي يمُدُّ في هبتك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج. (١٦/٣٩١)

(١٩١)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي الفضل قال: لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلد، وقد كان عبد الله وجد عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمْسسها بيده، ترفعا عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فعلي، ويترفع عليّ. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام:

لم يبق للصيف لا رسمٌ ولا طلَلُ ولا قشيبٌ فيُستكْسى ولا سملُ(٢)
عدلٌ من الدمع أن يُبْكى المصيفُ كما يُبكى الشبابُ، ويُبْكى اللهوُ والغزلُ
يُمْنى الزمانِ انقضى معروفُها وغدتْ يُسْراه وهي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبد الله

---

(١) زُكرة: وعاء من جلد للخمر.

(٢) القشيب: الجديد من الثياب، والسمل: البالي.

بن طاهر، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله، وتضمَّن له ما يُحبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمّام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شرِّه، والتوقّي لذمه، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته(١)، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن، وفراقه السَّكَن، وقد قصدك عاقدا بك أمله، مُعملا إليك ركابه، متعبا فيك فكره وجسمه، وفي ذلك ما يُلزمُك قضاء حقه، حتى ينصرف راضياً؛ ولو لم يأت بفائدة، ولا سُمع فيك منه ما سُمِع إلا قوله:

تقولُ في قُومسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منا السُّرى وخطا المهريَّة القُودِ(٢)
أمَطلعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كلاّ ولكن مطلَع الجودِ

فقال له عبد الله: لقد نبَّهْتَ فأحسنت، وشفعت فلطُفْت، وعاتبت فأوْجعت، ولك ولأبي تمام العُتْبى، ادعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفي دينار، وما يحمله من الظَّهْر، وخلع عليه خِلْعة تامة من ثيابه، وأمر ببذْرقته(٣) إلى آخر عمله. (٣٩٥/١٦)

(١٩٢)

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقتَ(٤) إلى الروم، لنركُضنَّ إلى الخزر. فقال له الحسن: لو شئتَ حكَّمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام، وأشبه نفسي بخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارض لا حقيقة(٥) له. فقال أبو تمام:

---

(١) أشرنا في نصّ سابق إلى أن مكانة الشاعر ما تزال عالية، مرتفعة، ويزيد هذا النصّ تلك المكانة، إذ يشير أبو العميثل إليها، ويدعو الأمير إلى رأب ما صدع من جفانه لأبي تمام، فهو ليس بموضع للجفاء والإبعاد، أليس هو الشاعر الكبير الذي لا ينكر محلّه في الشعر أحد؟ وهو قادر من جهة ثانية على الهجاء، ونشر ما طُوي، فينبغي أن يكرم، إن لم يكن لهذه فلتلك.

(٢) قُومس: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، والمهرية الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن، وكانت لا يعدل بها شيء في سرعتها.

(٣) بذرقته: حراسته. (٤) أعنقت: سرتَ سيراً فسيحاً ممتداً.

(٥) ما تزال هذه الفكرة موجودة، مسيطرة حتى العصر العباسي، وهي إنَّ الشعر أهمّ من النثر، وأقدر منه على التأثير، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنّ التدوين لم يستطع أن يزيح الشعر عن مكانه القديم إلاّ قليلاً، وبقيت الكلمة المنظومة لها القِدْح المعلّى.

أبا عليٍّ لصرفِ الدهرِ والغيرِ   وللحوادث والأيام والعبَرِ(١)
أنكرتني أمر داودٍ وكنتُ فتىً   مُصرَّفُ القلب في الأهواء والفكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيبُ بها   وأنت مضطربُ الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى   جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر
إنَّ القَطُوبَ له مني محلُّ هوىً   يحل مني محلُّ السمع والبصر
وربُّ أمنعَ منه جانبا وحمىً   أمسى وتكّتُهُ منِّي على خطر
جرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ   منه غيابتُها عن نيكة هذر
سبحانَ من سبْحتُهُ كلُّ جارحةٍ   ما فيك من طمحان الأير والنظر
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُهُ   وأيرُه أبداً منه على سفر (٣٩٧/١٦)

(١٩٣)

أخبرني عمي قال: حدثّنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال: قال لي أبو الشيص: لما مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها:

لا تُنكري صدِّي ولا إعراضي   ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

أمر بأن تُعدَّ، وأعطاني لكل بيت ألف درهم(٢).   (٤٠١/١٦)

(١٩٤)

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ: أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه، فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أميّة، فعاوده بالمدح، فقال له: يا ماصُّ كذا من أمّه، ألستَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سيَّار ترثيه:

فاضتْ دُموعي على نصر وما ظلمت   عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّارِ
يا نصرُ مَن للقاء الحرب إن لقِحَتْ   يا نصرُ بعدك أو للضيف والجارِ
الخِنْدِفيّ الذي يحمي حقيقته   في كل يوْم مخوف الشرِّ والعارِ
والقائد الخيْل قُبّاً في أعنّتها   بالقوم حتى تلفُّ القار بالقار
منْ كُلِّ أبيض كالمصباح منْ مُضر   يجْلو بسُنّته الظلماء للساري

---

(١) الغِيَر: حوادث الدّهر وصروفه.

(٢) كان عقبة بن جعفر أمير الرّقة، ينظر معاهد التنصيص (٨٨/٤)، ومع هذا نراه يعدّ أبيات القصيدة، ويعطي لكلّ بيت ألف درهم تشبّهاً بالخلفاء، ممّا يدلّ على شيوع هذه الظاهرة وانتشارها.

ماضٍ على الهوْل مقدام إذا اعترضت سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فرّارِ
إنْ قال قولا وفى بالقول موْعِدُه إنّ الكنانيَّ وافٍ غيرُ غدّارِ

والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً (١). (٣٣٢/١٧)

(١٩٥)

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ: قال الهيثم بن عديّ، عن حماد بن سلمة الكلبيّ، قال: دخل أبو عطاء السنديّ على سليمان بن سُليم بن بشّار، فقال له:

أعوزتْني الرُّواةُ يابن سُليم وأبى أن يقيمَ شِعْري لساني(٢)
وغلا بالذي أجمْجم صدْري وشكاني من عجمتي شيطاني
وعدتْني العيونُ أن كان لوْني حالكاً مُظْلماً مِنَ الألوان
وضربت الأمورَ ظهراً لبطنٍ كيف أحتال حيلةً لبياني!(٣)
فتمنّيت أنني كنتُ بالشعـ ـر فصيحاً وبانَ بعْضُ بناني
ثم أصبحت قد أنختُ ركابي عند رحب الفناءِ والأعطان(٤)
فبإلى مَنْ سواك يابن سليم أشتكي كُرْبتي وما قد عناني
فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي بفصيح مِنْ صالحي الغلمان
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـ ـر فإنّ البيان قد أعياني
ثم خذني بالشكر يابن سُليم حيثُ كانتْ داري من البلدان

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

فأقبلوا نحْوي معاً بالقنا وكلهّم يسأل: ما شاني؟
فقلت: شأني كلّه أنني في تعب من لفظ جرْداني
يابْنَ سليم أنْتَ لي عصمة من حدثٍ أفزع جيراني

(١) رأينا في نصوص سابقة أنّ الشاعر يُعاقَب بشعره القديم، ويُذكّر به، فلا يجد سوى الإعراض، ويصنع أبو جعفر هنا مع أبي عطاء مثلما كان يصنعه غيره، إذ يجبه الشاعرَ بشعره في نصر بن سيّار والي الأمويين، فلا يكون جزاؤه غير الصدّ.

(٢) كان السبب في أنّ لسانه لا يقيم شعره بسبب «لكنة شديدة ولثغة في لسانه، فكان لا يُفصح». الأغاني (٣٢٧/١٧).

(٣) يقال ضرب الأمر ظهراً لبطن: إذا قلّبه على وجوهه، وأمعن فيه تفكيراً.

(٤) الأعطان: جمع عطن، وهي السّاحة أمام الدار.

فقد رماني الدهرُ عن فقره بسهم فقر غير لغبان(١)
صادَ فؤادي بعد ما قد سلا فصرت كالمقتبل العاني
فانعشْ فدتْكَ النفس مني ومن أطاعني مِنْ جِلّ إخواني
وهبْ فدتك النفسُ لي طفلة يقمع حرها رأسَ شيطاني
فإن أبرى قد عتا واعتدى وصار يبغي بغيةَ الزُّاني
فالله ثم الله في قمعه من قبل أنْ أمْنى بسلطان
يتركني أضحوكةً بعدما أضرب في سرٍّ وإعلانِ

فأمر له بجارية قُنْدُهارية(٢) فارهة، فقال:

أحْصَنَني اللّهُ بكفِّيْ فتى مهذّبٍ مِنْ سرّ قحطان
من حمير أهل السُّدى والندى وعصمةِ الخائفِ والجاني
يا خيرَ خلْقِ الله أنت الذي أيْأسْتَ مِنْ فِسْقيَ شيطاني

(٣٣٦/١٧)

(١٩٦)

أخبرني إسماعيلُ بن يونس الشّيعيُّ قال: حدّثنا الرّياشيُّ قال: حدّثنا محمد بن الصبّاح، عن سفيان بن عُيَيْنة، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أنّ حامد بن يحيى البلْخيّ، حدّث عن سفيان بن عُيينة، وهذه الرواية أتمّ، قال: لمّا سمِعَ مُساور الورّاق لغطَ أصحاب أبي حنيفة وصياحِهم أنشأ يقول:

كنّا من الدِّين قبل اليوم في سعةٍ حتى بُلينا بأصحاب المقاييس
قومٌ إذا اجْتمعوا ضجُّوا كأنَّهُمُ ثعالبٌ ضَبَحَتْ بين النّواويس(٣)

فبلغ ذلك أبا حنيفةَ وأصحابه، فشقّ عليهم وتوعّدُوه. فقال أبياتاً تُرضيهم وهي:

إذا ما النَّاس يوماً قايسُونا بآبدةٍ من الفُتْيا طريفَهْ
أتيْناهُم بمقْياسٍ ظريفٍ مُصيبٍ من قياسِ أبي حنيفهْ
إذا سمع الفقيهُ بها وعاها وأثبتها بحبْرٍ في صحيفهْ

---

(١) اللغبان: الشديد الإعياء.

(٢) قندهارية: نسبة إلى قُنْدُهار وهي من بلاد السّند أو الهند، مشهورة في الفتوح، ينظر معجم البلدان (٤٠٢/٤). (٣) ضبحت الثعالب: صوّتت، والنّواويس: القبور.

فبلغ أبا حنيفة فرضي، قال مُساورٌ: ثم دُعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحرّ، فدخلت فلم أجد لرجْلي موْضعاً من الزِّحام، وإذا أبو حنيفة في صدر البيت، فلما رآني قال: إليَّ يا مُساور، فجئتُ فإذا مكان واسع، وقال لي: اجلس، فجلستُ، فقلت في نفسي: نفعتْني أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: هاهنا، هاهنا، ويوسِّع لي إلى جنبه، ويقول: إنَّ هذا من أهلِ الأدب والفهْم، انتهى. (١٨/١٥١)

(١٩٧)

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمَّار قال: حدّثني الحسن بن عُلَيْل العنزي، قال: حدّثني العبَّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدّثني محمد بن عمرالخرَّاز، قال: قال لي ابنُ مُناذر: ويحك! لستُ أرى نساء ثقيف ينُحْنَ على عبد المجيد نياحةً على استواء، قلت: فما تُحِبّ؟ قال: تخرجُ معي حتى أطارحك، فطارحني القصيدة التي يقول فيها:

إنَّ عبدَ المجيد يوم تولّى ... هدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدودِ
هدَّ عبدُ المجيد رُكْني وقد كُنْـ ... ـتُ برُكْنِ أبوءُ منه شديدِ

قال: فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعيتُها، ووضعنا فيها لحناً، فلما كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها، صلّينا العشاء الآخرةِ في المسجد الجامع، ثم خرجنا إلى دارهم، وقد صعد النساء على السُّطح ينُحن عليه، فسكتن سكْتةً لهنّ، فاندفعنا أنا وهو ننُوح عليه، فلما سَمِعننا أقبلن يلْطمْن ويصِحْن حتى كِدْن ينْقلبْنَ من السطْح إلى أسفل من شدة تشرُّفهنّ علينا وإعجابهنّ بما سمعنه منا، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا، وشاع الخبر بالبصرة وتحدّث به الناسُ حتى نُقِلَ من مجلس إلى مجلس. (١٨/١٧٩)

(١٩٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني أحمدُ بن محمد الرَّازي أبو عبْد الله، قال: حدّثني أبو بجير، قال: كان ابنُ مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبصْرة، فلا يزال يهْجوه بالأبْيات فيصيح من ذلك ويقول له: أنا صديقُك فاتقِ الله وأبْقِ على الصَّداقة وابن مناذر يُلحُّ، فقال الإسكاف: فإني أستعينُ الله عليك وأتعاطى الشعر، فلما أصبَح غدا عليه ابنُ مُناذر كما كان يفْعل، فأخذ يعْبَث به ويهْجُوه، فقال الإسكافُ:

كثُرتْ أبوّتُـه وقَلَّ عديدُه ... ورمى القضاء به فراشَ مُناذرِ
عبد الصُّبيريِّين لم تكُ شاعراً ... كيف ادَّعيتَ اليومَ نسْبةَ شاعرِ

فشاع هذان البيْتان بالبصْرة ورواهما أعداؤه، وجعلوا يتناشدُونهما إذا رأوْه، فخرج من البصرة إلى مكّة وجاور بها، فكان هذا سبب هربه من البصرة. (١٨/١٩٥)

(١٩٩)

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زُهير، قال: سمعت إبراهيم بن المُنْذر الحزاميَّ يقول:

بلغ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأب قولٌ قبيحٌ، قال: فدعاني، وقال: اكتب:

فمن يبْغِ الوصاةَ فإنّ عندي وصاةً للكهُول وللشُّبابِ
خُذُوا عن مالك وعن ابْنِ عونٍ ولا تروُوا أحاديثَ ابنِ دابِ
ترى الغاوين يتّبعون منها ملاهيَ من أحاديث كذابِ
إذا التُمِستْ منافِعُها اضمحلّتْ كما يرفَضُّ رقْراقُ السُّحابِ(١)

قال: فرُويتْ، وافتضح بها ابنُ دأب. قال الحزاميّ: فلما قدِمْت العراقَ وجدتُّهم قد جعلُوها:

«خُذُوا عن يُونُسٍ وعنِ ابن عوْن» (١٨/١٩٨)

(٢٠٠)

ونسخْت هذا الخبرَ من كتاب ابنِ أبي مريم الحاسب: حدّثني ابن القدّاح وعبدُ الله بنُ إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ، قالا: حدثْنا ابنُ مُناذر، قال: حج الرّشيدُ بعد إيقاعه بالبرامكة وحج معه الفضْل بن الرّبيع، وكنتُ مُضيقاً مُملقا، فهيأْتُ فيه قوْلاً أجدتُ تنْميقه وتنوّقتُ فيه(٢)، فدخلتُ إليه في يوم التّرْوية وإذا هو يسأل عنّي ويطلُبني، فبدرني الفضلُ بن الرّبيع قبل أن أتكلّم، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا شاعرُ البرامكة ومادحهم، وقد كان البِشْر ظهر لي في وجهه لمّا دخلتُ، فتنكّر وعبس في وجهي، فقال الفضْلُ: مُرْه يا أمير المؤمنين أن يُنْشدك قوله فيهم:

أتانا بنُو الأملاك من آلِ برْمك

فقال لي: أنشد، فأبيتُ، فتوعّدني وأكْرهني، فأنْشدته:

أتانا بنو الأملاكِ من آلِ برْمكٍ فيا طيبَ أخبارٍ ويا حُسْن منْظَرِ
إذا وردوا بطحاءَ مكّةَ أشرقت بيَحْيى وبالفضل بن يحيى وجعْفَرِ

---

(١) يرفضّ: يهطل وينهمر.

(٢) تنميقه: تحسينه وتجميله، وتنوّقت: جوّدتُ، واعتنيت به.

فتُظلِمُ بغدادُ ويجلو لنا الدُّجى ... بمكّةَ ما حجُّوا ثلاثةُ أقمُرِ
فما صلحت إلا لجُودِ أكفُّهم ... وأرجلُهم إلا لأعوادِ مِنْبرِ
إذا راضَ يحيى الأمرَ ذلّتْ صعابُه ... وحسبُكَ مِنْ راعٍ له ومدبِّرِ
ترى الناسَ إجلالاً له وكأنَّهم ... غرانيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصَرْصِرِ(١)

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت: كانوا أولياءَك يا أمير المؤمنين أيام مدحتُهم، وفي طاعتك لم يلْحقهم سُخطك ولم تحلّل بهم نقْمتُك، ولم أكن في ذلك مُبْتدعاً، ولا خلا أحدٌ من نُظراني من مدحهم، وكانوا قوماً قد أظلّني فضلُهم، وأغناني رفدُهم فأثنيتُ بما أولَوْا(٢)، فقال: يا غلام، الطُمْ وجهه، فلُطِمْتُ والله حتى سدِرتُ(٣) وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس، ثم قال: اسحبوه على وجهه، ثم قال: والله لأحرمنَّك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام، فسُحبت حتى أخرجت، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا في نفسي وحالي وما جرى عليّ، ولا والله ما عندي ما يُقيم يومئذ قُوتَ عيالي لعيدهم، فإذا بشابٍّ قد وقف عليّ، ثم قال: أعزِزْ عليّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك، ودفع إليَّ صُرَّةً وقال: تبلَّغْ بما في هذه، فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار، قال الصولي في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار، فقلت له: من أنت جعلني الله فداءك! قال: أنا أخوك أبو نُوَاس، فاستعِن بهذه الدنانير واعذرْني، فقبلْتُها، وقلت: وصلك اللهُ يا أخي وأحسن جزاءك. (٢٠١/١٨)

(٢٠١)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهْرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الرُّبيعي، قال: حدثنا أبو معاوية الغلابي، قال: قال سُفيان بن عُيينة: كلّمني ابن مُنَاذر في أن أكلِّم له جعفر بن يحيى، فكلّمته له، وقد كان ابن مُناذر ترك الشِّعر، فقال: إنْ أحبُّ أن يعودَ إلى الشِّعْر أعطيتُه خمسين ألفاً، وإن أحبُّ أن أعطيه على القراءة أعطيتُه عشرةَ آلاف، فذكرتُ له ذلك، فقال لي: خُذ لي على القراءة، فإنّي لا آخذُ على الشعر وقد تركتُه. (٢٠٢/١٨)

---

(١) الغرانيق: جمع غرنوق، وهو طائر مائي، أبيض، وقيل: هو طائر أسود من طير الماء، طويل العنق، وقال الأصمعي: الغرنيق الكركي. ينظر لسان العرب (٢٨٧/١٠)، والمصرصر: المصوِّت بشدّة.

(٢) لم يجاوز الشاعر الصدق فيما قال: فكم من الشعراء مدحوا البرامكة، ونشروا محاسنهم، وكان الرشيد راضياً عن هذا كلّه قبل أن يتغيّر، ولكنّ كلام الشاعر لم ينفع، فنال جفوة وصدّاً من الخليفة.

(٣) سدِرت: تحيّرت واختلط بصري.

(٢٠٢)

أخبرني عمّي، قال: حدّثني الكُراني، عن ابن عائشة قال: وَلي خالدُ بن طليق القضاء بالبصرة، وعيسى بنُ سليمان الإمارةَ بها، فقال محمد بنُ مناذر يهجوهما بقوله:

الحمـــدُ للــــه على ما أرى   خالدُ القاضي وعيسى أمير
لكنْ عيسى نوكه ساعة   ونــوكُ هـذا منْجنُونٌ يدُور(١)

وقال في شيرويْه الزِّيادي، وشيرويه لقب، واسمه أحمد، وسأله حاجةً، فأبى أن يقضيها إلاَّ على أن يمدحه:

ياسَميَّ النَّبيِّ بالعربيَّـــهْ   وسَمِيَّ اللُّيُوثِ بالفارسيَّهْ
إن غضبنا فأنت عبدُ ثقيفٍ   أو رضينا فأنتَ عبدُ أميَّهْ

فغضب شيرويه وجعل يشتُمه، وشاع الشِّعْرُ بالبصرة، فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويْه: ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض، يشتُم مَنْ يقول له ذلك. (١٨/٢٠٤)

(٢٠٣)

أخبرني مُحمّد بن جعْفر الصَّيْدلانيّ النَّحْويّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ القاسم البرْقيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بن يعقوب، قال: حدّثني أحمدُ بنُ يحْيى الهُذليّ التّمارُ، عن عبد الله بن عبد الصَّمد الضبيّ قال: كُنّا يوماً جلوساً في حلقة هُبيْرة بنِ جرير الضَّبيّ إذ أقبل مُحمّدُ بن مناذر في بُرْد قد كستْه إيّاه بانةُ بِنْت أبي العاصي، فسلَّم عليّ وحْدي، ولم يعرف منهم أحداً، ثم قام فجلس إلى أبي خيْرة، فخاطبه مُخاطبة خفيفة، وقام مُغْضبا، فقال لي هُبيْرة: مَنْ هذا؟ فقلتُ، محمّدُ بنُ مُناذر، فقال: إنَّا لله قُومُوا بنا، فقام إلى أبي خيرة، فقال له: ماذا قال لك ابن مُناذرٍ؟ قال: سألني عن شيء وكنت مشغولا عنه فقال: يا أبا خيْرة إن العشائر تغبطُنا لعلْمك، وما جعل اللهُ عندك، فنشدْناك اللهَ أن تكون لنا، كما كان عَرادَةُ لبني نُمير، فإنه تعرَّض لجرير فهجاه فعمَّهُمْ فقال:

عرادةُ من بقيَّةِ قوْمِ لوطٍ   ألا تبًّا لمـــا فعلوا تبابا

أتدْري مَنْ كان عندك آنفاً؟ قال: لا، قال: ابنُ مناذر، وما تَعرّض لأعراض قوْمٍ قطُّ إلا هتكها وهتكهم، فإذا جاءك يسألُك عن شيءٍ فأجِبْه، ولا تعْتلّ عليه بالبول، ولا تطلب منه شيْئاً، وكُلّ ما

---

(١) النوك: الحمق، والمنجنون: ما يُستقى عليها.

أردتَ من جهته ففي مالي، قال: أفعل. قال: وكان أبو خيْرة إذا سأله إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يعْتَلّ عليه بالبوْل. فما شعرنا من غد إلا بابْن مُناذر وقد أقبل، فعلمنا أنه قصد أبا خيْرة، فأتيناه، فلما رأى جمعَنا استحْيا مِنّا، وسلَّم علينا وتبسَّم، ثم قال: يا أبا خيْرة: قد قُلتُ شِعراً، وقبيحٌ بمثلي أن يُسأل عنه فلا يدْري ما فيه، وأنّي ذكرتُ فيه إنساناً فشبَّهتُه بالأفْار، فأيّ شيء هو؟ فاحمرَّ وجْه أبي خيْرة واضْطرب، وقال: هو التَّيْسُ الوثّاب الذي ينْزو وقضيبُه رِخْو فلا يصل، فقال: جُزْيتَ خيرا، ووثب وهو يضحك، فقُمْنا إليه وقلنا: قد علمنا أنَّك عنيْتَ هذا الشيخ، فإن رأيت أن تهبه لنا فافعل؛ فإنَّه شيخُنا، قال: والله ما عنيْتُ غيره، وقد وهبتُه لكم وكرامة، والله لا يسمعُ منّي أحد ما قلتُ فيه ولا أذكره إلاَّ بخير أبداً، وإن كان قد أساء العشرة أمس. (٢٠٩/١٨)

(٢٠٤)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو دعامة، قال: حدّثني أشجعُ السُلميّ، قال: كنتُ ذاتَ يوم في مجْلس بعض إخواني أتحدّث وأنشد، إذ دخل عليهم أنسُ بن أبي شيْخ النَّصْريّ صاحبُ جعفر بن يحيى، فقام له جميعُ القوم غيري، ولم أعرفه فأقوم له، فنظر إليّ وقال: مَنْ هذا الرَّجُل؟ قالوا: أشجع السُلميّ الشّاعر، قال: أنشدني بعض قولك، فأنشدتُه. فقال: إنَّك لشاعر فما يمْنَعُك من جعفر بن يحيى؟ فقلت: ومَنْ لي بجعْفر بن يحيى؟ فقال: أنا، فقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنه يملُّ الإطالة، فقلت: لستُ بصاحبِ إطالة، فقلت أبياتاً على نحْو ما رسم لي(١)، وصرت إلى أنس فقال: تقدّمني إلى الباب، فتقدّمت، فلم يلْبث أن جاء فدخل، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب جعفر بن يحيى، فقال أشجع: فقمتُ، فقال: ادخل، فدخلتُ، فاستنشدني فأنشدته أقول:

وترى المُلوكَ إذا رأيْتَهُمُ ... كُلٌّ بعيد الصَّوْت والجرْسِ
فإذا بدا لَهُم ابنُ يحْيى جعْفر ... رجعوا الكلامَ بمنْطِقٍ همْسِ
ذهبَتْ مكارِمُ جعْفر وفِعالُه ... في النَّاس مثْلَ مذاهبِ الشَّمْسِ

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم لقيتُ المُبارك مؤدِّب الفضل بن يحيى بعد أيام، فقال

---

(١) نلاحظ هنا أنَّ صاحب جعفر هو الذي يبيِّن للشاعر طريقة القول، ويوضح له ما يُعجب جعفر بن يحيى وما يكرهه، ونرى الشاعر يأخذ بما رُسِم له وينسج على منواله، ولعلَّ هذا ينضوي تحت تلك الرسوم التي جُعلت للشعراء، وكان ينبغي عليهم الأخذ بها عند دخولهم على الخلفاء والوزراء والقادة.

لي: أنشدني ما قلْتَه في جعفر، فأنشدته، فقال: ما يمنعك من الفضل؟ فقلت: ومَنْ لي بالفضل؟ فقال: أنا لك به، فأدخلني عليه، فأنشدته:

وما قدَّم الفضلَ بنَ يحيى مكانُه   على غيره بل قدَّمَتْه المكارمُ
لقد أرهبَ الأعداء حتى كأنما   على كل ثغرٍ بالمنيَّة قائمُ

فقال لي: كم أعطاك جعفر؟ فقلت: عشرة آلاف درهم، فقال: أعطوه عشرين ألفاً. (٢١٨/١٨)

(٢٠٥)

أخبرني علي بن صالح، قال: حدّثني أحمد بن أبي فنن، قال حدّثني داود بن مُهَلْهِل قال: لما خرجَ جعفر بن يحيى ليُصلِح أمر الشام، نزل في مضْربه، وأمر بإطعام الناس، فقام أشجعُ فأنشده قوله:

فتنتان باغيةٌ وطاغيةٌ   جلَّت أمورُهما عن الخطْبِ
قد جاءكم بالخيل شازبةً   ينقلن نحوكم رحى الحرْبِ(١)
لم يبْقَ إلا أن تدُورَ بكم   قد قام هاديها على القُطْبِ

قال: فأمر له بصلة ليست بالسَّنيَّة، وقال له: دائمُ القليل خيرٌ من مُنْقطع الكثير، فقال له: ونزْرُه أكثرُ من جزيل غيره، فأمر له بمثلها، قال: وكان يُجْري عليه في كلِّ جُمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه. (٢١٩/١٨)

(٢٠٦)

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حدّثنا أبو هفان قال: ذكر أبو دعامة أنَّ أشْجع دخل على الفضْل بن الربيع، وقد تُوفِّي ابنه العباس والناس يُعزّونه، فعزّاه فأحسن، ثم استأذنه في إنشاد مرثية قالها فيه، فأذن له فأنشده:

لا تبكينَّ بعيْنٍ غير جائدةٍ   وكلُّ ذي حزنٍ يبكي كما يجدُ
أيُّ امرئٍ كان عباسٌ لنائبةٍ   إذا تقنَّع دونَ الوالدِ الولدُ
لم يُدنِه طمعٌ من دار مَخْزيةٍ   ولم يعزُّ له من نعمةٍ بلدُ
قد كنتَ ذا جلدٍ في كلِّ نائبةٍ   فبان منّي عليك الصبرُ والجلدُ
لمَّا تسامتْ بك الآمالُ وابتهجت   بك المروءةُ واعتدَّت بك العُدَدُ
ولم يكُن لفتى في نفسه أملٌ   إلا إليك به من أرضه يفِدُ

---

(١) شازبة: ضامرة قوية.

وحين جئت أمام السّابقين ولم يبلل عـذارَك ميْدانٌ ولا أمدُ
وافاك يومٌ على نكْراء مشتملٌ لَمْ ينْجُ من مثله عادٌ ولا لُبَدُ(١)
فـمـا تكشـف إلا عن مُولْولة حـرّى ومُكْتئب أحشـاؤه تقِدُ

قال: فبكى الفضلُ وبكى الناسُ معه، وما انْصرفوا يومئذ يتذاكرون غيرَ أبياتِ أشجع. (١٨/٢٢٢)

(٢٠٧)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدّثني عبدُ الرحمن بن النُّعمان السّلميّ قال: كنّا ببابِ جعفر بنِ يحيى وهو عليل، فقال لنا الحاجبُ: إنه لا إذْن عليه، فكتب إليه أشجع:

لمّا اشتكى جعفرُ بنُ يحيى فـارقني النّـومُ والقـرارُ
ومـرّ عـيـشي عليّ حـتّى كـأنّمـا طعـمُـه المُـرارُ
خوفاً على جعفر بن يحيى لا حُقّـق الخـوفُ والحِذارُ
إن يُعـفـه اللـه لا نُحـاذِرْ مـا أحـدثَ الليلُ والنهـارُ

قال: فوصل الحاجبُ رُقْعتَه، ثم خرج فأمره بالوصول وحده، وانْصرف سائرُ النّاسِ. (١٨/٢٢٣)

(٢٠٨)

أخبرني الحسن قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدّثني محمد بن الحُسين، عن عمرو بن عليّ: أنّ أشجع السُّلميّ كتب إلى الرشيد وقد أبْطأ عنه شيءُ أمرَ له به:

أبلغ أمـيـرَ المؤمنين رسـالةً لهـا عَنَقٌ بين الرُّواةِ فـسـيحُ(٢)
بأنّ لسانَ الشّـعرِ يُنطقه النّدى ويُخرسـه الإبطـاء وهو فصيحُ

فضحكَ الرشيدُ وقال له: لن يخْرَس لسانُ شعرك، وأمر بتعْجيل صلته. (١٨/٢٢٣)

(٢٠٩)

أخبرني عمّي، والحسن بنُ عليّ، قال: حدّثنا الفضلُ بن محمد اليزيديّ، قال: حدثنا إسحاقُ

---

(١) يريد بعاد، قبيلة عاد، وهم قوم هود عليه السلام، موصوفون بعِظَم خلقتهم وضخامة أجسامهم، ينظر لسان العرب (٣/٣٢٢)، وثمار القلوب (ص ٧٩). ولُبَد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سمّاه بذلك لأنّه لَبِدَ فبقي لا يذهب ولا يموت كاللِّبْد من الرجال اللازم لرحله لا يفارقه. ينظر لسان العرب (٣/٣٨٥). يضرب المثل به بطول العمر، ومع هذا فقد أدركه الموت.

(٢) العنَق: السّير السريع.

بن إبراهيم الموْصليّ، قال: لما ولَّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خُراسانَ جلس للناس فدخلوا عليه يُهنِّئونه ثم دخل الشعراء فأنشدُوه؛ فقام أشجعُ آخرهم، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله:

أتصبرُ للبين أم تَجزَعُ   فإنَّ الديـار غداً بَلْقَعُ(١)
غداً يتفرَّقُ أهلُ الهوى   ويكثُرُ باكٍ ومُسْترجعُ

حتى انتهى إلى قوله:

ودوِّيــةٍ بيــن أقطــارهــا   مـقــاطيعُ أرضينَ لا تُقْطعُ(٢)
تجاوزْتُهـا فـوق عيْرانـةٍ   من الريح في سيرها أسرعُ(٣)
إلى جعفرٍ نزعتْ رغبـةٌ   وأيَّ فـتىً نحـوه تنـزعُ
فمـا دُونـه لامـرئٍ مطْمَعٌ   ولا لامـرئٍ غيـره مـقنعُ
ولا يرفـعُ النـاسُ مَـنْ حطَّـه   ولا يضعُـون الذي يرفعُ
يُريدُ الملوكُ مدى جعفرٍ   ولا يصنعُـون كمـا يصنَعُ
وليس بأوْسَعِهم في الغنى   ولكنْ معـروفـه أوسعُ
تلـوذُ الملوكُ بـآرائـه   إذا نالهـا الحـدثُ الأفظعُ
بديهتُـه مثـلُ تـدبيـره   متى رُمتـه فـهو مُستجمعُ
وكـم قـائلٍ إذْ رأى ثرْوتـي   وما في فضول الغنى أصنعُ:
غـدا في ظلال ندى جعفرٍ   يجُـرُّ ثيـابَ الغنى أشجعُ
فقُـلْ لخراسـانَ تحيا فقـد   أتاها ابنُ يحيى الفتى الأروعُ

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحكاً، واستحسن شعره، وجعل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه، ثم أمر له بألْف دينار.

قال: ثم بدا(٤) للرُّشيد في ذلك التَّدْبير، فعزل جعفرا عن خُراسان بعد أن أعطاه العهْد والكتب، وعقد له العقْد وأمرَ ونهى، فوجِم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول:

أمست خُراسـانُ تُعزَّى بما   أخطأها من جعفر المُرتجى
كان الرشيدُ المُعْتلى أمرَه   ولَّى عليها المُشرِقَ الأبلجا
ثـم أراه رأيُـه أنَّـه   أمسى إليه منهُم أحْوجا

---

(١) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.   (٢) دوِّيَة: الصحراء الواسعة.
(٣) العيرانة: الناقة النشيطة.   (٤) بدا له: أي عرض له شي جديد، دعاه إلى تغيير ما رآه.

فكمْ به الرَّحمنُ من كُربةٍ ... في مُدَّةٍ تقصرُ قد فرَّجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هوَّنتَ عليَّ العزلَ، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر، فسلْني ما شئتَ، فقال: قد كفاني جُودُك ذلَّةَ السؤال، فأمر له بألفِ دينار آخر. (١٨/٢٢٤)

(٢١٠)

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد، عن أبي دعامة، عن أشجع، قال: دخلتُ على محمد الأمين حين أجلِسَ مجْلس الأدب للتَّعْليم، وهو ابنُ أربعِ سنين، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

ملكٌ أبُوه وأمُّه من نبْعةٍ ... منها سِراجُ الأمَّةِ الوهَّاجُ(١)

شربَتْ بمكة في رُبا بطْحانها ... ماءَ النُّبوَّة ليس فيه مِزاجُ(٢)

يعني النَّبعةَ، قال: فأمرتْ له زُبيْدةُ بمائة ألف درهم، قال: ولم يملك الخلافةَ أحدٌ أبوه وأمُّه من بني هاشم إلا أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه ومحمد بن زبيدة. (١٨/٢٢٦)

(٢١١)

أخبرني الحسن بنُ علي، ومحمد بن يحْيى الصوليّ، قالا: حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ، قال: حدثنا المهزَميّ، قال: لما وَلي إبراهيمُ بنُ عثمانَ بنِ نُهيْك الشرطةَ، دخل عليه أشجَعُ، فأنشده قوله فيه:

لِمَنِ المنازلُ مثلُ ظهْرِ الأرقَمِ ... قدُمت وعهْدُ أنيسِها لم يقْدُمِ(٣)

فتكَتْ بها سنتان تعْتورانها ... بالمُعْصفاتِ وكلُّ أسْحم مُرْزِمِ(٤)

دِمَنٌ إذا استثْبَتُّ عينك عهدها ... كرَّت إليك بنظْرةِ المُتوهِّمِ

ولقد طعنْتُ الليلَ في أعجازه ... بالكأس بين غطارفٍ كالأنْجُمِ(٥)

يتمايلُون على النَّعيم كأنَّهم ... قُضُبٌ من الهِنْديِّ لم تتثلَّمِ

---

(١) النَّبعة: شجرة من أشجار الجبال، أصفر العود رزينة ثقيلة في اليد، وإذا تقادم احمرَّ، وكلُّ القسيِّ إذا ضُمَّتْ إلى قوس النبع كَرَمتْها قوس النبع لأنها أجمع القسيِّ للشدَّة واللين. ينظر لسان العرب (٨/٣٤٦).

(٢) المزاج: الاختلاط، يريد أنَّه صافٍ نقيّ. (٣) الأرقم: ذكر الحيَّات أو أخبثها.

(٤) تعتورانها: تتناوبان عليها، والمعصفات: هي الريح القويَّة الشديدة. والأسحم: الأسود القاتم، وأراد هنا السحاب. والمُرزم: ذو الصوت العالي.

(٥) أعجازه: أواخره. الغطارف: مفرده الغطريف، وهو السيِّد الكريم.

واللَّيلُ مُشْـتَـمِلٌ بفَـضْلِ ردائه قـد كـاد يحْسُر عن أغـرَّ أرثم(١)
لبني نُهَـيكٍ طـاعـةٌ لو أنهـا زُحِمت بهـضْبِ مُتـالِعٍ لم تكلَّم
قـومٌ إذا غـمـزوا قناةَ عـدوِّهـم حطمـوا جـوانبها ببأسٍ مُحْطِم
في سـيف إبراهيمَ خـوفٌ واقعٌ لذوي النِّفـاقِ وفـيـه أمْنُ المُسْلِم
ويبـيتُ يكْلأ - والعـيـونُ هـواجِعٌ - مـالَ المُضيع ومُهْجةَ المُسْتسلِم(٢)
ليلٌ يُواصِلُه بضـوءِ نهـارِه يقْظـانُ ليس يذوقُ نـومَ النُّوَّم
شـدُّ الخطـامَ بأنف كلِّ مُخـالف حـتى استـقـام له الذي لم يُخْطَم
لا يُصلِـح السُّـلطـانَ إلا شـدَّةٌ تغشى البريءَ بفضل ذنْب المُجْرِم
منعتْ مـهـابتُك النفـوسَ حديثَهـا بالشـيء تكرهـه وإن لـم تعْلَم
ونهـجْتَ في سُبُل السِّيـاسة مسْلكاً فـفـهمتَ مذهبـهـا الذي لـم يُفْهَم

فوصله وحمله وخلع عليه. (٢٢٦/١٨)

(٢١٢)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثنا الغلابيُّ قال: حدثنا مهديّ بنُ سابق قال: أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حفْصة - وقد مدحه - ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً، وأعطى أشْجَع - وقد أنشده معهما - ثلاثة آلاف درهم، وكان ذلك في أول اتصاله به، فكتبَ إليه أشجع يقول:

أعطيتَ مـروانَ الثَّلا ثينَ التي دلَّت رِعـاثَهْ(٣)
وأبا البـصـيـر وإنما أعطيـتـني منهم ثلاثَـهْ
ما خانني حوكُ القريـ ـض ولا اتُّهمتَ سوى الحداثَهْ(٤)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى. (٢٢٨/١٨)

(٢١٣)

أخبرني عمِّي قال: حدَّثني أحمدُ بن المرزُبان قال: حدَّثني شيْبةُ بنُ أحمد بن هشام، قال:

---

(١) الأغرّ: الأبيض. والأرثم: الفرس في طرف أنفه بياض، وأراد بالأغرّ الأرثم هنا الصّبح.
(٢) يكلأ: يرعى، والمُضيع: مَنْ كثرت ضياعه.
(٣) الرعاث: جمع رعثة، وهي عثنون الدّيك، ويريد بتدلّي رِعاثه أنّه تكبّر وزها.
(٤) حوك القريض: نظمه وتجويده، والحداثة هنا أوّل المعرفة.

حدّثني أحمدُ بن العباس الرَّبيعيُّ: أن الذي أوْصلَ أشْجع السُّلميَّ إلى الرّشيد جدُّه الفضل بن الربيع، وأنه أوصله له وقال له: هو أشْعرُ شُعراء أهْلِ هذا الزّمان، وقد اقتطعتْه عنك البرامكة، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل. فلمّا وصل إليه أنشده قوله:

قصرٌ عليه تحيّةٌ وسلامُ ... نشرَتْ عليه جمالها الأيّامُ
فيه اجْتلى الدُّنيا الخليفةُ والتقتْ ... للمُلك فيه سلامةٌ وسلامُ
قصرٌ سُقوفُ المُزْنِ دونَ سُقُوفِه ... فيه لأعلام الهُدى أعْلامُ
نشرت عليه الأرضُ كُسوتها التي ... نسجَ الرَّبيعُ وزخرفَ الإرْهامُ(١)
أدنتْك من ظِلّ النّبيّ وصيّةٌ ... وقرابةٌ وُشِجَتْ بها الأرحامُ
برقتْ سماؤكَ في العدوّ وأمْطرت ... هاماً لها ظلُّ السُّيوف غمامُ
وإذا سُيوفُك صافَحَتْ هامَ العدا ... طارت لهُنَّ عن الرؤوس الهامُ
أثنى على أيّامك الأيّامُ ... والشّاهدان: الحِلُّ والإحرامُ
وعلى عدوّك يا بْنَ عمِّ مُحمّدٍ ... رصدان: ضوء الصُّبح والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعتَه، وإذا غفا ... سلّتْ عليه سُيوفك الأحلامُ

قال: فاستحْسَنها الرّشيد، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضْلَ بنَ الرَّبيع، وشكر له إيصاله إيّاه إلى الرشيد، فقال فيه قصيدته التي أوّلها:

غلب الرُّقادُ على جُفُونِ المُسْهَدِ ... وغرقْتُ في سهرٍ وليلٍ سرْمدِ (٢٣٢/١٨)

(٢١٤)

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ والحسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا العنزيّ قال: حدثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ قال: أوّلُ ما نجم به أشجعُ أنّه اتّصلَ بجعفر بن المنْصورِ وهو حدثٌ، وصله به أحمد بنُ يزيد السُّلميَّ وابنه عوف، فقال أشجعُ في جعفر بن المنصور قوله:

اذكُروا حُرمة العواتِك منّا ... يا بني هاشمٍ بنِ عبدِ منافِ(٢)

---

(١) أرهمت السماء: أتت بالرِّهمة، وهي المطر الضعيف.

(٢) يشير الشاعر بقوله: حرمة العواتك إلى قول الرسول (ص) يوم حنين: «أنا ابن العَواتك من سُلَيم». والعواتك من سُلَيم، ثلاث يعني جدّاته ومنْ عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أمّ عبد مناف بن قصي جدّ هاشم، وعاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أمّ هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص بن مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان أمّ وهب بن عبد مناف بن زُهرة جدّ رسول الله (ص) أبي أمّه آمنة بنت وهب. فالأولى من العواتك عمّة الوسطى، والوسطى عمّة الأخرى، وبنو سُلَيم تفخر بهذه الولادة، ونرى الشاعر هنا يذكّر بها =

قــد ولدناكـــمُ ثــلاثَ ولادا ... تِ خلطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ
مــهدت هاشــمـاً نجـومُ قُصـيٍّ ... وبنـــو فـالجٍ حُجـور عـفــافِ
إنْ أرمــاحَ بُهثة بـنَ سـُــليْم ... لعجافِ الأطرافِ غيرُ عجافِ(١)
ولأسـيـافـهـم فَرىً غـيـرُ لذٍّ ... راجعٌ في مـراجع الأكـتــافِ(٢)
معشرٌ يُطعِمُون من ذِروَةَ الشُو ... لِ ويسْـقون خمْرة الأقْحافِ(٣)
يضـربون الجبّار في أخـدعيْه ... ويُسَـقُّونه نقيعَ الذُّعـافِ(٤)

فشاع شعْره وبلغ البصْرة، ولـم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلتْه زُبيدةُ بعد وفاة أبيها بزوْجها هارون الرشيد، فأسْنى جوائزه، وألْحقه بالطبقة العلْيا من الشُعراء(٥). (٢٣٢/١٨)

(٢١٥)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدثني صخرُ بن أحمد السلميّ، عن أبيه، قال: كنت أنا وأشجع بالرَّقَّة جلوساً، فمرَّ بنا غلامُ أمردُ روميّ جميلُ الوجه، فكلّمه أشجع وسأله هل يبيعُه مالِكُه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدحُ جعفرَ بن يحْيى، وسأله ابتياعه له فقال:

ومُضْطـربِ الوشاحِ لمُقْلتيْـه ... علائقُ مـا لوصلْتهـا انْقطاعُ(٦)
تعـــرّض لي بنظْرةِ ذي دلالٍ ... يُريعُ بمُقْلتـــيْـــه ولا يُراعُ(٧)
لحــاظٌ ليس تُـحجب عن قُلوبٍ ... وأمـرٌ في الذي يهـوى مُطاعُ
ووُسْــعِي ضــيِّقٌ عــنه ومـالي ... وضـيقُ الأمـر يتْبَعُه اتّسـاعُ

= أيضاً، ويدعو إلى الأخذ بحرمتها. ينظر لسان العرب (٤٦٤/١٠).

(١) يريد أنْ رماحهم قوية، وليست بضعيفة، قادرة على النفاذ.

(٢) الفرى: القطع الشديد، واللذّ: اللذيذ، وكلاهما يجري مجرى واحداً في النعت، ينظر لسان العرب (٥٠٧/٣).

(٣) الذروة هنا: السَّنام، والشَّول: الناقة، والأقحاف: جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنَّه نصف قدح.

(٤) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا، والذُّعاف: السّم.

(٥) أشرنا في المقدمة إلى أنّ اتصال الشعراء بالخلفاء، واستماعهم إليهم، يعلي مكانتهم و يرفع من أقدارهم، ويبدو أنّ هذه الظاهرة ما تزال موجودة إلى هذا العصر، إذ نجد الرشيد يدني الشاعر منه، ويلحقه بكبار الشعراء، ولاشكّ في أنّ هذا العمل قد نوّه باسم هذا الشاعر ونقله إلى طبقة أرفع من التي كان فيها.

(٦) مضطرب الوشاح: كناية عن ليونة جسمه وتثنّيه. (٧) يُريع: يخيف.

وتعويلي على مال ابنِ يحْيى   إليه حنَّ شوْقي والنِّزاعُ
وثِقتُ بجعْفرٍ في كلِّ خطْبٍ   فلا هُلْكٌ يُخافُ ولا ضياعُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال: اشتره بها فإن لم تكْفِك فازددْ.   (١٨/٢٣٤)

(٢١٦)

حدثني أحمدُ بن وصيف، ومحمدُ بنُ يحيى الصُّوليّ قالا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدثني عبدُ الله بن عمرو الوراق، قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن منْصور بن زياد عن أبيه، قال: دخل أشجعُ على الرّشيد ثاني يوم الفطر فأنشده:

استقْبل العيدَ بعُمْرٍ جديد   مدّت لك الأيّامُ حبْلَ الخُلود
مُصعِّدا في درجات العُلا   نجْمُك مقرونٌ بسعْد السعُود
واطْو رداء الشّمس ما أطلعتْ   نُوراً جديداً كلَّ يوم جديد
تمضي لك الأيامُ ذا غبْطة   إذا أتى عيدٌ طوى عُمر عيد

فوصله بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يُغنَّى في هذه الأبيات.   (١٨/٢٤٦)

(٢١٧)

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ، قال: حدّثنا محمد بنُ موسى بن حمّاد، قال: حدثني أبو عبدِ الله النَّخعيّ، قال: دخل أشجعُ على الرشيد فأنشده قوله:

أبتْ طَبَرِسْتانُ غيرَ الذي   صدَعْتَ به بين أعْضانها(١)
ضَمَمْتَ مناكبها ضمّةً   رمتْك بما بين أحشائها
سمَوْتَ إليها بمثْل السّماء   تدلّى الصّواعقُ في مائها
فلمّا نظرتَ إلى جُرحها   وضعْتَ الدّواء على دائها
فرشْت الجهادَ ظُهورَ الجياد   بأبنائه وبأبنائها
بنفْسِك ترميهمُ والخيول   كرْمي العُقاب بأفْلائها(٢)
نظرتَ برأيك لمّا هممـ   ـتَ دُونَ الرّجال وآرائها

قال: فأمر له بألف دينار.   (١٨/٢٤٧)

---

(١) طبرستان: بلدان واسعة يشملها هذا الاسم منها: دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمل، وهي في بلاد فارس. ينظر معجم البلدان (٤/١٣).

(٢) الفلاة: الصحراء الواسعة، وجمعها فَلىً، وجمع الجمع: أفلاء.

(٢١٨)

أخبرني ابنُ أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جبْر بن رياط الأسدي: أنَّ عبدَ الملك بن صالح أدخل العُمانيَّ على الرَّشيد فأنشده:

يا ناعشَ الجدِّ إذا الجدّ عثرْ   وجابر العظْم إذا العظْم انكسرْ
أنت ربيعي والربيع يُنْتظرْ   وخير أنواء الربيع ما بكَرْ

فقال له الرشيد: إذاً يبكُر عليك ربيعُنا، يا فضْل، أعطه خمسة آلاف دينار، وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جبْر: لما دخل الرّشيدُ الرقّةَ استقبله العُمانيّ، فلما بصُرَ به ناداه:

هارونُ يابنَ الأكْرمين منْصبا   لما ترحلْتَ فصرت كثبا
من أرضِ بغْداد تؤُمُّ المغْربا   طابت لنا ريحُ الجنوبِ والصَّبا
ونزل الغيْثُ لنا حتى ربا   ما كان من نشْزٍ وما تصوّبا
فمرْحباً ومرحباً ومرحبا

فقال له الرُّشيد: وبك مرحباً يا عُمانيّ وأهلا، وأجْزل صلته. (٣١١/١٨)

(٢١٩)

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد قال: حدّثنا حمّاد، عن أبيه قال: قصد العُمانيُّ عبد الملك بن صالح الهاشميّ مُتوسّلا به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء، ومدح عبد الملك بقصيدته التي يقول فيها:

نمتْه العرانينُ من هاشمٍ   إلى النَّسب الأوضح الأصْرحِ(١)
إلى نبْعةٍ فرعُها في السماء   ومغرسُها سُرَّةُ الأبطحِ(٢)

فأدخله عبدُ الملك إلى الرّشيد بالرُّقة فأنشده:

هارونُ يابنَ الأكرمينَ حسبا   لما ترحّلْتَ فكنت كثبا
من أرضِ بغدادَ تؤمُّ المغربا   طابتْ لنا ريحُ الجنوب والصَّبا
فمرْحباً ومرْحباً ومرْحبا

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً. (٣١٦/١٨)

---

(١) عرانين القوم: سادتهم وأشرافهم.

(٢) سرُة كلّ شي: وَسَطُه والأبطح: يريد بطحاء مكة. يعني أنّه في وسط قريش شرفاً.

(٢٢٠)

أخبرني حبيبُ بنُ نصْر المهلبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم قال: حدّثنا مُوسى بنُ صُبَيح المروزيّ قال: خرج الرُّشيدُ غازياً بلادَ الرّوم، فنزل بهرْقلة(١)، ونصبَ الحرب عليها، فدخل عليه العُمانيّ وهو يذكر بغداد وطيبها وما فيه أهلُها من النِّعْمة، فأنشده العُمانيّ قصيدة له في هذا المعْنى، يذكرُ فيها طيبَ العيْش ببغداد، وسعة النعم، وكثرة اللّذات، يقول فيها:

ثم أتوْهم بالدَّجاج الدُّجْجِ بين قديدٍ وشواءٍ منضجِ
وبِعَبيطٍ ليس بالمُلهوجِ فدُقَّ دقَّ الكَوْدنيِّ الدَّيْرَجِ(٢)
حتى ملا أعفاج بطنٍ نُفُّجِ وقال للقيْنة: صبيِّ وامزُجي(٣)

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم. (٣١٨/١٨)

(٢٢١)

أخبرني محمدُ بن عِمران الصيْرفيّ، والحسنُ بن عليّ الخفاف قالا: حدثنا الحسن بن عُليْل العنزيّ قال: حدّثني أبو عبدِ الله أحمدُ بنُ محمد بن سُليمان الحنفيّ ذو الهِدْمين قال: حدّثني أبي قال: دخلَ يزيدُ بنُ مزْيد على الرُّشيد فقال له: يا يزيد، مَن الذي يقُولُ فيك:

لا يعبَقُ الطِّيبُ خدَّيْه ومفرِقه ولا يُمسِّح عينْيه من الكُحُلِ(٤)
قد عوّدَ الطّير عاداتٍ وثِقْنَ بها فهُنّ يَتْبعنَهُ في كُلّ مُرْتحلِ(٥)

فقال: لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين. فقال له هارون: أيُقال فيك مثلُ هذا الشِّعر ولا تعرف قائله! فخرج من عنده خجلاً، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له: مَنْ بالبابِ من الشُّعراء؟

---

(١) هرْقلة: مدينة ببلاد الرّوم، سُمِّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام. ينظر معجم البلدان(٣٩٨/٥).

(٢) لحم عبيط: طريّ، والملّهوج: غير الناضج، أي جاءوا بلحم طريّ ناضج. والكودنيّ: البرذون الهجين، أو هو الفيل، والدَّيرج: طنبور ذو أوتار تُضرب، ينظر لسان العرب (٣٥٦/١٣ و٢٧٠/٢).

(٣) الأعفاج: جمع عفج، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة، ونُفُّج: عظيمة كبيرة.

(٤) لا يعبق الطيب خدّيه ومفرقه: أي لا يلصق بهما، ولا يمسح عينيه من الكحل: أي لا يكتحل، يريد أنّه لا يشتغل بالطيب والكحل وما سواهما من الملاذّ لأنّه مشغول بالحرب وأهوالها، يدلّ على هذا البيت الذي يليه.

(٥) العادات التي عودُ الطير عليهن هي تقديم لحوم القتلى إليهنّ، ولذلك تتبعه الطير أينما ذهب وسار، وهو معنى شائع في الشعر العربي، بدأه النابغة الذبياني، وتبعته الجمهرة من الشعراء بعده، ومن المفيد أن =

قال: مسلم بن الوليد، فقال: وكيف حَجَبْته عنّي فلم تُعْلمني بمكانه؟ قل: أخبرته أنّك مُضيق، وأنه ليس من يديك شيء تعطيه إياه، وسألتُه الإمساكَ والمقام أياماً إلى أن تتسع. قال: فأنكر ذلك عليه وقال: أدخِلْه إليّ فأدخله إليه، فأنشده قوله:

أُجررْتُ حبل خليع في الصِّبا غزلٍ وشمّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في عذلي(١)

ردُّ البكاءَ على العينِ الطَّمُوحِ هوى مُفرَّقٌ بين توديعٍ ومُرتحلِ(٢)

أما كفى البيْنَ أن أُرمى بأسْهُمِه حتى رماني بلحْظِ الأعيُنِ النُّجُلِ!

مما جنت لي - وإن كانت مُنىً صدقَتْ - صبابةٌ خُلَسُ التَّسليمِ بالمُقلِ(٣)

فقال له: قد أمرْنا لك بخمْسين ألفَ درهم، فاقبضْها واعذر، فخرج الحاجبُ فقال لُمسْلم: قد أمرني أن أرهن ضيْعةً من ضياعه على مائةَ ألف درهم، خمْسونَ ألفاً لك وخمْسون ألفاً لنفقته. وأعطاه إيَّاها، وكتب صاحبُ الخبَر بذلك إلى الرَّشيد، فأمر ليزيد بمائتي ألفِ درهم وقال: اقضِ الخمْسين الألف التي أخذها الشّاعر وزِدْه مثلها. وخُذ مائةَ ألفٍ لنفقتك. فافتكَّ ضيْعته، وأعطى مُسلما خمسين ألفاً أخرى. (٣٥/١٩)

(٢٢٢)

أخبرني الحُسيْن بنُ القاسم الكوْكبيِّ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثني مسعودُ بنُ عيسى العبْديّ قال: أخبرني مُوسى بنُ مُوسى عبْدِ الله التميميّ قال: دخل مُسلم بنُ الوليد الأنصاريّ على الفضْل بن سهْل ليُنْشدَه شعْراً، فقال له: أيُّها الكهْل، إنّي أجلُّكَ عن الشِّعْر، فسلْ حاجتك، قال: بل تستتمّ اليد عندي بأن تسمع(٤)، فأنشده:

دُموعُها من حذار البيْن تنْسكبُ وقلبُها مُغْرمٌ من حرِّها يجبُ(٥)

= نحيل هنا إلى كتاب معاهد التنصيص (٩٧/٤) وما بعدها، إذ تتبّع هذا المعنى عند كثير من الشعراء، مع إيراده الأبيات التي تضمَّنت هذا المعنى.

(١) تقول العرب: أجررت فلاناً رسنه، إذا مهلْتَ له في إرادته، وأصله أن تمهل للدّابة في الرّعي جارةً رسنها، فيقول: «أجررت حبل خليع في الصّبا» أي حبل مَنْ قد خلع عذاره في الصّبا، وقوله: غزل: أي ذو غزل ومُجن، والخليع: مَنْ خلعه قومه لشرّه. (٢) الطّموح: المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون.

(٣) والخُلَس: جمع خلسة، وهي استراق اللّحظ مخافة الرّقباء. وينظر شرح ديوان مسلم (ص١) وما بعدها.

(٤) من الضروري أن يُنشد الشاعر أمام مَنْ دخل إليه، وإلاّ فستهبط مكانته، ولهذا رأينا الشاعر يصرُّ على الإنشاد، والفضل يطلب منه عدم الإنشاد، ولعلّ هذا يدخل في الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق.

(٥) وجب القلب: خفق ورجف.

جدَّ الرَّحيلُ به عنها ففارقها   لبينـه اللَّهْـو واللّذّاتُ والطَّـربُ
يهْوى المسيرَ إلى مرْوٍ ويحزُنُه   فراقُها فهو ذو نفْسيْن يرتقبُ

فقال له الفضْل: إني لأجلُّك عن الشعر(١)، قال: فأغْنني بما أحْببتَ من عملك؛ فولاَّه البريدَ بجُرْجان. (٤٥/١٩)

(٢٢٣)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان قال: حدَّثنا حمَّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه قال: عتب عيسى بنُ داود على مُسلم بن الوليد فهجره، وكان إليه مُحسناً، فكتب إليه مسلم:

شـكرتُـك للنُّعْمى فلمَّـا رمَيْـتني   بصـدِّكَ تأديبـاً شكرتُك في الهجْرِ
فعنـدي للتـأديـب شُـكْـرٌ وللنَّـدى   وإن شئْت كان العفْو أدْعى إلى الشُّكْرِ
إذا مـا اتّقـاكَ المسْـتليمُ بعُـذْره   فـعـفْوك خـيْر من مـلامٍ على عُذْر

قال: فرضي عنه وعادَ له إلى حاله. (٤٦/١٩)

(٢٢٤)

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدَّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنْصاريَ من ولدِ النُّعْمانِ بن بشير قال: حدثني مسلم بن الوليد قال: وجَّه إليَّ ذو الرِّياستيْن(٢)، فحُملتُ إليه، فقال: أنشدني قولك:

بالغمْرِ من زينبَ أطـلالُ   مرَّتْ بها بعدك أحوالُ(٣)

فأنشدتُه إيَّاها حتى انتهيتُ إلى قولي:

وقـائلٍ ليسـت له همَّـةٌ   كـلاَّ ولكن ليس لي مـالُ
وهِمَّـةُ المُـقْترِ أمْنيَّـةٌ   هَمٌّ مـع الدَّهـر وأشْغـالُ
لا جِدَةٌ أنهضُ عزْمي بها   والنـاسُ سُـؤّالٌ وبُخّـالُ(٤)

---

(١) لعلَّ في تكرار الفضل قولته للشاعر: إنّي لأجلّك عن الشعر، إشارة إلى تغيّر النظرة إلى الشعر، واحتلاله موقعاً أدنى ممّا كان عليه، بسبب ذلك التكسّب والإلحاف الذي تميّز بهما، وقد ذكرنا في المقدمة أنَّ هذه النظرة بدأت تنتشر، ولكنّها لم تصبح الوجه الوحيد للشعر.

(٢) ذو الرِّياستين: هو الفضل بن سهل، وقد شرحنا في موضع سابق سبب هذه التسمية.

(٣) الغَمْر: اسم لعدّة مواضع، فهو بئر قديمة بمكة، وموضع وراء وَجْرة بينه وبين مكة مسيرة يومين، وهو وادٍ بين شحر وتيماء ماؤه قليل. ينظر معجم البلدان (٤/٢١١ ـ ٢١٢). (٤) الجدة: العطيّة والنوال.

فاقعدْ مع الدَّهر إلى دولةٍ ترفعُ فيها حالك الحالُ

قال: فلمَّا أنشدتُه هذا البيت قال: هذه والله الدَّولةُ التي ترْفَعُ حالك. وأمر لي بمالٍ عظيم وقلَّدني - أو قال قبَّلني - جوْزَ جُرجان. (١٩/٥٣)

(٢٢٥)

حدّثني جحْظة قال: حدّثني ميْمُونُ بنُ هارون قال: كان مسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن معْنِ بنِ زائدةَ بعد مدْحه إياه، لشيء أوحشه منه. فسأله يزيدُ بنُ مزْيد أن يهبه له، فوعده ولم يفعْل، فتركه يزيد خوفاً منه، فهجاه هجاءً كثيراً، حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءه قطع لسانه، فمن ذلك قولُه فيه:

يا معْنُ إنَّك لم تزل في خزْيةٍ حتى لففتَ أباكَ في الأكفانِ
فاشْكُر بلاءَ الموْتِ عندك إنَّه أودى بلُؤم الحيِّ من شيْبان

قال: وهجا أيضاً يزيد بنَ مزْيدَ بعد مدْحه إياه فقال:

أيزيدُ يا مغْرورُ ألأمَ مَنْ مشى ترْجُو الفلاح وأنتَ نُطْفة مزْيدِ
إن كُنتَ تنكرِ منطقي فاصرخ به يومَ العرُوبة عند بابِ المسْجدِ(١)
في مَنْ يزيدُ فإن أصبتَ بمزيدٍ فلْسا فهاك على مُخاطرةٍ يدي

هكذا روى جحْظة في هذا الخبر، والشِّعران جميعاً في يزيدَ بنِ مزْيد، فالأوَّل منهما أوَّله:

أيزيدُ إنَّك لم تزل في خزْيةٍ

وهكذا هو في شعر مُسلم، ولم يلق مُسلم معْنَ بنَ زائدة، ولا له فيه مدْح ولا هجاء. (١٩/٥٤)

(٢٢٦)

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا الهشاميُّ قال: حدّثني عبدُ الله بنُ عمْرو قال: حدّثني مُوسى بنُ عبد الله التميميَّ قال: دخل مُسلم بنُ الوليدِ على الفضْل بن سهْل، فأنشده قوله فيه:

لو نطقَ الناسُ أو أنْبوْا بعلمهمُ ونبَّهتْ عن معالي دهْركَ الكُتبُ
لم يبلُغوا منك أدنى ما تمُتُّ به إذا تفاخرت الأملاكُ وانْتسَبُوا

---

(١) يوم العروبة: يوم الجمعة، وهو من أسمائها القديمة.

فأمر له عن كلِّ بيت من هذه القصيدة بألف درهم(١). (٥٦/١٩)

(٢٢٧)

أخبرني حبيبُ بنُ نصْر قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد قال: حدّثني أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بنِ داودَ قال:

دخلَ مُسلم بنُ الوليد يوماً على الفضل بن يحيى، وقد كان أتاه خبرُ مسيره، فجلس للشُّعراء فمدحوه وأثابهم، ونظر في حوائجِ النّاس فقضاها، وتفرّق الناسُ عنه، وجلس للشُّرب، ومُسْلم غيْرُ حاضرٍ لذلك، وإنّما بلغه حين انْقضى المجْلس، فجاء فدخل إليه فاستأذن في الإنشاد، فأذنِ له، فأنْشده قوله فيه:

أتتْك المطايا تهتدي بمطيّة عليها فتىً كالنّصْل مُؤنسه النّصْلُ

يقول فيها:

وردت رواقَ الفضْل آملُ فضْلَه فحطُّ الثّناء الجزْلَ نائله الجزْلُ
فتى ترْتعي الآمالُ مُزنةَ جُوده إذا كان مرْعاها الأمانيُّ والمطْلُ
تساقطُ يمْناه النّدى وشماله الرّدى وعيونُ القوْلِ منطقُه الفصْلُ
ألحَّ على الأيام يفْري خُطوبها على منْهجٍ ألفى أباه به قبْلُ
أنافَ به العلياءَ يحيى وخالدٌ فليس له مِثْلٌ ولا لهُما مِثْلُ
فُروعٌ أصابت مغْرساً متمكّناً وأصْلاً فطابت حيث وجّهها الأصلُ
بكفِّ أبي العبّاس يُستمطر الغنى وتُستنْزلُ النُّعمى ويُسْترعف النّصلُ(٢)

قال: فطربَ الفضْل طرباً شديدا، وأمر بأن تُعدَّ الأبياتُ، فعُدّت فكانت ثمانين بيْتا فأمر له بثمانين ألف درهم، وقال: لولا أنّها أكثر ما وُصل به الشُّعراء لزِدْتُك، ولكنّه شأوٌ لا يُمْكنُني أن أتجاوزه - يعني أنّ الرشيد رسمه لِمرْوان بن أبي حفصة(٣) - وأمره بالجُلوس معه والمُقامِ عنده لمُنادمته، فأقام عنده، وشرب معه، وكانت على رأس الفضل وصيفة تسْقيه كأنّها لؤلؤة، فلمح

---

(١) ظاهرة عدِّ أبيات القصيدة، وإعطاء مبلغ من المال لكل بيت فيها، أقول، تقابلنا هذه الظاهرة مرّة أخرى.

(٢) يُسترعف النّصل: يتقدّم للطعن أو يسيل الدمّ منه، فيَد الممدوح يكون النّصل قاتلاً طاعناً. ينظر لسان العرب(١٢٣/٩)

(٣) ينضوي هذا الرسم المفروض للشعراء، تحت رسوم كثيرة جدّت بين الشعراء والخلفاء، لا يقدر أحد أن يتجاوزها، ونرى هنا أنّ الشأوَ لا يمكن للفضل أن يبلغ أبعد منه بسبب الخليفة الذي أوقفه عند حدٍّ معين.

الفضلُ مُسلماً ينظر إليها، فقال: قد ـ وحياتي يا أبا الوليد ـ أعجبتك، فقُل فيها أبياتاً حتى أهبها لك، فقال:

إن كُنتِ تسقين غيرَ الرّاح فاسقيني ... كأساً ألذُّ بها من فيك تشفيني
عيناك راحي، وريحاني حديثُك لي ... ولونُ خدَّيك لونُ الورد يكفيني
إذا نهاني عن شُرْب الطِّلا حرجٌ ... فخمرُ عينيك يُغنيني ويجزيني
لولا علاماتُ شيبٍ لو أتتْ وعظت ... لقد صحوتُ ولكن سوف تأتيني
أرضى الشَّباب فإن أهلِك فعن قدر ... وإن بقيتُ فإن الشَّيبَ يُشقيني

فقال له: خُذْها بُورك لك فيها، وأمرَ بتوجيهها مع بعْض خدمها إليه. (١٩/٥٨)

(٢٢٨)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان بن موسى قال: حدثني محمد بن وُهيب الشاعر قال: لما تولّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحّاك الجبلَ قلتُ فيه شعراً وأنشدتُه أصحابنا دعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمام الطائيّ، فاستحسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمري من الأشعار التى تُلقى بها الملوكُ، فخرجتُ إلى الجبل فلما صِرْتُ إلى همذان(١) أخبره الحاجبُ بمكاني فأذن لي فأنشدتُه الشعرَ فاستحسن منه قولي:

أجارتنا إنَّ التعفُّفَ باليأسِ ... وصبْراً على استدْرار دُنيا بإبساس(٢)
حريّان ألاَّ يقذفا بمذلةٍ ... كريماً وألاَّ يُحوجاه إلى الناس
أجارتنا إنَّ القِداحَ كواذبٌ ... وأكثرُ أسباب النُّجاح مع الياس(٣)

---

(١) همذان: مدينة كبيرة بفارس، كثيرة الخيرات، يقول ياقوت: «ولاشك عند كلّ مَنْ شاهد همذان بأنّها من أحسن البلاد وأنزهها، وأطيبها، وأرفهها، ... إلاّ أنّ شتاءها مفرط البرد بحيث قد أفردت فيه كتب وذكر أمره بالشعر والخطب»، معجم البلدان (٥/٤١٢).

(٢) الاستدرار هنا: طلب الخير، والإبساس: التصويت للناقة بلطف لتسكن وتدرّ، وهنا استعمال اللُّطف والكياسة في طلب الخير.

(٣) القِداح: جمع قِدْح وهو السهم قبل أن يُنصل ويُراش، ينظر لسان العرب (٢/٥٥٦)، وأراد بها هنا تلك السهام التي كانت العرب في جاهليتها تستعملها لإنفاذ أمر ما أو منعه، وهي الأزلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مقروناً بالفسق والتحريم، وذلك أن يُكتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، أو أمرني ربّي، أو نهاني ربّي، ويُترك الثالث غُفلاً من الكتابة، فإذا أرادوا شيئاً من ذلك أتوا إلى بيت الأصنام واستقسموها، فإن خرج الآمر أقدموا على الأمر، وإن خرج الناهي أمسكوا عنه، وإن خرج الغُفل =

فأمر حاجبه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحُملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا علِج(١) فاعدُ يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحبُّ إليّ. فلما كاد الشتاء أن يشتدُّ قال لي: هذا أوان الوداع، فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته:

أجــارتنا إن القِـداح كــواذِبٌ   وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

قال: صدقت، ثم قال: عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطوهُ لكل بيت ألفَ درهم، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم. (١٩/٧٥)

(٢٢٩)

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال: حدثني أبو هفّان قال: حدّثني خالي قال: كنت عند أبي دُلف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمدُ بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جداً، فلما انصرف قال له أخوه معْقِل: يا أخي، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه، ما هو في بيت من الشرف، ولا في كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي. إنه لحقيق بذلك، أو لا يستحقه وهو القائل(٢):

يـدُلُّ على أنني عــاشــقٌ   من الدمع مُسْتَـشْهَدٌ ناطِق
ولي مــالكٌ أنا عــبــدٌ له   مــقرٌّ بأنـــه لـــه وامـــق
إذا مــا ســموت إلى وصله   تعـرَّضَ لي دونـــه عـــائـق
وحاربني فيـه ريبُ الزَّمــان   كــأنَّ الزَّمــان لـــه عــاشــقُ (١٩/٧٧)

(٢٣٠)

حدّثني عمّي قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: لما قدِمَ المُطّلب بنُ عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمدُ بنُ وُهيب مستقبلا مع مَن تلقّاه.

= أجالوها ثانياً حتى يخرج الآمرُ أو الناهي، ونرى الشاعر يجعل من هذا كلّه كذباً لا شيء من الحقيقة فيه. ينظر صفوة البيان لمعاني القرآن (ص ١٤٣)، ونشوة الطرب (٢/٧٩٧).

(١) العلج: الشديد.

(٢) تتجاور النَّظرتان التي أشرنا إليهما فيما سبق جنباً إلى جنب، فمعقل يرى أنَّ الشاعر أخذ فوق ما يستحقّ، لأسباب ذكرها، أمّا القاسم فيكرم الشاعر ويُجلُّه للأبيات التي أوردها. فنرى أنَّ الشعر كان سبب الاحترام، وهذا يدلّ على أنَّ النظرتين ما تزالان موجودتين بحسب ما يراه كلّ إنسان، وتنوقه للشعر.

ودخل إليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

وما زلتُ أسترعي لك الله غائبا ... وأظهرُ إشفاقاً عليك وأكتُمُ
وأعلم أنَّ الجودَ ماغبتَ غائبٌ ... وأنَّ الندى في حيث كُنتَ مُخيِّم(١)
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاءٌ بالسُّعود ومقْدَمُ
وظلَّ يُناجيني بمدْحك خاطرٌ ... وليلي ممدود الرِّواقين أدهمُ(٢)
وقال: طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ... ولا عيش حتى يستهلَّ المحرَّم
سيفخر ماضمُ الحطيمُ وزمزمُ ... بمُطَّلبٍ لو أنَّه يتكلَّم
وما خُلقتْ إلا من الجود كفُّه ... على أنها والبأس خِدْنان توأمُ
أعدْتَ إلى أكناف مكة بهجةً ... خزاعيَّةً كانت تُجلُّ وتُعظمُ
ليالي سُمَّارِ الحجون إلى الصَّفا ... خُزاعة إذ خلَّت لها البيتَ جُرْهُمُ(٣)
ولو نطقت بطحاؤها وحجونها ... وخيفُ منىً والمأزمان وزمزمُ(٤)
إذاً لدعت أجزاءُ جسمك كلها ... تنافسُ في أقسامه لو تُحكَّمُ
ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بدء خلقه ... إذاً كنت جسماً بينهن تُقسَّمُ
سما بك منها كل خيفٍ فأبطحٍ ... نما بك منه الجوهرُ المتقدِّمُ
وحنَّ إليك الركنُ حتى كأنَّه ... وقد جئتَه خِلٌّ عليك مُسلِّمُ

قال: فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طُرَف ما قدم به وحمله، والله أعلم. (١٩/٧٧)

(٢٣١)

حدّثني أحمدُ بنُ جعفر جحْظة قال: حدّثني ميمونُ بنُ هارون قال: كان محمد بن وُهيْب الحِميَريّ الشاعر قد مدح عليّ بن هشام وتردد إليه وإلى بابه دفعات، فحجبه ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلَّم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، وكان فيه تيهٌ شديد، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها،

---

(١) مخيِّم: مقيم.

(٢) ممدود الرواقين: ممتد قد جلَّل الكون بظلامه، وأدهم: شديد السواد.

(٣) يشير الشاعر في هذا البيت إلى ما حلَّ بجُرْهم بعد أن «بغوا بمكة، واستحلّوا خلالاً من الحرمة، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى لها، إذ أجمع «بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغُبشان من خزاعة» لحرب جُرهم، فاقتتلوا، ونَفَوا جرهماً من مكة. تنظر السيّرة النبوية لابن هشام (١١٣ ـ ١١٤).

(٤) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام ومكة.

فلما وصلت إليه خرقها وقال: أيّ شيء يريد هذا الثقيل السيِّئ الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضباً وقال: والله ما أردتُ ماله وإنما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغْني الله جل وعزَّ عنه، أما والله ليذُمَّن مغبةَ فعله. وقال يهجوه:

أَزْرت بجـود عليٍّ خيفــة العدم   فـصـدُّ مُنْهـزمـاً عن شأْوِ ذي الهِمِمِ
لو كـان مِنْ فـارسٍ في بيْت مكرُمة   أو كـان من ولد الأمـلاك في العجم
أو كـــان أوله أهلُ البطاح أو الرُّ   كبُ المُلَبُّونَ إهلالاً إلى الحـــرم
أيـــام تُتَّخـــذ الأصـنامُ آلهـــة   فـلا ترى عـاكـفـاً إلا على صنم
لشـجُعْتَه على فـعل الملوك لهـــم   طبـائعٌ لم ترُعْهـا خـيفـة العـدم
لم تند كـفَّاك من بذل النَّوال كـمـا   لـــم يند ســيـفك مُذْ قُلِّدته بدِمِ
كُنْتَ امــرأ رفــعــتْه فتْنةٌ فــعــلا   أيامــهـــا غـادراً بالعـهْد والذمم
حتى إذا انكشفت عنَّا عـمـايتـهـا   ورتَّبَ الناسُ بالأحـسـاب والقِـدم
مـات التخلقُ وارتدتْك مـرتـجـعـاً   طبـيـعـةُ نذلـةُ الأخـلاقِ والشـيم
كـذاك مَنْ كـان لا رأسـا ولا ذنبـاً   كـزَّ اليـدين حـديثَ العـهْد بالنِّعم
هيـهـاتَ ليس بحمَّـالِ الدِّيات ولا   مُعطي الجزيل ولا المرهوب ذي النِّقَم

قال: فحدّثني بعضُ بني هاشم أنَّ هذه الأبيات لمَّا بلغت عليَّ بن هشام ندم على ما كان منه، وجزع(١) لها وقال: لعن الله اللَّجاج فإنه شرُّ خُلُقٍ تخلّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أني لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلا وأنا مُسْتَحٍ منه، أذكر قول ابنِ وُهيب فيَّ:

لم تند كفَّاك من بذلِ النَّوال كما   لم ينْدَ سـيفك مـذ قُلِّدتـه بدمِ   (٨١/١٩)

(٢٣٢)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثني أهلُنا: أنَّ محمد بن وُهيب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ ـ عمَّ أبي ـ وقد وَلي الموصل وكان له صديقاً حفياً، وكان كثير الرِّفد له والثَّواب على مدائحه، فأنشده قوله فيه:

دمــــاء المُحـبِّين لا تُعـقــــل   أمـا في الهـوى حـاكمٌ يعـدِلُ(٢)

---

(١) ما تزال للشعر مكانته القديمة. وما هذا الجزع والنّدم سوى مظاهر لهذه المكانة.

(٢) لا تُعقلُ: أي لا تُدفع دياتُها، فهي مهدرة بلا ضابط.

تعـــبَّدني حَـوَرُ الغــانيــات   ودانَ الشُّبــابُ لـــه الأخطلُ(١)
ونظـــرة عـين تلافـيـــتُهــا   غِراراً كـمــا ينظُر الأحـولُ
مُقـسّمـة بين وجْه الحـبـيب   وطرْف الرُّقـيب مـتى يغفـلُ
أذمُّ على غـــربات النّوى   إليــك السُّـلُوُ ولا أذهَــلُ(٢)
وقـالوا عـزاؤك بـعـد الفـراق   إذا حُـمّ مكروهُــه أجـملُ
أقـيـدي دماً سـفكتْه العُيـونُ   بإيمـاض كـحـلاء لا تُكحَـلُ(٣)
فكُــلُّ سـهــامك لي مُقْصِدٌ   وكُلُّ مـواقــعـهــا مـقْتَلُ
سـلامٌ على المنزل المُستَحـيل   وإن ضـنَّ بالمنْطـق المـنزل
وعضْب الضُّريبة يلقى الخُطوب   بجـدٍّ عـن الدّهـر لا ينْكـلُ(٤)
تغلْغل شـرْقــاً إلى مـغـربٍ   فلمّـا تبـدُّت لـه الموصـلُ
ثوى حيث لا يُستـمال الأريب   ولا يُؤلَــف اللَّقَـنُ الحُــوَّلُ(٥)
لدى ملكٍ قــابلتْه السُّعــودُ   وجــانبــه الأنجـمُ الأفُـلُ(٦)
لأيّامــه سـطواتُ الزُّمــان   وإنعـــامُه حـينَ لا مــوْئِلُ
سـمــا مــالكٌ بك للبـاهرات   وأوْحـدك المـرْبأ الأطـولُ
وليـس بعـيـداً بأن تحْتَـذي   مــذاهبَ آسـادها الأشـبُلُ

قال: فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته وجراياته وجدّد له صلة، فأقام عنده بُرهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

ألا هل إلى ظِـلّ العقيق وأهلـه   إلى قصْر أوس فالحزير معادُ؟(٧)

(١) الأخطل: السريع الطائش. (٢) الغربات: جمع غربة، وهي البعد.
(٣) أقيدي: اجعلي شيئاً عوضاً عن آخر، وهنا اجعلي نظري إلى عينيك عوضاً عن دمي الذي سفكته عيناك.
(٤) عضب: يقال عَضُب السيف: صار قاطعاً، والضريبة: المضروب بالسيف، أراد أنّ سيفه قاطع، يقتل مَنْ يضربه به.
(٥) اللَّقن: سريع الفهم، والحُوّل: السريع التغيّر من الرجال، كأنّ الشاعر نظر إلى قول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه حين أشار إلى صدره وقال: إنّ ههنا علماً، لو أصبتُ له حَملةً، بَلَى أصيبُ لقِناً غير مأمون، أي فَهماً غير ثقة. ينظر لسان العرب (١٣/ ٣٩٠).
(٦) الأفُل: الغائبات.
(٧) قصر أوس: موضع بالبصرة، ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زُفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة، وكان سيّد قومه، وكان قد ولي خراسان في الدولة الأموية، ينظر معجم البلدان (٤/ ٣٥٦)، =

وهل لي بأكنافِ المُصلّى فسفحه إلى السُّورِ مغدىً ناعمٌ ومُرادُ؟(١)
فلم. تُنسني نهرَ الأبُلَّةِ نيَّةٌ ولا عرصاتِ المِرْبدَيْن بعادُ(٢)
هنالك لا تبْني الكواعبُ خيمةً ولا تتهادى كُلثمٌ وسعادُ
أجِدِّيَ لا ألقى النَّوى مطمئنةً ولا يزدهيني مَضْجعٌ ومِهادُ

فقال له: أبيتَ إلا الوطنَ والنِّزاعَ إليه. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقرَ له زوْرقا من طُرف المَوْصل وأذِن له. (٨٩/١٩)

(٢٣٣)

حدّثني بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال: كان محمدُ بنُ وُهيب تيّاها شديد الذَّهاب بنفسه، فلمَّا قدم الأفشين ـ وقد قتل بابك ـ مدحه بقصيدته التي أوّلها:

طلولٌ ومغانيها تُناجيها وتبْكيها

يقول فيها: بعثْتَ الخيلَ، والخيرُ عقيدٌ في نواصيها

وهي من جيِّد شعره، فأنشدناها ثمَّ قال: مالها عيب سوى أنها لا أختَ لها. قال: وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتُها على يد ابن أبي دُؤاد، فأعطى منها محمد بن وُهيْب ثلاثين ألفاً، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم. قال ابنُ أبي كامل: فقلْت لعليِّ بن يحيى المُنجِّم: ألا تعجب من هذا الحظّ؟ يُعطى أبو تمام عشرة آلاف وابنُ وُهيْب ثلاثين ألفاً، وبينهما كما بيْن السماء والأرض. فقال: لذلك علّة لا تعرفها؛ كان ابنُ وُهيب مؤدِّبَ الفتْحِ بن خاقان، فلذلك وصل إلى هذه الحال. (٩٣/١٩)

(٢٣٤)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني محمد بنُ موسى قال: حدّثني الحسنُ بنُ إسماعيل عن ابن الحفْصيِّ قال: قال يزيدُ بنُ مزْيد: وجّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ، فلمَّا مثُلت بين يديه قال: يا يزيدُ، منَ الذي يقول:

= والحزيز: ضُبط في الأغاني هكذا براء غير معجمة. وفي معجم البلدان (٢٥٧/٢): الحزيز: موضع بالبصرة.

(١) المُصلّى: موضع بعينه في عقيق المدينة، معجم البلدان (١٤٤/٥).

(٢) الأبُلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأنّ البصرة مُصِّرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قِبَل كِسرى. أما النهر الذي يذكره الشاعر فقد حفره زياد. ينظر معجم البلدان (٧٧/١).

ومــن يفتقرْ منَّا يعِشْ بحُســـامه ومن يفتقرِ مِن سائر النَّاس يسألِ

فقلت له: والذي شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذي يقول:

وإن يكُ جدُّ القوْمِ فِهْرَ بن مالك فجدِّي لُجيْمٌ قرْمُ بكْر بن وائلِ

قلت: لا والذي أكرمك وشرفك يا أمير المؤمنين ما أعْرفه، قال: والذي كرمني وشرفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتك بساطي وشرفتك بصنيعتي أني أحتملك على هذا؟ أو تظن أني لا أراعي أمورك وأتقصاها، وتحسب أنه يخفي عليّ شيءٌ منها؟ والله إن عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جِلفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طوره وألحق قريشاً بربيعة فأتني به. فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابي، فدعوته وأعلمتُه ما كان من الرشيد، فأمرتُ له بألفي درهم، وأسقطتُ اسمه من الديوان، وأمرتُه ألا يظهر مادام الرشيدُ حيّاً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحقتُ اسمه وزِدْتُ في عطائه.

(١٠٧/١٩)

(٢٣٥)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابنُ مهرويه قال: حدّثني أبو الحسن الكسْكريُّ قال: بلغني أن أبا دُلف لحق أكراداً قطعوا الطّريق في عمله، وقد أردفَ منهم فارسٌ رفيقاً له خلْفه، فطعنهما جميعاً فأنفذهما، فتحدّث الناسُ بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس، فلما قدم من وجهه دخل إليه بكْرُ بن النَّطّاح فأنشده:

قالوا: وينظم فارسيْن بطعْنة يوم اللِّقاء ولا يراهُ جليلا

لا تعْجبوا فلو أنَّ طُولَ قناته ميلٌ إذاً نظمَ الفوارسَ ميلا

قال: فأمر له أبو دُلف بعشرة آلاف درهم، فقال بكرٌ فيه:

أبا دُلَف بُورِكْتَ في كل بلْدةٍ كما بوركَتْ في شهْرها ليلةُ القدْرِ

له راحةٌ لو أن معْشار جُودها على البرِّ كان البرُّ أندى من البَحْرِ

ولو أن خلْقَ الله في جِسْم فارس وبارزه كان الخليُّ من العُمْرِ

(١٠٩/١٩)

(٢٣٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا يزيدُ بنُ محمد المُهلّبيّ قال: حدثني عبدُ الله بنُ العباس قال:

كُنتُ مقيماً بسُرَّ مَنْ رأى وقد ركبني دين ثقيل أكثرُه عينةٌ(١) وربأً فقلتُ في المُتوكِّل:

اسقياني سحراً بالكُبْرهْ   ما قضى اللهُ نفيه الخيرهْ(٢)
أكرمَ اللهُ الإمامَ المرتضى   وأطال اللهُ فينا عُمُرَهْ
إن أكُن أقعدْتُ عنه هكذا   قدَرَ اللهُ رضينا قدرَهْ
سرُّه اللهُ وأبقاه لنا   ألفَ عام وكفانا الفجرهْ

وبعثتُ بالأبياتِ إليه، وكنت مُستتِرا من الغُرماء، فقال لعُبَيْد الله بن يحيى: وقِّع إليه: مَنْ هؤلاء الفجرة الذين استكفيتَ الله شرهم؟ فقلتُ: المُعيِّنون الذين قد ركبني لهم أكثر مما أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا، فأمر عُبَيْد الله أن يقضي دَيْني، وأن يحتسب لهم روسَ أموالهم، ويُسقط الفضلَ، وينادي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يقضي أحدٌ أحداً إلاَّ رأس ماله. وسقط عنِّي وعن النَّاس من الأرباح زُهاء مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببها. (١٩/٢٥٦)

(٢٣٧)

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدثني عليّ بن الحسن الواسطيُّ، قال: حدثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر قال: لما مات عمروٌ أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قِسط سلْم مصحفٌ، فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه، فلُقِّب الخاسر بذلك. أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني، قال: ورث سلمُ الخاسرِ أباه مائة ألف درهم، فأنفقها على الأدب، وبقي لا شيء عنده، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على ما لا ينفعه. ثم مدح المهديّ، أو الرشيد ـ وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقِّب به ـ فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذِّب بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب، فأنا سلْم الرَّابح، لا سلْم الخاسر. (١٩/٢٦٢)

(٢٣٨)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدثني الحسن بن عُليل العنزيّ، قالك حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال: لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجْلة قال فيه سلْم الخاسر:

---

(١) العينة: أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل، ثمّ يشتريه في المجلس بثمن حال ليسلم به من الرِّبا.

(٢) الكُبْرة: مبالغة في التكبير.

يا صالحَ الجودِ الذي مجدُه ... أفسدَ مجد الناسِ بالجودِ
بنيتَ قصراً مشْرفاً عاليا ... بطائرَيْ سعدٍ ومسعودِ
كأنّما يرفعُ بنيانه ... جنٌّ سليمانَ بنِ داودِ
لازلتَ مسروراً به سالماً ... على اختلاف البيضِ والسودِ

يعني الأيام والليالي، فأمر له صالح بألف درهم. (١٩/٢٦٥)

(٢٣٩)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدثني بعض آل ولد حمدون بن إسماعيل - وكان ينادم المتوكل - عن أبيه، قال: كان سلم الخاسر مِن غلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عُمر بن العلاء - وهي التي يقول فيها:

إذا نبَّهتْك صعابُ الأمورِ ... فنبِّه لها عُمراً ثم نمْ
فتىً لا يبيت على دِمْنةٍ ... ولا يشرب الماء إلاّ بدَمْ

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوافاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم، فقال له سلم: إنّ خادمَك - يعني نفسه - قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك لهُناك؟(١) قال: تسمع، ثم تحكُم، ثم قال: هات، فأنشده:

قد عزّني الداءُ فمالي دواء ... ممّا ألاقي من حسانِ النساء
قلْبٌ صحيحٌ كنت أسطوبه ... أصبح من سلْمى بداء عياء
أنفاسها مِسك وفي طرْفها ... سِحر ومالي غيرها من دواء
وعدْتني وعْداً فأوفي بــه ... هل تصلُح الخمرة إلا بماء؟

ويقول فيها: كم كُرْبةٍ قد مسّني ضُرُّها ... ناديتُ فيها عُمر بن العلاء

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أولَ عطية سنية وصلت إليه. (١٩/٢٦٦)

(٢٤٠)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهْرويه، قال: وجدْت في كتاب بخط الفضل بن مروان: وكان عاصم بن عتبة الغساني جدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر، كثيرَ البرِّ به، والملاطفة له، وفيه يقول سلْم:

---

(١) فإنك لَهُناك: أي أفأنت تطيق ذلك؟

الجُود في قحطانٍ ما بقيتْ غسانُ
اسلمْ ولا أبالي ما فعل الإخوانُ
ما ضرَّ مُرْتجيه ما فعل الزمانُ
من غاله مُخوفٌ فعاصمٌ أمانُ

وكانت سبعين بيتاً، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمْسمائهِ ألفِ درهم، فلما حضرتْه الوفاة دعا عاصماً فقال له: إنِّي ميِّت، ولا ورثة لي، وإنَّ مالي مأخوذ، فأنت أحقّ به، فدفع إليه خمسمائةِ ألفِ درهم، ولم يكن لسلم وارث. قال: وكان عاصم هذا جواداً. (١٩/٢٦٧)

(٢٤١)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المِسمعيّ، وهو محمد بن سليمان، قال: حدثني العبّاس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع، قال: كنا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي قثمُ يا عباس، اطلب لي الجمّاز الساعة حيث كان فجئني به، ولك سبق(١)، فطلبته؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه، وأنشد قول سلم الخاسر فيه:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يُزهِّدُ الناسَ ولا يزْهَدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجدُ

وذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: من هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجمازُ، وهو ابن أخت سلم الخاسر، انتصر خاله منك حيث قلت له:

تعالى اللهُ ياسلم بنَ عمرو أذلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ

قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يابن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالُك؛ ولا أردتُ أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبْتَ من الحرص على الرزق، واللهُ يغفر لكما! ثم قام فانصرف. (١٩/٢٧٠)

---

(١) السَّبَق: ما يتراهن عليه المتسابقون.

(٢٤٢)

أخبرني عمّي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هفّان، قال: وصل إلى سلم الخاسر منْ آل برْمكَ خاصة سِوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار، ووصل إليه من الرشيد مِثْلُها.

(٢٧٠/١٩)

(٢٤٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدّثنا ابن مهْرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كنت أنا والربيع نسير قريباً من محمل المنصور حين قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدّعتْ، وكأنّ رجلا جاء بحبل أسود فشدّدها، فقال له الربيعُ: مَن الرجل؟ فلم يُجِبه، حتى إذا اعتلّ قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة! فأيُّ شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع:

يابن الذي جبر الإسلام يوم وهى ... واستنقذَ الناسَ من عمياء صيْخودِ(١)

قالت قريشٌ غداة انهاضَ مُلْكُهُمُ: ... أين الربيعُ وأعطوْا بالمقاليدِ

فقام بالأمر منناسٌ بوحْدته ... ماضي العزيمةِ ضرّابُ القماحيد(٢)

إن الأمور إذا ضاقتْ مسالكُها ... حلّت يدُ الفضلِ منها كلَّ معقودِ

إنّ الربيعَ وإن الفضلَ قد بَنَيا ... رواقَ مجدٍ على العبّاس ممدودِ

قال: فوهب له الفضلُ خمسة آلاف دينار. (٢٧٨/١٩)

(٢٤٤)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرويه، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ عن يحيى بن الحسنِ بنِ عبد الخالق، عن أبيه، قال: قال: سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها:

له شيمةٌ عند بذْلِ العطا ... ءِ لا يعْرِفُ الناسُ مقدارها

ومهْديُّ أُمّتنا والذي ... حماها وأدرك أوتارها

---

(١) الصيخود: في الأصل الصخرة الشديدة، ويوم سيخود: شديد الحرّ، وصف بها الفتنة الشديدة العمياء التي كان يمكن أن يتعرّض لها الناس لولا صنيع الفضل.

(٢) القماحيد: جمع القمحدوة، وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال.

فأمر له المهديّ بخمسمائة ألفِ درهم. (٢٧٩/١٩)

(٢٤٥)

أخبرني عمّي، قال حدثنا أبو هفان، قال: حدثني سعيد أبو هريم وأبو دعامة، قالا: لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين:

قد بايع الثَّقلانِ في مهْد الهُدى ... لمحمد بن زُبَيْدة ابنةِ جعفرِ
ولِّيته عهد الأنام وأمرَهمْ ... فدَمغْتَ بالمعروفِ رأسَ المنكرِ

أعطته زُبَيْدة مائة ألفِ درهم. (٢٧٩/١٩)

(٢٤٦)

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحم قال: شهدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروانَ بن أبي حفصة بأربعين ألفَ درهم، وفرض له على أهل بيتهِ وجلسائه ثلاثين ألفَ درهم. وأمر الرشيدُ بعد ذلك لمَّا ولي الخلافة لسلم الخاسر - وقد مدحه - بسبعين ألفَ درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ أكثر ما أعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم، فزِدْني وفضِّلْني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم، فقال سلم:

ألا قُلْ لمروانٍ أتتْكَ رسالةٌ ... لها نبأٌ لا ينْثني عن لقائكا
حباني أميرُ المؤمنين بنفْحةٍ ... مُشهَّرةٍ قد طأطأتْ من حبائكا
ثمانين ألفاً حُزْتُ من صُلْب ماله ... ولم يك قسْماً من أولي وأولائكا

فأجابه مروان فقال:

أسَلْمَ بنَ عمرو قد تعاطيْتَ غايةً ... تُقصِّرُ عنها بعدَ طُول عنائكا
فأقسِمِ لولا ابنُ الربيع ورِفْدُه ... لما ابْتلّت الدَّلْو التي في رشائكا(١)
وما نِلْتَ مُذْ صُوِّرتَ إلا عطيَّةً ... تقوم بها مصرورةً في ردائكا (٢٧٩/١٩)

(٢٤٧)

حدثني وسْواسة بن الموصليّ، وهو محمدُ بنُ أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني حماد عن أبيه، قال: استوهبَ أبي من الرشيد تركةَ سلم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قبلَ أن يتسلَّمها صاحبُ المواريث، فحصَّل منها خمسين ألف دينار. (٢٨٠/١٩)

---

(١) الرِّشاء: الحبل.

(٢٤٨)

أخبرني عمي، قال: حدثني أبو هفان، عن سعيد بن هُرَيم وأبي دعامة أنه رُفِع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفيَ، وخلَّف ممَّا أخذه منه خاصة ومن زُبيدة ألفَ ألْفٍ وخمسمائة ألفِ درهم سوى ما خلَّفه من عقار وغيره مما اعتقده(١) قديماً، فقبضه الرشيد. وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقال: هذا خادمي ونديمي، والذي خلَّفه من مالي، فأنا أحقُّ به، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه. (٢٨٠/١٩)

(٢٤٩)

أخبرني وكيع، قال حدثني يزيدُ بنُ محمدٍ المهلَّبيّ، قال: حدثني عبد الصمد بنُ المُعذَّل، قال: لما أنشد سلْم الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه: حضر الرُّحيلُ وشُدَّت الأحْداجُ(٢)
أمر له بمائةِ ألفِ درهم. (٢٨٢/١٩)

(٢٥٠)

حدثني جحْظةُ قال حدثني ميمونُ بنُ هارون قال: دخل سلْم الخاسر على الفضل بنِ يحيى في يوم نيروز(٣) والهدايا بين يديه، فأنشده:

أمِنْ ربْعٍ تسـائلُه ... وقـد أقْوتْ منـازلُهُ
بقلبي مِنْ هوى الأطلا ... لِ حُـبٌّ مـا يُزايلُهُ
رُوَيْدَكُمُ عن المشغو ... فِ إنَّ الحبَّ قـاتلُهُ
بلابلُ صدره تسْري ... وقد نامت عـواذلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيلِ ... مَـن تُرْجى فواضلُهُ
رأيتَ مكارمَ الأخْلا ... قِ ماضمَّت حمائلُهُ
فلست أرى فتىً في النا ... سِ إلا الفضلُ فاضِلُهُ(٤)

---

(١) اعتقده: جمعه.

(٢) الأحداج: جمع حِدْج وهو الحمل، أو مركب من مراكب النساء كالهودج والمحفَّة.

(٣) النَّيروز: والنُّوروز: كلمة فارسية معناها اليوم الجديد، وموعده الأيام الستة الأوائل من أول شهر في سنتهم الشمسية. وهو يوافق (٢٤) من آذار، وهو من أعظم أعياد الفرس، وقد شاع الاحتفال به وخاصة في الدولة العباسية، ينظر عنه بتفصيل: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، د. أحمد الحوفي (ص ١١١) وما بعدها.

(٤) فاضله: سبقه وصار أفضل منه.

يقـول لسـانُه خـيـرا فـتـفعلُـه أناملُــهُ
ومـهـمـا يُرْجَ مِنْ خـيـرٍ فـإن الفـضـل فـاعلُـهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنهُ إسحاق حاضرين، فقال لإبرهيم، كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسنَ مرئيٍّ ومسموع، وفضلُ الأميرِ أكثرُ منه. فقال: فخذوا جميع ما أهْدي إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليومَ إلى دنانير، ثم قال: لا، والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يُقوَّم وندفع إليهم ثمنه، ثم نُهديه، فقُوِّم بألفي دينار، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم. (٢٨٢/١٩)

(٢٥١)

أخبرني عمي، قال: حدثني عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حدثني أبو توبة وأخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ مهْرويه عن أبي توبة، قال: حدث في أيام الرشيد أمرٌ فاحتاجَ فيه إلى الرأي، فأشْكل، وكان الفضلُ بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته، وأنْفذَ الأمر على مشورتِه، فحمد ما جرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده:

بديهتُـه وفكْـرتُـه سـواءٌ إذا ما نابَهُ الخطْبُ الكبيرُ
وأحزَمُ ما يكون الدهْر رأيا إذا عيَّ المُشاوِرُ والمُشيرُ(١)

فأمر له بعشرةِ الآف درهم. (٢٨٣/١٩)

(٢٥٢)

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مهْرويه، قال: حدثني أحمد بنُ أبي كامل، قال: حدثني أبو دعامة، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، فأنشده: حيِّ الأحبَّةَ بالسلام

فقال الرشيد: حياهُمُ اللهُ بالسلامِ

فقال: على وداع أم مُقام

فقال الرشيد: حيَّاهم الله على أيِّ ذلك كان، فأنشده:

لـمْ يبْـقَ مـنكَ ومِنْهـم غيرُ الجلودِ على العظام

(١) عيَّ: عجز

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطيّر منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء. (١٩/٢٨٤)

(٢٥٣)

أخبرني وكيعٌ قال: أخبرني إبراهيم بنُ إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال: أخبرني العامريّ قال: هجا ابن الخياط موسى بن طلحة بن بلال التيميّ، فقال:

عجب الناس للعجيب المُحالِ ... حاض موسى بن طلحة بنِ بلالِ

زعموه يحيض في كلّ شهر ... ويرى صفرة لكل هلال

قال: فلقيه موسى، فقال: يا هذا، وأيُّ شيء عليك؟ نعم حضتُ، وحملتُ، وولدتُ وأرضعتُ، فقال له ابن الخياط: أنشدك الله ألا يسمعَ هذا منك أحد فيجترئ على شعري الناس، فلا يكون شيئاً، ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا، فتكافأ. (٢٠/٢)

(٢٥٤)

أخبرني محمدُ بن خلفٍ وكيعٌ قال: حدثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرقيّ قال: حدثنا ابنُ أبي قباحة الزهريّ قال: لما عُزِّل ابنُ عمران - وهو عبد الله بنُ محمدِ بنِ عمرانَ التيميُّ - عن القضاء، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بنِ عكرمة المخزوميُّ، جزع ابنُ عمران من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونسَ بنِ عبد الله الخياطِ: اهج هشاماً بما يغضُّ منه، فقال:

كم تغنّي لي هشام ... ذلك الجلف الطويلُ

بعد وهْن وهو في المجلـ ... ـس سكرانُ يميلُ

هل إلى نار بسلْعٍ ... آخرَ الدهْر سبيلُ(١)

قلت للنُدمان لما ... دارت الراحُ الشمولُ

بأبي مالَ هشامٌ ... فكما مال فميلُوا

قال: وشهرها في الناس، وبلغ ذلك هشاماً فقال: لعنه الله! إنْ كان لكاذباً. فقال ابن قباحة: فقلتُ لابن الخياط: كذبت كذبت، أما والله إنه لأمرُ من ذلك. (٢٠/٩)

(٢٥٥)

أخبرني الحسنُ بنُ علي الخفّاف قال: حدثني محمدُ بنُ موسى بنُ حماد قال: حدثني أحمدُ

---

(١) سلْع: اسم جبل بالمدينة، وآخر بهذيل.

ابن أبي فنن قال: قال عبد الله بن مالك:

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أقسم على مَن حضر ممن يحفظ قصيدة عليّ بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين، ولابد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

ذاد وِرْدَ الغيّ عن صَدَرِهْ ... وارعوى واللهو مِن وطرِهْ(١)
وأبت إلا البكاءَ له ... ضحكات الشيب في شعره
ندمي أن الشباب مضى ... لم أبلّغه مدى أشره
وانقضت أيامه سَلَما ... لم أجِد حوْلا على غيره
حسرت عني بشاشتُه ... ونوى المحمود من ثمره
ودَمٍ أهدرتُ من رشأ ... لم يُرِد عقلا على هدره
فأتت دون الصبا هنةٌ ... فليت فُوقي على وتره(٢)
جارتا ليس الشباب لمن ... راح محنياً على كبره
ذهبت أشياء كنت لها ... صارها حلمي إلى صوره(٣)
دع جدا قحطان أو مُضر ... في يمانيه وفي مضره
وامتدح من وائل رجلا ... عصر الآفاقَ في عصره(٤)
المنايا في مناقبه ... والعطايا في ذرا حُجَره
ملك تندى أنامله ... كانبلاج النَّوء من مطره
مستهلٌ عن مواهبه ... كابتسام الروض عن زهره
جبلٌ عزّت مناكبه ... أمنتْ عدنان في ثغره
إنما الدنيا أبو دُلف ... بين مبداه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ... ولّت الدنيا على أثره
لست أدري ما أقول له ... غير أن الأرض في خفره
يا دواء الأرض إن فسدت ... ومُديل اليُسر من عُسره

---

(١) ذاد: دفع وطرد. والورد: المجيء إلى الماء للسقيا. والصَدَر: الذهاب عن الماء بعد الاستقاء.

(٢) الفوق: موضع الوتر من السَّهم.

(٣) صار الشيء صوراً: أماله. (٤) العصر: المنجاة.

(٢٥٦)

أخبرني علي بنُ سليمان الأخفش قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد الأزديّ قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال: بينا أبو دُلف يسير مع أخيه معقل ـ وهما إذ ذاك بالعراق ـ إذ مرّا بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دُلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دُلفٍ بين باديه ومحتضره

فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره

قال: فاستعبر أبو دُلف حتى جرى دمعُه، قال له معقل: مالك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقض حقَّ عليٍّ بن جبلة، قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه. (٢٠/٢٢)

(٢٥٧)

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم قال: حدثني نادر مولانا: أن عليَّ بن جبلة خرج إلى عبدِ الله بنِ طاهر والي خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: ألست القائل:

إنّما الدنيا أبو دُلف بين باديه ومحتضره

فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره

قال: بلى، قال: فما الذي جاء بك إلينا، وعدل بك عن الدُّنيا التي زعمت؟ أرجع من حيث جئت، فارتحل، ومرَّ بأبي دُلف وأعلمه الخبر، فأعطاه حتى أرضاه. (٢٠/٢٥)

(٢٥٨)

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة قال: قال رجل لعليّ بن جبلة: ما بلغتَ في مديح أحد ما بلغته في مديحك حُميداً الطوسيّ، فقال: وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليَّ منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروزٍ فسُرَّ بها، وأمر أن يحمل إليّ كلُّ ما أهدى له، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم، وأهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك. قال أبو وائلة، وقد كان حُميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم يرَ مثله، فقال عليّ بن جبلة يصف ذلك:

غدا بأمير المؤمنين ويُمْنِه أبو غانم غدْو الندى والسحائب
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب أحاط به مستعلياً للمواكب
كأنَّ سُموّ النَّقع والبيضُ فوقهم سماوة ليل قُرِّنت بالكواكب(١)
فكان لأهل العيد عيد بنُسكهم وكان حُميد عيدهم بالمواهب
ولولا حُميد لم تبلَّج عن الندى يمينٌ ولم يُدرك غنىً كسبُ كاسب
ولو ملك الدنيا لما كان سائل ولا اعتام فيها صاحبٌ فضلَ صاحب
له ضحكة تستغرق المال بالندى على عبسةٍ تُشجي القنا بالترائب
ذهبتَ بأيام العلا فارداً بها وصرَّمتَ عن مسعاك شأو المطالب
وعدَّلت ميلَ الأرض حتى تعدلت فلم ينأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزم أبعد قُطرها كأنك منها شاهد كلَّ غائب

قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها:

حُميدُ يا قاسمَ الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النُّكث والدِّينِ
أنت الزمان الذي يجري تصرُّفه على الأنام بتشديد وتليين
لو لم تكن كانت الأيَّام قد فنيت والمكرماتُ وماتَ المجد مُنحين
صوَّرك الله من مجد ومن كرم وصوَّر النَّاس من ماء ومن طين (٢٠/٢٩)

(٢٥٩)

قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب: دخل علي بن جبلة يوماً إلى أبي دلف فقال له: هات يا عليّ ما معك. فقال: إنه قليل. فقال: هاته، فكم من قليل أجودُ من كثير فأنشده:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها على يديك فشكراً يا أبا دُلفِ
أعطى أبو دلفٍ والريح عاصفة حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه، فقال له: هات ما معك فأنشده:

من ملك الموت إلى قاسم رسالةٌ في بطن قرطاس
يا فارس الفُرسان يوم الوغى مُرْني بمن شئتَ من الناس

---

(١) النَّقع: التراب المتطاير، والبيض: السيوف. قُرِّنت: أضاءت مثل القُرن.

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطيَّر من ابتدائه في هذا الشعر(١)، فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير، فقال: بلغ بها هذا المقدار ارتياعنا من تحمّلك رسالة ملك الموت إلينا. (٢٠/٣١)

(٢٦٠)

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسنُ بنُ عُليل العنزيّ قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الله قال: حدثني عليُّ بن جبلة العكوك المروزيّ قال: جاءني أبو يعقوب الخُزيميّ فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهيثم بن عديّ. فقلت: ومالك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليّ منه إساءة، ولا له إليّ جرم يُحفظني؟ فقال: تُقرضني، فإني مليّ بالقضاء. قلت: نعم، فأمهلني اليوم فمضى، وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بنِ عديٍّ نسبةٌ جمعت ... أباً فأراحتنا من العدد
أعدُدْ عدياً فلو مدُّ البقاء له ... ما عُمِّر الناسُ لم ينقص ولم يزد
نفسي فداء بني عبد المدان وقد ... تلُّوه للوجه واستعلوهُ بالعمد(٢)
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم ... وعرّفوه بدُلٍّ أين أصل عدى؟
يابن الخبيثة من أهجو فأفضحه ... إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحد؟

قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن زياد بن عُبيد الله بن عبد المدان الحارثيُّ، أخو يحيى بن زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد، فسألوه أن يفرّق بينهما، فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبتَ عديا في بني ثُعَلٍ ... فقدّم الدال قبل العين في النسب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له: ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيد داودَ بنَ يزيدَ أن يفرّق بينهما، فأخذوه فأدخلوه

---

(١) أولى النقد العربي اهتماماً بمطالع القصائد، وخاصة تلك التي تُلقى بين أيدي الممدوحين، ورسم للشعراء طريقاً في الافتتاح يجنّبهم الخطأ، والوقوع في مزالق هم في غنى عنها، مثلما حدث للشاعر في هذا النص. وقد عقد ابن رشيق لهذا الأمر فصلاً في العمدة (١/٢١٧)، بيّن فيه أخطاء الشعراء، والمواضع التي أخذت عليهم.

(٢) تلّه للوجه: جنبه وكبّه على وجهه.

داراً وضربوه بالعصيّ حتى طلقها. (٢٠/٣١)

(٢٦١)

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال: شخص عليُّ بنُ جبلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان - وقد مدحه فأجزل صلته - واستأذنه في الرجوع، فسأله أن يقيم عنده، وكان برُّه يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه فأنشده:

راعه الشيبُ إذ نزلْ وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدة الصبا فانقضى اللهو والغزل
قد لعمري دَمَلْتُه بخضابٍ فما اندمل
فابك للشيب إذ بدا لا على الرَّبع والطلل
وصلَ الله للأمير عُرا الملك فاتصل
ملك عزمُه الزما ن وأفعاله الدولْ
كِسروي بمجده يضرب الضاربُ المثل
وإلى ظِلِّ عزّه يلجأ الخائف الوجل
كلُّ خلق سوى الإما م لإنعامه خول(١)
ليته حين جاد لي بالغنى جاد بالقفل(٢)

قال: فضحك وقال: أبيت إلا أن توحشنا، وأجزل صلته، وأذن له. (٢٠/٣٢)

(٢٦٢)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة السدوسيُّ قال: دخل عليّ بنُ جبلة العكوك على حُميد الطوسيِّ في أول يوم من شهر رمضان فأنشده:

جعل الله مدخل الصوم فوزا لحُميد ومتعة في البقاء
فهو شهرُ الربيع للقُرّاء وفراقُ الندمان والصهباء
وأنا الضامنُ المليّ لمن عا قرها مفطراً بطول الظمأء
وكأني أرى النُّدامى على الخسف يُرجّون صبحهم بالمساء
قد طوى بعضُهم زيادة بعض واستعاضوا مصاحفاً بالغناء

---

(١) الخول: العبيد والأتباع. (٢) القفل: الرجوع.

يقول فيها:

بِحُميد وأين مثلُ حميد ... فخرتْ طيِّءٌ على الأحياء

جوده أظهر السماحة في الأر ... ض وأغنى المقوي عن الإقواء(١)

ملك يأمُل العباد نداه ... مثلَ ما يأملون قطرَ السماء

صاغه الله مطعمَ الناس في الأر ... ض وصاغ السحاب للإسقاء

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثاني شوّال، فأنشده:

علّلاني بصفو ما في الدِّنان ... واتركا ما يقوله العاذلان

واسبقا فاجع المنيّة بالعيش ... فكلٌّ على الجديدين فاني

عللاني بشَربة تُذهب الهمّ ... وتنفي طوارق الأحزان

وانقُثا في مسامعٍ سدُّها الصو ... م رُقى الموصليّ أو دحمان(٢)

قد أتانا شوال فاقتبل العيش ... وأعدى قسرا على رمضان(٣)

نِعم عون الفتى على نوبِ الدهر ... سماع القيان والعيدان

وكئوسٌ تجري بماء كُروم ... ومطيُّ الكئوس أيدي القيان

من عُقار تُميت كلُّ احتشام ... وتَسُرُّ النَّدمان بالنُّدمان

وكأنّ المزاج يقدح منها ... شرراً في سبائك العقيان

فاشرب الراح واعصِ مَنْ لام فيها ... إنها نعم عُدة الفتيان

واصحب الدهر بارتحال وحلّ ... لا تخف ما يجرُّه الحادثان

حسْب مستظهرٍ على الدهر ركنا ... بحُميد رداء من الحدثان

ملك يقتني المكارم كنزا ... وتراه من أكرم الفتيان

خُلقت راحتاه للجود والبأ ... س وأمواله لشكر اللسان

ملّكته على العباد معدّ ... وأقرّت له بنو قحطان

---

(١) المقوي: الفقير.

(٢) الموصلي: هو إبراهيم أو ابنه اسحاق. ودحمان: هو عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ودحمان لقب لُقّب به، وكان مشهوراً بالغناء. أفرد أبو الفرج ترجمة له في الجزء السادس (ص ٢١) وما بعدها.

(٣) أعدى: نصر وأعان.

أريحيٌّ الندى جميل المحيّا ... يده والسماح معتقدان(١)
وجْهه مشرق إلى معتفيه ... ويداه بالغيث تنفجران
جعل الدهر بين يوميه قسمين ... بعُرف جزل وحرٌ طعان
فإذا سار بالخميس لحرب ... كلّ عن نصّ جريه الخافقان(٢)
وإذا ما هززته لنوال ... ضاقَ عن رحب صدْره الأفقان
غيث جدب إذا أقام ربيع ... يتفشى بالسَّيب كلُّ مكان
يا أبا غانم بقيتَ على الدهر ... وخلّدتَ ما جرى العصران
ما نُبالي إذا غدَتِ المنايا ... من أصابت بكلكل وجران(٣)
قد جعلنا إليك بعث المطايا ... هربا من زماننا الخوّان
وحملنا الحاجات فوق عتاق ... ضامنات حوائج الرُّكبان
ليس جودٌ وراء جودك يُنتا ... ب ولا يعتفي لغيرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخفّفت وخففنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك. (٢٠/٣٣)

(٢٦٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مهْرويه قال: حدثني أحمد بنُ مروان قال: حدثني أبو سعيد المخزوميُّ قال: دخلت على حُميد الطوسيِّ، فأنشدته قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمرّ ببيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن ويحه! أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حُميد ببدرة، فلما خرجتُ قام إليَّ البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرّفوني أولا من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: عليّ بنُ جبلة العكَوّكُ فارفضضْتُ عرقاً. ولو علمت أنه عليّ بن جبلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه. (٢٠/٣٩)

(٢٦٤)

أخبرني عمّي قال: حدثنا أحمد بن طاهر قال: حدثني ابن أبي حرب الزعفراني، قال: لما بلغ المأمونَ قول عليّ بن جبلة لأبي دلف:

كلُّ مَن في الأرض من عرب ... بين باديه إلى حضره

---

(١) معتقدان: معقودان. (٢) الخميس: الجيش.

(٣) الكلكل: الصدر، أو هو ما بين الترقوتين. والجران: باطن العُنق من البعير وغيره.

مســـــتعـيـر منك مكرمـــةً   يكتسـيـهـا يوم مـفـتـخـره

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلب فلم يُقْدَر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يابن اللُخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كلُّ من في الأرض من عرب   بين باديـــه إلـــى حضـــره

مســـــتعـيـر منك مكرمـــةً   يكتسـيـهـا يوم مـفـتـخـره

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جل وعزَّ فضَّلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ، سلُّوا لسانه من قفاه. (٤١/٢٠)

(٢٦٥)

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثنا محمد بن موسى قال: وحدثني أحمد بنُ أبي فنن: أن المأمون لما أدخل عليه عليُّ بنُ جبلة قال له: إني لست أستحلُّ دمك لتفضيلك أبا دلفَ على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ـ وهم آل رسول الله (ص) وعترتُه ـ ولكني أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركتَ فيه:

أنت الذي تنزل الأيامَ منزلها   وتنقل الدهرَ من حال إلى حال

وما مددْتَ مدى طرف إلى أحد   إلا قضـيـتَ بأرزاق وآجـــال

كذبتَ ياماصُ بظْر أمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله ـ عزوجل ـ والملك الواحد القهار، سلّوا لسانه من قفاه. (٤١/٢٠)

(٢٦٦)

أخبرني عمي قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ عبد الله بن طهمان قال: حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدثين على الرشيد ـ قال: قال لي الرشيد يوماً: أنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدة التي يقول فيها:

كأن الشمس يوم أصيب معنٌ   مـــن الإظـلام ملّبســـة جلالا

هو الجـبل الذي كـانت مـعـدّ   تهُـدّ مـن العـــوّ بـه الجـبـالا

أقـمنا باليـمـامـة بعـد مـعـنٍ   مُقـامـــاً لا نزيـــد بــه زيـــالا

وقلنا أين تذهب بعد معنٍ   وقد ذهب النوال فلا نوالا

قال: فأنشدته إياها، ثم قال لي: أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيد بن مزْيد، فهي والله أحب إليّ من هذا، فأنشدته:

أحقٌّ أنه أودى يزيدُ   تبيَّن أيها الناعي المُشيد
أتدري من نعيتَ وكيف فاهت   به شفتاك، كان بك الصعيد(١)
أحامي المجد والإسلام أودى   فما للأرض ويحكَ لا تميد!
تأمل هل ترى الإسلام مالت   دعائمه وهل شاب الوليد!
وهل شيمت سيوف بني نزار   وهل وُضعتْ عن الخيل اللُّبود!(٢)
وهل تسقى البلاد عشارَ مُزْنٍ   بدِرَّتها وهل يخضَرّ عود!(٣)
أما هُدَّت لمصرعه نزارٌ   بلى وتقوَّض المجد المشيد
وحلَّ ضريحه إذ حلَّ فيه   طريفُ المجد والحسبُ التليد
أما والله ما تنفك عيني   عليك بدمعها أبداً تجود
فإن تجمُد دموع لئيم قوم   فليس لدمع ذي حسب جُمود
أبعْد يزيد تختزن البواكي   دموعاً أو تصانُ لها خدود؟
لتبكِك قبةُ الإسلام لما   وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعرٌ لم يُبق دهرٌ   له نشبا وقد كسد القصيد
فمنْ يدعو الإمامُ لكل خطب   ينوب وكلُّ معضلةٍ تئود؟
ومن يحمي الخميسَ إذا تعايا   بحيلة نفسه البطلُ النجيد؟
فإن يهلك يزيد فكلُّ حيٍّ   فريسٌ للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا   فَتَكْنَ به وهُنَّ له جنود؟
قصدن له وهنَّ يحدن عنه   إذا ما الحرب شبَّ لها وقود
لقد عزَّى ربيعة أن يوماً   عليها مثلَ يومك لا يعود

قال: فبكى هارون الرشيد بكاءً اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرُّجة(٤) لملأها من دموعه.

(٢٠/١٧)

---

(١) الصَّعيد: وجه الأرض، والتراب. (٢) شيمت: سُلَّت وأغمدت، وهو من الأضداد، ينظر لسان العرب (١٢/ ٣٣٠)، وهو هنا بمعنى أغمدتْ، واللُّبود: جمع لِبْد وهو ما يوضع تحت السَّرج.

(٣) العشار: جمع عشراء، من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(٤) سكرُّجة: الصحفة يوضع فيها الأكل.

(٢٦٧)

قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسنُ بن ُعليل العنزيّ قال: حدثني محمد بن إدريس قال: لما قُتل محمدُ الأمين خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه، فأوصله إلى المأمون فلمّا سلّم عليه قال له المأمون: إيه ، ياتيميّ:

مثل ما قد حسد القا   نـمَ بالملك أخـوه

فقال التيميّ: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين:

نُصر المأمون عبدُ اللـ   ـه لمـا ظلمـوه
نقضـوا العهد الذي كا   نوا قديمـاً أكّـدوه
لم يعـامله أخـوه   بالذي أوصـى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها:

جزِعتَ ابنَ تيم أن أتاك مشيبُ   وبان الشـباب والشـباب حبيبُ

قال: فلما أنشده إياها وفرغ منها قال: قد وهبتك لله - عزوجل - ولأخي العباسيّ - يعني الفضل بن سهل - وأمرت لك بعشرة آلاف درهم. (٢٠/٤٩)

(٢٦٨)

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني عونُ بن محمد الكنديّ قال: حدثني عبّاد بنُ محمد الكاتب عن أبي محمد التيْميّ الشاعر قال: أنشدتُ الأمين محمدا أول ما ولى الخلافة قولي:

لابدَّ من سكرة على طرب   لعـل رَوحا يُديل من كُرب

قال، فأمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة ألف درهم. (٢٠/٥٠)

(٢٦٩)

أخبرني وكيع قال: حدثني ابن إسحق قال: حدثني أبي قال: كنت على باب الفضل بن يحيى، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس، وسألني أن أوصلها إلى الفضل، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس، فغضب أبو محمد وقال لي: أما كفاك أن أستخففتَ بحاجتي؟ منعتني أن أدفعها إلى غيرك، فقلت له: أنا خير لك من القرطاس، ثم دخلت إلى الفضل، فلما تحدّثنا قلت له: معي هدية وصاحبها بالباب؛ وأنشدته، فقال: كيف حفظتها؟ قلت: الساعة دفعها إليَّ

على الباب، فحفظتها، فقال: دع ذا الآن. فقلت له: فأدخله فأدخل، فسأله عن القصة فأخبره. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك ففعل، وجعلتُ أردد أبياته، وجعلت أشيّعها بالإستحسان، ثم خرج التيميّ فقلت: خذ في حاجة الرجل، فقال: أمّا إذا عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم. فقلت له: أمَّا إذا أقللتها فعجِّلها، فأمر بها فأحضرت. فقلت له: أليس لإعناتك إياي ثمن؟ قال: نعم. قلت: فهاته. قال: لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح. فقلت: فهات ما شئت، فأمر بثلاثة آلاف درهم، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف، ووجّهتُ بها إليه. (٥١/٢٠)

(٢٧٠)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا أبو العيناء عن أبي العالية، قال: أمر محمدٌ الأمينُ لعبد الله بنِ أيوبَ بجائزةٍ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعه إياها:

إني اشتريتُ بما وهبتَ ليَهْ أرضاً أمون بها قَرابَتيه
فبحسن وجهك حين أسأل قل يابن الربيع احمل إليه ميه

فغُنّيَ بها الأمين، فقال للفضل: بحياتي يا عباسي، احمل إليه مائة ألف، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً، وقال له: الخمسون الأخر لك عليّ إذا اتسعت أيدينا. (٥٢/٢٠)

(٢٧١)

أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء، عن أبي العالية قال: عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيميّ يجد(١) بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إليّ بيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وما هما؟ فقال:

يا أبا عباس إليك المُشتكى وأخو الصبر إذا عيل شكا
ليس لي صبر على فقدانها وأعاف المشربَ المشتركا

قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها. (٥٢/٢٠)

(٢٧٢)

أخبرني الحسن قال: حدثني أبو العيناء عن أبي العالية قال: دخل التيميّ إلى الفضل بن

---

(١) يجد: يهوى ويحبّ.

الربيع في يوم عيد فأنشده:

ألا إنمـــا آلُ الربيـع ربيــع وغيثٌ حيا للمرملين مريع
إذا ما بدا آل الربيع رأيتَهم لهـم درَج فوق العباد رفيع

فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٥٣/٢٠)

(٢٧٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثني محمد بنُ القاسم بن مهْرويهْ قال: حدّثني ابن الشِبْل البُرجُميّ عن أبيه قال: قال لي أبو محمدٍ التيميُّ: أولُ شعر عُرفت به فشاع فيه ذكري ووصلْت به إلى الخليفة قولي:

طاف طيفٌ في المنام بمحبٍّ مســتــهــام
زورة أبقت ســقــامـا وشفت بعض السُّقام
لم يكن ما كان فيها مـــن حـرام بحــرام
لـم تكـن إلا فُواقــا وهي في ليل التَّمــام(١)

فقال: فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف، يُعرف بالتيميّ، فطُلبت وأمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون. ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وصرتُ في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدوَّن شعري. (٥٤/٢٠)

(٢٧٤)

حدّثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدّثني أبو دعامة علي بن يزيد قال: حدّثني التيميّ أبو محمد قال: دخلت على الحسن بنُ سهل، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعنده طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع:

لابُدَّ من ســكرة على طربِ لعلَّ رَوحــا يُديل من كــرب
خليـفــةُ الله خيـر منتـخب لخيـر أم مــن هاشــم وأب
خــلافــة الله قــد توارثهــا آبـــاؤه في ســوالف الكُتُب
فهْي لــه دونكــم مورَّثــة عن خاتم الأنبياء في الحِقب

---

(١) الفُواق: الريح تخرج عند ترديد الشهقة، وكنّى به عن السرعة.

يابن الذُّرا من ذوائب الشرف الـ أقدم أنتم دعائم العرب

فقال الحسن: عرِّض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين، والله لأعلمنّه. وقام إلى المأمون فأخبره. فقال المأمون: وما عليه في ذلك، رجل أمّل رجلا فمدحه، والله لقد أحسن بنا، وأساء إليه إذا لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر، ثم دعاني فخلع عليَّ وحملني، وأمر لي بخمسة آلاف درهم. (٢٠/٥٤)

(٢٧٥)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ أبي سعد قال: حدثني أحمد بن محمدٍ الفارسي قال: حدثنا غسان بنُ عبدِ الله عن أبي محمدٍ التيميُّ قال: لما أنشدت الأمين قولي فيه:

خليفةُ الله خير منتخبِ لخير أم من هاشم وأبِ
أكْرِمْ بعرقين يجريان به إلى الأمام المنصور في النسب

طرب، ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أوقرْ له زورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي؛ فلما خرجنا طالبته بذلك، فقال: أمجنون أنت؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم، فقبضتها. (٢٠/٥٨)

(٢٧٦)

قال الحزنْبلُ: وكان ابنُ أبي عُيينة لما هجا نزاراً بلغ شعره المأمون، فنذر دمه، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ، فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون. (٢٠/١٠٠)

(٢٧٧)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرويه قال: حدثني أبي قال: كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمه خالد بجُرْجان، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُند خالدٍ من أهل البصرة، أحدهما مهلّبي والآخر مولى للأزْد، وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم. وولي موسى الهادي الخلافة فكتب ابنُ أبي عُيينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة:

كيف صبري ومنزلي جُرْجانُ والعراق البلادُ والأوطانُ؟
نحن فيها ثلاثةٌ حلفاء وندامى على الهوى إخوانُ
نتساقى الهوى ونطرب للذكر كما تُطرب النشاوى القيانُ

وإذا مـا بكى الحـمـامُ بكينا لبُكـاه كـأننا صـبـيانُ
يا زماني الماضي ببغدادَ عُدلي طالمـا قد سررْتني يا زمانُ
يا زماني المسيءَ أحسنْ فقدْما كان عندي من فعلك الإحسانُ
ما يريد العُذّال مني أما يُترك أيضاً بغمِّه الإنسانُ؟
ويقولون أملُك هـواك وأقصـر قلت مـالي على الهوى سلطانُ
أيها الكاتمُ الحديثَ وقد طـا ل به الأمرُ وانتهى الكتمانُ
قد لعمري عرّضْتَ حينا فبيِّنْ ليس بعد التعريض إلا البيانُ
واتخذ خالداً عدوّاً مبينـاً ما تعادى الإنسان والشيطانُ
والهُ عنه فما يضرّك منه عضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ
ولعمري لولا أبوه لنالته بسوءٍ منّي يدٌ ولسانُ
قل لفتياننا المقيمين بالبا بِ ثقوا بالنجاح يا فتيانُ
لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى فلكُمْ من ردى الزمان أمانُ
أوَلم تأته الخلافةُ طوعاً طاعةٌ ليس بعدها عصيانُ؟
فهْي منقادة لموسى وفيها عن سواه تقاعسٌ وحِرانُ
قل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً بقياد وفي يديك العِنانُ
أنت بحر لنا ورأيك فينا خيرُ رأيٍ رأى لنا سلطانُ
فاكفنا خالداً فقد سامنا الخسفَ رماه لحتفه الرحمنُ
كمْ إلى كم يُغضى على الذّل منه وإلى كم يكون هذا الهوانُ؟

قال: فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقفله من جيش خالد إليه. (١١٧/٢٠)

(٢٧٨)

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال: حدثّنا ابنُ مهرويه قال: حدثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزيّ ـ وكان منزله بالكوفة في رحبة طيئ ـ قال: سمعْت دعبلَ بنَ عليّ وأنا صبي يتحدث في مسجد المروزية قال: دخلتُ على عليِّ بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت، فأنشدته:

مدارس آيات خلتْ من تلاوة ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصات

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتريهمُ   أكفًّا عن الأوتار منقبضات(١)

قال: فبكى حتى أغمي عليه، وأومأ إليَّ خادم كان على رأسه: أن اسكت، فسكتُّ ساعة، ثم قال لي: أعِد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرة الأولى، وأومأ الخادم إليَّ: أن اسكت، فسكتُّ، فمكث ساعة أخرى ثم قال لي: أعِد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها، فقال لي: أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضُرِب باسمه، ولم تكن دُفعت إلى أحد بعدُ، وأمر لي مَن في منزله بحلى كثير أخرجه إليَّ الخادم، فقدِمْتُ العراق، فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مني الشيعة، فحصل لي مائةُ ألف درهم، فكان أول مال اعتقدْتُه(٢). (١٤٨/٢٠)

(٢٧٩)

أخبرني محمدُ بنُ المرْزبان قال: حدثني إبراهيمُ بن محمدٍ الوراقُ عن الحسين بن أبي السريِّ عن عبد الله بن أبي الشِّيص قال: حدثني دعبل قال: حججْت أنا وأخي رزين وأخذْنا كُتبا إلى المطَّلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها، فصرنا من مكة إلى مصر، فصحبنا رجل يعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ، نسي عبد الله بنُ أبي الشِّيص اسم أبيه، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع، ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكتمنا نفسه، وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطَّلب قصيدة ننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سرورا وتقبُّلا له، فعملنا قصيدة، وقلنا له: تُنشدها المطلب فإنك تنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر به، فدخلْنا إلى المطَّلب، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا، وأنشدناه، فسُرَّ بموضعنا، ووصفنا له أحمد السراجَ هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثَل بين يديه عدل عنها وأنشده:

لم آتِ مطَّلبا إلا بمطَّلب   وهمةٍ بلغت بي غاية الرُّتَب
أفردتُه برجاءٍ أن تشاركه   فيَّ الوسائل أو ألقاه في الكتب

قال: وأشار إلى كتبي التي أوصلْتُها إليه وهي بين يديه، فكان ذلك أشدُّ من كل شيء مر بي منه عليَّ، ثم أنشده:

رحلتْ عنْسي إلى البيت الحرام على   ما كان من وصب فيها ومن نصبِ(٣)

---

(١) الموتور مَنْ يطل دم قتيله، والوتر الدم المطلول، منقبضات: ممسكات لا تمتدُّ بالأذى.

(٢) اعتقدته: جمعته.   (٣) العنس: الناقة الصلبة.

ألقى بها وبوجهي كلُّ هاجرة تكاد تقدح بين الجلد والعصب
حتى إذا ماقضتْ نُسْكي ثَنَيْتُ لها عطفَ الزِّمام فأمَّتْ سيدَ العرب
فيمَّمتْك وقد ذابت مفاصلها من طول ما تعبٍ لاقت ومن نقب(١)
إني استجرْتُ بإستارين مستلما رُكنين: مطَّلبا والبيتَ ذا الحُجُب(٢)
فذاك للآجل المأمول أمسه وأنت للعاجلِ المرجوِّ والطَّلبِ
هذا ثنائي وهذي مصرُ سانحةٌ وأنتَ أنتَ وقد ناديتُ من كَثَبِ

قال: فصاح مطَّلب: لبيك لبيك: ثم قام إليه فأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البِدَر، فأحضرت، ثم قال: الخلع، فنُشرت، ثم قال: الدواب، فقيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه، وكان حسدُنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظُنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صِفْراً. (٢٠/١٥٩)

(٢٨٠)

قال: فحدَّثني عبد الله بن أبي الشيِّص قال: قال لي دعبل: قال لي المطَّلب: ما تفكَّرت في قولك قط:

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

إلا كنتَ أحبَّ الناس إليَّ، ولا تفكرْت والله في قولك لي:

وعاديْتَ قوما فما ضرهم وقدَّمتَ قوما فلم ينبُلوا

إلا كنت أبغضَ الناس إليَّ. (٢٠/١٦١)

(٢٨١)

أخبرني عمي والحسنُ بن عليٍّ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مهْرويه قال: حدثنا أبو ناجية ـ شيخٌ من ولد زُهيرِ بن أبي سُلمى ـ قال: حضرْتُ بني مخزوم وهم ببغداد، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمَّا لجَّ الهجاء بينه وبين دعبل، وقد خافوا لسان دعبل، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمَّهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم، فحدَّثني غيرُ واحد أنه أتى حينئذ بخاتمه النقاشَ، فنقشَ عليه: أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد بريء من بني مخزوم تهاوُناً بما فعلوه. (٢٠/١٧٢)

---

(١) النقب: الحفا. (٢) إستارين: مثنى إستار، وهو من العدد: أربعة.

(٢٨٢)

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدلانيُّ صهر المبرِّد قال: حدّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العتابيِّ، وكان نديماً لعبدِ الله بن طاهر قال: بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذكر المحدثين حتى انتهى إلى ذِكر دعبل، فقال: ويحك ياضبيُّ!، إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تستره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله أنا عندك في موضع ظنة؟ قال: لا، ولكن أطيبُ لنفسي أن توثّق لي بالأيمان لأركن إليها، ويسكن قلبي عندها، فأحدّثك حينئذ.

قال: قلت: إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إليّ، واستعفيتُه مراراً فلم يُعفني، فاستحييت من مراجعته، وقلت: فلير الأمير رأيه. فقال لي: ياضبيّ، قُل: والله. قلت: والله، فأمَرها عليَّ غموساً مؤكَّدة بالبيعة والطلاق وكلِّ ما يحلف به مسلم. ثم قال: أشعرْتَ أنْ دعبلا مدخول النسب؟ وأمسك، فقلت: أعز الله الأمير، أفي هذا أخذْتَ العهود والمواثيق ومغلّظ الأيمان؟ قال: إي والله، فقلت: ولم؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودعبل رجل قد حمل نفسه على المهالك، وحمل جِذعه على عنقه، فليس يجدُ من يصلبه(١) عليه، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عليّ عاره على الدهر، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمته اليمنُ - وما أراها تفعل؛ لأنه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها(٢) - فاضربه مائة سوط، وأثقله حديداً، وأصيّره في مُطْبَق(٣) باب الشام.

---

(١) من النادر أن نجد نمطاً من الشعراء يشبه دعبلاً، فقد وقف موقفاً مناوئاً صريحاً من رجال الدولة العباسية إذ «لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولاذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد»، الأغاني (٢٠/ ١٢٠)، ولذلك لن نستغرب أن يكون ابن طاهر على حذر شديد وهو يحدِّث بهذا الحديث، فدعبل لا يقف في وجهة شيء». أمّا هذا الجذع المحمول على العنق، وانتظار الصلب، فهو من أقوال دعبل نفسه، ينظر الأغاني (٢٠/١٢١)، فهو يتوقّع الموت في أيّة لحظة، وعلى هذا الأساس بنى تعامله مع الآخرين.

(٢) تبيّن هذه الأوصاف منزلة الشاعر العالية التي مايزال يتمتّع بها، فهو لسان اليمن، وشاعرها، والذابّ عنها، والمحامي لها، والمرامي دونها، وهي الأوصاف نفسها التي كانت تطلق على الشاعر في الجاهلية، لا تلحظ تغييراً فيها. ولعلّ هذا يشير بوضوح إلى ما ذكرناه سابقاً من أنّ اهتزاز مكانة الشاعر لم يكن عاماً مطلقاً، إذ وجدنا تجاور النظرتين، ووجود الاتجاهين.

(٣) المطبق: السجن تحت الأرض.

وليس في ذلك عوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عقبي من بعدي، فقلت: ما أراه يفعل ويقدم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهوَنُ عليه مما لم يكن. أتراه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ؟ فقلت: فإذا كان الأمر كذا فقد وُفق الأمير فيما أخذه عليّ.

قال: وكان دعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفته، فمن أين؟ قال الأمير: إنّه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة، لا يتقدمهم غير بني أهبان مكّلمِ الذئب. فقال: أسمع أنه كان أيام ترعرع خاملاً لا يُؤبه له، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره، ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمردٌ يخدمه، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال:

لا تعجبي يا سلم من رجل　　ضحك الشيب برأسه فبكى

وغنّى فيه بعض المغنين وشاع، فغنّى به بين يدي الرشيد، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكي، فطرب الرشيد، وسأل عن قائل الشعر. فقيل له: دعبل بن عليٍّ، وهو غلام نشأ من خُزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم، وخِلْعة من ثيابه، فأحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته، وقال له: اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دعبل بنِ عليٍّ، فإذا دُلّت عليه فأعطه هذا، وقل له: ليحْضر إن شاء وإن لم يجُب ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فسار الغلام إلى دعبل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمسير إليه.

فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس، واستنشده الشعر فأنشده إياه، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً، فكان أوّلَ من حرضه على قول الشعر، فوالله مابلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله: من العطاء السنيّ، والغنى بعد الفقر، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة. وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام، وهجا الرشيد:

وليس حيٌّ من الأحياء نعلمه　　من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مُضر
إلا وهمْ شركاءُ في دمائهم　　كما تشارك أيسار على جُزر(١)
قتلٌ وأسر وتحريق ومنهبة　　فعل الغُزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا　　ولا أرى لبني العباس من عذُر
أربع بطُوس على القبر الزكي إذا　　ما كنت تربع من دين على وطر(٢)
قبران في طُوسَ خيرُ الناس كلِّهم　　وقبرُ شرِّهم هذا من العبر

---

(١) دمائهم: يريد دماء العلويين. الأيسار: مفردها ياسر، وهم المجتمعون على الميسر.

(٢) أربع: ربع الرجل، رَبْعاً: وقف وانتظر، والقبر الزكيّ هو قبر الإمام علي بن موسى الرضا.

ما ينفع الرِّجسَ من قُرب الزكيِّ ولا على الزكيِّ بقُرب الرجس من ضرر
هيهات كلُّ امرئٍ رهن بما كسبت لـه يداه نخــذ ما شئت أو فذر(١)

- يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام، فهذه واحدة. وأما الثانية فإن المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله:

عِلْم وتحكيمٌ وشــيبُ مفـارق طمَسْنَ ريعان الشباب الرائق
وإمــارة في دولــة ميمونــة كانت على اللذات أشغب عائق(٢)
أنّى يكــون وليس ذاك بكــائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق
إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلُحَنْ من بعـده لُخـارق(٣)

فلما قرأها المأمون ضحك، وقال: قد صَفَحْتُ عن كلِّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة، وولاه عهده. وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان، ويحمل إليه مالا. وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعل. فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه، وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل. فلما دخل وسلَّم عليه تبسم في وجهه، ثم قال أنشدني:

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوة ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصات

فجزع، فقال له: لك الأمان فلا تخف، وقد رويتُها ولكني أحبُّ سماعها من فيك، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيته بدمعه، فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أول داخل، وآخر خارج من عنده. (٢٠/١٧٨)

---

(١) ذَر: اترك.

(٢) شغب شغبا: هيّج الشرّ.

(٣) إبراهيم: هو إبراهيم بن المهديّ، أخو هرون الرشيد. كان منصرفاً إلى الغناء، والعَزف على الطنبور، وإلى قول الشعر، بويع بالخلافة سنة (٢٠١هـ) ، بعد أن جعل المأمون ولاية العهد لعليّ الرضا، ولكنّه هُزم سنة (٢٠٣هـ)، وعفا المأمون عنه، وأورد البغدادي في تاريخ بغداد، ١٤٤/٦هذا البيت إشارة إليه، ومخارق: هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار مولى الرشيد، نشأ بالمدينة، وقيل: كان منشؤه بالكوفة. كان مغنّياً مشهوراً، اشتراه إبراهيم الموصلي وعلّمه الغناء. ومن الواضح أنّ الشاعر يعرّض بالخلافة العباسية التي تولّاها إبراهيم وهو مغنٍّ، ويطلب توليتها من بعده لمخارق وهو مغنٍّ أيضاً.

(٢٨٣)

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم البرتيّ قال: حدثني علي بن يوسف قال: كنتُ عند أبي دُلف القاسم بن عيسى العِجْلي فاستأذن عليه حاجبه لجُعيفران الموسوس، فقال له: أيُّ شيء أصنع بموسْوِس! قد قضينا حقوق العقلاء، وبقي علينا حقوق المجانين! فقلت له: جُعلت فداء الأمير موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء، وإن له لسانا يُتّقى وقولا مأثوراً يبقى، فالله الله أن تحجبه، فليس عليك منه أذى ولا ثقل، فأذن له فلما مثل بين يديه قال:

يا أكرمَ العالم موجودا ويا أعزُّ الناسِ مفقودا
لما سألتُ الناسَ عن واحدٍ أصبح في الأمة محمودا
قالوا جميعاً إنه قاسمٌ أشبه آباءُ له صيدا
لو عبدوا شيئاً سوى ربهم أصبحْت في الأمة معبودا
لا زلتَ في نُعْمى وفي غبطةٍ مكرَّماً في الناس معدودا

قال: فأمر له بكسوة وبألف درهم. (٢٠/١٩٣)

(٢٨٤)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرني عمي عُبيد الله قال: حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا: لما بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعملنا له خطبته المشهورة، وكان جهير الصوت حسن اللهجة، فلما خطَب بها رقّت قلوب الناس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيديّ:

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن وَلّي العهد مأمونَ هاشمٍ بدا فضله إذ قام وهو خطيبُ
ولما رماه الناس من كل جانبٍ بأبصارهم والعُود منه صليب(١)
رماهم بقول أنصتوا عجباً له وفي دونه للسامعين عجيب
ولما وعت آذانُهم ما أتى به أنابَتْ ورقّت عند ذاك قلوب
فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ أغرُّ بطاحيُّ النِّجار نجيب(٢)

---

(١) صليب: قويٌّ متين. (٢) بطاحيّ: من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة، وهما جبلاها: أبو قبيس والأحمر. والنِّجار: الأرومة والأصل.

مـهـيب عليـه للوقـارِ سكينة جـرىء جـنانٍ لا أكعٌ هيـوب(١)
ولا واجبٌ فـوق المنابر قلبُه إذا مـا اعـتـرى قلبَ النجيب وجيب(٢)
إذا مـا عـلا المأمونُ أعواد منبر فليس لـه في العـالمين ضـريب
تصدَّع عنه الناس وهو حديثهم تحـدَّث عنـه نـازح وقـريب
شـبـيه أمـيـر المؤمنين حـزامـةً إذا وردتْ يومـاً عليـه خطـوب
إذا طاب أصل في عُروق مشاجه فـأغـصـانه مـن طيبه ستطيب(٣)
فـقل لأمـيـر المؤمنين الذي به يقـدُم عـبـد الله فـهـو أديب
كـأن لم تغب عن بلدة كان والياً عليـهـا ولا التـدبيـرُ منك يغـيب
تتـبع مـا يُرضـيك في كل أمـره فسـيـرته شـخص إليك حـبيب
ورثتم بني العباس إرث محمد فليس لحيٍّ في التراث نصيب
وإني لأرجـو يابن عـم مـحـمـد عطاياك والراجيك ليس يخـيب
أثبني على المأمون وابني محمداً نـوالاً فإيـاه بـذاك تثـيـب
جناب أمـيـر المؤمنين مـبـارك لنا ولكـل المؤمنين خـصـيب
لقد عـمُهمْ جُود الإمـام فكلهـم له في الذي حازت يداه نصيب

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم، ولابنه محمد بنِ أبي محمد بمثله. (٢٣٦/٢٠)

(٢٨٥)

حدثنا اليزيديّ قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو صالح بن يزداد قال: حدثني أبي قال: جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر، فاستأذن، فقال الحاجب: قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد. قال: فأمرك ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدفع إليه رقعة فيها:

هـديتي التحـيـةُ للإمـــام إمـام العدل والملكِ الهـمـام
لأني لو بذلْتُ له حـيـاتي ومـا أهـوى لقـلاً للإمـام
أراك من الدواء اللهُ نفـعـا وعـافـيـةً تكون إلى تمام

---

(١) الأكعّ: الجبان. (٢) واجب: خافق بقوّة من التهيّب.
(٣) مشاجه: تكوُّنه، وحيث يلتقي اباؤه وأمهاته.

وأعقبك السلامةَ منه ربٌّ   يُريك سلامة في كل عام
أتأذن في السلام بلا كلام   سوى تقبيل كفك والسلام

قال: فوصلها، وخرج فأذن له، فدخل وسلّم وحُمِلت معه ألفا دينار. (٢٤٤/٢٠)

(٢٨٦)

حدثني عمي قال: حدثني الفضلُ اليزيديُّ قال: حدثني أخي أحمدُ عن أبي: قال: دخلْتُ إلى المعتصم وهو وليُّ عهد وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمّد، قل أبياتا في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع، فإن كان كما أحب فلك بكل بيت مائة دينار، فقلت:

هذا شبيه الحبيب قد طلعا   غاب كما غاب ثم قد لمعا
وما أرى غيره يشاكله   فاسأله بالله عنه ما صنعا؟
فرّق بيني وبينه قدر   هو الذي كان بيننا جمعا
فهل له عودة فأرتبها   كما رأينا شبيهه رجعا

فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعلّويه: غن في هذه الأبيات - وكان حاضراً - فغنّى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعلُّويه بمثلها. (٢٤٤/٢٠)

(٢٨٧)

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنا أبو العباس محمدُ بنُ الحسنِ بنَ دينارٍ مولى بني هاشم قال: حدثني جعفرُ بنُ محمد اليزيديُّ عن أبيه محمد بنِ أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

صحيح يودُّ السُّقم كيما تعُوده   وإن لم تَعُده عاد عنها رسولُها
ليعلم هل ترتاع عند شكاته   كم قد يروع المُشفقات خليلها؟

قال فقلت:

صحيحٌ ودَّ لو أمسى عليلا   لتكتبَ أو يرى منكم رسولا
رآك تسومُه الهجران حتى   إذا ما اعتلَّ كنت له وصولا
فودَّ ضنا الحياة بوصل يوم   يكون على هواك له دليلا
هما موتان موت هوى وهجرٍ   وموت الهجر شرُّهما سبيلا

قال: فأمر لي بعشرة آلاف درهم. (٢٤٦/٢٠)

أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عونُ بنُ محمد الكنديّ، قال: كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخطيب، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة، وأوصلها إلى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر، وهي:

يابنَ الخلائفِ والأملاكِ إن نُسبوا حُزْتَ الخلافة عن آبائك الأُوَلِ
أجِزْتَ أم رقدتْ عيناك عن عجب فيه البريَّةُ من خوف ومن وَهَلِ(١)
ولِّيتَ أربعةُ أمرَ العباد معاً وكلُّهمْ حاطبٌ في حبْل مُحْتبل
هذا سليمان قد ملَّكتَ راحته مشارقَ الأرضِ من سهل ومن جبل
ملَّكته السند فالشِّحْرين من عدنٍ إلى الجزيرة فالأطراف من ملل(٢)
خلافةٌ قد حَواها وحده فمضت أحكامُه في دماء القوم والنّفل(٣)
وابنُ الخصيب الذي ملَّكت راحته خلافة الشأم والغازين والقفل(٤)
فنيل مصرٍ فبحر الشأم قد جريا بما أراد من الأموال والحُلل
كأنّهمْ في الذي قسَّمتَ بينهمُ بنُو الرشيد زمانَ القَسْمِ للدُّوَل
حوى سليمان ما كان الأمينُ حوى من الخلافة والتبليغ للأمل
وأحمدُ بنُ خصيب في إمارته كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السبُل
أصبحت لا ناصحٌ يأتيك مستترا ولا علانيةٌ خوفاً من الحيل

---

(١) الوَهَل: الفزع والضعف.

(٢) الشِّحْر: الشط. وهو بين عدن وعمان. ينظر معجم البلدان (٣/٣٢٦)، وملل: موضع في طريق مكة بين الحرمين. (٣) النَّفَل: الغنيمة.

(٤) الغازين: ضُبِطت في الأغاني هكذا بزاي معجمة، وشُرحت في الهامش: الغازين لعلَّ المراد بهما غاز الكنز، وهو موضع بجبل أبي قبيس، وغاز المرّة بأرض اليمامة، لبني جشم بن الحارث، وهذا منقول من معجم البلدان لياقوت (٤/١٨٣)، ولكنَّ الموجود في معجم ياقوت: غار، براء مهملة، تحت مادّة الغارُ. وأعتقد أنَّ معنى الغازين هنا هو المجاهدون الخارجون للجهاد والغزو، يدلّ عليه كلمة (القَفَل) وهم العائدون، وجاء في لسان العرب (١١/٥٦٠): «القفول رجوع الجند بعد الغزو»، وعند هذا يتحقّق الطباق بين الكلمتين: الغازين، والقفل، فابن الخصيب قد مدَّ سلطانه على الناس جميعاً والجند: الغازين منهم والعائدين.

سلْ بيتَ مالكَ أين المال تعرفه — وسل خراجك عن أموالك الجُمل(١)
كم في حبُوسك ممن لا ذُنوب لهمْ — أسرى التكذُّب في الأقياد والكَبَل(٢)
سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتضى فبه — قس الأمورَ التي تُنجي من الزلل
عِشْ فيهمُ مثل ما عاشت يداه معاً — على البرامكِ بالتهديم للقُلل

فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفَ ألفَ دينار، فجعلها في بيت المال. (٢٠/٢٦٩)

(٢٨٩)

حدثني محمد بن موسى، قال، حدثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب، قال: أحسّت زُبيدة من المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعلِمه بذلك، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعْطفه عليها، فقال:

ألا إنَّ ريبَ الدهرِ يُدني ويبعدُ — ويؤنس بالألاف طورا ويفقدُ
أصابتْ لريْبِ الدهْرِ مني يدي يدي — فسلَّمتُ للأقدارِ واللهَ أحْمدُ
وقلتُ لريْبِ الدهر إنْ ذهبت يدٌ — فقد بقيت والحمدُ لله لي يدُ
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيدُ لي — ولي جعفرٌ لم يفقدا ومحمدُ

قال: فحسنُ موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه. (٢٠/٣٠٣)

(٢٩٠)

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال: حدثني ابن عائشة قال: دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السفاح فسلّم، واستأذن في الإنشاد، فقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تنشدنا فضلات بني مروان، فقال: يا أمير المؤمنين:

كنا أناساً نرهب الأملاكا — إذا ركبوا الأعناق والأوراكا(٣)
قد ارتجينا زمناً أباكا — ثم ارتجينا بعده أخاكا

---

(١) الجمل: جمع جملة، وهي جماعة الشيء.
(٢) الأقياد: جمع قيد، وهو ما يوضع في يد السجين أو رجله من الحديد، والكبل: وهو القيد أيضاً.
(٣) ينضوي أبو نخيلة تحت ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق، وهو إنّ الشاعر طالب فَضْل، يتنقّل بشعره مع الناس والدُوَل، وقد أبان عن موقفه في رجزه هذا.

ثم ارتجينا بعـــده إياكـا　　وكـان مـا قلتُ لمن سـواكـا

زُورا فقد كفَّر هذا ذاكا

فضحك أبو العباس، وأجازه جائزة سنية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفَّر هذا ذاك. (٢٠/٣٩٩)

(٢٩١)

وأخبرنا أبو الفياض سوَّار بن أبي شراعة قال: حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعذَّل عن أبيه قال: دخل أبو نُخيلة على أبي العباس، قال وكان لا يجترئ عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسْلمة إياه، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عمَّن هو أكبر محلاً من القوم وأعظم جرماً منه، فلما وقف بين يديه سلَّم عليه، ودعا له وأثنى، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحمَّانيّ. فقال: لا حيَّاك الله، ولا قرّب دارك يا نِضْوَ السوء. ألست القائل في مسْلمة بن عبد الملك بالأمس:

أمسْلَم يامن سـاد كـلَّ خليفـةٍ　　ويافارسَ الهيجا ويا قمر الأرض؟

والله لولا أني قد أمَّنت نظراءك لما ارتدَّ إليك طرفك حتى أخضبك بدمك. فقال أبو نخيلة:

كنَّا أناسا نرهب الأملاكا

وذكر الأبيات المتقدمة كلَّها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس، ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير، ومازال الناس يمدحون الملوك في دولهم(١)، والتوبة تكفر الخطيئة، والظَّفر يزيل الحقد، وقد عفونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا فاتَّسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان، فقد كفَّر هذا ذاك كما قلت. ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق فخيِّره جارية يأخذها لنفسه، ففعل. (٢٠/٣٩٩)

(٢٩٢)

أخبرني هاشم بنُ محمد قال: حدثنا دماذٌ عن أبي عبيدة: أن أبا نُخيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابيّ ـ وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر ـ فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

---

(١) هذا الكلام يؤكد ما أشرنا إليه في النصّ السابق من اتّساع هذا الاتجاه وأخْذ جمهرة من الخلفاء والشعراء به.

يا دار أمِّ مــــالك ألا اســــلمـي على التنائي من مُقام وانعمي

كيف أنـا إن أنت لـــم تكلّمـي بالوحْي أو كيف بأن تجمجمي(١)

تقـــول لي بنتي مـــلامَ اللُّوَّم يا أبتـــا إنك يومـــا مـــؤتِمي(٢)

فــقلت كـلاّ فـاعلمي ثم اعلمي أنى لميـقـات كـتـاب مـحكـم

لو كنتُ في ظلمــة شِعب مظلم أو في الســمـــاء أرتقى بسلّم

لا نصبَ مقداري إلى مُجْرنثمي إني وربَّ الراقصات الرسَّـم(٣)

وربِّ حـــوض زمــزم وزمـــزم لأستبين الخير عند مقدمي

وعند ترحـاليَ عـــن مـُخيِّمـي على ابنِ عبد الله قرْمِ الأقرم

فـــإنني بالعلـمِ ذو ترسُّـــم لم أدر مــا مـهـاجـرُ التكرم

حتى تبينت قضايا الغشَّم مُهاجرُ يا ذا النوال الخضرم(٤)

أنت إذا انتُجـعتَ خـيـرُ مُغنم مُـشـتـرك النائل جـمُّ الأنعُم

ولتميـمٍ مـنك خـيـر مُـقْسَـم إذا التقوا شتى معا كالهُيَّم(٥)

قـد علم الشـآم وكلُّ مـوسم أنك تحـلـو لي كـحلو المعـجم(٦)

طورا وطورا أنت مثل العلقم

قال، فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضبا، وقال يهجوه:

إن الكـلابيَّ اللئيـم الأثرمـــا أعطى على المِدْحةِ نابا عِرْزما(٧)

ما جبر العظم ولكن تمَّما

فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضَّاه، وقام في أمره بما يحب، ووصله. فقال له أبو نُخيلة: هذه صلة المديح، فأين صلة الشُّبه؟ فإن التشابه في الناس نسب، فوصله حتى أرضاه. (٢٠/٤٠٥)

---

(١) الجمجمة: عدم القدرة على الإبانة في الكلام.

(٢) مؤتمي: جاعلي يتيمة.

(٣) مجرنثمي: مستقرّي، من اجرنثم، أي سقط من علو إلى أسفل، والراقصات: هنا الإبل، الرُسَّم: السريعة، من أرسم الناقة إذا حملها على السيّر السريع.

(٤) الخضرم: الكثير.

(٥) الهُيَّم: جمع هائم، وهو المحيَّر المضطرب.

(٦) العُجْم: نوى التَّمر والنَّبق.

(٧) الأثرم: مَنْ انكسرت سنٌ من أسنانه المقدّمة مثل الثنايا. والناب: الناقة المُسِنَّة. والعرزم: القويّة.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال: حدثنا قعنبُ بنُ المُحرزِ وأبو عمروٍ الباهليُّ قالا: حدثنا الأصمعي قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوان إسحاق بنُ مسلمٍ العُقيليُّ، فأنشده قوله:

صادتْك يومَ الرملتين شعْفَرُ   وقد يصيد القانصَ المزعفَرُ(١)
يا صورةً حسَّنها المصوِّرُ   للرِّيم منها جيدُها والمحجَرُ

يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا   وقام من تبر النبيِّ الجوهرُ
ومن بني العباس نبع أصفر   ينميه فرعٌ طيِّب وعنصر
أقبل بالناس الهوى المستبهر   وصاح في الليل نهار أنور(٢)
أنا الذي لو قيل إني أشعرُ   جلّى الضبابَ الرجز المخبَّر
لمَّا مضت لي أشهر وأشهر   قلت لنفس تُزدهى نتصبر
لا يستخفنْك ركب يصدر   لا مُنجِد يمضي ولا مُغوِّر(٣)
وخالفي الأنباء فهي المحشر   أو يسمعَ الخليفة المطهر
منّي فإني كلُّ جنح أحضر   وإنَّ بالأنبار غيثا يهمُرُ
والغيثُ يُرجى والديار تنضُر   ما كان إلا أن أتاها العسكر
حتى زهاها مسجد ومنبر   لم يبقَ من مروانَ عين تنظر
لا غائبٌ ولا أناس حُضَّر   هيهات أودى المنعم المعقَّر(٤)
وأمست الأنبار دارا تُعمر   وخربتْ من الشآم أدوُر
حمِصُ وبابُ التِّبن والموقَّر   ودمِّرت بعد امتناع تدمر(٥)

---

(١) شعفر: اسم امرأة، والمزعفر: وهو المصبوغ بالزعفران، وهو نوع من الطيب أشار به إلى المرأة.

(٢) المستبهر: المُدْهش المُحَيِّر.

(٣) المُنجِد: الذي يمضي إلى نجد، والمغوِّر: مَنْ أتى الغَور، وجاء في لسان العرب (٥/٣٤)، عن الأصمعي: «أغار بمعنى أسرع، وأنجد أي ارتفع ولم يُرو أتى الغور ولا نجداً».

(٤) المُعقِّر: الذي ينحر النوق. دلالة على الكرم.

(٥) باب التِّبن: اسم محلة كبيرة كانت ببغداد ويقول ياقوت: «وهي ا ن خراب صحراء يزرع فيها» معجم البلدان (٣٠٦/١)، والموقَّر: موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق، كان يزيد بن عبد الملك ينزله.

وواسـط لـم يبـق إلا القـرقـر منها وإلا الدير بان الأخضر(١)

(ومنها): أين أبو الورد وأين الكوثرُ؟

أبو الورد بن هذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان.

وأين مـروان وأين الأشـقـر وأين فـلّ لـم يفُت مـحـيّر
وأين عـاديكـم المُجـمْهـرَ وعـامـر وعـامـر وأعـصُرُ؟

ـ قال: يعني عامرَ بن صعْصعة، وعامر بن ربيعة، وأعصُر باهلة وغنيٌّ ـ قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في حر أمك أبا نخيلة، فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إنّي والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شراً من هذا في مجالس بني مروان، وماله عهد، وما هو بوفيّ ولا كريم، فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولا ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحوْبة، والحسنات يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم. وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً. (٢٠/٤١٤)

(٢٩٤)

قال المدائني: وحدثني بعض موالي المنصور قال: لما أراد المنصور أن يعقد للمهديّ أحبُّ أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبدُ الجبار بنُ عُبيد الله الحمانيُّ قال: حدثني أبو نخيلة قال: قدمتُ على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثي: يا أبا نُخيلة، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدّم المهديُّ بين يدي عيسى بنِ موسى، فلو قلتَ شيئاً تحثّه على ما يريد. فقلت:

ماذا على شحْط النوى عناكا أم ما مرى دمعك من ذكراكا؟(٢)
وقد تبكّيتَ فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها:

خليـفـةَ الـله وأنت ذاكـا أسـنِدْ إلى مـحمدٍ عصاكا

(١) القرْقر: موضع بين الفلج ونجران، والديربان: جاء في هامش الأغاني: لعلّه دير أبان، من قرى غوطة دمشق، منسوب، إلى أبان بن عثمان بن حرب بن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أميّة»، وهذا الكلام منقول عن معجم البلدان لياقوت (٢/٤٩٥)، ولم أجد لهذا الدير ذكراً في كتاب الديارات للشابشتي.

(٢) الشحط: البعد، ومرى: أسال.

فأحفظُ الناس لها أدناكا وابنُك ما استكفيتَه كفاكا(١)
وكـلُّنا منتظـــر لذاكــــا لو قلتَ هاتوا قلتُ هاك هاكا

قال: فأنشدته إياها، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: احذر عيسى بنَ موسى، فإني أخافه عليك أن يغتالك. قال المدائنيّ: وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نخيلة، فهرب منه، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبرُه، فجرَّد خلفه مولى له يقال له: قطريّ، معه عدَّة من مواليه، وقال له: نفسك نفسك أن يفوتك أبو نُخيلة، فخرج في طلبه مُغذّاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه(٢). (٢٠/٤٢٠)

(٢٩٥)

حدثني أبو الفضل عباسُ بن أحمد بن ثوابة قال: قدم البحتريُّ النِّيل(٦٣) على أحمد بنِ علي الإسكافيِّ مادحاً له، فلم يُثِبْه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بنِ عليٍّ ومــن النِّيـلِ غيرَ حُمَّى النِّيلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أولها: قصةُ النِّيلِ فاسمعوها عُجابه

فجمع إلى هجائه إيَّاه هجاء أبي ثوابة، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابَّة بسرْجها ولجامها، فردَّه إليه، وقال: قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رفْدكم، فكتب إليه أبي: أمَّا الإساءة فمغفُورة وأما المعذرة فمشكورة، والحسناتُ يُذْهبْنَ السيئات، وما يأسو جراحك مثلُ يدك. وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ، وأضعفتُه، فإن تلافيْتَ ما فرطَ منك أثنينا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا. فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامُك والله أحسنُ من شعري، وقد اسلفْتني ما أخجلني، وحمَّلتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

ضلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصدِّ

وقال فيه بعد ذلك: برقٌ أضاء العقيق من ضرمِهِ

---

(١) إنَّ دَوران الشاعر مع الزمان لم يُفْلِته من أيدي مَنْ عناهم، فقد أدخل نفسه في طرق ضيِّقة، كان في غنى عنها، وبما يتلاءم مع مواقفه المتغيِّرة، ولكنَّه آثر عاجلاً قليلاً كان السبب في قتله.

(٢) النِّيل: ضُبِطت في الأغاني بفتح النون، وفي معجم البلدان لياقوت (٥/٣٣٤)، النِّيل بكسرها، وهامش الأغاني ينقل عنه في التعريف به، وهو اسم يطلق على عدَّة مواضع، أحدها بُليدة في سواد الكوفة قرب حلَّة بني مزيد، وهو نهر من أنهار الرَّقة حفره الرشيد.

وقال فيه أيضاً: دانٍ دعا داعي الصِّبا فأجابَهْ

قال: ولم يزل أبي يصله بعد ذلك، ويتابع برُّه لديه حتى افترقا. (٤٤/٢١)

(٢٩٦)

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكل مرضة خيفَ عليه منها ثم عوفي، وأذن للناس في الوصول إليه، فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم، فلما رآني استدناني، حتى قُمتُ وراء الفتح، ونظر إليَّ مُسْتَنْطِقاً فأنشدته:

يومٌ أتانا بالسرورِ فالحمد لله الكبيرِ
أخلصتُ فيه شُكره ووفَيْتُ فيه بالنُّذورِ
لما اعتللتَ تصدَّعتْ شُعَبُ القلوب من الصدورِ
من بين ملتهب الفؤا د وبين مكتئبِ الضميرِ
يا عُدَّتي للدِّينِ والدُّنْيا وللخطْبِ الخطيرِ
كانت جُفوني ثرَّةَ الـ أمـاق بالدَّمعِ الغزيرِ
لو لم أمت جزعاً لعمـ ـرُكَ إنني عينُ الصبورِ
يومي هنالك كالسِّنيـ ـن وساعتي مِثْلُ الشُّهورِ
يا جعفرُ المتوكلُ الـ ـعالي على البدر المُنيرِ
اليومَ عاد الدين غضٌّ العود ذا ورقٍ نضيرِ
واليومَ أصبحت الخلا فة وهي أرسى من ثبير(١)
قد حالفتْكَ وعاقدتْـ ـكَ على مطاولة الدُّهُورِ
يا رحمةً للعالمـيـ ـنَ ويا ضياء المستنيرِ
يا حجةَ الله التي ظهرتْ له بهُدىً ونُورِ
للّـهِ أنتَ فما نشا هدُ منكَ من كرم وخيرِ
حتى نقول ومَنْ بِقُر بِكَ من وليٍّ أو نصيرِ
البدرُ ينطقُ بيننا أمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ!
فإذا تواترتِ العطا ئمُ كُنتَ منقطع النظيرِ
وإذا تعذَّرت العطا يا كنتَ فيَّاضَ البحُورِ

---

(١) ثَبير: من أعظم جبال مكَّة، بينها وبين عرفة. معجم البلدان (٧٣/٢).

تُمضي الصواب بلا وزيـ ـرٍ أو ظهيرٍ أو مُشـــيرِ

فقال المتوكلُ للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة، ووُدٍّ محْض، وما قضينا حقَّه، فتقدَّم بأن يُحملَ إليه الساعة خمسون ألف درهم؛ وتُقدَّم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يولِّيه عملا سرياً ينتفع به. (١٥٧/٢٢)

(٢٩٧)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عبد الله بن الحسن الحرّانيّ، قال: حدثني أبو قُدامة، قال: حدثني المؤمّل قال:

قدمت على المهديّ وهو بالرّي، وهو إذ ذاك وليُّ عهد، فامتدحته بأبيات، فأمر لي بعشرين ألفَ درهم، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور، وهو بمدينة السلام يُخْبره أنّ الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم، فكتب إليه يعذله ويلومه، ويقول له: إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم(١) وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجِّه إليه بالشاعر، فطُلب، ولم يقدر عليه، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجّه إلى مدينة السلام، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلا، فجعل لا يمرُّ به قافلة، إلا تصفَّح مَن فيها، حتى مرت به القافلةُ التي فيها المؤمّل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أنا المؤمّل بن أميل المحاربي الشاعر، أحدُ زوار الأمير المهديّ، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر.

فقبضَ عليَّ، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، وقال له: هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إليَّ، فأدخلتُ إليه، فسلمت تسليم فزع، مروّع، فردُّ السلام، وقال: ليس لك هاهنا إلاّ خيْر، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيتَ غلاماً غِرّاً كريماً، فخدعته فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير ، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً، فخدعتُه فانخدع قال: فكأن ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه:

---

(١) بات وقوف الشعراء على أبواب الخلفاء والكُبَراء أمراً شائعاً، ينتظرون طويلاً فلا يؤذن لهم، وهذا وجه من وجوه الاتجاه الذي أشرنا إليه، وهو انخفاض مكانة الشاعر، أمّا المنصور والمبلغ الذي حدَّده فهو أمر يتعلّق به وحده، ولا يمكن أن يُعدُّ مقياساً عاماً، بعد الذي رأيناه من عطايا الخلفاء الكبيرة، وخاصَّة أولئك الذين جاءوا بعده.

هـو المهـدِيُّ إلا أن فيـه ... مشابهةً من القمر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مُشكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلام سراجُ ليلٍ ... وهذا في النهار ضياءُ نُورِ
ولكن فضَّلُ الرحمن هذا ... على ذا بالمنابرِ والسُّريرِ
وبالمُلك العزيزِ فذا أميرٌ ... وماذا بالأمير ولا الوزيرِ
وبعضُ الشهر ينقصُ ذا وهذا ... مُنيرٌ عند نقصانِ الشهورِ
فيابن خليفة الله المصفّى ... به تعلو مفاخرةُ الفخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليكَ مِنْ السهولة والوُعورِ
لقد سبق الملوك أبُوك حتّى ... بقوا من بين كابٍ أو حسيرِ(١)
وجئتَ مصلياً تجري حثيثاً ... وما بك حين تجري من فُتورِ(٢)
فقال الناس ما هذان إلا ... كما بينَ الخليق إلى الجديرِ(٣)
لئن سبق الكبيرُ لأهْلُ سبْقٍ ... له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبيرٍ ... فقد خُلِقَ الصغيرُ من الكبيرِ

فقال: والله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم(٤)، فأين المال؟ قلت: هو هذا، قال: يا ربيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقي.

قال المؤمل: فخرج معي الربيع، وحطَّ ثقلي ووزن لي من المال أربعة آلاف درهم، وأخذ الباقي فلما وَلي المهديُّ الخلافة ولّى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس للناس بالرُّصافة، فإذا ملأ

---

(١) الكابي: العاثر، والحسير: الكليل الواهي.

(٢) المصلِّي من الخيل: الذي يأتي تالياً للسابق، والسابق هنا هو الخليفة.

(٣) علَّق الأستاذ عبد السلام هارون على هذا البيت بقوله: «أي هما سيَّان، كما أنْ الخليق والجديد مترادفان بمعنى الحقيق»، ينظر أمالي الزجّاجي (ص٩٥)، وورد في حاشية أمالي المرتضى ما يأتي: «أي لم يكن بينك وبين أبيك من الفرق والتفاوت إلا مثل ما بين الخليق والجديد، ومعناهما واحد». ينظر أمالي المرتضى (١٠١/١)، وخليق بالشيء جدير به.

(٤) هذا مقياس غريب للشعر لا يُعرف ميزانه، فلِم أصبحت القصيدة تساوي أربعة آلاف درهم، ولم تساوِ ثلاثة آلاف مثلاً أو خمسة آلاف، ويبدو أنّ استكثار المبلغ الأول دعا إلى التقليل منه مع الاعتراف بجودة الشعر نفسه. وهذا يناقض تماماً ما رأيناه عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قرَّر أن المال زائل، وأن الشعر باقٍ.

كساه رقاعاً رفعها إلى المهديّ، فرُفعتْ إليه رُقعة، فلمّا دخل بها ابن ثوبان جعل المهديُّ ينظر في الرقاع، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضحك، فقال له ابنُ ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين! ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرُّقعة، فقال: هذه رقعة أعرفُ سببها، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم، فردُّوها إليّ وانصرفت. (٢٤٥/٢٢)

(٢٩٨)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى السلوليّ، قال: حدثني سعد بن أخي العوفيّ قال: قدم على المهدى في بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المؤمَّل بنُ أميْل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السَّلولي وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيري من الكوفة، فقدما على المهديّ في عسكره، فأنشده المؤمَّل:

هاكَ بياعنا ياخير والٍ ... فقد جئْنا به لك طائعينا
فإن تفعلْ فأنت لذاك أهلٌ ... ففضلك يابنَ خير الناس فينا
وَعَدْلُكَ يا بن وارث خيرِ خلْق ... نبيُّ الله خيْرِ المرسلينا
فإن أبا أبيكَ وأنتَ منه ... هو العبَّاسُ وارثُه يقينا
أبان به الكتابُ وذاك حقٌّ ... ولسنا للكتابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأنتم غير شك ... لها بالعدل أكرمُ خاتمينا
فدونكها فأنتَ لها محلٌّ ... حباك بها إلهُ العالمينا
ولو قيدتْ لغيركمُ اشمأزَّت ... وأعْيتْ أن تُطيعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألف درهم، فجيء بالمال، فألقي بينهما، فأخذ كل واحد منهما بدرة، وصدع الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفا. (٢٤٨/٢٢)

(٢٩٩)

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ، عن المؤمّل بن أميل قال: صرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحتُه بقولي:

تعزْ ودعْ عنك سلمى وسِرْ ... حثيثاً على سائرات البغالِ
وكلِ جوادٍ له ميْعَةٌ ... يخُبُّ بسرحكَ بعدَ الكلالِ[1]

---

(١) ميعة الفرس: أوّل جريه. السَّرْح: فناء الدار. أراد به كرمه وسعة صدره ومجلسه.

إلى الشمس شمسِ بني هاشمٍ وما الشمسُ كالبدْرِ أو كالهلالِ
ويُضـحكه أن يـدوم السـؤالُ ويُتلف في ضـحكه كلُّ مـالِ

فاستحسنها المهديُّ، وأمر لي بعشرة الآف درهم، وشاع الشعر وكان في عسكره رجلٌ يعرف بأبي الهوْسات، يُغنِّي، فغنَّى في الشعر لرُفقائه، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سراً، فدخل عليه، فغنّاه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور. (٢٤٩/٢٢)

(٣٠٠)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهْروية، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني أبي، قال: وجّه المهديُّ نُصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلٍ مهريّة(١)، ووجّه معه رجلاً من الشيعة، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار، قال: فمدَّ أبو الحجناء يده في الدنانير يُنفقها في الأكل والشرب، وشراء الجواري والتزويج، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديّ، فكتب المهديُّ في حمْله موثقاً في الحديد.

فلمّا دخلْ لى المهديَ أنشده شعْره، وقال:

تأوّبني ثقلٌ من الهمِّ مُوجِعُ فأرّق عيْني والخليُّون هُجَّعُ
هُموم توالتْ لو أطاف يسيرُها بسلْمى لظلّتْ شُمُّها تتصدَّعُ(٢)
ولكنّها نيطتْ فناءَ بحملها جهيرُ المنايا حائنُ النفس مجزعُ(٣)
وعادتْ بلادُ الله ظلماءَ حندساً فخلْتُ دُجى ظلمائها لا تقشّعُ(٤)

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

إليكَ أميرَ المؤمنين ولم أجدْ سواك مُجيراً منك يُدني ويمنعُ
تلمّستُ هل من شافعٍ لي فلم أجدْ سوى رحمةٍ أعطاكها الله تشفعُ
لئن جلّت الأجرامُ مني وأفظعتْ لعفوكَ عن جُرمي أجلُّ وأوسعُ

---

(١) الإبل المَهْريّة: منسوبة إلى مَهْرة بن حيدان وهو أبو قبيلة، وهم حيٌّ عظيم. ينظر لسان العرب (١٨٦/٥).
(٢) سلْمى: أحد جبَلَيْ طيّء، وهو موضع بنجد أيضاً، وشُمُّها: أراد جبالها المرتفعة.
(٣) نيطَتْ: رُبِطت، وهي الهموم في البيت السابق، وجهير المنايا: بدا له الموت جهرة عياناً، وحائن النفس: هالك.
(٤) الحندس: الظلام الشديد، وتقشّع: هي تتقشّع أي تنجلي وتزول.

لئن لم تسعْني يابن عمِّ محمد ... لما عجزت عني وسائلُ أربعُ
طُبعت عليها صبغةً ثم لم تزلْ ... على صالح الأخلاق والدين تُطبعُ
تغابيك عن ذي الذنبِ ترجو صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتي ويصنعُ
وعفوكَ عمَّن لو تكونُ جريمةٌ ... لطارتْ به في الجوِّ نكباءُ زعزعُ(١)
وأنَّك لا تنفكُّ تُنعش عاثراً ... ولم تعترضْه حين يكبو ويخمعُ(٢)
وحلمكَ عن ذي الجهل من بعد ما جرى ... به عنَقٌ من طائش الجهل أشنعُ(٣)
ففيهنَّ لي إمَّا شفعْن منافعٌ ... وفي الأربع الأولى إليهنَّ أنزعُ
مُناصحتي بالفعل إن كنت نائياً ... إذا كان دانٍ منك بالقولِ يخدعُ
وثانيةٌ ظنِّي بك الخير غائباً ... وإن قلت عبدٌ ظاهر الغشِّ مُسبعُ(٤)
وثالثةٌ أني على ما هويته ... وإن كثَّر الأعداء فيَّ وشنَّعوا
ورابعةٌ أنِّي إليكَ يسوقني ... ولائي فمولاك الذي لا يُضيَّع
وإني لمولاك الذي إن جفوته ... أتى مستكيناً راهباً يتضرَّعُ
وإني لمولاكَ الضعيفُ فأعْفني ... فإني لعفوٍ منكَ أهلٌ وموضعُ

فقطع المهديّ عليه الإنشادَ، ثم قال له: ومَنْ أعتقك يابن السوداء! فأومأ بيده إلى الهادي، وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهديُّ لموسى: أعتقْته يا بُني؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فأمضى المهديّ ذلك وأمر بحديده، ففُكَّ عنه، وخلعَ عليه عِدَّةً من الخِلَعْ الوشي والخزِّ والسوادِ والبياضِ، ووصله بألفيْ دينار، وأمر له بجارية يقال لها: جعفرةً فائقةٍ من رُوقة الرقيق(٥). (٢/٢٣)

(٢٠١)

قال ابن أبي سعد: ودخل نصيب على ثُمامة بعد وفاة أخيه شيبة، وهو يفرِّق خيله على الناس، فأمر له بفرس منها؛ فأبى أن يقبله؛ وبكى، ثم قال:

يا شيبةَ الخيرِ إمَّا كنتَ لي شجناً ... آليتُ بعدك لا أبكي على شجنِ
أضحتْ جيادُ أبي القعقاع مُقْسَمةً ... في الأقربين بلا منٍّ ولا ثمنِ

(١) الزعزع: الشديدة الثقيلة. (٢) يخمع: يعرج في المشي، وهو كناية عن التعثُّر.
(٣) العنَق: ضرب من السير السريع. (٤) مُسبَع: خبيث.
(٥) روقة الرقيق: جمع رائقة، أي حسان الرقيق.

ورِثْتَهم فتعزّوا عنك إذ ورِثوا وما ورِثْتُك غيرَ الهمّ والحزن

فجعل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أهله وإخوانه يبكون. وشيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهديّ. (٦/٢٣)

(٣٠٢)

قال ابن أبي سعد: لما حجّتْ أم جعفر زُبيدةُ لقيها النُّصيب، فترجّل عن فرسه، وأنشأ يقول:

سيستبشر البيتُ الحرامُ وزمزمٌ بأمّ وليِّ العهدِ زينِ المواسمِ
ويعلم مَنْ وافى المحصَّب أنها ستحمل ثقل الغُرم عن كل غارمِ
بنو هاشم زينُ البريّة كلِّها وأمُّ وليِّ العهد زينٌ لهاشمِ
سليلةُ أملاكٍ تفرّعت الذُّرى كرامٍ لأبناء الملوك الأكارمِ
فو الله ما ندري: أفضلُ حديثها عليهم به تسمو أم المُتقادمُ
يظنُّ الذي أعطتْه منها رغيبةً يقصّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

فأمرتْ له بعشْرة آلاف درهم وفرس. (١٤/٢٣)

(٣٠٣)

قال ابنُ أبي سعد: خرج المهدي يتنزه بعيسى باذ(١)، وقدم النُّصيبُ، ومعه ابنتُه حجْناء، فدخل على المهديّ، وهي معه، فأنشدته قولها فيه:

رُبَّ عيشٍ ولذةٍ ونعيمٍ وبهاءٍ بمشرقِ الميْدانِ
بسط اللهُ فيه أبهى بساطٍ من بهارٍ وزاهر الحوْذان(٢)
ثم من ناضرٍ من العُشْب الأخضرِ يزهو شقائق النُّعمانِ
مدّه الله بالتَّحاسين حتى قصرت دون طوله العينانِ
حُفِّفَتْ حافتاه حيثُ تناهى بخيامٍ في العين كالظِّلْمان(٣)
زيّنوا وسطها بطارمةٍ مثْـ ـل الثريّا يحُفُّها النَّسران(٤)

---

(١) عيسى باذ: محلّة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وباذ ممّا تستعمله الفرس ومعناه العمارة، فكأنّ معناه عمارة عيسى، ينظر معجم البلدان لياقوت (١٧٢/٤).

(٢) البهار: نبت طيّب الرائحة. والحوذان: بقلة من بقول الرياض لها نَوْر أصفر طيب الرائحة أيضاً.

(٣) الظِّلْمان: جمع الظَّليم: وهو ذكر النعام.

(٤) الطارمة: بيت من خشب.

ثم حشْوُ الخيام بيضٌ كأمثا	ل المها في صرائم الكُثْبانِ(١)
يتجاوبْنَ في غناء شجيٍّ	أسْعداني يا نخلتي حُلوانِ(٢)
فبقصر السلام من سلَّم اللهُ	وأبقى خليفةَ الرحمنِ
ولديه الغِزلانُ بل هنَّ أبهى	عنده من شوادنِ الغِزْلانِ
يا له منظراً ويومَ سرورٍ	شهدتْ لنُتيه كلُّ حَصانِ

فأمر لها المهديّ بعشرة آلاف درهم، وله بمثلها ؛ قال: ثم دخلت الحجناء على العبَّاسة بنت المهدي، فأنشدتها تقول:

أتيناكِ يا عباسةَ الخير والحيا	وقد عجفَتْ أدْمُ المهاري وكلَّتِ(٣)
وما تركتْ منا السُّنونَ بقيةً	سوى رِمَّةٍ منا من الجهد رمَّتِ
فقال لنا من ينصحُ الرأي نفسه	وقد ولَّت الأموالُ عنا فقلَّتِ
عليك ابنةَ المهديّ عُوذي ببابها	فإن محلَّ الخير في حيث حلَّتِ

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطيب. (١٥/٢٣)

(٣٠٤)

فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال: حدثّني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال: حدثني الحسين بن الضَّحاك قال: لما أُتيَ المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه:

أيبخل فردُ الحسن فردُ صفاته	عليَّ وقد أفردته بهوىً فرد!
رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده	فملَّكه والله أعلم بالعبْدِ
ألا إنما المأمون للناس عصمةٌ	مُميِّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشد

قال: فقال المأمون: أليس هو القائل:

أعينيَّ جودا وابكيا لي محمداً	ولا تذْخرا دمعاً عليه وأسْعدا
فلا فرحَ المأمونُ بالمُلك بعده	ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هيهات، وواحدةً بواحدة! ولم يصلْه بشيء. (٣٨/٢٣)

---

(١) صرائم الكثبان: جمع صريمة، وهي قطعة من الرَّمل.

(٢) حلوان: المراد بها هنا حلوان العراق، وهي في آخر السَّواد ممَّا يلي بغداد شرقاً.

(٣) عجفت: نحلت وضعفت، أدم: جمع أدماء، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً. والمهاري: النوق.

(٣٠٥)

وقال محمد بن القاسم: أملق عبدُ الله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة، وعلت سنُّه عن الخدمة، فرحل إلى أبي دلف القاسم بن عيسى، ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألفَ درهم، وعاد بها إلى بغداد، فما نفدتْ حتى مات وهي قوله:

طرقتْك صائدةُ القلوبِ ربابُ … ونأتْ فليس لها إليك مآبُ
وتصرَّمتْ منها العهودُ وغلِّقتْ … من دون نيلِ طلابها الأبوابُ
فلأصدفنَّ عن الهوى وطلابه … فالحبُّ فيه بليَّةٌ وعذابُ
وأخصُّ بالمدح المهذَّب سيِّدا … نفحاتُه للمُجْتدين رغابُ(١)
وإلى أبي دلف رحلْتُ مطيَّتي … قد شفَّها الإرقالُ والإتعابُ(٢)
تعلوبنا قُلَلَ الجبال ودونها … مما هوتْ أهويَةٌ وشعابُ
فإذا حللتَ مدى الأمير بأرضه … نلتَ المُنى وتقضَّت الآراب
مَلِكٌ تأثَّلَ عن أبيه وجدِّه … مجدًا يُقصِّرُ دونه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به … خضعت لفضلِ قديمه الأحسابُ
قومٌ علوا أملاك كلِّ قبيلة … فالناس كلُّهُمُ لهم أذنابُ
ضربَتْ عليه المكرماتُ قبابها … فعلا العمودُ وطالت الأطنابُ
عقم النساء بمثله وتعطَّلتْ … من أنْ تُضمِّنَ مثله الأصلابُ (٢٣/٤٣)

(٣٠٦)

أخبرني الصُّوليّ قال: حدَّثني أحمد بن محمد الطالقانيّ قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: لمَّا وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة، اقترضَ من مياسير التُّجَّار مالا، فأخذ من جدِّي عبد الملك عشرة آلاف درهم، وقال له: أنا أردُّها إذا جاءني مال، ولم يتم أمرُه فاستخفى، ثم ظهر ورضي عنه المأمونُ، فطالبه الناسُ بأموالهم، فقال: إنما أخذتُها للمُسلمين، وأردتُ قضاءها من فيئهم، والأمرُ الآن إلى غيري، فعمل أبي محمدُ بنُ عبد الملك قصيدةً يخاطبُ فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي، فأقرأه أياها وقال: والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأمون، فخاف أن يقرأها المأمون، فيتدبَّر ما قاله، فيُوقع به، فقال له: خذ مني بعضَ المال، ونجِّم عليَّ بعضه(٣)، ففعل أبي ذلك بعد أن حلَّفه

(١) رغاب: جمع رغيبة. بمعنى واسعة. (٢) الإرقال: الإسراع.

(٣) نَجِّم: خذه منجَّماً أي على دُفعات.

إبراهيمُ بتوكد الأيمان ألاّ يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفّى له أبي بذلك، ووفّى إبراهيم بأداء المال كله والقصيدة قوله:

ألم ترَ أن الشيء للشيء علّةٌ ... تكونُ له كالنار تُقدح بالزَّند
كذلك جرّبْتُ الأمورَ وإنما ... يدلّك ما قد كان قبلُ على البعْد
وظنّي بإبراهيم أنّ مكانه ... سيُبْعث يوماً مثلَ أيامه النُّكْدِ(١)
رأيت حُسيْناً حين صار محمد ... بغير أمان في يديه ولا عقد
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربة ... فصيّره بالقاع مُنْعفِر الخدِّ
إذا لم تكنْ للجند فيه بقيّةٌ ... فقد كان ما خُبِرتُ من خبرِ الجُنْد
هُمُ قتلوه بعد أن قتلوا له ... ثلاثين ألفاً من كهول ومن مُرْدِ
وما نصروه عن يدٍ سلفتْ له ... ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد
ولكنه الغدرُ الصُّراح وخِفّةُ الـ ... ـحلوم وبعدُ الرأي عن سنَنِ القصد
فذلك يوم كان للناس عبرةً ... سيبقى بقاءَ الوحْي في الحَجَر الصلْد(٢)
وما يوم إبراهيم إن طال عمرُهُ ... بأبعد في المكروه من يومه عندي
تذكّر أميرَ المؤمنين مقامه ... وأيمانه في الهزلِ منه وفي الجدّ
أما والذي أمسيتَ عبداً خليفةً ... له شرُّ أيمان الخليفة والعبد
إذا هزَّ أعوادَ المنابر باستِهِ ... تغنّى بليلى أو بميّةَ أو هِنْد
فوالله ما من توبةٍ نزعتْ به ... إليك ولا ميلٍ إليك ولا ودّ
ولكنْ إخلاصَ الضمير مقرّبٌ ... إلى الله زُلفى لا تخيبُ ولا تُكدي
أتاكَ بها طوعاً إليكَ بأنفه ... على رغمه واستأثر اللهُ بالحمْد
فلا تتركنْ للناس موضعَ شُبهة ... فإنك مجْزيٌ بحسْب الذي تُسدي
فقد غلِطوا للناس في نصْب مثله ... ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المهدي
فكيف بمن قد بايع الناسَ والتقتْ ... ببيعته الركبانُ غوْرا إلى نجد
ومن سكّ تسليمُ الخلافة سمْعَهُ ... ينادي به بين السِّماطين من بُعْد
وأي امرئٍ سمّى بها قطُّ نفسه ... ففارقها حتى يُغيَّبَ في اللَّحد
وتزعمُ هذي النابتيّة أنّه ... إمامٌ لها فيما تُسرُّ وما تُبدي(٣)

---

(١) النُّكْد: جمع أنكد، أي المشؤومة. (٢) الوحي: الكتابة.

(٣) النابتية: أو النوابت، طائفة من الحشوية أحدثوا بدعاً في الإسلام.

يقولون سُنِّيٌّ وأيَّةُ سُنَّةٍ تقومُ بجوْن اللون صعْل القفا جعْد(١)
وقد جعلوا رُخص الطعام بعهده زعيماً له باليُمنِ والكوكب السَّعْد
إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتهم يحنُّون تحناناً إلى ذلك العهد
وإقباله في العيد يوجف حوله وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْد(٢)
ورجَّالة يمشون بالبيضِ قبله وقد تبعوه بالقضيب وبالبُرْد
فإن قلتَ قد رام الخلافةَ غيرُهُ فلم يؤتَ فيما كان حاول من جدِّ
فلمْ أجزه إذ خيَّبَ اللهُ سعيه على خطأ إذ كان منه ولا عمد
ولم أرضَ بعد العفوِ حتَّى رفعته وللعمِّ أولى بالتَّعهُّد والرِّفْد
فليس سواءً خارجيٌّ رمى به إليكَ سفاهُ الرأي والرأيُ قد يُردي
تعاوتْ له من كلِّ أوْبٍ عصابةٌ متى يُوردُوا لا يُصدروه عن الوِرْد
ومن هو في بيتِ الخلافة تلْتقي به وبك الآباء في ذروة المجد
فمولاكَ مولاه وجندُك جندُه وهل يجمع القينُ الحُسامين في غمْد؟
وقد رابني من أهل بيتك أنَّني رأيتُ لهم وجداً به أيَّما وجد
يقولون لا تبعد من ابن مُلمَّةٍ صبورٍ عليها النفسَ ذي مرَّة جلْدِ
فدانا وهانتْ نفسُه دونَ ملكنا عليه لذي الحال التي قلَّ من يفْدي
على حين أعطى الناسَ صفْقَ أكفِّهم عليُّ بنُ موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبى الضَّيْم غيرُه كريمٌ كفى ما في القبول وفي الرَّدِّ
وجرَّد إبراهيمُ للموتِ نفسه وأبدى سلاحاً فوق ذي ميعةٍ نَهْد(٣)
وأبلى ومن يبلغْ من الأمر جُهده فليس بمذمومٍ وإن كان لم يُجْد
فهذي أمورٌ قد يخافُ ذوُو النهى مغبَّتها واللهُ يهديكَ للرشد (٤٨/٢٣)

(٣٠٧)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرِّد، قال: حدثني الحسن بن رجاء، قال: قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصِّلْح(٤)، وامتدحه

(١) الجون: الأبيض والأسود، صعل القفا: كناية عن لؤم الحسب، وجعد: بخيل.
(٢) يوجف: يسرع، اصطفاق: اهتزاز. (٣) ذو ميعة: أول جري الفرس ونشاطه، ونهد: جسيم مشرف.
(٤) فمُ الصِّلْح: قال ياقوت (٢٧٦/٤): «هو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبُّل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ... وهو الآن خراب إلاّ قليلاً».

بقصيدته التي أولها:

كأنَّها حين تناءى خطوُهُ ... أخْنس موْشيُّ الشوى يرعى القُلَلْ(١)

وقال فيها:

إلى الأمير الحسن استنجدْتها ... أيَّ مرادٍ ومناخٍ ومحلْ

سيف أمير المؤمنين المنتضى ... وحصن ذي الرياستين المُقْتبلْ

آباؤك الغُرُّ الألى جدُّهُمُ ... كِسرى أنو شروان والناس هملْ

من كلِّ ذي تاجٍ إذا قال مضى ... كلُّ الذي قال وإن همَّ فعل

فأيْنَ لا أيْنَ وأنَّى مِثْلُكُمْ ... أنتم الأملاك والناس خول(٢)

فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٢٣/٧٠)

(٣٠٨)

أخبرني عمي: قال: حدثنا الحسين بن عُليل العنزيّ: قال: حدثني أحمد بن مهران مولى البرامكة: قال: شكا مروانُ بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تغيُّر الرشيد عليه وإمساكَ يده عنه، فقال له: ويحك! أتشكو الرشيدَ بعد ما أعطاكَ؟ قال: أوَتعجبُ من ذلك؟ هذا أبان اللاحقيّ، قد أخذ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثْلَ ما أخذته من الرشيد في دهري كلِّه، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها، وكان أبان نقل للبرامكة كتابَ كليلة ودمنة، فجعله شعراً، ليسهل حفظُه عليهم، وهو معروف، أوله:

هذا كتابُ أدبٍ ومحنهْ ... وهو الذي يُدعى كليلة دمنهْ

فيه احتيالاتٌ وفيه رُشْدُ ... وهو كتابٌ وضعتْه الهِندُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار، ولم يعطه جعفر شيئاً، وقال: ألا يكفيك أن أحفظه فأكونَ راويتك؟ (٢٣/١٥٥)

(٣٠٩)

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمِّي قال: حدثنا الحسن بن عُلْيل العنزيّ قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبديّ قال: دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله:

سلام على جُمْلٍ وهيهات من جُملِ ... ويا حبَّذا جملٌ وإن صرمت حبْلي

وهي من مشهور شعره، وفيها يقول:

---

(١) الأخنس: ذكر البقر الوحشي، وموشيّ الشوى: منقوش الأطراف. القلل: قمم الجبال وأعاليه.

(٢) الخول: الخدم والحشم.

أبوكـم عليٌّ كـان أفضـل منكُـم	أباه ذوُو الشورى وكانوا ذوي عدلِ[1]
وسـاءَ رسـولَ الله إذ سـاء بنتـه	بـخطْبتـه بنتَ اللعينِ أبي جـهـل
أراد علـى بنـت النبيِّ تزوُّجـاً	ببنت عـدو الله، يا لك من فِعْلِ!
فذمّ رسـولُ اللـه صهرَ أبيكُـم	على منبر الإسلام بالمنطق الفصلِ
وحكّم فـيـهـا حـاكـمـيْنِ أبوكُمُ	همـا خلعـاه خلعَ ذي النَّعل للنَّعل
وقـد باعـهـا من بعـده الحسنُ ابنُه	فـقد أبطلا دعواكمـا الرِّثَّةَ الحبلِ
وخلَّيتُمـوهـا وهْـيَ في غير أهلهـا	وطالبتُمُوها حيث صارتْ إلى الأهل

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم. (٢٠٦/٢٣)

(٣١٠)

وقال محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني أبو هاشم الجُبّائي، قال: دخل أبو السِّمط على المتوكل فأنشده قوله:

الصِّهـرُ ليـس بـوارثٍ	والبنت لا ترِثُ الإمـامـهْ
لـو كـان حقكُـم لهـمْ	قامت على الناس القيامهْ
أصـبـحـت بين مُـحـبِّكُـمْ	والمبـغـضين لكم عـلامـهْ

فحشا المتوكِّلُ فمه بجوهر لا يُدْرى ما قيمته. (٢٠٧/٢٣)

(٣١١)

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثنا حمّاد بن أحمد البنيّ قال: أخبرني أبو السِّمط مروان بن أبي الجنوب قال: لما صرتُ إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته ذلك في قولي:

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ	وياحبذا نجـدٌ على النَّأيِ والبـعـدِ
نظـرتُ إلى نجـدٍ وبغـدادُ دونهـا	لعلّي أرى نجداً وهيـهاتَ من نجدِ!
بلادٌ بهـا قــوم هـواهُـمْ زيـارتي	ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلما استتممتُها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه. (٢٠٨/٢٣)

---

(١) أباه: رفضه، يشير إلى ما عهد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الشورى كي يختاروا خليفة من بينهم.

(٣١٢)

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا، منهم محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرد، والحسن بن عليٍّ قالا: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثني القاسم بن محمد الكاتب قال: حدثني المرزبان بن الفرزوان حاجب المنتصر قال: إن مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السِّمط استأذن على المنتصر لمّا ولي الخلافة، فقال: والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية، أليس هو القائل:

وحكّم فيها حاكمين أبوكُم   هما خلعاه خلْع ذي النّعْلِ للنّعْلِ

قولوا له: والله لا وصلتَ إليّ أبداً، فلما بلغه هذا القول عمِل هذا الشّعر:

لقد طال عهدي بالإمام محمد   وما كنتُ أخْشى أن يطول به عهْدي

وذكر الأبيات كلها(١). (٢١١/٢٣)

(٣١٣)

حدّثنا محمدُ بنُ يحيى قال: حدّثنا الحسنُ، قال: حدثنا العنزيّ، قال: قدم عُمارةُ البصرةَ أيّام الواثق، فأتاهُ علماء البصْرة وأنا معهم وكُنتُ غلاماً فأنشدهم قصيدةً يمدحُ فيها الواثق فلمّا بلغ إلى قوله:

وبقيتُ في السّبعين أنهضُ صاعداً   فمضـى لداتي كلُّهم فتشعّبُوا

بكى على ما مضى من عُمْره، فقالوا له: أملها علينا، قال: لا أفعلُ حتى أنشدها أمير المؤمنين، فإني مدحتُ رجلاً مرّةً بقصيدة فكتبها منّي رجل ثم سبقني بها إليه، ثم خرج إلى الواثق فلما قدم أتوه وأنا معهمْ فأملاها عليهم.

ثم حدثّهم فقال: أدخلني إسحاقُ بنُ إبراهيم على الواثق، فأمرلي بخلْعةٍ وجائزة، فجاءني بهما خادمٌ، فقلتُ: قد بقي من خِلْعتي شيءٌ قال: وما بقي؟ قلت: خلع عليّ المأمون خلعةً وسيفاً. فرجع إلى الواثق فأخبره، فأمره بإدْخالي، فقال: يا عُمارة، ما تصنْع بسيْف؟ أتريدُ أن تقْتل به بقيّةَ الأعراب الذين قتلْتهم بمقالك؟ قلتُ: لا والله يا أمير المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي

---

(١) يتتبّع مروان الأصغر نهج مروان الأكبر في تثبيت الخلافة للعباسيين عن طريق الشرْع، من خلال استشهاده بآيات من القرآن الكريم، أو الحوادث التاريخية، وقد رأينا إعجاب المتوكّل خصوصاً بهذا النهج، وإغداقه المال الوفير عليه، وفي المقابل نرى المنتَصر يستهجن قوله الذي تجاوز فيه المقدار، فيبعده، ويمنع عنه النوال.

باليمامة، ربما خانني فيه فلعلي أجرِّبه عليه، فضحك وقال: ونأمرُ لك به قاطعاً، فدفع إليَّ سيفاً من سيُوفه. (٢٥٢/٢٤)

(٣١٤)

أخبرنا الصُّوليُّ قال: حدثني يزيدُ بن محمد المهلّبي قال: حدثني النَّخعيَّ قال: لما قدم عُمارةُ إلى بغداد قال لي: كلِّم لي المأمون ـ وكان النَّخْعيُّ من ندماء المأمون ـ قال: فما زِلتُ أكلِّمُه حتى أوصلتُه إليه، فأنشده هذه القصيدة:

حتَّام قلبُك بالحسانِ مُوكَّلُ ... كلِفٌ بهنَّ ومنّ عنه ذُهَّلُ؟

فلما فرغ قال لي: يا نخعيّ، ما أدري أكثر ما قال إلا أن أقيسه، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم. (٢٥٣/٢٤)

(٣١٥)

قال العنزيّ: وحدثني أبو الأشهب الأسديّ من ولد بِشْر بن أبي خازم قال: لمَّا أنشد فروة بنُ حميصة قولَ عُمارة فيه:

ما في السَّوية أن تجرَّ عليهمُ ... وتكون يوم الرَّوع أوَّل صادر

قال: والله ما قتلني إلا هذا البيت.

فلمَّا تكاثرت عليه الخيْلُ يوم قُتِل قيل له: انجُ بنفسِك، قال: كلاَّ والله، لا حقَّقتُ قولَ عُمارة، فصبر حتى قُتِل. (٢٥٦/٢٤)

الأغراض الشعرية

تشكّل الأغراضُ الشعرية، من نسيب، ومدح، وهجاء ووصف، التقسيمَ الطبيعي للشعر العربي، أو الأركان التي قام عليها هذا الشعر، على حدِّ قول ابن رشيق، (ينظر العمدة، ١/١٢٠)، ولذلك نرى النقد يوليها اهتماماً كبيراً، ويُعنى بتفصيلاتها الدقيقة، ويوجِّه عنايته إلى أخصِّ مسائلها، ويكاد يكون كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر ـ على سبيل المثال ـ حديثاً مطوَّلاً عن هذه الأغراض، من حيث المعاني المطلوبة في كلِّ غرض من جهة، والمعاني غير المستحسنة في الغرض نفسه من جهة أخرى، مع عناية بالألفاظ التي تتلاءم مع هذا الغرض، ولا تنسجم مع آخر، مع الإشارة إلى أنّه صدر عن فَهْم خاص للألفاظ يجعلها تبدو، وكأنّها مستقلّة، بدون النظر إلى ظلالها، وإيحاءاتها من خلال السِّياق كلِّه، ونشير كذلك إلى قصيدتي. أبي العبّاس الناشي»، اللتين حفظهما ابن رشيق في العمدة (٢/١١٣ ـ ١١٦)، وضمَّنهما الكثير من الإشارات عن الأغراض الشعرية، ممّا نجد له صدى واسعاً، وتشابهاً كبيراً مع نصوص الأغاني حول هذه القضية.

وقد حفظ الأغاني بين دفّتيه نصوصاً كثيرة متعلّقة بالأغراض الشعرية، وهي التي سنراها بعد قليل، ولعلَّ هذا يشير إلى اعتناء أبي الفرج بهذه القضية، وإيمانه بمدى أهمّيتها لدراسة تطوّر الأدب العربي، ونقده.

ومن الممكن تقسيم نصوص هذه القضية إلى قسمين كبيرين: نظري، وتطبيقي.

ويراد بالقسم النظري تلك النصوص التي تحدَّثت عن غرض واحد، أو أغراض مجتمعة، من حيث خصائص الغرض، وبلوغ المثل فيه، أو التّنبيه على النُّقص الذي دخله بسبب استخدام الشاعر لمعنى معيّن، أو لفظ بذاته، ويضمّ هذا القسم كذلك، آراء المعالجين للشعر، الدارسين له من خلفاء، وقادة وشعراء، وعلماء، وغيرهم، حين يجعلون من شاعر ما أغزل الشعراء، أو أمدحهم، أو أوصفهم، أو أنعتهم للخمر .. وهكذا، وهذه الآراء في مجملها تأثّرية، قصيرة، ولكنَّ بعضها لا يخلو من وقفة، وتحليل، وتعليل، وهي تشير إلى خبرة أولئك (النّقاد) بحركة الشعر حولهم، ورصدهم تميّز هذا الشاعر أو ذاك بغرض معيّن أهّله لنيل ذلك اللقب.

ويتعلّق القسم التطبيقي بالتوقّف عند بيت أو أبيات يستحسنها مَنْ ذكرناهم سابقاً، ويحكمون على صاحبها بعد هذا بتفوّقه في الغرض الذي قيل فيه الشعر، أو يذهبون إلى فشله،

وعدم قدرته على إيفاء الغرض حقَّه، وغالباً ما يُتْرك الحكم بلا تعليل، ولكنّنا لا نعدم في بعض النصوص مَنْ يعلّل لرأيه، ويذكر أسباباً وجيهة للتقديم، أو للتأخير. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنَّ نصوص هذا القسم أكثر من نصوص القسم الأول، وهو ما ينسجم عموماً مع مَيْل النقد العربي إلى الجانب التطبيقي، وقلّة الجانب النظري فيه.

ولعلّنا نستطيع ـ بعد الذي تقدَّم ـ أن نرصد السمات العامة التي انتظمتِ النصوصَ بقسميها، مستفيدين من التوقّف عند أهمِّ الأغراض التي عالجتها هذه النصوص، مستعينين بالنقاط الآتية:

ـ احتفظ الشعراء بنسق القصيدة العربية المعروف، من حيث ترتيب الأغراض: النسيب، وصف الرحلة والراحلة، التخلّص إلى المديح، ونرى الكثرة من الدارسين، والمتذوِّقين، تحثّ على الالتزام بهذا النمط، ويأخذ به الشعراء أيضاً، حتى أنَّنا نجد بعض الشعراء حين يمدح بثلاثة أبيات، أو أربعة، وتصل أبياته إلى الممدوح يُصرُّ على إضافة أبيات في النسيب يجعلها مُفْتَتَحاً لقصيدته قبل أن تذاع، وتنشر، وهذا يذكِّرنا بمذهب ابن قتيبة المشهور الذي رأى أنَّ المُجيد من الشعراء مَنْ سلك هذه الأساليب، وعدَّل بين الأقسام. (ينظر الشعر والشعراء ١/٧٦).

اقتصر بعض الشعراء، وخاصةً في العصر الأموي على غرض النسيب، ولم يقولوا في سواه، مثل عمر بن أبي ربيعة، وجميل، وقد تنبّه الدارسون، والمتذوِّقون إلى هذا الأمر، وعدّوه فضيلة، وفتحاً جديداً في الشعر، خاصة حين بدأ عمر ينهج في الغزل نهجاً لم يكن معهوداً من قبل، وهو أن يكون الرجل مطلوباً، والمرأة طالبة، وقد نُبِّه إلى هذا الأمر، وعدّه بعضهم من عادات العجم، ولكنّه ظلَّ مُصرّاً عليه، ولذلك قُدِّم أولئك الشعراء الذين اقتصروا على غرض واحد هو النسيب، وكثيراً ما وُصِفوا بأنّهم أغزل الشعراء، أو أنسبهم.

وممّا يتعلّق بهذا الغرض، تلك التفرقة بين صدق النسيب، وكذبه، وكان المقياس فيها التجربة، والحياة، فبينما عُدَّ جميل صادقاً في نسيبه، اعتُبر كثيِّر متصنِّعاً للعشق، واصفاً إيّاه من الخارج فحسب، وهو مقياس يقوم على المعرفة الدقيقة بحياة الشعراء، وطرق معيشتهم، وسلوكهم.

ـ التفت بعض الدارسين، والعلماء إلى أنَّ بعض الشعراء يبدعون في غرض ما، كالوصف مثلاً، بسبب اقترابهم الشديد ممّا يصفون، فكأنّهم ينقلون ما يرونه إلى الشعر، ولكنّهم أشاروا أيضاً إلى أنَّ الشاعر ربّما يصف ما لم يره، بل يعتمد في وصفه على تراث شعري سابق،

يستفيد منه، وينهل من معينه، وتعمل موهبته بعد ذلك عملها، في تشقيق المعاني، أو توليدها، وهي إشارات مهمّة تبيّن مصدرين من مصادر الإبداع: التجربة، والثقافة.

- أصبحت الأغراض الشعرية، وخاصة المديح، والهجاء مقياساً يكاد يكون وحيداً، لِتقدُّم الشاعر، أو تأخُّره، وقد رأينا هذا، بوضوح في العصر الأموي، إذ أصبح الشاعر الذي يبتعد عنهما شاعراً متأخراً، لا قيمة لشعره، حتّى ولو كان عاليَ الجودة، رفيع الفنّ، والعكس صحيح، فَمَن أخذ بهذين الغرضين، وجوَّد فيهما. قُدِّم على أقرانه، ولو لم يكن له في غيرهما شيء يُذكر، ولا ريب في أنَّ قيم العصر، وأعرافه أثَّرت تأثيراً كبيراً في هذه النظرة من حيث إنماؤها، وتعميقها. ولابدَّ لنا من أن نشير إلى أنَّ كثرة الأغراض التي يقول فيها الشاعر تُعدُّ مقياساً للتقدّم أيضاً، ولكنَّ المقياس السابق كان هو الراجح، والمعوَّل عليه.

- تغيَّرت وجهة الهجاء، ومعانيه بتغيّر العصر، فقبل الإسلام كان الهجاء يقوم على سَلْب المكارم، وإلصاق المعايب، أمّا بعد الإسلام فقد أصبح الكفر، والشرك، والنفاق من أشدِّ المعايب التي تُلصق بالفرد، وسنرى أنَّ كثيراً من المشركين كان يؤذيهم النمط الأول، وصار النمط الثاني بعد إسلامهم، هو المؤذي المؤلم.

- وتقودنا النقطة السابقة إلى أخرى جوهرية، وهي ضرورة وجود مادّة للهجاء، فهو لا يقوم بالشتم، والسباب، فهذا طريق يسلكه الضعفة من الشعراء، فللهجاء أسلوبه الخاص، ومسلكه الدقيق، وبدأنا نرى منذ العصر الإسلامي قوّة هذا الاتجاه، فالرسول صلّى الله عليه وسلّم يرسل حسّان بن ثابت إلى أبي بكر رضي الله عنه لكي يعلّمه المثالب والأنساب، وجرير لم يجد في كثير من الشعراء الذين تركهم شيئاً يهجوهم به. وكذلك بشّار، وغيرهم كثير، فكأنَّ الشاعر لا يلتفت إلى جميع مَنْ يتعرَّضون له، بل ينتقي، ويختار لكي يستطيع القول، وإلى هذا أشار الناشئ في قصيدته حين قال:

وإذا مـــا قرضتُه بهجاءٍ   عُفْتُ فيه مذاهب المر فثينا
فجعلتُ التُّصريح منه دواءً   وجعلتُ التعريض داءً دفينا

فهنا مكمن الهجاء الحقيقي، اللفظ العفيف، مع التعريض المؤلم، ولا يقدر على هذا النمط سوى القلّة من الشعراء.

- وممّا ينضوي تحت غرض الهجاء، فقد رصدت النصوصُ ظاهرة لم تكن موجودة قبل العصر العباسي، وانتشرت فيه، وهي الهجاء لكسب النوال، وكنّا قد رأينا في القضية السابقة أنَّ الشعراء كانوا يمدحون لكي ينالوا، بينما نراهم هنا يهجون لكي ينالوا، فقد تردّدت مقولة

بينهم مفادها إنَّ الهجاء ممسكٌ بالشاعر، أخذٌ عليه طُرقه، وهو أجدى عليه من المديح المُذَّل، المضرع، فهو يهجو شخصاً ما لكي يتَّقيه الآخرون، فيعطوه لكي يسكت، وهي ظاهرة خطيرة من حيث انتقاد الهجاء للسبب الذي يقال فيه، فبعد أن كان التنازع بين القبائل، أو الإحن الشخصية من أسباب الهجاء، لم يَعُدْ له من سببٍ هنا سوى أخذ المال، وإرهاب الآخرين ممَّن لم يصلهم الهجاء بعد، كي يعطوا الشاعر فيسكت.

ـ توسَّعت مجالات المديح فاتَّخذ مناحي جديدة، وأساليب لم تكن معروفة، ففي العصر الأموي كان المدح بالصفات النفسية هو المفضَّل، مع تحبيذ الابتعاد عن الصفات الجسدية، وقد نوقشت هذه القضية ـ فيما بعد ـ في كتب النقد المتخصِّصة مثل نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني، وكان الوصف مقتصداً، والمعاني مقبولة، ولكنَّنا نقابل في العصر العباسي لوناً جديداً من المديح، ذلك الذي يقوم على تثبيت حقّ العباسيين في الخلافة بالاعتماد على القرآن الكريم، والسَّنة النبوية، وهجاء الخصوم من العلويين في الوقت نفسه، مع الإشارة إلى إفراط الشعراء في أوصافهم، وتجاوزهم الحدُّ المقبول، ممَّا دعا الخلفاء، في كثير من الأحيان ـ وهم الممدوحون ـ إلى تنبيه الشعراء إلى هذا الإفراط، وتوجيه اللوم الشديد لهم.

ـ نبَّهت النصوص إلى أمر داخل في غرض المديح، وهو إنَّ النوال ينبغي أن يسبق المديح، وعلى قدر هذا النوال يكون المديح، فكأنَّ المال أصبح دافعاً مهماً للمديح، وبغيره ينتفي كلِّياً، وإن قلَّ تقلَّ جودة المديح بدورها. ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ نصوصاً أخرى قد نبَّهت إلى أمر قد يكون مغايراً للسابق، وهو إنَّ المديح يكون على أقدار الرجال، فارتفاع هذه الأقدار يؤدي إلى جودة المديح، وارتفاعه، والعكس صحيح، وهذا يتوازن مع ما سبق، ويُدخل الشاعر في نطاق الاعتدال، والابتعاد عن الغلوّ، خاصة أنَّنا سنرى بعض الشعراء وهم يواجهون ممدوحيهم بانخفاض أقدارهم أو أنسابهم، حين يعلِّلون تدنِّي قصيدة المديح عندهم.

ـ تقابلنا في هذه القضيَّة آراء خاصة بأبي الفرج في بعض الشعراء، أو في مجموعة من الأبيات، وهي أكثر ممَّا وجدناه في القضية السابقة، وقد ذكرنا هناك أنَّ آراء أبي الفرج سوف تغزر، وتكثر كلَّما أوغلنا في صلب القضايا النقدية حيث نراه ذا ذوق متميِّز، وبَصَر بالشعر عميق.

العصر الجاهلي

(١)

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجمِّعي قال:

قال حسَّان بن ثابت للخنساء: اهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه(١). قال: فجاءته يوماً فوجدته في مشْرقة(٢) ملتفّاً في كساء له، فنخسته برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبِرْ، فأدبر، ثم قالت: أقبِلْ، فأقبل: قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً(٣). (٩/٣)

(٢)

قال أبو عمرو: قال حسان بن ثابت: قدمتُ على عمرو بن الحارث فاعتاصَ(٤) الوصولُ عليَّ إليه، فقلتُ للحاجب بعد مدَّة: إنْ أذنتَ لي عليه وإلا هجوتُ اليمن كلَّها ثم انقلبتُ عنكم. فأذِن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه، وعلقمة بن عبدة وهو جالسٌ عن يساره، فقال لي: يا ابن الفُريعة، قد عرفت عيصك(٥) ونسبك في غسَّان فارجعْ فإنِّي باعثٌ إليك بصلة سنيَّة، ولا أحتاجُ إلى الشعر، فإنِّي أخاف عليك هذين السَّبُعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحاك، وفضيحتُك فضيحتي، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول:

رِقاقَ النِّعال طيِّبٌ حجزاتهم يُحيُّون بالريحانِ يوم السَّباسب(٦)

---

(١) تُرسي الخنساء مذهباً في الهجاء. لا يقوم على قَدْح الأنساب، وثَلْب المكارم وحدها، بل يُقرن بهذا كلّه التغلغل إلى الصفات الشخصية أيضاً، ولا يتحقّق هذا الأمر بغير المشاهدة.

(٢) المشرقة: موضع القعود في الشمس بالشتاء.

(٣) وُصف قيس بن الخطيم بجمال الوجه واعتدال الخلقة، فكأنَّ الخنساء لم تجد مطعناً عليه، فعدلت عن هجائه.

(٤) اعتاص: صعب. (٥) العِيص: الأصل. (٦) رقاق النِّعال: كناية عن غناهم ونعومتهم، وحجزاتهم: =

مفردها حُجْزة: وهي موضع شدّ الإزار من الوسط، وهي كناية عن العفّة والشرف، والسُّباسب: هي أيام السَّعانين، وهو عيد للنصارى، وأورد صاحب اللسان هذا البيت في (١/ ٤٦٠)، وقال: أراد بالسُّباسب عيداً لهم.

فأبيتُ وقلت: لا بدَّ منه. فقال: ذاك إلى عمِّك. فقلت لهما: بحقِّ الملك إلاّ قدَّمتماني عليكما. فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفُريعة. فأنشأت:

أسألتَ رسم الدارِ أم لمْ تسألِ بين الجوابي فالبُضَيع فحوملِ(١)

فقال: فلم يزل عمر بن الحارث يزْحل(٢) عن موضعه سُروراً حتى شاطر البيت وهو يقول: هذا وأبيك الشعْرُ، لا ما تُعلِّلاني به منذُ اليوم! هذه والله البتَّارة التي قد بترت المدائح(٣)، أحسنت يا ابن الفريعة، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة وهي التي في كلّ دينار عشرةُ دنانير. فأعطيتُ ذلك ثم قال: لك عليَّ في كلّ سنةٍ مثلُها. (١٥/ ١٥٨)

(٣)

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة. ويقال لعلقمة بن عبدة علْقمة الفحل، سُمِّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه(٤)، فطلّقها، فخالفه عليها، وما زالت العرب تسميه بذلك، وقال الفرزدق:

والفحلُ علقمةُ الذي كانت له حُلَلُ الملوك كلامُه يُنتحلُ(٥) (٢١/ ٢٠٠)

(٤)

... وعتيبة بن مرداس كان لقبه ابن فَسوة .. وهُجي بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

---

(١) في الديوان «الجوابي» أراد جابية الجولان، والجولان ما بين دمشق إلى الأردن، والبُضيع: جبل بالشام أسود.

(٢) يزحل: يتنحّى ويتباعد.

(٣) ظلّتْ هذه القصيدة مدار إعجاب الدارسين والنقّاد حتى اليوم، ولعلّ هذا الحكم هو الأوّل عليها. ولكنّه ظلّ سارياً، شائعاً بين الناس، وقد أبدع حسّان فيها أيّما إبداع، ومدّ قصيدة المدح بروح جديدة من خلال أوصافه المتميّزة فيها.

(٤) يلاحظ الدّقة في التقديم، إذ فُضّل بصفة الفرس في الخبر المشهور وسيأتي.

(٥) يُنتحل: يدّعيه الشعراء لأنفسهم من بلاغته.

أودى ابن فسوة إلا نعته الإبلا

.. وإنما قال(ذلك) لأنه كان أوصف الناس لها. وأغراهم بوصفها، ليس له كبير شعر إلا وهو مضمّن وصفها(١). (٢٢/٢٢٧)

(١) أصبح الغرض علماً على صاحبه، فتراه مولعاً بوصف الإبل، ذاكراً لها، فلم يروا سوى أن يقرنوه بها.

العصر الإسلامي

(١)

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة: كان الحطيئة بذيّاً هجّاءً، فالتمسَ ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول:

أبتْ شفتاي اليومَ إلا تكلُّماً   بشرٍّ فما أدْري لمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ(١) هذا البيتَ في أشْداقِه ولا يرى إنساناً، إذ اطّلع في ركيٍّ(٢) أو حوض فرأى وجهه فقال:

أرى لي وجهاً شَوَّهَ الله خَلْقَه   فقُبِّح من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ(٣)   (١٦٣/٢)

(٢)

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني محمد بن الضُّحاك قال: أنشد الحطيئةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال:

مهاريسُ يُرْوِي رِسْلُها ضيفَ أهلها   إذا الريحُ أبدتْ أوجُهَ الجفرات(٤)
يُزيلُ القتادَ جذبُها بأصولِه   إذا أصبحتْ مُقْورَّةً خرصاتِ(٥)

(١٦٦/٢)

---

(١) يدهور: يردِّد.

٢) الركيّ: البئر.

(٣) للحطيئة باع طويل في الهجاء، عمّ أقواماً كثيرين، ووصل إلى قومه ونفسه، وأوجد بذلك طريقاً في ذلك الغرض قلَّ المرتادون له.

(٤) المهاريس من الإبل: التي تقضم العيدان إذا قلّ الكلا وأجدبت البلاد، كأنّها تهرسها بأفواهها أي تدقّها، ورِسلها: لبنها.

(٥) المقورّة: المهازيل، والخرصة: الجائعة المقرورة.

(٣)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن مُعاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشَّعْبيّ قال: شهدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثة التّيْميّ، فقال: إنه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال قال:

وكيف أرجّي ثروها ونماءها ... وقد سار فيها خُصْيَةُ الكلبِ عامرُ

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلت؟

قال قلت: وإنّي لأرجو ثروها ونماءَها ... وقد سار فيها ناجذُ الحقّ عامرُ

قال زيادٌ: قاتل الله الشاعر، ينقلُ لسانه كيف شاء، والله لولا أن تكون سُنّة لقطعتُ لسانك! فقام قيْس بن فهْد الأنصاريّ فقال: أصلح الله الأمير، ما أدْري مَن الرجلُ، فإن شئتَ حدّثتُك عن عمر بما سمعتُ منه - قال: وكان زيادٌ يعجبه الحديثُ عن عمر رضي الله عنه - قال: هاتِه، قال شهدتُه وأتاه الزِّبرقان بن بدر بالحُطيئة فقال: إنه هجاني؛ قال وما قال لك؟ قال لي:

دعِ المكارم لا ترحلْ لبُغيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ؛ فقال الزبرقان: أو ما تبلُغ مروءتي إلاّ أن آكُلَ وألبَس! فقال عمر: عليّ بحسان؛ فجيء به فسأله؛ فقال: لم يهْجُه ولكن سلحَ عليه - قال ويقال: إنه سأل لبيداً(١) عن ذلك فقال: ما يسرُّني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حُمُرَ النَّعم - فأمر به عُمر فجُعِلَ في نقيرٍ(٢) في بئر ثم ألقي عليه شيء، فقال:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ ... زُغْبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ(٣)
ألقيتَ كاسبهم في قعر مُظْلمةٍ ... فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي من بعدِ صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النُّهى البشرُ
لم يُؤْثروكَ بها إذ قدّموك لها ... لكن لأنفسهم كانتْ بكَ الأثرُ(٤)

---

(١) كان عمر رضي الله عنه خبيراً بمسالك الشعر، ودروب الهجاء، ولكنّه آثر أن يقوّي الحجة فسأل شاعراً آخر، وطلب رأيه، وإلاّ فهو متيقّن أنّه هجاه، وأوجع في هجائه.

(٢) النقير: ما نُقر من حجر أو خشب ونحوهما.

(٣) ذو مَرَخ: وادٍ بالحجاز، وزُغْب: مفردها أزغب وهو الفرخ يعلوه ريش دقيق ليّن، والحواصل: جمع حوصلة وهي في الطائر بمنزلة المعدة في الإنسان، وكنّى بزغب الحواصل عن الأطفال الصغار الضعاف.

(٤) الأثر: جمع أثرة وهي المكرمة.

فأخرجه وقال له: إيّاك وهجاء الناس؛ قال: إذاً يموت عيالي جوعاً، هذا مكسبي ومنه معاشي؛ قال: فإياك والمُقذِعَ من القول؛ قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خيْرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان(١)؛ قال: فأنت والله أهْجى منّي. ثم قال: والله لولا أن تكون سُنّةٌ لقطعتُ لسانك، ولكن اذهبْ فأنت له، خُذْه يا زبرْقان؛ فألقى الزبرقانُ في عنقه عمامةً فاقتاده بها؛ وعارضته غطفانُ فقالوا له: يا أبا شذْرة، إخوتُك وبنو عمك، هبْه لنا؛ فوهبه لهم. فقال زيادٌ لعامر بن مسْعود: قد سمعت ما رُوي عن عمر، وإنما هي السُّنَن، فاذهب به فهو لك؛ فألقى في عُنُقه حبلاً أو عمامة، وعارضتْه بكْرُ بنُ وائل فقالوا له: أخوالُك وجيرانُك: فوهبه لهم. (٢/١٨٥)

(٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمرُ بن عبد العزيز بن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهاشميّ قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضّحّاك بن عثمان الحزاميّ قال حدّثني عبد الله بن مُصْعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسْلم عن أبيه قال: أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ | زغبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ | فاغْفر عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه | ألقى إليك مقاليد النُّهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها | لكن لأنفسهم كانت بك الأثَرُ
فامنُنْ على صبيةٍ بالرمل مسكنُهم | بين الأباطح تغْشاهم بها القِرِرُ(٢)
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم | من عرْض داويةٍ تعْمى بها الخُبُرُ(٣)

قال فبكى حين قال: ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

---

(١) يؤكد هذا الأمر ما أشرنا إليه سابقاً من نفاذ بَصر عمر رضي الله عنه بالشعر، فالمخايرة التي ذكرها أدعى إلى إشعال نار الشرّ بين الطرفين من هجاء طرف واحد بمفرده، فكأنّ الخليفة أخذ بتواسط الأمور منعاً لانتشار الهجاء واستطارة الشرّ.

(٢) الرّمل: قال ياقوت إنّه موضع بعينه ولم يحدّده، وأشار إلى وروده في شعر زهير وطفيل الغنوي، ينظر معجم البلدان (٣/٦٩)، والقرر: جمع قِرّة وهي البرد.

(٣) الداويّة: الفلاة الواسعة.

فقال عمرو بن العاص: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبْراء أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة - فقال عمر: عليَّ بالكُرْسيّ، فأُتي به. فجلس عليه ثم قال: أشيروا عليَّ في الشاعر، فإنه يقول الهُجْر وينْسبُ بالحُرَم ويمدح الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم(١)، ما أراني إلاَّ قاطعاً لسانه، ثم قال: عليَّ بالطَّسْت، فأُتي بها، ثم قال: عليَّ بالمِخْصَف(٢)، عليَّ بالسكِّين، لا بل عليَّ بالمُوسى، فهو أوحى(٣)؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النَّجاء. قال: فلما ولَّى قال له عمر: يا حُطيئة، كأنّي بك عند فتىً من قريش، قد بسط لك نُمْرُقةً وكسر(٤) لك أخرى وقال: غنِّنا يا حطيئة، فطفقتَ تغنِّيه بأعراض الناس. قال ابن أسلم: فما انقضت الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند عُبيد الله بن عُمر قد بسط له نُمرُقةً وكسر له أخرى وقال: غنِّنا يا حطيئة، فجعل يغنِّيه، فقلتُ له: يا حُطيئة، أتذكُر قول عمر؟ ففزع وقال: يرحم الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حيّاً ما فعلتُ. قال: وقلت لعُبيد الله: سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذاك الرجل. (١٨٨/٢)

(٥)

أخبرني حبيب بن نصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمر بن شبَّة قال حدّثنا وهْب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سيرين، قال أبو زيد وحدّثنا هَوْذةُ بن خليفة قال حدثنا عوْف عن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسول الله(ص) ثلاثةُ رهْطٍ من قريش: عبد الله بن الزِّبعْرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه: اهْجُ عنَّا القومَ الذين قد هجونا. فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنْ أذِنَ لي رسولُ الله (ص) فعلتُ: فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنَّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال: «ليس هُناك» أو «ليس عنده ذلك»(٥)؛ ثم قال للأنصار: «ما يمْنَع القوْمَ الذين نصروا رسول الله - (ص) - بسلاحهم أن يَنْصُرُوه بألسنتهم؟». فقال حسَّان بن ثابت: أنا لها؛ وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسُرُّني به مِقْوَلٌ(٦) بين بُصْرى وصنْعاء. فقال: «كيف

---

(١) يشير هذا التفصيل في كلام عمر رضي الله عنه إلى ذلك البصر بالشعر الذي أشرنا إليه.

(٢) المخصف: مخرز الإسكافي. (٣) أوحى: أسرع.

(٤) كسر: ثنى.

(٥) لعلَّ الرسول صلى الله عليه وسلّم رأى أنَّ أولئك الشعراء (المحترفين) أقدر على مقارعة المشركين من عليّ كرّم الله وجهه، أو أنّه آثر أن يبعد عليّاً عن قضية الشعر ليتفرّغ للحرب وشواغلها.

(٦) المقول: اللسان.

تهجوهم وأنا منهم»؟ فقال: إنّي أسلُّك منهم كما تُسلُّ الشَّعرةُ من العجين(١). قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسَّان بن ثابت، وكعْبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رواحة. فكان حسَّان وكعْبٌ يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعيِّرانهم بالمثالب، وكانت عبد الله بن رواحة يُعيِّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسان وكعب، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة(٢). (١٣٧/٤)

(٦)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّةَ قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهميّ قال حدّثنا أبو يونس القِشيْريّ وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدّثنا سماكُ بن حرْب قال:

قام حسّان أبو الحسام فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئتُ لفريْتُ به المزاد(٣)، ائذن لي فيه. فقال: «اذهبْ إلى أبي بكر فليُحدثْك حديثَ القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم اهْجهُم وجبريلُ معك»(٤). قال أبو زيد قال ابن وهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدّيّ عن البراء بن عازبٍ وعن سماكِ بن حرْب - فأنا أشكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً - قال أبو زيد: وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرةَ عن سماك بن حرْبٍ بنحْوه، وزاد فيه: فأخرج لسانه أسود، فوضعه على طرف أرْنبته، وقال: يا

(١) هذا مذهب في الهجاء لا يطيقه سوى شاعر كبير مثل حسّان، يشهد عليه ما ورد في ديوانه من هجاء المشركين، وكان سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وجيهاً، وقد استطاع حسان أن يحصر هجاءه في أولئك القوم الذين ما يزالون يسكنون مكّة، وجعل الرسولَ صلى الله عليه وسلم بمنأى عن هذا كلّه.

(٢) غيّر الدِّينُ والزمنُ مفاهيم الفرض، وهي إشارة مهمة جداً فيما نحن بصدده، إذ كانت أعراض الدنيا هي المستهدفة، المآثر والأيام وغيرها، فكان القول موجعاً، وبعد استقرار قيم جديدة أصبح الكفر والإيمان مقياس الإنسان. فكان الكفر القديم وتذكرُه هو الموجع المستديم.

(٣) فريت: قطعت، والمزاد: جمع مزادة وهي التي يُحمل فيها الماء.

(٤) يبيّن إرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم لحسّان بأن يذهب إلى أبي بكر، بأنّ الهجاء يقتضي مادّة تجعله ذا وزن، وتأثير، فهو واحد من أسلحة المعركة، ولو حدث العكس، لاستحال الهجاء إلى شتم محض، وسبّ فاضح، وهو ما يربأ به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبتعد عنه المسلمون، وبذلك يفقد هذا الفرض هدفه الذي استُخدم لأجله.

رسول الله، لو شئتَ لفريْتُ به المزاد؛ فقال: «يا حسَّان وكيف وهو منّي وأنا منه»(١)؟ قال: والله لأسلَّنَّه منك كما يُسلُّ الشَّعر من العجين؛ قال: «يا حسَّان فأتِ أبا بكر فإنَّه أعلم بأنساب القوم منك». فأتى أبا بكر فأعلمه ما قاله رسولُ الله(ص)؛ فقال: كُفَّ عن فُلانة واذكُرْ فلانةَ. فقال:

هجوْتَ محمداً فأجبْتُ عنه وعندَ اللـهِ في ذاكَ الجـزاءُ
فـإنَّ أبي ووالـده وعِرْضـي لعِـرْضِ مـحـمـد منكم وقـاءُ
أتهجـوه ولسـتَ لـه بكُـفْءٍ فشـرُّكُما لخيْركمُـا الفداء (١٣٨/٤)

(٧)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنادَ قال: لمَّا أنْشِدتْ قريشٌ شعْر حسَّان قالت: إنَّ هذا الشتْم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة. (١٣٩/٤)

(٨)

أخبرنا وكيعٌ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالا حدثنا إبراهيم بن المُنْذر الحزاميّ قال حدَّثني محمد بن فضالة النحويّ قال: تقدَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألاَّ يُشبِّب أحدٌ بامرأة إلاَّ جلده(٢). فقال حُميد بن ثور:

أبى اللهُ إلاَّ أنَّ سـرْحَـةَ مـالكٍ على كلِّ أفنانِ العـضـاهِ تروقُ(٣)
فقد ذهبتْ عرْضاً وما فوق طُولها مـن السَّـرْحِ إلاَّ عشَّـةٌ وسَـحُوقُ

- العشَّة: القليلة الأغصان والورق. والسُّحوق: الطويلة المفرطة -

فلا الظِّلُّ مِنْ برْد الضُّحى تستطيعه ولا الفيءُ مـن بـرْد العشـيِّ تـذُوقُ(٤)

---

(١) يريد ابن عمّه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(٢) تتشابه آراء الخليفة الثاني رضي الله عنه في بعض الأغراض الشعرية، ويكتنفها هدف واحد، فمثلما رأينا أخْذَه على يد الحطيئة، ومنعه من التعرّض للنساء بالهجاء، نراه هنا يمنع التشبيب، ويطلب من الشعراء ألا يتعرّضوا للنساء في شعرهم، وواضح أنّ الهدف هو إعلاء القيم الخلقية السامية التي دعا إليها الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع وسلامته.

(٣) السرحة: الشجرة الطويلة، ويكني الشعراء بها عن المرأة، والعضاه: جمع عضاهة، وهي أعظم الشجر، أو كلّ ذات شوك، وتروق: تزيد عليها بحسنها وبهائها.

(٤) الظلّ: ما كان من أوّل النهار إلى الزوال. والفيء: ما كان بعد الزوال إلى الليل.

فهلْ أنا إنْ علّلتُ نفسي بسَرْحةٍ   من السَّرْحِ موجودٌ عليَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها:

نأتْ أمُّ عمرٍ فالفؤادُ مشوّقُ   يحنُّ إليها والهاً ويتوقُ   (٤/٣٥٦)

(٩)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يُقال له أكْدر، وكان له سلاحٌ يُلْبسُه إيّاه، فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه، فلقيه الأسد فقتله، ويقال: أخذه فأفْلت منه، فقال عند ذلك أبو زبيد:

أحال أكْدرُ مُخْتالاً كعادتـه   حتى إذا كان بين البئر والعطن(١)

لاقى لدى ثُلل الأطواء داهيةً   أسْرَتْ وأكدر تحت الليل في قرن(٢)

حطَّت به شيمةٌ ورْهاءُ تطردُهُ   حتى تناهى إلى الحُولات في السُّنن(٣)

إلى مُقابل خطْوِ السّاعدين له   فوق السَّراة كنِفْرى الفالج القمن(٤)

رئبال غابٍ فلا قحْمٌ ولا ضرعٌ   كالبغل يحتطم العلجين في شطن(٥)

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. فلامه قومُه على كثْرة وصفه للأسد، وقالوا له: قد خفنا أن تسبَّنا العربُ لوصفك له. قال: لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لقيكم ما لقي أكدر لما لُمْتُموني. ثم أمسك عن وصْفه فلم يصفْه بعد ذلك في شعره حتّى مات.   (١٢/١٣٢)

(١٠)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا الحسن بن محمد البصري، قال: حدّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعي قال حدّثني أحمد بن عمار العبدي، وكان من العلم بموضع قال:

---

(١) أحال: أقبل، والعطن: مناخ الإبل حول الورد.

(٢) ثلة البئر: ما أخرج من ترابها، والأطواء: واحده الطويّ، وهي البئر المطويّة بالحجارة، وأسرت: سارت ليلاً، والقرَن: الحبل يجمع به البعيران.

(٣) الشيمة: الخلق والعادة، وورهاء: حمقاء أو خرقاء، والحولات: جمع حُولة: وهي الداهية.

(٤) الفالج: البعير ذو السنامين، والقمن: السريع، وذفرى: من الحيوان والإنسان: العظم الشاخص خلف الأذن.

(٥) الرئبال: الأسد، القَحْم: مَنْ بلغ أكبر العمر من الناس والحيوان، وضَرِع: ضعيف نحيف، والعلجين: مفرده علج: وهو الحمار. والشُطن: الحبل الطويل تُشدّ به الدّابة.

حدّثني أبي عن جدي قال: صليتُ مع عمر بن الخطاب الصبح، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متنكباً قوساً، وبيده هِرواة، فقال: من هذا؟ فقال: متمم بن نويرة فاستنشده قوله في أخيه، فأنشده:

لعمري وما دهري بتأبين مالك   ولا جزعٍ مما أصاب فأوجعا

لقد كفَّن المنهال تحت ثيابه   فتىً غير مبطانِ العشياتِ أروعا(١)

حتّى بلغ إلى قوله:

وكنا كندمانيْ جذيمة حقبةً   من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا(٢)

فلما تفرّقنا كأنّي ومالكاً   لطُول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

فقال عُمر: هذا والله التأبين(٣)، ولوددتُ أنّي أحسنُ الشِّعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك. فقال متمم: لو أنَّ أخي ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته ـ وكان قُتل باليمامة شهيداً، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد ـ فقال عمر: ما عزّاني أحد عن أخي بمثل ما عزّاني به متمم. (٣٠٨/١٥)

---

(١) المنهال: رجل من بني يربوع، مرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لمّا قتله خالد، فأخذ ثوباً وكفَّنه فيه ودفنه، ينظر الأغاني (٣٠٧/١٥)، والعشيّات: جمع عشيّة وهي آخر النهار، أو من صلاة المغرب إلى العتَمة، ينظر لسان العرب (٦٠/١٥)، وغير مبطان العشيّات: كنّى بها عن عفّته وشرفه.

(٢) لن يتصدّعا: لن يتفرّقا.

(٣) رأينا فيما سبق استخدام عمر رضي الله عنه للفظ (الإقذاع)، وهنا يستخدم التأبين مصطلحاً للرثاء الجيِّد، وهذا يشير إلى دقّة عمر رضي الله عنه في استخدام الألفاظ التي ستأخذ منحى آخر فيما بعد لتتشكّل منها المصطلحات النقدية، إذ نقرأ في طبقات ابن سلام (٢٩/١): «أخبرني يونس بن حبيب أنَّ التأبين مدح الميت والثناء عليه»، ويأتي قدامة بعد هذا فيقول: «لأنَّ تأبين الميت إنّما هو بمثل ما كان يُمدح في حياته» نقد الشعر (ص ١١١)، فكأنَّ التأبين هو الرثاء، ولعلَّ استخدام عمر رضي الله عنه لهذا اللفظ يُعدُّ الجذر الحقيقي للمصطلح الذي استخدمه النقاد فيما بعد.

العصر الأموي

(١)

قال المدائنيّ قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة: ما يمنعك من مدْحنا؟ قال: إني لا أمدحُ الرجالَ، إنما أمدح النساء(١). قال: وكان ابن جُرَيْجٍ يقول: ما دخل على العواتق(٢) في حجالهنّ شيءٌ أضرُّ عليهنّ مِنْ شعر عمر بن أبي ربيعة. (٧٤/١)

(٢)

قال الزُّبير: وسمعتُ عمّي مُصْعباً يُحدِّث عن جدّي أنه قال مِثْلَ هذا القول. قال: وحدّثني عدّةٌ من أهل العلم أن النُّصَيْبَ قال: لعُمرُ بنُ أبي ربيعةَ أوْصفُنا لربّات الحجالِ(٣). (٧٤/١)

(٣)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال: سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار، ووقع هذا عليه(٤). (٧٥/١)

(٤)

قال إسحاق: وذكر عبدُ الصمد بن المُفضَّل الرَّقاشيّ عن محمد بن فلان الزُّهْريّ - سقط اسمُه - عن إسحاق عن عبد الله بن مسْلمة بن أسْلم قال: لقيتُ جريراً فقلت له: يا أبا حزْرة، إنّ

---

(١) جعل عمر من شعره في الغزل مدحاً للنساء، فكأنْ إظهار محاسنهنّ والتنويه بصفاتهنّ مدحٌ لهنّ.

(٢) العواتق: جمع عاتق، وهي الفتاة التي قد أدركت فخُدِّرت في بيت أهلها ولم تتزوّج؛ سُمّيت بذلك لأنّها عتقت عن خدمة أبويها ولم يملكها زوجها بعد.

(٣) يقصد النصيب بـ (أوصفنا) أي أوصف شعراء زمانه، وهذا ما عُرف في شعر عمر وشاع عنه.

(٤) كأنّ الفرزدق يشير إلى ما صنعه عمر في إفراد القصيدة برأسها للنسيب، وكانت الشعراء قبله تقف على الأطلال، وتصفها، وكان هذا صنيع الشعراء المعاصرين لعمر، ومَنْ جاء بعد عمر أيضاً، وهو من تقاليد القصيدة العربية.

شعرك رُفِع إلى المدينة وأنا أحبُّ أن تُسْمِعني منه شيئاً. فقال: إنَّكم يأهلَ المدينةُ يُعْجبكم النَّسيب، وإنَّ أنْسب الناس المخزوميُّ. يعْني ابنَ أبي ربيعة(١). (٧٦/١)

(٥)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال: وجدتُ كتاباً بخطّ محمد بن الحسن ذكر فيه أنَّ فُليح بن إسماعيل حدّثه عن مُعاذٍ صاحب الهرويّ أن النُّصيب قال: عمر بن أبي ربيعة أوْصفُنا لربَّاتِ الحجالِ. (١٠٦/١)

(٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمرُ بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عوانةُ بن الحكم وأبو يعْقُوبَ الثّقفيّ: أنَّ الوليدَ بن يزيدَ بن عبد الملك قال لأصحابه ذاتَ ليلة: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أغْزَلُ؟ فقال بعضهم: قولُ جميل:

يموتُ الهوى منِّي إذا ما لقيتُها ويحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر: قولُ عمر بن أبي ربيعة:

كأنَّني حينَ أمْسي لا تُكلِّمُني ذو بُغْيةٍ يبْتغي ماليس موجودا

فقال الوليد: حسبُك والله لهذا! (١١٣/١)

(٧)

أخبرني ابن المرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم الفراسيّ قال حدّثنا العُمريّ قال أخبرنا الهيْثم بن عديّ قال: قدم الفرزدقُ المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُوَيْمٌ، وللآخرُ ابنُ أسماء، وُصِفا له فقصدهما، وكان عندهما قيانٌ؛ فسلَّم عليهما وقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فِرْعون، وقال الآخر: أنا هامانُ. قال: فأين منزلُكما في النار حتى أقْصدكما؟ فقالا: نحن جيرانُ الفرزدق الشاعر! فضحك ونزل، فسلَّم عليهما وسلَّما عليه وتعاشروا مدّة. ثم سألهما أن يجْمعا بينه وبين عمر بنِ أبي ربيعة ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عُمر قصيدته التي يقول فيها:

فلمَّا التقينا واطمأنَّتْ بنا النَّوى وغُيِّب عنَّ مَنْ نخافُ ونُشْفِقُ

---

(١) أجمعت الآراء على تقديم عمر في هذا الغرض، فقد جعله وكده، وغاية همِّه.

حتى انتهى إلى قوله:

فقُمْنَ لكي يُخْلِيننا فترقرقتْ مدامعُ عينيْها وظلّتْ تدفّقُ(١)

وقالت أما ترحمنني! لا تدعْنني لدى غزلٍ جمّ الصبابة يخْرُقُ(٢)

فقلن اسكُتي عنّا فلستِ مُطاعةً وخلِّك منّا - فاعلمي - بك أرْفقُ

فصاح الفرزدق: أنت والله أبا الخطابُ أغزلُ الناس! لا يحسُن والله الشعراءَ أن يقولوا مثلَ هذا النّسيب ولا أن يرْقُوا مثل هذه الرُّقْية! وودّعه وانصرف. (١٤٨/١)

(٨)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قال مَسْلمةُ لنُصيب: أنت لا تُحْسن الهجاء. فقال: بلى والله، أتُراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك اللهُ أخْزاك الله؟!(٣) قال: فإنّ فلاناً قد مدحته فحرمك فاهْجُه، قال: لا والله ما ينبغي أن أهْجُوه، وإنما ينبغي أن أهْجُو نفسي حينَ مدحتُه. فقال مسْلمةُ: هذا والله أشدُّ من الهجاء. (٣٤٤/١)

(٩)

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال: قال لي محمدُ بنُ عبدِ ربِّه: دخلتُ مسجد الكوفة، فرأيتُ رجلاً لم أرَ قطُّ مثله ولا أشدُّ سواداً منه، ولا أنْقى ثياباً منه، ولا أحسن زيّاً. فسألتُ عنه، فقيل: هذا نُصيب. فدنوتُ منه فحدّثتُه، ثم قلتُ له: أخْبرني عنك وعن أصحابك. فقال: جميلٌ إمامُنا، وعُمر بن أبي ربيعة أوْصفُنا لربّات الحجال، وكُثيِّر أبْكانا على الدِّمن وأمدحُنا للملوك، وأمّا أنا فقد قلتُ ما سمعت(٤). فقلتُ له: إنّ الناس يزعمون أنك لا تُحْسِنُ أن تَهْجُو فضحك ثم قال: أفتراهم يقولون: إنّي لا أحْسن أن أمْدح؟ فقلت لا. فقال: أفما تراني أحْسن أن أجعل مكانَ عفاك اللهُ أخْزاك اللهُ؟ قال قلت بلى. قال: فإنّي

---

(١) يخليننا: يجعلننا في خلوة. (٢) يخرق: يحمق.

(٣) لو كان الأمر متعلّقاً بتغيير لفظ مكان لفظ لتشابه الشعر كلّه، واستطاع الشعراء أن ينتقلوا من غرض إلى آخر باستخدام ذلك التغيير المزعوم الذي أشار إليه نُصيب. ولكنّ القضية أعمق من هذا بكثير، فهناك رسوم كلّ غرض وتقاليده، وما يجوز فيه، وما لا يجوز، وهو ما غاب عن نظر نصيب، فظنّ المسألة تغييراً حسب.

(٤) تكثر هذه الأحكام في العصر الأموي، سواء تلك التي تخصّ شاعراً بغرض معيّن، مثل هذا النص، أم تلك التي تحكم على الشاعر بصورة عامّة، وهي غالباً آراء شخصية تأثرية، تعتمد جُملاً قصيرة، ولكنّها تشير إلى معرفة دقيقة بالشعراء، واتجاهات شعرهم، ولم يكن الحكم سوى ثمرة لتلك المعرفة.

رأيتُ الناسَ رجلَيْن: إمّا رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، وإمّا رجلٌ سألتُه فمنعني فنفسي كانتْ أحقُّ بالهجاء؛ إذ سوّلت لي أن أسأله وأن أطلُب ما لديه. (٣٥٥/١)

(١٠)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دأب عن عبد الله بن عيّاش المنتوف قال: بينا ابن عباس جالسٌ في مجلس رسول الله(ص) بعد ما كفّ بصرُه وحوله ناسٌ من قريش، إذ أقبل أعرابيٌّ يخْطِر وعليه مِطْرَفٌ وجبّةٌ وعمامة خزٌ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام، فقال: يابنَ عمّ رسول الله، أفْتني؛ قال: فيماذا؟ قال أتخاف عليّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمتُه وشتمني فشتمتُه وقصّر بي فقصّرتُ به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جُناح عليه؛ فقال: يابن عمّ رسول الله(ص) أرأيت امرأ أتاني فوعدني وغرّني ومنّاني ثم أخلفني واستخف بحُرْمتي، أيسعني أن أهجوه؟ قال: لا يصلُح الهجاء، لأنه لا بدّ بذلك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلِمْك، وتشتُم من لم يشتمك، وتبْغي على من لم يبْغ عليك، والبغي مرتَعٌ وخيمٌ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل؛ قال: صدقت وبررتَ؛ فلم ينْشبْ أن أقبل عبد الرحمن بن سيْحان المُحاربيّ حليفُ قريش، فلما رأى الأعرابيّ أجلّه وأعْظمه وألْطف في مسئلته، وقال: قرّب الله دارك يا أبا مُليكة، فقال ابن عباس: أجرْول؟ قال: جرول؛ فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت! أيُّ مِرْدى قذافٍ(١)، وذائدٍ عن عشيرةٍ، ومثْنٍ بعارفةٍ تُؤتاها أنت يا أبا مُليكة!والله لو كنتَ عركْتَ(٢) بجنبك بعضَ ما كرهتَ من أمر الزِّبْرقان كان خيراً لك، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلِمْك، وشتمت من لم يشتُمك؛ قال: إنّي والله بهم يا أبا العباس لعالم؛ قال ما أنت بأعلم من غيرك؛ قال: بلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابنُ بجْدتهم علماً وتجربةً ... فسلْ بسعدٍ تجدني أعلم الناس(٣)
سعدُ بن زيد كثيرٌ إن عددتَهُم ... ورأسُ سعدِ بن زيد آلُ شمّاسِ
والزبرقانُ ذُناباهم وشرُّهُم ... ليس الذُّنابي أبا العباس كالراس

فقال ابن عباس: أقسمتُ عليك ألاّ تقول إلاّ خيراً، قال: أفعل. (١٩٢/٢)

---

(١) المردي في الأصل: حجر يُرمى به، ويطلق على الرجل الشجاع فيقال: إنّه لمردي حروب.

(٢) عرك بجنبه ما كان من صاحبه: احتمله.

(٣) البجدة: دخلة الأمر وباطنه.

(١١)

... قالوا: يا أبا مُليكة (الحطيئة).ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيّد يُمدح به مَنْ ليس له أهلاً. (١٩٧/٢)

(١٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المدينيّ عن زُبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلاّد عن أبي أيُّوب بن عبد العزيز قال: استأذن ابنُ ميادةَ على الوليد بن يزيد وعنده شُقْران مولى قُضاعة فأدخله في صندوق وأذن لابن ميادة؛ فلمّا دخل أجلسه على الصُّندوق واستنشده هجاء شُقْران فجعل يُنشده، ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقْران وجعل يهدركما يهدر الفَحْلُ ويقول:

سأكْعَمُ عن قُضاعةَ كلْبَ قيسٍ ... على حجرٍ فيُنْصِتُ للكعام(١)
أسيرُ أمامَ قيْسٍ كلَّ يومٍ ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع:

إنِّي إذا الشعراءُ لاقى بعضُهُم ... بعضاً ببلْقعةٍ يريد نضالها
وقفوا لمُرْتجزِ الهدير إذا دنتْ ... منه البكارة قطَّعتْ أبوالها(٢)
فتركتُهمْ زُمراً ترمَّزُ باللُّحى ... منها عنافقُ قد حلقتْ سبالها(٣)

فقال له ابن ميادة: يا أمير المؤمنين أكفُف عنِّي هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفره، ولا فرعٌ فأهصره(٤)؛ فقال الوليد: أشهد أنّك قد جرْجرت كما قال شُقْران:

فجاءتْ بخوّارٍ إذا عُضّ جرجرا (٣٠٧/٢)

---

(١) الكَعْم: شدُّ فم البعير لئلاّ يعضّ أو يأكل، وشدّ فم الكلب لئلاّ ينبح.

(٢) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والمرتجز: ما تسمع له صوتاً متتابعاً، والبكارة: جمع بكرة وهي الفتية من الإبل.

(٣) ترمَّز: تتحرك، والعنافق: جمع عنفقة وهي الشعرات التي بين الذقن وطرف الشفة السفلى، والسبال: جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا.

(٤) لعلّ ابن ميّادة يشير هنا إلى أنّ الهجاء محتاج إلى مادّة يتضمّنها، وغالباً ما تكون هذه المادة أصلاً كريماً، أو مجداً معروفاً، حيث يقوم الشاعر بهدم هذا وذاك بوسائله المعروفة، أمّا الخامل، ذو البيت المتواضع فلا يمنح شاعر الهجاء مادّة لهجائه.

(١٣)

قال نُصيب: «... وأمَّا أوصفُنا لربَّات الحجال فكثيِّر». (٢/٣٩٧)

(١٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عبد الرحمن ابن أبي الزّناد عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يُنشد قول قيس بن الخطيم:

بين شُكول النســاء خِلْقتُها قصْدٌ فلا جبْلةٌ ولا قضفُ(١)
تنام عن كُبْر شــأنها فإذا قامت رُويداً تكاد تنقصفُ
تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ كـأنما شفَّ وجهها نُزُفُ(٢)

ثم يقول: قائلُ هذا الشعر أنسبُ الناس. (٣/٤٢)

(١٥)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفضل المروزيّ قال حدّثني قعْنب بن المُحْرِز الباهليّ قال قال الأصمعيّ:

لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرُّواة فقال له: يا أبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناس بيتاً؟ قال: الذي يقول:

لم يطُـلْ ليلي ولكن لـم أنَمْ ونفى عنّي الكرى طيفُ ألمْ
روِّحي عنّي قليــلاً واعلمي أنّني يا عَـبْدَ من لحمٍ ودمْ

قال: فمنْ أمدحُ الناس؟ قال: الذي يقول:

لمســتُ بكفّي كـفّـه أبتـغي الغنى ولـم أدرِ أنَّ الجـود من كـفّه يُعْدي
فـلا أنا منه مــا أفــاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فـأتلفْتُ مـا عندي

قال: فمنْ أهجى الناس؟ قال: الذي يقول:

رأيت السُّهيلَين استوى الجود فيهما على بُعْد ذا مـن ذاك في حُكْـم حـاكم

---

(١) الشكول: جمع الشّكل، وهو هيئة الشيء وصورته، وقَصْد: معتدلة مستوية، والجبلة: ذات العيب في الوجه، والقَضَف: الهزيلة، النحيفة.

(٢) تغترق: تشغل الناس بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها، النزف: التجرع الذي ينزف عنه دم الإنسان: أراد أنّ وجهها مثل الدم لحمرة خدّيها.

سُــــهيل بن عثمــان يجــود بمالــه   كمـا جاد بالوَجْعا سُهيلُ بن ســالمِ

قال: وهذه الأبيات كلُّها لبشّار.   (١٥٠/٣)

(١٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحزنْبلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنَّ الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال: أتُشبِّب بحُرَم المسلمين وتُنشدُ ذلك في مسجد رسول الله (ص) وفي الأسواق والمحافل ظاهرا! فحلف له بالطلاق أنّه ما تعرَّض لحرُمٍ قط ولا شبَّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهدٍ قطّ. قال: فمن ليلى هذه التي تذكُر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلاَّ قوسي هذه، سمَّيتُها ليلى لأذكرها في شعري، فإن الشعر لا يحسنُ إلاَّ بالتشبيب. فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فَقُلْ ما شئت.   (٢٩١/٣)

(١٧)

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العنزيّ قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحيّ قال:

قدم عبدُ الملك بن مروان المدينة، وكان ابن المولى يكْثر مدحه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ـ قال: وابن المولى مولى الأنصار ـ فلما قدم عبدُ الملك المدينة قدم ابنُ المولى، لما بلغه من مسئلة عبد الملك عنه، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها، فاتّبعه فأدركه بإضم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فالتفت عبدُ الملك إليه وابنُ المولى على نجيب مُتنكّباً قوساً عربيَّةً، فقال له عبد الملك: ابنُ المولى؟ قال: لبَّيك يا أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم ينلْه منا فعلٌ، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ   إليَّ ولا ليلــى لــذي الــوُدِّ تبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرةً لأزوِّجنّكها، ولئن كانت أمةً لأبتاعنّها لك بما بلغتْ، فقال: كلاَّ يا أمير المؤمنين، والله ما كنتُ لأذكُر حُرْمة حُرٍّ أبداً ولا أمته، والله ما ليلى إلا قوسي هذه، سميّتها ليلى لأشبِّب بها، وإنَّ الشاعر لا يُستطاب إذا لم يتشبَّب؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك(١). (٣٠١/٣)

---

(١) أصبح النسيب جزءاً لا يستغني عنه الشاعر في قصيدته، ونرى ابن قتيبة في الشعر والشعرا (٧٥/١)، =

(١٨)

أخبرني الحسين عن حمّاد بن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال: لما مات عمر بن عبْد الله التيميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟ قال: لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نسيبي بها كان لشيء من الباطل. (٣٢٧/٣)

(١٩)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن سالم بن أبي السَّمْحاء وكان صاحب حمّاد الراوية: أنّ حمّاداً كان يقدّم الأحوص في النسيب. (٢٦٢/٤)

(٢٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمر بن شبة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ قال حدّثني الهزبريّ قال: قيل لكُثيِّر: ما أنسبُ بيتٍ قلته؟ قال: الناس يقولون:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثّلُ لي ليلى بكلّ سبيل

وأنسبُ عندي منه قولي:

وقُلْ أمُّ عمْرٍ داؤه وشفاؤه ... لديها وريّاها الشِّفاءُ مِنَ الخبْل

وقد قيل: إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكّل اللّيْثي. (٢٦٧/٤)

(٢١)

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبيريّ قال حدّثني عبد الله بن البصير البرْبريّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال عُبيد الله بن قيس الرقيّات: استأذنتُ عبد الملك بن مروان في انشاده مديحاً له فأذن لي، فأنشدتُه القصيدة التي أقول فيها:

عاد له من كثيرة الطربُ ... فعينُه بالدموع تنسكبُ
كُوفيّةٌ نازحٌ محلّتُها ... لا أمَمٌ دارُها ولا صقبُ
والله ما إن صبتْ إليّ ولا ... إن كان بيني وبينها سببُ

= يعلّل لاستخدام الشاعر للنسيب في قصيدته، وذلك لأنّه «قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم».

إلا الذي أورثتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحبُّ سـورةٌ عجبُ

حتى قال فيها:

إنَّ الأغرُّ الـذي أبوه أبـو الـ ـعاصي عليـه الوقـارُ والحُجُبُ
يعـتـدل التـاجُ فـوق مـفرقـه على جبينٍ كـأنـه الذهـبُ

فقال له عبد الملك: يابن قيس تمدحني بالتاج كأنّي من العجم(١) وتقول في مُصعب:

إنما مُصعبٌ شهابٌ من الله تجلّتْ عن وجهـه الظلمـاءُ
ملكُه ملك عزةٍ ليس فيـه جـبـروتٌ منـه ولا كـبـريـاءُ

أمّا الأمان فقد سبق لك، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء(٢) أبداً! (٥/٧٧)

(٢٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن عبد الله البكريّ وهارونُ بن أبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المساحقيّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلِم بن وهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أبيه قال: دخلتُ مسجد رسول الله (ص) مع نوْفل بن مُساحقٍ وإنه لَمُعتمدٌ (على يدي) إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه فسلّمنا عليه فردَّ سلامنا؛ ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أصاحبنا أم صاحبكم؟ يعني: عبيدُ الله بن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خليليّ مـا بـالُ المطـيّ كـأنّمـا نراها على الأدبار بالقـوم تنكُصُ
وقد أبعْد الحادي سُراهنَّ وانتحى بهنَّ فمـا يألـو عجُـولٌ مُقلِّـص

---

(١) يضع عبد الملك هنا أساساً من أسس المديح، وهو المدح بالصفات النفسية لا الجسدية، وسيكون لقول عبد الملك تأثير فيمن جاء بعده، إذ نجد قدامة بن جعفر يورد قول عبد الملك ويعلّق عليه بقوله: «... فوجه عتب عبد الملك على الشاعر إنّما هو من أجل أنّ هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفّة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة، وقد كنّا قدّمنا أنّ ذلك غلط وعيب»، نقد الشعر (ص١٨٥).

فالشاعر وصف مصعباً بالنور والعزّ والدل، وهي صفات نفسية، ولم يرَ في عبد الملك سوى ذلك التاج والجبين وهي من الصفات الجسدية، ولم يُرضِ هذا المديحُ عبدَ الملك لعلمه بهبوط مكانته عن مديحه لمصعب. وينظر منهاج البلغاء. لحازم (ص١٦٨). فقد ردَّ على قدامة وأورد رأيين للآمدي والخفاجي.

(٢) يعود منْع عبد الملك العطاء عن عبيد الله بن قيس الرقيات إلى خروجه مع مصعب بن الزبير، وذكره له في أشعاره، وتحريضه على الأمويين.

(وقــد قُطِّعتْ أعناقُهُنَّ صــبــابة فــأنفــســنا ممّا تُكلَّفُ شُخَّص)
يزدنَ بنـا قُرْبـاً فـيزدادُ شــوقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ ينقُص

ويقول صاحبُكم ماشئت؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك، وصاحبنا أكثر أفانين شعر؛ قال: صدقت؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقد بيده ويعدُّه بالخمسِ كلِّها حتى وفّى مائةً. (٩٢/٥)

(٢٣)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثني أبو عثمان اللاحقي، وأخبرني به محمد بن مزْيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن بشْر بن المفضّل بن لاحق قال: جاء رجل إلى حمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك:

ســـيعلم حمّـاد إذا مـا هجـوتُه أأنتــحل الأشــعـار أم أنا شـاعـرُ
ألم ترى حـــمـــاداً تقـــدَّم بطنُه وأخـــر عنه مـــا تُجِـــنّ المـــآزر(١)
فليس براءٍ خُصْيـتـيـه ولـو جـثـا لركـبـتـه، مـادام للزيت عـاصـر
فـيـاليتـه أمْسى قـعـيـدة بيتـه لـه بعـلُ صـدقٍ كومـه مـتـواتر
فحماد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي النكاح وبئــس المـرء فيمــن يفـــاخرِ

فقال حماد: حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تنيعه فتفضحني؛ فقال له: قد كنتَ غنياً عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جررْتُ على نفسي من البلاء. (٨٥/٦)

(٢٤)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ عن إسحاق بن قبيصة الكُوفيّ عن رجل سمّاه قال: سألت نُصيبا: أجميلٌ أنْسبُ أم كثيِّر؟ فقال: أنا سألت كثيِّراً عن ذلك فقال: وهل وطَّأ لنا النَّسيب إلاّ جميل. (٩٧/٦)

---

(١) تُجِنُّ: تخفي.

(٢٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال روى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن حمّاد الراوية قال: دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمانه وقد اصطبح؛ فقال: أنشدني في النَّسيب؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يهشَّ لشيء منها، حتى أنشدته قول عمّار ذي كناز:

اصْبحِ القومَ قهوةً ... في الأباريق تُحْتذى(١)

من كُميت مُدامةٍ ... حبَّذا تلك حبّذا

فطرب. (٦٧/٧)

(٢٦)

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحيّ - قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سلاّم - : غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

امدح الكأس ومن أعملها ... واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان؛ فأمر بإحضاره فأحضر؛ فاستنشده القصيدة إياها؛ وظنَّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم؛ فقال له الوليد: لو سعِد جدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيْبان، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ؛ ووصله وانصرف. وأوّل هذه القصيدة قوله:

خلَّ قلبي من سُليمى نبلُها ... إذ رمتني بسهام لم تطِشْ(٢)

طفْلةُ الأعطاف رؤْدٌ دُمْيةٌ ... وشَواها بخْتريّ لم يُحَشْ(٣)

وكأنَّ الدُّرَّ في أخْراصها ... بيْضُ كحلاء أقرَّته بعُشْ(٤)

ولها عينا مَهاةٍ في مهاً ... ترْتعي نبتَ خُزامى ونتشْ(٥)

---

(١) صبحت فلاناً: ناولته صبوحاً من لبن أو خمر. (٢) خلّ: نفذ وثقب.

(٣) الطفلة: الناعمة، والرؤد: الشابة الحسنة، والدمية: التمثال من الرخام، والشوى: الأطراف، ولم يحش: لم يعق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بحبالته.

(٤) الأخراص: جمع خرص وهو القرط، والكحلاء: طائر.

(٥) المهاة: البقرة الوحشية، والخزامى: نبت طيّب الرائحة، والنتش: أوّل ما يبدو من النبات على وجه الأرض.

حُرَّةُ الوجـه رخـيمٌ صـوتُهـا رُطَـبٌ تجْنيـه كَفُّ المنتـقش(١)
وهـي في الليل إذا مـا عُونِقتْ مُنْيـةُ البـعـل وهـمُّ المُفْتـرش

وفيها يقول مفتخراً:

وبنو شـيْبـان حـولي عُصَبٌ منهمُ غُلْب وليـسـت بالقـمشْ(٢)
ورثوا المجـد وكـانـوا أهلـه فـرووا والجـودُ عـافٍ لم ينشّ(٣)
وترى الجُرْد لـدى أبيـاتـهم أرِنات بين صـلْصـال وجُشّ(٤)
ليس في الألـوان منهـا هُجْنةٌ وضَحُ الهَلَقِ ولا عـيبُ البـرش(٥)
فَبـهـا يحْـوُون أمـوالَ العـدا ويصـيـدون عليـهـا كلَّ وحش
دمـيتْ أكـفـالُهـا من طـعنهم بالرُّدَيْنيّـات والخـيل النجـش(٦)
نُنْهِـل الخطـيَّ مـن أعدائنا ثم نفْري الهامَ إن لم نفْترشْ(٧)
فـإذا العيسُ من المحـل غدتْ وهي في أعينهـا مـثْلُ العـمش
حُسَّـرَ الأوبـار ممـا لقيتْ من سحاب هـادٍ عنها لم يُرشّ(٨)
خُسُفَ الأعين ترْعى جُـوفـةً همـدتْ أوبارُهـا لم تنْتـفش(٩)
تنْعـشُ العـافي ومـن لاذ بـنا بسـجال الخير مـن أيْدٍ نُعُش
ذاك قـولي وثنـائي وهُـمُ أهْلُ ودّي خالصـاً في غير غشّ
فـسلُوا شـيْبـان إن فـارقتُهـم يوم يمشـون إلى قـبري بنعش
هـل غشـينا مَحْرَمـاً في قومنا أو جزينا جاريـاً نُحْشـا بفُحْش (١١٠/٧)

(٢٧)

قال الزبير وحدّثني محمد بن حبش المخزوميّ قال: دخل نُصيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها؛ فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

(١) انتقش: تخيّر. (٢) الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة، والقمش: زعانف الناس وأرذالهم.
(٣) العافي: الوافي، ولم ينشّ: لم ينضب.
(٤) الجرد: الخيول، وأرنات: نشيطات، والصلصال: الحمار المصوّت، وجشّ: جمع أجشّ وهو الغليظ الصوت.
(٥) الهجنة: العيب، والبرش: البرص. (٦) الرُّدينيّات: الرماح، والبخش: المستثارة، المسرعة.
(٧) الخطيّ: الرمح، ونفري: نشقّ، والهام: جمع هامة وهي الرأس، ونفترش: نصرع.
(٨) أرشت السماء: جاءت بالمطر. (٩) خسُف الأعين: غائرتها، والجوفة: النبتة الفارغة الجوف.

إن تَفْدُ من مَنْقَلِيْ نجْرانَ مرتحلا   يَبِنْ مــن اليمن المعــروفُ والجودُ

فغضب نُصَيْبٌ فحمى فنزع عمامته وطرحها وبرك عليها؛ ثم قال: إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل. (١٣٠/٧)

(٢٨)

قال الزبير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجمِّع التَّيْميّ قال: كان إبراهيم بن هشام جباراً وكان يقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهر، فإذا أذِن للناس أذِنَ معهم لشاعر، فيُنْشد قصيدة مديحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدة مديح لإبراهيم بن هشام. فأذن لهم يوماً، وكان الشاعرُ الذي أذِن له معهم نصيْباً وعليه جُبَّةُ وشْي؛ فاستأذنه في الإنشادفأذِنَ له؛ فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدةُ هشام أشعرُ، فأراد الناسُ ممالحة نصيْب فقالوا: ما أحسن هذا يا أبا مِحْجَن! أعِدْ هذا البيت. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنّه لشاعرٌ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إن تُمْسِ من مَنْقَلِيْ نجْران مرتحلاً   يَبِنْ مــن اليمــن المعــروفُ والجــودُ
مازلتَ في دفعـات الخير تفعلها   لـمّا اعتـرى النــاسَ لأواءٌ ومجـهودُ

وحَمِي نصيبٌ فقال: إنّا والله ما نصنع المديحَ إلا على قدْر الرجال، كما يكون الرجلُ يُمدح(١). فعمّ الناس الضَّحِكُ وحلُم عنه، وقال الحاجب: ارتفعوا، فلما صاروا في السُّقيفة ضحكوا وقالوا: أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار! وحلُم من غير حلم. (١٣٠/٧)

(٢٩)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم، وأخبرني وكيعٌ عن محمد بن إسماعيل (عن ابن سلاّم) قال حدّثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حجْناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبتِ، ما هجوت قوماً قطُّ إلاّ أفسدتهم سوى التَّيْم. فقال: إنّي لم أجد حسباً أضعه، ولا بناء أهدمه(٢).

(٣٤/٨)

---

(١) كأنَّ الشاعر لم يجد في هذا الممدوح كبير شأن، فأعطاه على قدر ما يستحقّ، وفي هذا إشارة إلى قضية اتفّاق الشعر مع الواقع. وسنرى نماذج كثيرة لها في قضية قائمة هي: الصدق والكذب في الشعر.

(٢) يؤكد هذا النصّ ما أشرنا إليه في نصّ سابق هو الثاني عشر من أنَّ الهجاء محتاج إلى مادّة يلج فيها الشاعر إلى دار القوم، ولم يجد جرير شيئاً يهجو به التيّم ولذلك لم يؤثر هجاؤه فيهم.

(٣٠)

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنْبسة القُرشيّ وعوانةَ بنِ الحكم: أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مرْوان؛ فقال لهما بشر: إنّكما قد تقارضتما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما. فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة. فجدِّدا بين يديّ فخراً ودعاني مما مضى. فقال الفرزدق:

نحـن السَّـنامُ والمناسمُ غيرُنا فمنْ ذا يُساوي بالسَّنام المناسما!(١)

فقال جرير: على موضع الأسْتاهِ أنتم زعمتمُ وكـلُّ سـنامٍ تابعٌ للغلاصم(٢)

فقال الفرزدق: على محْرثٍ للفرْث أنتـم زعمتُـمُ ألا إنّ فوق الغلْصمات الجماجما

فقال جرير: وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومكم ولا هـامَ إلا تابعٌ للخراطـم(٣)

فقال الفرزدق: فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدى بـه من الناس، ومازلنا ولسنا لهازما(٤)

فقال جرير: فنحـن بني زيد قطعنا زمـامهـا فتاهت كَسَّارٍ طائش الرأس عارم(٥)

فقال بشر: غلبته يا جريرُ بقطعك الزِّمام وذهابك بالناقة. وأحسن الجائزة لهما وفضَّل جريراً. (٣٧/٨)

(٣١)

... فقال عبدالملك للأعرابي، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبتْني عنْعنةُ تميمٍ(٦) وأسدٍ وكشْكشةُ(٧) ربيعةَ وحُوشيُّ(٨) أهل اليمن وإن كنتُ منهم. فقال: من أيِّهم أنت؟ قال: أخوالك من عُذْرة. قال: أولئك فصحاءُ الناس؛ فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سلْني عمَّا بداالك يا أمير المؤمنين. قال: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ ركب المطايا وأنْدى العالمين بطون راحِ

---

(١) المنسم: طرف خفّ البعير. (٢) الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٣) الخرطوم: الأنف أو مقدَّمه.

(٤) اللهازم: جمع لهزمة، واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللَّحيين والخدَّين.

(٥) العرم: الشدّة والقوة والشراسة. (٦) عنعنة تميم: إبدالهم العين من الهمزة فيقولون: عنْ يريدون إنْ.

(٧) الكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف، وذلك في المؤنث خاصة فيقولون: عليش مكان عليك.

(٨) الحوشيّ من الكلام: الغامض الغريب.

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟
قال: قولُ جرير: إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلَّهم غضابا

قال: فتحرّك (لها جرير). ثم قال له: فأيُّ بيتٍ أهْجى؟ قال: قولُ جرير:

ففضَّ الطّرفَ إنّك من نُميرٍ فـلا كعباً بلغـتَ ولا كـلابا

قال: فاستشرف لها جرير. قال: فأيّ بيت أغزل؟ قال: قول جرير:
إنَّ العيون التي في طرْفِها حورٌ قتلننـا ثـم لـم يُحْيين قتْلانـا

قال: فاهتزَّ جريرٌ وطرب. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيها؟ قال: قولُ جرير:
سرى نحوهم ليلٌ كأنَّ نجومه قناديـلُ فيهـنّ الذُّبال المفتَّلُ(١)

فقال جرير: جائزتي للعُذْريّ يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنْقصُ منها شيئاً. وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعها من الحُمْلان والكُسْوة. فخرج العُذْريّ وفي يده اليمنى ثمانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رِزْمةُ ثياب. (٤١/٨)

(٣٢)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال: قال جرير: ما عشقتُ قطُّ، ولوعشقت لنسبْتُ نسيباً تسْمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها(٢)، وإني لأرى من الرَّجزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرى، ولولا أنّي أخاف أن يستفرغني لأكثرتُ منه. (٤٣/٨)

(٣٣)

أخبرنا أبو خليفة الفَضْل بن الحُباب قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو الغرّاف قال: قال الفرزدق لذي الرُّمّة: ألهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يرْجُز بك (يعْني هشاماً المَرَئي) بمقْبرةِ بني حِصْن(٣). قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي للرُّمة وهشام أن ذا الرّمة نزل بقرية

---

(١) الذُّبالة: الفتيلة التي توضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به.
(٢) لعلَّ جريراً يريد بذلك النسيب الذي يتمنّى قوله أن يصبح النسيب وكده، وشاغله، وإلاّ فإنَّ له نسيباً في مقدّمات قصائده، وفي أثناء القصيدة أيضاً.
(٣) أخذ معاصرو ذي الرمّة من الشعراء عليه أنَّه قصّر شعره على الوقوف على الأطلال والنسيب، وأغفل غرضيْ المديح والهجاء وهما من أهمّ الأغراض في العصر الأموي. وقد أدّى هذا إلى تأخيره، وعدم عدِّه =

من الفحول. يُراجع حول الموضوع كتابي: الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٩٥) وما بعدها.

لبني امرئ القيس يقال لها: مرْأةُ(١)، فلم يقْرُوه ولم يعْلِفُوا له، فارتحل وهو يقول:

نزلنا وقــد طــال النهارُ وأوْقدتْ ... علينا حصى المِعْزاء شمسٌ تنالُها(٢)
أنخْنـا فظلّلْنـا بأبْــرادِ يُمــنْـةٍ ... رِقـاقٍ وأسـيـافٍ قـديمٍ صِقالُها(٣)
فلمّـا رآنـا أهـلُ مــرْأةَ أغْلقُــوا ... مخـادعَ لم تُرْفعْ لخيـرٍ ظلالُها(٤)
وقد سُمِّيتْ باسم امرئ القيْس قرْيةٌ ... كرامٌ صواديها لئـامٌ رجـالُها(٥)
يظـلُّ الكـرامُ المرملـون بجـوِّهـا ... سواءٌ عليـهم حمْلُها وحيـالُها(٦)
ولـو وُضعتْ أكوارُهـا عند بيْهسٍ ... على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشمَّسْ رحالُها(٧)

فقال جرير لهشام، وكان يتّهم ذا الرُّمة بهجائه التيْمَ وهم إخوة عديٍّ: عليك العبد (يعني ذا الرُّمة). قال: فما أصنع يا أبا حزْرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرُّجزَ، والرَّجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رفدْتني! قال: قل له:

عـجـبتَ لرحْلٍ من عـديٍّ مُشـمَّسٍ ... وفي أيِّ يـومٍ تُشـمَّسْ رحـالُها
وفـيـمَ عــديٌّ عند تيْمٍ من العُلا ... وأيَّامـنا اللاّتي يُعَدّ فـعـالُها
مـدَدْتَ بكفٍّ من عـديٍّ قـصيرةٍ ... لتُـدْرِكَ مـن زيـد يـداً لا تنالها
وضبّةُ عمّي يابن جـلٍ فـلا ترُمْ ... مساعي قومٍ ليس منك سجالُها(٨)
يُماشـي عديّاً لؤمُها مـا تُجنُّـه ... من الناس ما ماشتْ عديّاً ظلالُها
أذا الرمِّ قـد قلّدتُ قـومـك رُمّـةً ... بطيئـاً بأيدي المُطلقين انحـلالُها
ترى اللُّؤم مـا عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً ... سـرابيلُها مـنـه ومـنـه نِعـالُها

قال: فلجَّ الهجاءُ بين ذي الرُّمة وهشام. فلما أنْشد المرئيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرُّمّة قال:

---

(١) مرأة: قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، وهي باليمامة، سُمّيت بشطر اسم امرئ القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج.

(٢) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى. (٣) الأبراد: جمع برد وهو الثوب، واليمنة: ضرب من برود اليمن.

(٤) المخادع: البيوت. (٥) الصوادي: النخل التي لا تُسقى وإنّما تشرب بعروقها، الواحدة صادية.

(٦) أرمل القوم: فني زادهم، يقول: سواء عليهم أحالت نخيلهم أم حملت، فهم لا ينالهم منها شيء.

(٧) بيهس: صاحب ذات غِسل، وهو مرئي، وذات غسل: قرية له، وتشمسّ رحالها: لم تعرّض للشمس، يريد أنّها لا تهمل بل تكرم بإدخالها البيوت.

(٨) جلّ: هو جلّ بن عدي، رجل من مضر رهط ذي الرمة.

كذبَ العبْدُ السَّوْءُ! ليس هذا الكلام له، هذا كلامُ نجْديٍّ حنْظليّ، هذا كلام ابنِ الأتان(١). قال: ولم يزل ذو الرّمة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات. (٨/٥٥)

(٣٤)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العباس بن ميْمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول: قال جرير: هجوتُ بني طُهيَّة أنواعَ الهجاء، فلم يحْفِلُوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي:

كأنَّ بني طُهيَّةَ رهطَ سلْمى ... حجـارةُ خارئٍ يرمي كلابا

فجزعوا حينئذ ولانُوا بي. (٨/٧٣)

(٣٥)

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال أبو البيْداء: لقي الفرزدق عمر بن عطيّة أخا جرير، وهو حينئذ يُهاجي ابن لجأ، فقال له: ويْلك! قل لأخيك: ثكلتْك أمُّك! أيتِ التّيميُّ منْ عَلُ كما أصنع أنا بك(٢). وكان الفرزدق قد أنفَ لجريرٍ وحمى من أن يتعلّق به التيميُّ. قال ابن سلاّم: فأنشدني له خلفُ الأحمرُ يقوله للتّيْميّ:

ومـا أنت إن قرْمـا تميمٍ تسـاميا ... أخا التّيْم إلا كالوشيظة في العظْم(٣)

فلو كنتَ مـوْلى العـزّ أو في ظلاله ... ظلُمْـتَ ولكـن لا يديْ لك بالظلـم

فقال له التّيميّ:

كذبْتَ أنا القرْمُ الذي دقّ مالكاً ... وأفْناءَ يرْبُوعٍ ومـا أنت بالقـرْم (٧/٧٧)

(٣٦)

قال ابن سلاّم وحدّثني الرازي عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبتِ ما هجوت قوماً قطُّ إلاّ فضحتهم إلاّ التيْم. فقال: يا بنيّ، لم أجد بناءً أهدِمه ولا شرفاً أضعه(٤). (٨/٧٨)

---

(١) ابن الأتان: لقب كان ينبز به جرير.

(٢) كأنَّ الفرزدق يرشد جريراً إلى مذهب في الهجاء كان غائباً عنه، ثمَّ يروح بعد هذا يستشهد بنفسه، ومنهجه في هجاء جرير.

(٣) الوشيظة: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم.

(٤) وتتمّة الخبر: «وكانت تيم رعاءَ غنم يغدون في غنمهم ثمّ يروحون» فكأنَّ جريراً لم يجد شيئاً يهجوهم به، وهو ما أشرنا إليه سابقاً.

(٣٧)

قال ابن سلاّم فحدّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرْملة قال: لمّا ورد علينا هجاءُ جرير والتّيميّ، قال (لي) سعيد بن المُسيب تروّ شيئاً مما قالا؛ فأتيتُه وقد استقبل القبلة يريد أن يكبّر، فقال لي: أرويْتَ؟ قلتُ نعم. فأقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتّيميّ وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدتُه لجرير، فقال: أكلَه أكلَه!. (٧٨/٨)

(٣٨)

حدّثني ابن عمّار قال حدّثني النّوْفليّ قال حدّثني علي بن عبد الملك الكعْبيّ من ولد كعْب مولى الحجاج قال حدّثني فلانٌ العلاّمةُ التميميّ يرْويه عن جرير قال: ما ندمْتُ على هجائي بني نُمير قطُّ إلا مرّةً واحدة، فإنّي خرجت إلى الشأم فنزلت بقوم نُزُولٍ في قصْرٍ لهم في ضيْعة من ضياعهم، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيّداً حسناً، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمير. فقلت: هذا شأم وأنا بدويٌّ لا يعرفُني، فجئت فاستضفتُ. فلما أذِنَ لي ودخلتُ عليه عرفني فقراني أحْسنَ القِرى ليلتين، فلما أصبحتُ جلستُ، ودعا بُنيّةٌ له فضمّها إليه وترشّفها، فإذا هي أحسنُ الناس وجهاً ولها نشْرٌ لم أشمّ أطيب منه. فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ: تالله ما رأيتُ أحسنَ من عيْني هذه الصبيّة ولا من حورها قطّ، وعوّذْتُها: فقال لي: يا أبا حزْرة، أسوْداءُ المحاجر[١] هي؟ فذهبتُ أصِفُ طيب رائحتها. فقال: أصنٌّ وبْرٍ هي؟[٢] فقلت: يرْحمُك الله! إنّ الشاعر ليقولُ، ووالله لقد ساءني ما قلته، ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت، وذهبت أعتذر. فقال: دعْ ذا عنك أبا حزْرة، فوالله مالك عندي إلا ما تحبّ. قال: وأحْسنَ والله إليّ وزوّدني وكساني، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلف منّي إلى قومه. (٨٣/٨)

(٣٩)

قال الزّبير وحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال: كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرجز به مكين العُذْريّ فقال:

---

(١) يشير إلى قول جرير في القصيدة البائية التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير:

وخضراء المغابنِ من نُمير   يشين سواد محجرها النقابا

(٢) يشير بقوله: (أصنّ وبْرٍ هي) إلى قول جرير في هذه القصيدة أيضاً:

تطلّى وهي سيئة المعرّى   بصِنّ الوبْر تحسبه ملابا

والوبر: دويبة على قدر السنّور، وصنّه بوله، وهو منتن جداً، والملاب: الطيب.

يابَكْرُ هل تعلم مَنْ علاكا خليفــةُ اللـه على ذُراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارْجُزْ، وظنَّ الوليد أنَّه يمدحه. فنزل فقال:

أنا جــمــيلٌ في السَّنام مــن مــعــدّ في الذُّرْوةِ العليــاء والرُّكْنِ الأشـدْ
والبـيت مــن ســعْدِ بن زيد والعــددْ مــا يبْتــغي الأعــداءُ منِّي ولقــدْ
أضــْري بالشَّــتْم لســاني ومــردْ أقــودُ منْ شئتُ وصــعْبٌ لم أقــدْ(١)

فقال له الوليد: أركب لاحملك الله!. قال: وما مدح جميل أحداً قطّ. (١٣٣/٨)

(٤٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفريّ قال حدّثنا القاسم بن أبي الزّناد قال: خرج عمرُ بن أبي ربيعة يريد الشأم، فلما كان بالجناب(٢) لقيه جميلٌ؛ فقال له عمرُ: أنشدني، فأنشده:

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

ثم قال جميل: أنشدني يا أبا الخطاب، فأنشده:

ألم تسألِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطن حُليَّاتٍ دوارس بلْقعا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما تواقفْنا وســلّمتُ أشْــرقتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنَّعا
تبـالهْنَ بـالعرْفـان لَمّـا عـرفْتني وقلْنَ امرؤٌ بـا غٍ أكـلَّ وأوْضــعـا
وقـرّبْنَ أسـباب الهــوى لمتيّـم يقيسُ ذراعاً كلّما قِسْنَ إصْبعا

قال: فصاح جميلٌ واستخْذى وقال: ألا إن النَّسيب أُخذ من هذا، وما أنشد حرفاً. فقال له عمر: اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها. (١٤٣/٨)

(٤١)

أمّـا القطـاةُ فإنّي ســوف أنعتُهـا نعتاً يوافق منها بعض مـا فـيهـا
سكّاءُ مـخطوبةٌ في ريشــهـا طـرقٌ صُهْبٌ قوادِمُهـا كُـدْرٌ خـوافـيـهـا(٣)

---

(١) ضرى بالشيء: لهج به، وأضراه بالشيء ألهجه به.

(٢) الجناب: موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام.

(٣) السكك: صغر الآذان ولصوقها بالرأس، ويقال للقطاة سكّاء لأنه لا أذن لها، والمخطوبة: التي على لون =

لمَّا تبدَّى لها طـارت وقد علمتْ أنْ قد أظل وأنَّ الحيَّ غـاشـيـهـا
تشْتقّ في حيث لم تُبْعِدْ مُصعّدَةً ولم تُصوِّبْ إلى أدنى مهـاويها(١)
تنْتاشُ صفراءَ مطروقاً بقيّتُها قد كاد يأزَى عن الدُّعموصِ آزيها(٢)
ما هـاج عينك أمْ قد كاد يُبْكيها من رسْمِ دار كسحْقِ البُرْدِ باقيها(٣)
فلا غنيمة تُوفي بالذي وعدتْ ولا فؤادُك حتى الموتِ ناسيها

فأمَّا خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبيّ زعم أنَّ السبب فيه أنَّ العُجيْر السلوليّ وأوْس بن غلْفاء الهُجيْميّ ومُزاحماً العقيليّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكنْديّ وحُميْد بن ثوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنّه أشعر من صاحبه. ومرَّ بهم سرْبُ قطاً؛ فقال أحدهم: تعالوا حتى نصفَ القطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأيُّنا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أوْس بن غلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أما القطاة». وقال حُميد أبياتاً وصف ناقته فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

كما انصلتتْ كدْراءُ تسقي فراخها بشمْظة رِفْهاً والمياهُ شُعُوبُ(٤)
غدتْ لم تُباعِدْ في السماء ودونها إذا ما علتْ أهْويَّةٌ وصبُوبُ(٥)
قرينةُ سبْعٍ إنْ تواترن مرَّةً ضربْن فصفَّتْ أرؤس وجنوبُ(٦)
فجاءتْ وما جاء القطا ثم قلَّصت بمفْحصها والوارداتُ تنوبُ(٧)
وجاءت ومسْقاها الذي وردتْ به إلى الصدْرِ مشدودُ العصامِ كتيبُ(٨)
تُبادر أطفالاً مساكينَ دونها فلاً لا تخطّاه العيونُ رغيبُ(٩)

= الحنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت، وصارت فيها خطوط خضر، والطرق في الريش: أن يكون بعضه فوق بعض كأنّ الأعلى يلبس الأسفل، والصهبة: لون يضرب إلى الحمرة أو إلى الشقرة.

(١) تشتقّ: تقطع. (٢) تنتاش: تتناول بقية من الماء، والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول، ويأزى: يقلّ، والدّعموص: الصغير في الضفادع وجمعه دعاميص.

(٣) السحق: الثوب البالي.

(٤) انصلتت: أسرعت في السير، وشمظة: موضع بعكاظ، والرِّفه: أقصر الوِرد، وهو أن ترد الإبل الماء كلّ يوم أو متى شاءت، والشّعوب: البعيدة.

(٥) الأهوية: الهاوية، والصَّبوب: منحدر الوادي.

(٦) التواتر: التتابع، يقال تواترت الإبل والقطا إذا جاء بعضها في إثر بعض، ولم تجي مصطفّة.

(٧) قلّصت: انضمّت وزوت، والمفحص: مجثم القطاة، والواردات تنوب: أي الواردات للماء ترجع.

(٨) العصام: حبل تشدّ به القربة، وكتيب: محزوز. (٩) الفلا: الصحراء، والرغيب: الواسع.

وصــفْنَ لهــا مُزْناً بأرض تنُوفــةٍ   فــمـــا هـــي إلاّ نهْلــةٌ وتــؤوبُ(١)

وقال العباس بن يزيد بن الأسود ـ هكذا ذكر ابن الكلبيّ، وغيره يرويها لبعض بني مُرّةَ ـ :

حــذّاءُ مُدْبِـرةً ســكّـاءُ مقبلـــةً   للماء في النحر منها نوْطةٌ عجبُ(٢)

تسـقي أزيغبَ تُرويه مُجاجـتـهـا   وذاك من ظمْـاةٍ من ظمْئـهـا شَرَبُ(٣)

مُنْهرت الشِّـدقِ لم تنْبُتْ قوادمُـه   في حاجب العين من تسبيده زببُ(٤)

تدعو القطا بقصير الخطو ليس له   قُـــدّامَ منْحِـرهـا ريـشٌ ولا زغـبُ

تدعو القطا وبه تُدْعى إذا انتسبتْ   يا صِـدْقَها حين تدعـوه وتنتســبُ

وقال مُزاحم العقيليّ:

أذلك أم كُدْريّـــةٌ هـــاجَ وِرْدهـــا   من القـــيظ يومٌ واقـــدٌ وسَمُومُ

غـدتْ كنواة القسْب لا مُضْمَحِلّةٌ   ونـاةٌ ولا عـجْلى الفُتـور سـئـومُ(٥)

تُواشـكُ رجْـــعَ المنْكبين وترتمي   إلى كلْكلٍ، للهـــاديات قـــدُومُ(٦)

فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها   وفَيْءُ الضُّحى قد مـال فهـو ذميمُ

أباطحِ وانتْصتْ على حيث تستقي   بهـــا شَـرَكٌ للواردات مقيمُ(٧)

سقتْها سيولُ المُدْجِنات فأصبحتْ   عـلاجيم تجْـري مـــرّةً وتــدومُ(٨)

فلما استقتْ من بارد الماء وانجلى   عن النفس منهـا لوْحةٌ وهمـومُ(٩)

دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها   قوادمُ حجـنٌ ريشُـهنّ مـــليـمُ(١٠)

بجــوزٍ كـحُقِّ الهــاجــريّة زانـه   بأطراف عـودِ الفــارسـيِّ وشُومُ(١١)

---

(١) التنوفة: الأرض القفر. النهلة: الشربة. (٢) الحذّاء: القصيرة الذّنب، والنوطة: الحوصلة.

(٣) المجاجة: الريق، والظمء: ما بين الشربين والوردين.

(٤) مُنْهرت: واسع، والتّسبيد: أوّل ظهور ريش الفرخ، والزبب: كثرة الزغب.

(٥) القَسْب: تمر يابس يتفتّت في الفم صلب، ونواه شديد قوي، والوناة: البطيئة القيام والقعود.

(٦) الهادية: المتقدّمة، يريد أنّها توالي بين جناحيها مسرعة حتى تتقدّم غيرها من السّابقات.

(٧) يقال: انتصّت العروس إذا جلست على المنصّة لترى، هذا هو الأصل فيه، يريد أنّها وقفت على الماء.

(٨) المدجنات: السحائب الدائمة المطر، والعلاجيم: جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير، وتدوم: تسكن.

(٩) اللوحة: العطشة. (١٠) حُجْنٌ: عوج، ومليم: كثير متكاثف.

(١١) الجوْز: المرور والسّير، الحُقّ: وعاء صغير ذو غطاء يُتّخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما، والهاجرية: المرأة الحضرية، يريد أنّ مرورها صغير سريع، الوشوم: الرسوم على ذلك الحُقّ الذي شبّه به مرور هذه القطاة.

لتسقيَ زُغْباً بالتنوفة لم يكن خلافَ مولاّها لهنَّ حميمُ(١)
ترائكَ بالأرضِ الفلاة ومن يدعْ بمنزلها الأولادَ فهو مُليمُ(٢)
إذا استقبلتْها الريحُ طمَّتْ رفيقةً وهَزْ بمهوىً كالكُرات جثومُ(٣)
يُراطنَّ وقصاءَ القفا وحشة الشوى بدعوى القطا لحْنٌ لهنَّ قديمُ(٤)
فبتْنَ قريراتِ العيون وقد جرى عليهن شِربٌ فاستقين مُنيمُ
صبيبُ سقاءٍ نيطَ قد بركتْ به مُعاودةٌ سقيَ الفِراخ رؤومُ(٥)

وقال العُجيْر - فيما روى ابن الكلبي، وقد تُروى لغيره -:

سأغلِبُ والسماءِ ومَنْ بناها قطاةَ مُزاحمٍ ومن انتحاها
قطاةَ مُزاحمٍ وأبي المُثنّى على حُوزيّةٍ صلْبٍ شواها(٦)
غدتْ كالقطْرةِ السُفْواءِ تهْوي أمامَ مُجلْجلٍ زجلٍ نفاها(٧)
تكفأُ كالجُمانةِ لا تُبالي أبا الموماةِ أضحتْ أم سواها(٨)
نبتْ منها العجيزةُ فاحزألّتْ ونبّس للتقتُّلِ منكباها(٩)
كأنَّ كعوبها أطرافُ نبْلٍ كساها الرّازقيةَ مَنْ براها(١٠)

قال: واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوْس بن غلْفاء. (٨/٢٥٨)

(٤٢)

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قعْنب بن مُحْرز الباهليّ قال حدّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُميد بن ثور والعُجيْر السّلوليّ ومُزاحم العُقيليّ وأوْس بن غلْفاء الهُجيْميّ أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها: فقالت:

---

(١) مُولاّها: ذهابها. (٢) ترائك: فراخ هذه القطاة التي تركتهم بالفلاة، والمُليم: الذي يفعل ما يُلام عليه.
(٣) طمّت: أسرعت، جثوم: قابعات، جالسات.
(٤) يُراطِنّ: الرّطانة في الأصل: التكلّم بكلام غير مفهوم، وأراد بها هنا أصوات فراخ القطاة العجماوات، ووقصاء: قصيرة، والشوّى: الأطراف، واللحن هنا: الإشارة والصوت.
(٥) الصبيب: المصبوب، نيط: رُبط، رؤوم: رحيمة. (٦) الحُوزيّة: الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها.
(٧) السُفْواء: السريعة، المجلجل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد، وغيث زجل: لصوته رعد.
(٨) الموماة: الصحراء. (٩) احزألّت: ارتفعت، ونبس: تحرّك، والتقتّل: التثنّي والتبختر.
(١٠) الرّازقية: ثياب كتّان بيض.

ألا كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا بها غير ما قال السَّلوليُّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له. فقال حُميد بن ثوْر يهجوها:

كأنّك ورْهاءُ العنانيْنِ بغلةٌ رأت حُصُناً فعارضتْهنَ تشْحجُ[1] (٨/٢٦٣)

(٤٣)

وقال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مسلم عن حفْص بن عمر قال: سمعْتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفْص، فحدثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدحُ الناس لكريم وأوصفُه للخمْرِ. (٨/٢٨٦)

(٤٤)

وروى إسماعيل بن عُبيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سماك بن حرْب: أنَّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضوْءُ بن اللُّجْلاج؛ فقال له: مَنْ أمدحُ أهل الإسلام؟ فقال له: وما تُريد إلى ذلك؟ قال: تمارينا فيه. قال: الأخطل أمدحُ العرب. (٨/٢٨٦)

(٤٥)

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مرّار الشّيْبانيّ: الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحُهم! فقال: لا والله! ولكن أهجاهم. مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول:

ونحن رفعنا عن سلُولَ رماحنا وعمْداً رغبنا عن دماء بني نَصْرِ (٨/٢٨٧)

(٤٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحِرْمازيّ: أنَّ رجلاً من بني شيْبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنّا، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ، وإنَّ لك عندي نُصْحاً. فقال: هاتِه، فما كذبتَ. فقلت: إنك قد هجوت جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويسُبُّ ربيعةَ سبّاً لا تقدر على سبِّ مُضر بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته. فقال: صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادك، وصَلَتْك رحِمٌ! فوالصّليب والقُرْبان لأتخلّصنَّ إلى كُليْب خاصةً دون

(١) الورهاء: الخرقاء.

مُضر بما يَلْبسُهم خزْيُه، ويشمَلُهم عارُه(١). ثم اعلم أنَّ العالمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليب إذا مرَّ به البيتُ المُعايَر(٢) السائر الجيِّد، أمُسْلِمٌ قاله أم نصْراني(٣). (٨/٢٨٩)

(٤٧)

وقال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مُسْلم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنْظلة الشّيْبانيّ قال: قال الأخطل: فضلتُ الشعراء في المديح والهجاء والنّسيب بمالا يلْحق بي فيه. فأمّا النّسيب فقولي:

ألا يا اسْلمي يا هندُ هندَ بني بدْرٍ ... وإن كان حيَّاناً عدىً آخر الدهْرِ
من الخَفِرات البيضِ أمَّا وشاحُها ... فيجري وأمَّا القُلْبُ منها فلا يجري(٤)
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي ... بمُطَّرِدِ المَتْنَيْن مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولي في المديح:

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا ... أبدى النّواجذَ يوماً عارمٌ ذكرُ(٥)
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرهُ ... خليفةُ الله يُسْتسْقَى به المطرُ

وقولي في الهجاء:

وكنتَ إذا لقيتَ عبيدَ تَيْمٍ ... وتيماً قلتَ أيُّهُم العبيدُ
لئيمُ العالمين يسُودُ تيْماً ... وسيّدُهم وإن كرهوا مسُودُ

قال عبد الخالق: وصدق لعمْري، لقد فضلهم. (٨/٢٩٧)

(٤٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهيْر بن حرْب عن خالد بن خداش: أنَّ

---

(١) يذكرُنا كلام الأخطل بكلام حسَّان بن ثابت السابق حين قال للرسول(ص): لأسلُّنك من قريش مثلما تُسلُّ الشعرة من العجين، فكأنَّه سيتعرَّض لقريش وحدها بما لا يؤذي رسول الله (ص)، ونجد الأخطل يقتفي ذلك الأثر، ويحاول أن يخصَّ بهجائه كليباً وحدها، بما لا يتعرَّض فيه لمضرَ عامَّة. وهو مذهب في الهجاء دقيق، لا يقدر عليه غير كبار الشعراء بسبب التحام القبائل، ووحدة الأصول.

(٢) المعاير: المتداول بين الناس.

(٣) كأنَّ الأخطل هنا يحكِّم مقياساً فنياً خالصاً في جودة الشعر أو رداءته، ولا يلتفت إلى مقاييس أخرى كان كثير من النقاد والدارسين يولونها اهتمامهم مثل: الديني أو الخلقي، وسنجد لهذا نظائر فيما بعد.

(٤) القُلْب: السوار. (٥) العارم: الشديد الشرس.

الأخطل قال لعبد الملك بن المُهلّب: ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مدْحكم؛ فأعطني عطيّة تبسُط بها لساني(١)؛ فوالله لأردِّيَنّكم أرديةً لا يذهب صقالُها إلى يوم القيامة، فقال: أعلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أخاف أن يبلُغ أمير المؤمنين أنِّي أسألُ في غُرْمٍ وأعطي الشعراء فأهلِكَ ويظنُّ ذلك منِّي حيلةً. فلما قدم على إخوته لاموه كل اللَّوْم فيما فعله. فقال: قد أخبرته بُعذْري. (٢٩٨/٨)

(٤٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال: كان ممَّا يُقَدَّم به الأخطل أنه كان أخبثهم هجاءً في عفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوتُ قطُّ بما تستحي العذراءُ أن تُنْشده أباها(٢). (٣٠٠/٨)

(٥٠)

قال هارون وحدّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كلثوم قال: قال عبد الملك للفرزدق: مَنْ أشعرُ الناس في الإسلام؟ فقال: كفاك بابن النَّصرانية(٣) إذا مدح. (٣٠٦/٨)

(٥١)

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلاّم: كان الأخطلُ مع مهارته وشعره يسقُط أحياناً: كان مدح سماكاً الأسديّ، وهو سماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقّبون القُيُونَ، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام عليّ هارباً فلحقَ بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعم المُجيرُ سماكٌ من بني أسدٍ ... بالقاع إذ قتلت جيرانها مُضرُ
قد كنتُ أحسبه قيْناً وأخْبرُه ... فاليوم طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ
إنَّ سماكاً بنى مجداً لأسرته ... حتى المماتِ وفعِلُ الخير يُبتدرُ

---

(١) يشير كلام الأخطل إلى أنَّ قصيدة المديح لا تأتي إلاّ بعد العطاء، ولعلَّ هذا يشبه ما رأيناه عند نصيب الذي ذهب إلى أنّه يمدح الرجال على أقدارهم.

(٢) وهذا يدلّ على أنَّ الهجاء الذي يقوم على بذيء الكلام وحده، لا يستخدمه سوى ضعاف الشعراء. أمّا كبارهم مثل الأخطل، فلَه متّسع في القول، ينأى به عن الفحش، مع إصابته الغرض في هجائه.

(٣) ابن النَّصرانية هو الأخطل.

فقال سماك: يا أخطلُ، أردتَ مدْحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولاً فحقَّقتَه. فلما هجا سُويداً قال له سُويدٌ: والله يا أبا مالك، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردتَ مدْح الأسديّ فهجوته - يعني قوله:

قد كنتُ أحسبه قيناً وأنبؤه فاليوم طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ

إنَّ سماكاً بنى مجداً لأسرته حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدَرُ

- وأردتَ هجائي فمدحتني، جعلتَ وائلاً حمَّلتني أمورها، وما طمعتُ في بني تغلب فضلاً عن بكر(١). (٣١٢/٨)

(٥٢)

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهْريّ قال حدّثني سليمان بن فُلَيْح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصَّد القصيد ولا نعت الملوك مثلُ كثيِّر. (٥/٩)

(٥٣)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال: قال الشعبيُّ: الأعشى أغزلُ الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت. فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله:

غــرّاءُ فرْعـــاءُ مصقــولٌ عــوارضُهــا تَمْشي الهُوينى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ(٢)

وأمّا أخنثُ بيت فقوله:

قالت هُريرةُ لمّا جئتُ زائرها ويْلي عليك وويْلي منك يا رجل

وأمّا أشجعُ بيت فقوله:

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتنا أوْ تنزلون فإنا معْشرٌ نُــزُلُ (١١٢/٩)

---

(١) لعلّ هذا هو التفاوت الذي أشار إليه بعض النقاد العرب القدامى، وهو الاختلاف في شعر الشاعر نفسه، جودة أو رداءة، فقد رأينا فيما مضى أن الأخطل كان متقدّماً في المديح بشهادة جمهرة من الشعراء والنّقاد، وهو ما عُرف عنه، ولكنّه في هذا النصّ يبدو مجانباً لطريقته في المديح، ويأتي هاجياً من حيث أراد المدح والعكس صحيح.

(٢) الغرّاء: البيضاء. والفرعاء: الطويلة. والعوارض: الثنايا، سُمّيت عوارض لأنها في عُرض الفم. ينظر لسان العرب (١٨٠/٧). والوجي: وصف من الوجى وهو أن يجد ألماً في رجليه عند المشي، والوَحِل: الماشي في الوحل، وهي كناية عن التثنّي والتبختر.

(٥٤)

وهو (الشماخ) أوصفُ الناس للحمير، أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال: أنشد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً من شعر الشَّمّاخ في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمّاراً. (١٦١/٩)

(٥٥)

وذكر القحْذميّ وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنيْ عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يردُّني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مُبْتذَلٌ منّا. فاجتمعوا ليومٍ وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبْنَى. فلمّا رآهم أعْظم مصيرهم إليه وأكْبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق. قال: هي مقضيَّةٌ كائنةً ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنةً ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تهب لهم ولي لُبْنى زوجتك وتطلّقها. قال: فإني أشْهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها. وقال ابن عائشة: فعوَّضه الحسنُ من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عِدَّتُها. فسأل القوم أباها فزوَّجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازى ... على الإحسان خيراً من صديق
فقد جرَّبتُ إخواني جميعاً ... فما ألْفيْتُ كابنِ أبي عتيق
سعى في جمع شمْلي بعد صدْعٍ ... ورأيٍ حدْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصَّتْني حرارتُها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمْسِكْ عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلاّ ظنَّني قوّادا. (٢١٩/٩)

(٥٦)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أحمد بن يحيى ثعْلب قال: قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبتِ، مَنْ أنْسبُ الشعراء؟ قال له: أتعْني ما قلتُ؟ قال: إنّي لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابنُ الرِّقاع في قوله:

لولا الحياء وأنَّ رأسي قد عسا فيه المشيب لزُرْتُ أمَّ القاسم

الثلاثة الأبيات. ثم قال لي: ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً. (٢١٣/٩)

(٥٧)

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرِّقة جماعةٌ من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خلفَ بن المرْزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيْبانيّ وقد بيَّنتُ رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عُبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصِّمَّة حيث يقول:

تقول ألا تبْكي أخاكَ! وقد أرى مكانَ البكا لكن بُنيتُ على الصبرِ
لمقتل عبد الله والهالك الذي على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبدٍ يغوث أو خليليَ خالدٍ وعزٌّ مُصاباً حثْوُ قبرٍ على قبر
أبى القتل إلاّ آلَ صِمَّة إنهم أبَوْا غيره والقدْرُ يجْري إلى القدْر
فإمَّا ترينا ما تزال دماؤنا لدى واترٍ يشقى بها آخر الدهر
فإنَّا للحْمُ السيفِ غير نكيرةٍ ونلْحمُه حيناً وليس بذي نُكْر(١)
يُغار علينا واترين فيُشْتفى بنا إن أُصِبْنا، أو نُغيْر على وتْر
بذاك قسمْنا الدهر شطْرين قسمةً فما ينْقضي إلا ونحن على شطْر

وأخبرني ابن عمَّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني محمد بن القاسم الأسديّ عن صاعدٍ مولى الكُميْت بن زيد يقول: أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصِّمَّة، وذكر هذه الأبيات. (٤/١٠)

(٥٨)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجُمَحيّ إجازةً عن محمد بن سلاَّم وذكر ذلك الأصمعيّ أيضاً قالا قال أبو عمر بن العلاء: كان أبو النَّجم أبلغ في النَّعْت من العجّاج. (١٥٠/١٠)

---

(١) لحمه: أطعمه اللَّحم.

(٥٩)

قال جرير: ... الأخطل... يجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر. (٢٩٠/١٠)

(٦٠)

وقال أبو زيد عمر بن شبّة: ومما سبقَ فيه زُهير في مدْح هرم ولم يسْبِقه إليه أحد قولُه:

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هرمٍ والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقا
مَنْ يلْقَ يوماً على علاَّته هرماً يلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
يطلب شأوَ امْرأين قدَّما حسباً بذَّا الملوكَ وبذَّا هذه السُّوقا(١)
هو الجوادُ فإن يلْحقْ بشأوهما على تكاليفه فمثْلُه لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثْلُ ما قدَّما من صالحٍ سبقا(٢)

(٣٠٥/١٠)

(٦١)

أخبرني الجوهريَ والمهلّبيَ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال قال المدائنيّ: قال عبد الملك بن مروان: ما يضرُّ مَنْ مُدِحَ بما مدحَ به زُهيرٌ آلَ أبي حارثة من قوله:

على مُكْثريهم رِزْقُ مَنْ يعْتريهمُ وعند المقلّين السَّماحةُ والبذْلُ(٣)

ألاَّ يمْلك أمورَ الناس (يعني الخلافة). قال ثم قال: ما ترك منهم زُهيْرٌ غنيّاً ولا فقيراً إلاَّ وصفه ومدحه. (٣٠٦/١٠)

(٦٢)

أخبرني الحسن بن علي عن العنزي عن (محمد بن) معاوية قال: غنَّت جارية عند عبد الملك بن مروان بشعر الأقيشر:

قرَّبَ الله بالسلام وحيَّا زكريا بن طلحة الفيَّاض

---

(١) أراد بالمرأين: أباه وجده. يقول: تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما، وذلك شديد لأنهما لا يجاريان في فعل.

(٢) المهل: التقدّم، يقول: إنَّ الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذا عليه المهلة في الشرف؛ لأنَّ مثل فعلهما وما قدّماه من صالح سعيهما سبق مَنْ جاراهما.

(٣) يعتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم.

معدن الضيف إن أناخوا إليه بعد أينَ الطلائحِ الأنقاضِ(١)
ساهمات العيون خوص رذايا قد بداها الكلال بعد أياضِ(٢)
زاده خالد ابن عمّ أبيه منْصباً كان في العلاذا انتقاضِ
فرعْ تيم من تيم مُرَّة حقاً قد قضى ذاك لابن طلحة قاضِ

فقال عبد الملك للجارية: ويْحك! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر قال: هذا المدح لا على طمع ولا فرق(٣). (٢٥٥/١١)

(٦٣)

أخبرني هاشم بن محمد بن أبي غسان دماذ عن أبي عُبيدة قال: مرَّ الأقيشر بخمَّارة بالحيرة يقال لها دَوْمة، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جوِّدي لي الشَّراب حتى أجيد لك المدْح ففعلتْ. فأنشأ يقول:

ألا يا دَوْمَ دامَ لك النَّعيمُ وأسْمَر ملْءُ كفك مستقيمُ
شديدُ الأسر ينْبِضُ حالباه يحُمُّ كأنَّه رجلٌ سقيمُ
يُرَوِّيه الشرابُ فيزْدهيه وينْفُخُ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال: فسُرَّتْ به الخمَّارةُ وقالت: ما قيل فيَّ أحسنُ من هذا ولا أسرُّ لي منه. (٢٧١/١١)

(٦٤)

...قال ذو الرّمة:

وكائنْ تخطَّت ناقتي من مفازة إليكَ ومن أحواضِ ماءٍ مُسدَّمِ(٤)

---

(١) معدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به، والأين: التَّعب، والطلائح: جمع طليح وطليحة، وهو الذي أعياه السيَّر. والأنقاض: جمع نِقْض وهو المهزول من السُّير. ويريد بها النوق.

(٢) ساهمات العيون: متغيِّراتها، وخوص: غائرات للعيون، الواحد أخوص وخوصاء، ورذايا: مهزولات، والواحد رذيّ ورذيَّة. وأياض: هكذا ضُبطت في الأغاني، وعلّق عليها: «كذا في أكثر الأصول، وفي جـ هكذا: أباض بالباء الموحّدة، ولم نهتدِ إلى ما نطمئن إليه في هذه الكلمة». وأعتقد أنَّ الكلمة هي «إباض» بالباء، ومعنى الإباض: عقال ينشب في رسغ البعير لئلا يحرد، ولا يحرد البعير إلاّ إذا كان قوياً نشيطاً، وأراد الشاعر أنَّ هذه النوق قد أصابها الكلال والتعب بعد أن كانت قويّة نشيطة بدلالة الإباض. وينظر لسان العرب (١١٠/٧).

(٣) الفَرَق: الخوف. (٤) الماء المسدّم: المتغيّر لطول العهد.

بأعقاره القردان هـزْلى كأنَّها نوادر صيصاء الهبيد المحطَّم(١)

.. قال: وهذه قصيدة مدح بها ذو الرُّمة عبد الملك. فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلاَّ بهذين البيتين، وسائرها في ناقته. فلمَّا قدم على عبد الملك بها أنشده إيَّاها. فقال له: ما مدحتَ بهذه القصيدة إلاَّ ناقتك فخذ منها الثواب. وكان ذو الرُّمة غير محظوظ في المديح.. (٣٩/١٢)

(٦٥)

وحدَّثني عمي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال: أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله:

بكر العواذل يبتدرْن ملامتي والعاذلون فكلُّهم يلْحاني(٢)
في أن سبقتُ بشربة مقديَّةٍ صرفٍ مُشعْشعةٍ بماءِ شُنانِ(٣)

فقال له عبد الملك: شُبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول:

وإني لسهلُ الوجه يُعرف مجلسي إذا أحزن القانورةُ المتعبِّسُ(٤)
يضيءُ سنا جودي لمن يبتغي القِرى وليلُ بخيل القوم ظلماءُ حندس
ألينُ لذي القُربى مراراً وتلتوي بأعناق أعدائي حبالٌ تمرَّسُ(٥)

قال: وكان عبد الملك يتمثَّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب به:

دعانيَ حصنٌ للفرارِ فساءني مواطنُ أن يُثنى عليَّ فأُشْتَما
فقلت لحصنٍ نحِّ نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يُهدَّما
تأخَّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسي حياةً مثْلَ أن أتقدَّما
سيكفيك أطراف الأسنَّة فارسٌ إذا ريعَ نادى بالجوادِ وبالحمى
إذا المرءُ لم يغْشَ المكارهَ أوشكتْ حبالُ الهُوينى بالفتى أن تجذَّما(٦) (٢٨٠/١٢)

---

(١) الأعقار: جمع عقر، وعقر الحوض مؤخَّره حيث تقف الإبل إذا وردت. القِردان: مفردها قُرادة. وهي دُويبة متطفِّلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدَّواب والطيور، والهبيد: حَبّ الحنظل. والصيصاء: الضاوي الهزيل منه، يقول: القردان ليس لديها شيء تأكله فهي هزلى، فشبَّهها بما يشذّ ويخرج من ضاوي حَبّ الحنظل.

(٢) يلحاني: يلومني.

(٣) خمر مَقديَّة: نسبة إلى مَقَد وهي قرية بالأردن، وصرف: خالصة، ومشعشعة: ممزوجة، والشنان: الماء البارد.

(٤) أحزن: صار في الحَزْن، وهو ضدُّ السهل، والمراد هنا تشدَّد، والقانورة: السيِّء الخلق.

(٥) تمرَّس: هي تتمرَّس، أي يشتدّ التواؤها. (٦) تجذَّما: هي تتجذَّم أي تقطع.

(٦٦)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الحزامي قال: دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفيّ، فولاّه كورة فارس، ودفع إليه عهده بها، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج: أنشدني بعض شعرك، وإنّما إراد أن يُنشده مديحاً له، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبي الذي سلب ابنَ كسرى رايةً   بيضــاءَ تخفقُ كالعُقاب الطــائر

فلما سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضباً، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه، فقال الحجّاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا ردّه فقل له: أيُّهما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا؟ فردّ على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورثتُ جدّيَ مجده وفعالـه   وورثتَ جدُّك أعْنُزاً بالطائف

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها:

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معْمُودا   إذا أقــول صحــا يعْتادُه عيدا

يقول فيها:

سُمِّيتَ باسم امرئٍ أشبهْتَ شيمتَه   عــدلا وفضـلا ســليمانَ بنَ داودا
أحْمِدْ به في الورى الماضين من ملكٍ   وأنت أصبحتَ في الباقين محمودا
لا يبْرأ الناس من أن يحمدوا ملكا   أولاهُــمُ في الأمــور الحلم والجـودا

فقال له سليمان: وكمْ كان أجرى لك لعمالة فارس؟ قال: عشرين ألفا. قال: فهي لك عليّ ما دمتَ حياً. (٢٨٧/١٢)

(٦٧)

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني هارونُ بنُ مُسلم قال حدّثني عثمانُ بنُ حفص قال حدّثني عبد الواحد عريفُ ثقيفٍ بالبصرة: أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفيّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها وغشيني قومٌ من أهلها، قال: فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجّح في مشيته، فلما رآني أقبل إليّ، فقال القومُ: هذا جريرٌ. فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال لي: السّلامُ عليك، ممّنْ أنت؟ قلت: (رجل من ثقيف. قال: أعْرَضتَ الأديم(١)، ثمّ ممن؟ قلت:) رجل من بني مالك، فقال: لا إله إلا

(١) أعرض الشيء وعرّضه: جعله عريضاً أي وسّعه.

الله! أمثلك يعرفُ بأهل بيته! فقلت: أنا رجل من ولد أبي العاصي، قال: ابن بشْر؟ قلت: نعم. قال: أيُّهُمْ أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول:

فَني الشَّبابُ وكلُّ شيء فانِ ... وعلا لداتي شـيبُهم وعلاني

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

ألا لا مـرحـبـا بفـراق ليلـى ... ولا بالشـيب إذ طرد الشـبـابا
شبابٌ بان محـمـودا وشـيبٌ ... ذميمٌ لم نجدِ لهما اصطحابا
فـمـا منك الشـبـابُ ولستَ منه ... إذا سـألتك لحيُتك الخـضـابا

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

تعـالَوْا فـعُدّوا يعلم الناسُ أيُّنا ... لصـاحـبـه في أوّل الدهر تابعُ
تزيَّـدُ يربـوعٌ بكـم في عـدادها ... كما زيد في عرْض الأديم الأكارع(١)

قال: قلت: غفر الله لك، كان أبي أصْونَ لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك. فقال: رحم اللهُ أباك، فقد مضى لسبيله، ثم انصرف، فنزَّلني بكبشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزَّل أحد قبلك قط. (٢٩١/١٢)

(٦٨)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثنا علي بنُ الصبَّاح عن هشام بنِ محمدٍ قال: وفد العجيرُ السَّلوليُّ ـ وسلولُ بنو مرَّة بنِ صعصعةَ ـ على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عرضَ لعبد الملك، ثم وصل إليه فلما مثل بين يديه أنشد:

ألا تلك أمُّ الهـبْـرزيّ تبـيَّنَـتْ ... عظامي ومنهـا ناحلٌ وكـسـيـرُ(٢)
وقـالتْ تضـاءلت الغداةَ ومَنْ يكُنْ ... فتىً قبلَ عامِ الماءِ فهـو كبيـرُ(٣)
فـقلتُ لهـا إنَّ العُجـيـر تقلَّبتْ ... بـه أبطـنٌ أبليْتُـه وظهـورُ
فـمنهنّ إدلاجي على كلِّ كـوكبٍ ... له من عُمـانيٍّ النجـومِ نظيـرُ(٤)
وقـرْعي بكفّي باب ملْك كـأنَّمـا ... به القـومُ يرجـون الأذينَ نُسُورُ(٥)

---

(١) الأكارع: جمع كراع، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس، وهو مُسْتَدَق الساق.

(٢) أمّ الهبرزيّ: الحمّى. (٣) عام الماء: إذا كان عام خصيب مشهور بالكلا والكمأة والجراد سُمّي عام الماء.

(٤) عماني: منسوب إلى عمان. (٥) الأذين: الحاجب الذي يبلغ إذن الملك للمثول بين يديه، وهو الآذن.

ويوم تبارى ألسُنُ القوم فيهم ... وللموت أرحاءٌ بهنّ تدورُ
لو ان الجبال الصمُّ يسمعن وقعها ... لعُدْن وقد بانت بهنّ فُطورُ
فرحتَ جواداً والجوادُ مثابرٌ ... على جريِه ذو علةٍ ويسيرُ

فقال له: يا عجيرُ ما مدحتَ إلاّ نفسك، ولكنّا نُعْطيك لطول مُقامك. وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر، فكتب له بها. (٦٧/١٣)

(٦٩)

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبوعمر بُنْدار الكرجيّ قال: حدّثنا أبو غسّان التميمي عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبّهوني مرّةً بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلب وولده!(١)

براك اللـه حينَ براكَ بحـراً ... وفجّر منكَ أنهـاراً غـزارا
بنوك السابقون إلى المعالي ... إذا ما أعظمَ الناسُ الخطارا(٢)
كأنّهُمُ نجـومٌ حـولَ بدرٍ ... دراريٌّ تكمّل فاستـدارا(٣)
ملـوك ينزلـون بكـلّ ثغـرٍ ... إذا ما الهـامُ يومَ الرّوْع طارا
رزانٌ في الأمور ترى عليهـم ... من الشّيخ الشمـائل والنجارا(٤)
نجـومٌ يُهتدى بهـمُ إذا مـا ... أخـو الظّلْمـاء في الغمرات حارا (٢٨٦/١٤)

(٧٠)

أخبرني عمي قال: حدثني محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثني العُمريّ عن العُتْبيّ قال: قال عبد الملك بنُ مروان: يا معشر الشعراء، تشبّهوننا بالأسد الأبخر، والجبل الوعْر، والملِح

---

(١) كأنّ عبد الملك يؤكّد هنا ما ذكرناه في نصّ سابق من تفضيله المدح بالصفات النفسية، وترك المدح بالصفات الجسدية، فهو لا يستحسن التشبيه بالأسد، والبازي والصقر، بل يفضّل أبيات الأشقريّ التي اهتمّ فيها بصفات الكرم والشجاعة، والحكمة، وفي كتاب المصون، للعسكري (ص٦٢)، نرى عبد الملك يفصّل اعتراضه على الشعراء فيقول: «تشبّهوننا بالأسد والأسد أبخر، وبالبحر والبحر أجاج، وبالجبل والجبل أوعر». وينظر ديوان المعاني، للعسكري (٢٦/١).

(٢) الخطار: المراهنة.

(٣) دراريّ: مضيئة. وتقدير البيت: كأنّهم نجوم دراري: حول بدر تكمّل فاستدار.

(٤) رزان: جمع رزين، والشمائل: جمع شِمال وهو الطبع، والنّجار: الأصل والحسب.

الأجاج؟(١) ألا قلتم كما قال كعبُ الأشقريّ في المهلب وولده:

لقد خاب أقوامٌ سروْا ظُلَمَ الدُّجى ... يؤمّون عمراً ذا الشعيرِ وذا البُرّ
يؤمُّونَ من نال الغِنى بعد شيْبِهِ ... وقاسى وليداً ما يقاسي ذوو الفَقْرِ
فقل للجُيَمْ يا لبكر بن وائل ... مقالةَ من يلحى أخاه ومن يُزْري(٢)
فلو كنتُم حياً صميماً نفيْتُمُ ... بخليكُمُ بالرُّغم منه وبالصُّغْرِ(٣)
ولكنَّكم يا آل بكر بن وائل ... يسودكُم من كان في المال ذا وفْرِ
هو المانع الكلبَ النُّباحَ وضيْفُه ... خميصُ الحشا يرعى النجوم التي تسري(٤)

(٢٩٧/١٤)

(٧١)

أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال: حدّثنا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مرْوان لولده وأهله: أيُّ بيتٍ ضربته العربُ (على عصابة)(٥) ووصفتْه أشرفُ حواء، وأهْلاً وبناء؟ فقالوا فأكثروا، وتكلَّم من حضرَ فأطالوا. فقال عبد الملك: أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيلٍ الذي يقول فيه:

وبيتٍ تهبُّ الرّيحُ في حجراته ... بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجَّبِ
سماوتُه أسمالُ بُردٍ محبّرٍ ... وصهوتُه من أتحميٍّ معصَّبِ(٦)
وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها ... صُدورُ القنا من باديءٍ ومعقِّبِ(٧)
نصبتُ على قومٍ تُدِرُّ رماحُهم ... عروقَ الأعادي من غريرٍ وأشيبِ(٨)

(٣٥٣/١٥)

---

(١) هذا هو التفضيل الذي أوردناه في التعليق على النص السابق، وهو يبين عدم ارتياح عبد الملك لهذه التشبيهات.

(٢) يلحى: يلوم، ويزرى عليه: عابه. (٣) الصُّغر: الذل.

(٤) خميص الحشا: ضامر البطن. (٥) العصابة: الجماعة.

(٦) سماوته: سقفه، الأسمال: الثياب البالية، والمحبّر: المخطّط، والأتحمي: ضرب من البرود، والمعصّب: المخطّط أيضاً.

(٧) الأرسان: جمع رَسَن، وهو ما كان من الأزمّة على الأنف، والجرد: الخيول، والبادئ: الذي غزا أوّل غزوة، والمعقّب: الذي غزا غزوة بعد غزوة.

(٨) تدِرّ: تجرح فتُخرج الدم، والغرير: الشاب الذي لا تجربة له.

(٧٢)

أخبرني الجوهريّ والمُهلّبيّ قالا: حدّثنا عُمر بن شبّة قال: حدّثنا هوذة بن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سيرين، في حديث طويل قال: كان يهجوهم يعني قريشاً، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وكان حسّان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يُعيّرُهمْ بالكفر، وينسبُهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شرٌّ من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولُ ابن رواحة(١). (١٦/ ٢٣٠)

(٧٣)

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال: قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيتَ وصفَ به رجل قومه. فقال له روْح بن زنباع: قول كعب بن مالك:

نَصِلُ السيوفَ إذا قصُرْنَ بخطونا ... قدْمــا ونُلحقُهــا إذا لــم تلْحــقِ

فقال له معاوية: صدقت. (١٦/ ٢٣٤)

(٧٤)

وقال قعنب بن المحرز: حدّثني المدائنيّ قال: قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدِّيل: أنشدني مديحك مُصْعبا. فاستعفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، وقد علمتَ أن هواي أمويّ. قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته. فأنشده:

يرحمُ الله مصعباً فلقد ما ... تَ كريماً ورامَ أمراً جسيما

فقال عبد الملك: أجلْ، لقد مات كريماً. ثم تمثّل:

ولكنه رام التي لا يرومُهــا ... من الناس إلا كلُّ خِرقٍ مُعمَّمِ(٢) (١٦/ ٣٠٢)

---

(١) أثّر الإسلام تأثيراً كبيراً في معاني الهجاء، وطُرقه، وقد رأينا هذا واضحاً في هذا النصّ، فلم تَعُدْ الأيام والوقائع والمآثر تلقى كبير شأن لدى المسلمين، إنّما هو الدين والخروج عليه كان المُوجعَ والمؤذي، وقد أشرنا إلى شيء شبيه بهذا في سياق القضية السابقة.

(٢) الخرق: السيِّد الكريم، والمعمَّم: إذا سُوِّد الرجل قيل له معمَّم أي لبس العمامة لأنَّ تيجان العرب العمائم، ينظر لسان العرب (١٢/ ٤٢٥).

(٧٦)

فقال: وودَّع الكميت هشاماً، وأنشده قوله فيه: ذكر القلبُ إلْفه المذكورا

قال محمد بن كُناسة: وكان الكميتُ يقول: سبقتُ الناسَ في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سُبقتُ إليه في صفة الفرس حين أقول:

يَنْحتُ التُّرْبَ عن كواسر في المشْـ ـرِبِ لا يُجْشِـمُ السُّـقاةَ الصُفيرا(١)

هذه رواية ابن عمار. وقد روي فيه غيْر هذا. (٨/١٧)

(٧٦)

أخبرني محمد بن العباس، قال: أخبرني عمِّي عن عُبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة، قال: مات وَرْدٌ أخو الكميت، فقيل للكميت: ألا ترثي أخاك؟ فقال: مرْثيته ومرْزيته عندي سواء، وإني لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه. (٣١/١٧)

(٧٧)

أخبرني عمي وابن عمار، قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل: أنَّ سبب هجاء الكميت أهْلَ اليمن، أنَّ شاعراً من أهل الشام يقال له: حكيم بن عيّاش الكلبيّ كان يهجو عليَّ بن أبي طالب - عليه السلام - وبني هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أمية، فانتصبَ له الكميت فهجاه وسبَّه، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما، وكان الكميتُ يخافُ أن يفتضح في شعره عن عليّ - عليه السلام - لما وقع بينه وبين هشام، وكان يظهر أنَّ هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصبَّاح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرميّ يرْوُونَ شِعْرَ الكلبيّ، فهجا أهلَ اليمن جميعاً إلاَّ هذين، فإنه قال في آل علقمة:

ولولا آلُ علْقمـةَ اجتدعْنا بقايا من أنوفِ مُصلَّمينا(٢)

وقال في إسماعيل:

فإنَّ لإسـمـاعيل حـقـاً، وإننـا له شاعِبُو الصدْعِ المُقارب للشُعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يدٌ؛ لأنَّ علقمة آواه ليلةَ خرج إلى الشّام، وأمُّ إسماعيل من بني أسد،

---

(١) يريد أنَّ هذه الخيل لا تكلِّف السقاة أن يصفروا لها، وينظر ديوان المعاني، لابن قتيبة (٧٤٤/٢).

(٢) مصلَّمين: مفرده مصلَّم وهو في الأصل المقطوع الأذن، وأراد به الذليل.

فكفَّ عنهما لذلك. (٣٦/١٧)

(٧٨)

قال محمد بن أنس: حدَّثني المستهلّ بن الكميت، قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك هجوت الكلبيّ، فقلت:

ألا يا سلْم يا ترْبي أفي أسماء من ترْب؟

وغمزتَ عليه فيها، ففخرتَ ببني أمية، وأنتَ تشهد عليها بالكفر، فالا فخرْتَ بعليّ وبني هاشم الذين تتولاهُم! فقال: يابنيّ، أنْتَ تعلم انقطاعَ الكلْبيّ إلى بني أمية، وهم أعداء عليٍّ عليه السلام، فلو ذكرتُ علياً لترك ذِكري، وأقبلَ على هجائه، فأكونَ قد عرَّضْتُ علياً له، ولا أجد له ناصراً مِنْ بني أمية ففخرت عليه ببني أمية، وقلت: إنْ نقضها عليّ قتلُوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غمّاً وغلبتُه(١)؛ فكان كما قال: أمسك الكلبيّ عن جوابه، فغلب عليه، وأفحم الكلبيّ. (٣٧/١٧)

(٧٩)

قال أبو عبيدة: وقف الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد قصيدته الحائية التي يقول فيها:

إذا ارفضَّ أطراف السياط وهلِّلتْ جروم المطايا عذَّبتهنَّ صيدحُ(٢)

فقال ذو الرمة: كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال: حسناً، قال: فما لي لا أُعدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويباعدك ذكرك الأبعار وبكاؤك الديار(٣). (١٥/١٨)

---

(١) بدأ الشعراء يستخدمون مذاهب في الهجاء تتناسب مع الأحوال السياسية والاجتماعية التي حدثت في العصر الأموي، إذ لم يعد الشاعر ينظر إلى المهجو وقبيلته حسب، بل كان يضع في حسبانه الدولة، وسلطانها ومدى اقتراب هذا المهجو منها أو ابتعاده عنها.

(٢) ارفضَّ: تفرق من العرق، والجرم: الجسد، وهلّلت جرومها: صارت كالأهلّة من الهزال، وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٣) يريد الفرزدق أنَّ سبب تأخر ذي الرمة هو اقتصاره على هذين الغرضين: وصف الناقة، والوقوف على الأطلال، ولم يكن هذان الغرضان كافيين لكي يقدِّما شاعراً في ذلك العصر. إذ كان المدح والهجاء هما الغرضان المفضّلان لدى الجمهرة من الشعراء والمتذوّقين، وكانا سبب التقديم، ولم تشفع جودة شعر ذي الرمّة في تينك الغرضين لتقديمه، ومن الواضح أنَّ الفرزدق ينطق بلسان عصره، ويمتح من بئر زمانه.

(٨١)

حدّثنا محمد، قال: حدثنا أبو الغرّاف، قال: مرّ ذو الرُّمة بمنزل لامرئ القيْس بن زيد مناةَ يقال له: مرأة، به نخْل، فلم يُنزلوه ولم يقروه، فقال:

نزلْنا وقد طـال النهـارُ وأوْقـدَتْ ... علينا حصى المعزاءِ شمْسٌ تنالُها
أنخْنـا فظلّلْنـا بأبْـرادِ يُمْـنَـةٍ ... عِتـاقٍ وأسيـافٍ قديمٍ صقالُها
فلمـا رآنا أهْـلُ مـرْأةَ أغلقـوا ... مخـادعَ لم ترفعْ لخيـرٍ ظلالُها
وقد سُمّيَتْ باسْمِ امرئِ القيس قريةٌ ... كـرامٌ صـواديها لئـامٌ رجالُها

فلجَّ الهجاء بين ذي الرُّمة وبين هشام المرئيّ. فمرّ الفرزدق بذي الرّمة وهو ينشد:

وقفْتُ على ربْعٍ لميّـةَ ناقتي ... فما زِلْتُ أبْكي عنده وأخاطبُه
وأسقيـه حتى كاد مما أبثُّه ... تُكلّمني أحجـارُه وملاعبُه

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء في الديار، والعبْدُ يرتجز بك في المقابر(١)، يعني هشاماً. (١٧/١٨)

(٨١)

نسخت من كتاب ابن النّطاح: حدثني أبو عبيدة، قال: حدّثني فلان المرئيّ، قال: أتانا جرير على حمار، وأنا لا أعرفه، فأُتيَ بنبيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟ فدُعي، فقال له: أنشدني ما قلت في ذي الرّمة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدةً قال: لم تصنع شيئاً(٢)، ثم قال له: قد دنا رواحي فارْدُدْ هذه الأبيات ومُر شبّانكم بروايتها، وذكر الأبيات التي أولها قوله:

غضبْتَ لرجُلٍ من تميم تشمّسُوا

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرُّمة جريراً فقال: تعصّبْتَ على خالك المرئيّ. فقال جرير: حيث فعلتُ ماذا؟ قال: حين تقولُ للمرئيّ كذا وكذا، فقال جرير: لأنك ألهاك البكاء في دار ميّة حتى استقبحتْه محارمُك(٣). (٢٠/١٨)

---

(١) يؤكد هذا النصّ ما أشرنا إليه في النصّ السابق، إذ بينما يهجو هشام ذا الرّمة، نرى الأخير مشغولاً بالوقوف على الطلل، وتذكّر ميّ، وهذا لا يروق للفرزدق الذي نبّهه وأرشده إلى الردّ عليه.

(٢) يشير جرير إلى ضعف هشام في الهجاء، مع محاولته القول فيه.

(٣) نرى موقف جرير مشابهاً لموقف الفرزدق السابق، من حثّ ذي الرّمة على ترك الوقوف على الطلل، والتفرّغ للهجاء، فهما ينطقان بلسان واحد، ويفكّران بعقل متشابه.

(٨٢)

أخبرني محمد بن أحمد بن الطلأس، عن الخراز عن المدائنيّ، وأخبرني به إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال: إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح، وقد مدح بلال ابن أبي بردة فقال:

رأيتُ الناس ينتجعــون غيثاً   فقلتُ لصَيْدحَ: انتجعي بلالا

فلما أنشده قال له: أولم ينتجعني غير صيْدح؟ يا غلام، أعطه حبل قتٍّ(١) لصيْدح، فأخجله.
(٣١/١٨)

(٨٣)

أخبرني الجوهريّ، عن ابن شُبرمة، عن يحيى بن نُجيم، قال: قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة: علام تعطي ذا الرمة؟ فوالله إنه ليعْمِد إلى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها، فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته، وأمر له بعشرة آلاف درهم. (٣٥/١٨)

(٨٤)

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدّثني القاسم بن محمد الأسديّ، قال: حدّثني جبرُ بن رياط قال: أنشد ذو الرمة الناس شعراً له، وصف فيه الفلاة بالثَّعلبية(٢)، فقال له حلْبَسٌ الأسديّ: إنك لتنعتُ الفلاةَ نعْتاً لا تكون منيّتُك إلا بها. (٤٢/١٨)

(٨٥)

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذري، عن الحرمازي، قال: مرَّ الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد: أمنزلتي ميٍّ سلام عليكما
فلمّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال: بكاؤك على الدِّمن، ووصفك القطا وأبوال الإبل. (٥٠/١٨)

(٨٦)

وقال هرون بن الزيّات: أخبرني عبدُ الرحمن بن موسى الرّقيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ محمدُ

---

(١) أي حبلاً مجدولاً من القتّ وهو نبت بريّ. (٢) الثّعلبية: من منازل طريق مكّة.

بن حُمَيْد بن سُلَيْمان بن حفص بن عبد الله بن أبي جهْم بن حُذَيفة بن غانم العدويّ قال: حدّثنا يزيدُ بنُ مرة، عن أبي عُبَيدة مَعْمر بن المثنى عن عيسى بن يزيد بن بكر المدنيّ، قال: اجتمع عند مسْلَمة بن عبد الملك ناس من سُمّاره، فيهم عبدُ الله بنُ عبد الأعلى الشّاعر ، فقال مسْلمة: أيُّ بيْت قالتْه العربُ أوعظُ وأحكم؟ فقال له عبد الله قوله:

صبا ما صبا حتى علا الشيْبُ رأسه فلمَّا علاه قال للباطل ابْعُدِ

فقال مسلمةُ: إنّه والله ما وعظني شِعْرٌ قطّ كما وعظني شِعْرُ ابن حطّان حيْث يقول:

فيُوشِك يومٌ أن يُقارنَ ليلةً يسوقانِ حتْفاً راح نحْوك أو غدا

فقال بعضُ مَنْ حضر: واللهِ لقد سمعتُه أجَلّ الموتَ ثم أفناه، وما صنع هذا غيرُه، فقال مسلمة: وكيْف ذاك؟ قال: قال:

لا يُعجزُ الموتَ شيءٌ دُونَ خالقه والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجلُ
وكلُّ كرْبٍ أمامَ الموتِ مُتَّضِعٌ للموت، والموتُ فيما بعْده جللُ

فبكى مسلمةُ حتى اخضلّت لحيتُه، ثم قال: ردّدهما عليّ، فردّدهما عليه حتى حفظهما.

(١١٩/١٨)

(٨٧)

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرْزبان، قال: حدّثني أبو عبد الله اليمانيّ، قال: حدّثنا الأصمعيُّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قال لي عُبَيْدُ الله بنُ زياد: ما هُجيتُ بشيءٍ أشدُّ عليَّ من قوْل ابنِ مُفرّغ:

فكِّرْ: ففي ذاك إن فكّرتَ مُعْتَبرٌ هل نِلْتَ مكرمةً إلا بتأمير!
عاشتْ سُميّةُ ما تدْري وقد عمرتْ أنْ ابنها من قُرَيْش في الجماهير

(٢٨٥/١٨)

(٨٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدّثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمنُ بن خُريم امرأة له خطأ ـ يعني قتلها ـ فوداها عبد الملك بن مروان: أعطى ورثتها ديتها، وكفّر عنه كفارة القتل، وأعطاه عدّة جوار، ووهب له مالا، فقال أيمن:

رأيتُ الغوانيَ شيئاً عُجابا لَوَ انس مِنّي الغواني الشبابا

ولكنَّ جمعَ العذارى الحسانِ عناءٌ شديد إذا المرء شابا
ولو كلتَ بالمُدِّ للغانيات وضاعفتَ فوق الثياب ثيابا
إذا لم تُنلْهنَّ من ذاك ذاك بغَيْنكَ عندَ الأمير الكذابا
يذُدن بكل عصا ذائد ويُصبحن كل غداة صعابا
إذا لم يُخالطْنَ كلَّ الخلاط تراهنّ مُخرنطمات غضابا
علام يُكحِّلن حُورَ العيون ويُحْدِثْنَ بعد الخضاب الخضابا
ويعرُكن بالمسك أجيادَهنّ ويدنين عند الحجال العيابا(١)
ويغمزن إلا لما تعلمون فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا

قال: فبلغني أن عبد الملك أنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمنُ لهنَّ. وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصفَ النساء أحدٌ مثلَ صفتك، ولا عرفَهنّ أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنتُ صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ ماله فليس له في ودِّهن نصيب
يُردْنَ ثراء المال حيث علمنه وشرْخُ الشباب عندهن عجيب

فقال له عبد الملك: قد لعمري صدقْتما وأحسنتما، الشعر لعلْقمة بن عبدة. (٢٠/٣١١)

(٨٩)

حدّثني عمي قال: حدّثني هارون بنُ محمدِ بن عبد الملك قال حدّثني سهلُ بنُ زكريا قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أحمد الباهليّ قال: قال أبان بنُ عبدِ الله النميريّ يوماً لجلسائه - وفيهم أبو نخيلة - : والله لوددت أنه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبد الله:

لولا جرير هلكتْ بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

وأنني أثبت على ذلك مالي كله، فقال له أبو نُخيلة: هلُمَّ الثواب، فقد حضرني من ذلك ما

---

(١) الحجال: جمع حَجَلة، وهو بيت كالقبّة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار. ينظر لسان العرب (١١/١٤٤)، والعياب: كناية عن الصدور، وهي من العيبة وهي موضع السرّ أو وعاء من أدم يكون فيها المتاع، فمثلما يضع الرجل فيها حرّ متاعه وصون ثيابه، يكتم في صدره أخصّ أسراره التي لا يحبّ شيوعها، فسمّيت الصدور والقلوب عياباً. ينظر لسان العرب (١/٦٣٤).

تريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه:

لــولا أبــانُ هلكــت نُمــيـرُ ... نعم الفتى وليس فيهـم خيرُ (٢٠/٤١١)

(٩٠)

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بن دُريد قال: حدّثنا الأشناندانيّ عن التوّزيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال: قال رجل لخالد بنِ صفوان: كان عبْدةُ بنُ الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال: لا تقل ذاك، فوالله ما أبى من عيّ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة، كما يرى تركه مروءة وشرفا، قال:

وأجــرأ مــن رأيتُ بظَهر غيبٍ ... على عيب الرجال أولو العيوب (٢١/٢٦)

(٩١)

أخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريُّ قال: حدّثنا أحمدُ بنُ يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابيّ: أن عبد الملك بنَ مروان قال يوماً لجلسائه: أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غِرْقىء[1] البيض وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنّها نور الربيع، فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب، قال:

لمّا نزلنا نصبنا ظلَّ أخبيةٍ ... وقــار للقوم باللحم المراجيلُ

وردٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخُه ... ما غيَّر الغليُ منه فهو مأكول[2]

ثُمّتَ قمنا إلى جُرْدٍ مُسوَّمةٍ ... أعرافهنَّ لأيدينا مناديل[3]

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة. (٢١/٢٦)

(٩٢)

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً:

كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه:

---

(١) الغرقئ: القشرة الملتزقة ببياض البيض.

(٢) شبّه ما أخذ فيه النّضج من اللحم بالورد، وما لم ينضج بالأشقر، ويؤنيه: يمهله.

(٣) الجرد: الخيل، والمسوّمة: التي عليها العلامة من قطن وغيره دلالة على نجابتها وقوتها.

لقد ضمّت ألا كفانٌ من آل دارمٍ فتىً فائضَ الكفّين محضُ الضَّرائبِ(١)

(٢١/٢٨٣)

(٩٣)

قال: ورُوي عن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا أشعر أم هذا الخبيث ـ يعني الفرزدق ـ وناشدني لأخبرنَّه، فقلت: لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال: أوْه قضيت والله له عليّ(٢)، أنا والله أخبرك: ما دهاني، إلاّ أنّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً، فسمّى عدداً كثيراً، وأنه تفرّد لي وحدي. (٢١/٢٨٦)

(٩٤)

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: اجتمع الفرزدق وجرير وكثير وابن الرِّقاع عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق، فقال:

وما قوم إذا العلماء عدَّت عروقَ الأكرمين إلى الترابِ(٣)

بمختلفين إن فضَّلتمونا عليهم في القديم ولا غضاب

ولو رفع السحابُ إليه قوماً علونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً(٤). (٢١/٣٢٦)

(٩٥)

فلما ولّى يزيدُ بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه ـ ولاّه سليمان بن عبد الملك ـ خافَ الفرزدقُ من بني المُهلّب، فقال يمدحهم:

فلأمدحنّ بني المهلّب مِدحةً غرّاء قاهرة على الأشعارِ

مثل النجوم أمامها قمْراؤها تجلو العمى وتضيء ليلَ السّاري(٥) (٢١/٣٤٥)

---

(١) المحض: الخالص، والضرائب: جمع ضريبة بمعنى الطبيعة والسَّجية، يقول إنْ سجايا أبيه وطبائعه خالصة ممّا يشينها. (٢) كان النسيب في منزلة هي أدنى من الهجاء والمديح في ذلك العصر، ولذلك نرى جريراً يتألم من هذا الحكم، ويعدّه عليه.

(٣) يريد بقوله: إلى التراب، الكرام السالفين الذين أصبحوا عظماً رميماً.

(٤) بزّ الفرزدق أقرانه في غرض الفخر، وكان يبني فخره على ما بناه آباؤه وأجداده قبله من مكارم ومآثر.

(٥) القمراء: ضوء القمر

(٩٦)

أخبرني عبد الله بن مالك: قال: حدّثني محمد بن موسى قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول:

ما حملتْ ناقةٌ من معشر رجلاً   مثلي إذا الريح لفّتني على الكُورِ(١)
أعزّ قوماً وأوفى عند مكرمةٍ   لمعْظمٍ من دماء القوم مهجورِ(٢)

فقال له: إيه، فقال:

إلاّ قريشاً فإنّ الله فضّلها   على البريّةِ بالإسلام والخيرِ
تلقى وجوهَ بني مروانَ تحسبُها   عند اللقاء مشوفاتِ الدُّنانير(٣)

ففضّله عليهم، ووصله. (٣٤٨/٢١)

(٩٧)

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم، فقال: رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّتْ   جهاراً حين فارقها زيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكين أبكي الله عينيك إنّما   جرى في ضلالٍ دمعها فتحدّرا
أتبكي امرءاً من آل ميسانَ كافراً   ككسرى على عدّاته أو كقيصرا
أقول له لمّا أتاني نعيُّه   به لا بظبيٍ بالصريمةِ أعْفرا(٤)

فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذي لستَ قائماً   ولا قاعداً في القوم إلاّ انبرى ليا
فجئني بعمّ مثل عمّي أو أبٍ   كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا
بعمرو بن عمرو أو زرارة ذي النّدى   سموتُ به حتى فَرَعْتُ الروابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوتُ من أن يهجوني مسكين، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر. (٣٥٢/٢١)

---

(١) الكُور: الرَّحل. (٢) يريد بقوله: «من دماء القوم مهجور»: أنّه لا يطالب بِترة.

(٣) مشوفات الدنانير: الدنانير المجلوّة اللامعة.

(٤) الصَّريمة: القطعة من الرمل يكون فيها الظبي

(٩٨)

وأخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدّثنا محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ: قال الفرزدق: ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم! قال: أفأموت إن هجوتني؟ قلت: لا. قال: أفتموت عيْشونةُ ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حر أمِّك، قال: قلتُ: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟(١). (٢١/٣٥٧)

(٩٩)

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فإنْ أبا موسى خليلُ محمدٍ وكفّـاه يُمنى للهدى وشمالها

فقال ابن أبي بردة: هلكتَ والله يا أبا فراس.. فارتاع الشيخ، وقال: كيف ذاك؟ قال: ذهب شعرك، أين مثل شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمّى قوماً، فقال: جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى درَّت أوداجه(٢) ودُعي له بطست فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلّمه فيه جلساؤه وقالوا: قد كفاك الشيخ نفسه وقلَّ ما يبقى حتى يموت، فلم يحل عليه الحول حتى مات. (٢١/٣٦٢)

(١٠٠)

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق: كنت أهاجي شعراء قومي، وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان، فكان قومي يخشون معرَّة لساني منذ يومئذ، ووفد بي أبي إلى عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علِّمه القرآن فهو خير له. (٢١/٣٩٥)

---

(١) من الواضح أنَّ هذا الدهقان يصدر عن تصوره الخاص الذي يبتعد بُعداً كبيراً عن التّصور العربي للهجاء. فليست القضية موتاً ماديّاً، وحياة حقيقية، إنّما هي الفضيحة والخزي اللّذان يلحقان المهجو، ومن هنا كان أثره البعيد في مجتمع يقترب من المكرمات وينأى عن غيرها.

(٢) درَّ العرق: امتلأ دماً، والأوداج: جمع ودج، وهو عرق يقطعه الذابح في العنق، فيذهب بالحياة.

العصر العبّاسي

(١)

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حدّثني الأصمعيّ قال: قال لي الرشيدُ: أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوّحه السَّفَرُ؛ فأنشدته قول عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت ... فيضحى وأمّا بالعشيّ فيخْصَرُ(١)

أخا سفرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فلواتٌ فهو أشعثُ أغبرُ

... الأبياتَ كلَّها. قال: فقال لي الرشيد: أنا والله ذلك الرجلُ. قال: وهذا بعقب قدومه من بلاد الرُّوم. (٨٢/١)

(٢)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: أدركتُ مشْيخةً من قُريش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النَّسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتَّحلّي بمودّته، والابتيار في شعره(٢)، والابتيارُ: أن يفعل الإنسانُ الشيءَ فيذكره ويفخر به. والابتهارُ أن يقول ما لم يفعل. (١١٨/١)

(٣)

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب الملقّب «كيلجة» قال حدّثني أبو هفّانَ قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مُصْعب بن عبد الله الزُّبيري، وأخبرني الحرميّ بن أبي

---

(١) يضحى: يظهر للشمس، وعارضت: قابلت، والضمير فيه محذوف أي عارضته، ويخصر: يبرد.

(٢) مذهب العرب في النسيب أن يكون الرجل طالباً والمرأة مطلوبة، ولكنّ عمَر كسر هذه القاعدة، وأصبح هو المطلوب والمرأة طالبة، ويقف ابن رشيق عند هذا الأمر في الباب الذي عقده للنسيب فيقول: «العادة عند العرب أنّ الشاعر هو الغزِل المتماوت، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطبة، وهنا دليل كرم النّحيزة في العرب، وغيرتها على الحرم». ينظر العمدة (١٢٤/٢)، ويبدو أنّ خروج عمر على المألوف قد أعجب شيوخ قريش، فلم يؤاخذوه عليه واستحسنوا منه ما كانوا يرونه قبيحاً من غيره.

العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمه مصعب أنه قال: راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدَّة الأسْر، وحسن الوصف، ودقَّة المعنى وصواب المصْدر، والقصْد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحُسْن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفَّة المقال، وقلَّة الانتقال، وإثبات الحُجَّة، وترجيح الشكِّ في موضع اليقين، وطُلاوة الاعتذار، وفتْح الغزل، ونهْج العلل، وعطْف المساءة على العُذّال، وأحْسنَ التفجُّع، وبخَّل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصِّفاء، إن قدح أورى، وإن اعتذر أبْرا، وإن تشكَّى أشْجى، وأقدم عن خبرة ولم يعتذر بغرَّة، وأسر النوم، وغمَّ الطَّير، وأغذَّ السَّير، وحيْرماء الشباب، وسهَّلَ وقوَّل، وقاس الهوى فأرْبى، وعصى وأخْلى، وحالف بسمعه وطرْفه، وأبْرم نعْتَ الرسل وحذَّر، وأعْلنَ الحبَّ وأسرَّ، وبطنَ به وأظهر، وألحَّ وأسفَّ، وأنْكح النوم، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطْنه، وأذلَّ صعبه وقنع بالرَّجاء من الوفاء، وأعْلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفَّض النومَ، وأغلقَ رهْن منًى وأهْدر قتْلاه؛ وكان بعد هذا كلّه نصيحاً.

فمن سُهولة شعره وشدَّة أسْره(١) قولُه:

فلمَّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنَّعا

تبالَهْنَ باعلفران لَمَّا رأينني ... وقلْنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوْضعا(٢)

ومن حسن وصفه قوله:

لها من الرِّيم عيناه وسُنَّتُهُ ... ونخوةُ السابق المُختال إذ صهلا(٣)

ومن دقَّة معناه وصواب مصْدره قولُه:

عُوجا نُحيِّ الطَّلل المُحْولا ... والرَّبْعَ منْ أسماء والمنزلا(٤)

بسابغِ البوْباةِ لم يعْدُه ... تقادمُ العهدِ بأن يُؤْهلا(٥)

ومن قصْده للحاجة قولُه:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّريَّا سُهيْلا ... عمْرَكَ الله كيفَ يلتقيان(٦)

---

(١) الأسر في كلام العرب: الخلق، والمراد من شدّة الأسر هنا إحكام النَّسج ومكانة التركيب.

(٢) أكلَّ: أعيا، وأوضع: أسرع في السيّر (٣) سنَّته: صورته.

(٤) المحول والمحيل: الذي أتت عليه أحوال كثيرة فغيَّرته (٥) البوباة: الفلاة، واسم لصحراء بأرض تهامة.

(٦) هي الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس، تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ونقلها إلى مصر، فقال عمر هذا الشعر يضرب المثل بالثريا وسهيل النجمين المعروفين.

هي شاميةٌ إذا ما استقلّتْ وسُهيلٌ إذا استقلّ يماني

ومن استنْطاقه الربعَ قولُه:

سائلا الرَّبْعَ بالبُلَيّ وقُولا هجتَ شوقاً لي الغداة طويلا(١)
أين حيٌّ حلُّوك إذا أنت محفو فٌ بهم آهِلٌ أراكَ جميلا
قال ساروا فأمْعنوا واستقلُّوا وبرغمي لو قد وجدت سبيلا
سئمُونا وما سئمْنا جواراً وأحبُّوا دماثةً وسُهولا(٢)

ومن إنطاقه القلب قولُه:

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فجرتْ مما يقولُ الدموعُ
قال لي ودِّعْ سُليمى ودعْها فأجاب القلبُ: لا أستطيعُ

ومن حسن عزائه قولُه:

أألحقُّ إنْ دارُ الرَّباب تباعدتْ أو انبتَّ حبلٌ أنَّ قلبك طائرُ(٣)
أفقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ـهوى واستمرّتْ بالرِّجال المرائرُ(٤)
زَعِ النفسَ واستبقِ الحياء فإنّما تُباعدُ أو تُدني الرَّبابَ المقادرُ(٥)
أمِتْ حبُّها واجعلْ قديمَ وصالها وعشْرتها كمثل من لا تُعاشرُ
وهبْها كشيءٍ لَمْ يكُنْ أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غيّبتْه المقابرُ
وكالناس عُلِّقتَ الرَّباب فلا تكن أحاديث مَنْ يبدو ومن هو حاضرُ(٦)

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء ـ قال مصعب الزُّبيري: وقد أجمع أهل بلدنا ممَّن له علم بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا ـ قوله:

تقولُ غداةَ التقينا الرَّبابُ أيا ذا أفلْتَ أفولَ السِّماكِ(٧)
وكفَّتْ سوابقَ من عبْرةٍ كما ارفَضَّ نظمُ ضعيفُ السِّلاكِ(٨)

---

(١) بُلَيّ: تلٌّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق، ينظر معجم البلدان (١/٤٩٤)، وأورد يا قوت بيت عمر هذا. (٢) يقال: دَمِثت الأرض دماثة، إذا سهلت ولانت. (٣) انبتَّ: انقطع.

(٤) يريد أنَّ الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم. ينصح قلبه بالسلوّ.

(٥) زع النفس: أي ازجرها وكُفَّها عن هواها. (٦) يبدو: يقيم في البادية. حاضر: مقيم في الحاضرة.

(٧) السِّماك: هما نجمان نيّران يسميّان: السِّماكان، أحدهما في الشمال وهو السِّماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السِّماك الأعزل. (٨) ارفضّ: همل والسِّلاك، والسِّلاك: لعلّه جمع سلك

فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصَّديـ ـقِ أعـداءه يجْتنبـه كـذاك
أغـرَّك أنّي عـصـيتُ الملا مَ فـيك وأنْ هـوانا هـواكِ
وألاَّ أرى لـذَّةً فـي الحـيـاة تقـرُّ بهـا العينُ حـتى أراك
فكان مـن الذّنب لـي عندكـم مُكـارمـتي واتِّباعي رضـاكِ
فليتَ الـذي لام في حُبِّكم وفي أن تُزاري بقرنٍ وقـاكِ
هُمُومَ الحياة وأسـقامها وإن كـان حتْفٌ جهيزٌ فداك(١)

ومن عفَّة مقاله قوله:

طالَ ليْلي واعتادني اليومَ سُقْمُ وأصـابتْ مقـاتل القلب نُعْـمُ
حُرَّةُ الوجـه والشـمـائل والجو هـرِ تكليمُها لمن نـال غُنْـمُ
وحـديث بمثلـه تُنْزلُ العُصْـ ـمُ رخـيم يشـوبُ ذلك حِلْمُ(٢)
هكذا وصْفُ مـا بدا لي منهـا ليـس لي بالـذي تغيَّبَ عِلْـمُ
إن تجـودي أو تبْخلي فـبحمْدٍ لسـتِ يا نُعْمُ فيهمـا منْ يُذَمُّ

ومن قلة انتقاله قوله:

أيها القـائلُ غيـر الصـوابِ أمْسِك النُّصْحَ وأقلِلْ عتـابي
واجتنبني واعلمنْ أن ستُعْصى ولخـيرٌ لك طـولُ اجـتنابي
إن تقُلْ نُصْحاً فعن ظهرِ غشٍّ دائـم الغمْـرِ بعيد الذَّهـابِ(٣)
ليس بي عيٌّ بمـا قلـت إنِّي عـالمٌ أفـقـهُ رَجْعَ الجـوابِ
إنَّمـا قُرَّةُ عـيني هـواها فـدعِ اللَّـومَ وكِلْني لما بي
لا تلُمْني في الرَّبابِ وأمستْ عَدَلَتْ للنفس برْدَ الشَّرابِ(٤)
هـي واللَّـهِ الذي هـو ربِّي صـادقـاً أحلِفُ غيـرَ الكذابِ
أكـرمُ الأحـيـاء طرًّا علينا عند قُـرْبٍ منهـمُ واجـتناب
خـاطبـتني سـاعةً وهي تبكي ثـم عـزَّتْ خلَّتي في الخطـابِ
وكـفى بي مِذْرها لخُصُومٍ لسـواها عند حـدٍّ تبـابي

ومن إثباته الحُجَّة قوله:

---

(١) جهيز: سريع. (٢) العُصْم: جمع أعصم، وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه بياض، وهي تعتصم غالباً بقُنن الجبال.

(٣) الغِمر: الحقد والغلّ. (٤) عدلت: ساوتْ.

خليليَّ بعضَ اللوم لا ترْحلا بـه رفيـقكمـا حـتى تقُولا على علْمِ(١)
خليليَّ مَنْ يكْلفْ بآخـرَ كـالذي كلفتُ بـه يدْمُلْ فـؤاداً على سقْمِ(٢)
خليليَّ مـا كـانت تُصابُ مقـاتلي ولا غـرتي حـتى وقعـتُ على نُعْـمِ
خليليَّ حـتى لُفُّ حـبْلي بخـادعٍ موقّى إذا يُرْمى صَيُودٍ إذا يرمـي
خليليَّ إن باعـدتُ لانتُ وإن ألِـنْ تُباعـدْ فلم أنْبُلْ بحـرْبٍ ولا سلْمِ(٣)

ومن ترجيحه الشكَّ في موضع اليقين قولُه:

نظرتُ إليـهـا بالمُحـصّب من منىً ولـي نظـرٌ لـولا التّحـرُّجُ عـارمُ(٤)
فـقلتُ: أشـمسٌ أم مـصـابيحُ بيـعـةٍ بدتْ لك خـلْفَ السّجْفِ أم أنت حـالمُ(٥)
بعـيـدةُ مـهْوى القُرْطِ إمّا لنوْفـلٍ أبوهـا وإمّا عـبـدُ شـمسٍ وهاشمُ(٦)
ومـدُّ عليـهـا السّجْفَ يومَ لقـيـتُها علـى عـجـلٍ تُبّاعُهـا والخـوادمُ
فلم أسـتطعْهـا غـيـر أنْ قـد بدا لنا عـشـيّة راحـت وجـهـهـا والمعـاصمُ
معـاصمُ لم تضْرِبْ على البهْمِ بالضُّحى عصـاهـا ووجهٌ لم تلُحْـهُ السّـمائمُ(٧)
نُضـارٌ ترى فـيـه أسـاريع مـائه صـبـيحٌ تُغـاديـه الأكُفُّ النّواعمُ(٨)
إذا مـا دعتْ أترابهـا فـاكْتنفْنهـا تمـايلْنَ أو مـالتْ بهـنَّ المـآكـمُ(٩)
طلبن الصِّبـا حـتى إذا مـا أصـبْنه نزعْـنَ وهـنَّ المُسْـلمـات الظّـوالمُ

ومن طُلاوة(١٠) اعتذاره قولُه:

عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شجاهُ مـن حبيبٍ أمسـى هوانا هواه
يا لقـومي فكيـف أصبرُ عمّـنْ لا ترى النفسُ طيب عيشٍ سواهُ

---

(١) يقال: رحل فلان فلاناً بما يكره، إذا أثقله بإسماعه إيّاه. (٢) يدمل: يطوي.

(٣) لم أنبل: لم أصِبْ. (٤) عارم: شرس.

(٥) البيعة: المكان الذي يتعبّد به الرهبان. (٦) بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.

(٧) البَهم: جمع بهمة، وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر، يريد أنّها منعمةٌ مخدومة، والسمائم: الريح الحارّة. (٨) أساريع مائه: طرائقه، والمراد أنّه يترقرق فيه ماء الشباب.

(٩) المآكم: جمع مأكمة، وهي العجيزة.

(١٠) الطلاوة: من صفات الشعر الجيد، ينظر الصناعتين، (ص٥٧)، وهي الحسن والبهجة، ووقف عندها حازم في منهاج البلغاء (ص٢٢٥)، فقال: «هي ائتلاف الكلم من حروف صقيلة، وتشاكل يقع في التأليف ربّما خفي سببه، وقصرت العبارة عنه».

أرسلتْ إذ رأتْ بعادي ألاَّ يقبلَنْ بي مُحرِّشاً إن أتاه(١)
دونَ أن يسمعَ المقالة منّا وليُطْعني فإنّ عندي رضاه
لا تُطعْ بي فدتك نفسي عدوّاً لحديثٍ على هواهُ افتراه
لا تُطعْ بي مَنْ لو رآني وإيّا كَ أسيريْ ضرورةٍ ما عناه
ما ضِراري نفسي بهجْري مَنْ ليـ س مُسيئاً ولا بعيداً ثراه
واجتنابي بيتَ الحبيب وما الخلْـ دُ بأشهى إليّ من أن أراه

ومن نهجه العلل قولُه:

وآيةُ ذلك أنْ تسمعي إذا جئتُكم ناشداً ينشُدُ
فرُحْنا سراعاً وراح الهوى دليلاً إليها بنا يقصدُ
فلمّا دنونا لجرْس النُّبا ح والصوتِ، والحيُّ لم يرقُدوا
بعثْنا لها باغياً ناشداً وفي الحيّ بُغْيةُ من ينشُدُ

ومن فتحه الغزل قولُه:

إذا أنت لم تعْشقْ ولم تدْر ما الهوى فكُنْ حجراً من يابس الصخْر جلْمدا

ومن عطفه المساءةَ على العذّال قولُه:

لا تلُمْني عتيقُ حسْبي الذي بي إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني
لا تلُمْني وأنت زيّنْتَها لي أنت مثْلُ الشيطان للإنسان

ومن حسن تفجّعه قولُه:

هجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجْترمْ وقطّعتَ من ذي وُدّكَ الحبلَ فانصرم
أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ مقالةَ واشٍ يقرعِ السِّنُّ من ندمْ
أتاني رسولٌ كنتُ أحسبُ أنه شفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زعم
فلما تباثثنا الحديثَ وصرّحتْ سرائرُه عن بعض ما كان قد كتَمْ(٢)
تبيّن لي أنَّ المُحرِّشَ كاذبٌ فعندي لكِ العُتْبى على رغْمِ مَنْ رغِمْ
فملآنَ لُمْتُ النفسَ بعد الذي مضى وبعد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قسمْ(٣)
ظلمْتَ ولم تُعْتِبْ وكان رسولُها إليك سريعاً بالرِّضا لكَ إذ ظلَمْ

---

(١) المحرِّش: المُغْري، من التحريش، وهو الإغراء والإفساد.

(٢) بثَّ الحديث ونثَّه: أفشاه. (٣) فملآن: أصله فمن الآن.

ومن تبخيله المنازلَ قوله:

عرفتُ مصيفَ الحيِّ والمُتربَّعا ... ببطنِ حُليّاتٍ دوارس بلقعا(١)

إلى السَّرْح من وادي المُغمَّس بُدِّلَتْ ... معالمُها وبْلاً ونكْباءَ زعْزعا(٢)

فيبْخلْنَ أو يُخبِرنَ بالعلم بعد ما ... نكأنَ فؤاداً كان قِدْماً مُفجَّعا(٣)

ومن اختصاره الخبر قولُه:

أمِن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهجِّرُ

بحاجةِ نفسٍ لم تقُلْ في جوابها ... فتُبلغَ عذراً والمقالةُ تُعذرُ

أشارت بمدْراها وقالت لتربِها ... أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذكَرُ

لئن كان إيّاه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسانُ قد يتغيَّرُ

ومن صدْقِه الصفاءَ قولُه:

كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأنثى ... غيرها وصلُها إليها أداءُ

كلُّ أنثى وإن دنتْ لوصالٍ ... أو نأتْ فهْيَ للرَّباب الفداءُ

وقوله:

أحبُّ لحبِّكِ مَن لم يكنْ ... صفيّاً لنفسي ولا صاحبا

وأبذُلُ مالي لمرْضاتكم ... وأعْتِبُ مَنْ جاءكم عاتبا

وأرغبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن ... إلى وُدِّه قبلكم راغبا

ولو سلكَ الناسُ في جانبٍ ... من الأرضِ واعتزلتْ جانباً

ليمَّمْتُ طِيَّتها إنّني ... أرى قُرْبَها العجِبَ العاجبا(٤)

ومما قدحَ فيه قولُه:

طالَ ليلي وتعنّاني الطَّرَبْ ... واعتراني طولُ همٍّ ووَصَبْ(٥)

أرْسلتْ أسماءُ في معْتبةٍ ... عتبتْها وهي أحلى مَنْ عتبْ

---

(١) حلّيّات: لعلّه موضع قرب مكة بقرينة ذكره مع المغمّس الوارد في البيت بعده. ودوارس وبلقع: مندثرات خاويات. (٢) السَّرح: موضع. والمغمّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف. ونكباء: الريح التي تنكّب عن مهابِّ الريح، والزعزع: الشديدة.

(٣) نكأ الجرح: قشره قبل أن يلتئم. (٤) طِيّتها: ناحيتها وقصدها.

(٥) تعنّاني: أوقعني في العناء. والطرَب: خفّة تعتري الإنسان عند شدّة الفرح أو الحزن والهمّ.

أنْ أتى منها رسولٌ موْهِناً ... وجد الحيَّ نياماً فانقلبْ(١)
ضربَ البابَ فلم يشعُرْ به ... أحدٌ يفتح باباً إذ ضربْ
قال: أيقاظٌ، ولكن حاجةٌ ... عرضتْ تُكْتَمُ منّا فاحتجبْ
ولعمْداً ردّني، فاجْتهدتْ ... بيمينٍ حلْفةً عند الغضبْ
يشهد الرحمنُ لا يجمعُنا ... سقْفُ بيتٍ رجباً بعد رجبْ
قلتُ حِلاً فاقْبلي معْذرتي ... ما كذا يجْزي مُحبٌّ مَنْ أحبُّ
إنْ كفِّي لك رهْنٌ بالرِّضا ... فاقْبلي ياهندُ، قالت قد وجبْ

قالوا: ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قولُه:

فالتقينا فرُحبتْ حين سلَّمـ ... ـتُ وكفْتْ دمعاً من العين مارا(٢)
ثم قالتْ عند العتاب رأيْنا ... منكَ عنّا تجلُّداً وازْوِرارا
قلتُ كلاّلاهِ ابنُ عمِّكِ بل خفْـ ... ـنا أموراً كنّا بها أغْمارا(٣)
فجعلنا الصُّدودَ لمّا خشينا ... قالةَ الناسِ للهوى أستارا
ليس كالعهدِ إذ عهدتِ ولكن ... أوقدَ الناسُ بالنميمة نارا
فلذاك الإعراضُ عنك وما آ ... ثرَ قلبي عليك أخْرى اختيارا
ما أبالي إذا النّوى قرّبتْكم ... فدنوتُم مَنْ حلّ أو مَنْ سارا
فالليالي إذا نأيتِ طوالٌ ... وأراها إذا قربْتِ قصارا

ومن تشكِّيه الذي أشجى فيه قولُه:

لعمرُكَ ما جاورتُ غُمْدانَ طائعاً ... وقصرَ شعُوبٍ أن أكونَ به صبُّا(٤)
ولكنْ حُمَّى أضْرعتْني ثلاثةٌ ... مُجرّمةٌ ثم استمرّتْ بنا غبُّا(٥)
وحتّى لوأن الخُلْد تعْرِضُ إن مشت ... إلى الباب رجْلي ما نقلتُ لها إرْبا
فإنّك لو أبصرت يومَ سُويقةٍ ... مُناخي وحبْسي العيسَ داميةً حُدْبا(٦)

---

(١) الموهن: نحو من نصف الليل. (٢) مار: جرى وسال.

(٣) لاه ابن عمّك: أي للّه ابن عمك. والغمر: الغرّ الجاهل الذي لم يجرّب الأمور.

(٤) غُمدان: قصر باليمن بناه يَشْرَخُ بن يَحْصُب بأربعة وجوه: أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كلّ سقفين أربعون ذراعاً. وقصر شَعوب: قصر عال مرتفع باليمن أيضاً.

(٥) أضرعتني: أضعفتني وأذلتني، ومجرّمة: تامة، يريد ثلاثة كاملة، والغِبّ من الحمى: ما تأخذ يوماً وتدع يوماً. (٦) سُويقة: موضع، وحدبا: جمع أحدب وحدباء، متقوّسة الظهور هزال.

ومصرعَ إخوانٍ كأنْ أنينهم أنينُ المكاكي صادفتْ بلداً خصْبا(١)
إذاً لاقْشعرُ الرأسُ منك صبابةً ولاستفرغتْ عيناكِ من سكْبةٍ غرْبا(٢)

ومن إقدامه عن خُبرة ولم يعتذرْ بغرةٌ قولُه:

صرمْتُ وواصلْتُ حتى عرفـ ـتُ أين المصادرُ والموردُ
وجرُبتُ من ذاك حتّى عرفـ ـتُ ما أتوقّى وما أعمدِ(٣)

ومن أسْره النومَ قولُه:

نام صحْبي وبات نومي أسيرا أرقبُ النّجمَ موهناً أن يغُورا

ومن غمِّه الطير قولُه:

فرُحْنا وقلنا للغلام اقض حاجةً لنا ثم أدْركْنا ولا تتغبرِ
سراعاً نغُمُ الطير إن سنحتْ لنا وإن تلْقنا الرُكْبانُ لا نتخبرِ(٤)

ومن إغْذاذه السير قوله:

قلتُ سيرا ولا تُقيماً ببصرى وحفيرٍ فما أحبُ حفيراً(٥)
وإذا ما مررتُما بمعانٍ فأقلاُ به الثّواءَ وسيرا(٦)
إنّما قصرُنا إذا حسرُ السيـ ـرُ بعيراً أن نستجدُ بعيرا(٧)

ومن تحييره(٨) ماء الشباب قولُه:

أبرزوها مثل المهاةِ تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أتْراب
ثم قالوا تحبُها قلتُ بهْراً عدد القطْر والحصى والترابِ(٩)

---

(١) المكاكي: جمع مكاء، وهو طير يشبه القبُرة إلاّ أنُ في جناحيه بلقاً، وهو حسن الصوت في تغريده.
(٢) الغرْب: الدّلو العظيم. (٣) أتوقّى: أجتنب، وأعمد: أقصد إليه.
(٤) نغمُ الطيْر: لعلّه يريد نحزنها بالسبق، أو نبهرها ونغلبها، من قولهم: غمُ القمر النجوم، إذا بهرها وكاد يستر ضوْءها، والتخبّر: السؤال عن الخبر.
(٥) بُصري: بلد بالشام، وحفير: نهر بالأردنّ ببلاد الشام. (٦) مُعان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. (٧) قَصْرنا: قصارانا وغايتنا، وحسْر السّير بعيراً: أجهده وأعياه.
(٨) التحيير: لزوم المكان وعدم المغادرة، وتحيّر ماء الشباب في خدّيها أي بقي ولزم مكانه لم يبرحه.
(٩) بَهْراً: أي أحبّها حبّاً بهرني بهراً أي غلبني غلبة، وقيل: معناه عجباً، وكثيراً.

وهـــي مكـنـونـــةٌ تحيَّرُ منهـــا　　في أديم الخـدَّيْنِ مـاءُ الشبـابِ

ومن تقويله وتسهيله قوله:

قـالتْ على رِقْبةٍ يومـاً لجـارتهـا　　مـا تأمُرينَ فـإنَّ القلـبَ قـد تُبـلا(١)
وهل لي اليـومَ مِنْ أخـتٍ مُواخـيـةٍ　　منكنَّ أشكُو إليـهـا بعض مـا فـعـلا
فراجعتْها حصـانٌ غير فـاحشـةٍ　　برجْـعِ قـولٍ ولُبٍّ لـم يكـن خـطـلا(٢)
لا تذكُـري حُـبَّه حـتى أراجـعـه　　إنِّي سـأكْفـيكه إنْ لم أمُتْ عـجـلا
فـاقنَيْ حيـاءك في سترٍ وفي كرمٍ　　فلســتِ أوَّلَ أنثى علَّقـتْ رجُـلا(٣)

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله:

وقرَّبْنَ أســـباب الهــوى لمتيَّـم　　يقيسُ ذراعاً كلمَّا قِسْنَ إصبعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله:

وأنُصُّ المطــيَّ يتْبـعْنَ بالرُّكـ　　ـبِ سـراعـاً نواعمَ الأظعـان(٤)
فنصـيـدُ الغـرير من بقـر الوحـ　　ـشِ ونلْهُــو بلـذة الفـتْيان(٥)
في زمانٍ لو كنتِ فيه ضجيعي　　غير شـكٍّ عرفتَ لي عصياني
وتقلَّبتِ في الفــــراش ولا تدْ　　رينَ إلا الظُّـنونَ أين مـكـاني

ومن محالفته بسمعه وطرفه قوله:

سمْعي وطرْفي حليفـاهـا على جســدي　　فكيف أصْبرُ عن سمْعي وعن بصري
لـــو طــــاوعاني علـى ألا أكلِّمهـــا　　إذاً لقضَّـيْتُ مـن أوْطـارهـا وطـري

ومن إبرامه نعتَ الرسلِ قوله:

فـبـعـثْتُ كـاتمةَ الحـديـ　　ـثِ رفيـقـــةً بجـوابهـا
وحْشــيَّـــةً إنسـيَّـــةً　　خــرَّاجـــةً من بابهـــا
فرقتْ فسهَّلتِ المعـــا　　رضَ من سبيل نقـابها

ومن تحذيره قوله:

---

(١) الرقبة: الحذر والتحفظ، والمتبول: مَنْ أسقمه الهوى، وغلب الحبّ على أمره.

(٢) حَصَان: عفيفة، والخَطِل: الفاسد المضطرب.　　(٣) اقني حياءك: لا تفرّطي فيه.

(٤) أنصّ المطيّ: استحثها حثاً شديداً.　　(٥) الغرير هنا: الغافل.

لقـد أرسـلتُ جـاريتي   وقلتُ لهـا خُذي حـذَرَكْ
وقولي فـي مــلاطفــةٍ   لـزينبَ نولَـي عُمــركْ
فـإنْ داويتِ ذا سـقـمٍ   فـأخزى اللهُ مَنْ كفـركْ
فـهزّتْ رأسـهـا عـجـباً   وقـالتْ مَـنْ بذا أمـركْ
أهـذا سِـحْرُك النّسْوا   ن، قـد خـبَّرنَني خـبركْ
وقلْنَ إذا قـضـى وطـراً   وأدرك حـاجـةً هجـركْ

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قولُه:

شكوتُ إليها الحبَّ أعلِنُ بعضه   وأخفيتُ منه في الفـؤاد غليلا

ومما بطن به وأظهر قولُه:

حُبُّكــم يا آل ليْـلـى قـاتلي   ظهـر الحبُّ بجـســمي وبطنْ
ليس حُبٌّ فـوق مـا أحـبـبتُكُم   غـيـر أنْ أقتُلَ نفسـي أو أُجَنْ

ومما ألحَّ فيه وأسفَّ قولُه:

ليت حظّي كطرْفـة العين منها   وكـثيرٌ منهـا القليلُ المُهنّا
أو حديثٌ على خـلاءٍ يُسـلّي   مـا يُجِنُّ الفؤادُ منها ومنّا
كـبُرَتْ ربِّ نعـمـةٌ منك يومـاً   أنْ أراها قـبل الممـاتِ ومنّا

ومن إنكاحه النومَ قولُه:

حـتّى إذا مـا الليلُ جنَّ ظـلامُـه   ونظرتُ غـفْلة كـاشحٍ أن يعْقـلا
واسـتنكح النومُ الذين نخـافُهم   وسقى الكرى بوّابهُمْ فـاستُثْقلا(١)
خرجتْ تأطّرُ في الثياب كأنّها   أيْـمٌ يسيب على كثيبٍ أهْيَلا(٢)

ومن جنّيه الحديث قولُه:

وجـوارٍ مـسـاعـفـاتٍ على اللّهْـ   ـو مُسْـرّاتٍ باطـن الأضْـغـانِ
صُيُدٍ للرجــال يرْشُقْن بالطرْ   فِ حِـســانٍ كـخُذُّل الغزْلانِ(٣)
قـد دعـاني وقـد دعـاهُنَّ للّهـ   ـوِ شُـجُونٌ مُهـمَّــةُ الأشـجـانِ(٤)

(١) يقال: أثقله النوم فهو مستثقَل.

(٢) تأطّر: أصله تتأطّر، بمعنى تتثنّى، والأيم: الأفعى، ويسيب: يمشي، والكثيب الأهيل: الرمل المنهال.

(٣) الخُذُّل: جمع خاذل، وهي الظبية تتخلّف عن صواحباتها أو أولادها. (٣) مُهِمّة: مثيرة الأشجان.

فاجتنينا من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمرُك جاني

ومن ضربه الحديث ظهره لبطنه قوله:

في خلاء من الأنيس وأمنٍ فبثثنا غليلنا واشتفينا
وضربْنا الحديثَ ظهراً لبطنٍ وأتينا من أمرنا ما اشتهيْنا
فمكثنا بذاك عشرَ ليالٍ في قضاء لِدَيننا واقتضيْنا

ومن إذلاله صعبَ الحديث قولُه:

فلما أفضْنا في الهوى نستبينهُ وعاد لنا صعبُ الحديث ذلولا
شكوتُ إليها الحبُّ أظهِرُ بعضه وأخفيتُ منه في الفؤاد غليلا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قولُه:

فعِدي نائلاً وإن لم تُنيلي إنه ينفع المُحبُّ الرجاءُ

ومن إعلانه قاتله قولُه:

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهبي فاشكي إليها ما علمت وسلِّمي
قُولي يقولُ تحرَّجي في عاشقٍ كلِفٍ بكم حتَّى المماتِ مُتيَّمِ(١)
ويقول إنَّك قد علمتِ بأنَّكُمْ أصبحتُمُ يا بِشْرُ أوْجَهَ ذي دمِ(٢)
فكِّي رهينته فإنْ لم تفعلي فاعْلي على قتْلِ ابنِ عمك واسلَمي(٣)
فتضاحكتْ عجباً وقالتْ حقُّه ألاَّ يُعلِّمنا بما لم نعلَمَ
علمي به - واللهُ يغفِرُ ذنبه - فيما بدا لي، ذو هوىً متقسِّمِ
طَرِفٌ يُنازعه إلى الأدنى الهوى ويبُتُّ خُلَّةَ ذي الوصالِ الأقدَمِ(٤)

ومن تنفيضه النومَ قولُه:

فلمَّا فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ مصابيحُ شُبَّتْ بالعشاء وأنْوُرُ(٥)
وغاب قُميرٌ كنتُ أرجو غُيوبه وروَّح رُعيانٌ ونوَّم سُمَّرُ(٦)
ونفَّضْتُ عنِّي النوم أقبلْتُ مشْيةَ الـ ـحُباب وركْني خشْيةَ القوم أزْوَرُ

ومن إغلاقه رهْنَ منىً وإهداره قتْلاه قولُه:

---

(١) تحرَّجي: كفّي عن الحرج والإثم. (٢) أوْجه ذي دم: أي أحقّ إنسان أخذ منه بدمي.
(٣) اعلّي: ارضي. (٤) الطَّرِف: مَنْ لا يثبت على امرأة ولا صاحب.
(٥) أنْوُر: جمع نار. (٦) روّح من الرواح وهو وقت المشي. ونوّم الرجل تنويماً مبالغة في نام.

فكم من قتيلٍ ما يُباءُ به دمٌ ... ومن غلقٍ رهْناً إذا لفّه منًى(١)
ومن مالئٍ عينيه من شيءِ غيره ... إذا راح نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى(٢)

وكان بعد هذا كلّه فصيحاً شاعرا مقولاً. (١/١٢٠-١٤٥)

(٤)

قال مُصعبُ الزُّبيريّ: وقد أجْمعَ أهلُ بلدنا ممن له علمٌ بالشعر أنّ هذه الأبيات أغزلُ ما سمعوا - قولُ عمر بن أبي ربيعة:

تقولُ غداةَ التقينا الرَّبابُ ... أياذا أقلْتَ أفولَ السِّماكِ
وكفّتْ سوابقَ من عبْرةٍ ... كما ارْفضَّ نظمُ ضعيفُ السِّلاكِ
فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصَّديـ ... ـقِ أعداءه يجْتنبْه كذاكِ
أغرّكِ أنّي عصيتُ الملا ... مَ فيكِ وأنّ هوانا هواكِ
وألاّ أرى لذّةً في الحياةِ ... تقرُّ بها العينُ حتى أراكِ
فكان من الذنب لي عندكم ... مُكارمتي واتّباعي رضاكِ
فليتَ الذي لامَ في حُبّكم ... وفي أن تُزاري بقرْنٍ وقاكِ
همُومَ الحياة وأسقامَها ... وإن كان حتْفٌ جهيزٌ فداكِ (١/١٢٤)

(٥)

قال حمّاد: قال أبي: وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة: أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع. (٢/١٧٠)

(٦)

قال أحمد بن إبراهيم: مات ابنُ ميّادة في صدْر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يفِدْ إليه ولا مدحه، لما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة ثوابه لهم. (٢/٣٤٠)

---

(١) يقال: أباء القاتلَ بالقتيل، إذا قتله به، والمراد هنا: فكم من قتيل يطلّ دمه ولا يؤخذ له بثأر. ويقال: غَلِقَ الرّهن في يد المرتهن يَغْلَق غَلَقا، إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط، يريد: وكم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها.

(٢) الدُّمى: جمع دمية وهي الصورة المنقّشة من العاج ونحوه.

(٧)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: رأيتُ علماءنا جميعاً لا يشكُّون في أنَّ أحسن ما يُروى في تعظيم السرّ قولُ عمر: ولكنَّ سرِّي ليس يحمله مثلي (٢/٣٧١)

(٨)

قال أبو عبيدة: مروان (بن أبي حفصة) أمدح للملوك (من بشار). (٣/١٤٤)

(٩)

أخبرني جحْظة قال سمعت علي بن يحيى المُنجِّم يقول: سمعتُ مَن لا أحصي من الرُّواة يقولون: أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول:

ألا انعِمْ صباحا أيُّها الطَّلل البالي

وحيث يقول: قفا نبكِ من ذكْرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلام القطاميّ حيث يقول: إنَّا مُحيوك فاسلم أيُّها الطَّللُ

ومن المحدثين بشّار حيث يقول:

أبى طللٌ بالجزْع أن يتكلّما ... وماذا عليه لو أجاب مُتيّما
وبالفرع آثارٌ بقين وباللّوى ... ملاعبُ لا يُعرفْنَ إلا توهُّما(١) (٣/١٤٨)

(١٠)

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال: وقف على بشار بعضُ المُجّانِ وهو يُنْشِدُ شعراً؛ فقال له: استُرْ شعرك هذا كما تستُر عورتك؛ فصفّق بشّارٌ بيديه وغضب وقال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا أعزّكَ الله رجل من باهلة(٢)، وأخوالي (من) سلُول(٣)، وأصهاري عُكْل(٤)، واسمي كلبٌ، ومولدي بأضاخ(٥)، ومنزلي بنهر بلال(٦)؛ فضحك بشّارٌ ثم قال: اذهب ويلك! فأنت عتيقُ لؤمك،

---

(١) الفُرع: قرية بينها وبين المدينة ثمانية بُرد على طريق مكة، فيها نخل ومياه كثيرة، واللّوى: في الأصل منقطع الرملة، وهو اسم موضع بعينه. (٢) باهلة: قبيلة من قيس عيلان، وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها. (٣) سلول: قبيلة من هوازن وهم بنو مُرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نُسبوا إليها. (٤) عكل: قبيلة فيهم غباوة وقلّة فَهم، ولذلك يقال لكلّ مَنْ فيه غفلة ويستحمق: عكلي. (٥) أضاخ: قرية من قرى اليمامة لبني نمير. (٦) نهر بلال بالبصرة، احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل إليها السوق.

قد علم اللهُ أنك استترتَ منّي بحصونٍ من حديد(١). (١٥٩/٣)

(١١)

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النّوفليّ عن عمّه قال: قالت امرأة لبشّار: ما أدري لم يهابُك الناسُ مع قُبحِ وجهك! فقال لها بشّار: ليس من حُسْنه يُهاب الأسدُ. (١٧٤/٣)

(١٢)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهْرويه قال حدّثني أبو الشّبل البُرْجُميّ قال: قال رجلٌ لبشّار: إنّ مدائحك عُقبة بنَ سلمٍ فوق مدائحكَ كلَّ أحد؛ فقال بشّار: إنّ عطاياه إيّاي كانت فوق عطاء كلّ أحد. دخلتُ إليه يوماً فأنشدتُه:

حـرّم اللهُ أن ترى كـابنِ سـلْمٍ — عُقـبـةِ الخـيـرِ مُطْعمِ الفقـراءِ
ليس يُعْطيكَ للرَّجـاءِ ولا الخـو — فِ ولكـن يلذُّ طـعْـمَ العطـاءِ
يسقطُ الطيرُ حيثُ ينْتثِرُ الحبُّ — وتُغشـى منـازلُ الكُرمـاءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار. وهأنا قد مدحتُ المهديّ وأبا عُبيد الله وزيره - أو قال يعقوب بن داود - وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفألامُ على مدحي هذا!. (١٩٤/٣)

(١٣)

ونسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمدُ بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العلويّ قال: قيل لبشّار: إنك لكثيرُ الهجاء! فقال: إني وجدتُ الهجاء المؤلم آخذ بضبْعِ(٢) الشاعر من المديح الرائع، ومَنْ أرادَ من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فلْيستعدَّ للفقر وإلا فلْيُبالغْ في الهجاء ليُخافَ فيُعْطى(٣). (٢٠٧/٣)

---

(١) تقابلنا هذه الظاهرة للمرّة الثالثة، ونراها في عصور مختلفة، وهي إنّ الهجاء يحتاج إلى مادّة جيدة يستخدمها، فإذا عُدمت عدم الهجاء، وهذه الحصون من الحديد هي التي منعت الشاعر من الدخول إلى الهجاء فقد وجدها محكمة قوية. (٢) الضبع: العضد.

(٣) يقابلنا بشّار برأي غريب، ومكمن الغرابة هو إنّ الشاعر يهجو ليُعطى، فهل ينفي بشار سبباً ما للهجاء؟ ونحن نعلم أنّ الهجاء كان يقوم على أسباب شخصية أو قبلية، ولم يكن ليأتي عبثاً، أو بغير سبب. وَفقُ كلام بشّار يشير إلى عكس هذا، فهو يدعو إلى أن يتخذ الشاعر الهجاء سلاحاً يشهره بوجه مَنْ يريد بغية أخذ مقدار من المال فيه. وهذا مفهوم لغرض الهجاء، نراه جديداً وغريباً في الوقت عينه.

(١٤)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: قدم بشار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ، فنهاه عن التشبيب لغيْرةٍ شديدة كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه:

كأنما جئتُه أبشِّرهُ ... ولم أجيء راغباً ومُحتلبا
يُزيِّنُ المنبر الأشمُّ بعطـ ... ـفيه وأقواله إذا خطبا
تُشمُّ نعلاه في النّدى كما ... يُشتمُّ ماءُ الرّيحان منْتهبا(١)

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادةً في كل سنةٍ ونهاه عن التشبيب البتَّة. فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

تجالّلتْ(٢) عن فِهْرٍ وعن جارتي فهر ... وودَّعتُ نُعْمى بالسّلام وبالبِشْرِ
وقالتْ سُليمى فيكَ عنّا جلادةٌ ... محلُّكَ دانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ(٣)
أخي في الهوى مالي أراك جفوْتنا ... وقد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسرِ
تثاقلتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها ... وزوْرةِ أمْلاكٍ أشُدُّ بها أزْري
وأخرجني من وزرِ خمسين حجةً ... فتىً هاشميٌ يقْشعِرُّ من الوزْرِ
دفنتُ الهوى حيّاً فلستُ بزائرٍ ... سُليْمى ولا صفراء ما قرقر القُمْري(٤)
ومُصْفرَّةٍ بالزعفران جلودُها ... إذا اجتُليتْ مثل المُفرطحة الصفْرِ(٥)
فرُبَّ ثقال الرِّدفِ هبَّتْ تلومني ... ولو شهدتْ قبري لصلَّتْ على قبري
تركتُ لمهْديّ الأنام وصالها ... وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالخَتْرِ(٦)
ولولا أميرُ المؤمنين محمدٌ ... لقبَّلتُ فاها أو لكانَ بها فِطْري
لعمْري لقد أوقرتُ نفسي خطيئةً ... فما أنا بالمُزدادِ وِقْراً على وِقْرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يُعْطيه قبل ذلك ولم يزِدْه شيئاً. (٢١٩/٣)

(١٥)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال: بلغ المهديَّ قولُ بشّار:

---

(١) المنتهب: المأخوذ المباح لمن شاء. (٢) تجالّتُ: ترفّعت. (٣) الجلادة: الصلابة والصبر، والعفر: الحين وطول العهد أو قلّة الزيارة. (٤) قرْقر: صوّت وردّد صوته.

(٥) يريد بها الدنانير. (٦) الخَتْر: شبيهٌ بالغدر والخديعة، وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه.

قاس الهموم تنلْ بها نُجُحا والليلَ إنّ وراءه صُبُحا
لا يُؤيسنَّك من مُخبَّأةٍ قولٌ تُغلِّظه وإن جرحا
عُسر النساء إلى مُياسرةٍ والصعبُ يُمكن بعد ما جمحا

فلمّا قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهديّ غيورا، فغضب وقال: تلك أمُّك يا عاضَ كذا من أمّه! أتحضُّ الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبَّآت! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتين على روحك؛ فقال بشار في ذلك:

والله لولا رضا الخليفة ما أعطيتُ ضيماً عليَّ في شجنِ
وربُما خيرَ لابن آدمَ في الـ ـكُره وشقُّ الهوى على البدن
فاشربْ على أبنة الزّمان فما تلقى زماناً صفا من الأبن[1]
الله يُعْطيك من فواضله والمرء يغضي عيناً على الكُمَنِ[2]
قد عشتُ بين الرّيحان والراح والـ ـمِزْهر في ظلّ مجلسٍ حسنِ
وقد ملأتُ البلاد ما بين فُغْـ ـفُور[3] إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبة: فُغفُور: ملك الصين.

شعراً تُصلّي له العواتقُ والـ ـثّيبُ صلاةَ الغُواة للوثنِ[4]
ثم نهاني المهدي فانصرفت نفسي صنيع الموفَّق اللَّقِنِ[5]
فالحمد لله لا شريك له ليس بباقٍ شيء على الزمنِ (٣/٢٤٠)

(١٦)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا العنزي قال: حدّثنا أبو عكرمة قال: حُمَّ الرشيد، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها:

لو علم الناس كيف أنت لهم ماتوا إذا ما ألمَّ أجمعهم
خليفةَ الله أنت ترجحُ بالـ ـناس إذا ما وزِنت أنت وهم
قد علم النّاسُ أنّ وجهك يسـ ـتغني إذا ما رآه مُعدِمُهمْ

---

(١) الابن: جمع ابنة وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر.

(٢) الكمن: جمع كمنة، وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه.

(٣) فغفور: لقب كلّ مَنْ مَلَك الصين، كقيصر للروم وخاقان للترك، وكسرى للفرس.

(٤) العواتق: جمع عاتق وهي الجارية أوّل ما أدركت. (٥) اللَّقِن: سريع الفهم.

فانشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدَ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يُسامره ويحدثُه إلى أن برئ، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ.

قال: وحُدِّثتُ أنَّ ابن الأعرابيَّ حدَث بهذا الحديث؛ فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمُستحق لما قلت. قال: ولم؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابيّ - وكان أحدُ الناس -: الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبي العتاهية، ألأبي العتاهية تقول: إنَّه ضعيفُ الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضرْبا من السحر، ثم أنشد له:

قطْعتُ منكَ حبائلَ الآمالِ ... وحططتُ عن ظهْر المطيّ رحالي
ووجدتُ برْد اليأس بين جوانحي ... فأرحْتُ من حلٍّ ومن ترْحالِ
يأيها البطرُ الذي هو من غدٍ ... في قبره متمزِّقُ الأوْصالِ
حذف المُنى عنه المُشمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُناك طويلةَ الأذيالِ
حِيَلُ ابن آدم في الأمور كثيرةٌ ... والموتُ يقْطعُ حيلةَ المُحتالِ
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً ... من كلِّ عارفةٍ جرتْ بسؤالِ
فإذا ابتُليت ببذل وجهك سائلاً ... فابذلْه للمُتكرِّم المفْضالِ
وإذا خشيتَ تعذُّراً في بلدةٍ ... فاشددْ يديْك بعاجل التَّرحالِ
واصْبِرْ على غِيرِ الزَّمان فإنَّما ... فرجُ الشَّدائد مثلُ حلِّ عقالِ

ثم قال للرجل: هل تعرف أحداً يُحسنُ أنْ يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداءك! إني لم أرْدُدْ عليك ما قلتَ، ولكنَّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهد. فقال: أفليْس الذي يقول في المديح:

وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفى به الصَّدى ... إذا ما الصَّدى بالرِّيق غصَّتْ حناجِرُهْ(١)
وأوْسَطُ بيتٍ في قريش لَبيتُه ... وأوّلُ عزٍّ في قريش وآخرُهْ
وزحْفٍ لـه تحكي البروقَ سيوفُه ... وتحكي الرعود القاصفات حوافرُهْ
إذا حميتْ شمسُ النَّهار تضاحكتْ ... إلى الشَّمس فيه بيْضُه ومغافرُه(٢)
إذا نُكبَ الإسلامُ يوماً بنكْبةٍ ... فهارونُ من بين البريَّة ثائرُهْ

---

(١) الصَّدى: العطش.

(٢) البَيض: جمع بيضة، وهي الخوذة تصنع من الحديد ليُتّقى بها في الحرب، والمغافر، جمع مغفر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة.

وَمَنْ ذا يفـــوتُ الموتَ والموتُ مُدرِكٌ   كــــذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافِـــرُهْ

قال: فتخلّص الرجل من شرِّ ابن الأعرابيِّ بأن قال له: القولُ كما قلتَ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين، وكتبهما عنه. (١٣/٤)

(١٧)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضّحّاك: أنَّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُريث صاحبَ المهديّ كان ممدَّحاً، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء، وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ! وأيّ شيء مقدارُ شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل وقال له: والله إنَّ الواحد منكم ليدُور على المعنى فلا يُصيبه، ويتعاطاه فلا يُحسنه، حتى يُشبِّب بخمسين بيتاً، ثم يمدحنا ببعضها(١)، وهذا كأنَّ المعاني تُجمع له، مدحني فقصَّر التشبيب، وقال:

إنّي أمِنْتُ مِنَ الزمانِ وريبهِ   لمّا علقتُ مِنَ الأميرِ حِبالا
لو يستطيعُ الناسُ من إجلالهِ   لحَذَوْا لهُ حُرَّ الوُجوهِ نِعالا
إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنّها   قطعتْ إليكَ سَباسِباً ورِمالا(٢)
فإذا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً   وإذا رجعْنَ بنا رجعْنَ ثِقالا(٣)   (٣٨/٤)

(١٨)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القُرشيّ قال حدّثني المُعلّى بن أيوب قال: دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقْبِل على شيخ حسن اللِّحيةِ خضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة(٤)، فقلت للحسن بن أبي سعيد - قال: وهو ابن خالة المُعلّى بن أيوب. وكان الحسن كاتب المأمون على العامّة - : مَنْ هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لو عرفتُه ما سألتُك عنه. فقال: هذا أبو العتاهية. فسمعت المأمونَ يقول له:

---

(١) جعل ابن رشيق في العمدة (١٢٣/٢)، من عيوب النسيب «أن يكثر التغزّل ويقلّ المديح». وهو يشبه كثيراً ما ذكره عمر بن العلاء. وينظر كذلك الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٦/١) في حديث نصر بن سيّار مع بعض الرُّجّاز الذي مدحه بقصيدة «تشبيبها مائةُ بيت، ومدحها عشرة أبيات». فطلب منه إن أراد مديحه أن يقتصد في النسيب.

(٢) سباسب: جمع سبسب، وهو الأرض القفر البعيدة.   (٣) مُخِفَّة: قليلة الحمل.

(٤) اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

أنشدني أحسن ما قلتَ في الموت؛ فأنشده:

أنساكَ محْياكَ المماتا ... فطلبْتَ في الدنيا الثُّباتا
أوَثِقْتَ بالدنيا وأنـ ... ـتَ ترى جماعتها شتاتا
وعَزمتَ منك على الحيا ... ةِ وطولها عزماً بتاتا
يا مَنْ رأى أبويْه فيـ ... ـمنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عبْرةٌ ... أم خِلْتَ أنْ لك انْفلاتا
ومن الذي طلب التَّفلُّـ ... ـتَ من منيَّته ففاتا
كلٌّ تُصبِّحه المنـ ... ـيَّةُ أو تُبيِّتُه بياتا

قال: فلمَّا نهضَ تبِعتُه فقبضت عليه في الصَّحْن أو في الدِّهْليز، فكتبتها عنه. (٥٢/٤)

(١٩)

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتُليّ الورَّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية: أنَّ الرشيد لمَّا أطلق أباه من الحبْس، لزم بيته وقطع الناس؛ فذكره الرشيد فعُرِّفَ خبره، فقال: قولوا له: صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بيْت(١)؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

برِمْتُ بالنَّاسِ وأخلاقِهم ... فصِرْتُ أستأنِسُ بالوُحْدَهْ
ما أكثر النَّاس لعمري وما ... أقلَّهم في مُنْتهى العِدَّهْ

ثم قال: لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له(٢)، فقرن هذين البيتين بأربعةِ أبيات مدحه فيها، وهي:

عاد لي ذكْرها نصبُ ... فدموعُ العين تنسكبُ
وكذاكَ الحُبُّ صاحبُه ... يعْتريه الهمُّ والوصبُ
خيرُ مَنْ يُرْجى ومَنْ يهبَ ... مَلِكٌ دانتْ له العربُ
وحقيقٌ أنْ يُدان له ... مَنْ أبوه للنَّبيِّ أبُ (١٠٥/٤)

---

(١) حِلْس بيت: ملازمه لا يبرحه، وهو ممَّا يذمّ به الرَّجل.

(٢) كأنَّ المدح أصبح جزءاً أساسياً في القصائد التي تُقدَّم للخلفاء، ويبدو أنَّ الشعراء هم الذين استنُّوا هذه السُّنَّة كي تُقبل أشعارهم، وتُنْشَد بين أيدي الخلفاء.

(٢٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجُمَحيّ قال: حملتُ دِيْنا بعسكر المهديّ، فركب المهديّ بين أبي عُبَيْد الله وعمر بن بزيع، وأنا وراءه في موكبه على برذَوْنٍ قطوف(١)؛ فقال: ما أنسبُ بيتٍ قالته العرب؟ فقال له أبو عبيد الله: قولُ امرئ القيس:

وما ذرفَتْ عيْناك إلا لتضربي ... بسهْمَيْكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتَّلِ

فقال: هذا أعرابيٌّ قُحٌّ. فقال عمر بن بزيع: قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين:

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنّما ... تمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيل

فقال: ما هذا بشيء، وماله يُريد أن ينْسى ذكْرها حتى تمثَّلَ له! فقلتُ: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الحق بي. قلت: لا لحاقَ بيّ، ليس ذلك في دابّتي. قال: احْمِلُوه على دابَّة. قلتُ: هذا أوّلُ الفتْح؛ فحُملْتُ على دابة، فلحقتُ. فقال: ماعندك؟ فقلتُ: قولُ الأحْوص:

إذا قلتُ إنّي مُشْتفٍ بلقائها ... فَحمُّ التلاقي بيننا زادني سُقْما

فقال: أحسن والله! اقْضُوا عنه دينْه؛ فقُضي عنّي ديْني. (٢٦٥/٤)

(٢١)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم، وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سلاّم قال: كان لكُثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مُقدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيبْ جميعاً، ولكُثيِّرٍ من فنون الشِّعر ما ليس لجميل. وكان كُثيِّر راوية جميل، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق، ولم يكن كُثيِّر بعاشق، وكان يتقوّل. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كُثيِّر في النَّسيب:

أريد لأنسى ذِكْرها فكأنّما ... تمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيل

قال: وقد رأيتُ مَنْ يُفضِّل عليه بيت جميل:

خليليَّ فيما عِشْتُما هي رأيتُما ... قتيلاً بكى من حُبِّ قاتله قبلي (٢٦٦/٤)

(٢٢)

وروى هذا الخبر عن الزُّبير هارونُ بن محمد الزيّات فزاد فيه، قال: ثم خرج (ابن هرمة) من

---

(١) القطوف: الدّابة التي تبطئ في سيرها.

عندهم، فأتى عبد الله بن حسن فقال: إنّي قد مدحتُك فاستمِعْ منّي. قال: لا حاجة لي بذلك، أنا أعطيك ما تُريد ولا أسمع. قال: إذا أسقُط ويكسُد سُوقي(١). فسمع منه وأمر له بمائتي دينار، فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتك بما تُنفقه كيف شئت. ولم يزل مقيماً عنده حتى نفدتْ. (٣٨٩/٤)

(٢٣)

أخبرنا يحيى بن علي إجازة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الله بن محمد: أنَّ ابنَ هرْمَةَ قال يمدح أبا الحكم المُطّلب بن عبد الله:

لَمّا رأيتُ الحادثاتِ كنفْنني ... وأوْرثْنني بُؤسي ذكرتُ أبا الحكمْ
سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا ... همُ المُصْطفَوْنَ والمُصفَّوْنَ بالكرمْ

فلاموه وقالوا: أتمدح غلاماً حديث السنّ بمثل هذا! قال نعم. وكانت له ابنةٌ يُلقّبها «عُيينة». وقال الزبير: كان يلقّبها «عينة». فقال:

كانتْ عُيينَةُ فينا وهي عاطلةٌ ... بين الجواري فحلاّها أبو الحكم
فمنْ لحانا على حُسْنِ المقالِ له ... كان المُليمَ وكنّا نحن لم نُلِم(٢) (٣٩٤/٤)

(٢٤)

أخبرني أبو الطيِّب بن الوشاء قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزْديّ: لو حلفَ حالفٌ أنَّ أحسنَ أبياتٍ قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قولُ الصِّمَّة القُشيريّ ما حنث:

حننت إلى ريّا ونفسُك باعدتْ ... مزارك من ريّا وشعباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً ... وتجزع أنْ داعي الصبابة أسمعا
بكتْ عينيَ اليُمنى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
وأذكر أيّامَ الحِمى ثم أنثني ... على كبدي من خشيةٍ أن تصدّعا
فليست عشيّاتُ الحِمى برواجعٍ ... عليك ولكن خلِّ عينيكَ تدمعا (٦/٥)

---

(١) من تقاليد قصيدة المدح أن يسمعها الممدوح بنفسه، فإذا امتنع كان هذا سبباً في اضطراب مكانة الشاعر عموماً، لا في قصيدة المديح وحدها. ولذلك نرى حرص ابن هرمة على أن يستمع إليه عبد الله بن حسن، وقد أشرنا إلى شيء قريب من هذا في القضية السابقة.

(٢) لم نلم: لم نأت ما نلام عليه.

(٢٥)

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال: دخلت على المهديّ فقال: أنشدني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر، ولك عشرة آلاف درهم وخلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدتُه قول الأخطل:

تَرى الزُّجاجَ ولم يُطْمَث يُطيفُ به ... كأنه من دم الأجواف مُخْتَضِبُ(١)

حتى إذ افتضَّ ماءُ المُزن عُذرتها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ

تنْزو إذا شجَّها بالماء مازُجها ... نزْوَ الجنادبَ في رمْضاءَ تلتهِبُ(٢)

راحوا وهم يحسبون الأرض في فُلُك ... إن صُرِّعوا وقتَ الراحاتُ والرُّكَب

فقال لي: أحسنتَ وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذتُه. (٨٧/٦)

(٢٦)

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثني به وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ـ وخبره أتم ـ قال: قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ـ وكان بخيلا لا يحبُّ أن يُعطي أحداً شيئاً ـ ما بالُ الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني!. فبلغ ذلك ابنَ هرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثِبه، فقال يعرِّض به ويمدح عبد الواحد بنَ سليمان:

ومُعْجِب بمديح الشِّعر يمنعه ... من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ

يا أبي المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره ... نو نيقة في حواشي شعره أنق(٣)

إنك والمدح كالعذراء يُعجبها ... مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرق

لكنْ بمدْين من مُفْضَى سويمرةٍ ... مَن لا يُذمّ ولا يُشْنا له خُلُق(٤)

أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادحون إذا قالوا له صدقوا

---

(١) الطمث: المسّ. يريد أنّه لم يفرّع ولم يمسسه إنسان.

(٢) تنزو: تثب وذلك إذا مُزِجَتْ. وشجّها: مزجها. والجنادب: ضرب من الجراد. والرمضاء: الأرض الحارة الحامية من شدّة حرّ الشمس.

(٣) التحْبير: التجويد. النيقة: اسم من التنوق. يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره، إذا تجوّد وبالغ، والأنق: الروعة والحسن.

(٤) مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ستّ مراحل، وسويمرة: موضع في نواحي المدينة.

ـ يعني عبد الواحد بن سليمان ـ

لا يستقرُّ ولا تخفى علامته إذا القنا شال في أطرافها الحرق(١)
في يوم لا مال عند المرء ينفعه إلا السِّنانُ وإلا الرمح والدُّرق
يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم بالسيف ثم يُدانيهم فيعتنق
يكاد بابُك من جود ومن كرم من دون بوابه للناس ينْدلقُ
أنّي لأطْوي رجالاً أن أزورَهمُ وفيهمُ عكر الأنعام والورقُ(٢)
طيُّ الثياب التي لو كُشِّفت وُجِدتْ فيها المعاوز في التفتيش والخرق(٣)
وأترك الثوبَ يوماً وهو ذو سعة وألبسُ الثوب وهو الضيِّق الخلق
إكرامَ نفسي وأنّي لا يوافقني ولو ظمئتُ فحُمّتُ المشْربُ الرُّنق(٤)

قال هارون بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن سليمان ـ وهو إذا ذاك أميرُ الحجاز ـ فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشيّة من ثيابه، وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقْحة ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البرّ والتمر، فأخبره به؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسنة، وقال له: هذا لك عليّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا، واقتطعه لنفسه وأنس به، وقال له: لستُ بمحوجك إلى غيري أبداً. فلما عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالي مكانه وامتدحه. ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه، حتى تحمّل عليه(٥) بعبد الله بن الحسن (بن الحسن)، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه. (١٠٢/٦)

(٢٧)

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال: قلت لابن هرمة: أتمدحُ عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيره فتقول فيه هذا البيت:

وجدنا غالباً كانت جناحا وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

---

(١) شال: ارتفع، والحَرَق: لهب النار. (٢) العَكَر: جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل، قيل: هي فوق خمسمائة من الإبل؛ والورق: المال من الإبل والغنم.

(٣) المعاوز: خلقان الثياب المبتذلة، واحدها معوز. (٤) الرُّنق: الكدر.

(٥) تحمّل عليه: تشفّع به إليه.

ثم تقول فيها:

أعبد الواحد الميمون إني ... أغضُّ حذارَ سخطك بالقراح

فبأي شيء استوجب ذلك منك؟ فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتني أزمة بالمدينة، فاستنهضتْني بنتُ عمّي للخروج؛ فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندي ما يُقِلّ جناحي؛ فقالت: أنا أنهضك بما أمكنني، وكان عندي نابٌ(١) لي فنهضتُ عليها نُهجِّد النوام ونؤذي السُّمار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دفعتُ إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمتُ فدنوت منه وسلّمت عليه؛ فقال لي: أبو إسحاق! أهلا ومرحباً! فقلت لبيك، بأبي أنت وأمي! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال: أما آن لك أن تزورنا؟ فقد طال العهد واشتدُّ الشوق، فما وراءك؟ قلت: لا تسلني - بأبي أنت وأمي - فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرك؛ فقال: لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب إن شاء الله. فوالله إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فتْية قد خرجوا كأنهم الأشْطان(٢)، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهمسَ إليه بشيء دوني ودون أخويه؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط(٣) يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد؛ وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: ادْنُ يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصِر إلينا حتى تفاقَم صدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سللنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا؛ ودفع إليّ ألفَ دينار، وقال لي: قُمْ فارحل فأغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضقتُ؛ فقال لي: تعال، ما أرى هذه مُبلغتك، يا غلامُ، قدِّم له جملي فلاناً. فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدُّ سروراً مني بكل ما نلْته؛ فهل تلومني أن أغضُّ حذار سخط هذا بالقراح! ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً. (١٠٧/٦)

(٢٨)

وللوليد أشعار جيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان. فمنها - وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه - قوله في صفة الخمر - أنشدنيه الحسن بن علي قال

---

(١) الناب: النّاقة المُسنّة.

(٢) الأشطان: جمع شَطَن، وهو الحبل، وقيل الحبل الطويل. (٣) ضابط: قويٌّ شديد.

أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبَّة قال أنشدني أبو غسَّان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غسَّان يكاد يرقص إذا أنشدها:

اصدعْ نجيَّ الهموم بالطربِ وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبلِ العيشَ في غضارته لا تقْفُ منه آثار معتقبِ
من قهوة زانها تقادُمها فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشَّرْب يوم جلوْتها من الفتاة الكريمة النُّسب
فقد تجلَّت ورقَّ جوهرها حتى تبدَّت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائلُ الذهب
كأنها في زجاجها قبسٌ تذكو ضياءً في عين مرتقب
في فتيةٍ من بني أميَّة أهـ ـلِ المجد والمأثُرات والحسب
ما في الورى مثلُهم ولا فيهم مثلي ولا مُنْتَمٍ لمثل أبي (١٨/٧)

(٢٩)

لقد هجرتْ سُعْدى وطالَ صدودُها وعاود عيْني دمعُها وسهودُها
وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدى بأرضها أرى الأرض تُطْوى لي ويدنو بعيدها
منعَّمةٌ لم تلْقَ بؤسَ معيشة هي الخُلْد في الدنيا لمن يستفيدُها
هي الخلدُ مادامتْ لأهلكِ جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

وهذه الأبياتُ من قصيدة لكثيِّر سائرُها في الغزل وهي من جيِّد غزله ومختاره. (٨٧/٧)

(٣٠)

ولحسين بن الضَّحاك في محمد الأمين مراثٍ كثيرةٌ جياد، وكان كثير التحقّق به والمُوالاة له لكثرة أفضاله عليه وميله إليه وتقديمه إيَّاه. وبلغ من جزعه عليه أنَّه خُولط؛ فكان يُنكر قتله لمَّا بلغه ويدفعه ويقول: إنه مُستتر وإنه قد وقف على تفرُّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره والوفاء ببيعته ضناً به وشفقةً عليه. ومن جيِّد مراثيه إياه قولُه:

سألونا أن كيف نحن فقلنا منْ هوى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قوم أصابنا حدثُ الدهـ ـر فظلْنا لريْبه نستكين
نتمنَّى من الأمين إيابا لهْفَ نفسي وأين منِّي الأمين

ومن جيِّد قوله في مراثيه إيَّاه:

أعزّي يا محمّد عنك نفسي   معاذَ الله والأيدي الجسام
فهلاّ مات قوم لم يموتوا   ودُوفع عنك لي يوم الحمامِ
كأنَّ الموتَ صادف منك غُنْما   أو استشفى بقُربك من سقام   (١٥٠/٧)

(٣١)

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلْحة قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال سمعت مهْديّ بن سابق يقول: التقى أبو نواس وحسين بن الضّحّاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر(أهل) زمانك في الغزل؛ قال: وفي أيّ ذلك؟ قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال: لا؛ قال: في قولك:

وابأبي مُقْحم لعزّته   قلت له إذ خلوتُ مكتتما
نحبُ بالله من يخُصك بالو   دُّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولّى بمقلتي خجلٍ   أراد رجعَ الجوابِ فاحتشما
فكنتُ كالمبتغي بحيلته   بُرءاً من السُّقم فابتدا سقما   (١٧٤/٧)

فقال الحسين: ويحك يا أبا نوّاس! فأنت لا تفارق مذهبك في الخمر البتّة؛ قال: لا والله، وبذلك فضلتك وفضلتُ الناس جميعاً.

(٣٢)

أخبرني عليّ قال حدّثني محمد بن الفضْل الأهْوازيّ قال سمعت عليّ بن العباس الروميّ يقول: حسين بن الضّحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يا مستعيرَ سوالف الخِشْف   اسمعْ لحلْفة صادقِ الحلْفِ(١)
إنْ لم أصبحْ ليلي: ويا خَرَبي   من وجنتيك وفترةِ الطُّرْفِ
فجَحدتُ ربّي فضل نعمته   وعبدتُه أبداً على حرْفِ   (١٧٥/٧)

(٣٣)

قال محمد بن سلاّم: ورأيت أعرابياً من بني أسد أعجبني ظرْفُه وروايته، فقلت له: أيُّهما عندكم أشعرُ؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلُّها غلب جرير، قال في الفخر:

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ   حسبتَ الناسَ كلَّهُم غضابا

---

(١) السوالف: مفردها سالفة، وهو جانب العنق، والخشف: وَلَدَ الظبية أوّل ما يولد.

والمديح: أَلستم خير مَنْ ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راحِ

والهجاء: فغضِّ الطرْفَ إنك من نُميرٍ   فلا كعْباً بلغتَ ولا كلابا

والنَّسيب: إنَّ العيون التي في طرْفها حورٌ   قتلننا ثم لم يُحيْين قتْلانا

قال أبو عبد الله محمد بن سلاَّم: وبيتُ النَّسيب عندي:

فلما التقى الحيَّانِ أُلقيتِ العصا   ومات الهوى لما أُصيبتْ مقاتلُهْ (٦/٨)

(٣٤)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محبٍّ وهو ظالم مُتعتِّب(١).

فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصفْوٍ ذنائبُهْ   ودعْهُ إذا خِيضتْ بطرْقٍ مشاربُهْ(٢)

أعاتبُ مَنْ يحلو لديَّ عتابُه   وأترك مَنْ لا أشتهي وأجانبُهْ

ومن لذَّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً   عناقُك مظلوماً وأنت تُعاتبُهْ

فقال: أحْسنَ والله! أعِدْها عليَّ: فأعدتُها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم. (١٤٦/٨)

(٣٥)

وكان أبو دُلَفَ جواداً ممدَّحاً، وفيه يقول عليّ بن جبلة:

إنَّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ   بين مغْزاهُ ومُحْتَضرِهْ

وإذا ولَّى أبو دُلَفٍ   ولَّتِ الدّنيا على أثرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحسن مدائحه. وفيها يقول:

ذادَ وِرْدَ الغيِّ عن صدرِهْ   وارعوى واللَّهْو من وطرِهْ(٣)

ندمي أنَّ الشَّباب مضى   لم أبلِّغْهُ مدى أشرِهْ(٤)

حسرتْ عنِّي بشاشتُه   وذوى المحمودُ من ثمرِهْ

---

(١) متعتِّب: مُتَجنٍّ.

(٢) الذنائب: جمع ذنوب وهي الدلو العظيمة. والطرق: أن تبول الإبل في الماء وتبعر فتكدره، ويقال للماء الذي خوَّضته الإبل فبالت فيه وبعرت: مطروق وطارق.

(٣) ذاد: ردَّ، وورْد الغيِّ: الانغماس في البطالة، وارعوى: أقصر وكفَّ، ووطره: حاجته.   (٤) الأشر: الحدَّة.

ودمٍ أهْدرتْ من رشأٍ ... لم يُردْ عقْلاً على هدرِهْ(١)
فأتتْ دون الصِّبا هنةٌ ... قلبتْ فُوقي على وتَرِهْ(٢)
دعْ جدا قحْطانَ أو مُضرٍ ... في يمانيهِ وفي مُضَرِهْ(٣)
وامْتدحْ من وائلٍ رجلاً ... عُصُرُ الآفاق من عُصُرِهْ(٤)
المنايا في مَقانبِهِ ... والعطايا في ذرا حُجَرِهْ(٥)
ملكٌ تندى أناملُهُ ... كانبلاجِ النَّوْءِ عن مطرِهْ(٦)
مستهلٌّ عن مواهبه ... كابتسام الرَّوْض عن زهَرِهْ
جبلٌ عزَّتْ مناكبُهُ ... أمنتْ عدنانُ في نفرِهْ(٧)
إنَّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ... بين مغزاهُ ومُحتضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ ... ولَّتِ الدنيا على أثرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض من عربٍ ... بين باديه إلى حَضَرِه
مستعيرٌ منه مكرمةً ... يكتسيها يوم مفتخره (٨/٢٥٤)

(٣٦)

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شبَّة قال: قيل لأبي العبَّاس أمير المؤمنين: إنَّ رجلاً شاعراً قد مدحك، فتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول فيَّ بعد قول ابن النَّصْرانية في بني أميَّة(٨):

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا (٨/٣٠١)

(٣٧)

أخبرني الحرميّ قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: ... ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيِّر(٩). (٩/٥)

---

(١) الرشا: الجارية، والعقل: الدية. (٢) الهنة: الشدَّة، والفوق: موضع الوتر من السَّهم. (٣) الجَدا: العطاء.
(٤) العُصُر: الملجأ. (٥) المقانب: جماعات الخيل، والذرا: الفنا والساحة. (٦) النَّوء: نجوم تظهر قبل المطر.
(٧) مناكبه: جوانبه. (٨) كانَّ الأخطل في رأي أبي العبَّاس قد بلغ الغاية في المدح، فليس هناك زيادة لمستزيد. (٩) ذكرنا فيما سبق أنَّ مثل هذه الأحكام تعبِّر عن وجهة نظر شخصية، فقد رأينا تفضيل الأخطل في المديح على غيره من الشعراء، وهنا نرى تفضيلاً لكثيِّر في المديح أيضاً، ولعلَّ صاحب الحكم يرى جوانب في قصيدة المديح عند شاعر ما لم يرها غيره من الناس.

(٣٨)

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلاّم قال: وسمعت ابن أبي حفصة يُعْجبه مذهب كثيِّر في المديح جداً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطلٌ وعُجْب. (٦/٩)

(٣٩)

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان الشمّاخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمُنُّ عليه بقِراه. وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرْجز الناس على البديهة. (١٦١/٩)

(٤٠)

إنَّ التي عاطيتها فرددتُها قُتِلتْ قُتِلْتَ فهاتها لم تُقْتلِ(١)
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطني بزجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ(٢)

الشعر لحسّان بن ثابت. وهذه الأبيات من قصيدة حسّان المشهورة التي يمدح بها بني جَفْنة، وأوّلها: أسألت رسم الدار أم لم تسألِ

وهي من فاخر المديح، منها قوله:

أولادُ جفْنَةَ عند قبر أبيهمُ قبر ابن ماريةَ الكريم المُفضِلِ
يَسْقون مَنْ ورد البريص عليهمُ بردى يُصفَّق بالرَّحيق السلْسلِ(٣)
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ
يُغْشَوْن حتى ما تهِرُّ كلابُهم لا يسألون عن السَّواد المُقْبلِ (٢٨٨/٩)

(٤١)

وقال عبد الله بن مُسْلم: وممّا ينْفرد به (عدي بن الرقاع) ويقدّم فيه وصفُ المطيَّة: فإنه كان من أوصف الشعراء لها. (٣١٠/٩)

(٤٢)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة عن يونس أنه كان يقول: أفضلُ بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصِّمَّة:

---

(١) القَتْل هنا مَزْج الخمرة بالماء. (٢) المفصل هنا: اللسان. (٣) البريص: اسم غوطة دمشق.

قليلُ التَّشــكِّي للمُصيباتِ حــافظٌ   من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غـد   (١٠/١٠)

(٤٣)

قال محمد بن داود وحدّثني أحمد بن سعيد بن حسّان قال حدّثني ابن إبراهيم قال سمعت دعبلاً يقول: لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لتركنا في غير شيء.   (٤٤/١٠)

(٤٤)

أخبرني الصُّوليّ قال: سمعتُ عُبيدَ الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يُعلَمُ لقديمٍ ولا لُمحْدثٍ في قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العبّاس:

وليلــةٍ مــن اللّيـالي الزُّهْـرِ   قـابلتُ فيـهـا بدرهـا ببـدرِ
لـم تكـن غير شـفقٍ وفجـر   حتى تولّتْ وهي بِكْر الدّهر   (٦٠/١٠)

(٤٥)

قال محمد النوفلي: .. ولمروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة مدائح.. شريفة ومراثٍ حسنة.   (٨٤/١٠)

(٤٦)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة قال: رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبيْدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيّهما أشعر، فقال لي: قد سُئلتُ عنهما في أيام المهديّ وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولا عقدتُه في شعر ليثْبُتَ(١). فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفــرزدقُ بالهـجــاء وإنّمــا   حلْـــوُ القــريض ومُــرُّه لجــريرِ
ولقــد هجــا فــأمضَ أخطلُ تغلبٍ   وحـوى النُّهى ببيــانه المشــهورِ
كلُّ الثـلاثة قـد أجـادَ فـمـدحُهُ   وهجـاؤه قـد سـار كلَّ مسـيـرِ
ولقــد جـريْتُ فـفُتُّ غـيـر مُهلّلٍ   بجـراء لا قــرفٍ ولا مـبـهـور(٢)
إنــي لآنـفُ أن أحــبِّرَ مِـدْحــةً   أبـداً لغــيــرِ خليــفــة ووزير

---

(١) مايزال كثير من الشعراء والعلماء في العصر العباسي يؤمنون أنّ الشعر أكثر قدرة على البقاء من النثر. ونرى مروان بي أبي حفصة يشير إلى هذا. وقد وقفنا في القضية السابقة عند هذا الأمر طويلاً.

(٢) هلّل الرجل: جبن وفرّ. والقرف: الشديدة الحمرة، ولعلّه يعني به الهجين.

ما ضـرّني حسدُ اللئام ولـم يزلْ   ذو الفضل يحسدُه ذوو التقصير(١)

قال: فلم ير أن يقدِّم على نفسه غيرها. وكتبتُ الأبيات عن فيه. (٩٠/١٠)

(٤٧)

... وكان علي بن الجهم ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمِّهم(٢) والإغراء بهم وهجاء الشِّيعة، وهو القائل:

ورافضـةٍ تقول بشـعْبِ رضْوى   إمـامٌ، خـاب ذلك مـن إمـام(٣)

إمـامٌ مَـنْ لـه عشـرون ألفا   مـن الأتراك مُشْرعةُ السِّهام (٢٠٥/١٠)

(٤٨)

أخبرني عمِّي قال حدّثنا محمد قال قال لي أبو الشِّبْل البُرْجُميّ: ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عديٍّ بن زيد. (٢٠٨/١٠)

(٤٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهْرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: كتب

---

(١) هذا لون من ألوان النقد، هو النقد المنظوم. وهو أن يعمد الشاعر إلى حكم نقدي يراه، أو قضية نقدية فيجعلها شعراً، وغالباً ما يولع به الشعراء النقّاد الذين يضمّنون شعرهم تلك الأحكام والقضايا، مثل الفرزدق، وجرير، وأبي تمام، والبحتري، ونشير هنا إلى أنَّ اللفتات النقدية التي حواها الشعر كثيرة جداً مثل وصف القصيدة، وكيفية نظمها، ومدى انتشارها، وهذه اللفتات لا يختصّ بها الشعراء النقاد وحدهم. بل نجدها عند الجمهرة الواسعة من الشعراء في عصور متلاحقة.

(٢) فتح مروان بن أبي حفصة باباً في الشعر أملته الظروف السياسية والاجتماعية، وهو تثبيت حقّ العباسيين بالخلافة بوساطة الدين وكان خلال هذا يتعرّض لخصومهم وخاصة من العلويين فيهجوهم، ويسلبهم ما يرون أنّه حقّهم، وكأنَّ ذلك النهج قد أعجب شعراء آخرين، فساروا عليه، واقتدوا به، ومنهم عليّ بن الجهم.

(٣) رَضْوى: جبل بالمدينة، منيف ذو شعاب وأودية، وهو الجبل الذي تزعم الكيسانية أنَّ محمد بن الحنفية به مقيم حيّ يرزق، وفي ذلك يقول كثيِّر:

وسِبْط لا تراه العينُ حتّى   يقودَ الخيل يقدُمها اللِّواءُ

تغيّب لا يُرى عنهم زماناً   برَضوى عنده عسلٌ وماءُ

ينظر الأغاني (١٥/٩)، وواضح أنَّ علي بن الجهم يرفض هذه الدَّعوى، ويهاجم الإمام المستتر، وهو ما ينسجم مع المذهب الذي اختطّه لنفسه، مقتفياً بذلك أثر مروان بن أبي حفصة.

صاحب الخبر إلى المتوكّل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات. فقال علي بن الجهْم: قد بلغني أنَّ العامل قتله وصانع صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكّل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. وأحسنُ شعر قاله في الحبس قصيدتُه التي أولها:

قالتَ حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري ... حبسي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغمدُ
أوما رأيتِ اللَّيْثَ يألفُ غيله ... كِبْراً وأوباشُ السِّباع تردَّدُ(١)
والشمسُ لولا أنَّها محجوبةٌ ... عن ناظريْك لما أضاء الفرْقدُ
والبدرُ يُدْركه السِّرارُ فتنجلي ... أيّامُه وكأنَّه مُتجدِّدُ(٢)
والغيثُ يحصُره الغمامُ فمَا يُرى ... إلاّ وريِّقُه يروع ويرْعُدُ
والزاعبيَّةَ لا يُقيم كُعُوبَها ... إلاّ الثِّقافُ وجذْوةٌ تتوقَّدُ(٣)
والنارُ في أحجارها مخبوءةٌ ... لا تُصْطلى إن لم تُثرها الأزْنُدُ
والحبس ما لم تَغْشَه لدنيّةٍ ... شنعاءَ نِعْمَ المنزلُ المتوردُ(٤)
بيتٌ يجدِّدُ للكريم كرامةً ... ويُزار فيه ولا يزور ويُحْمَدُ
لو لم يكن في الحبس إلاّ أنّه ... لا يستذلُّك بالحجاب الأعبُدُ
كم من عليل قد تخطّاه الرَّدى ... فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ
يا أحمدُ بنَ أبي دُواد إنَّما ... تُدْعى لكلِّ عظيمةٍ يا أحمدُ
أبْلِغْ أميرَ المؤمنين فدونَه ... خَوْضُ الرَّدى ومخاوفٌ لا تنْفَدُ
أنتم بنو عمِّ النبيِّ محمدٍ ... أولى بما شرع النبيُّ محمَّدُ
ما كان من كرمٍ فأنتم أهلُه ... كرُمَتْ مفارسُكم وطاب المحْتدُ
أمِنَ السَّويَّةِ يابنَ عمِّ محمدٍ ... خصمٌ تُقرِّبُه وآخرُ تُبْعِدُ
إنَّ الذين سعَوْا إليك بباطل ... حُسّادُ نعمتك التي لا تُجْحَدُ
شهدوا وغِبْنا عنهم فتحكَّموا ... فينا وليس كغائب مَنْ يشْهدُ
لو يجمع الخُصماءَ عندك مجلسٌ ... يوماً لبان لك الطريقُ الأقْصدُ

---

(١) غيله: عرينه، ومكان إقامته. (٢) السِّرار: آخر أيام الشهر.

(٣) الزّاعبية: رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له: زاعب، كان يعمل الأسنّة، والثِّقاف: آلة من خشب تسوّى بها الرماح.

(٤) المتورِّد: الذي يورد ويزار مثل المورود.

فبأيِّ جُـرْمٍ أصبَحـتْ أعراضُـنا نهْباً تقسـمـهـا اللئيـمُ الأوْغَـدُ (٢١٣/١٠)

(٥٠)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثني العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: لمّا مات أبو العبّاس السفّاح ووَلي المنصورُ، دخل عليه أبو دُلامة، فقال له أبو جعفر: ألستَ القائلَ لأبي العبّاس:

وكنّا بالخليفة قـد عقدْنا لواءَ الأمر فانتقض اللواءُ
فنحن رعيّةٌ هلكتْ ضياعاً تسُوق بنا إلى الفتن الرِّعاءُ

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبتَ والله! ألستَ القائل:

هلك النَّدى إذ بنتَ يابن محمد فجعلته لك في التراب عديلا(١)
ولقد سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا
ولقد حلفتُ على يمينٍ بـرَّةٍ بالله مـا أعطيتُ بعـدك سُولا

فقال أبو دُلامة: إنَّ أخاك صلّى الله عليه غلبني على صبري، وسلبني عزيمتي، وعزّني بإحسانه إليّ وجزعي عليه، فقلت مالم أتأمّله، وإني أرغب في الثمن فاستَفِزّه السِّلعة حيّاً وميّتاً. فإن أعْطيْتَ ما أعطى، أخذت ما أخذ. فأمر به فحُبس ثلاثا ثم خلّى سبيله ودعاه إليه فوصله، ثم عاد له إلى ما كان عليه. (٢٤٢/١٠)

(٥١)

وقال ابن النّطاح: دخل أبو دُلامة على المهديّ وعنده شاعرٌ يُنْشده. فقال له: ما ترى فيه؟ قال: إنه قد جهد نفسه لك فاجْهَدْ نفسك له(٢). فقال المهديّ: وأبيك إنها لكلمةٌ عذْراءُ منك، أحسبك تعرفه! قال: لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلاّ حقّاً. فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دُلامة بمثلها لحسن محْضرِه. (٢٦٤/١٠)

(٥٢)

إنّي أرِقتُ ولم يأرق معي صاحِ لمُسْتكفٍّ بُعيْد النوم لـوّاحِ(٣)

---

(١) بِنْتَ: بَعُدت وفارَقت. (٢) جهد نفسه: أراد إنّه قال مديحاً أتعب نفسه فيه، فجاء جيّداً حسناً، وأجهد نفسك له: أي أعطه عطاءً جيداً يتناسب مع جودة شعره فيك.

(٣) مُستكفّ: مستدير، وكلُّ طُرّة كِفّة، ولوّاح: من قولهم لاح يلوح إذا ظهر.

دانٍ مُسِفٌ فويق الأرضِ هيْدبُه   يكاد يدفعه مَنْ قام بالرَّاحِ(١)

...(قال أبو الفرج)... وهو أحسن ما وُصِفَ به السحاب (٦٨/١١)

(٥٣)

...(قال أبو الفرج)...: ومن فاضل مراثي أوس بن حجر ونادرها في فضالة بن كلدة قوله:

أيَّتُها النفسُ أجملي جزعاً   إنَّ الذي تكْرهين قد وقعا
إنَّ الذي جمَّع السماحةَ والـ   ـنَّجْدةَ والحزم والقُوى جُمَعا
المُخْلِفَ المُتْلِفَ المُرزَّأ لم   يُمْتَعْ بضعفٍ ولم يمُتْ طبعا(٢)
أوْدى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ   شيءٍ لمن قد يُحاولُ البدعا(٣)

وهي قصيدة أيضا يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته. وله فيه قصائد غير هذه. (٧٤/١١)

(٥٤)

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعْد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبّاح عن أبيه: أنَّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجلُسائه: أيُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منّا ومن بني أميَّة أفخَرُ؟ فقالوا وأكثروا. فقال الرشيد: أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النَّصْرانية في عبد الملك:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا(٤) (٦٧/١١)

(٥٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثنا حُذيفة بن محمد

---

(١) دان: قريب، ومُسفّ: قد أسفَّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرب منها أو دنا إليها، الهيدب: السحاب المتدلّي الذي يدنو من الأرض ويُرى كأنّه خيوط عند انصبابه، والرّاح: هي راحة اليد أي باطنها، يقول: هذا السحاب يكاد مَنْ قام أن يمسّه ويدفعه براحته لقربه من الأرض.

(٢) المخلف المتلف: يريد أنّه يتلف ماله كرماً، ويخلفه نجدة، والمرزّأ: الذي تناله الرزّيات في ماله لما يُعطي ويُسأل، والإمتاع: الإقامة، يقول: لم يقم وهو ضعيف، والطبع: الدَّنس.

(٣) أودى: هلك، والإشاحة: الحذر، يقول: هل ينفع الحذر والخوف شيئاً لمن يحاول دفع الموت.

(٤) رأينا في النصّ السادس والثلاثين أنّ أبا العباس جعل من هذا البيت غاية المدح، ونرى الرشيد هنا يجعله أمدح بيت وأفخره، فكأنّ هذا البيت قد أصبح مثال المدح الذي لا يدانيه مدح، خاصة وأنّ الحكم يصدر عن خليفتين يعرفان مذاهب المديح، وطرق الشِّعر.

الكوفيّ قال قال المُفضَّل:

إذا ركب الطرمّاحُ الهجاء فكأنَّما يُوحى إليه(١)، ثم أنشد له قوله:

لــو حان وِرْدُ تميم ثم قيل لها ... حوضُ الرَّسول عليه الأزدُ لم تردِ

أوْ أنزلَ الله وحيـاً أنْ يُعـذِّبـها ... إن لـم تعُدْ لقتـال الأزدِ لم تَعُـدِ

لا عزَّ نصرُ امرئٍ أضحى له فرسٌ ... على تميم يُريد النصرمـن أحدِ

لو كان يخْفى على الرحمن خافيةٌ ... من خلقه خفيتْ عنه بنو أسـدِ (٤٣/١٢)

(٥٦)

... ومدح الشعراء يزيد بن مزيد، فكان أحسنهم مدحاً مُسْلم بن الوليد؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها:

أجْررْتُ حبْل خليعٍ في الصِّبا غزل ... وشمَّرتْ هِممُ العُذَّالِ في عذلي(٢)

هاج البكاءَ على العين الطَّمُوح هوىً ... مفـرَّقٌ بيـن توديـع ومُحْتملِ(٣)

كيف السُّـلُوُّ لقلْبٍ بات مُخْتبَلاً ... يهْذي بصاحب قلْبٍ غير مُخْتبَلِ(٤)

وفيها يقول:

يفْترُّ عند افترار الحرْبِ مبتسماً ... إذا تغيَّرَ وجهُ الفارس البطـلِ(٥)

مُوفٍ على مُهج في يوم ذي رهجٍ ... كـأنَّه أجلٌ يسـعى إلى أملِ(٦)

ينالُ بالرِّفق ما يعْيا الرِّجالُ به ... كالموت مُستعجلاً يأتي على مهلِ

لا يرْحلُ النَّاسُ إلاَّ نحو حُجرته ... كالبيت يُفْضي إليه ملْتقى السُّبُلِ(٧)

يقْري المنيَّة أرواحَ العُداةِ كما ... يقري الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزلِ(٨)

---

(١) يلاحظ مثل هذه العبارات القصيرة التي تتضمّن الأحكام النقدية. فهي قصيرة، تأثرية، تجمع بكلمات قليلة معانياً كثيرة، وسنرى انتشارها وشيوعها فيما سنستقبل من قضايا.

(٢) أجررت حبل : مهلت له في إرادته غَزِل: ذو غزل ومجانة.

(٣) الطمّوح: المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون، ومفرّق: مقسّم.

(٤) مختبل: مخبول العقل فاسده.

(٥) افترّ فلان ضاحكاً: أبدى أسنانه عند الضحك، وافترار الحرب: تكشيرها عن أنيابها كناية عن شدتُّها.

(٦) الرهج: الغبار، يقول: يوفي على المهج بالقتل في يوم قد ثار نقعه من شدّة القتال؛ فهو يعمل عمل الأجل في الأمل. (٧) الحُجرة: الناحية.

(٨) الكوم من النوق: العظام الأسنمة، والبزل: جمع بزول وهو ما بلغ من الإبل تسع سنين.

يكســو السُّيوفَ رُءوس الناكثين به   ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُـلِ(١)   (٩٦/١٢)

(٥٧)

... قال يحيى بن علي: ... ومن مختار مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب في قصيدته:

حللْتَ محلَّ القلب من آل هاشم   فعشّــك مــأوى بيضها المتفلِّقِ

قوله:

فإلاَّ تُواتِ اليومَ ســلمى فربمــا   شربنا بحوض اللهو غيرِ المرنَّقِ(٢)
فدعها فقد أعذَرْتَ في ذكر وصلها   وأجريت فيها شأو غربٍ ومشــرقِ(٣)
ولكن لعــبـد الله فــانطـقْ بمدحـةٍ   تُجـيـرُك من عُسْر الزمــانِ المُطبِّقِ
أخ قلـت للأدْنين لمّــا مـدحــتُـه   هلُمُّوا وسارى الليل مِ الآن فاطْرُقِ
شديدُ التـأنّي في الأمور مجرَّب   متى يفرْ أمرُ القوم يفرِ ويخـلُـقِ(٤)
ترى الخير يجري في أسرّة وجهه   كما لألأتْ في السيف جريةُ رونقِ(٥)
كــريم إذا مــا شــاء عــدَّ له أبا   لــه نسبٌ فــوق السِّمــاك المحلِّقِ
وأمّا لهــا فضــلٌ على كــلِّ حــرَّة   متى ما تسابِق بابنها القوْمَ تسْبقِ (٢٢٦/١٢)

(٥٨)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي، قال: لم يقل أحد في تفضيلِ أخٍ على أخيه وهُما لأب وأُمّ، مثلَ قولِ المغيرةِ بن حبناء لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكِـنْ   تفاضلتِ الطَّبائعُ والظُّروفُ
وأُمُّكَ حين تُنسب أمُّ صِـدقٍ   ولكنَّ ابنهـا طبع سـخـيفُ

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية ـ وكان ضعيفاً ـ يتمثَّل بهذين البيتين. (١٠٠/١٣)

---

(١) الناكثون: الناقضون للعهد. والذابل من القنا: وهي من الرماح: الرقيق اللاصق.

(٢) المرنّق: الكَدر.   (٣) أعذر: بلغ أقصى الغاية في العذر والشأو: الغاية.

(٤) يفري: يشق ويقطع. ويخلق: يقدِّر، من خلق الأديم: قدَّره لما يريد قبل القطع.

(٥) أسرَّة الوجه: خطوطه. ولألأ البرق: أضاء ولمع. والرونق: ماء السيف وصفاؤه وحسنه.

(٥٩)

قال الأبيرد:

تطـــاول ليلي لـــم أنمـــه تقلُّبـــا ... كأنَّ فراشي حال من دونه الجمر
فـــإن تكـــن الأيـــامُ فـرقْن بيننـا ... فـقد بان مني في تذكُّره العـذرُ

.. وهذان البيتان من قصيدة له يرثي بها أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي. (١٣/١٢٦)

(٦٠)

والقصيدة التي رثى بها الأبيردُ أخاه بريدا وفي أوّلها الغناءُ المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطـــاول ليلـــى لـــم أنمـــه تقلُّبـًا ... كـأنَّ فـراشي حـال من دونه الجـمـرُ
أراقـب مـن ليـل التّمـام نجـومـه ... لدُنْ غاب قرنُ الشَّمس حتّى بدا الفجرُ(١)
تذكـرت قـرْمـاً بانَ منَّا بنصـره ... ونـائلـــهِ يا حـبّذا ذلك الذُّكـــرُ(٢)
فـــإن تكـــن الأيـــامُ فـرَّقـن بيننا ... فـقـد عـذرتنا في صحـابتنا العُذرُ
وكنت أرى هجْـرا فـراقكَ سـاعـةً ... ألا لا بل الموتُ التـفـرُّق والهـجـر
أحـقًّا عبـاد الله أن لستُ لاقـيـا ... بريدا طوال الدهـر مـا لألأ العُفْرُ(٣)
فتىً إن هو استغنى تخرّق في الغنى ... فإن قـلَّ مـالاً لـم يُؤدْ متنه الفقْـر(٤)
وسامى جسيمات الأمور فنالها ... على العسر حتى أدرك العُسْرَ اليسر(٥)
ترى القومَ في العزَّاء ينتظرونه ... إذا ضلَّ رأيُ القوم أو حزب الأمر(٦)
فليتك كنتَ الحي في الناس باقيا ... وكـنتُ أنا الميتَ الذي غيب القبرُ
فتىً يشتري حُسنَ الثناء بماله ... إذا السَّنةُ الشهباءُ قلَّ بها القَطْرُ(٧)
كـأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ... ولـم يأتنا يومـاً بأخبـاره السَّفْرُ
لعمري لنعمَ المرءُ عـالى نعيُّه ... لنا ابنُ عزيز بعد ما قصر العصر(٨)
تمضَّت به الأخبـارُ حتى تغلغلت ... ولـم تُثْنِه الأطبـاع دوني ولا الجُدر(٩)

---

(١) لَدُن: منذ. (٢) القرم: السيد، وبان من البين: وهو البُعْد، والذُّكر: التذكر.

(٣) لألا العُفْر: حرّكت الظباء أذنابها. (٤) تخرّق: صار متلافاً.

(٥) سامى: بارى فنالها بعد الامتناع. (٦) العزَّاء مأخوذة من العزاز، وهو الأرض الصلبة الصعبة، وانتقلت مجازاً إلى الشدّة. (٧) الشّهباء: السنة الشديدة، ويقال: أشهبت السنة القوم: جرّدت أموالهم.

(٨) عالى: رفع الصّوت به، والنعيّ: خبر الموت. (٩) الأطباع: جمع طبع، وهو النهر

ولما نعى الناعي بُريداً تغوّلتْ ... بيَ الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر(١)

عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرةٍ طارت بهامته الخمر(٢)

إلى الله أشكو في بُريدٍ مصيبتي ... وبثّي وأحزانا تضمّنها الصدرُ

وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا ... من الأجر لي فيه وإنْ سرّني الأجر

وما زال في عينيّ بعْدُ غشاوةٌ ... وسمعي عمّا كنت أسمعه وقر(٣)

على أنني أقني الحياءَ وأتّقي ... شماتة أعداءٍ عيونهم خُزر(٤)

فحيّاك عنّي الليل والصّبح إذْ بدا ... وهُوجٌ من الأرواح غُدوتها شهر(٥)

سقى جدثا لو أستطيع سقيته ... بأوْدٍ فروّاه الروافد والقطر(٦)

ولا زال يرعى منْ بلادٍ ثوى بها ... نباتٌ إذا صابَ الربيعُ بها نضر

حَلَفْتُ بربِّ الرافعين أكُفّهم ... وربِّ الهدايا حيثُ حلّ بها النحرُ

ومُجْتمعِ الحجاج حيثُ توافقت ... رفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأر

يمينَ امرئٍ آلى وليس بكاذب ... وما في يمينٍ قالها صادقٌ وِزْرُ

لئن كان أمسى ابنُ المعذّر قد ثوى ... بريدٌ لنعم المرءُ غيّبه القبر

هو الخلفُ المعروفُ والدين والتقى ... ومسعرُ حرب لا كهامٌ ولا غُمْر(٧)

أقام فنادى أهلَه فتحمّلوا ... وصُرِّمت الأسبابُ واختلط النَّجرُ(٨)

فتى كان يُغْلي اللحم نيئاً ولحمُه ... رخيصٌ لجاديه إذا تُنْزَلُ القدر(٩)

فتى الحيِّ والأضياف إن روّحتهم ... بليلٌ وزادُ السفر إن أرمل السّفرُ(١٠)

إذا جارةٌ حلّتْ لديه وفى بها ... فآبت ولم يُهْتَكْ لجارته ستْرُ

---

(١) تغوّلت: كاد تميد. (٢) العساكر: الشدائد.

(٣) الوَقرْ: الصمم. (٤) أقنى الحياء: لزمه، والخزر: كسر العين خلقةً أو ضيقها.

(٥) الهوج: الشديدة، والأرواح جمع روح: وهي الرياح العاصفة.

(٦) أود: موضع في ديار بني تميم تم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحَزْن، أو هو موضع بالبادية، ينظر معجم البلدان (١/٢٧٧).

(٧) مسعر حرب: مثيرها، والكهام: الجبان، والغمر: الذي لم يجرّب الأمور.

(٨) صُرِّمت: تقطّعت، النجّر: الأصل.

(٩) يغلي اللحم: يشتريه غالياً. والرخيص: المبذول، والجادي: طالب الجدوى والنوال.

(١٠) روّحتهم: هبّت عليهم، وزاد السفر: هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاماً. والسّفر: المسافرون. وأرمل: نفد زاده.

عفيف عن السوآت ما التبست به ... صليبٌ فما يُلْقى لعود به كسرُ
سلكت سبيلَ العالمين فما لَهُم ... وراء الذي لاقيت معْدىً ولا قصر
وكلُّ امرئ يوماً سيلقى حمامه ... وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
وأبليتَ خيراً في الحياة وإنَّما ... ثوابُك عندي اليومَ أن ينطق الشِّعرُ

(١٣٦/١٣)

(٦١)

أخبرني عمي قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثني محمد بن عبد الله بن طُهمان السَّلمي قال: حدَّثني أحمد بنُ سيار الشيبانيِّ الشاعرُ قال: كان هارون أميرُ المؤمنين يحتمل أن يُمْدح بما تمدح به الأنبياءُ فلا يُنْكر ذلك ولا يردَّه(١)؛ حتَّى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتَّى قال فيه: فكأنَّه بعد الرسولِ رسولُ

فغضب هارون ولم ينتفعْ به أحد يومئذ، وحرم ذلك الشاعر فلم يُعْطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمري قصيدةً مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم(٢)، فضجر هارونُ وقال له: يا ابن اللَّخْناء. أتظنُّ أنك تتقربُ إليَّ بهجاءِ قومٍ أبوهم أبي، ونسبُهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبُه، وأمر مسروراً فوجأ(٣) في عنقه وأُخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

---

(١) لا ريب في أنَّ هذا النوع من المديح داخل في المبالغة والإفراط وهو «مذهب عام في المحدثين». ينظر الوساطة (ص٤٢٠)، وقد وقف كثير من النقاد عندهما بين مجيز لهما أو مانع، ونرى العلوي صاحب الطراز (١١٩/٣) يقول: « ... وأمَّا مَنْ استجاد المبالغة على الإطلاق فغير مصيب على الإطلاق أيضاً. لأنَّ منها ما يخرج عن الحدِّ فيعظم فيه الغلوّ والإغراق فيكون مذموماً كما سيحكى عن أقوام أغرقوا فيها وتجاوزوا الحدَّ بحيث لا يمكن تصوّر ما قالوه على حال قرب ولا بعد». ولا شكَّ لي أنَّ وصف الخليفة بالرسول داخل تحت هذا الذي أسماه العلوي تجاوز الحدّ، وهو مذهب في المديح خاصة، والشعر عامة أولع به الشعراء، وخاصة المحدثون منهم.

(٢) عُرف عن النمري أنَّه كان يسلك مذهب مروان بن أبي حفصة في المديح والهجاء، فهو يشبه في ذلك ما رأيناه سابقاً من علي بن الجهْم الذي اتبع المنهج ذاته، وراحا جميعاً يثبتان الخلافة للعباسيين وينفيانها عن العلويين وغيرهم، ويبدو أن النمريّ في هذا الموضع قد تجاوز الحدَّ، وأسرف على نفسه، وغيره، فلم يَرَ ما يرضيه من الرشيد.

(٣) وجأ في عنقه: ضربه

بني حسنٍ ورهط بني حُسينٍ   عليكم بالسَّداد من الأمور
فقد ذقتم قراعَ بني أبيكمْ   غداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكور(١)
أحينَ شفوكمو من كلِّ وترٍ   وضمُّوكم إلى كنف وثير(٢)
وجادوكم على ظماٍ شديد   سُقيتم من نوالهم الغزير(٣)
فما كان العقوقُ لهم جزاءً   بفعلهم وأدى للثؤور(٤)
وإنك حين تُبلغهم أذاةً   وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له: صدقت، وإلا فعليَّ وعليَّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم. (١٤٣/١٣)

(٦٢)

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدَّثني سوَّار بن أبي شُراعة، وأخبرنا به سوار أجازة، قال: حدَّثني أبي، قال: لمَّا هجا الجماز عبدَ الصمد بنَ المعذَّل جاءني فقال لي: أنقذني منه. فقلت له: أمثلك يفْرقُ(٥) من الجماز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء ولا يفْرقُ منه، ولا عرض له، وشعره ينفُق(٦) على من لا يدري. فلم أزل حتَّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه:

ابن المعذَّل مَنْ هُو   ومَنْ أبوه المعذَّل
سألت وهبانَ عنه   فقال بَيضٌ مُحوَّلُ(٧) (٢٣٤/١٣)

(٦٣)

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ وأحمدُ بنُ العباس العسكريَّ، قالا: حدَّثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدَّثنا الفضل بن أبي جرزة، قال: كان أبو قلابة الجرميُّ وعبدُ الصمد بن المعذَّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلَّبيّ أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراويّ، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها: جبلةُ، وكان أبورِهْم إليها مائلا يتعشَّقها، ثم اشتراها بعد ذلك، فلما أرادوا الدَّخولَ إليْها وافاهم أبو رِهم، فأدخلوه وحده وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابنِ أبي عيينه، فقال أبو قلابة: لا بدَّ أن نهجو أبا أبارِهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قل لأبي رهم   سيهوى نعتك الوصفُ

---

(١) البيض الذكور: السيوف القوية.

(٢) الوتر: الثأر. والكنف الوثير: الجناب اللينّ.   (٣) جاد: أمطر.

(٤) الثؤور: جمع ثأر.   (٥) يفرق: يخاف ويفزع.

(٦) ينفق: يروج وينتشر   (٧) محوَّل: أي حضنه غير أبويه.

كـمـا حـالفك الفيُّ كـذا جـانبك الظُّرفُ
أتـانا أنـه أهـدى إلى بحـرٍ من الشُّغُفـ(١)
حُزيماتٌ من الصيِّـر فـهلّا مـعه رُغْـفُ(٢)
فنادوا اقـسـمي فـينا فـقـد جـاءكـم اللُّطُفُ

فقال له عبد الصمد: سَخِنتْ عينك أيش هذا الشعر، بمثل هذا يُهجى مَنْ يُراد به الفضيحة، فقال أبو قلابة: هذا الذي حضرني. فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأجوِّد فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبارهم، وأول قصيدة هجاه بها قوله:

دعوا الإسلامَ وانتحلوا المجوسا وألقوا الرِّيطَ واشـتملوا القلوسا(٣)
بني العبـدِ المقيم بنهـرِ تيرى لقـد أنهضتُ طيركم نحوسا(٤)
حـرامٌ أن يبـيت لكـم نزيلٌ فـلا يمسى بأمِّكم عـروسا
إذا ركـدَ الظلامُ رأتْ عُسـيلا يحـثُّ على نداماه الكئوسا(٥)
ويُذكرهم أبـو رهـم بهجـوٍ فيسـتدعي إلى الحُـرَم النفوسا (٢٤٤/١٣)

(٦٤)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابرِ الشطرنجي جميلَ الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حمادَ عجردٍ ومطيع بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد. فقال حمادُ عجردٍ يهجوه:

أتـوبُ إلى اللـه مـن مـالكٍ صديقا ومن صُحبتي مالكا
فـإنْ كنتُ صـاحـبتُهُ مـرةً فـقـد تبتُ ياربُّ مـن ذلكـا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخنت عينُك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنتُ أقول؟ قال: كنتَ تقول:

---

(١) الشُّغف: أن يبلغ الحبّ شغاف القلب، وفي البيت إقواء.
(٢) الحزيمات: جمع حزيمة وهي ما رُبط، والصِّير: سمكات مملوحات.
(٣) الرِّيط: جمع ريطة، كلّ ملاءة غير ذات لفقين كلّها نسج واحد وقطعة واحدة، والقلس: الحبل الضخم من حبال السفينة.
(٤) نهر تيرى: بلد في الأهواز حفره أردشير الأصغر. (٥) عسيل: اسم علم.

نظـرةٌ مـا نظرتُهـا ... يوم أبصـرتُ مـالكا
في ثيـاب مُعصفـرا ... تِ على الوجـه باركـا
تركتْني ألـوط مـن ... بعـد مـا كنتُ ناسكا
نظـرة مـا نظـرتُها ... أو ردتْني المهـالكـا (٣١٩/١٣)

(٦٥)

قال أبو عبيدة: قال الشمردل يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيِّد شعره:

لعمري لئن غـالت أخي دارُ فُرقـةٍ ... وآب إلينـا سـيفُـه ورواحلُـه
وحلّت به أثقـالهـا الأرضُ وانتـهى ... بمثـواه منهـا وهـو عـفٌّ مـآكله
لقـد ضُمِّنت جلْدَ القُوى كـان يُتـقى ... بـه جـانبُ الثـغـر المخـوف زلازِلُه
وصُولٌ إذا استغنى وإن كـان مقْترا ... من المال لم يُحفِ الصديق مسـائله(١)
مـحلٌّ لأضـيـاف الشتـاء كـأنما ... هُـمُ عـنده أيتـامـه وأرامـلُـه
رخـيصُ نضـيج اللحم مُغْلٍ بنيئـه ... إذا بـردت عـنـد الصِّـلاء أنامـلُه(٢)
أقـولُ وقـد رجَمتُ عنه فـأسـرعت ... إليـهَ بأخـبـارِ اليـقين مـحـاصلُه(٣)
إلى الله أشكو لا إلى الناس فـقـده ... ولوعـةَ حـزن أوجـعَ القلبَ داخلُـه
وتحـقـيق رؤيا في المنام رأيتُهـا ... فكـان أخي رُمْحـا ترفَّضَ عـامله(٤)
سـقى جـدثا أعـرافُ غـمـرة دونه ... ببـيـشـةَ ديمـاتُ الربيـع ووابلُـه(٥)
بمثْوى غـريبٍ ليس منا مـزارُه ... بـدانٍ ولانُو الـودِّ مِـنّا مـواصلُـه

---

(١) المقتر: القليل المال. أحفاه: برح به في الإلحاح عليه، أو سأله فأكثر عليه الطَّلب.

(٢) رخيص نضيج اللحم: يقدم اللحم النضيج بكثرة، ومُغْلٍ: أي غالى فيه، والمعنى أنه لا يقدّم لضيوفه لحماً نيئاً. والصِّلاء: اسم للنار أو للوقود.

(٣) الترجيم: من الرّجم، وهو القذف بالغيب والظن.

(٤) عامل الرمح: صدره، وهو ما يلي السنان. ترّفض: تكسّر وتحطّم.

(٥) الأعراف: في الأصل ما ارتفع من الرمل، الواحدة عُرْفة، وفي بلاد العرب بلدان كثيرة تُسمّى الأعراف، منها أعراف غمرة هذه التي ذكرها الشاعر. ينظر معجم البلدان (٢٢١/١). وبيشة: اسم قرية غنّاء في وادٍ كثير الأهل من بلاد اليمن، وهي خير ديار بني سلول، وهو وادٍ يصبُّ سيله من الحجاز، حجاز الطائف ثم ينصبُّ في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل. ينظر معجم البلدان (٥٢٩/١). الديمات: جمع ديمة وهي السحابة، والوابل: المطر.

إذا ما أتى يومٌ من الدهر دونه ... فحيَّاك عنا شرقُه وأصائلُه

سنا صبحِ إشراقٍ أضاء ومغربٌ ... من الشمس وافى جنحَ ليلٍ أوائلُه

تحيةَ من أدّى الرسالة حُبِّبت ... إليه ولم ترجع بشيءٍ رسائلُه

أبى الصبر أن العين بعدك لم يزلْ ... يخالط جفنيها قذىً لا يزايله(١)

وكنتُ أعير الدمع قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغلُه

يذكرني هيفُ الجنوب ومُنتهى ... مسيرِ الصَّبا رمْساً عليه جنادلُه(٢)

وهتّافةٌ فوق الغصونِ تفجّعت ... لفقدِ حمام أفردتها حبائلُه

من الوُرق بالأصياف نواحة الضحى ... إذا الفرقد التفت عليه غياطله(٣)

وسَورةُ أيدي القوم إذ حُلّت الحُبا ... حُبا الشّيب واستعوى أخا الحلم جاهله(٤)

فعينيّ إذ أبكاكما الدهرُ فابكيا ... لمن نصرُه قد بان منا ونائله(٥)

إذا استعبرت عُوذُ النساء وشمّرت ... مآزر يوم ما تواري خلاخله(٦)

وأصبح بيت الهجرِ قد حال دونه ... وغال امرأً ما كان يُخْشى غوائله

وثقْن به عند الحفيظة فارعوى ... إلى صوته جاراته وحلائله

إلى ذائد في الحرب لم يك خاملا ... إذا عاذ بالسيف المجرّد حامله

كما ذاد عن عرِّيسة الغيل مُخْدِرٍ ... يخافُ الردى ركبانُه ورواحله(٧)

فما كانت ألفي لامرئ عند موطنٍ ... أخاً بأخي، لو كان حيًّا أبادله

وكنت به أغشى القتال فعزّني ... عليه من المقدار من لا أقاتله

لعمركَ إنّ الموتَ منا لمولعٌ ... بمن كان يُرجى نفعُه ونوافله

فما البعد إلا أننا بعد صحبة ... كأنْ لم نُبايت وائلا ونقايله

سقى الصُّفراتِ الغيثُ مادام ثاويا ... بهنّ وجادت أهلَ شُوكٍ مخايله(٨)

---

(١) القذى: ما ترمي به العين من غمص ورمص.

(٢) الهيف: ريح حارّة تأتي من نحو اليمن، والصَّبا: ريح مهبّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٣) الفردق: شجر، والغياطل: ما اجتمع عليه والتفّ.

(٤) الحُبا: جمع حبوة، وهو الثوب يحتبي به، وحلُّ الحبا كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها.

(٥) بان: بعد وانفصل، والنائل العطاء. (٦) استعبرت: جرت عبرا تهنّ، وعوذ النساء: جمع عائذ، والعائذ كل أنثى إذا وضعت، مدّة سبعة أيام، لأنّ ولدها يعوذ بها.

(٧) العرِّيسة: مكان كثير الشجر ملتف يأوي إليه الأسد، والمخدر: الأسد في خدره، أي عرينه.

(٨) الصُّفرات: جمع الصفرة، وهي أرض سهلة مستطيلة، وشوك: ناحية نجدية قريبة من الحجاز.

ومـا بـي حـبُّ الأرض إلاّ جوارهـا ... صـداه وقـول ظُـنٌ إنّـي قـائلـه

(٣٥٣/١٣)

(٦٦)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ وابن الوشّاء جميعاً قالا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعْلبٌ قال: قال ابن الأعرابيّ: أحسنُ ما قال المُحْدثون من شُعَراء هذا الزّمان في مديح الشّباب وذمّ الشّيْب (قول محمد بن حازم):

لا حينَ صـبْرٍ فـخلِّ الدّمْعَ ينْهـمِلُ ... فَقْدُ الشّبـابِ بيـوم المرءِ مُتَّصِلُ
سـقْيـاً ورعْيـاً لأيّام الشّبـاب وإنْ ... لـم يبْقَ مـنه لـه رسـمٌ ولا طـللُ
جـرّ الزّمـانُ ذيولاً في مـفـارقه ... وللزّمـانِ عـلى إحسـانه عـلَلُ
وربُّمـا جرُّ أذيالَ الصِّبا مـرحـاً ... وبين بُرْديْـه غُصْنٌ ناعـمٌ خضِلُ(١)
يُصْبي الغوانـي ويزْهـاه بشرتُه ... شـرْخُ الشّبـابِ وثوبٌ حـالكٌ رَجَلُ(٢)
لا تكْذبنَّ فـمـا الدُّنْيـا بأجمـعـهـا ... مـن الشّبـابِ بيـومٍ واحـدٍ بـدلُ
كفـاكَ بالشّيْب عـيبـاً عند غـانيـةٍ ... وبالشّبـابِ شـفـيـعاً أيُّهـا الرَّجُلُ
بـان الشّبـابُ وولّى عنكَ باطلُـهُ ... فليس يحـسُنُ منك اللّهْوُ والغـزلُ
أمّا الغواني فقد أعرضن عنك قلىً ... وكـان إعراضَهُنّ الـدّلُّ والخجـلُ
أعـرنْك الـهجْرَ مـا لاحتْ مُطوّقـةٌ ... فـلا وصـالٌ ولا عـهْدٌ ولا رُسُـلُ
ليتَ المنايا أصـابتْني بأسْهُمـهـا ... فكُنّ يبْكينَ عـهْـدي قـبل أكْتهـلِ
عهْدَ الشّبابِ لقد أبقيت لي حزناً ... مـاجـدُ ذكـرُك إلاّ جدُّ لـي ثكـلُ
إنّ الشّبـابَ إذا مـا حلّ رائدهُ ... في منْهلٍ رادَ يقْـفـو إثْرَهُ أجـلُ(٣)

قال ابن الوشّاء خاصّةً: وما أساء ولا قصّر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكي الشّبـابَ لندْمـانٍ وغـانيـةٍ ... وللمـغـاني وللأطـلال والكُـثُبِ
وللصّريخ وللآجـام في غلسٍ ... وللقنا السُّمْرِ والهنْديّة القُضُبِ(٤)

---

(١) خَضِل: نَدٍ، طريّ. (٢) شرَّة الشباب: نشاطه، وشرخ الشّباب: أوّله، ويزهاه: يستخفّه ويحمله على الزّهو، وثوب حالك يريد به شَعْر الشباب، وشعر رجل: بين السبوطة والجعدة.

(٣) الرائد: المُرسل في طلب الكلأ، ورادت الدّابة ترود: رعت.

(٤) الصّريخ: المستغيث، والآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الملتفّ الكثير، أي وللصيد والقنص، والغلس: ظلمة آخر الليل، والقنا: الرماح، والهندية: أي السيوف الهندية، والقُضُب: القاطعة.

وللخيـال الذي قـد كـان يطْرُقُني والنُّدامـى واللـذّاتِ والطّـربِ
يا صاحباً لم يدعْ فقْدي له جلداً أضيعتُ بعدك إنّ الدهر ذو عُقبِ(١)
وقد أكونُ، وشعْبانا معاً، رجُلاً يومَ الكريهةِ فرّاجاً عنِ الكُربِ (٩٤/١٤)

(٦٧)

حدّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: قال محمد بن حازم الباهليّ: عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سهْلٍ، فأتيتُه، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له، فعرفني، فقال: ما قلت فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة؛ فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

وقالوا لو مدحتَ فتىً كريماً فقلتُ وكيف لي بفتىً كريم؟
بلوْتُ الناسَ مُذْ خمسين عاماً وحسْبُك بالمُجرِّبِ من عليم
فما أحدٌ يُعدُّ ليومِ خيرٍ ولا أحدٌ يعود ولا حميمُ(٢)
ويعجبني الفتى وأظنُّ خيرا فأكشف منه عن رجل لئيم
تقيّلَ بعضُهم بعضاً فأضْحوا بني أبويْنِ قُدّاً من أديم(٣)
فطاف الناسُ بالحسن بن سهْلٍ طوافَهُمُ بزمْزم والحطيم
وقالوا سيّدٌ يُعطي جزيلاً ويكْشف كُرْبة الرجلِ الكظيم(٤)
فقلتُ مضى بذمِّ القوم شعْري وقد يُؤتى البريءُ من السّقيم
وما خبرٌ ترجمُه ظنُوني بأشفى من مُعاينةِ الحليم
فجئتُ وللأمور مُبشّراتٌ ولن يخفى الأغرُّ من البهيم(٥)
فإنْ يكُ ما تنشّرُ عنه حقّاً رجعت بأهْبةِ الرجلِ المُقيم
وإن يكُ غيرُ ذاكَ حمدتُ ربّي وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيم
وما الآمالُ تَعْطِفُني عليه ولكنَّ الكريمَ أخو الكريم

قال: فلمّا أنشدتُه هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير ! والله لو كان نظيركَ

---

(١) عقب: جمع عُقبة، وهي النوبة. (٢) يلاحظ الأقواء في البيت.
(٣) تقيّل: أشبه، قدّاً من أديم: يعني هما شيءٌ واحد. (٤) الكظيم: المكروب.
(٥) الأغرّ: ذو الغرّة، وهي بياض في الجبهة، والبهيم: الأسود.

لما جاز أن تُخاطبه بمثل هذا!(١) فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعدُ، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشْبِه مثله، قال: فافعل، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جوْدة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح، فأدخلت إليه، فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يُعْفني، وقال: قد قنعْنا منك بهذا القدر إذ لم تدْخِلنا في جملة من نممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إيَّاه؛ فضحك وقال: ويحك! مالك وللناس تعمُّهم بالهجاء؟ حسبُك الآن من هذا النمط(٢) وأبْقِ عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلْتُ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديتْ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبتُ القومَ للحسن بن سهْلٍ فعوَّضني الجزيلَ من الثَّوابِ
وقال دعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً فإنَّ القصدَ أقربُ للثَّواب
فقلت له: برئتُ إليك منهم فليتهمُ بمنقطع التراب(٣)
ولولا نعمةُ الحسنِ بن سهلٍ عليَّ لسُمْتُهُم سُوء العذاب
بشعْرٍ يعْجَبُ الشعراءُ منه يُشَبِّه بالهجاء وبالعتاب
أكيدُهُمُ مُكايدة الأعادي وأخْتِلُهُمْ مُخاتلة الذِّئاب
بلوتُ خيارهم فبلوْتُ قوماً كُهولُهُمُ أخسُّ من الشُّباب
وما مُسِخُوا كلاباً غير أنِّي رأيتُ القومَ أشباهَ الكلاب

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ. فقلت: هذه بُقْيةٌ طفحتْ على قلبي، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير. (١٤/١٠٢)

---

(١) هذا نهج في المديح لم يَرَه الشعراء والنقاد مقبولاً، خاصة حين يُوجَّه المديح إلى خليفة، أو أمير. ونعني به مخاطبة الممدوح مخاطبة الصديق، أو النظير. ومما يُذكر في هذا الصدد أنَّ من ضمن المآخذ التي أخذت على المتنبي أنَّه كان يخاطب ممدوحيه مخاطبة الصديق صديقه، ولا نعدم من النقاد مَنْ أعجب بهذا النهج عند المتنبي، ورآه صادراً «عن قلب صادق الودّ، وعن الإخلاص والإعجاب» ينظر أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي (ص١٩٥).

(٢) النمط: هو الضرب من الضروب، والنوع من الأنواع، وهو الطريقة، والفنّ، والطريق، ينظر لسان العرب (٤١٧/٧)، وقد استخدم بهذا المعنى في كتب النقد العربي والبلاغة، ينظر مثلاً: الوساطة (ص٧)، والمثل السائر (٤٠٥/٢)، ومنهاج البلغاء (ص ٣٧٤) وغيرها.

(٣) منقطع التراب: أي بالمكان النائي الموحش، الذي انقطع وطء ترابه واجتيازه، أو القبر.

(٦٨)

أخبرني محمد بن الحسين الكندي المؤدّب قال: حدّثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: قال هذا الباهليُّ محمد بن حازم في وصف الشَّيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهليّ: تعني قوله:

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال: إيّاه عنيتُ. فقال له الباهليّ: ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدثين أحسن منه. (١٤/١١٠)

(٦٩)

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فراس الذُّهلي عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجهْم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد: أنشدني بيتاً من المديح جيّدا فاخرا عربيا لمحدث حتى أولّيكَ كُورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل:

فمع السماءِ فروعُ نبْعتهم ومع الحضيض منابتُ الفرْس(١)

متهلّلين على أسرّتهم ولدى الهياج مصاعبٍ شُمُسِ(٢)

فقال: أحسنت، وقد وليتك الدِّينور، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول: (هو مسلم بن الوليد):

قبحت مناظرُهم فحين خبرتهم حسُنت مناظرُهم لقُبح المخبرِ

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك همذان، فأنشدني مرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول: (هو مسلم بن الوليد):

أرادوا ليُخفوا قبره عن عدوِّه فطيبُ تراب القبرِ دلَّ على القبر

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك نهاوند، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعاليْ نجدِّد دارس العلم بيننا كلانا على طول الجفاء ملُوم

---

(١) النبعة: واحدة النّبع، وهو شجر للقسيّ وللسهام والحضيض: القرار في الأرض.

(٢) تهلّل الوجه: تلألأ، ومصاعب: جمع مُصعَب، وهو الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يُركب، ورجل مصعب: مسوَّد، وشُمُس: جمع شموس من شمس الفرس إذا منع ظهره.

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السُّوس من كُور الأهواز، فولاني ذلك أجمع، ووجَّهت إلى السوس بعض أهلي. (١٧٨/١٤)

(٧٠)

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: لما قال حمَّاد عجردٍ في بشّار:

نُســـبْتَ إلى بُرْدٍ وأنتَ لغيْرِه   وهبْكَ لبُردٍ نكْتَ أمَّك مَنْ بُرْدُ؟

قال بشَّار: تهيَّأ له عليَّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء، قوله «نُسبتَ إلى بُرد» معنىً؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنىً آخر، ثم قوله: «فهبك لبرد» معنىً ثالث، وقوله: «نكت أمَّك» شتمٌ مفرد، واستخفافُ مجدُّد، وهو معنىً رابع، ثم ختمها بقوله: مَنْ بُرْدُ؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني، ونحا هذا النحو، فما تهيَّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت، وهو قوله:

لمَّا وضعتُ على الفرزدق ميســمي   وضغا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطل(١)

فلم يُدرك أكثر من هذا. (٣٤٥/١٤)

(٧١)

أخبرني علي بن سليمان قال: حدُّثني هرون بن يحيى قال: حدُّثني علي بن مهدي قال: أجمع العلماء بالبصرة أنُه ليس في هجاء حمَّاد عجرد لبشَّار شيء جيِّد إلاّ أربعين بيتاً معدودةً، ولبشَّار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيِّد، قال: وكلّ واحد منهما هو الذي هتَك صاحبه بالزَّندقة وأظهرها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حمَّاد عجرد وتهتّك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه، وبقي بشّار على حاله لم يسقط، وعُرِفَ مذهبه في الزندقة فقُتِل به. (٣٤٩/١٤)

(٧٢)

قال أبو الفرج: الطفيل الغنوي .. من أوصف العرب للخيل. (٣٤٩/١٥)

(٧٣)

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلف الخزاعيّ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريبٍ الأنصاريّ قال: قال لي عمي: إنّ رجلاً من العرب سمعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها، فقال: كان يقال إنّ طفيلاً ركبَ الخيلَ ووليها لأهله، وإنّ

---

(١) الميسم: المكواة، يريد به أهاجيه التي يكويه بها، وضغا ضغواً: استخذى.

أبا دُواد الأياديّ ملكها لنفسه ووليها لغيره، كان يليها للملوك، وأنّ النابغة الجعدي لما أسلمَ الناسُ وآمنوا اجتمعوا وتحدّثوا ووصفوا الخيل، فسمعَ ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمِعَ وعرفَ قبل ذلك في صفة الخيل. وكان هؤلاء نُعَّاتَ الخيل. (٣٤٩/١٥)

(٧٤)

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال: حدّثنا محمد بن حبيب قال: كان طفيلٌ الغنوي يسمّى «طفيل الخيل» لكثرة وصفه إيّاها. (٣٥٠/١٥)

(٧٥)

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية، قال: حدّثني الرياشي قال: حدّثني الأصمعي قال: كان أهل الجاهلية يسمُّون طفيلاً الغنويّ «المحبِّر»؛ لحُسْن وصفِه الخيل. (٣٥٠/١٥)

(٧٦)

أخبرني على بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن يزيد قال: قال أبو عبيدة: طُفيلٌ الغنويّ، والنابغة الجعْديّ، وأبو دُواد الإياديّ، أعلمُ العرب بالخيل وأوصفُهم لها. (٣٥٠/١٥)

(٧٧)

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثنا العمري عن لقيط قال: قال قتيبة بن مسلم لأعرابيّ من غنيّ قدمَ عليه من خُراسان: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ؟ قال: قولُ طفيلٍ الغنويّ:

ولا أكونُ وِكاءَ الزاد أحبسه   لقد علمت بأنَّ الزاد مأكولُ[١]

قال: فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجْود؟ قال: قول طفيل:

بحيٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهم   عواويرُ يخْشونَ الرَّدى أينَ نركبُ[٢]

قال: فأيّ بيتٍ قالته العرب في الصَّبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي:

ومن خيرِ ما فينا من الأمر أنَّنا   متى ما نُوافي موطِنَ الصَّبر نصبر

---

(١) الوكاء: في الأصل الخيط الذي تُشدُّ به الصرَّة أو الكيس، ويقال: فلان وكاء ما يبضُّ بشيء: بخيل.

(٢) العواوير: جمع عوار، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار.

قال: فقال قتيبة: ما تركت لأخوانك من باهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وإنَّا أناسٌ مـا تزالُ سـوامُنا تنوِّر نيـرانَ العـدوِّ مناسـمُه(١)
وليس لنا حيٌّ نُضافُ إليـهمُ ولكن لنا عَودٌ شـديد شكائمـه(٢)
(حـرامٌ وإن صـلَّيتـه ودهنتـه تؤوِّده ما كان في السيف قائمُه(٣) (١٥/٣٥٠)

(٧٨)

وقال أبو عمرو الشيباني: كانتْ فزارةُ لقيتْ بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من مُحارب، فوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم أدركتْهم غنيٌّ فاستنقذتْهم، فلما قتلتْ طيِّئٌ قيس النَّدامى، وقتلتْ بنو عبس هُريم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلاّن بن غنم بن غنيّ، وكان فارساً حسيبا قد ساد ورأس، قتله ابن هدْم العبسيّ طريد الملك، فقال له الملك(٤): كيف قتلته؟ قال: «حملت عليه في الكَبَّة، وطعنتُه في السُّبَّة، حتى خرج الرمح من اللَّبَّة»(٥). وقُتل أسماءُ بن واقدِ بن رُفيد بن رياح بن يربوع بن ثعْلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلاّن، (وهو من النجوم)، وحصن بن يربوع بن طريف وأُمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف، فاستغاثت غنيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل في ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم في نُصرتهم، ويرثي القتلى، قال:

تأوَّبني هـمٌّ مـن اللَّيل مُنْصِبُ وجـاء من الأخبـار ما لا أكذِّبُ
تتـابَعْنَ حتى لم تكنْ لي ريبـةٌ ولـم يكُ عمَّـا خبَّروا مُتـعقَّب
وكان هُريمٌ من سنانٍ خليفـةً وحصنٍ ومن أسمـاء لمَّا تغيَّبوا
ومن قيسٍ الثَّاوي برمَّانَ بيتُه ويومَ (حقيلٍ فاد آخرُ) مُعجب(٦)

---

(١) السوام: الإبل الراعية، والمناسم: جمع مَنْسِم: وهو طرف خفّ البعير والنعامة والفيل والحافر. ينظر لسان العرب (١٢/٣١١، ٥٧٤).

(٢) العَوْد: هو الجمل المسنّ وفيه بقية. ينظر لسان العرب (٣/٣٢١).

(٣) صليته: لعلّه من الصَّلا: وهو وسط الظهر من الإنسان ومن كلّ ذي أربع، يعني جعلته مصلّياً أي بعد السابق، دلالة الاعتناء به والقيام عليه. ينظر لسان العرب (١٤/٤٦٦).

(٤) الملك هو النعمان بن المنذر.

(٥) الكَبَّة: الحملة في الحرب والدفعة في القتال، والسُّبَّة: الاست. واللَّبة: وسط الصدر والمنحر.

(٦) رَمَّان: جبل في بلاد طيء في غربي سلمى أحد جبلي طيء، ينظر معجم البلدان (٣/٦٧)، وقد أورد ياقوت هذا البيت، والذي قبله، وحقيل: موضع في بلاد بني أسد، وفاد يفيد: مات.

أشمُّ طويلُ الساعدين كأنّه فنيقُ هجانٍ في يديه مُركّب(١)
وبالسُّهبِ ميمونُ النَّقيبة قولُه لمتلمس المعروف أهلٌ ومرحبُ
كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقض كوكبٌ بدا وانجلت عنه الدُّجنَّةُ كوكبُ

وهي قصيدةٌ طويلة، وذكرتُ منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذي فيها. ومن مختار مرثيته فيها قوله:

لعمري لقد خلّى ابنُ جندع ثلمةً ومن أينَ إنْ لم يرأب اللهُ تُرأبُ
نداماي أمسَوا قد تخلّيتُ عنهم فكيف ألذُّ الخمر أم كيف أشرب
مضَوْا سلفاً قصْدَ السَّبيل عليهم وصرْف المنايا بالرجال تقلُّبُ (١٥/٣٥٤)

(٧٩)

... وزياد الأعجم هو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب بقوله:

قُلْ للقوافل والغزِيِّ إذا غزَوْا والباكرين وللمجدِّ الرائح(٢)
إنَّ المروءة والسماحة ضُمِّنا قبراً بمرْوَ على الطّريق الواضح
فإذا مررتَ بقبره فاعقِرْ به كُومَ الهجانِ وكلَّ طرفٍ سابح(٣)
وانضحْ جوانبَ قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح
يامن بمهوى الشَّمس من حيٍّ إلى ما بين مطلع قرنها المتنازح
ماتَ المغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ للموت بين أسنَّةٍ وصفائح
والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى حيّاً يؤخّر للشَّفيق الناصح

وهي طويلة. وهذا من نادر الكلام، ونقِيِّ المعاني، ومختار القصيد، وهي معدودة من مراثي الشُّعراء في عصر زياد ومقدَّمها. (١٥/٣٨١)

(٨٠)

قال أبو المنذر: زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ، وقد أوفى عليه في عدَّة قصائد. منها التي يقول فيها:

قُبيِّلةٌ خيرُها شرُّها وأصدقُها الكاذب الآثمُ

(١) الفنيق: الفحل المكرَّم. (٢) الغزيّ: اسم جمع للغازي.
(٣) الكوم: القطعة من الإبل. والطِرف: الجواد الكريم الطرفين: الأب والأم. السابح: السريع كأنَّه يسبح بقوائمه.

وضيفهم وسْطَ أبياتهمْ وإن لم يكن صائماً صائمْ

وفيه يقول: إذا عذّبَ الله الرجالَ بشعرهم أمِنْتُ لكعبٍ أنْ يُعذّبَ بالشعرِ

وفيه يقول: أتتْكَ الأزدُ مصفَراً لحاها تساقطُ من مناخرها الجُوافُ[١] (١٥/٢٩٣)

(٨١)

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبيّ: قال المفضل الضبيّ: كنت يوماً جالسا على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعليَّ عشرة آلاف درهم، إذ جاءني رسول المهديّ، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقلت: ما بعث إليّ في هذا الوقت إلا لسعاية ساعٍ. وتخوّفته، لخروجي ـ كان ـ مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فدخلت منزلي، فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين وصرت إليه. فلما مثلت بين يديه سلمت، فردَّ عليّ، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أيّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. وكان مستلقيا فاستوى جالساً، ثم قال: وأي بيت هو؟ قلت قولها:

وإنَّ صخرا لتأتمُّ الهداة به كأنّه علمٌ في رأسِهِ نارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه، فقلت: الصواب ما قاله أمير المؤمنين. (١٦/٢١)

(٨٢)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الطُّرسوسيّ، عن ابن الأعرابيّ، قال: أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكدم، حيث يقول:

ولقد طعنتُ ربيعةَ بن مكدَّمٍ يوم الكديد فخرَّ غير موسَّدَ
في ناقع شرقت بما في جوفه منه بأحمر كالعقيق المُجسَّد (١٦/٧٧)

(٨٣)

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني عمي عن أبيه؛ قال: قال الرشيد يوماً

---

(١) الجواف: ضرب من السمك.

لجلسائه: أنشدوني شعراً حسنا في امرأة خفرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه يابن مصعب، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمر توسط جنح ليل مُبردِ
موسومة بالحسن ذات حواسد ... إنَّ الحسان مظنة للحسَّد
وترى مدامعها تُرقرق مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد(١)
خوْد إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تُقْصد
لم يطغها شرف الشباب ولم تضع ... منها مُعاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح ... صلْتٍ وأسودَ في النصيف معقد(٢)
وكأنَّ طعم سلافة مشمولة ... بالريق في أثر السواك الأغيد

فقال الرشيد: هذا والله الشعر، لا ما أنشد تمونيه سائر اليوم! ثم أمر مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فروّاهما الأبيات. (١١٢/١٦)

(٨٤)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني النضر بن شميل، قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرْو وعليَّ أطمار مترعبلة(٣)؛ فقال لي: يانضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حرّ مرو لا يُدفع إلا بمثل هذه الأخلاق. فقال: لا، ولكنك رجل متقشِّف. فتجارينْا الحديث، فقال المأمون: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين:

تقول لي والعيون هاجعة: ... أقم علينا يوما، فلم أقِم
قالت: فأيُّ الوجوه؟ قلت لها: ... لأيِّ وجه إلاَّ إلى الحكم؟
متى يقُلْ حاجبا سرادقه: ... هذا ابن بيض بالباب، يبتسم
قد كنت أسلمتُ فيكَ مُقْتبلاً ... فهات إذ حلَّ أعطني سلَمي(٤)

---

(١) الإثمد: الكحل.

(٢) الواضح: هنا الجبين الأبيض، وَصلْت: أملس، والأسود هنا: الشَّعر، والنَّصيف: كلُّ ما غطَّى الرأس من خمار أو عمامة.

(٣) مترعبلة: ممزَّقة.

(٤) أسلمت: أسلفت، يريد أنَّه قدَّم إليه مديحه ولم يأخذ جائزته، ومقتبلاً: مستأنفاً، وسلَمي: سلفي.

فقال المأمون: لله دَرُّك، كأنما شُقَّ لك عن قلبي! فأنشدني أنصف بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عروبة المدني:

إني وإن كان ابن عمي عاتبا لمزاحمٌ من خلفه وورائه
ومُفيده نصري وإن كنت امرأ متزحزحا عن أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه حتى يحين عليَّ وقتُ أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه قُرنت صحيحتنا إلى جَرْبانه(١)
وإذا دعا باسمي ليركبَ مركبا صعباً قعدتُ له على سيسائه(٢)
وإذا أتى من وجهه بطريفة لم أطّلع ممّا وراء خبائه
وإذا ارتدى ثوباً جميلا لم أقل: يا ليت أن عليَّ حسن ردائه

فقال: أحسنت يا نضر؛ أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدل الأسديّ:

إني امرؤ لم أزل، وذاك من الله قديماً، أعلّم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدار وإن كنت نازحا طربا
لا أجتوي خُلّة الصديق ولا أتبِع نفسي شيئاً إذا ذهبا(٣)
أطلب ما يطلب الكريم من الرِّزق بنفسي وأُجمِل الطلبا(٤)
وأحلب الثرة الصفيَّ ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا(٥)
إني رأيت الفتى الكريم إذا رغّبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثلُ الحمار المُوقَّع السُّوْء لا يُحسن مشْيا إلا إذا ضُرِبا(٦)
قد يُرزق الخافضُ المقيمُ وما شد بعيس رحلا ولا قتبا
ويُحْرَمُ الرزقَ ذو المطية والرحل ومن لا يزال مغتربا

---

(١) أجحفت بسوامه: أضرَّت بإبله.

(٢) السيساء في الأصل: من الحمار أو البغل: الظهر ومن الفرس: الحارك. ينظر لسان العرب (٦/١٠٩)، يريد أنني أسبق ابن عمي إذا دعاني، فأركب المركب الصّعب.

(٣) اجتوى: كره. (٤) أجمل الطلب: إذا كان رقيقاً سهلاً.

(٥) الصفيّ: من النوق الغزيرة الكثيرة اللّبن، والأخلاف: الضروع، وهي مدارُّ الحليب.

(٦) الموقّع: الذي في ظهره سَحَج، وقيل في أطراف عظامه، من الركوب.

ولـم أجـد عُـدَّةَ الخـلائق إلاَّ   الدِّين لما اعـتـبـرتُ والحـسـبـا

فقال: أحسنت يا نضر. (٢١٣/١٦)

(٨٥)

... وذكر عبدُ الله بن المعتز ربيعةَ الرقي فقال: كان ربيعة الرقي أشعر غزلاً من أبي نواس، لأنَّ في غزل أبي نواس برْدا(١) كثيراً، وغزل هذا سليم سهل عذب. (٢٥٥/١٦)

(٨٦)

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن اسيد، أنه زاره يستميحه، لقضاء دين كان عليه، فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلّبيّ، فطفل(٢) على قضاء دينه وبره، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه، وله فيه عدة قصائد مختارة، يطول ذكرها. (٢٦٠/١٦)

(٨٧)

قال أبو الفرج الأصْبهاني: وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقة كانت بينهما، فمن جيد ما قاله فيه قوله:

أتخبِر عنهمُ الدِّمَنُ الدُّثور   وقد يُنبي إذا سُئل الخبيرُ(٣)
وكـيـف تُبيِّـنُ الأنبـاءَ دارٌ   تعاقبها الشمائلُ والدُّبُورُ(٤)

يقول فيها في مدحه:

فـهـلاَّ في الـذي أولاكَ عُرْفـا   تُسـدِّي من مـقـالك مـا تُنيـر(٥)
ثناءً غيـرَ مـخـتلق ومـدْحـا   مع الركبـان يُنْجـد أو يغـورُ(٦)
أخ واسـاك في كَـلَب الليـالي   وقد خذل الأقارب والنصيـرُ(٧)

---

(١) البرد: مصطلح يطلق على الشعر إذا كان ضعيفاً غثّاً فيسمّى بارداً، ينظر رسائل الجاحظ (٢٥٣/١)، ووصفه ابن منقذ في كتابه البديع (ص ١٦٠) فقال: «إنَّ الشعر النادر هو الذي يستفزّ القلب ويحمي المزاج في استحسانه، والبارد بضد ذلك». أي إنَّ ابن المعتز يجد في غزل أبي نواس ضعفاً وغثاثة.

(٢) طفل: ترفّق ولطف. (٣) الدُّثور: المندثرة. (٤) الشمائل والدُّبور: اسمان من أسماء الريح.

(٥) تسدّي: تقوّي لُحمة الثوب بالسدى و تنيّر: تنسج النير، وهو لُحمة الثوب.

(٦) غير مختلق: غير بال، فهو باق لا يذهب.

(٧) كَلَب الليالي: نزول المحن والمصائب

حفاظا حين أسلمك الموالي وضنَّ بنفسه الرجلُ الصبور
فإن تشكر فقد أولى جميلا وإن تكفر فإنك للكفورُ
وما في آل خاقانَ اعتصامٌ إذا ما عُمِّمَ الخطْبُ الكبير
لئام الناس إثراء وفقرا وأعجزهم إذا حميَ القتير
قويم لا يزوَّجهم كريم ولا تُسنى لنسوتهم مُهورُ(١) (٣٦٧/١٦)

(٨٨)

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة، منها قوله في المتوكل:

ألِفَ التُّقى ووفى بنذر الناذرِ وأبى الوقوفَ على المحل الداثرِ
ولقدْ تهيج له الديارُ صبابةً حينا وتكْلَف بالخليط السائر(٢)
فرأى الهدايةَ أن أناب وأنه قصر المديحَ على الإمام العاشر
يابن الخلائف والذين بهديهمْ ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغادر
وابن الذين حووْا تُراث محمد دون الأقارب بالنصيب الوافرِ
نطق الكتابُ لكم بذاك مُصدِّقا ومضتْ به سُنَنُ النبيِّ الطاهر
ووصلتَ أسباب الخلافة بالهُدى إذ تلْتها وأنمتَ عين الساهر
أحييتَ سنَّة من مضى فتجدَّدتْ وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسرِ
فافخرْ بنفسك أو بجدِّك مُعْلنا أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ
ما للمكارم غيرُكُم من أولٍ بعد النبيِّ وما لها من آخرِ
إنِّي دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي والموتُ مني قيدُ شبْر الشابرِ
فانتشتني من قعْر مَوْردة الردى أمْنا ولم تسمع مقالة زاجرِ
وفككتَ أسري والبلاءُ مُوكَّل وجبرتَ كسْرا ماله من جابرِ
وعطفتَ بالرَّحم التي ترجُو بها قرب المحلِّ من المليك القادر
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى غرضا ببابك للمُلِمِّ الفاقر
أو أن أضيَّع بعدما أنقذتني من ريب مُهْلكة وجدٌّ عاثر
ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مكدِّرٍ ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكر (٣٧٠/١٦)

---

(١) قُويم: تصغير قوم، وتُسنى: يُرفع ثمنها (٢) الخليط هنا: القافلة التي تعزم على السير.

(٨٩)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: أبو دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طُفيل الغنويّ والنابغة الجعديّ. (٣٧٥/١٦)

(٩٠)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابيّ قال: لم يصف أحد قطُّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دُواد، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني(١). (٣٧٥/١٦)

(٩١)

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدّثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طُفيل: وأبو دُواد، والجعديّ. فأمّا أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر. وأما طُفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل(٢) إلى أن كبر. وأما الجعديّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء، فأخذ عنهم(٣). (٣٧٥/١٦)

---

(١) كأنّ ابن الأعرابي هنا يسمّي الأشياء بأسمائها، ويردُّ كلّ غرض أو معنى إلى صاحبه الذي أبدع فيه، وبلغ الغاية.

(٢) الأغرل: الصبي الذي لم يختن.

(٣) يشير الأصمعي هنا إلى قضية مهمّة من قضايا النقد الأدبي وهي مصدر الإبداع لدى الشاعر. أهو التجربة الشخصية؟ أم الواقع؟ أم الثقافة؟ وقد أريق مداد كثير حول هذه القضية، وتباينت الآراء حولها، وذهب بعض الدارسين إلى أنّ «البيئة المباشرة للشعر حقاً هي تراث الشعراء الذين ورثهم الفنان، فالشعراء يستمدّون من الفن أكثر ممّا يستمدّون من الطبيعة والمجتمع»، ينظر دراسة الأدب العربي، د. مصطفى ناصف (ص ١٠٨).

ولعلّنا نجد تشابهاً كبيراً بين هذا الرأي، وبين ما ذهب إليه الأصمعي بخصوص النابغة الجعدي، فهو لم يَعِشْ مع الخيل مثل أبي دؤاد، ولم يركبها صغيراً مثل طفيل. بل استفاد من هذا، وذاك، وغيرهما من الشعراء وأدمن السماع والتمثّل، فاستقامت له الطريقة، وبان له منهج الوصف، فوصف، فكأنّ الأصمعي يشير إلى مصدرين من مصادر الإبداع: التجربة، والثقافة، وكلا المصدرين قادران على أن يصنعا شعراء متميزين في الغرض ذاته، يكونان المثل فيه، ومنتهى الغاية التي تضرب بها الأمثال.

(٩٢)

... قال الأصمعي: وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل. (٣٧٧/١٦)

(٩٣)

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحزنْبل، عن سعيد بن جابر الكرخيّ، عن أبيه: أنه حضر أبو دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائيّ، وقد أنشده قصيدته:

على مثلها من أربُعٍ وملاعب   أذيلَتْ مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسِها   وزادت على ما وطّدت من مناقبِ
فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سُيوفُكم   عُروش الذين استرْهنوا قوس حاجبِ(١)
محاسنُ من مجد متى تقْرِنوا بها   محاسن أقوامٍ تكن كالمعايب

فقال أبو دُلف: يا معشر ربيعة، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قطّ، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم يرْمون بها إليه. فقال أبو دُلف: قد قبلها وأعاركم لبْسها، وسأنوب عنكم في ثوابه. تمِّم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذرنا، فشكره وقام ليقبِّل يده، فحلف ألاّ يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حُميد:

وما مات حتى ماتَ مضرِب سيفِه   من الضرب واعتلّت عليه القنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلا فردُّه   إليه الحفاظ المرُّ والخُلُقُ الوعْر
فأثبت في مستنقع الموت رجله   وقال لها من تحت أخْمُصِك الحشر

(١) يوم ذي قار: يشير إلى المعركة التي دارت بين العرب والفرس، وهو يوم مشهور لبني بكر بن وائل وقادمة بني شيبان وبعدهم بنو عجل، والذين استرهنوا القوس هم الفرس، وحاجب صاحب القوس هو حاجب بن زرارة التميمي، طلب من كسرى أن يؤذن لقومه في دخول الريّف بسبب الجدب الذي حلّ بهم، فأبى كسرى وقال: إذا أذنتم لكم أفسدتم بلادي، وأغرتم عليّ رعيتي. فقال حاجب: أنا ضامن للملك ألاّ يفعلوا. فقال كسرى: فَمَن لي بأن تفي؟ قال: أرهنك قوسي. فقبلها كسرى. ووفى حاجب وقومه ما وعدوا به، ثمّ ارتحل عطارد بن حاجب بعد موت أبيه إلى كسرى فاستردَّ قوس أبيه. فضرب المثل بقوس حاجب. ينظر ثمار القلوب للثعالبي، (٦٢٥).

غـدا غـدوةً والحـمـد نسْـجُ ردائهِ فلم ينصـرف إلا وأكـفـانه الأجـر
كـأنَّ بنـي نبـهـانَ يـوم مُصـابـهِ نجـومُ سـمـاء خـرَّ من بينهـا البـدر
يُعـزَّوْن عـن ثاوٍ يُعـزَّى بـه العُلـى ويبكي عليـه البـأسُ والجـود والشـعـر

فأنشده إياها، فقال: والله لوددت أنها فيَّ. فقال: بل أفدِّي الأمير بنفسي وأهلي، وأكونُ المقدم، فقال: إنه لم يمت من رُثي بهذا الشعر، أو مثله. (٣٨٩/١٦)

(٩٤)

... ومما رثى لبيد أخاه أربد قوله وهي من مختار مراثيه:

طربَ الفـؤادُ وليْتـه لم يطْرَبِ وعناه ذِكْـرى خُـلَّةٍ لم تصْقَبِ(١)
سفهاً، ولو أني أطعْتُ عواذلي فـيمـا يُشِـرْنَ به بسفْحِ المِذْنبِ
لزجـرتُ قلْبـاً لا يريعُ لزاجـرٍ إنَّ الغَـويَّ إذا نُهـى لـم يُعْتِبِ(٢)
فتعزَّ عن هـذا، وقُـلْ في غيْره واذكُرْ شمائلَ من أخيك المُنْجِبِ
يا أربدَ الخيْرِ الكـريم جـدودُه أفردتني أمشي بقرْنٍ أعضبِ(٣)
إنَّ الرزيَّـة لا رزيَّـة مـثلهـا فقْدانُ كلِّ أخٍ كـضـوْءِ الكوكبِ
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ
يتـأكَّلون مـغـالةً وخـيـانـةً ويُعـابُ قـائلُهم وإنْ لم يشْغبِ(٤)
ولقـد أراني تارةً مِـنْ جعْفـرٍ من مـثل غيْثِ الوابلِ المتحلِّبِ(٥)
مِنْ كل كهْـلٍ كالسِّـنان وسيِّدٍ صعْبِ المقادةِ كالفنيق المُصْعبِ(٦)
مِنْ مـعْشـرٍ سـنَّتْ لهم آباؤهـم والعـزُّ قـد يأتي بغـيـر تطلُّبِ
فبرى عظامي بعد لحمي فقْدُهم والدَّهْـرُ إنْ عاتبتَ ليس بمُعْتِبِ (٦٤/١٧)

(٩٥)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار، قال: حدثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابيِّ، قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنَّا جلوساً عند صالح بن حسان، فقال لنا: وأخبرني

(١) تصقب: تجاور وتقترب. (٢) لا يريع: لا يرجع ولا يتَّعظ، ولم يعتب: لم يرجع إلى ما يرضي عاتبه.
(٣) أعضب: مكسور أو مقطوع. (٤) مغالة: اغتيالاً.
(٥) جعفر: يعني قومه بني جعفر، وفي مثل غيث الوابل: أي كثرةُ عدد.
(٦) الفنيق: الفحل المقرم لا يركب لكرامته على أهله، والمصعب: غير الذلول.

عمّي عن الكُرانيّ، عن النوشجاني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال: قال لنا صالح بن حسّان. وأخبرني به الأخفش عن المبرّد، قال: قال لي صالح بن حسّان: أنشدوني بيْتاً خفِراً في امرأة خفرة شريفة، فقلنا: قول حاتم:

يُضيء لها البيتُ الظليلُ خصاصُه   إذا هي يوْماً حاولتْ أن تبسّما

فقال: هذه من الأصنام، أريد أحسنَ من هذا. قلنا: قول الأعشى:

كأنَّ مِشْيتها مِنْ بيْتِ جارتها   مرُّ السحابةِ لا ريْثٌ ولا عجلُ

فقال: هذه خرّاجة ولاجة كثيرة الاختلاف. قلنا: بيت ذي الرُّمّة:

تنُوء بأخراها فلأياً قيامُها   وتمشي الهُوَيْنا مِنْ قريبٍ فتَبْهَرُ

فقال: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن، وثقل البدن فقلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزُرنها   وتعْتلُّ عن إتيانهنَّ فتُعْذَرُ

وليس لها أنْ تستهينَ بجارةٍ   ولكنها مِنْهُنَّ تحْيا وتخفرُ

ثم قال: أنشدوني أحسن بيتٍ وُصفت به الثريا، قلنا: بيت ابن الزّبير الأسديّ:

وقد لاح في القُور الثُّريّا كأنما   به رايةٌ بيضاء تخفقُ للطّعْن(١)

قال: أريد أحسنَ من هذا. قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا ما الثريّا في السماء تعرَّضَتْ   تعرُّضَ أثناء الوشاحِ المُفصّلِ

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: بيت ابن الطَّثْريّة:

إذا ما الثريّا في السماء كأنّها   جُمانٌ وهي مِنْ سِلْكِهِ فتسرّعا

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء. قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصُّبْح الثريا لمن رأى   كعنقود مُلاّحِيّةٍ حين نوّرا(٢)

قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم. (١٢٩/١٧)

---

(١) القور: جمع قارة وهو الجُبيل الصغير المنقطع عن الجبال ذو لون أسود. ينظر لسان العرب (١٢١/٥).

(٢) المُلاّحيّة: ضرب من العنب، أبيض في حبّه طول. ينظر لسان العرب (٦٠٣/٢). ونوّرا: أزهر.

(٩٦)

وفي عبدِ المجيد يقولُ ابنُ مُناذر يمدحُه، وهو من مُخْتار ما قاله فيه، أنشدنيها عليّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن محمد بن زيْد من قصيدةٍ أولها:

شـــيَّب ريبُ الزمـــانِ رأسي لهفي على ريبِ ذا الزمـــانِ
يقــدحُ في الصمِّ من شــرورى ويحــدُرُ الصـمُّ مـــن أبانِ(١)

يقولُ فيها يمدح عبدَ المجيد:

منّي إلـى المـاجد المُرجَّـى عبدِ المجيد الفتى الهجانِ
خيـرِ ثقـيفٍ أباً ونفـسـاً إذا التـقت حلقـتـا البطان
نفـــسي فـــداءٌ له وأهْلي وكُـلُّ مـــا تمْلك اليـــدانِ
كـأنَّ شـمسَ الضُّحى وبدر الدُّجـــى عليــه مُعلَّقـــان
نيطا مـعـاً فـوق حـاجبيْه والبـدرُ والشمسُ يضْحكانِ
مُشـــمِّرٌ، همُّه المعــــالي ليـــس بــرثٍّ ولا بــواني
بنى له عـــزةً ومـــجْداً في أولِ الدهــرِ بانيـــان
بـــانٍ تلقَّـــاه مـن ثقـيـفٍ ومن ذُرا الأزدِ خيـرُ باني
فاســـألْه ممَّـــا حـوت يداه يهْتزُّ كالصــارم اليمـــاني (١٧٧/١٨)

(٩٧)

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي سعْد، قال: حدّثني أبو توْبة صالحُ بنُ مُحمد قال: مرض عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب الثّقفيّ مرضاً شديداً بالبصْرة، وكان ابنُ مناذر ملازما له يُمرِّضُه ويخدمه، ويتولى أمره بنفسه، لايكله إلى أحد، فحدّثني بعضُ أهلهم قال: حضرتُ يوما عنده، وقد أسْخن له ماءٌ حارٌ ليشربه، واشتدَّ به الأمرُ فجعل يقول: آه! بصوت ضعيف، فغمس ابنُ مُناذر يده في الماء الحار وجعل يتأوّه مع عبد المجيد ويدهُ تحْترق حتى كادت يدهُ تسقُط، فجذبْناها وأخرجْناها من الماء، وقلنا له: أمجْنونٌ أنت! أيُّ شيء هذا! أينتفع به ذاك! فقال: أساعده، وهذا جهْد من مقلّ، ثم استقلّ من علّته تلك وعُوفي مُدّة طويلة، ثم تردّى من سطح فمات، فجزِع عليه جزعاً شديدا حتى كاد يفضلُ أهله وإخوته في البكاء والعويل، وظهر منه من الجزع ما عجب الناسُ له، ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشْهورة، فرواها أهلُ البصْرة، ونيح بها

---

(١) شرورى: جبل مطلّ على تبوك في شرقيها، وأبان: جبل أسود، ينظر معجم البلدان (٣/٣٣٩، ١/٦٢).

على عبد المجيد، وكان الناس يُعجبون بها ويستحْسنُونها. أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم النُّوشجانيّ، قال: سمعت أبي يقول: حضرتُ سُفيان بن عيينةَ يقول لابن مُناذر: أنشدني ما قلتَ في عبد المجيد، فأنشده قصيدته الطويلة الدّالية. قال سفيان: بارك الله فيك، فلقد تفرّدت بمراثي أهل العراق. (١٨/١٧٨)

(٩٨)

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّب، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزي، قال: حدّثني جعفر بن محمد عن دماذ قال: دار بيْن الخليل بن أحْمد وبيْن ابنِ مُناذر كلام، فقال له الخليل: إنّما أنتم معْشر الشّعراء تبعٌ لي، وأنا سُكّان السّفينة، وإن قرّظْتُكم ورضيتُ قولكم نفقْتُم وإلاّ كسدْتم(١) ، فقال ابنُ مُناذر: والله لأقولنّ في الخليفة قصيدةً أمتدِحُهُ بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غيرك، فقال في الرّشيد قصيدته التي أولُها:

ما هيَّجَ الشوقَ من مُطوَّقةٍ   أوفتْ على بانةٍ تُغنِّينا

يقول فيها: لو سألْنا بحُسْن وجْهك يا   هارونُ صوْبَ الغمام أسقينا

قال: وأراد أن يفِدَ بها إلى الرشيد، فلم يلبث أن قدمَ الرشيدُ البصْرة حاجاً ليأخذَ على طريق النّباج(٢) وكان الطريق قديماً، فدخلها وعديلُه(٣)إبراهيم الحرّانيّ فتحمّل عليه ابنُ مُناذر بعثْمان بنِ الحكمَ الثّقفيّ، وأبي بكر السُّلميّ حتى أوصلاه إلى الرّشيد، فأنشده إيّاها، فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفْتخر فيه وهو:

قومي تميمٌ عند السّماك لهم   مجْدٌ وعِزٌ فما يُنالونا

فلما أنشده هذا البيت تعصّبَ عليه قوْمٌ من الجلساء، فقال له بعضهم: يا جاهلُ، أتفخر في قصيدةٍ مدحْتَ بها أمير المؤمنين(٤). وقال آخر: هذه حماقة بصْريّة، فكفّهم عنه الرشيد ووهب له

(١) لعلّ الخليل لا يريد نفسه وحدها، وإنّما يقصد معاشر العلماء والنقاد الذين يتعهّدون الشعراء بالرعاية والإرشاد، والنقد الموضوعي، ونحن نعلم أنّ من وظائف النقد رعاية الأعمال الأدبية وتوجيهها، والتنبيه على جوانبها المضيئة، والمظلمة على حدٍّ سواء.

(٢) في بلاد العرب نباجان، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر، وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين.

(٣) عديله: أي الجالس إلى جاوره. (٤) كأنه أخطأ حين خلط المديح بالفخر، وكان يجب أن تأتي القصيدة خالصة للمديح، وهو ما يناسب المقام الذي ألقيت فيه

عشرين ألفَ درهم. (١٨/١٨٣)

(٩٩)

أخبرني عليّ بن سُليْمان، قال: حدّثنا محمدُ بن يزيد، عن مُحمد بن عامر الحنفيّ، قال: لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب، خرج ابنُ مُناذر إلى مكّة، وترك النُّسك وعاد للمُجونِ والخلْع، وقال في هذا المعنى شعْراً كثيراً، حتى كان إذا مدح أو فخر، لم يجعل افْتتاحَ شعره ومباديه إلا المُجون، وحتى قال في مدْحه للرَّشيد:

هل عندكم رُخْصةٌ عن الحســ ـن البصْريّ في العشْق وابنِ سيرينا
إنّ سفاهاً بذي الجلالة والشّيْبةَ ألاّ يزالَ مفْتونا

وقال أيضاً في هذا المعْنى:

ألا يا قـمـر المسْجـد هـل عـنـدك تنْويـلُ!
شـفـانـي منك - إن نولْتني - شمٌ وتقْبيـلُ
سـلا كُـلُّ فـؤادٍ و فُؤادي بك مشْغُولُ
لقـد حُمِّلـت مـن حُبّيـ ـك مـا لا يحمـل الفـيلُ (١٨/١٩٢)

(١٠٠)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرانيُّ، عن أبي حاتم، قال: قال ابنُ مناذر: مامرَّ بي شيء قطُّ أشدُّ عليّ ممّا مرّ بي من قولِ أبي العسْعاسِ فيّ:

كـثُرت أبوّتُـه وقـلَّ عـديدُه ورمى القضاءُ به فراشَ مُناذرِ

انظُر بكم صِنْف قد هجاني في هذا البيْت قبّحه الله، ثم منعني من مُكافاته أنّي لم أجِد له نباهة فأغُضُها، ولا شرفاً فأهدمه، ولا قدْراً فأضعه(١). (١٨/١٠٦)

(١٠١)

أخبرني مُحمد بن عِمْران، قال: حدّثني العنزيّ، قال: حدّثني صخْر بن أسد السُّلميّ قال: حدّثني أبي أسدُ بنُ جديلة قال: حدّثني أشجعُ السُّلميّ قال: شخصت من البصْرة إلى الرَّقّة، فوجدت الرّشيد غازياً، ونالتْني خلّة، فخرجت حتى لقيتُه مُنصرفاً من الغزو، وكنت قد اتّصلْت

---

(١) هذا يقوّي ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الهجاء محتاج إلى مادّة، يكون الشرف سداها، والسؤدد لحمتها، وعندما يعدم هذا كلّه، يصبح الهجاء غير ذي معنى.

ببعض أهل داره، فصاح صائحٌ ببابه: مَنْ كان ها هنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبْعة وأنا ثامنهم، وأمرنا بالبُكور في يوم الجمعة، فبكَّرنا وأُدخلْنا، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منا يُنشِدُ على الأسنان، وكُنتُ أحدثَ القومِ سنًّا، وأرثَّهم حالاً، فما بلَغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تجب، فقُدِّمت والرشيد على كُرْسيّ، وأصحابُ الأعمدة بين يديه سماطان(١)، فقال لي: أنشدني، فخِفْت أن أبتدئ من أوّل قصيدتي بالتشْبيب فتجب الصلاة ويفوتني ما أردت، فتركتُ التشْبيب وأنشدتُه من موضع المديح في قصيدتي التي أوّلها:

تذكَّر عهد البيضِ وهو لها تِرْبُ ... وأيام يُصبي الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأتُ قولي في المديح:

إلى ملك يستفرقُ المالَ جُودُه ... مكارِمُه نثْر ومعروفه سكْبُ

وما زال هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّد ... له من مياه النُّصْر مشْرَبُها العذْبُ

متى تبلغُ العيسُ المراسيلُ بابه ... بنا فهناك الرُّحبُ والمنزلُ الرَّحْبُ

لقد جُمعت فيك الظُّنون ولم يكن ... بغيرك ظنٌّ يستريح له القلْبُ

جُمعتْ ذوي الأهواء حتى كأنَّهُم ... على منهجٍ بعْد افتراقهمُ ركْبُ

بثثْتَ على الأعداء أبناءَ دُرْبةٍ ... فلم يبقَ منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ

وما زلتَ تَرْميهم بهم مُتفرِّدًا ... أنيساك حزْمُ الرأي والصّارمُ العضْبُ

جَهِدتُ فلم أبلغ علاك بمدْحة ... وليس على مَنْ كان مُجتهداً عتْبُ

فضحك الرشيد وقال لي: خفْتَ أن يفوتَ وقتُ الصلاة فينقطع المديح عليك، فبدأتَ به وتركت التشْبيب، وأمرني بأن أنشده التشْبيبَ فأنشدتُه إيَّاه، فأمر لكلِّ واحد من الشُّعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعْفها. (١٨/٢١٢)

(١٠٠٢)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف، قال: حدَّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدَّثني أبي، قال: بلغني أنَّ أشْجع لمَّا أنشد الرشيد هذين البيتين: وعلى عدوِّك يابْنَ عمِّ مُحمَّد

والذي بعده، طرب الرشيد، وكان مُتَّكئاً فاستوى جالساً، وقال: أحسن والله، هكذا تُمدح الملوك. (١٨/٢١٥)

---

(١) سماطان: صفّان.

(١٠٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدّيناريّ قال: حدّثني عليُّ بنُ الجهم، قال: دخل أشجعُ على الرّشيد وقد مات ابنٌ له، والناسُ يُعزُّونه فأنشده قوله:

نقصٌ من الدِّين ومن أهله　　نقصُ المنايا من بني هاشمِ
قدَّمته - فاصبر على فقده - 　　إلى أبيه وأبي القاسم

فقال الرّشيد: ما عزّاني اليوم أحدٌ أحسن من تعزية أشجع، وأمر له بصلة (٢٢٣/١٨)

(١٠٤)

أخبرني الحسن، ومحمد بن يحيى الصُّوليّ، قالا: حدّثنا العنزيّ، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، وكان يُقال لأبيه فتى العسكر، قال: أقبل أشجعُ إلى باب أبي، فرأى ازْدحامَ الناس عليه، فقال:

على بابِ ابنِ منصور　　علاماتٌ من البذْلِ
جماعاتٌ وحسْبُ البا　　ب نُبْلاً كثرةُ الأهلِ

فبلغ أبي بيتاه هذان، فقال: هما واللهِ أحبُّ مدائحه إليّ. (٢٢٤/١٨)

(١٠٥)

وقال أحمدُ بنُ الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشْجع: مالك لا تمدح المُلوكَ كما يمدحهم أخوك؟ فقال: إن أخي بلاءٌ عليّ وإن كان فخْرا، لأنّي لا أمدح أحداً ممّن يرضيه دُون شعْري ويُثيب عليه بالكثير من الثّواب إلاّ قال: أينَ هذا من قوْل أشجع؟ فقد امتنعْتُ من مدْح أحد لذلك. (٢٣٧/١٨)

(١٠٦)

قال: فقدم العمانيُّ على عيسى بن موسى، فلمّا وصل إليه أنشده مديحاً له وفد إليه به، فاستحسنه ووصله واقْتطعه إليه وخصّه، وجعله في جلسائه، فقال العُمانيُّ فيه:

ما كنتُ أدْري ما رخاءُ العيْشِ　　ولا لبستُ الوشْي بعد الخيْشِ
حتى تمدَّحْتُ فتى قُريشِ　　عيسى، وعيسى عند وقْتِ الهيْش(١)

(١) الهيش: الفتنة

حين يخفُّ غيرُه للطَّيش زيْنُ المقيمين وعزُّ الجيشِ
راش جناحيَّ وفوق الرِّيشِ (٣١٨/١٨)

(١٠٧)

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: قال لي محمد بنُ عبد الله بن مسلم: حدّثني أبي قال: اجتمع أصحابُ المأمون عنده يوما، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء، فقال له بعضهم: أين أنت يا أمير المؤمنين عن مُسلم بن الوليد؟ قال: حيث يقولُ ماذا؟ قال: حيثُ يقول وقد رثى رجلاً:

أرادوا لِيُخْفُوا قبره عن عدُوِّه فطيبُ تُرابِ القبر دلَّ على القبْرِ

وحيث مدح رجلا بالشَّجاعة فقال:

يجودُ بالنَّفس إذْ ضنَّ الجوادُ بها والجُودُ بالنَّفْس أقصى غايةِ الجُودِ

وهجا رجُلا بقُبْح الوجه والأخلاق فقال:

قَبُحتْ مناظِرُه فحين خبرتُه حسُنَتْ مناظرُه لقُبْح المخْبرِ

وتغازل فقال: هوىً يجدُّ وحبيبٌ يلعبُ أنتَ لَقىً بينهما مُعذَّبُ

فقال المأمونُ: هذا أشعرُ مَنْ خُضتُم اليوم في ذكره. (٣٤/١٩)

(١٠٨)

أخبرني محمدُ بنُ عمْران الصيْرفيّ والحسن بنُ علي الخفّاف قالا: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني قعْنب بنُ المُحرز، وابنُ النطّاح، عن القحْذميّ قال: قال يزيدُ بنُ مزْيد: أرسلَ إليَّ الرَّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسل فيه إلى مثْلي فأتيتُه لابسا سلاحي، مُستعداً لأمر إن أراده، فلما رآني ضحك إليَّ ثم قال: يا يزيد خبِّرني مَنِ الذي يقولُ فيك:

تراهُ في الأمْنِ في درْعٍ مُضاعفةٍ لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعى على عجلِ
صافي العيان طمُوحُ العين همَّتُه فكُّ العُناة وأسْرُ الفاتك الخطِلِ
لله من هاشم في أرضه جبلٌ وأنتَ وابنُك رُكْنا ذلك الجبلِ

فقلت: لا أعرفُه يا أمير المؤمنين. قال: سوْءةٌ لك من سيِّد قوم يُمدح بمثْل هذا الشِّعر ولا تعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله، وهو مُسْلمُ بنُ الوليد. فانصرفتُ فدعوتُ به ووصلتُه ووليْتُه. (٣٤/١٩)

(١٠٩)

أخبرني محمد بنُ يزيد قال: حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جدِّه قال: قلتُ لمُسلم بن الوليد: ويْحك! أما استحْييْتَ من النّاس حين تهْجو خُزيمة بنَ خازم، ولا استحْييتَ منا ونحن إخوانك، وقد علمتَ أنّا نتولّاه وهو مَنْ تعرف فضْلا وجُوداً؟ فضحك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لغيْرك الجهْل، أما تعْلم أنَّ الهجاء آخذُ بضبْع الشّاعر وأجدى عليه من المديح المُضرِعِ؟(١) وما ظلمتُ مع ذلك منهم أحداً، وما مضى فلا سبيلَ إلى ردِّه، ولكن قد وهبتُ لك عرْض خزيمة بعد هذا. قال: ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلْم:

دُيونك لا يُقْضى الزمانَ غريمُها ... ويُخْلُك بخْلُ الباهليّ سعيدِ
سعيدُ بنُ سلْم أبخلُ الناس كلِّهم ... وما قومُه من بُخْله ببعيدِ

فقلت له: وسعيدُ بنُ سلْم صديقي أيضاً، فهبْه لي، فقال: إن أقبلتَ على ما يعْنيك، وإلاّ رجعْتُ فيما وهبتُ لك من خُزيمة، فأمسكتُ عنه راضياً بالكفاف. (٥٧/١٩)

(١١٠)

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثني عليّ بن عُبيد الكوفيّ قال: حدّثني عليُّ بن عمروس الأنصاريّ قال: جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخزْرج إلى مُسلم بنِ الوليد فقال له: ويْلك ما لنا ولك، قد فضحتنا وأخزيتنا، تعرضْت لابن قنْبر فهاجيْته، حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخزلتَ عنه وأرعيْته لُحومنا، فلا أنت سكتَّ ووسعك ما وسع غيرك، ولا أنت لمّا انتصرتَ انتصفتَ. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كفَّ وإلا تحمّلتُ عليه بإخوانه، فإن كفَّ وإلا وكلْتُه إلى بغْيه، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألْتُه أن يسهر له ليلةً يدعو الله عليه فيها فإنها تُهلكه، فقال له الأنصاريّ: سخِنَتْ عينُك! أو بهذا تنتصفُ ممن هجاك؟ ثم قال له:

قد لاذ من خوفِ ابن قنبر مُسلمٌ ... بدُعاء والده مع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثكلتْك أمُّكَ قد هتكْتَ حريمنا ... وفضحت أسرتنا بني النجارِ

---

(١) الضبع: العضد، يريد أنّ الهجاء ملازم للشاعر مرافق له، والمضرِع: المُذلّ، وقد رأينا في نصٍّ سابق هو الثالث عشر أنّ بشّار بن برد يقول كلاماً قريباً من هذا الذي نقرؤه في هذا النصّ، وكأنّ هذا الأمر قد أصبح شائعاً بين الشعراء، وهو أمر غريب، علّقنا هناك بما يكفي.

عمَّتْ خزرجنا ومعشر أوسنا   خزياً جنيتَ به على الأنصارِ
فعليك من مولىً وناصرِ أسرةٍ   وعشيرةٍ غضبُ الإله الباري

قال: فكاد مسلم أن يموت غماً وبكاءً وقال له: أنت شرٌّ عليَّ من ابنِ قنبر. ثم أثاب وحمي، فهتك ابنَ قنبر ومزّقه حتى تركه، وتحمّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة. (٦٢/١٩)

(١١١)

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: مَنْ سمع ابنَ الأعرابيّ يقول: أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بن وُهيب:

لم تند كفاك من بذل النوال كما   لم يَنْدَ سيفُك مذ قلّدته بدمِ (٨٢/١٩)

(١١٢)

قال الأصبهانيّ: ولمحمد بن وهيب في المأمون والحسن بنِ سهل خاصة مدائحُ شريفة نادرة، من عيونها قوله في المأمون في قصيدة أولُها:

العُذْرُ إن أنصفتَ متّضِحُ   وشهيدُ حبِّك أدمعٌ سُفُحُ
فضحت ضميرك عن ودائعه   إنَّ الجفونَ نواطقٌ فُصُحُ
وإذا تكلّمت العيون على   إعجامها فالسرُّ مُفتضِحُ(١)
ربما أبيتُ مُعانقي قمرٌ   للحُسْن فيه مخايل تضحُ(٢)
نشرَ الجمالُ على محاسنه   بِدَعاً وأذهب همّه الفرحُ
يختال في حُللِ الشباب به   مرحٌ وداؤك أنه مرحُ
ما زال يلثمني مراشفَه   ويعلّني الإبريقُ والقدحُ
حتى استردَّ الليلُ خلعتَه   ونشا خلالَ سواده وضحُ
وبدا الصباحُ كأن غرّته   وجهُ الخليفةِ حين يُمتدحُ

يقول فيها:

نشرت بك الدُّنيا محاسنها   وتزيَّنت بصفاتك المدَحُ
وكأنَّ ما قد غابَ عنك له   بإزاء طرفك عارضاً شبحُ
وإذا سلمتَ فكلُّ حادثةٍ   جللٌ فلا بؤسٌ ولا ترحُ (٨٨/١٩)

---

(١) الإعجام هنا: السكوت. (٢) تضح: تبين وتظهر.

(١١٣)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد القاسم بن مهْرويه، عن علي بن الصبّاح ـ وأظنه مُرسلا وأن بينه وبينه ابن أبي سعْد أو غيره، لأنه لم يسْمع من عليّ بن الصبّاح ـ قال: حدّثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشدني أشجع بيت وأعفّه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

ومن يفْتقر منّا يَعِشْ بحُسامه ومن يفْتقرْ من سائرِ النّاسِ يسْألِ

وإنّا لنلْهُو بالسُّيوف كما لهت عروس بعقْدٍ أو سِخابِ قرنْفُلِ(١)

فقال: ويحك ! مَنْ يقول هذا؟ فقلت: بكْرُ بنُ النطّاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسألُ أبا دُلف ويمتدحه وينتجعهُ! هلاّ أكل خُبزه بسيْفه كما قال! (١٩/١٠٨)

(١١٤)

أخبرني محمدُ بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كنت يوماً عند عليّ بن هشام، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عَقيْل، فحدثْتُه أنَّ بكر بنَ النّطاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده، فقال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تسْتطرفه، فبدر إليه بكْرٌ وقال: أنا أنشدك أيها الأميرُ بيْتين قُلْتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأحكّمك، فقال: هاتِ، فإن شهِد لك أبو محمد رضينا، فأنشده:

إذا كان الشّتاءُ فأنت شمْسٌ وإن حضر المصيفُ فأنتَ ظلُّ

وما تدري إذا أعْطيْتَ مالاً أتُكثِرُ في سماحك أم تُقِلُّ

فقلت له: أحسن والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذا رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحُملتْ إليه، وانصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إليّ، وجّه بها أبو دلف، قال: فقال عُمارة لعليّ بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصّة:

ولاعيبَ فيهم غيرَ أنّ أكفّهم لأموالهم مثْلُ السّنين الحواطم(٢)

وأنّهم لا يُورِثُون بنيهُمُ ـ وإن ورِثوا خيراً ـ كنوزَ الدّارهم (١٩/١١١)

---

(١) سِخاب قرنفل: عِقد قرنفل.

(٢) الحواطم: الشديدة التي يمتنع فيها المطر، ويكثر الجدب والقحط، ويؤتى فيها على كلّ شيء.

(١١٥)

قال أبو الفرج: ... ورثى بكرُ بن النطاح مالكَ بن علي الخزاعي بعدّة قصائد هي من غرر شعره وعيونه. (١١٣/١٩)

(١١٦)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن طهمان، قال: أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مزيد أن يزيد بنَ مزيد قال: ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلا عاصم بن عُتبة الغسّانيّ، فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه:

لعاصمٍ سماءٌ عارضُها تهتانُ[1]
أمطارُها اللجينُ والدر والعقيانُ[2]
ونارُه تنادي إذْ خبت النّيرانُ
الجودُ في قحطانٍ ما بقيت غسانُ
اسلَمْ ولا أبالي ما فعل الإخوانُ
صلْتٌ له المعالي والسيف والسنانُ[3] (٢٦٨/١٩)

(١١٧)

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدّثني العباسُ بنُ عبدِ الواحد بنِ جعفر بن سليمان، قال: حدّثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمَعيّ، قال: سمعت أبا عبيدة معْمر بنَ المثنى يقول: كان سلْم الخاسر لا يحسن أن يمدح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل. (٢٧٥/١٩)

(١١٨)

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدّثني عيسى بنُ إسماعيل تينةُ قال: حدّثني القحْذميّ، قال: قيل لِمَعْنِ بن زائدة: ما أحْسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك؟ قال: قولُ سلْم الخاسر:

أبْلِغ الفتيانَ مألُكةً أنَّ خيرَ الوُدِّ ما نفعا[4]

---

(١) عارضها: مطرها، تهتان: منسكب غزير (٢) العقيان: الذهب الخالص.

(٣) الصلْت من الرجال: القوي الشديد. (٤) المألكة: الرسالة.

أنَّ قرْماً من بني مطرٍ أتلفتْ كفّاه ماجمعا
كُلّما عُدْنا لنائله عاد في معروفه جذعا(١) (٢٨٣/١٩)

(١١٩)

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفّاف قال: حدّثنا أحمدُ بن أبي خيثمة، قال: حدّثني مصعب بنُ عبد الله قال: سمعتُ أبي يقول: لم يبرح هذه الثنيّة(٢) قطُّ أحد يقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثلُ مَن؟ قال: الحزينُ الكنانيّ، والحكمُ بنُ عكرمة الدؤليّ، وعبد الله بن يونُس الخياطُ، وابنه يونس، وأبو الشدائد. (١/٢٠)

(١٢٠)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني يونُس بنُ الخيُّاط قال: أنشدتُ سعيد بن عمرو الزبيريّ:

لو فاح ريح حبيبةٍ من حبِّها فاحت رياح حبيبتي من ريحي

قال: فقال لي سعيد بن عمرو: والله إني لأقول النسيب، فلا أقدر على مثل هذا. فقلت له: ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عثمان؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك. (٨/٢٠)

(١٢١)

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني أبو نزارٍ الضبيُّ الشاعر قال: قال لي عليُّ بنُ جبلة قلت لحُميد بنِ عبد الحميد الطُوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحْتُ أمير المؤمنين بمدْحٍ لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذكرْني له. قال: فأنشدني، فأنشدتُه، قال: أشهد أنك صادق، ما يحسن أحد أن يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: ياحُميد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا لمديحه، وإن شاء جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم، وإن شاء أقلناه. فقلت له: يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلفَ حتى يمدحنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء، فاعرض ما قلت لك على الرجل، فقال: أفعل. قال عليُّ بن جبلة: فقال لي

---

(١) الجذع: الشاب الحدث، والمراد: عاد أكثر ارتياحاً للندَى. (٢) الثنيّة: الطريق في الجبل. جمعها الثّنايا.

حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحبُّ إليَّ، فأخبرَ المأمون بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حُميد: يا أبا الحسن أيُّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلف؟ فقلت: قولي فيك:

لولا حُميدٌ لم يكن ... حسبٌ يُعدُّ ولا نسبْ
ياواحد العرب الذي ... عزَّت بعزَّته العرب

وقولي في أبي دُلف:

إنما الدنيا أبو دُلف ... بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره

قال: فأطرقَ حُميد ثم قال: لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد(١)، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم، وبلغ ذلك أبا دُلف فأضعف لي العطيّة، وكان ذلك في ستر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار. (٢٣/٢٠)

(١٢٢)

قال أبو الفرج ولما مات حُميد الطُّوسي رثاه علي بن جبلة بقصيدته العينية المشهورة وهي من نادر الشعر وبديعه:

أللدهرِ تبكي أم على الدهر تجزع؟ ... وما صاحب الأيام إلا مفجَّعُ(٢)
ولو سهلت عنك الأسا كان في الأسا ... عزاء مُعزٍّ للَّبيب ومقنعُ(٣)
تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنها ... سهام المنايا حائمات ووُقَّع(٤)
أصبنا بيوم في حُميدٍ لو أنه ... أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع
وأدَّبنا ما أدب الناس قبلنا ... ولكنه لم يبقَ للصبر موضع

---

(١) انتقد: اختبر، أو وجَّه نقداً ما لبيت أو قصيدة، أي ميَّز بين صحيحها وفاسدها، ونرى المأمون يصنع هذا كلّه، فقد وازن بين قصيدة المديح الموجَّهة إلى ثلاثة أفراد، هو واحد منهم، وتوصَّل إلى نتيجة لم يفصح عنها، وترك للشاعر حريّة الاختيار، ومن المؤكد أنَّ الشاعر يعلم القيمة الفنية لما قاله لهؤلاء الثلاثة، فآثر الإقالة، وهي النتيجة نفسها التي توصَّل إليها المأمون، أي إن قصائده في الرجلين أجود من قصائده في الخليفة، وهو ما يعرفه الشاعر من جهة، والخليفة الناقد من جهة أخرى.

(٢) صاحب الأيَّام: هو الإنسان.

(٣) الأسا: مفردها أسوة، وهي من أسيتَ فلاناً بمصيبته إذا عزَّيته، وذلك إذا ضربت له الأسا، وهو أن تقول له مالك تحزن، وفلان إسوتك أي أصابه ما أصابك فصَبّر فتأسَّ به. ينظر لسان العرب (١٤/٣٥ ـ ٣٦).

(٤) حائمات: دائرات لم يقعن بعد، ووُقَّع: أي صائبات نافذات.

ألم تر للأيام كـيف تصـرّمت ... بـه وبـه كـانت تُذاد وتُدفـع
وكيف التقى مثوىً من الأرض ضيق ... على جبل كـانت بـه الأرض تُمنع
ولما انقضت أيامه انقضـت العلا ... وأضحى به أنف الندى وهو أجدعُ
وراحَ عـدوّ الدِّين جـذلان ينتـحي ... أمـانيّ كـانت في حـشاه تقطع
وكـان حُميد معقـلا ركـعت بـه ... قواعدُ ما كانت على الضيم تركع
وكـنتُ أراه كـالرزايـا رُزِئتُهـا ... ولم أدْرِ أن الخلق يبكيـه أجـمـع
حِمـام رماه مـن مواضـع أمـنه ... حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدع(١)
وليس بغـرْوٍ أن تصـيب مـنية ... حمى أختـهـا أو أن يذلّ المُمنَّع
لقـد أدركت فينا المنايا بثـارها ... وحـلّت بخـطب وهْيُه ليس يُرقـع(٢)
نعـاءِ حُميدا للسرايا إذا غدت ... تـذاد بأطـراف الرماح وتـوزع(٣)
وللمُرهَـق المكـروبِ ضاقـت بأمره ... فلم يدر في حوماتها كيف يصنع؟
وللبيض خلّتها البُعول ولـم يدع ... لهـا غيره داعي الصباح المفزّع
كأنْ حُميداً لم يقُدْ جيش عسكر ... إلى عسـكـر أشـياعـه لا تُروّع
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحا ... مِراحاً ولـم يرجـع بها وهي ظلّـع
رواجع يحـملن النِّهـاب ولم تكـن ... كـتـائبـه إلا على النهب ترجع(٤)
هوى جبلُ الدنيا المنيعُ وغيثـها ... المريع وحاميـها الكمّي المشـيع(٥)
وسـيفُ أمـير المـؤمنين ورمحـه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع
فـأقنعـه من مُلكه ورباعـه ... ونائله قفـر من الأرض بلقـع
على أيِّ شجو تشتكي النفس بعده ... إلى شـجوه أو يذخـر الدمعَ مدمع
ألم ترى أن الشمس حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهـو أسـفع(٦)
وأوحـشـت الدنيـا وأودى بهاؤهـا ... وأجدب مرعاها الذي كان يمرع
وقـد كـانت الدنيـا به مطمـئنة ... فـقـد جـعلت أوتادها تتـقلـع
بكى فـقده روح الحـياة كما بكى ... نداه الندى وابنُ السـبيل المدفّع
وفـارقت البيضُ الخـدور وأبرزت ... عـواطـل حسرى بعده لا تقنّع(٧)

(١) يُقدع: يدفع.   (٢) وَهْيُه: فَتْقُه.   (٣) نَعاءِ حُميداً: انعه، وأظهر خبر وفاته.
(٤) النِّهاب: الغنائم.   (٥) المشيّع: الشجاع.   (٦) أسفع: أسود شاحب.
(٧) العواطل: جمع عاطل وهي المرأة إذا لم يكن عليها حَلْيٌ ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد، ينظر =

وأيقظ أجفاناً وكان لها الكرى ونامت عيون لم تكن قبلُ تهجع
ولكنه مقدار يوم ثوى به لكل امرئٍ منه نهال ومشرع
وقد رأب الله الملا بمحمد وبالأصل يَنمى فرعُه المتفرِّعُ(١)
أغرَّ على أسيافه ورماحه تُقسَّم أنفال الخميس وتُجمع
حوى عن أبيه بذل راحته الندى وطعن الكلى والزاعبية شرَّع(٢)

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها. (٢٠/٢٧)

(١٢٣)

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: تذاكرْنا يوما أقبح ما هُجي به الناس في ترك الضيافة وإضافة الضيف، فأنشدنا علي بن جبلة لنفسه:

أقاموا الدَّيدبان على يفاعٍ وقالوا لاتنم للدَّيدبان(٣)
فإن آنستَ شخصاً من بعيد فصفِّق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خُرساً ويأتون الصلاة بلا أذان (٢٠/٣٧)

(١٢٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثنا أحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال:كلَّم حُميد الطوسيُّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بن جبلة، فيسمع منه مديحاً مدحه به، فقال: وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دلف:

إنما الدنيا أبو دُلفٍ بين مغزاه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره

وبعد قوله فيك: يا واحد العرب الذي عزّت بعزته العربْ

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلف، فيجعلني نظيراً له. هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه، فخيِّروه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دلف وصلته، وإلا ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أقيله وأعفيه من هذا وذا، فخيِّروه بذلك،

= لسان العرب (١١/٤٥٣)، وتقنّع: هي تتقنّع أي تتحجّب.

(١) رأب: أصلح. (٢) الزاعبيّة: هي الرماح التي إذا هُزّت كانت كأنْ كعوبها يجري بعضها في بعض، أو هي المنسوبة إلى زاعب: بلد، أو رجل. وشُرَّع: ممدودة.

(٣) الدّيدبان: الحارس، واليفاع: هو كلُّ مرتفع عن الأرض.

فاختار الإقالة، ثم مدح حُميداً الطوسيَّ، فقال له: وما عساك أن تقول فيَّ بعدما قلته في أبي دُلف، فقال: قدقلتُ فيك خيراً من ذلك قال: هات، فأنشده:

دجلـــة تســـقي وأبو غـــانمٍ   يُطعم من تســـقي من النّاس

النّاس جســـم وإمـام الهدى   رأس وأنـت العيـن في الرأس

فقال له حُميد: قد أجدتَ، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصله. (٢٩/٢٠)

(١٢٥)

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: حدثني أبو الحسن بن المنجم قال: رأيتُ مسلم بن الوليد الأنصاريَّ يوماً عند أبي، ثم خرج من عنده، فلقيه ابن أبي عيينة فسلّم عليه وتحفّى به، ثم قال: ما خبرُك مع خالد؟ قال: الخبر الذي تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

يا حفصُ عاطِ أخاك عاطِهْ   كأسـا تُهيّج مـن نشـاطِهْ

قال: ومسلمٌ يتبسّم من هجائه إياه حتى مر فيها كلِّها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تطـاولـت الـرءو   سُ فغطِّ رأسك ثم طاطِهْ

فقال مسلم: مَهْ، إنَّا لله! هتكته والله وأخزيته، وإنما كنتُ أظن أنك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتَّى ختمتَه بالجدِّ القبيح، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه، ثم مضى وهو يقول: فضحته والله، هتكته والله!. (١١١/٢٠)

(١٢٦)

أخبرني عمي قال: حدثّني أحمدُ بن يزيد قال: حدثّني أبي قال: لقي دِعْبل أبا عُيينة فقال له: أنشدني قولك في ابن عمك فأنشده:

يا حفصُ عاط أخاكَ عاطِهْ   كأسـا تُهيّج مـن نشـاطِهْ

صـرْنا يعـود لوقـعهـا   كـالظبي أطلق من رباطه

صبًّا طـوتْ عنـه الهمـو   مُ نعيمـه بعـد انبسـاطه

فـبكـى وحـقَّ لـه البكـا   لشـقـائه بعـد اغتـباطه

جــزع المخـنّـثُ خـالد   لمّا وقـعتُ على قمـاطه

فـانظـر إلى نـزواتـه   من منطقي وإلى اختلاطه

دعـني وأيّـا خـالـد   فـلأقطعنْ عُرى نيـاطه

إنّـي وجـدتُ كـلامـه   فـيـه مشابهُ من ضُراطه

رجُـــلٌ يعـدُ لك الوعـيــ ـد إذا وطئتَ على بســاطه
وإذا انتظــرْتَ غـــداءه فـخفـبِ البوادر من سـياطهْ
يا خـال صـــدُ المجـدُ عنـ ـك فلن تجوزَ على صراطه
وعـريتَ مــن حـُـلل الندى عُرْيَ الـيـ ـتـيـم ومن رياطه(١)
فــــإذا تطـــاولـت الــرؤ س فــفـطْ رأسـك ثُمَّ طاطه

فقال له دِعْبلٌ: أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت، وهتكتَ ابنَ عمِّك وقتلته وغضضت منه، وإنَّما استنشدتك وأنا أظن أنك قلتَ كما يقولُ الناسُ قولا متوسطاً، ولو علمتُ أنك بلغْتَ به هذا كله لما استنشدْتك. (١١٢/٢٠)

(١٢٧)

أخبرني بهذا الخبرِ الحسنُ بنُ عليٍّ وعمي قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثني الحسين بنُ السريِّ قال: لقي دعبل أبا عُيينة فقال له: أنشدني بعض ما قلتَ في ابنِ عمك، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيد، وقال فيه: إنما ظننتُ أنك قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعض الإبقاء، ولو علمتُ أنك بلغْتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراق ما استنشدتك، وجعل يعيد «ففطْ رأسك ثم طاطه»، ويقول: قتله والله! (١١٣/٢٠)

(١٢٨)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: زعم القحْذميّ أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: مَن أهجى المحدثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا؟ قال: الذي يقول في ابن عمه:

لو كـمـــا ينقص يزدا د إذاً نـــال الســـمــــاء
خـــالدٌ لـــولا أبـــوه كـــان والكلبَ ســـواء
أنا مـــا عــشـتُ عليـــه أســـوأُ النـــاس ثنـــاء
إنَّ مَنْ كـان مـسـيـنـا لحـــقـيق أن يُســـاء

فقال الرشيد: هذا ابنُ أبي عُيينة، ولعمري لقد صدَقْت. (١١٦/٢٠)

(١٢٩)

أخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: قال لنا أبو العباس محمدُ بن يزيد: لم يجتمع لأحد

---

(١) الرياط: جمع الرَّيطة وهي المُلاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، أراد أنك خالٍ من الكرم بخيل.

من المحدثين في بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله:

أبوك لنا غيثٌ نعيش بوبْلِه ... وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر

وقال محمدُ بن يزيد: ومن جيِّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا:

على إخوتي مني السلامُ تحيةً ... تحيةَ مُثنٍ بالأخوّة حامدِ
وقل لهُم بعد التحية أنتُم ... بنفسي ومالي من طريفٍ وتالد
وعزَّ عليهمْ أن أقيم ببلدة ... أخا سقم فيها قليلَ العوائد
لئن ساءهم ما كان من فعل خالد ... لقد سرَّهم ما قد فعلْتُ بخالد
وقد علموا أن ليس مني بمُفلت ... ولا يومُه المسكينِ مني بواحد
أخالدُ كانت صحبتيك ضلالةً ... عصيتُ بها ربِّي وخالفتُ والدي
وأرسل يبغي الصلح لما تكنَّفت ... عوارضَ جنبيه سياطُ القصائد
فأرسلتُ بعد الشرّ أني مسالم ... إلى غير ما لا تشتهي غيرُ عائد (١١٦/٢٠)

(١٣٠)

قال أبو الفرج: وكان دعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه، وقصيدته «مدارس آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت، عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرِّضا، عليه السلام، بخُراسان، فأعطاه عشْرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خِلعة من ثيابه. (١٢٠/٢٠)

(١٣١)

أخبرني محمد بن عمران قال: حدّثني أبو خالد الخزامي الأسلمي قال: قلت لدعبل: ويحك! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترت الناس جميعاً، فأنت دهرك كلّه شريد طريد هارب خائف، فلو كففتَ عن هذا وصرفتَ هذا الشرَّ عن نفسك!. فقال: ويحك؟ إني تأمّلتُ ما تقول، فوجدْتُ أكثرَ الناس لا يُنتفَع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخف شرُّه، ولمنْ يتقيك على عرضه أكثرُ ممن يرغب إليك في تشريفه، وعيوب النّاس أكثر من محاسنهم، وليس كلُّ مَنْ شرفته شرُف، ولا كلُّ من وصفتَه بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك، فإذا رآك قد أوجعْتَ عرض غيره وفضحته ـ اتقاك على نفسه وخاف من مثل ماجرى على الآخر. ويحك، يا أبا خالد إن الهجاءُ المقذع آخذٌ بضبع الشاعر من المديح المضْرِع(١). فضحكتُ من قوله، وقلت: هذا والله مقالُ من لا يموت حتْفَ أنفه. (١٢٥/٢٠)

(١) تقابلنا هذه المقولة مرّة ثالثة على لسان دعبل، وكانت قد تردّدت على لسان بشّار ومسلم بن الوليد قبل =

(١٣٢)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني ابن مهْرويه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال: كان دعبل يُنشدني كثيراً هجاءً قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحدٌ بعينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وجدَ على رجل جعل ذلك الشعر فيه، وذكر اسمه في الشعر(١). (١٢٩/٢٠)

(١٣٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مهْرويه قال حدّثني إبراهيمُ بنُ المدبّر قال: لقيتُ دعبلَ بنَ عليّ، فقلت له: أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إنّي من القوم الذين سيوفُهم ... قتلتْ أخاك وشرّفتك بمقعد

رفعوا محلك بعد طول خُموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال: يا أبا إسحق، أنا أحملِ خشبتي منذ أربعين سنة، فلا أجد من يصلّبني عليها. (١٣١/٢٠)

(١٣٤)

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني محمود بن داود عن أبي عكرمة عامر بنِ عمران عن مسعود بنِ بشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول: أشعرُ ما قيل في الغَيْرة قول مسكين الدارمي:

ألا أيها الغائر المستشيط ... فيم تغار إذا لم تُغَرْ؟

فما خير عِرْس إذا خفتها ... وما خير عرس إذا لم تُزر؟

تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يفْتن الصالحاتِ النظرْ؟

وإني سأخلي لها بيتها ... فتحفظ لي نفسها أو تذر

إذا اللهُ لم يُعطني حُبَّها ... فلن يُعطيَ الحُبُّ سوطٌ مُمَرْ (٢٠٧/٢٠)

= هذا، وكأنّ دعبلاً يُفصِّل الحديث عن هذه الظاهرة، في ما أجمله الآخران، فهو يهجو للهجاء، ويهجو لكي يُسمِع غير المهجو، فيتّقي الهجاء بالعطاء، وهو يشير أيضاً إلى عدم اهتمام الناس بالشعر الجيد البعيد عن الهجاء، وهي ظاهرة في مجملها غريبة، أملتها أحداث مستجدّة، ولم نَرَ لها نظائر قبل العصر العباسي.

(١) هذا النصّ يؤكّد ما ذكرناه في التعليق على النصّ السابق، إذ إنّ مادّة الهجاء جاهزة، غير موجهّة إلى أحد، فإذا حان حينها أخرجت، ونالت شخصاً ما بأذاها بعد وضع الاسم عليها. وستقابلنا نصوص أخرى شبيهة في أغراض أخرى مثل، المديح والرثاء، في قضية صنعة الشعر.

(١٣٥)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ، عن أبيه قال: دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عَريب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنَّر يغنّيانه، فقال: أطعموا محمدا شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلا أقلّه، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت: قول الحكميّ:

عتقت حتى لو اتّصلتْ　　بلسان ناطق وفم
لاحتبتْ في القوم ماثلةً　　ثم قصّت قصّة الأمم

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقُوا محمدا رطلين، وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال: يا محمّد:

إنّي وأنت رضيعا قهوةٍ لطفتْ　　عن العيانِ ودقّت عن مدى الفهمِ
لم نرتضعْ غير كأسٍ درُّها ذهبٌ　　والكأسُ حُرْمتها أولى من الرُّحمِ

قال: والشِّعر له قاله في ذلك الوقت. (٢٠/٢٤٧)

(١٣٦)

حدّثني اليزيديّ قال: حدّثني أبي عن عمي عن أبي جعفرٍ أحمد بن محمد قال: دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله - وأنا يومئذ غلام - فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحتُه به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبُك ترفعا، فأنشدته:

يامن شكوت إليه ما ألقاهُ　　وبذلتُ من وجدي له أقصاهُ
فأجابني بخلاف ما أمّلتُه　　ولربما مُنع الحريصُ مناه
أترى جميلا أن شكا ذو صبْوة　　فهجرته وغضبتَ من شكواه
يكفيك صمتٌ أو جواب مؤيس　　إن كنت تكره وصله وهواه
موت المحب سعادة إن كان من　　يهواه يزعم أن ذاك رضاه

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقي لنا الله الإمام وزاده　　عزّاً إلى العز الذي أعطاه
فالله مكرمنا بأنّا معشر　　عُتقاء من نعم العباد سواه

فسرّ بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويحسن العمل. (٢٠/٢٥٩)

(١٣٧)

حدّثني جحْظةُ، قال: حدّثني خالد الكاتب، قال: دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني، فقلت: أيها الأمير، أنا غلامٌ أقول في شُجونِ نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو، فقال: ذلك أشدُّ لدواعي البلاء(١). (٢٠/٢٧٨)

(١٣٨)

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب: لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له، وكان قد باعدهُ ولم أعلم، فأنشأ يقول:

ظعن الغريبُ لغيبة الأبد حتى المخافة نانيَ البلدِ
حيرانَ يُؤنسه ويكلؤه يومٌ توعّدَهُ بشرُ غدِ
سنح الغُرابُ له بأنكرَ ما تغدو النحوسُ به على أحدِ
وابتاع أشأمه بأيمنه الجدُّ العثورُ له يداً بيدِ
حتى يُنيخ بأرضِ مهْلكةٍ في حيثُ لم يولد ولم يلدِ
جزعتْ حليلتُه عليه فما تخلو من الزفرات والكمدِ
نزل الزمانُ بها فأهلكها منه وأهدى اليُتم للولدِ
ظفرتْ به الأيامُ فانحسرت عنه بناقرةٍ ولم تكدِ(٢)
فتركْنَ منه بعد طيّتهِ مثل الذي أبقيْن من لُبَدِ(٣)

قال، فقلت له: يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء؟ قال: مذ سالمتُ فحوربت، وصافيت فتوقفت. (٢٠/٢٧٩)

---

(١) يبدو أنّ نظرة العصر الأموي إلى الأغرض الشعرية مايزال لها سلطان في العصر العباسي من حيث تفضيل أغراض بعينها، وعدم الاهتمام بأغراض أخرى، فقد صار بلاءً أن يقتصر الشاعر على شجون نفسه، ويتجنّب المدح والهجاء، وهذا يذكّرنا بموقف الشعراء من ذي الرّمة الذي قصر هو الآخر شعره على شجون نفسه، فكان التأخّر نصيبه.

(٢) الناقرة: الداهية.

(٣) لبد: آخر نسور لقمان. كانت سبعة، كلّما هلك نسر خلفه نسر حتى هلكت كلها.

(١٣٩)

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ، قال: حدّثنا العلائيّ، قال: حدّثني محمد بن أبي العتاهية، قال: لما جلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

يابنَ عمِّ النبيِّ خيرِ البريّهْ ... إنّما أنتَ رحمةٌ للرّعيهْ
يا إمامَ الهدى الأمينَ المصفّى ... بلُباب الخلافةِ الهاشميهْ
لك نفسٌ أمّارة لك بالخيـ ... ـروكفٌّ بالمكرماتِ نديّه
إنّ نفساً تحمّلت منك ما حُمّـ ... ـلتَ للمسلمين نفسٌ قويه

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدني ما أنشدتَ أمير المؤمنين، فأنشدها. فقالت: أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد؟ فغضب وقال: إنما أنشدُ أمير المؤمنين ما يستملح، وأنا القائل فيه:

يا عمودَ الإسلام خيرَ عمودِ ... والذي صيغَ من حياء وجُودِ
والذي فيه ما يُسلّي ذوي الأحـ ... ـزان عن كلِّ هالكٍ مفقود
إنَّ يوماً أراك فيه ليومٌ ... طلعتَ شمسُه بسعد السعود

فقالت له: الآن وفيت المديحَ حقه، وأمرت له بعشرة آلاف درهم. (٢٠/٣٠٢)

(١٤٠)

أخبرني محمدُ بن العباس اليزيديُّ قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أرثى بيتٍ قالته العرب قول عبْدة بن الطبيب:

فما كان قيس هلْكُه هُلكَ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدّما (٢١/٢٥)

(١٤١)

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث (في قلّة الهجاء في شعر البحتري) وهذا - كما قال أبو الغوث - لا فائدة لك ولا لي فيه، لأنّ الذي وجدْناه وبقي في أيْدي الناس من هجائه أكثرُهُ ساقط، مثل قوله في ابن شيرزاد:

نفقْتَ نُفُوق الحمار الذّكَرْ ... وبان ضُراطُكَ عنا فمرْ

ومثل قوله في عليّ بن الجهم:

ولو أعطاك ربُّك ما تمنّى ... لزادك منه في غِلظ الأيورِ
علامَ طفقْت تهجوني مليّاً ... بما لفّقت من كذبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات، ومثلها لا يُشاكل طبعه، ولا تليق بمذهبه، وتنبئ بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلّة حظّه في الهجاء(١)، وما يعرف له هجاءً جيّدٌ إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش:

مرّت على عزمها ولم تقفِ   مُهديةٌ للشُّنان والشَّنَفِ(٢)

يقول فيها لابن أبي قماش:

قد كان في الواجب المُحقّق أن   تعرف ما في ضميرها النُّطفِ(٣)
بما تعاطيتَ في العيوب وما   أوتيت من حكمة ومن لطفِ(٤)
أما رأيت المرّيخ قد مازج الزُّ   هرة في الجَدِّ منه والشَّرفِ(٥)
وأخبرتك النُّحوسُ أنكما   في حالتي ثابت ومُنْصرفِ(٦)
من أين أعملتَ ذا وأنت على   التَّقويم والزِّيج جِدُّ مُنْعكفِ(٧)
رذلْتَ في هذه الصناعة أو   أكديتَ أو رمتها على الخرفِ(٨)
لم تخْطُ باب الدّهليز منصرفاً   إلا وخلخالُها مع الشَّنفِ(٩)

وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النّصرانيّ، فإنها - وإن لم تكن في أسلوب(١٠) هذه وطريقتها - تجري مجرى

(١) هذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الهجاء ليس نظم السُّباب شعراً، فهذا ممّا تقدر عليه الكثرة من الشعراء، وهو أقرب إلى أن يكون شعراً غثّاً، ركيكاً لا قيمة له مثلما قرأنا في النصّ.

(٢) الشنان: هو الشنآن خفف همزته الممدودة وهو البغض، والشنف: التنكر.   (٣) النُّطف: ذو العيب والشرّ.

(٤) في ديوان البحتري (١٤٠٨/٣): الغيوب بدل العيوب، وهو أصوب لاتفاقه مع شخصية المهجو الذي كان منجماً. واللُّطف: من طرائف التحف.

(٥) في ديوان البحتري (١٤١١/٣): الحَدّ بدل الجدّ وهو أصوب لأنّ الحدّ هو «أنّ درجات كلّ برج مقسومة بين الكواكب الخمسة المتحيرة على غير سويّة، وكلّ قسم يُسمّى حَدّاً»، ولا معنى لكلمة الجدّ هنا، والشرَف: شرف الكواكب درجة في برج يُنسب إليه، ولكلّ واحد من السبعة الكواكب شرف.

(٦) الثابت والمنصرف من النجوم أو الكواكب: الثوابت والمتحركة، وتقاس الثوابت بشدّة لمعانها.

(٧) الزِّيج: كتاب تُعرف به أحوال حركات الكواكب ويؤخذ منه التقويم.   (٨) أكدى: بخل عند السؤال، قلّ خيره، أخفق ولم يظفر بحاجته.   (٩) الدهليز: معرّبة وهي ما بين الباب والدار. والشنف: الأقراط، ويريد أنّ ساقيها قد بلغتا موضع أذنيها كناية عن فجورها.

(١٠) الأسلوب: في الأصل السَّطر من النخيل. ثم صار مصطلحاً نقدياً يراد به طريقة التعبير، والضرب من النظم، ونرى أبا الفرج يستخدم هذا المصطلح بما يتلاءم مع هذه المعاني. فالقصيدة الثانية لا تشبه =

التهكّم باللفظ الطيّب الخبيث المعاني(١)، وهي:

تظنُّ شجُوني لم تعْتلِجْ   وقد خلج البيْنُ مَن قد خَلَجْ   (٣٧/٢١)

(١٤٢)

وقد حدّثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً: قال حدّثني عبد الله بن الحسين بن سند القطربلي: كان أبو تمام مدّاحاً لأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتليهما، فجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروي أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال الأخير. وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال: كنّا نعمل للرجاء، نحن اليوم نعمل للوفاء، وبينهما بُعْد(٢). (٤٢/٢١)

(١٤٣)

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدّثني محمدُ بن علي الأنباريّ قال: سمعْتُ البحتريَّ يقول: أنشدني أبو تمام يوماً لنفسه:

وسابحٍ هطلِ التَّعداء هتّان   على الجراء أمينٍ غير خوّانِ(٣)

= الأولى في طريقة نظمها، ومعانيها، ولكنّهما تشتركان في أنهّما قصيدتا هجاء. ينظر عن الأسلوب، الشعر والشعراء. ابن قتيبة (٧٥/١)، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني(ص٢٦١)، ومقدمة ابن خلدون(ص٥٧٠).

(١) طبّق أبو الفرج المفصل في هذه العبارة القصيرة، الكثيرة المعاني، فقد حدّد أركان الهجاء العالي وهي: التهكّم، واللّفظ الطيب، والمعنى الخبيث. فالقضية ليست شتماً، وسباباً، بل رسم صور مضحكة للمهجو، والنيْل منه بعبارات مهذبّة، مؤثرة، ولا يستطيع هذا النمط من الشعر سوى القلّة من الشعراء.

(٢) ينبع هذا الكلام من التصور القديم لأسباب قول الشعر، وقد حُصِرت في «أربع قواعد هي: الرغبة، والرّهبة، والطّرب، والغضب، فمع الرغبة يكون المديح، ومع الرهبة يكون الاعتذار .. ومع الطرب يكون الشوق ورقّة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء ..» ينظر العمدة (٢٤٦/١)، طبعة محمدقرقزان، ولم يرد ذكر للوفاء في هذه القواعد، وكأنَّ أبا تمام قد خالف مَنْ ذهب إلى أن المدائح ينبغي أن تكون أجود من المراثي، بسبب انتظار النوال في الأولى، وعدم توقّعه شيئاً في الثانية، فليس الشاعر طالب نوال أبداً، فهو يتفرّغ لشجونه، وشؤونه ويقول ما تمليه الأحداث في كثير من الأحيان. أمّا هذا الآخر الذي ذكره أبو تمام وقد سئل عن ضعف مراثيه فهو أبو يعقوب الخريمي الذي سأله أحمد بن يوسف الكاتب: أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك له، فأجاب جوابه الذي ذكره أبو تمام. ينظر الخبر في الشعر والشعراء (٧٩/١)، وطبقات ابن المعتز (ص ٢٩٣)، والعمدة (٢٥١/١).

(٣) سابح: الفرس السريع كأنه يسبح لسرعته، هطل التَّعداء: سريع الركض، هتّان: سريع مثل نزول المطر، =

أظمى الفُصوص ولم تظمأ قوائمُه فخلْ عينيك في ظمآن ريّان(١)
فلو تراه مُشيحاً والحصى زِيَمٌ بين السّنابك من مثنى ووُحدان(٢)
أيقنتَ إنْ لم تثبّتْ أنْ حافره من صخْر تدمر أو من وجْه عثمان(٣)

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المستطرد، أو قال الاستطراد، قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُريك أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان، وقد فعل البحتري ذلك، فقال في صفة الفرس:

ما إن يعافُ قذىً ولو أوردته يوماً خلائقَ حمدويهِ الأحْول(٤)

وكان حمدويه الأحول عدواً لمحمد بن علي القُمّي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً. والله أعلم. (٤٨/٢١)

(١٤٤)

حدّثني عليُّ بنُ سليمان الأخفش: قال حدّثني أبو الغوْث بن البُحتريّ: قال: حدّثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أنّ بني حُمَيْد أعْطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئاً منه، فأنشدته بعض ما قلْته فيهم، فقال لي: كم أعطوْك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وفوْك حقّك، فلِم استكثرتَ ما دفعوه إليك؟ والله لبيتٌ منها خيرٌ مما أخذْت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعمْري لقد استكثرت ذلك، واستُكثر لك لمّا مات الناسُ وذهب الكرام وغاضت المكارمُ، فكسدت سُوقُ الأدب، أنت والله يا بُنيّ أميرُ الشعراء غداً بعدي، فقمتُ فقبلْت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لَهذا القولُ أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إليّ من القوم.

(٤٨/٢١)

= والجراء: جاء في حاشية الأغاني: «الجراء جرو، وهو ولد الكلب وكلّ سبع» ولا يستقيم الكلام مع هذا المعنى. والجراء هنا الجري، جاء في لسان العرب (١٤/ ١٤٠): «جرى الفرس وغيره جَرْياً وجِراءً».

(١) الفصوص: المفاصل، وظمؤها: ضمورها.

(٢) زيم: متفرّق، يريد أن شدّة جري هذا الفرس فرّق الحصى وجعله يتطاير. ينظر لسان العرب (١٢/ ٢٨٠).

(٣) تثبّت: هي تتثبّت يعني تمعن النّظر، وتدمر: مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام، والمقصود وصف وجه عثمان بالصفاقة، حتّى كأنّه قطعة قُدّت من صخر.

(٤) يريد أنّ هذا الفرس متعوّد على مواجهة الصعاب. لا يعاف شيئاً منها، حتى ولو ورد على خلائق حمدويه، يصفها أنّها شديدة الكراهة.

(١٤٥)

أخبرني حبيب المهلّبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدّثني جعفر بن محمد العنزيّ، عن خالد بن أم كلثوم، قال قيل للمفضل الضبيّ: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: ولم؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال:

عجبتُ لعجلٍ إذ تُهاجي عبيدها　　كما آلُ يربوع هجَوْا آلَ دارمِ

فقيل له: قد قال جرير:

إنَّ الفرزدقَ والبعيثَ وأمَّه　　وأبا البعيث لشرُّ ما إستارِ

فقال: وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة[١]!

(٢٨٤/٢١)

(١٤٦)

قال أبو الفرج: ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأتْ　　فقلبي مذ شطَّتْ بها الدارُ مُدنفُ
ولم أر هنداً بعد موقفِ ساعة　　بأنْعمَ في أهل الديار تطوُّف
أتتْ بين أتراب تمايسُ إذ مشتْ　　دبيبَ القطا أوهنَّ منهنَّ أقْطَفُ[٢]
يباكرْنَ مرآةً جليًّا وتارةً　　ذكيًّا وبالأيدي مداكٌ ومسْوَفُ[٣]
أشارت إلينا في خفاءٍ وراعها　　سراةُ الضُّحى مني على الحيِّ موقف
وقالت: تباعد يابن عمي فإنَّني　　مُنيتُ بذي صَوْلٍ يَغارُ ويعْنُفُ[٤]

(٢٤٢/٢٢)

(١٤٧)

أخبرني عمي عن أبي العيناء، قال: كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دؤاد،

---

(١) يدخل كلام المفضل ضمن ما ذكرناه مراراً عن الاختلاف الكبير بين الهجاء من حيث هو غرض دقيق، وبين الهجاء الذي يقتصر على الشتم، وما أهون الثاني.　　(٢) أقطف: أخفّ وأسرع.

(٣) المداك: حجر يسحق عليه الطيّب، ومِسْوَف: من ساف الشيء إذا شمّه، وهو وعاء يوضع فيه الطيّب، ينظر لسان العرب (١٠/٤٣٠، ٩/١٦٤).　　(٤) ذو صَوْل: قويّ شديد.

ويهجوه، فكان أحمدُ يجمع الشعراء، ويُحرّضهم على هجائه ويصلُهم، ثم قال فيه أحمد بيتين، كانا أجودَ ما هُجيَ به، وهما:

أحسن من خمسين بيتاً سُدىً ... جمْعُـك إيّاهُـنَّ فـي بيـت
ما أحـوجَ الناسَ إلى مطـْرة ... تُذهبُ عنهـم وضـرَ الزيـت (٥٦/٢٣)

(١٤٨)

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالب، فرثاه جماعة من الشعراء، فممّن جوّد في مرثيته البحتريّ حيث يقول:

هذا سـليمانُ بنُ وهبٍ بعـد ما ... طـالتْ مساعيه النجومَ سمُوكا
وتنصُّف الدنيا يُدبِّر أمرهـا ... سبعين حولا قد تمَكّن دكيكا(١)
أغـرت بـه الأقدارُ بَغْتَ ملمّـةٌ ... ما كان رسُّ حديثها مأفوكا(٢)
أبلغ عُبيدَ الله بارعَ مذْحِـجٍ ... شـرفا ومُعطى فضلْها تمليكا
ومتى وجدتَ الناس إلا تاركـاً ... لحـميمهِ في التُّرب أو متـروكا
بلغ الإرادة إذ فداك بنفسـه ... وتـودُّ لـو تفـديـه لا يفـديكا
إن الرزيّةَ في الفقيد فإن هفا ... جـزعٌ بلُبِّـك فالرزيّـةُ فيكـا
لو ينجلي لك ذخرُهـا من نكبةٍ ... جلَلٍ لأضحكـك الـذي يبكيكـا (١٥٣/٢٣)

(١٤٩)

أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وائلة، قال: كان أبان اللاحقيّ يُولعَ بابن مُناذر، ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي، فإذا مت فلا ترْثني، فكثر ذلك من أبان عليه، حتى أغضبه، فقال فيه ابنُ مُناذر:

غُنْجُ أبـانٍ ولينُ منطقـه ... يخـبـر الناس أنه حلقي
داء بـه تُعرفـون كلُّكُـم ... يا آل عبد الحميد في الأفُق
حتّى إذا ما المساء جلّلهُ ... كـان أطبّاؤه على الطـرُقِ
ففرِّجوا عنه بعض كربته ... بمسبطرٍّ مُطـوق العُنُق

قال: وهجاه بمثل هذه القصيدة، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه، وسُعيَ بينهما، فأمسك عنه. (١٦٥/٢٣)

---

(١) الدكيك: التام.

(٢) الرّسّ: بدء الشيء وطرف منه. ومأفوك: كاذب.

(١٥٠)

أخبرني حبيب ن نصر المهلّبيّ: قال: حدّثني علي بن محمد النوفليّ: أنَّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه، فقالوا له: وما تريد من ذلك؟ فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ ابنُ أبي حفصة، فقالوا له: إن لمروانَ مذهبا في هجاء آل أبي طالب وذمّهم، به يحظى وعليه يُعطى، فاسلكه حتى نفعل، قال: لا أستحلّ ذلك، قالوا: فما تصنع؟ لا يجيء طلبُ الدنيا إلا بما لا يحلّ، فقال أبان:

نشدتُ بحقّ الله مَن كان مسلما ... أعمُّ بما قد قلتُه العُجمَ والعربْ
أعمُّ رسولِ الله أقربُ زلفةً ... لديه أم ابنُ العمّ في رتبة النسبْ
وأيُّهما أولى به وبعهده ... ومن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ!
فإن كان عبّاسٌ أحقَّ بتلكمُ ... وكان عليٌّ بعد ذاك على سَبَبْ
فأبناء عباسٍ هُمُ يرثونه ... كما العمُّ لابن العمِّ في الإرث قد حجبْ

وهي طويلة، قد تركت ذكرها لما فيه، فقال له الفضل: ما يردُ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك، فركب فأنشدها الرُّشيدَ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد، وخُصَّ به. (١٦١/٢٣)

(١٥١)

ومن مختار قول تُويت في سعدى هذه مما أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أولها:

سنُرضي في سُعيدى عاذلينا ... بعاقبة وإن كرمتْ علينا

يقول فيها:

لقيتُ سُعيدَ تمشي في جوارٍ ... بجرعاء النُّقا فلقيتُ حَيْنا(١)
سلبنَ القلبَ ثم مضينَ عنّي ... وقد ناديتُهنَّ فما لوينا(٢)
فقلتُ وقد بقيتُ بغير قلب ... بقلبي يا سُعيدى أين أيْنا!
فما تجزين يا سعْدى مُحباً ... يهيم بكم ولا تقضينَ ديْنا
فقالوا إذ شكوتَ المطلَ منها ... لعمركَ من سمعت له قضيْنا
ومن هذا الذي إن جاء يشكو ... إلينا الحبُّ من سقمٍ شفينا

---

(١) الجرعاء: هي الرملة التي لا تنبت شيئاً، والحَيْن: الموت. (٢) لوينا: أجبن.

فهنَّ فواعلٌ بي غيرَ شكٍّ كما قبلي فعلْنَ بصاحبيْنا
بعروةَ والذي بسهامِ هندٍ أصيب، فما أقِدْنَ ولا ودِيْنا(١)

ومن مختار قوله فيها:

سلِ الأطلالَ إن نفع السؤالُ وإن لم يربعِ الركبُ العِجالُ
عن الخودِ التي قتلتكَ ظلماً وليس بها إذا بطشت قتالُ
أصابكَ مُقلتانِ لها وجيدٌ وأشنبُ باردٌ عذبٌ زُلالُ(٢)
أعارَكِ ما تبلّتِ به فؤادي من العينين والجيدِ الغزالُ
أيا ثاراتِ من قتلتْه سُعدى دمي - لا تطلبوهُ - لها حلالُ
أرِقُّ لها وأشفق بعد قتلي على سُعْدى وإن قلَّ النَّوالُ
وما جادتْ لنا يوماً ببذلٍ يمينُ من سُعادَ ولا شمالُ (١٧١/٢٣)

(١٥٢)

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أحمد بن عليّ الأنباريّ: قال: كنا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلّبيّ بسرَّ من رأى، فجرى ذكر أبي العبر، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه، فقلت ليزيد: كيف كان عندك، فقد رأيته؟ فقال: ما كان إلاّ أديباً فاضلاً، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفعَ له، فتحامق. فقلت له: أنشدُك أبياتاً له أنشدنيها، فانظر لو أراد دعبل - فإنه أهجى أهل زماننا - أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال، قال: أنشدنيها، فأنشدته قوله:

رأيتُ من العجائبِ قاضِيَيْنِ هما أحدوثةٌ في الخافقَيْنِ
هما اقتسما العمى نصفين فذّاً كما اقتسما قضاء الجانبيْن(٣)
هما فألُ الزمان بِهُلك يحيى إذا افْتُتح القضاء بأعورين
وتحسب منهما مَن هزّ رأساً لينظر في مواريثٍ ودَيْن
كأنك قد جعلتَ عليه دنَّاً فتحت بزاله من فردِ عيْن(٤)

فجعل يضحكُ من قوله: ويعجب منه، ثم كتب الأبيات. (٢٠٣/٢٣)

---

(١) عروة: هو عروة بن حزام. وصاحبته عفراء. والذي أصيب بسهام هند هو عبد الله بن عجلان، وصاحبته هند بنت كعب بن عمرو النهدي. وأقدن: من القود وهو القصاص. ودينا: أي دفعن الدية.

(٢) الأشنب: الفم. (٣) فذاً: فرداً. (٤) البزال: موضع ثقب الدنّ، والحديدة التي يفتح بها.

(١٥٣)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال: حدّثنا عُمر بن شبةَ قال: أنشدني الأصمعيُّ للقتّال رائيةً يقول فيها:

إنَّ العُروقَ إذا استنزعتَها نزعتْ ... والعرقُ يسْري إذا ما عرّس السّاري
قد جرّب الناسُ عُودي يقرعُون به ... فاقصرُوا عن صليبٍ غيرِ خوّار

فقال: لقد أحسن وأجاد، لولا أنه أفسدها بقوله إنه طلب جُعْلا فلم يُعْطَه، وكان في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة، وكان فارساً شاعراً شجاعاً. (١٨٥/٢٤)

(١٥٤)

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: قال لي عُمارة: ما هاجيت شاعراً قطّ إلا كُفيتُ مؤونته في سنةٍ أو أقلَّ من سنةٍ، إمَّا أن يموت، أو يُقتل، أو أفحمه، حتى هاجاني أبو الرُّدينيّ العُكليّ، فخنقني بالهجاء، ثم هجا بني نُميْر فقال:

أتوعدني لتقْتلني نُميْرٌ ... متى قتلتْ نُميرٌ مَنْ هجاها؟

فكفانيه بنو نُمير فقتلوه، فقتلت بنو عُكْل - وهم يومئذ ثلاثمائة رجل - أربعة آلاف رجلٌ من بني نُمير، وقتلت لهم شاعريْن: رأس الكلْبِ وشاعراً آخر. (٢٤٦/٢٤)

(١٥٥)

حدّثني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: حدّثنا أبو مُحلِّم قال: هجا عمارةُ بن عقيل امرأةً، ثم أتته في حاجة بعد ذلك، فجعل يعتذر إليها، فقالت له: خفض عليك يا أخي، فلو ضرُّ الهجاءُ أحداً لقتلك وقتل أباك وجدّك.

قال مُؤلف هذا الكتاب: وكان عُمارةُ هجّاءً خبيث اللّسان، فهجا فروة بن حميصة الأسديّ وطال التّهاجي بينهما، فلم يغلب أحدُهما صاحبه حتى قُتل فرْوة. (٢٤٦/٢٤)

(١٥٦)

أخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني العنزي قال: حدّثني محمدُ بن عبد الله بن أدم العبْديّ قال: حدثني عُمارة بنُ عقيل قال: كنتُ جالساً مع المأمون، فإذا أنا بهاتفٍ يهتف من خلفي ويقول:

نجّى عُمارةَ منّا أنْ مُدّته ... فيها تراخٍ وركْضُ السّابح النُّقلِ

ولو ثقفناه أوهينا جوانحه   بذابلٍ من رماح الخطّ مُعْتدِلِ
فإنّ أعناقكم للسّيف محلبةٌ   وإنّ مالكم المرعيّ كالهملِ
إذ لا يُوطِّن عبدُ الله مُهْجته   على النّزال ولا لصّا بني حملِ

قال: وهذا الشّعر لفرْوة بن حميصة فيّ. قال: فدخلني من ذلك ما الله يعْلمه، وما ظننتُ أنّ شعرَ فروة وقع إلى مَنْ هُنالك، ثم خرج عليُّ بنُ هشام من المجلس وهو يضْحك، فقلتُ: يا أبا الحسن، أتفعل بي مثلَ هذا وأنا صديقُك؟ فقال: ليس عليك في هذا شيء. فقلت: من أين وقع إليك شعر فروة؟ قال: وهل بقي كتاب إلا وهو عِندي؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أهْجى في دارك وبحضرتك؟ فضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين أنصفني، فقال: دعْ هذا وأخبرني بخبر هذا الرجل، وما كان بينك وبينه، فأنشدتُه قصيدتي فيه فلما انتهيت إلى قولي:

ما في السّوية أن تجُرّ عليهم   وتكونُ يوم الرّوع أوّلَ صادر

أعجب المأمونَ هذا البيتُ فقال لي المأمون: ألهذه القصيدة نقيضة؟ قلت: نعم، قال: فهاتها، فقلت له: أوَذي سمعي بلساني؟ فقال: عليّ ذلك، فأنشدتُه إياها، فلما بلغتُ إلى قوله:

وابنُ المراغة جاحرٌ من خوفنا   بادٍ بمنزلة الذّليل الصّاغرِ
يخْشى الرّياحَ بأن تكون طليعةً   أو أن تحُلَّ به عقوبةُ قادر

فقال لي: أوجعك يا عُمارة، فقلت: ما أوجعتُه به أكثر. (٢٤/٢٤٧)

(١٥٧)

قال العنزيّ: وسمعتُ سلْم بن خالد يقول: قلتُ لعُمارة ما أجودُ شعرِك؟ قال: ما هجوْت به الأشرافَ. فقلت: ومنْ هُم؟ قال: بنُو أسد، هل هاجاني أشرفُ، من بني أسد؟ (٢٤/٢٥٦)

(١٥٨)

أخبرني الصُّوليُّ قال: حدّثنا الحسن قال: سمعْتُ عبد الله بن محمد النُّباجيّ يقول: سمعت عُمارة يقول: ما هُجيت بشيءٍ أشدُّ علي من بيْت فروْة:

وابنُ المراغةِ جاحرٌ مِنْ خوْفنا   بالوشْم منزلةَ الذّليلِ الصّاغر (٢٤/٢٥٦)

(١٥٩)

وكان فرْوةُ من أحسنِ النّاس وجْهاً وشعْراً وقدّاً، لو كان امرأةٌ لانتحرت عليه بنو أسد:
أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدّثني العنزيّ، قال: حدّثني علي بن مُسلم قال:

أنشدتُ يعقوبَ بنَ السِّكيت قصيدة عمارة التي ردّ فيها على رجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أوّلها:

حيِّ الدِّيارَ كأنَّها أسطارُ ... بالوحْي يَدْرُس صُحْفها الأحْبارُ(١)

لعبَ البلى بجديدها وتنفَّستْ ... عرصاتها الأرْواحُ والأمطارُ(٢)

قالَ أبو عليّ: وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال: الأرياح، فردّه عليه أبو حاتم السِّجستانيّ وهو يتغيّظ ـ فلما بلغ إلى قوله:

وجموع أسْعد إذ تعضُّ رؤوسهم ... بيضٌ يطير لوقعهنّ شرارُ

حتى إذا عزَمُوا الفِرارَ وأسلموا ... بيضاً حواصِنَ ما بهنَّ قرارُ

لحقت حفيظتُنا بهنَّ ولم نزلْ ... دُونَ النِّساء إذا فزِعْنَ نفارُ

قال ابن السِّكِّيت: لله درُّه، ما سمعت هجاء قط أكرمَ من هذا. (٢٥٧/٢٤)

---

(١) أسطار: سطور، والوحي: الكتابة، شبّه الأطلال بالسطور في الكتب، وهي صورة قديمة تناقلها الشعراء منذ العصر الجاهلي.

(٢) عرصاتها: جوانبها، والأرواح: أراد الرياح.

آراء في الشعر

بيّنا في مقدّمة القضية الأولى مكانة الشعر عند العرب، واستمرار هذه المكانة إلى وقت متأخّر في العصر العبّاسي، وأشرنا إلى التذبذب الحاصل لمنزلة الشاعر في بعض الأحيان من حيث تدنّي هذه المنزلة بسبب ابتذاله في المديح، وإراقته ماء وجهه، وإلحافه في السؤال، ولكنّ الصورة العامة للشعر بقيت وضيئة، مشرقة بالرُّغم من السحب التي ظلّلتها. ولا شكّ، بعد هذا الاعتناء بالشعر، أن تقف الجمهرة من الدارسين، والعلماء، والمتذوّقين عنده، فاحصة إيّاه، مبيّنة رأيها فيه، منبّهة على سقطاته، ومشيرة إلى الجيّد الرائع منه، وهذه العملية من صميم الجهد النقدي، بل هي النقد في أحسن أحواله التطبيقية، ومقاربته للنصوص، خاصةً - ونحن نعلم - أنّ (نقد النثر) لم يلاقِ من الاهتمام والانتشار ما وجده (نقد الشعر) في مسيرة النقد العربي، بالإضافة إلى قلّة ما بأيدينا من النقد النظري الذي تركه النقاد، ومدارُ العناية كان النقد التطبيقي في أجزاء واسعة من النقد العربي.

وفي الأغاني سيلٌ من تلك الآراء - مثلما سنرى - حول بيت، أو أبيات، أو قصيدة، بعضها وصفٌ للشعر وتحديد لخصائصه، والآخر حكمٌ عليه سلباً أو إيجاباً، ويستمرُّ هذا الحكم في كثير من الأحيان فيقدّم (الناقد) تعليلاً لحكمه، وهو ما يُراد من النّقد، ويتطلّبه الدارسون منه، وتختلف هذه الأوصاف والأحكام حسب ذوق أصحابها، وثقافتهم، والعصور التي تفيّئوا ظلالِها.

وسنحاول عرض الجهد النقدي لهذه القضية من خلال أربعة محاور؛ رأينا أنّ تلك النصوص تنضوي تحت أجنحتها، مستفيدين من العصور الأربعة التي درجنا على تقسيم النصوص بموجبها في هذا الكتاب، وتاركين التفاصيل الدقيقة للتعليقات التي جاءت بعد كلّ نصّ فلضاعته، وأثرته، وقدّمت له من الفوائد ما سيراها القارئ في مواضعها.

ولعلّ سمات النقد التطبيقي في تلك العصور، وألوانه التي وجدناه عليها، هي أوّلُ ما يستوقفنا في المحور الأوّل، فقد رأينا آراء الجاهليين تأثّريّة، قصيرة، تعتمد على الانطباع الأوّل، وتلجأ إلى التشبيه، تفتقر كثيراً إلى التحليل، أو التّعليل، ولا نطلب من ذلك العصر أكثر من هذا فما يزال النقد في ميْعته، وطفولته، ولا نعدم في بعض النصوص تحليلاً، ووصفاً من نوع ما ينسجّم مع ذلك العصر، وأدوات (الناقد) المتاحة التي يستخدمها.

ويقابلنا في العصر الإسلامي لون من النقد يعتمد على الدّين الجديد، ويتّخذ منه مقياساً

للاستحسان أو الاستهجان، وجدنا هذا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، من ذلك استهجان شعر المشركين لما فيه من قيم جاهلية، وإعجاب بشعر أميّة بن أبي الصلت ـ مثلاً ـ لما تضمّنه من معانٍ إيمانية، خلقية، مع ميْل إلى الاقتصاد في الوصف، وعدم المغالاة، وشيء من التعليل عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وتظلّ التأثرية المستندة إلى القيم الإسلامية هي السائدة في ذلك العصر، وفي هذا تطوّر واضح عمّا رأيناه في العصر الجاهلي.

ووجد الشّعر ونقده في العصر الأموي مدى أوسع، ومضماراً أرحب من العصرين السابقَين، فقد كثُر المهتّمون بالنقد، وغزرت الأدوات بيد (الناقد)، واستطعنا تحديد ثلاث فئات كان لها دور مهمّ في النقد التطبيقي هي: الخلفاء، والشعراء، والعلماء، فقد فتح الخلفاء مجالسهم أمام العلماء والشعراء، فأفاضوا في الحديث عن الشعر، ووقفوا عند نماذج منه، ناقدين، ومحلّلين، ويأخذ الأمر مساراً آخر حين يكون الخليفة نفسه عالماً بالشعر، متذوّقاً له مثل معاوية، وعبد الملك، وهشام، وغيرهم، عند ذاك تصبح المشاركة فاعلة، ويصير الحديث عن الشعر حديثاً ذا فائدة، وأهمية. أمّا الشعراء فقد رأينا بعضهم ينقد بعضاً، ويستحسن، أو يستهجن من شعر غيره ما شاء له الاستحسان، أو الاستهجان، بالإضافة إلى نقد أشعارهم الشخصية، وتبيان رأيهم في الشعر السابق عليهم، وشكّل الشعراء تياراً قوياً من تيارات النّقد التطبيقي، ولعلّ ذلك يرجع إلى تماسُّهم الشديد بالشعر، وغوْصهم إلى دقائقه، ومشكلاته، من خلال تجاربهم، ومعاناتهم في نظمه، وكان للعلماء دورهم في الوقوف عند الشعر، ولم يكن التخصّص قد أخذ مداه بعدُ عندهم، فكان أحدهم حافظاً لكتابِ اللّه المجيد، وحديث الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم، واسعَ الاطّلاع على لغة العرب، راويةً للشعر والأخبار، وما إلى ذلك من العلوم السائدة في ذلك العصر، والتي بدأت تتخلّق، وتأخذ سماتها المتميِّزة التي ستكون عليها فيما بعد، وكان الشعر يمثّل ركناً ركيناً من ثقافتهم، فكان لابدَّ لهم من المشاركة في نقده سُئلوا أم لم يُسألوا.

ووجدنا النقد في كلا العصرين جزئياً، يهتمّ باللفظة المفردة، أو الجزء من البيت، ومن النادر أن يوجَّه نظرة كلّية إلى القصيدة برمّتها، كما رأيناه يولي الموسيقى شيئاً من الاهتمام، ولعلّ هذا الأمر يقودنا إلى الإشارة إلى الاختلاف في نوعية الأحكام على الشعر في هذا العصر، إذ بدأت الموضوعية تُطلُّ برأسها، ولم يبق التأثّر الشخصي، أو الانطباع الفردي، هما السمتان على هذا النقد، بل أصبح كثير من رجال الفئات الثلاثة يميل إلى توجيه نقده للشعر مستخدماً أدوات محدَّدة، سنقف عندها بعد قليل، كما اتسعت مساحة التعليل للأحكام بالقياس إلى

العصرين السابقين، وبدأ الجوّ النقدي مستَعداً لتوجيه الأسئلة للناقد عن السبب في موقفه من الشعر الذي أبان رأيه فيه، ويتطلّب منه الإجابة، ولم يعد يكتفي بالوصف وحده، أو إطلاق الحكم، والسكوت، وقد اتّسع هذا الأمر فيما بعد، في العصر العباسي، وبخلت كثير من هذه الأحكام المعلّلة كتب النقد المتخصّصة، وبنى عليها النّقاد أحكامهم، وتحليلهم للشعر.

وقد أثّرت البيئة، ومواضعاتها على النقد تأثيراً مباشراً من حيث الإعجاب بشعر ذي خصائص معينة، فقد وجدنا الشعر الجزل المتين هو المفضّل، كما احتلّ شعر المديح، والهجاء الصدارة بين بقية الفنون، أمّا بقية الأغراض فلم يكن لها صدى كبير سوى ما رأيناه عند عمر بن أبي ربيعة، وإعجاب الكثرة من الشعراء الذين يمثّلون الاتجاهين السابقين بشعره، إذ رأوا فيه شيئاً جديداً، ونمطاً لم يُسبق إليه، وقد حاولوا هم أن يأتوا بمثله، وداروا عليه فلم يفلحوا، فكأنّ إعجابهم بشعره إعجابٌ بالجديد الطريف الذي قدّمه، والتفرّد الذي اتّصف به، وهو حكم موضوعي يحسب لأولئك الشعراء.

ويتسّع المجال كثيراً في العصر العباسي، ويأخذ أماداً أرحب من العصر الأموي، فبالإضافة إلى الفئات الثلاثة التي أشرنا إليها فيما سبق، مع كثرةٍ في أفرادها فقد شاركت فئات جديدة في عملية النقد منها: الكتّاب، وحاشية الخلفاء، والمغنّون، وغيرهم، وقد تضافرت الفئات جميعها على تقديم صورة للنقد التطبيقي لا يمكن البتّة لكتب النقد المتخصّصة التي أُلّفت في ذلك العصر، أو بعده بقليل أن تفيَ بها، فقد رأينا ألواناً متنوعة، ومشاربَ مختلفة، ودروباً جديدة، لم نألفها من قبل، فاتّسع النقد، واصطنع أدوات جديدة، ومال إلى الموضوعية والتعليل ميْلاً كبيراً، وأثّر التغيّر الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي عليه تأثيراً شديداً، ولكنّ هذا لا يعني اختفاء النقد التأثري غير المعلّل اختفاءً تاماً، بل ما نزال نجد له أصداء بين الشعراء، والمتذوّقين، ولكنّ التغيّر هو السمة الغالبة على النقد التطبيقي في ذلك العصر.

وممّا يجب ذكره هنا أنّ نوعيات الشعر التي استحسنتها الأذواق في هذا العصر لم تَعُدْ قَصْراً على الشعر الجزل المتين وحده، مثلما رأينا في العصر الأموي، أو شعر المديح، والهجاء حسب، إذ نجد الذوق يميل إلى الشعر السهل، القريب فيستحسنه، ويذهب كذلك إلى الإعجاب بشعر ذي الرمّة - مثلاً - وكان متأخراً في العصر الأموي للأسباب المعروفة، ونرى تقارب أذواق أهل البادية مع أهل الحاضرة، من حيث إعجاب أهل البادية بشعر حضري رقيق مثل شعر العباس بن الأحنف أو شعر اسحق بن إبراهيم، وتبقى للشعر الجزل المتين مكانته ولكن في مواضع يُراد فيها مثل المديح، أو الفخر، أمّا بقية الأغراض فلا بأس بالرقيق من الشعر فهو

أقرب إلى الذوق، وأكثر تلاؤماً مع المكان، وهذا تطوّر لم نلمس له وجوداً في العصور السابقة.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنّنا وجدنا تعبيراً للإعجاب بالشعر لا يقوم على الكلام، والحكم، بل على الفعل والحركة، رأينا هذا في العصرين الأموي، والعباسي. فقد كان المستمع يسجد للشعر الذي يسمعه، أو يرمي نفسه في بئر أو نهر، أو يقوم بأفعال، وحركات تدلّ على الاهتزاز، والذّهول، كلُّ هذا تعبيراً منه عن شدّة الإعجاب بما يسمع، فكأنّه لم يجد ما يقوله، أو يعبّر به كي يترجم إعجابه، فيؤثر القيام بتلك الحركات، وهي، مثلما هو معروف، لا تدخل في صميم النقد، ولكنّها لون من ألوان التعبير، ونمط من الإعجاب غريب.

ويتمثّل المحور الثاني في المقاييس التي اعتمدها (النُّقاد) لاستحسان الشعر، أو استهجانه، ولم تُذكر هذه المقاييس صراحة في كلام المتصدّين لنقد الشعر، ولكنّنا استطعنا استخلاصها من نوعية الأحكام نفسها، وانتشار المقياس الواحد في جمهرة من النصوص، إذ يؤدي جمع شتاته إلى تكوين ظاهرة معينة، تكون جوهر المقياس، والروح العامة التي تهيمن عليه، ومعلوم أنْ لجوء الناقد، أيّ ناقد، إلى مقاييس محدّدة يشير إلى موضوعية في نقده، ونُضْج في أحكامه، وقد استطعنا تحديد أربعة مقاييس كان يحتكم إليها (النقّاد) في هذا الأمر وهي:

ـ قوة الشعر وجزالته، وقد كان هذا المقياس معتَمداً في العصور الثلاثة الأولى، وقد رأينا عدولاً عنه في العصر العباسي إلى حدٍّ ما، فقد لاحظنا أنَّ الشعر الذي كان يُقابل بالإطراء، والمدح، والتقديم، هو الشعر القويّ المتين، ويُنظر إلى الشعر الرقيق، السهل نظرة ملؤها عدم الارتياح، وتتصل هذه النظرة إلى الاستهجان والتأخير، ولعلَّ سيادة القيم البدوية، وذوق البادية قد أثَّر في هذا الأمر كثيراً، يؤيّد هذا تأخير شعر لعدي بن زيد، والكميت، والطرِّماح وغيرهم لأنَّ ألفاظهم ليست بنجديّة، وأنّهم كانوا حضريين، أو يقيمون في الحاضرة، وعلى هذا فإنَّ الشعر المفضّل هو الذي يستمدّ بناءه من البادية في خشونتها، وقوّتها.

ـ تأثير الشعر في نفس المتلقّي، ويعتمد هذا المقياس على مدى ما يحدثه الشعر في نفوس مستمعيه من أثر، وما يثير في نفوسهم من عواطف وانفعالات، فإذا نجح في الاستثارة، فهو شعرٌ جيّد، وإن أخفق فهو رديء، وواضح أنّه مقياس غائم، غير محدَّد، فتغيُّرُ المستمعين، واختلاف عواطفهم يكون مدعاةً لتغيّر الحكم، والشعر هو نفسه لم يتغيّر، ولكنّه على أيّة حال ظلَّ مقياساً مهماً لجودة الشعر أو رداءته، ومن المفيد أن نذكر هنا أنَّ هذا المقياس استمرَّ فاعلاً حتّى في كتب النقد المتخصّصة، فنقرأ للقاضي الجرجاني مثلاً في الوساطة (ص ٢٧)، ما يشير إلى هذا الأمر بعد أن قرأ قصيدة البحتري ومطلعها:

ألامُ على هواكِ وليس عَدْلاً   إذا أحببتُ مثلَكِ أن ألاما

فيقول: « .. ثمّ تأمّل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقّدْ ما يتداخلك من الارتياح، ويستخفّك من الطرب إذا سمعته، وتذكّرْ صبوةً إن كانتْ لك تراها ممثّلةً لضميرك، ومصوّرةً تلقاء ناظرك»، ألم يترك القاضي الشعر، وانشغل بالمتلقّي، وذكرياته، وهمومه؟ ففكرة الأثر والمؤثّر ما تزال قويّة، فاعلة، وبها يقاس الشعر، وهو كلام فيه نظر.

- انتشار الشعر وسيرورته، ويراد به نيوع الشعر بين الناس، وتناقل الرواة له، وإنشادهم إيّاه في المجالس، فكلّما كان الشعر كذلك دلَّ على جودته، وتميّزه، ومن الطبيعي أن يكون الشعر القليل الانتشار رديئاً، أو هو في منزلة دون ذلك الذائع، المستطير. ومن الضروري أن نقف هنا عند بعض النقاط نضيء بها هذا المقياس، إذ وجدنا أنَّ بعض (النقاد) يشيرون إلى اختلاف أذواق الناس، وخاصة أذواق العلماء، وأذواق الجمهرة من الناس، فربّما انتشر شعر في الفئة الثانية، لم يجد له صدى عند الأولى، والعكس صحيح، فما يريده العلماء من الشعر غير ما يريده الناس منه، وهي تفرقة مهمة داخل هذا المقياس تضع له شيئاً من القيود، والمعالم، ورأينا كذلك إشارات من بعض النقاد أيضاً إلى أنَّ الشعر الرائج ليس من الضروري أن يكون عالي الجودة، فقد ينتشر شعر ما بسببٍ سياسي، أو قومي، أو اجتماعي، ويخمل شعر آخر للأسباب نفسها، وهي تفرقة أخرى تجعل من هذا المقياس أدعى للقبول من إطلاقه هكذا بلا قيود.

- المذهب الشعري، وهذا المقياس خاصّ بالشعراء الذين تصدّوا لنقد الشعر، إذ وجدنا كثيراً منهم يقدّم شعراً ما لتوافقه مع مذهبه في القول، أو يؤخّر شعراً معيّناً لاختلافٍ معه في هذا المذهب، رأينا هذا عند جرير والفرزدق مع ذي الرمّة وشعره، ووجدنا هذا عند البحتري في تفضيله شعر دعبل بن علي على شعر مسلم بن الوليد لأنَّ كلام الأول أدخل في كلام العرب، وأكثر ملاءمة لمذاهبهم من الثاني - على حدّ قوله - وهو ما كان البحتري يوصف به، ومن الممكن فَهم هذا المقياس في ضوء تعصّب الشاعر لطرازه في القول، ومنهجه فيه، وإلا لم يَرْتضه لنفسه، ومن الضروري أن يؤخذ بحذر بسبب من هذا التعصب، والنظرة الواحدة.

أمّا المحور الثالث فهو الأدوات التي استخدمها (النقّاد) في نقدهم للشعر، أو وَصْفِهم له، أو الحكم عليه، والحديث عن هذه الأدوات - في الحقيقة - وقوف عند ثقافة الناقد، وما يجب عليه أن يتزوّد به من زاد ثقافي يمكنّه من تحليل الشعر، والحكم عليه، وقد رصدنا - من خلال النصوص - تطوّراً ملحوظاً في عدد الأدوات ونوعيتها، واختلافها من عصر لآخر، ولكنَّ ما نطمئن إليه هو أنَّ هذه الأدوات كانت تزداد، وتتعقّد مع تطوّر الحضارة العربية الإسلامية وتعقّدها، فما وجدناه

في العصر العباسي لم يكن له وجود في العصر الجاهلي أو الإسلامي وهكذا، فكأنَّ النقد كان يستفيد من البيئات الثقافية من حوله، ويحاول تعميق نظرته للشعر من خلال هذه الاستفادة، ورَفْد أدواته بروافد جديدة على الدوام، ولعلّنا نستطيع الوقوف عند خمسة أدوات كان (النقّاد) يستخدمونها في تعاملهم مع النصوص، وهي:

ـ الذوق، جاء في لسان العرب (١١١/١٠)، «ذقتُ فلاناً، وذقتُ ما عنده أي خبرته»، والمعنى عرفته معرفة وثيقة، فكأنَّ هذا المعنى قد انتقل إلى الذوق في النقد، فأضفى عليه شيئاً من ظلاله، فالذوق هو القدرة على تمييز الجيّد والرديء من الشعر، ولا يتمّ هذا إلاّ بتراكم خبرات مختلفة لدى هذا المتذوّق جاءت من طول مدارسته للنصوص، وكثرة قراءته لها، وطول روايته ومعايشته معها، وهناك اختلاف بين نوعين من الذوق، الأول هو الذوق غير المدرب، وتنضوي تحته جمهرة كبيرة من الناس، والقرّاء، وهو ما لا يُراد هنا، أمّا الثاني فهو الذوق المدرَّب، المهذَّب، وهو المقصود هنا. إنَّه ذوق قد تشكّل، وصارت له معالم، وحدود من خلال تلك التجربة مع الشعر، والقراءة المستديمة فيه، وأصبح قادراً على التمييز، والوزن، والنَّظر، وهو من أهمّ أركان التأثرية غير المعلَّلة، ولكنَّ أغلب أحكامها سليمة لأنَّها نابعة من ذلك الذوق، وتلك الخبرة التي تكوَّنت بمرور الزمن، وفي طبقات ابن سلاّم (٦/١)، نصٌّ يوضح هذا الأمر حيث يقول: « .. ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء: إنَّه لنديُّ الحَلْقِ، طلُّ الصوت، طويل النَّفَس، مصيبٌ لِلَّحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بَوْنٌ بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة يُنتهى إليها، ولا علم يُوقف عليه، وإنَّ كثرة المدارسة لتعدي على العلم به»، ويعمِّق الآمدي في الموازنة (٤١٣/١)، هذا المعنى بقوله: «ألا ترى أنَّه قد يكون فَرَسَان سليمان من كُلِّ عيب، موجود فيهما سائر علامات العِتْق والجودة والنجابة، ويكون أحدهما أفضلَ من الآخر بفرقٍ لا يعلمه إلاّ أهل الخبرة والدربة الطويلة .. فإذا قيل من أين فضَّلت أنت هذا الفرس على صاحبه، لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما، وإنَّما يعرفه كلّ واحد بطبعه، وكثرة دربته، وطول ملابسته»، وأشار إلى أنَّ هذا الأمر ينطبق على الشعر وغيره من صنوف الصناعات مع حديث طويل عن التعليل، وكيفيّته ممّا لا علاقة له بموضوعنا.

وسنرى أنَّ الذوق كان أداة مهمة بيد النُّقاد في مختلف العصور، وأصبح المنفذ الطبيعي للنصوص حين يريدون الدخول إليها، للوقوف عندها، ومن ثمّ الحكم عليها. كما لاحظنا أنَّ أغلب (النقّاد) ـ إن لم يكونوا كلّهم ـ كانوا من ذوي الذوق المدرَّب، المصقول، الذي هذَّبته التجربة، وأحكمته مدارسة الشعر، فهم ـ على اختلاف فئاتهم ـ ذوو معرفة شعرية واسعة، وعلم غزير

بمذاهب العرب في كلامها، ولذلك لم تأتِ الأحكام عشوائية، مضطربة، بل أتت وهي نتاج تلك الخبرة الطويلة بالشعر، ولا عجب بعد هذا أن تنال كثير من تلك الأحكام احترام النّقاد المتخصصين، وتدخل في كتبهم، وتكون من ضمن الأسس التي بنوا عليها أحكامهم، أو هياكلهم النّقدية.

- الثقافة الشعرية، ونعني بها ما كان (الناقد) يتزوّد به من اطلاع واسع على الشعر المعاصر له، والتراث الشعري قبله، وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما سبق، وسنرى في النصوص أن (النقّاد) كانوا محيطين بالحركة الشعرية حولهم متعرّفين على خصائصها، غائصين إلى أعماق شعر الشاعر الواحد. فحينما يتصدّى أحدهم لوصف شعر شاعر ما فإنّه يقف عند أهمّ ما يتميّز به، مع إلحاحه على هذا التميّز. بالإضافة إلى إشارات لخصائص أخرى تميّز بها شعره، ويتبيّن هذا أيضاً في الموازنات بين الشعراء، فهي تبيّن معرفة (الناقد) بالفروق الدقيقة بين الشعراء، وبالأغراض التي جوّدوا فيها، وتظهر هذه الثقافة الواسعة في ذلك الشعر الذي تتمثّلُ به الجمهرة من (النقاد)، وهو تمثّل ينبئ عن الإعجاب، والاستحسان، وتظهر أيضاً في تشبيه شاعر معاصر للناقد بشاعر قديم، كأن يكون جاهلياً أو إسلامياً، وتبيان التشابه أو الاختلاف بين هذين الشاعرين، ولعلَّ هذا يدلّ بقوة على الإحاطة بعصور الشعر العربي، ومعرفة مواقع التشابه أو الاختلاف بين أنواعٍ من الشعر. ومن الضروري أن نثبت هنا أيضاً أنَّ هذه الثقافة الشعرية قد دخلت كتب النقّاد المتخصّصين، وهم يتحدّثون عن الأدوات اللازمة للناقد كي يكون ناقداً حقيقياً، ذا رأي مسموع، عند ذاك تقف الثقافة الشعرية في مقدّمة الأدوات وتصبح مدارسة الشعر، والإحاطة بعصوره من الشروط اللازمة للناقد المتخصّص، وإلاّ فإنّه يفقد ركناً خطيراً من أركان أدواته، وتصبح أحكامه جاهزة، فجّة، لا تقوم على النصوص، بل تأتي بمعزل عنها، وهو نقص مهم نبّه النقاد إليه، ودَعَوا إلى تجنبّه.

- اللّغة، وقد آثرنا إفرادها بموضع مستقلّ لأهميّتها، إذ لعلّها تشكّل مع الذوق. أقدم الأدوات بيد الناقد، وأكثرها فاعلية، بالإضافة إلى استمرار الأخذ بها، والتّعويل عليها في عصور النقد العربي المتلاحقة، ونعني باللغة تلك القواعد والأسس التي استخلصها العلماء من خلال استقرائهم للغة العرب، بالإضافة إلى ما يمكن تسميته بالعُرف اللغوي والمواضعات التي درج عليها العرب في كلامهم، وأخذتْ فيما بَعْدُ بُعداً ثالثاً هو النظر إلى التطور الذي أصاب الألفاظ، والتراكيب على حدّ سواء، والوقوف عنده، ومعرفة مدى ملاءمته للغة العرب، أو خروجه عنها، ممّا شكّل حركة نقدية لغوية كبيرة ما بين مؤيّد لهذا الرأي أو معارض له، وقد شكّل هذا بمجموعه تلك

الأداة التي نظر (النقّاد) بموجبها إلى الشعر.

ومنذ العصر الجاهلي وجدنا تلك النظرات اللغوية إلى الشعر التي تقوى وتنضج في العصر الأموي بظهور طبقة من العلماء، كانت العلوم اللغوية جزءاً مهمّاً من ثقافتها، وأصبحوا لا ينظرون - على وجه التقريب - إلى الشعر إلاّ من خلال هذه الزاوية، وقد أدّى هذا الأمر إلى حدوث خلاف حادّ بين اللغويين من جهة، والشعراء من جهة أخرى، بسبب اختلاف النظرتين إلى الشعر، ولعلّ مما سنراه من نزاع الفرزدق مع عنبسة الفيل، وعبد الله بن أبي إسحاق، وخصومة خلف، وابن الأعرابي - مثلاً - مع شعراء عصريهما، لعلّ هذا يبيّن بجلاء أنّ كثيراً من الشعراء لم يعيروا قواعد اللغويين، وقوانينهم أهمية كبيرة، ولكنّ اللغويين، مع هذا كلّه، ظلّوا مخلصين لتلك القواعد، داعين الشعراء إلى الأخذ بها، وموجّهين اللوم، والتخطئة لمن يخرج عليها، أو يأتي بشيء لا يتّفق معها.

وقد بقيت اللغة أداة مهمة من أدوات النقد لا يُستغنى عنها، ومادام الشعر في جوهره بناءً لغوياً، ألفاظُه، وتراكيبُه غاية في نفسها، وليست وسيلة إلى شيء آخر، فسيظلّ النقد اللغويّ على شتّى صوره، وألوانه معلماً بارزاً من معالم النقد العربي لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

- العلوم السائدة، ويراد بها الحقول الثقافية الأخرى التي يلجأ إليها (الناقد) فيتزوّد منها، ويستخدمها بعد ذلك في مجمل العملية النقدية، من ذلك، القرآن الكريم وتفسيره، وحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، والفقه، والتاريخ، وأسماء المواضع، وأيام العرب، والأخبار، والأنساب، والأنواء، وغيرها، ومن الضروري أن نذكر هنا أنّ أولئك (النقّاد) كانوا يستخدمون من هذه العلوم ما هو متاح، موجود في بيئاتهم: كما إنّهم يتفاوتون فيما بينهم في مقدار تحصيل علم ما، كثرةً أو قلّة، أي إنّ ما هو متاح في العصر الأموي غير ما هو منتشر، ذائع في العصر العباسي، وكلا العصرين يختلفان في هذه الناحية عن العصرين: الجاهلي، والإسلامي، ومردُّ هذا إلى تطوّر الحركة العلمية، وتعقّدها، وظهور علوم جديدة لم تكن من قبل، أو تعميق النظر في علوم نشأت في العصر الإسلامي وأخذت أماداً أرحب في العصور اللاحقة، كما إنّ (الناقد) نفسه يتزوّد من هذه العلوم بما يتّفق مع مزاجه، ومَيْله، وتركيبه الفكري، والثقافي، فليس كلّهم سواء في تحصيل هذه العلوم، ولذلك رأينا اهتمام ناقد ما بجانب من الشعر، وتوجيه النقد إليه، ولم يلفت هذا الجانب ناقداً آخر، بل نظر إليه نظرة مختلفة، مستخدماً علماً آخر، برع فيه، وتزوّد منه ما شاء له التزوّد، ولكنّ جَمْعَ هذه النصوص التي استخدمتِ العلومَ المشار إليها آنفاً، يؤدي إلى تكوين صورة واضحة عن نوعية العلوم التي اتُّخِذَت أدوات في النظر النقدي، وهو ما رأيناه

فيما بعد مبسوطاً في كتب النقد المتخصّصة التي اشترطت على الناقد الواحد أن يبذل الجهد والطاقة في جمع علوم شتّى، كي يقف مع الشعر على صعيد واحد، ويستطيع مجاراة الشعراء، وهم المثقّفون، فيما يأتون به من فنون، ومايوغلون فيه من علوم يضمّنونها شعرهم.

ـ العُرف الاجتماعي، ونعني به ما استقرّ في الوجدان العربي عن صنوف الأوصاف، والتشبيهات، والاستعارات، والأساليب الأخرى السائدة في الشعر. فقد كان (الناقد) يلجأ إلى هذه الأمور حين ينظر إلى الشعر، فيحكم عليه بالخطأ أو الصواب من خلالها، كأن يأتي شاعر ما بوصف للفرس في أبيات فيتصدّى له (الناقد) بالتخطئة على اعتبار أنّ وصفه مخالف لما استقرّ عند العرب من أوصاف الفرس الجيّد، أو يأتي الشاعر بأسلوب معين فيُنعت بالخطأ لأنّ هذا الأسلوب لم تعرفه العرب أو تدرج على الأخذ به في كلامها، ولعلّ هذه الأداة تثير جدلاً واسعاً من حيث إنّ هذا النقد (محافظ)، لا يلتفت إلى الجديد، ويدعو إلى تقييد حركة الشاعر داخل شعره، ويجعله سائراً على الدوام في ركاب الأقدمين، قد يقال مثل هذا الكلام، ويُقال ما هو أكثر منه، ولكنّ ما وجدناه في النصوص يشير إلى هذا، ويومئ إليه، وممّا يجب إضافته هنا هو أنّ كثيراً من كتب النقد المتخصّصة قد أخذت بهذه الأداة، واستخدمتها في نظرتها إلى الشعر، ولعلّ الآمدي صاحب كتاب الموازنة خير مثال على هذا، فقد واجه أبا تمام بالتخطئة، ووصفه بقول المحال، والإغراق، وليس من سبب لهذا سوى خروج أبي تمام على هذا العُرف الذي أشرنا إليه، والآمدي يصرّح بهذا تصريحاً كاملاً، فهو يذكر أنّ أبا تمام أخطأ لأنّه قال ما لم يقله السابقون، ويروح بعد هذا يعدّد أبياتاً لشعراء جاهليين، وأمويين قد نهجوا نهجاً معيناً، ولكنّ أبا تمام خالفهم، فاستحقّ التخطئة، واللّوم. وعلى أيّة حال. فإنّ هذه الأداة كانت أكثر انسجاماً مع أولئك (النقّاد) الذين يؤثرون النمط القديم في الشعر، وقد اتّسعت كثيراً في العصر العباسي في ظلّ الاصطراع بين القديم والجديد، وتفضيل كلّ فئة للّون الذي تأنس به من الشعر، وتأخذ على أولئك الشعراء أو النّقاد الذين يخالفونهم، أو يخرجون على ما استقرّت عليه أعراف وتقاليد الشعر العربي.

ونقف أخيراً عند المحور الرابع لهذه القضية، وهي المصطلح النقدي الذي استخدمه (النقّاد) في وصفهم الشعر، أو الحكم عليه، ومن المعروف أنّ المصطلح النّقدي من أهمّ قضايا النقد الأدبي التي يطول الحديث عنها، ولن نشغل هذه المقدّمة بالحديث عن إشكالية المصطلح النقدي، وتعدّده بين النقّاد، وضرورة إيجاد مصطلح موحّد يجمع النقّاد على رأي واحد، وكلمة سواء، فهذا كلّه ليس موضعه هنا، وسنكتفي بالتوقّف عن المصطلح مثلما أظهرته النصوص التي

بأيدينا، وكيفية استخدام (النقّاد) له.

لعلَّ أوّل ما ينبغي الوقوف عنده هو كثرة المصطلحات التي قابلتنا في النصوص منذ العصر الإسلامي، وإلى العصر العباسي، وقد شُرح كلُّ مصطلح في موضعه من النَّصّ من خلال التعليقات على النصوص، وهذه نماذج من المصطلحات التي كَثُر استخدام (النقّاد) لها: البارد ـ الحارّ ـ الفاتر ـ الإقذاع ـ الطراز ـ الفحولة ـ عمود الشعر ـ النسج ـ الحَوْك ـ الطبقة ـ تنقيح الشعر ـ التخلّص ـ المعاظلة ـ التكلّف، وغيرها، وقد وردتْ تلك المصطلحات بألفاظها السابقة، ودلّتْ على ما تدلّ عليه في كتب النقد المتخصِّصة، ممّا يشير إلى وعي أولئك (النقّاد) بدلالة المصطلح، والمعنى الدقيق الذي يشير إليه، كما قابلتنا مصطلحات في زمن مبكر لتأليف كتب النقد مثل العصر الإسلامي والأموي، وانتقلت بدلالتها التي كانت عليها في تينك العصرين إلى العصر العباسي، وكتبِ النقد المتخصّصة، ممّا يشير إلى جذور المصطلح، وكونه عربيّاً نبت في تلك البيئة، ونشأ فيها، واستمدّ حياته من تربتها، وارتوى من مائها، وممّا يقوّي هذا الأمر، ويدعمه ما وجدناه عند بعض (النقّاد) من استخدامهم ألفاظاً معيَّنة لا ترقى إلى أن تُسمّى مصطلحاً، ولكنّها اتُّخذت لوصف الشعر، أو الحكم عليه، مثل تشبيه الشعر بالبازل وهو الجمل العظيم، أو تشبيهه بنقط العروس، وطوالع النُّجد، وخوالد المهد، أو يقال من جاء بالبديع الجديد لِمَنْ الشعر: لقد أقفرتَ، أو أفليتَ، أي رعيت فلاة قفراء غير مطروقة، وغير هذا كثير، وهو يشير إلى ارتباط هذه الألفاظ بالبيئة تستمّد منها مواضعاتها، وتعتمد عليها في النّقد، والحكم. وممّا يرتبط بهذا الأمر ما وجدناه في بعض النصوص من إشارات إلى بعض الظواهر في الشعر بلا ذكر لمصطلح ما، ولكنّ هذه الظواهر نفسها ستتحدّد فيما بعد تحت مصطلح معيّن، وسيكون لها مباحث واسعة في كتب النقد المتخصّصة، وهذا يدعم أيضاً فكرة الجذر التي أشرنا إليها فيما سبق، من ذلك وَصْفُ شعر شاعر بأنّه خِلْف، ويريدون به (التفاوت) الذي استقرّ مصطلحه فيما بعد، أو الإشارة إلى التحام أبيات قصيدة ما، وهو ما يُدعى بـ (القِران) فيما بعد أيضاً، أو استقصاء الشاعر، وتفصيل ما ابتدأ به، وعدم مغادرة قسم يقتضيه المعنى، وهو ما أُطْلِق عليه (التقسيم)، وغير هذا، وهو يومئ إلى بدايات تشكُّل المصطلح في نفوس (النقّاد)، وإحساسهم أنّ هذا التركيب الذي يقابلونه يدلّ على أمر ما، ولكنّهم لم يستطيعوا تحديد مصطلح معيّن له، حتّى جاء الوقت المناسب، وكثُرت الظواهر، وتعدّدت، وعالجها غير واحد من الدارسين، فاستقرّت على مصطلحها المعروف في كتب النقد المتأخرة. ولعلّ ما حواه الأغاني من مصطلحات في هذه القضية، وغيرها يقدّم رافداً ثرّاً لدارسي المصطلح، وجذوره، وتطوّره التاريخي، وهذا ما يراد من تلك الدراسات.

هذه هي المحاور الأربعة التي استطعنا استخلاصها من هذه القضية، ولابدَّ من التنويه هنا إلى أنَّ شخصية أبي الفرج النقدية قد بدأت في الظهور، بخلاف ما رأيناه فيما سبق، وخاصَّة في القضية الأولى، إذ نجده هنا متنوِّقاً للشعر، مبدياً رأيه في كثير من نصوصه، محبًّاً للشعر الجزل المتين، غير غافل عن التغيُّر الذي أصاب الشعر في العصر العباسي، فهو ابن عصره، ولذلك رأيناه يقف عند نماذج من الشعر الرقيق، السهل فيعجب بها، ويبيِّن محاسنها، ثمَّ أليس أخيراً هو الشاعر الذي ينطق بلسان بيئته، ويستمدُّ قيم شعره وأساليبه منها، وفي هذا توضيح كافٍ لإعجابه بنوعي الشعر: الجزل المتين، والرقيق السَّهل.

العصر الجاهلي

(١)

... وقصيدة قيس بن الخطيم:

أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهبِ   لعمْرَةَ وحْشاً غير موقف راكبِ

هي مما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه وفضَّله وقدَّمه من أجله. (٨/٣)

(٢)

قالت (جميلة): نازع امرؤ القيس علْقمةَ بنَ عبدَةَ الفحلَ الشعر؛ فقال له: قد حكَمْتُ بيني وبينك امرأتك أمَّ جُنْدب؛ قال: قد رضيتُ، فقالت لهما: قُولا شعراً على رويٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيل. فقال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدبِ   أقـضِّ لُبانـاتِ الفـؤادِ المُعذَّبِ(١)

وقال علْقمة:

ذهبتَ من الهِجْران في غير مذْهبِ   ولـم يـكُ حقًّـا كـلُّ هـذا التجنُّبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ علقمةَ. فقال لها زوجُها: بأيِّ شيء غلَّبته؟ قالت: لأنك قلت:

فللسَّوْطِ ألْهوبٌ وللساق دِرَّةٌ   وللزَّجْرِ منه وقْعُ أهْوجَ مِنْعبِ(٢)

فجهدْتَ فرسكَ بسوْطِك، ومريْته بساقك(٣) وزجْرك، وأتْعبته بجهْدك. وقال علقمةُ:

فولَّى على آثارهنَّ بحـاصبٍ   وغَبْيـةِ شُؤبُوبٍ من الشدِّ مُلْهبِ(٤)

---

(١) لُبانات: حاجات. (٢) ألهوب: يعني ألهب جَرْيه حين زجره، وللسَّاق دِرَّة: أي إذا غُمز درَّ بالجري، والأخرج: ذكر النعام وهو الظليم، ومِنعب: الأحمق المصوِّت، وفي لسان العرب (١/٧٦٥): «فرس مِنْعب: جواد يمدُّ عنقه كما يفعل الغراب»، وينظر الموشَّح للمرزباني (ص ٢٩).

(٣) مرى الفرس: استخرج جريه.

(٤) على آثارهنَّ: يعني البقر، وبحاصب: يعني بِعَدْو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر. والغبية: =

فــأدركــهنَّ ثانيــاً من عنانه   يَمُــرّ كــمــرِّ الرائح المُتَــحلِّب(١)

فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمرِه بساق، ولم يُتعبْه بزَجْر. فقال ابن عائشة: جُعلتُ فداك! أتأذنين أن أحدِّث؟ قالت: هيه قال: إنما تزوّج أمّ جُنْدب حين هرب من المُنْذر بن ماء السماء فأتى جبلَي طيِّء، وكان مُفرَّكاً(٢). فبينا هو معها ذاتَ ليلة إذ قالت له: قُمْ يا خيرَ الفتيان فقد أصبحتَ، فلم يَقُم؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجر فقال لها: ما حملكِ على ما صنعت؟ فأمسكتْ. وألحّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العجيزة، سريعُ الإراقة، بطيءُ الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكت. فلما أصبح أتى علقمةَ وهو في خيْمته وخلْفَه أمّ جُنْدب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علْقمة مثلَ ذلك، فتحاكما إلى أمّ جُنْدب، ففضَّلت أمّ جندب علْقمة على امرئ القيس. فقال لها: بم فضَّلْتِه عليّ؟ قالت: فرسُ ابن عبدةَ أجودُ من فرسك، زجرتَ وضربتَ وحرّكت ساقيْك، وابنُ عبدةَ جامدٌ لا مقتدر(٣). فغضب من قولها وطلَّقها وخلفَ عليها علْقمةُ. (١٩٤/٨)

(٣)

قال: وأنشد الأعشى قصيدته هذه(كِسْرى) ففُسِّرت له؛ فلما سمعها قال: إنْ كان هذا سهر لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصٌّ. ومطلع القصيدَة:

أرِقْتُ وما هذا السهاد المؤرِّقُ   وما بيَ من سُقْمٍ وما بي معْشَقَ(٤)   (١١٥/٩)

= المطرة التي تجيء شديدة. والشؤبوب: أوّل كلّ شيء وحدّته، وملهب: مثير للهب من جريه، واللهب: الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار.

(١) أدركهنّ: يعني أدرك البقر أي وصلها، وثانياً: جانباً، والرائح يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ، والمتحلّب: المتساقط المتتابع.   (٢) المفرّك: الذي تبغضه النساء.

(٣) نلاحظ ظهور التعليل في هذا الخبر، فأمّ جندب تقدّم تعليلاً لتفضيلها شعر علقمة على شعر امرئ القيس، للأسباب التي ذكرتها، ونحن نعلم أنّ التعليل من سمات النقد الناضج. وبعض الدارسين يدفع صحة هذا الخبر بسبب من ذلك التعليل الذي لا يتناسب ـ فيما يقولون ـ مع العصر الجاهلي.

(٤) من الواضح أنّنا نستطيع فهم تعليق كسرى بسهولة، فقد غابت عنه الروح العربية التي تقف خلف هذا الشعر، وتقاليد القصيدة التي ضُيِّعت بسبب من هذه الترجمة، وهذا يذكّرنا برأي الجاحظ في ترجمة الشعر إذ قال: « ... والشعر لا يُستطاع أن يُترجم، ولا يجوز عليه النَّقل، ومتى حُوِّل تقطّع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجّب». الحيوان (٧٥/١). وقد حدث هذا الذي ذكره الجاحظ لبيت الأعشى، وينظر حول ترجمة بيت الأعشى، الشعر والشعراء (٢٥٨/١)، وخزانة البغدادي (٢٥٣/٣).

(٤)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُكّريّ، قال قال: أبو عمرو الشَّيْبانيّ: قال عنترةَ هذه القصيدة (التي مطلعها: هل غادر الشعراء من متردَّم) لأن رجلاً من بني عبْس سابُّه فذكر سواده وسواد أمّه وإخوته وعيَّره ذلك. فقال عنترة: والله إن الناس ليترافدُون(١) بالطُّعْمة، فوالله ما حضرت مرْفدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جدُّك قطُّ. وإنَّ الناس ليُدْعَوْن في الفزع فما رأيتك في خيلٍ قطُّ، ولا كنتَ في أوّل النساء، وإن اللَّبْس (يعني الاختلاط) لَيكونُ بيننا فما حضرت أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطّةٍ فيْصلٍ قطُّ، وكنتَ فَقْعاً بقَرْقَرة(٢). ولو كنتُ في مرتبتك ومغرسِك الذي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتُك، أو طاولتُك لطلْتُك. ولو سألتَ أمّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته، وإنّي لأحتضر الوغى، وأوفي المغْنم، وأعِفُّ عن المسألة، وأجُودَ بما ملكتُ، وأفصل الخُطّة الصَّمْعاء(٣)، فقال له الآخر: أنا أشعرُ منك. فقال: ستعلم!. وكان عنترة لا يقول من الشِّعر إلاّ البيتَ أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. ويزعمون أنها أوّل قصيدة قالها. وكانت العرب تسمّيها المُذْهبة. (٩/٢٢٣)

(٥)

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني محمد بن سعْد الكُرانيّ عن أبي عبد الرحمن الثّقفيّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة: أن نابغة بني ذُبيان كان تُضرب له قُبة من أدم بسُوق عُكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء(٤): فدخل إليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته

---

(١) يترافدون: يتعاونون. (٢) فقعاً بقرقرة: مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على مَنْ يضيمه، والفقع: هجين الكمأة، وهو أبيض سريع الفساد، قليل الصبر عن الحياء، ولا يمتنع على مَنْ اجتناه، والقرقرة: الأرض المستوية السهلة.

(٣) الصمّعاء: الحازمة. (٤) إنَّ ضرب القبّة لشخص معين يعني التقديم والتكريم، فإذا كان شاعراً، وجاءته الشعراء تعرض عليه أشعارها أخذ التكريم سَمْتاً آخر، ومذهباً جديداً. هو النقد، فكلُّ من أتى إلى النابغة يعرف سلَفاً أنّه سيعرض شعره على ناقد، وينبغي أن يرضى بحكمه، ومن خلال معرفتنا بأسماء بعض الشعراء الذين وفدوا إلى تلك القُبة مثل الأعشى، والخنساء، وهم من متقدّمي الشعراء، أقول من خلال معرفتنا ببعض الشعراء ندرك المكانة النقدية الكبيرة التي يتمتع النابغة بها، فلا يرضى شاعر أن يعرض شعره على مَنْ هو أدنى منه، وخاصة شاعر كبير مثل الأعشى.

ومن المفيد أن نضيف هنا أنَّ ضَرْبَ القبّة كان معروفاً بين العرب، ويراد منه التكريم والاحترام لِمَنْ تُضرب =

الخنساء قولها: قذىً بعينكِ أم بالعين عوّارُ

حتى انتهتْ إلى قولها:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنه علمٌ في رأسه نار

وإنّ صخراً لمولانا وسيِّدُنا ... وإنّ صخراً إذا نشتُو لنحّار

فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلكِ لقلت: إنكِ أشعر الناس(١)! أنت واللهِ أشعر من كل ذات مثانة. قالت: والله ومن كلّ خُصيتين. فقال حسّان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ حيث أقول:

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعْنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجْدةٍ دما

ولدْنا بني العنْقاء وابنيْ محرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابْنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قلّلتَ عدد جفانك وفخرْتَ بمن ولدتَ ولم تفخرْ بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت «الجفنات» فقلّلتَ العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثر. وقلت «يلمعن في الضُّحى» ولو قلت «يبْرُقْنَ بالدُّجى» لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً. وقلت «يقْطُرْنَ من نجدة دماً» فدلّلتَ على قلة القتْلِ ولو قلت «يجْرِينَ» لكان أكثر لانصباب الدّم. وفخرْتَ بمن ولدْتَ ولم تفخر بمن ولدك(٢). فقام حسّان منكسراً منقطعاً. (٩/٣٣٩)

= له هذه القبّة. فعلى سبيل المثال، أنّ النعمان بن المنذر كان يضرب على مَنْ يريد قبّة من أدم حمراء. «فإذا فعل ذلك برجل عُرِف قدره منه ومكانته عنده». الأغاني(٩/٥٢). ويصف عبيد بن الأبرص قومه بأنّهم كانوا:

أهلَ القباب الحُمْر والنَّـ ... ـعم المؤبَّل والمدامه

الأغاني (٩/٨٣). وكان كعب بن جعيل شاعر بني تغلب «وكان لا يأتي منهم قوماً إلاّ أكرموه وضربوا له قُبّة» الأغاني (٨/٢٨٠). وغير هذا كثير.

(١) سنتوقف عند هذا المصطلح: (أشعر) في قضية مستقلّة.

(٢) هذا من نصوص النقد الجاهلي المشهورة، وقد أوردته كتب تاريخ النقد جميعها، وهو يشير إلى وجود تعليل ما، قوّى به النابغة حكمه على بيْتَيْ حسان، وقد شكّ بعض الدارسين في هذا التعليل، ونبع شكّهم من أن هذا التعليل لا يتناسب مع المستوى الثقافي للعصر الجاهلي، وهو تعليل متأخر عن هذا العصر يتلاءم مع العصر العباسي. وفي الموشّح للمرزباني (ص٨٣) تفصيل دقيق لهذا الخبر نرى فيه أنّ شيئاً من كلام الصولي قد تداخل مع كلام النابغة، وينظر كذلك تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد إبراهيم (ص١٩).

(٦)

... عن ابن قتيبة: ... وكان (عمرو بن كلثوم) قام بهذه القصيدة خطيباً بسوق عكاظ (ومطلعها: ألا هبّي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الأندرينا) وقام بها في موسم مكة، وبنو تغلب تعظّمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم، حتى هُجُوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلب عن كلّ مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً مذ كان أولهم   يا للرجال لشعر غير مسئوم   (٥٤/١١)

(٧)

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثني عبد الملك بن قُرَيْب قال: كان يُضرب للنابغة قُبّةٌ من أدمٍ بسوق عُكاظ، فتأتيه الشعراء فتعْرِض عليه أشعارها. قال: وأوّل من أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساءُ بنت عمرو بن الشَّريد:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به   كأنّه علمٌ في رأسه نارُ

فقال: والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني آنفاً لقلتُ إنك أشعر الجنّ والإنس. فقام حسّان فقال: والله لأنا أشعرُ منك ومن أبيك!. فقال له النابغة: يابن أخي، أنت لا تُحسن أن تقول:

فإنّك كاللّيل الذي هو مُدْركي   وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينةٍ   تمُدّ بها أيدٍ إليك نوازعُ(١)

قال: فخنسَ(٢) حسّان لقوله.   (٦/١١)

(٨)

وكان النابغة قال في هذا البيت: «وبذاك خبّرنا الغُرابُ الأسودُ» ثم ورد يثْرِبَ فسمعه يُغنَّى فيه، فبان له الإقواءُ، فغيَّره في مواضع من شعره.   (٩/١١)

---

(١) الخطاطيف: جمع خُطّاف، وخُطّاف البئر حديدة معوجة تستخرج بها الدّلاء وغيرها، وحجن، واحدها أحجن، والأنثى حجناء، وهي المعوجّة، ونوازع: جواذب، يقول: لك خطاطيف هذه صفتها أجريتها إليك، وهذا تمثيل، يريد أنّه في قبضتيده، لا مفرّ له منه.

(٢) خنس: انقبض، أو رجع وتنحّى.

(٩)

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبي: قال أبو عُبيدة: كان فحلانِ من الشعراء يُقويان: النابغةُ وبشرُ بن أبي خازم(١). فأمَّا النابغة فدخلَ يثربَ فهابُوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت، فدعوْا قينةً وأمروها أن تغنّي في شعره ففعلتْ. فلمَّا سمع الغناء «وغير مزوّدِ» و«الغرابُ الأسودُ» وبان له ذلك في اللحن فطنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ. وأمَّا بِشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادةُ: إنَّك تُقْوي. قال: وما ذاك؟ قال: قولُك: «وينسى مثلَ ما نسيتْ جُذامُ» ثم قلت بعده «إلى البلد الشآمِ»، ففطن فلم يَعُدْ. (١٠/١١)

(١٠)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا: كان النابغةُ يقول: إنَّ في شعري لعاهةً ما أقفُ عليها. فلمَّا قدم المدينة غُنّي في شعره؛ فلمَّا سمع قوله: «واتَّقتْنا باليدِ» و«يكاد من اللَّطافة يُعْقَدُ» تبيَّن له لمَّا مُدَّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء، ومُدَّتْ «يُعقدُ» فصارت الضمّة كالواو؛ ففطن فغيَّره وجعله:

عنَمٌ على أغصانه لم يُعْقَدِ

وكان يقول: وردتُ يثْربَ وفي شعري بعضُ العاهة، فصدرتُ عنها وأنا أشْعَرُ الناس. (١٠/١١)

(١١)

... قال (النعمان بن المنذر) بعد أن سمع شعراً: هذا شعرٌ عَلْويّ(٢)، هذا شعر النابغة(٣).

(٢٨/١١)

---

(١) من الممكن اعتبار الإقواء ظاهرة موجودة في الشعر الجاهلي، لا يقتصر وجوده عند هذين الشاعرين. ونسمع للأخفش رأياً حول هذا الموضوع إذ يقول: «وقد سمعتُ مثل هذا من العرب كثيراً ما لا يُحصى. قلَّ قصيدة ينشدونها إلاّ وفيها إقواء، ثم لا يستنكرونه، وذلك لأنّه لا يكسر الشعر» ينظر كتاب القوافي، للأخفش (ص٤٢)، وقد عدَّ بعض الدارسين وجود الإقواء في الشعر الجاهلي دليلاً على أنّ الرواة لم يصلحوه إصلاحاً واسعاً. ينظر العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، (ص١٨٥)، ولكنّه يظلّ في الأحوال كلّها عيباً من عيوب القافية حاول كبار الشعراء تجنّبه.

(٢) عَلْوي: نسبة إلى العالية على غير قياس، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة، وقرى بظاهر المدينة. ينظر معجم البلدان (٧١/٤).

(٣) كأنَّ النعمان ميّز الشعر الذي سمعه، وردّه إلى أرضه، فقال هو علوي، ولم يكن يتوقّع أن يأتيه من العالية =

(١٢)

... قال حسّان: حسدتُ النابغة على ثلاث لا أدري على أيّتهن كنتُ له أشدَّ حسداً: على إدناء النُّعْمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه، أم على جَوْدة شعره أم على مائة بعيرٍ من عصافيره(١) أمر له بها.   (٢٨/١١)

(١٣)

... قال الأصمعي: حدّثني عيسى بن عمر أنَّ (قصيدة سويد بن أبي كاهل ومطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا … فوصلنا الحبلَ منها ما اتّسع)

كانت في الجاهلية تُسمى: «اليتيمة»   (١٠٢/١٣)

(١٤)

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عبيد الله، عن ابنَ حبيب. وأخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرانيّ، قال: حدّثنا العمريّ، عن لقيطٍ قالوا: اجتمع الزبرقانُ بن بدر والمخبل السعديّ وعبْدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلموا، وبعدَ مبعث النبيِّ(ص)، فنحروا جَزُوراً، واشتروا خمراً ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أنَّ قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطِرْنا، فتحاكموا إلى أوّل من يطْلُعُ عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسديّ، وقال اليزيديّ: فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم، فدُلّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أيُّنا أشعرُ؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فأمّنوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحرت، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعةُ بن حذار: وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يُترك نيئاً فيُنتفعَ به، وأما أنت يا مخبلُ فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادةٍ(٢) أحْكِم خرزها فليس يقطر منها شيء(٣).

(١٩٧/١٣)

= سوى النابغة، فنسبه إليه، وقد صحّت النسبة.

(١) العصافير: إبل نجائب كانت للملوك.   (٢) المزادة: الراوية، وقيل لا تكون إلاّ من جلدين بينهما ثالث لتّتسع.

(٣) نرى أنّ هذا (الناقد) قد عمد إلى أمرين في مقولته النقدية عن شعر هؤلاء الأربعة، أولهما الوصف، حيث =

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المَهلّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهريّ قال: حدّثني يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال: قال حسان بن ثابت: أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغسّاني وقد مدحتُه، فأذن لي فجلستُ بين يديه، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتان، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أمّا هذا فأعرفه، وهو النابغة، وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو علقمة بن عبدة، فإن شئتَ استنشدتهما وسمعتَ منهما، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِدَ بعدهما أنشدتَ، وإن شئتَ أن تسكت سكتَّ. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ   وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

قال: فذهب نصفي(١). ثم قال لعلقمة: أنشد. فأنشد:

طَحابكَ قلبٌ في الحسانِ طروبِ   بُعيد الشباب عصرَ حانَ مشيبُ

فذهب نصفي الآخر فقال لي: أنت أعلم، الان إن شئتَ أن تنشدَ بعدهما أنشدتَ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ، فتشدّدتُ ثم قلت: لا بل، أنشد، قال: هات، فأنشدتُه:

للـه درُّ عصـابـةٍ نادمـتُهـا   يومـاً بجلّق في الزّمـان الأوّلِ
أولاد جفْنة عندَ قبر أبيهـم   قبـرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ
يسقُونَ مَن ورد البريص عليهـم   كـأسـاً تُصفّق بالرحيق السلسلِ
يُغشـونَ حتّى مـا تهرُّ كـلابُهم   لا يسألون عن السُّواد المقبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم   شمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوّلِ

وصف شعرهم بلا تقديم لأحدهم بشكل صريح. وثاني الأمرين هو التشبيه، إذ شبّه شعر كلّ واحد منهم بما يرى أنّه يُشبهه، فالبرود اليمنية لشعر عمرو، ولحم الجزور لشعر الزبرقان، وشهب النار لشعر المخبّل، والمزادة لشعر عبدة، وهذا يشير - من ضمن ما يشار إليه - إلى ضعف ملكة التحليل عند هذا الناقد، وعدم القدرة على تسمية الأشياء بأسمائها، ولكنّه مع هذا كلّه يبدو خبيراً بشعر هؤلاء الأربعة، عارفاً بالسمات العامة التي يتميّز بها شعر كلّ واحد منهم، وجاءت ملاحظاته هذه، نتيجةً لتلك الخبرة، وقد عدُّ الدكتور إحسان عباس هذا النموذج من «أرقى الأمثلة، وأشدّها دلالة على طبيعة النقد الأدبي ..»، ينظر تاريخ النقد الأدبي (ص ١٣).

(١) ذهب نصفي: يعني بدأت أتساقط من جودة الشعر حتى لم يبق عندي شيء أقوله.

فقال لي: ادنُهْ ادنُهْ، لعمري ما أنتَ بدونهما(١). ثم أمر لي بثلثمائة دينار، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد، وقال: هذا لك عندنا في كلِّ عام. (١٥/١٥٧)

(١٦)

وكان لبيد يقول الشعر ويقول: لا تُظْهروه، حتى قال: عفت الدِّيارُ محلُّها فمُقامها

وذكر ما صنع الربيع بن زياد، وضمْرة بن ضمرة. ومنْ حضرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيدٌ حينئذ: أظهروها(٢). (١٥/٣٦٧)

(١٧)

قال محرز بن أبي هريرة: كنَّا عند معاوية، فتذاكرنا ملوك العرب، حتى ذكرنا الزَّباء وابنة عفزر، فقال معاوية: إني لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم، وماويةُ بنت عفْزَر، فقال رجل من القوم: أفلا أحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى. فقال: إنَّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج مَنْ أرادت، وإنها بعثت غلماناً لها وأمرتْهم أن يأتوها بأوسَمِ مَنْ يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: حتى أخبرك، وقعد على الباب، وقال: إني أنتظر صاحبين لي، فقالت: دونك أستدخل المجْمر. فقال: استي لم تُعوَّد المِجْمر، فأرسلها مثلاً، فارتابتْ منه، وسقتْه خمراً ليسكر، فجعل يهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائقٍ قرىً ولا قارٍ حتى أنظر ما فعل صاحباي. فقالت: إنَّا سنرسلُ إليهما بقرىً، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما. قال: فأتاهما، فقال: أفتكونان عبْدين لابنة عفْزر، ترعيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما؟ فقالا: كلُّ شيء يُشبه بعضُه بعضاً، وبعضُ الشرِّ أهون من بعض، فقال حاتم: الرحيل والنجاة.

وذكروا أن حاتماً دعتْهُ نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النَّبيت؛ فقالت لهم: انقلبُوا إلى رحالكم، وليقُل كلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني أتزوَّج أكرمكم وأشعركم.

---

(١) جعل جبلة بن الأيهم حسَّانَ بن ثابت على مستوى واحد مع شاعرين من كبار شعراء العصر الجاهلي، بسبب هذه القصيدة، ومن المعروف أنَّها من عيون شعر حسَّان.

(٢) كانَّ الشاعر كان يخفي ما يقول. اتِّهاماً لنفسه، ومظنَّة في أنَّ ما قاله ليس جيداً، ولعلَّه استوى على ساقه، ونضج في هذه القصيدة، فطلب أن تُروى وتظهر، وهي من أشهر قصائد لبيد.

فانصرفوا ونحر كلُّ واحد منهم جزوراً، ولبست ماوية ثياباً لأمةٍ لها وتبعتهم، فأتتْ النَّبيتيّ فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل(١) جمله فأخذته، ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنبَ جزوره فأخذته، ثم أتت حاتما وقد نصب قِدره فاستطعمته، فقال لها: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العَجُز والسنام، ومثلها من المِخْدش، وهو عند الحارك(٢)، ثم انصرفت. وأرسل كلُّ واحد منهم إليها ظهر جمله، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية. وصبَّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النَّبيتيّ:

هلاَّ سألتِ النَّبيتيِّنَ ما حسبي ... عند الشتاء إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ
وردُّ جازِرِهم حرفاً مُصرَّمةً ... في الرَّأس منها وفي الأصلاء تمليح(٣)
وقال رائدُهم: سيَّان مالهُم ... مِثْلانِ مِثْلٌ لمن يرعى وتسْريحُ
إذا اللِّقاحُ غدت مُلْقىً أصرَّتُها ... ولا كريمَ منَ الولدان مصْبُوحُ(٤)

فقالت له: لقد ذكرت مجْهدةً ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول:

هلاَّ سألتِ بني ذبيانَ ما حسبي ... إذا الدُّخانُ تَغَشَّ الأشمطَ البرما(٥)
وهبَّتْ الريحُ منْ تلقاءِ ذي أرُلٍ ... تُزْجي مع الليل منْ صُرَّادها الصِّرَما(٦)
إنّي أتمِّمُ أيْساري وأمْنحُهُم ... مثْنى الأيادي وأكْسُو الجفْنةَ الأدُما(٧)

فلمَّا أنشدها قالت: ما ينفكُّ الناس بخير ما ائتدموا، ثم قالت: يا أخا طيِّء أنشدني، فأنشدها:

أماويُّ قد طال التَّجنُّبُ والهجْرُ ... وقد عذرتْني في طلا بكُمُ العُذْرُ

---

(١) الثَّيل: وعاء قضيب البعير. (٢) المخدش: كاهل البعير، والحارك: أعلى الظَّهر.

(٣) الحرف: الناقة الضامرة أو المهزولة، ومصرَّمة: ناقة يقطع طبياها ليعيش الإحليل فلا يخرج اللبن ليكون أقوى لها، والأصلاء: جمع الصلا، وهو وسط الظهْر، والتمليح: السمن.

(٤) أصرَّة: جمع صرار وهو ما يُشدّ به.

(٥) الأشمط: الذي خالطها الشيب، والبرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

(٦) ذو أرُل: جبل بأرض غطفان بينها وبين عذرة، والصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه، والصرام: جمع صرمة وهي قطع السحاب.

(٧) الأيسار: جمع يسر، وهم المقامرون، والجفنة: الوعاء الكبير يوضع فيه الطعام، والأدم: ما يؤكل مع الخبز من مرق وغيره.

أمـــاويُّ إنَّ المـــالَ غـــادٍ ورائـحٌ ... ويبقى من المال الأحـــاديثُ والذِّكْرُ
أمـــاويُّ إني لا أقـــولُ لســـائلٍ ... إذا جـاء يومـاً: حلَّ في مـالنا النُّذْرُ
أمـــاويُّ إمَّا مـــانعٌ فـمـــبـيِّنٌ ... وإمـــا عطـــاءٌ لا يُنَهْنِهُـــهُ الزَّجْـرُ
أمـاويُّ مـا يُغْني الثَّراء عـن الفتى ... إذا حشـرجتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ
إذا أنـــا دلاّني الذيـن أحـــبُّهـم ... بملحـــودةٍ زلْجٍ جـــوانبُهـــا غُبْـــرُ(١)
وراحـوا سـراعـاً ينفضُون أكفَّهم ... يقــولون: قـد دمَّى أناملنا الحـفْـرُ
أمـاويُّ إنْ يُصـبـحْ صـداي بقـفـرةٍ ... مـن الأرضِ لا مـاء لـديَّ ولا خـمْـرُ
ترىْ أنْ مـا أنفـقتُ لم يكُ ضـرَّني ... وأنَّ يـدي ممـا بخلـتُ بـه صِفْـرُ(٢)
أمـــاويُّ إنّـي رُبَّ واحـــد أمِّـــه ... أخـذْتُ فـلا قـتْلٌ عليـه ولا أسْرُ
وقـد علم الأقـوامُ لو أنَّ حـاتمـا ... أرادَ ثـراءَ المـالِ كـان لَـهُ وفْـرُ
فـإنيَ لا آلو بمالي صـنيـعـةً ... فـأوَّلُـه زادٌ وآخـرُهُ ذُخْـرُ
يُفكُّ بـه العـاني ويُؤْكـلُ طيِّبـا ... ومـا إنْ تعـرِّتْهُ القـداحُ ولا الخـمْرُ
ولا أظلِمُ ابنَ العمِّ إن كـان إخـوتي ... شُهـوداً وقـد أوْدى بإخـوته الدَّهْر
غنينا زمـاناً بالتَّصـعْـلُكِ والغنى ... وكـلاًّ سـقانا بكأسـيـهمـا العصْـرُ
فـمـا زادنا بغْيـاً على ذي قـرابةٍ ... غنانا ولا أزرى بأحْسـابنا الفـقـرُ
ومـا ضـرَّ جـاراً يابْنة القـوم فـاعْلمي ... يجـاورني ألاَّ يكـون لـه سـتْر
بعـينيَ عن جـاراتِ قـوْمـيَ غـفْلةٌ ... وفي السَّمْعِ منِّي عن حـديثهم وَقْرُ

فلما فرغ حاتمٌ من إنشاده دعتْ بالغداء، وكانت قد أمرت إماءها أنْ يقدِّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها، فقدَّمْن إليهم ما كانت أمرتهنّ أنْ يقدمنه إليهم، فنكَّس النَّبيتيُّ رأسه والنابغة، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قُدِّم إليهما، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لواذاً، وقالت: إنَّ حاتماً أكرمكم و أشعركم. (٣٨٠/١٧)

(١٨)

أخبرني عمِّي قال: حدَّثني النَّضرُ بن عمرو قال: حدَّثني أبو السَّوار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حمّادٍ الراويةِ قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردُّوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمةُ بن عبدة، فأنشدهم

---

(١) الزَّلج: الزلق، وهي المزلة تزلّ فيها الأقدام لملاستها. (٢) صِفْر: فارغة.

قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم   أم حبلُها أنْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

فقالوا: هذه سمطُ الدهر، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأنشدهم:

طحابك قلب في الحسان طروبُ   بُعيْد الشُّباب عصرَ حان مشيبُ

فقالوا: هاتان سِمْطا الدهر. (٢٠١/٢١)

(١٩)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيُّ قال: حدّثنا العنزيّ عن لقيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمر بن شبةَ قال: حدّثني أبو عُبيدة قال: كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمةُ الفحْل بن عبدة التّميميّ، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله: خليليّ مُرّا بي على أمّ جُنْدبِ

حتى مرَّ بقوله: فللسَّوط ألهوبٌ وللسّاق درّةٌ   وللزّجر منه وقْعُ أخرَجَ مُهذبِ

فأنشدها علقمة قوله: ذهبْتَ من الهجرانِ في غير مذْهبِ

حتى انتهى إلى قوله: فأدركه حتى ثنى من عنانه   يمُرُّ كغيثٍ رائحٍ متحلّبِ

فقالت له: علقمةُ أشعرُ منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحرّكته بساقك، وضربته بسوطك. وإنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلتِ، ولكنك هويتِه، فطلّقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لُقِّبَ علقمةَ الفحْل. (٢٠٢/٢١)

(٢٠)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمريّ، عن لقيط قال: تحاكم علقمةُ بن عبدة التميميّ. والزبرقانُ بن بدْر السعدي، والمُخبّل، وعمرو بن الأهتم، إلى ربيعة بن حُذار الأسديّ، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيؤكل، ولا تُرك نيئاً فيُنتفع به، وأمّا أنت يا عمرو فإنّ شعرك كبُرد حَبرة يتلألأ في البصر، فكلّما أعدْته فيه نقص، وأما أنت يا مُخبّل فإنك قصّرت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام، وأما أنت يا علقمة فإن شعرك مزادة قد أحكِم خرزُها فليس يقْطر منها شيء. (٢٠٣/٢١)

(٢١)

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمي: قالا: حدّثنا محمد بن عبيد: قال: حدّثني محمد بن

يزيد بن زياد الكلبي، عن الشرقي بن القطامي: قال: ... إنْ عبيد بن الأبرص كان أول مَنْ أشرف على (المنذر بن ماء السماء) في يوم بؤسه، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد؟... أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني ... (٨٦/٢٢)

العصر الإسلامي

(١)

قال: ولامَ (عبدَ الله بن عبّاس) بعضُ أصحابه في حفظ هذه القصيدة:«أمن آل نُعْم..»فقال: إنّا نستجيدها، وقال الزُّبير في خبره عن عمّه: فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المُغيريُّ شيئاً بعدنا؟ قال: وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال: كان عبد الله بن الزُّبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة: فيضْحى وأمّا بالعشيّ فيخْصَر

قال: لا، بل: فيخزى وأمّا بالعشيّ فيخسرُ

قال عمرُ بن شبّة وأبو هفّان والزُّبير في حديثهم: ثم أقبل على ابنِ أبي ربيعة فقال: أنْشِدْ، فأنشده: تشطُّ غداً دارُ جيراننا

وسكت: فقال ابن عبّاس: وللدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

فقال له عمرُ: كذلك قلتُ ـ أصلحك اللهُ ـ أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي(١). (١/٧٣)

(٢)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: بلغني أن هذا البيت في التوراة، ذكره غير واحد عن أبيّ بن كعْب، يعني قول الحطيئة: لا يذهب العرف بين الله والناس

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيُّوبَ بن عثمان الدِّمشْقيّ عن عثمان بن أبي عائشة قال: سمعَ كعْبُ الحِبْرُ رجلاً يُنشدُ بيتَ الحطيئة:

من يفعل الخيرَ لا يعدمْ جوازيه لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناس

---

(١) كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عالماً بالشعر، راوياً له، مستفيداً منه في تفسيره للقرآن الكريم، فكأنْ تتمتّه للبيت جاءت عن تلك الخبرة التي أدهشت الشاعر، فظنّه قد سمع البيت قبل هذا، وكان يستحسن الشعر ويعجب به.

فقال: والذي نفسي بيده إنَّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة. قال إسحاق قال العُمريّ: والذي صحَّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ». (٢/١٧٤)

(٣)

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: حدّثني عمّي قال سمعت شيخاً من بني كنانة من أهل المدينة يقول: كان حسّان بن ثابت إذا قيل له: تُنوشِدت الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول: فهل أنشدتْ كلمةُ الحُويدرة:

بكرتْ سُميةُ غُدْوةً فتمتّعِ

قال أبو عبيدة: وهي من مختار الشعر، أصْمعيّةٌ مُفضّليّةٌ. (٣/٢٧١)

(٤)

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أميّةُ يُحرّض قريشاً بعد وقعْة بدْرٍ، وكان يرْثي مَنْ قُتِلَ من قريش في وقعْة بدر؛ فمن ذلك قوله:

مـــاذا ببدْرٍ والعقنْـ قلِ مِنْ مرازبةٍ جَحَاجِحْ(١)

وقال: وهي قصيدةٌ نهى رسول الله (ص) عن رواياتها. ويقال: إنَّ أميّةَ قدم على أهل مكة «باسمك اللّهُمّ»؛ فجعلوها في أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم). (٤/١٢٢)

(٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهلّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال: أنشد النبيُّ (ص) قول أميّةَ:

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصْبحنا بالخير صبّحنا ربّي ومسّانا
ربُّ الحنيفةِ لم تَنْفَدْ خزائنُها مملوءةٌ طبّقَ الآفاقَ سُلطانا
ألا نبيٌّ لنا منّا فيخبرنا ما بعدَ غايتنا من رأسِ محيانا
بينا يُربّيننا آباؤنا هلكُوا وبينما نقْتني الأولادَ أفنانا
وقد علِمْنا لو أن العلمَ ينفعنا أنْ سوف يلْحقُ أخْرانا بأُولانا

فقال النبيّ (ص): «إنْ كاد أميّةُ ليُسلم». (٤/١٢٩)

---

(١) العقنقل: كثيب رمل ببدر، ومرازبة: جمع مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك، وهو معرّب وأصله فارسي، وجحاجح: جمع جَحْجَح وهو السيّد المسارع في المكارم.

(٦)

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سلْمان عن سليمان بن حرْب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين: أنّ حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: يا رسول الله، ما يسرُّني أنّ لي به مقولاً بين صنْعاءَ وبُصْرى(١)، ثم قال:

لســاني مِقْـولٌ لا عيبَ فيـه ... وبحْـري مـا تُكـدِّرُه الدِّلاءُ (١٦٤/٤)

(٧)

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسول الله (ص):

لقـد غـدوتُ أمـامَ القـوم مُنْتطقـاً ... بصـارمٍ مـثْلِ لـوْنِ المِلْحِ قطّـاعِ

يحْفِزُ عنّي نجـادَ السيف سـابغةٌ ... فضْفاضةٌ مثل لوْنِ النِّهْي بالقاعِ(٢)

قال: فضحك رسولُ الله (ص): فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفْسه مع جبْنه. (١٦٦/٤)

(٨)

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلْحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مشايخي: أنّ الحُطيئةَ وقف على حسان بن ثابت وحسّانُ يُنْشِدُ من شِعْره؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه: كيف تسْمع هذا الشعر يا أعرابيّ؟ قال الحُطيئة: لا أرى به بأساً. فغضب حسّان وقال: اسْمَعُوا إلى كلام هذا الأعرابيّ! ما كُنْيتُك؟ قال: أبو مُليكة. قال: ما كنتَ قطُّ أهْونَ عليّ منك حين كُنّيتَ بامرأةٍ، فما اسْمُك؟ قال: الحُطيئةَ فقال حسّان: امْضِ بسلام(٣). (١٦٧/٤)

(٩)

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القطّان المعروف بابن زنْجويه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد

---

(١) بصرى: اسم لموضعين: بصرى الشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران، وبصرى بغداد وهي إحدى قراها قُرب عكبرا.

(٢) يحفز: يدفع، والسابغة: هي الدرع إذا كانت طويلة تامّة، وفضفاضة: واسعة، والنهّي: الغدير.

(٣) كأنّ حسّان بن ثابت لم يعجبه حكم الحطيئة وهو لا يعرفه، وكان ينتظر منه أن يقول كلاماً غير الذي قاله، فأغلظ له القول، وبعد المعرفة، عرف كلُّ واحد موضعه من الشعر، فطلب منه الانصراف.

الله السكريّ قال حدّثنا يعلى بن الأشدق العُقيليّ قال حدّثني نابغة بني جعْدة قال: أنشدتُ النبيَّ (ص) هذا الشعر فأعجب به:

بلغنا السماء مجدُنا وجدودنا — وإنّا لنبْغي فوقَ ذلك مظْهرا

فقال النبّي(ص): «فأين المظهرُ يا أبا ليلى»؛ فقلت: الجنة؛ فقال: «قل إن شاء الله»؛ فقلت: إن شاء الله.

ولا خيْرَ في حِلْم إذا لم يكن له — بوادرُ تحْمي صفْوه أن يُكدَّرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له — حليمٌ إذا ما أوْردَ الأمرَ أصْدرا

فقال النّبيّ (ص): «أجدْتَ لا يفْضُضِ اللهُ فاك»؛ قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفض(1) مِن فيه سنّ. (8/5)

(10)

أخبرني أحمد عليّ الخفاف قال حدّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول: رأيتُ رسول الله(ص) في النوم وقُدّامه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ، فنظرتُ إليه فلم أعْرفه، إذ التفتَ إليه رسول الله(ص) فقال: يا سيّد، أنشدني قولك: لأمّ عمر في اللّوى مرْبَعُ

فأنشده إيّاها كلُّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتُها عنه كلُّها في النوم، قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحّانةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتَتَعْتَعْ(2) فيها ولم يلحن. (251/7)

(11)

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترقِ عن السيّد: أنه رأى النّبيّ (ص) في النوم، فاستنشده فأنشده قوله:

لأمّ عمرو باللّوى مربعُ — طامسةٌ أعلامُه بلْقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئتَ أعْلَمْتَنا — إلى مَنِ الغايةُ والمفزعُ

---

(1) انفضّ: سقط. (2) التعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردّد من حصر أو رعيّ.

فقال: حسبُك! ثم نفض يده وقال: قد والله أعلمتَهم. (٢٧٦/٧)

(١٢)

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال: أنشد النبيُّ (ص) قول عنْترة: ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلُّه حتّى أنالَ بـه كـريمَ المأكـل
فقال (ص): «ما وُصِفَ لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلاّ عنترة» (٢٤٣/٨)

(١٣)

أخبرني حبيب بن نصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال عمر بن الخطاب للحُطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألفَ فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زُهيْر فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمل إذا حمل ونُحجم إذا أحجم. وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنّا نستشيره ولا نُخالفه. وكان فينا عُرْوة بن الورْد فكنّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقت. (٢٤٤/٨)

(١٤)

وقال ابن الأعرابيّ قال أبو زياد الكلابيّ: أنشد عثمان بن عفّان قول زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على النّاس تُعْلَمِ

فقال: أحسن زُهيْرٌ وصدق، لو أنّ رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدّث به الناس. قال وقال النّبيّ(ص): «لا تَعْمَلْ عملاً تكْرَهُ أن يُتحدَّثَ عنك به». (٣٠٦/١٠)

(١٥)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحيّ إجازة قال: حدّثني محمد بن سلاّم الجُمَحيّ قال حدّثني أبو الغرّاف قال: كان أبو زبيدٍ الطائيّ من زُوّار الملوك وخاصّةً ملوك العجم، وكان عالماً بسيرهم. وكان عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه، وكان نصرانياً. (فحضر ذات يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار)، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها. قال: فالتفتَ عثمانُ إلى أبي زُبيد وقال: يا أخا تُبَّع المسيح أسْمِعْنا بعض قولك، فقد أُنبئتُ أنك تُجيد فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

مَنْ مُبْلِغٌ قومنا النائين إذ شحَطوا أنَّ الفؤادَ إليهم شيِّقٌ ولِعُ(١)

---

(١) شحطوا: بعدوا، وشيّق: مشتاق.

ووصف (فيها) الأسدَ، فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: تالله تفتأ تذكرُ الأسدَ ما حييت، والله إنّي لأحْسبُك جباناً هداناً(١). قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكنّي رأيتُ منه منْظراً وشهدتُ منه مشْهداً لا يبرح ذِكْرُه يتجدّد ويتردّد في قلبي. (١٢٧/١٢)

(١٦)

أخبرني محمدُ بن خلفٍ وكيعٌ وعمّي قالا حدّثنا عبدُ الله بنُ شبيبٍ قال حدّثني إبراهيم بن حمزة قال حدّثني موسى بنُ شيْبة قال: سمعتُ أبا وجزة السعديّ يقول قال رسولُ الله (ص): «ليس شعرُ حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعرا، ولكنه حكمةٌ». (٢٤١/١٢)

(١٧)

وقال عمرو بن شبةَ في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم، وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا: كان لبيد من جُوداء العرب(٢)، وكان قد آلى في الجاهلية أن لا تهبَّ صبا إلاّ أطعم، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروحُ في كلِّ يومٍ على مسجد قومه فيُطعمهم، فهبّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعْد الوليدُ المنبر فخطبَ الناس ثم قال: إنَّ أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهبُّ صباً إلاَّ أطعم، وهذا يومٌ من أيامه، وقد هبّتْ صباً فأعينوه، وأنا أوّلُ من فعل. ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائةِ بكرة، وكتب إليه بأبياتٍ قالها:

أرى الجزار يشحذُ شفرتيه إذا هبّتْ رياحُ أبي عقيل
أشمُّ الأنف أصيدُ عامريٌّ طويل الباع كالسّيْف الصقيلِ
وفى ابنُ الجعفريِّ بحلفتيه على العلاّتِ والمالِ القليل(٣)
بنحرِ الكُوم إذ سُحبت عليه ذيولُ صباً تجاوبُ بالأصيل

فلما بلغت أبياتُه لبيداً قال لابنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أعيا بجواب شاعر، فقالت ابنته:

إذا هبّتْ رياحُ أبي عقيلٍ دعْونا عند هبّتها الوليدا
أشمَّ الأنف أروع عبشمياً أعانَ على مروته لبيدا

(١) الهدان: الأحمق الثقيل. (٢) جُوداء: جمع جواد.
(٣) على العلاّت: على أكمل حال في عسره ويسره.

بأمثالِ الهضاب كأنَّ ركْباً عليها من بني حامٍ قُعودا
أبا وهبٍ جزاك اللهُ خيراً نحرناها فأطعمْنا الثَّريدا
فعُدْ إنَّ الكريمَ له معادٌ وظنِّي يا ابن أروى أن تعودا

فقال لها لبيد: أحسنتِ لولا أنك استطعمته. فقالت: إنَّ الملوك لا يُستحيا من مسألتهم. فقال: وأنتِ يا بُنيَّةُ في هذه أشعر. (١٥/٣٧٠)

(١٨)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدّثنا عُمر بن شبة قال: حدّثني محمد بن منصور قال: حدَّثني سعيد بن عامر قال: حدّثني جُويرية بن أسماء قال: بلغني أن رسول الله(ص) قال: أمرتُ عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرتُ حسَّاناً فشفى واشتفى. (١٦/٢٣٢)

(١٩)

أخبرني الجوهري والمهلّبيّ قالا: حدَّثنا عمر بن شبةُ قال: حدّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدّثنا عبدالواحد بن زياد قال: حدّثنا مجالد، عن الشعبيّ قال: لما انهزم المشركون يوم الأحزاب، قال رسول الله (ص): إنَّ المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذىً ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟ فقام عبد الله بن رواحة، فقال: أنا. فقال: إنّك لحسن الشعر. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: وإنّك لحسن الشعر. (١٦/٢٣٢)

(٢٠)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدَّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبد الله بن أنيس عن أمه، وهي بنت كعب بن مالك: أنَّ النبيَّ (ص) خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله يُنْشد، فلما رآه كأنَّه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله(ص): فانشد، فأنشد حتى أتى على قوله: مُقاتلُنا عن جِذْمنا كُلُّ فخمةٍ[١]
فقال رسول الله (ص) لا تقل عن جِذْمنا، ولكن قل: مُقاتلُنا عن ديننا. (١٦/٢٣٢)

---

(١) الفخمة: الكتيبة العظيمة، والجذم: الأصل.

(٢١)

نسختُ من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن علي بن مجاهد، قال: أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لبيد في أخيه أربد:

لعمْري لئنْ كـان المخبِّرُ صادقاً   لقد رُزِئتْ في حادث الدهْر جعفرُ
أخٌ لي، أمَّا كـلُّ شـيء سـألْتـه   فـيُعْطي، وأمـا كلُّ ذنْبٍ فـيـغـفرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه: ذلك رسولُ الله، لا أربد بن قيس. (٦٣/١٧)

(٢٢)

قال عمر بن شبَة: فحدّثني الحزاميّ، قال: حدّثني محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعْد، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبيّ، قال: حدّثنا محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، قال: أنشدها رسولَ الله(ص) في مسجده، فلما بلغ إلى قوله:

إنَّ الرَّسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به   مهنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللّـهِ مسلُولُ
في فِتْيةٍ مِنْ قريش قال قائلُهم   ببطْنِ مكـة لمَّا أسلموا: زُولوا
زالوا فمازال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ   عند اللقاء ولا خُورٌ معازيل(١)

أشار رسول الله (ص) إلى الحِلَق(٢) أن يسمعوا شِعْر كعب بن زهير. (٨٧/١٧)

(٢٣)

... وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنّها في الآذان أولج، وفي أفواه الناس أعلق(٣)... (٣٥٨/٢١)

(٢٤)

وقال الأثرم: حدّثني السَّريُّ بنُ صالح بن أبي مسهر قال: أخبرني بعضُ الأعراب، أنَّ أول

---

(١) الأنكاس: جمع نِكْس وهو الرَّذل المقصِّر عن غاية النجدة والكرم، والكُشُف: الذين ينهزمون ولا يثبتون، والميل: جمع أميل وهو الذي لا يثبت على السرج.

(٢) الحِلَق: جمع حلقة.

(٣) هذا لون من النقد المنفعل السريع، وهو يشير إلى شدّة الإعجاب، وعمق التأثر، وسنرى نماذج كثيرة منه في النصوص القادمة.

ما تكلم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول:

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه كالحبشيِّ حوله بناتُه

فقالوا: شاعرٌ والله، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك. (٣٠٤/٢٢)

(٢٥)

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد سُحيمٌ عمر بن الخطاب قوله:

عُميرة ودّع إن تجهّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر: لو قلتَ شعرك كلَّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه. (٣٠٤/٢٢)

(٢٦)

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال: حدّثني أحمد بن القاسم قال: حدّثني إسحاق بن محمد النَّخعيّ، عن ابن أبي عائشة قال: أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله:

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال له عمر: لو قدّمتَ بالإسلامَ على الشيب لأجزتك. (٣٠٥/٢٢)

العصر الأموي

(١)

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير عن عمّه قال: كان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناسُ فيتذاكرون العلم؛ فذُكر يوماً شعرُ عمر بن أبي ربيعة فهجّنه، فقالوا له: بمن ترضى؟ ومرّ بهم حمّادٌ الراويةُ فقال: قد رضيتُ بهذا. فقالوا له: ما تقول فيمن يزعم أنّ عمر بن أبي ربيعة لم يُحْسِنْ شيئاً؟ فقال: أين هذا؟ اذهبُوا بنا إليه. قالوا: نصنع به ماذا؟ قال: نَنْزُو على أمّه لعلّها تأتي بمن هو أمثلُ من عمر[١]. (٧٥/١)

(٢)

قال إسحاق وحدّثني الهيْثم بن عديّ عن حمّاد الراوية: أنه سُئل عن شعْر عمر بن أبي ربيعة فقال: ذاك الفُستق المُقشَّر. (٧٥/١)

(٣)

قال إسحاق: وقال أبو المقوّم الأنصاريّ: ما عُصيَ اللهُ بشيء كما عُصِي بشعر عمر ابن أبي ربيعة. (٧٦/١)

(٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثني الحُسينُ بن إسماعيل قال حدّثنا ابنُ عائشة عن أبيه قال: كان جرير إذا أنشدَ شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعرٌ تهاميٌّ إذا أنْجد وجد البرد[١]، حتى أُنشد قوله:

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيضْحى وأمّا بالعشيّ فيخْصَرُ
قليلاً على ظهر المطيّة ظِلُّه ... سوى ما نفى عنه الرداءُ المُحبَّرُ[٢]

---

(١) تهامي نسبة إلى تهامة، وأنجد، قصد نجداً، كأنّه لا يرى في شعر عمر خيراً، فهو بارد ضعيف. وينظر الموشح (ص ٢١٨). (٢) المحبَّر: المزيّن المحسَّن.

وأعجبها من عيشها ظلُّ غرفةٍ وريّانُ مُلتفُّ الحدائق أخضرُ
ووالٍ كفاها كلُّ شيءٍ يهمُّها فليستْ لشيءٍ آخر الليلِ تسهرُ

فقال جرير: ما زال القُرشيّ يهذي حتى قال الشعر(١). (٨١/١)

(٥)

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطّاف بن خالد الوابصيّ عن عبد الرحمن بن حرْملة قال: أنشد سعيدُ بنُ المُسيِّب قول عمر بن أبي ربيعة:

وغابَ قُميرٌ كنتُ أرجو غيُوبَه وروّحَ رُعْيانٌ ونوّمَ سُمّرُ

فقال: ماله قاتله الله! لقد صغّر ما عظّم الله! يقول الله عزوجل: (والقمرَ قدّرْناهُ منازلَ حتّى عاد كالعُرْجُونِ القديم). (٨٤/١)

(٦)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني عبدُ الملك بنُ عبد العزيز عن يوسف بن الماجُشون قال: أنشد عمرُ بنُ أبي ربيعة قوله:

يا خليليّ من ملامٍ دعاني وألمّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما في آل زينبَ إنَّ الـ ـقلبَ رهْنٌ بآل زينب عاني

.. القصيدة، قال: فبلغ ذلك أبا وداعةَ السَّهْميّ فأنكره وغضب، وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له: إنّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى، وقال: لا أقِرُّ لابنِ أبي ربيعة أن يذكرُ امرأةً من بني هُصيص في شعره. فقال ابنُ أبي عتيقٍ: لا تلوموا أبا وداعة أن يَنْعِظ مِنْ سمرقَندَ على أهلِ عدنَ! (٩٧/١)

(٧)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لمّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب:

لم تدعْ للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق: رضيتَ لها بالمودّة، وللنساء بالدُّهْفشة. قال: والدُّهفشة: التَّجْميشُ والخديعةُ بالشيء اليسير. (وقال غير الزُّبير في هذا الخبر: الدهقشة، مكان الدهفشة). (١٠١/١)

---

(١) جعل جرير ما قاله عمر قبل هذا، هذياناً، فلمّا سمع هذه الأبيات أعجب بها، وأطراها.

(٨)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال: أنشد جرير قول عمر بن أبي ربيعة:

سائلا الربعَ بالبُليّ وقُولا ... هِجْتَ شوقاً لي الغداة طويلا(١)

أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفُو ... فٌ بهم آهِلٌ أراك جميلا؟

قال ساروا فأمْعَنُوا واستقلُّوا ... وبرغمي لو استطعتُ سبيلا(٢)

سئمونا وما سئمنا مُقاماً ... وأحبُّوا دماثةً وسُهولا

فقال جرير: إنّ هذا الذي كنّا نُدورُ عليه فأخطأناه وأصابه هذا القُرشيّ(٣). (١٠٦/١)

(٩)

أخبرني الطُّوسيّ: قال حدثنا الزُّبير قال حدّثتني ظمْياءُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعب قالت: سمعت جدُّك يقول وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة:

ياليتني قد أجزْتُ الحبلَ نحْوَكُمُ ... حبْلَ المعرِّفِ أو جاوزت ذا عُشَرِ(٤)

إنَّ الثَّواء بأرضٍ لا أراك بها ... فاستيقنيه ثواءٌ حقُّ ذي كدر

وما مللْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ ... ولا منحْتُ سواك الحبَّ من بشر

ولا جَذِلْتُ بشيءٍ كان بعدكمُ ... ولا مَنَحْتُ سواكِ الحبَّ مِن بشرِ

وتمام الأبيات:

أذْري الدموع كذي سُقم يُخامرُه ... وما يُخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ

كم قد ذكرتُك لو أجْدى تذكُّرُكُمْ ... يا أشبه الناس كلَّ الناس بالقمرِ

---

(١) البُلّيّ: تلّ قصير أسفل حاذةَ بينها وبين ذات عرق.

(٢) استقلّوا: واصلوا السَّير، وجدّوا في الارتحال.

(٣) كانّ جريراً يريد أنّ الشعراء قد حاولت القول في هذه المعاني، ولكنّها دارت حولها حسب، ولم تستطع النفاذ إلى صميمها، حتى جاء عمر فأصاب ما دار غيره حوله، وهو تشخيص دقيق لمعاني النسيب عند عمر. وقد عالجتُ هذا الموضوع بتفصيل في كتابي: الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ١٠٩ ـ ١١٢) فليراجع هناك.

(٤) أجزت: جاوزت، والحبل: حبل عرفة، وهو موضع بعرفات، يقال: عرَّف القومُ: إذا وقفوا بعرفة، والمعرَّف: موضع الوقوف بها، وذو عُشَر: وادٍ بين البصرة ومكة.

قالت: فقال جدُّك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموْقعاً في القلب، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره، ولو كان شعرٌ يسْحَرُ لكان شعرُه سحراً(١). (١٠٧/١)

(١٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمامةُ بن عُمر قال: رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عُروة بن الزُّبير يسأل المسْور بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة، فجعل يذكرُ له شيئاً لا يعرفه، فيسألُه أن يُكتبهُ إيّاه فيفعلُ، فرأيتُه يكتبُ ويدُه تُرْعد من الفرح. (١٠٨/١)

(١١)

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشُون عن عمّه يوسف قال: ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام، فقال: صاحبُنا- يعني الحارث بن خالد- أشعرُهما. فقال له ابن أبي عتيق: بعض قولك يا بن أخي، لشعْر عمر بن ربيعة نوْطةٌ(٢) في القلب، وعُلُوقٌ بالنفس، ودركٌ للحاجة ليست لشعْرٍ، وما عُصيَ الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عُصِيَ بشعر ابن أبي ربيعة، فخُذْ عنّي ما أصفُ لك: أشعرُ قريش مَنْ دقّ معناه، ولطُف مدْخَلُه، وسهُل مخْرجه، ومتُن حشْوه، وتعطّفت حواشيه، وأنارتْ معانيه، وأعرب عن حاجته(٣). فقال المتضلّ

---

(١) هذا لون آخر من النقد الذي يشير إلى الإعجاب، والتأثر، فرعدة اليد ذات دلالة قوية على السعادة، والاستحسان لهذا الشعر الذي يكتبه.

(٢) النوطة: التعلّق.

(٣) يضع ابن أبي عتيق خصائص مهمة للشعر الجيد هي: دقّة المعنى، ولُطف المدخل ويريد به الافتتاح الجيّد الذي أولع به القدماء، وسهولة المخرج وهو الانتهاء الذي هو «آخر ما يبقى في الأسماع» من القصيدة، ينظر العمدة (٢٣٩/١)، ومتانة الحشو، ولعلّه يشير إلى ما اصطُلح عليه بعد ذلك بالحشو، أو الاتكاء، وهو «أن يُحشى البيت بلفظ لا يُحتاج إليه لإقامة الوزن (نقد الشعر لقدامة، ص٢٤٨). وأشار النقاد والبلاغيون إلى ضرب من الحشو محمود، حسن، وهو يساعد على تجميل الشعر. ويضفي عليه رونقاً. (ينظر البديع، لابن المعتز، ص٥٩، والصناعتين، لأبي هلال العسري، ص ٤٨). وهو الذي عناه الحاتمي بقوله: «وهذا باب لطيف جداً، لا يتيقّظ له إلاّ مَنْ كان متوقّد القريحة، متبصّر الآلة، طبّاً بمجاري الكلام. عارفاً بأسرار الشعر (حلية المحاضرة ١/ ١٩٠)، ولعلّ هذا هو الذي أراده ابن أبي عتيق ووصفه بالمتانة، ومن المفيد أن نورد ما قاله عبد القاهر الجرجاني عن الحشو في أسرار البلاغة (ص ١٩) حيث قال: «وأمّا الحشو فإنّما كُره وذُمّ وأنكر ورُدّ لأنّه خلا من الفائدة، ولم يُحل منه بعائدة، ولو أفاد لم يكن حشواً، ولم يُدْعَ لغواً»، ولكنه يستدرك =

فيقول: «وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعاً من القبول أحسن موقع، ومدركاً من الرضى أجزل حظ». ويضيف ابن أبي عتيق إلى خصائص الشعر الجيد تعطّفَ الحواشي وإنارةَ المعاني، ولعلّ فيما ذكره ابن أبي عتيق عن الشعر الجيد كان الأساس الطبيعي لمباحث النّقاد المتخصصين فيما بعد عن مفهوم الشعر، وتعريفه، والمصطلحات النقدية التي استخدموها وهم يدرسون هذا الفنّ الأثير إلى نفوسهم.

للحارث: أليس صاحبُنا الذي يقول:

إنّي وما نحرُوا غداة منىً ... عند الجمارِ يؤدُها العقْلُ
لو بُدّلَتْ أعلى مساكنها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يعلُو
فيكادُ يعرفها الخبيرُ بها ... فيردُّه الإقواءُ والمَحْلُ
لعرفْتُ مغنْاها بما احتملتْ ... مني الضلوعُ لأهلها قبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق: يابن أخي، استُرْ على نفسك، واكتُمْ على صاحبك، ولا تُشاهد المحافل بمثل هذا؛ أما تطيَّر الحارثُ عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله! وما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجِّيل. ابنُ أبي ربيعةَ كان أحسنَ صُحْبَةً للربع من صاحبك، وأجمل مخاطبة حيث يقول:

سائلا الربعَ بالبُليِّ وقولا ... هِجْتَ شوقاً لي الغداةَ طويلا

وذكر الأبيات الماضية. قال: فانصرف الرجل خجلاً مُذْعنا(١). (١٠٨/١)

(١٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكْريّ وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد المساحقيّ عن أبيه قال: دخلتُ مسجد رسول الله(ص) مع نوْفل بن مُساحق؛ فإنه لمعتمدٌ على يدي، إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه وحوله جلساؤه، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا، ثم قال لنوْفل: يا أبا سعيد، مَنْ أشعَرُ: صاحبُنا أم صاحبكم؟ يريد: عبد الله بن قيْس، أو

---

(١) لا يكتفي ابن أبي عتيق بالجانب النظري في وصف شعر عمر، بل يسنده بجانب تطبيقي حين يعقد تلك الموازنة بين أبيات له. وأخرى للحارث به خالد في معنى واحد هو الوقوف على المنازل، فبينما يكون هذا الوقوف مدعاة للتذكّر، والشوق عند عمر، نراه عند الحارث طلباً لأن تقلب عاليها سافلا، وفي هذا فرق عميق بين الموقفين. ومن المفيد أن نشير هنا أن لابن أبي عتيق وقفات طويلة عند الشعراء وخاصة عمر، وله أراء نقدية كثيرة، وللدكتور عبد العزيز عتيق كتاب عنه، فصلّ فيه الحديث عن حياته، وجهوده النقدية.

عمر بن أبي ربيعة. فقال نوْفلٌ: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقولُ صاحبُنا:

خليليّ ما بالُ المطايا كأنّما ... نراها على الأدْبار بالقوم تنْكُصُ(١)
وقد قُطعَتْ أعناقُهن صبابةً ... فأنفُسنا مما يُلاقين شُخّصُ(٢)
وقد أتعبَ الحادي سُراهنَّ وانتحى ... بهنَّ فما يألو عجولٌ مُقلِّصُ(٣)
يزِدْنَ بنا قرباً فيزدادُ شوْقُنا ... إذا زاد طولُ العهد والبُعدُ ينقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ. فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشعرُ في الغزل، وصاحبُنا أكثرُ أفانين شعرٍ(٤). فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكْرِ الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعْقد بيده حتى وفّى مائةً. فقال البكْريّ في حديثه عن عبد الجبّار: قال مُسْلم: فلما انصرفنا قلت لنوْفل: أتُراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله (ص)؟ فقال: كلاّ! هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه. (١/١١٣)

(١٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المُغيرة ـ قال: وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ ... فأْتمِرْ أمرَ رشيدٍ مُؤتمنْ

قال: شهدتُ عمر بن أبي ربيعة، وجميل بن عبد الله بن معْمَر العُذْريّ، وقد اجتمعا بالأبْطح؛ فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) تنكص: ترجع وتحجم.
(٢) شُخّص: شخص الرجل ببصره عند الموت: رفعه فلم يطرف، ومنه شخصت نفسه: أي توشك أن تموت.
(٣) مقلّص: مشمّرٌ، جادٌّ في السير.
(٤) الأفانين: جمع فَنّ. ينظر لسان العرب (١٣/ ٣٢٦)، ويريد بها هنا الأغراض الشعرية بدلالة ورود الغزل في بداية الكلام، ونرى كلمة الفن، والفنون تطلق على الأغراض الشعرية في مواضع كثيرة من كتب النقاد، والأدباء، قال أبو عبيدة: «مَنْ قدّم الأعشى يحتجّ .. بتصرفه في المديح، والهجاء، وسائر فنون الشعر» الأغاني (٩/١٠٩)، ونرى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقدّم ابن المعتز ويعدّه أشعر قريش «لأنه ليس فيهم مَنْ له مثل فنونه، لأنه قال في الخمر، والطّرد، والمديح، والهجاء .. والمراثي، فأحسن في جميعها»، ينظر أشعار أولاد الخلفاء، للصولي (ص ١١٢)، وينظر كذلك: نقد الشعر لقدامة (ص٩)، وعيار الشعر لابن طباطبا (ص٥)، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب (ص ١٧٠)، ويتيمة الدهر للثعالبي (٢/٣٥٦) وغيرها كثير.

لقد فرح الواشُون أنْ صرمَتْ حبلي بُثينـةُ أو أبدتْ لنا جـانبَ البُخْـلِ
يقـولـون مـهْلاً يا جـمـيلُ وإنّني لأقسِمُ مـالي عن بُثـيَنةَ من مـهْلِ

حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا أبا الخطّاب، هل قلتَ في هذا الرّويّ شيئاً؟ قال نعم. قال: فأنْشدنيه؛ فأنشده قوله:

جـرى ناصـحٌ بالـوُدِّ بيني وبينها فـقرّبني يوم الحِصاب إلى قـتْلي(١)
فطـارتْ بحـدٍّ من فـؤادي وقـارنتْ قـرينتُهـا حـبلَ الصّفـاء إلى حـبلي
فلمّـا تـواقفْنا عـرفتُ الـذي بهـا كمثْل الذي بي حذْوكَ النعلَ بالنعلِ
فـقلْـن لهـا هـذا عـشـاءٌ وأهلُنا قـريبٌ ألمّا تسـأمي مـركب البـغْلِ
فقالتْ فما شئْتُنّ قلنَ لها انزلي فللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رحْلِ
نُجـومٌ دراريٌّ تكـنّفْنَ صـورةً من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا عُجْلِ(٢)
فسلّمْتُ واستأنستُ خيفةَ أن يرى عدوٌّ مُقـامي أو يرى كاشـحٌ فِعْلي
فـقـالتْ وأرْختْ جـانبَ السّتْر إنّمـا مـعي فـتكلّمْ غـير ذي رقبـةٍ أهْـلي
فـقلتُ لهـا مـا بي لهم من ترقُّبٍ ولكنْ سـرّي ليـس يحْملـه مـثلي
فلمّـا اقتصرنا دونهنّ حديثنا وهُنّ طبيبـاتٌ بحـاجـة ذي الشّكْلِ(٣)
عرفْنَ الذي تهـوى فقلنَ ائذني لنا نطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سهْلِ
فقالتْ فـلا تلْبثْنَ قُلْـنَ تحـدّثي أتيناك، وانْسبْنَ انسيابَ مها الرّمْلِ
وقُمْنَ وقـد أفـهمْنَ ذا اللبِّ إنّمـا أتيْنَ الذي يأتين من ذاكَ من أجْلي

فـقال جـميلٌ: هيـهاتَ يا أبا الخطّاب! لا أقـولُ والله مـثلَ هذا سـجيس الليـالي(٤)، والله مـا يُخاطِبُ النساءَ مخاطبتكَ أحدٌ. وقام مُشمّراً. (١/١١٤)

(١٤)

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق عن المدائنيّ قالك سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة يُنْشد قوله:

---

(١) الحصاب كالمحصّب: موضع رمي الجمار.

(٢) دراريّ: منيرة، وهوج: جمع هوجاء، وهي المتعجّلة في السير كأنّ بها هوجاً، وحمقاً.

(٣) الشّكل: دلُّ المرأة وغزلها.

(٤) سجيس الليالي: هي كلمة تستعمل للتأبيد: يقال: لا آتيك سجيس الليالي، أي لا آتيك أبداً.

جرى ناصحٌ بالوُدّ بين وبينها فقرّبني يوم الحصابِ إلى قَتْلي

ولمّا بلغ قوله:

فقُمْنَ وقد أفهمن ذا اللّبَ إنما أتيْنَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق: هذا والله الذي أرادته الشعراءُ فأخطأته، وبكتْ على الديار(١). (١١٦/١)

(١٥)

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المُنْذر الحزاميّ عن عبد العزيز بن عمْران قال: قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله:

بينما يَنْعَتْنَني أبْصرنني دونَ قيدِ الميلِ يعْدُو بي الأغرْ(٢)
قالتِ الكبرى أتعْرفنَ الفتى قالتِ الوُسْطى نعْم هذا عمرْ
قالتِ الصغرى وقد تيّمْتُها قد عرفناه وهل يخْفى القمرْ

فقال له ابن أبي عتيق: ـ وقد أنشدها ـ أنت لم تنْسُب بها، وإنما نسبْتَ بنفسك؛ كان ينبغي أن تقول: قلتُ لها فقالتْ لي، فوضعتُ خدّي فوطئتْ عليه(٣). (١١٨/١)

(١٦)

قال عمر:

سائلا الرَّبْع بالُبليّ وقولا هِجْتَ شوقاً لي الغداة طويلا
أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو فٌ بهم آهلٌ أراك جميلا
قال ساروا فأمعنوا واستقلُّوا وبرغمي لو قد وجدت سبيلا
سئمونا وما سئمنا جوارا وأحبّوا دماثةً وسُهولا(٤)

قال إسحاق: أُنشِد جرير هذه الأبيات فقال: إنّ هذا الذي كنّا ندور عليه فأخطأناه. (١٢٣/١)

(١٧)

قال إسحاق في خبره: وحدّثني ابن كُناسة قال أخبرني حمّادٌ الراويةُ قال: استنشدني

---

(١) يراجع التعليق على النص الثامن السابق. (٢) قيد الميل: قدره.

(٣) يمثّل ابن أبي عتيق المفهوم السائد للغزل العربي، ورأى في أبيات عمر خروجاً على هذا المفهوم فاعترض عليه، وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما سبق.

(٤) يقال: دَمِثت الأرض دماثة: إذا سهلت ولانت.

الوليدُ بنُ يزيد، فأنشدتُه نحواً من ألفِ قصيدةٍ، فما استعادني إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة: طال ليلى وتعنّاني الطربْ

فلما أنشدتُه قوله: فأتتْهــا طَبّــةٌ عــالمـــةٌ   تخلِطُ الجدّ مراراً باللّعِبْ

إلى قوله: إنّ كفّــي لكِ رَهْــنٌ بالرِّضــا   فاقبلي يا هندُ قالت قد وجبْ

فقال الوليد: ويْحكَ يا حمّاد! أطلُبْ لي مثلَ هذه أرسلْها إلى سلْمى، يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طلّقها ليتزوج أختها ثم تتبّعتْها نفْسه. (١/١٣٥)

(١٨)

قال إسحاق وحدّثني جماعةٌ منهم الحرميُّ والزُّبيريُّ وغيرُهما: أنّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق هذه القصيدة؛ فقال له ابنُ أبي عتيق: النّاس يطلبون خليفةً (مذ قُتل عثمان) في صفة فؤادتك هذه يدبِّر أمورهم فما يجدونه! (١/١٣٥)

(١٩)

قال الزبير: حدّثني عمي قال حدّثني أبي قال: قال شيخ من قريش لا تُرْوّوا نساكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطْنَ في الزنا تورّطاً، وأنشد:

لقد أرسلتُ جاريتي..   وقلتُ لها خذي حذرَكْ

... الأبيات (١/١٤١)

(٢٠)

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن المُسيَّبيّ ومحمد بن سلاّم أنّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله:

حبّذا أنت يا قومُ وأسما   ءُ وعيصٌ يكُنُّنا وخــلاءُ

فقال له: ما أبقيتَ شيئاً يُتمنّى يا أبا الخطّاب إلا مرْجلاً يُسخَّن لكم فيه الماءُ للغُسْل(١). (١/١٦٦)

(٢١)

قال عمر: أيهــا الراكــبُ المُجدُّ ابتكــارا   قـد قضى من تهامــة الأوطــارا

---

(١) تتميّز تعليقات ابن أبي عتيق بخفّة الروح، والظرف، والنعومة، وهي الصفات التي تميّز بها أهل الحجاز، وقد انعكس هذا على تلك التعليقات.

مَنْ يكن قلبه صحيحا سليماً ففؤادي بالخيف أمس مُعارا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلُّ يومين حجّة واعتمارا

... وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا، فقال: الله أرحمُ بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتمَّ لكَ فسقك. (١٦٧/١)

(٢٢)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا الحُسين بن إسماعيل عن أبي عائشة عن أبيه قال: كان جريرٌ إذا أُنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: شعرٌ تهاميٌّ إذا أنْجد وجد البرْد، حتى أُنشدَ قوله:

رأتْ رجُلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحى وأمَّا بالعشيِّ فيخْصَرُ

... الأبيات، فقال: مازال هذا يهْذي حتى قال الشعر. (١٧٣/١)

(٢٣)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يعقوبُ بن إسحاق الرّبعيّ عن أبيه قال: أنشد عمرُ بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله:

لم ترَ العينُ للثريَّا شبيهاً بمسيل التِّلاعِ يومَ التقيْنا(١)

فلما بلغ إلى قوله:

ثم قالتْ لأختها قد ظلمْنا إن رددْناه خائباً واعتدينا

قال: أحسنتْ والهدايا(٢) وأجادت، ثم أنشده ابنُ أبي عتيق مُتمثِّلاً قول الشاعر:

أريني جواداً مات هزْلاً لعلّني أرى ما ترينَ أو بخيلاً مُخلَّدا

فلمَّا بلغ عُمر إلى قوله في الشعر: في خلاءٍ من الأنيس وأمْنٍ

قال ابنُ أبي عتيق: أمْكنتْ للشَّارب الغُدُر(٣) «مَنْ عالَ بعدها فلا انجبر»(٤). فلمَّا بلغ إلى قوله:

---

(١) التِّلاع: جمع تلعة وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض.

(٢) الهدايا: جمع هديّة، وهي ما يُهدى إلى البيت الحرام من النَّعم لتُنْحر.

(٣) الغُدرُ: جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها.

(٤) هذا مثل أورده الميداني، يقال: جبرته فجبر أي استغنى، وعال: افتقر، يضرب في اغتنام الفرصة عند الإمكان.

فمكثنا كذاك عشراً تباعاً في قضاء لديننا واقتضينا

قال: أما والله ما قضيتَها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتَها إيّاه، فلا عرّفكما الله قبيحاً! فلمّا بلغ إلى قوله: كان ذا في مسيرنا إذا حججْنا علــم اللــه فيه مــا قــد نوينــا

قال: إنّ ظاهرَ أمرك ليدلُّ على باطنه، فأرْوِد(١) التفسير، ولئنْ متُّ لأموتنَّ معك، أفٍّ للدنيا بعدك يا أبا الخطاب! فقال له عمرُ: بل عليها بعدك العفاءُ يا أبا محمد! (٢٢٨/١)

(٢٤)

وأمّا خبر السّواد في ثنيّتي عمر فإنّ الزُّبير بن بكّار ذكره عن عمّه مُصعب في خبره: أنّ امرأةً غارتْ عليه فاعترضته بمسْواكٍ كان في يدها فضربتْ به ثنيّتيه فاسْودّتا. وذكر إسحاقُ الموْصليّ عن أبي عبد الله المُسيّبيّ وأبي الحسن المدائنيّ: أنه أتى الثريا يوماً ومعه صديقٌ له كان يُصاحبُه ويتوصّلُ بذكره في الشعر؛ فلمّا كشفتِ الثريّا السِّترَ وأرادتِ الخروجَ إليه، رأت صاحبه فرجعتْ. فقال لها: إنه ليس ممّنْ أحتشمُه ولا أخفي عنه شيئاً؛ واستلْقى فضحك ـ وكان النساءُ إذ ذاك يتختّمْنَ في أصابعهنّ العشْر ـ فخرجتْ إليه فضربتْه بظاهر كفّها، فأصابت الخواتيمُ ثنيّتيه العلّيينْ فنغضتا(٢) وكادتا تسْقُطان، فقدمَ البصرة فعُولجتا له، فثبتتا واسودّتا. فقال الحزينُ الكنانيُّ يُعيّرُه بذلك ـ وكان عدوّه وقد بلغه خبرُه ـ :

مـا بالُ سنّيْكَ أمْ مـا بالُ كسْرِهمـا أهكـــذا كُســراً في غيرِ مـا باسِ
أم نفْحـةً من فتـاةٍ كـنتَ تـألفُهــا أم نالها وسْطَ شربٍ صدْمةُ الكاس(٣)

قال: ولقيه الحزين الكنانيّ يوماً فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمرُ: اذْهبْ اذْهَبْ، ويْلَك! فإنّك لا تُحْسِنُ أن تقول:

ليتَ هنداً أنجزتْنا مـا تَعِدْ وشــفتْ أنفســنا مما تجِدْ
واســـتبدّتْ مـــرةً واحـــدةً إنّما العاجزُ مَنْ لا يســتبدّْ (٢٣٠/١)

(٢٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير بن الخطفى المدينة (وسعى إلى مكة ليسمع ابن سُريج)... فغناه ابن سُريج.. فقال

---

(١) أرْوِد: اترك، يعني إنّ ظاهر أمرك ليدلّ على باطنه، فدع التفسير فلا حاجة إليه.

(٢) نغضت سنّه تنغض: قلقت وتحركت. (٣) النفحة: الضربة، والشّرْب: الجماعة يشربون الخمر.

جرير: لله درُّكم يا أهل مكة ما أعطيتم .. وجوهكم الحسان ورقّة ألسنتكم. (١/٢٩٥)

(٢٦)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاقُ بن يحيى بنِ طلْحة قال: قدم جريرُ بنُ الخطفى المدينةَ ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلُبُ الشِّعْر، فاحْتشدْنا له ومعنا أشعَبُ. فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمْنا لم نبْرح. وجاء الأحْوصُ بنُ محمد الشاعرُ من قُباءَ على حمارٍ فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام لحاجةٍ، فما حاجتُك إليه؟ قال: أريد والله أنْ أعْلمه أنَّ الفرزدق أشعرُ منه وأشرفُ. قلنا: ويْحك! لا تعْرِضْ له وانْصرفْ، فانصرف وخرج. فجاء جريرٌ فلم يكن بأسرعَ من أن أقبلَ الأحوصُ الشاعرُ فأقبل عليه، فقال: السلامُ عليكَ يا جريرُ. قال جريرٌ: وعليك السلام، فقال الأحوصُ: يابن الخطفى، الفرزدقُ أشرفُ منكَ وأشعرُ. قال جريرٌ: مَنْ هذا أخْزاه اللهُ؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلح. فقال: نعم! هذا الخبيثُ ابن الطيب، أأنتَ القائل:

يقرُّ بعيْني ما يقرُّ بعيْنها ... وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قرَّتِ

قال نعْم. قال: فإنه يَقَرُّ بعينها أن يدخلُ فيها مثلُ ذراعِ البكْر، أفيقرُّ ذلك بعينك؟! (١/٢٩٥)

(٢٧)

أخبرني الحسيْن بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال: كتب الوليد بنُ عبدِ الملك إلى عامل مكة أنْ أشْخصْ إليَّ ابن سريج، فأشْخصه. فلمّا قدم مكث أيّاماً لا يدْعو به ولا يلتفتُ إليه. قال: ثم إنه ذكره، فقال: ويلكم! أين ابنُ سُريج؟ قالوا: هو حاضرٌ. قال: عليَّ به. فقالوا: أجبْ أمير المؤمنين. فتهيأ ولبس وأقبلَ حتى دخل عليه فسلَّم. فأشار إليه أنْ اجلسْ، فجلس (بعيداً). فاستدناه (فدنا) حتى كان منه قريباً، وقال: ويْحكِ يا عُبيد! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بكَ مِنْ كثرةِ أدبك وجوْدةِ اختيارك مع ظرْف لسانك وحلاوة مجلسك. فقال: جُعلْتُ فداكَ يا أمير المؤمنين! «تسمعُ بالمعُيديِّ خيرٌ من أن تراه». قال الوليدُ: إني لأرْجُو ألاَّ تكون أنت ذاك، ثم قال: هاتِ ما عندك. فاندفع ابنُ سُريج فغنّى بشعر الأحوص:

أمنزلتي سلْمى على القدِم اسْلما ... فقد هجْتُما للشوق قلباً متيماً
وذكَّرْتُما عصرَ الشبابِ الذي مضى ... وجِدَّةَ وصْلٍ حبْلُه قد تجذما(١)

---

(١) تجذَّم: تقطّع.

وإني إذا حلّتْ ببيشٍ مقيمةً   وحلَّ بوج جالساً أو تتهَّما(١)
يمانيةً شطّتْ فأصبح نفعُها   رجاءً وظنّاً بالمغيبِ مرجَّما
أحبُّ دنُوَّ الدارِ منها وقد أبى   بها صدْعُ شعْب الدار إلاّ تثلُّما
بكاها وما يدري سوى الظنّ مَنْ بكى   أحيًّا يُبكّي أم تُراباً وأعظُما
فدعْها وأخْلِفْ الخليفةِ مِدْحةً   تُزِلْ عنكَ بُؤسى أو تُفيدك أنْعُما
فإنَّ بكفّيْه مفاتيحَ رحمةٍ   وغيثَ حياً يحْيا به الناس مُرْهما(٢)
إمامٌ أتاه المُلْكُ عفواً ولم يُثِبْ   على مُلْكه مالاً حراماً ولا دما
تخيَّرُه ربُّ العبادِ لخلْقِه   وليًّا وكان الله بالناس أعْلما
فلمًّا قضاه اللهُ لم يدْعُ مُسْلماً   لبيْعَته إلاّ أجابَ وسلَّما
ينالُ الغنى والعزُّ مَنْ نالَ وُدَّه   ويرْهبُ موتاً عاجلاً مَنْ تشأّما

فقال الوليد: أحسنتَ واللهِ وأحسنَ الأحْوصُ! عليَّ بالأحوص. (٢٩٧/١)

(٢٨)

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونس قال حدّثنا عمرُ بن شبّة عن إسحاقَ الموْصليَّ عن ابن كُناسة قال: اجتمع النُّصيب والكُميت وذو الرُّمة، فأنشدهما الكُميتُ قوله:

هل أنت عن طلبِ الأيْفاعِ مُنْقلِب(٣)

حتى بلغ إلى قوله فيها:

أم هلْ ظعائنُ بالعلياءِ نافعةٌ   وإن تكامل فيها الأنْسُ والشَّنَبُ(٤)

فعقد نصيبٌ واحدةً. فقال له الكُميت: ماذا تُحصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنْسُ من الشَّنب، ألا قُلتَ كما قال ذو الرُّمّة:

لمياءُ في شفتيْها حُوّةٌ لعسٌ   وفي اللّثاتِ وفي أنْيابها شنبُ(٥)

ثم أنشدهما قوله: أبتْ هذه النفسُ إلاّ ادُّكارا   حتى بلغ إلى قوله:

---

(١) بيش: موضع في بلاد اليمن قرب دهلك، ووج: اسم وادٍ بالطائف بالبادية، وجالساً: آتياً الجلس وهو نجد، وتتهم: أتى تهامة.

(٢) أرهمت السماء: أتت بالرِّهام جمع رهمة، وهي المطر الضعيف الدائم.

(٣) الأيفاع: الكواعب التي شارفت البلوغ.   (٤) العلياء: اسم بلد، والشَّنب: رقّةٌ وبردٌ وعذوبة في الأسنان.

(٥) اللمياء: بيّنة اللَّمى، هو سمرة الشفتين واللثات، والحوّة: سمرة الشفة، واللّعس: سواد اللثة والشفة في حمرة.

إذا ما الهجارسُ غنَّيتها تُجاوِبْنَ بالفلواتِ الوبارا(١)

فقال له النُّصيب: والوبارُ لا تسكنُ الفلواتِ. ثم أنشد حتى بلغ منها:

كـأنَّ الغُطـامطِ من غلْيِـهـا أراجيزُ أسْلَمَ تهْجو غفاراً(٢)

فقال النُّصيب: ما هجتْ أسْلمُ غفاراً قطُّ(٣)؛ فانكسر الكُميتُ وأمسك. (٣٤٧/١)

(٢٩)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرْزبان قال حدّثني عبدُ الله بنُ إسماعيل بن أبي عُبيد الله كاتب المهديّ قال: وجدتُ في كتاب أبي بخطّه: حدّثني أبو يوسف التُّجيبيّ قال حدّثني إسماعيلُ بنُ المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال: حدّثني النُّصيب أبو مِحْجن أنه خرج وهو كُثيِّر والأحوصُ غبَّ يومٍ أمطرتْ فيه السماءُ. فقال: هل لكم في أن نركبَ جميعاً فنسيرَ حتّى نأتي العقيق فنُمتِّعَ فيه أبصارنا؟ فقالوا نعْم. فركبوا أفضلَ ما يقْدرونَ عليه من الدوابِّ، ولبسوا أحسنَ ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكّروا ثم ساروْا حتّى أتَوْا العقيق، فجعلوا يتصفّحُونُ(٤) ويرْون بعضَ ما يشْتهون، حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم فأمُّوه حتى أتوه، فإذا وصائفُ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزاتٌ، فسألنهم أن ينزلوا، فاستحْيوا أن يُجيبُوهنَّ من أوّل وهْلةٍ، فقالوا: لا نستطيع أو نمْضي في حاجةٍ لنا. فحلّفْنهم أن يرجعُوا إليهنّ، ففعلوا وأتوْهنّ، فسألنهم النزولَ فنزلوا. ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنْت لهم، فلم تلبث أنْ جاءت المرأةُ فقالت: ادخلوا. فدخلنا على امرأة جميلة برْزةٍ على فُرُشٍ لها، فرحَّبتْ وحيَّتْ، وإذا كراسيّ موضوعة، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسيّ فقالت: إن أحببْتُم أن ندعو بصبيّ لنا فنُصيِّحه ونعْرُكَ أذنه(٥) فعلْنا، وإن شئتُم بدأنا بالغداء. فقلنا: بل تدْعين بالصبيّ ولن يفوتنا

(١) الهجارس: جمع هِجْرس، وهو القرد والثعلب، أو ولده، أو هو من السّباع كلّ ما يُعسعس بالليل ممّا كان دون الثعلب وفوق اليربوع. والوبار: جمع وَبْر، وهو دويبّة على قدر السّنور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء حسنة العينين، ويقال إنّها دابة لا ذَنَب لها تدجن في البيوت، وهو يتفق مع نقد نصيب.

(٢) الغُطامط: صوت غليان القدر، وأسلم وغفار: قبيلتان.

(٣) من المفيد أن نورد هنا ما ورد في حاشية الأغاني نقلاً عن تاج العروس ما يأتي: «وقيل وردت غفار وأسلم إلى النبي صلّى الله عليه وسلم، فلّما صاروا في الطريق قالت غفار لأسلم: انزلوا بنا. فلّما حطّت أسلم رحلَها، مضت غفار فلم تنزل فسبّوهم، فلّما رأت ذلك أسلم ارتحلوا وجعلوا يرجزون بهجائهم».

(٤) تصفحّت الشيء: نظرت إليه لأتعرّفه.

(٥) عرْك الأذن: دلكها، وهي تقصد العود.

الغداء. فأومأتْ بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكُنْ إلا كلا(١) ولا حتّى جاءتْ جاريةٌ جميلةٌ قد سُترت بمُطرف، فأمْسكُوه عليها حتى ذهب بُهْرُها(٢)، ثم كُشِفَ عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمال موْلاتها، فرحَّبتْ بهم وحيَّتْهم، فقالت لها مولاتُها: خُذي ـ ويْحك ! ـ من قول النُّصيب عافى اللهُ أبا مِحْجن:

ألا هل من البيْن المُفرِّق من بُدٍّ   وهل مثْلُ أيامٍ بمُنْقطع السَّعْد(٣)
تمنَّيتُ أيَّامي أولئك، والمُنى   على عهد عادٍ ما تُعيدُ ولا تُبْدي(٤)

فغنَّته، فجاءتْ به كأحسن ما سمعتُه قط بأحلى لفظٍ وأشْجى صوت. ثم قالت لها: خُذي أيضاً من قول أبي مِحْجن عافى الله أبا محجن:

أرِق المُحبُّ وعاده سهدُهْ   لطوارقِ الهمِّ التي ترِدُهْ
وذكرتُ مَنْ رقَّتْ له كبدي   وأبى فليس ترِقُّ لي كبِدُهْ
لا قومُه قومي ولا بلدي   فنكُونَ حيناً جيرةً ـ بلدُهْ
ووجدتُ وجْداً لم يكن أحدٌ   قبلي مِنَ اجْلِ صبابةٍ يجدُهْ
إلاَّ ابنَ عجلانَ الذي تبلتْ   هنْدٌ ففات بنفسه كمدُهْ(٥)

قال: فجاءتْ به أحسن من الأوّل، فكدتُ أطيرُ سروراً، ثم قالتْ لها: ويْحكِ! خُذي من قول أبي مِحْجنَ عافى اللهُ أبا محجن:

فيا لكَ من ليلٍ تمتَّعتُ طُولَه   وهل طائفٌ من نائمٍ متمتَّعُ
نعَمْ إنَّ ذا شجْوٍ متى يلْقَ شجْوه   ولو نائماً مُسْتعتبٌ أو مُودَّعُ
له حاجةٌ قد طالما قد أسرُّها   من الناس في صدْرٍ بها يتصدَّعُ
تحمَّلها طُولَ الزمان لعلَّها   يكونُ لها يوماً من الدهر منْزَعُ
وقد قُرعتْ في أمِّ عمروٍ لي العصا   قديماً كما كانتْ لذي الحِلْم تُقْرعُ(٦)

---

(١) كلا ولا: العرب إذا أرادت تقليل مدّة فعل أو ظهور شيء خفيّ قالوا: كان فعله كلا، وربما كرّروا فقالوا: كلا ولا، يعني لم يمرّ سوى قليل من الوقت حتى جاءت الجارية. (٢) بُهْرها: يعني حتى هدأ روعها واطمأنّت.

(٣) منقطع المكان: حيث ينقطع وينتهي، والسَّعد: موضع معروف قريب من المدينة بينهما ثلاثة أميال.

(٤) ما تعيد ولا تبدي: أي لا تأتي بعائدة ولا بائدة، يريد أنّه لا نفع فيها.

(٥) ابن عجلان: يريد عمرو بن عامر بن برد بن منبه أحد بني كاهـ بن لحيان بن هذيل المعروف بعمرو ذي الكلب، وفات بنفسه كمده: أي ذهب كمده بنفسه وأتى عليها فأهلكها.

(٦) يشير بذلك إلى المثل المعروف: «إنَّ العصا قُرعت لذي الحلم»، وأصله أنَّ حكماً من حكام العرب عاش حتى =

قال: فجاءت والله بشيء حيّرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري، وما سمعتُ فيه من حُسن الصّنعة وجودتها وإحكامها. ثم قالت لها: خُذي أيضاً من قول أبي مِحجن، عافى الله أبا محجن:

يأيُّها الرُّكبُ إنّي غيرُ تابعكُمْ ... حتى تُلمُّوا وأنتُمْ بي مُلمُّونا
فما أرى مثلُكم ركْباً كشكْلكُمُ ... يدعوهُمُ ذو هدىً إلاّ يعُوجُونا
أم خبِّروني عن دائي بعلمكُم ... وأعلمُ النّاسِ بالداءِ الأطبُّونا(١)

قال نُصيب: فوالله لقد زُهيتُ بما سمعتُ زهْواً خيِّل إليَّ أنّي من قُريش، وأنَّ الخلافة لي، ثم قالت: حسْبُك يا بُنيَّة! هاتِ الطعامَ يا غلامُ! فوثب الأحوصُ وكُثيِّرٌ وقالا: والله لا نطعَم لك طعاماً ولا نجلسُ لك في مجلس؛ فقد أسأتِ عشرتنا واستخففتِ بنا، وقدّمتِ شعر هذا على أشعارنا، واستمعتِ الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفْضُلُ شعْره، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا. فقالت: على معرفةٍ كل ما كان منّي، فأيُّ شعركما أفضلُ من شعره؟ أقولُك يا أحوصُ:

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها ... وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قرّتِ

أو قولُك يا كُثيِّر في عزّة:

وما حسبتْ ضمْريةً جُدويةٌ(٢) ... سوى التّيْس ذي القرْنين أنَّ لها بَعْلا

أم قولُك فيها:

إذا ضَمْريّةٌ عطستْ فنِكْها ... فإن عُطاسها طرفُ السِّفادِ

قال: فخرجا مُغْضبينَ واحْتبستني، فتغدّيتُ عندها، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلّتين وطيب، ثم دفعتْ إليَّ مائتي دينار وقالت: ادفعْها إلى صاحبيك: فإن قبلاها وإلا فهي لك. فأتيتُهما منازلهما فأخبرتُهما القصّة. فأمّا الأحوصُ فقبلها، وأمّا كُثيِّر فلم يقبلها، وقال لعنَ الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها! فأخذتُها وانصرفتُ، فسألتُ النُّصيب: ممن المرأةُ؟ فقال: من بني أميّةَ ولا أذكرُ اسمها ما حييتُ لأحد. (٣٦٥/١)

= أمتر، فقال لابنته: إذا أنكرتِ من فهمي شيئاً عن الحكم فاقرعي لي المجنّ بالعصا لارتدع، وهذا الحكم هو عمرو بن حَمَمة الدوسي، وقيل: أول مَنْ قُرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني أحد حكماء العرب وحكامهم. والمثل يُضرب لِمَنْ إذا نُبّه انتبه. يريد أنّه ليم في حبّها قديماً.

(١) الأطبّون: البارعون في الطبّ.

(٢) جدويّة: نسبة إلى جُدَيّ بن ضمرة بن بكر من كنانة.

(٣٠)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن مُصْعب الزُّبيريّ عن مشْيخةٍ من أهل الحجاز: أنَّ نُصيباً دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: أنْشدني بعض ما رثيْتَ به أخي؛ فأنشده قوله:

عرفتُ وجرّبتُ الأمورَ فما أرى ... كماضٍ تلاه الغابرُ المتأخّر(١)
ولكنَّ أهلَ الفضل من أهل نِعْمتي ... يمرُّون أسْلافاً أمامي وأغْبُرُ(٢)
فإن أبْكِهِ أعْذَرْ وإن أغلب الأسى ... بصبرٍ فمثْلي عندما اشتدَّ يصْبرُ
وكانت ركابي كلّما شئتُ تنْتحي ... إليكَ فتقْضي نحْبها وهي ضُمَّر
ترى الورْدَ يُسْراً والثّواءَ غنيمةً ... لديكَ وتُثْنى بالرِّضا حين تصْدُرُ
فقد عريتْ بعدَ ابنِ ليلى فإنّما ... ذُراها لمن لاقتْ من الناس منْظرُ
ولو كان حيّاً لم يزلْ بدُفوفها ... مرادٌ لغرْبان الطريق ومنْقرُ(٣)
فإن كُنَّ قد نِلْنَ ابنَ ليلى فإنّه ... هو المصطفى من أهله المُتخيَّرُ

فلمّا سمع عبدُ الملك قوله:

فإن أبكه أعْذرْ وإن أغلب الأسى ... بِصبْرٍ فمثْلي عندما اشتدَّ يصبرُ

قال له: ويلك! أنا كنتُ أحقُّ بهذه الصفة في أخي منك! فهلاّ وصفْتني بها! وجعل يبكي. (١/٣٦١)

(٣١)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كُناسة قال: قال لي عبد الله بن إسحاق البصريّ: لو وليتُ العراقَ لاستكتبتُ نُصيباً قلتُ: لماذا؟ قال لفصاحته وحسن تخلُّصه إلى جيّد الكلام، ألم تسمع قوله:

فلا النفسُ ملّتْها ولا العينُ تنتهي ... إليها سوام الطَّرْف عنها فترْجِعُ(٤)
رأتْها فما ترْتدُّ عنها سآمةً ... ترى بدلاً منها به النَّفْسُ تقْنعُ (١/٣٦٢)

---

(١) الغابر هنا: الباقي؛ ويُستعمل أيضاً في الماضي.

(٢) أغبر: أبقى وأعيش.

(٣) الدفوف: جمع دف، وهو هنا صفحة الجانب، يريد أنّها كانت سمينة.

(٤) سوام الطرف: أي إذا انتهت إليها نظرات الطرَف التي تسمو إليها من العين، تعلّقت بها فلم ترجع عنها.

(٣٢)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال: أنشد نُصيب قوله:

وكِدْتُ ولم أُخْلَقْ من الطير إن بدا ... لها بارقٌ نحو الحجاز أطيرُ

فسمعه ابنُ أبي عتيق، فقال: يابنَ أمّ، قُلْ غاقِ فإنّك تطير، يعني أنه غُرابٌ أسودُ(١). (١/٣٦٤)

(٣٣)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني الموْصليّ عن ابن أبي عُبيدة قال: أتى نُصيبٌ مكةَ فأتى المسجد الحرام ليلاً، فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاثُ نسوةٍ فجلسْنَ قريباً منه وجعلْنَ يتحدّثن ويتذاكرْن الشعر والشعراء، وإذا هنَّ من أفصح النساء وأدبِهنّ، فقالت إحداهنّ: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

وبين الصفا والمروتين ذكرتُكم ... بمُخْتلفٍ ما بين ساعٍ وموجِف
وعند طوافي قد ذكرتُك ذُكْرةً ... هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تضْعُف

فقالتِ الأخرى: بل قاتل اللهُ كُثيِّر عزّة حيث يقول:

طلعْن علينا بين مروةَ والصفا ... يمُرْنَ على البطْحاء مَوْرَ السحائب(٢)
فكِدْنَ لعمْرُ الله يُحْدِثْنَ فتنةً ... لمُختشعٍ من خشيةِ الله تائبِ

فقالت الأخرى: قاتلَ اللهُ ابن الزانية نُصيباً حيث يقول:

ألامُ على ليْلى ولو أستطيعُها ... وحُرْمةِ ما بين البنيّةِ والسِّتْر(٣)
لمِلْتُ على ليْلى بنفسيَ ميلةً ... ولو كان في يوم التَّحالُق والنَّحْرِ

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلّم عليهنّ فردَدْنَ عليه السلام فقال لهنّ: إنّي رأيتُكنّ تتحادثْنَ شيئاً عندي منه علمٌ. فقلن: ومن أنت؟ فقال: اسمعْنَ أوّلاً. فقلن: هات، فأنشدهنّ قصيدته التي أوّلها:

ويوم ذي سلمٍ شاقتْك نائحةٌ ... ورقاءُ في فننٍ والريحُ تضطربُ(٤)

فقلن له: نسألك بالله وبحقِّ هذه البنيّة، من أنت؟ فقال: أنا ابنُ المظلومة المقذوفة بغير جُرْم

---

(١) هذا لون آخر من ألوان نقد ابن أبي عتيق المتّسمة بالخفّة والظرف.

(٢) يمُرْن: يتمايلن جانبات ذاهبات. (٣) البنيّة: هي الكعبة المشرفة.

(٤) ذو سلَم: وادٍ بالحجاز، ذكره ياقوت في معجمه (٣/ ٢٤٠).

«نُصيب». فقُمْنَ إليه فسلَّمن عليه ورحَّبْنَ به، واعتذرت إليه القائلة، وقالت: والله ما أردتُ سوءا، وإنَّما حملني الاستحسانُ لقولك على ما سمعت(١). فضحك وجلس إليهنَّ، فحادثهنَّ إلى أنِ انصرفن. (٣٧٦/١)

(٣٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدثّني عُرْوةُ بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال: أنشد ابنُ جُنْدبٍ الهُذليّ ابن أبي عتيق قول العرْجيّ:

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنس قولها لخادمها قُومي اسْألي لي عن الوِتْرِ
فقالت يقول الناسُ في ستّ عشرةً فلا تعجلي منهُ فإنّك في أجْرِ
فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعةٌ ولا ليلةُ الأضحى ولا ليلةُ الفطْرِ
بعادلةِ الإثنينِ عندي وبالحرى يكونُ سواءً منهما ليلةُ القدْرِ

فقال ابنُ أبي عتيق: أشهدكم أنَّها حرَّةٌ من مالي إن أجاز ذلك أهلُها، هذه والله أفْقَهُ من ابنِ شهاب(٢). (٣٩٨/١)

(٣٥)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا: حدّثنا عُمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة، وأخبرني عثمانُ عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن لقيط، وحدّثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثمُ بنُ عديّ عن عثمانَ بن عمارة، وذكر أبو نصر أحمدُ بن حاتم صاحبُ الأصمعيّ وأبو مسلم المُسْتَمْلي عن ابنُ الأعرابيّ - يزيد بعضهم على بعض - أنَّ عثمانَ بن عمارة المرّي أخبرهم أنَّ شيخاً منهم من بني مرّة حدّثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدُلِلْتُ على محلّته فأتيتُها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نعمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ:

---

(١) يأتي الإطراء والاستحسان في بعض العبارات على هيئة يُفهم من ظاهرها الشتم مثل هذا النص، ومثل: قاتله الله، أو لعنه الله، وأشباه هذا، وهي تشير في مجملها إلى الأثر الذي يحدثه الشعر في النفس، فيُعبِّر عنه بمثل تلك العبارات القصيرة المنفعلة.

(٢) ابن شهاب: يريد به محمدبن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، نسبة إلى زهرة بن كلاب، عالم المدينة، ومحدثها، وفقيهها، توفي سنة (١٢٣هـ)، جاء في البيان والتبيين (٢٤٢/١): « .. والذين بثّوا العلم في الدنيا أربعة: قتادة، والزُّهري، والأعمش، والكلبي».

والله لهو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إليّ! وإنه هوى امرأةً من قومه، والله ما كانت تطمعُ في مثله، فلمّا أن فشا أمره وأمرها كره أبوها أن يُزوِّجها منه بعد ظهور الخبر فزوَّجها من غيره، فذهب عقلُ ابني ولحقه خبلٌ وهام في الفيافي وجْداً عليها، فحبسناه وقيدْناه فجعل يعضُّ لسانه وشفتيه حتى خفْنا (عليه) أن يقطعها فخلّينا سبيله، فهو يهيم في (هذه) الفيافي مع الوحوش يُذهَبُ إليه كلَّ يوم بطعامه فيوضعُ له حيث يراه، فإذا تنحَّوا عنه جاء فأكل منه. قال: فسألتُهم أن يدلّوني عليه، فدلّوني على فتىً من الحيّ كان صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيته فسألتُه أن يدلّني عليه؛ فقال: إن كنتَ تريد شعره فكلُّ شعْرٍ قاله إلى أمس عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن كان قال شيئاً آتيتُك به؛ فقلتُ: بل (أريد أن) تدلّني عليه لآتيه؛ فقال لي: إنه إن نفر منك نفر مني فيذهبُ شعْرُه، فأبيتُ إلاّ أن يدلّني عليه؛ فقال: اطلبه في هذه الصحارى (فإذا رأيته) فادنُ (منه) مستأنِساً ولا تُرِه أنك تهابُه، فإنه يتهدّدك ويتوعدُك أن يرميك بشيء، فلا يروعنّك واجلسْ صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنتَ تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه مُعْجبٌ به؛ فخرجتُ فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدتُه جالساً على رمْل قد خطَّ فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوتُ منه غيرَ منقبضٍ، فنفر منّي نفور الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضتُ عنه، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ، فلمّا طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه، فأقبلتُ عليه وقلت: أحسنَ والله قيسُ بن ذريحٍ حيث يقول:

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّني ... بعلمك في لُبنى وأنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبر بشيءٍ علمته ... فلا طِرْتَ إلا والجناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ ... كما قد تراني بالحبيب أدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال: أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقولُ:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدى ... بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذبه وقد علِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هنيهةً، ثم أقبلتُ عليه فقلت: وأحسنَ والله قيس بنُ ذريح حيث يقول:

وإني لمُفْنٍ دمعَ عينيَّ بالبكا ... حذاراً لما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعدَ ذاكَ بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كانت أخشى أن تكون منيّتي ... بكفّيك إلا أن مَنْ حانَ حائنُ

قال: فبكى - والله - حتى ظننتُ أنَّ نفسه قد فاضتْ، وقد رأيتُ دموعه قد بلّتِ الرملَ الذي بين

يديه، ثم قال: أحسنَ لعمرُ الله، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول:

وأدْنيتِني حتى إذا ما سبيتِني ... بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهْلَ الأباطِحِ(١)
تناءيْتِ عنّي حينَ لا لي حيلةٌ ... وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانحِ (٨٧/٢)

(٣٦)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قال ابن عُيينة: سمعت ابنُ شبْرمة يقول: أنا والله أعلم بجيِّد الشعر، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول:

أولئك قوم إن بنَوْا أحسنوا البُنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جزَوْا بها ... وإن أنْعموا لا كدَّرُوها ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم ردُّوا

قال: وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدْنان عن هذا البيت: ما واحد البُنى، قال: بنْية؛ فقال له: أتُجْمع فِعْلة على فُعَل؟ قال: نعم مثل رِشْوة ورُشىً وحِبْوة وحُبىً. (١٧٨/٢)

(٣٧)

قال يحيى في خبره: واجتمع ابن ميَّادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عقال شديد الرأي في اليمن، فغمز(٢) عقالُ ابن ميادة واعتلاه؛ فقال ابن ميَّادة:

فجرنا ينابيع الكلام وبحره ... فأصبح فيه ذو الرِّواية يسبحُ
وما الشعر إلاَّ شعر قيس وخِنْدفٍ ... وقول سواهم كلفةٌ وتملُّحُ(٣)

فقال عقال يجيبه:

ألا أبلغ الرَّماح نقض مقالة ... بها خَطِلَ الرَّمَّاحُ أو كان يمزحُ
لئن كان في قيس وخِنْدفَ ألسنٌ ... طوالٌ وشعرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خرقَ الحيُّ اليمانون قبلهم ... بحورَ الكلام تُستقى وهي تطفحُ
وهم علَّموا مَنْ بعدهم فتعلموا ... وهم أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا

---

(١) العُصْم: جمع أعصم وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض، والوعل: تيس الجبل. يريد أنَّ قولها يخلب العصم ويستنزل لها من الجبال وهي مساكنها إلى الأباطح السهلة.

(٢) غمزه: عابه وصغَّر من شأنه.

(٣) تملُّح: تكلّف الملاحة، يقال: فلان يتظرّف ويتملّح، أي يتكلّف الظرف، والملاحة.

فللسابقين اله... لا يجحدونه   وليس لمخلوقٍ عليهم تَبجُّحُ (٣٠٩/٢)

(٣٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مولى هشام بن الوليد المخزومي وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ   فاستمعْ قولَ رشيدٍ مُؤتمنْ

قال: شهدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأبْطح، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرحَ الواشُون أنْ صرمَتْ حبْلي   بُثَيْنــةُ أو أبْـدَتْ لنا جـانبَ البُخْـلِ

ثم قال: يا أبا الخطاب، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً؟ قال: نعم؛ فأنشده قوله:

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بيْني وبيْنها

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطاب، والله لا أقول مثل هذا سجيس الليالي؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتك أحدٌ! وقام مُشمِّراً.   (٣٧٠/٢)

(٣٩)

أخبرني محمد بن أحمد الطُّلاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ: أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة، فلمّا بلغ إلى قوله:

فقُمْـنَ وقـد أفْهمْـنَ ذا اللبِّ أنّمــا   فعلْنَ الذي يفْعلنَ من ذاك من أجْلي

صاحَ الفرزدق وقال: هذا واللهِ الشعرُ الذي أرادتْه الشعراء فأخطأتْهُ وبكتِ الديار.   (٣٧١/٢)

(٤٠)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصْعبَ الزُّبيريّ: اجتمع نِسْوةٌ فذكرْنَ عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرْفه وحُسْنَ مجلسه وحديثَهُ وتشوّقْنَ إليه وتمنّينه؛ فقالت سُكينة: أنا لكُنّ به، فبعثتْ إليه رسولا ووعدته الصَّوْرين(١) لليلةٍ سمّتْها، فوافاها على رواحله ومعه الفريض، فحدّثهنّ حتى وافى الفجرُ وحان انصرافُهنّ، فقال لهنّ: إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبيّ (ص) والصلاة في مسجده، ولكن لا أخْلِطُ بزيارتكنّ شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

---

(١) الصَّوران: موضع بالمدينة بالبقيع.

أَلْمِمْ بزينبَ إنَّ البيْنَ قد أفِدا   قلَّ الثَّواءُ لئنْ كان الرحيلُ غدا(١)

قال: وانصرفَ عمر بالغريض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غريض، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجَّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكرُه، فهل لك فيه؟ قال: افعلْ من ذلك ما شئتَ وما أنت أهلُه؛ قال: إني قد قلتُ في هذه الليلة التي كنَّا فيها شعرا فامضِ به إلى النِّسْوة فأنْشدهُنَّ ذلك وأخبرهُنَّ أني وجَّهتُ بك فيه قاصدا؛ قال: نعم. فحمل الغريضُ الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سُكينة وقال لها: جُعِلْتُ فداكِ يا سيِّدتي ومولاتي، إن أبا الخطَّاب - أبقاه الله - وجَّهني إليك قاصداً، قالت: أوليسَ في خيرٍ وسرورٍ تركتَهُ؟ قال: نعم؛ قالت: وفيمَ وجَّهك أبو الخطَّاب حفظه الله؟ قال: جُعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حملني شعرا وأمرني أن أنشدكِ إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

أَلمِمْ بزينبَ إن البيْنَ قد أفِدا   قلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غدا

الشعر كلَّه؛ قلت: فياويْحه! فما كان عليه ألاَّ يرْحل في غده! فوجَّهتْ إلى النِّسوة فجمعْتهنَّ وأنشدتهنُّ الشعر، وقالت للغريض: هل عملتَ فيه شيئاً؟ قال: قد غنيْتُه ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغنَّاه الغريض؛ فقالت سُكينة: أحسنتَ والله وأحسنَ ابنُ أبي ربيعة، لولا أنك سبقْتَ فغنَّيته عُمرَ قبْلنا لأحْسنَّا جائزتك، يا بُنانةُ، أعطيه بكلِّ بيتٍ ألف درهم، فأخرجتْ إليه بُنانةُ أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه؛ وقالت سُكينة: لو زادنا عُمرُ لزدْناك.

أَلِمْ بزينبَ إنَّ البيْنَ قد أفِدا   قلَّ الثَّواء لئن كان الرَّحيلُ غدا
قد حلفَتْ ليلةَ الصُّوْريْن جاهدة   وما على الحرِّ إلا الصَّبْرُ مُجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصِفها   لقد وجدتُ به فوق الذي وجدا(٢)
لعمرُها ما أراني إن نوىً نزحتْ   وهكذا الحبُّ إلا ميِّتاً كمدا (٢/٣٧٦)

(٤١)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال وذكر السُّعْديّ: أنَّ الوليد بن عبد الملك قدم مكَّة، فأراد أن يأتي الطائفَ، فقال: هل من رجل عالمٍ يُخْبرني عنها؟ فقالوا: عُمرُ بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكرُوه فأباه، ثمُّ عاد فذكروه فقال: هاتوه؛ وركب معه فجعل يُحدثُه، وكان قد حمل الغريضَ معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ عندي أجملَ الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاته، فدعا به فقال: أسمِعْ أمير المؤمنين

---

(١) أفِدَ: دنا وحضر   (٢) المناصف: جمع مِنْصَف وهو الخادم، والأنثى بالهاء: مِنْصَفة

أحسنَ شيء قلته؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر.

إني لأحفَظُ سِرّكم ويسُرُّني ... لو تعلمين بصالح أن تُذْكري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسلاً ... أو نلتقي فيه عليَّ كأشهُرِ
يا ليتني ألقى المنيّة بغتةً ... إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
ما كنتِ والوعدَ الذي تعدينني ... إلاّ كبرْقِ سحابةٍ لم تمْطُرِ
تُقْضى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

قال: فاشتدَّ سرورُ الوليد بذلك وقال له: يا عمر، هذه رُقْيتُك، ووصله وكساه وقضى حوائجه. (٢/٣٩٥)

(٤٢)

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: اجتمع الشعراءُ إلى الحجّاج وفيهم ابن عبْدل، فقالوا للحجّاج: إنما شعرُ ابن عبْدل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف؛ فقال له: قد سمعت قولهم فاستمع منّي؛ قال هات؛ فأنشده قوله:

وإنّي لأسْتغْني فما أبْطَرُ الغنى ... وأعْرِضُ ميْسوري لمن يبْتغي قرْضي(١)
وأعْسِرُ أحياناً فتشْتدُّ عُسْرتي ... فأدْرِكُ ميْسورَ الغنى ومعي عِرْضي

حتى انتهى إلى قوله:

ولستُ بذي وجْهيْنِ فيمن عرفْتَهُ ... ولا البُخْلُ فاعلَمْ من سمائي ولا أرْضي

فقال له الحجاج: أحسنتَ! وفضّله في الجائزة عليهم بألفيْ درهم. (٢/٤٢٦)

(٤٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد (قال حدّثنا حمّاد) بن إسحاق عن أبيه قال: أنشد ابنُ أبي عتيق قولَ قيس بن الخطيم:

بين شُكُولِ النساء خِلْقَتُها ... حذْواً فلا جبْلةٌ ولا قضَفُ(٢)

فقال: لولا أن أبا يزيد قال: حذْواً ما درى الناسُ كيف يحْشُون هذا الموضع(٣). (٣/١)

---

(١) البَطَر: الطغيان عند النِّعمة. (٢) الشكُول: الضروب، والحذو: التقدير، يريد أنَّها بين ضروب النساء وسط لا هي بالسمينة ولا بالمهزولة، والجبلة: الغليظة، والقضف: دقّة اللحم.

(٣) رأينا في موضع سابق حديث ابن أبي عتيق عن خصائص الشعر الجيّد، ومنها متانة الحشو، ويعود هنا ليستخدم هذا المصطلح تطبيقاً على بيت قيس، واستحسانه حشوه لبيته بكلمة (حذو).

(٤٤)

قال عبد الملك بن مروان: ما يسرّني أنّ أحداً من العرب ولدني ممّن لم يلدني إلا عُروةَ بن الورد لقوله:

إنّي امرؤٌ عافي إنائيَ شركةٌ ... وأنت امرؤٌ عافي إنائك واحدُ(١)
أتهزأ منّي أن سمِنْتَ وأن ترى ... بجسمي مسَّ الحقّ والحقُّ جاهدُ
أفرِّق جِسْمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحْسُو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ (٣/٧٤)

(٤٥)

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال: تفاخر مولًى لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشعريْهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرف المنازلَ إذا قُلبت، يعني قول الحارث:

إني وما نحروا غداةَ منًى ... عند الجمارِ تَؤودها العُقُلُ(٢)
لو بُدِّلتْ أعلى مساكنها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يعلُو
فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيردُّه الإقْواءُ والمحْلُ
لعرفتُ مغْناها بما احتملتْ ... منّي الضلوعُ لأهلها قبْلُ

قال عمر بن شبّة: وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان، وزاد فيه: - فقال مولى ابنِ أبي ربيعة لمولى الحارث: والله ما يُحسِنُ مولاك في شعرٍ إلا نُسِب إلى مولاي. قال ابن سلاّم: وأنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلّها حتى انتهى إلى قوله:

لعرفتُ مغناها بما احتملتْ ... منّي الضلوعُ لأهلها قبلُ

فقال له ابنُ عمر: قُلْ: إن شاء الله؛ قال: إذاً يفْسُد بها الشعرُ يا عمِّ، فقال له: يابن أخي، إنه لا خيرَ في شيءٍ يُفسدُه «إن شاء الله». قال عمر: وحدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحد، وأظنّه لم يروها إلاّ عن محمد بن سلاّم. وأخبرني محمد بن خلف المَرْزبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذيّ عن إسحاق عن أبي عُبَيْدة، فذكر قصّةَ الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه. (٣/٣١٣)

---

(١) العافي: طالب المعروف، وشركة: أراد خلقاً كثيراً. (٢) تؤودها: تثقلها، والعُقُل: جمع عقال.

(٤٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن يحيى بن عُروة بن أذيْنة عن أبيه قال: كان كُثيرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرَّ بهم سعيدُ الراس، وكان مُغنّياً، فقالوا لكثير: يا أبا صخر، هل لك أن نُسمعك غناء هذا، فإنه مجيد؟ قال: افعلوا؛ فدعوْا به فسألوه أن يغنيهم:

هلاَّ سألتَ معالمَ الأطلالِ   بالجزع من حُرُضٍ وهنَّ بوالي(١)
سقْياً لعزَّةَ خلّتي سقْيا لها   إذ نحن بالهضباتِ من أمْلالِ(٢)
إذ لا تكلّمنا وكان كلامُها   نفلا نؤمله من الأنْفالِ(٣)

فغنّاه، فطرب كثيّر وارتاح، وطرب القومُ جميعاً، واستحسنوا قولَ كثيّر، وقالوا له: يا أبا صخْر ما يستطيع أحدٌ أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

إني وما نحروا غداةَ منىً   عند الجمار تؤودُها العُقُلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مساكنها   سُفْلا وأصبح سُفْلها يعلو
لعرفتُ مغناها بما احتملتْ   منّي الضلوع لأهلها قبْلُ(٤)   (٣/٣١٤)

(٤٧)

أخبرني محمد بن مزيْد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جُعْدُبة قال: لما أن قدمتْ عائشة بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة: إنّي أريد السلامَ عليك، فإذا خفَّ عليك أذنْت، وكان الرسولُ الغريضَ، فقالت له: إنّا حُرُم، فإذا أحْللنا أذنّاك. فلما أحلّت سرتْ على بغلاتها، ولحقها الغريضُ بعُسْفان(٥) أو قريبٍ منه، ومعه كتابُ الحارث إليها: ما ضرُكم لو قُلتُم سدداً - الأبيات المذكورة - ؛ فلما قرأتِ الكتابَ قالت: ما يدعُ الحارث باطله! ثم قالت للغريض: هل أحدثْتَ شيئاً؟ قال: نعم، فاسمعي،

---

(١) حُرُض: وادٍ عند أحد.

(٢) أملال: ويقال له ملل: موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة.

(٣) النَّفل: الغنيمة والعطيّة.

(٤) وجّه ابن أبي عتيق فيما سبق نقداً لاذعاً لهذه الأبيات. وفضّل أبياتاً لعمر عليها في المعنى نفسه، ونرى كثيّراً هنا يطربها، ويجعلها تقف مع شعره، وهذا اختلاف يثري النقد، ويعمّقه.

(٥) عُسْفَان: قرية جامعة بها نخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكّة.

ثم اندفع يغني في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: والله ما قلنا إلا سدادا، ولا أردنا إلا أن نشتري لسانهُ؛ وأتى على الشعر كلّه، فاستحسنته عائشة. (٣/٣٢٠)

(٤٨)

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مُصعب الزُّبيريّ قال: أنشدتُ سُكَيْنةُ بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

ففرَغْن من سبْع وقد جُهدت أحشــاؤهن موائلَ الخُمْــرِ

فقالت: أحَسَنٌ عندكم ما قال؟ قالوا: نعم، فقالت: وما حُسْنُه! فوالله لو طافت الإبل سبعاً لجُهدت أحشاؤها. (٣/٣٢٧)

(٤٩)

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارن بن موسى الفرْوي قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدّب لبني هشام بن عبد الملك قال: بينا أنا ألقي على ولد هشامٍ شعر قريشٍ إذ أنشدتُهم شعر الحارث بن خالد:

إنّ امــرأً تعتــادُه ذِكَــرٌ منها ثلاثُ منىً لذو صبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قوله:

ففرغْنَ من سبعٍ وقد جُهدتْ أحشــاؤهن مــوائلَ الخُمْــرِ

فانصرف وهو يقول: هذا كلامُ مُعاينٍ. (٣/٣٢٨)

(٥٠)

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيُّوب قال حدّثني محمد بن سلاّم عن يونس قال: لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رتْبيل(١)، تمثّل رتْبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام:

ترك الأحبّةَ أنْ يُقاتلَ دونَهُمْ ونجــا برأس طمِرّةٍ ولجــامِ(٢)

---

(١) رتْبيل: صاحب الترك، كان بنواحي سجستان، وقد غزاه في سنة (٧٩هـ) عبيد الله بن أبي بكرة، وكان والياً بسجستان. وتوغّل في بلاده، وأصاب منه غنائمَ، وأموالاً وهدم قلاعاً، وحصوناً، وغزاه في سنة (٨٠هـ) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج أيضاً.

(٢) الطِّمِرّة: أنثى الفرس الجواد، والمذكّر طمِرٌّ، وهو المستفزّ للوثب والعدو، ينظر لسان العرب (٤/٥٠٣).

فقال له ابن الأشعث: أو ما سمعت ماردُّ عليه الحارثُ بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

اللهُ يعلم ما تركتُ قتالهم   حتى رَموْا فرسي بأشْقر مُزْبدِ[1]
وعلمتُ أنّي إنْ أقاتلْ واحداً   أُقتَلْ ولا يضْرُرْ عَدوّي مشهدي
فصددتُ عنهم والأحبةُ فيهمُ   طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصدِ

فقال رُتْبيل: يا معشرَ العرب، حسُنتم كلُّ شيء حتى حسُنتم الفرار. (١٦٩/٤)

(٥١)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بعضُ أهل العلم قال: دخل الأحوصُ على يزيدَ بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد: والله لو لم تمُتَّ إلينا بحُرْمة، ولا توصلْت بدالّة، ولا جدَّدْت لنا مدْحاً، غير أنك مُقْتصرٌ على البيتين اللذين قلتهما فينا، لكنتَ مُستوجباً لجزيل الصلَة مِنّي حيث تقول:

وإنّي لأستحييكُمُ أنْ يقودني   إلى غيركم من سائر الناس مطْمَعُ
وأنْ أجْتدي للنفع غيرك منهُم   وأنت إمامٌ للرعيّة مُقْنعُ[2]

قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها عمر بن عبد العزيز. (٢٥٠/٤)

(٥٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي: أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قولَ الأحوص:

إذْ أنتِ فينا لمنْ ينْهاكَ عاصيةٌ   وإذْ أجُرُّ إليكم سادراً رسني

فوثب أبو عُبيدةَ بن عمّار بن ياسرٍ قائماً ثم أرْخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرّه حتى بلغ العِرْض[3] ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنُك؟ فقال: أيُّها الأمير، إني سمعتُ هذا البيتَ مرّةً فأعجبني، فحلفتُ لا أسمعهُ إلاّ جررْتُ رَسَني. (٢٦١/٤)

---

(١) الأشقر من الدواب: الأحمر في مُغْرة حمرة صافية يحمرُّ منها السَّبيب، والمَعْرَفة والناصية، والأشقر: الدم الذي لم يَعْلُه غبار. ينظر لسان العرب (٤٢١/٤).

(٢) رجل مَقْنع: يُقْنع به ويُرضى برأيه، وقضائه.

(٣) العِرض: الوادي فيه زرع ونخل؛ يقال: أخصبت أعراض المدينة؛ وهي قراها التي في أوديتها، ويراد به هنا مكان بعينه.

(٥٣)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيْزة قال: هجا الأحوصُ رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير، وكان كثير المال؛ فغضب من ذلك، فخرج حتّى قدم على الفرزدق بالبصْرة وأهدى إليه وألطفه(١)، فقبل منه، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أقدَمك؟ قال جئتُ مستجيراً بالله عزَّ وجلَّ ثم بك من رجلٍ هجاني. قال: قد أجارك الله منه وكفاكَ مؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

ألا قِفْ برسْمِ الدَّارِ فاسْتنطِق الرَّسْما ... فقــدْ هــاج أحـزاني وذكّـرني نُعْما

قال بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعْره. فخرج ابن بشير فاشترى أفضلَ من الشِّراء الأوّل من الهدايا، فقدم بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أقْدمك؟ قال: جئتُ مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك؛ الله عزّوجل منه وكفاك، أين أنت عن ابن عمّك الأحْوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشّى بشتْمي في أكاريس مالكٍ ... تُشيدُ به كالكلْبِ إذ ينْبَحُ النُّجْما(٢)

فما أنا بالمخْسُوسِ في جِذمِ مالكٍ ... ولا بالمُسمَّى ثم يلْتزمُ الإسْما(٣)

ولكنَّ بيتي إنْ سألتَ وجدته ... توسَّطَ منها العزُّ والحسبَ الضَّخْما

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه. (٢٦٣/٤)

(٥٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عثمان - قال الحرميّ: أحْسبُه ابنَ عبد الرحمن المخزوميّ - قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال: قيل لمُحْرز بن جعفر: أنتَ صاحبُ شِعْرٍ، ونراك تلْزم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إنَّ هناك للشِّعْرَ عينَ الشِّعْرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبُهم الأحوص الذي يقول:

يقولون لو ماتت لقد غاض حُبُّهُ ... وذلك حينُ الفاجعاتِ وحيني

---

(١) ألطفه: أكرمه وبرّه بطرف التّحف.

(٢) أكاريس: جمع الجمع لكرس، وهو هنا الجماعة من الناس.

(٣) الجذم: الأصل.

لعمْرُكَ إنّي إنْ تُحَمْ وفاتُها	بصُحْبة مَنْ يبْقى لغيْرُ ضنينِ

وهو الذي يقول:

وإنّي لمكْرامٌ لساداتِ مالكٍ	وإنّي لنوْكى مالكٍ لسبُوبُ(١)

وإنّي على الحلْمِ الذي من سجيّتي	لحمّالُ أضْغانٍ لهُنّ طلُوبُ	(٢٦٨/٤)

(٥٥)

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايته عنه: حدّثنا المدائنيّ: أنّ الوليد جلس يوماً في مجلس له عامٍّ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشده ثم وثب طريح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهلُ بيته عن يمينه، وأخوالُه عن شماله وهو فيهم، فأنشده:

أنت ابنُ مُسْلَنْطَحِ البطاحِ ولم	تُطرقْ عليك الحُنيُّ والوُلُجُ(٢)

طوبى لفرْعيْكَ من هنا وهنا	طُوبى لأعراقك التي تشجُ(٣)

لو قلتَ للسيل دعْ طريقك والـ	ـموجُ عليه كالهضْبِ يعتلجُ(٤)

لساخ وارتدَّ أو لكانَ له	في سائر الأرض عنك مُنْعرجُ

فطرب الوليد بن يزيد حتّى رُئي الارتياح فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا يُنشدْني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا، واحتبس طُريحاً عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر.	(٣١٦/٤)

(٥٦)

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبي: حدّثني مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول: ركِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النّسائيّ حتّى أتى به قُباءَ؛ فاستخرج الأحوص فقال له: أنْشدني قولك:

ما ضرَّ جيراننا إذ انتجعوا	لو أنّهم قبل بيْنهم ربعُوا

---

(١) النوكى: الحمقى، وسبوب: شاتم.

(٢) المسلنطح من البطاح: ما اتّسع واستوى سطحه منها، وتُطرق عليك: تُطبق عليك وتغطّيك وتضيّق مكانك، والحُنيّ: الأزقّة، والوُلُج: واحدتها ولَجَة: وهو الغامض من الأرض، ينظر لسان العرب (٣٩٩/٢).

(٣) تَشِجِ: تشتبك وتلتف.	(٤) يعتلج: يلتطم.

فأنشده القصيدة. فأعْجب بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أما جئتَ إلاَّ لما أرى؟ قال لا. قال: فاسمعْ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ما ضرَّ أهلك لو تطوَّف عاشقٌ ... بفناء بيتك أو ألمَّ فسلَّما

فقال: والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنك قلتها لما أتيتهُ. (٤١٤/٤)

(٥٧)

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمه محمد بن عبد العزيز: أنَّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له: يا عمّي، إنّي قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيّدا قلتُ، وإن كان رديئاً كففتُ؛ فقال له: أنشد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

منع اللهوَ والهوى ... وسُرى الليل مُصْعَبُ

وسياطٌ على أكفٍّ رجالٍ تقلَّبُ

فقال: قل يابن أخي فإنك شاعر. (٧٦/٥)

(٥٨)

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي: أوَ بلغك أن ابن أبي عتيق أنشد قول ابن قيس: سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها. فقال: كانت هذه يابنَ أمٍّ فيما أرى عمْياء. (٨٨/٥)

(٥٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي مصعب عن جدّي (عن) هشام بن سليمان المخزومي قال: قال ابن أبي عتيق لعُبيد الله بن قيس وقد مرَّ به فسلَّم عليه فقال: وعليك السلام يا فارس العمياء؛ فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد ! بأبي أنت! قال: أنت سميّتَ نفسك حيث تقول: سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلا على عمْياء؛ قال: إنما عَنَيْتُ التعبَ، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى ترْجُمان يترجم عنه. (٨٨/٥)

(٦٠)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطانيّ قال

حدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حرملة قال: كنتُ عند سعيد بن المسيّب، فجاء ابنُ قيس الرقيّات، فهشّ وقال: مرحباً بظُفُر من أظفار العشيرة، ما أحدثتَ بعدي؟ قال: قد قلتُ أبياتاً واستفتيكَ في بيت منها فاسمعها؛ قال: هات؛ فأنشده:

هل للدّيارِ بأهلها علمُ ... أم هل تُبينُ فينطقَ الرسمُ
قالتْ رُقيّةُ فيمَ تصرمُنا ... أرُقيَ ليس لوجهكِ الصّرمُ
تخطو بخلخالَيْن حشوُهما ... ساقانِ مارَ عليهما اللحم(١)
ياصاح هل أبكاك موقفُنا ... أم هل علينا في البُكا إثمُ

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني؛ قال ابنُ قيس الرقيّات:

بل ما بكاؤك منزلاً خَلَقاً ... قفراً يلُوح كأنه الوشْمُ

فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أتلبثُ في تكْريتَ لا في عشيرةٍ ... شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ(٢)
وأنت امرؤٌ للحزم عندك منزلٌ ... وللدّينِ والإسلام منك نصيب

فقال سعيدٌ: لا مُقام على ذلك، فاخرُجْ منها؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: قد أصبت أصاب الله بك. (٩١/٥)

(٦١)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال: أنشد كُثيّرٌ ابن عتيق كلمته التي يقول فيها:

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا أرضى له بقليل

فقال له: هذا كلامُ مكافئٍ ليس بعاشقٍ، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك: ابنُ أبي ربيعة حيث يقول:

ليتَ حَظّي كلحْظةِ العينِ منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهنّا

وقوله أيضاً:

---

(١) مار: تردّد وتحرّك واضطرب.

(٢) تَكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، تبعد عن بغداد ثلاثون فرسخاً، لها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة. ينظر معجم البلدان (٣٨/٢)، وقد أورد ياقوت بيت ابن الرقيات هذا.

فَعِدي نائلاً وإن لم تُنيلي ... إنـه يُقنعُ المحبَّ الرجاءُ

وابنُ قيس الرقيّات حيث يقول:

رُقيَّ بعيشكم لا تهجُرينا ... ومنّينا المُنى ثـم امطُلينا

عدينا في غدٍ ما شئت إنّا ... نُحبُّ وإن مطلتِ الواعدينا

فإمّا تُنجـزي عدتي وإمّـا ... نعيشُ بما نُؤمّل منكِ حينا

قال: فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولى، فقال: صدق ابن أبي عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول:

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ ... لبـاكٍ ولا ليلى لـذي الـودِّ تبذُلُ

وأخنعُ بالعُتْبى إذا كنتُ مذنباً ... وإن أذنبَتْ كنتُ الـذي أتنصّـلُ (٥/٩٥)

(٦٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السَّعْديّ قال حدّثني سائبُ راويةُ كثيِّر قال: كان كثيِّر مديونا، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدّث عنده؛ قال: فذهبت إليه معه؛ فاستنشده ابنُ أبي عتيق، فانشده قوله: أبائنةٌ سُعدى نعم ستبينُ

حتى بلغ إلى قوله:

وأخلفْنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي ... وليس لمن خـان الأمـانةَ دينُ

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تَبِعْتَها(١)! فانكفَّ واستغضب نفسه وصاح وقال:

كذبْنَ صفاءَ الودِّ يوم محلّه ... وأنكدنني من وعدهنَّ ديونُ

فقال له ابن أبي عتيق: ويلك! هذا أملح لهنَّ وأدعى للقلوب إليهنّ، سيّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهنّ؛ أما سمعتَ قوله:

حـبُّ ذاكَ الـدلُّ والغُـنُـجُ ... والتي في عـينهـا دعجُ

والتي إن حـدَّثتْ كـذبتْ ... والتي فـي وعـدها خلَـجُ

---

(١) من الملاحظ أنَّ النقد في أغلب الأحيان جزئي، يقوم على نقد الكلمة المفردة، أو المعنى الدقيق، ولكن عند جمع هذه (النقدات) من الممكن أن نحصل على اتجاه عام يتضمّن هذا النقد من حيث المؤثرات والخصائص.

وترى في البيت صـــورتها   مثلما في البيعة السُّرُجُ(١)
خـــبِّروني هل على رجـلٍ   عـــاشقٍ في قُبلةٍ حـــرجُ

قال: فسكن كُثيِّر واستحلى ذلك، وقال: لا! إن شاء الله؛ فضحك ابن أبي عتيق حتى ذُهِبَ به. (٩٨/٥)

(٦٣)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عُرير الزُّهْريّ قال: أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قول ابن قيس الرقيّات:

قد أتانا من آل سُعْدى رسـولُ   حـبَّذا مـا يقـول لـي وأقـولُ
مِنْ فتاةٍ كأنّها قرنُ شمسٍ   ضـاقَ عنها دمالـجٌ وحُجُـولُ(٢)
حـبَّذا ليلتي بمِـزَّة كـلـبٍ   غـال عنّي بهـا الكوانين غُولُ(٣)

فقال لي: يابنَ الأمير ما تُراه كان يقول وتقول؟ فقلت:

حديثاً كما يسري الندى لوسمعته   شـفاك من ادواء كـثير وأسْـقما

فطرِب وقال: بأبي وأمي! ما زلتُ أحبك، ولقد أضعف حبِّي إياك حين تفهم عني هذا الفهم. (٩٩/٥)

(٦٤)

أخبرني أحمد بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعيم قال حدّثني كثير بن أبي جعفر الحراميّ الكوفيّ عن أحمد بن جوّاس الحنفيّ عن أبي بكر بن عيّاش قال: كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ عليّ، حتّى مَررتُ ذات يوم بالكُناسة(٤)، فإذا أنا بأعرابيّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشد:

خليليّ عُوجا منْ صُدور الرَّواحـلِ   بجرعاءِ حُزْوى فابكيا في المنازلِ(٥)

---

(١) البيعة: مكان العبادة لدى اليهود أو النصارى.

(٢) دمالج: جمع دملج وهو المعضد من الحلي، أي حلية تُلبس في العضد، والحجول: جمع حجل وهو الخلخال، يريد أنّها بضّة سمينة ضاقت عنها دمالجها، وحجولها.

(٣) مزّة كلب: قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ، والكوانين: الثقلاء من الناس، والغول: الداهية.   (٤) الكُناسة: محلّة بالكوفة.

(٥) حُزْوى: من رمال الدُّهناء، ينظر معجم البلدان (٢/٢٥٥)، وقد أورد ياقوت بيت ذي الرمّة هذا.

لعلَّ انحدار الدَّمع يُعقِب راحةً   من الوجد أويشفي نجيَّ البلابل

فسألتُ عنه فقيل لي: هذا ذو الرُّمة؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابيّ! ما كان أعلمه وأفصح لهجته!. (٥/٣٦٤)

(٦٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزّناد قال: كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببطْحاء ابنِ أزْهر (على ستة أميال من المدينة، حيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزومي معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغزل، وبين أيدينا طبقٌ عليه فريك(١) فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سلْم وجعل يمدُّ به صوته ويُطرِّبه:

فعرَّسْنا ببطن عُرَيْتنات   ليجْمَعنا وفاطمةَ المسيرُ(٢)

أتنسى إذ تَعرَّض وهو بادٍ   مُقلَّدُها كما برق الصَّبير(٣)

ومن يُطعِ الهوى يُعْرَفْ هواه   وقد يُنْبيك بالأمر الخبير

على أني زفرْتُ غداةَ هرْشى   فكاد يُريبهم منّي الزّفير(٤)

قال: فأخذ أبو السائب الطبقَ! فوحّش(٥) به إلى السماء، فوقع الفريكُ على رأس الحسن بن زيد؛ فقال له: مالك؟ ويْحك! أجنُنتَ! فقال له أبو السائب: أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله (ص) إلاّ ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوت ومددْته كما فعلتَ! قال: فما ملك الحسنُ نفسه ضحكا، وردَّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إيّاه. قال ابنُ أبي الزِّناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يابن أبي الزِّناد، أما سمعت مدَّه: ومن يُطع الهوى يُعْرفْ هواه

فقلت نعم؛ قال: لو علمتُ أنه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازيّ وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذليّ. (٦/١٦)

---

(١) الفريك: طعام يفرك ويلَتّ بسمن وغيره.

(٢) عرّس القوم: نزلوا في السَّفر في آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون، وعريتنات: اسم واد.

(٣) المقلّد: موضع القلادة وهي الرقبة، والصَّبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

(٤) هرْشَ: ثنيّة قرب الجحفة في طريق مكّة يُرى منها البحر.

(٥) وحّش: رمى.

(٦٦)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد بن معْن الغفاريّ قال أخبرني ابن الربيع قال: مرّ بنا جميل ونحن بضريَّة(١)، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقتُ الأسود (يريد بالأسود الشاعر نصيب) إلى قوله:

بزينبَ ألم قبل أن يرحل الركبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا ـ لشيءٍ قاله عظيم ـ . (١٢٠/٦)

(٦٧)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كُناسة قال: قال نصيب: ما توهمت أنّي أحسن أن أقول الشعر حتى قلت:

بزينب ألمْ قبلَ أن يرحل الركب(٢) (١٢٠/٦)

(٦٨)

أخبرني الحرمي قال حدّثني الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن حبيب بن شوذب الأسديّ قال: مرّ بنا جرير بن الخطفى ونحن بضريَّة، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول: لأن أكونَ سبقتُ العبد إلى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا: يعني قوله:

بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ (١٢١/٦)

(٦٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله السّعدي عن جدّته جمال بنت عوْن عن جدّها قال: قلت للنُصيب: أنشدني يا أبا مِحْجن من شعرك شيئاً؛ فقال: أيَّه تريد؟ قلت: ما شئت؛ قال: لا أنشدكَ أو تقترح ما تريد؛ فقلت: قولك: بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ.

قال: فتبسّم وقال: هذا شعرٌ قلته وأنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدة. قال الزبير: وهي أجود ما قال. (١٢٣/٦)

---

(١) ضريّة: قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة من بلاد نجد.

(٢) هذا من باب نقد الشعراء لأنفسهم، ونحن نعلم أنّ أولّ ناقد لشعر الشاعر، هو الشاعر نفسه، فكأنّه رأى في هذه القصيدة تميّزاً، ونمطاً جديداً لم يقُل مثله من قبل فحكم عليها بالجودة.

(٧٠)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن علي بن منصور قال أخبرني أبو عتاب عن إبرهيم بن محمد بن العباس المطلبيّ: أنَّ سعيد بن المسيب مرَّ في بعض أزقّة مكة. فسمع الأخضر الحربي يتغنّى في دار العاص بن وائل ببيت النميري:

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت　　به زينب في نسوة خَفِرات(١)

فضرب برجله وقال: هذا والله ممّا يلذ استماعه(٢)　　(٦/٢٠٢)

(٧١)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حمّاد الراوية قال: دخلت يوما على الوليد وكان آخرَ يوم لقيتُه فيه، فاستنشدني فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام؛ فما هشَّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدته لعمار ذي كناز مجنبذاً:

أشتهي منْك منك منـ　　ـك مكانا مُجَنْبذا(٣)
فأجا فيه فيه فيـ　　ـه بأيْر كمثل ذا
ليتَ أيْرى وحرك يو　　ما جميعاً تجابذا
فأخذ ذا بشعر ذا　　وأخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يستعيدني الأبياتَ فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة؛ فعلمتُ أن أمره قد أدبرَ. ثم أدخلتُ على أبي مُسْلم فاستنشدني فأنشدتُه، قول الأفوه: لنا معاشرُ لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت إلى قوله:

تُهدى الأمورُ بأهل الرشد ما صَلَحَتْ　　وإن تولّت فبالأشرار تنقادُ

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذ أنَّ أمره مُقْبِل(٤).　　(٧/٥٦)

---

(١) نَعْمان: وادٍ بين مكة والطائف، وقيل: وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات، ينظر معجم البلدان (٥/٢٩٣).

(٢) لعلّه أعجب بالشعر والغناء معاً، فمن الشائع عندهم أنّ الغناء يحسِّن الشعر، وينشره، ويضيف له أبعاداً من الجمال جديدة.　(٣) المجنبذ: المرتفع.

(٤) كأنّ حمّاد الراوية يضع مقياساً لإدبار شخص أو إقباله بنوع الشعر الذي يُعجب به، ويطرب له، فقد =

استحسن الوليد شعراً في السُّخف، واستحسن أبو مسلم شعراً في الحكمة، وبينهما بَوْنٌ شاسع، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنَّ حماد الراوية كان هواه أموياً.

(٧٢)

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد: أنَّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدّي يزيد بن ضبة، فاصطاد على فرسه السِّنْديّ صيدا حسناً، ولحق عليه حماراً فصرعه؛ فقال لجدّي: صِفْ فرسي هذا وصيدنا اليوم؛ فقال في ذلك:

وأحْوى سلِسُ المَرْسِـن ... مِـثْلُ الصَّدَعِ الشَّغْب(١)
سَـمـا فـوق مُنيفـات ... طوال كـالقنا سُـلْب(٢)
طويلُ السـاق عُنْجُوجٌ ... أشـقُّ أصـمـعُ الكعْب(٣)
علي لأمٍ أصـمُّ مُضـمٌ ... رِ الأشْعـر كـالقـعْب(٤)
ترى بيـن حـوامـيـه ... نُسُـوراً كنوى القـسْب(٥)
مُعَـالىً شنجُ الأنسـا ... ءِ سـامٍ جُرْشُعُ الجنْب(٦)
طوى بين الشـراسـيف ... إلى المـنْقـب فـالقـنْب(٧)
يغـوص الملحم القـائـ ... ـم ذو حـدٍّ وذو شـغْب
عَتيدُ الشـدّ والتَّقْـريـ ... ـب والإحْضارِ والعقعب(٨)

---

(١) المرسن: الأنف، والصَّدَع: الشاب القوي من الأوعال والظباء، والشّغَب: تباعد ما بين القرنين فهو وصفٌ بالمصدر (٢) الرمح السلِب: الطويل.

(٣) العُنْجوج: الرائع من الخيل، والأشقّ: الطويل، والصمع في الكعوب: لطافتها واستواؤها.

(٤) اللام: الشديد من كلّ شيء، ومن الحوافر: أشدُّها، يريد على حافر شديد صلب، والأشعر: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنتهي الشعيرات حول الحافر، والقعب: القدح الصغير يشبّه به الحافر.

(٥) الحوامي: ميامن الفرس ومياسره، والنسر: لحمة صلبة في باطن الحافر كأنّها حصاة أو نواة، والقسب: تمر يابس يتفتّت في الفم صلب النواة.

(٦) الأنساء: جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك فيستطبن الفخذين ثمّ يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، وفرسٌ شنج النسا: متقبّضه وهو مدح له، وجرشع الجنب: منتفخه.

(٧) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدرالتي تشرف على البطن، والمَنْقَب: الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدّابة، والقنب: جراب قضيب الدّابة.

(٨) يقال فرس عتيد: شديد الخلق معدّ للجري، والتقريب: ضرب من العدو، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً وهو دون الإحضار، والعقب: الجري يجيء بعد الجري الأول.

صليب الأذن والكـاهـ ـل والموْقف والعَجْب(١)
عريض الخدّ والجبْهـ ـة والبرْكـة والهُلـب(٢)
إذا مـا حـثّه حـاثٌ يباري الرّيحَ في غرْب(٣)
وإن وجّـهه أسـر ع كالخُذْروفِ في الثُّقْب(٤)
وقـفاهنّ كـالأجْدَ ل لما انضمَّ للضَّرْب
ووالى الطعنَ يختـار جـواشـنَ بُدْنٍ قُـبّاً(٥)
تـرى كـلّ مُـدلٌّ قـا نمـا يلْهث كـالكلب(٦)
كـأن الماء في الأعطا ف منه قطَعُ العُطْب(٧)
كـأن الدَّمَ في النَّحـر تـذالٌ عَلٌّ بالخـضْب(٨)
يزينُ الدار موقـوفـاً ويشْـفي قرمَ الرَّكْـب(٩)

قال: فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً(١٠) وأعْطه الغُزَيِّلَ وعمر الوادي حتى يغنِّيا فيه؛ فقال:

إلى هندٍ صبـا قلبي وهندٌ مـثلُهـا يُصْـبي
وهندٌ غـادةٌ غـيْدا ءُ جُـرْثومـةِ غلْـب(١١)
ومـا إنْ وجـدَ الناسُ مـن الأدواء كـالحـبّ
لقد لـجَّ بهـا الإعـرا ضُ والهـجـرُ بلا ذنبِ

---

(١) الموقفان من الفرس: نقرتا الخاصرة على رأس الكلية، والعجب: أصل الذّنَب عند رأس العصعص.

(٢) البركة: الصدر، والهلب: شعر الذّنَب. (٣) غرب الفرس: حدّته ونشاطه.

(٤) الخذروف: شيء يدوّره الصبي بخيط في يده فيُسمع له دويّ.

(٥) الجواشن: الصدور، وقُبّ: مرتفعات. (٦) مُدلّ: جريء.

(٧) العُطْب: القطن. (٨) عَلّ: مُزِجَ.

(٩) القرم: الشهوة إلى اللحم.

(١٠) ذكرنا في القضية السابقة أنّ الشعراء كانوا يحافظون على نسق القصيدة العربية من حيث أغراضها، ونرى الوليد، وهو الشاعر، يطلب من الشاعر أن يجعل لقصيدته تشبيباً يكون فاتحتها، فلا مناص من وجوده في القصيدة وإلاّ جاءت ناقصة، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الأبيات تذاع، وتُسمع بلا تشبيب، ولكن عندما يُراد منها أن تكون قصيدة بعمد الشاعر فيضع ما شاء من أبيات تكون تشبيباً لها.

(١١) الجرثومة: الأصل، والغُلْب: جمع أغلب، وهو في الأصل الغليظ الرقبة، وهم يصفون السادة أبداً بغلظ الرقبة وطولها.

ولما أقض من هند ومن جاراتها نحبي(١)
أرى وجدي بهند دا نما يزداد عن غب(٢)
وقد أطولت إعراضاً وما بغضهم طبي
ولكن رقبة الأعين قد تحجز ذا اللب (١٠٠/٧)

(٧٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدثني عمّي قال حدّثني القاسم بن المعتمر الزُّهْريّ قال: قلتُ لأبي السائب المخزوميّ: يا أبا السائب، أما أحسن أبو دهبل حيث يقول:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ
هبُوني امرأً منكم أضلّ بعيره له ذمّة إن الذِّمام كبيرُ
وللصاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمّةً على صاحبٍ من أن يضلّ بعيرُ

قال: فقال لي: وبأبي أنت! كنتُ والله لا أحبك وتثقُل عليّ، فأنا الآن أحبك وتخفّ عليّ. (١٤٣/٧)

(٧٤)

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشّيْبانيّ: قال خالد بن كُلْثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

عجبتُ لعجْلٍ إذ تُهاجى عبيدها كما آلُ يربُوعٍ هجَوا آلَ دارمِ(٣)

يعْني بعبيدها بني حنيفة. وقال جرير بيتا هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق والبعيث وأمّه وأبا البعيث لشرُّ ما إسْتارِ(٤)

قال: وقال جرير: لقد هجوتُ التّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعرا قبلي، قلتُ:

من الأصلاب ينْزل لؤمُ تيْمٍ وفي الأرحام يُخلق والمشيمِ (٥/٨)

(٧٥)

قال ابن سلاّم: وحدّثني أبو البيْداء قال: مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير، وهما:

---

(١) نحبي: حاجتي. (٢) الغبّ: قلّة الزيارة.

(٣) آل دارم: قوم الفرزدق، وآل يربوع: قوم جرير.

(٤) إسْتار: من العدد: الأربعة، وما زائدة يريد أنّ هؤلاء المذكورين في البيت شرّ أربعة.

وعاوٍ عوى من غير شيء رميتُه بقارعةٍ أنفاذُها تقطُرُ الدَّما
خروجٍ بأفواه الرُّواة كأنَّها قرا هُنْدوانيٍّ إذا هُزَّ صَمَّما(١)

فاتَّبعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجنِّ والإنس ما أغنَوْا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويْحكم أألام على أن يغلبني مثلُ هذا!. (٩/٨)

(٧٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي عبيدة، قالا: نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة، فقال الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شواء وطلاء(٢) وغناء. قال: ذلك لك، ومضى به إلى قيْنة بالمدينة: فغنَّته:

ألا حيِّ الديار بِسُعْد إنِّي أحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارا(٣)
إذا ما حلَّ أهلُكِ يا سُليْمى بدارة صَلْصُلٍ شحطوا مزارا(٤)
أراد الظاعنون ليحْزُنُوني فهاجُوا صدْعَ قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرقَّ أشعاركم يأهل الحجاز وأمْلحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، قال: فهو والله لجريرٍ يهْجوك به. فقال: ويْلُ ابنِ المراغة! ما كان أحْوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحْوجني مع شهواتي إلى رقَّة شعره!(٥). (١١/٨)

(٧٧)

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر بن شبَّة عن إسحاقَ الموْصليِّ، وأخبرني محمد بن مزْيد عن حمَّاد عن أبيه قال (قال) إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم علينا جريرٌ المدينةَ فحشدْنا له. فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ قلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟

---

(١) قرا: وسط الشيء وظهرُه. والهندواني: المنسوب للهند، وهو السيف.

(٢) الطلاء: من أسماء الخمر. (٣) سُعْد: موضع بنجد.

(٤) دارة صلصل: لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد. ينظر معجم البلدان (٢/٤٢٨)، وأورد ياقوت بيت جرير هذا. والدارة: كلُّ جَوْبةٍ بين جبال في حَزْن كان ذلك أو سهل وهي كذلك رمل مستدير في وسطه فجوة، وتجمع الدارة دارات، وقد أحصى ياقوت في معجم البلدان (٢/٤٢٤)، ستين دارة ونيِّف ـ استخرجها من كتب العلماء المتقنة، وأشعار العرب المحكمة. وأفواه المشايخ الثقات، واستدلَّ عليها بالأشعار.

(٥) فصلْتُ الحديث عن قضية الصلابة في شعر الفرزدق، والرِّقة في شعر جرير، في كتابي الشعراء النقَّاد ـ الفرزدق (ص ٨٣ ـ ٨٦).

قال: أخْزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرٌ علينا وقال: من الرجل؟ قلنا: الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. قال: هذا الخبيث ابنُ الطيِّب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلت:

يَقَـرُّ بعيْني مـا يَقَـرُّ بعينهـا   وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فإنه يقرُّ بعينها أن يدخلَ فيها مثلُ ذراع البكْر، أفيقرُّ ذلك بعينك؟ (١٢/٨)

(٧٨)

قال المدائنيّ وحدّثني عوانة بن الحكم قال: جاء جرير إلى باب سُكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيِّدتي: أنت القائل:

طرقتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا   حينَ الزيـارةِ فارْجعي بسـلام

قال نعم. قالت: فالاّ أخذتَ بيدها فرحبْتَ بها وأدنيتَ مجلسها وقلتَ لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضَعف. فخذ هذين الألفي الدرهم فالحقْ بأهلك. (٣٨/٨)

(٧٩)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا العباس بن ميمون قال حدّثنا التَّوزيّ عن أبي عُبيدة عن أيُّوب بن كُسيب قال: دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمة يُنشده. فقال المهاجر بن عبد الله لجرير: كيف ترى؟ قال: لقد قال وما أنْعم. فغضب ذو الرُّمة ونهض وهو يقول: أنا أبو الحارثِ واسْمي غيْلانُ

فنهض جرير وقال:

إنّي امرؤٌ خُلقتُ شـكْساً أشْـوسـا   إن تضْرسـاني تضْرسا مُضرَّسا(١)

قـد لبس الدهـرَ وأبقـى ملْبسـا   من شاءَ من نارِ الجحيم اقتبسا

قال: فجلس ذو الرُّمة وحاد عنه فلم يُجبْه. (٥٤/٨)

(٨٠)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني العُمريّ عن لقيط قال حدّثني أبو بكر بن

---

(١) الشكس: الصعب الخلق. والأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه تكبّراً أو تغيّظاً. والجريء على القتال الشديد، وضرسه: عجمه ليختبره.

نوفل قال حدّثني من سأل النُّصيبَ قال: قلت له: يا أبا محْجن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأحِبّ أن تخبرني أيُّكم فيه أشعرُ؟ قال: وما هو؟ قلتُ قولك:

أضرَّبها التهجيرُ حتى كأنَّها أكبَّ عليها جازرٌ مُتعرِّقُ(١)

وقال جميل: أضربها التهجيرُ حتى كأنها بقايا سُلال لم يدعْها سُلالُها(٢)

وقال جرير: إذا بلغوا المنازل لم تُقيَّدْ وفي طُول الكلالِ لها قيودُ

فقال نُصيب: قاتل الله ابنَ الخطفى! ما أشعره!. قال: فقال له الرجل: أمَّا أنت فقد فضلته؛ فقال: هو ما أقول لك. (٥٩/٨)

(٨١)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: لمَّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير:

هذا ابن عمِّي في دمشق خليفةٌ لو شئتُ ساقكُمُ إليّ قطينا(٣)

قال: مازاد ابنُ المراغة على أن جعلني شُرْطيّاً؛ أما إنّه لو قال: لو شاء ساقكم إليَّ قطينا لسقْتُهم إليه كما قال. (٦٠/٨)

(٨٢)

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني حاجب بن زيد بن شيْبان بن علْقمة بن زُرارة قال: قال جرير بالكوفة:

لقد قادني من حبِّ ماويَّةَ الهوى وما كنتُ تلقاني الجنيبةُ أقودا(٤)

أحبُّ ثرى نجْدٍ وبالغوْرِ حاجةٌ فغار الهوى يا عبدَ قيْسٍ وأنْجدا

أقول له يا عبد قيْسٍ صبابةً بأيٌّ ترى مستوقد النار أوْقدا

فقال أرى ناراً يُشبُّ وُقودها بحيثُ استفاضَ الجزْع شيحاً وغرْقدا(٥)

فأعجبت الناس وتناشدوها. قال: فحدّثني جبار بن جنْدل قال: فقال لنا جريرٌ: أعجبتْكم هذه الأبياتُ؟ قالوا: نعم، قال: كأنكم بابنِ القيْن وقد قال:

---

(١) التعرُّق: إزالة ما على العظم من اللحم. (٢) السُّلال: مثل السُّل وهو داء معروف.

(٣) القطين: الخدم والأتباع. (٤) الجنيبة: التي تجنب معه، والأقود: المنقاد المطيع.

(٥) الغرقد: كبار العوسج.

أعِدْ نظراً يا عبدَ قيْسٍ لعلّما   أضاءت لك النارُ الحمارَ المقيّدا(١)

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده:

حمارٌ بمروْتِ السُّحامة قاربتْ   وظيفيه حوْل البيتِ حتى تردّدا(٢)
كُليْبيةٌ لم يجعل اللهُ وجهها   كريماً ولم يُسنِحْ بها الطيرُ أسْعُدا

قال: فتناشدها الناسُ. فقال الفرزدق: كأنكم بابنِ المراغةِ قد قال:

وما عِبْتَ من نارٍ أضاء وُقُودُها   فراساً وبسْطام بنَ قيْسٍ مقيّدا(٣)

قال فإذا بالبيتِ قد جاء لجريرٍ ومعه:

وأوْقدتَ بالسِّيدانِ ناراً ذليلةً   وأشْهدْتَ من سوْءاتِ جعثْنَ مشْهدا(٤)   (٦١/٨)

(٨٣)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضّبّيُّ قال: كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمر بن لجأ أن عمر كان يُنْشد أرْجوزةً له يصف فيها إبله وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها:

قد وردتْ قبل أنا ضحائها   تُفرّسُ الحيّاتِ في خرْشائها(٥)
(جرَّ العجُوزِ الثِّنْيَ من ردائها)

فقال له جرير: أخْفقتَ. فقال: كيف أقول؟ قال تقول: جرَّ العرُوسِ الثِّنْيَ من ردائها

فقال له التّيْميّ أنت أسوأ قولاً منّي حيث تقول:

وأوْثقَ عند المُرْدفاتِ عشيّةً   لَحاقاً إذا ما جرّدَ السيفَ لامِعُ

فجعلتهنّ مُرْدفاتٍ غُدْوةً ثم تداركْتهنّ عشيّةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

وأوْثقَ عند المُرْهفات عشيّةً

---

(١) يريد حماراً من حمير بني كليب وذلك أنهم أصحاب حَمير، يهجوهم بذلك، ويؤنّبه ويضع من قدره، نسبة إلى رعية الحمير.   (٢) المرُوت: موضع لبني حمان بن عبد العزّى بن كعب بن سعد، والسحامة: ماءة لبني كليب باليمامة، الوظيفان: موضع القيدين.

(٣) يريد فراسي بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير، وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود.

(٤) السيدان: موضع، وجعثن: أخت الفرزدق، يريد بهذا البيت تعريضاً بالفرزدق وأخته.

(٥) الأنا: الوقت، والضحاء: الضحى، وتفرُس: تقتل، والخرشاء: جلد الحيّة.

فقال جرير: والله لهذا البيتُ أحبُّ إليَّ من بِكْري حزْرة[1]، ولكنك مُجْلِبٌ[2] للفرزدق. قال: ثم اجتمع جرير وابن لجأ بالمدينة وقد وردها الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتألَّه[3] في نفسه، فقال: أتقْذِفان المُحْصنات وتُغْضبانهن! ثم أمر أبا بكر محمد بن حزْم الأنصاري - وكان والياً له بالمدينة - بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلُس[4] مقرونين، والتَّيْمي يومئذٍ أشبُّ من جرير، فجعل يشُولُ[5] بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المشُولُ به:

فَلَسْتُ مُفارِقاً قَرني حتى ... يطُولَ تصعُّدي بك وانحداري

فقال ابن لجأ: ولمَّا أن قُرِنتُ إلى جريرٍ ... أبى ذو بطْنه إلاَّ انحدارا[6]

فقال له قدامة بنُ إبراهيمَ الجُمَحيّ: وبئسما قلت! جعلت نفسك المقرونَ إليه! قال: فكيف أقول. قال تقول: ولمَّا لُزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال: جُزِيتَ خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا. (٨/٧٠)

(٨٤)

... كان الفرزدق إذا أنشد (قصيدة جرير:

حيِّ الهِدَمْلَةَ من ذات المواعيسِ ... فالحِنْوُ أصبحَ قفْراً غير مأنوسِ)[7]

يقول: مثلها فليقل ابن اللَّخناء[8] ... (٨/٨٤)

(٨٥)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال: وقف جميلٌ على الحزين الدِّيْليّ والحزينُ يُنشد الناس. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تسْمع شعري؟

---

(١) حزْرة: ولده، وبه يكنى.

(٢) مجلب: معين، واجتلاب الشعر: سوقه وأخذه من الغير، وهو من مصطلحات السرقات الشعرية، وعدَّه بعض النقّاد غير معيب إذا استخدمه الشاعر وخاصة إذا رأى «الشاعر بيتاً يصلح لموضع في شعره فيجتلبه» وعند ذاك «يكون لغير معنى السَّرَق» ينظر قراضة الذهب، لابن رشيق (٤٣)، وينظر العمدة أيضاً (٢/٢٨٢).

(٣) التألّه: التنسّك والتعبُّد.

(٤) البُلُس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن، ويشهر عليها مَنْ ينكل به، ويُنادى به.

(٥) يشول به: يرتفع به. (٦) ذو البطن: الرجيع.

(٧) الهدملة، والمواعيس، والحنو مواضع.

(٨) يلاحظ أنَّ هذا السبَّ دلالة على الإعجاب بالقصيدة، وقد رأينا نماذج منه فيما سبق.

الدِّيلُ أذنابُ بكْرٍ حين تنسبُهم وكـلُّ قومٍ لهم مـن قومهم ذنبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه الله إلاّ كفَّ عنهم، ولم يزالوا به حتى أمْسك وانصرف. (٨/ ١٣٣)

(٨٦)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء ومحمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزوميّ قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة: يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ

قال: شهدتُ عمرَ بن أبي ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن معْمر وقد اجتمعا بالأبطح: فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقد فرِحَ الواشون أن صرمَتْ حبْلي بُثينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مهْلاً يا جميلُ وإنّني لأقسم ما بي عن بُثينة من مهْلِ
أحِلْماً فقبل اليوم كان أوانُه أم اخْشى فقبل اليومِ أُوعدتُ بالقتلِ
لقد أنْكحُوا حرْبي نُبيهاً ظعينةً لطيفةَ طيِّ البطْنِ ذاتَ شوىً خدْلِ(١)
وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ لآخر لم يعْمدْ بكفٍّ ولا رجلِ
إذا ما تراجعْنا الذي كان بيننا جرى الدمعُ من عيْني بُثيْنةَ بالكحلِ
كلانا بكى أو كاد يبْكي صبابةً إلى إلْفِهِ واستعْجلتْ عبْرةٌ قبلي
فلو تركتْ عقْلي معي ما طلبتُها ولكنْ طلابيها لما فات من عقلي
فياويْحَ نفسي حسْبُ نفسي الذي بها ويا ويْحَ أهلي ما أصيب به أهلي
وقالت لأتْرابٍ لها لا زعانفٍ قصارٍ ولا كُسِّ الثّنايا ولا ثُعْلِ(٢)
إذا حميتْ شمسُ النّهارِ اتّقينها بأكسيةِ الدِّيباج والخزِّ ذي الخمْلِ
تداعينَ فاستعْجمْنَ مشْياً بذي الغضا دبيبَ القطا الكُدْريِّ في الدّمثِ السهْلِ(٣)
إذا ارْتعْنَ أو فُزّعْنَ قُمْنَ حوالها قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضّحْلِ(٤)
أجِدِّيَ لا ألْقى بُثينةَ مرّةً من الدهر إلا خائفاً أو على رِجْلِ(٥)

---

(١) الشّوى: أطراف الجسم، والخدل: الممتلئ التام.

(٢) الزعانف: جمع زعنفة وهي القصيرة، والكسس: قصر الأسنان وصغرها، والثعل: جمع ثعلاء، والثعل: زيادة سنّ أو دخول سنّ تحت أخرى. (٣) الكُدْري: لون قريب من الرمادي.

(٤) بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء، والضّحل: الماء القليل.

(٥) الرجل: الخوف أو الفزع من فوت الشيء.

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي

قال: وأنشده عمرُ قوله:

جرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها فقرَّبني يوم الحصاب إلى قتلي
فما أنسَ م الأشياء لا أنسَ موْقفي وموقفها وهْناً بقارعة النخلِ
فلمَّا تواقفْنا عرفتُ الذي بها كمثل الذي بي حذْوكَ النعلَ بالنعل
فقلْنَ لها هذا عشاءٌ وأهلُنا قريبٌ ألمَّا تسأمي مركبَ البغل
فقالت فما شئْتُنَّ قلْنَ لها انزلي فللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رحْلِ
فأقبلْنَ أمثالَ الدُّمى فاكتنفْنها وكلٌّ يُفدِّي بالمودّة والأهل
نُجومٌ دراريٌّ تكنَّفْنَ صورةً من البدر وافتْ غير هُوجٍ ولا ثُجلِ(١)
فسلَّمْتُ واستأنستُ خيفةَ أن يرى عدوٌّ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتْرِ إنما معي فتحدَّثْ غير ذي رِقبةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي من ترقُّبٍ ولكنْ سرِّي ليس يحمله مثلي
فلما اقتصرْنا دونهنَّ حديثنا وهُنَّ طبيباتٌ بحاجة ذي التَّبْل(٢)
عرفْنَ الذي نهْوى فقلْنَ ائذني لنا نطُفْ ساعةً في برْدِ ليلٍ وفي سهْلِ
فقالتْ فلا تلْبثْن قلْنَ تحدَّثي أتيْناك وانسبْنَ انسيابَ مَها الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ إنما أتيْنَ الذي يأتين من ذاك من أجْلي

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطاب: لا أقولُ والله مثلَ هذا سجيس الليالي! وما خاطبَ النساء مخاطبتك أحد؛ وقام مشمِّرًا. (١٣٩/٨)

(٨٧)

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني علي بن الصبَّاح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرية، فلمَّا بلَغ إلى قوله:

بنفْسيَ منْ لو مرَّ بَرْدُ بنانه على كبدي كانت شفاءً أناملُهْ
ومنْ هابني في كلِّ أمرٍ وهبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

طربَ لذلك وقال: هذا والله من مغنج الكلام. (١٦٢/٨)

---

(١) دراريّ: منيرة، وثجل: جمع ثجلاء، وصف من الثجل وهو عظم البطن واسترخاؤه.

(٢) التَّبل: أن يُسقم الهوى الإنسان.

(٨٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا علي بن الصبّاح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرية: هي والله من مفنج الكلام:

بنفســـي مَنْ لـو مرّ بردُ بنانه   على كبدي كانت شفـاءً أناملُهْ
ومنْ هـابني في كلّ شيء وهِبْتُه   فـلا هـو يُعطيني ولا أنا سـائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وحْشية الجرْميّة التي مضى ذكرها. (١٧٠/٨)

(٨٩)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثني أحمد بن الهيْثم بن فراس قال حدّثني أبو عمرو الخصّاف عن العُتْبيّ قال: خرج سعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشـأم في خلافة هشام بن عبد الملك، وسـألهم مُعاونته، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن زيد قد طلّق امرأته العثمانية ليتزوّج أختها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوّجه. فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسّان؟ قال: نعمْ أيها الأمير. فقال له: ما أقْدمكَ؟ قال: وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحبتُهم من أهله، فلم أنلْ منه حُظوةً وقبولاً. قال: لكنّك تجد عندي ما تُحبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشدني قصيدةً بلغتْني لك شوّقتني إليك، وغُنِّيتُ في بعضها، فلم أزلْ أتمنى لقاءك. فقال: أيّ قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبائنةٌ سُعْدى ولم تُوف بالعهْدِ   ولم تشْفِ قلباً تيّمتْه على عمْدِ
نعمْ أفمُودٍ أنت إن شطّتِ النّوى   بسُعْدى وما من فُرقة الدهر من ردِّ(١)
كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه   فم الآنَ أعْلِنْ ما تُسِرُّ من الوجْدِ(٢)
لعلّك منها بعد أن تشْحط النّوى   مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عجْلان من هنْدِ(٣)

---

(١) مُودٍ: ميت. (٢) فم الآن: أصلها فمن الآن.

(٣) هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحبّ بن عامر بن كعب، جاهلي يُضرب به المثل في العشق، وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النّهدي.

فويلٌ ابنِ سلمى خُلَّةٌ غيرَ أنها ... تُبلّغ منّي وهي مازحةٌ جِدّي
وتدنو لنا في القول وهي بعيدةٌ ... فما إنْ بسلمى من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ
ومهما أكُنْ جلْداً عليه فإنّني ... علي هجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجلْدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرها قُطِعتْ به ... فجانبتُه فيما أسرّ وما أبْدي
كأنّي أرى في هجرها، أيّ ساعةٍ ... هممْتُ به، موتى وفي وصلها خُلْدي
ومن أجلها صافيْتُ مَنْ لا تردّني ... عليه له قُرْبى ولا نعمةٌ عندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القذى ... يقولون أقوالاً أمضُّوا بها جِلْدي
وأقصيتُ مَنْ قد كنتُ أدْني مكانه ... وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جهْدي
فإن يكُ أمس وصلُ سلمى خلابةً ... فما أنا بالمفتونِ في مثلها وحدي
فأصبح ما منّتك ديْناً مُسوَّفاً ... لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جحْدِ
تجود بتقريب الذي هو آجلٌ ... من الوعد ممطولٌ وتبخل بالنَّقْدِ
وقد قلت إذ أهدتْ إلينا تحيّةً ... عليها سلامُ الله من نازحٍ مُهْدي
سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به ... ونجداً إذا صارت نواها إلى نجدِ

قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خدّيه حتى فرغ منها(١)، ثم قال له: لن تحتاج إلى رِفْدِ أحد ولا معونته ما بقيتُ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: ابْعثْ بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن تعدم ما تُحِبّ ما بقيت، فلم يزل معه زماناً، ثمّ استأذنه وانصرف. (٢٦٩/٨)

(٩٠)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ عن ابن عائشة قال: قال رجلٌ من الأنصار لعديّ بن الرِّقاعِ: أكْتِبْني شيئاً من شعرك. قال: ومن أيّ العرب أنت؟ قال: أنا رجلٌ من الأنصار. قال: ومنْ منكم القائل:

إنّ الحمامَ إلى الحجازِ يهيجُ لي ... طرباً ترنُّمُهُ إذا يترنَّمُ
والبرقُ حين أشيمُه مُتيامناً ... وجنائبُ الأرواحِ حين تنسَّمُ

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت، فقال: عليكم بصاحبكم فاكْتُبْ شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره(٢). (٢٧٢/٨)

---

(١) لا شكّ أنّ الدموعَ من علامات التأثر والإعجاب، ولا نستطيع إغفال دور إنشاد الشعر في إضفاء مستويات جديدة على القصيدة تزيدها جمالاً، خاصّة إذا كان المنشد بارعاً في إنشاده. (٢) هذا نمط من النقد =

لا نراه كثيراً عند الشعراء، فمن النادر أن نجد مثل عديّ يفضّل شاعراً على نفسه، نعم، وجدنا مَنْ يفضّل شاعراً على آخر، ولكنّه يستثني نفسه مثل الفرزدق، أو يسكت عنها مثل كثير من الشعراء، وهذا لون من الإنصاف، والاعتدال جميل.

(٩١)

وقال ابن الزيّات حدّثني جعفر بن محمد بن عُيينة بن المِنْهال عن هشام عن عوانة قال: أنشد عبدُ الملك قولَ كُثيِّر فيه:

فما تركوها عنْوةً عن مودّةٍ ولكن بحدِّ المشْرفيِّ استقالها

فأعْجب به. فقال له الأخطل: ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه. قال: وما قلتَ؟ قال قلت: أهلّوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالي ملْكٍ لا طريفٍ ولا غصْبِ
جعلتَه لك حقّاً وجعلك أخذته غصْبا؛ قال: صدقتَ. (٢٨٨/٨)

(٩٢)

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد سلام قال قال أبانُ بن عثمان حدّثني سماك بن حرْب عن ضوْء بن اللجْلاج قال: دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال فقال: ممّن الرجل؟ قلت: من بني ذُهل. قال: أترْوي للفرزدق شيئاً؟ قلت نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرعَ ما رجع في هبته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبني غُدانةَ إنّني حرّرتكم فوهبتُكم لعطيّةَ بن جِعالِ(١)
لولا عطيّةُ لاجتدعتُ أنوفكم من بين ألأم آنُفٍ وسبالِ(٢)

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت. قال: كيف؟ قلتُ: هجوتَ زُفر بن الحارث ثم خوّفت الخليفةَ منه فقلتَ:

بني أميّةَ إنّي ناصحٌ لكمُ فلا يبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ
مفترشاً كافتراش الليْث كَلْكله لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ(٣)

ومدحتَ عكْرمةَ بن ربعيّ فقلتَ:

قد كنتُ أحسبه قيناً وأخْبَرُه فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشّرَرُ

---

(١) بنو غدانة: بطن من يربوع، وعطية بن جعال بن مجمع كان من سادتهم.

(٢) سبلة الرجل: الدائرة التي في وسط الشفة العليا. (٣) الجَزَر: القتلى.

قال: لو أردتَ المبالغة في هجائه ما زدتَ على هذا. (فقال له الأخطل): والله لولا أنك من قوم سبقَ لي منهم ما سبق لهجوتك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال:

ما كنتَ هاجيَ قومٍ بعد مَدحِهِمُ ولا تُكَدِّرُ نُعْمى بعد ما تجِبُ

اخْرُجْ عنّي(١) (٨/٢٩٥)

(٩٣)

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غيْلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُساور قال: دخلتُ إلى الأخطل فسلّمت عليه، فنسبني(٢) فانتسبت، واستنشدته فقال: أَنْشدك حبّة قلبي، ثم أنشدني:

لعمري لقد أسْريتُ لا ليلَ عاجز بِسَلْهبةِ الخدَّيْن ضاويةِ القُرْبِ(٣)

إليكَ أميرَ المؤمنين رحَلْتُها على الطائر الميمون والمنزل الرُّحْبِ (٨/٣٠٣)

(٩٤)

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثني سلمة النُّمَيْريّ - وتُوفِّي وله مائةٌ وأربعون سنة - أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسعَ عشرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده؛ فأَحْضَر هشامٌ ناقةً له فقال متمثِّلاً: أنيخها ما بدالي ثم أرْحلُها

ثم قال: أيكم أتمَّ البيتَ كما أريد فهي له. فقال جرير: كأنّها نقْنقٌ(٤) يعْدُو بصحْراء

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق: كأنّها كاسرٌ بالدّوِّ فتْخاء(٥)

---

(١) ينبغي أن نلاحظ تلك الموضوعية التي اكتنفت نقد ضوء بن اللجلاج، وهي مستمدّة من الشعر نفسه، ومن نقد الأخطل بلسانه. فما وجده الأخطل عيباً في شعر الفرزدق، موجود في شعره، وقد واجهه (الناقد) بالأبيات المتناظرة. فهل يعترف الأخطل، ويذهب إلى وجود العيب نفسه الذي وجده في شعر الفرزدق؟ لقد آثر طريق الإنكار، واللجوء إلى أساليب هي بعيدة تماماً عن روح النقد، هدَّد الرجلَ بالهجاء، ولكنّه عدل للأسباب التي أوردها، ويظلّ النقد الموجّه إلى أبيات الأخطل سليماً وإن رفض، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ الفرزدق هو الآخر كان يلجأ إلى الأسلوب عينه، حين يُنَبَّه إلى شيء ما في شعره، إذ سرعان ما يغضب، ويهدّد القائل بالهجاء. ينظر كتابي: الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٣٦) وما بعدها.

(٢) نسبني: سألني أن أنتسب. (٣) سلهبة الخدّين: طويلتهما، ويريد بها ناقته، والقرب: الخاصرة.

(٤) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام.

(٥) الكاسر: العقاب، والدوّ: الفلاة الواسعة، والفتخاء: اللينة الجناح لأنّها إذا انحطّت كسرت جناحيها وغمزتها.

فقال: لم تُغنِ شيئاً. فقال الأخطل: تُرْخي المشافرَ واللَّحْيين إرخاءَ(١)

فقال: اركبها لاحملك الله!. (٣٠٤/٨)

(٩٥)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا أبو الغرّاف قال: لما قال جرير:

إذا أخذتْ قيسٌ عليك وخِنْدِفٌ   بأقطارها لم تدرِ من أين تسْرَحُ

قال الأخطل لا أين! سدٌّ والله عليٌّ الدنيا. فلمّا أنْشِد قوله:

فما لكَ في نجدٍ حَصاةٌ تعدُّها   ومالكَ من غَوريّ تهامةَ أبطحُ

لا أبالي والله ألاّ يكونَ فتَحَ لي والصُّليب القولُ! ثم قال:

ولكنْ لنا برُّ العراقِ وبحْرُه   وحيث ترى القُرْقُورَ(٢) في الماء يسْبَحُ (٣١٦/٨)

(٩٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال المدائنيّ: كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمرَّ به عكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلما أمسى بعث إليه فتعشّى معه، ثم قال له: أتُصيب من الشراب شيئاً؟ قال نعم، قال: أيُّه؟ قال: كلُّه إلاّ شرابك. فدعا له بشراب يُوافقه، وإذا عنده قيْنتانِ هما خلفه وبينه وبينهما سِتْرٌ، وإذا الأخطل أشهب اللّحية له ضفيرتان؛ فغمز السترَ بقضيب في يده وقال: غنِّياني بأردية الشعر، فغنّتاه بقول عمرو بن شأس:

وبيضٍ تطلّى بالعبيرِ كأنّما   يطأْنَ وإنْ أعْنقنَ في جُدَدٍ وحْلا(٣)

لهوْنا بها يوماً ويوماً بشاربٍ   إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا (٣١٨/٨)

(٩٧)

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني الجُمَحيّ قال: كانت سلاّمة وريّا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً، فاجتمع الأحْوص وابن قيْس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات: إني أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدقُ فيها ولا أكذبُ، فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقربكما. قالتا: فما قلتَ؟ قال قلتُ:

---

(١) المشفر للناقة مثل الشفة للإنسان، واللحْيين: الفكّين.

(٢) القرقور: السفينة العظيمة.   (٣) الإعناق: سير فسيح سريع، والجدد: الطرق.

لقد فتنتْ ريّا وسلاّمةُ القسَّا ... فلم تتركا للقسِّ عقلاً ولا نفسا(١)
فتاتانِ أمَّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأُخْرى منهما تُشبه الشمسا
تكُنَّانِ أبشاراً رقاقاً وأوجُهاً ... عتاقاً وأطرافاً مُخضَّبةً مُلْسا(٢)

فغنَّته سلاّمة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال قلت:

أسلام هل لمتيَّم تنويلُ ... أم هل صرمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ
لا تصرفي عنِّي دلالكِ إنَّه ... حسنٌ لديَّ وإن بخلْتِ جميلُ
أزعمتِ أنَّ صبابتي أكذوبةٌ ... يوماً وأنَّ زيارتي تعليلُ

فغنَّت الأبياتَ. فقال ابن قيس الرُّقيَّات: يا سلاّمة! أحسنتِ والله! وأظنُّكِ عاشقة لهذا الحلقيّ! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك إلى هذا؟ قال: حُسْنُ غنائها بشعرك، فلولا أنَّ لك في قلبها محبَّةً مُفْرطةً ما جاءها هكذا حسناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حسُن الغناءُ به. (٨/٢٣٧)

(٩٨)

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال: لمَّا قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعُرِضتْ عليه، أمرها أن تغنِّيه؛ فكان أوّل صوت غنّته:

إنَّ التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمزْهرها وأنت حرامُ
والبيضُ تمْشي كالبُدورِ وكالدُّمى ... ونواعمٌ يمْشين في الأرقام(٣)
لَتصيدُ قلبكَ أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنَّ الرفيق له عليك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أوّلَ صوت غنّته لمَّا اشتراها:

ألا قُلْ لهذا القلب هل أنت مبصرٌ ... وهل أنت عن سلاّمةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليتَ أنّي حين صار بها النَّوى ... جليسٌ لسلْمى حيث ما عجَّ مزْهرُ
وإنِّي إذا ما الموتُ زالَ بنفْسها ... يُزالُ بنفسي قبلها حينَ تُقْبَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها ... يطيرُ إليها قلبُه حين ينظرُ

---

(١) القسّ: هو عبد الرحمن بن أبي عمّار الجشميّ من قرّاء أهل مكة، كان يُلقّب بالقسّ لعبادته. شُغف بسلاّمة وشُهر.

(٢) تكنّان: تخفيان، أبشاراً: هي البشرة، وعتاقاً: جميلة.

(٣) الرقم: ضرب مخطّط من الوشي أو الخزّ أو البرود.

كـأنَّ حـمـامـاً راعـبـيّاً مـؤدّيـاً إذا نطقتْ من صـدرها يـتـفـشـمرُ(١)

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، مَنْ قائل هذا الشعر؟ فقصّت عليه القصّة، فرقّ له وقال: أحسنَ وأحسنت!. (وقائل الشعر عبد الرحمن القس) (٨/٣٣٩)

(٩٩)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: وجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدوم عليه، وكان الفريض معه، فقال له: اخرُجْ معي حتى أخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه؛ فإنّي لا أحملِ إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك، فخرجا. فلمّا قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به، فأنشده مدائحَ فاستحسنها، وخرج من عنده؛ فبعثتْ إليه سلاّمةُ جاريةُ يزيدَ بلطفٍ(٢). فأرسلَ إليها: إنَّ الفريض عندي قدمتُ به هديةً إليك، فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الفريض وإلى الاستماع منه. فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص: إذا دعاك أمير المؤمنين فاحْتَلْ له في أنْ تذكر له الفريض. فلما دعا يزيدُ الأحوص قال له يزيد: ويْحك يا أحوص؛ هل سمعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرفنا به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره؛ فوقفتُ حتى استقصيْتُ خبره، فإذا هو الفريض، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه:

ألا هاجَ التّذكّرُ لي سقاما ونُكْسَ الداءِ والوجعَ الغراما(٣)
سلامةُ إنها همّي ودائي وشرُّ الداءِ ما بطن العظاما
فقلتُ له ودمعُ العينِ يجري على الخدّين أربعةً سجاما
عليك لها السلامُ فمنْ لصبٍّ يبيت الليلَ يهْذي مُستهاما (٨/٣٤٤)

(١٠٠)

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: حُدِّثْتُ أنَّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له؛ فلمّا دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سبُّك - يعني جريراً، وجرير جالسٌ - فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركت خنازير أمّك؟! قال: راعيةً مع أعيار أمّك؛ وإن أتيتنا قريناك منها. فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال: يا

---

(١) الرّاعبي: جنس من الحمام، وحمامة راعبية: ترعب في صوتها ترعيباً وهو شدّة الصوت. ويتفشمر: يصوّت.

(٢) لَطَف: هديّة. (٣) نُكْس الداء: عودته بعد أن خفّ. والغرام: الملازم الشديد.

أمير المؤمنين، إنَّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه. قال: صدقَ يا أمير المؤمنين، وما اعتذاري من ذلك!.

تعيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرى ويشرب قومُكَ العجبَ العجيبا
مَنيُّ العبدِ عبدِ أبي سُواجٍ أحقُّ من المُدامةِ أن تعيبا(١)

فقال عبد الملك: دعوا هذا، وأنْشدني يا جرير، فأنشده ثلاثَ قصائد كلُّها في الحجّاج يمدحه بها، فأحْفِظ عبدُ الملك، وقال له: يا جرير، إنَّ الله لم ينصر الحجّاج وإنما نصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

فقال عبد الملك: هذه المُزمِّرة؛ والله لو وُضِعتْ على زُبَرِ(٢) الحديد لأذابتها. ثم أمر له بخلعٍ فخُلعتْ عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إنَّ لكل قومٍ شاعراً، وإنَّ الأخطل شاعرُ بني أميَّة. (٣٦٠/٨)

(١٠١)

أخبرني محمدُ بنُ مزيدٍ، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: لقي أنس بن زُنيم الدُّئلي حارثة بن بدرٍ فقال له: يا حارثة، قد قُلْتُ لك أبياتاً فاسْمعْها. فقال: هاتها، فأنشده:

فحتَّى متى أنت ابنَ بدْرٍ مُخيمٌ وصحبُكَ يحسُون الحليبَ من الكَرْمِ
فإنْ كان شراً فالْهُ عنه وخلِّه لغيرك من أهل التَّخبُّطِ والظُّلْمِ
وإن كان غُنْماً يابن بدرٍ فقد أرى سنمتَ من الإكثار من ذلك الغُنْم
وإن كنتَ ذا علم بها واحْتسائها فمالك تأتي ما يشينك عن علْم
تقِ الله واقْبلْ يابن بدرٍ نصيحتي ودعْها لمن أمْسى بعيداً من الحزْمِ
فلو أنها كانت شراباً مُحلَّلاً وقلت لي اتركْها لأوْضعتُ في الحُكْمِ(٣)
وأيقنت أن القول ما قلتَ فانْتفعْ بقولي ولا تجْعلْ كلامي من الجُرْم
فربَّ نصيح الجيب ردَّ انْتصاحَه عليه بلا ذنبٍ وعُوجِلَ بالشُّتْم(٤)

فقال له حارثةُ: لقد قلتَ فأحسنت، ونصحتَ فبالغت، جُزيتَ الخير أبا زُنيم. (٤١٣/٨)

---

(١) أورد أبو الفرج قصة طويلة لهذين البيتين فلتراجع (٣٠٧/٨ ـ ٣٠٩).

(٢) الزبرة: القطعة الضخمة من الحديد.

(٣) أوضعت: أسرعت. (٤) نصيح الجيب: أمين.

(١٠٢)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال كُثيِّر: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوص عشرةَ آلافِ دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كـان مـالي طارفاً من تجارةٍ ... وما كـان مـيراثاً من المـال مُتْلدا
ولكـن عطـايا مـن إمـامٍ مُـبارَكٍ ... ملا الأرض معروفاً وجوداً وسُودَدا

فقال كُثيِّر: إنّه لضَرِعٌ قبحه الله! ألا قال كما قلتُ:

دعْ عنكَ سلْمى إذ فاتَ مطلَبُها ... واذكُرْ خليلَيْكَ من بني الحكَمِ(١)
مـا أعطيـاني ولا سـألتُهـمـا ... إلاّ وإنّـي لحـاجـزي كـرمـي
إنّي مـتى لا يكـن نوالُهـمـا ... عندي بما قـد فـعلتُ أحـتـشم
مُبْدي الرِّضـا عنهما ومُنصرفٌ ... عـن بعض ما لـو فعلتُ لم ألم
لا أنْـزُرِ النـائـل الخليـلَ إذا ... ما اعتلَّ نزْرَ الظُّؤورِ لم تـرمِ(٢) (٨/٩)

(١٠٣)

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن ابن أبي عوفٍ عن عوانة قال: قال كثيِّر لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر(٣). (٢٣/٩)

(١٠٤)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جميع بن عليّ النُّمريّ عن عبد الله بن عبد العزيز بن محْجن بن النُّصيب، قال الزبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصيب قالت: وفد أبي على عبد العزيز بن مرْوان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤذنَ له. فأرسل إليه حاجبه فقال: استنشده، فإن كان شعره رديئاً فارْدُدْه، وإن كان جيّداً فأدْخِلْه. فقال نُصيْب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلاّ طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إنّ هذا لكلامُ رجلٍ ذهنٍ(٤)، فأدخله. فلمّا واجهه أنشده قصيدته

---

(١) خليلَيْك: يعني بهما عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بن الحكم.

(٢) الظؤور: هي المرأة أو الناقة تعطف على ولدها أو ولد غيرها، وتَرْم: تحنّ وتعطف.

(٣) كأنّه جعله في منزلة عالية بين الشعراء، فهو يسبق السحر في تأثيره، وكثيراً ما كانت العرب تشبّه الشعر بالسحر من هذه الجهة، وهو يغلب شعر غيره أي لا يدانيه أحد أو يشابهه. (٤) ذَهِن: عاقل.

التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقر بن مرْوان أنني ... أُردُّ لدى الأبواب عنه وأحْجَبُ

وأنّي ثويتُ اليومَ والأمسِ قبله ... على الباب حتى كادت الشمسُ تغربُ

وإنّي إذا رمتُ الدخول تردُّني ... مهابةُ قيْس والرِّتاجُ المُضبَّبُ(١)

قال: وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قيْسا. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الرَّبْعُ المقيمُ بعُنْبُب ... سقتْك السَّواقي من مُراحٍ ومعْزبِ(٢)

قال: فلمَّا دخل على عبد العزيز أعجب بشعره وأوْجهه(٣)، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسنٌ إلاَّ من لغته. قال: هذا والله أشعرُ منك!. قال: وقال نُصيْب فيها أيضاً:

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهمْ ... بها كاسبٌ غيري ولا متقلِّبُ

فهل تُلحقنِّيهمْ بعبْلٍ مواشكٍ ... على الأين من نُجْب ابن مرْوانَ أصْهبِ(٤)

أبو بكراتٍ إن أردتُ افتحاله ... وذو ثبتاتٍ بالرُّديفيْن مُتْعَبُ

فقال له عبد العزيز: ادخُلْ على المهاري فخُذْ منها ما شئت، فلَوْ كنت سألت غيره لأعطيته. فدخل فردَّه الجمَّال. فقال عبد العزيز: دعْه فإنما يأخذ الذي نعت فأخذه. (٩/٤٥)

(١٠٥)

قال: وقال عبد الله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يابن أخي! أما اتَّقيتَ الله حيث تقول(٥):

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا ... كلُّ يومين حجَّةً واعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت وأمي! إني وضعت ليْتاً حيث لا تُغني. (٩/٦٣)

---

(١) رتاج مضبَّب: مجعولة له ضبَّة، يريد أن الأبواب مقفلة في وجهه.

(٢) عُنْبُب: وادٍ باليمن، هكذا ذكر ياقوت، في معجم البلدان (١٦١/٤)، والمُراح: مأوى الماشية، والمعزب: الأرض البعيدة عن الديار، يطلب السقيا لهذا الربع جميعه ما بَعُد منه وما دنا.

(٣) أوجهه: جعله وجيهاً وشرَّفه.

(٤) العبل: الضخم، والمواشك: السريع، والأين: الإعياء والتعب، وفي هذا البيت إقواء.

(٥) لاحظنا في (نقد) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه يحكِّم مقاييس دينية أخلاقية على الشعر، وليس هذا بغريب على رجل تربّى في كنف عمر بن الخطاب، وترعرع في بيته، ورأى من تقواه وورعه ما رأى، بالإضافة إلى مواقف عمر رضي الله عنه النقدية التي تتشابه مع مواقف ولده كثيراً.

(١٠٦)

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى: لقد كان في حول ثواء ثويته

ويقول: ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصحُّ. قال أبو خليفة: وأمّا أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. (١٠٦/٩)

(١٠٧)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثني سوّار بن أبي شُراعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبيدة قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمراً وتضمّخ بلَخالخ(١). وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ(٢). فلما رآه قال: يا شعبيّ، ناك الأخطلُ أمّهاتِ الشعراء جميعا، فقال له الشعبيّ: بأيّ شيء؟ قال حين يقول:

وتظلُّ تنْصِفُنا(٣) بها قرويّةٌ إبريقُها برقاعه ملثومُ

فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجاجها نفحتْ فشمَّ رياحها المزكومُ

فقال الأخطل: سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ؟! قال: إن أمِنْتُك قلتُ لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعرُ والله منك الذي يقول:

وأدْكَنَ عاتقٍ جَحْلٍ رِبَحْلٍ صبَحتُ براحه شَرْباً كراما(٤)

من اللائي حُمِلْن على المطايا كريح المسك تستلُّ الزُّكاما

فقال الأخطل: ويْلَكَ! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعش بني قيس بن ثعْلبة. فقال: قُدّوس قُدّوس! ناك الأعشى أمّهاتِ الشعراء جميعا وحقِّ الصليب!. (١٢٣/٩)

(١٠٨)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدة والهيْثم بن

---

(١) لخالخ: جمع لخلخة وهي ضرب من الطيب.

(٢) الشعبيّ: هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري، ونسبته إلى شَعَب بالفتح بطن من همذان، كان من كبار الحفاظ، والعلماء، واستقضاه عمر بن عبد العزيز، ولد بالكوفة سنة (١٩هـ) وتوفي سنة (١٠٣هـ)، وله آراء نقدية كثيرة حفظ الأغاني جانباً كبيراً منها مثلما سنرى. (٣) تنصفنا: تخدمنا.

(٤) الأدكن: الضارب إلى السواد، والعاتق: القديم، والجحل: السقاء الواسع، والربحل: الضخم.

عديّ، وحدّثني الصُّوليُّ قال حدّثني الغلابيّ عن العتبي عن أبيه، وذكر هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضُّبيِّ، قالوا جميعاً: قدِم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبيّ يَسْمع من شعره. قال: فوجدته يتغدّى، فدعاني أتغدّى فأتيته، فوُضِع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتُك؟ قلت: أحبّ أن أسمع من شعرك! فأنشدني قوله:

صرمتْ أمامةُ حبلنا ورُعومُ

حتى انتهى إلى قوله: فإذا تعاورت الأكُفُ ختامها نفحتْ فشمُّ رياحها المزكوم

فقال: يا شعْبيّ، ناك الأخطل أمّهاتِ الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك. قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

منْ خمر عانة قد أتى لختامها حوْلٌ تسلّ غُمامة المزكوم(١)

فضرب بالكأس الأرض وقال: هو والمسيح أشعرُ منِّي! ناك والله الأعشى أمّهات الشعراء إلاّ أنا(٢). (١٢٣/٩)

(١٠٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: أنْشد عُبيد الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرْخِيَة الكلابيّ لنفسه:

لعمْرُ أبي المُحْصينَ أيامَ نلتقي لما لا نُلاقيها من الدهر أكثرُ
يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها وينسوْن ما كانت على الدهر تهجُر
وإن أولعَ الواشون عمْداً بوصلنا فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبتْ أبياتُه هذه جامعاً، فسرّ ذلك عبيد الله فكساه وحمله. (١٤٦/٩)

---

(١) عانة: بلد مشهور بين الرّقة وهيت يعدّ في أعمال الجزيرة، وجاء في الشعر عانات، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة. ينظر معجم البلدان (٧٢/٤).

(٢) ذكرنا في النص التسعين السابق أنّ النقد المنصف عند عدي بن الرقاع لا نجده كثيراً بين الشعراء، فكثير منهم يستحسن قول شاعر غيره ولكنّه لا يفضّله على نفسه، ونرى مصداق ذلك هنا، حيث يبدو الأخطل معجباً، ذاهلاً بقول الأعشى في ذلك المعنى في الخمر، ويفضّله على الشعراء جميعاً ويستثني نفسه، إذ لا يحتمل أن يوجد شاعر أفضل منه، وهذا نقد تشوبه الذاتية كثيراً.

(١١٠)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الخرّاز عن المدائني قال: أنشد عبدُ الملك قول الشمّاخ في عرابة بن أوس:

إذا بلّغتني وحملتِ رحلي   عرابةَ فاشرقي بدم الوتين

فقال: بئس المكافأة كافأها! حملتْ رحله وبلّغته بُغيته فجعل مكافأتها نحْرها(١). (١٦٩/٩)

(١١١)

وقال القحْذميّ حدّثني أبو الورْدانِ قال حدّثني أبي قال: أنْشدتُ أبا السّائب المخْزوميّ قول قيس:

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه   هواكِ فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سِنْديةٍ تسمّى زُبْدة، فقال: أيْ زبدةُ عجِّلي. فقالت: أنا أعْجِن. فقال: ويْحكِ! تعاليْ ودعي العجينَ. فجاءت فقال لي: أنشِدْ بيتيْ قيس، فأعدتُهما. فقال لها: يازُبْدة، أحسن قيس وإلاَّ فأنت حرّةٌ! ارجعي الآن إلى عجينك أدْركيه لا يبْرُد. (١٩٠/٩)

(١١٢)

وقال القحْذميّ: قال ابن أبي عتيق لقيسٍ يوماً: أنشدني أحرّ ما قلْتَ في لُبْنى فأنشده قوله:

وإني لأهوى النّومَ في غير حينه   لعلّ لقاءً في المنام يكون

---

(١) كانَ عبد الملك يأخذ على الشماخ ذبحه ناقته بعد أن أوصلته إلى غايته، وقد تردّد صدى هذا البيت، ولفتة عبد الملك النقدية في كثير من كتب النقد المتخصصة، وعقّبت عليه الجمهرة من الشعراء. من ذلك ما ورد في الموشح (ص ٩٤): «... قد عاب بعضهم قول الشماخ: إذا بلّغتني .. كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها». وينظر العمدة (١٠٥٤/٢)، طبعة قرقزان. ومن الشعراء الذين عقّبوا عليه متفقين مع رأي عبد الملك، أبو نؤاس الذي قال:

أقول لناقتي إذ بلّغتني   لقد أصبحتِ عندي باليمين
فلم أجعلْكِ للغربان نَحْلاً   ولا قلتُ اشرقي بدم الوتين

ينظر الموشح (ص ٩٦)، والعمدة (١٠٥٤/٢)، ومن الشعراء أيضاً أبو تمام الذي قال:

لَسْتُ كشمّاخ المنعَّم في   سوء مكافاته ومجترمه

ينظر الموشح (ص ٩٧)، وخزانة الأدب (٤١/٣)، ومنهم محمد بن علي القنبري الهمذاني، ينظر الموشح (ص ٩٧) وغيرهم.

تُحدِّثني الأحلامُ أنّي أراكُمُ ... فياليتَ أحلامَ المنام يقين
شهدتُ بأني لم أحُلْ عن مودَّةٍ ... وإنّي بكم لو تعلمين ضنين
وأنَّ فؤادي لا يلين إلى هوى ... سواك وإن قالوا بلى سيلين

فقال له ابن أبي عتيق: لقلَّ ما رضيتَ به منها يا قيْس. قال: ذلك جُهْدُ المُقِلّ. (٢١٣/٩)

(١١٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال، وأخبرنا به وكيع عن أبي أيُّوب المدينيّ، قال الزُّبير قال حدّثتني ظبْية قالت: سمعتُ عبد الله بن مُسْلم بن جُنْدب يُنْشد زوجي قول قيس بن ذريح:

إذا ذُكرتْ لُبْنى تأوّه واشتكى ... تأوُّهَ محموم عليه البلابلُ
يَبيت ويُضْحى تحت ظلّ منيَّةٍ ... به رمقٌ تبكي عليه القبائل
قتيلُ للُبْنى صدَّع الحبُّ قلبه ... وفي الحب شغلٌ للمحبِّين شاغل

فصاح زوجي: أوّه! واحرباه واسلباه!. ثم أقبل على ابن جُندب فقال: ويْلك! أتُنشد هذا كذا! قال: فكيف أنشدُه؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي!. (٢١٣/٩)

(١١٤)

أخبرني الحرميُّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أنشدت أبا السائب المخْزوميّ قول قيس بن ذريح:

أحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أجِدْ ... لها مثلاً في سائر الناس يُوصَفُ
فمنهنَّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ ... بمعرفتي منه بما يتكلَّف
ومنهن ألاّ يعْرِضَ الدَّهرَ ذكرُها ... على القلب إلاّ كادتِ النفس تتْلَفُ
وحبٌّ بدا بالجسم واللون ظاهرٌ ... وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوح ألطف

قال أبو السائب: لا جرم والله لأخْلِصنَّ له الصَّفاءَ ولأغضبنَّ لغضبه ولأرضينَّ لرضاه. (٢١٥/٩)

(١١٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السَّعْديّ قال: ذُكر كثيِّر وعديّ بن الرِّقاع العامليّ في مجلس بعض خُلفاء بني أميَّة، فامتروْا فيهما أيُّهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كُثيِّر بيتاً هو أشهر وأعرف في

الناس من عديّ بن الرِّقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثيِّر:

أأن زُمَّ أجـمالٌ وفـارق جيرةٌ ... وصـاح غرابُ البين أنت حزينُ

قال: فحلف الخليفة لئن كان عديٌّ بن الرِّقاع أعرفَ في الناس من بيت كثيِّر ليُسْرِجنَّ جريراً وليُلْجِمنَّه وليُركبنَّ عديَّ بن الرِّقـاع على ظهره. فكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغت من خطبتك فسلِ الناس من الذي يقول:

أأن زُمَّ أجـمالٌ وفـارق جيرةٌ ... وصـاح غرابُ البين أنت حزين

وعن نسب ابن الرِّقـاع. فلمَّا فرغ الوالي من خطبته قـال: إنَّ أمـير المؤمنين كـتب إليَّ أن أسألكم من الذي يقول: أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ

قـال: فابتدروا من كل وجه يقولون: كُثيِّر كـثيِّر. ثم قـال: وأمرني أن أسـأل عن نسب ابن الرِّقاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخِّر المسجد فقال: هو من عاملة. (٩/٣٠٩)

(١١٦)

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمَّار قال حدَّثنا محمد بن عباد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعْرِض أو يعْرِض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عديِّ بن الرِّقـاع، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات:

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا ... فيه المشيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسم(١)

وكـأنَّها وسْطَ النساء وأعارها ... عينيه أحْوَرُ من جـآذر جاسم

وسْنانُ أقْصَده النُّعاسُ فرنَّقتْ ... في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن والله!. فقال رجل كان يحضُرُ مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيّ: أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضْبان الدِّفْلى(٢) تأخذه لكنتَ أشدَّ له استحساناً. يعني إذا كان يُغنَّى به على العود. (٩/٣١٠)

(١١٧)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله المعروف بالحزنْبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شِعر عديِّ بن الرِّقاع. لما قرأ عليه القصيدة

---

(١) عسا: اشتدّ.

(٢) الدِّفلى: نبت مرٌّ زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخرّوب.

التي يقول فيها:

لولا الحياءُ وأنّ رأسي قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسم

قال أبي: أحسن والله عديُّ بن الرِّقاع!. قال: وعنده شيخ مدنيٌّ جالس، فقال الشيخ: والله لئن كان عديٌّ أحسن لما أساء أبو عبّاد. قال أبي: ومن هو أبو عبّاد؟ قال: معْبد. والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسناك له أكثر. فجعل أبي يضحك. (٣١٢/٩)

(١١٨)

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال جرير: سمعت عديّ بن الرِّقاع يُنشد: تُزْجي أغنَّ كأنَّ إبرة روْقه(١)

فرحمتُه من هذا التشبيه فقلت: بأيِّ شيء يُشبِّهه تُرى(٢)! فلما قال:

قلمٌ أصاب من الدَّواة مدادها.

رحمتُ نفسي منه. (٣١٣/٩)

(١١٩)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني أحمد بن الهيْثم بن فراس قال حدّثني العُمريَ عن الهيثم بن عديّ قال: أنْشد عديُّ بن الرِّقاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدته التي أوّلُها:

عرف الديار توهُّما فاعتادها

وعنده كثيِّر وقد كان يبلُغه عن عديّ أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازي مقْرورٌ(٣) إذا أصابه قُرُّ الشام جمد وهلك، فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله:

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوِّم ميْلَها وسنادها(٤)

فقال له كثيِّر: لو كنتَ مطبوعا أو فصيحاً أو عالما لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سناد فتحتاج إلى

---

(١) الروق: القرن. (٢) يلاحظ هذا التعقّب الدقيق الذي يدلّ على تغلغل في مسالك الشعر، ونفاذ عميق فيه.

(٣) مقرور: بارد، يعني أنّه ركيك، هابط، ويوصف شعر الحجاز كذلك لرقّته لأنّه شعر حاضرة، وابتعاده عن البادية التي تجعل الشعر خشناً، قوياً.

(٤) السِّناد: عيب من عيوب الشعر، وهو في اصطلاح العروضين اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر، وجعلوه على خمسة أضرب. ينظر الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي (ص ١٦٤) وما بعدها، وينظر ديوان عدي (ص ٨٨).

أن تقوِّمها(١). ثم أنشد:

نظر المثقّف في كُعوب قناته حتى يقيمَ ثقافُه منآدها(٢)

فقال له كثيِّر: لا جرمَ أنَّ الأيام إذا تطاولتْ عليها عادت عوجاء، ولأن تكونَ مستقيمةً لا تحتاج إلى ثقاف أجودُ لها. ثم أنشد:

وعلمتُ حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فقال كثيِّر: كذبتَ وربِّ البيت الحرام! فليمتحنْكَ أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيَّن جهلك، وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآن حيث تظنُّ هذا بنفسك(٣). فضحك الوليد ومنْ حضر، وقُطِع بعديٍّ بن الرِّقاع حتى ما نطق. (٩/٣١٦)

(١٢٠)

ويقول في ذلك أيضاً دُريد بن الصِّمَّة في قصيدة له أخرى:

جزَيْنا بني عبْسٍ جزاءً موفَّراً بمقتل عبد الله يومَ الذَّنائبِ(٤)

ولولا سوادُ الليل أدْرك ركْضُنا بذي الرِّمْثِ والأرْطى عياضَ بن ناشبِ(٥)

قتلنا بعبد الله خير لداته ذُوَابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

قال أبو عبيدة: أنْشد عبدُ الملك بن مروان شعر دريد بن الصِّمة هذا فقال: كاد دريد أن ينْسُب ذُوَابَ بنَ أسماءَ إلى آدم. فلما بلغ المُنْشدُ قوله:

ولولا سوادُ الليل أدْرك ركْضُنا بذي الرِّمْثِ والأرْطى عياضَ بن ناشب

قال عبد الملك: ليت الشمس كانت بقيتْ له قليلا حتى يُدْركه. (١٠/١٣)

---

(١) كأنَّ (الشاعر الناقد) يأخذ هنا على عديّ إصلاحه قصيدته قبل نشرها، وهذا نقد فيه الكثير من التحامل، فللشاعر الحقُّ في تهذيب قصيدته، وتنقيحها، أليس هو الناقد الأول لشعره؟

(٢) منآدها: ما دخلها من ضعف واعوجاج.

(٣) جاء في الأغاني (٩/ ٣١٠)، أنَّ محمد بن المنجمّ قال: ما أحد ذُكر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلاّ عديّ بن الرقاع لقوله: وعلمت حتى .. فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلّما مرَّ به شيء لا يحسنه أمرتُ بصفعه، وينظر الموشح، ص (٣٠٠)، وخزانة الأدب (١١/ ١٧٥).

(٤) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة.

(٥) ذو الرِّمث: موضع، والرمث والأرطى: نباتان.

(١٢١)

ووجدتُ في أخبار أبي النَّجْم عن أبي عمرو الشيْباني قال: قال له فتيانٌ من عِجْل: هذا رؤبة بالمِرْبد(١) يجلس فيُسمع شعره ويُنْشِد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تميم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أوتُحبُّون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأتوني بعُسٍّ(٢) من نبيذ فأتوه به، فشربه ثم نهض وقال: إذا اصطحبتُ أربعاً عرفتني ثم تجشـمتُ الذي جشَّمتني

فلما رآه رؤبة أعْظمه وقام له عن مكانه وقال: هذا رَجَّاز العرب. وسألوه أن يُنْشدهم فأنشدهم: الحمد لله الوهُوب المُجْزِلِ

وكان إذا أنشد ووحش بثيابه (أي رمى بها). وكان من أحسن الناس إنشاداً فلما فرغ منها قال رؤبة: هذه أمُّ الرَّجز. (١٥١/١٠)

(١٢٢)

وقال أبو عمرو في هذه الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخْفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المُبرِّد قال حدّثني محمد بن المُغيرة بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال: ورد أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك في الشعراء. فقال لهم هشام: صفُوا لي إبلاً فقطِّروها(٣) وأوْرِدوها وأصْدروها حتى كأنّي أنظر إليها. فأنشدوه وأنشده أبو النَّجْم: الحمدُ لله الوهُوبِ المُجْزِلِ

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأفق كعين...» وأراد أن يقول «الأحول» ثم ذكر حوْلة هشام فلم يُتِمَّ البيتَ وأرتج عليه. فقال هشام: أجزِ البيت، فقال «كعين الأحول» وأتمَّ القصيدة. فأمر هشام فوُجِئ(٤) عُنُقه وأُخرِجَ من الرُّصافة وقال لصاحب شُرْطته: يا ربيع إيّاك وأن أرى هذا!(٥). (١٥٥/١٠)

---

(١) يعني مربد البصرة وهو من أشهر محالِّها، كانت به سوق الإبل قديماً ثمّ صار محلّة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء.

(٢) العُسّ: القدح الكبير. (٣) قطر الإبل: قرّب بعضها من بعض على نسق.

(٤) يقال وجأه باليد والسكين إذا ضربه.

(٥) من الواضح أنّ هذا النقد لا يقوم على أسس فنيّة، بل يستمدّ الخليفة من موقعه، ومركزه قوّة في التعامل مع الشاعر. ومن المؤكّد أنه لم يكن ليعرّض بالخليفة في هذا البيت، ولكنّ استدعاء القافية هو الذي دعا إلى ذلك، ولم يمنع هذا كلّه من عقابه، وهناك شواهد أخرى تقترب من هذا النصّ وقعت مع خلفاء آخرين.

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن المغيرة بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن عمران البزّازي قال: لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً، وبالمدينة سنةً، تخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات، فتُناضل بين الرُّماة. فمرّ بها النُّميري الشاعرُ، فسألتْ عنه فنُسبَ لها، فقالت: ائتُوني به. فقالت له لمّا أتوْها به: أنشدني ممّا قلت في زينب. فامتنع وقال: ابنةُ عمّي وقد صارتْ عظاماً بالية. قالت: أقسمتُ لمّا فعلت. فأنشدها قوله:

نزلنَ بفخٍّ ثم رُحْنَ عشيّةً   يُلبّينَ للرحمن مُعْتمرات(١)
يخبّئن أطرافَ الأكفّ من التقى   ويخرجن شطرَ الليل مُعتجرات(٢)
ولمّا رأتْ ركْبَ النميريّ أعرضتْ   وكُنّ من أنْ يلقَينه حذرات
تضوّعَ مِسْكاً بطنُ نعْمانَ أن مشتْ   به زينبٌ في نسوةٍ خَفِرات

فقالت: والله ما قلتَ إلاّ جميلاً، ولا وصفتَ إلا كرما وطيبا وتُقىً ودينا، أعطُوه ألفَ درهم. فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها، فقالت: عليّ به فجاء، فقالت: أنْشدْني من شعرك في زينب. فقال: أو أُنْشدُك من قول الحارث فيك؟ فوثب مواليها. فقالت: دعُوه؛ فإنه أراد أن يستقيد لابنه عمّه، هات. فأنشدها:

ظعنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ   وغدَوا بلُبّكَ مطلعَ الشّرْقِ
وتنُوءُ تُثقِلُها عجيزتُها   نهْضَ الضعيف ينوء بالوسْقِ(٣)
ما صبّحتْ زوجاً بطلعتها   إلاّ غدا بكواكب الطَّلْقِ(٤)
قُرشيّةٌ عبِقَ العبيرُ بها   عبقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ(٥)
بيضاءُ من تيم كلفتُ بها،   هذا الجنون وليس بالعشق

قالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر إنّي إذا صبّحت زوجاً بوجهي غداً بكواكب الطّلْق، وأني غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق. أعطُوه ألفَ درهم واكسُوه حلّتين، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُميريُّ. (١١/١٩٠)

---

(١) فخّ: وادٍ بمكة.   (٢) الاعتجار: ليُّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك.

(٣) الوسق: الحمل الثقيل.   (٤) الطّلْق: الاعتدال، يقال: يوم طلق وليلة طلقة: لا حرٌّ فيها ولا برد. ينظر كتاب الأزمنة لقطرب (ص ١٤٣).   (٥) الحُقّ: وعاء يحفظ فيه الطيب.

(١٢٤)

قال معاوية لليلى الأخيلية: خبِّريني بأجود ما قلت في توبة من الشعر.. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلت فيه شيئاً إلاَّ والذي فيه من خصال الخير أكثرُ منه. ولقد أجدتُ حين قلتُ:

جزى اللهُ خيراً والجزاءُ بكفه ... فتىً من عُقيلٍ ساد غير مُكلَّفِ
فتىً كانتِ الدُّنيا تهونُ بأسْرها ... عليه ولا ينفكُّ جَمَّ التَّصرُّفِ
ينالُ علياتِ الأمورِ بهونةٍ ... إذا هي أعيتْ كلُّ خرْقٍ مُشرَّفِ(١)
هو الذَّوْبُ بل أرْيُ الخلايا شبيهُهُ ... بدرْياقةٍ من خمر بيسانَ قرقفِ(٢)
فياتوبُ ما في العيش خيرٌ ولا ندىً ... يُعدَّ وقد أمسيتَ في تُرْب نفْنفِ(٣)
وما نلْتُ منك النِّصْفَ حتى ارتمت بك الـ ... ـمنايا بسهمٍ صائب الوقع أعْجفِ(٤)
فيا ألْفَ ألفٍ كنتَ حياً مُسلَّماً ... لألقاكَ مثلَ القسْورِ المتُطرِّفِ(٥)
كما كنتَ إذ كنتَ المُنحَّى من الرَّدى ... إذا الخيلُ جالت بالقنا المُتقصِّفِ(٦)
وكمْ من لهيفٍ مُحْجرٍ قد أجبتَه ... بأبيضَ قطَّاعٍ الضَّريبةِ مُرْهفِ(٧)
فأنقذتَه والموتُ يحْرُقُ نابه ... عليه ولم يُطْعنْ ولم يُتنسَّفِ(٨)

(٢٣٨/١١)

(١٢٥)

أخبرنا الحسن قال حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدَّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سلمة بن أيُّوبَ بن مسْلمة الهمْداني قال: كان جدِّي عند الحجاج، فدخلتْ عليه امرأةٌ برْزةٌ(٩)،

---

(١) الهونة: الرِّفق والسهولة، وأعياه الشيء: أكلَّه وأعجزه، والخِرق: السخيّ أو الظريف في سخاوة، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة، ومشرَّف: جعل له شرف.

(٢) الذوب: العسل، والأرْي العسل أيضاً، والدرياقة: الخمر، وبيسان: بلدة كانت بالشام مشهورة بالخمرة، والقرقف: الخمر يرعد عنها صاحبها.

(٣) النفنف: المفازة أو الصحراء. (٤) النِّصف هنا: إعطاء الحق مثل الإنصاف، والسهم الأعجف: الرقيق.

(٥) القسور: الأسد، والمتطرِّف: المُغير. (٦) جوَلان الخيل: كناية عن الحرب، والقنا المتقصِّف: المتكسِّر.

(٧) لهيف: ملهوف، ومحجر: مُضيَّق عليه، الأبيض: السيف، تريد كم ساعدت وأنجدت مَنْ كانوا في ضيق وعُسر. (٨) حرق الأنياب: حكَّها بعضها بعض، وهو كناية عن الغضب والغيظ. وتنسَّف في الصراع: قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره.

(٩) المرأة البرزة: الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدَّثون وهي عفيفة.

فانتسبتْ له فإذا هي ليلى الأخيلية. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: كنتُ عند الحجاج. وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جُويرية عن بشرِ بن عبد الله بن أبي بكر: أنّ ليلى دخلتْ على الحجّاج، فلما قالت: غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها

قال لها: لا تقولي «غلامٌ»، قولي «هُمامٌ»(١). (٢٤٢/١١)

(١٢٦)

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحرونِ قال حدّثنا الكسْرويّ عن الأصمعيّ قال: قال عبد الملك للأقيشر: أنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:

تُريكَ القذى من دونها وهي دونه ... لوجْهِ أخيها في الإناء قُطوبُ
كُميْتٌ إذا فُضّتْ وفي الكاس وردْةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيبُ(٢)

فقال له: أحسنتَ يا أبا مُعْرِض! ولقد أجدتَ وصفها، وأظنُّك قد شربتها، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه ليريبني منك معْرفتُك بهذا. (٢٦٩/١١)

(١٢٧)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحزنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال: عشق أبو جِلْدة اليشْكُريُّ دِهقانةً ببُسْتَ(٣) وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها:

وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها ... ونازعنيها صاحبٌ لي مُلوَّمُ(٤)
أغرُّ كأنّ البدْرَ سُنّةُ وجهه ... له كفلٌ وافٍ وفرْعٌ ومبْسِمُ(٥)
يُضيء دُجى الظّلْماءِ رونقُ خدِّه ... وينجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ

---

(١) لعلّ هذا التغيير الذي اقترحه الحجاج أكثر انسجاماً مع أوصاف النجدة والشجاعة التي أسبغتها ليلى على توبة، فهي بالهمام أكثر التصاقاً منها بالغلام، وهذا يشير إلى إحساس مرهف بمواقع الكلمات، والفروق بينها. (٢) وردةٌ: حمراء.

(٣) بُسْت: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، ويبدو أنّها من أعمال كابل، كبيرة، حارّة المزاج، كثيرة الأنهار والبساتين، خرج منها كثير من العلماء والأدباء، والشعراء. ينظر معجم البلدان، ياقوت (٤١٤/١)، وقد كتب عنها باستفاضة.

(٤) مُلوّم: يلومه الناس كثيراً. (٥) سُنّة الوجه: دائرته أو صورته، أو الجبهة والجبينان، والمبسم: الثغر.

وثديانِ كالحُقَّيْن والمتْنُ مُدْمَجٌ	وجِيدٌ عليه نسَقُ دُرٍّ مُنظَّمُ
وبطنٌ طواه الله طيّاً ومنطقٌ	رَخيمٌ وردْفٌ نيطَ بالحِقْوِ مُفأمُ(١)
به تبلتْني واستَبتْني وغادرتْ	لظىً في فؤادي نارُها تتضرَّمُ
أبيتُ بها أهذي إذا الليلُ جنّني	وأصبحُ مبهوتاً فما أتكلّمُ
فمنْ مُبلِغٌ قومي الدُّنا أنَّ مُهجتي	تبينُ، لئن بانت ألا تتلوَّم(٢)
وعهْدي بها ـ واللهُ يُصلحُ بالَها ـ	تجودُ على منْ يشتهيها وتُنعِمُ
فما بالُها ضنَّتْ عليَّ بوُدِّها	وقلبي لها يا قوم عانٍ مُتيَّمُ

قال: فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها، فلما انتهى المُفسِّر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبتْ فقالت: أنا زانيةٌ كما زعم! إنَّ كلمته كلمةٌ أبداً. أو كلّما اشتهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحي إذاً! أيْ أنا أذاً زانية. فصرمته، فلم يَقْدر عليها وعُذِّب بها زماناً، ثم قال غيها لمّا يئس منها:

صحا قلبي وأقصر بعد غيٍّ	طويلٍ كان فيه من الغواني
بأنْ قصد السبيلَ فباع جهلاً	برُشْدٍ وارتجى عُقْبى الزَّمانِ
وخافَ الموتَ واعتصمَ ابنُ حُجْرٍ	من الحُبِّ المبرِّح بالجنان(٣)
وقِدْماً كان مُعْترِماً جَمُوحاً	إلى لذّاته سلسَ العنان(٤)
وأقلعَ بعد صبوته وأضحى	طويلَ الليلِ يهْرِف بالقُرانِ
ويدعو اللهَ مجتهداً لكيما	ينالَ الفوزَ من غُرَفِ الجنان	(٣٢٥/١١)

(١٢٨)

«نسخت من كتابه رضي الله عنه(٥): أخبرني الحسن بن سعيد قال: أخبرني ابن علاّق قال: أخبرني شيخ لنا أنّ خالد بن كلثوم أخبره قال: بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطِّرماح والكميت وهما جالسانِ بقُرْبِ باب الفيل(٦)، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يسْحب أهداماً له(٧)، حتى

(١) نيط: عُلِّق به، والحقو: الكشح، ومفأم: سمين.
(٢) قومي الدُّنا: قومي الأقربون، والتلوّم: التلبُّث والانتظار. (٣) حجر: من أباء الشاعر.
(٤) الاعترام هنا: الشراسة والبطر مثل العرام والصرامة. (٥) يقصد جدَّه لأمّه.
(٦) باب الفيل: موضع بالكوفة، سُمِّي بذلك لأنّ زياد بن أبيه لمّا تزوج أمّ أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط وهي حدثة كان يأمر بفيل كان عنده فيوقف، فتنظر إليه أم أيوب.
(٧) الأهدام: جمع هِدم وهو الثوب البالي المرقّع.

إذا توسّط المسجد خرّ ساجداً، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمّاحَ فقصدهما، فقلتُ: مَنْ هذا الحائن(١) الذي وقع بين هذين الأسدين! وعجبتُ من سجْدته في غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة. فقصدتُه، ثم سلّمت عليه ثم جلست أمامهم، فالتفت إلى الكُميت فقال: أسْمِعْني شيئاً يا أبا المُسْتهلّ؛ فأنشده قوله: أبتْ هذه النَّفْسُ إلاّ ادِّكارا

حتى أتى على آخرها، فقال له: أحسنتَ والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذا القوافي ونظْمِ عقْدها! ثم التفت إلى الطِّرِمّاح فقال: أسْمِعْني شيئاً يا أبا ضبينة؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها: أساءك تقويضُ الخليطِ المُباينِ نعم والنّوى قطّاعةٌ للقرائنِ(٢)

فقال: لله درُّ هذا الكلام! ما أحسن إجابته لرويّتك(٣)! إنْ كدتُ لأطيل لك حسداً. ثم قال الأعرابيّ: والله لقد قلتُ بعد كما ثلاثة أشعار، أمّا أحدها فكدتُ أطير به في السماء فرحاً، وأمّا الثاني فكدتُ أدّعي به الخلافة. وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً(٤) استفزّني به الجذلُ حتّى أتيتُ عليه. قالوا: فهات؛ فأنشدهم (قوله):

أإنْ توهّمْتَ مِنْ خرقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ(٥)

حتّى إذا بلغ قوله:

---

(١) الحائن: الهالك، وكلّ ما لم يوفق للرشاد فهو حائن.

(٢) التقويض هنا: نَزْع أعواد خيامهم وأطنابها، والخليط هنا: القوم الذين أمرهم واحد وذلك أنّ العرب كانوا يتجعون أيام الكلأ، فتجتمع منهم قبائل شتّى في مكان واحد، فتقع ألفة. فإذا قوّضوا خيامهم وافترقوا رجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك.

(٣) الرويّة: التفكّر في الأمر، والنظر فيه، وترك العجلة، وقد دخلت هذه الكلمة في مصطلحات النقد، خاصة في مبحث المطبوع والمصنوع من الشعر، وفرّق النقاد بينها وبين البديهة وذهبوا إلى أن بعض الشعراء ينظم شعره على البديهة، وبعضهم يأتي بشعره على الرويّة، وصنف ثالث يكون «شعره في البديهة والرويّة سواء، وعند الأمن، والخوف لقدرته .. ». العمدة (١/٢٥٦)، طبعة محمد قرقزان، ويذهب المصري في تحرير التحبير، ص (٤١٨) إلى أنّ «من الناس مَنْ شعره في البديهة أبدع منه في الرويّة، ومَنْ هو مُجيد في رويّته وليست له بديهة، وقلّما يتساويان». وعرض لها كذلك حازم في منهاج البلغاء (ص ٢١٤) بتفصيل، ومن الواضح أنّ الأعرابي يطري شعر الطرماح الذي أعمل فيه رويّته فجاء بديعاً، جيّداً.

(٤) الرُّقصان: هو الرَّقص، ضرب من الخبب، ينظر لسان العرب (٧/٤٢).

(٥) خرقاء: صاحبة ذي الرمّة، وقد ذكرها في شعره كثيراً، وقد وُصفت بأنّها «امرأة طويلة حسنة، بها قوة» الأغاني (١٨/٣٨)، وشاع بيت ذي الرمة الآتي فيها: تمامُ الحجِّ أن تقف المطايا على خَرْقاءَ واضعة اللثام وترسمت الدار: نظرت رسومها، والصبابة: رقّة الشوق، ومسجوم: مصبوب.

تنْجُو إذا جعلتْ تدْمي أخشتُها　　وابْتلَّ بالزَّبدِ الجعْدِ الخراطيمُ(١)

قال: أعلمتم أنِّي في طلب هذا البيت منذ سنة، فما ظفرتُ به إلاَّ أنفاً(٢)، وأحْسبكم قد رأيتم السجدة له(٣). ثم أسمعهم قوله: ما بالُ عينك منها الماءُ ينْسكبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها:

إذا اللَّيلُ عن نشْزٍ تجلّى رَمَينهُ　　بأمثالِ أبصارِ النِّساء الفوارِكِ

قال: فضرب الكُميْتُ بيده على صدر الطِّرمَّاح، ثم قال: هذه والله الدِّيباجُ لانسْجي ونسجك الكرابيس(٤). فقال الطرماح: لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجودته. فقطَّب ذو الرُّمَّة وقال: يا طرمَّاح! أأنت تُحْسنُ أن تقول:

وكائن تخطَّت ناقتي من مفازةٍ　　إليك ومِنْ أحواضِ ماءٍ مُسدَّمِ(٥)
بأعْقاره القِرْدان هزْلى كأنَّها　　نوادرُ صيصاء الهبيدِ المُحطَّمِ(٦)

فأصغى الطِّرمَّاح إلى الكميت وقال له: فانظرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر! ـ قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها ذو الرُّمَّة عبد الملك، فلمْ يمْدحْه فيها ولا ذكره إلاَّ بهذين البيتين، وسائرها في

---

(١) تنجو: تسرع، والأخشَّة: جمع خِشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها، والجعد من الزَّبد: الثخين الغليظ.

(٢) من المعروف أنَّ ذا الرّمة كان من الشعراء الذين يطيلون النظر في شعرهم، ويُعملون فيه تنقيحاً وتهذيباً، وقد أشار هو إلى هذا بقوله:　وشعرٍ قد أرقتُ له غريبٍ　　أجنِّبه المُساندَ والمحالا
فبتُّ أقيمهُ وأقدُّ منه　　قَوافيَ لا أعدُّ لها مثالا
ينظر ديوانه (١٥٣٢/٣ ـ ١٥٣٣)، ويذكر في هذا النصّ طلبه لهذا البيت حولاً كاملاً، فما استقام له، وظفر به إلاّ بعد هذا الحول.

(٣) السجود للشعر من علامات الإعجاب به، وسنرى ذكراً له في النصوص القادمة.

(٤) الكرابيس: جمع كِرباس وهو ثوب غليظ من القطن، جعل من شعريهما نسيجَ قطن، وجعل من شعره حريراً، يصفه بالجودة والالتحام، ويصف شعريهما بالفلتة، وعدم الترابط. وقد أطرى النقاد الشعر الملام النسج. وعابوا ذلك الشعر الذي وصفوه بالمتفاوت النسج وجاءوا له بشواهد. ينظر الموشح (ص ٧٠).

(٥) الماء المسدَّم: المتغيِّر لطول العهد.

(٦) الأعقار: جمع عقر، وعقر الحوض، مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت، والهبيد: حبُّ الحنظل، والصيصاء: الضاوي الهزيل منه: يقول: ليس للقردان شيء تأكله فهي هزلى، فشبَّهها بما يشذُّ ويخرج من ضاوي حبِّ الحنظل.

ناقته. فلمّا قدم على عبد الملك بها أنشده إيّاها، فقال له: ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتك، فخُذْ منها الثَّواب(١). وكان ذو الرُّمة غيرَ محظوظ من المديح - قال: فلم يفْهَمْ ذو الرُّمة قول الطرماح للكميت. فقال له الكميت: إنه ذو الرَّمة وله فضلُه، فأعْتبه. فقال له الطرماح: معذرةٌ إليك! إنَّ عنانَ الشِّعْرِ لفي كفِّك، فارْجِعْ مُعْتباً، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ. (٣٧/١٢)

(١٢٩)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني الحجاجيُّ قال: بلغني أنَّ الطِّرمّاح جلس في حلْقةٍ فيها رجلٌ من بني عبْس، فأنشد العبسيّ قول كُثيِّر في عبد الملك:

فكنتَ المُعلّى إذ أجيلتْ قداحُهُم ... وجـال المنيحُ وسْـطها يتقلْقـلُ(٢)

فقال الطِّرمّاح: أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع من الخُلفاء الذين كان كثيِّر لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج عليّاً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعلّى السابعُ من القداح، فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

وكان الخلائفُ بعدَ الرَّسو ... لِ للَّـــه كُلُّهُـــمُ تـابعـــا
شيدانِ من بعد صدِّيقهمْ ... وكان ابنُ حرْبٍ لـه رابعـا
وكـان ابنُه بعـده خـامسـاً ... مُطيـعاً لمن قبله سـامـعـا
ومرْوانُ سادِسُ مَنْ قد مضى ... وكـان ابنُـه بعـده سـابعا

قال: فعجبْنا من تنبُّه الطرمّاح لمعنى قولِ كُثيِّر، وقد ذهب على عبد الملك فطنتُه مدحاً(٣).

(٤١/١٢)

---

(١) أشرنا إلى هذا النقطة في القضية السابقة، من حيث إنَّ تأخّر ذي الرّمة عن بقية الشعراء جاء بسبب عدم تمكّنه من المديح، وهو من الأغراض التي كان يتطلّبها عصره، ويصرُّ عليها.

(٢) المُعلّى: هو القدح الذي له سبعة حظوظ من الجزور في لعب الميسر إذا خرج. وأجيلت: أديرت، والمنيح: قِدح تثقل به القداح ولاحظَّ له إن فاز، ولا غُرم عليه إن خاب، ينظر نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي (٧٩٧/٢)، فقد فصّل الحديث عن القداح وأنواعها.

(٣) هذا نقد دقيق يعتمد على البصر بكلام العرب، وأعرافهم من جهة. وعلى نفاذ وبصيرة بالشعر من جهة أخرى، وهو لا يتهيّأ إلا لمن كانت له إحاطة بهذا كلّه، مع اطّلاع على مذاهب الفرق، وأقاويلها، ومن المعروف أنَّ كثيِّراً كان كيسانياً يقول بقوله، ويدين برجعة محمد الحنفية، ويزعم أنّه حيٌّ، وهو المهدي المنتظر، وله في ذلك شعر كثير. ينظر الملل والنحل، للشهرستاني (١٩٦/١)، على هامش فِصَل ابن حزم.

(١٣٠)

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزي قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسديّ قال: قدم معنٌ بن أوْس المُزنيّ البصْرة، فقعد يُنْشد في المِرْبد، فوقف عليه الفرزدق فقال: يا معْنُ مَنِ الذي يقول:

لعمْرُكَ ما مُزَيْنةُ رهْطُ معْنٍ ... بأخفاف يطأنَ ولا سنام

فقال معنٌ: أتعْرف يا فرزدقُ الذي يقول:

لعمْرُكَ ما تميمٌ أهلُ فَلْجٍ ... بأرْدافِ المُلوكِ ولا كرامِ(١)

فقال الفرزدق: حسْبُك! إنّما جرّبتُك. قال: قد جرّبتَ وأنت أعلم، فانصرف وتركه. (٥٨/١٢)

(١٣١)

أخبرني محمد بن عمْران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العنزيّ قال حدّثني مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هشام قال: قال عبدُ الملك بن مرْوانَ يوماً وعنده عدّةٌ من أهل بيته وولده: ليقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سمع به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتّى أتوْا على محاسن ما قالوا. فقال عبد الملك: أشعرُهم والله الذي يقول:

وذي رحمٍ قلَّمْتُ أظفارَ ضِغْنِه ... بحلْميَ عنهُ وهْوَ ليس له حلْمُ

إذا سُمْتُه وصْلَ القرابةِ سامني ... قطيعتَها، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ

فأسْعى لكي أبني ويهْدِمُ صالحي ... وليس الذي يبْني كمنْ شأنُه الهدْمُ

يُحاولُ رغْمي لا يُحاول غيره ... وكالموتِ عندي أن ينالَ له رغمُ

فما زِلْتُ في لينٍ له وتعطُّفٍ ... عليه كما تحنُو على الولدِ الأمُّ

لأسْتلَّ منه الضِّغْنَ حتّى سلَلْتُه ... وإنْ كان ذا ضِغْنٍ يضيقُ به الحِلْمُ

قالوا: ومنْ قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: معْنُ بن أوْسٍ المُزنيّ. (٥٩/١٢)

(١٣٢)

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إيّاه الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا سليمان بن عيّاش السَّعْديّ قال (أخبرني السائب بن ذكْوانَ راويةُ كُثَيِّر قال): قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، وأخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن

---

(١) فلج هنا: وادٍ بين البصرة وحمى ضريّة من منازل عديّ بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، والأرداف: جمع رِدف وهو هنا جليس الملك عن يمينه يشرب معه ويخلفه إذا غزا.

عثمان بن حفص قال، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبيريّ والمُسيُّبيّ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز (الجوهريّ) قال حدّثنا عمر بن شبّة موقوفاً عليه. وجمعتُ رواياتهم، وأكثرُ اللَّفظ للزُّبير (بن بكّار) وخبرُه أتمُّ: أنّ عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة؛ فزعموا أنّه قدمها من أجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً؛ فذلك قوله:

يا خليليّ قد مَللتُ ثَوائي بالمُصلّى وقد شَنِئتُ البقيعا(١)

قال: ثم خرج إلى مكة، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا.

قال الزُّبير في خبره عن سائب راوية كُثيِّر إنه قال: لمّا مرّا بالرَّوْحاء(٢) استتلياني(٣) فخرجت أتلوهما، حتّى لحقتُهما بالعرْج(٤) عند رواحهما، فخرجْنا جميعاً حتّى وردْنا ودّان(٥)، فحبسهما النُّصيبُ وذبح لهما وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا النُّصيب، فلمّا جئنا كُليَّة عدلنا(٦) جميعاً إلى منزل كُثيِّر، فقيل لنا: هبطَ قديداً(٧)، فذُكر لنا أنّه في خيمةٍ من خيامها. فقال لي ابن أبي ربيعة: اذْهبْ فادْعُه لي، فقال النُّصيب: هو أحمق وأشدُّ كِبْراً من أن يأتيك. فقال لي عمر: اذْهبْ كما أقول (لك!) فادعُه لي. فجئته، فهشَّ لي وقال: «اذْكرْ غائباً تره» لقد جئت وأنا أذكرك. فأبلغته رسالة عمر؛ فحدَّد إليَّ نظرةً وقال: أما كان عندك من المعرفة ما يردَعُك عن إتياني بمثل هذه الرسالة! قلت: بلى والله! ولكنّي سترتُ عليك فأبى اللهُ إلاّ أن يهتك سترك. فقال لي: إنّك والله يابنَ ذكوانَ ما أنتَ من شكْلي؛ فقُلْ لابن أبي ربيعة: إنْ كنتَ قُرشياً فأنا قرشيٌّ. فقلت له: لا تترك هذا التَّلصُّق وأنت تقرفُ عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ(٨)! فقال: والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سدوس. ثم قال: وقل له: إنْ كنتَ شاعراً فأنا أشعرُ منك. فقلت له: هذا إذا كان الحُكْمُ إليك. فقال: وإلى مَنْ هو ومنْ أوْلى بالحكم منّي! (وبعد هذا يابن ذكوان فاحْمد الله على لومك؛ فقد منعك منّي) اليوم؟ فرجعتُ إلى عمر، فقال: ما وراءك؟ فقلتُ: ما قال لك نُصيْبٌ. فقال: وإنْ فأخبرتُه فضحك وضحك صاحباه ظهْراً لبطْنٍ. ثم نهضوا معي إليه. فدخلنا عليه في خيمةٍ، فوجدناه جالساً على جلْدِ كبْشٍ، فوالله ما أوسع للقُرشيّ. فلمّا تحدّثوا مليّاً فأفاضوا في ذكر الشِّعْر، أقبل على عُمرَ فقال له: أنت تنْعتَ المرأة فتنْسب بها ثم تدعها وتنْسب بنفسك، أخبرني

---

(١) شنئتُ: أبغضت، وكرهت. (٢) الرّوحاء: قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً.

(٣) استتلياني طلب إليه أن يتلوه. (٤) العَرْج: قرية كانت جامعة في وادٍ من نواحي الطائف.

(٥) ودّان: قرية جامعة من نواحي الفُرْع بين مكة والمدنية. (٦) كليّة: قرية بين مكة والمدينة.

(٧) قديد: موضع قرب مكة. (٨) يقول له: أنت لست بأصيل في قريش ولا بمتمكّنٍ فيهم، كالصمغة من الشجرة: فإنّ الصمغة إذا قرفت وقلعت لم يبق لها أثر.

يا هذا عن قولك:

قـالتْ تصدّيْ لـه ليعْرفـنا ثمّ اغمزيه يا أخت في خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثم اسبطرّتْ تشتدُّ في أثري(١)
وقـولُها والدُّمـوعُ تسـبقُها لنُفسـدنّ الطّواف في عُمـر

أتراكَ لو وصفت بهذا هِرّة أهلك ألم تكن قد قبُحت وأسأتَ وقلتَ الهُجْر؛ إنّما تُوصفُ الحُرّةُ بالحياء والإباء والالتواء والبخْل والامتناع(٢)، كما قال هذا ـ وأشار إلى الأحوص:

أدُورُ ولولا أنْ أرى أمّ جـعْفـرٍ بأبيـاتِكُمْ مـا دُرْتُ حـيثُ أدورُ
ومـا كُنْتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهـوى إذا لـم يزُرْ لا بُدّ أن سـيـزورُ
لقد منعتْ معروفـهـا أمّ جعْفرٍ وإنّـي إلى معـروفـهـا لفقـيـرُ

قال: فدخلتِ الأحْوص أبْهةٌ وعرفتِ الخُيلاءُ فيه. فلما استبان كُثيِّر ذلك فيه قال: أبطل آخِرُك أوّلك. أخبرني عن قولك:

فـإن تصلي أصلكِ وإنْ تبيني بصُـرمـك بعد وَصْلكِ لا أبالي
ولا ألفى كـمنْ إنْ سـيمَ صـرْمـاً تعرّضَ كـي يُردَّ إلى الوصـالِ

أما والله لو كنتَ فحْلاً لباليتَ ولو كَسرتْ أنْفك. ألا قلْتَ كما قال هذا الأسود ـ وأشار إلى نُصيب:

بزينبَ ألمْ قبل أن يرْحلَ الرّكْبُ وقُـلْ إنْ تملّينا فمـا مَلّكِ القلْبُ

قال: فانكسر الأحوصُ، ودخلتِ النُّصيْبَ أبهةٌ. فلمّا نظر أنّ الكبرياء قد دخلته. قال له: يابنَ السّوداء، فأخبرني عن قولك:

أهيم بدعْدٍ ما حييتُ فإنْ أمُتْ فواكبدي مَنْ ذا يهيمُ بها بعْدي

أهمّك منْ ينيكُها بعدك! فقال نُصيْب: استوتِ القوقُ، قال: وهي لُعْبةٌ مثل المنقلة. ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين. قال سائب: فلمّا أمسك كُثيِّر أقبل عليه عُمر فقال له: قد أنْصتْنا لك فاسْمع يا مذْبوبُ(٣) (إليّ)! أخْبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لمن تُحِبّ حيث تقول:

ألا ليتنا يا عـزُّ كُنّا لـذي غنىً بعيريْنِ نرْعى في الخلاءِ ونعْزُبُ

---

(١) اسبطرّتْ: أسرعت.

(٢) أطلنا الوقوف عند هذا الأمر في القضية السابقة. (٣) المذبوب: المجنون.

كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقلْ على حُسْنها جرباءُ تُعْدى وأجربُ
إذا ما وردْنا منهلاً صاح أهلُه علينا فما ننفكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ
وددْتُ وبيتِ اللهِ أنّك بكْرةٌ هجانٌ وأنّي مُصْعبٌ ثم نهرُبُ(١)
نكون بعيريْ ذي غنى فيُضيعُنا فلا هُو يرْعانا ولا نحن نُطلَبُ

وقال: تمنَّيْتَ لها ولنفسك الرقَّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمسْخ، فأيُّ مكْروه لم تمنَّ لها ولنفسك! لقد أصابها منك قولُ القائل: «مُعاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمق». قال: فجعل يختلج جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إليَّ يابن استها(٢) أُخْبِرْكَ بخبرك وتعرُّضك للشرّ وعجْزك عنه وإهدافك لمن رماك. أخبرني عن قولك:

وقُلْنَ - وقد يكْذبْنَ - فيكَ تعيُّفٌ وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطعْ صاح ناعقُهْ
وأعْييْتنا لا راضياً بكرامةٍ ولا تاركاً شكْوى الذي أنت صادقُهْ
فأدركتَ صفْو الودِّ منّا فلُمْتنا وليس لنا ذنْبٌ فنحن مواذقُهْ(٣)
وألفيتنا سلْماً فصدَّعْتَ بيْننا كما صدَّعتْ بين الأديم خوالقُهْ(٤)

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤتَ به على نفْسك. قال: فخفق كما يخْفق الطائرُ. ثم أقبل عليه النُّصيْبُ فقال: أقْبِلْ عليَّ يا زُبَّ الذُّباب! فقد تمنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندي علْمُه فيك حيث تقول:

وددتُ - وما تُغْني الودادةُ - أنّني بما في ضمير الحاجبيَّة عالم
فإنْ كان خيراً سرَّني وعلمتُه وإنْ كان شرّاً لم تَلُمْني اللّوائمُ

انْظُرْ في مرآتك واطَّلعْ في جيبك واعرِفْ صورة وجهك، تعرِفْ ما عندها (لك). فاضطرب اضطراب العُصْفور، وقام القوم يضحكون. وجلست عنده؛ فلمّا هدأ شأْوُه قال لي: أرْضيتُك فيهم؟ فقلتُ له: أمّا في نفسك فنعم! فقد نحُس يومُك معهم، وقد بقيتُ أنا عليك. فما عُذْرُك - ولا عُذْرَ لك - في قولك:

سقى دِمْنتيْنِ لم نجدْ لهما أهْلا بحَقْلٍ لكم يا عزُّ قد رابنا حقْلا(٥)

---

(١) بكرة هجان: بيضاء، والمصعب: الفحل. (٢) كلمة تُستعمل للتحقير.

(٣) مواذق: جمع ماذقة، يقال: مذق الودَّ إذا لم يُخلصه.

(٤) البين هنا: الوصل، وخوالق الأديم: اللاتي يقدرنه قبل أن يقطعنه.

(٥) حَقْل: مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً، ويذكر ياقوت أنّه كان لعزَّة صاحبة كثيّر، ينظر معجم البلدان (٢٧٨/٢)، ويسوق هذا البيت.

نجــاءُ الثُّريًا كُـلُّ آخِــر ليْلــةٍ يجــودُهمـــا جــوْداً ويُتْبِعُه وبْلا

(ثم قلت في آخرها):

ومــا حســبتْ ضَمْريــةُ جَدَريــةٌ سوى التَّيْس ذي القرْنين أنَّ لها بعْلا

أهكذا يقول الناسُ ويحكَ! ثم تظنُّ أنَّ ذلك قد خفي ولم يعْلم به أحدٌ، فتسُبّ الرجالَ وتعيبهم! فقال: وما أنت وهذا؟ وما علْمُك بمعنى ما أردت؟ فقلت: هذا أعجب من ذاك، أتذكر امرأة تنسب بها في شعِرك وتستْغزرُ لها الغيْثَ في أوّل شعْرك، وتحمْلُ عليها التَّيْسَ في آخره! قال: فأطرق وذلَّ وسكن. فعُدْتُ إلى أصحابي فأعْلمتُهم ما كان من خبره بعدهم، فقالوا: ما أنت بأهْون حجارته التي رُمي بها اليوم منّا. قال فقلتُ لهم: إنّه لم يترني فأطْلُبَه بذحْلٍ(١)، ولكنّي نَصَحْتُه لئلاّ يُخلِّ هذا الإخلالَ الشديد، ويركب هذه العروض(٢) التي ركب في الطُّعْن على الأحرار والعيْب لهم(٣). (١١٣/١٢)

(١٢٣)

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة عن عوانة وعيسى بن يزيد: أنَّ كُثَيِّراً دخل على عزَّةَ ذات يومٍ، فقالت له: ما ينبغي لنا أن نأذن لك في الجلوس. قال: ولم؟ قالت: لأنّي رأيتُ الأحوص ألْين جانباً (في شعره) منك في شعْرك وأضْرَعَ خدّاً للنساء، وإنّه لأشعرُ منك حين يقول:

يأيُّها اللائمي فيها لأصْرِمَها أكثرتَ لو كان يُغْني منك إكْثارُ

ارْجَعْ فلستَ مُطاعاً إذ وشيتَ بها لا القلبُ سالٍ ولا في حبُّها عارُ

وإنّي استرقَقْتُ قوله:

وما كنتُ زوّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لابُدَّ أنْ سيَزورُ

وأعجبني قولُه:

كمْ من دنيٍّ لها قد صِرْتُ أتْبَعُه ولو صحا القلبُ عنها كان لي تبعا(٤)

---

(١) يترني: أي يصبح موتوراً، وهو صاحب الثأر الذي لم يدرك ثأره بعد، والذَّحْل: الثأر.

(٢) العروض: الطريق في عرض الجبل.

(٣) هذا نمط من نقد الشعراء الذي انتشر في العصر الأموي، وهو يستند على خبرة الشاعر، وذوقه، وإحساسه بمواقع الألفاظ، ومعرفته بالأعراف الشعرية والاجتماعية، ويمثّل هذا النقد جانباً مهماً من الحركة النقدية في العصر الأموي. (٤) الدنيّ: الخسيس، وأصله دنيء بالهمز.

وزادني كلفاً بالحُبِّ أنْ منعتْ أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

وقوله أيضاً:

وما العيْشُ إلاَّ ما تلذُّ وتشتهي وإنْ لام فيه ذو الشُّنّانِ وفنّدا(١)

فقال كُثيِّر: قد واللهِ أجاد! فما الذي استجْفيتِ من قولي؟ قالت: أخزاك الله، أما استحييتَ حين تقول:

يُحاذِرْنَ منّي غيْرةً قد عرفنها لديَّ فما يضْحكْنَ إلاَّ تبسُّما

فقال كُثيِّر:

ودِدْتُ وبيتِ اللهِ أنّكِ بكْرةٌ هجانٌ وأنّي مُصْعبٌ ثم نهْرُبُ
كلانا به عرٌّ فمنْ يرنا يقُلْ على حُسْنها جرْباءُ تُعدي وأجربُ
نكون لذي مالٍ كثيرٍ مُغفَّلٍ فلا هُو يرعانا ولا نحن نُطْلبُ

فقالت لي: ويْحك! لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويلَ، ومن المُنى ما هو أعفى من هذا وأطْيبُ.
(١٢/١٢٤)

(١٣٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصبّاح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال: كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه. والعرب تعدّه من حكمائها. وتعدّ داليته:

معاشر ما بنو مجدا لقومهم وإن بنى غيْرهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها. (١٢/١٦٩)

(١٣٥)

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ: أنّ عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمّنَه، ثم تواثبَ أهل الشام ليقتلوه، قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول:

اسمع أمير المؤمنيـ ـن لمدحتي وثنائها

---

(١) الشّنان: البغض مثل الشنآن.

أنتَ ابن مُعْتلج البطـــا ح كُدَيِّهـــا وكـــدائهـــا(١)
ولبطـْـن عـــائشـــةَ التي فـــضلتَ أرومَ نســـائهـــا

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل «ولنسل عائشة». قال: لا بل «ولبطن عائشة». حتّى ردّ ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلاّ «ولبطن عائشة». فقال له عبد الملك: اسحنفر(٢) الآن. قال: وعائشة أمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكّار. (١٢/١٨٣)

(١٣٦)

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبي عبد الرحمن الأنصاريّ عن السائب بن حكيم السّدوسيّ راوية كثيّر قال: والله إني لأسير يوما مع كثيّر، حتى إذا كنا ببطن جدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالة(٣) متنقبة، معها عبيد لها يسعون معها، فمرّت جنابي فسلّمتْ ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت: من أهل الحجاز. قالت: فهل تروي لكثيِّر شيئاً؟ قلت: نعم، قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيِّراً وأسمع شعره، فهل تروي قصيدته: أهاجك برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ

قلت: نعم: فأنشدتها إياها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله:

كأنك لم تسمعْ ولم تر قبلها تَفَـــرُّقَ ألاّف لهـــنّ حنينُ

قلت: نعم وأنشدتها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً: لعزةَ من أيام ذي الغُصْن شاقني

قلت: نعم وأنشدتها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً: أأطلالَ سُعدى باللوى تتعهّدُ

قلت: نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثلَ العين ضنَّت بمائها عليّ ولا مثلي على الدمع يحسُدُ

قالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثيِّر أحدٌ على الأرض. والله لأن أكون رأيت كثيِّراً، أو سمعتُ منه شعره أحبُّ إليّ من مائة ألف درهم. قال: فقلت: هو ذاكِ الراكبُ أمامك، وأنا السائب راويته. قالت: حياك الله تعالى. ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت: أنت كثيّر؟ قال: مالك ويلك!

---

(١) كدى وكداء: موضعان بمكة، وقيل: جبلان.

(٢) اسحنفر الرجل في منطقه: مضى فيه ولم يتمكّث.

(٣) الرحالة: مركب من جلود لا خشب فيه.

فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حُسرتْ عنه العمامةُ راعها جميلُ المحيًا أغفلتْه الدواهِن

والله ما رأيت عربياً قطُّ أقبحَ ولا أحقر ولا ألأمَ منك. قال: أنتِ والله أقبح مني وألأم. قالت له: أولستَ القائل:

تراهنَّ إلا أن يؤدِّين نظرةً بمؤخرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصما
كواظمَ ما ينطقنَ إلا مَحُورة رجيعةَ قولٍ بعد أن يتفهَّما(١)
يحاذِرْن مني غيْرةً قد عرفْنها قديماً فما يضحكْن إلا تبسُّما

لعن الله من يفرق(٢) منك، قال: بل لعنكِ الله. قالت: أو لست الذي تقول:

إذا ضمْريةٌ عطست فنكها فإن عُطاسها طرفُ الوداقِ

قال: من أنتِ؟ قالت: لا يضرُّك أن لم تعرفني ولا من أنا. قال: والله إني لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرة. قالت: حيَّاك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبُّ إليَّ وجها ولا لقاء منك. قال: لا حياكِ الله، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منك، قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أنك لئيمة من اللئام، فتعرّفتْ إليه فإذا هي غاضرة أمُّ ولدِ لبِشْر بن مروان. (١٢/١٨٣)

(١٣٧)

حدّثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأبٍ: وسمع قولَ الشمَّاخ بن ضرارِ الثعلبيَّ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله:

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيُّ سُرى صادفَ زادا وحديثا يُشْتهى
إنَّ الحديث طرفٌ من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشمّاخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عرابةُ باليمين

عبد الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة. (١٢/٢١٩)

(١٣٨)

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال قال عبد الملك بنُ مروان:

---

(١) المحورة: الجواب، يريد أنّهن لا ينطقن إلاّ بعد أن يُسألن. (٢) يفرق: يخاف.

كان شاعرُ ثقيفٍ في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام، فقيل له: من يعْني أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم: أمَّا شاعرهم في الإسلام فيزيدُ بنُ الحكم حيث يقول:

فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألتْك لحيتُك الخضابا
عقائلُ من عقائلِ أهلِ نجدٍ ... ومكَّةَ لم يُعقِّلْنَ الرِّكابا
ولم يطرُدْنَ أبقعَ يومِ ظعنٍ ... ولا كلباً طردن ولا غرابا(١)

وقال شاعرهم في الجاهليّة:

والشيب إن يظهرْ فإنَّ وراءه ... عُمُراً يكون خلالَه مُتنفَّسُ
لم ينتقص منّي المشيبُ قُلامةً ... ولما بقى منّي ألبُّ وأكيسُ (٢٩٠/١٢)

(١٣٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البرّْي قال حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال: كان أبو الأسود الدؤلي نازلاً في بني قُشير، وكان بنو قشير عثمانية، وكان امرأته أمّ عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبُّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمِك، وإنَّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوالَ الدهر لا تنسى عليًّا!
فقلت لهم: وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً عليًّا؟
أحِبُّ محمدا حباً شديدا ... وعباساً وحمزة والوصيّا
بني عمّ النبيّ وأقربيه ... أحبُّ الناس كلِّهم إليّا
فإن يك حبّهم رُشْدا أصبه ... ولستُ بمخطئ إن كان غيّا
هُمُ أهل النصيحة غير شكٍّ ... وأهل مودّتي ما دمت حيّا
هوىً أعطيتُه لما استدارت ... رحى الإسلام لم يُعْدلْ سويّا(٢)
أحبُّهُمُ لحبّ الله حتّى ... أجيء إذا بُعِثتُ على هُويّا(٣)

---

(١) الغراب الأبقع: ما كان فيه سواد وبياض.

(٢) الطريق السويّ: المستقيم. (٣) على هويا: على هواي.

رأيت الله خالقَ كلِّ شيءٍ   هداهم واجتبى منهم نبيّاً
ولم يخصُص بها أحد سواهم   هنيئاً ما اصطفاه لهم مريا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبهم رشدا أصِبه

فقال: أما سمعتم قول الله عزّوجل: (وإنَّا أوْ إيَّاكُمْ لعلى هُدىً أوْ في ضلالٍ مُبين). أفترى الله جلَّ وعزَّ شكَّ في نبيِّه. وقد رُوي أنَّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب. (١٢/٣٢٠)

(١٤٠)

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا روَّيتهم شعرا فلا تُروِّهم إلاّ مثلَ قول العُجير السلولي:

يبين الجارُحين يبين عنّي   ولم تأنسْ إليَّ كلابُ جاري
وتظعنُ جارتي من جنب بيتي   ولم تُستَر بستر من جداري
وتأمن أن أطالع حين آتي   عليها وهي واضعةُ الخمار
كذلك هَدْيُ آبائي قديماً   توارثه النِّجار عن النِّجار
فهديي هديُهم وهُمُ افتلوني   كما افتُلي العتيق من المهار(١)   (١٣/٧٥)

(١٤١)

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصر المهلبيّ قال: حدثّنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدثّني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال: حدثّني أبي عن عمه قال: عرضَ العجيرُ لسليمانَ بن عبد الله وهو في الطواف، وعلى العجير بُرْدان يساويان مائةً وخمسين دينارا، فانقطع شِسعُ نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

ودلّيتُ دلوي في دلاء كثيرة   إليك فكان الماءُ ريّان مُعلما(٢)

فوقف سليمانُ ثم قال: لله درُّه ما أفصحه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلما(٣)،

---

(١) افتلوني: يقال فلا الصبيَّ والمهر فلوا وأفلاه وافتلاه: عزله عن الرضاع ولصله، وافتليته: فطمته، أي: فطموني عن جهل الصبا وعقلت، والعتيق: الفرس الرائع الكريم، والمِهار: جمع مُهر وهو ولد الفرس.

(٢) الريَّان: الكثير، والمعلم: ما فيه علامة، أراد أنَّه مشهور معروف. (٣) إنَّ إشارة سليمان النقدية أخذت مداها بعد هذا، فنراه أعجب بلفظة «معلم» التي جاءت بعد «ريان»، وصارت قافية للبيت، وإيضاحاً لما =

والله إنه ليُخيَّلُ إليَّ أنه العُجير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صِر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفا وبصدقات قومه، فردَّها العجير عليهم ووهبها لهم. (٧٦/١٣)

(١٤٢)

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرةُ بنُ محمد المهلّبيّ عن رواة باهلة، أنَّ المهلَّب بن أبي صفرة لما هزم قطريّ بن الفجاءة بسابور(١) جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

حال الشَّجا دون طعْم العيش والسهرُ ... واعتاد عينك من إدمانها الدِّررُ(٢)
واستحقبتكَ أمورٌ كنتَ تكرهها ... لو كان ينفعُ منها النَّأيُ والحذر(٣)
وفي الموارد للأقوام تهلُكةٌ ... إذا الموارِدُ لم يُعْلم لها صدر(٤)

= قبلها، وقد تردّد هذا المفهوم في كتب النقد والبلاغة واستقرّ على مصطلحين هما: الأطناب بالإيغال، والإشباع. وللأصمعي رأي في بيت لذي الرمّة يشبه رأي سليمان السابق حيث قال: «إنَّ أشعر الناس مَنْ .. ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى .. مثل ذي الرمة حيث يقول:

قِف العيسَ في أطلال ميّة فاسألِ ... رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فتمّ كلامه قبل «المسلسل» ثم قال: «المسلسل» فزاد شيئاً، ينظر نقد الشعر (ص ١٩٤)، ووقف عنده قدامة في نقد الشعر (ص ١٩٢)، وسمّاه ائتلاف القافية مع سائر البيت. أمّا الإطناب بالإيغال فهو «ختم البيت بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بغيرها»، ينظر الإيضاح للقزويني (ص ١٩٩)، وذكره ابن سنان، في سرّ الفصاحة (ص ١٨١) حيث قال: «إنَّ الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان واصفاً، وفي التشبيه إن كان مشبّهاً»، ومن الواضح أنَّ العجير في بيته السابق كان واصفاً، أمّا الإشباع فهو «أن يأتي الشاعر بالبيت معلّق القافية على آخر أجزائه، ولايكاد يفعل ذلك إلاّ حُذّاق الشعراء، وذلك أنَّ الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته إلى البيت، وقد تمّت معانيه واستُغني عن الزيادة فيه بقافية متمّمة لأعاريضه ووزنه، فجعلها نعتاً للمذكور». ينظر المثل السائر (٢٠٨/٣)، وقد صنع العجيرهذا كلّه في بيته السابق، وقد ذكرنا هذا لنؤكد كلاماً طالما ردّدناه وهو إنَّ جذور المصطلحات ينبغي أن يُبحث عنها في أمثال هذه النصوص، فهي ليست مستجلبة، أو مترجمة، فالإشارات إليها موجودة، ولكنّ تقعيدها، ووضعها في موضعها المناسب لم يكن ليتهيأ في ذلك الوقت المبكر، حتى جاء النقّاد المتخصّصون فاستفادوا من ذلك التراث، وصنّفوه مثلما رأينا سابقاً. (١) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.

(٢) الدِّرر: جمع درّة، هي كثرة اللبن، والمراد هنا انسكاب الدمع بغزارة. (٣) استحقبتك: ادّخرتك.

(٤) الموارد: جمع مورد، وموارد الأمور: مداخلها، يقول: مَنْ لم يعرف عاقبة أمره الذي دخل فيه هلك.

ليس العزيزُ بمن تغشى محارِمُه ولا الكريمُ بمن يُجْفى ويُحْتقرُ

حتى انتهى إلى قوله:

أمسى العبادُ بشرٍّ لا غياثَ لهم إلا المهلبُ بعد الله والمطرُ
كلاهما طيِّبٌ تُرجى نوافله مباركٌ سَيْبُهُ يرجى ويُنْتظر(١)
لا يجْمُدانِ عليهم عند جهدهم كلاهما نافعٌ فيهم إذا افتقروا(٢)
هذا يذودُ ويحمي عن ذمارهم وذا يعيش به الأنعام والشَّجر(٣)
واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهم فلا ربيعتُهم تُرجى ولا مضرُ
وأنت رأسٌ لأهل الدين منتخبٌ والرأسُ فيه يكون السمع والبصر
إن المهلّب في الأيام فضلُه على منازلِ أقوامٍ إذا ذُكروا
حزمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفتْ فيها يُعدُّ جسيمُ الأمر والخطرُ
ماضٍ على الهول ما ينفكُّ مرتحلا أسبابَ معضلةٍ يعيا بها البشر(٤)
سهلُ الخلائق يعفو عند قدرته منه الحياء ومن أخلاقه الخفرُ
شهابُ حربٍ إذا حلّت بساحته يُخزي به الله أقواماً إذا غدروا
تزيدُهُ الحربُ والأهوال إن حضرت حزما وعزما ويجلو وجهه السفر
ما إن يزال على أرجاء مُظْلمةٍ لولا يكفكفُها عن مصرهم دمروا(٥)
سهلٌ إليهم حليم عن مجاهلهم كأنما بينهم عثمانُ أو عمر
كهفٌ يلوذون من ذُلِّ الحياة به إذا تكنَّفهم من هولها ضرر
أمنٌ لخائفهم فيضٌ لسائلهم ينتاب نائلَه البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشِّعْرُ، لا ما نُعلَّلُ به. (٨٥/١٣)

(١٤٣)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن جدُان، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن مخلدٍ المهلبيّ، قال: نظر الحجّاج إلى يزيد بنِ المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن حبناءَ حيث يقول:

---

(١) السيب: العطاء. (٢) لا يجمدان: لا يبخلان. (٣) الذّمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٤) مرتحلاً: راكباً، أي هو يركب المعضلات من الأمور حتى يذلّلها وييسّرها.

(٥) يكفكفها: يردّها، دمروا: هلكوا.

جميلُ المحيًا بختريٌّ إذا مشـــى   وفي الدِّرعِ ضخمُ المنكبينِ شِناق[١]

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها:

شديد القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهى   من الدِّين فـتقٌ حُمِّلوا فأطـاقوا[٢]

مـراجيحُ في اللأْواء إن نزلتْ بهـم   ميامينُ قد قادوا الجيوش وسـاقوا[٣] (١٣/١٠٠)

(١٤٤)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن عمرو قال: حدثني أبو توبةَ صالحُ بن محمدٍ عن محمدِ جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدّثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكمٌ الواديّ، أنه غنّى الوليدَ بن يزيد ذات ليلة وهو غلامٌ حديث السنّ، فقال:

إكليلُهـــا ألـــوانُ   ووجْهُـــهـــا فـــتّانُ

وخـــالُهـــا فـــريدٌ   ليس لهـا جـيـرانُ

إذا مـــشـــتْ تثنّت   كـــأنّهـــا ثعـــبـــانُ

فطرب حتّى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعِدْ فديتك بحياتي، فأعدتُه حتى صحل[٤] صوتي، فقال لي: ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياسٍ الكناني، فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن يُحمل إليه على البريد، فحُمل إليه، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني، فدخلتُ إليه ومطيعُ بن إياسٍ واقفٌ بين يديه، وفي يد الوليدِ طاسٌ من ذهب يشربُ به، فقال له: غنّ هذا الصوت يا واديّ. فغنّيتُه إياه، فشرب عليه، ثم قال لمطيع: من يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادن مني. فدنا منه، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه، وقبّل مطيعٌ رجله والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتّى جلس أقربَ المجالس إليه، ثم تمّ يومُه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت. (١٣/٢٧٧)

(١٤٥)

قال أبو عمرو: وكان قيس بنُ الحُدادية يهوى أمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ، وكان بطون من

---

(١) البختري: حسن المشي، والشِناق: الطويل.   (٢) الفتق: الشقّ والخرق، وأطاقوا: وسعوا واحتملوا.

(٣) مراجيح: ذوو أحلام وبصر بالأمور.   (٤) صحل: بُحّ.

خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدَّم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نُعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجِدُّكَ إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازعُ ... قد اقتربتْ لو أن ذلك نافعُ
قد اقتربت لو أن في قُرب دارها ... نوالا، ولكن كلُّ من ضنَّ مانع
وقد جاورتْنا نعمى في شهورٍ كثيرة ... فما نولتْ، واللّهُ راءٍ وسامعُ
فإن تَلْقَيَنْ(١) نعمى هُديتَ فحيِّها ... وسل كيف تُرعى بالمغيب الودائع
وظنِّي بها حفظٌ لغيبي، ورعيةٌ ... لما استرعيَتْ، والظن بالغيب واسع
وقلت لها في السِّر بيني وبينها ... على عجلٍ: أيان من سار راجع؟
فقالت: لقاءٌ بعد حول وحجَّةٍ ... وشَحْطُ النوى إلا لذي العهد قاطع(٢)
وقد يلقى بعد الشتات أولو النَّوى ... ويسترجع الحيُّ السحابُ اللوامع(٣)
وما إنْ خذولٌ نازعتْ حبل حابلٍ ... لتنجوَ إلا استسلمت وهي ظالع(٤)
بأحسنَ منها ذاتَ يوم لقيتُها ... لها نظرٌ نحوى كذى البثِّ خاشع
رأيت لها نارا تُشبُّ، ودونها ... طويلُ القَرا من رأس ذروةَ فارعُ(٥)
فقلتُ لأصحابي: اصطلوا النَّارَ إنَّها ... قريبٌ، فقالوا: بل مكانك نافعُ(٦)
فيا لك من حادٍ حبوت مقيَّدًا ... وأنحى على عرنين أنفك جادع(٧)
أغيظًا أرادتْ أن تخُبَّ جمالُها ... لتفجعَ بالإضعان من أنت فاجع(٨)
فما نُطفةٌ بالطَّود أو بضريَّةٍ ... بقيةُ سيلٍ أحرزتها الوقائع(٩)

---

(١) تَلْقَيَنْ: مؤكدٌ بنون التوكيد الخفيفة. (٢) الحجّة: السنة، والشحط: البعد.

(٣) النوى: البعد، ويسترجع الحي: أي يرجعهم ويردّهم. (٤) الخذول من الظباء والبقر: التي تخذل صواحباتها وتتخلّف عن القطيع وتنفرد مع ولدها، وظلع: غمز في مشيه.

(٥) تشبّ: توقد، والقرا: الظهر، وذروة: اسم جبل، والفارع: العالي. (٦) اصطلوا النار: يريد جدّوا في السير لنصطلي النار. (٧) المعنى: فقالوا عجباً لك! إنك تسير سيراً بطيئاً كحبو الصبي مقيّداً، وقد جُدع عرنين أنفك أي ليس لديك العدّة الكافية للّحاق بها فكيف تدركها.

(٨) المعنى: هل أرادت أن تخبّ جمالها غيظاً لك فيحملك ذلك على أن تشقّ على أصحابك وتجهدهم في السير.

(٩) النطفة: الماء الصافي قلّ أو كثر والجمع نطاف، والطود: الجبل، وضريّة: بئر، والوقائع جمع وقيعة وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

يطيف بها حرّانُ صادٍ ولا يرى   إليها سبيلا غيرَ أنْ سيطالع(١)
بأطيب من فيها إذا جئت طارقا   من الليل واخضلّتْ عليك المضاجع(٢)
وحسبُك من نأيٍ ثلاثةُ أشهر   ومن حزنٍ أن زادَ شوقك رابعُ
سعى بينهم واش بأفلاق برمةٍ   ليفجع بالأضعانَ من هو جازعُ(٣)
بكت من حديث بثّه وأشاعه   ورصّفه واشٍ من القوم راصعُ(٤)
بكت عينُ من أبكاكِ لا يعرف البكا   ولا تتخالجك الأمور النوازعُ
فلا يسمعَنْ سري وسرك ثالثٌ   ألا كلُّ سرّ جاوزَ اثنين شائعُ
وكيف يشيع السرُّ مني ودونه   حجاب ومن دون الحجاب الأضالعُ
وحبٌّ لهذا الربع يمضي أمامه   قليلُ القلى منه جليلٌ ورادع
لهوتُ به حتى إذا خفتُ أهله   وبيّن منه للحبيب المخادع
نزعتُ فما سرّي لأوّل سائل   وذو السر ما لم يحفظ السرُّ ماذع(٥)
وقد يحمد اللهُ العزاء من الفتى   وقد يجمع الأمر الشتيتَ الجوامعُ
ألا قد يُسلّى ذو الهوى عن حبيبه   فيسلى، وقد تُردي المطيُّ المطامعُ
وما راعني إلاّ المنادي ألا اظعنوا   وإلا الرواغي غُدوةً والقعاقع(٦)
فجئت كأني مستضيفٌ وسائل   لأخبرها كلُّ الذي أنا صانعُ
فقالت: تزحزحْ ما بنا كُبْرُ حاجةٍ   إليك ولا منّا لفقرك راقعُ
فما زلتُ تحت السِّتر حتى كأنني   من الحرِّ ذو طِمْرين في البحر كارع(٧)
فهزّت إليَّ الرأس مني تعجُّبا   وعضّض مما قد فعلتُ الأصابعُ
فأيُّهما ما أتبعنَ فإنني   حزين على إثر الذي أنا وادع(٨)

---

(١) أطاف به: ألمّ به وقاربه، وحرّان صاد: عطشان، طالعه: اطلع عليه أي أشرف.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً، واخضلّت: نديت.   (٣) برمة: عرض من أعراض المدينة، بين خيبر ووادي القرى، وهي عيون ونخل لقريش، وأفلاق جمع فَلَق وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين.

(٤) بثّ الخبر: نشره، ورصف الشيء: ضمّ بعضه إلى بعض ونظمه، ورصعه بالرمح: طعنه طعناً شديداً غيّب السنان كلّه فيه، ورصع الشيء: عقده عقداً مثلّثاً متداخلاً كمعقد التميمة ونحوها.

(٥) المَذّاع: مَنْ لا وفاء له ولا يحفظ أحداً بالغيب، ومَنْ لا يكتم السرّ.

(٦) رغت الناقة رغاءً: صوّتت فهي راغية، والجمع الرواغي، والقعاقع: تتابع أصوات الرعد في شدّة، والمراد هنا أصوات تقويض الأخبية، وما إلى ذلك تأهباً للرحيل.   (٧) الطمر: الثوب الخلق، وكرع من الماء: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفّيه ولا بإناء.   (٨) وادع: تارك.

بكى من فـراق الحيّ قـيسُ بنُ مُنقذٍ وإذراءُ عـيني مـثلـه الدمـعَ شـائع
بأربعـــة تنهـلُّ لمّا تقـــدّمــتْ بـهـم طُرُقٌ شـــتّى ومـنْ جـــوامع(١)
ومـا خلّتُ بين الحيّ حـتى رأيتـهـم ببـينونـــة الســفلى وهبّت ســوافع(٢)
كـأنّ فـؤادي بين شـقّين من عـصـا حــذار وقـــوع البين والبينُ واقـعُ
يحُثُّ بهــم حـــادٍ ســريعٌ نجـاؤه ومُعْرىً عن الســاقين والثـوب واسع(٣)
فـقلـت لهـا يا نُعـم حلّي مـحلّنـا فـإن الهـوى يا نُعم والعـيش جـامع
فـقـالت وعـيناها تفـضـيـان عـبـرةً بأهلي بيِّنْ لـي مـتى أنـت راجــع؟
فَقُلْـت لهـا تاللـه يـدري مســـافـر إذا أضـمـرتْه الأرضُ مـا الله صـانعُ
فشدّت على فـيهـا اللثـامَ وأعرضتْ وأمـعن بالكُحــل الســحيقِ المدامــع(٤)
وإنـي لعـــهــد الـــودّ راعٍ، وإنّنــي بوصلك مـــالم يطوني الموتُ طامع

قال أبو عمرو: فـأنشدتُ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حلّي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك. (١٥٤/١١)

(١٤٦)

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدّثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطنه ويضعّفه، ويعجّزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم، فقال المهلّب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنتَ نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبّرها كما أرى، فإن أمكنتْني الفرصة انتهزتُها، وإن لم تُمكنّي (توقفت)، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه، وإن أردتَ منّي أن أعمل (وأنا حاضر) برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان فعليّ، فابعث من رأيتَ مكاني، وكتب من فوْره بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تُعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعْجله، ودعه يدبّر أمره، وقام الأشقريّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إنّ ابنَ يوسف غرّه مـن غـزوكـمْ خـفضُ المقام بجانب الأمـصـار(٥)

---

(١) بأربعة: أي بأربع أعين وهي عيناه وعيناها، وانهلّت العين: سالت بالدمع.
(٢) بينونة: موضع بين عمان والبحرن، والسوافع: لوافح السموم. (٣) النجاء: السرعة في السير.
(٤) أمعن الماء: سال وجرى. (٥) خفض المقام: لين العيش وسهولته.

لَوْ شاهد الصفَّيْن حين تلاقيا ضاقت عليه رحيبةُ الأقطار
من أرض سابُورِ الجُنودِ ، وخيلُنا مثلُ القداح بريْتَها بشفار(١)
من كلِّ خنذيذ يُرى بلبانه وقْعُ الظُّباة مع القنا الخطّار(٢)
ورأى معاودةَ الرِّباعِ غنيمةً أزمانَ كان محالفَ الإقتار(٣)
فدَعِ الحروبَ لشيبها وشبابها وعليك كلُّ خريدةٍ معطار(٤)

فبلغت أبياتُه الحجّاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري إليه، فأعلم المهلبُ كعبا بذلك، وأوفده إلى عبد الملك (من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك)، واستنشده فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجّاج، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه ويُعرض عمّا بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل عليه قال: إيه يا كعب:

ورأى معاودةَ الرِّباع غنيمةً

فقال له : أيها الأمير، والله لقد وددتُ في بعض ما شاهدتُه في تلك الحروب وأزماتها، وما يُوردناه المهلّب من خطرها، أن أنجو منها وأكونَ حجّاماً أو حائكاً. فقال له الحجّاج: أولى لك، لولا قسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحقْ بصاحبك، وردّه من وقته. (١٤/٢٩٠)

(١٤٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثّنا عمر بن شبّة قال: نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال له الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شواءٌ وطلاء وغناء. قال: ذلك لك. ومضى به إلى قينةٍ بالمدينة فغنته:

ألا حيِّ الديار بسعدَ إنّي أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا
أرادَ الظاعنون ليحزُنوني فهاجُوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرقَّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ فقال: لا والله. قال: هو لجرير، يهجوك به. فقال: ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقّة شعره. (١٥/١٣٥)

---

(١) سابور: كورة بفارس. (٢) الخنذيذ: الفارس الشجاع، اللبان: الصدر أو وسطه، والظباة: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف، ورمح خطّار: ذو اهتزاز شديد.

(٣) الرِّباع: الدّية يحملها قوم عن قوم. (٤) امرأة معطار: اعتادت أن تتعهدُ نفسها بالطيب وتكثر منه.

(١٤٨)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: بلغني أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنيم: أنشدني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة. فأنشده قصيدةَ أبي الطَّفيل:

أيدْعُونني شيخاً وقد عشتُ برهةً   وهــنٌ من الأزواجِ نحــوي نوازعُ

فقال له بشر: صدقت هذا أشعر شعرائكم. قال: وقال له الحجاج أيضاً: أنشدني قول شاعركم: «أيدعونني شيخا» فأنشده إياه فقال: قاتله الله مُنافقا، ما أشعره! (١٥/١٤٨)

(١٤٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة هكذا موقوفا لم يتجاوز، وأخبرني أنّ كثيِّر بن عبد الرحمن كان غاليا في التشيُّع. وأخبر عن قطام صاحبةِ ابن مُلجم في قدمةٍ قدمها الكوفة فأراد الدخول عليها ليوبِّخها، فقيل له: لا تُردها فإن لها جوابا. فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت: من هذا؟ فقال: كثيِّر بن عبد الرحمن الشاعر. فقالت لبنات عمّ لها: تنحيّنَ حتى يدخل الرجل. فولجنَ البيتَ وأذنتْ له، فدخل وتنحتْ من بين يديه، فرآها وقد ولّت فقال لها: أنت قطام؟ قالت: نعم، قال: صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالت: صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم. قال: أليس فيك قُتل علي بن أبي طالب؟ قالت: بل مات بأجله، قال: أما والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ، فلما رأيتك نبتْ عيني عنك، فما احلوليت في خلدي. قالت: والله إنّك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيحُ المنظر، وإنك لكما قال الأوّل: «تسمع بالمعيديِّ خير من أن تراه»(١) فقال:

رأتْ رجلاً أودى السِّفارُ بوجهه   فلم يبقَ إلا منظرٌ وجناجن(٢)
فإنْ أكُ معروقَ العظام فإنني   إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازن(٣)
وإنّي لما استودعتني من أمانةٍ   إذا ضاعت الأسرار للسر دافن

فقالت: أنت لله أبوك كثيِّر عزة؟ قال: نعم. قالت: الحمدُ لله الذي قصّر بك فصرتَ لا تُعرف إلا بامرأة! فقال: الأمر كذلك، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذكري، وقرُبَ من الخليفة

---

(١) المعيدي هذا هو شقّة بن ضمرة بن جابر، رآه المنذر بن ماء السماء وكان يعجبه ما يبلغه عنه، فلمّا رآه حقره وأرسل فيه هذا المثل. فقال له شقة: أبيت اللعن، إنّ القوم ليسوا بجزر ـ يعني الشاء ـ إنّما يعيش الرجل بأصغريه: لسانه وقلبه، فأعجب المنذر كلامه وسرّه ما رأى منه.

(٢) السِّفار: السفر، والجناجن: جمع جنجن، وهي عظام الصدر. (٣) معروق العظام: نحيل.

مجلسي، وأنا لكما قلتُ:

فإن خفيتْ كانت لعينك قُرَّةً   وإن تبدُ يوما لم يعمك عارُها
فما روضةٌ بالحزنِ طيبة الثرى   يمجُّ الندى جثجاثُها وعرارُها(١)
باطيب من أردانِ عزَّة موهنا   وقد أوقدتْ بالمندلِ اللَّدنِ نارُها

فقالت: بالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقص عقلا منك، ولا أضعفَ وصفاً، أين أنت من سيدك امرئ القيس حيث يقول:

ألم ترياني كلّما جئتُ طارقا   وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيَّبِ

فخرج وهو يقول:

الحقُّ أبلج لا يُخيل سبيلُه   والحقُّ يعرفه ذوو الألباب(٢)   (٢٨٣/١٥)

(١٥٠)

قال العمريّ: وحدّثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي، قال: قال الحزين الدِّيلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجدٍ   ولكنّه كزُّ اليدينِ بخيلُ
ينام عن التقوى ويوقظه الخنا   فيخبط أثناء الظلام يجولُ
فلا خير في عمرٍ ولجارٍ ولا له   ذمامٌ ولكنْ للئام وصولُ
مواعيدُ عمروٍ تُرّهاتٌ ووجهُه   على كلِّ ما قد قلت فيه دليل
جبانٌ وفحّاشٌ لئيمٌ مذمّمٌ   وأكذبُ خلقِ الله حين يقول
كلام ابنِ عمروٍ صُوفةٌ وسطَ بلقع   وكفُّ ابن عمرو في الرَّخاء تطول
(وإنْ حزبته الحازبات تشنَّجتْ   يداه ورمحٌ في الهياج كليلُ)

فبلغ شعرُه عمراً فقال: ماله لعنه الله ولعن مَن ولده، لقد هجاني بنيَّةٍ صادقة ولسان صنَع ذَلَق، وما عداني إلى غيري(٣). قال: فلقي الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات فقال له: ويْحك، بعضُها كان يكفيك، فقد بنيتها ولم تُقِمْ أودها، وداخلْتها وجعلتَ معانيها في

---

(١) الجثجاث والعرار: من نبات البادية.

(٢) لا يخيل: لا يشتبه ولا يلتبس.

(٣) لسان صنَع: حاذق، ماهر، وذلق: حادٌ ذرب، ينظر لسان العرب (٢٠٩/٨، ١١٠/١٠)، يريد أنَّ شعره جيّد، يدلّ على خبرة، ومهارة، بالإضافة إلى أنّه اقتصر في هجائه عليه، لم يتعدَّ إلى شخص آخر.

أكمُتها. قال الحزين: ذلك والله أرغبُ للناس فيها(١). فقال له عروة: خيرُ الناس من حلُم عن الجهّال، وما أراه إلا قد حلم عنك. فقال الحزين: حلُم والله عنّي شاء أو أبى، برغمه وصغره(٢). (٣٣٨/١٥)

(١٥١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن عمران الضبي قال: حدّثني القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبي قال: قدم الفرزدق فمرَّ بمسجد بني أقيصر، وعليه رجلٌ يُنشد قول لبيد:

وجلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها ... زُبُـرٌ تُجِــدُّ متونَها أقـلامُـها

فسجد الفرزدق فقيل له: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرفُ سجدة الشعر(٣). (٣٧١/١٥)

(١٥٢)

أخبرني عمي قال: حدّثني الكراني وأبو العيناء عن القحذميّ قال: لقي الفرزدق زياداً الأعجم فقال له الفرزدق: لقد هممتُ أن أهجو عبد القيس، وأصفَ من فسْوِهم شيئاً. قال له زياد: كما أنتَ حتى أسمعك شيئاً، ثم قال: قل إن شئتَ أو أمسك. قال: هات، قال:

ومـا ترك الهـاجـون لي إن هجـوتُه ... مَصَحّاً أراه فـي أديـم الفـرزدقِ

فإنّا ومـا تُهـدي لنا إنْ هجـوتنا ... لكالبحر مهما يُلْقَ في البحر يغرقِ

فقال له الفرزدق: حسبك هلُمّ نتتارك. قال: ذاك إليك. وما عاوده بشيء. (٣٩٢/١٥)

---

(١) بَنَيْتُها: أي نظمتها، وقلتها، ومن ذلك قول ابن طباطبا في عيار الشعر (ص ٧): «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى في فكره ...»، ولم تُقِم أودها: الأود: العوج، أي لم تثقِّف هذه القصيدة وتنقحها بعد بنائها، والأكمّة: جمع الكِمام، وهي في الأصل وعاء كلِّ نَور وزهرة، ينظر لسان العرب (٥٢٦/١٢)، كأنّه يقول له جعلت معاني هذه القصيدة ظاهرة، واضحة، فهي إذن قصيدة لم ينقحّها صاحبها، قريبة المعنى، ولهذا صارت مرغوبة عند الناس لدنوّها من أفهامهم، وسرعة تأثيرها فيهم.

(٢) الصغَر: الذلّ والمهانة.

(٣) تمثّل هذه السجدة موقفاً نقدياً واضحاً يشبه ما أشرنا إليه سابقاً، من استخدام بعض النقاد لألفاظ منفعِلة تدلّ على الإعجاب، والانبهار، وهذه السجدة التي ستتكرّر تشير إلى هذا الإعجاب، والانبهار.

(١٥٣)

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: حدَّثني خراش، وكان عالما راوية لأبي، ولمؤرّج، ولجابر بن كلثوم، قال: أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناس في المربد وقد اجتمعوا حوله. فقال: مَن هذا؟ قيل: الأعجم. فأقبل نحوه فقيل له: هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك. فقام فتلقّاه وحيّا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، فقال له الفرزدق: ما زالت تنازعني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذُ دهْر. قال زياد: وما يدعوك إلى ذلك؟ قال: لأنّي رأيتُ الأشقريَّ هجاكم فلم يصنَعْ شيئاً، وأنا أشعر منه، وقد عرفتُ الذي هيّج بينك وبينه. قال: وما هو؟ قال إنّكم اجتمعتم في قُبّة عبد الله بن الحشرج بخراسان، فقلت له قد قلت شيئاً فمن قال مثله فهو أشعر منّي، ومن لم يقُلْ مثله ومدَّ إليَّ عنقه فإنّي أشعر منه. فقال لك: وما قلتَ؟ فقلت: قلتُ:

وقـافيةٍ حـَذَّاء بِتُّ أحـوكُهـا إذا ما سهيلٌ في السَّماء تلالا(١)

فقال لك الأشقريّ:

وأقلـفَ صلّى بعـد ما ناك أمّـه يرى ذاك في دين المجوس حلالا

فـأقبلْتَ على من حضر فقلت: يالأمّ كعبٍ أخزاها الله تعالى، ما أنمّها حين تُخبر ابنها بقلّفتي! فضحك الناسُ وغلبت عليه في المجلس. فقال له زياد: يا أبا فراس، هَبْ لي نفسك ساعةً ولا تعجلْ حتّى يأتيك رسولي بهديّتي ثم ترى رأيك. وظنَّ الفرزدقُ أنه سيُهدي إليه شيئاً يستكفّه به، فكتب إليه:

ومـا ترك الهـاجُـون لي إن أردتُه مـصـحّـاً أراهُ في أديم الفـرزدقِ
ومـا تركـوا لحـمـاً يدقّـون عظمـه لآكـلـه ألقـوْه للمـتـعـرّقِ
سأحطِمُ مـا أبقوا له من عظامـه فـأنكتُ عظمَ السـاق منه وأنتـقي(٢)
فإنا ومـا تُهـدي لنـا إنْ هجـوتنا لكالبحر مهما يُلقَ في البحر يغرق

فبعث إليه الفرزدق: لا أهجو قوماً أنتَ منهم أبداً. (٣٩٢/١٥)

(١٥٤)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني عيسى بن

(١) وقافية: قصيدة، وحذّاء: سائرة لا عيب فيها، ولا يتعلقُ بها شيء من القصائد لجودتها.

(٢) نكَت العظم: ضرب طرفه بشيء ليُخرج مخّه، والانتقاء: استخراج النقي، وهو المخّ.

إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائني، وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن عُمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكُثَيِّر وجميل ونُصيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنتْ لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها. وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة(١) وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هاأنذا. فقالت: أنت القائل:

هما دلّتاني من ثمانين قامةً ... كما انحط بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحيٌّ يُرجَّى أم قتيل نحاذرُهْ
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادرُهْ(٢)
أبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا ... وأحمر من ساج تبصُّ مسامرُهْ(٣)

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلاَّ سترتها وسترت نفسك؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلك. ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: هاأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلام
تُجْري السواك على أغرُّ كأنّه ... بَرَد تحدَّر من مُتون غمام
لو كان عهدكِ كالذي حدثتنا ... لوصلتِ ذاك فكان غير رمامِ(٤)
إني أواصل من أرَدْتُ وصاله ... بحبالٍ لا صلفٍ ولا لُوَّام

قال: نعم. قلت: أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم كُثَيِّر؟ فقال: هاأنذا. فقالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عزُّ منك خلائق ... كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنُوك حتى يطمع الطالبُ الصِّبا ... ودفعك أسباب الهوى حين يطمع
وقطعُك أسباب الكريم ووصلك الـ ... ـلئيم وخلاَّت المكارم ترفع
فوالله ما يدري كريم مماطلٌ ... أينساك إذ باعدتِ أم يتضرَّعُ

---

(١) وضيئة: جميلة. (٢) الأمراس: الحبال.

(٣) أحمر من ساج: باب من خشب الساج، وتبص: تصوّت. (٤) رمام: متقطّ.

قال: نعم، قالت: ملُحتَ وشكّلت. خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك. ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم نُصيب؟ قال: هأنذا. قالت: أأنت القائل:

ولولا أن يقـــال صبـا نُصيْب لقلت بنفسيَ النُّشُـأُ الصغارُ

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظُلِمَتْ فليس لها انتصارُ

قال: نعم، قالت: ربّيتنا صغارا، ومدحتنا كبارا، خذ هذه الأربعة الآلاف، والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تقرئك السلام، وتقول لك: والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بوادي القُرى إنّي إذا لَسعيدُ

لكل حديثٍ بينهنّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ عندهن شهيدُ

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار، والحق بأهلك. (١٦/١٦١)

(١٥٥)

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيريّ قال: اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثيّر وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر، فحكموا سكينةبنت الحسين بن عليّ عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقاذون(١)، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

وأيّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ألا قال: فادخلي بسلام! ثم قالت لراوية كُثيّر: أليس صاحبُك الذي يقول:

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّتِ

فليس شيء أقرُّ لعينها من النكاح، أفيحبُّ صاحبك أن يُنكح؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تركَتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره! ثم قالت لراوية

---

(١) يتقاذون: أي يتبارون في التفاخر بأصحابهم.

نُصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فـإن أمُت   فيا حَرَبا من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلاَّ من يتعشقها بعده! قبحه الله وقبح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت   فلا صلحت دعد لذي خلّة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبُك الذي يقول::

من عاشقين تواعدا وتراسلا   ليلا إذا نجمُ الثريا حلّقا

باتا بأنعم ليلة وألذّها   حتى إذا وضح الصباحُ تفرّقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم تُثْن على أحد منهم في ذلك اليوم، ولم تقدّمه. قال: وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه الرواية، وقال: فقالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فياليتني أعمى أصمُّ تقودني   بثُينة لا يخْفى عليَّ كلامها

قال: نعم. قالت: رحم الله صاحبك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له(١). (١٦٣/١٦)

(١٥٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبةُ قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله:

عزفْتَ بأعشاشٍ وما كدت تعزفُ   وأنكرتَ من حدراء ما كنتَ تعرفُ(٢) (١٦٧/١٦)

---

(١) يمثّل نقد السيدة سكينة لوناً من ألوان النقد القائم على البَصَر بالشعر، والخبرة بحركة الشعر المعاصر لها، بالإضافة إلى ما تستمده من البيئة الحجازية من ظرفٍ ورقّة، فهو يشبه كثيراً نقد ابن أبي عتيق لاتّفاق البلد، وائتلاف المزاج، وقد بيّن النّصان السابقان جوانب من نقد السيدة سكينة وأطرافاً منه.

(٢) عَزَف عن الشيء: انصرف عنه، وأورد صاحب اللسان (٢٤٤/٩)، هذا البيت شاهداً على العزوف عن النساء فقال: «رجل عزوف عن النساء إذا لم يَصْبُ إليهنّ»، وأعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة، ينظر معجم البلدان (٢٢١/١)، وأورد ياقوت هذا البيت أيضاً، وحدراء: اسم امرأة كانت له. وهذا البيت مطلع قصيدة مشهورة للفرزدق عدتّها مئة بيت وعشرة أبيات، وهي من عيون شعره، وقد جعلها القرشي في جمهرته (٨٧٣/٢)، أولى الملحمات، وهي القصائد المحكمة النظم، الملتحمة الشعر دلالة على =

(١٥٧)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال: كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر، فأفاضوا في ذكر بني هاشم، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه (ص)، فمن منشد شعرا، ومتحدث حديثا، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللّهبي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

ما بات قومٌ كرام يدّعون يدا إلا لقومي عليهم منّةٌ ويدُ

نحن السّنام الذي طالت شظيته فما يخالطه الأدواء والعمد(١)

فمن صلّى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله (ص) يدا عليه، بما هداه الله عزوجل إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك منّة لنا على الناس. (١٦/١٨١)

(١٥٨)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، قال: قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزياديّ: والله ما أسمع شعرا، فلما كان العشيّ راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين:

أتيتك خالا وابن عم وعمة ولم أك شعْبا لاطه بك مشعبُ(٢)

فصلْ واشجات بيننا من قرابة ألا صلةُ الأرحام أبقى وأقرب

ولا تجعلنّي كامرئ ليس بينه وبينكُم قربى ولا متنسَّب

= قوتها، وانسجامها، ولا ريب في أنّ الفرزدق كان واعياً بما يقول حين جعل هذه القصيدة أجود شعره، فهو كلام خبير، متمرّس، يعرف شعره أكثر ممّا يعرفه غيره، وقد أعجب بها الدارسون والنقّاد لمدى طويل، ممّا يؤيد صحة حكم الفرزدق وصوابه.

(١) شظيتّه: رأسه وارتفاعه، والعَمَد: اسم جمع لـ (عُمُد) ومفرده العماد، وهو ما أقيم به. ينظر لسان العرب (٣/٢٠٣)، يريد أنهم قائمون بأنفسهم، بالغو ذروة المجد بشر فهم لا يستندون على أحد، أو يستعينون بغيرهم، والسبب معروف هو رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

(٢) لاطه: ألصقه: وفي الشعر تعريض بزياد بن أبيه، وقصّة استلحاقه.

أتحدب من دون العشـيرة كلها فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزياديّ: هذا، والله يا أمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك: النُّخْس يكفيك البطيء(١). وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده، وأحسن صلته. (١٦/١٨١)

(١٥٩)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائي عن ابنِ عائشة عن أبيه، والروايتان كالمتفقتين: أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له:

لا أنعـم اللـه بقيْن عينا تحية السخطِ إذا التقينا

أأنت لا أمّ لك القائل:

نظرت إليـهـا بالمحـصَّب من منىً ولي نظـر لـولا التـحـرُّج عـارمُ

فـقلت: أشـمس أم مـصـابيح بيعـة بدت لك خلف السجف أمْ أنت حـالم

بعـيـدةُ مـهْوى القُـرط إمَّا لنوفـل أبوها وإمـا عـبـدُ شـمس وهاشمُ

فلم أسـتطعـهـا غـيـر أنْ قـد بدا لنا عشـيـة راحـت كـفُّهـا والمعـاصـمُ

معـاصـم لم تضـرب على البهْم بالضُّحى عصاها، ووجه لم تَلُحْه السَّمائم(٢)

ثم قال له عبد الملك: قاتلك الله! ما ألأمك! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك! فقال عمر: بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم، على شحْط الدار، ونأي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدعا عن ذلك؟ فقال: إنّي إلى الله تعالى تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوبَ الله عليك، وسيحسن جائزتك. ولكن أخبرني عن منازعتك اللُّهبيّ في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك، وكنت أحبُّ أن أسمعه منك. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالسٌ في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطنُ مكة مقشـعراًّ كأنَّ الأرضَ ليس بها هشام

فأقبل عليّ وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبحبح(٣) بها عبد المطلب، وبُعث منها

---

(١) هذا مثل، معناه أنَّ الحثَّ يحرِّك البطيء الضعيف، ويحمله على السرعة.

(٢) شُرحت هذه الأبيات فيما سبق.

(٣) تبحبح: تمكّن في المقام والحلول.

رسول الله(ص)، واستقرَّ بها بيت الله عزوجلّ،، لحقيقة ألا تقْشعرَ لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدقُ قولُ من يقول:

إنما عبد مناف جوهر زيّنَ الجوهرَ عبدُ المطلبِ

فاقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناءُ مخزومَ للخيرات مخزومُ

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمعها إذ أمُّ هاشمَ لا أبناءَ مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله. ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ، فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزومٍ الحريقُ إذا حركته تارة ترى ضرما

يخرج منه الشرّارُ معْ لهبٍ من حاد عن حرّه فقد سلما

فوالله ما تلعثم(١) أن أقبل عليّ بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشمُ بحر إذا سما وطما أخمد حرُّ الحريق واضطرما

واعلم وخير المقال أصدقُه بأنّ من رام هاشما هُشِما

قال: فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرضَ ساختْ بي، ثم تجلدت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناءُ مخزومَ أنجمٌ طلعتْ للناس تجلو بنورها الظُّلما

نجود بالنَّيل قبلَ تُسْأله جُوداً هنيئاً وتضربُ البُهَما(٢)

فاقبل عليّ بأسرع من اللحظ، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشمُ شمسٌ بالسَّعْدِ مطلعها إذا بدت أخفت النجومَ معا

اختار منها ربّي النبيُّ فمن قارعها بعد أحمدٍ قُرعا

فاسودّت الدنيا في عيني، ودير بي، وانقطعت، فلم أحر جواباً. (١٦/١٨٥)

---

(١) ما تلعثم: ما توقف.

(٢) البُهَم: جمع بهمة، وهو الشجاع ينبهم أمره على قِرْنه، فلا يدري من أين يصيبه.

(١٦٠)

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنا المدائنيّ. وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائنيّ قال: شهد رجل عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدلٌ رضاً. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد:

غيَّضْنَ من عبراتهن وقُلْن لي ماذا لقيتَ مـن الهوى ولقينا!

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة(١). (١٦/٢١٨)

(١٦١)

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا: كان أبو السائب المخزوميّ واقفا على رأس بئر، فأنشده ابن جندب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشـلاً بعينك لا يـزالُ معينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأيٍ ما أخرجوه(٢). (١٦/٢١٨)

(١٦٢)

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميتُ غير هذا، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخزّاز، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم الحاسب، قال: حدّثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أميَّة البلخيّ. قال: كان حكيم بن عيَّاش الأعور الكلبيُّ ولعاً بهجاء مضر، فكانت شعراء مُضر تهْجُوه ويجيبهم، وكان الكميت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا: فأجب الرجل. قال: إنّ خالد بن عبد الله القسْريّ محسن إليَّ فلا أقدر أنْ أردَّ عليه، قالوا: فاسمعْ بأذنك ما يقول في بنات عمِّك وبنات خالك من الهجاء، وأنشدوه ذلك؛ فحمي الكُميت لعشيرته، فقال المُذْهبة:

ألا حُيِّيتِ عنَّا يا مَدينا(٣)

---

(١) فتح ابن أبي عتيق للنقد آفاقاً جعلته يتغلغل في حياة الناس وشؤونهم، فهو معجب ببيت جرير، مبهور به، وقد نقل هذا الإعجاب إلى غيره، فكلُّ مَنْ يرويه، ويطربه يمتلك ذوقاً رفيعاً، وإحساساً رقيقاً، وهو من أبيات جرير المشهورة في الغزل.

(٢) هذا نمط آخر من الإعجاب، يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، إذ لم يملك أبو السائب شيئاً يعبّر به عن هذا الإعجاب سوى رمي نفسه في البئر، وهو لون جديد لم نعهده من قبل

(٣) يا مدينا: أراد: يا مدينة فرخّم.

فأحسن فيها، وبلغ خالداً خبرها. فقال: لا أبالي ما لم يجرِ لعشيرتي ذكر، فأنشدوه قوله:

ومنْ عـجبٍ عليَّ لعـمـرُ أمٍّ ... غـذتك وغـيـر هاتيًا يمينا
تجـاوزتَ المياهَ بلا دلـيـل ... ولا علمٍ تعـسَّفَ مـخطئينا(١)
فـإنكَ والتـحـوّلَ منْ مـعـدّ ... كـهـيلةَ قـبْلنا والحـالبـينا
تخطّت خيرهم حلباً ونسْناً ... إلى المولى المغادر هاربينا(٢)
كعنْزِ السّوء تنطحُ عالفيها ... وترميها عِصيُّ الذابحينا

فبلغ ذلك خالداً، فقال: فعلها! والله لأقتلنّه. (٨/١٧)

(١٦٣)

أنشد الكميت وهشام بن عبد الملك يسمع:

أورثته الحصان أم هشـام ... حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى به ابنُ عائشة البد ... ر فأمس لـه رقيبا نظـيرا
وكساه أبو الخلائف مروا ... ن سـنيّ المكـارم المأثورا
لم تجـهمْ له البطـاح ولكـن ... وجـدتهـا له مـغـاراً ونُورا

وكان هشامٌ متّكئاً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه. (١٤/١٧)

(١٦٤)

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، قال: حدّثني أحمد بن بُكيْر الأسديّ، قال: حدّثني محمد بن أنس السُّلاميّ، قال: حدّثني محمد بن سهْل راوية الكميت، قال: جاء الكُميتُ إلى الفرزدق لما قدم الكوفة، فقال له إني قد قلْتُ شيئاً فاسْمعْهُ مني يا أبا فراس. قال: هاته، فأنشده قوله:

طربْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً مني وذو الشـيب يلْعـبُ
ولكنْ إلى أهل الفـضـائلِ والنّهى ... وخـيْرِ بني حـوّاء والخـيْرُ يُطّلبُ

فقال له: قد طربْتَ إلى شيء ما طرب إليه أحدٌ قبلك، فأما نحن فما نطربُ، ولا طرب مَنْ كان

---

(١) العلم: الهادي أو الدليل. والتعسّف: التخبّط وعدم الاستدلال.

(٢) النسى: اللبن الرقيق الكثير الماء.

قبلنا إلاّ إلى ما تركتَ أنتَ الطَّربَ إليه(١). (٢٧/١٧)

(١٦٥)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، قال: حدّثني أحمد بن بُكير، قال: حدّثني محمد بن أنس، قال: حدّثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت، قال: لما قدم ذو الرُّمة أتيتُه فقلت له: إنّي قد قلْتُ قصيدةً عارضتُ بها قصيدتك: «ما بال عينْك منها الماء ينسكب».

فقال لي: وأيّ شيء قلت؟ قال: قلتُ:

هل أنتَ عن طلب الأيفاعِ مُنْقلِبُ أم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبةِ اللَّعِبُ(٢)

حتى أنشدتُه إياها، فقال لي: ويْحك! إنّك لتقولُ قولاً ما يقدرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبتَ ولا أخطأتَ، وذلك أنك تصفُ الشيء فلا تجيء به، ولا تقعُ بعيداً منه، بل تقع قريباً، قلت له: أو تدري لم ذاك؟ قال: لا قلتُ: لأنك تصفُ شيئاً رأيته بعيْنك، وأنا أصِفُ شيئاً وُصِفَ لي، وليست المعاينةُ كالوصف. قال: فسكت(٣). (٢٩/١٧)

(١٦٦)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أبو بكر الأموي، قال: حدّثنا ابن فضيل قال: سمعتُ ابن شُبْرمة، قال: قلت للكُميت: إنك قلتَ في بني هاشم فأحسنتَ، وقلتَ في بني أمية أفضل، قال: إني إذا قلت أحببتُ أنْ أحسن(٤). (٣٥/١٧)

---

(١) كأنّ الفرزدق رأى في معاني الشاعر خروجاً على التقليد الذي استنّه الشعراء العرب لأنفسهم من افتتاح القصيدة بالنسيب، والصبوة إلى النساء، والميل إليهن.

(٢) الأيفاع: الكواعب التي شارفت البلوغ.

(٣) يشير ذو الرّمة إلى شيء وجده في شعر الكميت وهو إنّه يحوم حول ما يصف فيقع قريباً منه، ولا يستطيع الدخول إليه، وقد فسّر الكميت هذه الظاهرة بأنّه يستفيد ممّا وُصف له، لا يأخذ الأشياء عن تجربة، ومعاينة، فكأنّ هذه المسافة بينه وبين الأشياء جعلته عاجزاً عن النفاذ إلى أعماقها، واصفاً لها عن قرب حسب، وسنرى في قضية قابلة أنّ بعض الشعراء يذكرون أنّهم يستفيدون من الشعر، ولا يعتمدون على المشاهدة، ومرّ هذا أيضاً في القضية السابقة في الحديث عن وصف الخيل.

(٤) كأنّه يبتغي التجويد في قوله أيّاً كان هذا القول، فهل نرى في كلام الكميت جذراً لقضية مهمة بحثها =

(١٦٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز. عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد بن سعد، عن الواقديّ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال: قال رجلٌ من أهل المدينة: ما ذُكِر بيت حسّان بن ثابت:

أهْوى حديثَ النُّدمانِ في فلقِ　　الصُّبحِ وصوْتَ المُسامرِ الفردِ

إلاّ عُدْتُ في الفتوّة كما كنت. قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:

انظر خليلي بباب جلّق هـل　　تُؤْنِسُ دونَ البلقـاءِ مِنْ أحـدِ　　(١٧٢/١٧)

(١٦٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزّبير بن بكار، قال: حدّثني عمّي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم، قال: حدّثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي، عن الزّبير: أنّ عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء، قال أبو هفان في خبره: وهو يطوفُ بالبيت، وقد بهر الناس جماله وكماله، فأعجب عمر ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلّم عليه وقال له: أنْتَ أخي حقّاً، فقال له مالك: ومنْ أنا ومَنْ أنت؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إنّ لي عند كلّ نفحةِ بستا　　نٍ من الورد أو من الياسمينا

نظـــراً والتفاتةً أترجّى　　أنْ تكوني حللْتِ فيما يلينا

وقال أبو هفّان في حديثه: قال له عُمر: مازلْتُ أحبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك، فقال له

= قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر (ص ٦٦)، حيث قال: «ومما يجب تقديمه أيضاً أنّ مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، أو يذمّه بعد ذلك ذماً حسناً، بيناً غير منكَر عليه، ولا معيب في فعله، إذا أحسن المدح والذم .. لأنّ الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً، بل إنّما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر». فقد أولى قدامة عنايته للقول وحده وتجويده، بلا نظر إلى قيم أخرى. وقد صنع الكميت في قولته السابقة ما يشبه هذا الكلام من خلال معرفتنا لموقف بني هاشم من الأمويين من جهة، واصطناع الكميت نفسه شاعراً لبني هاشم من جهة أخرى، ومع هذا نراه يمدح الفريقين، ويحبُّ أن يجوِّد في القولين، وينظر كذلك منهاج البلغاء لحازم (ص ١٢٨)، الذي ينقل كلاماً مهماً للجاحظ حول التناقض، وينظر البرهان في وجوه البيان لابن وهب (ص ٢٣٠ ـ ٢٣١).

مالك: أنت عُمر بن أبي ربيعة، قال: نعم. قال الزبير في خبره خاصة: وحدّثني ابنُ أبي كُناسة: أنَّ عمر لما لقي مالكاً استنشده، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره، فقال له عمر: ما أحسنَ شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه(١). قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

إنَّ في الرفقةِ التي شيَّعتنا ... بجـويرٍ ســـما لزيْنَ الرِّفاقِ(٢)

ومثل قولك: أشــهدْتنا أم كنتِ غـائبةً ... عن ليلتي بحديثةِ القسْــبِ(٣)

ومثل قولك: حـبَّذا ليلتــي بـتلِّ بـونَى ... حين نُسْقى شرابنا ونُغَنَّى(٤)

فقال له مـالك: هي قُرى البلد الذي أنا فيه، وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرْضِ بلادك، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

حيِّ المنازلَ قد دثَرْنَ خرابا ... بين الجوين وبيْن رُكْن كُسابا(٥)

ومثل قولك: مـا على الرَّسْـم بالبُلَيَّيْن لـو ... بيَّنَ رجْعَ السلام أوْ لو أجابا(٦)

فأمسك عنه عُمر بن أبي ربيعة. (٢٣٤/١٧)

(١٦٩)

نسخت من كتاب ابن الطحان: قال الهيثم بن عديّ: أخبرنا حمَّاد الراوية، قال: أنشدت أبا

---

(١) هل يجد عمر في ذكر القرى في الشعر مدخلاً لانتقاصه؟ سياق الكلام يشير إلى هذا، ولم نعلم سبباً وجيهاً يقدِّمه لهذا النقد، فقد دأبت الشعراء منذ العصر الجاهلي على ذكر القرى والمواضع في شعرها، سواء أكانت طللاً دارساً أم منازل عامرة، وهي تتخذها وسيلة للتذكر، أو للارتباط بالأرض والحنين إليها أو ما شاكل ذلك، ولعلَّ الردَّ الذي جوبه به، وسكوته بعد ذلك دليل على أنَّ الاعتراض لم يكن في محلِّه، خاصَّة أنَّ مالكاً ذكر له أسماء قرى وردت في شعره، فهل يُعدُّ هذا ضعفاً فيه اعتماداً على مقياسه الذي وضعه بنفسه؟!

(٢) سُمَّى: وادٍ بالحجاز، ينظر معجم البلدان (٢٤٥/٣).

(٣) حديثة: اسم لعدّة مواضع، في الموصل، والفرات، ودمشق، ينظر معجم البلدان (٢٣٠/٢).

(٤) تلّ بونَى: من قرى الكوفة. ينظر معجم البلدان (٤٠/٢)، وأورد ياقوت هذا الخبر مع تغيير.

(٥) الجوين: اسم كورة جليلة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور. ينظر معجم البلدان (١٩٢/٢)، وقد وردت هكذا في الأغاني، ولكنَّ هذا البيت ورد في معجم البلدان (٤٥٩/٤)، وفيه (الجُرير) بدل (الجوين)، والجُرير: موضع قرب مكة، وهو أقرب إلى شعر عمر وأكثر تلازماً معه، فأن يذكر وادياً قرب مكة أوفق من أن يذكر كورة بين بسطام ونيسابور. وكُساب: موضع. ينظر معجم البلدان (٤٥٩/٤).

(٦) البليّان: مفرده بُلَيّ، وهو تلّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق. ينظر معجم البلدان (٤٩٤/١).

عطاء السنديَ في أثناء حديثٍ هذا البيت:

إذا كنْتَ في حاجةٍ مرسلاً   فأرسلْ حكيما ولا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء: بئس ما قال. فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسلتَ في أمرٍ رسولا   فأفهِمْــه وأرسِــــلْه أديبا

وإنْ ضيَّعتَ ذاك فلا تلُمْـهُ   على أن لم يكن علمَ الغُيوبا   (٣٣٦/١٧)

(١٧٠)

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرَّاح: حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن محمد بن صالح العدويَ، عن أبيه، وعن أشياخه، وعدَّة من أهل البادية من بني عديّ، منهم زُرْعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم: أنَّ أمَّ ذي الرُّمة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدويَ وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم، فقالت له: يا أبا الخليل: إن ابْني هذا يُروَّع بالليل، فاكتب لي معاذةً أعلِّقها على عنقه، فقال لها: ائتيني برقِّ أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن، فهل يستقيم في غير رقٍّ أن يكتب له؟ قال: فجيئيني بجلد، فأتته بقطعة جلد غليظ، فكتب له معاذة فيه، فعلّقته في عنقه، فمكث دهْراً. ثم إنّها مرَّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصينَ وهو جالس في ملأ من أصحابه ومواليه، فدنتْ منه، فسلَّمت عليه، وقالت: يا أبا الخليل، ألا تسمع قولَ غيْلان وشِعْره؟ قال: بلى. فتقدَّم فأنشده، وكانت المعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود، فقال الحصين: أحسن ذو الرُّمة؛ فغلبت عليه. (٢/١٨)

(١٧١)

وقال هارون بن الزيات: حدَّثني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدَّثني ربيع النمريّ، قال: اجتمع الناس مرَّةً وتحلّقوا على ذي الرمة، وهو ينشدهم، فجاءت أمه فاطَّلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة. وكان دميما شَخْتاً أجْنأ(١) فقالت أمه: استمعوا إلى شعْره، ولا تنظروا إلى وجهه(٢). (٦/١٨)

---

(١) الشخت: الدقيق الضامر خلقةً لا هزالاً. والأجنأ: مَنْ يُشرف كاهله على صدره.

(٢) كأنَّ هذه الوالدة تفرّق بين الخلقة، والشعر، وتطلب منهم الاستماع للشعر الجيد، دون النظر إلى صاحب الشعر، وهي تفرقة منصفة تجعل الحكم في النهاية على الشعر وحده بلا مؤثرات أخرى.

(١٧٢)

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدّثني هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، قال قال حمّاد الراوية: قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة:

أعاذلُ قد أكثرتِ منْ قولِ قائلٍ   وعيْبٌ على ذي الوُدّ لوْمُ العواذلِ

هذا والله مُلهم، وما عِلْمُ بدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كنْز العقل المعدّ لذوي الألباب! أحسن ثم أحسن. (٧/١٨)

(١٧٣)

قال محمد بن صالح: وحدّثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكميت، وقال: لما أنشد قوله في هذه القصيدة (ذو الرّمة):

دعاني وما داعي الهوى منْ بلادها   إذا ما نأتْ خرْقاءُ عنّي بغـافلِ

فقال الكُميت: لله بلادُ هذا الغلام! ما أحسن قوله وما أجود وصفه! ولقد شفع البيتَ الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة، وقال قولَ مستُسلم. (٧/١٨)

(١٧٤)

قال: وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرّمة، فأنشد يوماً قصيدةً له، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع. فقال: أشهد عنْك - أي أنّك - لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تتلوه، وكان يحسبه قرآنا. (٧/١٨)

(١٧٥)

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البيداء الرّياحيّ، قال: قال جرير: قاتل اللهُ ذا الرّمة حيث يقول:

ومُـنْتزعٍ مِـنْ بين نِسْـعيْهِ جـرّةٌ   نشيجَ الشّجا جاءت إلى ضرْسِهِ نزْرا(١)

---

(١) يصف بعيراً قد أعيى من طول الرحلة، وقلّة الكلأ. منتزع: يخرجها انتزاعاً من جهد جهيد، والنّسع: سير يضفر ضفراً عريضاً لشدّ الرّحل على صدر البعير، والجِرّة: ما يخرجه البعير من بطنه ليجترّه، أي ليمضغه ثم يبلعه. والنشيج: البكاء يتردّد في الصدر، ويغصّ به الباكي ويسمع له صوت في الجوف. والشجا: ما يعترض في حلق الإنسان أو الدابة من عظم أو عود أو غيرهما، وأراد الغصّة تعترض في الحلق. ونزر: قليل. يقول: انتزع جرّته انتزاعاً من جوفه، فلم يخرج له من الطعام الباقي إلاّ قليل. كأنّه يتنفّس نفس المجهود الذي غصّ بالبكاء. ينظر طبقات فحول الشعراء (٢/٥٥٠)، ومن هنا نرى أنْ اقتراح جرير أدقّ =

أما والله لو قال: «ما بين جنْبيْه» لما كان عليه منْ سبيل. (١٨/١٤)

(١٧٦)

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان أبو عمْرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرّمة نُقط (عروس يضمحل عن قليل) وأبعار لها مشمّ في أول شمّة، ثم تعودُ إلى أرواحُ البعر. (١٨/١٤)

(١٧٧)

قال: وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو: إنما شعره نقط عروس تضمحلّ عمّا قليل، وأبعار ظباء لها مشمّ في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح الأبعار(١). (١٨/١٥)

(١٧٨)

قال أبو زيد بن شبّة: قال أبو عبيدة: وقف الفرزدق على ذي الرّمة وهو ينشد قصيدته (الحائية) التي يقول فيها:

إذا ارْفضّ أطرافُ السِّياط وهلّلتْ ... جُـرومُ المطـايا عذّبتهنّ صيْدحُ(٢)

فقال ذو الرّمة: كيف تسمعُ يا أبا فراس؟ قال: أسمعُ حسنا، قال: فمالي لا أُعدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويُباعدك ذكرُك الأبعار وبكاؤك الديار، ثم قال:

ودوِّيّةٍ لو ذو الرُّميْمةِ رامها ... لقصّر عنها ذو الرُّميم وصيْدحُ(٣)

= في وصف حالة هذا البعير من الموجود في البيت، فهو ينتزع الجرّة من الجنبين لا من النّسعين.

(١) من المفيد أن نورد تعليق الأصمعي على هذا الرأي إذ يقول: «إنّ شعر ذي الرمة حلو أوّل ما تسمعه فإذا كثر إنشاده ضعف، ولم يكن له حسن، لأنّ أبعار الظباء أول ما تُشمّ يوجد لها رائحة ما أكلت الظباء من الشيح والقيصوم والنبت الطيب الرائحة، فإذا أدمْتَ شمّه ذهبت تلك الرائحة ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت» (الموشح ص ٢٧١)، وللفرزدق رأي في شعر ذي الرمة يختلف قليلاً عن هذا الذي سبق، يقول: «أرى شعراً مثل بعر الصّيران إن شممتَ شممتَ رائحة طيبة، وإن فتّتّ فتّتّ عن نتن» (الموشح ص ٢٧١)، فكأنّ مجمل الإشارتين تتحدّثان عن قضية اللفظ والمعنى في شعر ذي الرمة، ألفاظ جميلة برّاقة، ومعنى إذا فتّشت عنه لم تجد شيئاً. ينظر كتابي الشعراء النقاد .. الفرزدق (ص ٩٨) وما بعدها فقد بحثتُ هذا الأمر هناك تفصيلاً.

(٢) ارفضّ: تفرّق من العرق، والجرم: الجسد، وهلّلت جرومها: صارت كالأهلّة من الهزال، وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٣) الدّوية: الصحراء، وذو الرميمة: تصغير ذو الرُّمة، ورامها: أراد قطع الصحراء.

قطعتُ إلى معروفها منكراتها إذا اشتدَّ آلُ الأمْعز المتوضِّحُ(١)

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبر: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً، فقال: إنهما بيتان، ولن أزيد عليهما شيئاً. (١٨/١٥)

(١٧٩)

أخبرني عليُّ بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير يقول: ما أحببتُ أن يُنسب إليّ من شعر ذي الرمة إلا قوله: «ما بالُ عينْكَ منها الماءُ ينْسَكِبُ»، فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً(٢). (١٨/٢٣)

(١٨٠)

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدّثني هارون بن محمد الزيات، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال: قيل لبلال بن جرير: أيّ شعر ذي الرّمة أجود؟ فقال: «هل حبل خَرقاء بعْدَ اليومِ مرْمُوم»، إنها مدينة الشعر. (١٨/٢٣)

(١٨١)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، عن العباس بن ميمون طائع، قال: حدّثنا أبو عثمان المازنيّ، عن الأصمعيّ، عن عنبسة النحويّ، قال: قلت لذي الرّمة وسمعتُه ينشد ويقول:

وعيْنان قـال اللـه كونا فكانتا فعُولَيْنِ بالألبابِ ما تفْعل الخمْرُ

قال: فقلت له: فهلاّ قلتَ: فعُولان؟ فقال: لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كان خيراً لك: أي أنك أردْتَ القدر، وأراد ذو الرّمة كونا فعولين بالألباب، وأراد عنبسة، وعينان فعولان(٣). (١٨/٢٣)

---

(١) معروفها: ما يُعرف من طُرق الصحراء، ومنكراتها: ما يُجهل منها، والأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى، والمتوضِّح: المستبين.

(٢) تتردّد في نصوص كثيرة رغبةُ الشعراء في نسبة شيء من شعر غيرهم إليهم، وهذه علامة من علامات الإعجاب والشهادة لذلك الشعر بالتفوّق. وقد أفردنا لقضية الشياطين مكاناً مستقلاً.

(٣) هذا نموذج من الاختلاف الدائم بين العلماء والشعراء، بسبب اختلاف الثقافة، والنظرة إلى الشعر، وسنرى نماذج أخرى كثيرة.

(١٨٢)

وحُكي أن إسحاقَ بن سُويد المعارضَ له قال: وأخبرني الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال: حدّثني أبي، عن أبيه قال: قدم ذو الرّمة الكوفة فوقف يُنشد الناس بالكُناسة(١) قصيدته الحائية، حتى أتى على قوله:

إذا غيَّر النَّأيُ المُحبيِّن لم يكدْ ... رسيسُ الهوى مِنْ حُبّ ميَّةَ يبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرمةَ: يا غيْلان، أراهُ قد برِح. فشنق(٢) ناقته، وجعل يتأخّر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله: إذا غيَّر النَّأيُ المحبين لم أجِدْ

قال: فلما انصرفت حدثْتُ أبي، فقال: أخطأ ابن شُبْرمةُ حين أنكر على ذي الرُّمة ما أنشد، وأخطأ ذو الرُّمةَ حين غيَّر شِعْره لقول ابن شبرمة، إنما هذا مثل قول الله عزوجل: (ظُلماتٌ بعضُها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكدْ يراها) وإنما معناه لم يرها ولم يكد. (٣٤/١٨)

(١٨٣)

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدّثنا عمر بن شبة: حدّثنا إسحاق الموصليّ، عن الأصمعيّ، قال: قال رجل: رأيت ذا الرُّمة بمربد البصرة وعليه جماعة مُجتمعة وهو قائم، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار، وهو ينشد، ودموعُه تجري على لحيته: ما بالُ عَيْنِك منها الماء ينْسَكِبُ

فلما انتهى إلى قوله:

تُصْغي إذا شدَّها بالكُورِ جانحةً ... حتى إذا ما استوى في غرْزها تثِبُ(٣)

قلتُ: يا أخا بني تميم، ما هكذا قال عمُّك. قال: وأيُّ أعمامي يرحمك الله؟ قلتُ: الراعي، قال: وما قال؟ قال: قلت: قوله:

ولا تُعْجِل المرء قبل الوُرو ... ك وهي بركبته أبْصرُ(٤)

وهْيَ إذا قام في غرْزها ... كمثل السفينة إذ تُوقرُ(٥)

ومُصْغية خدَّها بالزِّما ... م فالرأس منها لَهُ أصعرُ(٦)

---

(١) الكناسة: محلّة بالكوفة. (٢) شنق البعير: كفّه بزمامه حتى رفع رأسه وهو راكبه.

(٣) تصغي: تميل رأسها كأنّها تسمع، والكور: الرَّحل، والغرز: هو للناقة مثل الركاب للدابة، ينظر أمالي المرتضى (٢٧٩/١). (٤) يعني هي ساكنة لا تتحرك حتّى يركبها صاحبها.

(٥) توقر: تحمّل بالأثقال. (٦) أصعر: مائل.

حتى إذا ما استوى طبَّقتْ كما طبَّقَ المِسْحَلُ الأغبرُ(١)

قال: فارتج عليه ساعة، ثم قال: إنه نعتَ ناقةَ ملكٍ ونعتُّ ناقةَ سُوقةٍ، فخرج منها على رءوس الناس(٢). (١٨/٣٥)

(١٨٤)

... أنشدتْ خرقاءُ ذي الرُّمة الحجّاجَ بن عمير بن يزيد قولها:

لقد أصبحتَ في فرعَي معدٍّ مكانَ النَّجم في فلك السماء
إذ ذُكرت محاسنُه تدرَّت بحارُ الجود من نحو السماء
حُصينُ شادَ باسمك غيرَ شكٍّ فأنتَ غياثُ مَحْلٍ بالفناءِ
إذا ضنَّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ تشُجُّ بحارُ جُودك بارتواء
لقد نُصرت بإسمك أرضُ قحطٍ كما نُثرت عديٌّ بالثَّراء

فقال: أحسنتِ يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إي وربي، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربيتِ شُكْرَها من ذكرها، فقالت: أثقلنا حقُّها، ثم قالت: اللهم غفراً، هذا في اللفظ، ونحتاج إلى العمل. (١٨/٤١)

(١٨٥)

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذريّ، عن الحرمازيّ، قال: مرَّ الفرزدق على ذي الرّمة وهو يُنشد: أمنزلتي ميٍّ سلام عليكما

فلمّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال: بكاؤك على الدِّمن، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل(٣). (١٨/٥٠)

---

(١) طبقت: وثبت على أربع قوائمها، والمسحل: الحمار الوحشيّ، وسُمّيَ مسحلاً لسحيله، وهو صوته، والأغبر في لونه غبرة.

(٢) يتلخّص النقد الموجّه إلى بيت ذي الرّمة في أنّه جعل ناقته تثب «فترمي براكبها فيُدَق عنقه»، الموشح (ص ٢٧٨)، في حين أنَّ الراعي جعل منها ناقة هادئة لا تتحرك قبل استقرار الراكب عليها، وقد تخلّص ذو الرّمة من هذا الاعتراض بجوابه السابق، وهو لا يغني كثيراً.

(٣) ذكرنا في القضية السابقة أنَّ من مقاييس تقديم الشعراء في العصر الأموي اهتمامهم بغرضي المديح والهجاء، ومَنْ أغفلهما، مثلما صنع ذو الرّمة، تأخرَ. ونرى هنا قول الفرزدق الذي ينطق بلسان عصره مبرّراً تأخر ذي الرّمة من أنّه اقتصر على الوقوف على الأطلال، والوصف.

(١٨٦)

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد المكتب قال: حدّثني علي بن الصبّاح، عن ابن الكلبيّ، قال: قدم جُبيهاء الأشجعيّ المدينة بجلُوبة له، فبينا هو يبيعها والفرزدقُ يومئذ بالمدينة إذ مرّ به، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أشجع، قال: أتعرف شاعراً منكم يقال له جبْهاء أو جُبيْهاء؟ قال: نعم. قال: أتروي قصيدته:

ألا لا أبالي بعد ريّا أوافقتْ نوانا نوى الجيران أم لم تُوافق

قال: نعم. قال: أنْشدنيها، فأنشده إيّاها، فقال الفرزدق: أقسم بالله إنّك لجُبيْهاء، أو إنك لشيْطانه. (١٨/٩٥)

(١٨٧)

قال جريرُ بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابنُ حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذْنا فيه، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا؛ يعني لجودة شعره. (١٨/١١٧)

(١٨٨)

أخبرني أحمدُ بنُ الحسين الأصْبهانيُّ ابنُ عمّي قال: حدّثني أبو جعفر بن رستم الطبري النحْوي، قال: حدثُنا أبو عثمان المازني قال: حدثُنا عمرو بن مرّة قال: مرّ عمران بن حطّان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله، فوقف عليه، ثم قال:

أيُّها المادحُ العبادَ ليُعْطى إنّ للّه ما بأيدي العبادِ

فاسألِ اللهَ ما طلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المُقسِّم العوّادِ

لا تقُل في الجواد ما ليس فيه وتُسمّي البخيلَ باسم الجوادِ

فقال الفرزدق: لولا أنّ الله عزّ وجل شغلَ عنّا هذا برأيه للقينا منه شرّاً(١). (١٨/١١٩)

(١٨٩)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا ابنُ أبي سعْد، قال: حدّثني أحمدُ بنُ الهيْثم السُلميّ قال: حدّثني أبو فراس محمد بن فراس، عن الكلبيّ، قال: أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعْطاه وكساه، فقال:

---

(١) كانّ الفرزدق يشير إلى انشغال عمران بمذهبه الخارجي والدفاع عنه، ولو تفرّغ لأغراض العصر الأخرى من مدح، وهجاء، وغيرها لتفوّق على بقية الشعراء بسبب جودة شعره، وامتلاكه الأدوات.

لأسماء بنُ خارجة بن حصْنٍ   على عبءُ النَّوائب والغرامهْ
أقـلُّ تعلُّلاً يوماً ويُخْلاً   على السُّؤال من كعْبِ بن مامَهْ
ومصْقلةُ الذي يبْتاع بيْعاً   ربيحاً فوق ناجية بنِ سامَهْ

قال الكلبيّ: جعل ناجيةَ رجلا وهي امرأة؛ لضرورة الشعر. (١٣٦/١٨)

(١٩٠)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي، عن عُروة بن عبدِ الله، وأخبرنا به وكيعٌ، عن هارونَ بن الزيَّات، عن الزُّبيْري، عن عمه، عن عُروةَ بن عبد الله، وذكره حمّاد، عن أبيه، عن الزُّبيْريّ، عن عروة هذا قال: كان عُروةُ بنُ أذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق، فسمعه ينشد:

إنَّ التي زعمتْ فؤادك ملَّها   جُعلتْ هواكَ كما جُعلتَ هوىً لها
فبكَ الذي زعمتْ بها وكلاكُما   يُبدي لصاحبه الصَّبابة كلَّها
ويبيتُ بين جوانحي حُبٌّ لها   لو كان تحت فراشها لأقلَّها(١)
ولعمرُها لو كان حبُّك فوقها   يوماً وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلَّها
وإذا وجدتُ لها وساوس سلْوةٍ   شفع الفؤادُ إلى الضَّمير فسلَّها
بيضاءُ باكرها النَّعيمُ فصاغها   بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها
لما عرضْتُ مُسلِّما لي حاجةٌ   أرجُو معونتها وأخْشى دلَّها
منعتْ تحيَّتها فقلتُ لصاحبي: ما كان أكثرها لنا وأقلَّها
فدنا فقال: لعلَّها معْذورةٌ   من أجل رقْبتها، فقلتُ: لعلَّها

قال: فأتاني أبو السَّائب المخزوميُّ وأنا في داري بالعقيق، فقلت له بعد التَّرحيب: هل بدت لك حاجة؟ فقال: نعم، أبيات لعُروة بن أذينة، بلغني أنَّك سمعتها منه، فقلت له: وأيَّةُ أبيات؟ فقال: وهل يخْفى القمر؟ قوله: إنَّ التي زعمتْ فؤادك ملَّها

فأنشدتُه إيَّاها، فلما بلغتُ إلى قوله: (فقلت: لعلّها). قال: أحسن والله، هذا والله الدائمُ العهْد، الصادقُ الصبابة، لا الذي يقول:

إن كان أهلُك يمْنعونك رغْبةً   عنّي فأهْلي بي أضنُّ وأرغبُ

اذهبْ لاصحبك الله ولا وسَّع عليك ـ يعْني قائلَ هذا البيت ـ لقد عدا الأعرابيُّ طوْره، وإنّي لأرجو

(١) أقلّها: أصابها وأتعبها.

أن يغفر الله لصاحبك - يعني عُرْوَةَ - لحُسْن ظنّه بها، وطلبه العُذْر لها. قال: فعرضْتُ عليه الطّعام فقال: لا، والله ما كُنْتُ لآكُل بهذه الأبيات طعاماً إلى اللّيل، وانصرف. (٣٣٠/١٨)

(١٩١)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثنا عُمر بن أبي بكر المؤمليُّ قال: أخبرنا عبدُ الله بن أبي عُبيدة قال: قلتُ: لأبي السّائب المخزوميّ: ما أحسن عُروة بنَ أذيْنة حيث يقول:

لبثُوا ثلاثَ منىً بمنزلِ غِبْطةٍ ... وهُمُ على غرضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ
مُتجاورين بغيْر دارِ إقامةٍ ... لو قد أجدَّ رحيلُهم لم يَنْدموا
ولهنّ بالبيت العتيق لُبانةٌ ... والبيتُ يعرفهنّ لوْ يتكلّم(١)
لو كان حيًّا قبْلهنَّ ظعائنا ... حيًّا الحطيمُ وجوهَهنّ وزمْزمُ
وكأنّهُنّ وقد حَسرن لواغباً ... بيْضٌ بأكناف الحطيمِ مُركَّمُ(٢)

قال: فقال: لا، واللهِ ما أحسن ولا أجمل، ولكنّه أفْجر وأخْطل في صفتهنّ بهذه الصفة، ثم لا يندم على رحيلهن، أهكذا قال كُثيِّر حيث يقول:

تفرّق أهواءُ الحجيج على منىً ... وصدّعهم شعْبُ النّوى صبْحَ أرْبعِ
فريقان: منْهُم سالكٌ بطْنَ نخْلة ... وآخرُ منهم سالكٌ بطنَ تضْرُعِ(٣)
فلم أرَ داراً مثْلها دارَ غبْطةٍ ... وملقى إذا التفَّ الحجيجُ بمجْمعِ
أقلَّ مُقيماً راضياً بمكانه ... وأكثر جاراً ظاعناً لم يُودِّعِ

انْظُرْ إليه كيف تقدّمت شهادتُه علمه وكبا لسانُه ببيانه، وهل يغتبط عاقل بمقام لا يرضى به، ولكن مُكْرَهٌ أخوك لا بطل، والعرْجيّ كان أوفى بالعهْد منهما وأوْلى بالصّواب، حين تعرّض لها نافرةٌ من منىً، فقال لها عاتباً مُسْتكينا:

عوجي عليّ فسلّمي جبْرُ ... فيمَ الصُّدود وأنتم سَفْرُ
ما نلْتقي إلاّ ثلاثَ منىً ... حتى يُفرّق بيْننا النّفْرُ (٣٣١/١٨)

---

(١) لُبانة: حاجة.

(٢) لواغب: يقال ألغبه إذا أنصبه وأتعبه، ومركّم: متجمّع.

(٣) نخلة: اسم لعدّة مواضع، فهوواد يصبُّ من الغُمير، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة، وهو وادٍ يصبُّ فيه يَدْعان وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ينظر معجم البلدان (٢٧٧/٥).

(١٩٢)

أخبرنا عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمدُ بن يزيد: قال حدّثَ الزبيريَ، عن خالد صامة، وكان أحد المُغنّين قال: قدِمْتُ على الوليد بن يزيد، فدخلت إليه وهو في مجلسٍ ناهيك به، وهو على سرير، وبين يديْه معْبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامل، فجعلوا يُغنّون، حتى بلغت النّوبةُ إليَّ فغنّيْته:

سـرى همّي وهمُّ المرْءِ يسْري ... وغـار النَّجْـم إلا قِيسَ فِتْرِ(١)
أراقبُ في المجرّةِ كُـلَّ نجْـمٍ ... تعـرَّض للمجـرَّة كيف يجْري
لهـمٍّ مـا أزالُ لـه مُديمـاً ... كـأنَّ القلْبَ أضْرِم حـرَّ جـمْرِ
على بكْرٍ أخي ولَّى حـميـداً ... وأيُّ العـيْش يصْفـو بعـد بكْرِ

فقال له الوليدُ: أعد يا صام، ففعلْتُ، فقال لي: منْ يقولُ هذا الشعر؟ قُلتُ: عروة بن أذينة يرثي أخاه بكْرا، فقال لي: وأيَّ العيْش لا يصْفُو بعده هذا العيْش واللهِ الذي نحن فيه على رغْم أنْفه، والله لقد تحجّر واسعاً(٢). (٣٣٣/١٨)

(١٩٣)

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدّثنا العمري عن لقيط، عن الهيثم بن عدي، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا: دخل ابنُ أبي محجن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول:

إذا مِتُّ فادفنيَ إلى أصـل كرْمـةٍ ... تروّي عظامي بعد مـوتي عـروقُها
ولا تـدفـنُنّي بالفـلاة فـإنّني ... أخـاف إذا مـا مِتّ إلاّ أذوقـهـا

فقال ابن أبي محجن: لو شئت لذكرتُ ماهو أحسن من هذا من شعره! قال: وماذاك؟ قال: قوله:

لا تسألي الناس عن مـالي وكثرته ... وسائلي الناس ما فعلي وما خُلُقي
أعطي السّنانَ غداةَ الروع حصّته ... وعامل الرمح أرويـه من العلـقِ(٣)

---

(١) قِيس فتر: مقداره.

(٢) تحجّر واسعاً: ضيّق على نفسه.

(٣) عامل الرمح: ما يلي السّنان، والعلق: الدم.

وأطعن الطعنة النجلاء عن عُرُضٍ — وأحفظُ السرُّ فيه ضربةُ العنقِ
عفٌّ المطالب عمّا لستُ نائله — ـ وإن ظُلمتُ ـ شديد الحقد والحنقِ
وقد أجود وما مالي بذي فنعٍ — وقد أكرُّ وراء المُحجَرَ البرقِ(١)
والقوم أعلم أنّي من سراتِهِم — إذا سما بَصَرُ الرعديدة الشفقِ(٢)
قد يُعسر المرء حيناً وهو ذو كرم — وقد يثوب سوام العاجز الحمقِ(٣) (١٩/١٠)

(١٩٤)

أخبرني محمد بنُ خلف بن المرْزبان قال: حدّثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق الموْصليّ قال: قال لي عُمارة بن عُقيل: كان جريرٌ يقول: ما مِن بيتين كنتُ أحبُّ أن أكون سُبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقيليِّ:

وددْتُ على ما كان من سَرَف الهوى — وغيِّ الأماني أنَّ ما شئتُ يُفْعلُ
فترجع أيّام مضيْن ولذَّة — تولَّتْ وهل يُثْنى من العيْش أوّلُ (١٩/٩٨)

(١٩٥)

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النّحويّ قال: حدّثني عُمارة بن عُقيل قال: قال لي أبي: قال عبد الملك بن مروان لجرير: يا أبا حزْرة، هل تُحب أن يكون لك بشيء من شعْرك شيءٌ من شعْر غيرك؟ قال: لا ما أُحبُّ ذلك، إلاّ أنَّ غلاماً ينْزل الرّوْضاتِ من بلاد بني عُقيل يقال له مُزاحم العُقيليّ، يقول حسناً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله، كنت أحب أن يكون لي بعضُ شعْره مُقايضة ببعض شعري. (١٩/١٠٢)

(١٩٦)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج قال: حدّثني محمد بن عبد الله قال: كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعر عبد الله بن جحش. (١٩/٢١٣)

(١٩٧)

حدّثني الحسنُ بن علي قال: حدّثنا أحمدُ بنُ زهير بن حرب قال: حدّثني مصعبُ بنُ عبد

---

(١) الفنع: الكثرة، والمحجر: المغطّى المستور، والبَرِق: الدهش المتحيِّر حتى لا يطرف.
(٢) الرعديدة: الجبان يرعد عند القتال. (٣) يثوب: يجتمع.

الله قال: وحدثنيه زُبيرٌ عن عمه قال: كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز إلى بشر كتاباً، وهو يومئذ على العراق، فورد عليه وهو ثمل، وكان فيه كلام أحفظه، فأمر بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً، فلما وردَ عليه علِم أنه كتبه وهو سكران، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً، وبلغ بشراً عتْبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمّنته لزدتُ فيه، وبقيَّةُ الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم، ولقد أحسن مسكينُ الدارميُّ حين يقول:

أخــاكَ أخــاكَ إنَّ مــن لا أخا لــه　　كســاعٍ إلى الهيــجا بغير سـلاح
وإنَّ ابنَ عـمِّ المرء فـاعلـم جناحُـه　　وهــل ينهض البـازي بغيـر جناح

قال: فلما وصل كتابُه إلى عبد العزيز دمعت عينه، وقال: إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى، فسلُوا عمن شهد ذلك المجلس؛ فسئل عنهم، فأخبر بهم، فقبل عذره، وأقسم عليه أن لا يعاشر أحداً من ندمانه الذين حضروا المجلس، وأن يعزل كاتبه عن كتابته، ففعل.
(٢١٠/٢٠)

(١٩٨)

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثني عمي الفضل، قال: حدّثني مُصعَبٌ الزبيريّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال: يا معشر الشعراء تُشبِّهوننا مرة بالأسد الأبخر، ومرة بالجبل الأوعر، ومرة بالبحر الأجاج(١)، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خُريم في بني هاشم:

نهــارُكم مكــابدةٌ وصــومٌ　　وليلُكُمْ صــلاة واقــتــراءُ(٢)
وليتـم بالقــران وبالتَّزكّي　　فــأسرع فيكمُ ذاك البلاءُ
بكى نَجدٌ غداةَ غدٍ عليكم　　ومكــةُ والمدينةُ والجــواءُ(٣)
وحقّ لكل أرض فــارقُوها　　عليكم لا أبالُكــم البكــاء
أأجــعلكم وأقــوامــاً ســواءً　　وبينكـم وبينهــم الهــواء
وهــمْ أرض لأرْجلكـم وأنتـم　　لأرؤســهم وأعينهــم ســماء　　(٢١٠/٢٠)

---

(١) أشرنا إلى هذا الأمر في القضية السابقة، من حيث إنَّ عبد الملك كان يفضّل المدح بالصفات النفسية، ولا يريد من الشعراء وصفه بهذه الصفات الجسدية، مثل القوّة والضخامة وغيرها، وهو هنا يشير إلى شيء من هذا مع استحسانه أبيات أيمن به خريم.

(٢) اقتراء: قراءة.　(٣) الجواء: اليمامة، وهو اسم لمواضع أخرى.

(١٩٩)

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن رؤبة، قال لما وَلّي الوليدُ بنُ عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاجُ مع أبي لنلقاه، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس(١). فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً، فاستعهدنا ألا نُعين عليه، فكان أولَ من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا، فأقبلَ الوليد على جرير فقال له: ويلك! ألا تكون مثل هذين؟ عقدا الشِّفاه عن أعراض الناس، فقال: إني أُظْلَمُ فلا أصبر.

ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال: يا بني أمِّ العجّاج، والله لئن وضعتُ كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطّعاتكما(٢)، فقلنا: لا والله ما بلغه عنا شيء، ولكنه حسدنا لما أذنَ لنا قبله، واستُنشدنا قبله. (٢٠/٣٥٠)

(٢٠٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال حدّثنا عمر بن شبّة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ، عن سليمان بن أخضر، عن ابن عون، قال: ما شبّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلا بلهجة رؤبة، ولم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قطّ(٣). (٢٠/٣٥١)

(٢٠١)

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ، قال: قال روح بن فلان الكلبيّ: كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخل جرير: فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: والله لئن سهِرْت لك ليلة ليقلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه فقال العجاج: يا أبا حزْرة، والله ما فعلت ما بلغك، وجعل يعتذر ويحلف ويخضع؛ فلما خرج قال له رجل: لشدَّ ما اعتذرت إلى جرير، قال: والله لو علمتُ أنه لا ينفعني إلا السِّلاح لسلحْتُ. (٢٠/٣٥١)

---

(١) باب الفراديس: أحد أبواب دمشق، أضيف إلى موضع قريب منها.

(٢) لكثير من الشعراء موقف حادّ من الرجز يتمثّل في الانتقاص منه، وعدّه مركب الضعفة من الشعراء، نجد هذا عند جرير، والفرزدق، والأخطل، ويبقى هذا الاتجاه إلى أبي العلاء المعرّي الذي قرّر في مواضع كثيرة من كتبه، وديوانيْ شعره أنّ الرجز أضعف من القصيد، كما إنّ بحره من البحور الخفيفة المهانة، ينظر عن الرجز كتابي أبو العلاء المعرّي .. ناقداً (ص ١٦٢ ـ ١٧٥).

(٣) الإدغام: إدخال حرف في حرف، وله شروط مبثوثة في كتب الصرف، ينظر لسان العرب (١٢/٢٠٣).

(٢٠٢)

أخبرني الحسن بن يحيى قال: قال حماد: أخبرني أبي عن الأصمعي قال: أنشد رؤبة سلْم بن قتيبة في صفة خيل: يهْوِينَ شتّى ويقعْنَ وُقّفا

فقال له: أخطأت يا أبا الجحّاف: جعلته مقيداً فقال: أدْنني أيها الأمير ذنبَ البعير أصِفه لك كما يجب(١). (٢٠/٣٥٤)

(٢٠٣)

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أبي محمدٍ الشيباني قال: قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إنّي إذاً لصبور

قال: نعم، قال فبئس المحبُّ أنت: تركتها وبينها وبينك غدوة قال: يا أمير المؤمنين، إنها من غُدوات سليمان، غدوُها شهر، ورواحها شهر. (٢٠/٣٧٢)

(٢٠٤)

أخبرني اليزيديّ عن أحمد بن يحيي وابنِ زهيرٍ قال حدّثني عمرُ بنُ القاسم بن المعتمر الزهريّ قال: قلت لأبي السائب المخزوميّ: أما أحسن الذي يقول:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة إنّي إذاً لصبور

هبوني امرأ منكم أضل بعيره ... له ذمة إن الزمام كبير

وَللصاحب المتروك أعظم حُرمة ... على صاحب من أن يضلّ بعير

فقال: بأبي أنت، كنتُ والله أجنّبك وتثقل عليّ، فأنا الآن أحبك وتخفُّ عليّ، حيث تعرف هذا. (٢٠/٣٧٢)

(٢٠٥)

أخبرني الحرميّ، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك: أنّ الفرزدق وكثيّراً جاءا إلى الأحوص فقالا له: أنشدنا بعض ما أحدثت فأنشدهم قوله:

ياببيت عاتكة الذي أتعزّل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكّل

حتى أتى على آخرها، فقال الفرزدق لكثيّر: قاتله الله ما أشعره... (٢١/١٠٤)

---

(١) يريد أنّه أقدر على وصف البعير منه على وصف الفرس، وذلك لبداوته، واستخدامه البعير ركوباً دائماً له.

(٢٠٦)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي عبدُ العزيز بن أحمد بن بكّار: قالا: حدّثنا الزبير: قال: حدّثتني ظبية مولاة فاطمة: قالت: كان جدك عبدُ الله بنُ مصْعب يستنشدني كثيراً أبيات عبْدِ الله بن حسن ويُعْجَبُ بها:

إنّ عيني تعوّدت كُحْـل هِنْدٍ   جمعت كفُّها مـع الرِّفـق لينا   (٢١/١٢٥)

(٢٠٧)

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال: حدّثني مصعبٌ الزبيريُّ قال: كُنّا بالمدينة أهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبرُ هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنّا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها.   (٢١/٢٧٣)

(٢٠٨)

أخبرنا ابن دُريد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلاّم، قال: دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد، وعليها سعيدُ بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميرا من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومثّل بين يديه، وهو معتم، وفي مجلس سعيد الحُطيئة وكعب بني جُعيل التغلبي، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائذ بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيدٌ مليّاً، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً حراماً، ولا مالاً حراماً، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

إليك فررتُ منك ومن زياد   ولم أحسب دمي لكما حلالا
ولكنّي هجوتُ وقد هجاني   معاشرُ قد رضخْتُ لهم سجالا(١)
فإن يكن الهجاء أحلَّ قتلي   فقد قلنا لشاعرهم وقالا
أرقتُ فلم أنم ليلاً طويلا   أراقب هل أرى النَّسرينِ زالا(٢)
عليك بني أمية فاستجرهم   وخذ منهم لما تخشى حبالا
فإنَّ بني أمية في قريش   بنوْا لبيوتهم عَمَداً طوالا

---

(١) رضخت لهم: من قولهم: رضخت التيوس إذا أخذت في النطاح، أي أخذت أساجلهم النطاح.

(٢) النّسران: كوكبان أحدهما يسمّى الواقع، والآخر الطائر. وهما شاميان، فأمّا الواقع فكوكب منير، خلفه كوكبان أصغر منه منيران، فكأنّ الثلاثة أثافيّ، وأمّا الطائر، فهو إزاء الواقع، وبينهما المجرّة، وهو كوكب منير بين كوكبين عن جانبيه. ينظر الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة (ص ١٥٥).

ترى الفرَّ الجحاجح من قريشٍ إذا ما الأمر في الحدثان غالا
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنَّهُمُ يرون به هلالا

قال: فلما قال هذا البيت: قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلَّلُ به منذ اليوم. فقال كعب بن جعيل: فضلته على نفسك، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت منْ قبلك، وسبقت مَنْ بعدك، ولئن طال عمرك لتبرُزَنّ(١). (٢١/٣٢٢)

(٢٠٩)

أخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ، عن النضر بن شميل قال: قال جرير: ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد أكتفأته، أي قَلَبْتُه إلا قوله:

ليس الكرامُ بناحليكَ أباهم حتى يُردُّ إلى عطيةَ تُعتَلُ(٢)

فإني لا أدري كيف أقول فيها. (٢١/٣٢٤)

(٢١٠)

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأنّي رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجْول. (٢١/٣٥٨)

(٢١١)

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: قال الفرزدق لكثيّر عزّة بعد أن سمع شعراً لحسّان بن ثابت: قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجّتهم وأجود شعرهم. (٢١/٣٧١)

(٢١٢)

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده:

---

(١) هذا حكمٌ يعتدُّ به، فهو صادر من شاعر كبير، خبر مسالك الشعر ودروبه الوعرة، فلم يكن ليقول هذا إلاّ بعد اقتناع، وإعجاب بما سمع.

(٢) عطيّة: أبو جرير، وتعتل: تجرُّ جراً عنيفاً، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن هذا البيت ورد في الأغاني في موضع آخر هو (٢١/٢٠٥)، وفيه «نهشل» بدل تُعتل، وجاء في التعليق: (لن تعدَّ من الكرام إلاّ إذا ثبت أنّ جدّي نهشلاً من صلب عطية أبيك، وفي بعض النسخ «تعتل» وهو تحريف)، فإذا كان تحريفاً وجب إثبات الصواب في هذا الموضع أيضاً.

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف[1]. (٢٧١/٢١)

(٢١٣)

فأمَّا أخبار خالد بن عبد الله في تخنثه وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، وأخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء، قال: حدَّثني الزبير بن بكار، قال: حدَّثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي، عن إبراهيم بن قُدامة الحاطبيّ، عن أبيه، واللفظُ لعلي بن صالح في خبره، قالا: قال الحاطبيّ: أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه، ومعي صاحب لي، فقال لي صاحبي: هل لك في أن تُريغه[2] عن الغزل، فننظر هل بقي منه شيء عنده؟ فقلت له: دونك. فقال: يا أبا الخطاب أحسنَ والله رِيْسان العذري ـ قاتله الله ـ قال: وفيم أحسن؟ قلت: حيث يقول:

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودَّتها ... لمالَ لا شك يهوي نحوها راسي

فقال: نعم أحسن. فقلت: يا أبا الخطاب، وأحسن واللهِ تحيَّةُ بنُ جُنادة العذريّ، قال: في ماذا؟ قلت: حيث يقول:

سرت لعينيك سلْمى بعد مغفاها ... فبتُّ مستوهناً من بعْدِ مسراها
فقلت: أهلاً وسهلاً مَن هداكِ لنا ... إن كنتِ تمثالها أو كنتِ إيَّاها

وفي رواية الزبير خاصة:

تأتي الرياحُ التي من نحْوِ أرضكمُ ... حتى أقول: دنتْ منَّا بريَّاها
وقد تراخت بها عنَّا نوىً قَذَفٌ ... هيهاتَ مُصْبَحُها من بعد مُمْساها[3]
مِنْ حُبِّها أتمنَّى أنْ يلاقيني ... من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولَ: فراقٌ لا لقاء له ... وتُضمرَ اليأسَ نفسي ثم تسْلاها
ولو تموت لراعتْني وقلتُ لها: ... يابؤسَ للدهر ليت الدهرَ أبقاها
ويروى: .... لراعتني منيَّتُها ... وقلتُ يابؤسَ ليت الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه أحسن والله. (٢٦/٢٢)

---

(١) ينظر التعليق على النص السادس والخمسين بعد المائة السابق.

(٢) تريغه من أراغه عن الأمر وعليه: طلبه منه. (٣) قَذَف: بعيدة، تتقاذف مَنْ تصيبه.

(٢١٤)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء: قال: حدّثنا الزبير بن بكّار: قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أخبرني خالي يوسف بن الماجشون، قال: كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه يُنْشِدُه:

إنَّا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السّامعُ للقائلِ
واصطرعَ القومُ بألبابهم ... نقضي بحُكْمٍ عادلٍ فاصلِ
لا نجعلُ الباطل حقّاً ولا ... نَلُظُّ دون الحقِّ بالباطلِ
نخاف أن تسفه أحلامُنا ... فنُخْمِلَ الدَّهرَ مع الخاملِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخِصمين. (والأبيات لسعية بن عُرَيض) (١٢٤/٢٢)

(٢١٥)

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعيّ: كان أبو عمرو بن العلاء يُسمِّي النمرَ بن تولب الكيِّسَ لجوْدة شعره وحُسنه. (٢٧٣/٢٢)

(٢١٦)

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن حبيب قال: كان أبو عمرو يشبِّه شِعْر النمر بشعرِ حاتم الطائيّ. (٢٧٧/٢٢)

(٢١٧)

قال حمّاد الرواية: كان النمرُ بن تولب كثير البيت السائر والبيتِ المتمثَّل به، فمن ذلك قوله:

لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله ... وعلى كرائم صُلْب مالكَ فاغضبِ
وإذا تصبك خصاصة فارجُ الغنى ... وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ

وقوله:

تلبَّسْ لدهركَ أثوابه ... فلن يبتني النّاسُ ما هدَّما
وأحبب حبيبك حبّاً رويدا ... فليس يعولك أن تصرِما
وأبغضْ بغيضك بُغضاً رويداً ... إذا أنت حاولتَ أن تحكما

وقوله:

أعاذلُ أن يصبحْ صداي بقفرةٍ بعيدٍ فـأنّي ناصـري وقـريبي
تـريْ أنَّ مـا أبقيتُ لـم أكُ ربَّـه وأنَّ الذي أفنيت كـان نصـيبي (٢٨١/٢٢)

(٢١٨)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيّ قال: حدّثنا العُمريُّ، عن الهيْثم بن عديٍّ، عن عبد الله بن عياش، عن مُجالد، عن الشعبيِّ قال: قال عبدُ الملك بن مروان، وأنا حاضرٌ، للأخطل: يا أخطلُ، أتُحبّ أنّ لك بشعرك شعر شاعرٍ من العرب؟ قال: اللّهمَّ لا، إلا شاعراً منّا مُغْدفَ القناع(١)، خاملَ الذِّكر، حديث السِّنِّ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فيكون فيه، ولوددْتُ أنّي سبقْتُه إلى قوله: (وهما للقطامي)

يـقتّلننا بحـــــديثٍ ليس يـعلمُه مَـنْ يتـــــقينَ ولا مكنونُه بـادي
فهُـنَّ ينبذْنَ مـن قـولٍ يُصبنَ بـه مواقعَ المـاء من ذي الغُلّةِ الصادي (١٧/٢٤)

(٢١٩)

نسختُ منْ كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز - ولم أسمعه من أحدٍ، وهو خبرٌ فيه طول اقتصرت منه على ما فيه من خبر القُطاميِّ - قال أحمد بن الحارث الخرّاز: حدّثني المدائنيّ، عن عبد الملك بن مُسلم، قال: قال عبدُ الملك بن مرْوان للأخطل، وعنده عامرٌ الشعبيِّ: أتحبُّ أن لك قياضاً بشعرك شعر أحدٍ من العرب أم تحبُّ أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلا أنّي وددتُ أني كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا مُغدفُ القناعِ، قليلُ السَّماع، قصيرُ الذِّراع، قال: وما قال؟ فأنشد قول القُطاميِّ:

إنّا مُحيُّوكَ فاسلمْ أيُّها الطَّللُ وإن بليتَ وإن طالتْ بكَ الطِّيلُ(٢)
ليس الجديدُ به تبقى بشاشتُه إلا قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يصلُ(٣)
والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ به عينٌ ولا حالَ إلا سوفَ تنتقلُ
إن ترْجعي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً فقد يهونُ على المستنْجِحِ العملُ(٤)
والناسُ مَنْ يلْقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ولأمِّ المخطئِ الهبلُ
قد يُدْرك المتأنّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المسْتعجل الزَّللُ

---

(١) أغدف قناعه: أرسله على وجهه. (٢) الطِّيل: العمر.

(٣) به: الضمير هنا يعود على الدهر في بيت سابق لم يُذكر هنا. (٤) يخاطب ناقته.

حتى أتى على آخرها: قال الشعبيُّ: فقلت له: قد قال القُطاميُّ أفضلَ من هذا، قال: وما قال؟ قلت: قال:

طرقتْ جَنُوبُ رحالَنا من مَطْرَقِ ... ما كنتُ أحْسِبُها قريبَ المُعْنَقِ(١)
قطعتْ إليكَ بمثلِ جيدِ جدايةٍ ... حسنٍ مُعلَّقِ تومتيْه مُطوَّقِ(٢)
ومُصرَّعينَ من الكلالِ كأنّما ... بكروا الغبوقَ من الرَّحيقِ المُعتَقِ(٣)
مُتوسِّدين ذراعَ كلِّ شِملَّةٍ ... ومُفرَّجٍ عرقِ المقذِّ مُنوَّقِ(٤)
وَجَثَتْ على رُكبٍ تَهُدُّ بها الصَّفا ... وعلى كلاكلَ كالنَّقيلِ المُطرقِ(٥)
وإذا سمعْنَ إلى هماهمِ رُفقةٍ ... ومن النُّجُومِ غوابرٌ لم تخفقِ
جعلتْ تَميلُ خُدودها آذانُها ... طرباً بهنَّ إلى حُداءِ السُّوَّقِ
كالمُنصِتاتِ إلى الزَّميرِ سَمِعْنَه ... من رائعٍ لقلوبهنَّ مُشوِّقِ
فإذا نظرْنَ إلى الطَّريقِ رأيْنَهُ ... لهقاً كشاكلةِ الحصانِ الأبلقِ(٦)
وإذا تخلَّفَ بعدهُنَّ لحاجةٍ ... حادٍ يُشسِّعُ نعلَه لم يلحقِ(٧)
وإذا يُصيبُكَ ـ والحوادثُ جمَّةٌ ـ ... حدثٌ حداكَ إلى أخيكَ الأوثقِ
ليتَ الهُمُومَ عن الفؤادِ تفرَّجتْ ... وخلا التكلُّمُ للِّسانِ المُطلقِ

قال: فقال عبدُ الملك بن مروان: ثكلتْ القطاميَّ أمُّه، هذا والله الشِّعْرُ. (٤٧/٢٤)

(٢٢٠)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وأبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش، قالا حدّثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعْدان، عن أبي عُبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل، وأخبرنا به أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي البيداء قالوا جميعاً: مرَّ

---

(١) المعنق: مصدر ميمي من أعنق: سار سيراً سريعاً، أو هو مكان، أي المكان الذي أعنقت منه.

(٢) الجيد: الغزالة، والتُّومة: حبة تُعمل من الفضة كاللؤلؤة. (٣) المعتق: صارت ذات عتق أي قِدَم.

(٤) الشملَّة: الناقة الخفيفة، والمقذّ: ما بين الأذنين من خلف، والجمل المنوّق: المذلّل الذي أحسنتْ رياضته.

(٥) النَّقيل: جمع نقيلة وهي رقعة النَّعل، والمطرق: الذي وضع بعضه فوق بعض.

(٦) اللهق: الأبيض الذي ليس بذي بريق، والشاكلة: الخاصرة.

(٧) يشسِّع: أي يجعل لها شسعاً، وهو سير يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النَّعل.

راكبٌ بالرَّاعي وهو يتغنَّى:

وعاوٍ عوى من غير شيءٍ رميتُه ... بقافيةٍ أنفاذُها تقطرُ الدَّما(١)

خروجٍ بأفواهِ الرُّواة كأنَّها ... قرا هُنْدُوانيٍّ إذا هُزَّ صمَّما(٢)

فسمعها الرَّاعي فأتْبعهُ رسُولاً، وقال له: مَنْ يقول هذين البيتين؟ قال جرير: فقال الرَّاعي: أوْلام أن يغْلبني هذا؟ والله لو اجْتمع الجنُّ والإنْسُ على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً. قال ابنُ سلام خاصَّة في خبره: وهذان البيتان لجرير في البعيث، وكذلك كان خبره معه، اعترضه في غير شيء. (٢١٢/٢٤)

الناشيء

(١) الأنفاذ جمع نفذ: وهو منفذ الجراحة.

(٢) خروج: كثيرة الخروج متداولة، وسيف هندواني: عُمل ببلاد الهند وأحكم عمله، وصمَّم السيف: مضى إلى العظم.

النقد الأدبي في كتاب الأغاني

تأليف
د. وليد محمود خالص
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

الجزء الثاني

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

العصر العبّاسي

(١)

قال إسحاق: قال لي الأصمعيّ: عمر حُجَّةٌ في العربية، ولم يُؤخَذْ عليه إلا قولُه:

ثم قالوا تُحبُّها قلتُ بهْراً عدد الرمْلِ والحصى والتُّرابِ

وله في ذلك مخْرجٌ؛ إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن الناس من يزعم أنّه إنّما قال:

قيل لي هل تُحبُّها قلت بهرا (٧٩/١)

(٢)

قال أبو عبد الله الزُّبير قال عمي مُصْعَب: كان عمر يُعارض جميلاً؛ فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها. فيقال: إنه في الرائيّة والعيْنيّة أشعرُ من جميل، وإنّ جميلاً أشعر منه في اللّاميّة، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً؛ قال جميل:

خليليَ فيما عِشْتُما هل رأيْتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي

وقال عمر:

فقالتْ وأرخَتْ جانبَ السِّتْرِ إنّما معي فتكلَّمْ غير ذي رِقْبةٍ أهلي (١١٦/١)

(٣)

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله (عمر بن أبي ربيعة):

فعِدي نائلاً وإن لم تنيلي إنّـه ينفع المحبَّ الرجاءُ

قال الزبير: هذا أحسن من قول كثيّر:

ولست براض من خليلٍ بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليلِ (١٤٣/١)

(٤)

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرّياشي قال: أنشدنا الأصمعيّ لنُصيب وكان يستجيدُ هذه الأبياتَ ويقول إذا أنشدها قاتل اللهُ نُصيباً ما أشعره:

فـإنْ يكُ من لوني السَّوادُ فـإنَّني ... لكالمسـك لا يرْوى من المِسْك ذائقهْ
وما ضرَّ أثوابي سـوادي وتحتـها ... لباسٌ مــن العليـاء بيضٌ بنـائقــه(١)
إذا المرءُ لم يبْذُلْ من الودِّ مثلَ مـا ... بذلتُ لــه فاعلَـمْ بأنِّي مُفارقُــهْ (١/٣٥٤)

(٥)

أخبرني حبيب بنُ نصر قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثنا إسـحاقُ بنُ إبراهيم الموْصليّ قال: تزوَّجَ العرجيُّ أمَّ عثمـان بنتَ بُكير بن عمرو بن عثمان بن عفّان، وأمُّها سُكينةُ بنت مُصعب بن الزُّبير، فقال فيها:

إنَّ عـثـمــان والزُّبيــر أحــلاَ ... دارهــا باليفـاع(٢) إذ ولداهـــا
إنَّهـا بنــتُ كـلِّ أبْيضَ قــرْمٍ ... نال في المجد من تُصيُّ ذُراها
سكنَ الناسُ بالظَّواهِر منهـا ... وتبــوَّأ لنفســـــه بطْحـاهـا

قال إسحاقُ: ولمَّا تزوج الرشيدُ زوجته العُثمانية أعْجب بها، فكان كثيراً ما يتمثَّل بهذه الأبيات. (١/٣٩٩)

(٦)

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بنُ الحسن الأحولُ أنَّ ابن الأعرابيّ أخبرهما أنَّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللتَ بنفسك ما ترى في هوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تصرفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُساعفكَ ونجزيك بهواك ويرجع إليك ما عزب من عقلك وجسمك؟ فقال لهنَّ: لو قدرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتُه عنها وعن كلِّ أحد بعْدها وعشتُ في الناس سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كلُّ شيء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبني، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلا كان في عيني حسناً وبقلبي علقاً، ولقد جهدتُ أن يقبُحَ منها عندي شيءٌ أو يسمج أو يُعابَ لأسلُو عنها فلم أجده؛ فقلن له: فصِفْها لنا، فأنشأ يقول:

بيضـاءُ خالصةُ البياض كأنَّها ... قمــرٌ توسَّـط جُنْحَ ليـلٍ مُبردِ
موْسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ ... إنَّ الجمــالَ مظنةٌ للحسَّـــدِ
وتَـرى مدامعُها ترقــرُقَ مُقْلـةٍ ... سوداءَ ترغبُ عن سواد الإثمد

---

(١) البنائق جمع بنيقة: وهي طوق الثوب الذي يضمّ النحْر وما حوله.

(٢) اليفاع: المشرف من الأرض والجبل.

خَودٌ إذا كثُر الكلامُ تعوَّذتْ بحمى الحياء وإن تكلَّمْ تقْصِدِ[1]

قال: ثم قال ابنُ الأعرابيَ: هذا والله من حسن الكلام ومُنقَّح الشِّعر. (٨٢/٢)

(٧)

قال إسحاق قال المدائنيّ قال سلْمُ بن قُتيبة: ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدلُّ عليه وإن لم يُنشد مثلَ قول الحطيئة: لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس. (١٧٤/٢)

(٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدَّثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عديّ بن عبد الجبّار بن منْظور بن زبّان بن سيّار الفزارية قالت أخبرني أبي قال: جمعني وابنَ ميادة وصخْرَ بن الجعْد الخُضريَ مجلسٌ، فأنشدنا ابن ميادة قوله:

يُمنُّونني منكِ اللقــاءَ وإنَّني لأعلمُ لا ألقاكِ من دون قابل

فأقبل عليه صخر فقال له: المحبُّ المُكبُّ يرجو الفائتَ ويغُمُّ الطير، وأراك حسن العزاء يا أبا الشُّرْحبيل؛ فأعرض عنه ابن ميّادة. قال أبو عديّ فقلت:

صادف درْءُ السَّيْلِ سيلاً يدْرَعُهْ بهضْبةٍ تردُّه وتدفعُهْ[2]

- ويروى: درْء السيل سيلٌ - فقال لي: يا أبا عديّ، والله لا أتلطَّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذْرة: هو العبدُ أقصى همِّه أن تَسبَّه وكان سبابُ الحرِّ أقصى مدى العبْدِ

قال الزبير: قوله يغمُّ الطير يقول: إذا رأى طيراً لم يزجُرها مخافة أن يقع ما يكره. قال: فلم يُحرِ إليه صخْر بن الجعْد جوابا. يعني بقوله: «لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين» مُهاجاته الحكم الخُضْريّ، وكان تهاجيا زماناً ثم كفَّ ابنُ ميّادة وسأله الصلح فصالحه الحكم. (٢٨٢/٢)

(٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو مسْلمة موهوبُ بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبيّ ثم الخوْلانيّ قال: كان أوّل ما بدأ الهجاءُ بين ابن ميّادة وحكم بن معْمر الخُضريّ أن ابن ميادة مرّ بالحكم بن معْمر وهو يُنْشد في مصلّى النبيّ (ص) في جماعة من الناس قوله:

---

(١) الخود: الفتاة الحسنة الشابة، ويقال: قصد في الأمر قصداً: إذا توسَّط وطلب السَّداد ولم يجاوز الحدّ.

(٢) درأ السيل: إذا اندفع.

لمن الديارُ كـأنّها لـم تُعْمـرِ   بين الكِناس وبين بُرْق مُحجِّرِ(١)

حتى انتهى إلى قوله:

يا صـاحبيّ ألم تشـيما بارقاً   نُضحَ الصُّرادُ به فهضْبُ المنْحرِ(٢)
قـد بتُّ أرْقُبُه وبات مصعِّدًا   نهْضَ المقيَّدِ في الدَّهاسِ المُوقَرِ(٣)

فقال (له) ابن ميّادة: ارفعْ إليّ رأسك أيها المنشد، فرفع حكم إليه رأسه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا حكم بن معْمر الخُضريّ؛ قال: فوالله ما أنت في بيت حسب، ولا في أرومة شِعْر؛ فقال له حكم: وماذا عِبْتَ من شعري؟ قال: عِبْتُ أنك أدْهستَ وأوْقرتَ؛ قال له حكم: ومن أنت؟ قال أنا ابن ميّادة؛ قال: ويحك! فلم رغبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمك؟ قبّح الله والدين خيرُهما ميّادة، أما والله لو وجدتَ في أبيك خيراً ما انتسبتَ إلى أمك راعية الضأن. وأما إدْهاسي وإيقاري فإني لم آتِ خيْبرَ إلاّ مُمْتاراً لا مُتحاملا(٤)، وما عدوتَ أن حكيتَ حالك وحال قومك، فلو (كنت) سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك. فلَم يفترقا إلا عن هجاء. (٢/٢٨٣)

(١٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحي قال حدّثني عُمير بن ضمْرة الخُضريّ قال: أوّلُ ما هاج الهجاءَ بين ابن ميّادة وبين حكم بن معْمر بن قنْبر بن جحاش بن سلمة بن ثعْلبة بن مالك بن طريف بن مُحارب - قال: والخُضْر ولد مالك بن طريف، سمُّوا بذلك لأن مالكا كان شديد الأدمة، وكذلك خرج ولدُه فسمُّوا الخُضْرَ - أن حكماً نزل بُسمير بن سلمة بن عوسجة بن أنس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمْرو وهو خُصيلة بن مُرّة. فأقبل ابنُ ميّادة إلى حكم ليعْرض عليه شعره وليسمع من شعره، وكان حكم أسنَّهما، فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم، ثم قال ابن ميّادة: والله لقد أعجبني بيتان قلتهما يا حكم؛ قال: أو ما أعجبك من

---

(١) الكناس: موضع من بلاد غنيّ، وهو موضع ينسب إليه رمل الكناس في بلاد عبد الله بن كلاب، والبُرق: جمع برقة وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل، ومحجّر: اسم لمواضع كثيرة منها جبل في ديار طيّء، وأخر في ديار يربوع، وقرية في وادٍ باليمامة، وغيرها، ينظر معجم البلدان (٥/٦٠).

(٢) الصُّراد: موضع تلقاء يأجج، وهضب المنحر: هضاب حمر في أرض بني ثعلبة. الدَّهاس: المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين لا ينبت شجراً وتغيب فيه القوائم ويثقل فيه المشي، والموقَر: المثقل وهو صفة للمقيَّد.

(٣) أدهس القوم: ساروا في الدَّهْس، وقد مرّ، وأوقر: إذا حمل حملاً ثقيلاً، كأنّه يشير إلى ورود هاتين اللفظتين في شعره. (٤) تحامل: أي تكلّف الحمل بالأجرة.

شعري إلا بيتان! فقال: والله لقد أعجباني، يردِّد ذلك مراراً لا يزيده عليه؛ فقال له حكم: فأيُّ بيتَيْن هما؟ قال: حين تُساهِمُ بين ثوبيها وتقول:

فواللـــه مـــا أدري أزيدتْ مـلاحـــةً وحُسناً على النِّسوان أم ليس لي عقْلُ

تســـاهم ثوباهـا فـفي الدِّرع غـــادةٌ وفي المِـرْط لفَّاوانِ ردْفـهُمـا عـبْلُ(١)

فقال له حكم: أو ما أعجبك غير هذين البيتين؟ فقال له ابن ميَّادة: قد أعجباني، فقال: أو ما في شعري ما أعجبك غيرُهما؟ فقال: لقد أعجباني؛ فقال له حكم: فإني سوف أعيب عليك قولك: ولا برح المَدْور ريَّان مُخْصباً وجيدَ أعالي شِعْبه وأسافلُهْ(٢)

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفله وتركتَ وسطه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأيُّ شيء تريد! تركتُه لا يزال ريَّان مُخْصبا. وتهاترا فغضب حكم فارتحل ناقته. (٢/٢٨٥)

(١١)

ولحكم الخُضْريِّ وابن ميَّادة مُناقضاتٌ كثيرة وأراجيزُ طوالٌ طويتُ ذكر أكثرها والفيتُه، وذكرتُ منها لُمَعاً من جيِّد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول. فما قاله حكمٌ في ابنِ ميَّادة قوله:

خليليَّ عُوجا حيِّيا الدارَ بالجفْرِ وقُولا لها سقْياً لعصْرك من عصْرِ(٣)

ومـاذا تُحيِّي مـن رُسُـومٍ تلاعبتْ بها حرْجَفٌ تذْري بأذيالها الكُدْرِ(٤)

ومن جيِّد قوله فيها يفتخر:

إذا يبسـتْ عيدانُ قـومٍ وجـدتنا وعيدانُنا تُغْشى على الورق الخُضْرِ

إذا الناسُ جـاءوا بالقُرُوم أتيـتُهم بقـرْمٍ يُسـاوي رأسُـه غُـرَّةَ البـدرِ

لنا الفَوْزُ والأنجـاد والخَـيْلُ والقنا عليكـم وأيامُ المكـــارم والفـخـرِ

ومن جيِّد هجائه قولُه:

---

(١) تساهم ثوباها: تقارعا وتقاسما. الدِّرع: الثوب الصغير تلبسه الفتاة في بيتها. والغادة: الفتاة الناعمة اللينة. والمرط: كساء يؤتزر به. ولفَّاوان: تثنية لفَّاء وهي الفخذ الضخمة.

(٢) المدور: المكان الذي وضع عليه المَدَر وهو الطين، ويريد به هنا القرية. ينظر لسان العرب (١٦٢/٥). وجيد: سُقِيَ مطراً جوداً أي غزيراً.

(٣) الجفر: موضع بناحية ضرية من نواحي المدينة.

(٤) الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب. وجعل أذيالها كُدْراً لما تهيجه من رمل.

فيا مرّ قد أخزاك في كلّ موطنٍ ... من اللؤم خلاّتٌ يزدْنَ على العشْرِ
فمنهنّ أنّ العبدَ حامي ذماركم ... وبئس المحامي العبدُ عن حوْزة الثّغر
ومنهن أن الميتَ يُدْفن منكُم ... فيفسُو على دُفّانه وهو في القبرِ
ومنهنْ أن الجارَ يسكُن وسْطكم ... بريئاً فيُلْقى بالخيانة والغدْر
ومنهنّ أن عُدْتُم بأرْقطَ كوْدنٍ ... بئس المحامي أنت يا ضرْطة الجفْر(١)
ومنهنّ أن الشيخ يوجدُ منكُم ... يدبُّ إلى الجاراتِ مُحْدودبَ الظهرِ
تبيت ضبابُ الضِّغْنِ تخْشى احتراشها ... وإن هي أمستْ دونها ساحلُ البحر(٢)

(٢٩٨/٢)

(١٢)

ومن جيِّد قول ابنِ ميادة في حكم قصيدتُهُ التي أولَها:

لقد سقتْك اليومَ عيْناك سبْقةُ ... وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ
فوالله ما أدري أيغْلبني الهوى ... إذا جَدَّ جِدُّ البينُ أم أنا غالبُه
فإن أستطعْ أغلب وإن يغلب الهوى ... فمثْلُ الذي لاقيتُ يُغْلبُ صاحبُهْ

يقول فيها في هجاء حكم:

لقد طال حبْسُ الوفْد وفْد مُحاربٍ ... عن المجد لم يأذَنْ لهم بعْدُ حاجبُهْ
وقال لهم كُروا فلستُ بآذنٍ ... لكم أبداً أو يُحْصِيَ التُّرْبَ حاسبُهْ

وهي قصيدة طويلة. (٣٠٢/٢)

(١٣)

قال أبو الفرج: «... وهي... قصيدة للرّماح (ابن ميادة) طويلة يمدح فيها الوليدَ بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرتُ من مُختارها ها هنا طرفا، وأوّلها:

هل تعرفُ الدارَ بالعلْياء غيّرها ... سافي الرِّياح ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ(٣)

---

(١) الكودن: البرذون الهجين، يريد إنساناً كالبرذون، والجفر: ولد المعزى إذا بلغ أربعة أشهر وفُصل عن أمّه وأخذ في الرعي. (٢) احترش الضبّ: أتى قفا جحره فقَعْقَع بعصاه عليه وأتلج طرفها في جحره، فإذا سمع الصوت حسبه دابّة تريد أن تدخل عليه، فجاء على رجليه وعجزه مقاتلاً ويضرب بذنبه، فناهزه الرجل أي بادره فأخذ بذنبه فضَبَّ عليه أي شدّ القبض فلم يقدر أن يفيصه أي يفلت منه. ينظر لسان العرب (٢٨٠/٦) (٣) يقال: استنّ المطر: أي انصبّ.

دارٌ لبيضاء مَسْوَدٌ مسائحُها كـأنَّها ظبْيةٌ ترْعى وتنْتصبُ(١)
تحنُو لأكحلَ ألقتْهُ بمضْيعةٍ فقلْبُها شفَقاً من حوْلِهِ يجِبُ(٢)

يقول فيها:

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هجْعتِها وأملحَ الناسِ عيْناً حينَ تنْتقِبُ
ليستْ تجودُ بنيْلٍ حينَ أسألُها ولستُ عندَ خلاءِ اللَّهوِ أغتصبُ
في مرْفقيها إذا ما عُونقتْ جَمَمٌ على الضَّجيعِ وفي أنيابِها شَنَبُ(٣)
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ(٤)
قد جُبْتُها جوْبَ ذي المِقْراضِ ممطرةً إذا استوى مُغْفَلاتُ البيدِ والحدَبُ(٥)
بعنْتريسٍ كأنَّ الدَّبْرَ يلْسعُها إذا ترنَّمَ حادٍ خلْفَها طرِبُ(٦)
إلى الوليدِ أبي العبَّاسِ ما عجِلتْ ودونهُ المُعْطُ من لُبنانَ والكُثُبُ(٧)

ويعد هذا البيت قوله: أعطيتني مائةً صُفْراً مدامعُها ... الخ

لمَّا أتيتُكَ من نجْدٍ وساكنه نفحتَ لي نفْحةً طارتْ بها العربُ
إنِّي امرؤٌ أعتفي الحاجاتِ أطلُبُها كما اعتفى سنِقٌ يلْقى له العُشُبُ(٨)
ولا أُلحُّ على الخُلاَّنِ أسألُهم كما يُلحّ بعظْمِ الغاربِ القتبُ
ولا أخادعُ ندْماني لأخدعَه عن مالهِ حين يسْترْخي به اللَّبَبُ(٩)
وأنت وابناكَ لم يوجدْ لكم مثَلٌ ثلاثةٌ كلُّهم بالتاجِ مُعْتصِبُ
الطَّيِّبون إذا طابتْ نفوسهم شُوسُ الحواجبِ والأبصارِ إنْ غضِبُوا(١٠)

---

(١) المسائح: ما بين الأذن إلى الحاجب من الشَّعر، وتنتصب: تقف إذا ارتاعت منتصبة تتوجّس.

(٢) يجب: يخفق ويضطرب. (٣) الجمم: كثرة اللحم، والشَّنب: رقّة وبرْد وعذوبة في الأسنان.

(٤) العطب: القطن واحده عطبة، ويريد هنا ذبالة المصباح التي تتخذ من القطن.

(٥) المقراض: المقصّ، والممطرة: ثوب من صوف يُلبس في المطر يُتوقّى به منه، مغفلات البيد: ما خفي من الصحراء فلم يدر سالكها والطريق، والحدَب: الغليظ المرتفع من الأرض.

(٦) العنتريس: الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم، الدَّبر: النحل.

(٧) الوليد: هو الوليد بن يزيد، والمعط: جمع معطاء، وهي الأرض التي لا نبات فيها، ولبنان: جبل بالشام.

(٨) أعتفي: أطلب، والسَّنِق: الذي شبع حتى بشم، يقول: أطلب الحاجة بغير حرْص ولا كَلَب، كما يعتفي هذا البعير البَشِم من غير شَرَه ولا شدَّة طلب.

(٩) اللبب: البال، والمراد أنَّه صار في رخاء وسعة.

(١٠) شوس: جمع أشوس من الشَّوَس وهو النظر بمؤخر العين تكبّراً أو تغيّظاً.

قسنى إلى شُعراء الناس كلّهم وادعُ الرُّواة إذا ما غبَّ ما اجتلبوا(١)
إنّي وإن قال أقوام مديحُهم فأحسنوه وما حابوا وما كذبوا
أجري أمامهُمُ جَرْيَ امرئ فلج عنانُه حين يجْري ليس يضْطربُ(٢) (٢/٣٠٤)

(١٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب وأخبرني محمد بن مزْيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُبير وأخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيُّوب المدينيّ عن مُصْعب: أنّ ابن ميّادة مدح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها: طلعتْ علينا العيسُ بالرَّمَّاحِ

وهذه القصيدةُ من جيّد شعر ابن ميّادة، أوّلها:

وكواعبٍ قد قلن يوم تواعُدٍ قولَ المُجدّ وهُنّ كالمُزّاحِ
ياليتنا في غير أمرٍ فادح طلعتْ علينْا العيسُ بالرَّمَّاحِ
بيْنا كذاك رأينني مُتعصّباً بالخزّ فوق جُلالةٍ سِرْداحِ(٣)
فيهنّ صفراءُ المعاصم طفْلةٌ بيْضاءُ مثْلُ غريضةِ التُّفّاحِ(٤)
فنظرنَ من خلل الحجال بأعينٍ مرْضى مُخالِطُها السُّقامُ صِحاحِ
وارتشن حينَ أردْن أنْ يرمينني نبْلاً بلا ريش ولا بقداحِ(٥)

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم:

فلئنْ بقيتُ لألحقنّ بأبْحُرٍ ينْمينَ لا قُطْعٍ ولا أنْزاحِ(٦)
ولآتينّ بني عليّ إنّهمْ من يأتهم يُتلقّ بالإفلاحِ
قومٌ إذا جُلب الثناء إليهمُ بيعَ الثناء هناك بالأرباحِ
ولأجْلسنّ إلى الخليفة إنّه رحْبُ الفناءِ بواسع نجباحِ

وهي قصيدة طويلة. (٢/٣٢٢)

---

(١) غبّ: فسد، واجتلاب الشعر: استمداده من آخر. وصار بعد هذا من مصطلحات السرقات.

(٢) الفلج: الظفر والفوز.

(٣) الجلالة: الناقة العظيمة، والسرداح: الطويلة، الكثيرة اللحم.

(٤) الطّفْلة: الجارية الرقيقة البشرة الناعمة، والغريضة: الطريّة. (٥) ارتشن نبلاً: اتّخذن لها ريشاً.

(٦) قطع: جمع أقطع وهو الذي انقطع ماؤه، وأنزاح: جمع نَزَح وهو ما نزح أكثر مائه، وهو أيضاً الماء المكدّر.

(١٥)

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسيَّبيّ والمدائنيّ وابن سلاّم: أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يعارض جميلاً، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلها، فيقال: إنّ عمر في الرّائية والعينيّة أشعرُ من جميل، وإنّ جميلاً أشعرُ منه في اللاميّة. (٢/٣٧٠)

(١٦)

وقال الزُّبير فيما أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عنه: من الناس من يُفضِّل قصيدة جميل اللاميَّة على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأنَّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوالعُ النَّجْدِ وخوالدُ المُهْد(١)، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة ملْساء المتون، مُستوية الأبيات، آخذٌ بعضُها بأذناب بعض(٢)، ولو أنَّ جميلا خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرْتجَ عليه وعثر كلامُهُ به. (٢/٣٧٠)

---

(١) طوالع النَّجد: ما يبرز على وجه الأرض الغائرة من مرتفع وغيره، والخوالد: الحجارة، والمُهد: النَّشز من الأرض، ينظر لسان العرب (٣/ ١٦٤، ٤١١).

(٢) يشير هذا (الناقد) إلى مقياس مهم في تفضيل قصيدة معينة على غيرها وهو ما يسمى بـ (الالتئام) أو (الالتحام)، وقد وجدنا له ذكراً قبل العصر العباسي إذ نجد عمر بن لجأ يقول لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، لأنّي أقول البيت وأخاه، ولأنّك تقول البيت وابن عمِّه، ينظر الشعر والشعراء (١/ ٩٠)، ويسمّي رؤبة هذه العملية بـ (القران)، وهو لذلك ـ كما يرى ـ أشعر من ابنه عقبة لأنّ شعر عقبة ليس فيه قران، يريد أنّه لا يقارن البيت بشبهه، الشعر والشعراء (١/ ٩٠)، وعدّ ابن قتيبة هذا الأمر تكلّفاً فقال: «وتتبيّن التكلّف في الشعر أيضاً بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً إلى غير لفقه»، الشعر والشعراء (١/ ٩٠)، ويصف الجاحظ الشعر الجيد بقوله: «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغاً واحداً، وسُبك سبكاً واحداً»، البيان والتبيين (١/ ٦٧)، ولعبد القاهر الجرجاني كلام مهم حول هذا الموضوع، ينظر دلائل الإعجاز (ص ٩٣) وما بعدها، ولذلك رأينا ذلك [الناقد] يفضّل قصيدة عمر على قصيدة جميل لأنّها ملتحمة الأبيات، مستوية النظم، تتعلّق أبياتها الواحد بالآخر تعلّقاً شديداً، بينما تختلف قصيدة جميل، فهي غير مؤتلفة الأبيات، وقد استعار من البيئة حوله أوصافاً لها فبينما ترى أرضاً مستوية، منبسطة، وإذا بمرتفع يُخلّ بهذا الانبساط، ويُفسد هذا الاستواء، وهو ـ مما لا شك ـ يقلّل من فنيّة القصيدة، ويجعل الأخرى أفضل منها لخلوها من تلك العيوب.

(١٧)

قال أبو الفرج: وهذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسولُ الله (ص) من جيّد شعر قيس بن الخطيم، ومما أنشده نابغة بني ذُبْيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أجْله. ومطلع القصيدة:

أتعرف رسماً كاطّراد المذاهبِ لعمْرةَ وحشاً غير موقف راكبِ(١) (٨/٣)

(١٨)

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدثني أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال: قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيتِ عينٍ؛ فقيل له: هذا مالم يكن يدّعيه أحدٌ قطُّ سواك؛ فقال: لي اثنتا عشْرة ألف قصيدةٍ، لعنها اللهُ ولعن قائلها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ. (١٤٤/٣)

(١٩)

وأخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا عليّ بن مهْديّ عن أبي حاتم قال: قلتُ لأبي عُبيدة: أمرْوانُ عندك أشعرُ أم بشّار؟ فقال: حكم بشارٌ لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيتٍ جيِّد، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهلية والإسلام هذا العدد، وما أحسبهم برّزُوا في مثلها، ومرْوانُ أمدحُ للملوك. (١٤٤/٣)

(٢٠)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثنا أبو العوازلِ زكريا بن هارون قال: قال بشار: لي اثنا عشر ألفَ بيت جيّدةً؛ فقيل له: كيف؟ قال: لي اثنتا عشرةَ ألفَ قصيدةٍ، أما في كلِّ قصيدة منها بيتٌ جيِّد!. (١٤٤/٣)

(٢١)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهْديّ الكِسْرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال: كان بشارٌ كثير الوُلُوع بديْسم العنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يكثر هجاءه، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّار؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

أديْسمُ يابنَ الذئبِ من نجْلِ زارعٍ أترْوي هجائي سادراً غير مُقْصِرِ(٢)

---

(١) الاطّراد: التتابع، والمذاهب: واحدها مُذهب وهو جلد تُجعل فيه خطوط مذهّبة بعضها في أثر بعض.

(٢) السادر: الذي لا يهتمّ لشيء، ولا يبالي ما صنع.

قال أبو حاتم: فأنشدتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُه ما يقولُ فيه، فقال: لِمنْ هذا الشعرُ؟ فقلتُ: لبشار (يقوله) في ديْسم العنزيّ؛ فقال: قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب! ثم قال: الدَّيسمُ: ولد الذئب من الكلبةِ، ويقال للكلاب: أولادُ زارعٍ. والعسْبارُ: ولدُ الضَّبعُ من الذئب. والسِّمْعُ: ولدُ الذئب من الضَّبع. وتزعُم العربُ أن السِّمعَ لا يموتُ حتفَ أنفه، وأنه أسرعُ من الريح وإنما هلاكُه بعرض من أعراض الدنيا. (١٥١/٣)

(٢٢)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال أنشد بشارٌ قول الشاعر:

وقد جعل الأعداءُ ينتقصُوننا ... وتطمعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنما ليلى عصا خيزرانةٍ ... إذا غمزُوها بالأكفِّ تلينُ

فقال: والله لو زعم أنها عصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ، لقد كان جعلها جافيةً خشنةً بعد أن جعلها عصاً! ألا قال كما قلتُ:

ودَعْجاءِ المحاجرِ من معدٍّ ... كأنَّ حديثها ثمرُ الجِنانِ
إذا قامت لمشيتها تثنَّتْ ... كأنَّ عظامها من خيْزرانِ (١٥٤/٣)

(٢٣)

قال محمد بن يحيى: فحدّثني الفضلُ بن الحُباب قال سمعتُ أبا عثمان المازنيّ يقول سمعتُ أبا عبيدة يقول: ميميّةُ بشارٍ هذه أحب إليَّ من ميميَّتَيْ جريرٍ والفرزدق. (١٥٨/٣)

(٢٤)

قال محمد: وحدَّثني ابن الرياش قال حدَّثني أبي قال: قال الأصمعي قلت لبشار: يا أبا مُعاذ، إنَّ الناسَ يَعْجبون من أبياتك في المَشُورة؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إنَّ المشاور بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأ يشاركُ مكروهه؛ فقلت له: أنتَ واللهِ في قولك هذا أشعر منك في شعرك. (١٥٨/٣)

(٢٥)

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُليل العنزيّ قال حدَّثني عبد الرحمٰن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيَّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال: كان بشّار منقطعاً إليَّ وإلى إخوتي فكان يغْشانا كثيراً. ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبد الله فخرج معه عدَّةٌ منّا،

فلما قُتلَ إبراهيمُ توارينا، وحبس المنصورُ منّا عدةً من إخوتي، فلما ولي المهديُّ أمّنَ الناسَ جميعاً وأطلقَ المحبوسين، فقدمتُ بغدادَ أنا وإخوتي نلتمسُ أماناً من المهديّ، وكان الشعراءُ يجلسون بالليل في مسجد الرُّصافة(١) يُنشدونَ ويتحدّثون، فلم أطْلِعْ بشّارا على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمانَ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فصحتُ به: يا أبا مُعاذٍ من الذي يقول:

أحبُّ الخاتم الأحمـ ـر مِنْ حُبِّ مواليهِ

فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صِحْتُ: يا أبا مُعاذٍ من الذي يقول:

إنَّ سلْمى خُلقتْ من قصبٍ قصبِ السكر لا عَظْمِ الجملْ
وإذا أدنيتَ منها بصلاً غلبَ المسكُ على ريح البصلْ

فغضب وصاح: من الذي يُقرِّعُنا بأشياء كنا نعبثُ بها في الحداثةِ فهو يُعيِّرنا بها! فتركتهُ ساعةً ثم صحتُ به: يا أبا مُعاذٍ من الذي يقول:

أخْشابُ حقّاً أنَّ داركِ تَزْعَجُ وأنَّ الذي بيني وبينك يَنْهجُ(٢)

فقال ويْحك! عن مثلِ هذا فسلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيِّدِ شعره، وفيه غناءٌ. (١٧٩/٣)

(٢٦)

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العنزيُّ قال حدّثنا أحمد بن خلّادٍ عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثنا أحمد بن خلّاد عن الأصمعيّ قال: كنتُ أشهدُ خلفَ بن أبي عمرو بن العلاء وخلفاً الأحمر يأتيان بشّارا ويُسلِّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا مُعاذٍ، ما أحْدَثْتَ؟ فيخبرُهما ويُنشدهما ويسألانه ويكتُبان عنه متُواضعين له حتى يأتي وقتُ الظهر ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوما فقالا له: ما هذه القصيدةُ التي أحدثْتها في سلْمٍ بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتْكُما! قالا: بلغنا أنك أكثرتَ فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أنَّ سلْماً يتباصرُ بالغريب(٣) فأحببتُ أن أوردَ عليه مالا يعرفُه؛ قالا: فأنشدناها، فأنشدهُما:

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجيرِ إنَّ ذاكَ النجاحَ في التّكبيرِ

---

(١) الرّصافة: هي رصافة بغداد بالجانب الشرقي من دجلة.

(٢) ينهج: يبلى. (٣) يتباصر بالغريب: يُظهر أنّه بصير به.

حتى فرغ منها؛ فقال له خلفٌ: لو قلتَ يا أبا مُعاذ مكان «إن ذاك النجاح»:

بكِّرا فالنجاحُ في التبكيرِ

كان أحسن؛ فقال بشّار: بنيتُها أعرابيةً وحشيَّةً، فقلتُ: «إنَّ ذاكَ النجاحَ» كما يقول الأعرابُ البدويُّون، ولو قلتُ: «بكِّرا فالنجاحُ» كان هذا من كلام المولَّدينَ ولا يُشبه ذلك الكلامَ ولا يدخلُ في معنى القصيدة؛ فقام خلفٌ فقبَّل بين عينيه؛ وقال له خلفُ بنُ أبي عمرو يُمازحُه: لو كان عُلاثةُ[1] ولدكَ يا أبا مُعاذ لفعلتُ كما فعل أخي، ولكنَّك مولىً، فمدَّ بشارٌ يده فضرب بها فخذ خلفٍ وقال:

ارْفُقْ بعمروٍ إذا حرَّكْتَ نسبته ... فـإنه عـربيٌّ مـن قـوارير

فقال له: أفعلتها يا أبا معاذ! قال: وكان أبو عمرو يُغْمزُ في نسبه. (١٨٩/٣)

(٢٧)

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيَّ عن أبيه قال: قال مروان لبشّار لما أنشده هذا البيتَ:

وإذا قلـتُ لهـا جُـودي لنا ... خرجتْ بالصَّمت من لا ونعَمْ

جعلني الله فداك يا أبا معاذ! هلاّ قلتَ: «خرستْ بالصَّمْت»؛ قال: إذاً أنا في عقلك فضَّ الله فاك! أأتطيّر على مَنْ أحبُّ بالخرس! (٢٠٢/٣)

(٢٨)

أخبرني الحسنُ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال حدّثني الفضلُ بن يعقوب قال: كنّا عند جاريةٍ لبعض التُّجارِ بالكرْخِ تُغنّينا، وبشّارٌ عندنا، فغنَّتْ في قوله:

إنَّ الخليـفــة قـد أبـى ... وإذا أبـى شـيـئـاً أبيـتُهْ
ومُخـضَّبٍ رخْصِ البنــا ... نِ بكـى عليَّ ومـا بكيـتُهْ
يا منْظـراً حسـناً رأيـ ... ـتُ بوجـهِ جـاريةٍ فـديتُه
بعثـتْ إلـيَّ تسـومُني ... ثوبَ الشَّبـابِ وقـد طويتُهْ

فطربَ بشّار وقال: هذا والله يا أبا عبد الله أحسنُ من سُورةِ الحشْر!. وقد روى هذه الكلمة عن بشّار غيرُ مَنْ ذكرتُه فقال عنه: إنه قال: هي والله أحسنُ من سورة الحشر. الغناءُ في هذه الأبيات. وتمامُ الشعر:

---

(١) علاثة: يريد أنّه لو كان عربياً لقبله كما يدلّ على ذلك السياق، ويظهر أنّه لا يريد بعلاثة اسماً بعينه، ولكنّه أتى بهذا الاسم لأنّه خاصّ بالعرب.

وأنــا المطــلُ على العــدا ... وإذا غلا الحمدُ اشتريتُهْ
وأمــيلُ فــي أنس النَّديــ ... ـم من الحياء وما اشتهيتُهْ
ويشــوقُني بيتُ الحبــيـ ... ـب إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ
حــالَ الخليفــةُ دونــه ... فصبرتُ عنه وما قليتُهْ

وأنشدني أبو دُلف هاشمُ بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنَّ الجاحظ أخبره أن المهدي نهى بشّارا عن الغزل وأن يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد يُنشدها ويستحسنها ويُعْجَبُ بها. (٢١١/٣)

(٢٩)

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شبيب أيضاً قال حدّثني صديقٌ لي قال: قلتُ لبشّار: كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي:

هوى صاحبي ريحُ الشَّمالِ إذا جرتْ ... وأشْــفى لنفسي أن تهبَّ جَنُوبُ
ومــا ذاك إلا أنهــا حــين تنتهي ... تناهى وفيهــا من عُبيدة طيبُ

فطرب وقال: هذا والله أحسن من فَلَج(١) يوم القيامة(٢). (٢١٥/٣)

(٣٠)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ عن محمد بن سلاّم عن بعض أصحابه قال: حضرنا جنازةَ ابنٍ لبشّارٍ تُوفّيَ، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً، وجعلنا نعزِّيه ونُسلّيه فما يُغْني ذلك شيئاً، ثم التفت إلينا وقال: لله درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزِّيَ بسوادة ابنه:

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
ودَّعتني حين كفَّ الدَّهرُ من بصري ... وحين صرتُ كَعَظْم الرِّمة البالي
أودى سوادةُ يجْلُو مُقلتي لَحِمٍ ... بازٍ يُصرصِرُ فوقَ المربأ العالي(٣)

---

(١) الفَلَج: الفوز والظَّفَر. (٢) من المعروف عن بشّار أنّه كان رقيق الدين، فلا نستغرب منه هذا الأقوال التي يأتي فيها على ذكر واحدة من سور القرآن الكريم، أو النعيم الذي أعُدّ للمتقين يوم القيامة، فكأنّه أراد أن يبلغ الغاية في وصف جودة هذه الأبيات فلم يجد غير ما قال، وكانت له فسحة في غيرهما للتعبير عن استحسانه. (٣) لَحِم: صفة لباز مقدّمة عليه، يقال: بازٌ لَحِمٌ أي يأكل اللحْم أو يشتهيه، ويصرصر: يصوّت، والمربأ: مكان البازي الذي يقف فيه.

إلاّ تكُــنْ لـكَ بالدَّيْريــن نائحــــةٌ   فــرُبَّ نائحــةٍ بالرَّمــــل معْـــوالِ[١] (٣/٢٢٠)

(٣١)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال: قال مروانُ بن أبي حفْصة: قدمتُ البصرة فأنشدتُ بشارا قصيدةً واستنصحتُه فيها؛ فقال لي: ما أجودها! تقْدَمُ بغداد فتُعطى عليها عشرةَ آلاف درهم؛ فجزعتُ من ذلك وقلتُ: قتلتني! فقال: هو ما أقول لك؛ وقدمتُ بغداد فأعطيتُ عليها عشرة آلاف درهم، ثم قدمتُ عليه قدْمةً أخرى فأنشدتُه قصيدتي: طرقتك زائرةٌ فحيِّ خيالها

فقال: تُعطى عليها مائة ألف درهم؛ فقدمتُ فأعطيتُ مائة ألف درهم، فعُدتُ إلى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين، وقلت له: ما رأيتُ أعجبَ من حدْسك! فقال: يا بُنيّ، أما علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمِّكَ![٢]. أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا يزيدُ بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيينة عن مروان أنه قدِمَ على بشّار فأنشده قوله: طرقتك زائرةٌ فحيِّ خيالها

فقال له يُعطونك عليها عشرة آلاف درهم، ثم قدم عليه فأنشده قوله:

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ   لبني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

فقال: يُعطونك عليها مائة ألف درهم، وذكر باقي الخبر مثل الذي قبله. (٣/٢٢١)

(٣٢)

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: زعم أبو دعامة أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشّاراً فقال له: يا أبا مُعاذ، أنشدكَ شِعْراً حسناً؟ فقال: ما أسرَّني بذلك، فأنشده:

أعــاذلتيَّ اليــومَ ويلكُمــا مــهْـلا   فما جزعاً مِ الآنَ أبكي ولا جهْلا

فلما فرغ منها قال له بشّار: أحسنت، ثم أنشده على رويّها ووزنها:

لقـد كـاد مـا أخْفي من الوجْدِ والهوى   يكــون جــوًى بين الجــوانحِ أو خبْلا

إذا قــال مـــهــلاً ذو القــرابة زادني   ولُوعــاً بذكــراها ووجْداً بهــا مـــهْلا

---

(١) الدَّيرين: اسم موضع. (٢) ليست القضية، قضية علم بالغيب. فالله وحده علاّم الغيوب، ولكنّه البَصَر بالشعر، ومعرفة الجيد والرديء منه، من جهة، والخبرة بمواقع المديح وما يستحسنه الممدوحون في ذلك الوقت من جهة أخرى. هذا كلّه هو الذي جعل ما ذهب إليه بشار صائباً صحيحاً.

فـلا يـحـسـبِ البـيـضُ الأوانسُ أنّ في فـؤادي سـوى سُعْدى لغـانيـةٍ فـضْلا
فـأقسِمُ إن كـان الـهـوى غيـر بالـغٍ بيَ القَتْلَ من سُعدى لقد جاوز القتلا
فـيـا صـاح خـبِّرني الذي أنت صـانـعٌ بقـاتلتي ظلْماً ومـا طلبـتْ ذحْلا(١)
سـوى أنّني في الحبِّ بيني وبينهـا شـددْتُ على أكظـامِ سـرٍ لهـا قُفْلا(٢)

فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ: يا أبا مُعاذ، قد والله أجدْتَ وبالغتَ، فلو تفضلْتَ بأن تُعيدها! فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرّة الأولى، فتوهَّمتُ أنه قالها في تلك الساعة. (٣/٢٢٦)

(٣٣)

قال يحيى بن علي وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه:

يُزهّدني في حبِّ عـبـدةَ مـعـشـرٌ قلوبُهُمُ فـيـهـا مـخـالفـةُ قلبي
فقلت دعوا قلبي ومـا اختـار وارتضى فـبالقلب لا بالعين يُبصر ذو الحبِّ
فـمـا تُبـصـر العينان في مـوضع الهـوى ولا تسمع الأذنان إلاّ من القلبِ
ومـا الحسنُ إلاّ كلُّ حـسـنٍ دعـا الصِّبـا وألَّف بين العشق والعاشق الصَّبِّ

(٣/٢٣٨)

(٣٤)

قال بشار: تلاعبُ تيّـار البحـور وربّمـا رأيت نفوس القوم من جَرْيها تجري
وكان قال: «نينان البحور» فعابه بذلك سيبويه فجعله «تيَّار البحور». (٣/٢٤٢)

(٣٥)

قال أبو عبيدة:... وقصيدة الحُويدرة: (بكرتْ سُمَيَّةُ غُدوة فتمتَّعي) من مختار الشعر، أصمعيّة مفضليّة. (٣/٢٧١)

(٣٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحزنْبل قال قال لي محمد بن صالح بن النُّطاح: كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مسكنه

---

(١) الذَّحل: الثأر. (٢) أكظام: جمع كَظَم: وهو مخرج النَّفَس.

بقُباء، وكان يقْدم على المهديّ فيمدحه، فقدم عليه فأنشده قوله:

سلا دارَ ليلى هل تُبين فتنْطقُ   وأنّى تردُّ القولَ بيداءُ سملقُ(١)
وأنى تردُّ القولَ دارٌ كأنها   لطولِ بلاها والتقادم مُهْرَقُ(٢)
وقال خليلي والبكا لي غالبٌ   أفاض عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجّةٍ   من الدمع يبدو تارةً ثم يغْرَقُ

يقول فيها:

إلى القائم المهديّ أعملتُ ناقتي   بكل فلاةٍ آلُها يترقرقُ(٣)
إذا غال منها الركبَ صحراء برّحت   بهم بعدها في السير صحراء دردقُ(٤)
رميتُ قراها بين يوم وليلة   بفتلاء لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مرفقُ(٥)
مُزمِّرةُ سقْباً كأن زمامها   بجرداء من عُمِّ الصنّوْبر مُعْلَقُ(٦)
موكَّلةً بالفادحات كأنها   وقد جعلت منها الثَّميلةُ تخلُقُ(٧)
بقيّ الملا هيْقٌ أمام رئاله   أصمُّ هِجفٌّ أقرعُ الرأس نقْنقُ(٨)
تراها إذا استعجلتها وكأنها   على الأيْن يعروها من الرَّوْع أوْلقُ(٩)
موركةً أرضَ العُذَيْبِ وقد بدا   فسُرَّ به للآئبين الخورنقُ(١٠)

فاستحسنها المهديّ وأجزل صلته. (٢٨٦/٣)

---

(١) السملق: القاع المستوي الأملس الذي لا شجر فيه.

(٢) المهرق: الصحيفة، ومن عادة العرب تشبيه الديار والمنازل إذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة.

(٣) آلها: سرابها. (٤) يقال غالت الأرض السابلة أي قذفت بهم وأبعدتهم، والدردق: الطريق، والصفّ من النّخل، وهذه المعاني لا تتّفق والمعنى المراد، ولعلّها (فيهق) أي واسعة.

(٥) القرا: الظهر، ويقال: ناقة فتلاء إذا كان في ذراعيها فتَل وهو تباعدهما عن الجنبين كأنّهما فتلتا عنهما.

(٦) مزمِّرة: لعلّه مضعّف من زمْر الظليم إذا صوّت، والسقب: الطويل من كلّ شيء، والعُمّ: النخل الطوال، واستعير هنا لطول شجر الصنوبر.

(٧) الثميلة: ما يبقى في بطن الدّابة من العلق والماء، وما يدّخره الإنسان من طعام وغيره.

(٨) القيّ: القفر، والهيق: الظليم، والرئال: أفراخ النعام واحدها رأل، والهجفّ: الظليم المسنّ، وقيل الجافي الثقيل من النعام، والنقنق: الظليم.

(٩) الأولق: الجنون، ويريد به شدّة السرعة.

(١٠) موركّة: مجاوزة، والعُذيب: ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال، والخورنق: قصر بالحيرة.

(٢٧)

قال الحزنَبل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

حَيِّ المنزل قد بلينا ... أقوينَ عن مرِّ السِّنينا(١)
وسلِ الدِّيار لعلَّها ... تُخْبِرك عن أمِّ البنينا
بانت وكلُّ قرينةٍ ... يوماً مفارقةٌ قرينا
وأخو الحياة من الحيا ... ةِ مُعالجٌ غلظاً ولينا
وتريب المُوكَّل بالغُوا ... ني راكباً أبداً فنونا
ومن البليَّة أن تُدا ... ن بما كرهتَ ولن تدينا
والمرءُ تُحرم نفسه ... مالا يزال به حزينا
وتراه يجمع ماله ... جمع الحريص لوارثينا
يسعى بأفضل سعيه ... فيصيرُ ذاك لقاعدينا
لم يُعطِ ذا النَّسب القريـ ... ـب ولم يجُدْ للابعدينا
قد حلَّ منزله الذميـ ... ـمَ وفارق المتنصِّحينا(٢) (٢٩٧/٣)

(٢٨)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشي قال: سمعتُ الأصمعيّ يستحسنُ قولَ أبي العتاهية:

أنت ما استغنيتَ عن صا ... حبكَ الدهرَ أخوه
فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجَّك فُوه (١١/٤)

(٢٩)

أخبرني عيسى بن الحسن الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: قال سليمان بن أبي شيْخ قال إبراهيم بن أبي شيْخ قلت لأبي العتاهية أيُّ شعرٍ قلته أحْكم؟ قال قولي:

علمتَ يا مُجاشعُ بنَ مسْعدهْ ... أنَّ الشَّباب والفراغَ والجِدَهْ
مفسدةٌ للمرء أيُّ مفْسدهْ (١٩/٤)

---

(١) أقوين: أقفرن.

(٢) التنصّح: كثرة النصح

(٤٠)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهْديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال: اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ؛ فقال له مُسلم: والله لو كنتُ أرضى أن أقول مثل قولك:

الحمدُ والنعمةُ لك والملكُ لا شريكَ لكْ
لبَّيك إنَّ الملْكَ لكْ

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت، ولكنّي أقول:

مُوفٍ على مُهَجٍ في يوم ذي رَهَجٍ كأنّه أجل يسعى إلى أمل(١)
ينال بالرفق ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوف نُفوس الناكثين به ويجعلُ الهام تيجانَ القنا الذُّبُل
لله من هاشم في أرضه جبل وأنت وابنُك رُكْنا ذلك الجبل

فقال له أبو العتاهية: قُلْ مثلَ قولي: الحمدُ والنِّعْمة لك

أقُلْ مثل قولك: كأنّه أجلٌ يسعى إلى أمل. (٢٧/٤)

(٤١)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا مهْديّ بن سابق قال: قال بشّار لأبي العتاهية: أنا والله أسْتحْسِنُ اعتذارك من دمْعك حيث تقول:

كم من صديقٍ لي أسا رِقُه البُكاءَ من الحياءِ
فإذا تأمَّلَ لامني فأقول ما بي مِنْ بُكاء
لكن ذهبتُ لأرتدي فطرفتُ عيني بالرِّداء

فقال له أبو العتاهية: لا والله يا أبا مُعاذ، ما لُذتُ إلاَّ بمعناكَ ولا اجْتنيتُ إلا من غرْسك حيث تقول:

شكوتُ إلى الغواني ما ألاقي وقلتُ لهنَّ ما يومي بعيدُ
فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنَّ كلا وقد يبكي من الشَّوق الجليدُ(٢)
ولكنّي أصاب سوادَ عيني عُوَيْدُ قذىً له طرَفٌ حديدُ

---

(١) في يوم ذي رهج: أي في يوم ذي غبار من الحرب. (٢) الجليد: المتجلّد الصابر.

فقلْن فمـــا لدمْعهمـــا ســـواءٌ أكِـلْتا مُقْلتيْك أصـــاب عــُـودُ (٤/٢٨)

(٤٢)

حدّثنا ابن عمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خلف قال حدّثني أبي قال: حُدّثتُ أنْ المهديّ جلس للشعراء يوماً، فأذنَ لهم وفيهم بشّار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظّمه، وغيرُ هذين، وكان في القوم أبو العتاهية، قال أشجع: فلمّا سمع بشار كلامه قال: يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفيّ المُلقّب؟ قلت نعم. قال: لا جزى الله خيراً منْ جمعنا معه، ثم قال له المهديّ: أنشد! فقال: ويحك! أويبدأ فيُستنشد أيضاً قبلنا؟! فقلتُ: قد ترى، فأنشد:

ألا مـــا لســيّدتي مـــا لهـــا أدلاً فـــأحـــمِـلَ إدْلالهـــا
وإلاّ فـــفـــيم تجـــنّتْ ومـــا جنيتُ ســقى الله أطلالهـــا
ألا إنّ جـــاريـــةً للإمـــا م قــد أسكن الحبُّ سِرْبالهـــا
مــشتْ بين حُورٍ قــصــار الخُطا تُجـاذب في المشْـيِ أكفـالها
وقــد أتعب اللهُ نفــسي بهـــا وأتعـــب باللّـــوْم عُـــذّالهـــا

قال أشجع: فقال لي بشّار: ويْحك يا أخا سلَيم! ما أدري من أيّ أمْريْه أعجب: أمنْ ضعْف شعْرِه، أم من تشْبيبه بجارية الخليفة، يسمع ذلك بأذنه! حتى أتى على قوله:

أتتْه الخـلافــةُ منقــادةً إليــه تُجــرّرُ أذيالهـــا
ولم تكُ تصلـحُ إلاّ لـــه ولم يك يصلحُ إلاّ لهـــا
ولو رامهـا أحدٌ غيرُه لزُلزلَتْ الأرضُ زلزالها
ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوب لما قبل اللهُ أعمالها(١)
وإنّ الخليفة من بُغض لا إليه ليُبْغِض مــن قالها

قال أشجع: فقال لي بشّار وقد اهتزّ طربا: ويحك يا أخا سليم! أترى الخليفة لم يطِرْ عن فرْشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفيّ؟ (٤/٣٣)

(٤٣)

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني ابن مهْرويه قال حدّثني العبّاس بن ميمون قال حدّثني رجاء بن سلمة قال: سمعتُ أبا العتاهية يقول: قرأتُ البارحة (عمّ يتساءلون)، ثم قلتُ قصيدة أحسن منها، قال: وقد قيل: إنّ منصور بن عمّار شنّع عليه بهذا. (٤/٣٤)

---

(١) بنات القلوب: هي النّيات.

أخبرني أبو دُلف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ؛ إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة(١) التي سمّاها «ذات الأمثال»؛ فأخذ بعضُ مَنْ حضر يُنشدها حتى أتى على قوله:

يا للشَّبابِ المرح التَّصابي   روائحُ الجنَّة في الشَّباب

فقال الجاحظ للمُنْشد: قِفْ، ثم قال: انظروا إلى قوله: «روائح الجنَّة في الشَّباب» فإنَّ له معنىً كمعنى الطَّرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوبُ، وتعجز عن ترجمته الألسنةُ إلاَّ بعد التطويل وإدامة التفكير. وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه. وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية، ويقال: إن (له) فيها أربعة آلاف مثل. منها قوله:

حسبُك ممَّا تبْتغيه القوتُ   ما أكثرَ القُوتَ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكفافا   من اتقى الله رجا وخافا
هي المقاديرُ فلُمْني أو فذَرْ   إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القدرْ
لكلِّ ما يُؤذي وإن قلَّ ألمْ   ما أطولَ اللَّيلَ على مَن لم ينم
ما انتفع المرءُ بمثلِ عقْله   وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فعْله
إنَّ الفسادَ ضدُّهُ الصَّلاحُ   وربُّ جِدٍّ جرَّه المِزاحُ
من جعل النَّمامَ عيناً هلكا   مُبْلغُك الشرُّ كباغيه لكا
إنَّ الشَّبابَ والفراغ والجده   مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدهْ
يُغْنيك عن كلِّ قبيحٍ تركُهُ   يرتهن الرأيَ الأصيلَ شكُّهُ
ما عيشُ مَنْ آفتُه بقاؤهُ   نغَّص عيشاً كلَّه فناؤهُ
يا ربَّ مَنْ أسخطنا بجهْده   قد سرَّنا اللهُ بغيرِ حمده
ما تطلعُ الشمسُ ولا تغيبُ   إلاَّ لأمرٍ شأنُهُ عجيبُ
لكلِّ شيءٍ معْدنٌ وجوهرُ   وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ
مَنْ لك بالمحْضِ وكلٌّ مُمتزجْ   وساوسَ في الصَّدر منه تعتلجْ

---

(١) المزدوج في الشعر هو «ما أتى على قافيتين إلى آخر القصيدة، وأكثر ما يأتي على وزن الرجز». ينظر البرهان في وجوه البيان (ص ١٦١)، ويشير ابن رشيق إلى أنَّ «بشار بن برد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر». ينظر العمدة (١/ ٢٣٨)، طبعة قرقزان. كأنَّه يجد فيه ضعفاً، وهبوطاً عن القصيد.

وكلُّ شـيءٍ لاحقٌ بجـوهـره أصـغـرُه مُتَّصـلٌ بأكـبـرهْ
ما زالت الدنيـا لنا دار أذى ممزوجةَ الصَّفو بألوان القذى
الخـيـرُ والشـرُّ بهـا أزواجُ لـذا نتـاجٌ ولـذا نتـاجُ
مَنْ لك بالمحْض وليس مـحْضُ يخـبُث بعـضٌ ويطيب بعضُ
لكـلِّ إنسـانٍ طبـيـعـتـان خـيـرٌ وشـرٌّ وهمـا ضـدأن
إنك لو تستنشق الشَّحـيحـا وجـدتـه أنتن شـيءٍ ريحـا
والخـيـرُ والشـرُّ إذا مـا عُدَّا بينهـمـا بـوْنٌ بعـيـدٌ جـداً
عـجبتُ حتى غمَّني السكوتُ صِرْتُ كـأنّي حـائرٌ مـبـهوتُ
كذا قضى اللهُ فكـيف أصنعُ الصمتُ إن ضـاقَ الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جداً، وإنما ذكرتُ هذا القدر منها حسب ما استاقَ الكلامُ من صفتها. (٣٦/٤)

(٤٥)

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو عليّ اليقطيني قال حدّثني أبو خارجة بنُ مسلم قال: قال مسلم بن الوليد: كنت مُسْتخِفّاً بشعر أبي العتاهية، فلقيني يوماً فسألني أن أصير إليه، فصرت إليه فجاءني بلونٍ واحد فأكلناه، وأحضرني تمرا فأكلناه، وجلسنا نتحدّث، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل، وسألته أن يُنْشدني؛ فأنشدني قوله:

باللـه يا قُـرَّةَ العينينِ زُوريني قبل المماتِ وإلاَّ فاستْزيريني
إنّي لأعـجبُ مـن حُبٍّ يُقـرِّبني ممن يُباعدني منه ويُقصيني
أمَّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو أطمعتني في قليلٍ كان يكفيني

ثم أنشدني أيضاً:

رأيتُ الهوى جمر الغضى غير أنَّه على حرِّهِ في صدر صاحبه حُلْوُ
أخِلاَّيَ بي شجْوٌ وليس بكم شـجوُ وكلُّ امرئٍ عن شـجو صاحبه خِلْوُ
ومـا من مُـحـبٍّ نال ممـن يُحـبُّه هوىً صـادقـاً إلاَّ سـيـدخلُه زهْوُ
بليتُ وكـان المـزْحُ بـدءَ بليّتي فـأحـببتُ حـقّاً والبـلاءُ له بَدْوُ
رأيتُ الهوى جمر الغضى غير أنَّه على كل حـالٍ عند صـاحبه حُلْوُ

قال مسلم: ثم أنشدني أبو العتاهية:

خليليَّ مـالي لا تـزال مضـرّتي تكون على الأقدار حتْماً من الحتْمِ
يُصاب فؤادي حين أرْمي ورمْيتي تعودُ إلى نحري ويسْلَمُ من أرْمي

صبرتُ ولا واللهِ ما بي جلادةٌ على الصبر لكنّي صبرتُ على رغمي
ألا في سبيل الله جسمي وقوّتي ألا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمي
تُعدُّ عظامي واحداً بعد واحدٍ بمنحىً من العُذَّال عَظْماً على عظم
كفاك بحقِّ الله ما قد ظلمتني فهذا مقام المستجير من الظُّلْم

قال مسلم: فقلت له: لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسن أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا! فقال: يابن أخي، لا تقولنّ مثل هذا؛ فإنّ الشعر أيضاً من بعض مصايد الدنيا. (٤١/٤)

(٤٦)

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال: اجتمعت الشعراء على باب الرشيد، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية:

يا مَنْ تبغّى زمناً صالحاً صلاحُ هارونَ صلاحُ الزمن(١)
كلُّ لسانٍ هو في مُلْكه بالشكر في إحسانه مُرْتهنْ

قال: فاهتز له الرشيد؛ وقال له: أحسنتَ والله! وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بصلة غيره. (٤٢/٤)

(٤٧)

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أحمد الأزديّ قال: قال لي أبو العتاهية: لم أقل شيئاً قطُّ أحبُّ إليَّ من هذين البيتين (في) معناهما:

ليت شعري فإنّني لستُ أدري أيُّ يومٍ يكون آخرِ عُمْري
وبأيِّ البلاد يُقبض رُوحي وبأيِّ البقاعِ يُحْفر قبري (٤٦/٤)

(٤٨)

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا خليل بن أسد قال حدّثني أبو سلمة الباذغيسيّ قال: قلتُ لأبي العتاهية: في أيِّ شعر أنت أشعرُ؟ قال: قولي:

---

(١) تبغّى: تطلّب.

الناسُ في غفلاتهمْ ورحا المنيَّةِ تطْحَنُ (٥١/٤)

(٤٩)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: قال حدّثني علي بن مهْديّ قال حدّثني الجاحظ عن ثُمامة قال: دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده:

ما أحسنَ الدنيا وإقبالها إذا أطاع اللهَ مَنْ نالها
مَنْ لم يُواس الناسَ من فضلها عَرَّضَ للإدبار إقبالها

فقال له المأمون: ما أجود البيتَ الأول! فأما الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً، الدنيا تُدبر عمن واسى منها أو ضنَّ بها، وإنَّما يُوجب السماحةُ بها الأجر، والضنُّ بها الوِزْرَ. فقال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أوْلى بالفضلِ، وأهلُ النقص أولى بالنقص. فقال المأمون: ادْفَعْ إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحق. فلمَّا كان بعد أيام عاد فأنشده:

كم غافلٍ أوْدى به الموتُ لم يأخُذ الأهبة للفوْتِ
مَنْ لم تزلْ نعمتُه قبله زال عن النعمة بالموتِ

فقال له: أحسنتَ، الآن طيَّبْتَ المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم. (٥٢/٤)

(٥٠)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حفص قال: أنشدني هارون بن مُخلَّد الرازيّ لأبي العتاهية:

ما إن يطيبُ لذي الرعاية للـ أيَّام لا لعبٌ ولا لهْوُ
إذ كان يطْرب من مسرَّته فيموت من أجزائه جُزو

فقلت: ما أحسنهما! فقال: أهكذا تقول! والله لهما رُوحانيان يطيران بين السماء والأرض.

(٥٦/٤)

(٥١)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهْرويه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجزريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال: كانت مرْتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار المأمون، فقال الفضل لأبي العتاهية: يا أبا إسحاق، ما أحسن بيتين لك وأصدقهما! قال: وما هما؟ قال: قولك:

ما النَّاسُ إلا للكثير المالِ أو لمُسلَّطٍ ما دام في سُلْطانه

فـإذا الزمـانُ رمـاهمـا ببليَّـةٍ كـان الثِّقـاتُ هناك من أعـوانه

يعني: من أعوان الزمان. قال: وإنَّما تمثَّل الفضلُ بن الرَّبيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمونَ وتقدُّمِ غيره، وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه. (٦٢/٤)

(٥٢)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المُبرِّد قال حدّثني عبدالصمد بن المُعذَّل قال: سمعتُ الأمير عليّ بن عيسى بن جعفر يقول: كنت صبياً في دار الرشيد، فرأيت شيخاً يُنشد والناسُ حوله:

ليس للإنسـان إلا مـا رُزِقْ أسـتـعينُ الـلـه بالـلـه أثِقْ
علـقَ الـهـمُّ بقلبي كلُّـه وإذا مـا علق الهمّ علِقْ
بأبي مَنْ كـان لي من قلبه مـرّةً وُدٌّ قليـلٌ فسُـرِقْ
يابني الإسـلام فيكم ملكٌ جامعُ الإسـلام عنه يفترِقْ
لندى هـارونَ فـيكم ولـهُ فـيكم صـوْبٌ هطُولٌ وورِقْ
لم يزلْ هـارونُ خـيـراً كـلّه قُتِلَ الشّـرُّ بـه يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين: أما ترى إعجاب الناس بشعْرِ هذا الرجل؟ فقال: يابُنيّ، إنّ الأعناقَ لتُقْطع دون هذا الطبع. قال: ثم كان الشيخ أبا العتاهية والذي سأله إبراهيم بن المهديّ. (٦٨/٤)

(٥٣)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال: أتيتُ أبا العتاهية فقلت له: إنّي رجلٌ أقول الشعر في الزُّهد، ولي فيه أشعارٌ كثيرة، وهو مذهب أستحسنه؛ لأني أرجو ألاّ آثمَ فيه وسمعت شعرك في هذا المعنى فأحببت أن أستزيد منه، فأحبُّ أن تُنشدني من جيِّد ما قلت؛ فقال: اعلمْ أنّ ماقلتُه رديء. قلت: وكيف؟ قال: لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هرْمة(١)، فإن لم يكن كذلك

(١) كأنّ أبا العتاهية ينطق هنا بلسان الأصمعي في قولته المشهورة: «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لانَ، ألا ترى أنّ حسّان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلمّا دخل شعره في باب الخير .. لان شعره، وطريق الشعر هو طريق الفحول، مثل امرئ القيس، وزهير .. من صفات الدِّيار والرحل والهجاء .. فإذا أدخلته في باب الخير لان». ينظر الموشّح (ص٨٥)، وأمالي المرتضى (٢٦٩/١)، ولعلّ أبا العتاهية يصدر عن تجربته مع الشعر عامة، وشعر الزهد خاصة.

فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مما لا تخفى على جُمهور الناس مثل شعري، ولا سيما الأشعارُ التي في الزُّهد: فإن الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلَّاب الغريب، وهو مذهب أشْغفُ الناس به الزُّهادُ وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحاب الرِّياء والعامَّة، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهموه[1]. فقلت: صدقتَ ثم أنشدني قصيدته:

لِدُوا للمــوت وابْنُوا للخــراب ... فكلُّكُم يصــيــر إلى تبــاب[2]

ألا يا مــوتُ لـم أر منك بُـدًّا ... أتيتَ ومـا تَحيفُ ومـا تُحابي

كأنَّك قد هجمْتَ على مشـيبي ... كما هجم المشيبُ على شبابي

قال: فصِرتُ إلى أبي نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا؛ فقال: والله ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر. فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها:

طُولُ التَّعـاشـرُ بين النَّاس مملُولُ ... مـا لابنِ آدمَ إن فـتَّشْتَ مـعـقـولُ

يا راعيَ الشَّـاءِ لا تُغْفِلْ رعـايتها ... فأنت عن كلِّ ما استُرْعيتَ مسئول

إني لفي منزلٍ مـــا زلتُ أعـــمُره ... عـلى يقينٍ بـــأنِّي عـنه منقـــولُ

وليس من مــوْضعٍ يأتيـه ذو نفسٍ ... إلاَّ وللمـوتِ سـيفٌ فـيـه مـسْلولُ

لم يُشْغَل الموتُ عنَّا مـــذ أعدَّ لنا ... وكلُّنا عنه باللذَّات مـــشـــغـــولُ

ومَــنْ يمُتْ فـهـو مقْطـوعٌ ومُجْتَنبٌ ... والحيُّ مـا عـاش مغْشيٌّ وموْصـولُ

كُلُّ مـا بدا لك فـالاَ كـالُ فـانيـةٌ ... وكـــلُّ ذي أكـــلٍ لابُدَّ مـأكـــولُ

قال: ثم أنشدني عدَّة قصائد ما هي بدون هذه، فصرتُ إلى أبي نُواس فأخبرته؛ فتغيَّر لونه وقال: لِمَ خبَّرته بما قلتَ! قد والله أجاد! ولم يقُلْ فيه سوءا. (٤/٧٠)

(٥٤)

حدَّثني اليزيديُّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال: قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا: يا أبا إسحاق، شعرُك كلُّه حسنٌ عجيب، ولقد مرَّت بي منذُ أيام أبياتٌ لك استحسنتها جداً؛ وذلك أنها مقلوبةٌ أيضاً، فأواخرها كأنها رأسُها، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً

---

(١) يضع أبو العتاهية معالم في طريق الزهد يستمدّها من خبرته، وطول مراسه فيه، فهو يريده قريباً من الأفهام، بلا غريب أو توعّر، لكي يفهمه الناس، ويتأثرون به، ولأنّ طالبيه فئة معلومة ليست في الأصل من متعاطي الأدب، مثل الزّهاد، والفقهاء وغيرهم، فهم محتاجون إلى الفهم السريع، والاستجابة الآنية.

(٢) التباب: الهلاك.

والله لقد كان حسناً أرفع ما يكون شعرا. قال: وما هي؟ قلت:

المرءُ في تأخير مُدَّته ... كالثوب يخلُق بَعْد جدته
وحياتُه نفَسٌ يُعدُّ له ... ووفاتُه استكمالُ عدّته
ومصيرُه من بعد مُدَّته ... لبلىً وذا من بعد وُحْدته
مَنْ مات مالَ ذوو مودَّته ... عنه وحالوا عن مودّته
أزِفَ الرحيلُ ونحن في لعبٍ ... ما نستعدّ له بِعُدَّته
ولقلّما تُبْقي الخطوبُ على ... أثر الشّبابِ وحرِّ وقْدته
عجباً لمُنْتَبهٍ يُضيِّع ما ... يحتاج فيه ليوم رقدته (٨٢/٤)

(٥٥)

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى، حدّثنا زكريا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال: قلت لأبي العتاهية: أنشدني من شعرك ما تستحسن، فأنشدني:

ما أسرعَ الأيّامَ في الشّهرِ ... وأسرع الأشْهُرَ في العُمْرِ
ليس لمن ليستْ له حيلةٌ ... موجودةٌ خيرٌ من الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهر إذا ما خطا ... واجرِ مع الدهر كما يجري
مَنْ سابقَ الدهرَ كبا كبْوةً ... لم يستقلْها آخِرَ الدهر (٨٨/٤)

(٥٦)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النُّوفليّ قال حدَّثني سليمانُ بن عبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال: كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس؛ فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلني الله فداك! معكم شاعرٌ يُعْرفَ بابن أبي أميّةَ أحبُّ أن أسمعه يُنْشد؛ فقال له جعفر: هو أقربُ الناس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمد: وكان إلى جانبه، وسأله أن يُنْشِدَه، فكأنّه حصر ثم أنشده:

رُبَّ وعدٍ منك لا أنساه لي ... أوْجبَ الشكر وإن لم تفعلِ
أقطعُ الدهرَ بوعدٍ حسنٍ ... وأجلّي غمْرةً ما تنْجلي
كلَّما أمّلتُ وعداً صالحاً ... عرض المكروهُ دونَ الأمل
وأرى الأيّام لا تُدْني الذي ... أرْتجي منك وتُدْني أجلي

قال: فأقبل أبو العتاهية يُردِّد البيت الأخير ويُقبِّل رأس ابن أبي أميّة ويبكي، وقال: وددْتُ

والله أنّه لي بكثيرٍ من شعري. (٨٧/٤)

(٥٧)

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ناجيةُ بن عبد الواحد قال: قال لي أبو العبّاس الخُزَيْميّ: كان أبو العتاهية خلِفاً(١) في الشعر، بينما هو يقول في موسى الهادي:

لهْفي على الزمن القصير ... بين الخورنق والسدير

إذ قال:

أيا ذوي الوخامهْ ... أكثرتُمُ الملامهْ

فليس لي على ذا ... صبرٌ ولا قُلامهْ

نعَم عشقتُ مُوقاً ... هل قامت القيامهْ

لأركبنَّ فيمن ... هويتُه الصَّرامهْ (٩٣/٤)

(٥٨)

ونسختُ من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجمّاز قال: قال سلْمُ الخاسر: صار إليّ أبو العتاهية فقال: جئتُك زائراً؛ فقلت: مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه، فأقِمْ. فقال: إنّ هذا مما يشتدُّ عليّ، قلت: ولمَ يشتدّ عليك ما يسهلُ على أهل الأدب؟ فقال: لمعرفتي بضيق صدرك فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مُكابرته: «رمتْني بدائها وانسلَّتْ»(٢). فقال: دعْني من هذا واسمعْ منّي أبياتاً. فقلت: هاتِ؛ فأنشدني:

يا لقومي للموْت ما أوْحاه(٣) ... نغَّصَ الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ

عجباً أنّه إذا مات ميْتٌ ... صدّ عنه حبيبهُ وجفاهُ

---

(١) خلِفاً في الشعر: يعني مختلف الشعر، له الجيّد والرديء، ولدينا إشارات كثيرة عن الاختلاف والتفاوت يقع في شعر الشاعر الواحد، فنرى الفرزدق يصف شعر النابغة الجعدي بقوله: «مثله مثل صاحب الخُلقان: ترى عنده ثوب عَصْب وثوب خزّ وإلى جانبه سَمَل كساء». طبقات فحول الشعراء (١٢٤/١)، ويقول ابن سلاّم عن الجعدي: «كان مختلف الشعر». طبقات فحول الشعراء (١٢٤/١)، ويرى ابن قتيبة أنّ هذا الاختلاف موجود في شعر الجعدي، وغيره من الشعراء لا يسلم منه أحد، ينظر الشعر والشعراء (٨١/١)، كما وقف الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن (ص ١٥٤، ١٥٦، ٢٤٥) عند التفاوت في شعر امرئ القيس والبحتري.

(٢) هذا مثل يضرب لمن يعيّر آخر بعيب هو فيه. (٣) ما أوحاه: ما أسرعه.

حيثما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الـ ـموت فالموتُ واقفٌ بحذاه
إنَّما الشَّيبُ لابن آدم ناعٍ قام في عارضيه ثم نعاهُ
منْ تمنَّى المُنى فأغرق فيها مات من قبل أن ينالَ مُناهُ
ما أذلَّ المُقلَّ في أعيُنِ النَّا س لإقلاله وما أقماهُ[1]
إنما تنظر العيونُ من النا س إلى من ترْجوه أو تخْشاه

ثم قال لي: كيف رأيتها؟ فقلت له: لقد جوَّدتها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيَّةً. فقال: والله ما يُرغِّبني فيها إلاَّ الذي زهدك فيها[2]. (٩٤/٤)

(٥٩)

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدِّه قال: كان الرشيد مُعْجباً بشعر أبي العتاهية، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقْعتان على نسخةٍ واحدة، فبعث بإحداهما إلى مؤدِّبٍ لولده وقال: ليُرَوِّهم ما فيها، ودفع الأخرى إليَّ وقال: غنِّ في هذه الأبيات. ففتحتُها فإذا فيها:

قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بِوُدِّهْ وكوى القلبَ بصدِّه
ما ابتلى اللهُ فؤادي بكَ إلاَّ شُؤْمَ جدِّه
أيُّها السارقُ عقْلي لا تضنَّنَّ بردِّه
ما أرى حُبَّكَ إلاَّ بالغاً بي فوقَ حدِّه (٩٧/٤)

(٦٠)

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمِّي الحسن والكوكبيّ قالوا حدَّثنا عبد الله ابن أبي سعد قال: قال لي أبو تمَّام الطائيّ: لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شركه فيها أحدٌ، ولا قدر على مثلها مُتقدِّم ولا متأخِّر، وهو قوله:

الناسُ في غفلاتهم ورحى المنيَّة تطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف:

ألم تر أنَّ الفقْرَ يُرْجى له الغنى وأنَّ الغنى يُخْشى عليه منَ الفقْرِ

---

(١) ما أقماه: ما أذلّه. (٢) يتناسب هذا مع ما ذكره أبو العتاهية في النص الثالث والخمسين السابق من حيث إنَّ ألفاظ الزهد يجب أن تكون قريبة، سهلة، بعيدة عن الغريب.

وقوله في موسى الهادي:

ولمَّا اسـتقلُّوا بأثقالهم وقد أزْمَعُوا للذي أزمعوا
قرنتُ التفاتي بآثارهمْ وأتبعتُهم مُقْلةً تدْمَعُ

وقوله: هـب الدنيا تصير إليك عفـواً أليس مصيرُ ذاك إلى زوال (٩٨/٤)

(٦١)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأمويّ العُتْبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات: لمَّا أحسَّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق: ذهب والله أبوك يا هارون! لله درُّ أبي العتاهية حيث يقول:

الموتُ بين الخلْقِ مُشْتَرِكُ لا سُوقةٌ يبْقى ولا ملِكُ
ماضرَّ أصحابَ القليل وما أغْنى عن الأملاكِ ما ملَكُوا (٩٨/٤)

(٦٢)

فحدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسدٍ قال حدّثني العُمريّ قال حدّثني الهيثم بن عدي قال: قال صالح بن حسّان يوماً: ما نصْفُ بيتٍ كأنَّه أعرابيّ في شمْلةٍ، والنصفُ الآخرُ كأنَّه مُخنَّثٌ مُفكَّك؟ قلت: لا أدري. فقال: قد أجَّلْتُك حولاً. فقلت: لو أجَّلتني عشرة أحوالٍ ما عرفتُه. فقال: أوَّهْ! أفٍّ لك! قد كنتُ أحْسِبك أجودَ ذهْناً مما أرى. فقلت: فما هو الآن؟ قال قولُ جميل: ألا أيها الرَّكْبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا
هذا كلام أعرابيّ، ثم قال: أسائلكم هل يقتل الرَّجل الحُبّ
كأنَّه والله من مخنَّثي العقيق. (١١٤/٤)

(٦٣)

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلم قال: كان أميَّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزوجل الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعْرفها العرب؛ فمنها قوله:

قمرٌ وساهُورٌ يُسلُّ ويُغْمَدُ(١)

وكان يسمِّي اللهَ عزوجلَّ في شعره السلَّطيط، فقال: والسلَّطيط فوق الأرض مُقْتدرٌ
وسمَّاه في موضع آخر التغرور فقال: «وأيَّده التغرور». وقال ابن قُتَيْبة: وعلماؤنا لا يحتجون

---

(١) الساهور: فيما يذكر أهل الكتاب غلاف القمر يدخل فيه إذا كسف.

بشيء من شعره لهذه العلّة(١). (١٢١/٤)

(٦٤)

أخبرني محمد بن خلف قال: قال محمد بن حبيب الراوية: بلغني أنَّ نُعْماً استقبلتْ عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام، وفي يدها خَلُوقٌ(٢) من خلوق المسجد، فمسحتْ به ثوبه، ومضتْ وهي تضحك؛ فقال عمر:

أدخل اللهُ ربُّ موسى وعيسى ... جنَّةَ الخُلْدِ مَنْ ملاني خلوقا
مسحتْه من كفِّها في قميصي ... حين طافتْ بالبيت مسْحاً رفيقا
غضبتْ أنْ نظرتُ نحو نساءٍ ... ليس يعرفْنَني سلكنَ طريقا
وأرى بينها وبين نساءٍ ... كنتُ أهْذي بهنَّ بوْناً سحيقاً

وهذا البيت الأوّل مما عيب على عمر. (٢١٤/٤)

(٦٥)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عُتْبة اللّهبيّ عن أبيه: أنَّ طُريحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء؛ فقال له: لا حيّاك الله ولا بيّاك! أما اتّقيت الله - ويلك! - حيث تقول للوليد بن يزيد:

لو قلتَ للسيل دع طريقك والـ ... ـموج عليه كالهضْب يعْتلج
لَساخ وارتدَّ أو لكانَ لـه ... في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

فقال له طُريح: قد علم الله عزَّوجلَّ أنّي قلتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عزّوجلَّ، وإيّاه تبارك وتعالى عنيتُ. فقال المنصور: يا ربيع، أما ترى هذا التخلُّص! (٣١٥/٤)

(٦٦)

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خلف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وكيع - وأظنه هو الذي كنى عنه يحيى بن عليّ - فقال: محمد بن خلف القارئ - (قال) حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللُّهبيّ قال حدّثنا أبي

---

(١) أورد ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٤٦١/١)، هذه الأبيات وغيرها وعلّق عليها بقوله: «وهذه أشياء منكرة، وعلماؤنا لا يرون شعره حُجّة في اللغة».

(٢) الخلوق: ضرب من الطيب مائع فيه صفرة؛ لأنَّ أعظم أجزائه الزعفران.

عن أبيه قال: أَنْشَدَ المنصورُ هذه القصيدة، فقال للربيع: أسمعتَ أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحيِّ المسجدَ غير طُرَيح. وهذه القصيدة من جيِّد قصائد طُرَيح، يقول فيها:

لـم أَنْسَ سـلمى ولا ليـاليـنا ... بالحَزْنِ إذْ عيشُنا بها رغدُ(١)
إذْ نحن في ميْعة الشُّباب وإذْ ... أيّامُنا تلك غضَّةٌ جُدُدُ
في عيشة كالفرزْد عازبة الشِّقْـ ... ـوة خضْراءَ غُصْنُها خضَدُ(٢)
نُحْسَدُ فيها على النَّعيم وما ... يولَمُ إلاَّ بالنِّعْمة الحسدُ
أيّامَ سلمى غريرةٌ أُنُفٌ ... كأنَّها خُوطُ بانة رؤدُ(٣)
ويحي غداً إنْ غدا عليَّ بما ... أكره من لوعة الفراق غدُ
قد كنتُ أبكي من الفراق وحيَّـ ... ـانا جميعٌ ودارنا صددُ(٤)
فكيف صبْري وقد تجاوبَ بالـ ... ـفُرقة منها الغرابُ والصُّرَدُ(٥)
دعْ عنك سلمى لغير مقْلية ... وعُدْ مدْحاً بُيوتُه شُرُدُ(٦)
للأفْضل الأفضل الخليفة عبـ ... ـد الله من دون شأوه صُعُدُ
في وجهه النُّورُ يُسْتَبانُ كما ... لاح سراجُ النَّهار إذ يقدُ
يمضي على خير ما يقول ولا ... يُخلف ميعاده إذا يعدُ
من معشر لا يشمُّ مَنْ خذلُوا ... عزًّا ولا يُسْتذلُّ مَنْ رفدُوا
بيضٌ عظامُ الحلوم حدُّهُمُ ... ماضٍ حُسامٌ وخيرهم عتدُ(٧)
أنت إمامُ الهدى الذي أصلح الله ... به الناس بعد ما فسدوا
لمَّا أتى النّاسَ أنَّ مُلْكَهُمُ ... إليكَ قد صار أمره سجدوا
واستبشروا بالرضا تباشُرهم ... بالخُلْد لو قيل إنَّكم خُلُدُ
وعجَّ بالحمد أهلُ أرضك حتـ ... ـى كاد يهتَزُّ فرْحةً أُحُدُ
واستقبلَ الناسُ عيشةً أنُفاً ... إنْ تبق فيها لهم فقد سعدوا

---

(١) رغد: مخصب غزير. (٢) عازبة الشقوة: بعيدتها، وخضد: رطب.

(٣) غريرة: بلهاء لصغر سنِّها وقلّة تجاربها، وأنف: عذراء، والخوط: الغصن، والرُّؤد: الغصن أرطب ما يكون وأرخصه وذلك حين يكون في السنة التي نبت فيها.

(٤) يقال: دار فلان صدد دار فلان وبصددها أي قبالتها.

(٥) الصُّرَد: طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات، وربما صاد العصفور، وكانوا يتشاءمون به.

(٦) شُرُد: سائرة، منتشرة. (٧) عَتَد: حاضر مُعَدّ.

رُزقتَ من ودِّهم وطاعتهم ما لم يجدْه لوالدٍ ولدُ
أثْلجهمْ منك أنَّهم علموا أنك فيما وليتَ مُجتهدُ
وأنَّ ما قد صنعتَ من حسنٍ مصْداقُ ما كنتَ مرّةً تعدُ
ألّفتَ أهواءهم فأصبحتِ الأضغانُ سِلْماً وماتت الحقدُ
كنتُ أرى أنَّ ما وجدتُ من الـ فرْحة لم يلقَ مثله أحدُ
حتّى رأيتُ العبادَ كلَّهُم قد وجدوا من هواك ما أجدُ
قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفعُك اللهُ بالتّكرُّمِ والـ ـتقوى فتعلو وأنت مُقْتصدُ
حسْبُ امرئٍ من غنىً تقرُّبُه منك وإن لم يكن له سبدُ(١)
فأنت أمْنٌ لمن يخاف ولِلـ ـمخْذول أودى نصيرُه عضُدُ
كلُّ امرئٍ ذي يدٍ تُعدُّ عليـ ـه منك معلومةٌ يدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ ما لم يروْكَ فإنْ داناهُمُ منك منزلٌ خمدوا
تعروهم رِعْدةٌ لديك كما قفْقفَ تحت الدُّجُنّة الصُّرِدُ(٢)
وأنت غمْرُ النّدى إذا هبط الـ ـزُّوارُ أرضاً تحلُّها حمِدوا
فهم رفاقٌ فرُفْقةٌ صدرتْ عنكَ بغُنْمٍ ورُفقةٌ تردُ
إنْ حالَ دهرٌ بهم فإنك لا تنْفكُّ عن حالك التي عهدوا
قد صدق اللهُ مادحيك فما في قولهم فريةٌ ولا فنَدُ (٤/٣٢٣)

(٦٧)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحزنبل قال: كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضر معنا أبو هفان، فأنشدنا ابنُ الأعرابيِّ عمن أنشده قال: قال ابنُ أبي سبة العبليّ:

أفاضَ المدامع قتْلى كذا وقتْلى بكبوة لم ترمَسِ

فغمز أبو هفّان رجلاً وقال له: قُل له ما معنى «كذا» قال: يريد كثرتهم. فلمّا قُمْنا قال لي أبو هفّان: أسمعتَ إلى هذا المُعْجب الرَّقيع! صحّفَ اسم الرجل، هو ابن أبي سنَّة، فقال: ابن أبي سبةٌ؛ وصحّفَ في بيت واحدٍ موضعين، فقال: «قتْلى كذا» وهو كُدىً، و«قتلى بكبوة» وهو بكُثْوةَ.

---

(١) السَّبد: الشَّعر، ويكنى به عن الحال، ويقال: مالَه سبد ولا لبد أي مالَه شيء.

(٢) قفقف: ارتعد من البرد، والصَّرِد: المقرور.

وأغلظُ عليَّ من هذا أنه يفسِّر تصحيفه بوجهٍ وقاحٍ. وهذا الشعر الذي غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عديّ عبد الله بن عُمر العبليّ فيمن قتله عبدُ الله بن عليّ بنهر أبي فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أميرُ المؤمنين بعدهم من بني أميّة. وخبرهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جداً. (٣٤٢/٤)

(٦٨)

قال يحيى بن علي وحدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن أبي حُذيفة قال: كان المُسوَّر بن عبد الملك المخزوميّ يعيب شعر ابن هرْمة، وكان المُسوَّرُ هذا عالماً بالشعر والنَّسبَ: فقال ابن هرْمة فيه:

إيّاك لا ألزمَنْ لحْييكَ من لُجُمي نَكْلا يُنكِّلُ قرّاصاً من اللُّجُم(١)
يدُقُّ لحْييكَ أو تنقادَ مُتَّبعاً مشْيَ المُقيَّدِ ذي القِرْدان والحلَم(٢)
إنّي إذا ما امرؤٌ خفَّتْ نعامتُه إليَّ واسْتحْصدتْ منه قُوى الوذَم(٣)
عقدتُ في مُلْتقى أوداجِ لَبَّتِه طوقَ الحمامةِ لا يبلى على القِدَم(٤)
إنّي امرؤٌ لا أصوغُ الحليَ تعمله كفّايَ لكن لساني صائغُ الكَلِم
إنَّ الأديمَ الذي أمسيتَ تقْرظُه جهلاً لذو نغَلٍ بادٍ وذو حلَم(٥)
ولا ينِطُّ بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالقِ إلاّ جيِّدُ الأدَم(٦) (٣٧٩/٤)

(٦٩)

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال

---

(١) لحييك: فكّيك، واللُّجُم: جمع لجام، النِكل: اللجام والقرّاص: وصف من القرص.

(٢) القردان: جمع قرادة وهي دويبة تتعلّق بالبعير ونحوه، والحلَم: واحدة حلَمة وهو الصغير من القراد، وقيل هو الضخم منه.

(٣) النعامة هنا: القدم، ويكنى بخفّة النعامة عن السرعة، يقال: خفَّت نعامتهم، أو شالت نعامتهم أي أسرعوا، والوذَم: سيور تقدّ مستطيلة، واستحصد قواها: إحكام فتلها، وقد يكنى بذلك عن الغضب، فيقال: استحصد حبل فلان إذا غضب.

(٤) الأوداج: عروق الرقبة، واللَّبة: مجتمع الصدر، وطوق الحمامة هنا: الهجاء، يريد أنّني هجوته هجاءً سيظلُّ يُذكر به مدى الدهر.

(٥) الأديم: الجلد، ويقرظه: يدبغه بالقرظ لإصلاحه، والنَغَل: الفساد، والحلَم: فساد في الجلد، سببه أنّه يقع فيه دود فيثقب.

(٦) ينطّ: يصوت، والخالقون: وصف من قولهم: خلق الجلد إذا قدّره قبل قطعه

حدّثنا محمد بن كُناسة قال: اصطحبَ شيخ وشبابٌ في سفينة من الكوفة؛ فقال بعضُ الشباب للشيخ: إنَّ معنا قينةً لنا، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمع غناءها. قال: الله المستعان؛ فأنا أرقى على الأطلال(١) وشأنكم. فغنَّتْ(والبيتان لإسماعيل بن يسار):

حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه ... وغـارتِ الجـوزاء والمـرزمُ
أقبلت والوطء خفيٌّ كما ... ينسـاب من مكمنه الأرقمُ

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفرات، وجعل يخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فأدركوه وقد كاد يغرق؛ فقالوا: ما صنعت بنفسك؟ فقال: إنّي والله أعلمُ من معاني الشعر ما لا تعلمون(٢). (٤١٨/٤)

(٧٠)

تقدَّتْ بي الشَّهْباءُ نحو ابن جعفر ... سـواءً عليها ليلُها ونهارُها(٣)
تزور امـرأً قـد يعلمُ اللهُ أنه ... تجـودُ له كفٌّ بطيءٌ غـرارُها(٤)
ووالله لولا أن تزورَ ابنَ جـعـفـرٍ ... لكان قليـلاً في دمشقَ قرارُها

قال الزُّبير: وهذا البيتُ مما عيبَ على ابن قيس، لأنه نقض صدره بعجزه، فقال في أوّله: (إنه) سار سيرا بغير عجل، ثم قال: سواءً عليها ليلُها ونهارُها

وهذا غايةُ الدَّأب في السَّير، فناقض معناه في بيت واحد، ومما عيب على ابن قيس الرّقيات قولُه:

تُرضعُ شِبْلَيْنِ وسْطَ غيلهم ... قد ناهزا للفطـام أو فُطِما(٥)
مـا مرَّ يـومٌ إلاّ وعندهمـا ... لحمُ رجال أو يولَغانِ دما

وهي قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان، وفيها يقول:

---

(١) الأطلال: جمع طلل، وطلل السفينة شراعها.

(٢) هذا لون آخر من ألوان الإعجاب، واستحسان الشعر، وقد أشرنا إلى ألوان أخرى فيما سبق، فلم يملك ذلك الشيخ سوى أن يرمي بنفسه في الفرات، انبهاراً بما سمع في تنيك البيتين.

(٣) تقدّت: سارت سيراً ليس بِعَجِلٍ ولا مُبطيء، فيقال: تقدّى فلان إذا سار سير مَنْ لا يخاف فوت مَقْصده فلم يعجل.

(٤) بطيء غرارها: يعني أنَّ منعها المعروف بطيء، وأصل الغِرار: أن تمنع الناقة دِرَّتها ثم يستعار في كلّ ما أشبه ذلك. (٥) الغيل: موضع الأسد.

أعْني ابن ليلى عبد العزيز ببا   بليُونَ تغــدُو جفـانــه رُذُمــا
الواهب النُّجُــبَ والولائدَ كـالــ   ـغــزلان والخـيلَ تعلُك اللُّجُمــا

وكـان قـال في قـصـيدته هذه: «أو يالغان دمـا» بالألف، وكذلك رُوي عنه، ثم غـيَّرتْه الرواة.
أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال: سمعتُ ابن الأعرابيّ يقول: سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات:

ما مـرَّ يوم إلا وعندهمـا   لحم رجال أو يولَغان دما

فقال يونس: يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان؛ فقيل له: فقد قال ذلك ابن قيس الرقيّات وهو حجازيّ فصيح؛ فقال: ليس بفصيح ولا ثقةٍ، شغل نفسه بالشرب بتكريتَ(١). (٥/٨٦)

(٧١)

حدّثني جحْظة قال حدّثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال: لمَّا نزل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس(٢) بشبداز(٣) جلس يشرب عنده، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ من غنّاه، فابتدأ بهذا الصوت، والشعرُ له:

رأيتُ الدِّينَ والدُّنيـا   مُقــيـمــيْنَ بشــبْداز
أقـامـا بين حـجَّاجٍ   وغــازٍ أيِّمــا غــازِ

فأمر له بألف دينار، ولم يستحسن الشعرَ، وقال له: يا إبراهيم صنْعتُك فيه أحسن من شعرك؛ فخجل وقال: يا سيّدي شغل خاطري الغناءُ فقلت لوقتي ما حضرني؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له: صدقت. (٥/١٦٨)

(٧٢)

وقال أحمد بن حمْدون قال لي إسحاق: من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف: أبْكي ومثلي بكى من حُبِّ جاريةٍ

---

(١) كأنّ قدومه الحاضرة، وجلوسه فيها أثرٌ على لسانه فأفقده فصاحته، ولهذا نظائر منها ما ورد في طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١/١٤٠)، عن الشاعر عدي بن زيد، إذ يقول ابن سلاّم: «وعديّ بن زيد كان يسكن الحيرة ويُراكن الرِّيف فلان لسانه، وسهُل منطقُه، فحُمل عليه شيء كثير».
(٢) طوس: مدينة معروفة ما بين الريّ ونيسابور في أوّل عمل خراسان وفيها دُفن هارون الرشيد.
(٣) شبداز: موضع بين حلوان وقرميسين تبعد عن قرميسين يسرة بأقلّ من فرسخين.

فما أعلم له فيه معنىً إلا استحسانه للشعر، فإن العباس أحسن فيه جداً. (١٨٧/٥)

(٧٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال قال دعْبل بن عليّ: لمّا ولي الرشيدُ الخلافة وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأمور ودخل عليه المغنّون، كان أوّل من غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه، وهو:

إذا ظُلَمُ البلادِ تجلّلتنا ... فهارونُ الإمامُ لها ضياءُ
بهارونَ استقام العدلُ فينا ... وغاض الجوْر وانفسح الرجاء
رأيتُ الناسَ قد سكنوا إليه ... كما سكنتْ إلى الحرم الظِّباءُ
تبعْتَ من الرسول سبيل حقٍّ ... فشأنُك في الأمور به اقتداءُ

فقال له الخادم من خلْفِ الستارة: أحسنتَ يا إبراهيم في شعرك وغنائك، وأمر له بعشرين ألف درهم. (٢٠٣/٥)

(٧٤)

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أُنشد الرشيدُ قول العباس:

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

فقال: يُعيره مَنْ لا حاطه الله ولا حفظه. (٢١١/٥)

(٧٥)

حدّثني (محمد بن) مزْيد قال حدّثني حمّاد عن أبيه قال قال (لي) أبي: قال (لي) جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أذنَ لي وللمغنِّين في الانصراف يومئذ: صِرْ إليَّ حتى أهب لك شيئاً حسناً؛ فصرتُ إليه فقال لي: أيّما أحبُّ إليك: أهبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به، أم أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم؟ فقلت: بل يرشدني الوزير - أعزّه الله - إلى هذا الوجه فإنه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحسن؛ فقال: إنّ أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرُّمّة حفظ الصِّبا ويُعجبه ويؤثره(١)، فإذا سمع فيه غناءً، وأطربه أكثر مما يُطربه غيره مما لا يحفظ

---

(١) لعلّ إعجاب الرشيد بشعر ذي الرمة وإيثاره على غيره من الشعراء، يؤذن بزوال ذلك المقياس الذي أشرنا إليه فيما سبق، وكان منتشراً في العصر الأموي، وهو التقديم المرتبط بالهجاء والمدح، والتأخير المتعلق بالاقتصار على الوصف والنسيب، فلم يعد لهذا المقياس كبير شأن، بعد أن صار الحال غير الحال. =

شعره؛ فإذا غنيّته فأطربته وأمر لك بجائزة، فقُم على رجليك قائماً وقبِّل الأرض بين يديه وقل له: لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضُرّه ولا ترْزؤه؛ فإنه سيقول لك: أيُّ شيء حاجتُك؟ فقل: قطيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمة لها ولا منفعة فيها لأحد؛ فإذا أجابك إلى ذلك، فقل له: تقطعني شعر ذي الرُّمة أغنّي فيه ما أختاره وتَحظُر على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيه، فإني أحبُّ شعره وأستحسنه فلا أُحبُّ أن يُنَغصه عليَّ أحدٌ منهم، وتوثَّقْ منه في ذلك؛ فقبلتُ ذلك القول منه، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلا بجائزة؛ وتوخَّيتُ وقت الكلام في المعنى حتى وجدتُه، فسألت كما قال لي، وتبيَّنتُ السرور في وجهه، وقال: ما سألت شططاً، قد أقطعتك سُؤْلتك؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون: لقد استضخمتَ القطيعة وهو ساكت: فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في التوثُّق؟ قال: توثَّقْ كيف شئت؛ فقلت: بالله وبحقِّ رسوله وبتُربة أمير المؤمنين المهديِّ إلاَّ جعلتني على ثقة من ذلك بأنك (تحلف لي أنك) لا تُعطي أحداً من المغنِّين جائزة على شيء يُغنِّيه في شعر ذي الرُّمة فإنَّ ذلك وثيقتي؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنّاه أحد منهم في شعر ذي الرُّمة لا أثابه بشيء ولا برّه ولا سمع غناءه؛ فشكرتُ فعله وقبلْت الأرض بين يديه وانصرفنا. فغنَّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرمّة، فكان إذا سمع منها صوتاً طرب وزاد طربُه ووصلني فأجزل، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري؛ فأخذتُ منه والله بها ألفَ ألفِ درهم وألف ألفِ درهم. (٥/٢٣٨)

(٧٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال: مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، ومات في ذلك اليوم الكسائيّ النحويّ والعباس بن الأحنف الشاعر وهُشيمة الخمّارة، فرفع ذلك إلى الرشيد، فأمر المأمونَ أن يصلّي عليهم، فخرج فصفُّوا بين يديه؛ فقال: مَنْ هذا الأوّل؟ قيل: إبراهيم؛ فقال: أخِّروه وقدّموا العبّاس بن الأحنف، فقُدّم فصلّى عليهم؛ فلما فرغ وانصرف، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ فقال: يا سيِّدي، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على من حضر؟ قال: لقوله:

وسعى بها ناسٌ فقالوا إنّها   لهي التي تشْقى بها وتُكابدُ
فجحدتُهم ليكونَ غيركِ ظنُّهم   إنّي ليُعْجبني المحبُّ الجاحدُ

ثم قال: أتحفظها؟ قلت نعم؛ فقال: أنشدني باقيها؛ فأنشدتُه:

= واستحدثت مقاييس جديدة، حتى من داخل المديح نفسه.

لمّا رأيتُ الليلَ سدَّ طريقَه عنّي وعذّبني الظلام الراكدُ
والنّجم في كبدِ السماء كأنّه أعمى تحيَّر ما لديه قائد
ناديتُ مَنْ طرد الرُّقادَ بصدِّه عما أعالج وهو خِلْوٌ هاجد
يا ذا الذي صدع الفؤادَ بهجره أنت البلاءُ طريفُه والتّالد
ألقيت بين جفون عيني حُرْقةً فإلى متى أنا ساهرٌ يا راقد

فقال المأمون: أليس من قال هذا الشعر حقيقا بالتقدمة؟ فقلتُ: بلى والله يا سيّدي. (٥/٢٥٤)

(٧٧)

أخبرنا عمّي قال حدّثني محمّد بن سعيد الكُرانيّ عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: الحكم الخُضريّ، وابن ميّادة، ورؤبة، وابن هَرْمة، وطُفيل الكنانيّ، ومكين العُذْريّ، كانوا على ساقة(١) الشعراء، وتقدّمهم ابن هرْمة بقوله:

لا أمتع العُوذ بالفصال ولا أبتاع إلاّ قريبة الأجل

قال عبد الرحمن: وكان عمّي مُعْجباً بهذا البيت مُستحسناً له، وكان كثيراً ما يقول: أما ترون كيف قال! والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيرا؛ ثم يقول: ما يؤخّره عن الفحول إلا قُرْبُ عهده. (٥/٢٦٣)

(٧٨)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال: أنشدتُ أعرابياً فهِماً شعرا لي، فقال: أقفرْتَ والله يا أبا محمد، قلتُ: وما أقفرت؟ قال رعيتَ قفْرة لم تُرْعَ قبلك. (يريد: أبْدعْتَ) (٥/٢٧٦)

(٧٩)

أخبرني أحمد بن جعفر جحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حمْدون قال حدّثني أبي: أن الأصمعيَّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزيمة بنِ خازم:

إذا كانت الأحرارُ أصلي ومنْصِبي ودافعَ ضيْمي خازمٌ وابنُ خازم
عطستُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ يداي الثريّا قاعداً غيرَ قائم

قال: فجعل الأصمعيّ يعْجب منهما ويستحسنهما، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضّلهما. (٥/٢٧٧)

---

(١) الساقة: المؤخرة، يقال: فلان في ساقة الجيش أي في مؤخرته.

(٨٠)

حدّثني الصُولي قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال: أتيتُ عُبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ؛ فقال لي: إنّ الحَصَر رائدُ الحياء، والحياء عقيدُ الإيمان، فانبسطْ وأزلِ الوحشة، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب، لقد قرّبتْ بيننا الآداب؛ فقلت (له): والله لقد سررتني بخطابك، وزدتني ببرّك عجزاً عن جوابك؛ والله درُّ القُطاميّ حيث يقول:

أما قريشٌ فلَن تلقاهُمُ وأبداً ... إلاّ وهم خيرُ من يحفى وينتعلُ (٣٠١/٥)

(٨١)

قال أبو أيّوب وحدّثني حمّاد عن أبيه قال: كنت يوماً عند المعتصم، فمرَّ شعر على هذا الوزن فقال: وددت أنه على غير ما هو؛ فقلت له: أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر:

قُلْ لمن صدَّ عاتبا ... ونأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد ... ت وإن كنت لاعبا

فأعجبه، وقال لي: قد والله أحسنت! وأمر لي بألفَيْ دينار، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دانقين[1]. (٣١٦/٥)

(٨٢)

حدّثني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدّثت عن الأصمعيّ قال: دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لقس[2] النَّفْس؛ فأنشده إسحاق يقول:

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصري ... فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ

أرى الناس خُلاّنَ الكرام ولا أرى ... بخيلاً له حتى المات خليل

وإنّي رأيتُ البُخْل يُزْري بأهله ... فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيل

ومن خير حالاتِ الفتى لو علمته ... إذا نال خيراً أن يكون يُنيل

فعالي فعالُ المُكْثرين تجمُّلاً ... ومالي كما قد تعلمين قليل

وكيف أخافُ الفقر أو أحرمُ الغنى ... ورأيُ أمير المؤمنين جميل

---

(١) يلاحظ نمط الشعر الذي كان ينال الحظوة في مجالس الخلفاء العباسيين، وهو الشعر السهل، القريب المعنى، الصالح لأن يُغنّى به. ولا شكّ أنّ هذا راجع إلى طبيعة العصر، وتبدّل الأذواق.

(٢) لَقِس النفس: منقبض، غير مسرور

قال: فقال الرشيد: لا تخفْ إن شاء الله؛ ثم قال: لله درُّ أبيات تأتينا بها؛ ما أشدَّ أصولها، وأحسن فُصولها، وأقلَّ فُضولها(١)! وأمر له بخمسين ألف درهم؛ فقال له إسحاق: وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه، فعلام آخُذ الجائزة! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. (٣٢٢/٥)

(٨٣)

حدّثني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق قال: أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه؛ فقلت في مجلسي ذلك:

إذا ما أبو العباس عيدَ ولم يعُد   رأيت معُودا أكرمَ الناس عائدا
وجاء بنو العباس يبتدرونه   مراضاً لما يشكوه مثنى وواحدا
يُفدُّونه عند السلام وكلُّهم   مُجِلٌّ له يدعوه عمّاً ووالدا

قال: وكان الفضل مضطجعاً، فأمر خادماً له فأجلسه، ثم قال لي: أعد يا أبا محمد فأعدتُ، فأمرني فكتبتُها، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى حفظها. (٣٢٤/٥)

(٨٤)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يصف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثني عليه ويذكر أدبه وحفظه وعلمه وصدقه، ويستحسن قوله:

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ   إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي مَن لا أسمّي فعيني   كلَّ يوم وجْداً عليه تسيلُ

قال: وكان إسحاقُ إذا غنّاه تفيض دموعه على لحيته ويبكي أحرَّ بكاء. وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق وحديثُ موسى عن حمّاد أتمُّ، واللفظُ له. (٣٢٢/٥)

---

(١) الأصل: أسفل كلّ شيء وجمعه أصول، والفصل: بونٌ ما بين الشيئين، أو الحاجز بين الشيئين، والفضول: الزيادة: وما ليس إليه حاجة، ينظر لسان العرب (١٦/١١، ٥٢١). وهذا يشير إلى إطراء الرشيد هذه الأبيات من حيث قوّتها، وتماسكها، وترتيبها، وابتعادها عن الفضول، وتجنّبها كلّ ما ليس الكلام إليه حاجة، وقد كان اسحق دقيقاً في جوابه حين استخدم كلمة (الوصف)، إذ لم يَعُدَّ الرشيد أن وصف الشعر، ولكنّ هناك حكماً ضمنياً داخل الوصف.

(٨٥)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبي قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال: أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصَّيْفيّ أن يُخْرج؛ فأخرج فيما أخرج منه بساطٌ طبريّ أو أصْبهبُذاني(١)، مكتوب في حواشيه:

لـجَّ بالعين واكـفُ　　　من هوىً لا يُساعفُ
كلَّما جفَّ دمعُه　　　هيَّجْتـه المعازف
إنَّما الموت أن تفا　　　رق مَـنْ أنت آلـفُ
لك حُبَّان في الفؤاد　　　تليـدٌ وطارف

قال: فاستحسن المأمون هذه الأبيات، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحنا ويُعجِّل به؛ فصنع فيها الهزج الذي يُغنَّى به اليوم. (٥/ ٢٤٠)

(٨٦)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال: أنشدتْني أمُّ محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ، فاستحسنتُهما، وصنعت فيهما لحنا غنَّيته الواثق؛ فاستعاده حتى أخذه، وأمر لي بثلاثين ألف درهم؛ وهما:

عسى اللهُ ياظمْياءُ أن يعكس الهوى　　　فتلْقيْنَ ما قد كنتُ منكِ لقيتُ
ثـراء فتحتاجي إليَّ فتعلمي　　　بأنْ به أجْزيكِ حين غنيتُ　　(٥/ ٢٥٣)

(٨٧)

حدّثني الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثني شيخ من ولد المهلّب قال: دخل مرْوانُ بن أبي حفْصة يوماً على إبراهيم الموصليّ، فجعلا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروان بن أبي حفْصة لنفسه:

إذا مُضرُ الحمراءِ كانت أرُومتي　　　وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازم(٢)
عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ　　　يداي الثُّريا قاعداً غيرَ قائم

---

(١) أصبهبذان: مدينة في بلاد الديلم، بينها وبين البحر ميلان.

(٢) قيل لمضر: مضر الحمراء (بالإضافة) لأن أبا هم مضر لمّا اقتسم هو وربيعة الميراث أعطي مضر الذهب وأعطي ربيعة الخيل، فقيل لهذا: مضر الحمراء ولذاك ربيعة الفرس. ويقال: لأنّه كان شعار مضر في الحرب العمائم والرايات الحمر.

قال: وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول، فقال له: مالك لا تجيبني؟ قال إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنُك هذا في أذني. (٥/٣٦٩)

(٨٨)

أخبرني محمد بن مزْيد والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني به الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعْد عن محمد بن عبد الله عن إسحاق قال: دخلتُ على الفضْل بن الرَّبيع وهو علي بساط سُوسنْجرديّ ستيني(١) مُذهب يلمع عليه مكتوب: «مما أمر بصنعته حمّاد عجْرد»؛ فقال لي: أتدري منْ حمّاد عجرد؟ قلت: لا؛ قال: حماد عجرد كان والي تلك الناحية؛ أفرأيتَ مثله قطُّ؟ قلتُ: لا. فسكتَ؛ ثمَّ قلتُ: أهكذا يفعل الناس؟ قال: أي شيء يفعلونه؟ قلت: تهبُه لي؛ قال: لا أفعل؛ قلت: إذاً أغضبُ؛ قال: ما شئتَ أفعْل؛ فخرجتُ مُتغاضباً؛ فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لحقني بالبساط؛ فكتبتُ إليه بيتين لحمْزة بن مُضر:

ولقد عددْتُ فلستُ أحصي كلُّ ما ... قد نلْـتُ منك مـن المتاع الموثَـقِ

بخديعتي فـأراك مُنخدعـاً لهـا ... وفُكـاهـتي وتغضُّبي وتملُّقـي

ـ قال ابن أبي سعد في خبره: ـ فلمّا دخلتُ عليه ضحك وقال لي: البيتان خير من البساط، فالفضلُ الآن لك علينا. (٥/٣٧٠)

(٨٩)

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي عن إسحاق قال: حدّثنا يحيى بن علي قال حدّثني أبي عن إسحاق قال، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد عن إسحاق قال: أنشدتُ بعض الأعراب شعراً لي أقول فيه:

أجرَتْ سـوابقُ دمـعك المُهْراقِ ... لـمّـا جـرى لك سـانحٌ بفـراقِ

إنَّ الظعائنَ يومَ ناصفةِ اللِّوى ... هاجتْ عليك صبابة المُشتاق(٢)

لم أنْسَ إذ ألحْننا في رِقبةٍ ... منهـنَّ بيـضَ ترائـبٍ وتراقِ

وأشـرْنَ إذ ودّعْننا بأنامـل ... حُمْرٍ كـهُدّاب الدِّمـقْسِ رقـاقِ

ورمتْك هندُ يوم ذاك فأقْصدت ... بأغـرّ عـذْبٍ بـاردٍ بـرّاقِ(٣)

---

(١) سوسنجرد: قرية من قرى بغداد. وستّين: حصن ابن ستين: من فتوح مسلمة بن عبد الملك بن مروان مقابل ملطية، ينظر معجم البلدان (٣/١٨٨).

(٢) الناصفة: مجرى الماء، وقيل: الرحبة في الوادي. (٣) أقصدت: أصابت ولم تخطئ.

وتنفَّسـت لمَّا رأتـك صبابـةً نفساً تصعَّد في حشىً خفَّاق
ولقد حذرتُ فما نجوت مسـلَّما حتى صُرِعتُ مصارعَ العُشَّاق
إنَّ الخـلافـة أُثبـتتْ أوتادُها لمَّا تحـملَهـا أبـو إسـحـاق
ملكٌ أغرُّ يلـوح فـوق جبينـه نورُ الخلافة ساطعَ الإشراق
كُسي الجلالَ مع الجمال وزانه هـديُ التُّقى ومكـارمُ الأخـلاق
صحَّت عروقُك في الجياد وإنَّما يجري الجوادُ بصحَّة الأعراق
ذخَرَ الملوكُ فكان أكثر ذُخْرهم للمُلك ما جمعوا من الأوراق(١)
وذخرتَ أبناءَ الحروب كأنَّهم أسدُ العرينِ على مُتون عتاق
كم من كريمةِ معْشرٍ قد أُنكِحتْ بسيوفهم قسْراً بغير صداق
وعزيزةٍ في أهلها وقطينها قد فارقت بعْلاً بغير طلاق(٢)

قال فقال لي: أقْليْتَ والله يا أبا محمد؛ فقلت له: وما أقليت؟ قال: رعيْتَ فلاةً لم يرعها أحدٌ غيرك(٣). (٤٠٢/٥)

(٩٠)

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبي قال حدَّثنا إسحاق قال: دخلتُ على الفضل بن الرَّبيع فقال لي: يا إسحاق كثُر والله شيْبُك!! فقلت: أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف:

الشـيبُ إن يظْهـرْ فـإنَّ وراءه عـمـراً يكون خـلاله مُتنفَّسُ
لم ينْتقصْ منِّي المشيبُ قُلامةً ولـنحْـنُ حينَ بدا ألبُّ وأكيسُ

قال: هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً، اكتُبْهما لي لأتسلَّى بهما. (٤٠٤/٥)

(٩١)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدَّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: أنشدني شدَّاد بن عُقبة لجميل:

قفي تسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطَّة التي تُطيلين تخـويفـي بهـا ووعـيدي
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضينا بحكـمٍ مـنك غيرِ سـديدِ

---

(١) الأوراق: الدراهم. (٢) القطين: الإماء والحشم.

(٣) ينظر النصّ الثامن والسبعون المتقدّم فقد وصف شعره هناك بالإبداع في قول الأعرابي: أقفرت. وهنا يقال له: أقْلَيت وهي بالمعنى السابق، أي جئت بشعر غير مسبوق.

قال: فأنشدتُ الزُّبير بن بكّار هذين البيتين، فقال: لو لم أنصرف من العراق إلا بهما لرأيتُهما غُنْما. وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً:

بُثَيْن سليني بعض مالي فإنَّما ... يُبيِّن عند المال كلُّ بخيلِ
فإنِّي وتكراري الزيارة نحوكم ... لَبَيِّن يديْ هجْرِ بُثَيْن طويل

قال أبي: فقلت لشدّاد: فهلا أزيدك فيهما؟ فقال: بلى! فقلت:

فياليتَ شِعْري هل تقولين بعدنا ... إذا نحن أزْمعنا غداً لرحيلِ
ألا ليت أياماً مضيْنَ رواجعٌ ... وليت النَّوى قد ساعدتْ بجميلِ

فقال شدّاد: أحسنتَ والله! وإن هذا الشعر لضائعٌ! فقلت: وكيف ذلك؟ قال: نفيته عن نفسك بتسْميتك جميلاً فيه، ولم يلْحق بجميل، فضاع بينكما جميعاً. (٥/٤١٢)

(٩٢)

حدّثني جحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المُنجِّم قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعبيّ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ. فوجَّه إليَّ فحضرتُ وحضر علّويه ومخارقٌ وغيرهُما من المغنّين؛ فبيناهم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا، إذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال: أجبْ! فقال: السمع والطاعة؛ ودعا بثيابه فلبسها. ثم التفت إلى محمد بن راشد فقال له: قد بلغني أنّك أحفظ الناس لما يدور في المجالس، فاحفظ لي كلّ صوت يمرُّ وما يشربه كلُّ إنسان، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليَّ الأصوات وشربتُ ما فاتني؛ فقال: نعم، أصلح الله الأمير. ومضى إلى المأمون، فأمره بالشخوص إلى بابك(١) من غدٍ، وتقدَّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده. فلمَّا دخل ووضع ثيابه قال: يا محمد، ما صنعتَ فيما تقدَّمتُ به إليك؟ قال: قد أحكمتُه أعزّك الله! ثم أخبره بما شرب القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثر ما شربه واحدٌ منهم في قدح، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ مما حفظه له حتى يستوفي ما فاته القومُ به، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأصواتَ. ثم قال لي: يا أبا محمد، إنِّي قد علمتُ في مُنصرفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها؛ فقلت: هاتها أعزَّ الله الأمير، فأنشدني:

ألا مَنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائبِ ... أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ

---

(١) هو بابك الخرّمي، وكان قد خرج على دولة بني العبّاس، وظهر بأذربيجان وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات، وقتلوا الكثير من المسلمين. ثمّ أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه إسحاق وصُلبا.

تبيّن يوم البين أنّ اعتزامه على الصبر من بعض الظنون الكواذب
حرامٌ على رامي فؤادي بسهمه دمٌ صبّه بين الحشى والترائبِ
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه فهل بدمي من ثائرٍ أو مُطالب

قال: فقلت له: ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ؛ فقال لي: فاصنعْ فيه؛ فصنعت فيه لحنا؛ وأحْضرني وصيفةً له، فألقيته عليها حتى أخذته؛ (٤١٣/٥)

(٩٣)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الخرّاز أحمد بن الحارث قال: كان ابن الأعرابيّ يستحسن قول الصمة:

أمَا وجلال الله لو تذكُرينني كذكْريك ما كفْكفتِ للعين مدْمعا
فقالت بلى والله ذكراً لوانّه يُصبُّ على صُمِّ الصفا لتصدّعا
ولمّا رأيتُ البِشْرَ قد حال بيننا وجالتْ بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعا(١)
تلفّتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتُني وجعتُ من الإصفاء ليتاً وأخْدعا(٢) (٤/٦)

(٩٤)

أنشدنا محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم للصِّمَّة القُشيريّ قال: وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم:

إذا نأتْ لم تُفارقْني علاقتُها وإن دنتْ فصدود العاتب الزّاري
فحال عيني من يوميْكِ واحدةٌ تبكي لفرْطِ صدودٍ أو نوى دار (٦/٦)

(٩٥)

وذكر محمد بن داود بن الجرّاح أن عمر بن شبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سلْم، فقال: أحسن والله داود حيث يقول:

لَجَجْتُ من حبّيَ في تقريبه وعُمِّيتْ عيناي عن عيوبهِ
كذاك صرف الدهر في تقليبه لا يلبث الحبيبُ عن حبيبه
أو يغفر الأعظمَ من ذنوبه (١٩/٦)

---

(١) البِشر: جبل، وأعرض: أبدى عرضه. (٢) الليت: صفحة العنق، والأخدع: عرق في العنق.

(٩٦)

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيِّد شعر ابن هرمة خاصة، وأوّلها:

صرمتَ حبائلاً من حبِّ سلْمى ... لهندٍ ما عمدتَ لُمستراحِ
فإنَّك إن تُقِم لا تلقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي
يظلّ نهارَه يهذي بهند ... ويأرق ليله حتى الصباح
أعبدَ الواحد المحمودَ إنّي ... أغصُّ حذارَ سخطك بالقراح
فشلّتْ راحتايَ وجال مُهْري ... فألقاني بمُشتجرِ الرماح
وأقعدني الزمانُ فبتَ صِفراً ... من المال المُعزَّب والمُراح
إذا فخَمتُ غيرك في ثنائي ... ونصحي في المغيبة وامتداحي
كأنْ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائمُ قد عُضلن عن النكاح
فإن أكُ قد هفوتُ إلى أمير ... فعنْ غير التطوّع والسماح
ولكنْ سقْطةٌ عيبتْ علينا ... وبعضُ القول يذهب في الرياح
لعمرك إنني وبني عديٍّ ... ومنْ يهوى رشادي أو صلاحي
إذا لم ترضَ عنّي أو تصلْني ... لفي حَين أعالجه مُتاح
وإنّك إن حططتُ إليك رحلي ... بغربيّ الشُراة لذو ارتياح(١)
هششتَ لحاجة ووعدتَ أخرى ... ولم تبخل بناجزة السُراح
وجدنا غالباً خُلقتْ جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناح
إذا جعل البخيلُ البخلَ تُرساً ... وكان سلاحه دون السلاح
فإنْ سلاحك المعروفُ حتى ... تَفوزَ بعرْض ذي شيمٍ صحاح (١٠٦/٦)

(٩٧)

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة، وأولُها:

أجارتنا روُحي نفْمةٌ ... على هائم النفس مُهتاجها
ولا خيرَ في ودِّ مُستكرهٍ ... ولا حاجةٍ دون إنضاجها

- يقول فيها يمدح عبد الواحدِ بن سليمان -:

---

(١) الشراة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة المنورة.

كأن قُتودي على خاضبٍ زَفُوفِ العشيّات هدَّاجها(١)
إلى ملكٍ لا إلى سُوقة كستْه الملوك ذُرا تاجها
تحُلّ الوفود بأبوابه فتلْقى الغنى قبلَ إرتاجها
بقرّاع أبواب دور الملو ك عندَ التحية ولأّجها
إلى دار ذي حسبٍ ماجدٍ حَمُول المغارم فرّاجها
رَكُود الجفان غداةَ الصّبا ويومَ الشّمال وإرهاجها(٢)
وقفتُ بمدْحيه عند الجما رِ أنشده بين حُجّاجها (١١١/٦)

(٩٨أ)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال: أنشدت محمد بن المنكدر قولَ وضّاح:

فما نوَّلت حتى تضرَّعتُ عندها وأعلمتُها ما رخَّصَ اللهُ في اللَّمَمْ

قال: فضحك وقال: إن كان وضّاح إلاّ مُفْتياً لنفسه. وتمام هذه الأبيات:

ترجّل وضّاحٌ وأسْبل بعدما تكهَّلَ حيناً في الكهول وما احتلم(٣)
وعلّق بيضاءَ العوارض طفْلةً مُخضَّبة الأطراف طيّبة النَّسمْ (٢٢٧/٦)

(٩٨ب)

وهذه الأبيات من قصيدة لوضّاح اليمن في روضة طويلة جيّدة يقول فيها:

يقطع الحَزْن والمهامهَ والبيـ ـد ومَنْ دونه ثمانُ ليالي
عاتبٌ في المنام أحْبِبْ بعتْبا ه إلينا وقوله مِنْ مقال
قلت أهلاً ومرحباً عدد القطْـ ـر وسهلاً بطيف هذا الخيال
حبّذا مَنْ إذا خلونا نجيّاً قال: وأهلي لك الفداء وما لي
وهي الهمُّ والمُنى وهوى النفْـ ـس إذا اعتلّ ذو هوىً باعتلال
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا س فما قسْتُ حبَّها بمثال
لم أجد حبَّها يُشاكله الحبّ ولا وجْدنا كوجْد الرجال

---

(١) القتود: جمع قتد وهو خشب الرَّحل، والخاضب: ذكر النعام، وأراد به الناقة هنا، وزفوف: حسن المشي سريعه، والهدّاج: الذي في مشيه أو سعيه أو عدوه ارتعاش.

(٢) الركود من الجفان: الثقيل المملوء، والإرهاج: الإمطار. (٣) ترجّل: سرّح شعره.

كل حبٍّ إذا استطال سَيَبْلى   وهوى روضةِ المُنى غيرُ بالي
لم يَزِدْه تقادُمُ العهد إلاّ   جِدَّةً عندنا وحسنَ احتلال
أيها العاذلون كيف عتابي   بعد ما شاب مفرقي وقذالي
كيف عذلي على التي هي منّي   بمكانِ اليمين أختِ الشِّمالِ
والذي أحْرموا له وأحلّوا   بمنىً صُبْحَ عاشرات الليالي(١)
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منّي   مُنذ عُلّقتُها فكيف احتيالي
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً   أو دنتْ لي فَثَمَّ يبدو خبالي
يابنة المالكيّ يا بهْجةَ النفـ   ـس أفي حبّكم يحلُّ اقتتالي
أيّ ذنب عليّ إن قلتُ إنّي   لأحبُّ الحجازَ حبَّ الزُّلال
لأحبّ الحجازَ مِنْ حبِّ مَنْ فيـ   ـه وأهوى حِلاله من حِلال(٢)   (٦/٢٢٧)

(٩٩)

قال: وقال في عبدة أيضاً ـ وهو من جيّد ما قال فيها ـ : (الأبيات لبشّار)

يُزهِّدني في حبّ عبدة معشرٌ   قلوبُهُمُ فيها مخالفةُ قلبي
فقلتُ دعُوا قلبي وما اختار وارتضى   فبالقلب لا بالعين يُبصر ذو الحبّ
فما تُبصر العينان في موضع الهوى   ولا تسمع الأذنان إلاّ من القلب
وما الحسنُ إلا كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبا   وألّف بين العشق والعاشقِ الصبّ

قال: وقال في عبدة:

يا قلبُ مالي أراك لا تَقِرُّ   إيّاكَ أعْني وعندك الخبرُ
أضِعْتَ بين الألى مضوْا حُرَقاً   أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا؟
فقال بعضُ الحديث يشْغفُني   والقلبُ راءٍ ما لا يرى البصر   (٦/٢٤٣)

(١٠٠)

قال أبو زيد عمر بن شبّة: تقدّم أبو ذؤيب جميعَ هُذيل بقصيدته العينيّة التي يرثي فيها بنيه. يعني قوله :

---

(١) يريد صبح الليلة العاشرة من ذي الحجّة.

(٢) الحِلال: جمع حِلة وهي المحلّة، أو القوم النزول فيهم بكثرة.

أمـن المنون وريبـه تتوجّـع والدهر ليس بمُعْتِبٍ مَن يجْزَعُ

وهذه يقولها في بنين له خمسة أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها. (٦/٢٦٥)

(١٠١)

وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب عن أبي الزِّناد قال: أجمع الزُّهريُّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن وَلي الوليدُ بن يزيد؛ فمات الزهريّ قبل ذلك. قال المدائنيّ: وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشّراب؛ فلعنهم وقال: إنهم ليعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه، وقال هذا الشعر. وهو من جيّد شعره ومُختاره.

ولقد قضيتُ ـ وإن تجلّل لِمّتي شيبٌ ـ على رغم العدا لذّاتي
من كاعباتٍ كالدُّمى ومناصفٍ ومراكب للصيد والنُّشواتِ(١)
في فتيةٍ تأبى الهوانَ وجوهُهم شُمٌّ الأنوف جَحاجحٌ ساداتِ
إن يطلبوا بتراتهم يُعْطَوْا بها أو يُطلبوا لا يُدْركوا بِتِراتِ (٧/١٢)

(١٠٢)

وللوليد بن يزيد أبيات أنشدنيها الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبّة قال أنشدني أبو غسّان وغيرُه للوليد ـ وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدها:

اصْدَعْ نجيَّ الهموم بالطرب وانعَمْ على الدهر بابنة العنب

الأبيات التي مضت متقدِّما. وهذا من بديع الكلام ونادره؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم. وقد نقلها أبو فراس والحسين بن الضحاك في أشعارهما. ومن جيّد معانيه قوله:

رأيتُك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حزم لهدّمتَ ما تبني (٧/٢٠)

(١٠٣)

وأنشدني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال:

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجةٍ حين تفزع

---

(١) المناصف: جمع مِنْصَف وهو الخادم، ينظر لسان العرب (٩/٣٣٣).

وكـانوا إذا همُّوا بإحـدى هناتهم   حـسـرتُ لهم رأسـي فـلا أتقنَّع

ومن نادر شعره قوله لهشام:

فـإن تك قد مللتَ القـرب منّي   فـسوف ترى مُجانبتي وبُعدي
وسـوف تلوم نفسك إن بقينا   وتبلـو الناسَ والأحـوال بعـدي
فتنـدمُ في الـذي فرَّطـت فيـه   إذا قايسـتَ في ذمّـي وحمـدي   (٧/٢٠)

(١٠٤)

ومنها وهو من سخيف شعره: (الوليد بن يزيد):

خـبَّروني أنَّ سـلمى   خـرجَت يوم المُصلَّى
فـإذا طيـرٌ مـليـح   فـوق غـصـن يتـفلَّى
قلتُ من يعـرف سلمى   قـال هـا ثـم تعـلّى
قلت يا طيـر ادْنُ منّي   قـال هـا ثـم تدلّـى
قلت هل أبصرتَ سلمى   قـال لا ثـم تولّـى
فنكـا فـي القلـب كلماً   باطـناً ثـم تعـلّـى (١)   (٧/٣٦)

(١٠٥)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله قال حدّثني أبي: أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيتُ وإن لم يُعرف قائلُه أنه شعر ملك؛ فأنشده بعضهم قول امرئ القيس:

أمن أجل أعرابية حلّ أهلُها   جنوبَ الملا عيناك تَبْتدران(٢)

قال: وما في هذا مما يدلّ على مُلْكه! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحضر، فكأنّه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة؛ ثم قال: الشعر الذي يدُلّ على أن قائله ملكٌ قولُ الوليد:

اسقني من سُلاف ريق سليمى   واسـق هذا النديمَ كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك، ومثل قوله:

---

(١) نكا: مسهل نكأ، ونكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ فنديت، والكَلْم: الجرح.

(٢) الملا: اسم لمواضع منها ما بين نقعاء، وهي قرية لبني مالك بن عمرو من ضواحي الرمل متصلة هي والجلّد إلى طرف أجأ، وهو مدافع السُّبْعان وهو وادٍ لطيء. ينظر معجم البلدان (٥/١٨٨).

لي المحضُ من ودِّهم ويغمُرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالمُلك على طويّات الرجال، ويبذل المعروف لهم ويمكّنه استخلاصُها لنفسه.

(٣٧/٧)

(١٠٦)

ومنها وهو من مليح شعره: (الوليد بن يزيد)

أراني اللهُ يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تجزين مَنْ تيّمتِ عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاكِ
ومنْ لومُتُّ مات ولا تموتي ولو أنسى له أجلٌ بكاك(١)
ومنْ حقّاً لو أعطي ما تمنّى من الدُّنيا العريضة ما عداك
ومنْ لو قلتِ مُتْ فأطاق موتاً إذاً ذاق المماتَ وما عصاك
أثيبي عاشقاً كَلِفاً مُعنّىً إذا خدِرت له رجلٌ دعاك(٢) (٣٨/٧)

(١٠٧)

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال: كان للمعتضد عليٌّ صوتان من شعر الوليد،

أحدهما: سُقِيْتُ أبا كامل من الأصفر البابلي

والآخر: إن في الكاس لمسكاً أو بكفّيْ من سقاني

وكان يُعْجب بهما ويقول لجلسائه: أما ترون شمائل الملوك في شعره! ما أبينها(٣):

لي المحْضُ من ودِّهم ويغمُرهم نائلي

وحين يقول: كِلّاني توّجاني وبشعري غنِّياني (٩٣/٧)

(١٠٨)

وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جعفر بن الحسن اللهَبيّ قال: أنشدت ريّان السوّاق قول أبي دهبل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

---

(١) أنسى: من نسأ الأجل إذا أخرّ أو أجّل.

(٢) كانت العرب تقول: إنْ الإنسان إذا خدرتْ قدمه دعا باسم أحبّ الناس إليه فسكنت.

(٣) جاء في هامش الأغاني: «الكلام هنا ناقص ولعله: «ما أبينها في قوله أو حين يقول .. إلخ».

ولا تصْرميني أن تريْني أحبّكم   أبـوء بذنـبٍ إنّني أنـا أظْلـمُ

فقال: أحسن، أحسن اللهُ إليه؛ ما بعد هذا شيءٌ. (١٤٢/٧)

(١٠٩)

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلْحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا: حدَّثنا المُغيرة بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا حسين بن الضّحاك قال: أنشدتُ أبا نواس لمّا حججْت قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي:

بُدِّلت من نفحات الورد بالآءِ   ومن صبُوحك درَّ الإبْل والشاءِ(١)

فلما انتهيتُ منها إلى قولي:

حتى إذا أسْندتْ في البيت واحْتُضرتْ   عند الصَّبوح ببسّامين أكْفاء

فُضّتْ خواتمُها في نعْت واصفها   عن مثل رقْراقةٍ في جفن مرْهاء(٢)

قال: فصعق صعقةً أفزعني، وقال: أحسنت والله يا أشقر! فقلتُ: ويلك يا حسن! إنّك أفزعتني والله! فقال: بلى والله أفزعتني ورُعْتني، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بدَّ أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقْتني إليه واختلسته منّي، وستعلم لمن يُروى ألي أم لك؛ فكان والله كما قال، سمعتُ من لا يعلم يرويها له. (١٤٧/٧)

(١١٠)

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال: سمعت الرِّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جداً وهما:

إذا ما المـاءُ أمكنني   وصفْو سُلافةِ العنبِ

صببتُ الفضّةَ البيضا   ءَ فوق قُراضةِ الذهب

فقلت له: من يقولهما يا أبا الفضل؟ قال: أرقُّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلحاً وأكملُهم ظرْفاً حسين بن الضّحاك. (١٥٤/٧)

(١١١)

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلْحة قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني مهديّ بن سابق قال

---

(١) آلاء: شجر الدّفلى، وهو نبت مرٌّ زهره كالورد الأحمر.

(٢) الرقراقة: الدمعة التي تترقرق يعني تتحرك في العين ولا تسيل. والمرهاء: المرأة التي لم تكتحل.

قال لي حسين بن الضحّاك: كان الواثق يتحظّى جاريةً له فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياماً ثم سلاها وعاد إلى حاله؛ فدعاني ليلة فقال لي: يا حسين، رأيتُ فلانة في النوم؛ فليت نومي كان طال قليلا لأتمتّع بلقائها؛ فقل في هذا شيئاً. فقلت:

ليتَ عينَ الدهر عنّا غفلتْ ورقيبَ الليل عنّا رقدا
وأقام النومُ في مدّته كالذي كان وكنّا أبدا
بأبي زَوْرٌ تلفّتُّ له فتنفّستُ إليه الصُّعُدا[1]
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطّعتُ عليه كمدا

قال: فقال لي الواثق: أحسنت! ولكنّك وصفتَ رقيب الليل فشكوته ولا ذنب لليّل إنما رأيت الرؤيا نهاراً. ثم عاد إلى منامه فرقد. (١٦١/٧)

(١١٢)

وقد حدّثني بهذا الخبر عليّ بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني عُبيد الله بن زكريّا الضّرير قال حدّثنا الجمّاز عن أبي نُواس قال: كنت أتعشّق ابنا للعلاء يقال له محمد، وكان حُسين يتعشّق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْر؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال: قد كاد قلبي أن يسلُوَ عنه وعن حبّه. قال: وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليّ وفي يده نرجسٌ، فجلسنا نشرب وطلع القمر؛ فقلت له: يا حسين أيّما أحسن القمر أم محمد؟ فأطرق ساعةً ثم قال: اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه:

وَصفَ البدرُ حسن وجهك حتى خِلْتُ أنّي وما أراك أراكا
وإذا ما تنفّس النرجسُ الغضُّ توهّمتُه نسيم شذاكا
وأخال الذي لَثمْتَ أنيسي وجليسي ما باشرته يداكا
فإذا ما لَثمْتُ لثمك فيه فكأنّي بذاك قبّلتُ فاكا
خُدَعٌ للمُنى تعلّلني فيك بإشراق ذا ونفْحة ذاكا
لأقيمنّ ما حييتُ على الشكر لهذا وذاك إذ حكياكا

قال: فقلت له: أحسنتَ والله ما شئتَ! ولكنّك يا كشْخان هو ذا تقْدِر أن تقطع الطريق في عملي! فقال: يا كشخان أو شعري الذي سمعته في حاضرٍ أمْ بذكر غائب! والله للنَّعلُ التي يطأ عليها يُسرٌ أحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أنتم فيه. (١٦٩/٧)

---

(١) الزَّور: الخيال يُرى في النّوم.

(١١٣)

أخبرني عليّ بن العباس قال أنشدني أبو العباس ثعلب قال أنشدني حمّاد بن المبارك صاحبُ حسين بن الضّحاك قال أنشدني حسين لنفسه:

لا وحُبِّيكَ لا أصا ... فحِ بالدَّمْع مدمعا
من بكى شجْوه استرا ... ح وإن كان موجعا
كبدي من هواكَ أسـ ... ـقمُ من أن تقطّعا
لم تدعْ سَوْرةُ الضّنى ... فيَّ للسُّقْمِ موضعا

قال: ثم قال لنا ثعلب: ما بقي من يُحسن أن يقول مثل هذا. (١٧٤/٧)

(١١٤)

أخبرني ابنُ أبي طلْحة قال حدّثني سوادةُ بن الفيْض قال حدّثني أبي قال: لمَّا اطَّرح المأمونُ حسينَ بن الضّحاك لهواه - كان - في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسينُ بن الضّحّاك بالحسن بن سهْل وطمع أن يصلحه له؛ فقال يمدحه:

أرى الآمالَ غيرَ مُعرِّجات ... على أحدٍ سوى الحسن بن سهْلِ
يُباري يومَه غدُه سماحاً ... كلا اليومين بان بكلّ فضلِ
أرى حسناً تقدَّم مستبداً ... ببُعدٍ من رياسته وقبْلِ
فإنْ حضرتْك مشكلةٌ بشكٍّ ... شفاك بحكمةٍ وخطابِ فصْلِ
سليلُ مرزابٍ برعوا حلوماً ... وراع صغيرهُم بسداد كهلِ(١)
ملوكٌ إن جريتَ بهم أبرّوا ... وعزّوا أن تُوازنهم بعدْلِ
ليهْنك أنّ ما أرجأت رشدٌ ... وما أمضيتَ من قول وفعل
وأنك مؤثِرٌ للحقّ فينا ... أراك الله من تطع ووصل
وأنّك للجميع حيا ربيعٍ ... يصوّب على قرارة كلِّ محْلِ

قال: فاستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووصله وخلع عليه ووعده إصلاح المأمون له، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلّة. (١٧٧/٧)

(١١٥)

قال عليّ بن العبّاس بن أبي طلْحة وحدّثني أبو العباس أحمد بن الفضل المرْوزيَ قال:

---

(١) مرازب: جمع المرزُبان وهو رئيس الفرس، أو الفارس الشجاع المقدَّم على القوم، وهو دون الملك في الرتبة.

سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضَّحاك: ما عنيتَ بقولك:

يا خليّ الذَّرْع من شجني إنمـا أشـكو لترحـمني

قال: قد بيّنتُه؛ قال: بأيِّ شيء؟ قال: قلت:

منعُك الميسور يُؤيسُني وقليـلُ اليأس يقتلني

فقال له أبو محمد: إنك لتُضيع بالخلاعة، ما أعطيته من البراعة. (١٧٨/٧)

(١١٦)

حدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني حسين بن الضَّحاك قال: كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع وهو مصطبِحٌ وخادمٌ له يسقيه؛ فقال لي يا أبا عليّ، قد استحسنت سقْي هذا الغلام، فإن حضرك شيءٌ في قصّتنا هذه فقل؛ فقلت:

أحْيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي وطاب يومي لقـرب أشـباهي

فـاستَثِـرِ اللهـو من مكامنه مـن قـبل يومٍ منغِّصٍ ناهـي

بابنـةِ كـرمٍ من كفّ مُنْتطق مـؤتزر بالمُجـون تيّـاه

يسْبـقيك من طرْفـه ومن يده سـقْيٍ لطيفٍ مـجـرِّب داهي

كـأساً فكأسـاً كـأنَّ شـاربها حـيرانُ بين الذُّكور والسـاهي

قال: فاستحسنه عبد الله. (١٩٠/٧)

(١١٧)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا عمرو بن بانة قال: خرجنا مع المعتصم إلى الشأم لمّا غزا؛ فنزلنا في طريقنا بديْر مُرّان(١) ـ وهو دير على تلْعة(٢) مُشْرفة عالية تحتها مُروجٌ ومياهٌ حسنة ـ فنزل فيه المعتصم فأكل ونشط للشرب ودعا بنا؛ فلما شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضَّحاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد! فقال: لا أين يا أمير المؤمنين! والله لبعضُ الغياض والآجام هناك أحسنُ من هنا؛ قال: صدقتَ والله، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغنِّ فيها عمروٌ، فقال: أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به، ولكنّي أقول متشوّقاً إلى بغداد ـ فضحك وقال قلْ ما شئتَ ـ

(١) دير مرّان: بالقرب من دمشق، على تلّ سفح قاسيون، وبناؤه بالجصّ الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن.

(٢) التلعة: الرابية المرتفعة من الأرض.

يا دَيْرَ مـدْيانَ لا عُرِّيتَ مـن سكنٍ   هيَّجْتَ لـي سـقْمـاً يادَيْرِ مـديانا(١)
هـل عند قسِّك مـن علـم فيخبرنا   أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر مَن بانا
حُـثَّ المُدامَ فـإنَّ الكـأسَ مُتـرعـةٌ   ممَّا يهـيجُ دواعي الشـوق أحـيـانا
سقْياً ورعْياً لكرْخايا وسـاكنها   وللجُنينـة بالرُّوْحـاء مَـنْ كـانا(٢)

فاستحسنها المعتصم. (١٩٢/٧)

(١١٨)

حدّثني الحسن قال ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبِّر قال حدّثني أحمد بن المعتصم قال: حجّ أبو نواس وحسين بن الضّحّاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيدتيهما: قول أبي نواس:

دعْ عنك لومي فإنَّ اللَّوم إغراءُ   وداوني بالتي كـانت هي الداء

وقصيدة حسين: بُدِّلت من نفحات الورد بالآء

فتنازعا أيُّهما أشعر في قصيدته؛ فقال أبو نواس: هذا ابن مُناذر حاضرُ الموسم وهو بيني وبينك. فأنشده قصيدته حتى فرغ منها؛ فقال ابن مُناذر: ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وهمَّ بتفضيله؛ فقال له الحسين: لا تعْجلْ حتى تسمع؛ فقال: هات؛ فأنشده قوله:

بُدِّلت من نفحـات الورد بالآءِ   ومن صبوحك درُّ الإبل والشاء

حتى انتهى إلى قوله:

نُضّت خواتُمها في نعت واصفها   عن مثل رقراقةٍ في عين مرْهاء

فقال له ابن مناذر: حسبُك، قد استغنيتَ عن أن تزيد شيئاً، والله لو لم تقل في دهرك كلِّه غير هذا البيت لفضّلتُك به على سائر من وصف الخمر؛ قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضلُ. فحكم له وقام أبو نواس منكسراً. (٢٠٣/٧)

---

(١) دير مديان: جاء في ديارات الشابشتي (ص ٣٣): «وهذا الدير على نهر كرخايا ببغداد .. وهو دير حسن، نزه، حوله بساتين وعمارة»، ثم أورد هذه الأبيات للحسين، ويقول يا قوت بعد أن أورد أبيات الحسين نفسها: «وروى غير الشابشتي هذا الشعر في دير مرّاون وأنشده كذا، والصواب ما كُتب لتقارب هذه الأمكنة المذكورة بعضها من بعض». ينظر معجم البلدان (٥٣٣/٢).

(٢) كرخايا: نهر يشقّ من المحوّل الكبير ويمرّ على العباسية، ويشقّ الكرخ ويصبّ في دجلة، وكان قديماً عامراً، وكان الماء فيه جارياً، ثم انقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات، والرُّوحاء: قرية من قرى بغداد على نهر عيسى قرب السندية.

(١١٩)

حدّثني جعفر قال حدّثني علي بن يحيى بن حسين بن الضّحاك قال: أنشدتُ ابن مُناذر قصيدتي التي أقول فيها: «لفقدك ريحانة العسكر» وكانت من أوّل ما قلتُه من الشعر؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردّد هذا البيت. فقلنا لحسين: أتراهُ فعل ذلك استحسانا لما قلت؟ فقال لا؛ فقلنا: فإنما فعله طنزا(١) بك: فشتمه وشتمنا. وكنّا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه. (٧/٢١٤)

(١٢٠)

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا أبو العيناء قال: دخل حسين بن الضحاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيّب، فحثّه على الصَّبوح فلم ينشط له. فقال: اسمع ما قلتُ؛ قال: هات؛ فأنشده:

اسْتَتِرِ اللّهوَ من مكامنه   من قبل يوم منغِّصٍ ناهي
بابنة كرْم من كفّ مُنتطقٍ   مُؤْتزرٍ بالمُجون تيّاه
يسقيك من لحظه ومن يده   سقي لطيفٍ مجرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربها   حيرانُ بين الذُكور والسّاهي

قال: فنشط الواثق وقال: إنَّ فرصة العيش لحقيقةٌ أن تُنْتهز؛ واصطبح ووصل الحسين. (٧/٢٢٢)

(١٢١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: أتيتُ أبا عبيدة معْمر بن المُثنّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً؛ فلما رآني أطبقه. فقال له أبو عبيدة: إن أبا زيد ليس ممّن يُحْتشم منه، فاقرأ. فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه، فإذا هو شعر السيّد. فجعل أبو عبيدة يعجبُ منه ويستحسنه. قال أبو زيد: وكان أبو عبيدة يرويه. قال: وسمعت محمد بن أبي بكر المُقدَّميّ يقول: سمعت جعفر بن سليمان الضُّبعي يُنشد شعر السيّد. (٧/٢٣٦)

(١٢٢)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال: سمعتُ عمّي يقول: لو أنَّ قصيدة السيّد التي يقول فيها:

---

(١) الطنز: السخرية.

إنَّ يـوم التطهـيرِ يـومٌ عظيم   خُصَّ بالفضل فيه أهلُ الكساءِ

قُرئتْ على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كلَّه كان مثله لرويناه وما عيَّناه. وأخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا العباس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَّوَّزيّ بهذه الحكاية بعينها فإنَّه قالها في: إن يوم التَّطْهير يوم عظيم

قال: ولم يكن التوَّزيّ متشيّعا. (٢٣٨/٧)

(١٢٣)

قال الحسن وحدّثني غانم الورّاق قال: خرجت إلى بادية البصرة فصرتُ إلى عمرو بن تميم، فاثْبتني بعضُهم فقال هذا الشيخُ والله راوية فجلسوا إليَّ وأنسوا بي، وأنشدتهم، وبدأتُ بشعر ذي الرّمة فعرفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما؛ ثم أنشدتُهم للسيّد:

أتعـرف رسـمـاً بالسُّـوييْن قـد دثَرْ   عـفَتْـه أهاضـيبُ السـحـائب والمطرْ
وجـرّت به الأذيال ريحـان خلْقـةُ   صـبـاً ودَبُورٌ بالعـشـيّات والبُكر(١)
منازلُ قـد كـانت تكـون بجـوِّها   هضيمُ الحشا ريّا الشّوى سِحرُها النظر(٢)
قطوفُ الخُطا خـمْصـانةٌ بخْتـريّةٌ   كـأنَّ مُحـيّاها سـنا دارة القـمـر(٣)
رمتْني بِبُعْد بعـد قـرب بهـا النَّـوى   فـبـانت ولمَّا أقْضِ من عـبـدة الوطرْ
ولما رأتني خـشـيـة البين مُوجـعـاً   أكـفْكِـف منّي أدمُعـا فـيْضُهـا دُرَرْ
أشـارت بأطـراف إليَّ ودمْعُـهـا   كنظْم جُمـانٍ خـانه السِّلْكُ فـانتـثـر
وقـد كنتُ ممّا أحـدث البينُ حـاذراً   فلـم يُغْـنِ عنّي مـنه خـوفي والحـذر

قال: فجعلوا يُمرِّقون(٤) لإنشادي ويطربون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم؛ فقالوا هو والله أحدُ المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثلُه. (٢٣٨/٧)

(١٢٤)

قال إسحاق: وسمعتُ العُتْبيّ يقول: ليس في عصرنا هذا أحسنُ مذهباً في شعره ولا أنقى

---

(١) الدَّبور: ريح تهبُّ من المغرب، وتقابل القَبول وهي ريح الصَّبا.

(٢) هضيم الحشا: رشيق، معتدل القوام، وريّا الشّوى: ناعم الأطراف.

(٣) قطوف الخطا: خفيفة المشي، وخمصانة: ضامرة البطن، والبخترية: الحسنة المشية والجسم.

(٤) يمرّقون: يغنّون، والتمريق: ضرب من الغناء.

ألفاظاً من السيّد، ثم قال لبعض من حضر: أنْشدنا قصيدته اللاميّة التي أنشدْتناها اليوم؛ فأنشده قوله:

هل عند من أحـــببتَ تنْويلُ   أم لا فـــإن اللـــَّومَ تضْـــليلُ
أم فـي الحشى منك جوىً باطنٌ   ليـس تُـداويــه الأبـاطـيلُ
عُلِّقتَ يـا مـغـرورُ خـدَّاعـةً   بالوعـد منـهـا لك تخْـيـيـلُ
ريًّا رداح النوم خـمْصـانـة   كـأنَّهـا أدمـاءُ عُطْـبـولُ(١)
يشـفـيك منهـا حين تخلو بهـا   ضـمٌّ إلـى النحـر وتقْبـيل
وذوقُ ريـقٍ طيـّبٍ طَعْمُـه   كـأنَّـه بالمسـك مـعْلـولُ
في نسـوةٍ مـثل المهـا خُرُدٍ   تضـيـق عنهنَّ الخـلاخـيلُ(٢)

يقول فيها:

أقسـم باللـه وآلائـه   والمـرءُ عمَّا قـال مسؤولُ
إنَّ عـليَّ بـن أبي طـالـب   على التُّقى والبرِّ مـجـبـول

فقال العتبيّ: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجُم على القلب بلا حجاب. (٢٤٧/٧)

(١٢٥)

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البزيُّ قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخْعي قال حدّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال: دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم، وكان كثيراً ما يُنشد شعر السيّد، فمن أنكره عليه لم يحدّثه: فسمعتُه يُنشدهم:

مـا تعـدلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها   من حوض أحمدَ شرْبةٌ من ماءِ

ثم جاءه خبر فقام، فقلت للذين كانوا عنده: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: السيد الحميريّ. (٢٤٩/٧)

(١٢٦)

وروى أبو داود المسترق: أنَّ السيّد والعبديّ اجتمعا؛ فأنشد السيّد:

إنِّي أدين بما دان الوصـيّ به   يوم الخَريْبة من قتل المُحلِّينا(٣)

---

(١) الرداح: الجمل المثقل حملاً الذي لا انبعاث له، وقد استعاره هنا للنوم، أي إنَّها نؤوم قليلة الانبعاث من النوم، وكان هذا مستحسناً عند العرب، يقال: هي نؤوم الضحى، الأدماء: الظبية، العطبول: الطويلة العنق.

(٢) تضيق عنهنَّ الخلاخيل: كناية عن سمنهنّ. (٣) الخريبة: موضع بالبصرة كانت به وقعة الجمل.

وبالذي دان يوم النهروان بـه وشـاركت كـفُّه كـفّي بصـفينا

فقال له العبْديّ: أخطأت، لو شاركتْ كفُّك كفَّه كنتَ مثله؛ ولكن قل: تابعت كفّي كفَّه تابعاً لا شريكا. فكان السيّد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلاّ العبديّ. (٢٧٣/٧)

(١٢٧)

أخبرني عمّي قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن المُعذّل قال: كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إنما فُضّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ، وأفضل شعرٍ قاله جرير:

حيُّ الهدْملةَ من ذات المواعيس[1] (٥٢/٨)

(١٢٨)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني علي بن محمد النّوْفليّ قال حدّثني أبي قال: كنت باليمامة وأنا واليها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكْثر عندي (الدخول) وكنت أوثرهُ فلم أقل له قطّ أنشدني أجودَ شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الداليّة:

أهوىً أراكَ برامتيْنِ وقُودا أم بالجُنيْنةِ من مَدَافعَ أودا[2]

فأقولُ له: ويْحكَ لا تزيدني على هذه! فيقولُ: سـألتني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره، وقد كان يقدّمها على جميعه. (٨٢/٨)

(١٢٩)

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعْد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدّثني ابنُ أبي علْقمةَ الثّقفيّ قال: كان المفضّل يقدّم الفرزدق، فأنشدتُه قول جرير:

حيُّ الهدْملةَ من ذاتِ المواعيسِ فالحِنْوُ أصْبحَ قفراً غيرَ مأنوسِ

وقلتُ أنْشدني لغيره مثلها فسكت. (٨٤/٨)

(١٣٠)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال قال لي صالح بن

---

(١) الهدملة والمواعيس: موضعان. (٢) الجنينة: روضة نجدية بين ضرية وحزن بني يربوع، والمدافع: مجاري السيول، وأود: موضع في ديار تميم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن.

حسّان: هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شمْلة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العقيق يتقصف تقصُّفاً؟ قلتُ: لا. قال: قد أجلّتُك حولاً، قلتُ: لا أدري ما هو! فقال قولُ جميل:

ألا أيُّها النُّوامُ ويْحكُمُ هُبُّوا

كأنّه أعرابيٌ في شمْلة. ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال: «أسائلكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ» كأنّه من كلام مُخنَّثي العقيق. (١٠٨/٨)

(١٣١)

حدّثني عمِّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العمريّ عن الهيثْم بن عديّ قال، قال لي صالح بن حسان: هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شمْلة وآخرُه مخنَّث يتفكّكُ من مخنَّثي العقيق؟ فقلتُ: لا أدْري، قال: قد أجلّتُك فيه حوْلاً. فقلت: لو أجلّتني حوليْن ما علمتُ. قال: قولُ جميل:

ألا أيُّها النُّوّامُ ويحكُمُ هُبُّوا

هذا أعرابيٌّ في شمْلة. ثم قال: «نسائلُكم هل يقتلُ الرجلَ الحبُّ» كأنّه واللهِ من مخنَّثي العقيق. (١١٨/٨)

(١٣٢)

ويُكنى يزيد (ابن الطثرية) أبا المكشوح. وكان يُلقَّب مُوَنَّقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحُسْن شعْره وحلاوة حديثه... (١٥٦/٨)

(١٣٣)

وهذا البيتان من القصيدة التي أوّلها: أمسى الشبابُ مودّعاً محمودا

وهي من جيِّد شعره، يقول فيها (يزيد بن الطثرية):

ومُدِلَّـةٍ عـن التبـذُّل يفْـتري منهـا الوشـاحُ مُخَصَّراً أملودا(١)
نازعتُها غُنْم الصِّبا إنَّ الصِّبا قـد كـان مني للكـواعب عيدا
يا للرِّجـالِ وإنَّمـا يشكو الفتى مَرَّ الحـوادث أو يكونَ جليـدا

---

(١) التبذّل: ترك التزيّن والتهيّؤ بالهيئة الحسنة، ويفتري: يريد به يكسو، والأصل في معنى الافتراء: لبس الفروة، والوشاح: شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشدّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها مخالفة بينهما، والمخصّر: الدقيق الضامر، والأملود: الناعم الغضّ.

بكرتْ نوارُ تجدُّ باقيةَ القُوى يومَ الفراقِ وتُخْلفُ الموعودا(١)
ولرُبَّ أمرِ هوىً يكون ندامةً وسبيلِ مكْرهةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخر:

لا أتّقي حَسَكَ الضّغائنِ بالرُّقى فِعْلَ الذّليلِ وإن بقيتُ وحيدا(٢)
لكنْ أجرِّدُ للضغائنِ مثلها حتى تموتَ والحُقودُ حُقودا (١٦٩/٨)

(١٣٤)

وقال (عمرو بن أحمر) في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيّدة:

أدركتُ آل أبي حفصٍ وأسرته وقبل ذاك ودهراً بعده كلبا
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُولٌ بين الهناتين لا جِدّاً ولا لعبا
الله يعلم ما قولي وقولُهم إذ يركبون جناناً مُسْهِباً وربا(٣) (٢٣٤/٨)

(١٣٥)

فمن جيّد شعر أبي دلف قوله:

بنفسي يا جنانُ وأنتِ منّي محلُّ الروح من جسد الجبانِ
ولو أنّي أقول مكان نفسي خشيتُ عليك بادرةَ الزمانْ
لإقدامي إذا ما الخيلُ حامتْ وهابَ كُماتُها حرُّ الطِّعانِ (٢٤٨/٨)

(١٣٦)

ومن جيّد شعر أبي دُلف قوله:

في كلّ يومٍ أرى بيضاءَ طالعةً كأنما أُنبتتْ في ناظر البَصَرِ
لئن قصصتُكِ بالمِقْراضِ عن بصري لما قطعتُكِ عن همّي وعن فِكَري (٢٤٩/٨)

(١٣٧)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني علي بن

---

(١) تجدّ: تقطع.

(٢) المراد بحسك الضغائن: الحقد والعداوة.

(٣) الجَنان: الأمر الخفيّ، والوَرب: الفاسد، أي يركبون أمراً ملتبساً فاسداً.

القاسم قال: قال علي بن جبلة: زرتُ أبا دُلفَ بالجبل(١)، فكان يُظهر من إكرامي وبرِّي والتَّحفِّي بي أمراً مُفْرطاً، حتى تأخرتُ عنه حيناً حياءً، فبعث إليَّ معْقِلَ بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعتَ عنِّي، وأحسبك استقللتَ بريّ بك، فلا يُغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلاَّ إفراطه في البرِّ، وكتبت إليه:

هجرتُك لم أهجُرْكَ من كفر نعمة ... وهل يُرْتجى نيْلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنَّني لمَّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في برِّي عجزتَ عن الشكر
فَمِ الآن لا آتيك إلا مُسلِّماً ... أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر
فإن زدْتني براً تزايدتُ جفْوةً ... ولم تلقني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمَّا قرأها معْقل استحسنها جداً وقال: أحسنتَ والله! أما إنَّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دُلفَ قال: قاتله الله. ما أشعره وأدقُّ معانيه! فأعجبتْه فأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضرَ الجواب -:

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطتُه ... وآنستُه قبل الضِّيافة بالبِشْرِ
أتاني يرجِّيني فما حال دونه ... ودون القِرى والعُرْفِ من نائلي سِتْري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقصْده ... إليَّ وبِراً زاد فيه على برِّي
فزوَّدته مالاً يقِلُّ بقاؤه ... وزوَّدني مدحاً يدوم على الدهر

قال: وبعث إليَّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليَّ بألف دينار؛ فقلت حينئذ: (إنما الدنيا أبو دُلفٍ) الأبيات. (٨/٢٥٦)

(١٣٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا الغلابيّ عن عبد الرحمن التَّيْميّ عن هشام بن سليمان المخزوميّ: أن الأخطل قدم على عبد الملك، فنزل على ابن سرحون كاتبه. فقال عبد الملك: على مَنْ نزلتَ؟ قال: على فلان. قال: قاتلك الله! ما أعلمك بصالح المنازل! فما تُريد أن يُنْزِلك(٢)؟ قال: درمَكٌ(٣) من درمككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس(٤). فضحك عبد الملك ثم قال له: ويْلك! وعلى أيِّ شيء اقتتلنا إلا على هذا!. ثم قال: ألا تُسْلِمُ فنفرضَ لك في الفيْء ونُعطيكَ عشرة آلاف؟

---

(١) بلاد الجبل: مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم.

(٢) ينزلك: أي يقدّم لك النزل، وهو ما يهيأ للضيف من طعام وغيره. (٣) الدرمك: دقيق الحواري.

(٤) بيت رأس: اسم لقريتين في كلّ واحدة منهما كروم كثيرة، تنسب إليهما الخمر.

قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإنَّ أولَها لمُرّ وإن آخرها لسُكْر! فقال: أمَّا إذا قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لمنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلاَّ كعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع. فضحك ثم قال: ألا تزور الحجَّاج! فإنه كتب يستزيرك. فقال: أطائعٌ أم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنتُ لأختار نواله على نوالك ولا قُرْبه على قربك؛ إنَّني إذاً لكما قال الشاعر:

كمُبْتاعٍ ليركبه حماراً تخيَّره من الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجَّاج؛ فمدحه بقوله:

صرمتْ حبالك زينبٌ ورَعُومُ وبدا المُجمْجَمُ منهما المكتومُ(١)

ووجّه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيِّد شعره. (٢٩٠/٨)

(١٣٩)

وقال هارون بن الزَّيات حدَّثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسَّان قال: ذكروا الفرزدق وجرير في حلْقة المدائنيِّ؛ فقلت لصباح بن خاقان: أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هاتِ؛ فأنشدتُه:

ألمْ يأتِها أنَّ الأراقم فلّقتْ جماجِم قيسٍ بين راذانَ والحضْرِ(٢)

جماجم قومٍ لم يعافوا ظُلامةً ولم يعرفوا أين الوفاءُ من الغدْرِ

قال: فسكت. (٢٩١/٨)

(١٤٠)

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلاَّم قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أيُّ البيتين عندك أجودُ: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ ركب المطايا وأنْدى العالمين بُطُونَ راحِ

أم قول الأخطل: شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدرُوا

فقلت: بيتُ جرير أحلى وأسْير(٣)، وبيتُ الأخطل أجْزل وأرْزن(٤).. فقال: صدقتَ، وهكذا كانا

---

(١) رعوم: اسم امرأة، وجمجم في صدره شيئاً: أخفاه ولم يُبْده.

(٢) الأراقم: حيٌّ من تغلب وهم جشم وبنو بكر ومالك والحارث وربيعة، وراذان: قرية بنواحي نَسا، وهي بلد من خراسان. والحضر: اسم مدينة بإزاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات.

(٣) أسْير: أكثر انتشاراً، وقد عُدَّ انتشار الشعر مقياساً لجودته. ينظر الأغاني (٤١/٧)، وخزانة الأدب (٢٠١/٦). وأحلى: أكثر حلاوة، ويراد بالحلاوة سهولة الألفاظ، واستساغة الذوق لها، وقد وُصِف به:

في أنفسهما عند الخاصّة والعامّة. (٣٠٥/٨)

(١٤١)

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن القاسم بن خلّاد قال: أنشد الحرْمازيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف:

لا جزى اللهُ دمعَ عيني خيراً وجزى اللهُ كلُّ خيرِ لساني
نمَّ دمعي فليس يكتُم شيئاً ورأيتُ اللّسانَ ذا كتْمانِ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طيٌّ فاستدلُّوا عليه بالعُنْوان

ثم قال الحرْمازيّ: هذا والله طِراز(١) يطلبُ الشعراء مثله فلا يقدرون عليه. (٣٥٤/٨)

(١٤٢)

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن سعيد عن الرِّياشيّ قال: قيل للأصمعيّ ـ أو قلتُ له ـ ما أحسنُ ما تحفظ للمُحْدَثين؟ قال: قول العبّاس بن الأحنف:

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ روْعتي أملي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقبِ
لكن ملِلْتِ فلم تكن ليَ حيلةٌ صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتبِ (٣٥٥/٨)

(١٤٣)

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن العبّاس للعبّاس بن الأحنف:

= الشعراء بأنَّ شعرهم حلو مثل عبد بني الحسحاس والقطامي، ينظر طبقات فحول الشعراء (١٨٧/١، ٥٣٥/٢). (٤) أجزل: أكثر جزالة، ويراد بها اشتداد أسر الشعر، وسهولة لفظه، وبُعده عن غير المطبوعين، ينظر قواعد الشعر لثعلب (ص ٥٩)، أو هي فخامة الألفاظ والقوة والشدّة، وهي مقابل السهولة، ينظر كتاب الصناعتين (ص ٢٤)، وقد التفت حازم إلى جانب في الجزالة مهم، وهي تكون «بشدّة التطالب بين كلمة وما يجاورها، وبتقارب أنماط الكلم في الاستعمال»، ينظر منهاج البلغاء (ص ٢٢٥)، وأرزن: أثقل، من الرزانة وهي الثِّقل، ينظر لسان العرب (١٧٩/١٣)، ولعلّه عنى ثقل ألفاظه ومعانيه، وشدّة تأثيره.

(١) الطراز: هو الأسلوب، أو الطريقة، أو اللون من الشعر، ومنه قول عقبة بن رؤبة لبشار: «هذا طراز لا تحسنه» الموشّح (ص ٥٥٦)، ويعني به الرجز، ومن المفيد أن نضيف هنا أنَّ ابن الأثير الحلبي صاحب جوهر الكنز (ص ٤٤٦)، حين وضع الشعراء في طبقات، أفرد طبقة أسماها (الطراز المذهّب). وشعراؤها هم: المتنبي، وأبو فراس، والسلامي، وابن نباتة السّعدي، وابن حجّاج.

قالت ظَلومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ   مالي رأيتُك ناحلَ الجسمِ
يا مَنْ رمى قلبي فأقصده   أنت العليمُ بموضع السَّهْمِ

فقلت له: إنَّ أبا حاتم السِّجِسْتانيَّ حكى عن الأصمعيِّ أنَّه أنْشد للعبّاس بن الأحنف:

أتأذَنُونَ لصبٍّ في زيارتكم   فعندكم شهواتُ السمعِ والبَصَرِ
لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به   عفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعيّ: مازال هذا الفتى يُدْخِل يده في جرابه فلا يُخْرِج شيئاً، حتى أدخلها فأخرج هذا؛ ومنْ أدْمنَ طلب شيء ظفر ببعضه. فقال إبراهيم بن العبّاس: أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ، ولكن أنْشدُك للعبّاس مالا تدفع أنت، ولا غيرُك فضله، ثم أنشدني قوله:

والله لو أنَّ القلوبَ كقلبها   مارقَّ للولدِ الضعيفِ الوالد

وقوله: لكن مللْتِ فلم تكن لي حيلةٌ   صدُّ الملولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

وقوله: حتى إذا اقتحم الفتى لُجج الهوى   جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كبارُ

ثم قال: هذا والله مالا يقدر أحدٌ على أن يقول مثله أبداً. (٣٥٦/٨)

(١٤٤)

حدّثني الصُّوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النُّصيبيني قال سمعتُ سعيد بن جُنيد يقول: ما أعْرف أحسن من شعر العبّاس في إخفاء أمره حيث يقول:

أريدُكِ بالسلام فأتّقيهم   فأعمدُ بالسلام إلى سواكِ
وأكثرُ فيهمُ ضحكي ليخفى   فسنِّي ضاحكٌ والقلبُ باكِ (٣٥٧/٨)

(١٤٥)

حدّثني عمّي قال حدّثني ميمون بن هارون قال: كنّا عند الحسن بن وهب فقال لبنان: غنّيني:

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكم   فعندكم شهواتُ السمْعِ والبصرِ
لا يُضْمِرُ السوءَ إن طال الجلوسُ به   عفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال: فضحكتْ ثم قالت: فأيُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أيُّ معنىً! فخجل الحسن من نادرتها عليه، وعجبنا من حدّة جوابها وفطنتها. (٣٥٧/٨)

(١٤٦)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني علي بن محمد بن نصر قال حدّثني خالي أحمد بن حمدون قال: كان بين الواثق وبين بعض جواريه شرٌّ فخرج كسلانَ؛ فلم أزلْ أنا والفتحُ بن خاقانَ نحتال لنشاطه؛ فرآني أضاحك الفتح فقال: قاتل اللهُ ابنَ الأحنف حيث يقول:

عدلٌ من الله أبكاني وأضحكها فالحمدُ لله عَدْلٌ كلُّ ماصنعا

اليوم أبْكي على قلبي وأندُبُه قلبٌ ألحّ عليه الحُبُّ فانصدعا

فقال الفتح: أنت والله يا أمير المؤمنين في وضْع التَّمثُّل موضعه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ.

(٣٥٧/٨)

(١٤٧)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال: قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جرى بينهما عتْبٌ: إن كنتَ تستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلُّ بعزّ الحُبّ. أتُراكَ لم تسمع بخليفة عشق قبلك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك. فقال الواثق: لله درُّ ابن الأحنف حيث يقول:

أما تحْسبيني أرى العاشقينَ بلى، ثم لستُ أرى لي نظيرا

لعلّ الذي بيديه الأمورُ سيجعل في الكُرْه خيراً كثيرا (٣٥٨/٨)

(١٤٨)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظرفُ ابنُ الأحنف في قوله يصفُ طول عهده بالنَّوْم:

قفا خبِّراني أيُّها الرجلانِ عن النوم إنَّ الهجرَ عنه نهاني

وكيف يكون النومُ أم كيف طعْمُه صِفا النومَ لي إن كنتما تصفانِ

قال: على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار. (٣٥٨/٨)

(١٤٩)

وحدُّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العبّاس بن الفضل يقول: ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف:

سبحان ربُّ العُلا ما كان أغْفلني عما رمتْني به الأيامُ والزمنُ

منْ لم يذُقْ فُرقةَ الأحباب ثم يرى آثارهم بعدهم لم يدْرِ ما الحَزَنُ (٣٥٩/٨)

(١٥٠)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون بن مخلد قال حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيتُ سلمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف، فعجبتُ منه وقلتُ: مثلُك - أعزّك الله - يحمل هذا فقال: ألا أحمل شعر مَنْ يقول:

أسـاتُ أنْ أحسـنتُ ظنّي بكم ... والحـزمُ سـوءُ الظـنِّ بالنّاسِ
يُقلقـني الشـوقُ فـأتيكـمُ ... والقلـبُ مملـوءٌ مـن اليـاسِ

(٣٥٩/٨)

(١٥١)

وروى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعرابيّ فصيحٌ ظريف، فجعلت أكتب عنه أشياء حساناً؛ ثم قال: أنشدني لأصحابكم الحضريين. فأنشدتُه للعبّاس بن الأحنف:

ذكرتُك بالتُّفاح لمـا شـمِمْتُه ... وبالرَّاح لما قابلتْ أوْجُهَ الشَّرْبِ
تذكّرتُ بالتّفـاح منك سـوالفـاً ... وبالرَّاح طعماً من مُقبّلك العذبِ

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عنّي! لا أنشدك حرفاً بعد هذا(١). (٣٥٩/٨)

(١٥٢)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال قال أبو العتاهية: ما حسدْتُ أحداً إلا العبّاس بن الأحنف في قوله:

إذا امتنع القريبُ فلم تنلْهُ ... على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإني كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يُشبه شعرك.

(٣٦٠/٨)

(١٥٣)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: سمعتُ حسين بن الضّحّاك يقول: لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذر، وهو قوله:

---

(١) هل يشير هذا النصّ إلى تقارب أذواق أهل البادية، مع أذواق أهل الحاضرة، وإلى بدء زوال الفروق بينهما لعلّ إعجاب هذا الأعرابي ببيتيْ العباس يلمح إلى هذا، خاصة إذا عرفنا أنّ البادية لم تَعُدْ في ذلك العصر مكاناً مقفلاً، إذ اتسع الاتصال بينها وبين الحاضرة كثيراً، وبدأ بريق الحواضر جذاباً، شعّ بنوره على البادية فلم تعد كما كانت في الماضي.

لعمْرُك ما يستريح المُحبُّ حتى يبوحَ بأسرارهِ
فقد يكتُم المرءُ أسراره فتظهرُ في بعض أشعاره

ثم قال: أمّا قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو:

الحُبُّ أمْلَكُ للفؤاد بقهره من أن يُرى للسّتر فيه نصيبُ
وإذا بدا سرُّ اللبيبِ فإنّه لم يبْدُ إلاّ والفتى مغلوبُ (٣٦٠/٨)

(١٥٤)

أخبرني الصوليّ قال حدّثنا محمد بن الفضْل قال حدّثني حماد بن إسحاق قال: كان جدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس، فتغنّى في كثيرٍ من شعره، فذكر أشعاراً كثيرةً حفظتُ منها:

وقد مُلِئتْ ماء الشّبابِ كأنّها قضيبٌ من الرّيحان ريّانُ أخضر
هُمُ كتموني سيْرهم حين أزمعوا وقالوا اتّعدْنا للرّواح وبكّرُوا (٣٦١/٨)

(١٥٥)

وقد أخبرني الحسن بن علي عن الحسين بن فهْم قال: أنشد المأمون قولَ عبّاس بن الأحنف:

هُمُ كتموني سيْرهم حين أزمعوا وقالوا أتعدْنا للرّواح وبكّرُوا

فقال المأمون: سخروا بأبي الفضل. (٣٦١/٨)

(١٥٦)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال: ما غنّى جدّي في شعر أحد من الشعراء أكثر ممّا غنّى في شعر ذي الرُّمّة وعبّاس ابن الأحنف. (٣٦٢/٨)

(١٥٧)

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد الله التّميميّ قال: كنا في مجلس ابن الأعرابيّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلْزم ابن الأعرابيّ، وكان يحبّه ويأنسُ به. فقال له: ما أخّرك عنّي؟ فاعتذر بأشياء ثم قال: كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به، فاستكثر ذلك ابنُ الأعرابيّ واستهاله وعجب منه، وقال: ما هو؟ قال: غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف:

بكتْ عيْني لأنواعٍ من الحزن وأوجاعِ

وأنّـي كـل يـوم عنـ ـدكم يحْظى بي السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيّ: أمّا الغناء فما أدْري ما هو، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ(١). (٣٦٢/٨)

(١٥٨)

وجدتُ في كتاب الشّاهيني بغير إسناد: أنشدِ أبو الحارث جُمّيْزْ قول العباس بن الأحنف: «قلبي إلى ما ضرّني داعي» .. الأبيات. فبكى ثم قال: هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبّاخةٍ مليحة. فقلت له: من أين قلت ذاك؟ قال: لأنه بدأ فقال: «قلبي إلى ما ضرّني داعي» وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطُّعام والشُّراب فيأكله، فتكثر علله وأوجاعُه، وهذا تعريض؛ ثم صرّح فقال:

كيف احتراسي من عدوّي إذا كـان عـدوّي بيـن أضـلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلاّ معدتُه، فهي تُتلفِ ماله، وهي سببُ أسقامه، وهي مفتاح كلّ بلاء عليه، ثم قال: إن دامَ لي هجرُك يامالكي أوْشـك أن ينْعـاني النّاعي

فعلمتُ أنّ الطّباخة كانت صديقته، وأنها هجْرته ففقدها وفقد الطّعام، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ونعاه النّاعي. (٣٦٤/٨)

(١٥٩)

قال الصُّوليّ: ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مخْلد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف:

إن قـال لـم يفعل وإن سـيل لم يبْـذُل وإن عُوتبَ لـم يُعْـتبِ
صبٌّ بعْصيـاني ولو قـال لـي لا تشْـربِ البـاردَ لـم أشـربِ
إليك أشـكو ربِّ مـا حـلّ بي من صـدِّ هذا المُذْنبِ المُغْضبِ

قال الحسن بن مخْلد: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا والله الكلامُ الحسنُ المعْنى، السهلُ الموْرد، القريبُ المتناول، المليحُ اللفظ، العذْب المستّمع. (٣٦٥/٨)

---

(١) يشار هنا إلى فكرة التخصّص التي أخذت في الرسوخ والثبات، فلم يعد الباب مفتوحاً لمن أراد لكي يدلي بدلوه، فابن الأعرابي يتوقف عن الحكم على الغناء فهو ممّا لا يعرفه، وهذا اعتراف من الرجل جميل، أمّا الشعر فهو فارس مضماره وميدان تخصّصه فليقل ما يشاء له القول، وقد أصدر حكمه على الشعر مثلما رأينا، وتوقّف عن الحكم على الغناء. وكلا الموقفين يُحسبان له.

(١٦٠)

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول: ما رأيتُ كلاماً مُحْدثاً أجزل في رقّةٍ، ولا أصعب في سهولةٍ، ولا أبلغ في إيجازٍ، من قول العباس بن الأحنف: تعالَي نُجدِّدْ دارس العهد بيننا كلانا على طـول الجفـاء مَلُومُ (٣٦٥/٨)

(١٦١)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: سمعتُ عليَّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق من المغنّين خاصّةً (شعر) العباس بن الأحنف، وخاصّةً قوله:

نام من أهْدى ليَ الأرقا مســتريحاً سامني قلقا

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما. قال: وكان يستْحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إيّاه حمله على أن قال في رويّه وقافيته:

بأبي والله مَـنْ طرقـا كابتسام البرق إذ خفقا

وعمل فيه لحناً من خفيف الثقِيل في الإصبع الوسطى. هكذا رواه الصُّوليّ. وأخبرني جحْظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال: قال أبي: هذا الصوت: «نام من أهدى لي الأرقا» من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصُّنْعة واشتراك المغنين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمْدون أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق. (٣٦٦/٨)

(١٦٢)

حدّثني الصّوليّ قال: سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول: لوقيل: ما أحسنُ شيء تعرفه؟ لقلت: شعرُ العباس بن الأحنف:

قد سحّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفـرّقَ النـاس فينا قولهـم فِرَقا

فكـاذبٌ قـد رمى بالحـبِّ غيركُـم وصـادقٌ ليـس يدْري أنّـه صدقـا (٣٦٧/٨)

(١٦٣)

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو بكر بن أبي خيْثمة قال: قيل لمُصْعب الزّبيريّ: إن الناس يسْتبردُونَ(١) شعر العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

---

(١) يستبردون: يعني يجدونه بارداً، والبارد من الشعر الضعيف الغث، وأورد الجاحظ معنى للاستبراد هو =

قــالت ظلـومُ سَمِــيَّةُ الظُّلْم ... مــالي رأيتُك ناحل الجــسم
يا مَن رمى قلبي فأقْصــده ... أنت العليمُ بموقــع السَّــهْم (٨/٣٦٨)

(١٦٤)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال حدّثني محمدُ بن موسى قال: أنْشد الرشيدُ قول العباس بن الأحنف: من ذا يُعيرك عينه تبكي بها
فقال: مَنْ لا صحبه الله ولا حاطه. (٨/٣٦٩)

(١٦٥)

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أبو الحسن الأسديُّ قال. سمعت الرِّياشيّ يقولُ، وقد ذُكر عنده العباسُ بنُ الأحنف: والله لو لم يقلْ من الشعر إلا هذين البيتين لكفيا:
أحْـرَمُ منكـم بمـا أقــولُ وقـد ... نال به العـاشـقـونَ من عـشِقُوا
صِرْتُ كــأنّي ذُبالــةٌ نُصــبَتْ ... تُضـــيءُ للنّاسِ وهــي تحْـترقُ (٨/٣٧٠)

(١٦٦)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ حدّثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكُثيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقي بها مجنون لأفاق. (٩/٥)

(١٦٧)

ومن نادر صنعة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وجيِّد شعره قوله - وله فيه لحنان ثقيلٌ أوّل

= الزهد في الرواية، فكأنّ الناس زهدت في رواية هذا الشعر لضعفه وغثاثته، ومن المفيد أن نورد نصّ الجاحظ إذ أنّ فيه ذكراً للعباس من جهة، وتعييناً لمن زهد في رواية شعره من جهة أخرى، يقول الجاحظ: «وقد أدركت رواة المسجديّين والمربديّين، ومَنْ لم يروِ أشعار المجانين ولصوص الأعراب، ونسيب الأعراب، والأرجاز الأعرابية القصار، وأشعار اليهود، والأشعار المنصفة، فإنّهم كانوا لا يعدّونه من الرواة، ثم استبردوا ذلك كلّه، ووقفوا على قصار الحديث والقصائد، والفِقر والنُّتف من كلّ شيء». ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرصَ منهم على نسيب العباس بن الأحنف. فما هو إلاّ أن أورد عليهم خلفٌ الأحمر نسيب الأعراب، فصار زهدهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب .. » البيان والتبيين (٤/٢٣).
وهي إشارة مهمة من الجاحظ تغني النصّ وتثريه.

وهزج، والثقيل الأول أجودهما -:

أنفقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقتّرٍ ... وأنفقْ على ما خيلت حين تُعْسِرُ

فلا الجُودُ يُفني المالَ والمالُ مقبلٌ ... ولا البخلُ يُبقي المالَ والجدُّ مُدْبِرُ

وأشعاره كثيرةٌ جيِّدة كثيرةُ النادر والمُختار. (٤١/٩)

(١٦٨)

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزّيات حدّثني بعض أصحابنا عن أبي نُواس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجُعِلَ مع بيت الآخر، وأُخذ بيتُ ذاك فجُعل مع هذا لصار متّفقاً معنىً وتشبيهاً. فقلت له: أنّى ذلك؟ فقال: قول جرير للفرزدق:

فإنّك إذ تهجو تميماً وترتشي ... تَبابينَ قيسٍ أو سُحوقَ العمائم(١)

كمُهَريقِ ماءٍ بالفلاةِ وغرَّه ... سرابٌ أذاعتْه رياحُ السَّمائم

وقول ابن هرْمة: وإنّي وترْكي ندى الأكرمينَ ... وقدْحي بكفّيَّ زنْدًا شحاحا(٢)

كتاركةٍ بيضَها بالعراءِ ... وملْبِسةٍ بيْضَ أخرى جناحا

فلو قال جرير:

فإنّك إذ تهجو تميماً وترتشي ... تَبابينَ قيسٍ أو سحوقَ العمائمِ

كتاركةٍ بيضَها بالعراءِ ... وملْبِسةٍ بيضَ أخرى جناحا

لكان أشبه منه ببيته. ولو قال ابنُ هرْمة مع بيته:

وإني وتركي ندى الأكرمين ... وقدحي بكفّيَّ زنْدًا شحاحا

كمُهَريقِ ماءٍ بالفلاة وغرّه ... سرابٌ أذاعته رياح السمائم

كان أشبه به. ثم قال: ولكن ابن هرْمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال:

وإنك إذ أطمعتني منك بالرضا ... وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ

كممكنةٍ من ضرعها كفَّ حالبٍ ... ودافقةٍ من بعد ذلك ما حلبْ

وقد أتى عُبيد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة»(٣). وإنما أخذه من أبي نُواس على

---

(١) التبابين: جمع تبان، وهو سروال صغير مقدار شبر يستر العورة يكون للملاحين، والسحوق: جمع سحق، وهو الثوب الخلق البالي. (٢) زند شحاح: الذي لا يوري.

(٣) الآداب الرفيعة: اسم كتاب لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، وقد وصفه أبو الفرج بقوله: «هو =

كتاب في النغم وعلل الأغاني - مشهور جليل الفائدة دالٌ على فضل مؤلفه. الأغاني (٤١/٩).

ما رُوي عنه. (٤٢/٩)

(١٦٩)

ومما يُغنَّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيِّد شعره قوله يفتخر:

ألم نسقِ الحجيج وننـ ـحرِ المذلاقةَ الرُّفُدا(١)
وزمزمُ من أرومتنا ونفقأ عين مَنْ حسدا
وإنَّ مناقبَ الخيرا ت لم نُسْبق بها عددا
فإنْ نهلِكْ فلم نملك وهل من خالدٍ خلدا (٥٥/٩)

(١٧٠)

أخبرني محمد بن إبراهيم قُريض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغنِّي قال: غنيتُ المعتضد صوتاً في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد:

كلاني توَّجاني وبشعري غنّياني

فقال: أحسن والله! هكذا تقول الملوك المُترفون، وهكذا يطربون، وبمثل هذا يُشيرون، وإليه يرتاحون!. (١٣٢/٩)

(١٧١)

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فحلٌ(٢) جيِّد ليس بالكثير. منه قوله:

إذا كان لي سِرٌّ فحدثته العدا وضاقَ به صدري فللناسُ أعذرُ
وسِرُّك ما استودعته وكتمته وليس بسِرٍّ حين يفشو ويظهر

---

(١) المذلاقة: يريد بها النوق السريعة السير. والرفد: جمع رفود وهي التي تملأ الرِفد وهو القدح الضخم، من النوق في حلبة واحدة.

(٢) غالباً ما يوصف بعض الشعراء، بأنّهم فحول كأن يكون لهم مزية على غيرهم. فحولة الشعراء للأصمعي (ص ١٣)، أو يكونوا ذوي شعر متين جيِّد فصيح. ينظر فحولة الشعراء (ص ١٦). أو أن يكونوا مع ذلك كله رواة للشعر. ينظر البيان والتبيين (٩/٢). وعلى هذا نستطيع أن ننقل هذه الأوصاف إلى الفحل من الشعر. فهو الشعر القوي، المتين، المتميِّز.

وقوله لابن شهاب الزُّهْريّ:

إذا قلتُ أمَّا بعدُ لـم يُلْنَ منطقـي　　فـحـاذرْ إذا مـا قلتُ كـيـف أقـولُ
إذا شـئـت أن تلْقى خـليلاً مصـافيـاً　　لقـيــتَ وإخــوانُ الثّـقــاتِ قليــل　(١٤٦/٩)

(١٧٢)

ومن جيِّد شعر عُبيدِ الله وسهله:

أعـاذل عـاجلُ مـا أشـتـهـي　　أحبُّ مـن الآجـل الرائث(١)
سـأنفق مــالي على لذتي　　وأوثر نفـسي على الوارث
أبادر إهلاكَ مـسـتـهلك　　لمـالي أو عـبثَ العـابث

وقوله يفتخر في أبيات:

إذا هي حلّت وسْط عُوذِ ابن غـالبٍ　　فـذلك ودٌّ نـازحٌ لا أطـالعُـه(٢)
شددتُ حيازيمي على قلب حـازمٍ　　كتومٍ لـما ضُـمِّنَتْ عليه أضـالعه(٣)
أداجي رجالاً لستُ مُطْلِعَ بعضـهم　　على سرِّ بعض إنَّ صدري واسـعه
بنى لي عـبـدُ الله في ذِرْوة العـلا　　وعُتْبـةُ مـجـداً لا تُنال مـصـانعـه

وقوله وفيه غناء:

إن يكُ ذا الدهـرُ قـد أضـرَّبنا　　من غـيـر ذحْلٍ فـربَّمـا نفـعـا
أبكـي علـى ذلك الزمـانِ ولا　　أحسب شيئا قد فات مُرْتجعا
إذ نحـن في ظـلّ نعمةٍ سـلفتْ　　كـانت لهـا كـلُّ نعمـةٍ تبعـا　(١٤٧/٩)

(١٧٣)

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عمَّار قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أحمد بن محمد بكر الزُّبيريّ قال حدّثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي غُزيَّة الأنصاريّ قال: كنتُ على باب المهديّ يوماً، فخرج حاجبه فقال: أين ابن دأب؟ فقال: هاأنذا. فقال: ادخل؛ فدخل ثمّ خرج فجلس. فقلت: يابنَ دأب، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال قال لي: أنشدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صِرْمة الأنصاريّ التي يقول فيها:

---

(١) الرائث: البطيء.　(٢) العوذ: جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الإبل وغيرها.

(٣) الحيازيم: مفردها حيزوم وهو وسط الصدر

لنا صُورٌ يزول الحـقُّ فـيـهـا وأخـلاقٌ يـسـود بهـا الفـقـيـرُ
ونصحٌ للعشيـرة حيث كـانت إذا مُلئت مـن الغـشِّ الصـدور
وحِلْمٌ لا يصُوب الجـهلُ فـيـه وإطـعـام إذا قـحط الصُّـبـير(١)
بذاتِ يدٍ على مـا كـان فـيـهـا نجـود بـه قليـلٌ أو كـثـيـر

فتركتُها وقلت: إنَّ من أشعر ما قالت العرب قولَ الشمَّاخ:

وأشعثَ قد قدَّ السِّفارُ قميصه يجرّ شواءً بالعصا غير مُنْضجِ(٢)
دعوتُ إلى ما نابني فأجابني كريمٍ من الفتيان غيرِ مُزَلَّجِ(٣)
فتىً يملأ الشِّيزى ويُرْوي سنانه ويضرب في رأس الكميِّ المُدجَّجِ(٤)
فتىً ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ولا في بيوت الحيِّ بالمتولِّجِ

فقال: أحسنت! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال: هذه صفتُك يا أبا العباس. فأكبَّ عليه عبد الله فقبَّل رأسه وقال: ذكرك اللهُ بخير الذِّكْر يا أمير المؤمنين. قال أبو غُزيَّة فقلت له: الأبياتُ التي تركتَ والله أشعرُ من التي ذكرت. (١٦٥/٦)

(١٧٤)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدَّثني الكُرانيُّ محمد بن سعد قال حدَّثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكيِّس قال قال لي أبو نواس: ما أحسنَ الشمَّاخُ في قوله:

إذا بلغْتني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرقي بدم الوتين

لا كما قال الفرزدق(٥):

علام تلفَّتين وأنتِ تحتي وخيرُ النَّاس كلُّهم أمامي
متى تردي الرُّصافة تستريحي من التهْجير والدَّبرِ الدَّوامي (١٦٨/٩)

---

(١) الصُّبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

(٢) السِّفار: السفر، أي ربَّ أشعث شقَّت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه.

(٣) المزلَّج: الملصق بالقوم وليس منهم، والرجل الناقص المروءة.

(٤) الشِّيزى: الجفان الكبيرة تتخذ للطعام.

(٥) ورد هذا الخبر في الموشح (ص ٩٥)، وفيه أنَّ أبا نوَاس قال: (ألا قال كما قال الفرزدق)، وهو أصوب من الموجود في هذا النصِّ، وبه يستقيم المعنى الذي أراده أبو نواس من تخطئة الشمَّاخ، وإطراء الفرزدق.

(١٧٥)

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عُبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: قال ابن دأب وسمع قولَ الشمّاخ بن ضرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

إنك يابنَ جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجارُ ضيفٍ طرق الحيَّ سُرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إنَّ الحديث طرفٌ من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشمّاخ، يقول مثلَ هذا لابن جعفر ويقول لعرابة:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقّاها عرابةُ باليمين

ابن جعفر كان أحقُّ بهذا من عرابة. (١٦٨/٩)

(١٧٦)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال سمعتُ ابن عائشة يقول: قال إسحاق بن الفضل الهاشميّ: لم يقل الناس من هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح:

وكلُّ مُصيبات الزمان وجدتُها سوى فُرْقةَ لأحبابٍ هينّة الخطبِ (١٨٩/٩)

(١٧٧)

أخبرني أحمد بن جعفر جحْظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعْلب لقيس بن ذريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سقى طللَ الدارِ التي أنتمُ بها حياً ثم وبلٌ صيِّفٌ وربيعُ(١)
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي فهل لي إلى لُبْنى الغداة شفيع
سأصرم لُبْنى حبلكِ اليوم مُجْملاً وإن كان صرمُ الحبل منكِ يروع
وسوف أسلِّي النفسَ عنكِ كما سلا عن البلد النائي البعيدِ نزيع(٢)
وإنْ مسَّني للضُّرِّ منك كآبةٌ وإن نال جسمي للفراق خُشوع
يقولون صبٌّ بالنساء موكَّلٌ وما ذاك من فعل الرجال بديع
ندمتُ على ما كان منّي ندامةً كما ندم المغبونُ حين يبيع

---

(١) الحيا: المطر، والوبل: المطر الشديد، والصيِّف: الذي يهطل صيفاً. (٢) نزيع: غريب.

فقدتُك من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن   نهيتُك عن هذا وأنت جميع(١)
فقرَّبت لي غير القريب وأشرفتْ   هناك ثنايا ما لهنَّ طلوع
إلى اللهِ أشكو نيَّةً شقَّت العصا   هي اليوم شتَّى وهي أمس جميعُ
فيا حجراتِ الدار حيث تحمَّلوا   بذي سلمٍ لا جادكنَّ ربيع   (٩/٢١٤)

(١٧٨)

وهذه القصيدة العينية أيضاً من جيِّد شعر قيس. والمختارُ منها قوله:

أتبكي على لُبنى وأنت تركتها   وكنتَ كآتٍ حتْفه وهو طائعُ
فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى   ويا حبُّها قعْ بالذي أنت واقع(٢)
ويا قلبُ خبِّرني إذا شطَّتِ النَّوى   بلُبْنى وبانت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبيْن المُشتِّ مع الجوى   أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازع
كأنَّك بِدْعٌ لم تر الناس قبلها   ولم يطَّلعْك الدهرُ فيمن يُطالع(٣)
ألا يا غرابَ البيْن قد طِرْتَ بالذي   أحاذر من لُبنى فهل أنت واقع
فليس محبٌّ دائماً لحبيبه   ولا ثقةٌ إلاَّ له الدهرَ فاجع
كأنَّ بلاد الله ما لم تكن بها   وإن كان فيها الناسُ قفْرٌ بلاقع
فما أنت إذ بانت لُبيْنى بهاجعٍ   إذا ما اطمأنَّتْ بالنِّيام المضاجع
أقضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى   ويجمعني والهمَّ بالليل جامعُ
نهاري نهارُ الناس حتى إذا دجا   لي الليلُ هزَّتْني إليكِ المضاجع
لقد رسختْ في القلب منكِ مودَّةٌ   كما رسختْ في الراحتين الأصابعُ
أحال عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب   ودامتْ فلم تبرح عليَّ الفواجع
ألا إنَّما أبكي لما هو واقعٌ   فهل جزعي من وشْك ذلك نافع
وقد كنتُ أبكي والنَّوى مطمئنةٌ   بنا وبكم من عِلْم ما البينُ صانع
وأهجُركم هجر البغيض وحبُّكم   على كبدي منه كُلُومٌ صوادع
وأعمد للأرض التي لا أريدها   لترْجعني يوماً إليكِ الرواجع
وأشْفِق من هجرانكم وتروعني   مخافةُ وشْكِ البين والشَّملُ جامع

---

(١) شَعاع: متفرِّقة.   (٢) اعترف للأمر: صبر

(٣) البدع: الغمر من الرجال، وهو الذي لم يجرِّب الأمور

فـمـا كُلُّ مـا منَّتك نفـسُك خـاليـاً تُلاقـي ولا كـلُّ الهـوى أنـت تابـع
لعمْري لمنْ أمْسـى ولُبْنى ضجيعُـه من الناس ما اختيرتْ عليه المضاجع
فـتلك لُبـيْنى قـد تراخى مـزارُها وتلك نواهـا غُرْبـةٌ مـا تُطـاوع
وليس لأمـرٍ حـاولَ اللهُ جـمـعـه مُشـتٌ ولا مـا فـرَّق اللـهُ جـامع
فلا تبْكيَـن فـي إثْـرِ لُبْنـى ندامـةً وقـد نزعتْهـا مـن يديـك النـوازع

(٩/٢١٧)

(١٧٩)

قـال إسـحـاق: ثم انـحـدرتُ مع الواثق إلى النَّجف. فـقلت: يا أمـيـر المؤمنين، قـد قلت في النَّجف(١) قصيدةً. فقال: هاتها؛ فأنشدته قولي:

يا راكب العيس لا تعْجلْ بنا وقِفِ نُحـيِّ داراً لسُـعْدى ثـم ننصرفِ
لم ينْزلِ الناسُ من سـهلٍ ولا جبلٍ أصفى هـواءً ولا أغْذى مـن النَّجفِ
حُفَّـتْ ببرٍّ وبحـرٍ فـي جـوانبهـا فـالبرُّ في طرفٍ والبحرُ في طَرفِ
مـا إن يزال نسـيمٌ من يمانيـةٍ يأتيـك منهـا بريّاً روْضـةٍ أُنُـفِ

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت وقد انتهيتُ إلى قولي فيه:

لا يحْسَبُ الجود يُفني ماله أبداً ولا يرى بذْلَ ما يحْوي من السَّرفِ

فقال لي: أحسنتَ يا أبا محمد! فكنَّاني، وأمر لي بألف درهم. (٩/٢٨٤)

(١٨٠)

فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمَّار وإسماعيلُ بن يونس وغيرهما قالوا حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُناسة قال: اصطحب شيخٌ مع شباب في سفينةٍ في الفُرات ومعهم مغنِّية، فلمَّا صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنِّية، فأحببنا أن نسمع غناها فهبْناك، فإن أذنتَ لنا فعلْنا. قال: أنا أصعدُ إلى طلل السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم. فصعد، وأخذت الجاريةُ عودها فغنَّت:

حتى إذا الصبحُ بدا ضوءُه وغـابت الجـوْزاءُ والمِرْزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خـفيٌّ كـمـا ينسـاب من مكْمنه الأرقم

---

(١) النَّجف: مدينة قرب الكوفة، بالعراق، ذكرتها الشعراء في أشعارها فأكثرت، ينظر معجم البلدان (٥/ ٢٧٢)، وقد أورد ياقوت أبيات اسحق هذه ضمن قصيدة

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفُرات، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقمُ! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأيٍ ما استخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عنِّي! فإنِّي والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال إسماعيل في خبره: فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دبَّ شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله. فلمّا وردا على قلبي لم أعقل ما عملت(١). (٢٩٢/٩)

(١٨١)

حدّثني الصولي قال حدّثني ابن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنّا وقوفاً على رأس الواثق في أوّل مجالسه التي جلسها لمّا ولي الخلافة، فقال: مَنْ يُنشدنا شعراً قصيراً مليحاً؟ فحرصْتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجئني، فأنشدته لعليِّ بن الجهْم:

لو تنصَّلتَ إلينا ... لوهبْنا لك ذنْبكْ
ليتني أملك قلبي ... مثلما تملكُ قلبكْ
أيُّها الواثق بالله ... لقد ناصحتَ ربَّكْ
سيِّدي ما أبغض العيـ ... ـشَ إذا فارقتُ قُربكْ
أصبحتْ حُجَّتُك العلْيـ ... ـا وحِزْبُ الله حِزْبكْ

فاستحسنها وقال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك عليِّ بن الجهم. (٢٩٧/٩)

(١٨٢)

سُقيتُ كأساً كشفتْ ... عن ناظريَّ الخُمُرا
فنشَّطتني ولقد ... كنتُ حزيناً خاثرا

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ ركيك إلا أنه يُغنَّى فيه. (٣٠٠/٩)

(١٨٣)

وحدّثني الصُّوليّ عن أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه قال: كان طبع المنتصر متخلّفاً في قول الشعر وكان متقدِّما في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعرا صنع فيه وأمر المغنِّين بإظهاره، وكان حسن العلم بالغناء، فلمّا ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه. من ذلك صنْعتُه في شعره وهو من الثقيل الأوّل المذموم:

---

(١) هذا وصف دقيق لأثر الشعر في سامعه، إذ شمل التأثير الجسم كلّه، وأفقد الرجل اتّزانه فلم يدر ما يصنع.

سُقيتُ كأساً كشفتْ عن ناظريَّ الخُمُرا

قال: ومن شعره الذي غنّى فهي ولحنُه ثاني ثقيل:

متى ترْفعُ الأيامُ مَنْ قد وضعْنه وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جَموحُ
أعلِّل نفسي بالرجاء وإنَّني لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال: وكان أبي يستجيد هذين البيتين ويستحسنهما. (٣٠١/٩)

(١٨٤)

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجِّم: ما أحدٌ ذُكر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصفعه إلا عديُّ بن الرِّقاع. قلت: ولم ذلك؟ قال: لقوله:

وعلمتُ حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فكنت أعْرِضُ عليه أصنافَ العلوم، فكلما مرَّ به شيءٌ لا يُحسنه أمرتُ بصفعه. (٣١٠/٩)

(١٨٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن المغيرة قال: كان أبو عُبيدة يستحسن بيت عديّ بن الرِّقاع:

وسْنانُ أقْصده النُّعاس فرنَّقتْ في عينه سِنةٌ وليس بنائمِ

ويقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. (٣١١/٩)

(١٨٦)

قال محمد بن داود وحدّثني أحمد بن سعيد بن حسّان قال حدّثني ابن إبراهيم قال سمعت دعْبلاً يقول: لو تكسب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لتركنا في غير شيء. قال: ثم أنشدنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله:

إنَّ امرأً ضنَّ بمعروفه عنِّي لمبذولٌ له عذري
ما أنا بالراغب في عُرفه إن كان لا يرغب في شكري (٤٤/١٠)

(١٨٧)

ومن جيِّد قول إبراهيم بن العباس وفيه غناء:

خلِّ النِّفاق لأهله وعليك فالتمس الطَّريقا
واذهبْ بنفسك أن تُرى إلاَّ عدوّاً وصديقا (٤٥/١٠)

(١٨٨)

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضّلها ويستجيدها:

أميل مع الذِّمام على ابن أمّي وآخُذ للصَّديق من الشقيقِ
وإن ألفيْتني حُراً مُطاعاً فإنك واجدي عبدَ الصديقِ
أفرّق بين معروفي ومَنّي وأجمع بين مالي والحقوقِ (٤٧/١٠)

(١٨٩)

أخبرنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدّثني ابن السخيّ قال: وهب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله، ووهب لأخته الثلث الآخر، فصار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم:

ولكنّ عبد الله لمّا حوى الغنى وصار له من بين أخوته مالُ
رأى خَلَّةً منهم تسُدُّ بماله فساهمهم حتى استوت بهمُ الحالُ

وهذا ما عيب على إبراهيم قوله ابتداءً «ولكنّ عبد الله» وقد كرّره في شعره فقال:

ولكنّ الجواد أبا هشام وفيُّ العهد مأمونُ المغيبِ
بطيء عنك ما استغنيتَ عنه وطلاّع عليك مع الخطوبِ

والسبب في ذلك اختياره شعره وإسقاطه ما لم يرْضه منه(١). (٥٠/١٠)

(١٩٠)

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدّثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العبّاس وقال: قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكّل ببيتين، فغنّ فيهما وأشعْهما، ودعا لي بطيب كثير فأعطانيه، وخلع عليّ خلعة سريّة، فغنّيتُ فيهما. والبيتان:

ما واحدٌ من واحدٍ أولى بفضل أو مُرُوّهْ
ممّن أبوه وجدُّه بين الخلافة والنُّبُوّهْ

وأشعتُهما وغنّى فيهما المتوكّل فاستحسنهما ووصله صلةً سنيّة. (٥١/١٠)

---

(١) سيَرد لهذا الأمر ذكر في مواضع أخرى مقبلة، وسنرى أن تنقيح الشاعر لشعره في بعض الأحيان يؤدي إلى إبقاء ما يشير إلى ذلك التنقيح، ويدلّ على أنّ هناك أبياتاً قد حُذفت أو قُدّمت بدلالة أبيات أخرى باقية تحتاج في معناها إلى سوابق لها ولكنّها غير مثبتة في القصيدة.

(١٩١)

أخبرني الصُّوليّ قال سمعتُ أحمد بن يحيى ثعْلباً يقول: كان إبراهيم بن العبّاس أشعر المحدثين، قال: وما روى ثعلبٌ شعر كاتبٍ قطُّ قال: وكان يستحسنُ كثيراً قوله:

لنا إبلٌ كُومٌ يضيق بها الفضا ... ويفترُّ عنها أرْضُها وسماؤها(١)

فمن دونها أن تُستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن تُستباحَ دماؤها

حمى وقِرىً فالموتُ دون مرامها ... وأيسرُ خطبٍ يوم حقٍّ فناؤها

ثم قال: والله لو كان هذا لبعض الأوائل لا ستُجيد له. (٥٩/١٠)

(١٩٢)

أخبرني عمّي قال: اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته، فجعل هارونُ يُنشد من أشعار أبيه محاسنها، ويفضلها ويقدّمها. فقال له ابن برد الخيار: إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العبّاس:

أسدٌ ضارٍ إذا هيَّجتَه ... وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعدَ إن أثْرى ولا ... يعرف الأدْنى إذا ما افتقرا

أو مثلُ قوله: تلج السنون بيوتَهم وترى لهم ... عن جار بيتِهمُ ازورارَ مناكبِ

وتراهُمُ بسيوفهم وشفارهم ... مُسْتشرفين لراغبٍ أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيتهم ... نهْبَ العُفاة ونُهْزةً للرّاغب

فاذكرْه وافْخر به وإلاّ فاقْللْ من الافتخار والتُّطاول بما لا طائل فيه؛ فخجل هارون. وقال عبيد الله بن سليمان: لعمْري ما في الكتّاب(٢) أشعر من أبي إسحاق وأبي عليّ، (يعني عمّه

---

(١) الكوم: الإبل الضخمة العظيمة السنام، الواحد أكوم، والأنثى كوماء.

(٢) من المعروف أنّ إبراهيم بن العباس وأخاه عبد الله كانا من وجوه الكُتّاب، وهما شاعران محسنان أيضاً، وقد ورد الحديث عن الكتّاب وشعرهم كثيراً في كتب الأدب والنقد، من ذلك قول الجاحظ: «طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلاّ غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلاّ إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلاّ ما اتّصل بالأخبار، وتعلّق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلاّ عند أدباء الكتّاب كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات». العمدة (١٠٥/٢)، وقد عقد ابن رشيق باباً في أشعار الكتّاب وجعلهم «أرقّ الناس في الشعر طبعاً، وأملحهم تصنيعاً، وأحلاهم ألفاظاً، وألطفهم معاني، وأقدرهم على تصرّف، وأبعدهم من تكلّف». العمدة (١٦٠/٢).

الحسن بن وهْب) ثم أمر بعضَ كُتَّابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما ابن برد الخيار. (١٠/٦٥)

(١٩٣)

حدّثني محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال حدّثني أحمد بن العلاء قال: غنَّيتُ المُعْتضدَ (من شعر الوليد بن يزيد):

كـلِّلاني تـوِّجـانــي ... وبشـعـري غنِّيــاني
أطلقــاني من وثـاقي ... واشــدُداني بعناني

فاستحسنه جداً، ثم قال لي: ويحك يا أحمد! أما ترى زهْوَ المُلك في شعره وقوله:

كلّلاني توِّجاني ... وبشعري غنِّياني

واستعاده مراراً. (١٠/٦٨)

(١٩٤)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مروان بن أبي حفْصة قال قال لي الرشيد: هل دخلتَ على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومتي إليه. قال: فأخبرني عنه. قال: فذهبتُ أتزحزح. فقال لي: إنَّ أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته يُنشد في خلافته وذكر هشاماً وتحامله عليه وما كان يريد من نقْض أمره وولايته:

ليت هشـامـاً عـاش حتى يرى ... مِكْتلَه الأوفر قد أتْرِعا[1]
كِلْنا له الصـاعَ التي كـالها ... ومـا ظلمـنـاه بها أصْوُعا
ومـا أتيْنا ذاك عـن بدْعـةٍ ... أحلَّه الفُرْقـانُ لي أجـمـعا

فقال الرشيد: يا غلامُ، الدواةَ والقرطاس، فأتيَ بهما، فأمر بالأبيات فكُتبت. (١٠/٨٠)

(١٩٥)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني خلادٌ الأرْقط قال: جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حلْقة يونس، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه، وأخذ خلفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي عُمير فجلسنا في الدهليز. فقال مروان لخلفٍ: نشدتُك الله يا أبا مُحْرز إلاّ نصحتني في شعري فإن الناس يُخدعون في أشعارهم، وأنشده

---

(١) المكتل: زبيل يُعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره يسع خمسة عشر صاعاً، وأترع: ملأ.

قوله: طرقتك زائرةٌ فحيِّ خيالها بيضاءُ تخلط بالجمال دلالها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله: رحلتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالها

فقال له مروان: أتبلغ بي الأعشى هكذا! ولاكُلّ ذا! قال: ويحك! إنَّ الأعشى قال في قصيدته هذه: فأصاب حبَّةَ قلبها وطحالها. والطِّحال ما دخل قطُّ في شيء إلا أفسده، وأنت قصيدتك سليمة كلّها. (٨١/١٠)

(١٩٦)

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدّثني به الرِّياشيّ عن الأصمعي قال: جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلْقة يونس، فسلَّم ثم قال لنا: أيُّكم يونس؟ فأومأنا إليه، فقال له: أصلحك الله! إنّي أرى قوماً يقولون الشعر، لأن يكْشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثل ذلك الشعر. وقد قلتُ شعراً أعْرضه عليك، فإن كان جيّداً أظهرتُه، وإن كان رديئاً سترتُه. فأنشده قوله: طرقتك زائرةٌ فحيِّ خيالها

فقال له يونس: يا هذا اذْهبْ فأظْهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله: رحلتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالها

فقال له مروان: سررتني وسُؤتني. فأمّا الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر. وأمّا الذي ساءني فتقديمُك إيّاي على الأعشى وأنت تعرف محلّه، فقال: إنما قدّمتُك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كلّه لأنه قال فيها: فأصاب حبَّةَ قلبها وطحالها. والطِّحال لا يدخل في شيء إلاّ أفسده. وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه(١). (٨٢/١٠)

---

(١) لعلّ هذا النصّ والذي قبله يستدعيان أمرين مهمين، الأول هو التجاء الشعراء إلى العلماء أمثال خلف، ويونس، واهتمامهم برأيهم في شعرهم، فكأنّهم يرونهم نقدة الكلام، وأنّهم أصابوا حظّاً من العلم بالشعر يؤهلهم للحكم عليه، وهنا تشعّ قضية التخصّص مرة أخرى تلك التي أشرنا إليها فيما سبق، مع ضرورة الإشارة إلى الاختلاف العميق بين العلماء والشعراء في نظرتيهما إلى الشعر. ولكن يظلّ للعلماء دورهم الذي لا ينكر، ومن هنا رأينا اهتمام مروان بسماع كلمتهم في شعره. أمّا الأمر الثاني فهو تحريّ الدقة في الحكم الذي أصدره يونس، فهو لم يقدّمه على الأعشى إطلاقاً، وإنّما في قصيدة واحدة مبيّناً السبب، وسواء اختلفنا مع يونس أو اتفقنا في هذا الحكم وتعليله، فإنّ هذه الدقّة، والتحرّز تشير إلى خبرة في الشعر واسعة من جهة، وقيام النقد على أسس متينة من جهة أخرى.

(١٩٧)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني علي بن الحسن الكوفي قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي مرّة التغلبيّ قال: مررت بجعفر بن عفان الطائيّ يوماً وهو على باب منزله، فسلّمتَ عليه، فقال لي: مرحباً يا أخا تَغْلب، اجلس فجلست. فقال لي: أما تعْجب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ   لبني البنات وراثةُ الأعمامِ

فقلت بلى والله إنّي لأتعجَّب منه وأكْثِر اللَّعن له، فهل قلتَ في ذلك شيئاً؟ فقال: نعم قلت:

لـم لا يكون وإنَّ ذاك لكـائنٌ   لبنـي البنات وراثة الأعـمـامِ
للبنت نصفٌ كـاملٌ من مـالـه   والعمُّ متـروكٌ بغـيـر سـهـامِ
مـا للطَّليـق وللتُّـراث وإنَّمـا   صلّى الطليقُ مخافةَ الصَّمْصامِ   (١٠/٩٤)

(١٩٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن زُهير عن مُصعْب قال: أنشد مُنْشدٌ وابنُ أبي عُبيدة عندنا قول الأحوص:

إذا أنتِ فينا لمن ينْهاكِ عاصيةٌ   وإذ أجُـرُّ إليكـم سـادراً رسني

فوثب قائماً وألقى طرف ردائه وجعل يخطو إلى طرف المجلس ويجرُّه. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا. فقلنا له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إنّي سمعتُ هذا الشعرَ مرّةً فأطْربني ، فجعلت على نفسي ألاّ أسمعه أبداً إلاّ جررتُ رسني.   (١٠/١٠٠)

(١٩٩)

وقال ابن أبي طاهر حدّثني المؤمّل بن جعفر قال: سمعتُ أبي يقول: كانت في يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهديّ: ياعمُّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها. فنكتَ في الأرض بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال:

ثلاثُ عـيـونٍ من النَّرْجسِ   على قـائم أخْضـرٍ أمْلسِ
يُذكِّرنني طيبَ ريَّا الحـبيب   فيَمْنَعْنني لـذَّة المجلـسِ

وصنع فيه لحناً وغنّاه به، فأعجبه وأمر له بجائزة.   (١٠/١١٥)

(٢٠٠)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسديّ قال حدّثني جعفر بن محمد الهاشميّ قال حدّثني بعض خدم إبراهيم بن المهديّ قال: كانت لإبراهيم بن المهديّ جارية يقال لها صَدوف، وكان لها من نفسه موضع. فحسدها جواريه على محلّها منه، فلم يزلْنَ يُبْلِغْنَه عنها ما يكره حتى غضب عليها وجفاها أياماً؛ ثم شقّ ذلك عليه واغتمّ به، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلْحها. فدخل عليه الأعرابيّ أخو مُعلَّلة صاحبة الفضل بن الربيع، وكان حسنَ الشِّعْر حلْوَ اللفظ فصيحاً، وكان إبراهيم يأنسُ به، فقال له: مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيّام؟ فأمسك. فقال: قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدتُه إيَّاها. فتبسَّم وقال: هات؛ فأنشده:

أعتبْتَ أم عتبتْ عليك صَدوفُ ... وعِتابُ مثلك مثلها تشريفُ

لا تقْعُدنَّ تلوم نفسك دائبا ... فيها وأنتَ بحبِّها مشغوفُ

إن الصَّريمة لا ينوءُ بحمْلها ... إلاّ القويّ بها وأنت ضعيفُ(١)

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صَدُوفَ فخرجتْ إليه ورضي عنها، وبعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار. (١٢٥/١٠)

(٢٠١)

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني الفضْل بن العبّاس الهاشميّ عن أبي عُبيدة قال: مازالت الشعراء تغْلِبُ حتى قال أبو النَّجْم: الحمد لله الوَهُوبِ المُجْزلِ وقال العجّاج: قد جبر الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ

وقال رؤبة: وقاتم الأعماق خاوي المُخْترقْ فانتصفوا منهم(٢). (١٥٠/١٠)

(٢٠٢)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدّثنا أبو الأسود النوجشاني

---

(١) الصَّريمة: القطيعة.

(٢) يشير أبو عبيدة إلى خلاف طويل بين الشعراء والرُّجاز، واعتداد الشعراء بأنفسهم، واعتبارهم الرَّجز أداة الضعيف، ووسيلة العاجز، وقد رأينا من الدارسين مَنْ لا يرى الرَّجز شعراً البتّة، فكأنْ أبا عبيدة يومئ بهذه الأراجيز الثلاثة المشهورة إلى انتصاف الرّجاز من الشعراء، وقدرتهم على مجاراتهم فيها، وهي من عيون الرُّجز وجياده.

قال: مرَّ أبي بالأصمعيّ وأنا عنده فقال له: يا أبا سعيد أيُّ الرَّجز أحسن وأجود؟ قال: رجزُ أبي النَّجْم. (١٠/١٥٨)

(٢٠٣)

أخبرنا يحيى بن علي قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ: أخطأ أبوالنُّجْم في أشياء أخذتْ عليه، منها قوله:

وهـي على عذبٍ رويِّ المنهـلِ دحْلِ أبي المِرقال خيرِ الأدْحُلِ
من نحْت عادٍ في الزمان الأوّل

قال الأصمعيّ: الدُّحْل لا تُورده الإبلُ إنما تورد الرُّكايا(١). وقد عيب بهذا وعيب بقوله في البيت الذي يليه: إنَّ هذا الدَّحْلَ من نحت عاد. قال: والدُّحْلان لا تُحْفر ولا تُنْحت، إنَّما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصيبها الشمسُ، فتبقى فيها المياه؛ وهي هُوَّة في الأرض يضيق فمُها ثم يتَّسع فيدخلها ماء السماء.

قال الأصمعيّ: وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلْبة: «تسبح أخْراهُ ويطْفُو أوّله».

قال الأصمعيّ: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سبح أخراه كان حمارُ الكُساح أسرع منه. قال الأصمعيّ: وحدّثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقوّمه بسبعين درهما. وإنَّما يُوصف الجواد بأنه تسْبح أولاه وتلْحق رجلاه. قال: وخير عدْو الذكور أن تُشرف، وخيرُ عدْو الإناث أن تنْبسط وتصْغَى(٢) كعدْوِ الذئب(٣). (١٠/١٦١)

(٢٠٤)

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدّثني

---

(١) الركايا: جمع ركية وهي البئر (٢) تصغى: تميل.

(٣) هذا لون من النقد يستمدُّ مفرداته من البيئة، والأعراف الاجتماعية السائدة، فالإبل لا ترد الدُّحل، والدُّحلان لا تُحفر، وهكذا، فنرى الأصمعي وغيره، يعتمدون على مواصفات البيئة في تخطئة الشاعر، وتوجيه النقد إليه، يضاف إلى هذا وصف الفرس، فقد استقرّ في العُرف والشعر على حدٍّ سواء صفات الفرس الأصيل، العتيق، والأصمعي هنا يتكأ على ذلك التراث، ويستفيد منه في تخطئة الشاعر أيضاً، ومن هنا كان الإلحاح في كتب النقد المتخصصة على أنَّ مَنْ يتصدّى لنقد الشعر، عليه أن يكون مطلّعاً على كلام العرب، وأساليبهم، وما استقرّت عليه اللغة من حيث الأوصاف والتشبيهات، فهذا كلّه يزوّد الناقد بأدوات مهمة يستعين بها وهو يواجه النصَّ الذي تضرب جذوره في البيئة نفسها التي يستمدُّ منها النقد مقاييسه.

بعضُ خدم السطان عن مسرور الكبير، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان، وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال: اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصليَّ يوماً، فركب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم. فلما أحسَّ به استقبله وقبَّل رجليه. وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مضوا، ورأى عيداناً كثيرةً. فقال: يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع فقال: ويلك! اصْدقني. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما. قال: هاتهما. فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعُلَيَّة بنتِ المهديِّ بعثت بهما يطرح عليهما. فقال الرشيد لإحداهما: غنّي. فغنّتْ - وهذا كله من رواية محمد بن طاهر -:

بُني الحُبُّ على الجَوْر فلو ... أنْصف المعشوقُ فيه لسمُجْ
ليس يُستحسن في حكم الهوى ... عاشقٌ يُحسن تأليفَ الحُجَجْ
لا تعيبنْ من محبٍّ ذلَّةً ... ذِلَّةُ العاشقِ مفتاحُ الفرجْ
وقليل الحب صرفاً خالصاً ... لك خيرٌ من كثير قد مُزِجْ

فأحسنتْ جداً. فقال الرشيد: يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أملحه! ولمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال: لا علم لي، فقال للجارية، فقالت: لستّي. قال: ومنْ ستُّك؟ قالت: عُليَّةُ أخت أمير المؤمنين... (١٧٥/١٠)

(٢٠٥)

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الرَّبعيَّ قال قال لي عليّ بن الجهْم: دخلت على المتوكّل وقد بلغني أنّه كلَّم قبيحةَ جاريته فأجابته بشيء أغضبه، فرماها بمخدّةٍ فأصابتْ عينها فأثّرتْ فيها، فتألّمتْ وبكَتْ وبكى المعتز لبكائها؛ فخرج المتوكّل وقد حُمَّ من الغمِّ والغضب. فلما بَصُر بي دعاني وإذا الفتحُ يُري بختيشوعَ القارورة ويشاوره فيها. فقال لي: قل يا عليّ في علّتي هذه شيئاً وَصِفْ أنَّ الطبيب ليس يدري ما بي، فقلت:

تنكّر حالَ علّتيَ الطبيبُ ... وقال أرى بجسمك ما يريبُ
جسستُ العِرْقَ منك فدلَّ جَسِّي ... على ألمٍ له خَبَرٌ عجيبُ
فما هذا الذي بك هاتِ قُلْ لي ... فكان جوابه منّي النَّحيبُ
وقلت أيا طبيبُ الهجرُ داني ... وقلبي يا طبيبُ هو الكئيبُ
فحرّك رأسه عجباً لقولي ... وقال الحبُّ ليس له طبيبُ
فأعجبني الذي قد قال جداً ... وقلت بلى إذا رضي الحبيبُ

فقال هو الشفاءُ فلا تُقصِرْ ... فقلت أجلْ ولكن لا يجيبُ
ألا هل مُسْعِدٌ يبكي لشجْوي ... فإنّي هائم فردٌ غريبُ

فقال: أحسنتَ وحياتي! يا غلام اسقني قدحاً؛ فجاءه بقدح فشرب وسُقيت الجماعةُ مثله.
وخرجتْ إليه فضلُ الشاعرةُ بأبياتٍ أمرتْها قبيحةُ أن تقولها عنها. فقرأها فإذا هي:

لأكتُمنّ الذي في القلب من حُرَقٍ ... حتى أموت ولم يعلمْ به الناسُ
ولا يقال شكا مَنْ كان يعشقُه ... إنّ الشكاة لمن تهوى هي الباسُ
ولا أبوح بشيءٍ كنتُ أكتُمه ... عند الجلوس إذا ما دارت الكاسُ

فقال المتوكّل: أحسنتِ يا فضلُ. وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قبيحة فترضّاها.
(١٠/٢١٤)

(٢٠٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال: دخل عليّ بن الجهْم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدْوة من غُدوات الرّبيع وفي السماء غيْمٌ رقيق والمطرُ يجيء قليلاً ويسكن قليلاً، وقد كان عبد الله عزم على الصَّبُوح. فغاضبته حظيّةٌ له، فتنغّص عليه عزْمُه وفتر. فخُبِّر عليّ بن الجهْم بالخبر وقيل له: قل في هذا المعنى شيئاً لعلّه ينشط للصَّبوح فدخل عليه فأنشده:

أما ترى اليومَ ما أحلى شمائله ... صحوٌ وغيْمٌ وإبْراقٌ وإرْعادُ
كأنّه أنت يا مَنْ لا شبيه له ... وصْلٌ وهجْرٌ وتقْريبٌ وإبْعادُ
فباكر الرّاحَ واشْرَبْها مُعتّقةً ... لم يدّخرْ مثلَها كِسْرى ولا عادُ
واشربْ على الرّوض إذ لاحتْ زخارفُه ... زهْرٌ ونَوْرٌ وأوْراقٌ وأوْرادُ
كأنّما يومُنا فعْلُ الحبيب بنا ... بذْلٌ وبُخْلٌ وإبعادٌ وميعادُ
وليس يذهب عنّي كلُّ فعلكمُ ... غيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفسادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار؛ وحمله وخلع عليه، وأمر بأن يُغنّى. (١٠/٢٢٤)

(٢٠٧)

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن عليّ بن إسماعيل قال: كنتُ أسقي أبا دُلامة والسيّد، إذ خرجتْ بنتٌ لأبي دُلامة. فقال فيها أبو دُلامة:

فما ولدتك مريمُ أمُّ عيسى ولا ربَّاكِ لُقمانُ الحكيمُ

أجزْ يا أبا هاشم. فقال السيد:

ولكن قد تضمُّكِ أمُّ سوءٍ إلى لبَّاتــه وأبٌ لئيـمُ

فضحك لذلك. ثم غدا أبو دُلامة إلى المنصور فألفاه في الرُّحبة يُصلح فيها شيئاً يريده، فأخبره بقصّة بنته وأنشده البيتين، ثم اندفع فأنشده بعدهما:

لو كان يقْعُد فوق الشمس من كرمٍ قـومٌ لقيـل اقعـدوا يا آل عبّاسِ

ثم ارتقُوا في شُعاع الشمس كلُّكُم إلى السـمـاء فأنتم أظهرُ الناسِ

وقدِّموا القـائم المنصـورَ رأسـكُم فالعينُ والأنف والأذنان في الرأسِ

فاستحسنها، وقال له: بأيِّ شيء تحبُّ أن أعينك على قُبْح ابنتك هذه؟ فأخرج خريطة قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لي هذه دراهم، فمُلِئتْ فوسعتْ أربعة آلاف درهم. (٢٣٩/١٠)

(٢٠٨)

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العمري قال: قال الهيثم بن عديّ قال لي صالح بن حسّان: كان والله النابغةُ مُخنَّثاً قلت: وما علْمُك به؟ أرأيته قط؟ قال لا والله. قلت: أفأخْبِرتَ عنه؟ قال لا. قلت: فما عِلْمُك به؟ قال: أما سمعت قوله:

سقط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطه فتنـاولتـه واتَّقتْنـا باليـدِ

لا والله ما أحسن هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلا مُخنَّثٌ. (١٢/١١)

(٢٠٩)

قال يعقوب بن السِّكيت أنشدني النَّضْر بن شُميْل للحارث بن حِلِّزة ـ وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول: لله درُّه ما أشعره ـ :

مَـنْ حاكـمٌ بيني وبيـ ـن الدَّهْر مـال عليَّ عمْدا

أودى بسـادتنا وقـد تركوا لنا حلقاً وجُرْدا(١)

خيلي وفـارسـهـا وربٌّ أبيك كـان أعـزُّ فـقـدا

فلَوْ أنَّ مـا يـأوي إلـيَّ أصـاب من ثهلان هدّا(٢)

فضعي قنـاعك إنَّ ريـ ـب الدهر قد أفنى معدّا

(١) الحلق هنا: الدروع، والجرد: الخيل القصيرة الشعر، واحدها أجرد. (٢) ثهلان: جبل.

فلكم رأيت معاشراً ... قد جمعوا مالاً وولدا
وهمُ زَبابٌ حائرٌ ... لا تسمع الآذان رعْدا(١)
فعِش بجدٍّ لا يضر ... ك النوك ما لاقيتَ جَدّاً
والعيش خير في ظلا ... لِ النوك ممّن عاش كدّاً (٤٩/١١)

(٢١٠)

خفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهم نوىً في صرْفها غيَرُ(٢)
كأنني شارب يوم استُبِدَّ بهم ... من قرقفٍ ضُمِّنتها حمصُ أو جَدَرُ(٣)
جادت بها من نوات القارِ مُترعةٌ ... كلْفاءُ ينحتُ من خرْطومها المدرُ(٤)
يا قاتل الله وصْلَ الغانيات إذا ... أيقنَّ أنَّك ممن قد زها الكِبرُ(٥)
أعْرضن لما حنى قوسي موتِّرُها ... وابيضَّ بعد سواد اللِّمَّةِ الشَّعرُ

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مرْوان ويهجو قيْسا وبني كُليب، ويقول فيها:

أمّا كُليبُ بنُ يربوعٍ فليس لها ... عند التفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخلَّفون ويقضي الناسُ أمْرَهُمُ ... وهُمْ بغيْبٍ وفي عمياءَ ما شعروا
مُلطَّمون بأعقار الحياضِ فما ... ينفكُّ من دارِ ميٍّ فيهمُ أثرُ(٦)
بئس الصُّحاةُ وبئس الشُّرْبُ شربُهُمُ ... إذا جرى فيهمُ المُزّاءُ والسُّكرُ
قومٌ تناهتْ إليهم كلُّ مُخزيةٍ ... وكلُّ فاحشةٍ سُبَّتْ بها مُضرُ
الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحدهُمُ ... والسائلونَ بظهْر الغيْبِ ما الخبرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدّمه وما غُلّب فيه على جرير. وفي هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدح عبد الملك:

إلى امرئٍ لا تُعرِّينا نوافلُه ... أظفره الله فليهْنِئْ له الظَّفرُ
الخائضُ الغمْرَ والميمون طائرُه ... خليفةُ الله يُستَسْقى به المطر

---

(١) الزَّباب: ضرب من الحشرات لا تسمع، يُشبَّه بها الجاهل، ولا تسمع الآذان رعدا: أي لا تسمع آذانها الرعدلما بها من صمم. (٢) القطين: قطين الدار: أهلها، والقطين: الخدم والأتباع.

(٣) استُبِدَّ بهم: عُلِيَ عليهم، والقرقف: الخمر التي تأخذ شاربها رعدة لشدَّتها، وجَدَر: قرية بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمر. (٤) الكَلْفاء: الخابية في لونها كَلَف وهو حمرة كدرة.

(٥) زها الكِبَر: استخفّه وأضعفه. (٦) الأعقار: جمع عُقْر، وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت.

والهمُّ بعد نجيِّ النفس يبعثه ... بالحزم والأصمعانِ القلبُ والحذرُ(١)
وما الفُراتُ إذا جاشتْ غواربُه ... في حافيته وفي أوساطه العُشَرُ(٢)
وزعزعتْه رياحُ الصَّيفِ واضطربت ... فوقَ الجآجئ من آذيِّه غُدُرُ(٣)
مُسْحنفِرٌ من جبالِ الرومِ يسترُه ... منها أكافيفُ فيها دونه زورُ(٤)
يوماً بأجْود منه حين تسألُه ... ولا بأجهرَ منه حين يُجْتَهرُ(٥)
في نبْعةٍ من قُريشٍ يعْصِبون بها ... ما إن يُوازى بأعْلى نبْتها الشجرُ(٦)
حُشْدٌ على الخير عيَّافو الخنا أُنُفٌ ... إذا ألَمَّتْ بهم مكروهةٌ صبروا
لا يستقلّ ذوو الأضغان حربَهم ... ولا يُبيِّنُ في عيدانهم خَوَرُ
شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا(٧) (١١/٦٤)

(٢١١)

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال حدّثنا محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدّثني من أنشد الأصمعيّ:

عليَّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها ... يرى ليَ ذنباً غيرَ أنّي أزورها
وأنّي إذا ما زرتُها قلت يا اسْلمي ... فهل كان في قولي اسْلمي ما يضيرها

فقال الأصمعيّ: شكوى مظلومٍ، وفعل ظالم. (١١/٢١٠)

(٢١٢)

.. وقالت ليلى ترثي توبة.. قال: وكان الأصمعيّ يعْجبُ بها ـ:

---

(١) القلب الأصمع: الذكي المتوقّد الفَطِن.

(٢) جاشت: هاجت، والغوارب: المتون، يريد أمواجه وأعاليه، والعُشَر: شجر.

(٣) زعزعته: حركته، والجآجيء: الصدور، واحدها جؤجؤ، والآذيّ: الموج، والغُدُر: جمع غدير.

(٤) مسحنفر: سريع الجري، وأكافيف الجمل: حروفه الناتئة في أعراضه، والزَوَر: الميل. يصف الفرات وجريه في جبال الروم المطلّة عليه حتى يشقّ بلاد العراق.

(٥) أجهر: أي بأعظم ولا أحسن مَرآة منه: يقال جهرت فلاناً واجتهرته إذا رأيته عظيماً حسن المرآة في عينك.

(٦) النبع: ضرب من الشجر وهو من أجوده، ويعصبون بها: يطيفون به ويلزمونها.

(٧) شُمس: جمع شموس، وهو من الرجال العَسِر في عداوته، الشديد الخلاف على مَنْ عانده.

أيا عـينُ بكِّي توبـةَ ابـنَ حُمـيِّرٍ بسحٍّ كـفـيض الجـدْولِ المُتـفـجِّرِ
لتـبْكِ عليـه من خـفـاجـة نسـوةٌ بمـاءِ شـؤون العـبْرة المتـحـدِّرِ(١)
سَمِعْنَ بهـيْجـا أرهقتْ فـذكـرنه ولا يبـعـثُ الأحـزانَ مـثلُ التّذكُّرِ(٢)
كـأنْ فـتى الفـتـيـان توبةَ لم يسرْ بنجـدٍ ولـم يطْلُـعْ مـع المُتـغـوِّرِ(٣)
ولـم يـردِ المـاءَ السِّـدامَ إذا بـدا سنا الصُّبْحِ في بادي الحواشي مُنوِّرِ(٤)
ولم يغْلبِ الخصْمَ الضِّجاجَ ويمْلأ الـ ـجفانَ سـديفاً يوم نكْباءَ صرْصرِ(٥)
ولم يعْلُ بالجُرْدِ الجـيـادِ يُقـودُهـا بسُرَّةَ بين الأشْـمُـسـاتِ فـأيْصُرِ(٦)
وصـحـراءَ موْمـاةٍ يحارُ بها القطـا قطعْـتَ على هـوْلِ الجـنان بمِنْسـرِ(٧)
يقـودون قُبّاً كـالسَّراحينِ لاحـهـا سُـراهُمْ وسـيْرُ الراكـبِ المتُهـجِّرِ(٨)
فلمَّا بدتْ أرضُ العـدوِّ سـقـيْتَهـا مُـجـاجَ بقـيّاتِ المـزادِ المُقـيَّرِ(٩)
ولَمَّـا أهـابُوا بالنِّهـاب حـويْتـهـا بخـاظي البضـيـعِ كرُّه غيـرُ أعْسـرِ(١٠)
مُمـرٍّ ككُـرِّ الأنْدريِّ مُثـابـرٍ إذا مـا ونـيْنَ مُهْلِـبِ الشَّدِّ مُحْضِرِ(١١)

---

(١) خفاجة: رهط توبة، وهو جدٌّ له. (٢) الهيجا بالمدّ والقصر: الحرب، وأرهقت: أدركت، أو ألحقت وأغشت، أي جعلت مَنْ فيها من المحاربين يغشون خصمهم يلحقونه.

(٣) النجد: ما أشرف من الأرض، والمتغوّر: الذي يأتي الغور، وهو ما انخفض من الأرض.

(٤) الماء السِّدام: القديم المندفن، والحواشي: الجهات.

(٥) الضِّجاج: مصدر ضاجه مضاجة وضجاجاً إذا جادله وشاغبه، وهو وصف بالمصدر للمبالغة، والسّديف: قِطَعُ السنام، والنكباء: الريح التي تنحرف في مهبّها فتجيء بين ريحين، والصرصر: الشديدة البرد أو الصوت. (٦) أشْمُس: جبل في شقّ بلاد عقيل، وجمعته ليلى لأنّها أرادت الجبل وما يليه من البقاع، وسرّة وأيصر: موضعان.

(٧) الموماة: الواسعة العريضة، والمِنْسر: قطعة من الجيش تمرّ قدّام الجيش الكبير، وهو أيضاً الجماعة من الخيل، وليس هذا المعنى مراداً هنا.

(٨) القُبّ: الدقاق الخصور، والواحد أقبّ وقبّاء، والسراحين: الذئاب واحدها سرحان، ولاحها، غيّرها، والسّرى، سير الليل، والمتهجّر: الذي يسير في الهاجرة وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، والمراد سير النهار، أي غيّرها سير الليل وسير النهار.

(٩) سقيتها: أي الخيل، والمُجاج: اسم لما تمجّه من فيك، والمزاد: الأسقية، الواحدة مزادة، والمقيّر: المطلي بالقار وهو الزفت.

(١٠) النِّهاب: جمع نهب وهو الغنيمة، والخاظي: المكتنز اللحم، والبضيع: اللحم، يريد جواداً هذه صفته.

(١١) الممرّ: اسم مفعول من أمرّ الحبلَ إذا أجاد فتله، تريد أنّه مجدول الخلق، والكرّ: هنا الحبل الغليظ أو =

فـألوتْ بأعناقٍ طوالٍ وراعـهـا ... صلاصلُ بيْضٍ سابغٍ وسنوَّرِ[1]
ألـم تـر أنَّ العبدَ يقتـل ربَّـه ... فيظهرُ جدُّ العبد من غير مَظْهَرِ
قـتلتم فـتىً لا يُسقطُ الرَّوْعُ رُمْحه ... إذا الخيلُ جالت في قنا متكسِّرِ
فـيا توْبُ للهيْجا ويا توبُ للنَّدى ... ويا تـوْبُ للمُسْتنبعِ المتنـوِّرِ
ألا ربَّ مكروبٍ أجبْتَ ونائلٍ ... بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ

(٢٣١/١١)

(٢١٣)

حدَّثني عمِّي عن أبي العيناء عن أبي النَّضير قال: دخلتُ على الفضْلِ بن الرَّبيعِ فقال: هل أحدثتَ بعْدي شيئاً؟ قلت: نعم، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوَّجتُها وطلَّقتها لغير علَّةٍ إلاَّ بُغْضي لها، وإنَّها لبيضاءُ بضَّةٌ، كأنَّها سبيكةُ فضَّةٍ. فقال لي: وما قلتَ فيها؟ فقلت قلتُ:

رحلتْ سُكَيْنةُ بالطَّلاقِ ... فـأرحْتُ من غُلِّ الوثاقِ
رحلتْ فلمْ تألَمْ لها ... نفْسي ولم تدْمَعْ مآقي
لو لمْ تبِنْ بطلاقها ... لأبنتُ نفسي بالإباقِ
وشفاءُ ما لا تشْتهيـ ... ـه النَّفْسُ تعجيلُ الفراقِ

فقال: يا غلامُ، الدواةَ والقِرْطاس، فأتي بهما، فأمرني فكتبتُ له الأبياتَ، ثم قلتُ له: أنت والله تُبْغِضُ بنتَ أبي العبَّاس الطُّوسيِّ. فقال: اسْكُتْ أخزاك الله! ثم ما لبث أنْ طلَّقها.

(٢٩١/١١)

(٢١٤)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا دماذ قال قال أبو نُواس: أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرمَّاح:

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرمَّاح أخْلقتْ ... عُرى المجد واسْترخى عنانُ القصائدِ

(٤٢/١٢)

= حبل يُصعد به على النخل، والأندريّ: المنسوب إلى أندرين، قرية كانت بالشام، وإلهاب الفرس للشدّ: متابعته للجري، وإحضار الفرس: ارتفاعه في عدوه.

(١) راعها: أفزعها، وصلاصل البيض: أصواتها، واحدتها صلصلة، والبيض من الحديد، ما يُتَّقى به الرأس من السلاح، واحدته بيضة وهي الخوذة، والسنَّور: جملة السلاح.

(٢١٥)

قال جحظةُ: وحدّثني بذلك أبو حشيشة. وحدّثني جحظة أيضاً قال حدّثني أبو حشيشة عن محمد بن عليّ بن أمية قال حدّثني عمي محمد بن أمية قال: كنتُ جالساً بين يديّ إبراهيم بن المهديّ، فدخل إليه أبو العتاهية وقد تنسّك ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلاّ في الزُّهد، فرفعه إبراهيم وسرَّبه، وأقبل عليه بوجهه وحديثه؛ فقال له أبو العتاهية: أيُّها الأمير بلغني خبرُ فتىً في ناحيتك ومن مواليك يُعرف بابن أمية يقول الشعر، وأنشدتُ له شعرا أعجبني، فما فعل؟ قال: فضحك إبراهيم ثم قال: لعله أقربُ الحاضرين مجلساً منك. فالتفت إليّ فقال لي: أنت هو فديتُك؟ فتشوّرت(١) وخجلت وقلت له: أنا محمد بنُ أمية جُعلت فداءك! وأمّا الشعر فإنما أنا شابٌ أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ؛ فقال لي: فديتك، ذلك والله زمانُ الشعر وإبّانه، وما قيل فيه فهو غُررهُ وعيونُه، وما قصُر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومئ إليه أبلغُ وأملحُ. وما زال ينْشطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنست به، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: إنْ رأى الأمير- أكرمه الله - أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر. فقال لي إبراهيم: بحياتي يا محمد أنشده. فأنشدته:

رُبَّ وعد منك لا أنساهُ لي ... أوجبَ الشكر وإن لم تفعلي

أقطع الدهر بظنّ حسن ... وأجلّي غمرةً ما تنجلي

كلمّا أمّلتُ يوماً صالحاً ... عرضَ المكروه لي في أملي

وأرى الأيام لا تدْني الذي ... أرتجي منك وتدني أجلي

قال: فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعه على لحيته وجعل يُردّد البيت الأخير منها وينتحب، وقام فخرج وهو يردّده ويبكي حتى خرج إلى الباب. (١٢/١٤٥)

(٢١٦)

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني حذيفةُ بن محمد قال قال لي محمدُ بن أبي العتاهية: سمع أبي يوماً مخارقاً يغنّي:

أحبُّك حُبّاً لو يُفضُ يسيرُهُ ... على الخلْقِ ماتَ الخلْقُ من شدّة الحُبِّ

وأعْلمُ أنّي بعد ذاك مقصرٌ ... لأنّكِ في أعْلى المراتب من قلبي

فطربَ ثم قال له: من يقولُ هذا يا أبا المُهنا؟ قال: فتى من الكتّاب يخدمُ الأميرَ إبراهيمَ بن

---

(١) تشوّرت: استحييت.

المهديّ. فقال: تعْني محمد بن أميّة؟ قال: نعم. قال: أحْسَنَ والله، وما يزال يأتي بالشيء المليح يبدو له. (١٤٨/١٢)

(٢١٧)

... وقصيدة (الأسود بن يعفر) الدالية المشهورة:

نام الخليّ وما أحسّ رقادي والهمّ محتضرٌ لديّ وسادي

معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها، مفضّلية مشهورة. (١٥/١٣)

(٢١٨)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ سعدٍ الكرانيُّ قال: حدّثنا العُمريُّ عن العُتْبيِّ قال: نظر أبي إلى فتىً مِنْ بني العبّاس يسحب مُطْرف خزٍّ عليه وهو سكران ـ وكان فتىً متهتّكاً ـ فحرك رأسه ملياً ثم قال: لله درُّ العُجيْرِ السّلوليّ حيث يقول:

وما لبس الناسُ من حلّة جديدٍ ولا خَلَقاً يُرْتدى(١)

كمثل المُروءةِ للأبسين فدعني من المُطْرفِ المُسْتدى(٢)

فليس يُغيِّر فضلَ الكريم خُلُوقةُ أثوابه والبلى

وليس يُغيِّر طبعَ اللّئيم مطارف خزٍ رقاقُ السّدى(٣)

يجود الكريمُ على كلِّ حالٍ ويكبو اللئيمُ إذا ما جرى (٦٩/١٣)

(٢١٩)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق البغويّ، قال: حدّثنا أبو نصرٍ صاحب الأصمعيّ أنّه قرأ شعر سويدِ بن أبي كاهلٍ على الأصمعيّ، فلما قرأ قصيدته:

بسطتْ رابعةُ الحبل لنا فوصلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ

فضّلها الأصمعيّ، وقال: كانت العرب تفضّلها وتقدّمها وتعدُّها من حكمها. ثم قال الأصمعيّ: حدّثني عيسى بن عُمر أنّها كانت في الجاهليّة تسمّى: «اليتيمة». (١٠٢/١٣)

(٢٢٠)

وأخبرني الحسن بن علي، قال: حدّثني القاسم بن مهْرويه، قال: حدّثني جعفر بن المفضّل،

---

(١) الحلّة: إزار ورداء، بُرداً كان أو غيره، ولا تكون حلّة إلاّ من ثوبين أو ثوب له بطانة، وخلق: بالٍ.

(٢) المستدى هنا: المنسوج. (٣) السّدى من الثوب: ما مُدَّ منه، وهو خلاف اللّحمة.

عن رجل من ولد إبراهيم الحرّاني(١)، قال: كثُر الشّعراء بباب المأمون، فأوذِنَ بهم، فقال لعليِّ بن صالح صاحب المصلّى: اعرضْهم، فمن كان منهم مُجيداً فأوصِلْه إليّ، ومن كان غير مُجيد فاصرفه. وصادف ذلك شُغْلا من عليٍّ بن صالح كان يريد أن يتشاغلَ به عن أمْر نفسه، فقام مُغضبا، وقال: والله لأعمّنّهم بالحرمان، ثم جلس لهم، ودعا بهم فجعلوا يتغالبون(٢) على القُرب منه، فقال لهم: على رِسلكم فإنّ المدى أقربُ من ذلك، هل فيكم من يُحسن أن يقول كما قال أخوكم العتابي:

ماذا عسى مادحٌ يثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهيرُ
فُتَّ المدائح إلاّ أنّ ألسننا ... مستنطقات بما تحوي الضمائرُ

قالوا: لا والله ما بنا أحدٌ يُحسن أن يقول مثل هذا، قال: فانصرفوا جميعاً. (١٠٩/١٣)

(٢٢١)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني أبو بكرٍ أحمد بن سهلٍ، قال: تذاكرنا شعر العتابيّ، فقال بعضُنا: فيه تكلُّف(٣)، ونصره بعضُنا، فقال شيخٌ حاضر: ويحكم أيقال إنّ في شعره تكلفا؟ وهو القائل:

رُسُل الضّمير إليك تترى ... بالشّوق ظالعة وحسْرى(٤)
متزجّيات ما ينيـ ... ـنَ على الوجى من بعدِ مسْرى(٥)
ما جفّ للعينين بعـ ... ـدك ياقريرَ العين مجْرى
فاسلَمْ سلمت مبرّأً ... من صبوتي أبداً مُعرّى
إنّ الصّبابة لم تدعْ ... منّي سوى عَظمٍ مُبرّى(٦)
ومدامعٍ عبْرى على ... كبدٍ عليك الدّهر حرّى

أوَ يقال: إنه متكلّف؟ وهو الذي يقول:

---

(١) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة بينها وبين الرُّها يوم، وبين الرقّة يومان، على طريق الموصل والشام، وقيل أنّها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وحرّاني: منسوب إليها.

(٢) يتغالبون: يتدافعون ويتسابقون.

(٣) التكلّف: مصطلح نقدي شائع يراد به طلب الشيء بصعوبة، وكدُّ الذهن له، والإكثار من البديع، ينظر حول التكلّف، البيان والتبيين (١/٥١)، والصناعتين (ص ٤٤)، والبديع لابن منقذ (ص ١٦٣)، وغيرها.

(٤) ظالعة: ظلع السائر: غمز في مشيته وظهر عرجه، والحسرى: المتعبة المعياة.

(٥) المتزجّيات: المنساقة، وما ينين: ما يبطئن ولا يفترن، والوجى: الحفا. (٦) المبّرى: المنحوت.

فلو كان للشكرِ شخصٌ يبينُ إذا ما تأمَّلـه النَّاظـرُ
لمثَّلتُـه لك حتَّى تـراه لتعلم أنِّي امرؤٌ شـاكرُ (١١٠/١٣)

(٢٢٢)

وذكر أحمد بن طاهر أيضاً أنَّ مسعود بن عيسى العبديّ، حدّثه عن موسى بن عبد الله التميمي، قال: وفد إلى عبد الله بن طاهرٍ جمٌ من الشُّعراء، فعلم أنَّهم على بابه، فقال لخادمٍ له أديبٍ: اخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول كما قال العتابيُّ للرَّشيد:

مُستنبط عزمات القلب من فكرٍ ما بينهن وبين اللـهِ معمـورُ

فليدْخُلْ، وليعلم أنّي إن وجدتُه مقصِّراً عن ذلك حرمتُه، فمن وثقَ من نفسه أنه يقول مثلَ هذا فليقم، قال: فدخلوا جميعاً إلاَّ أربعةَ نفرٍ. (١١٢/١٣)

(٢٢٣)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدّثنا أحمد بن خلادٍ، قال: حدّثني أبي، قال: جاء العتّابي وهو حدثٌ إلى بشّارٍ، فأنشده:

أيصدف عن أمامةَ أم يُقيم وعهدُك بالصِّبا عهدٌ قديمُ
أقول لُمستعارِ القلب عفَّى على عزماته السيرُ العديمُ(١)
أما يكفيكَ أنَّ دموعَ عيني شآبيبٌ يفيض بها الهمومُ(٢)
أشيمُ فلا أردُّ الطرف إلاَّ على أرجائه ماءً سجومُ(٣)

قال: فمدَّ بشّارٌ يده إليه، ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم. قال: عجبا لبصيرٍ ابنِ زانيةٍ، أن يقول هذا الشّعر. فخجل العتابي وقام عنه. (١١٣/١٣)

(٢٢٤)

أخبرني الحسن حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو عصامٍ محمد بن العباس، قال: قال يحيى بن خالد البرمكي لولده: إن قدرتُم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي، فضلاً عن رسائله وشعره، فلن تروْا أبداً مثله. (١١٤/١٣)

---

(١) عفَّى: طمس.

(٢) شآبيب: المياه المنصبّة، مفردها شؤبوب.

(٣) أشيم: أنظر، والسجوم: الكثير.

(٢٢٥)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن الأشعث، قال: قال دعبل: ما حسدتُ أحداً قطُّ على شعرٍ كما حسدت العتابي على قوله:

هيْبة الإخوان قاطعــةٌ　　لأخي الحاجاتِ عن طلبه
فإذا مــا هبتُ ذا أمــلٍ　　مات ما أمّلت من ســببه　　(١١٦/١٣)

(٢٢٦)

قال ثابت بن الحارث الجشمي: ولقد تخلص(١) النمريّ إلى شيء ليس عليه فيه شيء، وهو قوله:

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم　　وإلا فالنَّدامــة للكفــور
وإن قــالوا بنو بنتٍ فــحقٌّ　　وردُّوا مــا يناسب للذُّكــور

قال: فكان مروان يتأسف على هذا المعنى أن يكون قد سبقه إليه، وإلى قوله:

وما لبني بنـاتٍ مــن تـراثٍ　　مع الأعمـام في ورق الزُّبور　　(١٤٣/١٣)

(٢٢٧)

أخبرني عمي قال: أخبرنا ابن أبي سعدٍ قال: حدّثني عليُّ بن الحسن الشيبانيُّ قال: أخبرني أبو حاتم الطائيّ، عن يحيى بن ضبينة الطائيّ، عن الفضل قال: حضرتُ الرشيد وقد دخل منصور النمريُّ عليه فأنشده:

مـا تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ　　إذا ذكـرتُ شــبابا ليس يُرْتجــعُ
بانَ الشّــابُ وفــاتتني بلذّتــه　　صــروفُ دهرٍ وأيامٌ لهــا خُدَعِ
مـا كنت أوفي شـبابي كُنْه غرّته　　حتّى انقضى فـإذا الدنيـا له تَبعُ

قـال: فتحـرّك الرشـيدُ لذلك ثم قـال: أحسن والله، لا يتـهنّأ أحدٌ بعيش حتى يخْطُر في رداء الشباب.　　(١٤٥/١٣)

---

(١) التخلّص هو الخروج من غرض إلى آخر في القصيدة، ويسمّيه بعض النقاد براعة التخلّص، أو حسن التخلّص، وقد جعله بعضهم من حسنات المحدثين، ومقياس جودته هو الانتقال من غرض إلى آخر بيسر بما لا يفجأ المستمع، فكأنّ الأغراض ممتزجة الواحد بالآخر، مسبوكة سبكاً متلائماً. ينظر عنه يمار الشعر (ص ١٨٤)، وحلية المحاضرة (١/٢١٥)، وحُسْن التوسُّل (ص ٢٥٤).

(٢٢٨)

أخبرني عمي، قال: حدّثني ابن أبي سعدٍ، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن طهْمان، قال حدّثني محمد الراويةُ المعروفُ بالبيدق - قال: دخلت على الرشيد وعنده الفضلُ بنُ الربيع، ويزيدُ بن مزيد، وبين يديه خوان لطيف عليه جديان ورُغْفان سميد(١) ودجاجتان، فقال لي: أنشدني، فأنشدته قصيدة النَّمريّ العينية، فلما بلغت إلى قوله:

أيُّ امرئٍ بات من هارون في سخط ... فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ
إن المكارمَ والمعروفَ أودية ... أحلَّك الله منها حيث تتسع
إذا رفعت امرأً فالله يرفعه ... ومن وضعت من الأقوام مُتضع
نفسي فداؤك والأبطال مُعْلمة ... يوم الوغى والمنايا بينْها قُرعُ(٢)

قال: فرمى بالخِوْان بين يديه وصاح، وقال: هذا والله أطيبُ من كل طعامٍ وكل شيءٍ، وبعث إليه بسبعةِ آلاف دينارٍ، فلم يعطني منها ما يرضيني، وشخص إلى رأس العين(٣)، فأغضبني وأحفظني، فأنشدت هارون قوله:

شاءٌ من الناسِ راتعٌ هاملْ ... يعللون النفوس بالباطل(٤)

فلما بلغت إلى قوله:

إلاّ مساعير يغضبون لها ... بسلَّةِ البيضِ والقنا الذابل(٥)

قال: أراه يحرِّضُ عليّ، ابعثوا إليه من يجيءُ برأسه، فكلَّمه فيه الفضلُ بن الربيع فلم يغنِ كلامه شيئاً، وتوجَّه إليه الرسولُ فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودُفن. (١٣/١٤٦)

(٢٢٩)

قال منصور بن سلمة:

وقد علم العُدوان والجورُ والخنا ... بأنّك عيّافٌ لهنّ مُزايل(٦)

---

(١) السميد: لُباب الدقيق. (٢) المعلمة: التي أعلمت نفسها في الحرب بعلامة.

(٣) رأس العين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنيسر، وفيها عيون كثيرة صافية تجتمع كلّها في موضع فتصير نهر الخابور، ينظر معجم البلدان (٣/١٤).

(٤) الراتع: الذي يأكل ما شاء في رغد، والهامل: المتروك سدى ولا يعمل.

(٥) المساعير: الذين يوقدون نار الحرب، جمع مسعار، والضمير في [لها] يعود على السيدة فاطمة بنت رسول الله (ص)، وسلّة البيض: استلال السيوف، والذابل: الدقيق اللاصق الليط، أي القشر.

(٦) العيّاف: الشديد الكراهة، والمزايل: المفارق.

لنا منك أرحام ونعتدُ طاعةً ... وبئساً إذا اصطك القنا والقنابلُ(١)
وما يحفظ الأنسابَ مثلك حافظٌ ... ولا يصلُ الأرحامَ مثلكَ واصلُ
جعلناك، فامنعنا، معاذا ومفزعا ... لنا حين عضتنا الخطوبُ الجلائلُ(٢)
وأنت إذا عاذت بوجهك عُوذٌ ... تطامنَ خوفٌ واستقرّت بلابلُ(٣)

فقال الجلساء: أحسن والله الأعرابيُّ يا أمير المؤمنين! فقال الرشيد: يرفع السيّف عن ربيعة ويُحسنُ إليهم. (١٥٢/١٣)

(٢٣٠)

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ، قال: حدّثني عليُّ بنُ الحسن بن عبيدٍ البكريُّ، قال: أخبرني أبو خالد الطائيّ عن الفضيل، قال: كنا عند الرشيدِ وعنده الكسائيّ، فدخل إليه منصورٌ النمريّ، فقال له الرّشيد: أنشدني، فأنشده قوله:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعٌ ... إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجع

فتحرّك الرشيد، ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله:

ما كنتِ أوفي شبابي كُنْهَ عزّته ... حتّى انقضى فإذا الدُّنيا له تبعُ

فطرب الرشيدُ، وقال: أحسنتَ والله، وصدقت، لا والله لايتهنّأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب! وأمر له بجائزة سنية. (١٥٣/١٣)

(٢٣١)

حدّثني عمي، قال: حدّثني محمد بن عبد الله التميمي الحزنبل، قال: حدّثني عمرو بن عثمان الموصليّ، قال حدّثني ابن أبي روْق الهمداني، قال: قال لي منصور النمريّ: دخلت على الرشيد يوماً ولم أكن أعددتُ له مدحا، فوجدته نشيطاً طيّب النفس، فرمُت شيئاً فما جاءني، ونظر إليّ مستنطقاً، فقلت:

إذا اعتاصَ المديحُ عليك فامدحْ ... أميرَ المؤمنين تجدْ مقالا(٤)
وعُذْ بفنائه واجنحْ إليه ... تنلْ عُرْفا ولم تُذْلَلْ سؤالا
فناءٌ لا تزال به ركابٌ ... وضعن مدائحاً وحملن مالا

---

(١) القنابل: جمع قَنبلة، الطائفة من الناس والخيل. (٢) الجلائل: العظيمات.

(٣) عوُذ: جمع عائذ، وهو الملتجئ. وتطامن: سكن. والبلابل: الوساوس والهواجس. (٤) اعتاص: تعسّر.

فقال: والله لئن قصّرت القولَ لقد أطلتَ المعنى. وأمر لي بصلةٍ سنيَّة. (١٣/١٥٧)

(٢٣٢)

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ قال: حدَّثنا العنزيَ، قال: حدّثني إبراهيم بنُ عُقبة اليشكريُّ قال: قال لي عبد الصمد بنُ المعذل، هجاني الجمازُ ببيْتيْن سخيفين فسارا في أفواهِ الناس، حتى لم يبق خاصٌ ولا عامٌ إلا رواهما، وهما:

ابنُ المعذل مَنْ هو ... ومن أبوه المعذّل
سألتُ وهبانَ عنه ... فقال بيضُ مُحوَّلْ

فقلت أنا فيه شعراً تركتُه يتحاجى(١) فيه كلُّ أحدٍ، فما رواه أحد ولا فكَّر فيه، وذلك لضعته، وهو قولي:

نسبُ الجمّاز مقصو ... ر إليه مُنْتهاه
يتراءى نسبُ النا ... س فما يخفى سواهُ
يتحاجى في أبي الجـ ... ـمّاز من هُو كاتباهُ
ليس يدري مَنْ أبو الجـ ... ـمّاز إلا من يراه (١٣/٢٣٦)

(٢٣٣)

أخبرني الحسنُ بن علي، قال: حدّثنا ابنُ مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن يزيد الكاتب، قال: جمع بين أبي تمامٍ الطائيّ وبين عبد الصمد بن المعذّل مجلسٌ، وكان عبدُ الصمد سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء، فأخذ عبدُ الصمد القرطاس وكتب فيه:

أنت بين اثنتين تبرزُ للنا ... س وكلتاهما بوجهٍ مذال(٢)
لستَ تنفكُّ طالبا لوصل ... من حبيبٍ أو طالبا لنوال
أيُّ ماء لحُرِّ وجهك يبقى ... بين ذُلِّ الهوى وذل السؤال

قال: فأخذ أبو تمام القرطاسَ وخلا طويلاً، وجاء به وقد كتب فيه:

أفيَّ تنظمُ قولَ الزُّور والفَنَدِ ... وأنت أنزَرُ من لا شيء في العددِ
أشرجْتَ قلبك من بُغضي على حُرَق ... كأنَّها حركاتُ الرُّوح في الجسدِ(٣)

فقال له عبد الصمد: يا ماص بظْرِ أمّه، يا غثُّ، أخبرني عن قولك «أنزر من لا شيء».

---

(١) يتحاجى: يتفاطن، من الأحجية، وهي مثل اللغز في الكلام

(٢) المذال: المهان، وأذاله: أهانه (٣) أشرجْتَ العيبة: شددتها بخيط أو نحوه.

وأخبرني عن قولك: «أشرجتَ قلبك»، قلبي مفرش أو عيبة(١) أو خُرجٌ فأشرجه، عليك لعنة الله فما رأيت أغثَّ منك. فانقطع أبو تمامٍ انقطاعاً ما يُرى أقبحُ منه، وقام فانصرف، وما راجعه بحرف.

قال أبو الفرج الأصبهاني: كان في ابنِ مهرويه تحاملٌ على أبي تمامٍ لا يضرُّ أبا تمام هذا منه، وما أقلَّ ما يقدح مثلُ هذا في مثل أبي تمام. (٢٥٣/١٣)

(٢٣٤)

حدّثني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد حدّثني محمد بن القاسم مولى موسى الهادي قال: كتب المهدي إلى أبي جعفر يسأله أن يُوجِّه إليه بابنه موسى، فحمله إليه، فلما قدم عليه قامتِ الخطباء تهنئه، والشعراء تمدحه، فأكثروا حتى أنوه وأغضبوه، فقام مطيع بن إياس فقال:

أحـمـدُ الله إلـه الـ ـخلق ربُّ العـالمينا
الـذي جـاء بموسى سـالما في سـالمينا
الأميـرِ ابن الأميـرِ ابـ ـن أميـرِ المؤمنينا

فقال المهديّ: لا حاجة بنا إلى قول بعد ما قاله مطيع. فأمسك الناس، وأمر له بصلة. (٢٢٦/١٣)

(٢٣٥)

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال حدّثني إبراهيمُ بن أبي عثمان قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ قال: قلت لمحمد بن كناسة الأسديّ ونحن بباب أمير المؤمنين: أأنت الذي تقول في إبراهيم بن أدهم العابد:

رأيتُك ما يُغنيك ما دونه الغنى وقد كان يُغني دون ذاك ابنَ أدهما
وكان يرى الدنيا صغيرا عظيمها وكـان لحـقُّ الله فيها معظِّما
وأكثر ما تلقاه في القوم صامتا فإن قال بذَّ القائلينَ وأحكما

فقال محمد بن كناسة أنا قلتها وقد تركتَ أجودها، فقال:

أهان الهوى حتى تجنَّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدمَ الطالب الدّما

(٢٣٧/١٣)

---

(١) العيبة: الحقيبة من جلد، وما يوضع فيه الثياب.

(٢٣٦)

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهْرويه قال حدّثني محمد بن عمران الضَّبيُّ قال أنشدني ابن كناسة ـ قال الضَّبيُّ: وكان يحيى يستحسنها ويعجب بها ـ:

ومنْ عجب الدنيا تَبقِّيك للبلى وأنَّك فيها للبقاء مريدُ
وأيّ بني الأيام إلا وعنده من الدهر ذنبٌ طارفٌ وتليدُ
ومنْ يأمن الأيامَ أما انبياعُها فخطْرٌ وأما نجعُها فعتيد
إذا اعتادت النفسُ الرِّضاع من الهوى فإنَّ فطام النفس عنه شديد

(٣٤٢/١٣)

(٢٣٧)

أخبرنا أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال: قال الشمردل بن شريك ـ وكان يستجيد هذه الأبيات ويستحسنها، ويقول: إنها لمن ظريف الكلام:

ثم استقلّ منُعماتٌ كالدُّمى شُمُسُ العتاب قليلة الأحقاد(١)
كُذُب المواعد مايزال أخو الهوى منهنّ بين مودةٍ وبعاد
حتى ينالَ حبالهنّ معلقا عقل الشريد وهنّ غيرُ شراد
والحبُ يصلح بعد هجرٍ بيننا ويهيجُ معتبةٌ بغير بعادِ (٣٦٣/١٣)

(٢٣٨)

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هفّان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان برّاً به قال: وهذا من جيّد شعره:

أعدو على مال بسطامٍ فأنهبه كما أشاء فلا تُثنى إليَّ يدي
حتّى كأنِّيَ بسطام بما احتكمتْ فيه يداي وبسطام أبو الأسدِ (١٤/١٤٠)

(٢٣٩)

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ مؤدّبي قال: حدّثني علي بن محمد النُّوفلي قال: حدّثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبرٍ على عمّي ـ وكان صديقاً له ـ فبشّ به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمتَ فيها بما في قلبك، فأنشده:

---

(١) الدمية: الصورة المنقشة، والشُمُس: جمع شَمُوس، وهي النافرة.

وحقِّ الذي في القلب منك فإنه عظيم لقد حصَّنت سرَّك في صدري
ولكنَّما أنشاه دمعي، وربَّما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
ولو يبتغي نفعي لخلِّي ضمائري يردُّ على أسرار مكنونها ستري

فقال لي: يا بنيَّ اكتبها واحفظها، ففعلتُ وحفظتُها يومئذ وأنا غلام. (١٤/١٦٥)

(٢٤٠)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال: أطعم رجل من ولد عبد الله بن كُريز صديقا له ضيعة، فمكثتْ في يده مدة، ثم مات الكُريزي، فطالب ابنه الرجل الضيعة، فمنعه إياها، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن، فقيل له: ألا تستحي! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرمة لأبيك، فقال له ابن الكريزي - وكان ساقطا -: الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله، فقال له عبيد الله بن الحسن: هذا الجواب والله أعزُّ من الخصومة ويحك، وهذا موضع هذا القول، اللهم اردد على قريش أخطارها(١)، ثم أقبل علينا فقال: لله درُّ الحكم بن قُنبرَ حيث يقول:

إذا القُرشيَّ لم يُشبه قريشا بفعلهم الذي بذَّ الفعالا
فجرْميٌّ له خُلُقٌ جميل لدى الأقوام أحسنُ منه حالا(٢) (١٤/١٦٧)

(٢٤١)

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثنا مسعود بن بشر قال: شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرُّقّيّ هجاه فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفتُ ثوابك إياه، وما قال في ذمِّك بعد ذلك، فما وجدتُه ظلمك له، ولله درّ ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحق وبالباطل

وبعد، فقد اشتريتُ عرضك منه، وأمرتُه بأن لا يعود لذمِّك تعريضاً ولا تصريحا (١٤/١٦٧)

(٢٤٢)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو العباس أحمد بن مالك اليمامي، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت

---

(١) أخطارها: أقدارها. (٢) جرميّ: نسبة إلى جرم بن زبان، بطن من قضاعة.

الخيزرانُ(١) موسى الهادي أن يولي خاله الغطريف اليمن، فوعدها بذلك ودافعها به، ثم كتبت إليه يوماً رُقعةً تتنجّزه فيها أمره، فوجه إليها برسولها يقول: خيِّريه بين اليمن وطلاق ابنته، أو مُقامي عليها ولا أولّيه اليمن، فأيَّهما اختار فعلته، فدخل الرسول إليها ـ ولم يكن فهم عنه ما قال ـ فأخبرها بغيره، ثم خرج إليه فقال: تقول لك ولاية اليمن، فغضب وطلّق ابنته وولاّه اليمن، ودخل الرسول فأعلمه بذلك، فارتفع الصياح من داره، فقال: ما هذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أو لم تخْتر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال له: أقمْ على رأس كل رجل بحضرتي من الندُماء رجلا بسيف، فمن لم يطلّق امرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلاّ وقد طلّق امرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إليّ فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطيْلسانه يراوح بين رجليه، فخطر ببالي:

خليليّ من سعد ألمّا فسلِّما ... على مريم، لا يُبعد الله مريما
وقُولا لها: هـذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لي: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إنْ تحسُنُ الشعر وتفسده، وإنّما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سرُه فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي(٢) إياه، ثم عرّفته خبر الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: «هذا أحقُّ منزل بترْكِ» (١٧١/١٤)

(٢٤٣)

قال محمد بن داود بن الجراح حدّثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافقة(٣) للمظالم، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكيٌ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، في يده قصة، فلما رآه أمر بأخذ قصّته، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة لها، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع

---

(١) الخيرزان: أمّ موسى الهادي الخليفة العباسي.

(٢) كأنّه رأى أنّ الشاعر أحقُّ من غيره في تفسير شعره، وفي هذا الأمر أقوال كثيرة، بعضها لا يرى هذا.

(٣) الرافقة: بلد متّصل البناء بالرقّة وهما على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة، بناه المنصور سنة (١٥٥هـ) على بناء مدينة بغداد ورتّب به جنداً من أهل خراسان.

ينشده (فيها) قصيدته:

يا خير من وخدت بأرحُلِه نُجُبُ الرِّكاب بمهمهٍ جلْس(١)

فاستحسنها الرشيد وقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عليّ بن الخليل الذي يقال فيه إنّه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخُصَّ به بعد ذلك وأكثر مدحه. (١٧٤/١٤)

(٢٤٤)

حدّثني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني علي بن الحسن الشيباني قال: حدّثني أبو الشِّبْل الشاعر قال: كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النّخاسين كانتا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها، ثم أنشدتُها بيتاً لأبي المستهلّ شاعر منصور بن المهديّ في المعتصم:

أقام الإمامُ منار الهُدى وأخرسَ ناقوس عمُّوريه

ثم قلت لها: أجيزي فقالت:

كساني المليكُ جلابيبه ثيابَ علاها بسمُّوريه(٢)

ثم دعتْ بطعام فأكلْنا، وخرجتُ من عندها، فمضيت إلى الأخرى، فقالت: من أين يا أبا الشبل؟ فقلت: من عند فلانة، قالت: قد علمتُ أنّك تبدأ بها - وصدقتْ، كانت أجملهما فكنتُ أبدأ بها - ثم قالت: أما الطعام فاعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله، لعلمي بأن تلك لا تدعُك تنصرف أو تأكل. فقلت: أجل. قالت: فهل لك في الشراب؟ قلت: نعم، فأحضرتْه وأخذْنا في الحديث، ثم قالت: فأخبرني مادار بينكما؟ فأخبرتُها، فقالت: هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتُها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية، أفلا قالت:

فأضحى به الدِّين مستبشرا وأضحت زنادُهما واريهْ

فقلت: أنت والله أشعرُ منها في شعرها، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك والله أعلم. (١٩٩/١٤)

---

(١) وخد البعير: أسرع ووسّع الخطو، وأرحل جمع رحل وهو مركب للبعير، ونُجب جمع نجيب وهو القوي الخفيف السريع من الإبل، والمهمة: المفازه البعيدة، والجلس: الغليظ من الأرض.

(٢) سمّورية: نسبة إلى سمّور: وهي دابة يتخذ من جلدها فراء غالي الثمن.

(٢٤٥)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن عمر بن شبّة، عن أبي أيّوب الزيالي، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتفاق منهما ورضاً بأن ينقل إلى كلٍّ واحد منهما وعنه الشّعر، فدخل يوماً إلى بشّار فقال له: إيه يا فلان، ما قال ابن الزانية فيّ؟ فأنشده:

إنْ تاهَ بشّارٌ عليكم فقد   أمكنتُ بشّارا من التِّيهِ

فقال بشّار: بأيّ شيء ويحك؟ فقال:

ذاك إذ سميْتُه باسمه   ولم يكن حرٌّ يسمّيه

فقال: سخنتْ عينُه[1]، فبأي شيء كنت أعرف؟ إيه، فقال:

فصار إنساناً بذكري له   ما يبتغي من بعد ذكريه؟

فقال: ما صنع شيئاً، إيه ويحك؟ فقال:

لم أهجُ بشّارا ولكنّني   هجوتُ نفسي بهجائيه

فقال: على هذا المعنى دار، وحوله حام، إيه أيضاً، وأيّ شيء قال؟ فأنشده:

أنت ابن برد مثلُ بُرْ   دٍ في النذالة والرُّذاله
من كان مثلَ أبيك يا   أعمى أبوه فلا أبا له

فقال: جوَّدَ ابنُ الزانية، وتمام الأبيات الأُوَل:

لم آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى   ولستُ فيما عشتُ آتيه
أسوأ لي في الناس أحدوثةً   من خطأ أخطأتُه فيه
فأصبح اليوم بسبّيَ له   أعظمَ شأناً من مواليه   (٣٢٦/١٤)

(٢٤٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة، عن خلّاد الأرقط قال: أنشد بشّارا راويته قول عجرد فيه:

دُعيتَ إلى بُرْد وأنت لغيرِه   فهبْكَ ابن بُرْدٍ نكتَ أمَّك مَنْ بُرْدُ؟

فقال بشّار لراويته: ها هنا أحد؟ قال: لا، فقال: أحسن والله ما شاء ابن الزانية.   (٣٢٧/١٤)

---

(١) سخنت عينه: نقيض قرّت، دعاء عليه.

(٢٤٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمّار وحبيب بن نصر المهلّبيّ، قالوا: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدّثنا أبو أيوب الزباليّ قال: قال بشار لراوية حمّاد: ما هجاني به اليوم حمّاد؟ فأنشده:

ألا مَن مُبلغٌ عنّي الذ ي والـــدُه بُـــرْدُ

فقال: صدق ابن الفاعلة، فما يكون؟ فقال:

إذا ما نُسب الناسُ فـــلا قـــبْلٌ لا بعْـدُ

فقال: كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات من عُقيل؟ فما يكون؟ فقال:

وأعمى قَلْطبانٌ ما على قـــاذفــه حـدٌّ

فقال: كذب ابن الفاعلة، بل عليه ثمانون جلْدةً، هيه، فقال:

وأعمى يشبه القِرْدَ إذا مـا عمـيَ القِردُ

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبَّهني بقرد، حسبُك حسبُك، ثم صفّق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبِّهُني ولا أراه فأشبِّهه(١). (٣٢٨/١٤)

(٢٤٨)

أخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُريد قال: حدّثنا أبو حاتم قال: قال يحيى بن الجوْن العبديّ راويةُ بشّار: (أنشدتُ بشّاراً) يوما قول حمّاد:

ألا قـل لعـبـد اللـه إنّك واحـدٌ ومـثلُك في هذا الزمـان كـثـيـرُ
قطعتَ إخـاني ظالمـا وهجرتني وليس أخي مَن في الإخـاء يجـور
أديمُ لأهــل الــوُدّ ودّي، وإنّنــي لمن رام هـجـري ظالما لهـجـور
ولو أن بعـــضـي رابني لقطعتُه وإنّـــي بقطـــع الرائبين جـــديـر

---

(١) لا نظنّ أنّ بشّاراً يعني تماماً ما يقوله من أمر المشاهدة في التشبيه، وإلاّ كيف نتعامل مع التشبيهات التي تملأ ديوانه مع علمنا أنّه وُلد أعمى، فهل وجبت المشاهدة في هذا الموضع وحده كي يستطيع التشبيه، ثمّ أليس هو الذي يُعْمِل نفسه، ويكدُّ خاطره كي يأتي بتشبيه شيئين بشيئين مثلما صنع امرؤ القيس في الخبر المشهور الذائع، ولعلّ براعة حمّاد في هذه الأبيات، وعجز بشار عن الردّ عليه ألجاه إلى هذه الحجّة التي لا نراها تستقيم أمام النظر السليم.

فلا تحسبنْ منّحي لك الودّ خالصا لعـــزّ ولا أنّـــي إليـــك فقـــير
ودونك حظّـي مـنـكَ لســتُ أريدُه طوالَ الليـالي مــا أقـام ثبـيـرُ

فقال بشّار: ما قال حمّادٌ شعراً قطُّ هو أشدّ عليّ من هذا، قلتُ: كيف ذاك ولم يهْجُك فيه؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع. قال: لأن هذا شعر جيّد ومثلُه يُروى، وأنا أنْفَس عليه أن يقول شعراً جيّداً. (٣٤٧/١٤)

(٢٤٩)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال: حدّثني عليّ بن مهديّ قال: حدّثني محمد بن النُّطاح قال: كنت شديد الحبّ لشعر حمّاد عجرد، فأنشدتُ يوماً أخي بكر بن النّطاح قوله في بشّار:

أسأتَ في ردّي على ابن استِها إســـاءةً لـم تُبـق إحســـانا
فصـــار إنســاناً بذكـري له ولـم يكـن من قـبلُ إنسـانا
قـرَعْتُ سنّي ندمـا سـادمـا لـو كـان يغني ندمـيَ الآنـا(١)
يا ضيعةَ الشعر ويا سوْءتا لـي ولأزمـــاني أزمـــانا
من بعد شتمي القردَ لا والذي أنـزلَ تـوراةً وقـرآنـا
مـا أحـدٌ من بعـد شـتـمي له أنـذلُ منّي، كـان مـن كـانا

قال: فقال لي: لمن هذا الشعرُ؟ فقلتُ: لحمّاد عجرد في بشّار، فأنشأ يتمثّل بقول الشاعر:

ما يضُرّ البحرَ أمسى زاخراً أنْ رمـى فيه غـلامٌ بحجـرْ

ثم قال: يا أخي، إنْس هذا الشعر فنسيانه أزين بك، والخرس كان أستر على قائله. (٣٤٨/١٤)

(٢٥٠)

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان حفص بن أبي وزّة صديقاً لحمّاد عجرد، وكان حفص مرمياً بالزّندقة، وكان أعمش أفطس أغضف(٢) مقبّح الوجه، فاجتمعوا يوماً على شراب، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبي وزّة يطعن على مرقّش ويعيب شعره ويلحّنه، فقال له حمّاد:

---

(١) السَّدَم: الهمّ أو مع ندم أو غيظ مع حزن. (٢) الأغضف: المتدلّي الأذنين كالكلب على التشبيه.

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ ... وأنفٌ كثيلِ العودِ عمَّا تتبَّعُ(١)
تتبَّعُ لحْنًا في كلامٍ مرقَّشٍ ... ووجهُك مبنيٌّ على اللَّحنِ أجمعُ
فأذْناك إقواءٌ وأنفُك مكْفأٌ ... وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقَّعُ(٢) (٣٥١/١٤)

(٢٥١)

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: ذكر أبو دعامة عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال: رأى حمَّاد عجرد على بعض الكتاب جُبَّة خزٍّ دكناء فكتب إليه:

إنَّني عاشقٌ لجبَّتك الدكـ ... ـناء عشقًا قد هاج لي أطرابي
فبحقِّ الأميرِ إلا أتتْني ... في سراحٍ مقرونةً بالجواب
ولك اللهُ والأمانةُ أن أجـ ... ـعلها أشهرًا أميرَ ثيابي

فوجه إليه بها، وقال للرسول: قل له وأيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك؟ وأيُّ شيء عليَّ من الضرر في غير ذلك من فعلك، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحاً لكان أحسن، ولكنَّك رذلْتَ لنا شعرك فاحتملناك. (٣٥٢/١٤)

(٢٥٢)

أخبرني عمي قال: حدَّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال: أنشد بشَّارٌ قول حمَّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بشر:

أخي كُفَّ عن لومي فإنَّك لا تدري ... بما فعل الحبُّ المبرِّح في صدري
أخي أنت تلحاني وقلبُك فارغٌ ... وقلبيَ مشغولُ الجوانح بالفكر
أخي إنَّ دائي ليس عندي دواؤه ... ولكنَّ دوائي عند قلب أبي بشر
دوائي ودائي عند مَن لو رأيته ... يقلِّب عينيه لأقصرتَ عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى ... لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري
ولكن بلائي منك أنَّك ناصحٌ ... وأنَّك لا تدري بأنَّك لا تدري

---

(١) الثيل: القضيب، والعود: الجمل المسنّ.

(٢) الأقواء: اختلاف حركة الرويّ، والإكفاء: هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميماً وبعضها دالاً وبعضها طاءً ونحو ذلك، والإيطاء: هو إعادة كلمة الرويّ لفظاً ومعنى، وهذا كلّه من عيوب القافية، وقد ألصقه حمَّاد بهذا الرجل يعرِّض بقبح وجهه، ودمامة خلقته.

فطرب بشّار ثم قال: ويْلكم، أحسنَ والله! من هذا؟ قالوا: حمّاد عجرد! قال: أوّه، وكلْتُموني والله بقية يومي بهمٍّ طويل، والله لا أطعم بقية يومي طعاما ولأصوم عمّا بما يقول النَّبطيّ ابنُ الزانية مثل هذا. (٣٦٢/١٤)

(٢٥٣)

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني إبراهيم بن معاوية عن أبي محمّد الأنصاريّ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه؛ قال: لمّا تزوّج الحجاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيِّب فذكر له ذلك، فقال: إني لأرجو أن لا يجمع الله بينهما، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل، وعسى الله، فإن أباها لم يزوِّج إلا الدراهم. فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبردَ البريدَ إلى الحجاج، وكتب إليه يُغْلظ له ويقصِّر به، ويذكرُ تجاوزه قَدْره، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مسَّها ليقطعن أحبُّ أعضائه إليه، ويأمرُه بتسويغ(١) أبيها المهر، وبتعجيل فراقها، فما بقي أحد فيه خير إلا سرَّه ذلك. وقال جعفر بن الزبير وكان شاعراً في هذه القصة:

وجدتُ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسُفٍ حميّاً من الأمر الذي جئتَ تَنْكَفُ(٢)
ونبِّئتُ أنْ قد قال لمّا نكحتها وجاءت به رسْلُ تَخُبُّ وتُوجِفُ(٣)
ستعلمُ أنّي قد أنفتُ لما جرى ومثلُك منه عمْرك الله يؤنفُ
ولولا انتكاسُ الدهر ما نال مثلها رجاؤك إذ لم يرجُ ذلك يُوسُفُ
أبنتَ المصفَّى ذي الجناحين تبتغي لقد رُمْتَ خطْباً قدرُه ليس يوصفُ (١٥/١٠)

(٢٥٤)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي إجازة قال: حدّثنا عُمر بن شبّة قال: حدّثني محمد بن سلام قال: حدّثني موسى بن مهْران قال: كانت بالمدينة قينةٌ لآلِ نُفيس بن محمدٍ يقال لها بصبص. قال: وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيها، فيسمعُ منها، وكان يأتيها فتْيانٌ من قريشٍ فيَسمعون منها، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفاً في الحجّ ومرَّ بالمدينة يذكر بصبص:

---

(١) التسويغ: الإعطاء. (٢) ابن يوسف: أراد يا بن يوسف، يعني الحجّاج. والحميّ: الذي أخذته الحميّة، وهي الأنفة والغيرة، ويقال نكف عن الأمر: عدل.

(٣) الخبب والإيجاف: ضربان من السَّير السريع.

أراحــلٌ أنــت أبــا جعفــرٍ من قبل أن تسمع من بصبصا

وذكر الأبيات، فبلغت أبا جعفر، فغضب فدعا به؛ فقال: أما إنّكم يا آل الزبير قديماً ما قادتكم النساء، وشققتم معهنَّ العصا، حتّى صرت أنت آخرَ الحمقى تُبايع المغنّيات؛ فدونكم(١) يا آل الزبيرِ هذا المرتعَ الوخيم قال: ثم بلغ أبا جعفر بعد ذلك أنَّ عبد الله بن مصعبٍ قد اصطبح مع بصبص وهي تغنّيه بشعره:

إذا تمــزَّزتُ صُراحيــَّةً كمثل ريح المسكِ أو أطيبُ(٢)
ثــم تغنّى لــي بأهزاجِــه زيدٌ أخو الأنصار أو أشعبُ
حــسبتُ أنّي مــالكٌ جــالسٌ حــفَّتْ بــه الأمـلاك والموكبُ
فــلا أبالــي وإلــهِ الورى أشــرَّقَ العــالمُ أم غــرَّبُوا

فقال أبو جعفرٍ: العالم لا يُبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت. ثم قال أبو جعفر: ولكنَّ الذي يعجبني أن يحدُوَ بي الحادي الليلةَ بشعرِ طريفٍ العنبريِّ، فهو آلفُ في سمعي من غناء بصبص، وأحرى أن يختاره أهلُ العقل. قال: فدعا فلاناً الحادي ـ قد ذكره وسقط اسمه ـ وكان إذا حدا وضعت الإبل رؤوسها لصوته انقياداً عجيباً، فسأله المنصورُ: ما بلغ من حُسن حُدائه؟ قال: تعطَّش الإبلُ ثلاثاً أو قال خمساً وتُدنى من الماء، ثمَّ أحدو فتتبع كلُّها صوتي، ولا تقرب الماء. فحُفظَ الشعرُ، وكان:

إنّي وإن كان ابن عمّي كاشحاً لَمُزاحــمٌ مــن دونــه ووراءه(٣)
وممدُّهُ نصري وإنْ كــان امرأ متزحزحاً في أرضه وسمائه(٤)
وأكــونُ مــأوى ســرّه وأصــونُه حــتّى يحــقَّ علــيَّ يــومُ أدائــه
وإذا أتى من غيبه بطريفــةٍ لــم أطَّلِعْ: مــاذا وراء خبائــه
وإذا تحيَّفتِ الحــوادثُ مــا لــه قُرِنَتْ صحيحتُنا إلى جربائه
وإذا تريَّشَ في غناه وفرتُــه وإذا تصعلك كنتُ من قرنانه(٥)
وإذا غدا يوماً ليركب مركباً صعباً قعدتُ له على سيسائه(٦)

فلما كان الليلُ حدا به الحادي بهذه الأبيات، فقال: هذا والله أحثُّ على المروءة وأشبه بأهل

(١) دونك هذا: أي خذه، صيغة للإغراء. (٢) تمززت. تمصّصت، والصراحية: الخمر الخالصة.

(٣) الكاشح: مضمر العداوة. (٤) المتزحزح: البعيد.

(٥) تريّش وارتاش: أصاب خيراً فرئي عليه أثر ذلك. (٦) سيساء الظهر من الدواب: مجتمع الوسط.

الأدب من غناء بصبص. (٢٩/١٥)

(٢٥٥)

قال الأصمعيّ: ... قال سهل بن الحنظلية:

هاج لك الشوق من ريحانة الطربا ... إذ فارقتك وأمست دارها غُرُبا(١)

وهي قصيدة طويلة .. حسنة. (٢٤٠/١٥)

(٢٥٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدّثنا عمر بن شبّة عن ابن البواب قال: جلس المعتصمُ يوماً للشراب، فغنّاه بعض المغنّين قوله:

وبنو العباس لا يأتون «لا» ... وعلى ألسنهم خفّتْ «نعم»

زيّنت أحلامهم أحسابَهُم ... وكذاك الحلمُ زينٌ للكرمْ

فقال: ما أعرفُ هذا الشعر، فلمن هو؟ قيل: للبيد. فقال: وما للبيد وبني العبّاس؟ قال المغنّي: إنّما قال: «وبنو الديّان لا يأتون» فجعلتُه «وبنو العباس». فاستحْسنَ فعله ووصله.

وكان يُعْجب بشعر لبيدٍ فقال: مَن منكم يروي قوله: «بلينا وما تبلى النجومُ الطوالع». فقال بعض الجلساء: أنا. فقال: أنشدنيها. فأنشد:

بلينا وما تبلى النُّجومُ الطوالعُ ... وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ

وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مضنّةٍ ... ففارقني جارٌ بأربد نافعُ

فبكى المعتصمُ حتّى جرت دموعُه، وترحّم على المأمون، وقال: هكذا كان رحمة الله عليه! ثم اندفع وهو يُنشد باقيها ويقول:

فلا جزعٌ إنْ فرّقَ الدّهرُ بيننا ... فكلُّ امرئٍ يوماً له الدهرُ فاجعُ

وما الناسُ إلاّ كالدِّيارِ وأهلها ... بها يومَ حلُّوها وبعْدُ بلاقعُ

ويمضُون أرسالاً ونخلُف بعدهم ... كما ضمُّ إحدى الراحتين الأصابعُ

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوئه ... يحُورُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطع

وما البرُّ إلا مُضمراتٌ من التُّقى ... وما المالُ إلا عاريّاتٌ وودائعُ

أليسَ ورائي إنْ تراختْ منيّتي ... لزومُ العصا تحْنى عليها الأصابع

---

(١) الغُرُب: الغريب.

أخبِّر أخبار القرون التي مضت ... أدبُّ كـأنّي كلما قمتُ راكعُ
فأصبحتُ مثلَ السّيف أخلقَ جفنه ... تقادمُ عهدِ القين والنصلُ قاطع
فلا تبعدَنْ إنْ المنيةَ موعدٌ ... علينا فدانٍ للطُّلوع وطالع
أعاذل ما يُدريك إلاّ تظنّيا ... إذا رحل الفتيانُ مَنْ هو راجع
أتجزعُ مما أحدثَ الدهرُ بالفتى ... وأيُّ كريم لم تُصِبْه القوارع
لعمرك ما تدري الضّواربُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطّير ما الله صانع

قال: فعجبنا والله من حسن ألفاظه، وصحّة إنشاده، وجودة اختياره. (٣٧٢/١٥)

(٢٥٧)

أخبرني مالك بن محمد الشيباني قال: كنت حاضراً في مجلس أبي العباس، نقلت وقد قرئ عليه شعرُ زيادِ الأعجم، فقرئت عليه قصيدته:

قل للقوافل والغزيّ إذا غزوا ... والباكرين وللمجدُّ الرائحِ

قال: فقلت إنّها من مختار الشعر، ولقد أنشدت لبعض المحدثين في نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة. ثمّ أنشدنا:

أيُّها الناعيانِ من تنعيانِ ... وعلى مَنْ أراكما تبكيانِ
اندُبا الماجدَ الكريمَ أبا إســ ... ـحاق ربُّ المعروفِ والإحسانِ
واذهبا بي إنْ لم يكنْ لكما عقْــ ... ـرٌ إلى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا ... ن دمي من نداهُ لو تعلمان (٣٨٢/١٥)

(٢٥٨)

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدّثني محمد بن القاسم الدينوريّ، قال: حدّثني محمد بن عمران الضبيّ، قال: قال المهدي للمفضل الضبيّ: أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسديّ، قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله:

وقد تغدر الدنيا فيضحى فقيرها ... غنياً ويغنى بعد بؤسٍ فقيرُها
فلا تقرب الأمر الحرام فإنّه ... حلاوته تفنى ويبقى مريرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة ... وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

فقال له المفضل: مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين. (٢٠/١٦)

(٢٥٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أبو خليفة عن التوزي، قال: قلت لأبي عبيدة: ما تقول في شعر الحسين بن مطير؟ فقال: والله لو ددت أن الشعراء قاربته في قوله:

مخصرةُ الأوساط زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودُها
فصفر تراقيها، وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها (٢٥/١٦)

(٢٦٠)

ومن مختار شعر النعمان بن بشير قوله: رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها:

إذا ذُكرت أم الحويرث أخضلت دموعي على السربال أربعة سكبا(١)
كأنّي لما فرُقتْ بيننا النّوى أجاور في الأغلال تغلب أو كلبا
وكنّا كماء العين والجفن لا ترى لواش بغى نقض الهوى بيننا إرْبا(٢)
فأمسى الوشاة غيّروا وُدّ بيننا فلا صلةً ترعى لديّ ولا قُرْبى
جرى بيننا سعيُ الوشاة فأصبحت كأنّي - ولم أذنب - جنيتُ لها ذنبا
فإن تصرميني تصرمي بي واصلا لدى الود معْراضا إذا ما النوى صعبا
عزوفا إذا خاف الهوان عن الهوى ويأبى فلا يعطي مودته غصبا
فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت كلّفني نُصْبا(٣)

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، وأولّها:

أهيّجَ دمعك رسمُ الطُّلل عفا غيرَ مطّردٍ كالخِلَلْ(٤)
نعم فاستهلّ لعرفانه يسح ويهمي بفيْضٍ سبل(٥)
ديار الألوف وأترابها وأنت من الحب كالمختبل
ليالي تسْبي قلوب الرجا ل تحت الخدور بحسن الغزل
من الناهضات بأعجازهن حين يقوم جزيلُ الكفل
كأن الرُّضاب وصوْب السحا ب بات يُشاب بنوْب العسل
من الليل خالط أنيابها بُعيد الكرى واختلافِ العلل(٦)

---

(١) أخضل الدمع الثوب: بلّه، وقد ضمنه الشاعر معنى سقط، فعدّاه بعلى. (٢) الإرب: الحاجة.
(٣) النُّصب: الداء والبلاء والشرّ. (٤) الخلل: جمع خلّة، وهي بطانة تنقش بالذهب، يغش بها جفن السيف.
(٥) استهلّ: جرى وسال، والسَّبَل: المطر الجود الهاطل. (٦) اختلاف العلل: حدوث النوم بعد النوم.

وفي هذه القصيدة يقول النعمان:

وأروعَ ذي شرف حــازم　　صروم وصول حبال الخُلَلْ(١)
كــريم البلاء صبور اللقــا　　ءِ صافي الثناء قليل العذل
عظيم الرماد طويل العما　　دِ واري الزناد بعيد القَفَلِ(٢)
أقمــت لــه ولأصحـابـه　　عمـود السُّرى بذمـولٍ رمل(٣)
مداخلـةٍ سـرْحـة جسـرةٍ　　على الأين دَوْسـرة كالجمـل(٤)　　(١٦/٤٨)

(٢٦١)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: امتدح ربيعة الرقيّ العبّاسَ بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يُسبق إليها حُسْناً، وهي طويلة يقول فيها:

لـو قيل للعباس يابن محمـد　　قل: (لا) وأنت مخلّدٌ ما قالها
ما إن أعدُّ من المكارم خصلةً　　إلاّ وجدتك عمّهـا أو خــالهـا

..(وكان الرشيد قد سمعها) فاستحسنها واستجادها وأعجب بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها...　　(١٦/٢٥٦)

(٢٦٢)

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال: لقي ابن مناذر أبا حيّة، فقال له: أنشدني بعضَ شعرك، فأنشده: ألا حي من أجل الحبيب المغانيا

فقال له ابن مُناذر: وهذا شعر؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب هو شرٌّ من أنك تسمعه. ثم أنشده ابن مناذر شيئاً من شعره، فقال له أبو حية: قد عرفتك ما قصتك؟ وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية، ويذكر يوم النُّشّاش، وهو يوم لبني نُمير.　　(١٦/٣١٠)

---

(١) الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه، والخُلَل: جمع خلة، وهي الحبيبة.

(٢) القَفَل: الرجوع من أماكن الغزو البعيدة.

(٣) العمود: طريق السير الذي تستقيم عليه السيارة، والذمول: الناقة تسير الذميل وهو ضرب من سير الإبل فوق العَنَق، ورمل: أي ذات رَمَل، وهو ضرب من السير سريع.

(٤) مداخلة: وهي المكتنزة المدمجة الخلق، والسرحة: الطويلة الجسم، وأصلها الشجرة العظيمة، والجسرة: الماضية أو الطويلة الضخمة، والأين: التعب والكلال، والدوسرة: الضخمة الشديدة.

(٢٦٣)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن الفضل قال: كان محمد بن موسى المنجِّم يعجبه التقسيم في الشعر(١)، ويُشغف بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نُصَيْب:

أيا بعل ليلى كيف تجمعُ سِلْمها وحربي وفيما بيننا شبَّتِ الحربُ
لها مثلُ ذنبي اليومَ إن كنتُ مذنبا ولا ذنب لي إن كان ليس بها ذنبُ (١٦/٣٤٤)

(٢٦٤)

أخبرني أحمد بن جعفر جحْظة قال: حدّثني المبرّد قال: لم يزل محمد بن صالح محبوساً حتى توصل بُنان له، بأن غنّى بين يدي المتوكل في شعره:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألّق مَوْهِناً لمعانُهُ

فاستحسن المتوكِّل الشعر واللحن. (١٦/٣٧٠)

(٢٦٥)

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال: كانت الرواة لا تروي شعر أبي داود ولا عديّ بن يزيد، لمخالفتهما مذاهب الشعراء(٢). (١٦/٣٧٧)

---

(١) التقسيم: من أساليب العربية المعروفة، وهو «قسمة الكلام على جميع أنواعه لا يخرج منها جنس من أجناسه». الصناعتين (ص ٣٤١)، أو هو «أن تكون الأقسام المذكورة لم يخلّ بشيء منها ولا تكرّرت ولا دخل بعضها تحت بعض». سر الفصاحة (ص ٢٧٧)، أو هو «أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ثم تضيف إلى كلّ واحد من أجزائه ما هو له عندك». مفتاح العلوم (ص ٢٠١)، وقد أعجب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعد سماعه بيت زهير: وإنّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ أو نفار أو جلاءُ فقال: «مَنْ علْمه بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها». البيان والتبيين (١/٢٤٠)، فكأنَّ إشارة عمر هذه ـ وهو المعهود منه دوماً رضي الله عنه ـ كانت الأساس الذي قامت عليه بقية التعريفات، ونصيب في البيتين السابقين عرض جوهر المشكلة وهو زوج ليلى، فهو من جهة حربٌ عليه، ومن جهة أخرى سلّم عليها مع أنَّ الذنب واحد إن كان هناك ذنب، ويزول الذنب عن الاثنين: هو وليلى إن لم يجد عندهما ذنباً، فكأنَّه استوفى أقسام هذه (المشكلة) بحيث لم يدع زيادة لمستزيد، وينظر عن التقسيم: العمدة، العمدة (٢/٢٠٢)، وبديع ابن منقذ (ص ٦١)، والمثل السائر (٢/٢٠٤)وغيرها.

(٢) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/٢٣٨): «والعرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد وذلك لأنَّ ألفاظهما ليست بنجدية». وقال أيضاً (١/٢٣٠): «والعرب لا تروي شعر عدي بن زيد لأنَّ ألفاظه ليست بنجديّة»، وينظر الموشح (ص ١٠٤) ففيه النصّ نفسه.

(٢٦٦)

وقد رُوي عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها، إلا في بيت واحد، فقال له: يا أبا تمام، لو ألقيتَ هذا البيت ما كان في قصيدتك عيب. فقال له: أنا والله أعلم منه مثلَ ما تعلم، ولكن مثل شعر الرجل عنده مثلُ أولاده، فيهم الجميل والقبيح، والرشيد والساقط، وكلهم حلو في نفسه، فهو وإن أحب الفاضل، لم يبغض الناقص، وإن هوي بقاء المتقدم، لم يهو موت المتأخر، واعتذاره بهذا ضدٌّ لما وصف به نفسه في مدحه الواثق، حيث يقول:

جاءتكَ من نظم اللسان قلادةٌ ... سمطان فيها اللؤلؤُ المكنونُ

أحْذاكها صنعُ اللسانُ يُمدُّه ... جفْرٌ إذا نضبَ الكلامُ معينُ(١)

ويُسيءُ بالإحسان ظنّاً لاكمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

فلو كان يسيء بالإساءة ظنا ولا يفتتن بشعره، كنا في غنىً عن الاعتذار له. (١٦/٣٨٣)

(٢٦٧)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني أبو ذكوان قال: قال لي إبراهيم بن العباس: ما اتكلتُ في مكاتبتي قطُّ إلا على ما جاش به صدري، وجلبه خاطري، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام:

فإن باشر الإصحارَ فالبيضُ والقنا ... قِراهُ وأحواضُ المنايا مناهلُه(٢)

وإن يَبْنِ حيطانا عليه فإنما ... أولئك عُقّالاتُه لا معاقلُه(٣)

وإلا فأعلمه بأنك ساخطٌ ... عليه، فإن الخوف لا شكّ قاتلُه

فأخذت هذا المعنى في بعض رسائلي، فقلت: فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم، وما كان يعقلهم يعتقلهم. قال: ثم قال لي إبراهيم: إن أبا تمام اختُرِم(٤) وما استمتع بخاطره، ولا نزحَ

---

(١) أحْذاكها: من حذا إذا قدَّر الشيء وقطعه، وهنا صنعت هذه القصيدة لك. ينظر لسان العرب (١٤/١٦٩)، وصَنَع: ماهر، ويُمدُّه: يعينه ويساعده، والجَفْر: في الأصل من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، والأنثى جفرة، أو هو الجمل الصغير. ينظر لسان العرب (٤/١٤٢)، والجفر أيضاً البئر الواسعة المستديرة، وأراد أبو تمام هذا المعنى أي هو يمنح من فكر نفسه، ونتاج قريحته فهي مثل البئر التي لا تنضب.

(٢) الإصحار: البروز إلى الصحراء، والبيض: السيوف، وقراه: طعامه.

(٣) عقالاته: قيوده. (٤) اخترم: مات.

ركيّ فكره[1]، حتى انقطع رشاءُ عمره[2]. (٣٨٧/١٦)

(٢٦٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن جرير قال: سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدِّم أبا تمام، ويفضله، ويقول: لو لم يقل إلا مرْثيته التي أولها: أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا

وقوله: لو يقدرون مَشَوْا على وجناتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفتاه. (٣٨٧/١٦)

(٢٦٩)

أخبرني عمي قال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً، فسمع مؤدِّباً كان لولد أخي يُروِّيهم قصيدة أبي تمام: «الحق أبلج والسيوف عوارٍ»

فلما بلغ إلى قوله:

سُودُ اللباسِ كأنّما نَسجتَ لهم أيدي السُّموم مدارعا من قارِ[3]
بكروا وأسْروا في مُتون ضوامر قيدت لهـم من مـرْبط النُّجـارِ
لا يبرحـون ومن رآهم خـالهم أبداً على سـفـر من الأسـفـار

فقال عُمارة: لله دره! ما يَعتمد معنى إلا أصاب أحسنه، كأنه موقوف عليه. (٣٨٧/١٦)

(٢٧٠)

أخبرني محمد قال: حدّثني هارون بن عبد الله قال: قال لي محمد بن جابر الأزديّ، وكان يتعصب لأبي تمام: أنشدت دعبل بن علي شعراً لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس. فقلت: إنه لأبي تمام، فقال: لعلّه سرقه[4]! (٣٨٨/١٦)

---

(١) الركيّ: البئر. (٢) الرشاء: الحبل يُستقى عليه من البئر.

(٣) المدارع: جمع مدرعة، وهي حيّة مشقوقة المقدم.

(٤) يذكّرنا هذا النصّ بما قاله الأصمعي بعد أن سمع بيتين لمحدث، استحسنهما وهو لا يعلم لمن هي، وبعد المعرفة غيّر رأيه، وأنقص من قدرهما. ينظر الأغاني (٥/٣١٧)، فنرى التعصّب هنا يسيطر على دعبل فيغيّر حكمه فور معرفته أنّ الشعر لأبي تمام، وهذا طراز من النقد لا يمكن أن يؤخذ على ظاهره، بل يُحترز منه ويُحذر.

(٢٧١)

أخبرني محمد قال: حدّثني أبو الحسين بن السخيّ قال: حدّثني الحسين بن عبد الله قال: سمعت عمي إبراهيم بن العباس يقول لأبي تمام، وقد أنشد شعرا له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعية لإحسانك. (١٦/٣٨٨)

(٢٧٢)

أخبرني عمي والحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضاً جحظة حدّثنا به، قالوا: حدّثنا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غدا، وستسمعوني. فلما دخل على عبد الله أنشده:

هنَّ عوادي يوسف وصواحبُه ... فعزما فقدما أدرك السؤلَ طالبُه

فلما بلغ إلى قوله:

وقلقل نأيٌ من خراسان جأشَها ... فقلتُ اطمئنى أنضرُ الروض عازبُه(١)

وركبٍ كأطراف الأسنَّة عرسُوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمرٍ عليه أن تتمَّ صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العبّاس: ما يستحقّ مثل هذا الشعر غيرُ الأميرُ أعزّه الله! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحيّ: لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير. فقال له: بل نضعفها لك، ونقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغلمان، ولم يمسَّ منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال: يترفَّع عن بريّ، ويتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك. (١٦/٣٨٩)

(٢٧٣)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا عون بن محمد الكندي قال: حدّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقيّ، كان يكتب للحسن بن رجاء: قال: قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء، فرأيت منه رجلا عقله وعلمه فوق شعره، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التي امتدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

---

(١) قلقل: اضطرب وهزّ. جأشها: روعها وسكونها. والعازب: البعيد المتطرِّف.

أنا من عرفتَ فإن عرتك جهالة ... فأنا المقيمُ قيامةَ العُذَّالِ
عادتْ له أيامه مُسْودَّةً ... حتى توهم أنهن ليالِ

فقال الحسن: والله لا تسْودُّ عليك بعد اليوم. فلما قال:

لاتنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حربٌ للمكان العالي
وتنظُري حيث الركابُ ينصُّها ... محيي القريض إلى مميت المالِ(١)

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال: والله لا أتممتها إلا وأنا قائم. فقام أبو تمام لقيامه، وقال:

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى ... عنا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ
بسط الرجاء لنا برغم نوائبٍ ... كثُرتْ بهن مصارعُ الآمالِ
أغلى عذارى الشعر إنَّ مُهورها ... عند الكرام وإن رخُصْن غوالِ
تردُ الظُّنونُ بنا على تصديقها ... ويحكِّم الآمالَ في الأموالِ
أضحى سميُّ أبيك فيك مصدَّقًا ... بأجلِّ فائدةٍ وأيمن فالِ
ورأيتني فسألتَ نفسك سيْبها ... لي ثم جُدْت وما انتظرتَ سؤالي
كالغيث ليس له - أريد غمامه ... أو لم يرد - بُدٌّ من التَّهطالِ

فتعانقا وجلسا. وقال له الحسن: ما أحسن ما جلوت هذه العروس! فقال: والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها. (١٦/٣٩٢)

(٢٧٤)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن عُبيد قال: اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس، فقالوا: ليُنشد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر. فاندفع رجل كان معهم فقال: اسمعوا مني أخبركم بما يُنشدُ كلُّ واحد منكم قبل أن يُنشد. قالوا: هات فقال لمسلم: أما أنت يا أبا الوليد فكأنّي بك قد أنشدت:

إذا ما علتْ منا ذُؤابةُ واحدٍ ... وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهلِ
هل العيشُ إلا أن تروحَ مع الصِّبا ... وتغدو صريعَ الكأس والأعين النُّجْلِ

قال: وبهذا البيت لقِّب «صريع الغواني»، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقت. ثم أقبل

---

(١) ينصُّها: يقودها ويسوقها.

على أبي نواس فقال له: كأني بك يا أبا عليّ قد أنشدت:

لا تَبْـكِ ليلى ولا تطـرب إلـى هـنـدِ ... واشربْ على الورْد من حمراءَ كالوردِ
تسـقـيك من عـينها خـمـرا ومن يدها ... خـمـرا فـمـا لك من سُـكرين مـن بُدّ

فقال له: صدقت. ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا عليّ، فكأني بك تنشد قولك:

أين الشـبـابُ وأيّةً سلكا ... لا أين يُطلب ضـلَّ بلْ هلكا
لا تعـجبي يا سـلْمَ مـن رجُل ... ضـحكَ المشيبُ برأسـه فبكى

فقال: صدقت. ثم أقبل على أبي الشيص، فقال له: وأنت يا أبا جعفر، فكأني بك وقد أنشدت قولك:

لا تنكري صدَّي ولا إعراضي ... ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

فقال له: لا. ما هذا أردت أن أنشد، ولا هذا بأجود شيء قلته. قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي ... مـتـأخَّـرٌ عـنـهُ ولا متقـدّمُ
أجـدُ الملامـةَ في هـواك لذيذةً ... حـبًّا لذكـرك فليلُمْني اللُّوَّم
أشبـهتِ أعـدائي فـصـرتُ أحبُّهمْ ... إذ كـان حـظـي منكِ حظِّي منهمُ
وأهنتني فـأهنتُ نفسـيَ صـاغـراً ... مـا مـنْ يهـون عليك ممـن يُكْرم

قال: فقال أبو نواس، أحسنتَ والله وجودت! (٤٠١/١٦)

(٢٧٥)

نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه: حدّثني الحسن بن سعد قال: حدّثني رزين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال: كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصاريّ، فقال أبو نواس لأبي الشيص: أنشدني قصيدتك المُخْزية. قال وما هي؟ قال: الضادية. فما خطر بخلدي قولك: «ليس المقُل عن الزمان براضِ» إلا أخزيتك(١) استحساناً لها، فإنّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته وقد كان ثقّفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عُدّي لي المُخْزيات، فتعدُّ قوله: أغرُّ أرْوعُ يُستسقى الغمام به ... لوْ قارعَ الناسَ عن أحسابهم قرعا

(١) أخزيتك: قلت: أخزاه الله.

وما أشبهها من شعره. قال أبو الشيص: لا أفعل. إنها ليست عندي عِقْد دُرٍّ مفصَّل، ولكني أكاثر بغيرها، ثم أنشده قوله:

وقف الهوى بي حيثُ أنت فليس لي   متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّم

فقال له أبو نواس: قد أردت صرفك عنها، فأبيتَ أن تخلّى عن سَلَبك، أو تُدْرَك في هربك. قال: بل أقولُ في طلبي(١)، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال: أرى نمطا خُسْرُوانياً مُذْهباً(٢) حسناً، فكيف تركت:

في رداء من الصَّفيح صقيل   وقميص من الحديد مُذالِ

قال: تركته كما ترك مختار الدُّرَّتين إحداهما، بما سبق في ألحاظه، وزُيِّن في نظاره. (١٦/٤٠٣)

(٦٧٦)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال: حدّثني الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانيّ قال: حدّثني أبي قال: دخل أبو الشيص على أبي دُلف وهو يُلاعب خادماً له بالشِّطْرنج، فقيل له: يا أبا الشيص، سل هذا الخادم أن يحلّ أزرار قميصه. فقال أبو الشيص: الأمير أعزه الله أحق بمسألته. قال: قد سألته، فزعم أنه يخاف العين على صدره فقل فيه شيئاً. فقال:

وشادنٍ كالبدر يجلو الدُّجى   في الفرق منه المسكُ مذرورُ(٣)
يُحاذر العينَ على صدْره   فالجيبُ منه الدهر مزرور

فقال أبو دُلف: وحياتي لقد أحسنت! وأمر له بخمسة آلاف درهم. فقال الخادم: قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت! فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أخرى. (١٦/٤٠٤)

(٢٧٧)

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا محمد بن الفضلِ بن الأسود، قال: قرأتُ على أحمد بن أبي فنن شِعْرَ العباس بن الأحنف، وكان مشغوفاً به، فسمعتُه يقول: وددت أن أبياته التي يقول فيها: «يا فوز ما ضَرَّ من يُمْسي وأنت له» لي بكلّ شعري. (١٧/٧٣)

---

(١) يريد: أبيت أن يدركني أحد في طلبي لمعاني الشعر المبتكرات. (٢) الخسرواني: نوع من الثياب منسوب إلى خسرو شاهُ كسرى من الأكاسرة. والمذهب: الذي حلّي بالذهب، يريد أنه نمطٌ عالٍ من الشعر.

(٣) الشادن: من أولاد الظباء الذي قدقوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه، ينظر لسان العرب (١٣/٢٣٥). والفرق: هو فرق الشعر المعروف، ومذرور: من ذرُّ الشيء إذا رشّه.

(٢٧٨)

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، قال: حدّثني أبي، قال: كان العباسُ بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفني به، وأفعلُ مثل ذلك، فجاءني يوماً، فوقف بيْنَ البابيْن، وأنشد لابنِ الدُّمينة:

ألا يا صبا نجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نجْدِ ... فقد زادني مسْراك وجداً على وجْدِ
أإنْ هتفتْ ورْقاء في رونَقِ الضحى ... على فنَنٍ غضِّ النبات من الرَّنْدِ(١)
بكيْتَ كما يبْكي الحزينُ صبابةً ... وذُبْتَ من الشَّوْقِ المُبرِّح والصَّدِّ
بكيت كما يبْكي الوليدُ، ولم تكن ... جزوعاً، وأبديتَ الذي لم تكن تُبْدي
وقد زعموا أنَّ المُحبَّ إذا دنا ... يَمَلُّ وأنَّ النأيَ يشفي من الوجْدِ
بكُلٍّ تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا ... على أنَّ قُرْبَ الدارِ خيْرٌ مِنَ البُعْدِ

وزيد على ذلك بيت، وهو:

ولكنَّ قُرْبَ الدَّار ليس بنافعٍ ... إذا كانَ مَنْ تهْواه ليس بذي وُدِّ

ثم ترنَّح ساعة، وترجّع أخرى، ثم قال: أنطحُ العمودَ برأسي من حُسْن هذا؟ فقلت: أرْفُق بنفسك. (١٧/١٠٤)

(٢٧٩)

وقال الأصمعيّ: ما أعلم أحداً من العُشّاق الحضريين وغيرهم شكا حُبّاً أحسن من شكوى ذي الرمّة، مع عفّةٍ وعقْلٍ رصين. (١٨/٨)

(٢٨٠)

أخبرني جحظة، عن حماد بن إسحاق، قال: حدّثني أبي قال: أنشد الصَّيْقلُ شِعْرَ ذي الرُّمة فاستحسنه، وقال: ماله قاتله الله! ما كان إلا رُبيْقَة(٢)، هلاَّ عاشَ قليلاً! (١٨/١٠)

(٢٨١)

... وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله:

كان فينا يُكنى أبا إسحاقِ ... وبها الرَّكْبُ سار في الآفاقِ

---

(١) الهتاف: رَفْع الصوت، والورقاء: الحمامة التي لونها إلى السواد، والرونق: البياض، والرند، الأسل.

(٢) الربقة: العروة من الحبل، تصغيرها ربيقة، يشير إلى وفاته صغيراً

فتكنّى معتوهُنا بعتاه يا لها كُنيةً أتت باتّفاقِ
خلق الله لحيةً لك لا تنـ ـفكُّ معقودةً لدى الحلاّقِ

وله فيه، وهو ضعيف سخيف من شعره:

قل لابنِ بائعةِ القصارِ وابنِ الدَّوارقِ والجرار
تهوى عُتَيْبةَ ظاهرا وهواك في أيْرِ الحمارِ
تهجو مواليك الألى فكُّوكَ من ذلِّ الإسارِ (١٨/١٠٤)

(٢٨٢)

أخبرني محمد قال: حدّثني التّوزيّ قال: كان مُستورٌ الورّاق، وحمّاد عجْرد، وحفص بن أبي بُردة مجتمعين فجعل حفص يعيب شعْرَ المُرقِّش الأكبر، فأقبل عليه مُساورٌ فقال:

لقد كان في عينيك ياحفصُ شاغل وأنفٌ كثيلِ العوْد عما تتبَّعُ
تتبَّعتَ لحناً في كلام مرقِّشٍ ووجهُك مبنيٌّ على اللحنِ أجمع

فقام حفص من المجلس خجلاً، وهاجره مدة(١). (١٨/١٥٠)

(٢٨٣)

فذكر محمّدُ بنُ موسى أن أبا يوسُف بن الدَّقّاق اللّغويَ أخبره أنَّ حُميْد بن سعيد بن حُميْد دفع إليه ابنه سعيداً وهو صبيٌّ فقال له: امضِ به معك إلى مجلس ابن الأعرابيّ، قال: فحضرناه ذات يوم، فأنْشدنا أرجوزةً لبعض العرب فاستحْسنتُها، ولم تكن معنا محْبرة نكتبُها منها، فلما انصرفْنا قلت له: فاتتْنا هذه الأرجوزة، فقال: لم تفُتْك، أتُحبُّ أن أنشدكها؟ قلت: نعم، فأنشدنيها وهي نيِّف وعشرون بيتاً قد حفظها عنه، وإنما سمعها مرّة واحدة، فلقيتُ أباه من غد، فقال لي: كيف رأيتَ سعيداً؟ قلت له: إنك أوْصيْتني به، وأنا أسألك الآن أن توصيه بي، فضحك وسألني عن الخبر، فأعلمْته فسُرّ به. (١٨/١٥٥)

(٢٨٤)

أخبرني عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال: حدّثني أبو عليّ المادرانيّ أنه كان في مجلس فيه كعب جارية أبي عُكْل المُقيِّن، وكان بعضُ أهل المجلس يهواها قال: فدخل إلينا سعيد بن حميد، فقام إليه أهل المجلس جميعاً سوى الجارية والفتى، فأخذ سعيد الدواة فكتب رُقعة

(١) يقارن هذا النص بالنصّ الخمسين بعد المئتين السابق.

وألقاها في حجرها، فإذا فيها قوله:

مـا على أحـسن خلْق ... اللـه أن يحـسُنَ فعْله
بأبـي أنـتَ وأمـِّي ... من مليكٍ قلَّ عـدْلُه
وبخـيلٍ بالهـوى لـو ... كـان يُسلى عنه بُخلُه
أكثرَ العـاذلُ في حُبِّك ... لـو ينفـع عذلـُه
فـهو مـشغولٌ بعـذْلي ... وفـؤادي بـك شُـغلـُه
أكثرُ الشكْوى واستعدي ... على مَـنْ قـلَّ بذلـُه

فوثبت الجارية فقبَّلت رأسه وجلستْ إلى جنْبه، فقال الرَّجل الذي كان يهْواها: هذا والله كلامُ الشَّياطين ورُقْيةُ الزِّنا، وبهذا يتمُّ الأمْر. أما أنا فإني أشهدكم، لا قرأتُ اليوم في صلاتي غيرَ هذه الأبيات لعلَّها تنْفعني، فضحك سعيد وقال: بحياتي قُومي فارْجعي إليه حتى تكون الأبياتُ قد نفعتْه قبل أن يقْرأها في صلاته. وسرَّيني بذلك، فقامت فرجعت إلى موضعها. (١٥٨/١٨)

(٢٨٥)

أخبرني عمِّي قال: حدَّثني ابنُ أبي سعد، قال: حدَّثني مُحَمَّدُ بنُ عبد الله بن داود، قال: كان أبي يستَحْسن قول سعيد بن حُميد:

تظنُّون أنِّي قـد تبـدَّلْتُ بعـدكم ... بديلاً، وبعضُ الظنِّ إثمٌ ومُنْكرُ
إذا كـان قلْبي في يديْك رهينـةً ... فكيف بلا قلْبٍ أُصافي وأهجُرُ

ويقول: لئن عاش هذا الغُلامُ ليكونَنَّ له في الشِّعر شأن. (١٥٩/١٨)

(٢٨٦)

أخْبرني الطَّلْحيُّ قال: حدَّثني أبو عيسى الكاتب: أن أبا هفَّان بلغه عن سعيد بن حُميد كلامٌ فيه جفاء وطعْن على شعره، فتوعده بالهجاء، وكان الحاكي عن ذلك كاذباً، فبلغ سعيداً ما جرى، فكتب إلى أبي هفَّان:

أمـسى يُخـوِّفني العـبـديُّ صـوْلتـه ... وكـيف أمنُ بأسَ الضَّيْغم الهَصِرِ
من ليس يُحـرزُني من سيفه أجلي ... وليـس يمنعني مِـنْ كيـده حـذري
ولا أبـارزهُ بـالأمــرِ يكــرهـُـه ... ولـو أعنْتَ بـانتصـار مــن الغِيَرِ
له سـهـامٌ بلا ريشٍ ولا عـقـبٍ ... وقــوْسُــه أبداً عُطْـلٌ من الوتر
وكيف أمـنُ مَـنْ نحْـري لـه غرضٌ ... وسـهمُه صـائبٌ يخْفى عن البصر (١٦٤/١٨)

(٢٨٧)

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، قال: حدّثني سهيل السلَميّ: أنّ الرّشيدَ استَسقى في سنة قحْط فسُقي الناسُ، فسُرَّ بذلك، وقال: لله درُّ ابنِ مُناذر حيث يقول:

ولو سألنا بحُسْن وجْهك يا هارون صوبَ الغمام أسقينا

وسأل عن خبره فأُخْبِر أنَّه بالحجاز، فبعث إليه بجائزة (١٨/١٨٤)

(٢٨٨)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ، قال: حدّثنا العبّاس بنُ ميمون طايع، قال: حدّثني بعض أصحابنا، قال: رأيتُ ابن مناذر بمكّة وهو يتوكّأ على رجل يمْشي معه ويُنشد:

إذا ما كِدْتُ أشكُوها إلى قلْبي، لها شفعا
ففرَّق بيننا دهْرٌ يُفرِّق بين ما اجْتمعا

فقلت: إنَّ هذا لا يُشبه شعْرك، فقال: إن شِعْري برد بعدك. (١٨/١٩٦)

(٢٨٩)

أخبرني الحسن، عن ابن مهرويه، عن إسحاق بن محمد النخعيّ، قال: كنّا عند ابن عائشة فقال لعبد الرحمن ابنه: أنشدني مرثيةَ ابنِ مناذر عبد المجيد. فجعل يُنْشدها فكلَّما أتى على بيت استحسنه، حتى أتى على هذا البيت:

لأقيمنَّ مأتماً كنجوم الليْل زُهْراً يخْمِشْنَ حُرَّ الخُدود

فقال ابن عائشة: هذا كلام ليِّن كأنه من كلام المُخنَّثين، فلما أتى على هذا البيت:

كُنتَ لي عِصْمةً وكُنتَ سماءً بك تحْيا أرضي ويخْضرُّ عُودي

فقال: هذا بيتُها، ثُمَّ أنشد:

إنَّ عبد المجيد يوم تولّى هدَّ رُكْناً ما كان بالمهْدودِ
ما درى نَعْشُهُ ولا حاملُوه ما على النَّعشِ من عفافٍ وجودِ
وأرانا كالزَّرع يحصُدُنا الدَّهْـ ـر فمنِ بيْنِ قائمٍ وحصيدِ

فقال ابن عائشة: أجعله زرعا يحصدنا الله؟ فليس هذا من كلام المسلمين، ألا ترى إلى قوْله إنَّه يقول:

يحكُم الله ما يشاء فيُمْضي ليس حُكْمُ الآله بالمرْدُودِ (١٨/٢٠٠)

(٢٩٠)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُراني، عن أبي حاتم، عن العُتْبي، عن أبي مَعْبد قال: مرَّ بنا أبو حيَّة النُّمَيْري ونحن عند ابن مُناذر، فقال لنا: علامَ اجتمعتم؟ فقلنا: هذا شاعر المِصْر، فقال له: أنشدني، فأنشده ابنُ مُناذر، فلما فرغ، قال له أبو حيَّة:

ألم أقل لك: أنشدني؟ فقالوا له: أنشدنا أنت يا أبا حيَّة، فأنشدهم قوله:

ألا حيٌّ من أجْلِ الحبيبِ المغانيا ... لبسْنَ البلى ممّا لبسْنَ اللّياليا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تقاضاه شيءٌ لا يملُّ التَّقاضيا

فلما فرغ، قال له ابنُ مُناذر: ما أرى في شعرك شيئاً يُسْتحْسن، فقال له: ما في شِعْري شيءٌ يُعاب إلا استماعك إياه، فكادا أن يتواثبا، ثم افترقا. (٢٠٣/١٨)

(٢٩١)

أخبرني حبيبُ بن نصْر المهلّبيّ، قال: حدّثنا عُمرُ بن شبّة، قال: حدّثني أحمدُ بن سيّار الجرجاني وكان راوية شاعراً مدّاحاً ليزيد بن مزْيد، قال: دخلتُ أنا وأشْجعُ والتّيميّ، وابن رزين الخراسانيّ على الرشيد في قصر له بالرّقة، وكان قد ضرب أعناقَ قوم في تلك الساعة، فجعلْنا نتخلّل الدّماء حتى وصلنا إليه، فأنشده أبو محمد التّيْميّ قصيدة له يذكر فيها نقْفور ووقعته ببلاد الرّوم، فنثر عليه مثلَ الدّرّ من جودة شعره وأنشده أشجع قوله:

قصرٌ عليه تحيّةٌ وسلامُ ... ألقتْ عليه جمالَها الأيّامُ

قصُرتْ سُقوفُ المزن دُونَ سُقوفه ... فيه لأعلام الهُدى أعلامُ

تُثْني على أيّامك الأيّامُ ... والشّاهدانِ الحلُّ والإحْرامُ

أدنتك من ظلّ النبيّ وصيّةٌ ... وقرابةٌ وشجت بها الأرحام

برقت سماؤك في العدو وأمطرت ... هاما لها ظلّ السيوف غمام

وإذا سيوفك صافحت هامَ العدى ... طارت لهن عن الرؤوس الهام

وعلى عدُوك يابْن عمّ محمد ... رصَدانِ ضوءُ الصبْح والإظلامُ

فإذا تنبّه رُعْته وإذا غفا ... سلّت عليه سيوفك الأحْلامُ

وأنشدتُه أنا قوْلي: زمنٌ بأعْلى الرَّقّمتيْن قصير، حتى انتهيتُ إلى قوْلي:

لا تبْعَدِ الأيّامُ إذ ورَقُ الصِّبا ... خضلٌ وإذ غصْنُ الشبابِ نضيرُ

فاستحسنَ هذا البيت، ومضيتُ في القصيدة حتى أتممتها، فوجّه إليّ الفضلُ بن الربيع: أنفذ

إليَّ قصيدتك، فإني أريد أن أنشدها الجواري من استحسانه إيَّاها (٢١٣/١٨)

(٢٩٢)

أخبرني أحمدُ بنُ إسحاق العسكريِّ، والحسنُ بنُ عليٍّ، قالا: حدَّثنا أحمد بن سعيد بن سالم الباهليِّ، عن أبيه، قال: كنتُ عند الرَّشيد، فدخل إليه أشْجع، ومنصورٌ النَّمري، فأنشده أشجع قوله:

وعلى عدوِّك يابنَ عمِّ محمَّدٍ رصَدان ضوءِ الصُّبْح والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعْنه وإذا غفا سلَّت عليه سيوفُك الأحلامُ

فاستحْسن ذلك الرَّشيد، وأومأتُ إلى أشجعَ أن يقْطع الشعر، وعلمت أنَّه لا يأتي بمثلهما، فلم يفعل، ولَّما أنشده ما بعدهما فتر الرَّشيد وضرب بمخْصرةٍ كانت بيده الأرض، واستنْشد منصوراً النَّمريَّ، فأنشده قوله:

ما تنْقضي حسْرةٌ منِّي ولا جزعٌ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجعُ

فمرَّ والله في قصيدة قلَّ ما تقولُ العربُ مثلها، فجعل الرشيد يضرب بمخْصرته الأرض ويقول: الشِّعر في ربيعة سائر اليوم. فلما خرجنا قلت لأشجع: غمزْتُك أن تقْطعَ لم تفعل، ويلك! ولم تأتِ بشيء. فهلاَّ متَّ بعد البيتين أو خرست، فكنتَ تكون أشعرَ الناس. (٢١٥/١٨)

(٢٩٣)

أخبرني محمد بن جعفر النحويِّ صهر المُبرِّد، قال: حدَّثني الفضْل بن محمد اليزيديِّ، قال: حدَّثنا إسحاقُ الموصليُّ قال: دخلت إلى الرَّشيد يوماً، وهو يخاطب جعفر بن يحيى بشيء لم أسمع ابتداءه، وقد علا صوته، فلما رآني مُقبلا قال لجعفر بن يحيى: أترضى بإسحاق؟ قال جعفر: والله ما في علمه مطْعن إن أنصف. فقال لي: أيَّ شيء تروي للشعراء المحدثين في الخمر؟ أنشدني من أفضلِ ما عنْدك وأشدِّه تقدُّما، فعلمت أنهما كانا يتماريان في تقديم أبي نواس، فعدلْتُ عنه إلى غيره؛ لئلا أخالف أحدهما، فقلت: لقد أحسن أشجع في قوله:

ولقد طعنتُ الليلَ في أعجازه بالكأس بين غطارفٍ كالأنْجُم[١]
يتمايلون على النعيم كأنَّهُم قُضُبٌ من الهنديَّ لم تتثلَّم
وسعى بها الظَّبيُ الغرير يزيدُها طيباً ويغْشِمُها إذا لم تغْشِم[٢]

---

(١) الغطارف: السادة الأشراف. (٢) تغشم: تظلم.

فإذا أدارتْها الأكــفُ رأيتــهـا ... تثْني الفصيحَ إلى لسان الأعجم
وعلى بنــانِ مُديرهــا عقيانــةٌ ... من سكْبِهـا وعلى فضول المِعْصم
تغْلــي إذا مـا الشِّعْريانِ تلظَّيا ... صيفـاً وتسْكنُ في طلوع المِرْزَم(١)
ولقــد فضضْناها بخـاتم ربِّهـا ... بِكْـراً وليس البِكْـرُ مـثلَ الأيِّــم
ولهـا سكونٌ في الإناء وخلفهـا ... شــغبٌ يُطــوِّحُ بالكمــيِّ المُعْلِـم
تُعطي على الظُّلم الفتى بقيادها ... قَسْـراً وتظلمــه إذا لــم يظْلــم

فقال لي الرشيد: قد عرفتُ تعصبُك على أبي نُواس، وإنك عدلت عنه متعمداً، ولقد أحسن أشجع، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبي نواس:

يا شقيقَ النَّفسِ من حكم ... نِمْـتَ عـن ليْلي ولـم أنَـم

فقلت له: ما علمتُ ما كنتَ فيه يا أمير المؤمنين وإنما أنشدْت ما حضرني، فقال: حسبُك قد سمعت الجواب. (١٨/ ٢٢٠)

(٢٩٤)

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال: اصطبح الواثقُ في يوم مطير، واتصل شُربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صرعى، وهو معنا على حالنا، فما حُرِّك أحدٌ منا عن مضجعه، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدوننا، وبذلك أمرهم، وقال: لا تحرِّكوا أحداً عن موضعه، فكان هو أول من أفاق منا، فقام وأمر بإنْباهنا فأنبهْنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا، وجئتُ إليه وهو جالس وفي يده كأس، وهو يروم شربها، والخمار يمنعه، فقال لي: يا إسحاق، أنشدني في هذا المعنى شيئاً، فأنشدتُه قول أشْجع السُّلَميّ:

ولقــد طعنتُ الليلَ في أعْجــازه ... بالكـأس بين غطـارفٍ كـالأنجمْ
يتـمــايلُون عن النَّعـيم كــأنَّهـم ... قُضُــبٌ مــن الهنديِّ لـم تتـثلَّم
وسـعى بها الظَّبيُ الغَريرُ يزيدُهــا ... طيبـاً ويغْشِـمُهـا إذا لم تغْشِـم
والليل مُنْتـقِـب بفـضـل ردائـه ... قــد كـاد يحْسـر عن أغـرٍّ أرْثمِ(٢)
وإذا أدارتهـا الأكــفُّ رأيتـهــا ... تثْني الفصيحَ إلى لســانِ الأعْجمِ
وعلى بنـانِ مـديرهـا عـقْيـانـةٌ ... من لونهـا وعلى فُضــول المِعْصمِ

---

(١) الشِّعْريان والمرزم: نجوم.

(٢) الأرثم من الخيل: ما كان في طرف أنفه بياض، أو كان أبيض الشفة العليا.

تغلي إذا ما الشِّعريان تلظّيا صيفاً وتسكن في طلوع المِرْزَم
ولقد فضضناها بخاتم ربها بِكْراً وليس البِكْرُ مثلَ الأيِّم
ولها سُكونٌ في الإناء وخلفها شَغبٌ يطوِّحُ بالكميِّ المُعْلَم
تُعطي على الظّلْمِ الفتى بقيادها قسْراً وتظلمه إذا لم يظْلِم

فطرب وقال: أحسن والله أشْجع، وأحسنتَ يا أبا محمد، أعِد بحياتي، فأعدتها وشرب كأسه، وأمر لي بألفِ دينار. (١٨/٢٢١)

(٢٩٥)

... وقال الشاعر المكّي الذي كان ينزل جدّة ويكنى أبا محمد في فتح هرْقلة على يد الرشيد:

هوتْ هرْقلةُ لمّا أن رأتْ عجباً حوائما ترتمي بالنّفط والنّارِ
كأنَّ نيراننا في جنْب قلعتهم مُصبغَّاتٌ على أرْسانِ قصّارِ

قال محمد بن يزيد: وهذا كلام ضعيف ليِّن، ولكنَّ قدره عظيم في ذلك الموضع والوقت(١). (١٨/٢٤٤)

(٢٩٦)

أخبرني هاشم بنُ محمد أبو دلف الخزاعيّ، قال: حدّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ، عن إسحاق الموْصليّ، قال: لما انصرفَ الرشيدُ من غزاةِ هرْقلة قدم الرَّقّة في آخر شهر رمضان، فلما عيَّد جلس للشعراء، فدخلوا عليه وفيهم أشْجع، فبدرهم وأنشأ يقول:

لا زلتَ تنشرُ أعياداً وتطويها تمْضي بها لك أيام وتثْنيها
مُستقبلاً زينةَ الدُّنيا وبهْجتَها أيامنا لك لا تفْني وتُفْنيها
ولا تقضَّت بك الدُّنيا ولا برحت يطوي لك الدّهرُ أياماً وتطويها
وليهنكَ الفتحُ والأيّام مُقبلةٌ إليكَ بالنصر معْقوداً نواصيها
أمستْ هرقْلةُ تهْوي من جوانبها وناصرُ الله والإسلامِ يرْميها
مَلّكْتها وقتلتَ النّاكثين بها بنصْرِ مَنْ يملكُ الدُّنيا وما فيها

---

(١) تلاحظ الدّقة التي يتميّز بها حكم محمد بن يزيد على هذين البيتين، فهما ضعيفان ليّنان بمعزل عن الظروف المحيطة بهما، وهذا نقد جمالي، يعير الشعر وحده همّه، أمّا إذا وصفنا البيتين نفسهما في سياق الظروف التي قيلت فيها، فهما جيّدان، ذوا قدر عظيم، فهنا ينظر إلى ما يحيط بهما من مشاعر إسلاميه، عربية، تبّشر بالفتح، وتشير إلى النصر، ولم يستطع إغفال واحد من الأمرين، فلكلّ منها أنصاره ومعجبوه

مـا رُوعيَ الدِّينُ والدُّنيـا على قـدم بمثْـل هـارون راعـيـه وراعـيـهـا

قال: فأمر له بألف دينار، وقال: لا يُنشدني أحدٌ بعده، فقال أشجع: والله لأمرُه بألاّ ينشده أحدٌ بعدي أحبُّ إليَّ من صلته. (٢٤٦/١٨)

(٢٩٧)

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيْخ قال: حدّثني صالح بن سليمان، قال: اعتلّ يحيى بنُ خالد ثم عُوفي، فدخل النّاسُ يهنّئونه بالسّلامة، ودخل أشجع فأنشده:

لقـد قرعـتْ شـكاةُ أبي علـيٍّ قلـوبَ معاشرٍ كانوا صحاحا
فإن يدْفـع لنـا الرّحمنُ عنـه صُروفَ الدّهْر والأجلَ المُتاحا
فـقد أمسى صلاحُ أبي عليٍّ لأهلِ الدِّينِ والدّنيـا صلاحـا
إذا مـا الموْتُ أخطـأه فلسـنا نُبالي الموتَ حيث غدا وراحا

قال: فما أذن يومئذ لأحد سواه في الإنشاد لاختصاص البرامكة إيّاه. (٢٥٠/١٨)

(٢٩٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مهْرويه قال: حدّثنا عليّ بن الحسن الشّيبانيّ، وأخبرني به محمد بن جعفر، عن محمد بن موسى، عن حمّاد، عن أبي محمد المطبخيّ، عن عليّ بن الحسن الشّيبانيّ قال: أخبرني أبو خالد الطائيّ، عن جبير بن ضُبينة الطّائيّ، قال: أخبرني الفضلُ قال: حضرتُ الرّشيد يوماً وجلس للشعراء، فدخل عليه الفضلُ بنُ الربيع وخلفه العُمانيّ، فأدْناه الرّشيد واستنشده، فأنشده أرجوزةً له فيه، حتى انتهى إلى هذا الموضع:

قُـلْ للإمـام المقتـدى بأمّـه[1]: ما قاسمٌ دونَ مدى ابنِ أمّه
وقد رضيناه فقُمْ فسمِّه

قال: فتبسّم الرّشيد ثم قال: ويحك! أما رضيتَ أن أولّيه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلي! فقال له العُمانيُّ: ما أردتُ يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك: إنما أردتُ قيام العزم، قال: فإنّا قد ولّيناه العهد، وأمر بالقاسم أن يحضر. ومرَّ العُمانيّ في أرجوزته يهدر حتى أتى

---

(١) الأمُّ بفتح الهمزة: التقدّم.

على آخرها، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد، فجلس مع أخويه فقال له: يا قاسم، عليك جائزة هذا الشيخ، فقد سألنا أن نُولِّيك العهد وقد فعلنا، فقال: حكمك يا أمير المؤمنين فقال: وما أنا وهذا! بل حكمك، وأمر له الرّشيد بجائزة، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مُفردة. (١٨/٣١٥)

(٢٩٩)

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الله التّميميُّ الحُزنبل قال: كنا في مجلس ابنِ الأعرابيّ إذ أقبل رجلٌ من ولد سعيد بن سلْم كان يلزم ابن الأعرابيّ، وكان يُحبّه ويأنس به، فقال له: ما أخّرك عنّي؟ فاعتذر بأشياء منها أنه قال: كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد، فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه إياه، فاستكثر ابنُ الأعرابيّ ذلك واستهوله، وعجب منه وقال له: بأيِّ شيء غنّاه؟ قال: غنّاه بشعر العبّاس بن الأحنف:

بكتْ عينِي لأنواعِ ... من الحُزْن وأوْجاعِ
وإنّي كلّ يوم عنـ ... ـدكم يحْظى بيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيّ: أمّا الغناء فما أدري ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح(١). (١٨/٣٥٩)

(٣٠٠)

أخبرني الحُسيْن بنُ يحيى ومحمد بن يزيد قالا: حدّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال: لقي مُسلم بنُ الوليد أبا نُواس فقال له: ما أعرف لك بيْتاً إلا فيه سقَطٌ، قال: فما تحْفظ من ذلك؟ قال: قُلْ أنت ما شئتَ حتى أريك سقطه فيه، فأنشده:

ذكر الصَّبوحَ سُحيرةً فارتاحا ... وأملّه ديكُ الصّباح صياحا

فقال له مُسلم: فلِمَ أملّه وهو الذي أذكره وبه ارْتاح؟ فقال: أبو نواس: فأنشدني شيئاً من شعرك ليس فيه خلل، فأنشده مسلم:

عاصى الشباب فراح غير مُفنّدِ ... وأقام بين عزيمة وتجلُّدِ(٢)

فقال له أبو نواس: قد جعلته رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد، فتشاغبا وتسابّا ساعة. وكلا البيتين صحيح المعنى. (١٩/٣٣)

---

(١) ينظر النصّ نفسه مع التعليق في موضع سابق.

(٢) التفنيد: اللّوم.

(٣٠١)

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرويه قال: حدّثني الحسين بن أبي السّريّ. وأخبرني بهذه الأخبار محمد بنُ خلف بن المرْزبان، قال: حدّثني إبراهيمُ بن محمد الورّاق، عن الحُسين بن أبي السّريّ قال: قيل لمُسلم بن الوليد: أيُّ شِعْرك أحبُّ إليك؟ قال: إن في شعري لبيْتاً أخذتُ معناه من التّوراة، وهو قوْلي:

دلّت على عيْبها الدُّنْيا وصدّقها ... ما استرجع الدّهرُ ممّا كان أعْطاني

(٤٥/١٩)

(٣٠٢)

أخبرني عمّي، قال حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثني النّوْشجانيُّ الخليلُ بنُ أسد قال: حدّثني عليُّ بنُ عمرو قال: وقفَ بعضُ الكُتّاب على مُسلم بنِ الوليد وهو يُنشد شِعْراً له في محْفل، فأطال ثم انصرف، وقال لرجلٍ كان معه: ما أدري أيُّ شيء أعجب الخليفة والخاصّة من شِعْر هذا؟ فوالله ما سمعْتُ منه طائلاً، فقال مُسلم: رُدُّوا عليَّ الرّجل، فردَّ إليه، فأقبل عليه ثم قال:

أمّا الهجاءُ فدقَّ عرضُك دونه ... والمدْحُ عنك كما علمتَ جليلُ

فاذهَبْ فأنتَ طليقُ عِرْضك إنّه ... عرضٌ عززْتَ به وأنتَ ذليلُ (٥٠/١٩)

(٣٠٣)

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثني ابنُ مهرويه قال: حدّثني أحمدُ بن سعيد الحريريّ أنّ أبا تمام حلف ألا يُصلّي حتى يحفظ شعر مُسلم وأبي نُواس، فمكث شهْرين كذلك حتى حفظ شعرهما. قال: ودخلتُ عليه فرأيت شعرهما بين يديه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللاّت والعزّى وأنا أعبدُهما مِنْ دون الله. (٥٢/١٩)

(٣٠٤)

ونسختُ هذا الخبرَ من كتاب جدّي يحيى بنِ محمد بن ثوابة بخطه، قال: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدّثني منصورُ بن جمهور قال: لما هجا ابنُ قنبر مسلم بن الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشْلى(١) عليه لسانه قال: فجاءه عمٌّ له فقال له: يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابنِ قنبر في عمود الشعر(٢)، وقد بعثَ عليك لسانه ثم أمسكتَ عنه، فإما أن قارعْته أو سالمْته، فقال

(١) أشلى: أطلق. (٢) عمود الشعر: من مصطلحات النقد العربي المشهورة، ويراد به طريقة العرب =

له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه، وله بين ذلك دعوات يدعو بهنّ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دعواته، فإنّا نُكْفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال:

غلب ابنُ قنبر واللئيمُ مُغلَّبُ   لما اتَّقيتَ هجاءه بدُعاء
مازال يقذف بالهجاء ولذعه   حتى اتَّقوه بدعوة الآباء

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابنُ قنبر يبلغ مني هذا كلَّه، فامسكْ لسانك عني، وتعرَّف خبره بعد هذا. قال: فبعث - والله - عليه من لسان مسلم ما أسكته. هكذا جاء في الأخبار. وقد حدّثني بخبر مناقضته ابن قنبر جماعةٌ ذكروا قصائدهما جميعاً، فوجدت في الشعر الفضل لابن قنبر عليه، لأن له عدة قصائد لا نقائض لها، يذكر فيها تعريده(١) عن الجواب، وقصائد يذكر فيها أنَّ مسلماً فخر على قريش وعلى النبّي (ص) ورماه بأشياء تُبيح دمه، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها، وجحد أشياء كان قالها فيه. (٦٣/١٩)

(٣٠٥)

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال: زعم أبو مُحلِّم، وأخبرني عمِّي عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى، عن أبي محلِّم قال: اجتمع الشعراء على باب المعتصم فبعث إليهم محمدُ بنُ عبد الملك الزَّيات أنَّ أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يُحسن أن يقول مثلَ قول النمريَّ في الرشيد:

خليفةَ الله إن الجودَ أوديةٌ   أحلَّك اللهُ منها حيث تجتمعُ
مَنْ لم يكن بأمين الله مُعتصماً   فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ

= ومنهجها في قول الشعر بعيداً عمّا جاء به المحدثون وخاصة مدرسة البديع. وقد جعل المرزوقي لعمود الشعر سبعة أبواب حين قال: «إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف... والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدّة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكلِّ باب منها معيار». شرح ديوان الحماسة (٩/١)، وينظر كذلك شرح المقدمة الأدبية، للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وقد وقف المرزوقي بعد هذا عند المعايير واحداً فواحداً شارحاً لها، مبيناً سماتها. ولعلّ قولة العمّ في هذا النص تشير إلى تفوّق مسلم على ابن قنبر في هذا كلّه، فهو أجود منه شعراً، وأعلى منه مقاماً.

(١) تعريده: هربه. ولهذا وجه آخر من أنَّ عدم الإجابة لا تعني الهرب، بل تومئ إلى الترفّع، واستصغار المقابل، وعدم حسبانه كفؤاً له في الشعر.

إن أخلف القطرُ لم تُخلف مـخـايله ... أو ضـاقَ أمـرٌ ذكرناه فـيتّسـعُ(١)

فليدخلْ وإلا فلْينصرف، فقام محمدُ بن وُهيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأيَّ شيءٍ قُلت؟ فقال:

ثلاثةٌ تُشـرق الدنيـا ببهجتهـم ... شمسُ الضُّحى وأبو إسحاقَ والقمرُ

تحكـي أفاعيلـه فـي كـل نائبـةٍ ... الغيثُ والليثُ والصَّمصامةُ الذَّكرُ

فأمر بإدْخاله وأحسن جائزته. (١٩/٧٤)

(٢٠٦)

قال محمد بن وهيب الشاعر: ... كان مما أنشدته الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك واستحسنه قولي:

دماءُ المُحبِّين لا تُعقلُ ... أما في الهوى حكمٌ يعدلُ!(٢)

تعبَّدني حورُ الغانيات ... ودانَ الشبابُ له الأخطل

ونظـرةِ عيـن تعلَّلتُهـا ... غِراراً كما ينظر الأحولُ

مقسَّمةٍ بين وجه الحبيبِ ... وطرف الرقيبِ متى يغفلُ (١٩/٧٦)

(٢٠٧)

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدَّثني الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا: كان محمدُ بن وُهيب الحميريّ لمَّا قدم المأمون من خراسان مضاعا مُطَّرحًا، إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتّاب والقوّاد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير. فلما هدأت الأمور واستقرَّت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصَّته وذوي مودَّته ومَنْ يقرب من أنسه. فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أوّلها:

ودائعُ أسرارٍ طوتْها السرائرُ ... وباحت بمكتوماتهنَّ النَّواظرُ

ملكْتُ بها طيَّ الضمير وتحته ... شبا لوعةٍ عضب الغرارين باترُ(٣)

فأعجم عنها ناطقٌ وهو مُعربٌ ... وأعربت العُجمُ الجفونُ العواطرُ

ألم تُغذني السَّرَّاءُ في ريِّقِ الهوى ... غريرا بما تجْفى عليَّ الدَّوائرُ

---

(١) المخايل من السحب: المنذرة بالمطر، ويقال: ظهرت في فلان مخايل النجابة: دلائلها ومظنَّتها

(٢) لا تُعقل: لا تدفع ديتها (٣) عضب: قاطع، والغرار: حدُّ السيف.

تُســـالمني الأيّامُ في عُنفــوانه ويكلــؤني طرْفٌ من الدهــر ناظرُ

حتى انتهى إلى قوله:

إلى الحســن البـاني العُلا يممَّتْ بنا عـوالي المُنى حيثُ الحيـا المتظاهرُ
إلى الأملِ المبســـوطِ والأجلِ الذي بـأعـدائه تكبــو الجـدود العــواثرُ
ومن أنبــعت عينَ المكارمِ كـفُّــه يقــوم مــقـام القطْرِ والروضُ داثرُ
تعــصَّبَ تاجَ الملكِ في عُنفــوانه وأطّت به عـــصْرَ الشَّبـــاب المنابرُ(١)
تعظِّمُـــه الأوهـــام قـبل عـيانـــه ويصـدرُ عنه الطَّرف والطرَّفُ حـاسرُ
به تُجـتـدى النَّعمى وتُسـتدرك المُنى وتُســتكمل الحُسْنى وتُرعى الأواصـرُ
أصــات بنا داعي نوالك مـــؤذناً بجـــودك إلا أنـــه لا يحـــاورُ
قـسـمْتَ صـروفَ الدهر بأسـا ونائلاً فـمـــالُك مـوتـــور وســـيفك واتـرُ
ولمّا رأى اللهُ الخـلافـــة قــد وهـتْ دعـــائمُهـــا واللهُ بالأمـــر خـــابرُ
بنى بـــك أركـــاناً عليك مُحـيطــةً فــأنت لهـــا دون الحـــوادثِ ســاترُ
وأرعــنَ فـيــه للســـوابغ جُــنَّـة وسـقفَ ســمــاء أنشـأته الحـوافرُ(٢)
لهـــا فلكٌ فــيـــه الأسنَّةُ أنجمٌ ونـقعُ المنايا مُســـتطيــر وثـائـرُ
أجـزتْ قضــاءَ الموتِ في مُهج العدا ضحى فاستباحتْها المنايا الفـوادر
لك اللَّحظاتُ الكالئــاتُ قــواصـدا بنُعْمـى وبالبــأســـاء وهْي شـوازرُ(٣)
ولم لم تكن إلا بنفـــسـك فـــاخـــراً لما انتــســبتْ إلاَّ إليك المفـــاخـــرُ

قال: فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض وقال: أحسنتَ والله وأجملْت، ولو لم تقُل قط ولا تقولُ في باقي دهْرك غير هذا لما احتجبَ إلى القوْل. وأمر له بخمسةِ آلاف دينار فأحضرت واقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جنْبته(٤) أيامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره. (٧٩/١٩)

---

(١) تعصَّب: جعله عصَابة، وهنا يعني لبسه، وأطّت: صوّتت.

(٢) جيش أرعن: كثيف مضطرب لكثرته، والسوابغ: جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة، والجُنَّة: السترة، والحوافر جمع حافر وهو من الدابة بمنزلة القدم للإنسان.

(٣) الكالئات: القاصدات، والشوازر: من شزره إذا نظر إليه بمؤخر عينه، وأكثر ما يكون في حال الإعراض والغضب.

(٤) جنبته: ناحيته.

(٢٠٨)

حدّثني جحظة قال: حدّثني عليُّ بن يحيى المُنجّم قال: بلغ محمد بن وُهيب أنَّ دعْبل بنَ عليَ قال: أنا ابنُ قولي:

لا تعْجبي يا سلْمُ من رجُلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكى

وأنَّ أبا تمام قال: أنا ابنُ قولي:

نقِّل فؤادك حيْث شِئْتَ من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأوّلِ

فقال محمد بنُ وُهيب: وأنا ابنُ قولي:

ما لِمن تمّت محاسنُه أن يُعادي طرْفَ مَنْ رمقا
لك أن تُبدي لنا حَسَنا ولنا أن نَعْمل الحَدَقا

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وهذا من جيّد شعره ونادره، وأول هذه الأبيات قوله:

نم فقد وكّلتَ بي الأرقا لاهيا تُغري بمنْ عشقا
إنّما أبقيتَ من جسدي شبحاً غيرَ الذي خُلقا
كنتُ كالنُّقصان في قمر ماحقا منه الذي اتّسقا
وفتىً ناداك من كثبٍ أسْعِرَتْ أحشاؤه حُرقا
غَرِقتْ في الدّمع مُقلته فدعا إنسانُها الغرقا
إنّما عاقبْتَ ناظره أن أعاد اللّحظَ مُسْترقا
ما لمن تمّت محاسنُه أن يُعادي طرْف من رمقا
لك أن تُبدي لنا حُسناً ولنا أن نُعملَ الحدقا
قدحت كفّاك زنْدَ هوى في سوادِ القلْب فاحْترقا (٨٥/١٩)

(٢٠٩)

وأخبرني جعفرُ بن قدامة في خبره الذي ذكرتُه آنفاً عنه، عن الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال: لمّا قدم المأمونُ، لقيه أبو محمد الحسن بن سهل، فدخلا جميعاً، فعارضهُما ابنُ وُهيب وقال:

اليوم جُدِّدت النّعماء والمِنَنْ فالحمد لله حلَّ العُقدةَ الزمنُ
اليومَ أظهرتِ الدُّنيا محاسنها للنّاس لما الْتقى المأمونُ والحسنُ

قال: فلما جلسا سأله المأمون عنه فقال: هذا رجل من حمير شاعر مطبوع، اتصل بي

متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نُظرانه، فأمر المأمون بإيصاله مع الشعراء فلما وقف بين يديه، وأذن له في الإنشاد، أنشده قوله:

طللان طَلَّ عليهما الأمدُ ... دَثَرا فلا علمٌ ولا نَضَدُ(١)
لبسا البلى فكأنما وجدا ... بعد الأحبةِ مثلَ ما أجدُ
حُيِّيتما طللين، حالُهما ... بعد الأحبّةِ غيرُ ما عهدُوا
إمَّا طواك سلُوُّ غانيةٍ ... فهواك لا مللٌ ولا فَنَدُ
إن كنتِ صادقةَ الهوى فَرِدي ... في الحُبِّ منْهلي الذي أردُ
أدمي هرقتِ وأنتِ آمنةٌ ... أم ليس لي عقلٌ ولا قودُ؟
إن كنتِ فُتِّ وخانني سببٌ ... فلربّما يُخطئ مُجتهد

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون:

يا خيرَ مُنتسبٍ لمكرمةٍ ... في المجدِ حيث تبجّح العددُ
في كل أنملةٍ لراحته ... نوءٌ يسُحُّ وعارضٍ حشِدُ(٢)
وإذا القنا رعفت أسنتُه ... علقاً وصُمٌّ كُعوبها قِصَدُ(٣)
فكأنَّ ضوء جبينه قمرٌ ... وكأنّه في صولةٍ أسدُ
وكأنّه روحٌ تدبّرنا ... حركاتُه وكأنّنا جسدُ

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى بالحكم، ولكن إن إذن لي في المسألة سألتُ له، فأما الحُكم فلا، فقال: سلْ، فقال: يُلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردتُ ، وأمر بأن تُعدّ أبياتُ قصيدته ويُعطى لكل بيت ألف درهم ، فعُدّت فكانت خمسين، فأعطي خمسين ألف درهم. (٨٦/١٩)

(٣١٠)

حدّثني بعض أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال: كان محمد بن وُهيب تيّاها شديد الذهاب بنفسه، فلما قدم الأفشين ـ وقد قتل بابك ـ مدحه بقصيدته التي أولها:

طلولٌ ومغانيها ... تناجيها وتبكيها

---

(١) العلم: هنا العلامة أو بقايا الديار، والنضد: هو ما في البيت من أثاث وثياب.

(٢) النوء: المطر، والعارض: السحاب المعترض في الأفق، وحَشِد: لا ينقطع ماؤه.

(٣) القنا: الرماح، ورعفت: سالت بالدم، علَقاً: الدم، وصُمٌّ كعوبها: كعوبها الصلبة المتينة، وقِصَد: قطع الرماح المتكسِّرة.

يقول فيها:

بعثتَ الخيلَ والخير عقيدٌ في نواصيها

وهي من جيد شعره. فأنشدناها ثم قال: ما لها عيب ،سوى أنها لا أخت لها. (٩٣/١٩)

(٣١١)

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ مهرويه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال: كنّا في مجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكنديّ وأحمد بن أبي فنن، فتذاكرنا شعر محمد بن وُهيب فطعن عليه ابنُ أبي فنن وقال: هو متكلّف حسودٌ. إذا أنشد شعراً لنفسه قرّظه ووصفه في نصْف يوم وشكا أنه مظلوم منحوس الحظّ وأنّه لا تقصّرُ به عن مراتب القُدماء حالٌ. فإذا أُنشدَ شعرُ غيره حسده، وإن كان على نبيذ عربد عليه. وإن كان صاحباً عاداه واعتقد فيه كلّ مكروه. فقلتُ له: كلا كما لي صديق، وما أمْتنع من وصْفكما جميعاً بالتقدُّم وحسن الشعر. فأخبرني عمّا أسالُك عنه خبرَ مُنصفٍ، أوَ يعدُّ مُتكلّفاً مَنْ يقول:

أبى لي إغضاءَ الجفْونِ على القذى يقيني أن لا عُسْـرَ إلاَّ مُفـرَّجُ
ألا ربُّمـا ضـاقَ الفـضـاءُ بأهله وأمكـن مـن بيْنِ الأسنّةِ مخـرجُ؟

أوَيُعَدُّ متكلّفاً مَنْ يقول:

رأتْ وضحاً من مفرق الرأسِ راعها شـريحين مُبْيضٌ بـه وبهيمُ

فأمْسك ابنُ أبي فنن، واندفع الكنديّ فقال: كان ابنُ وُهَيب ثنوياً(١). فقلتُ له: من أينَ علمتَ ذاك؟ أكلّمك على مذهب الثّنويّة قطّ؟ قال: لا، ولكنّي استدللْتُ من شعره على مذهبه. فقلتُ: حيث يقول ماذا؟ فقال: حيْث يقول: «طللانِ طال عليهما الأمدُ» وحيث يقول: «تفترُّ عن سِمْطينِ من ذهب» إلى غير ذلك مما يسْتعمله في شعره من ذكر الاثنين. فشغلني والله الضّحك عن جوابه، وقلت له: يا أبا يوسف، مثلك لا ينبغي أن يتكلّم فيما لم ينفُذ فيه علمه. (٩٤/١٩)

---

(١) ثنوياً: نسبة إلى فرقة الثنوية وهم «أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أنّ النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس، فإنّهم قالوا بحدوث الظلام». ينظر الملل والنحل للشهرستاني على هامش فصَل ابن حزم (٢/٨٠)، ولم يكن ابن وهيب ثنوياً كما توهّم الكندي، فليست القضية في استخدام صيغة المثنى، ليصبح مَنْ يستعملها بعد هذا ثنوياً، ولا ريب في أنّ هذا يدلّ على قلّة المعرفة بمذهب الثنوية من جهة، وعدم القدرة على الإحساس بمواقع الصّيَغ من جهة أخرى، ومن هنا جاء ضَحِكُ ابن أبي فنن لهذا التأويل وهو محقٌّ فيه.

(٣١٢)

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العُقَيْليّ قال ـ وكان يستجيدها ويستحسنها:

لصفراءَ في قلْبي من الحُبِّ شُعبة حِمىً لم تُبِحْه الغـانياتُ صميمُ
بهـا حلَّ بيتُ الحبِّ ثم ابتنى بهـا فبـانتْ بيوتُ الحيِّ وهـو مُقيمُ
بكت دارُهم من نأيهم فتـهلَّلت دمـوعي فـأيَّ الجـازعين ألُومُ؟
أمُستعبِراً يبكي من الحُزْن والجوى أمَ آخـرُ يبكـي شجـوه فيهيمُ؟
تضمَّنَه من حُبِّ صفراء بعدما سـلا هيضـات الحب فهـو كليمُ(١)
ومـن يتهيَّضْ حبُّهـن فُـؤاده يمُت أو يعش ما عاش وهو سقيمُ
كحرَّان صادٍ ذِيدَ عن بردِ مشْرب وعـن بللاتِ الرِّيـق فهـو يحُـومُ(٢) (٩٩/١٩)

(٣١٣)

ونسـختُ هذا الخبـر أيضـاً من بعْض الكُتُب عن أبي حـاتم السِّجْسْـتاني، عن أبي عثمان اليقْطريِّ، عن أبيه، عن المُفضَّل، وهو أتمُّ الرِّوايات، وأكثرُ اللفظ له قال: قال المفضَّل: خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن، فلمَّا صار بالمرْبد، وقف على رأسِ سُليمانَ بن عليّ فـأخرجَ إليه صبْيـان من ولده، فضمَّهم إليه وقـال: هؤلاء والله منَّا ونحن منهم. إلا أنَّ آباءهم فعلوا بنا وصنعُوا، وذكر كلاماً يعتدُّ عليهم فيه بالإساءة، ثم توجَّه لوجْهِه وتمثَّل:

مـهْلاً بني عـمِّنا ظلامـتنا إنَّ بنـا سـوْرَةً مـن القلـقِ
لمثْلكم نحـمل السـيوفَ ولا تُغـمـز أحسـابُنا من الدَّقق(٣)
إنِّي لأنمي إذا انتـميت إلى عـزٍّ عـزيزٍ ومـعْشـرٍ صُدُقِ
بيضٍ سبـاطٍ كـأنَّ أعـينهم تكحـل يـوم الهيـاجِ بالعلَق(٤)

فقلت: ما أفحلَ هذه الأبياتِ(٥)، فلمنْ هي؟ قـال: لضـرارِ بن الخطَّاب الفِهْريِّ، قـالها يوم

---

(١) الهيضات: جمع هيضة، وهي معاودة الهمّ والحزن

(٢) الحرّان: الذي يجد الحرّ، وصاد: عطشان، وذيد: منع. (٣) الدَّقق: جمع داق وهم المظهرون عيوب الناس

(٤) سباط: جمع سبط وهو من الرجال الطويل، ويوم الهياج: الحرب، والعلَق: جمع علوق، وهي المنية

(٥) مرّ فيما سبق وصف الشعر بالفحولة، وقد ذكرنا هناك أنّ أكثر ما يوصف بها الشعراء، وهنا تقابلنا أيضاً فحولة الشعر

الخندق، وتمثَّل بها عليُّ بنُ أبي طالب عليه السَّلام يوم صفِّين، والحُسين بنُ عليَ يوم قُتل، وزيدُ بن عليّ عليهم السلام، ولحقَ القومَ، ثم مضى إلى باخَمري(١)، فلما قرُب منها أتاه نعيُ أخيه محمد، فتمثَّل:

نُبِّئتُ أنَّ بني ربيعة أجمعوا ... أمراً خلالَهُم لتقتُلَ خالدا
إن يقتلوني لا تُصب أرماحُهم ... ثأري ويسعى القومُ سعْياً جاهدا
أرمي الطريقَ وإن صُددتُ بضيقِهِ ... وأنازلُ البطلَ الكميَّ الجاحدا

فقلت: لمنْ هذه الأبيات؟ فقال: للأحوص بن جعفر بن كلاب، تمثَّل بها يوم شعْب جبلة، وهو اليوم الذي لقيت فيه قيسٌ تميما، قال: وأقبلت عساكر أبي جعفر، فقُتل من أصحابه وقُتل من القوم، وكاد أن يكون الظفَر له.

قال ابن عمّار في حديثه: قال المُفضّل: فقال لي: حرِّكني بشيء، فأنشدتُه هذه الأبيات:

ألا أيُّها النّاعي فزارة بعدما ... أجدَّتْ بسيْرٍ إنما أنتَ حالمُ
أبى كُلُّ حُرٍّ أن يبيتَ بوتره ... ويمنعَ منه النومُ إذا أنت نائمُ
أقول لفتيان العشيِّ: تروَّحوا ... على الجُرْدِ في أفواههنّ الشكائم(٢)
قِفوا وقْفةً من يحيى لا يخْزَ بعدها ... ومن يُخْترم لاتتْبعه اللَّوائمُ
وهل أنت إن باعدت نفسك منهُم ... لتسْلم فيما بعد ذلك سالمُ

فقال لي: أعِدْ، فتنبَّهت وندمت، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا، أعدْها فأعدتُها، فتمطّى في ركابه حتى خلتُه قد قطعهما، ثم حمل فكان آخر العهْد به. (١٩/١٩١)

(٣١٤)

حدّثني أبو القاسم الشِّيربابكي ـ وكان نديماً لجدِّي يحيْى بن محمد عن يحيى بن حازم قال: حدّثني عبدُ الله بن العبّاس الربيعيّ قال: دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثق وأنا بيْن يديْه أغنِّيه، وقد استعادني صوتاً فاستحسنه، فقال له محمدُ بنُ عبد الملك: هذا والله يا أمير المؤمنين أولى الناس بإقبالك عليه واستحسانك له واصْطناعك إيّاه، فقال: أجل، هذا مولاي وابنُ مولاي وابن مواليّ لا يعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كلُّ مولىً ـ يا أمير المؤمنين ـ بوليٍّ لمواليه، ولا كلُّ مولى متجمِّل بولائه، يجْمع ما جمعَ عبدُ الله من ظرْف وأدب وصحّة عقْل وجوْدة شعْر،

---

(١) باخمري: موضع بين الكوفة وواسط. (٢) الجرد: الخيل، والشكائم: الأعنّة.

فقال الحسن له: صدقْتَ يا محمد، فلما كان من الغد جئتُ محمد بن عبد الملك شاكراً لمحْضره، فقلت له في أضعاف كلامي: وأفرط الوزير - أعزه الله - في وصْفي وتقْريظي بكلّ شيء حتّى وصفني بجوْدة الشعر وليس ذلك عندي، وإنما أعبثُ بالبيْتين والثّلاثة، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصغر عن أن يصفه الوزير، ومحلُّه في هذا البابِ المحلّ الرفيعُ المشهورُ، فقال: والله يا أخي، لو عرفْتَ مقدار شعْرك وقولك:

يا شادناً رام إذ مرَّ في السـّعانين قتْلي(١)
يقول لي: كيْفَ أصْبحْت كيف يُصْبح مثْلي!

لما قلتَ هذا القول، والله لو لم يكن لك شِعر في عُمْرك كله إلا قولك: «كيف يُصبح مثْلي» لكنتَ شاعراً مجيداً(٢). (٢١٩/١٩)

(٣١٥)

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدّثني علي بن يحيى وأحمد بن حمدون، عن أبيه، وأخبرني جحظة عن أبي عبد الله الهاشمي، أنَّ إسحاق الموصلي دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبد الله بن العباس في حجره قد أخرج إليه وله نحو السنتين وأبوه العباس واقف بين يديه، فقال إسحاق للوقت:

مدَّ الله لك الحياة مدّاً حتى يكون ابنك هذا جدّاً
مؤزَّرا بمجده مُردّى ثم يُفدّى مثل ما تُفدّى
أشْبه منك سُنّة وخدّاً وشيماً محمودةً ومجدا
كأنّه أنت إذا تبدّى

قال: فاستحسن الفضل الأبيات (٢٢٥/١٩)

(٣١٦)

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال: حدّثنا نافذٌ مولانا

---

(١) السّعانين: عيد من أعياد النصارى يجتمعون فيه للأكل واللهو.

(٢) لعلَّ الزّيات يشير هنا إلى الاستفهام الإنكاري الذي ترك بابَ الجواب مفتوحاً على مصراعيه، يحتمل صنوفاً من الإجابات، وأنواعاً من الاحتمالات، فمن الممكن أن يُصبح عليلاً، أو مُشفياً على الموت، أو ميتاً. وتكثر الإجابات ومردُّها واحد هو الاستفهام نفسه، لقد بنى شطره على الاستفهام، وعلى مَنْ يقرأ أو يسمع أن يجيب. وهي لفتة بارعة من الشاعر و(الناقد) على حدٍّ سواء.

قال: كان عبدُ الله بن العبّاس صديقاً لأبيك، وكان يُعاشره كثيراً. وكان عبدُ الله بن العباس مُصْطبحاً دهره لا يفوته ذلك إلاّ في يوم جُمعة أو صوم شهْر رمضان، وكان يكثِر المدْح للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه، ويغني فيما يقوله. قال عبيد الله: فأنشدني نافذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك، منهُم حمّاد بن إسحاق:

ومستطيلٍ على الصَّهْباءِ باكرها   في فتيةٍ باصْطباحِ الرَّاحِ حُذّاقِ
كُلُّ شيءٍ رآه خاله قدحاً   وكُلُّ شخْصٍ رآه خاله الساقي

قال حمّاد: وكان أبي يستجيد هذا الصوْت من صنعته، ويستحسن شعره ويعجب من قوله:

فكلُّ شيءٍ رآه خاله قدحاً   وكُلّ شخْص رآه خاله السّاقي

ويعجب من قوله: «ومُستطيل على الصَّهباءِ باكرها» ويقول: وأيُّ شيءٍ تحته من المعاني الظريفة! قال: وسمعه أبي يغنّيه فقال له: كأنّك والله يا عبد الله خطيبٌ يخطب على المنبر. قال عبد الله بنُ محمد: فأنشدني حمّادٌ له في الصَّبوح:

لا تعذِلنْ في صبُوحي   فالعيش شُرْبُ الصَّبوحِ
ما عابَ مُصْطبحاً   قطّ غيْر وغدٍ شحيح

قال عمّي: قال عُبيد الله: دخل يوماً عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعيّ على أبي مسْلِمٍ، فلما استقرَّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له: أنشدني شيْئاً من شعرك فقال: إنما أعبث ولستُ ممَّن يقدم عليك بإنشاد شعره، فقال: أتقولُ هذا وأنت القائل:

يا شادِناً رامَ إذ مرَّ   في السَّعانين قتْلي
تقول لي: كيْف أصبحْت؟   كيْف يُصْبح مثلي!

أنتَ واللهِ أعزَّك الله أغزلُ الناس وأرقّهم شعراً، ولو لم تقُل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنْتَ شاعراً. (٢٣١/١٩)

(٣١٧)

حدّثني عمّي قال: حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمدُ بن محمد بن مروان قال: حدّثني الحُسين بنُ الضحّاك قال: كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضْل بن الرّبيع، وهو مُصْطبح، وخادم له قائمٌ يسقيه فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحْسنتُ سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيءٌ في قصتّنا هذه فقل: فقلت:

أحييتُ صبوحي فُكاهةُ اللاهي   وطاب يومي بقُرْب أشْباهي

فاستثر اللهو من مكامنه ... من قبل يوم منغّص ناهي
بابنة كرم من كفّ منتطق ... مؤتزر بالمجون تيّاه
يسقيك من طرفه ومن يده ... سقي لطيف مجرّب داهي
كأساً وكأساً كأنّ شاربها ... حيرانُ بين الذّكور والسّاهي

فاستحسنه عبدُ الله. (١٩/٢٣٤)

(٣١٨)

أخبرني جحظةُ عن ابنِ حمدون، وأخبرني به الكوكبيّ عن عليّ بن محمد بن نصر، عن خالد بن حمدون قال: كنّا عند الواثق في يوم دجن، فلاح برق واستطار، فقال: لو في هذا شيء فبدرهم عبدُ الله بنُ العباس بن الفضل بن الرّبيع، فقال هذين البيتين:

أعنّي على لامع بارقٍ ... خفيٍّ كلمحك بالحاجبِ
كأنّ تألّقه في السّماء ... يدا كاتبٍ أو يدا حاسبِ

وصنع فيه لحناً شرب فيه الواثقُ بقيّةَ يومه واستحسن شعره ومعناه وصنعته، ووصل عبد الله بصلة سنيّة. (١٩/٢٣٣)

(٣١٩)

نسختُ من كتابِ لأبي العبّاس بن ثوابة بخطّه: حدّثني أحمدُ بن إسماعيل بن حاتم قال: قال لي عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعيّ: دخلتُ على المعتصم أودّعه وأنا أريد الحجّ، فقبّلتُ يده وودّعتُه، فقال: يا عبد الله إنّ فيك لخصالا تُعجبني كثّر اللهُ في مواليّ مثلَك، فقبّلتُ رجله والأرض بين يديه، وأحسنَ محمدُ بنُ عبد الملك الزّيّات محضري وقال له: إنّ له يا أمير المؤمنين، أدباً حسناً وشعْرا جيّدا، فلما خرجتُ قلتُ له: أيُّها الوزير، ما شِعْري أنا في الشعر تستحْسنه وتُشيد بذكره بين يدي الخليفة! فقال: دعنا منك، تنتفي من الشّعر وأنتَ الذي تقول:

يا شادناً مرّ إذ رام ... في السّعانين قتْلي
يقولُ لي: كيف أصْبحـ ... ـتَ، كيف يُصبح مثْلي!

أحْسنتَ والله في هذا، ولو لم تقُل غير هذا لكنتَ شاعراً. (١٩/٢٥٢)

(٣٢٠)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن إسحاق بن محمد النّخَعي، قال: قال أبو معاذ النمريّ: قال بشار قصيدة، وقال فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيِّبات الفاتكُ اللهجُ

فعرفته أن سلماً قد قال:

من راقب الناس مات غماً   وفاز باللذة الجسورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار والله بيتُ سلم، وخمل بيتنا! قال: وكان كذلك، لهج النّاسُ ببيت سلم، ولم يُنشد بيتَ بشارٍ أحدٌ. (١٩/٢٦٥)

(٣٢١)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدّثنا يعقوبُ بن نُعيم عن محمد بن القاسم بن مهْرويه، وأخبرني به الحسن بن عليّ، عن ابن مهرويه، عن الغريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني قال: كان سلم تلميذ بشار، إلا أنه كان تباعد ما بينهما، فكان سلم يُقدِّم أبا العتاهية يقول: هو أشعرُ الجن والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً:

تعالى الله ياسلم بن عمرو   أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

هب الدّنيا تصيرُ إليك عفواً   أليس مصيرُ ذاك إلى زوال

قال: وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه، وقال: لعمري إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا، وما فتشت عن حريص قطّ مُغيَّبه إلا انكشف لي عمّا أذُمّه. وبلغ ذلك سلما، فغضب على أبي العتاهية، وقال ويْلي على الجرّار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق! زعم أني حريص. وقد كنز البُدور وهو يطلب وأنا في ثوبيّ هذين، لا أملك غيرهما وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك. (١٩/٢٦٨)

(٣٢٢)

أخبرني الحسن بنُ عليّ وعمي، قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني صالح بنُ عبد الرحمن عن أبيه، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه: «حضر الرّحيلُ وشُدّت الأحْداجُ»(١).

فلما انتهى إلى قوله:

إن المنايا في السيوفِ كوامنٌ   حتى يُهيِّجَها فتىً هيّاجُ

فقال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدة، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى

(١) الأحداج: جمع حِدْج وهو مركب للنساء.

قوله: وَمُدَجَّجٍ يغشى المضيقَ بسيفه حتى يكون بسيفه الإفراجُ

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن مزيد. فقال: صدق أمير المؤمنين. فاغتاظ جعفرُ بن يحيى. وكان يزيد بن مزيد عدوا للبرامكة، مصافياً للفضل بن الربيع. فلما انتهى إلى قوله:

نزلتْ نُجومُ الليلِ فوقَ رءوسهمْ ولكلِّ قومٍ كوكبٌ وهَّاجُ

قال له جعفرُ بن يحيى: من قلّة الشعر حتى تمدحَ أمير المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره! هذا لبشّار في فلان التميميّ. فقال الرشيد: ما تقول باسلم؟ قال: صدق يا سيدي، وهل أنا إلا جُزْءٌ من محاسنِ بشار، وهل أنطق إلا بفضل منطقه! وحياتك يا سيدي إني لأروي له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً. فضحك الرشيد، وقال: ما أحسن الصدق! امضِ في شعرك، وأمر له بمائةِ ألفِ درهم. ثم قال للفضل بن الربيع: هل قال أحد غير سلم في طَيِّنا المنازل شيئاً؟ وكان الرشيد قد انصرف من الحج وطوى المنازل، فوصف ذلك سلم ـ فقال الفضل: نعم يا أمير المؤمنين، النَّمريّ، فأمر سلما أن يثبتَ قائماً حتى يفرغ النمريّ من إنشاده. فأنشده النَّميريّ قوله:

تخرَّق سِرْبالُ الشبابِ مع البُرْدِ وحالتْ لنا أمُّ الوليد عن العهد

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أيُّهما أشعر عندك ياعم؟ قال: كلاهما شاعر، ولو كان كلام يُستفحل لجودته حتى يؤخذَ منه نَسْل لاستفحلتُ كلام النَّمريّ. فأمر له بمائة ألف درهم أخرى. (١٩/٢٨٥)

(٣٢٣)

حدّثني عمّي ومحمد بن خلف، قالا: حدّثنا أبو العيناء، قال: لما دخلتْ فضل الشاعرة على المتوكل يوم أُهديتْ إليه قال لها: أشاعرةٌ أنت! قالت: كذا زعم من باعني واشتراني. فضحك وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدته:

استقبلَ الملكَ إمامُ الهدى عامَ ثلاثٍ وثلاثينا(١)
خلافةٌ أفضتْ إلى جعفرٍ وهو ابنُ سبعٍ بعدَ عشرينا
إنّا لنرجو يا إمامَ الهدى أن تملكَ الناسَ ثمانينا
لاقدّسَ اللهُ امرأً لم يقُلْ عندَ دُعائي لك: آمينا

فاستحسنَ الأبيات، وأمر لها بخمسة آلاف درهم. (١٩/٣٠٢)

---

(١) علّق أبو الفرج بقوله: «تعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سنيّ الهجرة».

(٣٢٤)

حدّثني عمّي؛ قال: حدّثني ابن أبي المدور الورّاق، قال: كنت عند سعيد بن حُميد، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشعّب، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدِّق والمكذِّب بذلك، فأقبل على صديق له فقال: أصبحتُ والله من أمر فضل في غُرور، أخادع نفسي بتكذيب العيان، وأمنّيها ما قد حيل دونه، والله إنّ إرسالي إليها بعدما قد لاح من تغيرها لذُلّ، وإنّ عدولي عنها وفي أمرها شبهه لعجْز، وإنّ تصبُّري عنها لمنْ دواعي التلف، ولله درُّ محمدِ بن أمية حيث يقول:

ياليتَ شعري ما يكون جوابي ... أمّا الرسولُ فقد مضى بكتابي

وتعجّلتْ نفسي الظنونُ وأشعرت ... طمعَ الحريصِ وخيفةَ المرْتاب

وتروعني حركاتُ كلِّ محرِّك ... والبابُ يقرعه وليس ببابي

كمْ نحوَ بابِ الدار لي من وثْبة ... أرجو الرسولَ بمطْمع كذّاب

والويلُ لي من بعد هذا كلِّه ... إن كان ما أخشاه ردَّ جوابي (٣١٢/١٩)

(٣٢٥)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان: قال: حدّثني أبو العباس المرْوزيّ، قال: قال المتوكل لعليّ بن الجهْم: قلْ بيتاً، وطالب فضلَ الشاعرة بأن تُجيزه، فقال عليّ: أجيزي يا فضل:

لاذَ بها يشتكي إليها ... فلم يجد عندها ملاذا

قال: فأطرقت هنيهة ثم قالت:

فلم يزل ضارعاً إليها ... تهطلُ أجفانُه رذاذا

فعاتبوه فزاد عِشقا ... فمات وجداً فكان ماذا؟

فطرب المتوكل، وقال أحسنتِ وحياتي يا فضل، وأمر لها بمائتي دينار. (٣١٢/١٩)

(٣٢٦)

حدّثني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني عبدُ الله بنُ محمد بن جرير قال: أنشدت أبا تمام قصيدة عليِّ بن جبلة البانية، فلما بلغتُ إلى قوله:

وردَّ البيضَ والبيضَ ... إلى الأغْماد والحُجب(١)

(١) البيض الأولى السيوف، والبيض الثانية النساء، يكنّي عن انتصاره الحاسم بردّ السيوف إلى أغمادها، والنساء السبايا إلى حُجُبها

اهتز أبو تمام من فرْقه إلى قدمه، ثم قال: أحسن، والله لو ددتُ أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتخبها مكانه. (٢٢/٢٠)

(٣٢٧)

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدّثني محمد بن يزيد، قال. حدّثني عليُّ بن القاسم قال: قال لي عليّ بن جبلة: زرتُ أبا دُلف، فكنت لا أدخل إليه إلا تلقّاني ببرّه وأفرط، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه، فبعث إليَّ بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لم هجرتنا؟ لعلك استبطأتَ بعض ما كان منّي، فإن كان الأمر كذلك فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى، فدعوتُ مَن كتب لي، وأمللت(١) عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته أن يوصلها، وهي:

هجرْتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يُرْتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنّني لما أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في برّي عجزت عن الشكر
فها أنا لا آتيك إلا مسلّماً ... أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فإن زدتني براً تزايدت جفوة ... ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

قال: فلما سمعها معقل استحسنها جداً، وقال: جوّدت والله، أما أن الأمير ليُعجب بمثل هذه الأبيات، فلما أوصلها إلى أبي دُلف قال: لله درّه! ما أشعره، وما أرقَّ معانيه! ثم دعا بدواة، فكتب إليّ:

ألا ربُّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه ... وآنستُه قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القرى من نائلي عنده ستري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقصده ... إليَّ وبراً يستحقُّ به شكري
فلم أعدُ أن أدنيتُه وابتدأتُه ... ببشرٍ وإكرام وبرٍّ على برِّ
وزوّدته مالاً قليلٍ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر

ثم وجّه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنما الدنيا أبو دُلفٍ ... بين باديه ومحتضره (٢٤/٢٠)

(٣٢٨)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثني أبي قال:

---

(١) أمللتُ: كتب ما قلتُ له.

حدّثني وهب بن سعيد المرْزوِيّ، كاتبُ حُميد الطوسيّ، قال: جئت حُميدا في أول يوم من شهر رمضان، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار، وقال: تصدّقوا بهذه، وجاءه ابنه أصرمُ فسلّم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك علي بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جئتني به يا بُني تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنه يجيد فيك القول. قال: فأنشِدني بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله:

حيدي حيادِ فإنْ غزوة جيشه ضمنت لجائلةِ السباع عيالها(١)

فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسلَّم، ثم أنشده قوله:

إن أبا غانم حُميدا غيث على المعتفين هامي
صوَّره الله سيفَ حتف وباب رزق على الأنام
يا مانع الأرض بالعوالي والنِّعم الجمَّة العظام
ليس من السّوء في معاذ من لم يكن منك في ذِمام
وما تعمّدتُ فيك وصفاً إلا تقدَّمْته أمامي
فقد تناهت بك المعالي وانقطعت مدة الكلام
أجِدُ شهراً وأبلِ شهراً واسلم على الدهر ألف عام

قال: فالتفت إليهَ حُميد، وقال: أعطه ذلك الألف دينار حتى يخرج للصدقة غيره. (٢٠/٣٧)

(٣٢٩)

وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدّثني محمد بن يحيى المنجّم قال: وحدّثني حسين بن الضحّاك قال: قال لي أبو محمد التّيميّ: دخلتُ على محمدٍ الأمين أوّل ما وَلي الخلافة، فقال: يا تيميّ، وددت أنه قيل فيّ مثل قول طُريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد:

طوبى لفرعيك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التي تشجُ(٢)

د[illegible]ي والله أحق بذلك منه، فقلت: أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته

---

(١) حيدي حياد: أمر بالحيدودة والرّوغان، يقولونه في الحرب خطاباً للخيل المغيرة، ألاّ تلزم جانباً واحداً، حتى لا يجد هارب مهرباً، ولا متحصنٌ ملجأ، ونظيره: فيحي فياح، أي انتشري وتفرّقي هنا وهناك، ويريد بالشطر الثاني أنّ حربه ضمنت للسباع وعيالها طعاماً لكثرة ما يسقط من القتلى، وهو معنى دائر في الشعر العربي.

(٢) تشج: تمتدّ وتشتبك.

فقصيدتي: لابُدّ من سكرة على طربِ لعلّ روحا يديل من كُربِ

حتى انتهيت إلى قولي:

أكـرمْ بفرعين يجريان بـه إلى الإمام المنصور في النسبِ

فتبسَّم، ثم قال لي: يا تيمي قد أحسنت، ولكنه كما قيل: مرعى ولا كالسَّعدان(١)، ثم التفت إلى الفضلِ بن الربيع فقال: بحياتي أوقرْ له زورقه مالا. نعم يا سيدي. فلما خرجت طالبت الفضل بذلك، فقال: أنت مجنون؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم. (٥٠/٢٠)

(٣٣٠)

فحدّثني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عمّار، قال: حدّثني محمد بن القاسم، حدّثني محمد بن عائشة قال: قال لي سفيانُ بن عُيينة: لقد أحسن بصْريُكم هذا أبو نُواسٍ حيث يقول ـ وشدّد الواو وفتح النون:

يا قمراً أبصرتُ في مأتمٍ يندُب شجْواً بين أتراب

يبكي فيُذري الدرَّ من عينه ويلْطم الوردَ بعُنَّاب

قال: وجعل يعجب من قوله: ويلطم الوردَ بعُنَّاب(٢). (٦٨/٢٠)

(٣٣١)

وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعدٍ قال: حدّثني محمدُ بن محمد قال: حدّثني حسينُ بنُ الضحّاك قال: أنشد ابنُ عُيينة قول أبي نواس:

يبكي فيُذري الدُّرَّ من طرْفهِ ويلطِمُ الوردَ بعُنَّاب

فعجبتُ منه، وقال: آمنتُ بالذي خلقه، وقد قيل: إنَّ أبا نواس قال هذا الشعر في غير جنان. (٦٩/٢٠)

---

(١) مرعى ولا كالسّعدان: هذا مثل يُضرب «لجيد غير مبالغ في الجودة». ينظر المستقصى للزمخشري (٢/٣٤٤)، والسّعدان: نبت ذو شوك كأنّه فَلْكة يستلقي فيُنظر إلى شوكه كالحاً إذا يبس، ومنبته سهول الأرض، وهو من أطيب مراعي الإبل مادام رطباً، والعرب تقول: أطيب الإبل لبناً ما أكل السّعدان، ينظر لسان العرب (٢١٥/٣)، وعلى هذا فإنّ الأمين يقول للشاعر إنّك قد أجدتَ ولكنّك لم تبلغ إجادة طُريح في قوله للوليد.

(٢) منبع الإعجاب هو الاستعارة الرائعة التي أجراها الشاعر في البيت، حيث جعل الخدود ورداً، وأطراف الأصابع عنّابا، ولم يقل من هذا إلاّ أقلّه، إذ حذف الخدود والأصابع وجعلهما ورداً وعنّاباً فحسب.

ومن مشهور قول ابن أبي عيينة في دنيا، وهو ممّا تهتّك فيه وصرّح وأفحش، وهي من جيد قوله قصيدته التي يقول فيها(١):

أنـا الفارغُ المشغولُ والشـوقُ آفتي ... فلا تسـألوني عن فراغي وعن شُغلي
عـجبْتُ لتـرك الحُبّ دنيـا خليـةً ... وإعـراضـه عنهـا وإقبـاله قِبْلي(٢)
ومـا بالُهـا لمـا كـتبتُ تهاونـت ... بكُتْبي وقد أرسلْتُ فانتهرت رُسلي
وقـد حلفـتْ ألاّ تـخطّ بكفّهـا ... إلى قـابل خطّـاً إلـيَّ ولا تُملي
أبخـلا علينـا كـلُّ ذا وقطيعـةً ... قضيت لدينا بالقطيعـة والبخـل
سلُوا قلبَ دنيـا كيف أطلقه الهوى ... فقد كـان في غُـلّ وثيقٍ وفي كَبْلِ(٣)
فإن جحدت فاذكر لها قصر معبد ... بمنْصفِ ما بيـن الأبلّـة والحبل(٤)
وملعبنـا فـي النهـر والمـاء زاخـر ... قرينين كالغصنين فرْعين في أصل
ومن حـولنا الرَّيحـانُ غضّـاً وفـوقنا ... ظـلالٌ من الكرْم المعرَّش والنخـل
إذا شئـتُ مالت بي إليهـا كـأنّني ... إلى غصـن بانٍ بين دعصين من رمل
ليالي ألقاني الهوى فاستضفتُها ... فكـانت ثناياهـا بلا حشمـة نُـزْلي
وكـم لـذّةٍ لي في هـواها وشـهوةٍ ... وركْضي إليهـا راكبـاً وعلى رجل
وفي مـأتم المهديّ زاحمْتُ ركبهـا ... بركْني وقد وطّنت نفسي على القتل
وبتنا علـى خـوفٍ أسـكّن قلبهـا ... بيُسـراي واليمنى على قـائم النّصل
فيا طيب طعم العيش إذ هي جارةٌ ... وإذ نفسُـها نفسي وإذ أهلُها أهلي

---

(١) هل يستبعد أبو الفرج أيَّ أثر أخلاقي في نقده؟، فه كلامه يشير إلى هذا، فمع التصريح والتهتّك اللذين يثبتهما على القصيدة يذهب إلى جودتها، وعند قراءة القصيدة بإمعان نستطيع القول إنّ وصف الشاعر لم يكن وصفاً مباشراً صريحاً، بل لمّح، وحام، ولم يقع، ولعلّ هذا من أسباب إعجاب أبي الفرج بها، مع جزالة اللفظ، وروعة السبك.

(٢) إقباله قبلي: قصده نحوي.

(٣) الكَبْل: القيد.

(٤) منصف: منتصف، والأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أيضاً نهر إلى البصرة حفره زياد، والحبل: موضع بالبصرة على شاطئ نهر الفيض، أمّا قصر معبد فلم يرد له ذكر في معجم البلدان، ويُستفاد من البيت أنّه موضع في منتصف المسافة بين الأبلّة والحبل

وإذ هي لا تعتلّ عني برقبةٍ ... ولا خوفِ عينٍ من وُشاةٍ ولا بعل
فقد عفت الآثارُ بيني وبينها ... وقد أوحشتْ مني إلى دارها سُبْلي
ولما بلوتُ الحبُّ بعد فراقها ... قضيتَ على أم المحبين بالثُّكل
وأصبحْت معزولا وقد كنت والياً ... وشتان ما بين الولاية والعزل

(٢٠/٨٨)

(٣٣٣)

... ومما قاله ابن أبي عيينة في دنيا قوله:

ألا في سبيل الله ما حلَّ بي منكِ ... وصبرك عني حين لا صبر لي عنكِ
وتركُك جسمي بعد أخذك مهجتي ... ضنيلا فهلاً كان من قبل ذا تركي
فهل حاكمٌ في الحب يحكُم بيننا ... فيأخذ لي حقي ويُنصفني منكِ

وفي هذه القصيدة يقول: يصف قصراً كانوا فيه، وهي من عجيب شعره:

لقد كنتُ يوم القصر مما ظننت بي ... بريئاً كما أني بريءٌ من الشِّرْكِ
يذكُرني الفردوس طوراً فأرعوي ... وطوراً يواتيني إلى القصف والفتك
بغرسٍ كأبكار الجواري وتُربةٍ ... كأنَّ ثراها ماءُ وردٍ على مسك
وسِرْبٍ من الغزلانِ يرتعْن حوله ... كما استُلَّ منظومٌ من الدُّر من سلك
وورقاءَ تحكي الموصليَّ إذا غدت ... بتغريدها أحببْ بها وبمن تحكي
فياطيبَ ذاك القصرِ قصراً ومنزلا ... بأفيحِ سهلٍ غيرِ وعْرٍ ولا ضنْك
كأنَّ قصورَ القوم ينظرن حوله ... إلى ملك مُوفٍ على منبر المُلك
يُدِلُّ عليها مستطيلاً بظله ... فيضحك منها وهي مطرقةٌ تبكي

(٢٠/٩٠)

(٣٣٤)

حدّثني عمي، قال: حدّثني فضلٌ اليزيديُّ: عن إسحاق أنه أنشده لأبي عُيينة في دُنيا التي كان يُشبِّب بها، وقد زوّجت وبلغه أنها تُهْدى إلى زوجِها. وكان إسْحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده:

أرى عهدها كالورْد ليس بدائمٍ ... ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدُ
وعهدي لها كالآسِ حسنا وبهجةً ... له نضْرةٌ تبقى إذا ما انقضى الورد

فما وجد العُذريُّ إذ طال وجدُه ... بعفراء حتى سلَّ مهجته الوجد(١)
كوجدي غداة البين عند التفاتها ... وقد شفَّ عنها دون أترابها البُرد
فقلتُ لأصحابي هي الشمس ضوءها ... قريب ولكن في تناولها بُعد
وإنّي لمن تُهدى إليه لحاسد ... جرى طائري نحساً وطائره سعد

(٢٠/٩٣)

(٣٣٥)

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدَّثني محمد بن يزيد قال: ومن مختار ما قاله ابن أبي عيينة في خالد قوله:

قُل لدُنيا باللهِ لا تَقْطعينا ... واذكرينا في بعضِ ما تذكرينا
لا تخوني بالغيبِ عهدَ صديقٍ ... لم تخافيه ساعةً أن يخونا
واذكري عيشنا وإذ نفض الرِّيح ... علينا الخيريَّ والياسمينا(٢)
إذ جعلنا الشاهِسْفرام فراشا ... من أذى الأرض والظلال غصونا(٣)
حفِظ اللهُ إخوتي حيث كانوا ... من بلادٍ سارين أم مُدْلجينا
فتيةٌ نازحون عن كلّ عيب ... وهُم في المكارم الأولونا
وهم الأكثرون يعلم ذاك الناسُ. ... والأطيبون للأطيبينا
أزعجتْني الأقدار عنهم وقد كنتُ ... بقُربي منهم شحيحاً ضنينا
وتبدلْتُ خالداً لعنةُ الله ... عليه ولعنةُ اللاعنينا
رجل يقهر اليتيمَ ولا يؤ ... تي زكاةً وينهر المسكينا
ويصون الثيابَ والعرضُ بالٍ ... ويرائي ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعطاه ... أمين عاجلا أمينا
فلعمر المبادرين إلى مكة ... وفداً غادين أو رائحينا
إنَّ أضيافَ خالدٍ وبنيه ... ليجوعون فوق ما يشبعونا
وتراهُم من غير نُسْكٍ يصومو ... ن ومن غير علَّة يحتمونا

---

(١) العذريّ: المنسوب إلى عذرة، حيٌ من قضاعة، ينسب إليهم العشق، والمراد به عروة بن حزام، وهو أحد العشّاق المضروب بهم المثل في شدّة الوجد.

(٢) الخيريّ: نبات ذو زهر أصفر ذكيّ الرائحة. (٣) الشاهسفرام: الريحان.

يا بني خالد دعوه وفرّوا كم على الجوع ويْحكم تصبرونا

قال محمد بن يزيد: ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها:

ألا خبِّروا إن كان عندكُم خبرْ أنقفُل أم نثوي على الهمّ والضَّجرْ؟
نفى النومَ عن عيني تعرُّض رحلة بها الهمُّ واستولى بها بعده السهر
فإن أشكُ من ليلي بجرجانَ طوله لقد كنتُ أشكو فيه بالبصرة القصر
فياحبَّذا نهرُ الأبُلَّة منظرا إذا مدَّ في إبانه النهرُ أو جزرْ
وفتيانُ صدق همُّهم طلبُ العلا وسيماهُمُ التحجيل في المجد والغرر
لعمري لقد فارقتُهم غيرَ طائع ولا طيِّبٍ نفساً بذاك ولا مُقرِ
وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهُم فقلتُ لها لا علمَ لي فَسَلي القدر
فياسفرا أودى بلهوي ولذّتي ونغّصني عيشي عدمتك من سفر
دعوني وإيَّا خالدٍ بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغرّ
كأني بصدق القول لما لقيتُه وأعلمته ما فيه ألقمتُه الحجر
دنيءٌ به عن كل خير بلادةٌ لكلٍّ قبيحٍ عن ذراعيه قد حسر
له منظر يُعمي العيون سماجة وإن يُختبر يوماً فيا سوء مُختبَر
أبوك لنا غيثٌ يعاش بوبله وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر
له أثر في المكرمات يسرّنا وأنت تُعفّي دائماً ذلك الأثر
لقد قُنِّعتْ قحطان خزياً بخالد فهل لكِ فيه يخزك الله يا مضر

(١١٣/٢٠)

(٣٣٦)

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني الحمدويّ الشاعر قال: سمعتُ دعبل ابن علي يقول: أنا ابن قولي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولي:

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأوّلِ

قال الحمدوي: وأنا ابن قولي في الطيْلسان:

طال تردادُه إلى الرَّفْو حتى لو بعثناه وحده لتهدّى

قال الحمدويّ: معنى قولنا: أنا ابن قولي، أي أنّي به عُرفت (١٢٥/٢٠)

(٣٣٧)

أخبرني عليّ بن الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثنا أبو ناجية - وزعم أنه من ولد زُهير بن أبي سُلمى - قال: كنتُ مع دعبل في شهرزور(١)، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قينة محسنة ففنّت الجارية بشعر دعبل:

أين الشباب وأيةً سلكا؟ لا، أين يُطلب؟ ضلَّ، بل هلكا

قال: فارتاح دعبل لهذا الشعر وقال: قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة. (١٢٧/٢٠)

(٣٣٨)

أخبرني علي بن سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمد بن يزيد قال: قال دعبل بنُ عليٍّ يرثي ابنَ عم له من خزاعة نُعي إليه، قال محمدُ بن يزيد: ولقد أحسن فيها ما شاء:

كانت خُزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقصَّ مرُّ الليالي من حواشيها

هذا أبو القاسم الثاوي ببلْقعة تسفي الرياحُ عليه من سوافيها(٢)

هبَّت وقد علمتْ أن لا هُبوب به وقد تكون حسيراً إذ يباريها

أضحى قِرىً للمنايا إذ نزلْن به وكان في سالف الأيام يقريها(٣) (١٣١/٢٠)

(٣٣٩)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهرويه قال: قال لي البحتريّ: دعبل بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلمِ بن الوليدِ. فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأن كلام دعبلٍ أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم، وكان يتعصب له(٤). (١٣٦/٢٠)

---

(١) شهرزور: كورة بين أربل وهمذان، أحدثها زور بن الضحّاك، ومعنى شهر بالفارسية: المدينة.

(٢) تسفي: تهبّ بشدة مع رمل تحمله (٣) يقري المنايا: يريد أنّه يقتل أعداءه

(٤) يتناسب حكم البحتري على الشاعرين مع مذهبه الشعري نفسه، فشعره كان أدخل في كلام العرب على حدّ قوله، وهو من الشعراء الذين التزموا العمود، ولم يخرجوا عليه مثل أبي تمام مثلاً، ولذلك كان من المفهوم أن يفضّل شاعراً يقترب شعره من كلام العرب مثل دعبل، ويُخفض من قيمة شاعر يُعدُّ فاتحاً لباب البديع، أمام أبي تمام، وممهداً له الطريق، مثل مسلم، فجوهر القضية يكمن في تقارب المشارب، وليس التعصّب المحض وحده.

(٣٤٠)

أخبرني الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا علي بنُ عبدِ الله بن سعدٍ قال: قال لي دعبلٌ، وقد أنشدته قصيدة بكر بنِ خارجة في عيسى بن البراء النصرانيَّ الحربيَّ:

زُنّارُه في خصره معقود   كـأنـه مـن كبدي مقـدود

فقال: والله ما أعلمُني حسدْتُ أحداً على شعر كما حَسَدْتُ بكراً على قوله: كأنه من كبدي مقدود. (٢٠/١٥١)

(٣٤١)

أخبرني الحسينُ بن القاسم الكوكبيُّ قال: حدّثنا أحمدُ بن صدقة قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عمرُو بن مسْعدة قال: حضرتُ أبا دُلف عند المأمون، وقد قال له المأمون: أيَّ شيء تروي لأخي خُزاعة يا قاسم؟ فقال: وأيُّ أخي خُزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعراً؟ فقال: أما مِنْ أنفُسِهم فأبو الشُّيص ودعبل وابنُ أبي الشُّيص وداودُ بن أبي رَزين، وأما من مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُ الله. فقال: ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دعبل! هات أيَّ شيء عندك فيه. فقال وأيَّ شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم، فقرن إحسانهم بالإساءة، وبذْلهم بالمنع، وجودهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال حين يقول في المطَّلب بنِ عبد الله بن مالك، وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة، وولاه ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه:

اضرب ندى طلحةِ الطَّلحات متئدا   بلـــوْم مطَّلــب فينا وكـــن حكما

تخـــرجْ خـزاعــة من لؤم ومن كـــرم   فـلا تحُـــسُّ لهـا لؤمـا ولا كـرمـا

قال: فقال المأمون: قاتله الله! ما أغوصه وألطفه(١) وأدهاه! وجعل يضحك، ثم دخل عبد الله بنُ طاهر، فقال له: أيَّ شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها ويحك، فأنشده عبدُ الله قول دعبل:

سـقـيـا ورعـيـا لأيام الصـبـابـاتِ   أيـام أرفُــل في أثــواب لذاتــي

أيـام غـصـني رطيب مـن لَيـانتـه   أصـبـو إلى غـيـر جـارات وكنّات

دعْ عنك ذكـر زمـان فـات مطلبُـه   واقـذف برجلك من متن الجـهـالات

---

(١) يقصد المأمون ـ (ما أغوصه وألطفه) أنه يغوصُ على المعاني فيستخرج دقيقها، ونادرها، ويتلطف حتى يدرك عميقها، فيستخدم هذا كلّه في شعره

واقصد بكل مديح أنت قائله نحو الهُداة بني بيت الكرامات

فقال المأمون: إنه قد وجد والله مقالا فقال، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله في وصف غيرهم(١)، ثم قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفرٍ سافره، فطال ذلك السفر عليه، فقال فيه:

ألمْ يأنِ للسَّفر الذين تحملوا إلى وطنٍ قبل الممات رجوعُ
فقلتُ ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضُمَّت عليه ضلوع
تبيَّنْ فكم دار تفرَّق شملُها وشملٍ شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفُهنَّ كما ترى لكل أناس جدْبةٌ وربيع

ثم قال: ما سافرت قطّ إلا كانت هذه الأبيات نُصب عيني في سفري، وهِجِّيري(٢) ومسلِّيتي حتى أعود. (١٥٢/٢٠)

(٣٤٢)

أخبرني محمدُ بن خلفِ بنِ المرْزبانُ قال: أخبرني إبراهيمُ بن مُحمدٍ الوراقُ قال: حدَّثني الحسينُ بن أبي السَّريِّ قال: قال لي دعبل: مازلتُ أقول الشعر وأعرضُه على مُسلم، فيقول لي: أكتُم هذا حتى قلت:

أين الشباب وأيةً سلكا لا، أين يطلب ضلّ ؟ بل هلكا

فلما أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فاظهر شعرك كيف شئتَ لمن شئت. (١٥٧/٢٠)

(٣٤٣)

قال إبراهيم: وحدَّثني الفتح غلامُ أبي تمام الطائيِّ، وكان أبو سعيد الثَّغريّ اشتراه له بثلثمائة دينار ليُنشد شعره، وكان غلاماً أديباً فصيحاً، وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً، فكان يُنشد شعره عنه، سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال: هو دعبل بنُ عليّ الذي يقول:

ضحك المشيب برأسه فبكى(٣) (١٥٧/٢٠)

---

(١) يريد المأمون أنّه وجد شرفاً باذخاً، ومجداً مؤثّلاً، وشيئاً قريباً من هذا فقال وأحسن، ويُشبه كلام المأمون ما علّق به الفرزدق حين قيل له: لقد أحسن الكميت في مدائحه، في تلك الهاشميات. فقال: «لقد وجد آجُرّاً وجصّاً فبنى». البيان والتبيين (٢٩٩/٣)، أي أنّه وجد مادة المديح، والوصف جاهزةً فأحسن البناء فيها، يريد أخلاق آل رسول الله (ص) ومآثرهم الكثيرة

(٢) هِجِّيري: دأبي، وعادتي (٣) كأنّه استغنى بشعره عن بقية نسبه، فهو الخلود للشاعر، وما عداه زائلٌ فانٍ

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدَّثنا محمد بنُ القاسم بنُ مهرويه قال: حدَّثني أحمد بنُ هارون قال: دخلتُ على أبي سعدٍ المخزوميّ يوماً وهو يقول: وأي شيء ينفعني؟ أجوِّد الشعر فلا يُروى ويُرذل فيروى، ويفضحني برديه، ولا أفضحه بجيِّدي، فقلتُ: من تعني يا أبا سعد؟ فقال: من تراني أعني إلا من عليه لعنةُ الله دعبلا! فقلت فيه:

لَيْسَ لُبْس الطيالس   من لباس الفوارسِ
لاولا حومةُ الوغى   كصُدور المجالس
ضربُ أوتارِ نَفْنف   غيرُ ضَرْب القوانس(١)
وظهور الجياد غيـ   ـر ظهور الطنافسْ
ليس من ضارس الحرو   ب كمن لمْ يُضارس
بأبي غرسُ فتيةٍ   من كرام المغارس
فتية من بني المُغيرة   شمِّ المعاطس(٢)
يُطعمون السديف في   كل شهباء دامس(٣)
في جفان كأنها   من جفان العرائس
ثم يمشون في السَّنو   ر مشيَ العنابس(٤)
ويخوضون باللوا   ء دماءَ الأبالس
نحن خير الأنام عند   قياس المُقايس

فوالله ما التفت إليها في عصرنا هذا إلا علماء الشعر، وقال هو فيَّ:

يا أبا سعدٍ قوْصره   زانيَ الأخت والمره(٥)
لو تراه مُحنَّباً   خلته عقدَ قنطره
أو ترى الأير في استه   قلت ساقٌ بمقطره(٦)

---

(١) نفنف: اسم غلام لدعبل، وكان مغنّياً له، والقوانس: جمع قونس، وهي أعلى بيضة الحديد (الخوذة)

(٢) شمُّ المعاطس: المعاطس: الأنوف، وهنا كناية عن ارتفاع منزلتهم وقوتهم وكبريائهم

(٣) السَّديف: شحم السنام، والشهباء الدامس: المصيبة النازلة، أو القحط.

(٤) السنور: جملة السلاح، والعنابس: جمع عَنْبَس وهو الأسد.

(٥) القوصرة: كناية عن المرأة، وتُطلق على المنبوذ في لغة أهل البصرة.

(٦) المقطرة: خشبة فيها خروق، سعة كلّ خرق على قدر الساق، يدخل فيها أرجل المحبوسين.

قال: فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسَّفَل، فما أجتازُ بموضع إلا سمعته من سِفْلة يهْذُون به، فمنهم من يعرفني فيعيبُني به، ومنهم من لا يعرفني، فأسمعه منه لسهولته على لسانه(١). (٢٠/١٦٥)

(٣٤٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أحمد بن مروان مولى الهادي قال: لقيني أبو سعد المخزوميّ على ظهر الطريق فقال لي: يا أحمد أنا أدرس شكايتك إلى أبيك، قال فقلت: ولِمَ أبقاك الله؟ قال: فما فعل دفتر البزاريات(٢)؟ قلتُ: هو ذا أجيئك به، فلما صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده، فمررتُ بدعبل فدققتُ بابه، فسمعته يقول لجارية له: يا دراهم، انظري من بالباب، فقالت له: أحمدُ بنُ مروان، فقال: افتحي له، فلما دخلتُ

(١) يعرض المخزومي قضية ليست بجديدة على النقد العربي، من حيث تفضيل شعر ما والأذواق التي تفضّله، فللجمهور ذوقهم، وللعلماء والخاصة ذوقهم الذي قد يكون مغايراً تماماً لذوق الجمهور، فربّما استحسن العلماء شعراً مثلما رأينا في النص - لم يلتفت إليه الجمهور، والعكس صحيح في أبيات دعبل التي شاعت بين الناس ورووها، ومن هنا أشار حازم في منهاج البلغاء (ص ٢٠)، إلى ما أسماه بالمعاني الجمهورية، وهي المعاني «التي يشترك في معرفتها وإدراكها الخاصة والجمهور»، وأشار أيضاً إلى المعاني «التي ينفرد بإدراكها ومعرفتها الخاصة دون الجمهور»، وليس من الضروري عنده أن تكون الثانية أجود من الأولى، بل لاحظنا أنّه يرجّح الأولى عليها لأنّها من الأمور التي «يميل الناس إليها أو ينفروا عنها فهي التي فُطرت النفوس على استلذاذها أو التألم منها أو حصل لها ذلك بالاعتياد»، وظفرنا في الأغاني بنصّ يتحدث عن هذه القضية تماماً حين سأل جريرٌ رجلاً أهو أشعر أم الفرزدق؟ فقال له أنت عند العامة والفرزدق عن العلماء، فصاح جرير: غلبتُه والله ما في كل مائة رجلٍ عالمٌ واحد، الأغاني (٧٩/٨)، فكأنّ مقياس الغلبة عند جرير هو الشيوع والانتشار، وهو من المقاييس التي اعتمدتها الكثرة من الأدباء والنقاد، ورأينا أنّ شعر المخزومي لم يلتفت إليه سوى العلماء، وتناقل الناس أبيات دعبل على ضعفها

(٢) البزاريات: هناك قرية على فرسخين من نيسابور تسمى بُزار، ينظر معجم البلدان (٤٠٨/١)، ولعلّ هذا الدفتر فيه الأشعار التي قالها وهو هناك فنُسبت إليها، وممّا يقوّي هذا الرأي أنّ هناك نصوصاً كثيرة ورد فيها لفظ الدفتر، ويراد به المجموع الشعري، من ذلك قول الثعالبي في ثمار القلوب (ص ٢٢٩)، «قرأتُ في مجموع من شعر الخالديّين بخطّ أحد الأخوين في دفتر ...»، وجاء في أدب الكتّاب للصولي (ص ٤٩)، «استعار محمد بن عبدالملك الزيات من الحسن بن وهب دفتراً فيه شعر أبي يعقوب الخريمي»، وجاء في الأغاني (١٥٠/٧)، ذكر دفاتر الغناء، وهي ما كان المغنّون يكتبون فيها من الشعر الذي يغنّون، أو سيغنّون فيه، وللدفتر معانٍ أُخَر، ولكنّ همّنا هنا دلالته على المجموع الشعري.

قلت له: أيش هو دراهم من الأسماء؟ قال: سميتم جواريكم دنانير، فسمينا جوارينا بدراهم. ثم قال: ما هذا معك؟ قلت: دفترٌ فيه شعر أبي سعد في البزاريات. فأخذه فنظر فيه وابنُه عليُّ بنُ دعبل بنِ عليٍّ معه، فلما بلغ من نظره إلى شعره الذي يقول فيه:

مالت إلى قلبك أحزانه فهو مُجِمُّ الهم خزّانه

قال له ابنه عليّ: فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره: [عادتْ إلى قلبك أحزانه؟] فقال دعبل: صدقْتَ والله يا بنيّ، أنت والله أشعر منه، قال: ثم إنه أملى عليُّ دعبل إملاء.

ما كنت أحسب أنّ الدهرَ يُمهلني حتى أرى أحدا يهجوه لا أحدُ

إنِّي لأعجب ممن في حقيبته من المنيِّ بُحورٌ كيف لا يلدُ؟

فإن سمعت به بعثُ القنا عبثا فقد أراد قناً ليست له عُقَدُ

ثم صرْت إلى أبي سعد، فلما رآني من بعيد قال: يا أحمد، من أين أقبلت؟ قلت: من عند دعبل. قال: وما دعبلْت عنده؟ فأنشدته شعر دعبل فيه، وأخبرْتُه بما قال ابنه في شعره، فقال: صدق والله، في أي سن هو؟ قلت قد بلغ. (٢٠/١٧٠)

(٣٤٦)

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال: حدّثنا مصعبُ الزُّبيريَ قال، قال أبي: قال لي المهديّ: أنشدني شعراً غزِلاً، فأنشدتُه قول السريّ بن عبد الرحمن:

ما زال فينا سقيمٌ يُستطبُّ له من ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ

فاعجبتْه، ومازال يستعيدها مرارا حتى حفظها. (٢٠/١٩٩)

(٣٤٧)

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عُبيد الله قال: حدّثني أخي أحمدُ عن أبي قال: صرْت إلى العباس بن الأحنف، فقال لي ما حاجتك؟ قلت: أمرني أخوك وأبي أن أصير إليك وأستفيدَ منك، فقال لي: أتصير إليّ؟ وددت أنّي سبقتك إلى بيتين قلتهما وأني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما، فدخلني من السرور ما الله به عليم، فقلت: وما هما؟ فقال: قولك:

يا بعيد الدار موصو لا بقلبي ولساني

ربُما باعدك الدهـ ـر وأدنتك الأماني (٢٠/٢٤١)

(٣٤٨)

أخبرنا محمدُ بنُ العباس قال: حدثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال: دخلتُ يوماً على المأمون بقارا، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه: أوله:

يا قصرُ ذا النَّخلات من بارا ... إني حللتُ إليك من قارا(١)
أبصرتُ أشجاراً على نهر ... فذكرتُ أشجاراً وأنهارا
لله أيامٌ نعمتُ بها ... بالقُفْص أحياناً وفي بارا(٢)
إذ لا أزال أزور غانية ... ألهو بها وأزور خمَّارا
لا أستجيب لمن دعا لهُدى ... وأجيب شطَّارا ودُعَّارا
أعصي النَّصيحَ وكلَّ عاذلة ... وأطيع أوتاراً ومزمارا

قال: فغضب المأمون، وقال: أنا في وجه عدو، وأحضُّ الناس على الغزو، وأنت تذكِّرهم نزهة بغداد؟ فقلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

فصحوت بالمأمون عن سُكْري ... ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعته مؤدِّيةً ... للفَرْض إعلاناً وإسرارا
فخلعتُ ثوب الهزل عن عنقي ... ورضيتُ دار الجدِّ لي دارا
وظللتُ معتصماً بطاعته ... وجواره وكفى به جارا
إن حلَّ أرضاً فهي لي وطن ... وأسير عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بنُ أكثم: ما أحسن ما قاله يا أمير المؤمنين! أخبر أنه كان في سكر وخمر، فترك ذلك وارعوى، وآثر طاعة خليفته، وعلم أن الرشد فيها؛ فسكن وأمسك. (٢٦٠/٢٠)

(٣٤٩)

... ثم صحب خالدُ الكاتب الفضلَ بن مرْوان، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة(٣) قبل أن يبْني سُرَّ من رأى، فقال خالد:

---

(١) قارا: موضع بعينه.

(٢) بار: قرية من أعمال كلواذا من نواحي بغداد، كان به بساتين ومتنزهات، يقصدها أهل البطالة. والقُفْص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا، قريب من بغداد، وكانت من مواطن اللهو، ومعاهد النُّزه، ومجالس الفرح.

(٣) الماحوزة: مدينة بناها المتوكّل سنة (٢٤٥هـ)، وسمّاها الجعفري، وأقطع القواد وأصحابه فيها، وجدَّ في بنائها، ينظر ديارات الشابشتي (ص ٣٦٥).

عزم السرورُ على المُقا م بِسُرَّ مَنْ را للإمـام

بلدُ المَسَرَّةِ والفتو حِ المستنيرات العظام

وتراه أشبه منزلٍ في الأرض بالبلد الحرام

فالله يعمُرُهُ بمن أضحى به عزُّ الأنام

فاستحسنها الفضلُ بن مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ في بناء سُرَّ من رأى شيء، فكانت أوَّل ما أنشد في هذا المعنى من الشعر، فتبرَّك بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم. (٢٠/٢٧٥)

(٣٥٠)

حدَّثني جحظة، قال: حدَّثني خالد الكاتب قال: قال لي عليّ بن الجهم: هب لي بيتك الذي تقول فيه:

ليتَ ما أصبح مِنْ رقـ ـة خدَّيك بقلبك

فقلت: يا جاهل، هل رأيت أحداً يهب ولده. (٢٠/٢٧٩)

(٣٥١)

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدَّثني الحسن بن إسحاق قال: حدَّثني خالد الكاتب، قال: لما بويع إبراهيمُ بن المهديّ بالخلافة طلبني - وقد كان يعرفني - وكنت متَّصلا ببعض أسبابه، فأدْخِلْتُ إليه فقال: أنشدني يا خالد من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله (ص): «إنَّ من الشعر لحكما»، وإنَّما أمزح وأهزل. فقال: لا تقل هذا، فإنَّ جِدَّ الأدب وهزْله جِدّ، هات أنشدني، فأنشدته:

عِش فحُبِّيكَ سريعاً قاتلي والضَّنى إن لم تصِلْني واصلي

ظفرَ الشوق بقلبٍ دنفٍ فيك والسُّقم بجسمٍ ناحل

فهُما بين اكتئاب وضَنى تركاني كالقضيب الذابل

قال: فاستملح ذلك ووصلني. (٢٠/٢٨٠)

(٣٥٢)

وحدَّثني عبد الله بن صالح الطوسيّ أن عليّ بن المعتصم دعا خالداً يوماً وهو يشرب، وقد أخرجَتْ إليه وصيفةٌ من وُصفاء حظيَّته تفَّاحة معضوضة مُغلَّفة بعثت بها إليه ستُّها، فقال:

تفاحةٌ خرجتْ بالدُّر من فيها أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها

بيضاءُ في حمرة علّت بغالية ... كأنما قُطفت من خدّ مُهْديها(١)
جاءت بها قينةٌ من عند غانية ... رُوحي من السوء والمكروه تفديها
لو كنتُ ميتاً ونادتني بنغمتها ... إذاً لأسرعتُ من لحدي ألبّيها

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات (٢٠/٢٨٧)

(٣٥٢)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن سعد الكرانيُّ، قال: حدّثنا أبو حاتم والاشْنانْدانيُّ أبو عثمان، عن أبي عبيدة، عن رؤبة بن العجاج، قال: بعث إليّ أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فلما دخلْتُ عليه رأى منّي جزعا، فقال: اسكن فلا بأس عليك، ما هذا الجزعُ الذي ظهر منك؟ قلت: أخافُك، قال: ولم؟ قلتُ: لأنّه بلغني أنّك تقتل الناس، قال: إنما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي، أفأنت منهم؟ قلت: لا، قال: فهل ترى بأساً؟ قلت: لا، فأقبل على جلسائه ضاحكاً، ثم قال: أما ابن العجّاج فقد رخّص لنا، ثم قال: أنشدني قولك:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المخترقْ(٢)

فقلت: أو أنشدُك - أصلحك الله أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته

قلتُ وقولي مستجدٌّ حوْكا ... لبّيك إذ دعوتني لبّيْكا
أحمدُ ربّاً ساقني إليكا

قال: هات كلمتك الأولى، قلت: أو أنشدك أحسن منها؟ قال، هات، فأنشدته:

ما زال يبْني خندقاً ويهدمُهْ ... ويستجيشُ عسكرا ويهزمُهْ
ومغنما يجمعه ويقسمه ... مرْوانُ لما أن تهاوتْ أنجُمُهْ
وخانه في حكمه مُنجِّمه

قال: دع هذا وأنشدني: وقاتم الأعماق، قلت: أو أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بيْتا ... وشِدْتَ رُكن الدين إذ بنيتا
في الأكرمين من قريش بيتا

---

(١) علّتْ: مُزجتْ، والغالية: نوع من الطيب.

(٢) الأعماق: جمع عمق، ويراد به هنا البعيد من أطراف المفاوز، مستعار من عمق البئر، والمخترق: موضع الاختراق، يراد به هنا موضع قطع المفاوز

قال: هات ما سألتك عنه، فأنشدته:

مــازال يأتي الأمْرَ من أقطارِه ... على اليــمــيـن وعلــى يســاره

مــشــمِّــراً لا يُصطلى بناره ... حــتى أقــرَّ الملكَ في قــراره

وفرَّ مروانُ على حماره

قال: ويحك! هات ما دعوتُك له وأمرتك بإنشاده، ولا تنشد شيئاً غيره، فأنشدته:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فلما صرت إلى قولي: يرمي الجلاميد بجُلمودٍ مِدَق

قال: قاتلك الله! لشدَّ ما استصلبتَ الحافر! ثم قال: حسبك، أنا ذلك الجلْمود المدقّ. (٢٠/٣٤٧)

(٣٥٤)

حدّثني علي بن سليمان: قال: حدّثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه، وحدّثني عمي: قال: حدّثني علي بن العباس النُّوبختي عن البحتريّ، وقد جمعت الحكايتين وهما قريبتان: قال: أولُ ما رأيتُ أبا تمّام أنّي دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أأفاق صبٌّ مـن هـوى فأفيقا ... أو خان عهداً أو أطاع شفيقا؟

فسُرَّ بها أبو سعيد، وقال: أحسنتَ والله يا فتى وأجدتَ. قال: وكان في مجلسه رجل نبيلٌ رفيع المجلس منه، فوق كل مَنْ حضر عنده، تكاد تمسُّ ركبتُه ركبته، فأقبل عليَّ ثم قال: يا فتى، أما تستحي منّي! هذا شِعْر لي تنتحله، وتُنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقًّا تقول! قال: نعم، وإنما عِلقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شكّكني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيِّرا فأقبل عليَّ أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منّا وودِّك لنا ما يُغنيك عن هذا. فجعلتُ أحلف له بكل مُحْرِجة من الأيْمانِ أنَّ الشِّعْر لي ما سبقني إليه أحدٌ، ولا سمعتُه منه، ولا انتحلتُه، فلم ينفعْ ذلك شيْئاً. وأطرق أبو سعيد، وقُطِع بي، حتى تمنَّيت أنِّي سُخْتُ في الأرض ، فقمت منكسر البال أجرُّ رجليَّ، فخرجت، فما هو إلا أن بلغتُ بابَ الدّار حتى خرج الغلمان فردّوني، فأقبل عليَّ الرّجل، فقال: الشعرُ لك يا بني، والله ما قلتــه قطّ، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننتُ أنَّك تهاونتَ بموْضعي، فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تُريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي، حتى عرَّفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددْتُ ألاّ تلد أبداً طائيةٌ إلا مثلك. وجعل أبو سعيد يضْحك، ودعاني أبو تمام، وضمّني إليه، وعانقني، وأقبل يُقرّضني، ولزمْته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديتُ به، هذه رواية من

ذكرت. (٤١/٢١)

(٣٥٥)

وقد حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش أيضاً: قال. حدّثني عبدُ الله بنُ الحسين بن سند القُطْرُبليّ: أن البحتري حدّثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثّغريّ، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فألفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه. فاستأذنه البحتري في الإنشاد وهو يومئذ حديثُ السن. فقال له: يا غلام أتُنْشدني بحضرة أبي تمّام؟ فقال: تأذن ويستمع، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً لها، فلما فرغ منها قال: أحسنتَ والله يا غلام، فممَّن أنت؟ قال: من طيء، فطرب أبو تمّام وقال: من طيِّء، الحمد لله على ذلك، لوددتُ أن كل طانيةٍ تلدُ مثلك، وقبّل بين عينيه، وضمَّه إليه وقال محمد بن يوسف: قد جعلتُ له جائزتي، فأمر محمد بها، فضمَّت إلى مثلها، ودُفعت إلى البحتريّ، وأعطي أبا تمام مثلها، وخصَّ به. (٤٢/٢١)

(٣٥٦)

قال حكم بن يحيى وأنشدتُ البحتريَّ يوما من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يُحرك رأسه، فقلتُ له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء، ليس له طعم ولا معنى. (٤٣/٢١)

(٣٥٧)

أخبرني الحرميُّ، عن الزبير قال: حدّثني سُليمانُ بن داود المجمعيّ: قال: اجتاز السَّريَ بنُ عبد الرّحمنِ بن عتبة بن عُوَيْمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص وهو ينشد قوله:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ

فقال السَّريّ: يابيت عاتكة المُنَوّه باسمهِ اقعُد على مَنْ تحت سقْفك واعْجل

نواثبه الأحوصُ، وقال في ذلك:

فأنت وشتمي في أكاريسِ مالك وسبّي به كالكلب إذ ينبح النَّجْما(١)
تداعى إلى زيْد ومـا أنتَ منهم تحُقّ أباً إلاَّ الـولاء، ولا أمَّا
وإنّك لو عدَّدتَ أحساب مالك وأيامها فيها ولم تنطق الرَّجما
أعادتْك عبْداً أو تنقَّلْتَ كاذباً تلمّسُ في حيٍّ سوى مالك جِذْما

---

(١) الأكاريس: جمع أكراس، وأكراس جمع كرس بمعنى الجماعة

وما أنا بالمحسوس في جذمِ مالك ولا بالمُسمَّى ثم يلتزم الاسما
ولكن أبي لوْ قد سألت وجدته توسَّطَ منها العزَّ والحسب الضَّخْما

فأجابه السَّريّ فقال:

سألتُ جميعَ هذا الخلق طُرّاً متى كان الأحيْوص من رجالي

وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة، فألغيتُ ذكرها. (١٠٥/٢١)

(٣٥٨)

... قال أبو خراش يرثي أخاه ومن قتلته ثملةُ وكنانةُ من أهله، وكان الأصمعيّ يفضلّها

فقدتُ بني لُبنى فقدتُهم صبرتُ فلم أقطعْ عليهم أباجلي(١)
رماحٌ من الخطِّيِّ زُرْقٌ نصالُها حدادٌ أعاليها شِدادُ الأسافلِ
فلهفي على عمرو بن مُرَّةَ لهفةً ولهْفي على ميْتٍ بقوسي المعاقلِ(٢)
حسانُ الوجوه طيِّبٌ حُجزاتُهُم كريمٌ نثاهم غيرُ لُفٍّ معازِلِ(٣)
قتلت قتيلاً لا يحالف غدرةً ولا سُبَّةً لا زلْتَ أسفل سافلِ(٤)
وقد أمنوني واطمأنت نفوسهم ولم يعلموا كلَّ الذي هو داخلي
فمن كان يرجو الصلحَ مني فإنه كأحمر عادٍ أو كليب بن وائلِ(٥)

---

(١) بنو لبنى: يريد إخوته لأنَّ اسم أمِّهم جميعاً لبنى ما عدا سفيان. والأباجل: جمع أبجل وهو عرق في ذراع البعير والفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان. يقول صبرتُ فلم أقتل نفسي.

(٢) يقصد بالميت أخاه عروة. وقوس: بلد بالسراْة. ينظر معجم البلدان (٤١٣/٤). وأضاف ياقوت «وبقوس قُتِل عروة أخو أبي خراش الهذلي».

(٣) حجزات: جمع حُجزة وهي موضع التكة من السراويل، وذلك كناية عن العفاف. والنثا: الحديث. ولُفّ: جمع ألفّ وهو الثقيل البطيء. والمعازل: المجرَّدون من السلاح.

(٤) قتلت قتيلاً: الخطاب لقاتل أحد أخوته. وقوله: لا زلت أسفل سافل: دعاء عليه.

(٥) أحمر عاد: خطأ، إذ هو أحمر ثمود، وهو قُدار بن سالف، عاقر ناقة الله ويُضرب به المثل في الشؤم والشقوة. قال الثعالبي: «وقد غلط زهير في قوله:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلّهم كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

وكأنَّه سمع بعادٍ وثمود، فنسب الأحمر إلى عاد على ما توهمَّ، وهو من ثمود، وكان قدار أحمر أزرق» ثمار القلوب (ص ٧٩). أمّا كليب بن وائل فهو سيد ربيعة في زمانه، قاد نزاراً كلّها. والعرب تضرب به المثل في العزّ والقوة والظلم ثمار القلوب (ص ٩٩) ويكني أبو خراس هنا بهما عن استبعاد الصلح واستحالة السلام

أصيبت هذيل يابن لُبنى وجُدّعت أنوفُهم باللوذعيّ الحُلاحلِ[١]
رأيت بني العلاّت لما تضافروا يحوزون سهمي دونهم بالشمائلِ[٢] (٢١/٢١٩)

(٣٥٩)

قال اليزيدي في خبره: وجعل هُدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب كُلّ واحد منهما العُلُوّ على صاحبه في شعره، وذكر أشعاراً كثيرة، فذكرتُ بعضها، وأتيتُ بمختار ما فيه، فمن ذلك قولُ زيادة في قصيدة أولها

أراك خليلا قد عزمت التّجنبا وقطّعتَ حاجاتِ الفؤاد فأصحبا[٣]

اخترت منها قوله:

وأنك للناس الخليلُ إذا دنتْ به الدارُ، والباكي إذا ما تغيّبا[٤]
وقد أعذرَتْ صرفُ الليالي بأهلها وشحْطُ النّوى بيني وبينك مطلبا[٥]
فلا هي تألو ما نأتْ وتباعدتْ ولا هو يألو ما دنا وتقرّبا[٦]
أطعتُ بها قول الوشاة فلا أرى الـ ـوشاةَ انتهوا عنه ولا الدهر أعتبا[٧]
فهلاّ صرمْتِ والحبالُ متينةٌ أميمةُ إن واشٍ وشى وتكذّبا[٨]
إذا خفتَ شكّ الأمرِ فارمِ بعزمة غيابته يركب بك الدهرُ مركبا
وإن وجهةٌ سُدّتْ عليك فُرُوجها فإنّك لاقٍ لا محالة مذهبا
يُلام رجال قبل تجريب غيبهم وكيف يُلام المرءُ حتى يُجرّبا
وإنّي لمعراضٌ قليلٌ تعرّضي لوجه امرئ يوما إذا ما تجنّبا[٩]

---

(١) اللوذعي: الخفيف الذكي، والحُلاحل: السيد الشجاع. وجدعت أنوفهم كناية عن ذلّهم واستكانتهم بعد موته
(٢) بنو العلاّت: مَنْ أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة، ولعلّه يقصد بهم القبائل التي تضافرت عليه، وقتلت إخوته، يقول: إنّهم حين تألّبوا عليه لم تؤثر سهامه فيهم، بل تلقّوها بأيديهم، والشمائل: كناية عن عدم الإصابة
(٣) أصحب الفؤاد: أصابه خَبَل (٤) يريد أنّه لا ينسى الخليل إذا نسيه، يذكره قريباً، ويبكيه بعيداً
(٥) أنّث صرف الليالي لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه، يقول: إنّ صروف الليالي توجب التماس العذر للناس، وإنّ بُعْدَ الشقّة عذرني في طلابك
(٦) يريد أنّها لا تقصرني حفظ عهده إن بعدت، كما إنّه يزيد حبّاً لها إن قربت
(٧) يريد أنّه تظاهر بطاعة الوشاة ليكفّوا عنهما فلم يكفّوا، ولا الدهر أعتبه، أي قبل عتابه
(٨) يقول: هلاّ تظاهرت يا أميمة أنتِ أيضاً بصرم حبال الودّ، وإن كانت في الباطن متينة وثيقة العُرى لتقطع ألسنة الوشاة. (٩) معراض: كثير الإعراض عن الشيء الذي لا يهمّني

قليلٌ عثاري حين أذعر، ساكنٌ   جناني إذا ما الحرب هرّت لتكْلبا(١)
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل   قراهُ ونوِّبْه إذا ما تنوَّبا(٢)
ولا تنتجع شراً إذا حيل دونه   بسترٍ وهبْ أسبابه ما تهيّبا
أنا ابن رَقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي   بنى هادياً يعلو الهواديَ أغلبا(٣)
بنى العزِّ بنياناً لقومي فما صعَوا   بأسيافهم عنه فأصبح مُصعبا(٤)
فما إنْ ترى في الناس أمّاً كأمِّنا   ولا كأبينا حين ننسبُهُ أبا
أتمَّ وأنمى بالبنين إلى العلا   وأكرمَ منا في المناصب منصبا
ملكنا ولم نُملكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ   كأنَّ لنا حقا على الناس تُرتبا(٥)
بآيةِ أنّا لا نرى مُتتوِّجا   من الناس يعلونا إذا ما تعصَّبا(٦)
ولا ملكاً إلا اتّقانا بمُلكه   ولا سوقةً إلا على الخرْج أتعبا(٧)
ملكنا ملوكاً واستبدْنا حماهُم   وكنّا لهم في الجاهلية موكبا(٨)
ندامى وأردافاً فلم تَر سوقةً   توازننا فاسأل إياداً وتغلبا(٩)

فأجابه هدبة، وهذا مختار ما فيها فقال:

تذكَّرَ شجواً من أميمةَ مُنصبا   تليداً ومُنتاباً من الشوق مُجلبا(١٠)
تذكّرَ حبّاً كان في ميْعة الصِّبا   ووجداً بها بعد المشيب مُعتَّبا(١١)
إذا كاد ينساها الفؤادُ ذكرتُها   فيالكِ ما عنّى الفؤادَ وعذّبا
غدا في هواها مستكينا كأنّه   خليعُ قداحٍ لم يجد مُتنشَّبا(١٢)
وقد طال ما عُلِّقْتَ ليلى مُغمَّرا   وليدا إلى أن صار رأسُكَ أشيبا
رأيتك في ليل كذي الداء لم يجد   طبيبا يداوي ما به فتطبّبا

---

(١) هرّت: كشَرت عن أنيابها، تكلب: تشتدّ.   (٢) نوبه: احفظ حقَّه في النوبة عند الركوب ونحوه

(٣) الهادي: العنق، والأغلب: الغليظ العنق.   (٤) ماصع: جالَد

(٥) تُرتَب: ثابت لازم.   (٦) الآية: الدليل، وتعصَّب: لبس العصابة: عصابة المُلك

(٧) السُّوقة: من عدا الملك، والخَرج: الضريبة ونحوها، يعني أنَّ الناس كانوا يتعبون في تأدية الخراج، وهم مُعْفَون.   (٨) موكبا: يريد كُنّا جنودهم عند الحرب

(٩) أرداف: جمع ردِف وهو خليفة الملك في الجاهلية، يجلس عن يمينه، ويشرب بعده، وينوب عنه في الحكم إذا غزا   (١٠) منصب: متعب، ومجلب: من أجلب، الجرح: علته القشرة

(١١) معتَّب: مستوجب للعتاب واللوم.   (١٢) الخليع: مَنْ غُلِب في القمار، والمتنشَّب: من النشب وهو النبل

فلما اشتفى مما به كرَّ طبُّه على نفسه من طول ما كان جرّبا[1] (٢٥٩/٢١)

(٣٦٠)

قال ابنُ سلاّم: وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مُقلّدا - والمُقلّدُ: المُغْنِي المشهورُ الذي يضرب به المثل - من ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبُّني كأنّ أباها نهْشلٌ أو مُجاشعُ

وقوله: ليس الكرام بناحليك أباهُم حتى يُردَّ إلى عطية نهْشل

وقوله: وكنّا إذا الجبّار صعّر خدّه ضربناه حتى تستقيم الأخادع[2]

وقوله: وكنتَ كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوماً أحال على الدّم[3]

وقوله: تُرجّي ربيعُ أن تجيءَ صغارُها بخير وقد أعيا رُبيعاً كبارُها

وقوله: أكلتْ دوابرها الإكامُ فمشيها مما وجنْن كمشية الإعياء[4]

وقوله: قوارص تأتيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الإناءَ فيَفْعَمُ

وقوله: أحلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جنًّا إذا ما نجهل

وقوله: وإنّك إذ تسعى لتدرك دارما لأنتَ المعنّى يا جرير المكلّفُ

وقوله: ترى كل مظلوم إلينا فرارُه ويهربُ منا جهده كُلُّ ظالم

وقوله: ترى الناس ما سرْنا يسيرون حولنا وإن نحن أومأنا إلى الناسِ وقّفوا

وقوله: فسيف بني عبسٍ وقد ضربوا به نبا بيَدَيْ ورْقاء عن رأسِ خالدِ[5]

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ويقطعن أحيانا مناط القلائدِ

وكان يُداخل الكلام، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو[6]، من ذلك قوله يمدح هشامَ بن إسماعيل المخزوميَّ خالَ هشام بن عبد الملك:

---

(١) يريد أنّه كلّما شُفي من داء الحبّ عاوده الحنين إلى الداء والدواء من جديد.

(٢) صعّر خدّه: أماله تكبّراً. والأخادع: جمع أخدع، وهو أحد عرقين في جانب العنق.

(٣) أحال على الدم: أقبل عليه، ويضرب هذا البيت مثلاً لمن إذا نزلت بصاحبه مصيبة استغلّها لمصلحته بدل أن يفرّجها عنه. (٤) دوابر: جمع دابرة، وهي العرقوب، والآكام: جمع أكمة، وجنن: من الوجا وهو رقّة الحافر من كثرة المشي. والبيت وصف للناقة يضمرها السير.

(٥) يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حين أمسك به خالد غريمه فحاول ورقة بن زهير إنقاذ أبيه، فضرب خالداً. فنبا سيفه، وضرب أحد أنصار خالد زهيراً ففلق رأسه.

(٦) مردُّ إعجابهم إلى اتّخاذهم من شعره شواهد.

وأصبح ما في الناس إلا مُملَّكا   أبو أمــه حــيٌّ أبــوه يُقاربــه

وقوله: تالله قد سفهَتْ أميَّةُ رأيها   فاستجهلت سُفاؤها حلماءها

وقوله: ألــستم عائجين بــنــا لعنّا   نرى العرصاتِ أو أثرَ الخيـــام(١)

فقالوا إن فعلتَ فاغنِ عنا   دُمــوعاً غــيرَ راقئة السِّجام(٢)

وقوله: فهل أنتَ إن ماتت أتانُكَ راحلٌ   إلى آل بسطامِ بن قيس فخاطبُ

وقوله: تعالَ فإن عاهدتني لا تخونُني   نكنْ مثلَ مَنْ - ياذئبُ - يصْطحبان(٣)

وقوله: إنَّا وإياك إن بلّغْن أرحلنا   كمَنْ بواديه بعد المحْل ممْطورُ(٤)

وقوله: إلى ملك ما أُمُّهمن محارب   أبوه ولا كانت كليبُ تصاهرُه

وقوله: إليك أميرَ المؤمنين رمتْ بنا   هموم المنا والهوجلُ المتعسِّف(٥)

وعضُّ زمانٌ يابن مروان لم يدعْ   من المال إلا مُسحتاً أو مُجلَّف(٦)

وقوله: ولقد دنت لك بالتخلّف إذْ دنت   منهـا بلا بخـلٍ ولا مبذولِ

وكأنَّ لونَ رُضابِ فيها إذ بدا   بردٌ بفرع بشامةٍ مصْقولُ(٧)

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إنّ ابن ضـبَّاري ربيـعـةَ مـالكاً   لله سـيـف صنيـعـةٍ مـسْــلولُ

مــا نال مــن آل المُعلّى قـبلـه   ســيـفٌ لكل خليــفــة ورســولُ

ما من يدَيْ رجُلٍ أحقُّ بما أتى   من مكــرمات عطاية الأخطارُ(٨)

وقوله: إذا جئته أعطاك عفوا ولم يكن   على ماله حال الندى منك سائلهُ(٩)

لدى ملك لا تنصف النعلُ ساقه   أجل لا، وإن كانت طوالا حمائلهُ(١٠)

---

(١) لَعَنَّا: أصلها (لعلّنا) وهذا هو موضع الشاهد. (٢) غير راقئة السجام: دائمة الهملان

(٣) الخطاب للذئب، والمداخلة هنا هي فَصلُه بين الموصول (مَنْ) وصلته (يصطبحان) بالنداء.

(٤) ضمير (إيّاك) للممدوح، ونون بلغن للرواحل، وممطور: خبر مبتدأ محذوف، تقديره هو، يعني إذا بلغناك كُنّا كمن أمطر واديه بعد الجدب. (٥) الهوجل المتعسِّف: الدليل المتعسِّف.

(٦) المسحت: الكسب الخبيث، والمجلَّف: الموقع صاحبه في الجدب. (٧) البشام نوع من الشجر وفي البيتين إقواء. (٨) يمدح رجلاً فيقول: لا يَدَيْن أحقُّ بالمكرمات من يديه اللتين يستعين بهما يزيد ويشدّ بهما عقد جواره. (٩) يريد أنّك إذا جئته أعطاك عفواً، ولم يكن منك سائل له عند العطاء.

(١٠) لا تنصف النعل ساقه: لا تبلغ نصفها، كناية عن قصر النعل، وطوال حمائله: هي حمائل السيف، كناية عن طول القامة، يريد أنّه قصير النّعل لكي لا تعوقه عن الحركة، وأن كان طويل القامة، وقوله: أجل تأكيد لمضمون الجملة، وقوله لا، تأكيد للا في المصراع الأول.

وقوله: والشيب ينهضُ في الشباب كأنَّه ليلٌ يسيرُ بجانبيه نهارُ (٢١/٢٠٥)

(٣٦١)

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي حاتم السجستانيّ، عن أبي عبيدة، قال: سمعت يونس يقول: لولا شعرُ الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. (٢١/٢٩٥)

(٣٦٢)

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال: حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حدَّثني جماعة من كُتّاب السلطان: أنَّ الرشيد غضب على عُليَّة بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشِّطرنجيَّ شاعرها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، ويسأله الرضا عنها، فيستعطفه لها فقال:

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحبه من أن يكونَ له ذنبٌ إلى أحدِ
كانت عُليَّةُ أبرا الناس كلِّهِمُ من أن تُكافَ بسوء آخر الأبد
مالي إذا غبتُ لم أذكر بواحدةٍ وإن سقمْتُ فطال السُّقْمُ لم أعَدِ
ما أعجب الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي

فأتاها بالأبيات، فاستحسنتها. (٢٢/٤٨)

(٣٦٣)

حدَّثني جعفر بن الحسين، قال: حدَّثني ميمون بن هارون، قال: حدَّثنا أبي عن أبي حفص الشِّطرنجي: قال: قال لي الرشيد يوماً: يا حبيبي، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قلتهما، قلت: ما هما يا سيدي؟ فمنْ شر فهما استحسانك لهما، فقال: قولك:

لم ألْقَ ذا شجن يبوح بحُبِّه إلا حسبتُك ذلك المحبوبا
حذرا عليكِ وإنني بكِ واثقٌ ألاَّ ينالَ سواي منكِ نصيبا

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ليسا لي، هما للعباس بن الأحنف، فقال: صدقْتَ والله أعجبُ إليَّ. وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول:

إذا سرَّها أمرٌ وفيه مساءتي قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مرَّ يوم أرتجي فيه راحةً فأذكُره إلاَّ بكيتُ على أمْسي (٢٢/٥٠)

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني حمّادُ بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الرّاوية، قال: دخلتُ على الوليد بن يزيد، وهو مُصطبح، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة وأبو كامل، وحكم الوادي، وعمر الوادي يُغنُّونه، وعلى رأسه وصيفة تسقيه، لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً، فقال لي: يا حماد، أمرتُ هؤلاء أن يغنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة، وجعلْتها لمن وافق صفتها نِحلةً(١)، فما أتى أحدٌ منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك؛ فأنشدته قول ربيعة بن مقروم الضّبّيّ:

دارٌ لسُعْدى إذ سُعاد كأنّها ... رشأٌ غريرُ الطّرفِ رخْص المفصلِ(٢)
شمّاء واضحةُ العوارضِ طفلةٌ ... كالبدر من خلل السحاب المنجلي(٣)
وكأنّما ريحُ القرنفُلِ نشرُها ... أو حنْوةٌ خُلطَتْ خُزامى حوْملِ(٤)
وكأنّ فاهاً بعد ما طرق الكرى ... كأسٌ تُصفّق بالرحيق السّلسلِ
لو أنها عرضت لأشْمط راهبٍ ... في رأس مُشرفة الذُّرا متبتّلِ(٥)
جارٍ ساعاتِ القيام لربِّه ... حتى تخدَّدَ لحمُه مُستعملِ(٦)
لصبا لبهجتها وحُسنِ حديثها ... ولهمَّ من ناموسه بتنزُّلِ(٧)

فقال الوليد: أصبتَ وصفها، فاخترها أو ألفَ دينار، فاخترتُ الألف الدينار، فأمرها، فدخلتْ إلى حرمه وأخذتُ المال، وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّده وحسنه، فمن مختارها ونادرها قوله:

---

(١) نِحلة: عطاءٌ.

(٢) رَخْص: ناعم.

(٣) العوارض: جمع عارضة وهي الثنيّة من الأسنان، أو صفحة الخدّ، وطفلة: ناعمة.

(٤) الحنوة: الريحانة، والخزامى: نبات عطريّ الرائحة، وحومل: اسم مكان، يقول: كأنّ ريحها ريح القرنفل، أو ريح الريحان المخلوط بخزامى حومل.

(٥) الأشمط: المختلط سواد شعره ببياض، وفي رأس مشرفة الذرا: في رأس قمّة عالية، متبتّل: متعبّد.

(٦) جار: مبالغة من جأر: رفع صوته، والمراد هنا رفع الصوت بالتسبيح ونحوه، وهو صفة لأشمط في البيت السابق، وتخدّد لحمه: تشقّق من كثرة قيام الليل، ومستعمل: يستخدم أعضاءه في أعمال التعبّد.

(٧) لصبا: جواب (لو) في البيت الخامس، والناموس: بيت الراهب، وخلاصة المعنى أنّ هذه الفاتنة لو عرضتْ لراهب هذه صفته لمال إليها، وكاد يولّي وجهه شطرها لا شطر القبلة.

بل إنْ ترى شمطاً تفرّع لِمّتي … وحنا قناتي وارتقى في مِسْحلي(١)
ودلفتُ من كبرٍ كأنّي خاتلٌ … قنصاً ومن يدبِبْ لصيدٍ يختلِ(٢)
فلقد أرى حَسنَ القناة قويمها … كالنَّصْل أخلصه جلاءُ الصَّيقل(٣)
أزمانَ إذْ أنا والجديدُ إلى بلى … تُصبى الغواني ميْعتي وتنقُّلي(٤)
ولقد شهدْتُ الخيل يوم طرادها … بسليم أوظفةِ القوائم هيكلِ(٥)
متقاذفٍ شنِجِ النَّساعبْلِ الشَّوى … سبَّاقِ أنديةِ الجياد عَمَيثلِ(٦)
لولا أكفكفه لكان إذا جرى … منه العزيم يدقُّ فأسَ المسحلِ(٧)
وإذا جرى منه الحميمُ رأيته … يهوي بفارسه هُويَّ الأجدلِ(٨)
وإذا تعلَّلُ بالسِّياط جيادُها … أعطاك نائيه ولم يتعلّلِ(٩)
ودعوْا نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ … وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ؟
ولقد جمعتُ المالَ من جمعْ امرئٍ … ورفعتُ نفسي عن لئيم المأكلِ(١٠)
ودخلتُ أبنيةَ الملوك عليهمُ … ولشرُّ قول المرءِ ما لم يُفعلِ
ولرُبَّ ذي حنَقٍ عليَّ كأنما … تغلي عداوةُ صدْره كالمِرْجلِ

---

(١) الخطاب في البيت لمحبوبته أو زوجته. وتفرّع لِمّتي: انتشر وتفشّى فيها. وحنا قناتي: قوّس ظهري. والمسحل: جانب اللحية.

(٢) الختل: الخداع. شبّه مشية الشيخ الوئيدة بمشية مَنْ يريد مباغتة الطير ليصيده، فهو يتئد في سيره، حتى لايُحدث حركة.

(٣) الصَّيقل: الحدّاد. يقول: إنْ شوّه الشيب منظري اليوم فقد كنت بالأمس حسن القوام مثل النّصل.

(٤) الميعة من كلّ شيء: أوله. والمراد هنا عهد الشباب.

(٥) سليم: صفةٌ موصوف محذوف. أي بفرس سليم. وأوظفة: جمع وظيف وهو مستدَق الذراع والساق من الفرس ونحوه. وهيكل: ضخم.

(٦) متقاذف: سريع. وشنج: منقبض. والنّسا: عصب الورك يمتدّ منه إلى الكعب. وعبل الشّوى: مندمج الأطراف. وعميثل: ضخم قوي.

(٧) العزيم: الجري. والمسحل: اللجام. وفأس المسحل: حديدته التي في حنك الفرس. يقول: لولا أنّني أزجره، وأخفّف من وطأة سيره لقضم فأس اللجام.

(٨) الحميم: العرق. والأجدل: الصقر. وسيلان العرق: كناية عن الحموّ والإيغال في العدو.

(٩) جيادها: جياد الخيل. أي احتاج جياد الخيل إلى السياط أعطاك هو المكان النائي دون حاجة إليها.

(١٠) تنكير امرئ هنا للتعظيم. أي من جمع امرئ عظيم كريم.

أزْجيتُه عنّي فأبصر قصده   وكَويتُه فوق النّواظر من علِ(١)
وأخي محافظةٍ عصى عُذّالَه   وأطاع لذّته مُعمٍّ مُخوِلِ
هشٌ يُراحُ إلى النّدى نبّهتُه   والصبحُ ساطعُ لونِه لم ينْجلِ(٢)
فأتيتُ حانوتاً به فصبحتُه   من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتلِ(٣)
صهباءَ إلياسيَّةٍ أغلى بها   يَسرٌ كريمُ الخيم غيرُ مُبخَّلِ(٤)
ومُعرِّسٍ عَرْضِ الرداء عرسْتُهُ   من بعد آخر مثله في المنزلِ(٥)
ولقد أصبتُ من المعيشة لينها   وأصابني منه الزمانُ بكلكلِ
فإذا وذاك كأنه ما لم يكن   إلا تذكُّره لمن لم يجهلِ
ولقد أتت مائةٌ عليَّ أعدُّها   حولاً فحولاً لا بلاها مُبتلِ
فإذا الشّباب كمبْذَلٍ أنضيتُه   والدهرُ يُبلي كلَّ جدةٍ مبْذلِ(٦)
هلاّ سألتِ وخُبْرُ قومٍ عندهم   وشفاءُ غيِّكِ خابرا أن تسألي
هل نُكرم الأضيافَ إنْ نزلوا بنا   ونسودُ بالمعروف غيرَ تنحُّلِ؟(٧)
ونحُلّ بالثّغر المخوفِ عدوُّه   ونردُّ حالَ العارض المتهلّلِ(٨)
ونُعين غارمنا ونمنع جارنا   ونزينُ مولى ذكرنا في المحْفلِ(٩)
ومتى تقم عند اجتماع عشيرةٍ   خطباؤنا بين العشيرة يُفْصلِ(١٠)
ويرى العدوُّ لنا دروءاً صعبةً   عند النجوم منيعةَ المتأوّلِ(١١)
وإذا الحمالةُ أثقلت حُمّالها   فعلى سوائمنا ثقيلُ المَحْمَلِ(١٢)

---

(١) أزجيته: دفعته.   (٢) يراح إلى الندى: يرتاح إليه.   (٣) العاتق: الخمر المعتّقة، ولم تُقتل: لم تمزج بالماء.

(٤) إلياسيةٌ: نسبة إلى إلياس، وجاء في هامش الاغاني: «ولعلّه اسم الخمّار»، ولم أجد له ذكرا في كتاب المحب والمحبوب للسري الرفّاء مع مَنْ ذكرهم من الخمّارين، ويسر: سمح سهل، والخِيم: الأصل

(٥) المعرّس: مكان التعريس، الإقامة ليلاً، وعُرْض الرداء: يشير إلى مساحته

(٦) المبذل: الثوب يُلبس في المهنة.   (٧) غير تنحّل: غير ادّعاء وكذب.

(٨) العارض المتهلّل: السحاب المعترض في الأفق، ولعلّه يقصد به الجيش العرمرم.

(٩) المولى: من معانيه الصديق، يريد أنّ الصديق إذا ذكرهم في محفل وجد ما يقوله.

(١٠) يريد أنّ خطباءهم أرباب القول الفصل في الخصومات التي تقع بين القبائل

(١١) الدروء: جمع درء، وهو النتوء في الجبل، والمتأول: من تأول الأمر: توسّمه ورآه، يريد أنّ لهم مراكب وعرة، لايتوسمها أو يتحرى سلوكها إنسان. (١٢) الحمالة: ما يُحمل من الديات ونحوها، والسائمة: الماشية، يريد أنّ إبلهم تتكفّل بأداء الحمالات المطلوبة، وإن ثقل محملها

ونحـــقٌ فـي أمـــوالنا لحليفنـا حقّـاً يبـوء بـه وإن لـم يسـألِ (١٠١/٢٢)

(٣٦٥)

حدّثني عمّي قال: حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال: كان أحمدُ بنُ المدبِّر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملا، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينْكبُه، وبلغ أحمد ذلك فهرب. وكان عُبيد الله منحرفاً عن إبراهيم(١)، شديد النَّفاسة(٢) عليه برأي المتوكل فيه، فأغراه به، وعرّفه خبر أخيه، وادَّعى عليه مالاً جليلا، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبْسه، فقال وهو محبوس:

تسلَّى ليس طولُ الحبس عاراً وفـيـه لـنـا مـن الله اخـتـيـارُ
فلولا الحبس ما بُلي اصطبارٌ ولـولا الليـلُ مـا عُـرِف النهارُ
ومـا الأيّـام إلا مُعْقـبـاتٌ ولا السلطانُ إلا مـسـتـعـارُ(٣)
وعن قدرٍ حُبِستُ فلا نقيضٌ وفـيـمـا قـدَّر اللـهُ الخيـار
سـيُفْرجُ مـا ترينَ إلى قليلٍ مـقـدَّره وإن طـال الإسـارُ

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حسانٌ مختارة، منها قوله في قصيدة أولها:

أدموعُها أم لؤلؤٌ متناثرٌ يندى به وردٌ جنيٌ ناضرُ

يقول فيها:

لا تؤيسـنَّكَ مـن كـريم نبـوةٌ فالسـيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ
هـذا الزمـانُ تسـومُني أيامُه خـسْفـا وهاأنذا عليـه صـابرُ
إن طال ليلى في الإسار فطالما أفنيتُ دهـراً ليلُـه متقـاصرُ
والحبس يحجُبني وفي أكنافه مِنّي على الضَّراء ليثٌ خادرٌ(٤)
عـجبـاً له كيف التقـت أبوابُه والجودُ فيه والغمامُ الباكرُ؟
عـلا تقطّع أو تصـدَّع أو وهى فـعـذرتُـه: لكـنَّه بي فـاخــرُ

ومنها قوله في قصيدة أولها:

ألا طـرقتْ سـلْمى لدى وقـعْـةِ السَّاري فريـداً وحـيداً موثقاً نـازح الدارِ
هو الحبْسُ ما فيه عليَّ غضـاضـةٌ وهل كان في حبس الخليفة من عار؟

---

(١) هو إبراهيم بن المدبّر أخو أحمد

(٢) النفاسة: مصدر نفست عليه الشيء إذا ضننت به، ولم تحب أن يصل إليه.

(٣) معقبات: يعقب بعضها بعضاً بالخير أو الشر (٤) أكنافه: نواحيه، جمع كنف، وخادر: ملازم لأجمته

يقول فيها:

ألستِ ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها ... وبهجتُها بالحبس في الطين والقار[1]
وما أنا إلا كالجواد يصونه ... مقوِّمه للسَّبْق في طيِّ مضمارِ
أو الدُّرةِ الزهراء في قعرِ لُجَّةٍ ... فلا تُجتلى إلا بهولٍ وأخطارِ
وهل هو إلا منزلٌ مثلُ منزلي ... وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتيَ أو داري؟
فلا تنكري طولَ المدى وأذى العدى ... فإنَّ نهاياتِ الأمورِ لإقصارِ
لعلَّ وراء الغيبِ أمراً يسرُّنا ... يقدِّرُه في علمه الخالقُ الباري
وإنِّي لأرجو أن أصولَ بجعفرٍ ... فأهضمَ أعدائي وأدركَ بالثَّارِ (٢٢/١٥٩)

(٣٦٦)

أخبرني علي بن العباس قال: حدّثني أبي قال: كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عَريبُ، فقال لها: رأيت البارحة في النوم أبا العبيس وقد غنَّى في هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه:

يا خليليَّ أرقْنا حـزَنا ... لِسَنا برقٍ تبدّى موْهِنا[2]

وكأنّي أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول:

وجلا عن وجهٍ دعدٍ موْهِنا ... عجباً منه سناً أبدى سنا

فقالت: ما أملح والله الابتداءَ والإجازة! (٢٢/١٨٥)

(٣٦٧)

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدّثني ابن خرْداذبة قال حدّثني عليّ بنُ الجهم: قال كنتُ يوماً عند المتوكل وهو يشربُ ونحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مغلَّفة فقبَّلتها، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها، وضحك ضحكاً شديداً، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها وإذا فيها:

يا طيبَ تُفاحةٍ خلوتُ بها ... تُشعل نارَ الهوى على كبدي
أبكي إليها وأشتكي دَنَفي ... وما ألاقي من شدَّة الكمدِ
لو أن تفاحةً بكت لبكت ... من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنتِ لا ترحمين ما لقيتْ ... نفسي من الجهد فارحمي جسدي

قال: فوالله ما بقيَ أحد إلا استظرفها، واستملحها. (٢٢/٢٠١)

---

(١) القار والقير: ما يُدهن به سداد الدنان. (٢) موهن: نحو نصف الليل

(٣٦٨)

قال: وأنشدنا ابن الأعرابيّ لعتيبة بن مرداس، وكان يستحسنُ هذه الأبيات ويستجيدُها:

مُنعَّمةٌ لم يُغذها أهلُ بلدةٍ ولا أهلُ مُصرٍ فهي هيفاءُ ناهدُ

فريعتْ فلم تخبا ولكن تأوّدتْ كما انتصَّ مكحولُ المدامع فاردُ(١)

وأهوت لتنتاشَ الرِّواق فلم تقُم إليه ولكن طأطأته الولائدُ

تليلةُ لحم الناظرين يزينها شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردُ

تناهى إلى لهو الحديثِ كأنها أخو سقمٍ قد أسلمته العوائد

ترى القُرطَ منها في قناة كأنَّها بمهلكةٍ لولا البُرا والمعاقد (٢٣٢/٢٢)

(٣٦٩)

أخبرني الحُسين بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا مصعب بن عبد الله الزبيريّ قال: بلغني أن صالح بن حسان قال يوماً لجلسائه: أيُّ الشعراء أفتى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، وأكثروا القول، فقال: أفتاهم النمر بن تولب حين يقول:

أهيمُ بدعدٍ ماحييتُ وإن أمُتْ فواحزنا مَنْ ذا يهيمُ بها بعدي!(٢) (٢٧٧/٢٢)

(٣٧٠)

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، وأخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال: أظرف الناس النَّمر بن تولب حيث يقول:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإن أمت أوكِّلْ بدعدٍ مَنْ يهيم بها بعدي (٢٧٨/٢٢)

(٣٧١)

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال: حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدّه:

---

(١) انتصَّ: سار (٢) يُنسب هذا البيت لنُصيب أيضاً، ينظر الموشح (ص ٢٥٣، ٢٦٠، ٦٢٨)، وقد جوبه هذا البيت بنقد شديد من السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما التي قالت «كأنّه يتمنّى لها مَنْ يتعشّقها بعده» الموشح (ص ٢٥٣)، ومن عبد الملك بن مروان أيضاً، ينظر الموشح (ص ٢٩٩)، ومن (جنّي) مرّة ثالثة إذ أجابه ببيتين موجودين في الموشح (ص ٢٦٨). ويبدو أنَّ مقياس الفتوة له وجوه متعدّدة

أعـذني ربّ من حصر وعيٍّ ... ومن نفسٍ أعـالجـهـا عـلاجـا(١)
ومن حاجات نفسٍ فاعصمنّي ... فـإنّ لمضْمـرات النفس حـاجا
فـأنت وليُّـهـا وبرئـتُ منهـا ... إليك فما قضيتُ فلا خلاجا(٢)

ثم قال: كان النمر أفتى خلقِ الله. فقلت: وما كانت فتوّته؟ قال: أو ليس فتى من يقول:
أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمتْ ... فواحزناً من ذا يهيم بها بعْـدي؟ (٢٨٤/٢٢)

(٣٧٢)

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال: كان عبدُ بني الحسحاس حلْو الشعر رقيق الحواشي(٣). (٣٠٤/٢٢)

(٣٧٣)

أخبرني محمد بن يونس الكاتب قال: حدّثنا أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ قال: دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال: أنشدني يا أصمعيّ شعراً مليحاً، فقلت: أرصيناً فحلاً تُريده يا أمير المؤمنين أم شجيّاً سهلاً؟ فقال: بل غزلا بين الفحْل والسَّهل. فأنشدتُه للعُديل بن الفرخ العِجْليّ:

صحا عن طلابِ البيضِ قبل مشيبه ... وراجع غضَّ الطرف فهو خفيضُ
كأنّيَ لم أرعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيّ أحْوى المقلتين غضيضُ
دعاني له يوماً هوى فأجابه ... فؤادٌ إذا يلقى المراض مريضُ
لمستأنسات بالحديثِ كأنّه ... تهلُّلُ غُرٍّ برقُهنّ وميضُ

فقال لي: أعدْها، فما زلت أكررها عليه، حتى حفظها. (٣٤٢/٢٢)

(٣٧٤)

وهذه القصيدة يمدح بها نصيب الأصغر، هارون الرشيد، وهي من جيّد شعره وفيها يقول:
خليليّ إنّي ما يزالُ يشوقُني ... قطينُ الحمى والظاعنُ المتحمِّلُ

---

(١) الحَصَر: ضربٌ من العيّ، وفعله حَصِر: لم يقدر على الكلام. ينظر لسان العرب (١٩٣/٤). وأورد الجاحظ في البيان والتبيين (٣/١)، وهو يتعوّذ من العيّ والحَصَر. (٢) خلاجاً: نزاعاً وشكّاً.
(٣) الحواشي: جمع حاشية، وحاشيتا الثوب: جانباه اللّذان لا هُدْب فيهما، وعيش رقيق الحواشي: ناعم في دعة. ينظر لسان العرب (١٨١/١٤). فكأنّهم يريدون برقيق الحواشي رقّة الشعر، وعذوبته، وسلامته

فأقسمت لا أنسى ليالي مَنْعِجٍ ... ولا مأسلٍ إذ منزلُ الحي مأسلُ(١)

أمن أجل آيات ورسم كأنه ... بقية وحْيٍ أو رداءٌ مسلسلُ(٢)

جرى الدمعُ من عينيك حتى كأنّه ... تحدُّرُ دُرٍّ أو جُمانٌ مُفصّلُ

فيأيُّها الزنجيُّ مالكَ والصِّبا ... أفقْ عن طلاب البيضِ إن كنت تعقلُ

فمثلك من أحبوشة الزّنج قُطِّعت ... وسائلُ أسبابٍ بها يُتوسَّلُ

قصدنا أميرَ المؤمنين ودونه ... مهامهُ موماةٍ من الأرض مجْهَلُ

على أرحبيَّاتٍ طوى السيرُ فانطوتْ ... شمائلُها مما تُحلُّ وترْحلُ(٣)

إلى ملكٍ صلْت الجبين كأنه ... صفيحةُ مسنون جلا عنه صيقلُ(٤)

إذا انبلجَ البابانِ والسترُ دونه ... بدا مثلَ ما يبدو الأغرُّ المحجَّلُ

شريكانِ فينا منهُ عينٌ بصيرة ... كلوءٌ وقلبٌ حافظ ليس يغفُلُ

فما فاتَ عينيْه وعاهُ بقلبه ... فآخِرُ ما يرعى سواءٌ وأوَّلُ

وما نازعت فينا أمورك هفْوةٌ ... ولا خطلة في الرأي والرأيُ يخطلُ

إذا اشتبهتْ أعناقُه بيَّنت له ... معارفُ في أعجازه وهو مُقبلُ

لئن نال عبدُ الله قبلُ خلافةً ... لأنتَ من العهد الذي نلتَ أفضلُ

وما زادك العهدُ الذي نلتَ بسطةً ... ولكن بتقوى الله أنتَ مُسربلُ

ورثتَ رسولَ الله عُضْوا ومفصلا ... وذا من رسول الله عُضوٌ ومفصلُ

إذا ما دهتْنا من زمانٍ مُلمَّةٌ ... فليس لنا إلا عليك المعوَّلُ

على ثقةٍ منا تحِنُّ قلوبُنا ... إليكَ كما كُنَّا أباكَ نُؤمِّلُ

وهي قصيدة طويلة، هذا مختار من جميعها. (١/٢٣)

(٣٧٥)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد النحويّ، قال: حُدِّثت من غير وجه: أنّ النُّصيب دخل على الفضل بن يحيى بن خالد مسلِّما، فوجد عنده جماعة من الشعراء

---

(١) مَنْعِج: واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن فلج، وحدثت فيه وقعة لبني يربوع بن حنظلة وسُمِّي اليوم (يوم منعج)، ينظر معجم البلدان (٢١٣/٥)، ومأسل: اسم رملة، وقيل: ماء في ديار بني عقيل. وقال ابن دريد: ماء ونخل لعقيل، ومن دارات العرب مأسل. ينظر معجم البلدان (٤٢/٥)

(٢) الوحي: الكتاب، والمسلسل: رديء النسج. (٣) الأرحبيات: نجائب منسوبة إلى أرحب

(٤) صلْت: واضح، والمسنون: الرمح، صفيحته: ناحيته، والصيقل: الحدّاد

قد امتدحوه، فهم ينشدونه، ويأمر لهم بالجوائز، ولم يكن امتدحه، ولا أعدّ له شيئاً. فلمّا فرغوا - وكان يُروّى قولا في نفسه - استأذن في الإنشاد، ثم أنشد قصيدته التي أولها قوله

طرقتك ميّةُ والمـزار شطيب ... وتُشيبكَ الهجرانَ وهيْ قريبُ (١)
للـه مـيـةُ خلّـةٌ لـو أنّهـا ... تجـزي الوداد بودّها وتُثـيبُ
وكـأنّ مـيّةَ حين أتلع جيـدُها ... رشـأ أغنُّ مـن الظبـاء ربيبُ(٢)
نصفان ما تحت المؤزّر عاتكٌ ... دعْصٌ أغرُّ وفوقَ ذاك قضيبُ(٣)
مـا للمـنازل لا تكـاد تجيـبُ ... أنّى يُجـيبك جندلٌ وجـبـوبُ(٤)
جـادتْك من سبل الثريا ديمةٌ ... ريًّا ومن نـوء السِّـمـاك ذَنوبُ(٥)
فلقد عـهدتُ بك الحلال بغبطة ... والدهـر غضٌّ والجنابُ خصيبُ
إذ للشـبـاب عليَّ من ورق الصِّبا ... ظلٌّ وإذ غُصْنُ الشـبـاب رطيبُ
طربَ الفـؤاد ولاتَ حين تطرُّبٍ ... إنَّ الموكَّـل بالصِّبـا لطـروبُ
وتقـول مـيّةُ مـا لمثلك والصِّبا ... واللـون أسـودُ حـالكَ غـربيبُ؟
شاب الغرابُ وما أراكَ تشـيبُ ... وطلابُك البيضَ الحسانَ عجيبُ
أعـلاقةٌ أسـبـابُهنَّ وإنّمـا ... أفنانُ رأسِـكَ فلفُـلٌ وزبيبُ(٦)
لا تهزئي مني فـربُّتَ عـائبٍ ... مـالا يعيبُ الناس وهو معيبُ
ولقد يُصاحبني الكرامُ وطالما ... يسـمـو إليَّ السيّدُ المحجوبُ
وأجرُّ من حُلَل الملوكِ طرائفا ... منها عليَّ عصـائبُ وسـبيبُ(٧)
وأسالبُ الحسناء فضلَ إزارها ... فأصورها وإزارُها مسلوبُ(٨)
وأقول منقوح البديَ كـأنّه ... بردٌ تنافسه التِّجارُ قشيبُ(٩)

---

(١) شطيب: بعيد. (٢) أتلع: طال، وأغنّ: رقيق، وربيب: ربِّي في البيوت زيادة في نعومته.

(٣) العاتك: الخالص من الألوان المحمّر من الطيب، دعص: مرتفع مثل تلّ الرمل

(٤) جَبوب: وجه الأرض الصلّب.

(٥) ديمة: سحابة، النوء: المطر، والذنوب: الشديد الانصباب.

(٦) الأسباب: جمع سبب، والمراد كيف تهيم بنوات الشعر المرسل وأنت جعد الشعر

(٧) الطرائف: الهدايا الثمينة، والعصائب: جمع عِصابة وهي العمامة، وسبيب: جمع سبيبة وهي شقّة رقيقة من الثياب أي نوع كان.

(٨) أصورها: أميلها (٩) البديّ: البديهة، ومنقوح الكلام: مهذّبه ومحررّه. يصف شعره ويشبّهه بالبُرد الثمين الغالي الذي يتنافس التجار عليه

يقول فيها في مدح الفضل:

والبرمكيُّ إذا تقارب سنُّه ... أو باعدته السنُّ فهو نجيبُ
خرِقُ العطاء إذا استهلَّ عطاؤه ... لا مُتبِعٌ منًّا ولا محسوبُ
يا آل برمك ما رأينا مثلكم ... ما منكمُ إلا أغرُّ وَهوبُ
وإذا بدا الفضلُ بنُ يحيى هِبْتَه ... لجلالِه إنَّ الجليلَ مَهيبُ
قاد الجيادَ إلى العدا وكأنَّها ... رِجْلُ الجراد تسوقهنَّ جَنُوبُ(١)
قُبًّا تُباري في الأعنَّة شُزَّبا ... تدعُ الحُزُونَ كأنَّهنَّ سُهُوبُ(٢)
من كل مضطرب العنان كأنه ... ذئب يبادره الفريسة ذيبُ
تهوي بكلِّ مغاورٍ عاداتُه ... صدقُ اللقاء فما له تكذيبُ
حتى صبحن الطالبيَّ بعارضٍ ... فيه المنايا تغتدي وتئوبُ(٣)
خاف ابنُ عبد الله ما خوَّفته ... فجفاك ثم أتاك وهو مُنيبُ(٤)
ولقد رأك الموتَ إلا أنَّه ... بالظنِّ يُخطئ مرة ويُصيبُ
فرمى إليكَ بنفسه فنجا بها ... أجلٌ إليه ينتهي مكتوبُ
فكسوتَه ثوبَ الأمان وإنَّه ... لا حبلُه واهٍ ولا مقضوبُ
شِمْنا إليك مخيلةً لا خُلَّباً ... في الشَّيم إذ بعض البروق خَلوبُ

---

(١) رجل الجراد: الطائفة العظيمة من الجراد، تسوقهنّ: تدفعهنّ، جنوب: ريح.

(٢) قُبًّا: ضوامر مفردها أقبّ، يصف الخيل في البيت السابق، وشزّباً: يابسة خشنة، جمع شازب، الحزون جمع حَزْن: وهو ما غلظ من الأرض، وسهوب: جمع سهب وهو المنبسط من الأرض السهل، يقول: إن كثرة هذه الجياد، وشدّة وطئها على الأرض تجعل غليظها سهلاً.

(٣) الطالبيّ: يشير إلى أحد العلويين الخارجين على الخلافة، وقد أرسلت هذه الخيل إليه لتقاتله، والعارض: ما اعترض في الأفق فسدّه، ويريد به الجيش الذي كان يركبُ تلك الخيل وقد حمل الموت إلى ذلك الطالبيّ.

(٤) ابن عبد الله هو المشار إليه في البيت السابق بالطالبي، وهو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان حسن المذهب والهدى، مقدماً في أهل بيته، خرج مع الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب لمّا دعا إلى نفسه، وبعد مقتله في وقعة فخّ، وهو وادٍ بمكة، استتر مدة يجول في البلدان، حتى دخل الديلم، بإشارة من الفضل بن يحيى والتقى به الفضل في الديلم، حين جاء والياً على جميع كور المشرق وخراسان، وكُتِب له كتاب أمان هو وأصحابه، وقدم على الرشيد، فأكرمه، وتوفي في سجنه، ينظر عنه، وعن علاقته بالفضل بن يحي: مقاتل الطالبين، لأبي الفرج (ص ٤٦٣ ـ ٤٨٣)، وتاريخ بغداد (١٤/ ١١٠)، ومعجم البلدان عن فخ (٤/ ٢٣٧)

إنَّا على ثقـــةٍ وظنٍّ صـــادقٍ   ممَّـا نؤمّلـه فليــس نخيبُ

قال: فاستحسنها الفضلُ، وأمر له بثلاثين ألف درهم، فقبضها. (١٠/٢٣)

(٣٧٦)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: كتب إليَّ أبو محمد إسحاق بن أبي إبراهيم يقول: أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قول أبي الحجْناء نُصيب:

عند الملــوكِ مــضــرّةٌ ومنافعٌ   وأرى البــرامكَ لا تضــرُّ وتنفعُ

إنَّ العروقَ إذا استســرَّ بها الثّرى   أشــرَ النباتُ بها وطابَ المزْرَعُ(١)

فــإذا نكِرتَ من امــرئٍ أعــراقــه   وقــديمه فــانظــرْ إلى مــا يصْنَعُ

قال: فأعجبه الشعرُ، فقال: يا أبا محمد، كأنّي والله لم أسمعْ هذا القول إلاَّ الساعة، وما له عندي عيب إلا أنّي لم أكافئه عليه. قال: قلتُ: وكيفَ ذلك أصلحك الله، وقد وهبتَ له ثلاثين ألف درهم! فقال: لا والله ما ثلاثون ألفَ دينار بمكافئة له، فكيفَ ثلاثون ألف درهم! (١٩/٢٣)

(٣٧٧)

أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمار قال: أخبرني أحمدُ بن سليمان بن أبي شيخ قال: كان أبي يستملح قولَ نُصيب وقد رأى كثرة الشعراء على باب الفضل بن يحيى فلما دخل الناس إليه قال له: ما لقينا من جودِ فضلِ بن يحيى   تــرك النــاسَ كلَّهــم شُــعراءَ

ويقول: ما في الدنيا أحسنُ من هذا المعنى، وعلى أنه قد أخذ منهم مالا جليلا ولكنْ قلَّما سمعتُ بطبقته مثله(٢). (٢٠/٢٣)

---

(١) أشر النبات: ازدهر.

(٢) بطبقته: يعني بطبقة نصيب. والطّبق: غطاء كلّ شيء، وتطابق الشيئان: تساويا. والتّطابق: الاتفاق. والطبَق: الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم. ينظر لسان العرب (١٠/٢٠٩ ـ ٢١٠). وقد شاع هذا المصطلح في التراث العربي فللصحابة طبقاتهم وللقرّاء، والمحدّثين، والفقهاء، والصوفية، وأخيراً للشعراء طبقاتهم. فهناك مجموعة من الناس يتشابهون في أمر معين، ويوضعون في مكان واحد. وقد اتّخذ هذا المصطلح في النقد خاصة مدلولات مختلفة، فهو مرّة يضمّ شعراء متشابهين في الجودة الشعرية، وأخرى في الزمن، وثالثة في الغرض الشعري، ورابعة في المكان. ومن الواضح أنّ الطبقة في هذا النصّ تعني نظراء نصيب في المكان الشعرية، والدرجة التي وُضعوا فيها، فهو قد تفوّق عليهم في هذا المعنى الذي تفرّد به، ومن الممكن أن تشير إلى الزمن أيضاً، أي الشعراء المعاصرون لنصيب ممّن مدح البرامكة

(٣٧٨)

أخبرني الصوليّ، قال: حدّثني محمد بن موسى، قال: أنشدني الحسنُ بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتاً، يرثي بها سكرانة أمَّ ابنه عُمر، وجعل الحسنُ يتعجَّب من جودتها، ويقول:

يقول ليَ الخلاّنُ لو زرتَ قبرها ... فقلتُ وهل غيرُ الفؤاد لها قبرُ
على حينَ لم أحدُثْ فأجهلَ قدرها ... ولم أبلغِ السنَّ التي معها الصبرُ (٢٣/٥٣)

(٣٧٩)

أخبرنا أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني، قال: كنتُ عند أبي الحسين بن أبي البغل لما انصرف عن بغداد بعد إشخاصه إليها للوزارة وبُطْلان ما نذره من ذلك ورجوعه، فجعل يحدّثنا بخبره، ثم قال: لله درُّ محمد ابن عبد الملك الزيات حيث يقول:

ما أعجب الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه ... قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأت يدي
مالي إذا غبتُ لم أُذْكَرْ بصالحةٍ ... وإن مرضتُ فطال السُّقمُ لم أُعَدِ (٢٣/٥٥)

(٣٨٠)

أخبرني ابن عمّار وعليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا محمد بن يزيد المبرد، عن المازنيّ عن الأصمعيّ ـ وقال ابن عمار في خبره عن بعض أصحابه ـ أظنُّه المازنيّ عن الأصمعيّ، قال: ما رأيتُ أثر النبيذ في وجه الرشيد قطُّ إلا مرَّةً واحدة، فإني دخلتُ إليه أنا وأبو حفص الشّطرنْجي، فرأيت التَّخثُّر(١) في وجهه، فقال لنا: استبقا إلى بيتٍ بل إلى أبيات، فمن أصاب ما في نفسي فله عشرة آلاف درهم، قال: فأشفقت، ومنعتني هيبته، قال: فقال: أبو حفص:

كلّما دارتِ الزجاجةُ زادتـ ... ـه اشتياقاً وحُرقةً فبكاكِ

فقال: أحسنتَ فلك عشرة آلاف درهم. قال: فزالتِ الهيبة عني، فقلتُ:

لم ينلْكِ الرجاءُ أن تحضُريني ... وتجافتْ أمنيّتي عن سواكِ

فقال: لله درُّكَ! لك عشرون ألفَ درهم، قال: فاطرقَ مليّاً، ثم رفع رأسه إليّ، فقال: أنا والله أشعرُ منكما، ثم قال:

فتمنَّيتُ أن يغشّيَني اللـ ... ـهُ نُعاساً لعلَّ عيْني تراكِ (٢٣/٨٩)

---

(١) التخثّر: غثيان النفس.

(٣٨١)

قال ابن داود: وحدّثني المبرّد: قال: كان العطويّ ـ وهو عندنا بالبصرة ـ لا ينطق بالشعر، ثم ورد علينا شعرُه لمّا صار إلى سرَّ مَنْ رأى، وكنا نتهاداه، وكان مقتراً عليه رزقه، دفرا(١) وسخاً، منهوماً بالنبيذِ، وله فيه في وصف الصّبوح وذكر النّدامى والمجالس أحسنُ قول، وليس له قولٌ يسقط، فمن ذلك قوله:

فيني إلى أهدى السُّبُل قـولاً وعلمـاً وعمـلْ
قـاتلهـا اللهُ لقـدْ سامتكُما إحدى العُضَل(٢)
تقـول هـلا رحلـة تنقُلُنا خـيـرَ نُقل
أخشى على جائلةِ الآمالِ جـوَّال الأجـلْ (١٢٤/٢٣)

(٣٨٢)

فحدّثني أبو العباس بن عمار قال: كان ماني يالفُني، وكان مليح الإنشاد حلوه، رقيق الشعر غزله، فكان يُنشدني الشيَ، ثم يُخالط، فيقطعُه. (١٨١/٢٣)

(٣٨٣)

قال: وحدّثني (من شهد دعبلا) وقد أنشدني قول بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصرانيّ العباديّ:

زنّارُه في خصره معقودٌ كـأنـه مـن كبدي مقدودُ

فقال دعبل: ما يعلمُ الله أنّي حسدتُ أحداً قطُّ كما حسدت بكراً على هذين البيتين. (١٨٩/٢٣)

(٣٨٤)

وحدّثني عمي عن الكُرانيّ. قال: حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خمّاري الحيرة، وركب فكسر نبيذهم، فجاء بكر بن خارجة يشربُ عندهم على عادته، فرأى الخمرَ مصبوبة في الرحاب والطرق، فبكى طويلاً، وقال:

يـا لقـومـي لما جنى السلطانْ لا يكـونـنْ لمـا أهانَ الهـوانُ
قـهـوة في الترابِ من حلَب الكرْ م عُقـاراً كـأنّهـا الزعـفـرانُ
قـهـوةٌ في مكانِ سوء لقـد صـا دف سعـدَ السعـود ذاكَ المكـانُ

---

(١) دفرا: نتناً. (٢) العُضَل: جمع عضلة وهي الداهية.

من كُمَيتٍ يُبْدي المِزاجُ لها لؤ ... لؤَ نظمٍ والفصلُ منها جُمانُ
فإذا ما اصطبحتُها صغُرت في القدْر ... تختالُها هي الجرذانُ
كيف صبري عن بعضِ نفسي وهل يصْبِرُ ... عن بعض نفسه الإنسانُ

قال: فانشدتها الحاجظ، فقال: إنَّ من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً وما أقدر على ذلك إلا أن تعْمدني، وقد كان تقوّس، فعَمَدْتُه، فقام، فكتبها قائماً. (١٩٠/٢٣)

(٣٨٥)

وحدّثني مُدرك بن محمد الشيباني. قال. حدّثني أبو العنبس الصيمري، قال: قلتُ لأبي العبر ونحن في دار المتوكل: ويحك! أيش يحملك على هذا السُّخف الذي قد ملأت به الأرض خُطبا وشعراً وأنت أديب ظريف مليحُ الشعر! فقال لي: يا كشخانُ، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت؟ أنت أيضاً شاعر فهِمٌ متكلِّم فلم تركتَ العلم، وصنعت في الرقاعة نيفاً وثلاثين كتاباً. أحبُّ أن تخبرني لو نفق العقلُ أكنتَ تُقدَّم عليَّ البُحتري، وقد قال في الخليفة بالأمس:

عن أي ثغرٍ تَبْتسم ... وبأيِّ طرف تحْتكم!

فلما خرجتَ أنت عليه وقلت:

في أي سلْحٍ ترتطِمْ ... وبأي كف تلتطم
أدخلتَ رأسكَ في الرَّحِم ... وعلمتَ أنك تنْهزم

فأعطيت الجائزة وحُرِم، وقُرِّبتَ وأبعد، في حرِ أمِّك وحر أمِّ كل عاقل معك! فتركته، وانصرفت.
قال مدرك: ثم قال لي أبو العنْبس: قد بلغني أنك تقول الشعر، فإن قدرت أن تقوله جيّداً، جيّداً؟ وإلا فليكن بارداً، بارداً، مثل شعر أبي العبر وإياك والفاتر(١) فإنه صفعٌ كلُّه. (١٩٨/٢٣)

(٣٨٦)

أخبرني عمي قال: حدّثني مُتوّج قال: قال أبو السمط: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال:

---

(١) الفاتر: من فتر الشيء والحرُّ سكن بعد حدَّة، ولان بعد شدَّة، وماء فاتر بين الحار والبارد، ينظر لسان العرب (٤٣/٥)، وتحدّث الجاحظ في البيان والتبيين (١٤٥/١)، عن النادرة الفاترة ووصفها بأنّها «لا حارَّة ولا باردة»، أي ما بينهما، وكذلك الشعر الفاتر فهو وسط بين الجيِّد والرديء، وإلى هذا أشار هذا النصّ. وفي الأغاني (٨٠/١٢)، ذِكْرٌ للفاتر من الشعر حين وَصف أبو هفان شعر آل أبي حفصة فقال: «شعر آل أبي حفصة بمنزلة الماء الحار، ابتداؤه في نهاية الحرارة ثمّ تلين حرارته ثم يفتر ثم يبرد، وكذا كانت أشعارهم، إلاّ أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتوّج حَمَد». فقوله: (يفتر) أي هو بين الحار وهو الجيد، والبارد وهو الرديء.

إنّي تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمينين(١)، فبتُّ أرقاً حزيناً باكياً، فارثه في مقامك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء علّتي ولك حُكْمك. ففكرت هنيهة ثم قلت:

إنَّ المكـارم إذ تولّى طـاهـرٌ ... قطعَ الزمانُ يمينَها وشمالها
لو كافحَتْه يدُ المنونُ مجاهراً ... لاقت لوقع سيوفه أجالها
أرسى عمادُ خليفةٍ في هاشمٍ ... ورمى عمادُ خلافةٍ فأزالها
بكت الأعنّةُ والأسنّةُ طاهراً ... ولطالما روّى النَّجيعُ نهالها(٢)
ليت المنونَ تجانبتْ عن طاهرٍ ... ولوت بذروة من تشاءُ حبالها
ما كنتُ لو سلمتْ يمينا طاهرٍ ... أدري ولا أسلُ الحوادث مالها

فقال: أحسنت والله فاحتكم، فقلت له: خمسون ألف درهم أقضي منها ديْنا، وأصلح حالي، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي، فأمر لي بها وقال: ربحنا وخسرت، ولو لم تحتكم لزدتك، ولك عندنا عدٌ وعدٌ بعد عدٍ. (٢١٤/٢٣)

(٣٨٧)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ، عن ابن شبّة، قال قال: أحمدُ بن صالح الهشاميّ: قال لنا يوسف بنُ الصيقل يوماً، ورأى الشعراء بأيديهم الرِّقاع يطوفون بها، فقال: صنع اللهُ لكم(٣)، ثم أقبل على إبراهيم الموصليّ، فقال له: كنا نهزل،، فنأخذ الرغائبَ، وهؤلاء المساكينُ الآن يجدّون، فلا يُعطون شيئاً، ثم قال لإبراهيم: أتذكر ونحن بجرجان مع موسى الهادي، وقد شرب على مستشرف عالٍ جداً وأنت تغنّيه هذا الصوت:

واستدارت رحالُهم ... بالرُّدينيِّ شُرّعا

فقال: هذا لحن مليح، ولكنّي أريد له شعراً غير هذا، فإنَّ هذا شعر بارد، والتفت إليَّ فقال: اصنع في هذا الوزن شعراً، فقلتُ:

لا تلمنيَ أن أجزعا ... سيّدي قد تمنّعا

فغنّيتُه فيه بذلك اللحن، ومرّت به إبل يُنقل عليها، فقال أوقروها لهما مالاً، فأوقرت مالاً وحُمل إلينا، فاقتسمناه، فقال إبراهيم: نعم، وأصاب كلُّ واحد منا ستينَ ألف درهم. (٢١٧/٢٣)

---

(١) ذو اليمينين: هو طاهر بن الحسين.

(٢) النجيع: الدم.

(٣) صنع الله لكم: دعاء عليهم بالشرّ.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ. قال: أخبرني عيسى بن الحسين الآدمي: قال: حدّثني أحمدُ بن أبي فنن، قال: أحضر الرشيدُ عشرة آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرّقها، حتى بقيتْ منها ثلاثةُ آلافِ دينار، فقال: ائتوني شاعراً أهبُها له، فوجدوا منصوراً النَّمريَ ببابه، فأدخل إليه، فأنشده، وكان قبيح الإنشاد، فقال له الرشيدُ: أعانك الله على نفسك، انصرفْ، فقال: يا أمير المؤمنين، قد دخلت إليك دخْلتين، لم تُعطني فيهما شيئاً، وهذه الثالثةُ، ووالله لئن حرمتني لا رَفَعْتُ رأسي بين الشعراء أبداً،. فضحك الرشيدُ، وقال: خذْها، فأخذها، ونظر الرشيد إلى الموالي ينظر بعضُهم بعضاً، فقال: كأنّي قد عرفتُ ما أردتم إنَّما أردتُم: أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصَّيقل، وكان يوسُفُ منقطعاً إلى الموالي ينادمهم، ويمدحهم، فكانوا يتعصّبون له، فقالوا إي واللهِ يا أمير المؤمنين، فقال: هاتوا ثلاثة آلاف دينار، فأحضرتْ، فأقبل على يُوسف: فقال: هاتِ، أنشدنا، فأنشده يوسُف: تصدَّت له يوم الرُّصافة زينبُ

فقال له: كأنَّك امتدحْتنا فيها، فقال: أجلْ، والله يا أمير المؤمنين فقال: أنت ممن يوثقْ بنيَّته، ولا تُتَّهَم موالاتُه، هاتِ من مُلَحك، ودع المديح، فأنشده قولَه:

العفو يا غضبانُ ... ما هكذا الخلاّنُ
هبْني ابتُليتُ بذنبِ ... أما له غُفْرانُ؟
وإن تعاظم ذنْبٌ ... ففوقه الهجرانُ
كم قد تقرَّبْتُ جهدي ... لو ينفع القُرْبانُ
يا ربِّ أنتَ على ما ... قد حلَّ بي المستعانُ
ويْلي ألستَ تراني ... أهْذي بها يا فلانُ؟

فقال الرشيدُ: ومن فلان هذا ويلك؟ فقال له الفضل بن الربيع، هو أبانُ مولاك يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: ولم لمْ تنْشدْني كما قلتَ يا نبطي؟ فقال: لأنّي غضبان عليه، قال: وما أغضبك،؟ قال: مدّت دجلة، فهدمتْ داري وداره، فبنى داره، وعلاّها حتى سترت الهواء عني. قال: لا جرم، ليعطينَّك الماص بظرَ أمِّه عشرةَ آلاف درهم حتى تبني بناء يعلو على بنانه، فتستُرُ أنتَ الهواء عنه، ثم قال له: خذ في شعرك، فأنشده نحواً من هذا الشعر، فقال الفضل بن الربيع: يا عباسي، ليس هذا بشعر ما هو إلا لعب، أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان الثلاثة الآلاف الدينار، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن، فقالوا له: أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً. فقال: أستأمرُه، ثم أفعل، فقالوا له: أعطه إياها بضماننا، فإن أمضيتْ له وإلا كانت في

أموالنا، فدفعها إليه بضمانهم، فأمضيتُ له. فكان يوسف يقول بعد ذلك: كنا نلعب، فنأخذُ مثل هذه الأموال، وأنتم تقتلون أنفسكم، فلا تأخذون شيئاً! (٢٢١/٢٣)

(٣٨٩)

وقال عمرو بن الحسن الكوفيّ مولى بني تميم يذكر وقعة قُديد(١) وأمر مكة ودخول الخوارج إياها، وأنشدنيها الأخفش عن السُّكري والأحول وثعلب لعمرٍ وهذا، وكان يستجيدُها ويفضّلها:

ما بالُ همِّك ليس عنك بعازبٍ ... يمري سوابقَ دمعك المتساكب(٢)
وتبيتُ تكتلئ النجومَ بمقلةٍ ... عبْرى تُسَرَّ بكلِّ نجمٍ دائب(٣)
حذرَ المنيةِ أن تجيء بداهةً ... لم أقضِ من تبع الشُّراة مآربي(٤)
فأقودُ فيهم للعدا شنج النَّسا ... عبْلَ الشَّوى أسوان ضمر الحالب(٥)
متحدّراً كالسِّيد أخلصَ لونه ... ماءُ الحسيك مع الحِلال اللاتب(٦)
أرمي به من جمع قومي معشرا ... بُوراً إلى جبْريةٍ ومعايب(٧)
في فتيةٍ صُبُرٍ ألفَّهمُ به ... لفَّ القداح يد المُفيض الضارب(٨)
فنذور نحنُ وهُم وفيما بيننا ... كأسُ المنونِ تقول: هلْ من شارب؟
فنظلُّ نسقيهم ونشرب من قنا ... سُمْر ومرهفةِ النُّصول قواضب

(١) قُديد: اسم موضع قرب مكة، وفيه دارت موقعة كبيرة بين الخوارج وأهل مكة. قُتل فيها ألفان ومئتان وثلاثون رجلاً منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلاً، ومن الأنصار ثمانون، ومن القبائل والموالي ألف وسبعمائة، وقد فصّل أبو الفرج الحديث عنها في الأغاني (٢٣٣/٢٣) وما بعدها

(٢) العازب: الذاهب المختفي، ويمري: ينزل ويستخرج، يريد أنَّ الهمَّ يجعله يبكي بكاءً مرّاً

(٣) تكتلئ: ترعى وتديم النظر، وعَبْرى: باكية

(٤) بداهة: فجاءة، والشراة: هم الخوارج الذين أوقعوا المقتلة التي أشرنا إليها فيما سبق، فهو يخشى أن يموت فجاءة، ولم يدرك بثأره منهم.

(٥) شنج النسا: صفة مدح، أي لم تسترخ رجلاه، وعبل الشوى: ضخم الأرداف، وأسوان: الحزين، ولعلّه نقل الحزن إلى الفرس الذي يصفه، وهي ظاهرة موجودة في الشعر العربي، إذ ينقل الشاعر عواطفه المختلفة إلى فرسه.

(٦) متحدّراً: منحدراً منصباً مثل السيل، والسِّيد: الذئب، والحسيك: ما يُقضم من العلف كالشعير ونحوه، والحِلال: جمع حِلَّة وهي شجرة من القتاد إذا أكلتها الإبل سهل خروج لبنها، واللاتب: اللاصق

(٧) بوراً: تالفين فاسدين، ونسبهم إلى الجبرية

(٨) القداح: السهام التي لم تُريَّش، والمفيض: ضارب الميسر والقداح واللاعب بهما

بينا كــذلك نحنُ جــالتْ طعنةٌ   نجــلاءُ بينَ رُفــا وبينَ تــرائــب(١)
جـوفـاءُ منهرةٌ تـرى تامــورهــا   ظُبـتـا سنـان كـالشِّهـاب الثـاقب(٢)
أهــوى لها شــقَّ الشِّـمال كأنني   حَفَضٌ لقىً تحت العجاج العاصب(٣)
يا رب أوحــيــهــا ولا تـتـعلَّقـنْ   نفـسـي المنون لدى أكُفِّ قـرائب(٤)
كم من أولي مقةٍ صحـبتُهمُ شَروا   فـخـذلتُهم ولبئس فـعلُ الصـاحب(٥)
مــتــأوِّهين كــأنَّ في أجْوافـهـم   ناراً تُسـعِّرهـا أكُفُّ حــواطــب
تلقـاهُـمُ فـتـراهــمُ مــن راكـعٍ   أو ســاجــدٍ مـتـضــرِّعٍ أو ناحبِ
يتلــو قـوارعَ تمـتـري عـبـراتـه   فــيــجــودُها مــرْيَ المريِّ الحــالب(٦)
سُبُرٍ لجـائـفــة الأمـورِ أطِـبَّـةٌ   للصَّدع ذي النبـأ الجليل مـدائب(٧)
ومُبــرَّئينَ من المعــايبِ أحــرزوا   خُصــل المكارم أتْقــيــاء أطايب
عــرَّوا صــوارم للجـلاد وباشـروا   حــدَّ الظبـاة بآنُـفٍ وحـواجـب(٨)
ناطــوا أمــورَهُم بأمْـرِ أخٍ لـهـم   فــرمـى بهم قُحَمَ الطريقِ اللاحب(٩)
مـتـسربلي حلق الحـديد كـأنهم   أسْــدٌ على لُحُق البطون سـلاهب(١٠)
قيدت من أعلى حضر موت فـ م تزل   تنفي عداها جانباً عن جانب(١١)

---

(١) بين رها: ما بين الرجلين، والترائب: عظام الصدر

(٢) منهرة: واسعة، وتامورها: التامور هنا الوعـ ، أو السعة، ظُبتا: حدَّا

(٣) أهوى: سقط، وشِقّ: جانب، وحَفَض: متاع البيت أو الدابة التي تحمله، ولقى: ملقيٌّ مهمل، والعاصب الذي يعصب الرؤوس لكثرته وشدّته (٤) أوحـ ها: ألقها، القرائب: القريبون

(٥) المِقة: الكره والحقد، وشَرَوا: أي أصبحوا شـ راة وهم فرقة من الخوارج

(٦) القوارع: هي الآيات الكريمة التي تذكّر بالمـ ت وعقاب الآخرة فتكون سبباً في بكاء القوم، وتمتري تستخرج وتُنزل، ومري المريّ: الذي يمسح على ضر ـ الناقة ليدّر فيه اللبن

(٧) سُبُر: جمع سابر وهو الخبير العارف، والـ ائفة: العيب العظيم، وأطبّة للصدع: أي يصلحون ما تهدّم، وذو النبأ الجليل: أي الصدع العظيم الواسع، و دائب: أي هم جادّون في هذا كلّه لا يملّون

(٨) عرّوا: سلّوا وصوارم: سيوف، والجلاد: الـ رب، وباشروا حدَّ الظُباة: بدأوا الحرب، وآنف: جمع أنف، وهي كناية عن الترفّع والقوة وكذلك الحواجب.

(٩) قُحم: عرض، واللاحب: الواسع (١٠) لُحق البطون: جمع لاحق وهو الفرس ذو البطن الضامر، وسلاهب: مفرده سلهب، وهو ما طالت عظامه من الخيل

(١١) تنفي عداها: تسبق غيرها

تحمي أعنّتها وتحوي نَهْبَها ... لله أكرمُ فتيةٍ وأسانبِ
حتى وردن حياض مكة قُطّنا ... يحكين واردةَ اليمام القاربِ(١)
ما إن أتين على أخي جبريةٍ ... إلا تركْنَهُمُ كأمسِ الذاهبِ(٢)
في كلِّ معتركٍ لها من هامهم ... فِلَقٌ وأيدٍ علّقت بمناكبِ
سائلْ بيوم قُديدَ عن وقعاتها ... تُخبرك عن وقعاتها بعجائبِ (٢٣/٢٣٤)

(٣٩٠)

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة، قال: حدّثني علي بن يحيى المنجم، قال: سمعت من لا أحصي من الرُّواة يقولون:

أحسنُ الناس ابتداء قصيدٍ في الجاهلية امرؤ القيس، حيثُ يقول:
ألا عم صباحاً أيها الطللُ البالي

وحيث يقول: قفا نبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلاميين القطاميُّ، حيث يقول: إنا محيُّوكَ فاسْلم أيها الطَّللُ

وفي المحدثين بشّارٌ، حيث يقول:
أبى طللٌ بالجِزْعِ أن يتكلّما ... وماذا عليه لو أجاب مُتيَّما؟
وبالفَرْعِ آثارٌ لهندٍ وباللِّوى ... ملاعِبُ ما يُعْرفْنَ إلاّ توهُّما(٣) (٢٤/٤٦)

(٣٩١)

أخبرني محمد بن العباسِ اليزيديُّ قال: حدّثنا الرِّياشيُّ، عن الأصْمعيِّ قال: أجودُ طائيةٍ قالتْها العربُ قصيدةُ المتنخِّل:
عَرفتُ بأجْدُثٍ فنِعافِ عِرْقٍ ... علاماتٍ كتحبيرِ النِّماطِ(٤)

---

(١) قُطّنا: زائرات. والقارب: الطالب للماء ليلاً. (٢) ينسبهم إلى الجبرية، ونسبهم إليها فيما مضى أيضاً.

(٣) الفَرْع: قرية من نواحي المدينة عن يسار السقيا، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد على طريق مكة، بها نخل ومياه كثيرة. معجم البلدان (٤/٢٥٢).

(٤) أجدُث ونعاف عرق: موضعان ذكرهما ياقوت، ولم يعيِّنهما، وقال عن الثاني: موضع في طريق الحاجّ، وأورد هذا البيت في الموضعين، ينظر معجم البلدان (١/١٠١، ٥/٢٩٢). والتحبير: التَّنقيش. والنِّماط: جمع نَمط، وهو ضرب من البُسُط.

كأنَّ مزاحف الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبح آثارُ السياطِ (١٠٧/٢٤)

(٣٩٢)

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناءُ المذكورُ من مختار شعر هُذيل، وأوَّلها:

لليلى بذاتِ الجيش دارٌ عرفتُها وأخرى بذات البين آياتُها سطْرُ(١)
وقفتُ برسميها فلمَّا تنكَّرا صدفتُ وعيني دمعُها سربٌ همْرُ(٢)
وفي الدَّمعِ إن كذَّبتُ بالحبِّ شاهدٌ يُبيِّنُ ما أخْفي كما بيَّن البدْرُ
صبرتُ فلمَّا غال نفسي وشفَّها عجاريفُ نأيٍ دونها غُلِبَ الصبرُ(٣)
إذا لم يكن بين الخليلين ردَّةٌ سوى ذكْرِ شيءٍ قد مضى درس الذِّكر
إذا قلتُ هذا حين أسلو يهيجُني نسيمُ الصَّبا من حيثُ يطلُعُ الفجرُ
وإنِّي لتعروني لذكراك فترةٌ كما انتفض العصفور بلَّله القطْرُ(٤)
هجرتُك حتَّى قيل لا يعرف الهوى وزرْتُكِ حتى قيل ليس له صبر
صدقتِ أنا الصَّبُّ المصابُ الذي به تباريح حبٍّ خامر القلبَ أو سحرُ
أما والذي أبكى وأضحك والذي أماتَ وأحيا والذي أمرُه الأمْرُ
لقد تركَتْني أحسدُ الوحش أن أرى أليفين منها لم يروعْهُما الزَّجْرُ
فيا هَجْرَ ليلى قد بلغْتَ بيَ المدى وزدتَ على ما لم يكن بلَغَ الهجرُ
ويا حبَّها زِدْني جوى كلَّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيَّام موعدُك الحشْرُ
عجبتُ لسعيِ الدَّهر بيني وبينها فلمَّا انقضى ما بيْننا سكن الدَّهرُ
فليستْ عشيَّاتُ الحِمى برواجعٍ لنا أبداً ما أوْرق السَّلَمُ النَّضرُ(٥)
وإنِّي لآتيها لكيما تُثيبني وأوذنها بالصُّرم ما وضح الفجْرُ
فما هو إلا أن أراها فُجاءةً فأُبْهتَ لا عُرْفٌ لديَّ ولا نُكر
تكاد يدي تَنْدى إذا ما لمسْتُها وينبتُ في أطرافها الورقُ الخضْرُ

(١٢٢/٢٤)

---

(١) ذات الجيش: موضع من العقيق بالمدينة، وقيل قرب المدينة وهو وادٍ. ينظر معجم البلدان (٢/ ٢٠٠)

(٢) سرب هَمْر: يهطل بشدّة

(٣) العجاريف: مفرده عجروف، وهو أحداث الدّهر وصروفه، والنأي: البُعد.

(٤) الفترة: الضّعف والانكسار.

(٥) السَّلَم: مفرده سلَمه ... شجر من العضاه يُدبغ به

(٣٩٣)

.. ولبدر بن عامر وأبي العيال نقائض طوال يطول ذكرها، وليست لها طلاوة إلاّ ما يستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة(١).. (٢٤/٢٠٣)

(٣٩٤)

أخبرنا أبو خليفة قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: كان الرّاعي من رجال العرب ووجوه قومه، وكان يُقالُ له في شعره: كأنه يعتسفُ الفلاةَ بغير دليل، أي أنه لا يحتذي شعر شاعر، ولا يعارضُه(٢)، وكان مع ذلك بذيًا هجّاء لعشيرته، فقال له جرير:

وقرْضُكَ في هوازن شرُّ قرضٍ تهجِّنهم وتمْتدح الوطـــابــا(٣) (٢٤/٢١٣)

---

(١) هذه تفرقة جيّدة تدلّ على ذوق مرهف من أبي الفرج الأصفهاني، وبَصَر بالشعر، فهذا الشعر إذا قيس بمقاييس فنية ليس جيّداً، ولكنّ له فائدة لمن يبحث عن الشاهد أو الغريب، فمقاييسه هي غير الأولى، مختلفة عنها.

(٢) ورد هذا النصُّ في طبقات ابن سلام (١/٥٠٢)، وهو ليس برأي ابن سلاّم فقد قدّم له بقوله: (وكان يقال)، وقد وجدنا الأصمعي يذهب إلى غير هذا تماماً، فقد جاء في فحولة الشعراء (ص ١٢)، والموشّح (ص ١١٩)، أنّ أبا حاتم سأل الأصمعي: «مَنْ أشعر الراعي أم ابن مقبل؟ فقال: ما أقربهما! فقال أبو حاتم: لا يقنعنا هذا، فقال الأصمعي: الراعي أشبه شعراً بالقديم وبالأول». فمَن كان شعره أشبه بالقديم والأول لا يقال له أنّه لا يحتذي شعر شاعر، وقد ظفرتُ بنصٍّ في البيان والتبيين (٤/٥٥)، يتحدث فيه الجاحظ عن البديع واقتصاره على العرب، وقال: «والراعي كثير البديع في شعره»، فلعلّ كثرة البديع هذه جعلت ذلك القائل يراه كأنّه يعتسف الفلاة بغير دليل، ومن المعروف أنّ البديع كان يُراد به عند الجاحظ «المستطرف الجديد من الفنون الشعرية، وبعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزيدها حسناً وجمالاً» ينظر معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب (١/٣٧٩)، ولم يكن الجاحظ يريد به ما استقرّ عليه علم البديع بعد هذا، فالزمن ما يزال مبكراً لمثل هذا الاستقرار، ولعلّ نصّ الجاحظ، وتفسيره قد سلّط شيئاً من الضوء على نصّ الأغاني، وبيّن المقصود بعدم اعتساف الراعي الفلاة بغير دليل

(٣) القَرْض: هنا الفعل السيّء، وهوازن: قبيلة الراعي، من قيس عيلان، وفي طبقات ابن سلام (١/٥٠٢) (تُهجِّيها) بدل (تهجّنهم)، وهو أصوب لأنّه من الهجاء، وهو الشتم بالشعر وغيره، وأتى به على التضعيف، وهو جيد، أي تبالغ في هجائهم، والوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن خاصة، يكون من الجلد، يقول له: تهجو قومك وعشيرتك ولا تبالي بأعراضهم، ولا همّ لك إلاّ بطنك من خسّتك وشراهتك، فتكثر مدح الإبل وذكر ألبانها، ينظر هامش رقم (٣) من الطبقات (١/٥٠٢)

(٣٩٥)

... فأمّا القصيدة الذالية لعمار ذي كبار التي استحسنها الوليد، وسأل حمّادا الرّاوية عنها فإنها كثيرةُ المرنّولِ، ولكنها مُضْحكة طيِّبة من الشّعر المرنول وفيها يقول:

أنت وجْداً بها كمُغْضـ ـي جفُونٍ على القذى
لم يقل قائلٌ من النّـ ـاس قولاً كنحْو ذا
تحت حرٍّ وصلتُه صار شعراً مُهذّذا
قولُ عمّار ذي كُبا رٍ فيا حُسْنَ ما احتذى
علّلاني بذكْرها واسْقِياني محذّذا
تتركُ الأذن سُخنةً أرجُواناً بها خذَا(١)

ومن صالح شعره قوله:

شجا قلبي غزالٌ ذو دلالٍ واضحُ السُّنّهْ
أسيلُ الخدُّ مربوب وفي منْطقه غُنّهْ
ألا إنَّ الغواني قد برى جِسمي هواهُنّه
وقالوا: شفّك الحورُ هوى قلتُ لهم: إنّهْ(٢)
ولكنّي على ذاك مُعنّىً بأذاهُنّه
أراحَ اللهُ عمّاراً من الدُّنيا ومنْهُنّه
بعيدات قريبات فلا كان ولا كُنّهْ
فقد أذهل منّي العقل والقلب شجاهُنّهْ
يُمنّينَ الأباطيلَ ويجْحدْنَ الذي قُلْنَهْ (٢٤/٣٢٣)

(٣٩٦)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء، قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار، قال: حدّثنا عمّي وفُليْح بن إسماعيل، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال: دخلتُ على المهديّ، وإذا هو يكتُبُ على الأرض بفحمةٍ قولَ عبد الله بن مُصعب:

فإنْ يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلْها مُقالةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائمِ البكا ولن يُخرجوا ما قد أجنَّ ضميري

---

(١) الخذا: الاسترخاء. (٢) إنّه: نعم.

وما برح الواشون حتى بدت لنا　　بُطُون الهوى مقلوبةً لظهورِ
إلى اللهِ أشكو ما ألاقي من الجوى　　ومن نفسٍ يعتادُني وزفيرِ

ويقول أحْسنَ والله عبدُ الله بن مصعب ما شاء. (٢٣٧/٢٤)

(٣٩٧)

أخبرني علي بن سُليمان الأخفش قال: سمعتُ محمد بن يزيد يقول: خُتِمت الفصاحةُ(١) في شعْر المُحْدَثين بعُمارةَ بن عقيل. (٢٤٥/٢٤)

(٣٩٨)

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيِّ، والحسنُ بن عليّ، والصُّوليّ قالوا: حدَّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: سمعتُ سلْم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول: كان جدّي أبو عمرو يقول: خُتِم الشِّعْرُ بذي الرُّمَّة، ولو رأى جدّي عُمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرُّمَّة. قال العنزيّ: ولعمْري لقد صدق

وسمعتُ سلْماً يقول: هو أشدُّ استواء في شعره من جرير، لأنَّ جريراً سقط في شعره وضعُف، وما وجدوا لعمارة سقْطةً واحدةً في شعره. (٢٤٥/٢٤)

(٣٩٩)

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدَّثنا العنزي قال: حدَّثني سلم بنُ خالد قال: أنشد عُمارة قصيدةً له، فقال فيها: الأرْياحُ والأمطار، فقال له أبو حاتم السِّجِسْتاني: هذا لا يجوز، إنَّما هو الأرواح، فقال: لقد جذبني إليها طبْعي، فقال له أبو حاتم: قد اعترضه علمي، فقال: أما تسْمعُ قولهم: رياحٌ؟ فقال له أبو حاتم: هذا خِلافُ ذلك. قال: صدقْت، ورجع(٢). (٢٥١/٢٤)

---

(١) كان عمارة بن عقيل يسكن بادية البصرة، ومن هناك جاءته الفصاحة، ويزور الخلفاء فيجزلون عطاءه، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة.

(٢) جاء في لسان العرب (٤٥٥/٢): «وأنكر أبو حاتم على عمارة بن عقيل جَمْعَه الرِّيح على أرياح، قال فقلت له فيه: إنَّما هو أرواح، فقال: قد قال الله تبارك وتعالى: وأرسلنا الرِّياح: وإنَّما الأرواح جمع روح، قال فعلمتُ بذلك أنَّه ليس ممَّن يؤخذ عنه». وفي اللسان أيضاً: جمع الرِّيح أرواح، وأراويح جمع الجمع، وقد حُكِيتَ أرياحٌ وأرايح، وكلاهما شاذٌ

آراء في الشعراء

تضمّ هذه القضية النصوص التي حفظها الأغاني عن الشعراء، أي رأي أبي الفرج، ورأي غيره فيهم، من حيث مكانتهم الشعرية: تقديماً، أو تأخيراً، وموازنتهم بسواهم من الشعراء المعاصرين لهم، أو المتقدّمين عليهم، وتقديم التعليل في كثير من الأحيان لهذا التقديم، أو التأخير، وهي تختلف عمّا رأيناه في (الأغراض الشعرية). إذ إنّ الآراء هناك تتحدّث عن غرض واحد برّ الشاعر فيه أقرانه، وتميّز به، أو أخفق في بعض جوانبه، كالمديح، والهجاء، والنسيب، وغيرها، بينما نجد هذه (النّظرات) هنا تُعني بالصورة العامة للشاعر التي تضمّ أغراضه جميعها، والتّصور الكلّي لمنزلته في عصور متتابعة، تلك التي ارتآها (النقّاد)، واستقرّوا عليها.

ومن الملاحظ أنّ هذه الآراء عن شاعر واحد تفاوتت قلّة أو كثرة، فبينما نظفر برأي واحد حسب عن شاعر ما، يحظى شعراء أخرون بآراء كثيرة سواء لأبي الفرج أم غيره، وغالباً يكون أولئك الشعراء من المشهورين الذين اختلف المهتّمون حولهم، وتباينت الآراء فيهم، أو أن يكون من أصحاب المذاهب المستحدثة، مثل بشّار، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، عند ذاك تفترق الآراء، وتغزر، وفي هذا مكسب للنقد، وإثراء له.

وقد رصدنا في نصوص هذه القضية جملة من الأمور سنحاول عرضها فيما يلي:

- بروز التعليل منذ وقت مبكّر في أحكام (النقّاد)، سواء لتقديم شاعر أم لتأخير آخر، فمنذ رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير بن أبي سُلمى الذي علّل فيه لتقديمه، نقول منذ ذلك الرأي المعلّل المبكّر، بدأ التعليل ينتشر في أحكام (النقّاد) على الشعراء، ولم يَعُد الجمهور يجد قبولاً لتلك الآراء التي تُطلق بلا تعليل، وبدأت تبرز ظاهرة سؤال (الناقد) عن سبب الحكم الذي ذهب إليه، وكان لابدّ لهذا (الناقد) وغيره أن يجيب، وإلاّ عُدّ حكمه ضعيفاً، أو لا قيمة له، ولا شكّ في أنّ التعليل يمثّل صلب العملية النقدية، وانتشاره يعني نُضْجَ هذه العملية، وسعيها الحثيث نحو الكمال، صحيحٌ إنّ التعليل يأتي في جُمَل قصيرة، وعبارات مقتضبة، نستثني من هذا بعضَها، ولكنّه يشير إلى دقّة متناهية، وخبرة بشعر الشاعر، وجوانب تميّزه، وفشله.

- وقد وجدنا (النقّاد) يلجأون إلى مقاييس متنوعة لتقديم شاعر، أو شعراء، وتتناسب هذه المقاييس مع أذواقهم، وخبراتهم، ومواقفهم الشعرية عموماً، فنراهم يقدّمون شاعراً ما لِقوله في أغراض كثيرة، وقد انتشر هذا المقياس في العصر الأموي، وظلّ قويّاً، فاعلاً في العصر

العباسي، ونجدهم يقدِّمون شاعراً آخر لأنَّه تميَّز في غرض معيَّن، أو سلك طريقاً جديداً في الشِّعر، وأكثَر من البديع في شعره، أو نقَّح هذا الشعر، واعتنى به، وهذَّبه، ونرى - في المقابل- (نقَّاداً) يقدِّمون شعراء آخرين بسبب تشبُّههم بالشعراء الجاهليين، وأخذهم بمذاهب العرب في كلامها، وطبعهم المرهف، وقلَّة تكلّفهم، وهذا يؤكّد ما أشرنا إليه سابقاً من أنَّ التقديم ينبع من تلك المقاييس التي يؤمن بها (النَّاقد)، وتتلاءم معه، فيفضّل الشعراء على هُداها.

- ونجد في الجهة الثانية مقاييس أخرى اعتمدها (النقَّاد) لتأخير شاعر ما، غير التي ذُكرتْ سابقاً فيما إذا أُخِذَت على نقيضها، ومن هذه المقاييس ابتعاد الشاعر عن مركز الخلافة، وعدم قدومه إلى بلاط الخليفة، عند ذاك يخمل ذكره، ويُؤخَّر، بسبب عدم معرفة البيئة الأدبية به، أو عدم تداول العلماء، والرواة لشعره، يُضاف إلى هذا بُعْد الشاعر عن المراكز الثقافية في العالم العربي، مثل دمشق، والحجاز في العصر الأموي، وبغداد في العصر العباسي، إذ إنَّ كثيراً من الشعراء تأخَّروا لأنَّهم ظلّوا مقيمين في أوطانهم لا يبرحونها، سواء أكانت هذه الأوطان بادية من البوادي، أم مدناً أعجمية، ويضاف مقياس ثالث لما تقدَّم، وهو وجود شاعر معيَّن بين شعراء كبار، إذ يؤدي هذا الوضع إلى تأخّر الشاعر، وعدم الاهتمام بشعره، بسبب الانشغال بأولئك الكبار، والعناية بهم، ومن الملاحظ أنَّ هذه المقاييس خارجة عن الشعر، بعيدة عن الفنّ، إذ نرى التأخير قد يكون سببه اجتماعياً، أو تقصيراً من (النقّاد) أنفسهم، أو سبباً خارجاً عن إرادة الشاعر، وكنَّا نريد النظر إلى الشعر نفسه، وتقويمه، لا إلى الظروف المحيطة بالشاعر التي أدَّت إلى تأخيره، وقد لا يكون له كبير دخل فيها.

- يلاحظ ولع بعض (النقّاد) بتحديد شاعر معيَّن أنَّه خاتمة الشعراء، أو خاتمهم، كأنَّ أحداً لن يأتي بعده يصلح لقول الشعر، وقد ذكرنا في التعليق على هذه النصوص أنَّ أمثال هذه الأحكام يجب أن لا تؤخذ على ظاهرها في أنَّها تعني انتهاء الشعراء بعد هذا الشاعر المقصود، وتوقفَهم، بل هي - في الغالب - تشير إلى إعجاب شديد بهذا الشاعر حتى كأنَّ أحداً لا يستطيع أن يدرك شأوه بعده، بالإضافة إلى هذا فإنَّ كثرة مَنْ خُتِم الشعر بهم يقوّي هذا الذي ذهبنا إليه، خاصة ونحن نعرف أنَّهم من عصور مختلفة، إسلامية، أو أموية، أو عباسية، ومع هذا جاء بعدهم شعراء، وكان بعضهم خاتمةُ للشعراء، وهم متأخرون عن بعض الذين جُعِلوا خاتمة فيما سبق.

- وجدنا الكثير من (النقّاد) يستخدمون ألفاظاً هي أقرب إلى المصطلحات لوصف الشعراء، وتحديد منازلهم، كأن يوصف شاعر بأنَّه جزل، أو متين، أو متوسط، أو متفاوت، أو فحل، أو ليِّن

أو شديد وغيرها، وهذه (المصطلحات) ذات دلالة على المكانة التي يضع (الناقد) فيها الشاعر الذي وصفه بذاك المصطلح، كما رأينا أنّها تكثر، وتغزر في العصر العباسي، إذ قلّما نجد شاعراً يُترك بلا وصفه بواحدة من تلك (المصطلحات)، وقد وقفنا عندها في مواضعها من النصوص، وبيّنا ما ترمي إليه، مع ملاحظة التطوّر التاريخي الذي أصابها.

- ظهور شخصية أبي الفرج النقدية بشكل جليّ، من خلال تبيان آرائه في الشعراء الذين ترجم لهم، إذ من النادر أن يترك شاعراً بلا تعليق، أو رأي، ويطول رأيه في بعض الشعراء حتى ليدخل في باب المناقشة، والتحليل، مع عرض آراء معاصريه في هذا الشاعر مثلما سنرى صنيعه مع ابن المعتزّ، وأبي تمام، والبحتري مثلاً، ولم يَعُدْ أبو الفرج جامعاً للأخبار، مرتِّباً لها حسب، بل نراه يتحرّك بثقة كبيرة بين الشعراء، عارضاً آراء غيره، موازناً بينها، ومُبْدياً رأيه الشخصي القائم على خبرة واسعة بتاريخ الشعر العربي، ومعرفة وثيقة بخصائص كلّ شاعر، وما تميّز به، كما رأيناه يعتمد كثيراً على الناقد المعروف محمد بن سلاّم الجمَحي صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء، فلا يغادر شاعراً ذكره ابن سلاّم في طبقاته إلاّ ويورد طبقته عنده مع مَنْ قرنهم به من الشعراء، وكأنّه يرى الطبقة التي وضعه ابن سلاّم فيها هي المنزلة التي يستحقّها، ولم نَرَه يعقّب عليه بشيء، بل أخذ آراءه مأخذ الاحترام، والتبّجيل.

العصر الجاهلي

(١)

قال الزُّبير وحدَّثني محمد بن الحسن قال: قال حسَّان بن ثابت: جئتُ نابغةَ بني ذُبْيان، فوجدتُ الخنساء بنتَ عمْرو حين قامتْ من عنده، فأنشدتُه؛ فقال: إنَّك لشاعرٌ، وإنَّ أختَ بني سُلَيْم لبكَّاءة[١]. (١٦٧/٤)

---

(١) إنَّ وصف الخنساء بأنَّها بكَّاءة تعريض واضح بأنَّ شعرها بكاء، ونواح فحسب، وليس هذا وحده من سمات الرثاء الجيد. فهل يلمح النابغة إلى تدنِّي شعرها؟ وقد وصف حسَّاناً بأنَّه شاعر. وهو بهذا الحكم على الشاعرين يختلف عن موقفه منهما في موضع آخر، حين قال للخنساء أنت أشعر الجنِّ والإنس. الأغاني (٦/١١)، وتحاور مع حسَّان وبيَّن سقطات في شعره مثلما رأينا سابقاً، ويبدو أنَّ الموقف نفسه يملي في بعض الأحيان أحكام (الناقد) بالإضافة إلى التأثرية، والإعجاب المؤقَّت.

العصر الإسلامي

(١)

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدِّمشْقيّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن طلْحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال: أخبرني بعضُ أشياخنا أن أعرابياً وقف على حسّانَ بن ثابت وهو يُنشد، فقال له حسّان: كيف تسمعُ يا أعرابيّ؟ قال: ما أسمع بأسا؛ قال حسّان: أما تسمعون إلى الأعرابيّ! ما كنيتك أيها الرجل؟ قال: أبو مُلَكية. قال: ما كنتَ قطُّ أهونَ عليَّ منك حينَ اكتنيتَ بامرأة، فما اسمُك؟ قال: الحطيئة، فأطرق حسّان ثم قال له: امضِ بسلام.

(١٧٠/٢)

(٢)

قال الزبير قال أبو عمرو الشّيْباني قال أبو بكر الهُذليّ قال: قلتُ لعكرمة: ما رأيتَ من يبلِّغنا عن النبيُّ(ص) أنه قال لأميّة: «آمن شعِره وكفر قلبُه»؛ فقال: هو حقّ. وما الذي أنكرتم من ذلك؟ فقلتُ له: أنكرنا قوله:

والشمسُ تطلُع كلُّ آخرِ ليلةٍ حمراء مطلَعُ لونِها مُتوردُ
تأبى فلا تبدو لنا في رِسْلها إلا مُعذَّبةً وإلاَّ تُجلَدُ(١)

فما شأنُ الشمس تُجلد؟ قال: والذي نفسي بيده ما طلعتْ قطُّ حتّى ينْخُسها سبعون ألف ملكٍ يقولون لها: اطلُعي؛ فتقول: أأطلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله! قال: فيأتيها شيطانٌ حين تستقبلْ الضّياء يريد أن يصدُّها عن الطُّلوع فتطلعُ على قرنْيه، فيُحْرقه الله تحتها. وما غربتْ قطُّ إلاَّ خرّتْ لله ساجدةً، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصدّها عن السجود، فتَغرُب على قرنْيه فيُحْرقه الله تحتها؛ وذلك قول النبيّ (ص): «تطلعُ بين قرنْي شيطان وتغرب بين قرنْي شيطان».

(١٣٠/٤)

---

(١) الرِّسْل: هنا: الرفق والتؤدة.

(٣)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال: جاء الحارث بن عوْف بن أبي حارثة إلى النبيّ (ص) فقال: أجرْني من شعر حسّان، فلو مُزج البحرُ بشعْره لمزجه، قال: وكان السببُ في ذلك ـ فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمِّي مُصْعب ـ أنّ الحارث بن عوف أتى رسول الله(ص) فقال: ابعثْ معي مَنْ يدعو إلى دينك وأنا له جار. فأرسل معه رجلاً من الأنصار. فغدرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريّ، فقدم الحارثُ على رسول الله(ص)، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحداً في وجهه، فقال: «ادْعُوا إلي حسّان»؛ فدُعي له. فلمّا رأى الحارث أنشده:

يا حارِ مَنْ يغدرْ بذمّة جاره ... منكُمْ فإنّ محمداً لم يغدُرِ(١)

إنْ تغدُروا فالغدْرُ منكم شيمةٌ ... والغدرُ ينبُت في أصول السُّخْبرِ(٢)

فقال الحارث: اكْفُفْه عنّي يا محمد، وأؤدّي إليك دية الخُفارة(٣)؛ فأدّى إلى النّبيّ (ص) سبعين عُشراء(٤)، وكذلك ديةُ الخُفارة، وقال: يا محمد، أنا عائذٌ بك من شرِّه، فلو مُزج البحرُ بشعْره مزجه. (١٥٤/٤)

(٤)

قال إسحاق: حدّثني بعض أهل العلم عن ابن عيّاش عن الشَّعْبيّ قال: رأيت دغفلاً النّسابة يحدِّث أنه رأى العباس بن عبد المطلب سأل عمر بن الخطّاب عن الشعراء. فقال: امرؤ القيس سابقُهم خَسَفَ لهم عين الشعر فافتقر عن معانٍ عورٍ أصحَّ بصراً. قال إسحاق: معنى خسف: احتفر. وهو من كنْدة من اليمن، وليست لهم فصاحةُ مُضر، ولا شعرهم بجيِّد. فجعل معاني اليمن معاني عُوراً وما قاله: أصحُّ بصراً أي أجود شعراً. ومعنى افتقر: احتفر. والفقيرة: الحفيرة تُحفر للفسيلة لتُغْرس. وكل ما ابتدأت حَفْره فهو فقير. والمعنى أنه قال شعراً جيّدا وليس هو في

---

(١) يا حارِ: ترخيم يا حارث.

(٢) السُّخبر: شجر إذا طال تدلّت رؤوسه وانحنت، ويقال: ركب فلان السُّخبر: إذا غدر.

(٣) الخُفارة: الذمام.

(٤) العشراء من النوق: التي مضى على حملها عشرة أشهر، وقيل: ثمانية

معنى شعر مُضر(١). (١٩٩/٨)

(٥)

... فقال رسول الله (ص): «ذلك (امرؤ القيس) رجلٌ مذكور في الدنيا شريف فيها. منسيٌّ في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار». (١٩٩/٨)

(٦)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: قال مُزرِّد لأمّه: كان كعب بن زُهير لا يهابني وهو اليوم يهابني. فقالت: يا بُنيّ نعم! إنه يرى جرْو الهراشُ موثقاً ببابك تعني أخاه الشمّاخ. وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المُفضّل قال: قالت: مُعاذة بنت بُجيْر بن خلف للشمّاخ ومُزرِّد: عرَضْتماني لشعراء العرب الحطيئة وكعب بن زُهير. فقال: كلاّ! لا تخافي. قالت: فما يؤمّنني؟ قالا: إنك ربطتِ بباب بيتك جرْويْ هراشٍ لا يجترئ أحدٌ عليهما. يعنيان أنفسهُما(٢). (١٦١/٩)

(٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا هارون بن عمر قال: حدّثنا أيُّوب بن سُويْد قال حدّثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله اللّيثيّ (عن ابن

---

(١) يقدّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأ القيس على الشعراء، لأنّه استحدث معاني لم تكن معروفة لدى الشعراء، ومنالمفيد أن نورد ما قاله ابن سلام في الطبقات (٥٥/١)، عن امرئ القيس فهو يشبه رأي عمر رضي الله عنه كثيراً، قال ابن سلاّم: « ... فاحتجّ لامرئ القيس مَنْ يقدِّمه قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنّه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحنتها العرب، واتّبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتّبكاء في الدِّيار، ورقّة النسيب، وقُرب المأخذ، وشبّه النساء بالظِّباء والبَيْض، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيّ، وقيّد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النّسيب وبين المعنى»، ولعلّ ما تقدّم هو ما كان يعنيه عمر رضي الله عنه من المعاني التي استحدثها امرؤ القيس.

(٢) كثيراً ما يصادفنا وصف الشاعر الجيّد الذي يجيد الهجاء، وقول الشعر بأنّه كلب هراش، فنرى الفرزدق يصف جريراً بقوله: « ... ولكنّهم هرّوه فوجدوه عند الهراش نابحاً ... »، الأغاني (٤١/٧)، ولا تحمل هذه الأوصاف أيّ معنى من معاني التنقّص، أو الاستهزاء، إنّما هي البيئة التي يستقي (الناقد) منها مصطلحاته وأوصافه.

عباس) قال: قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره إلى الجابية(١): أين ابن عبّاس؟ فأتيته: فشكا تخلُّف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقلت: أولم يعتذر إليك؟ قال بلى، قلت: فهو ما اعتذر به. ثم قال: أوّلُ مَنْ ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر، إنْ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة - ثم ذكر قصّةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركتها أنا - ثم قال: هل تروي لشاعر الشعراء؟ قلت: ومنْ هو؟ قال: الذي يقول:

ولو أنّ حمداً يُخلدُ الناس أخلدوا ولكنّ حمْدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ

قلت: ذاك زُهيْر. قال: فذاك شاعرُ الشعراء. قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال: لأنّه كان لا يُعاظِل(٢) في الكلام وكان يتجنّب وحْشيَّ الشعر، ولم يمدح أحداً إلاّ بما فيه(٣). قال الأصمعيّ: يعاظل بين الكلام: يداخل فيه. ويقال: يتبع حُوشيّ الكلام، ووحْشيَّ الكلام، والمعنى واحد.

(٢٨٨/١٠)

(٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبدُ الله بن عمرو القيْسيّ

---

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصُّفر في شمالي حوران، ويقال لها جابية الجولان أيضاً. ينظر معجم البلدان (٢/٩١).

(٢) يعاظل: عظل الجراد معاظلة وعظالاً إذا ركب بعضه فوق بعض، والعظال في القوافي: التضمين، ينظر لسان العرب (١١/٤٥٧)، وقد أورد صاحب اللسان جزءاً من هذا النصّ حيث قال: «أشعر شعرائكم مَنْ لم يعاظل الكلام ولم يتتبّع حُوشيّه؛ قوله: لم يعاظل الكلام أي لم يحمل بعضه على بعض ولم يتكلّم بالرَّجيع من القول ولم يكرّر اللفظ والمعنى، وحُوشيّ الكلام: وحشيّه وغريبه .. ويعاظله أي لا يعقدُه ولا يوالي بعضه فوق بعض، وكلّ شيء ركبَ شيئاً فقد عاظله». وقد دخلت إشارة عمر عن عدم وجود المعاظلة في شعر زهير مباحث النقّاد المتخصصّين فيما بعد، فنرى قدامة في نقد الشعر (ص ٢٠١)، والآمدي في الموازنة (١/٢٧٦)، وأبا هلال في الصناعتين (ص ١٦٢)، يوردون (مصطلح) عمر رضي الله عنه، ويشرحونه، ويعلّقون عليه، ويردّ بعضهم على الآخر. كما قسّم ابن الأثير المعاظلة إلى قسمين: لفظية ومعنوية، وجاء لهذين القسمين بشواهد مختلفة. ينظر المثل السائر (١/٢٩٤)، وهذا يشير إلى دور عمر رضي الله عنه في حركة النقد العربي من جهة، وجذور هذا المصطلح الذي أولاه النقّاد عنايتهم من جهة أخرى.

(٣) يجب أن ننبّه إلى التعليل الذي قوّى به عمر رضي الله عنه حكمه على زهير، فهو لم يقدّمه اعتباطاً، بل قدّمه لثلاثة أسباب هي المذكورة في النصّ، وهذا ملمح مهم من ملامح النقد في العصر الإسلامي، سيقوى عوده بعد هذا، ويكون التعليل هو الميزة التي يتميّز بها الناقد المتخصّص عن غيره من متذوّقي الشعر وشُداته.

قال حدّثنا خارجةُ بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سُفْيانَ عن أبيه عن ابن عبّاس، قال: وحدّثنيه غيرُه وهو أتمُّ من حديثه، قال قال ابن عبّاس: خرجتُ مع عمر في أوّل غزاةٍ غزاها. فقال لي ذاتَ ليلةٍ: يابنَ عبّاس أنْشدني لشاعر الشعراء. قلتُ: ومنْ هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابنُ أبي سلْمى. قلت: وبِم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتَّبع حُوشي الكلام، ولا يعاظل من المنطق[1]، ولا يقول إلاّ ما يعرف، ولا يمتدح الرجلَ إلاّ بما يكون فيه. أليس الذي يقول:

إذا ابتدرتْ قيسُ بنُ عيلانَ غايةً ... من المجْدِ منْ يسْبقْ إليها يسوَّدِ[2]

سبقتَ إليها كلَّ طلْقٍ مُبرِّزٍ ... سبُوقٍ إلى الغايات غيرِ مُزنَّدِ[3]

كفعل جوادٍ يسْبقُ الخيلَ عفوُهُ الـ ... ـسِّراعَ وإن يجْهدْ ويجْهدْنَ يبْعُدِ

ولو كان حمْدٌ يُخْلِدِ الناسَ لم تمُتْ ... ولكنَّ حمْدَ النّاس ليس بمُخْلِدِ

أنْشدني له، فأنشدتُه حتى برق الفجرُ، فقال: حسْبُك الآن، اقرأ القرآن. قلت: وما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأتُها ونزل فأذَّن وصلّى. (١٠/٢٩٠)

(٩)

سأل الحطيئةُ كعبَ بن زهير أن يقول شعراً يقدِّم فيه نفسه، ثمَّ يُثنِّي به بعْدَه، ففعل. (١٧/٨٢)

---

(١) جاء في النصِّ السابق: يعاظل في الكلام، وفي اللسان مثلما رأينا في التعليق أنَّ هذا الفعل يتعدّى بنفسه.

(٢) يقول: إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسوَّد مَنْ سبق إليها كنتَ السابقَ إليها، وقيس بن عيلان: قبيلة.

(٣) يقال: رجل طلق اليدين إذا كان معطاء، وظاهر أنّه يريد أن يصف الجواد بأنّه ماضٍ يجود بما عنده من العفو، والمبرِّز: الذي سبق الناس إلى الكرم والخير. والمزنَّد هنا: البخيل أو اللئيم.

العصر الأموي

(١)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلْبيّ: أنّ عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال: متّعني اللهُ بك! إنّ نفسي قد تاقتْ إلى قول الشّعر ونازعتني إليه، وقد قلتُ منه شيئاً أحْببتُ أن تسمعه وتستره عليّ. فقال: أنشدني، فأنشده: أمِن آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فقال له: أنت شاعرٌ يابنَ أخي، فقُلْ ماشئتَ. قال: وأنشد عمرُ هذه القصيدة طلْحةَ بن عبد الله بن عوْف الزُّهْريَّ وهو راكبٌ، فوقف ومازال شانقاً(١) ناقته حتى كُتبتْ له. (٨١/١)

(٢)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسديّ قال: قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصري: لئن وُلِّيتُ العراقَ لأستكتبنّ نُصيباً لفصاحته وتخلُّصه إلى جيّد الكلام. (٣٤٢/١)

(٣)

... قال العجّاج: كان (الكميت والطِّرماح) يسألاني عن الغريب فأخبرهما به. ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه، فقيل له: ولم ذاك؟ قال: لأنهما قرويان(٢) يصفان مالم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في مواضعه(٣).. (٩٧/٢)

---

(١) يقال: شنق البعير إذا جذبه بالشّناق حتى يرفع رأسه، والشّناق كالزمام وزناً ومعنى.

(٢) قرويان: من أهل القرى.

(٣) توقّفنا في القضية السابقة عند هذا الأمر، ورأينا بعض (النقاد) لا يشترط المشاهدة، والعيش في التجربة كي يقول الشاعر الشعر، ونرى العجّاج هنا يردُّ الخلل في شعر الكميت والطرمّاح إلى اقتصارهما على =

(٤)

ووصف أبو عبيدة ومحمدُ بن سلاّم شعر الحطيئة فجمعتُ متفرّق ما وصفاه به في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم وابن دُريد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة قالا: كان الحطيئة متين الشعر، شرُودَ القافية، وكان دنيء النفس، وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعنا، وما أقلَّ ما تجد ذلك في شعره(١)، قالا: فبلغ من دناءة نفسه(٢) أنه أتى كعب بن زُهير ـ وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير ـ فقال له: قد علمتَ روايتي لكم أهل البيت(٣) وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك، فلوقلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضعُني موضعاً بعدك! ـ وقال أبو عبيدة: تبدأ فيه ثم تُثنّي بي ـ فإنَّ الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع! فقال كعبُ:

فمن للقوافي شانها مَنْ يحوكُها إذا ما ثوى كعبٌ وَفوَّزَ جرْولُ(٤)
كفيتُك لا تلقى من الناس واحدا تنخَّلَ منها مثلَ ما نَتنخَّلُ(٥)
نقولُ فلا نعيا بشيءٍ نقولُه ومن قائليها مَنْ يسيء ويُجْمِلُ
نُثقِّفُها حتى تلينَ مُتُونُها فيقْصرُ عنها كلّ ما يُتمثَّلُ

= السماع وحده، وعدم المعايشة، وهذا من ضمن ما أخذ عليهما مع شعراء آخرين مثل عدي بن زيد وأمية بن أبي الصلت، لسكنهم القرى، وابتعادهم عن البادية

(١) سنرى الجزء المتعلّق بأبي حاتم، وأبي عبيدة مع نصوص العصر العباسي، وأثبت هنا حفظاً للسياق.

(٢) لم نستطع تبيّن السبب في إطلاق صفة (الدناءة) على صنيع الحطيئة، فإذا كان الإلحاف في السؤال، وهجاء مَنْ لا يستحقّ دناءةً، فلن يدخل فيها طلبه أن يُذكر في شعر يُبقي اسمه، ويخلّده، مع التنبيه إلى أنَّ الحطيئة جعل من نفسه ثانياً بعد كعب، وفي هذا تفضيل لكعب، وتقديم له.

(٣) أهل البيت: يعني أهل بيت زهير، ويريد الحطيئة المدرسة الشعرية التي كان هو تلميذاً فيها، تلك المدرسة التي بدأها أوس بن حجر زوج أم زهير، وكان زهير راوية له، ثم توارثها أبناء زهير بعد هذا، وكان زهير نفسه أستاذ الحطيئة، فكأنّه يشير إلى اتّفاقهم جميعاً في المذهب الشعري الذي سُمّي (عبيد الشعر)، وهو يروي أشعارهم، ويقول الشعر وفق منهجهم. ينظر كتابي الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٥٩) وما بعدها، فقد فصلت الحديث عن هذه القضية.

(٤) شانها: جاء بها شائنة أي معيبة، وثوى: مات، وكذا فوّز. قال ابن برّي: وقد قيل: إنّه لا يقال فوّز فلان حتى يتقدّم الكلامَ كلامٌ فيقال: مات فلان وفوّز فلان بعده، يشبه بالمصلّي من الخيل بعد المجلّي.

(٥) نتنخّل: يقال: تنخّلت الشيء: تخيّرته واستقصيت فضله.

قال: فاعترضه مزرّدُ بن ضرارٍ، واسمه يزيد وهو أخو الشمّاخ، وكان عريضاً أي شديد العارضة كثيرها، فقال:

باستك إذ خلّفتني خلفَ شاعرٍ ... من الناس لم أكْفئ ولم أتنحّلِ(١)

فإن تخشبا أخْشب وإن تتنخّلا ... وإن كنتُ أفتى منكما أتنخّلِ(٢)

فلستَ كحسّانَ الحُسام ابنِ ثابتٍ ... ولست كشمّاخٍ ولا كالمُخبَّلِ (١٦٥/٢)

(٥)

وأخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلاّم قال: كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولّدات مكّة. فلما وردَ على أهل المدينة نعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزناً وتسلُّباً(٣) وجعلت لا تمرّ بسكّة من سكك المدينة إلا ندبته، فلقيها بعضُ فتيان مكّة، فقال لها خفّضي عليك، فقد نشأ ابنُ عم له يشبه شعرُه شعره، فقالت: أنشدني بعضه، فأنشدها قوله:

إني وما نحروا غداةَ منىً ... عند الجمار تؤودها العُقُلُ(٤)

الأبيات كلّها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول: الحمد لله الذي لم يُضيّع حرمه. (٣٤٢/٣)

(٦)

قال الزبير فحدّثني محمد بن يحيى قال: قدم الفرزْدقُ المدينة، ثم خرج منها، فسُئل عن شُعرائها، فقال: رأيتُ بها شاعرين(٥) وعجبتُ لهما: أحدُهما أخضرُ(٦) يسكن خارجاً من

(١) أكفأ: من الإكفاء المعدود من عيوب القافية وهو المخالفة بين حركات الرويّ رفعاً ونصباً وجراً. والتنحّل: أن يدّعي الشعر لنفسه وهو لغيره.

(٢) تخشبا: يقال: خشب الشعر يخشبه خشباً أي يمرّه كما يجيئه ولم يتأنّق فيه ولا تعمّلَ له. وهو يخشب الكلام والعمل إذا لم يُحكمه ولم يجوّده.

(٣) التسلُّب: حداد المرأة على زوجها، وقد يكون على غير الزوج.

(٤) تؤودها: من أدّه الأمر يؤدّه ويئدّه إذا دهاه. والعقل: جمع عقال. والبيت للحارث بن خالد المخزومي ضمن قصيدة. (٥) يعني هما المقدّمان بين شعراء المدينة.

(٦) أخضر: يريد لونه بدلالة (أحمر) وهو لون الأحوص. والأخضر مَنْ كان شديد الأدمة أي السُمرة. وقد وصف الفضل اللّهبي نفسه بالأخضر لأنّه كان شديد الأدمة. ينظر الأغاني (١٧٥/١٦)، وفيه أيضاً (٣٨٣/٤). =

بُطْحان(١) (يريدُ ابن هرْمة)؛ والآخر أحمر(٢) كأنّه وحَرةٌ على بُرودة(٣) في شعره (يريد الأحوص) والوحَرةُ: يعْسوبٌ أحمر ينزل الأنبار(٤). (٤/٢٣٢)

(٧)

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: قدم جريرٌ المدينة، فأتاه ابن هرْمة وابنُ أذينة فأنشداه؛ فقال جرير: القُرشيّ أشعرهما، والعربيّ أفصحهما(٥). (٤/٣٩٣)

(٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال: ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال: كان صاحبَ خُلْقان(٦) عنده مُطرَفٌ بألفٍ، وخمارٌ بوافٍ (يعني درهماً)(٧). (٥/٢٨)

= إن ابن هرمة كان قصيراً دميماً أريمص، أي إنّ عينه تسيل ماءً، ولم ترد هذه الصفة (الأخضر) إلاّ عند الفرزدق.

(١) بُطحان: وادٍ بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة. ينظر معجم البلدان (١/٤٤٦)

(٢) أحمر: كان الأحوص أحمر اللون، ينظر الأغاني (٤/٢٣٢).

(٣) مضى الحديث عن البرودة في الشعر.

(٤) الوحرة: جاء في لسان العرب (٥/٢٨٠): «الوَحرة وَزَغة تكون في الصحارى أصغر من العِظاءة، وهي على شكل سامٍّ أبرص .. أو هي ضرب من العِظاء، صغيرة حمراء لها ذنب ...». وجاء في هامش الأغاني: «وهذا التفسير الذي ذكره المؤلف للوَحَرة غريب». واليعسوب: «أمير النحل وذكرها، أو هو طائر أصغر من الجرادة .. طويل الذّنب». ينظر لسان العرب (١/٦٠٠). والأنبار: حدُ بابل؛ سُمِّيت بذلك لأنّه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والتبن، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهراء. فلّما دخلتها العرب عرّبتها فقالت الأنبار.

(٥) يريد بالقرشي إبراهيم بن هرمة، وبالعربي عروة بن أذينة وهو من شعراء المدينة، معدود من الفقهاء والمحدّثين. ينظر الأغاني (١٨/٣٢٢). وفي حكم جرير تفرقة جيدة بين الفصاحة والشاعرية، فليس كلّ فصيح من الشعر جيّداً، فللشعر الجيد مقاييسه، ومواصفاته، وربّما تكون الفصاحة جانباً من هذا، ولكنّها ليست الجانب الوحيد، وهو الذي أشار إليه جرير.

(٦) صاحب الخلقان: بائع الثياب (٧) المطرف: جمعها المطارف وهي أردية من خزٍّ مربّعة لها أعلام، وقيل: ثوب مربّع من خزٍّ له أعلام. ينظر لسان العرب (٩/٢٢٠). وبألف يعني بألف درهم أو ما شابه، يريد غلاء =

(٩)

حدّثني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا خلاد الأرقط قال: كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدِّين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضُهم بعضاً. فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكريّ وأبو حُزابة التَّميمي وهما في الحرب؛ فقال عبيدة: يا أبا حُزابة، إني سائلك عن أشياء، أفتصدُقني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمَّنْت لي مثلَ ذلك؛ قال: قد فعلتُ. قال: سل عما بدالك. قال: فأيُّ الرجلين أشعر: أجرير أم الفرزدق؟ قال: عليك وعليهما لعنة الله! أيهما الذي يقول:

وطوى الطِّرادُ مع القياد بطونها   طيَّ التِّجارِ بحضْرَ موتَ بُرُودا(١)

قال: جرير! قال: فهو أشعرهما. قال: وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلّب محكِّمين له في ذلك؛ فقال: أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهاوشين فيمتضغاني! ما كنت لأحكم بينهما، ولكنّي أدُلّكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابُهما، عليكم بالشُّراة فسلوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب. (١٤٨/٦)

(١٠)

أخبرني أحمد قال حدّثني محمد بن عبّاد عن أبي عمرو الشّيْباني عن لبْطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال: إنَّ ها هنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء. فسألناه مَن هما؟ فقال: السيّد الحميريّ وعِمْران بن حِطان السّدوسيّ، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قد شغل كلَّ واحد منهم بالقول في مذهبه(٢). (٢٣١/٧)

= ثمنه. والخِمار: النَّصيف وهو ما تغطّي به المرأة رأسها، وقد يطلق على العمامة، لأنَّ الرجل يغطيَ رأسه بها كما تغطّيه المرأة بخمارها. والواف: هو الوافي وهو درهم وأربعة دوانق أو درهم ودانقان.

يشير الفرزدق إلى ظاهرة التفاوت في شعر الجعديّ، ففيه الجيُد المتين والرديء الضعيف، وقد تحدثْنا عن التفاوت فيما سبق، وينظر عن هذا النصّ كتابي الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٧٢) وما بعدها

(١) القياد: حبل تقاد به الدابّة، أراد أنها سياسة الخيل وتضميره، والطِّراد: أن يحمل الفرسان بعضهم على بعض في الحرب، فيطرد بعضهم بعضاً، طوى بطونها: أذهب لحمها حتى انضمّت وضمرت، كأنّها ثوب طُوي، فصار مدمجاً مستوياً.

(٢) من المعروف أن السيّد الحميري كان من شعراء الشيعة، وكان عمران بن حطّان من شعراء الخوارج. =

(١١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال قال أبو عُبيدة، وأخبرنا أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم الجمحيّ قال حدّثني أبانُ بن عثمان البلْخيّ(١) قال: تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلّب، فارتفعا إليه وسألاه؛ فقال: لا أقول بينهما شيئاً ولكنّي أدلُّكما على من يهُون عليه سُخْطُهما: عُبيدة بن هلال اليشْكريّ - وكان بازائه مع قطريّ(٢) وبينهما نهر. وقال عمر بن شبّة: في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سبالُ(٣) كلِّ واحد منهما - فأمّا أنا فما كنتُ لأعرِّض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج؛ فبدر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه، فقال: إنّي أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه؛ فقال: وما هو؟ عليكما لعنة الله. قال: فأيُّ الرجلين عندك أشعرُ: أجريرٌ أم الفرزدق؟ فقال: من الذي يقول:

إنّا لنذعر يا قُفَيْرُ عدوَّنا ... بالخيل لاحقةَ الأياطل قُودا(٤)

وتحُوط حوْزتنا وتحْمي سرْحنا ... جرْدٌ ترى لمُغارها أخْدودا(٥)

أجْرى قلائدها وقدَّد لحمها ... ألاّ يذُقْنَ مع الشّكائم عُودا

وطوى القيادُ مع الطِّراد مُتونها ... طيَّ التِّجار بحضْرَ موْتَ بُرودا

قالا: جريرٌ؛ قال: فهو ذاك. فانصرفا. (٦/٨)

= فكأنَّ الفرزدق يريد أن انشغال هذين الشاعرين بالقول في مذهبيهما: الشيعيّ والخارجيّ قد حجبهما عن القول في الأغراض الأخرى الشائعة في ذلك العصر، ولولا ذلك لتقدّما كثيراً من الشعراء. وفي هذا الحكم إشارة إلى براعتهما، وجودة شعرهما مع ما هما عليه من ذلك الانشغال بالمذهب. ينظر كتابي الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ١٢٦) وما بعدها.

(١) ورد هذا النصّ في طبقات ابن سلاّم (١/٣٨٢)، وعلّق الشيخ شاكر بقوله: «وفي الأغاني: أبان بن عثمان البلخي، وهو خطأ صرف، والصواب البَجَليّ».

(٢) قطريّ: هو قطريّ بن الفجاءة أحد أبطال الخوارج ومتقدّمي، وكان شاعراً.

(٣) سبال: جمع سبلة وهي طرف الشارب ومقدَّم اللحية، يريد أنَّ في هؤلاء الخوارج مَنْ لا يباليهما.

(٤) قُفير: هي أمُّ الفرزدق، والأياطل: جمع أيطل وهي الخاصرة، ولاحقة: ضامرة، والقود: جمع أقود: وهو من الخيل الطويل العنق.

(٥) الجُرد: الخيل، والمغار: الإغارة، والأخدود: الحفرة في الأرض، يريد أثر حوافرها في الأرض

(١٢)

قال ابن سلاّم: وحدّثني أبو البيْداء الرِّياحيّ قال قال الفرزق: إنّي وإيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دلاء «جرير» عند طول النّهر(١). (٨/٨)

(١٣)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثني أبو نصر اليشْكُريّ عن مولىً لبني هاشم قال: امْترى(٢) أهلُ المجلس في جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ، فدخلتُ على الفرزدق فقال: هاتِ حاجتكَ يابنَ أخي، فأخبرتُه؛ قال: أعنِ ابنِ الخطفى تسألني! ثم تنفّس حتى قلتُ: انشقّتْ حيازيمُه(٣)، ثم قال: قاتله الله! فما أخْشن ناحيتَه(٤) وأشْردَ قافيته(٥)! والله لو تركوه لأبْكى العجوز على شبابها، والشّابة على أحبابها، ولكنّهم هرُّوه(٦) فوجدوه عند الهراش نابحاً وعند الجراء قارحاً(٧)، وقد قال بيتاً لأنْ أكونَ قلتُه أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمس:

إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلَّهُم غضابا (١١/٨)

---

(١) النّهز: يقال: نهزتُ بالدّلو في البئر إذا ضربت بها إلى الماء لتمتلئ، ونهز الدّلو ينهزها نهزاً: نزع بها، ينظر لسان العرب (٥/٤٢٢)، ويريد الفرزدق ضعف جرير في الغوص على المعاني والإطالة في استنباط الشعر وتطويله، ينظر فحول الشعراء، ابن سلاّم (٣٧٧/١)، هامش رقم (٣)، ويقول أحد الباحثين: «إنّ الفرزدق يرى أنّه وجريراً يستمّدان شعرهما من نبع واحد، وأنّ شعره في جملته أقوى من شعر جرير»، تاريخ النقد عند العرب، د. عبد العزيز عتيق (ص ١٦٦)، وفي النصّ اعتراف بشاعرية جرير، وقوفه على مستوى واحد معه، مع تعريض واحد هو اضطراب الدّلاء، وتفضيل الفرزدق لنفسه على الشعراء ذائع معروف.

(٢) امرى: أي تجادلوا. (٣) حيازيمه: جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن

(٤) خشونة الناحية: تعبير عن جزالة الشعر ومتانته، وقد شُرحت فيما قبل.

(٥) شرود القافية: انتشار الشعر وسيرورته وذيوعه بين الناس، وهو من مقاييس تفضيل الشعر عند العرب، وظلّ هذا المقياس إلى العصر العباسي، قوياً فاعلاً، فقد سأل دعبل مروان بن أبي حفصة عن أشعر المحدثين فقال: أشعرنا أسيرنا بيتاً، ويريد به ربيعة الرقّي، ينظر خزانة الأدب (٣٠١/٦)

(٦) هرّوه: اختبروه، وقارعوه بالهجاء. (٧) الهراش: مقاتلة الكلاب والديوك وما إليها، والنابح: الكلب، والجراء: الجري والركض، والقارح: هو الجمل القوي الشديد، ولا يذهب الظنّ إلى أنّ هذه الأوصاف تعني انتقاصاً من جرير، بل هي تحمل كلّ معاني التفضيل والتقديم، فهو سابقٌ، متقدّمٌ، منتصرٌ على أولئك الشعراء الذين قارعوه، وهاجوه، والفرزدق يستخدم ألفاظ بيئته، وينطق بلسانها ويعبر عن ضميرها.

(١٤)

قال ابن سلاّم أخبرني أبو قيس عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبتِ، من أشعرُ الناس؟ فقال: ألجاهلية تريدُ أم الإسلام؟ قلتُ: أخْبرني عن الجاهلية. قال: شاعرُ الجاهلية زُهيْر. قلت: فالإسلام؟ قال: نبْعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد صفةَ الملوك ويُصيبُ نعْتَ الخمر. قلت: فما تركتَ لنفسك؟ قال: دعْني فإني نحرْتُ الشعر نحْراً(١). (٨/٣٤)

(١٥)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي بكْر الهُذليّ قال: قال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة: يا أبا فراس، هل تعلم اليوم أحداً يرْمي معك؟ فقال: لا! والله ما أعرف نابحا إلا وقد استكان ولا ناهشا إلا وقد انْجحر إلا القائل:

فإنْ لم أجِدْ في القُرْب والبعدِ حاجتي … تشــــامــتُ أو حــوّلتُ وجهي يمــانيا
فــردّي جــمــال الحــيّ ثم تحــمّلــي … فــمــــالك فــيــهم من مُقــامٍ ولا ليــا
فـــإنّـــي لمغـــرورٌ أعـــلّل بالمُـــنى … ليـــاليَ أرجـــو أنَّ مـــالك مـــاليـــا
وقـــائلـــةٍ والدمـــعُ يحْـــدرُ كُحْلهـــا … أبعـــدَ جـــرير تُكرمـــون المواليـــا
بأيِّ نجــادٍ تحــمل الســيفَ بعــد مــا … قطعتَ القُوى من مـحْملٍ كـان باقـيـا
بأيِّ ســـنانٍ تطعُنُ القـــرْمَ بعـــدمـــا … نزعْتَ سناناً من قناتك مـــاضـــيـــا
لســـاني وسـيـفي صــارمـان كـلاهـمـا … ولَلسّيْفُ أشْــوى وقْعــةً مــن لســانيـا

قال: وهذا الشعر لجرير. (٨/٣٥)

(١٦)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: أتيتُ الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيتَ الكلبَ جريراً؟ قلت نعم. قال: فأنا أشعر أو

---

(١) يُلاحظ أنْ جريراً جعل زهير بن أبي سلمى أشعر شعراء الجاهلية، ولكنّه عدل عن هذا التعميم في شعراء الإسلام، ولكنّنا نفهم ضمناً أنّه جعل نفسه أشعرهم، فإذا كان الفرزدق نبعة الشعر، والأخطل يجيد صفة الملوك، وهو ما عُرِف عنه، ويصيب نعت الخمر، فإنّه قد نحر الشعر نحراً، أي لم يُبقِ زيادة لمستزيد، وهو تفضيل ضمني مثلما أشرنا فيما سبق.

هو؟ فقلت: أنت في بعض الأمر وهو في بعض. فقال: لم تُناصحني. فقلت: هو أشعرُ إذا أرْخى من خناقه(١)، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ(٢)! (٣٦/٨)

(١٧)

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عيّاش الهمدانيّ قال: بَيْنا المهلّبُ ذاتَ يوم (أو ليلة) بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبةً وصياحاً؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب تحاكموا إليك في شيء. فأذن لهم فقالوا: إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلّ فريقٍ منّا يزعُم أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رضينا بحكم الأمير. فقال: كأنّكم أردتم (أن) تُعرِّضوني لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتي! لا أحكمُ بينهما، ولكنّي أدلُّكم على من يهُون عليه سبال جرير وسبال الفرزدق، عليكم بالأزارقة، فإنهم قومٌ عربٌ يبْصُرون بالشعر ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هلال اليشْكريّ ودعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل من عسكر المهلّب كان لقطريّ صديقاً؛ فقال له: يا عُبيدة، سألتُك الله إلاَّ أخبرتني عن شيء أسألُك عنه. قال: سلْ. قال: أو تُخْبِرُني؟ قال: نعم إن كنتُ أعلمه. قال: أجريرُ أشعرُ أم الفرزدقُ؟ قال: قبحك الله! أتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر! قال: إنّا تشاجرْنا في ذلك ورضينا بك. فقال: من الذي يقول:

وطوى الطِّرادُ مع القيادِ بطونها ... طيَّ التِّجارِ بحضْرَ مَوْتَ برودا

فقال: جرير. قال: هذا أشعرُ الرجلين. (٤٢/٨)

(١٨)

أخبرني محمد بن عمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني محمد

---

(١) أرخي من خناقه: يريد إذا أمن واطمأن. ولعلّ هذا يشبه قول عبيد بن الأبرص حين طلب منه المنذر أن ينشد فقال: حال الجريض دون القريض، والجريض: الغصّة. أي لا أستطيع أن أنشد وأنا على هذا الحال. وكان موثقاً، مهدّداً بالقتل، ينظر الأغاني (٨٧/٢٢).

(٢) جاء في العمدة لابن رشيق (١٢٠/١): «وقالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب» وعقد ابن رشيق باباً لعلم الشعر، وشحذ القريحة له (٢٠٤/١)، فليراجع.

بن عبد الله بن أدم قال سمعت عُمارة بن عُقيل يحدِّث عن أبيه عن جدِّه قال: قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ قال فقال: ابنُ العشرين(١). قال: فما رأيك في ابني أبي سلمى(٢)؟ قال: كان شعرهما نيِّراً(٣) يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتّخذ الخبيثُ الشعر نعلين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذلاذله(٤). قال: فما تقول في ذي الرُّمة؟ قال: قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه (على) ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج لسانُ ابنِ النّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يا أمير المؤمنين نبْعةٌ من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً! قال: بلى والله يا أمير المؤمنين! إنّي لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبتُ فأطربتُ، وهجوتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسنَّيت(٥)، وأرْملتُ فأغْزرت(٦)، ورجزتُ فأبْحرت(٧)؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها، وكلُّ واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقت(٨). (٥٢/٨)

---

(١) ابن العشرين: هو طرفة بن العبد الشاعر المعروف، قُتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين، قتله عمرو بن هند بيد أبي الربيع بن حوثرة عامله على البحرين. (٢) ابنا أبي سُلْمى: زهير وابنه كعب.

(٣) النّير: من النِّير وهو القصب والخيوط إذا اجتمعت، والنِّير: هو العلم في الثوب، ينظر لسان العرب (٢٤٦/٥)، يريد أنّ شعرهما معروف مشهور.

(٤) ذلاذل القميص: ما يلي الأرض من أسافله، كناية عن الخدمة، والتكريم. (٥) سنى الشيء: سهله وفتح، وفي هامش الأغاني: «والأحرى بهذه الكلمة أن تكون فأسنيت، وأسنى: رفع وأعلى.

(٦) أرملت: من أرمل ولها معانٍ كثيرة، وممّا يناسب كلام جرير هنا معنيان أولهما: أرملت أي قلت الرَّمل وهو كل «شعر مهزول غير مؤتلف البناء، وهو ممّا تسمّي العرب من غير أن يحدّوا في ذلك شيئاً». لسان العرب (٢٩٦/١١)، ونستبعد هذا المعنى لأن فيه حكماً من جرير على شعره بالهزال والتفكك. أمّا المعنى الثاني فيقال أرمل «النَّسج: رقّقه، والحصير: زيّنه بالجوهر». لسان العرب (٢٩٥/١١)، وهذا المعنى يتّفق مع وصف الشعر بأنّه ضرب من النسج، وعليه فإنْ جريراً قد جاء بالشعر الجيد، المتين، فأكثر منه بدلالة أغزرت أي أكثرت.

(٧) رجزتُ: أي قلتُ الشعر الخفيف السهل، وليس من الضروري أن يريد به الرجز المعروف، لأنّ جريراً وطبقته من الشعراء كانت تنأى عن الرَّجز، وتعدّه ضعفاً في الشاعر، وأبحرت: يقال: أبحر الماء صار ملحاً، وبحر الناقة والشاة شقّ أذنها بنصفين، والبَحر في كلام العرب: الشّق، ينظر لسان العرب (٤٢/٤ - ٤٣)، فكأنّه قال ذلك الشعر السهل العذب ولكنّه مرٌّ في وقعه وتأثيره، أو إنّ شعره شقّ طريقه بقوة غير أبه بالآخرين.

(٨) هناك ثلاث ملاحظات على هذا النصّ الطويل المهم: أولاها إنّ جريراً جعل طرفة أشعر الناس، بينما =

(١٩)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ؟ فقال: أمّا الفرزدق فيتكلّف منّي ما لا يُطيقه؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأرْمانا للفرض؛ وأما أنا فمدينةُ الشعر. وقد حدّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشي، وقال في خبره: وأما الأخطل فأنْعتُنا للخمر وأمْدحنا للملوك. (٨/٧٣)

(٢٠)

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني ابن النطّاح قال حدّثني أبو اليقْظان قال: قال جرير لرجل من بني طُهيّةَ: أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلماء. فصاح جرير: أنا أبو حَزْرة! غلبتُه وربِّ الكعبة والله ما في كل مائة رجل عالمٌ واحد(١). (٨/٧٩)

= جعل زهيرَ ابن أبي سلمى أشعر الناس في نص سابق هو الرابع عشر، ولن نستغرب كثيراً من هذا الاختلاف في الأحكام، فالموقف النفسي ذو تأثير على (الناقد)، كما إنّ التأثرية تفرض نفسها في أحيان كثيرة فتغيّر من أحكام الناقد نفسه.

وفي الشعر والشعراء نصّ مهم يوضح ما نحن بصدده يقول ابن قتيبة (١/٨٢): «ولله درُّ القائل. أشعر الناس مَنْ أنت في شعره حتى تفرغ منه. وقال العتبي: أنشد مروان بن أبي حفصة لزهير فقال. زهير أشعر الناس، ثمّ أنشد للأعشى فقال: بل هذا أشعر الناس ثم أنشد لامرئ القيس فكأنّما سمع به غناءً على شراب، فقال: امرؤ القيس والله أشعر الناس». فهذا يوضّح موقف جرير، خاصة ونحن نعلم تأخر مروان عن جرير بزمن أمّا الملاحظة الثانية فهي إنّ جريراً جعل من نفسه مدينة الشعر، وهو وصف جليل، فهل يلمح إلى تفضيل نفسه على الشعراء الذين سئل عنهم، ومعم طرفة الذي جعله أشعر الناس؟ إنّ التدقيق يقودنا إلى أنّ جريراً يريد هذا، وخاصة إذا نظرنا في النصّ الرابع عشر السابق، فهو يرى هنا، وهناك أنّه فوق الشعراء جميعاً، أمّا الملاحظة الأخيرة فهو التعليل الذي قدّمه جرير للخليفة عن جعله نفسه مدينة الشعر، وهو قوله في أغراض الشعر جميعاً، بينما اكتفى غيره من الشعراء بغرض واحد، أو غرضين، أو ثلاثة أغراض، ونحن نعلم أنّ القول في أغراض كثيرة كان من مقاييس التقديم، خاصة المديح والهجاء، وهو ما ألحّ عليه جرير في حكمه، مع النسيب، وتجويد شعره، وقوتّه.

(١) توقّفنا عند هذا الأمر في القضية السابقة.

(٢١)

حدّثني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال: قال هشام بن عبد الملك لشبّةَ بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أميرٌ: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزّقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا برّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ؟ فقال شبّة: أما جرير فيغْرف من بحر(١)، وأما الفرزدق فينْحت من صخر(٢)، وأما الأخطل فيُجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسّرْتَ لنا شيئاً نحصّله. فقال ما عندي غيرُ ما قلت. فقال لخالد بن صفْوان: صفْهم لنا يابنَ الأهْتم؛ فقال: أما أعظمهُم فخرا، وأبعدُهم ذكرا، وأحسنُهم عذرا؛ وأسْيَرُهم مثلا، وأقلُّهم غزلا، وأحْلاهم عللا؛ الطامي إذا زخر(٣)، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر؛ الذي إن هدر قال، وإن خطر صال؛ الفصيحُ اللسان، الطويلُ العنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنُهم نعْتا، وأمدحُهم بيْتاً، وأقلُّهم فوْتاً(٤)؛ الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل. وأمّا أغزرُهم بحْرا، وأرقُّهم شعْرا، وأهْتكُهم لعدوِّه ستْرا؛ الأغرُّ الأبْلق، الذي إن طلب لم يُسبق، وإن طُلب لم يلْحق؛ فجرير. وكلُّهم ذكيّ الفؤاد، رفيع العماد، واري الزِّناد(٥).

فقال له مسْلمةُ بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأوّلين ولا رأينا في الآخرين؛ وأشهد أنك أحسنُهم وصفاً، وألينُهم عِطفاً؛ وأعفُّهم مقالا، وأكرمُهم فعالاً. فقال خالد: أتمَّ اللّه عليكم نعمه، وأجْزل لديْكم قسمه؛ وآنس بكم الغُرْبة، وفرّج بكم الكُرْبة. وأنت، واللهِ ما علمتُ أيُّها الأمير، كريمُ الغراس، عالمٌ بالناس؛ جوادٌ في المحْل، بسّامٌ عند البذْل، حليمٌ عند الطّيْش، في ذروة قُريش؛ ولُباب عبد شمْس، ويومُك خيرٌ من أمس. فضحك هشامٌ وقال: ما رأيت كتخلُّصك يابنَ صفْوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمْتَ منهم. (٨/ ٨٠)

---

(١) يغرف من بحر. إشارة إلى تمكّنه، وقوة طبعه، وقدرته على التصرّف في فنون الشعر المختلفة

(٢) ينحت من صخر: إشارة إلى قوة شعر الفرزدق، وجزالته، ومتانته، فكأنّه صخر منحوت

(٣) الطامي: من طمَّ الشيء طموماً: إذا كثر حتى عظُم أو عمَّ، وهو الماء الكثير العظيم، أو البحر.

(٤) الفوت: الخلل والخطأ.

(٥) هذا وصف دقيق شامل لأهمِّ خصائص شعر الثلاثة، وهو نابع من معرفة عميقة بشعرهم، وما يتميّزون به، ولاحظنا أنّه تجنّب الحكم عليهم بتقديم واحد علِى الثلاثة كأنّه يخشى العاقبة، واكتفى بذلك الوصف، وهو من النصوص المهمة في وصف شعر الثلاثة.

(٢٢)

حدّثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسديّ وهاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قالا حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد قال: كان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماما، وإذا سئل عنه قال: وهل علّم(١) اللهُ عز وجلّ ما تسمعون إلاّ منه!. (٩٢/٨)

(٢٣)

أخبرني محمد بن مزْيد عن حمّاد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزُّبيريّ قال: كان كُثيِّر إذا ذُكر له جميلٌ قال: وهل علّم الله ما تسمعون إلا منه!. (٩٢/٨)

(٢٤)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة عن جُويرية بن أسماء قال: ما استنشدتُ كثيِّراً قطُّ إلاّ بدأ بجميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، وكان يفضِّله ويتّخذه إماماً(٢). (٩٧/٨)

(٢٥)

قال الزبير وكتب إليّ إسحاقُ يقول حدّثني صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنذر بن الزُّبير قال: ذُكر جميلٌ لكثيِّر، فقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: منه علّم اللهُ عزَّ وجلّ. (٩٧/٨)

(٢٦)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال كتب إليُّ أبو محمد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدّثني أبو عبيدة عن جُويرية بن أسماء قال: كان أبو صخْر كثيِّر صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلّما استنشدتُه إلاّ بدأ بجميل وأنشد له ثم أنْشد لنفسه، وكان يفضّله ويتّخذه إماماً. (٩٧/٨)

---

(١) علّم: يقصد علّمني، ويريد بها أنّه قد تعلّم قول الشعر، وهو مِنّة إلهية على يد جميل، إشارة منه إلى تفضيله، وتقديمه على نفسه.

(٢) هذا النصّ يوضح النّصين السابقين.

(٢٧)

قال عمر بن شبّة وقال إسحاق حدّثني السَّعيديّ عن أبي مالك النَّهْديّ قال: جلس إلينا نُصيب فذكرنا جميلاً، فقال: ذاك إمامُ المحبِّين، وهل هدى اللهُ عزَّ وجلّ لما ترى إلاّ بجميل. (٩٧/٨)

(٢٨)

وقال عُمارة بن عُقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى: سمعت أبي يقول: دخل جدِّي على بعض ملوك بني أمية؛ فقال: ألا تخبرني عن الشعراء؟ قال بلى. قال: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: ابنُ العشرين (يعني طرفة). قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ الشعر نعلين، فأقْسِمِ بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذلاذله. قال: فما رأيكَ في ابن أبي سلْمى؟ قال: كان يبْري الشعر(١). قال فما رأيك في ذي الرُّمّة؟ قال: قدر من طريف الكلام وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد حتى صنَّف الشِّعر. (١٩٩/٨)

(٢٩)

قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطل بالنابغة لصحَّة شعره. (٢٨٦/٨)

(٣٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سعْد قال: كنتُ مع نوح بن جرير في ظلّ شجرة، فقلت له: قبحك الله وقبح أباك! أمّا أبوك فأفنى عمره في مديح عبد ثقيف (يعني الحجّاج). وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ بن العبّاس فلَمْ تهتد لمناقبه ومناقب آبائه حتى امتدحته بقصر بناه. فقال: والله لئن سُؤتني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمة وفي يده أخرى، فقلت: يا أبتِ، أنت أشعر أم الأخطل؟ فجرض(٢) باللُّقْمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بُنيَّ، لقد سررْتني وسُؤتني. فأمّا سرورُكَ إيّاي فلتعهُّدِكَ لي مثْلَ هذا وسؤالك عنه. وأما ما سُؤتني به فلذكْرِكَ رجلاً قد مات. يا بُنيَّ أدركتُ الأخطل وله نابٌ واحد، ولو أدركته

---

(١) يبري الشعر: إشارة إلى تجويده الشعر وتنقيحه، وتهذيبه، وهو ما عُرف عن زهير وآل زهير.

(٢) جَرِض: غَصّ.

وله ناب آخر لأكلني به. ولكني أعانتني عليه خصلتان: كِبَرُ سنّ، وخُبْثُ دين. (٢٨٤/٨)

(٣١)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال: سُئلَ حمّاد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حبّب شعره إليّ النّصرانية!. (٢٨٥/٨)

(٣٢)

وذكر يعقوب بن السِّكّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو: أنّ جريرا سُئل أيّ الثلاثة أشعر؟ فقال: أمّا الفرزدق فتكلّف منّي مالا يُطيق. وأمّا الأخطل فأشدُّنا اجتراء وأرمانا للفرائص(١). وأمّا أنا فمدينة الشعر. (٢٨٥/٨)

(٣٣)

... وكان جرير يقول: أدركت (الأخطل) وله ناب واحد، ولو أدركتُ له نابين لأكلني... (٢٨٦/٨)

(٣٤)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: قال العلاء بن جرير: إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكّيت، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً (ولا سُكّيتاً، وجرير يجيء سابقاً) ومُصلّياً وسُكّيتاً(٢). (٢٨٦/٨)

---

(١) الفرائص: مفردها فريصة: وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف التي لا تزال تُرْعد من الدابة. ينظر لسان العرب (٦٤/٧)، ويقال للخائف: ارتعدت فرائصه. أي ارتجفت، فالأخطل جريء، يقول ما لا يستطيع أحد أن يقوله سواه، وربمّا يعود ذلك إلى نصرانيته.

(٢) السابق: من الخيل الذي يأتي أولاً فيسبق، ينظر لسان العرب (١٥١/١٠)، والسُّكّيت: من الخيل الذي يجيء في آخر الحلبة، آخر الخيل، ينظر لسان العرب (٤٤/٢)، والمصلّي: من الخيل الذي يجيء بعد السابق لأنْ رأسه يلي صَلا المتقدّم، وهو تالي السابق، ينظر لسان العرب (٤٦٦/١٤). يستفيد العلاء بن جرير من الألفاظ المتداولة فيختار منها ما يتعلّق بالخيل في سباقها، فالأخطل متقدّم سابق، فإذا سقط شعره جاء في الآخر، فليس هناك وَسَط فيه، أمّا الفرزدق فشعره متوسّط ليس بسابق ولا متأخر، وفي شعر جرير الضروب الثلاثة: الجيد، والوسط، والرديء، وهو حكم غريب، يظهر واضحاً تجنّيه على الفرزدق. وينظر الأغاني (٦/٨)، أيضاً.

(٣٥)

وقال يعقوب بن السِّكِّيت قال الأصمعيّ: قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدَّنا اجتزاءً بالقليل(١) وأنعتنا للحُمُر والخمر. (٨/٢٨٦)

(٣٦)

وقال ابن النطّاح حدّثني عبد الله بن رُؤبة بن العجاج قال: كان أبو عمرو يفضّل الأخطل. (٨/٢٨٧)

(٣٧)

وقال ابن النطّاح حدّثني عبد الرحمن بن برزخ قال: كان حمّاد يفضّل الأخطل على جرير والفرزدق: فقال له الفرزدق: إنما تفضّله لأنه فاسق مثلك فقال: لو فضّلتُه بالفسق لفضّلتُك. (٨/٢٨٧)

(٣٨)

قال: ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مرْوان، فاستنشده؛ فقال: قد يبس حلْقي، فمُرْ مَنْ يسقيني. فقال: أسقُوه ماء. فقال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير. قال: فاسقُوه لبنا. قال: عن اللبن فُطِمتُ. قال: فاسقُوه عسلا. قال: شراب المريض. قال: فتُريد ماذا؟ قال: خمراً يا أمير المؤمنين. قال: أوعهدتني أسقي الخمر لا أمَّ لك! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت!. فخرج فلقي فرّاشاً لعبد الملك فقال: ويْلك! إنَّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل(٢) صوتي، فاسقني شربة خَمْر فسقاه؛ فقال: اعدِلْه بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتهما يعتركان في بطني، اسقني ثالثاً فسقاه ثالثًا، فقال: تركتني أمشي على واحدة، اعدِلْ ميْلي برابع فسقاه رابعاً؛ فدخل على عبد الملك فأنشده:

---

(١) لعلّه يريد بالاجتزاء بالقليل الوصول إلى الغرض بألفاظ قليلة، وهو من معاني الإيجاز. وفي اللسان (٥/٤٢٧)، «وجز الكلام وجازة: قلّ في بلاغة»، وهو «العبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف» ينظر العمدة (١/٢٥٠)، وللإيجاز تعريفات كثيرة، وأنواع مختلفة، وما يهمّنا هنا إشارة جرير إلى فكرة الاجتزاء بالقليل، وهي فكرة عربية محضة، وألم تكن البلاغة الإيجاز عندهم؟، ينظر البيان والتبيين (١/٩٦)، فجرير يراها سمة من سمات شعر الأخطل الجيّدة مع خصائص شعره الأخرى.

(٢) صحل: بُحَّ.

خفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نوىً في صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك: خُذْ بيده يا غلام فأخْرِجْه، ثم ألقِ عليه من الخلعِ ما يغمُره، وأحسن جائزته، وقال: إنَّ لكل قوم شاعراً وإنَّ شاعر بني أميَّة الأخطل. (٨/٢٩٤)

(٣٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثنا أبو قُحافة المريّ عن أبيه قال: دخل الأخطل على بِشْر بن مرْوان وعنده الراعي؛ فقال له بشرٌ: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم، فقال للراعي: ما تقول! قال: أمَّا أشعر منّي فعسى، وأمَّا أكرم فإن كان في أمَّهاته من ولدتْ مثلَ الأمير فنعم. فلمَّا خرج الأخطل قال له رجلٌ: أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك!. قال: ويْلك! إنَّ أبا نسطوس وضع في رأسي أكؤساً ثلاثاً، فوالله ما أعقل معها. (٨/٢٩٤)

(٤٠)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال: قلت لأبي: أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنهرني وقال: بئس ما قلتَ! وما أنت وذاك لا أمَّ لك! فقلت: وما أنا وغيره! قال: لقد أعِنتُ عليه بكُفْر وكبرَ سنّ، وما رأيتُه إلاَّ خشيتُ أن يبتلعني. (٨/٢٩٨)

(٤١)

وقال هارون حدّثني أحمد بن إسماعيل الفهريّ عن أحمد بن عبد الله بن علي التُّوسيّ عن معْقل بن فلان عن أبيه عن أبي العسْكر قال: كنَّا بباب مسْلمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أصحابي: حكّمناك وتراضيْنا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراس ثلاثةٍ أرسلتهن في رهانٍ، فأحدُها سابقٌ الدهر كلَّه، وأحدُها مصلٍّ، وأحدُها يجيء أحياناً سابق الريح وأحياناً سُكَيْتاً وأحياناً متخلِّفاً. فأمَّا السابق في كل حالاته فالأخطل. وأمَّا المصلِّي في كل حالاته فالفرزدق. وأمَّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد له:

سرى لهمُ ليلٌ كأنَّ نجومه قناديلُ فيهنَّ الذُّبالُ المُفتَّلُ

وقال: أحسن في هذا وسبق. ثم أنشد:

التَّغْلبيَّةُ مهرُها فَلْسَانِ والتغلبيّ جنازةُ الشَّيْطان

وقال: تخلّف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا. (٨/٢٩٩)

(٤٢)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو يعلى قال حدّثني عبد السلام بن حرب قال: نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه، فجاءه بعشاء ثم قال له: إنّي نصرانيٌّ وأنت حنيفٌ، فأيُّ الشراب أحبُّ إليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لاينشد بيتاً إلا أتمَّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلة شرّ، مَنْ أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجد لي وسجدتُ له(١). فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كرهتُ أن يفضلُني. فنادى الأخطلُ: يا بني تغلب هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلما أصبح فرّقها ثم شخص. (٨/٣٠٠)

(٤٣)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الحلبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلاً سأل حماداً الراوية عن الأخطل فقال: ويْحكم! ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حبَّبَ إليَّ شعرُه النَّصْرانية!. (٨/٣٠٥)

(٤٤)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو عثمان الأشنانداني عن أبي عُبيدة قال: كان يونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة. (٨/٣٠٥)

(٤٥)

وقال هارون بن الزيّات حدّثني أبو عثمان المازنيّ عن العُتْبيّ عن أبيه: أنَّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز: أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ؟ فقال له: أعْفني. قال: لا والله لا أعفيك. قال: إنَّ الأخطل ضيِّق عليه كفرُه القول، وإنَّ جريراً وسَّع عليه إسلامُه قوله؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيت فقال له سليمان: فضّلتَ والله الأخطل(٢). (٨/٣٠٦)

---

(١) هذه السجْدة من علامات التفضيل، وقد رأينا نظائر لها في القضية السابقة.

(٢) من الواضح أنَّ عمر بن عبد العزيز قد فضَّل الأخطل، فهو مع التضييق الذي أملاه عليه دينه، قد بلغ من جرير ما بلغ، ولم يستطع جرير - مع السعة أن يقف مع الأخطل على مستوى واحد.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضَّبيّ قال: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مروان، وكان بِشْرٌ يُغْرِي بين الشعراء. فقال للأخطل: احكُمْ بين الفرزدق وجرير. فقال: أعْفِني أيها الأمير. قال: احكم بينهما، فاستعفاه بجهده فأبى إلاَّ أن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشؤومٌ؟ ثم قال: الفرزدق ينْحتُ من صخْر، وجرير يغرف من بحر. فلم يرض بذلك جرير، وكان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته:

يا ذا الغباوة إنَّ بشْراً قد قضى ... ألاَّ تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ(١)

فدعُوا الحكومةَ لستُمْ من أهلها ... إنَّ الحكومةَ في بني شيْبانِ

قتلوا كُلَيْبَكُمْ بلَقْحةِ جارهم ... ياخُزْرَ تغْلبَ لَستُمْ بِهجانِ(٢)

فقال الأخطل يردُّ على جرير:

ولقد تناسبتمْ إلى أحسابكم ... وجعلتُمْ حكماً من السُّلطان(٣)

(١) جاء في هامش الأغاني أن في بعض النسخ: ياذا العباءة بدل يا ذا الغباوة، وقد فضّلها الشيخ شاكر في الطبقات (٤٥٣/١): «ياذا العباية، ويروى يا ذا العباءة وهما سواء، ويعني الأخطل وقال أبو عبيدة: العباءة: الكساء، يعيِّره بلبس الكساء، وقال في النقائض: يعني أنْ الأخطل لبس يوم الجسر عباءة وذلك في يوم البشر، وقد وقع الأخطل أسيراً، وعليه عباءة دنسة، فسألوه مَنْ هو ولم يعرفوه، فذكر أنّه عبد من عبيد تغلب، وهذا أقوى من قول أبي عبيدة». والحكومة: الحكم بين الخصمين. والنشوان: الذي أخذته النشوة فسكر.

(٢) كليب بن ربيعة التغلبيّ، وقتله جسَّاس بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان الذي هاج الأمر أنَّ أخت جساس كانت زوجة كليب، وكانت البسوس التميمية وزوجها الجرمي، نازلة في جوار بني شيبان، ومعهم ناقة وفصيل لها، ففخر كليب على امرأته أخت جسَّاس واستعزْ بعزّه، فتعالت عليه بأخويها همام بن مرة وجسَّاس بن مرة، فعدا على ناقة البسوس وفصيلها فقتلهما ثقة بعزّه، وأن لا يقدم عليه جسّاس ولا همام. فغضب جسَّاس لجارهم فقتل كليباً، ومن يومئذ ثارت حرب البسوس المشهورة الأيام. واللقحة: الناقة القريبة العهد بالنتاج، معها ولدها، والخزر: جمع أخزر، والخَزَر: هو ضيق العين وصغرها، وهو مذموم عندهم، والهجان: الكريم.

(٣) السلطان: أثبتها الشيخ الشاكر في الطبقات (٤٧٥/١): الصُّلْتان بدل السلطان، وقال: «وفي الأغاني والديوان وسائر الكتب: السلطان، وليست بشيء». ورواية ابن سلاّم هذه هي الصواب، والصُّلْتان هو الصُّلْتان العبدي وقضاؤه بين جرير والفرزدق بشعره .. ولم نعلم جريراً والفرزدق احتكما إلى سلطان»، وتنظر =

فـإذا كُلَيْبُ لا تُسـاوي دارمـاً ... حـتى يُسـاوى حـزْرَمٌ بـأبان(١)

وإذا جعلتَ أباك في ميزانهـم ... رجحُوا وشال أبوك في الميزان

وإذا وردتَ المـاءَ كـان لـدارمٍ ... عـفَواتُه وسـهـولةُ الأعطان(٢)

ثم استطارا في الهجاء. (٨/٣١٥)

(٤٧)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيديّ قال أخبرني أبو محمد اليزيديّ قال: خرج الفرزدق يؤُمُّ بعض الملوك من بني أميّة، فرُفع له في طريقه بيتٌ أحمر من أدم، فدنا منه وسأل فقيل له: (بيت) الأخطل. فأتاه فقال: انزل. فلمّا نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلاّ أنه ضيفٌ فقعدا يتحدّثان. فقال له الأخطل: ممّن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذاً من رهْط أخي الفرزدق. فقال: تحفظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم كثيراً. فما زالا يتناشدان ويتعجّب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك: أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفردزق: خفِّضْ قليلاً وهاتِ من شرابك فاسْقنا. فلما عملت الرَّاحُ في أبي فراس قال: أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده. فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال: لا جزاك الله عنّي خيراً! لم كتمْتني نفسك منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتناشدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإيّاي لأشعرُ منه ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نُؤْتَه؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجى منه، قلت:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبهُم ... قـالوا لأمِّهـمُ بُولي على النـارِ

فلم يروِه إلاّ حُكماء أهل الشعر. وقال هو:

والتغلبيُّ إذا تنحنح للقرى ... حـكَ اسْتَه وتمثّلَ الأمثالا

= دراستي: «الصُّلتان العبدي .. حياته وما تبقّى من شعره. فقد فصلْتُ الحديث عن هذه الحكومة فيها

(١) حَزْرَم: جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد، وأبان: جبل ضخم مذكور. يقول: لا يستوي أبوك كليب وأبوه دارم، حتى يُساوى هذان الجبلان في نظر الناظر وهو مستحيل.

(٢) عَفَوات: جمع عفوة، وعفوة الماء: صفوه وخيره وأكثره، والأعطان: جمع عطن، وهو مَبارِك الإبل حول الوِرْد. يقول: هم لعزِّهم ينالون خير الماء وألين المبارك لأنعامهم، فيردون الماء قبلكم، وينزلون خير المنازل

فلم تبقَ سَقاة ولا أمثالُها إلا رووه. فقضيا له أنه أسيرُ شعراً منهما(١). (٨/٣١٧)

(٤٨)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: كانت حبابةُ وسلاّمةُ القسِّ من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتينْ ضاربتين: وكانت سلاّمةُ أحسنهما غناءً، وحبابةُ أحسنهُما وجهاً، وكانت سلاّمةُ تقول الشعر، وكانت حبابة تتعاطاه فلا تُحْسِن. وأخبرني بذلك المدائنيّ عن جرير. (٨/٣٣٤)

(٤٩)

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوقّاصيّ قال، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليّين قال: التقى كُثيِّر والحزين الدِّيليّ بالمدينة في دار ابن أزهَر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس. فقال كثيِّر للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما تُوصل الشيء إلى الشيء(٢). (٩/٧)

(٥٠)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدِّم الأعشى. (٩/١١٠)

(٥١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال سمعت أبا عبيدة يقول سمعت أبا

---

(١) يعمّق هذا النصُّ قضيتين أشرنا إليهما فيما سبق، الأولى اختلاف أذواق العلماء عن أذواق الجمهور، فبيت الأخطل ـ على جودته ـ لم يروه غير حكماء الشعر، وسار بيت جرير وذاع مع أنّ بيت الأخطل ـ في رأيه ـ أهجى وأجود، والثانية اهتمام الشاعرين بانتشار الشعر وسيرورته، وهذا من مقاييس التفضيل، وحكْم الشاعرين على شعر جرير بأنّه أسير من شعرهما تفضيل له وتقديم.

(٢) لعلّ كثيِّراً يعني بوصل الشيء إلى الشيء، صَفَّ الألفاظ جنباً إلى جنب، أو النظم البارد، وليس هذا بشعر، إذن الشعر ـ كما يراه كثيِّر ـ ليس رَصْف الألفاظ وحدها، بل هو محتاج إلى أمور أخرى، ولذلك لم يجعل منه شاعراً

عمرو بن العلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى؛ فإنّي شبَّهتُه بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكُرْكيّ(١). (١١٠/٩)

(٥٢)

... فلما رأى رؤبةُ أبا النجم أعظمه وقام له عن مكانه وقال: هذا رجّاز العرب. (١٥١/١٠)

(٥٣)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن أبي قيْس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال: شاعرُ أهلِ الجاهليّةِ زُهير. (٢٨٨/١٠)

(٥٤)

...قال جرير: الفرزدق ... نبعة الشعر... أمَّا أنا فقد نحرت الشعر نحراً. (٢٨٩/١٠)

(٥٥)

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي عن جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجليّ قال: كنّا عند الجُنيد بن عبد الرحمن بخُراسان وعنده بنو مُرة وجلساؤه من الناس، فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله:

فإنّك كاللّيل الذي هو مدركي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

فقال شيخٌ من بني مُرّة: ما الذي رأي في النُّعمان حيث يقول له هذا! وهل كان النُّعمان إلا على منْظرةٍ من مناظر الحيرة! وقالت ذلك القيسيّةُ فأكثروا. فنظر إليَّ الجُنيْد وقال: يا أبا خالد!

---

(١) البازي: طائر طويل القامة والساقين. أصفر العينين، مطاول الرأس، واسع الكفّ، عظيم المخالب، طويلها، ممشوق القدّ، ينظر الكافي في البيزرة، للبلدي (ص ٥٩)، والعندليب: طائر أصغر من العصفور، قال ابن الأعرابي: هو البلبل، وقال: الجوهري: وَ الهزار، ينظر لسان العرب (٤٧٩/١١ - ٤٨٠)، وفيه هذا النصّ باختلاف يسير. والكركي: من عظام الطير، أخضر طويل المنقار والرجلين، يطير أسراباً. ينظر الكافي في البيزرة (ص ٧٠)، وهامش رقم (١)، ولعلّ هذا النصّ يذكّرنا بالنصّ الرابع والثلاثين المتقدّم من حيث جُعل جرير سابقاً، ومصلّياً، وسكّيتا، وأبو عمرو هو الآخر يذهب إلى أنّ الأعشى كذلك، فمثلما يصيد البازي الطيور على اختلاف أجناسها، وأحجامها، فكذلك الأعشى، نجد في شعره، الجيّد العالي، والوسط، والرديء، ولا شكّ أنّ في هذا تقديماً له على الشعراء، وتفضيلاً على غيره.

لا يهولنك قولُ هؤلاء الأعاريض! فأقسم بالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ما عاين صاحبُهم لقالوا أكثر مما قال، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون. (١١/٥)

(٥٦)

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول. ما كان ينبغي للنابغة إلا أن يكون زُهيرٌ أجيراً له. (١١/٧)

(٥٧)

أخبرنا حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال: قال معاوية بن بكر الباهليّ قلتُ لحمّاد الراوية: بِمَ تقدَّم النابغةُ؟ قال: باكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل بربع بيت، مثل قوله:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب

(كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه، وقوله: «أيّ الرجال المهذَّبُ» ربع بيت يُغنيك عن غيره). (١١/٧)

(٥٨)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن أبي غسّان دماذ عن أبي عُبيدة، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل قال حدَّثنا أبو غسّان عن أبي عبيدة، وأخبرنا الصُّوليّ عن إبراهيم بن المُعلّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، وقد جمعتُ رواياتهم. قال أبو عبيدة حدّثني عامر بن مالك المِسْمعيّ قال: كان الذي هاج التهاجي بين جريرٍ والأخطل أنّه لمّا بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ - وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنى: انْحدرْ إلى العراق حتّى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما. فانحدر مالكٌ حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه. فقال له: كيف وجدتهما؟ قال: وجدتُ جريراً يغرف من بحْر، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطلُ: الذي يغرف من بحرٍ أشعرُهما؛ وقال يفضّل جريراً على الفرزدق:

إنّي قضيتُ قضاءً غير ذي جنفٍ لمّا سمعتُ ولمّا جاءني الخبرُ
أنَّ الفرزدقَ قد شالت نعامتُه وعضّه حيّةٌ من قومه ذَكَرُ (١١/٦١)

(٥٩)

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا يونس عن أبي عمرو قال: كان أوسٌ شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهيْر، فهو شاعر تميم في الجاهليّة غير مدافع. (١١/٧٠)

(٦٠)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أوْس بن حجر فحل الشعراء، فلما نشأ النابغة طأطأ منه، وأمّا الكلبيّ فإنه زعم أنّ من هذه الطبقة لبيد بن ربيعة والشمّاخ بن ضرار. قال: وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أوْس. قال: ومنهم مَنْ يقول بتقديم عدي وأنشد لحارثة بن بدْر الغُداني:

والشعر كان مبيته ومظلّه عند العباديّ الذي لا يُجْهلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد: أدركت رجالاً من بني تميم لا يفضّلون على عديّ في الشعر أحداً. (١١/٧٠)

(٦١)

أخبرني الحسن بن عليّ عن العنزيّ عن محمد بن معاوية قال: دخل وفْدُ بني أسدٍ على عبد الملك بن مرْوان، فقال: مَنْ شاعركم يابني أسد؟ قالوا: إنّ فينا لشعراء ما يرضى قومُهم أن يفضّلوا عليهم أحداً. قال لهم فما فعل الأقيْشر؟ قالوا: مات. قال: لم يمُتْ، ولكنه مشتغلٌ بعشقه، وما أبعْدُ أن يكون شاعركم إلاّ أنّه يُضيع نفسه. أليس هو القائل:

يأيُّها السائل عمّا مضى مِنْ علْم هذا الزّمن الذاهبِ
إن كنتَ تبْغي العلمَ أوْ أهله أو شاهداً يُخْبرُ عن غائبِ
فاعتبرِ الأرض بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ (١١/٢٥٧)

(٦٢)

قال ابن قتيبة: وأنشد الكميت قول الطرمّاح:

إذا قُبضَتْ نفسُ الطِّرمّاحِ أخْلقتْ عُرى المجْدِ واسْترخى عِنانُ القصائدِ

فقال: إي والله! وعِنانُ الخطابةِ والرواية والفصاحة والشجاعة. وقال عمر بن شبّة:

«والسماحة» مكان «الشجاعة». (٣٦/١٢)

(٦٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعْد قال حدّثني إبراهيم بن المُنذر الحزاميّ قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثوبان عن علقمة بن محجَن الخزاعيّ عن أبيه قال: كان مُعاوية يُفضّل مُزيْنة في الشِّعر، ويقول: كان أشعرُ أهل الجاهليّة منهم وهو زُهير، وكان أشعرُ أهل الإسلام منهم وهو ابنُه كَعْب، ومعْنُ بن أوْس. (٥٥/١٢)

(٦٤)

أخبرني وكيع قال. حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا (أبي قال: حدّثنا) وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن المتلمِّس قال: قلت للفرزدق: يا أبا فراس، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له «كعب؟ فقال الفرزدق: إي والذي خلق الشِّعر». (٢٨٣/١٤)

(٦٥)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدّثنا (أبي قال حدّثنا) وهب بن جرير قال: حدّثنا أبي عن قتادة قال: سمعت الفرزدق يقول: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، والأخطل، وكعب الأشقريّ. (٢٨٣/١٤)

(٦٦)

قال: وكان معاوية يقول: خلُّوا لي طُفيلاً وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء. (٣٥٠/١٥)

(٦٧)

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عديّ. وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي في «كتاب الجوابات» قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ، إلا أن رواية ابن النطاح أتم، واللفظ له، قال: مر الفضل اللهبيّ بالأحوص وهو ينشد، وقد اجتمع الناس عليه، فحسده(١)، فقال له: يا أحوص إنَّك لشاعر، ولكنك لا تعرف الغريب، ولا تُعرب. قال: بلى، والله إنِّي لأبصر

---

(١) الحسد من مظاهر تفضيل شعر أو شاعر معيّن. وقد رأينا نظائر الحسد في القضية السابقة، وسنرى نماذج أخرى منه في هذه القضية.

الناس بالغريب والإعراب، فأسألك؟ قال: نعم. قال:

ما ذاتُ حبْلٍ يراها الناس كلُّهمُ   وسْط الجحيم فلا تخفى على أحدِ
كل الحبال حبالِ الناس من شَعَرٍ   وحبلها وسْطَ أهل النّار من مسدِ

فقال له الفضل بن العباس:

ماذا أردت إلى شتمي ومنْقصتي   ماذا أردت إلى حمّالةِ الحطب؟
أذكَرْتَ بنتَ قُروم سادةٍ نُجُبٍ   كانت حليلة شيخٍ ناقب النَّسبِ

فانصرفَ عنه. (١٦/١٧٦)

(٦٨)

... كان أبو عمرو بن العلاء يقدِّم أبا حيّة (النُّميري) .. (١٦/٣٠٧)

(٦٩)

قال ابنُ قُتيبة في خبر الكميت خاصة: وكانت بين الكميت وبين الطِّرمّاح خُلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين، قال: فحدّثني بعضُ أصحابه عن محمد بن سهل راوية الكُميت، قال: أنشدت الكُميتَ قولَ الطرمّاح:

إذا قُبِضَتْ نفس الطرمّاح أخلقتْ   عُرا المجد واسترخى عنان القصائدِ

قال: إي والله وعِنان الخطابة والرواية. (١٧/٢)

(٧٠)

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدّثني محمد بن زكريا الغلابيّ، عن العُتْبيّ، قال: حدّثني أبو خالد مِنْ ولدِ أميةَ بن خلف، قال: قال عبد الملك بن مروان ـ وكان أول خليفة ظهر منه بخل ـ أيُّ الشعراء أفضل؟ فقال له كثير بن هراسة، يعرّض ببُخْل عبد الملك: أفضلهم المقنّع الكنديّ حيث يقول:

إني أحرِّضُ أهْلَ البُخْل كلّهمُ   لو كان ينفَعُ أهلَ البخل تحْريضي
ما قلَّ ماليَ إلاّ زادني كرماً   حتى يكونَ برزقِ الله تعويضي
والمالُ يرفعُ مَنْ لوْلا دراهِمُه   أمْسى يُقلِّبُ فينا طرْفَ مخفوضِ
لن تُخْرَجَ البيضُ عفواً من أكفهُمُ   إلاّ على وجعٍ منهم وتمريضِ

كــأنَّهــا مِنْ جلودِ البــاخلين بهــا عند النوائــب تُحْذى بـالمقــاريضِ(١)

فقال عبد الملك ـ وعرف ما أراد ـ: اللهُ أصدق من المقنَّع حيث يقول: (والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفُوا ولم يقْتُروا). (١٠٩/١٧)

(٧١)

قال سعيد بن العاص للحطيئة:... قد علمت تشوّقنا... إلى مجلسك، وأنت تكتُمنا نفسك منذ الليلة!، قال: نعم، لمكان هذين الكلبين عندك، وكان عنده كعب بن جعيل، وأخوه، وكان عنده سويد بن مشنوء النَّهْديّ، حليف بني عديّ بن جناب الكلبيين، فأنشده الحطيئة قوله:

ألستَ بجـاعلي كـابْنَيْ جُعيْلٍ هــداك اللــه أو كـابْنَيْ جــناب
أدبُّ فـــلا أقـــدُرُ أنْ تراني ودونك بـالمدينــة ألــفُ بـــاب
وأحْبَسُ بـالعــراء المحْل بيــتي ودونك عــازبٌ ضــخم الذباب

العازب: الكلأ الذي لم يُرْعَ، وقد التفّ نبْتُه.

فقال له سعيد: لعمر الله لأنتَ أشْعرُ عندي منهم، فأنشدني، فأنشده:

ســعيــدٌ ومـايفـعلْ ســعيــدٌ فـإنه نجيبٌ فـلاهُ فــي الرِّبــاط نجـيبُ(٢)
ســعيــدٌ فـلا يغـررك قلّةُ لحـمــه تخـدَّدَ عنــه اللحــمُ فـهـو صليبُ
إذا غــاب عنّا غــاب عنّا ربيــعُنا ونُســقى الغــمــامَ الغُرَّ حينَ يؤوبُ
فنعم الفتى تعْشُو إلى ضوء نـاره إذا الريحُ هــبّت والمكــانُ جــديبُ (٢٢٧/١٧)

(٧٢)

أخبرني ابن عمّار، عن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، عن صالح بن سليمان قال: كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمّة، وأهلُ البادية يُعجبهم شعره. (٧/١٨)

(٧٣)

قال ابن كناسة: وقال لي حمّاد الراوية: ما أخّرَ القومُ ذكْرَ ذي الرّمة إلاّ لحداثة سنّه، وأنهم حسدوه. (٨/١٨)

---

(١) تُحذى: تُقطع. (٢) فَلاه: ولده، والرِّباط: الحرب.

(٧٤)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائنيّ عن بعض أصحابه، عن حمّاد الرّاوية، قال: أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وذو الرّمة أحسنُ أهل الإسلام تشبيها. (٩/١٨)

(٧٥)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدّثني عمّي عُبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير عند بعض الخلفاء، فسأله عن ذي الرّمة، فقال: أخذ من طريف الشعر وحسنه مالم يسبقْه إليه أحد غيره. (٩/١٨)

(٧٦)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمّه عبيد الله، عن ابن حبيب، عن عمارة بن عقيل: أنّ جريراً والفرزدق اتفقا عند خليفة من خلفاء بني أميّة، فسأل كلُّ واحد منهما على انفراد عن ذي الرّمة، فكلاهما قال: أخذ من طريف الشعر وحسنه لم يسبقه إليه غيره، فقال الخليفة: أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعرُ منكما جميعاً. (٩/١٨)

(٧٧)

أخبرني ابن عبد العزيز عن ابن شبّة قال: قيل لذي الرّمة: إنّما أنت راوية الراعي. فقال: أما والله لئن قيل ذاك ما مَثَلي ومثله إلاّ شابٌ صحب شيخاً، فسلك به طرقاً ثم فارقه، فسلك الشابُّ بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قطّ(١). (٣١/١٨)

---

(١) من الواضح أنّ في فاتحة الكلام تعريضاً بذي الرّمة، وجعله راويةً للراعي فحسب، ولكنّ ذا الرُّمّة يجيب بذكاء نادر من أنّه مستفيد من الراعي، آخذٌ عنه، ولكنّه شقّ طريقاً لنفسه بعد هذا، وتفرّد في القول، وكوّن شخصيته المتميّزة، وأضاف إلى ما جاء به الراعي أشياء لم يستطع الأخير القول فيها. ويطرح ذو الرّمّة هنا قضية من أهم قضايا النقد الأدبي وهي البدايات الأولى للشاعر، واعتماده على غيره في زمن القرزمة، ثمّ انفلاته عن هذه القرزمة بعد هذا ليصبح شاعراً متفرداً، ومن المعروف أنّ الشعراء جميعاً يبدأون الطريق هكذا، ومَنْ يبقى منهم في مكانه فهو الشاعر ذو الموهبة الضعيفة، والثقافة القليلة. أمّا مَنْ يكمل الطريق، ويقطع الشوط إلى نهايته فهو المجد، المبرّز من الشعراء الذي يحتلّ المكانة التي يستحقّها في عالم الشعر، وكذلك كان ذو الرّمّة.

(٧٨)

وقال هارون: أخذتُ من خط أبي عدْنان: أخبرني أبو ثرْوان الخارجيّ، قال: سمعت أشياخَ الحيِّ يقولون: اجتمعت الشعراء عند عبْدِ الملك بن مروان فقال لهم: أبقي أحدٌ أشعر منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل: كذبوا يا أمير المؤمنين، قد بقيَ من هو أشعر منهم، قال: ومن هو؟ قال عمرانُ بن حِطّان، قال: وكيف صار أشعرَ منهم؟ قال: لأنه قال وهو صادق ففاقهم، فكيف لو كذب كما كذبوا(١). (١٨/١١٦)

(٧٩)

حدّثني عمِّي قال: حدّثني أبو أيوب المدينيّ قال: قال أبو عدنان: أخبرنا تميمُ بن رافع قال: حُدِّثت أنّ الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان - أو بعض بنيه - فقال له: يا فرزدق، أتعرف أحداً أشعر منك؟ قال: لا إلاّ غُلاماً من بني عُقيل، يركب أعجاز الإبل وينْعت الفلوت فيُجيد، ثم جاءه جرير فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق فأجابه بجوابه، فلم يلبث أن جاءه ذو الرُّمّة فقال له: أنت أشعرُ النّاس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عُقيل يقال له مُزاحم يسكن الرَّوضات، يقول وحْشيًا من الشعر لا يُقدَر على مثله، فقال: فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك، فأنشده قوله:

خليليَّ عُوجا بي على الدار نسْألِ ... متى عهدُها بالظّاعنِ المُترحِّلِ
فعُجتُ وعاجوا فوق بيْداء موّرتْ ... بها الريح جولان الترابِ المُنخَّلِ(٢)

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا. (١٩/١٠٤)

(٨٠)

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، عن حمّاد الراوية قال: أنشدني الفرزدق يوماً شعراً له ثم قال لي: أتيتَ الكلبَ - يعني جريراً - قلت: نعم، قال: أفأنا

---

(١) من المعروف أنّ الأخطل يشير هنا إلى اهتمام عمران بمذهبه الخارجي، واقتصاره على القول فيه، مع الاقتصاد في الوصف، وللبُعد عن الغلوّ. وهذا ما يريده بالكذب الذي وصف به بقيّة الشعراء، أي إنّ عمران بن حطّان قد ضيّق على نفسه مجاري القول، ومع هذا كلّه فقد فاق الشعراء. فكيف لو استخدم من الأساليب ما استخدمه أولئك، إذن لزاد تفوّقه، وعظم أمره.

(٢) موّرتْ: أثارتْ.

أشعر أم هو؟ أنتَ في بعض وهو في بعض، قال: لم تناصحني، قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرخيَ من خناقه، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال: قضيت لي والله عليه وهل الشعر إلا في الخير والشرّ. (٢٨٥/٢١)

(٨١)

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدّثني محمد بن حبيب، قال: حدّثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاريّ، قال: أتى الفرزدق الحسن البصري؛ فقال: إنّي قد هجوت إبليس، فقال: كيف تهجو، وعن لسانه تنطق؟ (٣٥٦/٢١)

(٨٢)

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ قال: حدّثني عبدة بن عِصْمَة بن معبد القيسيّ قال: حدّثني جدي أبو أمي فراس بن خندف، عن أبيه، عن جده علي بن شفيع قال: لقيتُ الفرزدقَ منصرفه عن بكر بن وائل؛ فقلت له: يا أبا فراس: مَنْ شاعرُ بكر بن وائل ممّن خلّفته؟ قال: أميم بني عجل - يعني العديل بن الفرخ - على أنه ضائع الشعر، سروقٌ للبيوت(١). (٣٤٠/٢٢)

(٨٣)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا الحسن بن الحسين السكريّ عن الرياشي عن الأصمعيّ، قال: وذكره المغيرة بن حجناء قال: حدّثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضّله، وكان راعي الإبل قد ضخّم أمره، وكان من أشعر الناس... (٢٠٦/٢٤)

(٨٤)

أخبرنا أبو خليفة قال: حدّثنا محمدُ بن سلاّم قال: أخبرني أبو الغرّاف قال: الذي هاج التّهاجي بيْن جرير والرَّاعي أنّ الرَّاعي كان يُسْأل عن جرير والفرزدق، فيقول: الفرزدق أكرمُهما وأشعرهُما. (٢١١/٢٤)

---

(١) ينظر كتابي الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ١٣٣) وما بعدها

العصر العبّاسي

(١)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني يعقوبُ بن إسحاقَ قال: كانت العربُ تُقرُّ لقريشٍ بالتقدّم في كلّ شيء عليها إلاّ في الشعر... فإنها كانت لا تُقرُّ لها به، حتى كان عُمر بن أبي ربيعة، فأقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تُنازعها شيئاً. (٧٤/١)

(٢)

وقال أبو اليقظان: كان أبو نُصيب من كنانة من بني ضَمْرة. وكان شاعراً فحلاً فصيحاً مُقدّماً في النّسيب والمديح، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء، وكان عفيفاً، وكان يقال: إنه لم ينْسُبْ قطُّ إلا بامرأته. (٣٢٤/١)

(٣)

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال: كان نُصيبٌ من أهل ودّان عبداً لرجلٍ من كنانة هو وأهلُ بيته. وكان أهلُ البادية يدْعُونه النُّصَيب تفخيماً له، ويروُون شِعْره. وكان عفيفاً كبير النَّفْسِ مُقدّما عند الملوك يُجيدُ مديحهم ومراثيهم. (٣٢٥/١)

(٤)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي: أنه إنما لُقّب العرجيَ لأنه كان يسكن عرْج الطائف(١)، وقيل: بل سُمّي بذلك لماءٍ كان له ومالٍ عليه بالعرْج. كان من شعراء قريش، ومَنْ شُهِرَ بالغزل منها، ونحا نحو عمر بنِ أبي ربيعة في ذلك

(١) عرج الطائف: قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف وهي أوّل تهامة، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً، وهي في بلاد هذيل.

وتشبَّه به فأجاد. (٣٨٥/١)

(٥)

هو عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيُّوب بن محْروف بن عامر بن عُصيَّة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية، وليس ممن يُعدُّ في الفحول، وهو قرويّ، وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها. وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة يقولان: عديٌّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيلٍ في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجْراها. وكذلك عندهم أميةُ بنُ أبي الصلْت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكُميتُ والطِّرِمّاحُ. قال العجّاج: كانا يسألاني عن الغريب فأخبرهم به، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه؛ فقيل له: ولم ذاك؟ قال: لأنهما قرويّانِ يصفانِ مالم يريا فيضعانه في غير موضعه، وأنا بدويّ أصِفُ ما رأيتُ فأضعُه في مواضعه كذلك عندهم عديٌّ وأميةُ[1]. (٩٧/٢)

(٦)

الحطيئة ونسبه

الحُطيئةُ لُقبٌ لقِّبَ به، واسمه جَرْول بن أوْس بن مالك بن جُؤيَّةَ بن مخْزوم بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عبْس بن بغيض بن الريْثِ بن غطفان .. وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم، متصرِّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مُجيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شرٍّ وسَفَه، ونسبُه مُتدافعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين. وهو مُخضْرَمٌ أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتدَّ وقال في ذلك:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لَعبادِ الله ما لأبي بكر

أيُورثُها بكرا إذا مات بعده ... وتلك لعمْرُ الله قاصمةُ الظهر[2] (١٥٧/٢)

---

(١) درج أبو الفرج في مفتتح تراجمه للشعراء على تقديم نبذة مختصرة عن الشاعر تتضمّن اسمه ونسبه، وخصائص شعره، ومكانته الشعرية، وستشكّل هذه النُبذ مادّة رئيسية في هذه القضية، مع بروز شخصية أبي الفرج النقدية، وطول باعه في الشعر، والنقد.

(٢) جاء في هامش الأغاني رقم (٢): هذان البيتان أوردهما ابن جرير الطبري في حوادث سنة (١١ هـ)، في جملة أبيات عزاها للخُطيل بن أوس أخي الحطيئة.

(٧)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيَّ عن عمه قال: كان الحطيئة جشعاً سؤولاً مُلْحفاً، دنيءَ النفس، كثير الشرِّ، قليل الخير، بخيلاً، قبيح المنظر، رثَّ الهيئةِ، مغموزَ النسب، فاسدَ الدِّين، وما تشاء أن تقول في شعر شاعرٍ من عيبٍ إلاَّ وجدته، وقلَّما تجد ذلك في شعره(١). (١٦٣/٢)

(٨)

قال أبو عبيدة وأبو حاتم: كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية، وكان دنيء النفس. وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلاَّ وجدت فيه مطعناً وما أقلَّ ما تجد ذلك في شعره... (١٦٥/٢)

(٩)

أخبرني الحسينُ بن يحيى ومحمدُ بن مزْيد البوشنْجي قالا حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق قال حدَّثني محمد بن عمرو الجرجرائي عن أبي صفْوانَ الأحوزيِّ قال: ما من أحدٍ إلا لو أشاء أن أجد في شعره مطعناً لوجدتُه إلا الحطيئة. (١٦٩/٢)

(١٠)

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: بلغني أنه لما قال ابنُ ميَّادة:
تمشَّى به ظُلْمانه وجآذِرُهْ. قيل له: قد سبقك الحطيئةُ إلى هذا، فقال: والله ما علمتُ أنَّ الحطيئةَ قال هذا قطّ، والآن علمتُ والله أني شاعر حين واطأت الحطيئة(٢). (١٧٠/٢)

---

(١) هل يشير الأصمعي إلى قضية منتشرة في النقد الأدبي؟ وهي إنَّ الشعر ليس من الضروري أن يدلَّ على صاحبه، فالشاعر يتحدث عمّا كان، وعمّا سيكون، وعمّا يتمنّى أن تصير الأمور إليه، ومن الممكن أن تنفصل هذه الوحدات جميعاً عن شخصيته، فلا تمثّلها بأي حال من الأحوال، فالأوصاف التي أطلقها الأصمعي على الحطيئة لا نرى لها أثراً في شعره، بل نرى على العكس منها تماماً، وفي هذا إشارة إلى انفصال شعر الحطيئة عن شخصيته، وسلوكه، وتعامله مع الناس، ونرى أنَّ إشارة الأصمعي مهمَّة جداً في موضعها، وزمنها، فقد فتحت الباب للحديث عن هذه القضية من جهة، وجعلتنا نطالب بالنظر في شعر كثير من الشعراء الذين كان لحياتهم تأثير على شعرهم بنظر الدارسين من جهة أخرى، كما دعتنا إلى أن ننظر إلى هؤلاء الشعراء نظرة جديدة وفق مقولة الأصمعي السابقة، التي تطابقت مع الحطيئة، ونراها تتطابق مع غيره من الشعراء أيضاً من جهة ثالثة.

(٢) واطأ: مواطأة: الموافقة على شيء واحد، وأصله: أن يطأ

الإنسان في طريقه على أثر وَطء قبله، فيعيد الوَطء على ذلك الموضع. ينظر لسان العرب (١/ ٢٠٠).

(١١)

ابن أرطاة ونسبه

هو عبدُ الرحمن بن أرطاة، وقيل: عبد الرحمن بن سيْخانَ بن أرطاة بن سيْحان بن عمرو بن نُجيد بن سعْد بن لاحب بن ربيعة بن شُكْم بن عبد الله بن عوْف بن زيد بن بكر بن عُمير بن عليّ بن جسْر بن محارب بن خصفة بن قيْس بن عيلان بن مُضر بن نزار. وكان عبد الرحمن شاعراً مُقلًا إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول في الشراب والغزل والفخْر ومدح أحلافه من بني أميّة، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه، وكان مع بني أميّة كواحدٍ منهم إلا أنَّ اختصاصه بآل أبي سفْيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر، وخُصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يتنادمان على الشّراب. (٢/ ٢٤٢)

(١٢)

وابنُ ميادة شاعرٌ فصيحٌ مُقدَّم مُخضرم من شعراء الدولتين. وجعله ابن سلاّم في الطبقة السابعة، وقرن به عُمر بن لجإ والعُجيف العُقيليّ والعُجير السلُوليّ(١). (٢/ ٢٦٢)

(١٣)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُكّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: كان ابنُ ميّادة عريضا للشرّ، طالبا مُهاجاة الشعراء ومُسابّة الناس. وكان يضرب بيده على جنْب أمه ويقول: اعْرنْزمي(٢) ميّاد للقوافي

أي إني سأهجو الناسَ فيهْجونك. (٢/ ٢٦٣)

(١٤)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان ابن ميّادة حديث

---

(١) الطبقة السابعة من شعراء الإسلام فيها: المتوكّل الليثي، وابن مفرِّغ الحميري، وزياد الأعجم، وعديّ بن الرقاع. ولا نجد لابن ميّادة ذكراً في الطبقات. وجعل ابن سلاّم عمر بن لجأ في الطبقة الرابعة، والعُجير السلولي في الطبقة الخامسة، أمّا العجيف فلعلّ القحيف العقيلي، وجعله ابن سلاّم في الطبقة العاشرة.

(٢) اعرنزمي: اشتدّي، يقال: اعرنْزم الشيء إذا اشتدّ وصلب.

العهد لم يُدرك زمانَ قُتيبة بن مُسْلم، ولا دخل فيمن عناه حين قال: «أشعرُ قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غطفان»، ولكنّه شاعر مُجيدٌ كان في أيام هشام بن عبد الملك ويقي إلى زمن المنصور. (٢/٢٦٩)

(١٥)

قال الزُّبير قال الجمحيّ: وحدّثني عبد الرحمن بن ضبْعان المحاربيّ قال: كان ابن ميّادة وحكم الخُضريّ وعملّس بن عقيل بن علّفة مُتجاورين مُتحالّين، وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أمّ جحْدر بنت حسّان المُرّيّة، وكانت أمّها موْلاة، ففضّلت ابن ميّادة على الحكم وعملّس فغضبا. (٢/٢٨٧)

(١٦)

حنين بن بَلّوع الحيريّ مختلف في نسبه، فقيل: إنه من العباديّين من تميم، وقيل: إنّه منْ بني الحارث بن كعب، وقيل: إنه من قوم بقُوا من جديس وطسْم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعدُّوا فيهم، ويُكْنى أبا كعب، وكان شاعرا مُغنّيا فحْلا من فُحول المُغنّين، وله صنعة فاضلة متقدّمة، وكان يسكن الحيرة ويُكْري الجمالَ إلى الشام وغيرها، وكان نصرانياً. (٢/٣٤١)

(١٧)

هو الحكم بن عبْدل بن جبلة بن عمرو بن ثعْلبة بن عقال بن بلال بن سعْد بن حبال بن نصْر بن غاضرة بن مالك بن ثعْلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة، شاعرٌ مُجيدٌ مُقدّم في طبقته، هجّاءٌ خبيثُ اللسان، من شعراء الدولة الأمويّة. (٢/٤٠٤)

(١٨)

هو، فيما ذكر خالد بن كُلْثوم، هلالُ بن الأسْعرَ بن خالد بن الأرْقم بن قسيم بن ناشرةَ بن سيّار بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولة العباسية. (٣/٥٢)

(١٩)

عُرْوةُ بن الورْد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لُديم بن عوذ بن غالب بن قُطيعة بن عبس بن بغيض بن الريْث بن غطفان بن سعد بن قيْس بن عيلان بن

مضر بن نزار. شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فُرْسانها وصعلوكٌ من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد. (٧٣/٣)

(٢٠)

هو حُرْثانُ بنُ الحارث بن مُحرِّثِ بن ثعْلبةَ بن سيّار بن ربيعة بن هُبيرةَ بن ثعلبة بن ظرِب بن عمرو بن عباد بن يشْكرُ بن عدْوانَ بن عمرو بن سعْد بن قيْس بن عيْلانَ بن مُضر بن نزارِ، أحدُ بني عدْوانَ وهم بطنٌ من جديلة. شاعر فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ في العرب ووقائعُ مشهورةٌ. (٨٩/٢)

(٢١)

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مهْرويه عن غيلان الشّعوبيّ، بشّار بن بُرْد ويُكْنى بشّارٌ أبا مُعاذ. ومحلُّه في الشعر وتقدُّمه طبقاتِ المُحْدثين فيه بإجماع الرُّواة ورياستُه عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله، وهو من مُخضْرمي شعراء الدولتين العبّاسية والأمويّة، قد شُهِر فيهما ومدح وهجا وأخذ سنيَّ الجوائز مع الشعراء. (١٣٥/٣)

(٢٢)

أخبرني هاشمُ بن محمدٍ أبو دُلفَ الخُزاعيّ قال حدّثنا قعْنبُ بن محْرز عن الأصمعيّ قال: كان بشّارٌ ضخْما، عظيمَ الخلْق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظ المُقْلتين قد تغشّاهما لحمٌ أحمرُ، فكان أقبحَ الناس عمى وأفظعُه منظراً، وكان إذا أراد أن يُنشدَ صفّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم يُنشد فيأتي بالعجب. (١٤١/٣)

(٢٣)

قال أبو زيد: كان (بشّار) راجزاً مقصِّداً. (١٤٣/٣)

(٢٤)

وقال الجاحظ في كتاب البيانَ والتّبيين وقد ذكره: كان بشّارٌ (شاعراً) خطيباً صاحبَ منثورٍ ومزْدوجٍ وسجْعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفْتنِّينَ في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضُروبه؛ قال الشعر في حياة جرير وتعرُّض له، وحُكي عنه أنه قال:

هجوتُ جريراً فأعرض عنّي، ولو هاجاني لكنتُ أشعرَ الناس[1]. (١٤٥/٣)

(٢٥)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرِّياشيّ قال: سئل الأصمعيّ عن بشّار ومرْوان أيّهما أشعر؟ فقال: بشّار! فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأنّ مروان سلك طريقا كثُر من يسلُكُه فلم يلحق مَن تقدّمه، وشركه فيه مَن كان في عصره، وبشّار سلك طريقا لم يُسلك وأحسن فيه وتفرّد به، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بديعا، ومروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل. (١٤٧/٣)

(٢٦)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العنزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ وقد عاد إلى البصْرة من بغداد فسأله رجل عن مروانَ بن أبي حفْصة، فقال: وجد أهلَ بغداد قد ختموا به الشّعراء وبشّار أحقُّ بأن يخْتموهم[2] به من مروان! فقيل له: ولم؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعرا حتى يُصلحه له بشّار ويقوّمه! وهذا سلْمُ الخاسرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، وسلْم مُعترف بأنه تبعٌ لبشّار. (١٤٨/٣)

(٢٧)

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأصمعيّ يُعْجبُ بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرُّفه، ويقول: كان مطبوعاً لا يكلّف طبْعه شيئاً متعذِّراً لاكمن يقول البيت ويحكّكه أياماً. وكان يُشبِّه بشّارا بالأعشى والنّابغة الذُّبياني، ويشبّه مروانَ بزُهير والحطيئة ويقول: هو متكلّف. (١٤٩/٣)

---

(١) ماتزال كثرة الأغراض التي يقول فيها الشاعر مقياساً للتفضيل. وهذا ما وجدناه في العصر الأموي أيضاً. وظهر بجلاء في نصوص القضيّة السابقة.

(٢) يجب أن لا نأخذ قضية خاتمة الشعراء، على أنّها أمر مفروغ منه، أو إنّ مَنْ يقوله يريده على الحقيقة، فليست هناك خاتمة ما دام سيل الشعر منهمراً دافقاً، ولكنّه الإعجاب، والتفضيل هما اللذان يؤدّيان بمثل هذه الأحكام، فكأنّ هذا الشاعر قد أصبغ الغاية في الشعر، ولم يترك زيادة لمستزيد فختموا الشعر به، ولا يمكن فَهْم هذا الأمر إلاّ بهذه الحدود.

(٢٨)

قال أبو حاتم: وسألت أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال: مروان أجدُّ وبشارٌ أهزلُ؛ فحدَّثت الأصمعيَّ بذلك؛ فقال: بشارٌ يصلُحُ للجدّ والهزل، ومروان لا يصلحُ إلاّ لأحدهما. (١٤٩/٣)

(٢٩)

قال الكُرانيّ: قال أبو حاتم: وقلت لأبي زيد: أيُّما أشعرُ بشّارٌ أم مروان؟ فقال: بشّار أشعر، ومروان أكفر(١). (١٤٩/٣)

(٣٠)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان الأصمعيّ يقول: إنّ بشّاراً خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضّلتُه على كثير منهم(٢). (١٥٠/٣)

(٣١)

أخبرني حبيبُ بن نصْر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني محمد بن (صالح بن) الحجاج قال: قلتُ لبشار: إنّي أنشدتُ فلانا قولك:

إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مراراً على القذى ظمِئتَ وأيُّ الناس تصفـو مشاربُه

فقال لي: ما كنتُ أظنّه إلاّ لرجل كبير؛ فقال لي بشّار: ويلك! أفلا قلتَ له: هو والله لأكبر الجنِّ والإنس!. (١٥٤/٣)

(٣٢)

حدّثني جحْظةُ قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: كان إسحاقُ الموصليّ لا يعتدّ ببشارٍ ويقول:

---

(١) يتّسم هذا الرأي بشيء من الغرابة، إذ المعروف عن بشار أنّه رُمي بالزندمة، ووجدنا لها مظاهر في شعره، أمّا مروان فلم يؤثر عنه شيء من هذا، فهل يجعل أبو زيد مديح مروان للعباسيّين، وهجومه على العلويين كفراً؟ وهل يرى أنّ تثبيت حقّ العباسيين في الخلافة بالاستناد على القرآن الكريم، ونزع هذا الحقّ من العلويين كفراً؟

(٢) تشعّ في هذا النصّ مشكلة الصراع بين القديم والجديد، وقد أفردنا لها موضعاً مستقلاً.

هو كثيرُ التخليط في شعره، وأشعارُه مُختلفةٌ، لا يُشبه بعضُها بعضاً؛ أليس هو القائل:

إنّمـا عظْـمُ سُـليمى حِبَّتي   قَـصبُ السُكَّرِ لا عظمُ الجـملْ(١)

وإذا أدْنيـتَ مـنهـا بصـلاً   غلبَ المِسكُ على ريحِ البـصلْ

لو قال كلَّ شيء جيّدٍ ثم أضيفَ إلى هذا لزيّفهُ. قال: وكان يُقدِّمُ عليه مرْوان ويقول: هذا هو أشدُّ استواءَ شعْرٍ منه، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبِها، وكان لا يعُدُّ أبا نواس البتّةَ ولا يرى فيه خيراً(٢). (١٥٥/٣)

(٣٣)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ تينةُ قال قال لي محمد بن الحجّاج: قال بشّار: ما كان الكُميتُ شاعراً؛ فقيل له: وكيف وهو الذي يقول!:

أنِصْفُ امرئٍ من نصْف حيٍّ يسبُّني   لعمْري لقد لاقيتُ خطْباً من الخطْبِ

هنيـئـاً لكلبٍ أنَّ كلباً يسبُّني   وأنّـيَ لـم أردُدْ جـوابا على كلْبِ

فقال بشّار: لا بلْ شانئُكَ(٣)، أترى رجلاً لو ضرطَ ثلاثين سنةً لم يُستحْلَ من ضرْطه ضرطةٌ واحدةٌ! (٢٢٤/٣)

(٣٤)

وعُكاشةُ شاعرٌ مُقلٌّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممّن شُهِر وشاع شعرُه في أيدي الناس ولا ممّن خدم الخلفاء ومدحهم. (٢٥٨/٣)

(٣٥)

قال: ثم قدم قادم من أهل بغداد فاشترى نُعيمَ هذه من مولاتها ورحل إلى بغداد، فعظُم أسفُ عُكاشة وحزنُه عليها واستُهيم بها طول عمره، فاستحالت صورتُه وطبعُه وخُلُقه إلى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وكْده وشغْله أن يقول فيها الشعر وينوح به عليها ويبكي. (٢٦٠/٣)

---

(١) حِبَّتي: صديقتي أو محبوبتي.

(٢) سنرى فيما بعد أنّ إسحاق الموصلي كان من أنصار القديم، وأحكامه على الشعراء تنبع من هذه النظرة، وحديثه عن الاستواء، ومذاهب العرب داخل ضمن هذا الإطار.

(٣) لا بلْ: لابرأ.

(٣٦)

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلم بن المَوْلى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوْف، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُخضرَمي الدولتين ومدّاحي أهلهما، وقدم على المهديّ وامتدحه بعدّة قصائد فوصله بصلات سنيّة، وكان ظريفا عفيفا نظيف الثياب حسن الهيئة. (٢٨٦/٣)

(٣٧)

والحارث بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغزلّيين، وكان يذهب مذْهبَ عمر بن ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. (٣١٢/٣)

(٣٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظُه أتمّ، قال حدّثني محمد بن الضّحاك الحزاميّ قال: كانت العرب تفضّل قريشا في كلّ شيء إلا الشعر، فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعرْجيّ وأبو دهْبل وعبيد الله بن قيس الرُّقيّات، أقرّت لها العربُ بالشعر أيضاً. (٣١٣/٣)

(٣٩)

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه. واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كيْسان، مولى عنزة. وكنيتُه أبو إسحاق. وأمُّه أمّ زيد بنت زياد المُحاربيّ مولى بني زُهْرةَ؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس النّصْرانيّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فضّل عليه العتّابيّ:

قُلْ للمُكنّي نفسه ... متخيّراً بعتاهيهْ
والمرسل الكلمَ القبيـ ... ـح وعتْه أذْنٌ واعيهْ
إن كنت سرّاً سؤتني ... أو كان ذاك علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا ... لِ وأمُّ زيدٍ زانيهْ

ومنشؤه بالكوفة. وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين، ثم كان يبيع الفخّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم. ويقال: أطبع الناس بشّارٌ والسيّد وأبو العتاهية. وما قدر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته. وكان غزير البحر لطيف المعاني، سهل الألفاظ،

كثير الافتنان، قليل التكلف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك. وأكثر شعره في الزهد والأمثال. وكان قوم من أهل عصره ينسبُونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأنّ شعره إنّما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشُور والمعاد. وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدّمه الأوائلُ فيها. وكان أبخلَ الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال. (١/٤)

(٤٠)

حدَّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحلبيّ قال حدّثنا مزْيد الهاشميّ عن السّدْريّ قال: سمعت الأصمعيّ يقول: شِعْرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنّوى[١]. (٣٩/٤)

(٤١)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني أبو العباس محمد بن أحمد قال: كان ابن الأعرابيّ يعيب أبا العتاهية ويثْلبُه، فأنشدتُه:

كم من سفيهٍ غاظني سفهاً نشَفيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ
وكفَيتُ نفسي ظلم عاديتي ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلْمي[٢]
ولقد رُزقتُ لظالمي غِلَظاً ورحمتُه إذ لجَ في ظُلْمي (٤٦/٤)

(٤٢)

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خيثَم العنزيّ قال: لمّا حبس الرشيدُ أبا العتاهية وحلف ألاّ يُطلقه أو يقول شعراً، قال علي أبو حبش: أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر، تقول الشعراء الشعر الجيّد النادر فلا يُسمع منهم، ويقول هذا المُخنَّث المُفكَّك تلك الأشعار بالشفاعة! ثم أنشدني:

أيا إسحاق راجعت الجماعهْ وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعهْ

---

(١) يريد الأصمعي، ما أراده أبو الفرج في النصّ السابق، من أنْ شعر أبي العتاهية فيه الجيّد، والوسط، والرديء، ولعلّ لكثرة شعره، وغزارة إنتاجه سبباً في هذا

(٢) سلمي: مسالمي، يقال: فلان سلم لفلان، وحرب له، إذا كان بينهما سلام أو حرب.

وكنت كجامحٍ في الغيّ عاصٍ — وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعهْ
فجرُّ الخزُّ مما كنتَ تُكسى — ودع عنك التُّقشُّفَ والبشاعهْ
وشبِّبْ بالتي تهوي وخبِّرْ — بأنك ميِّتٌ في كلِّ ساعهْ
كسدنا ما نراد وإنْ أجدنا — وأنت تقول شعرك بالشُّفاعهْ (٤٧/٤)

(٤٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سعدان مولى البَجَلِّيين قال: كنتُ مع أبي نواس قريباً من نُور بني نيبخْت(١) بنهر طابق(٢) وعنده جماعةٌ، فجعل يمرُّ به القوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسلِّمون عليه وهو مُتّكئٌ ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم، حتى نظرنا إليه قد قبض رجليه ووثبَ وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه، فلم يزل واقفاً معه يراوحُ بين رجليه يرفع رجلاً ويضع أخرى، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتلوّه. فقال له بعضُ مَنْ حضر: والله لأنت أشعرُ منه. فقال: والله ما رأيتُه قطّ إلاّ ظننت أنّه سماءٌ وأنا أرْض. (يريد أبا العتاهية). (٧١/٤)

(٤٤)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال: قال لي الحرْمازيّ: شهدتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة، وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر؛ فإذا تعاطيا جميعاً السرعة فضله أبو العتاهية، وإذا توقّفا وتمهّلا فضله أبو نواس. (٨٤/٤)

---

(١) بنو نيبخت: أو نُوبخت: أسرة تنتسب إلى جدّها نوبخت وينتهون إلى أبي سهل بن نوبخت، خرج منهم جماعات كثيرة من العلماء، والشعراء، والأدباء، وعلماء النجوم، والمتكلمين، والكتّاب، والمترجمين والحكام .. وأصلهم من الفرس، وأوّل مَنْ أسلم منهم جدّهم نوبخت الذي ينسبون إليه، وكان مقرّباً من المنصور، ومن خوّاص المنجمّين عنده، ويُذكر منهم سليمان بن أبي سهل، وأحمد بن عبد الله بن أبي سهل، وعلي بن العباس بن إسماعيل الذي كان تلميذاً، وراوية للبحتري، يُنظر عنهم، أعيان الشيعة، المجلد الثاني (٢٠٧/٤) وما بعدها.

(٢) نهر طابق: محلّة كانت ببغداد من الجانب الغربي

(٤٥)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ الزَّارع قال حدَّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدَّثني محمد بن عِمْران بن عبد الصَّمد الزَّارع قال حدَّثنا ابن عائشة قال: قال أبو العتاهية لابن مُناذر: شعرك مُهجَّن لا يلْحق بالفحول، وأنت خارجٌ عن طبقة المحدثين. فإن كنت تشبهت بالعجَّاج ورؤْبة فما لحقْتهما ولا أنت في طريقهما، وإن كنت تذهب مذْهب المحدثين فما صنعتَ شيئاً، وأخْبرني عن قولك: ومنْ عاداك لاقى المرْمَريسا(١)

أخْبرني عن المرمريس ما هو؟(٢) قال: فخجل ابن مناذر وما راجعه حرْفا. قال: وكان بينهما تناغُر(٣). (٤/٩٠)

(٤٦)

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال: قال لي أحمد بن أبي فنن: تناظرت أنا والفتْحُ بن خاقان في منزله: أيُّما (الرجلين) أشعر: أبو نُواس أم أبو العتاهية. فقال الفتح: أبو نواس، وقلت: أبو العتاهية. ثم قلت: لو وُضِعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها، وليس بيننا خلافٌ في أنَّ له في كلِّ قصيدة جيِّداً ووسطاً وضعيفاً، فإذا جُمع جيِّده كان أكثر من جيِّد كلِّ مُجوِّد. (ثم) قلتُ له: بمن ترْضى؟ قال: بالحسين بن الضحَّاك. فما انقطع كلامُناحتَّى دخل الحسين بن الضَّحَّاك؛ فقلتُ: ما تقول في رجلين تشاجرا، فضَّل أحدُهما أبا نُواس وفضَّل الآخرُ أبا العتاهية؟ فقال الحسين: أمُّ مَنْ فضَّل أبا نُواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ؛ فخجل الفتْح حتى تبيَّن ذلك فيه، ثم لم يُعاودني في شيء من ذِكْرهما حتَّى افترقنا. (٤/١٠٧)

(٤٧)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسَّان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيِّ (ص) في النبوَّة، وشاعر اليمن كلِّها في الإسلام. (٤/١٣٦)

---

(١) المرمريس: الداهية. (٢) يُنظر الموشح (ص ٤٥٣)، ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١/١٠١): «وليس للمحدث أن يتبَّع المتقدِّم في استعمال وحشيِّ الكلام الذي لم يكثر ...». (٣) التَّناغر: التناكر.

(٤٨)

قال الزُّبير: وجعل محمد بن سلاّم الأحوص، وابن قيْس الرُّقيَات، ونُصيْباً، وجميلَ بن معْمرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام، وجعله بعد ابن قيْس، وبعد نُصيْب. (قال أبو الفرج): والأحوص، لولا ما وضع به نفْسه من دنيء الأخلاق والأفعال، أشدُّ تقدُّما منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة؛ وهو أسْمحُ طبعاً، وأسهلُ كلاماً، وأصحُّ معنىً منهم؛ ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم. وكان قليل المُروءة والدِّين، هجَّاءً للنَّاس، مأبوناً فيما يُرْوَى عنه(١). (٢٣٣/٤)

(٤٩)

أخبرني أبو خليفة الفضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سلاّم عن أبي الغرّاف عمن يثق به قال: بعث يزيدُ بن عبد الملك حين قُتل يزيد بن المهلّب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المُهلّب، منهم الفرزدقُ وكُثيِّرٌ والأحْوصُ. فقال الفرزدق: لقد امتدحتُ بني المهلّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً، وإنه لقبيحٌ بمثلي أن يُكذِّب نفسه على كبر السِّنّ، فليُعفني أمير المؤمنين؛ قال: فأعفاه. وقال كُثيِّرٌ: إنِّي أكره أن أعرِّضَ نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المُهلّب. وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم. ثم بعث به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجرّاح بن عبد الله الحكميّ وهو بأذْربيجان، وقد كان بلغ الجرّاح هجاءُ الأحوص بني المُهلّب، فبعث إليه بزقٍّ من خمْرٍ فأدخلَ منزلَ الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزله فصبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتوْا به الجرّاح، فأمر بحلْقِ رأسه ولحيته، وضربه الحدُّ بين أوجهُ الرجال، وهو يقول: ليس هكذا تُضْربُ الحدود! فجعل الجرّاح يقول: أجل! ولكن لما تعلم. ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعْتذر فأغْضى له عليها.

قال أبو الفرج الأصبهانيّ: وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغضِّ منه في شعره، ولكنّنا ذكرنا من كلِّ ما يؤثرُ عنه ما تعْرفُ به حالُه من تقدُّمٍ وتأخُّرٍ، وفضيلةٍ ونقْصٍ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه في الشعر فمتُعالم مشهور، وشعْرُه ينْبئ عن نفسه ويدلّ على فضله فيه وتقدُّمه وحُسْنِ رونْقه وتهذُّبه وصفائه(٢). (٢٥٥/٤)

(١) كانَّ أبا الفرج يشير إلى أنَّ تقديم الشاعر عند بعض البيئات مرتبط بمسلكه في الحياة، فإن كان مرضياً قدَّموه، وإلاّ تأخر، ويبدو أنّه لا يأخذ بهذا الاتجاه كثيراً مثلما سنرى في النصّ القادم. (٢) يفصل أبو =

(٥٠)

ونشأ طُريح في دولة بني أميّة، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهديّ؛ وكان الوليد له مكرما مقدّما؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف. (٢٠٩/٤)

(٥١)

أبو سعيد مولى فائد، وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه. وذكر ابن خُرْدانبه أنَّ اسم أبي سعيد إبراهيم. وهو يُعْرف في الشعراء بابن أبي سنّة مولى بني أميّة، وفي المغنّين بأبي سعيد مولى فائد. وكان شاعراً مجيداً ومُغنّيا، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعدّلا. وعُمِّر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم بن المهديّ وإسحاقُ الموصليّ ونووهما. وله قصائدُ جياد في مراثي بني أميّة الذين قتلهم عبدُ الله وداودُ ابنا علي بن عبد الله بن العبّاس، يُذْكر ها هنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديثُ ذِكْره. (٢٣٠/٤)

(٥٢)

هو حُميد بن ثوْر بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعْصعة بن معاوية بن بكْر بن هوازن بن منصور بن عكْرمة بْن خصفةَ بن قيْس بن عيلان بن مُضر بن نزار. وهو من شعراء الإسلام، وقرنه ابن سلاّم بنهْشل بن حرّيّ وأوْس بن مغراء(١). وقد أدرك حُميْد بن ثوْر عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وقال الشعر في أيّامه. وقد أدرك الجاهلية أيضاً. (٢٥٦/٤)

(٥٣)

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثنا زكريا بن يحيى بن خلاّد قال: كان الأصمعيّ يقول:

= الفرج هنا بين الأحوص، وشعره، فهو وإن كان سيّء السيرة مثلما وصفه، فإنّ شعره جيّد، وله المقام العالي بين الشعراء. يضاف إلى هذا ما أوردناه في مقدّمة الكتاب من أبا الفرج ينهج في الأغاني منهج الرواة، من حيث إيرادهم كلّ ما يتعلّق بالحادثة من أخبار. إذ ليس الغرض من ذكر أخبار الأحوص الانتقاص منه، بل رسم صورة متكاملة عنه، مع إصرار أبي الفرج على تقدّمه في عالم الشعر.

(١) جعل ابن سلاّم حميد بن ثور، ونهشل بن حرّيّ في الطبقة الرابعة، ومعهما الأشهب بن رميلة، وعمر بن لجأ التيمي، أمّا أوس بن مغراء ففي الطبقة الثالثة ومعه كعب بن جعيل، وعمر بن أحمر الباهلي، وسُحيم بن وثيل الريّاحي، ولم يترجم لأوس. ينظر طبقات ابن سلام (٥٧١/٢، ٥٨٣).

خُتم الشعراءُ بابن هرْمة، والحكم الخُضْريّ، وابنِ ميّادة وطُفيلِ الكناني، ومكينِ العُذْريّ. (٣٧٣/٤)

(٥٤)

أخبرني علي بن سليمان النحوي قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ: أنه كان يقول: خُتم الشعراء بابن هرْمة. (٣٩٦/٤)

(٥٥)

هو يونس بن سليمان بن كرْد بن شهريار، من ولد هُرْمزُ. وقيل: إنّه مولى لعمرو بن الزُّبير. ومنشؤه ومنزلُه بالمدينة. وكان أبوه فقيها، فأسلمه في الديوان فكان من كُتّابه. وأخذ الغناء عن معْبدٍ وابنِ سُرَيجْ وابن مُحْرز والغريض، وكان أكثر روايته عن معبد؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أقْومُ بما أخذ عنه منه. وله غناء حسن، وصنعة كثيرة، وشعرٌ جيِّد. وكتابه في الأغاني ونسبها إلى مَنْ غنّى فيها هو الأصلُ الذي عُمل عليه ويُرجع إليه. وهو أوّل من دوّن الغناء. (٣٩٨/٤)

(٥٦)

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا مُصْعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال: كان إسماعيل بن يسار النَّسائيّ مولى بني تيمِ بن مرّةَ: تيم قريش، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير. فلمّا أفضتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان، وفد إليه مع عُروة بن الزُّبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده. وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلّطان بني أميَّة، ولم يُدرك الدولة العبّاسيّة. وكان طيِّباً مليحاً مُندراً بطّالاً، مليح الشِّعْر وكان كالمنقطع إلى عُرْوة بن الزُّبير. (٤٠٨/٤)

(٥٧)

... وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه وله أشعار كثيرة. ولم أجد له خبراً فأذكره.... (٤٢٧/٤)

(٥٨)

قال القحْذميّ في رواية حمّاد عنه: كان الجعديّ أسنّ من نابغة بني ذُبيان. قال ابن سلاّم في رواية أبي خليفة عنه: كان الجعديّ النابغةُ قديماً شاعراً طويلا مُفلقا طويل البقاء في الجاهلية والإسلام، وكان أكبر من الذُّبيانيّ؛ ويدلّ على ذلك قوله:

ومن يكُ سـائلاً عنّي فـإنـي ... من الفـتيـان أيامَ الخُنانِ(١)
أتت مـائـةٌ لعـامَ ولدتُ فـيـه ... وعـشْرٌ بعـد ذاك وحِـجّتـان
فقد أبقتْ خطـوبُ الدّهـر منّي ... كمـا أبقتْ من السيفِ اليماني (٥/٥)

(٥٩)

قال أبو زيد عُمر بن شبّة في خبره: كان النابغة شاعراً متقدّما، وكان مغلّباً(٢) ما هاجى قطّ إلا غُلب، هاجي أوس ابن مغْراء وليلى الأخيليّة وكعب بن جُعيل فغلبوه جميعا. (٥/١٠)

(٦٠)

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها عن محمد بن سلاّم الجُمَحيّ عن أبي الفرّاف، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر، قالا حدّثنا عمر بن شبّة (عن محمد بن سلاّم) عن أبي الفرّاف: أن النّابغة هاجى أوس بن مغْراء؛ قال: ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر؛ فقال النابغة: إنّي وإيّاه لنبتدر بيتاً، أيُّنا سبق إليه غلب صاحبه؛ فلما بلغه قولُ أوس:

لعمْرُك ما تبْلى سـرابيلُ عـامرٍ ... من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُها

قال النابغة: هذا البيت الذي كنّا نبتدر إليه. فغُلّب أوسٌ عليه. (٥/١٢)

(٦١)

أزْجـُرِ العين أنْ تُبكّي الطّلُـولا ... إنّ في الصـدر من كُليبٍ غليـلا
إنّ في الصـدر حـاجـةً لن تقـضّى ... مـادعـا في الغـصـون داعٍ هديلا
كـيـف أنســاك يا كُليبُ ولـمّا ... أقضِ حــزناً ينُوبُني وغليـلا
أيّها القلـبُ أنجِـزِ اليومَ نحْبـاً ... من بني الحصْن إذ غدوْا وذُحولا(٣)

---

(١) الخُنان: داء يأخذ الطير في حلومها وفي العين، وزكام للإبل، وزمن الخُنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء، قال الأصمعي: كان الخنان داءً يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه، فصار ذلك تاريخاً لهم.
(٢) جاء في طبقات ابن سلام (١/١٢٤): «وكان الجعدي مختلف الشعر مغلّباً .. وإذا قالت العرب: مُغَلّبٌ فهو مغلوب. وإذا قالوا: غُلّب، فهو غالب».
(٣) النّحب: النّذر، والحصن: هو ثعلبة بن عكابة، والذحول: جمع ذحل وهو الثار.

كـيف يبكي الطلول مَنْ هو رهـنٌ ... بطعـانِ الأنامِ جـيـلاً فــجـيـلا

أنبضُوا مـعْجسَ القسـيِّ وأبْرقـ ... ـنا كما توعدُ الفحولُ الفحولا(١)

وصـبـرْنا تحـت البـوارقِ حـتّى ... ركـدتْ فـيـهـمُ السـيـوفُ طويلا

لـم يُطيـقــوا أن ينزلوا ونزلْنا ... وأخـو الحـربِ مَنْ أطاقَ النّزولا

الشعر لمُهلهل- قال أبو عُبيدة: اسمه عديّ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت: اسمه امرؤ القيس- وهو ابن ربيعة بن الحارث بن زُهير بن جشُم بن بكْر بن حبيب بن عمرو بن غنْم بن تغلب؛ وإنّما لُقِّب مهلهلاً لطيب شعره ورقّته(٢)، وكان أحد من غُنِّيَ من العرب في شعره. وقيل: إنّه أوّلُ من قصَّد القصائد وقال الغزل؛ فقيل: قد هلْهل الشعر، أي أرقّه. وهو أوّل مَنْ كذب في شعره(٣). وهو خال امرئ القيس بن حُجْر الكِنْديّ. وكان فيه خُنْثٌ ولين، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء، فكان كُليب يسمّيه «زير النِّساء»؛ فذلك قوله:

ولو نُبش المقابرُ عن كُليبٍ ... فيعلم بالذنائب أيُّ زيرِ (٥٦/٥)

(٦٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال: سألتُ عمّي مُصعباً ومحمد بن الضّحّاك ومحمد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام، فكلّهم قالوا: ابنُ قيس الرقيّات؛ وحُكي ذلك عن عديّ وعن الضّحاك بن عثمان؛ وحكاه محمد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليرْبوعيّ. قال الزبير: وحدّثني بمثله غمامةُ بن عمرو السَّهْميّ عن مِسْورَ بن عبد الملك اليرْبوعيّ. (٧٥/٥)

(٦٣)

الوليدُ بن عقبة بن أبي مُعيط، وقد مضى نسبه مع أخبار ابنه أبي قطيفة. ويكنى الوليدُ أبا وهْب. وهو أخو عثمان بن عفّان لأمّه، أمُّهما أرْوى بنت كُريز، وأمُّها البيْضاء بنت عبد المطلب،

---

(١) أنبض الرامي القوس وعن القوس: جذب وترها لتصوّب، ومَعْجِس: مقبض القوس.

(٢) جاء في طبقات ابن سلاّم (٣٩/١): «وإنّما سُمّيَ مُهَلْهِلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه، واختلافه». وعلّق الشيخ شاكر بقوله: «في النقائض: وإنّما سُمّي مهلهلاً لأنّه هلهل الشعر: يعني سلْسَلَ بناءه». وينظر الموشح (ص ١٠٥).

(٣) جاء في طبقات ابن سلام (٤٠/١): «وزعمت العرب أنّه كان يدّعي في شعره، ويتكثّر في قوله بأكثر من فعله». وينظر الموشح (ص ١٠٥).

وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأجوادهم، وكان فاسقاً، وولي لعثمان رضي الله عنه الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، فشرب الخمر وشُهد عليه بذلك، فحدّه وعزله. وهو الذي يقول يرثي عثمان رضي الله عنه ويُحرِّض معاوية:

والله ما هندٌ بأمِّك إن مضى النهار ولـــم يثـــأر لعثمـــان ثـــائرُ

أيقـتلُ عـبدُ القـوم سيِّدَ أهله ولـم تقـتلـوه ليـت أمَّك عـاقـرُ

وإنّا متى نقتلْهُم لا يُقـد بهـم مُقـيدٌ فقد دارتْ عليك الدوائـر (١٢٢/٥)

(٦٤)

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: كان جدُّك محبّاً للأشراف كثير الأصدقاء منه، حتى إنْ كان الرشيدُ ليقولُ كثيراً: ما أعرف أحداً أكثر أصدقاء من إبراهيم. قال إسحاق: وما سمعتُ أحسنَ غناءً من أربعة: أبي، وحكم الوادي، وفُلَيح بن أبي العوْراء، وسياط؛ فقلت له: وما بلغ من حذْقهم؟ قال: كانوا يصنعون فيُحسنون، ويؤدّون غناء غيرهم فيُحْسنون؛ فقُلت: فأيّهم كان أحذق؟ قال: كانوا بمنزلة خطيب أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته، فإذا انتقل منها إلى غيرها لم يبلغْ منها ما يبلغُ من صناعته، وكان جدُّك كرجل مفوّه، إن خطب أجْزل، وإن كتب رسالة أحْسن، وإن قال شعرا أحْسن، ولم يكن فيهم مثلُه. (١٦٩/٥)

(٦٥)

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني أبو عبد الله الحَزَنْبل قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: أنشد بشارٌ قولَ العبّاس بن الأحنف:

نزف البكاءُ دموع عينك فاستعرْ عينا لغـيرك دمعها مِـدرارُ

فقال بشار: لحق والله هذا الفتى بالمحسنين، وما زال يُدخل نفسه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر. (٢١٠/٥)

(٦٦)

إسحاقَ بن إبراهيم

قد مضى نسبه مشروحاً في نسب أبيه؛ ويُكْنى أبا محمد، وكان الرشيد يُولع به فيكْنيه أبا صفوان، وهذه كُنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مزْحاً. وموضعُه من العلم، ومكانُه

من الأدب، ومحلّه من الرّواية، وتقدُّمه في الشعر، ومنزلته في سائر المحاسن، أشهرُ من أن يُدلَّ عليه فيها بوصف. (٢٦٨/٥)

(٦٧)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمد الأسديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى الشُّيباني ثعْلب قال: وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المدائنيّ فقال له: إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر:

نحملُ أشباحنا إلى ملكٍ نأخذُ من ماله ومن أدبهْ

فقال له: ومنْ ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ. قال أبو بكر: والبيت لأبي تمام الطائيّ. وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثعلب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه: كان إسحاق يُجْري على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار، وأهْدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النوادر كَتَبه له بخطّه؛ فمرّ ابنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له؛ فقال له صديقه: هذه دار صديقك أبي محمد إسحاق؛ فقال: هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه. (٢٧٤/٥)

(٦٨)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق. (وأخبرني به الأخفش عن الفضل عن إسحاق، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق)، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهلّبيّ عن إسحاق قال: قال لي أبو زياد الكلابيّ: أولم جارٌ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها، فانتظرتُ رسوله حتى تصرّم يومي فلم يأتِ، فقلت لامرأتي: إنّ أبا سفيان ليس بمولمٍ فقُومي فهاتي فلْقةً من حُوارِكِ

قال إسحاق: فقلت له: أليس غيرُ هذا؟ فقال: لا، إنما أرسلتُه يتيماً؛ فقلت: أفلا أجيزه؟ قال: شأنك؛ فقلت له: فبيتُكِ خيرٌ من بيوتٍ كثيرةٍ وقِدْرُك خيرٌ من وليمة جارِكِ

قال: فضحك ثم قال: أحسنتَ بأبي أنت وأمي، جئتَ والله بن قَبَلاً(١) ما انتظرتَ به

(١) القَبَل: الارتجال، أي التكلم بكلام لم يكن قد أعدّه، يقال: تكلّم قَبَلاً فأجاد، واقتبل الكلام، والخطبة اقتبالاً إذا ارتجلهما ولم يكن أعدّهما.

القَرَبَ(١)، وما ألُوم الخليفة أن يجعلك في سُمَّاره ويتملّح بك، وإنك لمن طِراز(٢) ما رأيتُ بالعراق مثله، ولو كان الشباب يُشترى لابتعتُه لك بإحدى عينيّ ويُمْنى يديّ، وعلى أن فيك بحمد الله ومنّه بقيّة تسرّ الودود، وتُرغم الحسود. هذا لفظ يزيد المُهلّبيّ والأخفش. (٥/٢٧٥)

(٦٩)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال حدّثني إسحاقُ قال: أنشدتُ أبا الأشعثَ الأعرابيّ شعراً لي، فقال: والذي أصوم له مخافته ورجاءه، إنك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ، وإنَّ في كبرك لما زان الجليس وسرّه. (٥/٣٢٨)

(٧٠)

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عُبيد الله بن عبد الله قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات عن أبي خالد الأسْلميّ: أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضّله ويعظّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديما مُفْرطاً، فقال: ما قولكم في رجل محدث تشبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنى فيه ونسبه إليه، فلم يشكُكْ أحدٌ سمعه أنه لو ولا فطن لما فعل أحد إلاّ من حصّل شعر ذي الرّمة كلّه ورواه؛ فسئل أبو خالد معن هذا الشعر فقال:

ومدْرجةٍ للريح تيهاء لم تكن ... ليجْشمها زُمّيلةٌ غيرُ حازم(٣)
يضلُّ بها الساري وإن كان هادياً ... وتقْطعُ أنفاسَ الرياح النواسم
تعسّفتُ أفْري جوْزها بشملّةٍ ... بعيدةِ ما بين القرا والمناسم(٤)
كأنَّ شِرار المروِ من نبْذها به ... نجومٌ هوتْ أخرى الليالي العواتم(٥) (٥/٣٩٠)

(٧١)

الطُّلُولُ الدَّوارِسُ ... فارقتْها الأوانسُ

(١) القَرَب: أن يكون بين القوم وبين الماء ليلة أو عشيّة فيعجلون بإبلهم ويسوقونها إليه سَوْقاً شديداً. يريد أنَّه جاء به ارتجالاً، وعفو الخاطر من غير أن يتريث به ويكدّ سعياً في طلبه. (٢) مضى الحديث عن الطراز.

(٣) المدرجة: الطريق، والتيهاء: المفازة التي لا يُهتدى فيها، والزُّميلة: الضعيف الجبان.

(٤) جوْز الشيء: وسطه ومعظمه، والشملّة: الناقة السريعة، والقرا: الظهر، والمناسم: الأخفاف، وقوله بعيدة ما بين القرا والمناسم كناية عن طولها، وقوّتها. (٥) المرو: حجارة بِيَض رقاق برّاقة.

أوْحشتْ بعد أهلها فهي قفْرٌ بسابسُ

الشعرُ لابن ياسين، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقا لإسحاق. (٤٢٦/٥)

(٧٢)

هو الصِمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفيل بن قُرَّة بن هُبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قُشيْر بن كعْب بن ربيعة بن عامر بن صعْصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكْرمة بن خصفة بن قيْس بن عيْلان بن مُضر بن نزار، شاعرٌ إسلاميّ بدويٌّ مُقِلّ، من شعراء الدولة الأمويّة. وجدُّه قُرَّة بن هُبيرة صحبة بالنبيّ(ص)، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه (ص) وآله. (١/٦)

(٧٣)

داود بن سلْم مولى بني تيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ؛ ثم يقول بعضُ الرواة: إنّه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طلْحة. وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم وداود الأرمك(١). (١/٦)

(٧٤)

أعشى همْدان ونسبُه

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوْف بن همْدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوْسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهْلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعْرُب بن قحْطان، ويُكنى أبا المُصبّح، شاعر فصيح، كوفيّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوج أخت الشّعبيّ الفقيه، والشعبيُّ زوج أخته. وكان أحد الفقهاء القُرّاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر، وآخى أحمد النّصْبي بالعشيرية(٢). والبلديّة، فكان إذا قال شعراً غنّى فيه أحمدُ. وخرج مع ابن الأشْعث، فأتي به الحجاجُ أسيراً في الأسرى، فقتله صبْراً (٣٣/٦)

---

(١) الأرمك: الأسود.

(٢) العشيرية: نسبة إلى العشيرة أو العشير وهم رهط الرجل وقبيلته، وأحمد النّصبي همداني، وهو من رهط الأعشى الأدنين.

(٧٥)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال: سألت الأصمعيَّ عن أعشى همدان فقال: هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر(١)؛ ثم قال لي: العجب من ابن دأب حين يزعُم أن أعشى همدان قال:

من دعا لي غُزَيِّلي أربح اللـهُ تجارتَه

ثم قال: سبحان الله! أمثلُ هذا يجوز على الأعشى؟ أن يجزم اسم الله عزّوجلّ ويرفع تجارته وهو نصب. ثم قال لي خلفُ الأحمر: والله لقد طمع ابنُ دأب في الخلافة حين ظنَّ أن هذا يُقبل منه وأن له من المحل مثل أن يجوِّز مثل هذا قال ثم قال: ومع ذلك أيضاً إن قوله: من دعا لي غزيِّلي لا يجوز، إنما هو: من دعا لغزيِّلي، ومن دعا لبعير ضال. (٦/٥٦)

(٧٦)

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنه وقع إليّ له خبرٌ إلا ما شُهر من حاله في نفسه. وهو عبد الله بن هارون بن السُّمَيْدَع، مولى قريش، من أهل البصرة، وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد، فكان مقدَّماً فيه. وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدّب أولادهم وكان يمدحهم كثيراً، فاكثر شعره فيهم. وهو مُقِلّ جداً. وكان يقول أوزانا من العروض غريبةً في شعره، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزين العروضي فأتى فيه ببدائع جمّة، وجعل أكثرَ شعره من هذا الجنس. فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خبرا ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه. (٦/١٦٠)

(٧٧)

ذكر نبيه

زعم ابن خُرْداذبه أنه رجل من بني تميم صليبةً، وأن أصله من الكوفة، وأنه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي، ويقول شعراً صالحاً. فهوى قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها؛ ولم يزل يتزيّد حتى جاد غناؤه وصنع فأحسن. (٦/١٦١)

(٧٨)

النُّميريّ ونسبه

---

(١) ينظر فحولة الشعراء للأصمعي (ص ١٤).

هو محمد بن عبد الله بن نُمير بن خرشة بن ربيعة بن حُبيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطيط بن جُشم بن قسيّ؛ وقسيّ هو ثقيف. شاعرٌ غزل، مولَّد؛ ومنشؤه بالطائف، من شعراء الدولة الأموية، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار كثيرة يتشبَّب بها. (٦/١٩٠)

(٧٩)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال: كان أبو ذُؤيب شاعراً فحْلا لا غميزة فيه ولا وهْن. (٦/٢٦٤)

(٨٠)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني محمد بن مُعاذ العُمريّ قال: في التّوارة: أبو ذؤيب مؤلف زورا، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» فأخبرتُ بذلك بعض أصحاب العربية، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثير الغريب متمكّنا في الشعر. (٦/٢٦٤)

(٨١)

وكان الوليد بن يزيد من فِتْيان بني أميّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدّائهم، وكان فاسقا خليعا متَّهما في دينه مرمياً بالزندقة؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل. وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول: إنه نُحِلَه وألصِقَ إليه. والأغلب الأشهر غير ذلك. (٧/٢)

(٨٢)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ، وحدّثني به محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان يزيد بن ضبّة مولى ثقيف، ولكنّه كان فصيحاً، وقد أدركتُه بالطائف، وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحُوشيّ من الشعر(١). (٧/١٠٣)

---

(١) كأنّه رأى الفصاحة طارئة عليه بسبب إقامته في الحاضرة، ولكنّه كان فصيحاً مع هذا، وفي العمدة نصٌّ يشير إلى فصاحة ثقيف وهو قول أبي عمر بن العلاء: «أفصح الناس ألسُناً وأعربهم أهلُ السَّرَوات، =

(٨٣)

نسب نابغة بني شيْبان

النابغة اسمه عبد الله بن المُخارق بن سُلَيْم بن حصرة بن قيْس بن سنان بن حمّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيْبان بن ثعْلبة بن عُكابة بن صعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأموية. وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني أميّة فيمدحهم ويُجْزلون عطاءه. وكان فيما أرى نصْرانياً لأنّي وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرُّهْبان وبالأيمان التي يحلف بها النّصارى، ومدح عبد الملك بن مروان ومَنْ بعده مِنْ ولده؛ وله في الوليد مدائحُ كثيرة. (١٠٦/٧)

(٨٤)

قال المدائني: كان أبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرب منْكبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدح معاوية، وعبد الله بن الزُّبير، وقد كان ابنُ الزبير ولاّه بعض أعمال اليمن. (١١٤/٧)

(٨٥)

الحسين بن الضّحاك باهليٌّ صليبةً، فيما ذكر محمد بن داود بن الجرّاح، والصحيح أنه مولى لباهلة. وهو بصريّ المولد والمنْشأ، من شعراء الدولة العباسيّة، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنه أوّلُ من جالس منهم محمدُ الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرّف في الشعر حلو المذْهب، لشعره قبول ورونق صاف. وكان أبو نُواس يأخذ معانيه في الخمر فيُغير عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبه الناس إلى أبي نواس. وله معانٍ في صفتها أبدعَ فيها وسبقَ إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارهُما في هذا المعنى وغيره تُذكر في أماكنها. وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ. هاجي مُسْلم بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيّد. وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من التكلّف. وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المُستعين أو المنتصر. (١٤٦/٧)

= وهُنّ ثلاث، وهي الجبال المطلّة على تهامة ممّا على تهامة ممّا يلي اليمن: فأوّلها ثمّ بَجيلة السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها. ينظر العمدة (١٩٣/١) طبعة قرقزان.

(٨٦)

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ: أنّ مُخارقاً وحسين بن الضَّحاك تلاحيا في أبي العتاهية وأبي نواس أيُّهما أشعر؛ فاتّفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايران فيه، فاختار الحسينُ بن الضَّحاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قوياً لمعرفته بذلك، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزلاً كان يُغنّي فيه لا لشيء عرفه منه إلا لأنه استملحه وغنّى فيه، فخاير به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودّة؛ وتخاطرا(١) على مال، وتحاكما إلى من يرتضيه الواثقُ بالله ويختاره لهما؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحلِّم؛ وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضّحّاك. فتلكّأ مخارق وقال: لم أُحْسِن الاختيار للشعر ولَحُسينٌ أعلم منّي بذلك، ولأبي العتاهية خيرٌ مما اخترتُ، وقد اختار حسينٌ أجود ما قدر عليه لأبي نواس لأنه أعلم منّي بالشعر، ولكنّا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ؛ فتحاكما فحكم لأبي نواس، وقال: هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثر إحساناً في جميع تصرّفه. فأمر الواثقُ بدفع الخطر إلى حسين، وانكسر مخارق فما انْتُفِع به بقيّةَ يومه.
(١٧٦/٧)

(٨٧)

وكان (السيد الحميري) شاعراً متقدّماً مطبوعاً. يقال: إنّ أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشّار، وأبو العتاهية، والسيِّد، فإنه لا يُعلم أنّ أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. وإنما مات ذكرهُ وهجر الناسُ شعره لما كان يُفْرط فيه من سبِّ أصحاب رسول الله(ص) وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم، فتُحومي شعرُه من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجره الناس تخوّفا وتراقياً. وله طراز من الشعر ومذهبٌ قلّما يلْحَقُ فيه أو يُقاربه. ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم. ولولا أنَّ أخباره كلّها تجري هذا المجْرى ولا تخرج عنه لوجب ألاّ نذكر منها شيئاً؛ ولكنّا شرطنا أن نأتي بأخبار مَنْ نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيء اختياره على قلّة ذلك(٢). (٢٢٩/٧)

---

(١) تخاطرا: تراهنا. (٢) كأنّ أبا الفرج يتبع هنا منهج المؤرّخين الذي يقوم على الاختيار والتمحيص والنقد للأخبار التي بين يديْ المؤرخ. وهو ما أشرنا إليه في مقدّمة الكتاب أيضاً.

(٨٨)

وقال الموصليّ حدّثني عمّي قال: جمعتُ للسيّد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة؛ فَخِلْتُ أنْ قد استوعبتُ شعره، حتى جلس إليَّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رثّةٍ، فسمعني أنشد شيئاً من شعره، فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي. فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً، فكيف وهو لا يعلم وإنّما أنشد ما حضره! وعرفتُ حينئذ أنَّ شعره ليس مما يُدرك ولا يمكن جمْعه كله. (٢٣٦/٧)

(٨٩)

قال عليّ بن المغيرة حدّثني الحسين بن ثابت قال: قدم علينا رجل بدويٌّ وكان أروى الناس لجرير، فكان يُنشدني الشيء من شعره، فأنشد في معناه للسيّد حتى أكثرتُ. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله أشعر من صاحبنا. (٢٣٩/٧)

(٩٠)

ذكر مُتيَّم الهشاميّة

كانت متيَّمُ صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة، وبها نشأتْ وتأدَّبتْ وغنَّتْ وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهما من المغنّين. وكانت من تخريج بذْل وتعليمها. وعلى ما أخذتْ عنها كانت تعْتمد. فاشتراها عليٌّ بن هشام بعد ذلك، فازدادتْ أخْذاً ممّن كان يغشاه من أكابر المغنّين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً. وكانت تقول الشعر ليس ممّا يُستجاد. ولكنّه يُستحسن من مثلها. (٢٩٣/٧)

(٩١)

وهو (جرير) والفرزدق والأخْطل المقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدْركوا الجاهلية جميعاً. ومختلفٌ في أيِّهم المتقدّمُ؛ ولم يبْقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرّض لهم فافتضح وسقط وبقُوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسنَّ ونفد أكثرُ عمره. وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه فليس نجْره(١) من نجار هذين في شيء؛ وله أخبار مفردة عنهما ستُذكر بعد هذا مع ما يُغنّى من شعره. (٤/٨)

(١) النَّجر والنِّجار: الأصل والحسب، يريد أنّه ليس من معدنهما.

(٩٢)

قال ابن سلاّم: وقال ابنُ دأب: الفرزدق أشعرُ عامةً وجرير أشعرُ خاصةً وقال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبِّه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزُهير، والأخطل بالنابغة. قال أبو عبيدة: يحتَّج مَنْ قدَّم جريرا بأنه كان أكثرهم فنونَ شعر، وأسهلهم ألفاظاً، وأقلّهم تكلّفاً، وأرقّهم نسيباً، وكان ديِّنا عفيفاً. وقال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشْبههما وأنسبهما. (٨/٥)

(٩٣)

وقال محمد بن سلاّم: قال العلاء بن جرير العَنبَريّ وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَيْتٌ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكَيتا، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً وسكَيتاً(١). (٨/٦)

(٩٤)

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: تذاكروا جريرا والفرزدق في حلْقة يونس بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ومسْمع وعامر ابنا عبد الملك المِسمعيّان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير والله أنسبهما وأسبَّهما وأشبههما(٢). (٨/٩)

---

(١) ورد هذا النصّ في طبقات ابن سلاّم (١/٣٧٤)، وفيه: (حَرِيز) بدل (جرير) العنبري.

(٢) أشبههما: وردت هذه الكلمة في هذا النصّ وفي النصّ الثاني والتسعين السابق، وجاء في هامش الأغاني «ولعلّ الصواب فيه كان أسبَّهما»، وهو ما لا يستقيم هنا بدلالة ورود أسبِّهما أيضاً، فمن غير المعقول أن يقول: أسبّهما وأسبّهما، فلا معنى لهذا التكرار، ولعلّ (أشبههما) يراد منها التشبيه، أي هو أكثر منهما تشبيهاً، إذ جاء في لسان العرب (١٣/٥٠٤): «شبهْتُ هذا بهذا، وأشبه فلان فلاناً». فهو على رأي مَنْ فضّله على الاثنين، أكثرهما وأجودهما نسيباً، وهجاءً، وتشبيهاً، وممّا يقوّي هذا الأمر أنّنا نجد كثيراً من النقّاد يفضّلون شاعراً ما لأنّه أجاد في التشبيه، مثل ابن سلاّم الذي قال: «كان امرؤ القيس أحسن أهل طبقته تشبيهاً، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمّة». طبقات فحول الشعراء (١/٥٥)، يضاف إلى هذا ما وجدناه عند بعض النُّقاد أيضاً من جعلهم التشبيه غرضاً من أغراض الشعر، وفنّاً من فنونه، من ذلك ثعلب حين يقول في قواعد الشعر (ص ٢٨): « ... ثمّ تتفرّع هذه الأصول إلى: مدح، وهجاء، ومراث، واعتذار، وتشبيب وتشبيه ... »، فنراه يقرن التشبيه إلى بقية الأغراض كأنّه واحد منها، ومنهم الرمّاني الذي حفظ له ابن رشيق في العمدة (١/١٢٠)، قوله: «أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب، والمدح والهجاء، والفخر، والوصف، ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف»، كأنّ الوصف وحده يقتصر =

(٩٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني زيرك بن هُبيرة المنانيّ قال: كان جريرٌ ميدان الشعر، من لم يجْر فيه لم يرْوِ شيئاً، وكان مَنْ هاجى جريرا فغلبه جرير أرجح عندهم ممّن هاجى شاعرا آخر غير جرير فغلب. (٩/٨)

(٩٦)

قال ابن سلاّم: وسألت بشّاراً المرعَّث: أيُّ الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكنَّ ربيعةَ تعصّبتْ له وأفرطت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوار فقاموا ينوحون عليهابشعر جرير. فقلتُ لبشّار: وأيّ شيء لجريرٍ من المراثي إلاّ التي رثى بها امرأته! فأنشدني لجرير يرْثي ابنه سوادة ومات بالشأم:

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم   كيف العزاءُ وقد فارقتُ أشبالي

فارقتني حين كفَّ الدهرُ من بصري   وحين صِرتُ كعظم الرِّمة البالي

أمْسى سوادةُ يجلُو مُقْلتي لحمٍ   بازٍ يصرْصِرُ فوق المرْبأ العالي(١)

قد كنتُ أعرفه منّي إذا غلِقتْ   رُهْنُ الجياد ومدُّ الغاية الغالي(٢)

= على التشبيه والاستعارة فجعله فنّاً من فنونه، وهو رأي غريب. فنرى من هذا أنّ وَضْع التشبيه مع أغراض الشعر أمر ليس بالغريب ولم ينفرد به هذا النصّ، بل إنّ هذا النصَّ يقوّي ما قدّمناه من نصوص سابقة، ويجب أن لا نتمادى في الاستغراب فلم تكن مناهج التأليف مستقرّة حتى الآن، وما زالت المصطلحات تتجاذبها بيئات ثقافية مختلفة، وهي محتاجة إلى وقت كي يتهيّأ لها الاستقرار، وقد حصل هذا فيما ابعد، وممّا يجب إضافته هنا أن أشبههما من الممكن أن تعني - أيضاً - الشبه بكلام العرب، فسنرى في النص الثاني عشر بعد المئة أن أبا عبيدة يقول: «الأخطل أشبه بالجاهلية»، فكأنّ شعر الأخطل داخل في كلام العرب، متلاءم معه أكثر من جرير، والفرزدق.

(١) اللَّحم: البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيه، وصرصر: صوّت وصاح أشدّ الصياح، والمربأ: المرقب.

(٢) غَلِق: الرَّهن: لم يقدر راهنه على تخليصه من يد المرتهن في الموعد المشروط فصار ملكاً للمرتهن، ومنه رهان الخيل وهو ما يدفعه المتراهنون على السباق، والغاية: هي قصبة أو راية تنصب في الموضع الذي تكون فيه المسابقة ليأخذه السابق، والغالي: الذي يأخذ قوسه وسهمه فيغالي في قذف السّهم، فجعل جرير استحقاق رهان الخيل عند بدء السباق، ومجيء الغالي ورفعه قصب السَّبق، مثلاً لتحرّج الأمور بالمرء حتى لا يستطيع أن يتراجع أو يتخلّص، ولم يكن له إلاّ أنْ يستفرغ طاقته ودهاءه ومراسه في إدراك الظّفر والتبريز على أقرانه.

إنَّ الثَّويَّ بذي الزَّيْتون فاحتسبي قد أسرعَ اليوم في عقلي وفي حالي(١)
إلاَّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرينِ مُعْولةٌ فربُّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ(٢)
كأمِّ بَوٍّ عجُولٍ عند معهَدِهِ حنَّتْ إلى جلدٍ منه وأوْصالِ(٣)
حتى إذا عرفتْ أن لا حياةَ به ردَّتْ هماهِمَ حرَّى الجوفِ مِثْكالِ(٤)
زادت على وجْدها وجْداً وإن رجعتْ في الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بِلْبالِ
(١٠/٨)

(٩٧)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال: سألت بشّاراً العُقيليّ عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطلُ مثلهما، ولكنّ ربيعةَ تعصَّبتْ له وأفرطتْ فيه. قلت: فجريرٌ والفرزدقُ؟ قال: كان جريرٌ يُحْسن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق، وفضَّل جريراً عليه. (٦٠/٨)

(٩٨)

وقال ابن سلاّم: قال العلاء بن جرير - وكان قد أدرك الناس وسمع -: كان يقال: الأخطلُ إذا لم يجيءْ سابقاً فهو سُكَّيتٌ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتا فهو بمنزلة المصلِّي أبداً، وجرير يجيء سابقا ومصلِّيا وسُكَّيتا. قال ابن سلاّم: وتأويل قوله: إن للأخطل خمساً أو ستّاً أوسبعاً طوالاً روائعَ غُرراً جياداً هو بهنّ سابق، وسائرُ شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة

---

(١) الثويّ: المقيم في قبره، وذوالزّيتون: أراد الشام، واحتسب ولده: صبر على المصيبة طلباً للأجر، واعتدّ مصيبته في جملة البلايا التي يثاب على الصبر عليها. وأراد نفسه، يقول: اصطبري، وأسرع فيه البلاء: أسرع في نقض عقله وحاله.

(٢) الدّيرين: دير في دمشق قرب باب الفراديس خاصّ بالنساء، ينظر طبقات ابن سلاّم (٤٥٨/١)، هامش رقم (٣)، والرّمل: يعني رملَ يبرين، وهي ديار تميم. ومعولة: باكية، يعني أمّه ونساؤها، ومعوال: شديدة العويل، وهو البكاء.

(٣) أمّ بوّ: يعني ناقة، والبوّ: ولد الناقة والعجول: من النساء والإبل: الوالدة التي فقدت ولدها، فهي تعجل في جيئتها وذهابها جزعاً عليه، والمعهد: الموضع الذي كانت تعهده فيه، والجلد: هو الجلد الذي يكسو عظامه، والأوصال: جمع وُصْل: هي الأعضاء ومجتمع العظام كلّها.

(٤) ردّت: ردت ورجعت، والهماهم: جمع همهمة: وهي الصوت المردّد في الصدر من الهمّ والحزن. وحرّى الجوف: احترق كبدها من حرارة الحزن.

السُّكَيت ـ والسُّكيت: آخر الخيل في الرِّهان ـ والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقيّة شعره، فهو كالمصلّي أبداً ـ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت ـ وجرير له روائعُ هو بهنَّ سابق، وأوساطٌ هو بهنَّ مُصَلٍّ، وسفسافاتٌ(١) هو بهنَّ سُكَيت. (٦٠/٨)

(٩٩)

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية(٢)، كان راوية هُدْبةَ بن خشْرم، وكان هُدْبةُ شاعراً راوية للحُطيئة، وكان الحطيئةُ شاعراً راويةً لزُهير وابنه. وقال أبو مُحلِّم: آخرُ من اجتمع له الشعر والرواية كُثيِّر، وكان راويةَ جميل، وجميلٌ راوية هُدْبة، وهُدْبةُ راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير. (٩١/٨)

(١٠٠)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثيِّر راوية جميل، وكان جميل صادق الصُّبابة والعشق، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل. وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب:

أريد لأنْسى ذكرها فكأنّما ... تمثَّل لي ليلى بكلِّ سبيل

قال: ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل:

خليليّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبْلي

قال ابن سلاّم: وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول:

أريد لأنْسى ذكرها فكأنّما ... تمثَّلُ لي ليْلى على كلِّ مرْقَبِ (٩٥/٨)

(١٠١)

وحدّثني أيّوب بن عباية قال: كان عمرو بن أحمر بن العمرّد بن عامر بن عبد شمس بن فرّاص بن معْن بن مالكِ بن أعْصُر بن قيس بن عيْلان بن مُضر من شعراء الجاهليّة المعدودين، وكان ينزل الشأم، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي

---

(١) سَفْساف الشعر: رديئه. (٢) لعلّ إضافة الراوية إلى الشعر هنا تعني تميّزاً للشاعر وبها يصبح (فحلاً) وفق مقياس الأصمعي الذي يقول: «لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتّى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار ...»، العمدة (٣٦٢/١) طبعة قرقزان.

الخلفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان. (٨/٢٣٤)

(١٠٢)

ذكر أبي دُلف ونسبه

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عِجْل بن لُجيْم بن صعْب بن عليٍّ بن بكر بن وائل. ومحلُّه في الشجاعة وعلُوِّ المحلّ عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحُسْن الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظرائه. وذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطُوله؛ وفي هذا القدر من أخباره مقْنع. وله أشعارٌ جيادٌ. (٨/٢٤٨)

(١٠٣)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثني صالح بن عبد الوّهاب: أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عرب خُراسان، ومنشؤه ببغداد؛ ولم تزل العلماء تقدّمه على كثير من المُحْدثين، ولا تزال قد ترى له الشيء البارعَ جداً حتى تُلْحِقه بالمحسنين. (٨/٣٥٢)

(١٠٤)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو ذكْوان قال: سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصف العبّاس بن الأحنف، فقال: كان والله ممّن إذا تكلّم لم يُحبَّ سامعُه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللّسان، ولو شئتَ أن تقول كلامُه كله شعرٌ لقلت. (٨/٣٥٢)

(١٠٥)

حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: رأيت نُسخاً من شعر العبّاس بن الأحنف بخراسان، وكان عليها مكتوب: «شعرُ الأمير أبي الفضل العبّاس». (٨/٣٥٢)

(١٠٦)

قال: وكان أبو عبيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. (٨/٢٨٦)

(١٠٧)

سعيد بن عبد الرحمن

وقد مضى نسبُه في نسب جدّه حسّان بن ثابت متقدّمًا. وهو شاعر من شعراء الدولة الأمويّة، متوسِّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أميّة فمدحهم ووصلوه. ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه. (٢٦٩/٨)

(١٠٨)

وكان (الأخطل) نصرانياً من أهل الجزيرة، ومحلُّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، فجعلها ابن سلاّم أوّل طبقات الإسلام. ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضِّله عن الجماعة. (٢٨٢/٨)

(١٠٩)

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال حدّثني إسحاق ابن إبراهيم عن أبي عُبيدة قال: جاء رجلٌ إلى يونس فقال له: مَنْ أشعرُ الثلاثة؟ قال: الأخطل. قلنا: مَن الثلاثة؟ قال: أيُّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عمّنْ تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحضْرميّ وأبي عمرو بن العلاء وعنْبسة الفيل وميمون الأقْرن الذين ماشُوا الكلامَ وطرقوه(١). أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عُبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويُّون ولا نحويّون. فقلت للرجل: سلْه وبأيِّ شيء فضّلوه؟ قال: بأنّه كان أكثرهم عدد طوالٍ جيادٍ ليس فيها سقَطٌ ولا فُحْش وأشدُّهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وهْب الدقّاق: أما إنَّ حمّادا وجنّاداً كانا(٢) لا يفضِّلانه. فقال: وما حمّاد وجنّاد! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبْصران الكسور ولا يُفْصحان، وأنا أحدِّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أتَوْا إلى أمثالهم ماشُوا

---

(١) ماش الكلام: خلطه، ويقال: طرق النّجاد الصوف: إذا ضربه بالمطرقة وندفه. يريد أنّهم يخلطون الكلام ثمّ يغربلونه ليستخرجوا أحسنه.

(٢) حمّاد: هو حمّاد الراوية، وجنّاد: هو جنّاد بن واصل الكوفي مولى بني عاضدة، من رواة الأشعار والأخبار لا علم له بالعربية، وكان يصحِّف ويكسر الشعر ولا يميِّز بين الأعاريض المختلفة فيخلط بعضها ببعض، وهو من علماء الكوفيين القدماء، ينظر عنه معجم الأدباء لياقوت (٢٠٦/٧).

الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تشذّ عنهم زنةُ كلمة، وألحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوفَ بالأجوف وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو (١) فلم تخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة، وما علْمُ حمّادٍ وجنّاد!. (٨/٢٨٣)

(١١٠)

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب قال أخبرنا محمد بن سلاّم قال سمعت سلمة بن عيّاش وذكر أهلُ المجلس جريراً والفرزدق والأخطل ففضّله سلمةُ عليهما، قال: وكان إذا ذُكر الأخطل يقول: ومَنْ مثل الأخطل وله في كل (بيت) شعرٍ بيتان! ثم يُنشد قوله:

ولقد علمت إذا العشارُ تروّحتْ هـدَجَ الرِّئال تكبُّهـنَّ شـمالا(٢)

أنّا نُعجّل بالعبيطِ لضيفنا قبل العيال ونضرب الأبطالا(٣)

ثم يقول ولو قال: ولقد علمت إذا العشا رُ تروّحت هَدَجَ الرئال

كان شعراً، وإذا زدت فيه تكبهنَّ شمالا، كان أيضاً شعرا من رويٍّ آخر. (٨/٢٨٤)

(١١١)

وقال هارون بن الزّيات حدّثني طائع عن الأصمعيّ قال: أنشد أبو حيّة النُّميْريَ يوماً أبا عمرو: يا لمعدٌ ويا للنّاس كلِّهـم ويالغائبهم يوماً ومَنْ شهدا

كأنه مُعْجبٌ بهذا البيت؛ فجعل أبو عمرو يقول له: إنّك لتُعْجَبُ بنفسك كأنّك الأخطل. (٨/٢٩٠)

(١١٢)

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة أن يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل: أيّهم أشعر؟

---

(١) من الملاحظ أنّ مَنْ ذكرهم يونس جميعاً تغلب على ثقافتهم اللغة والنحو، ومن الطبيعي أن تتأثر آراؤهم في الشعراء بهذه الثقافة الخاصة. يضاف إلى هذا ما أورده يونس نفسه عن جوانبَ من ثقافتهم: وزن الكلمات، والسليم، والمضاعف، والمعتلّ، والأجوف، وغيرها، وهي مفردات لو أردنا ردّها إلى موضعها من العلم لكان الصّرف مكانها السليم، وعلى هذا فإنّ هؤلاء العلماء نظروا إلى الأخطل نظرة تتفّق مع ثقافتهم، وميولهم العلمية، ففضّلوه على مَنْ سواه.

(٢) العشار من الإبل: التي أتت عليها عشرة أشهر من ملقحها، وتروّحت: ذهبت في الرواح، والرئال: أولاد النعام، والهدج: عَدْو متقارب.

(٣) العبيط من اللّحم: الطري الطازج.

قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سلْه ومَنْ هم؟ فقال: مَنْ شئتَ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعنْبسة الفيل وميمون الأقْرن، هؤلاء طرقوا الكلام وماشوه لا كمن تحكمُون عنه لا بدويِّين ولا نحويِّين.. فقلت للرجل: سلْه: وبأيِّ شيء فُضِّل على هؤلاء؟ قال: بأنَّه كان أكثرهم عدد قصائد طوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط. قال أبو عبيدة: فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشراً بهذه الصفة وإلى جانبها عشْراً إن لم تكن مثلها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثا. قال إسحاق: فسألت أبا عبيدة عن الشعر فقال: عفا واسطٌ من آل رَضْوى فنبتلُ(١)

و: تأبدُ الربْعُ من سلْمى بأحفارِ(٢)

و: خفَّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا

و: كذبتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ

و: دعِ المُعمَّر لا تسأل بمصرَعِه

و: لمن الديارُ بحائلٍ فوُعالِ(٣)

قال إسحاق ولم أحفظ بقيّة العشْر. قال: وقصائد جرير:

حيِّ الهِدَمْلَة من ذات المواعيس

و: ألا طرقتْك وأهلي هجودُ

و: أهوى أراكَ برامتينِ وقُودا

قال وقال أبو عبيدة: الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ(٤) وأقلُّهم سَقَطا وأخبرنا الجوهريَّ عن عمر بن شبّة عن أبي عبيدة مثله. (٢٩١/٨)

---

(١) واسط: في عدّة مواضع، ومنها واسط الجزيرة، وهي التي يعينها الأخطل في شعره، لأنَّ الجزيرة منازل تغلب قبيلة الأخطل، ونبتل: موضع على أرض الشام، ينظر معجم البلدان (٢٥٧/٥).

(٢) أحفار: موضع في بلاد بني تغلب.

(٣) حائل: في عدّة مواضع منها: باليمامة لبني نُمير، ومن أرض اليمامة لبني قُشير، وموضع بين أرض اليمامة وبني باهلة، ووُعال: جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام، وقد ساق ياقوت هذا البيت، ينظر معجم البلدان (٢١٠/٢، ٢٧٩/٥).

(٤) أسر الشعر: بناؤه، وتركيبه، يعني أنّه غير مسترخٍ ولا ضعيف.

(١١٣)

وكان العبّاس بن الأحنف شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً، من شعراء الدّولة العبّاسيّة، وله مذهبٌ حسنٌ، ولديباجة شعره رونقٌ، ولمعانيه عذوبةٌ ولُطف. ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني، وقدّمه أبو العباس المبرّد في كتاب الرّوْضة على نُظرائه، وأطنبَ في وصفه، وقال: رأيتُ جماعةً من الرُّواة للشعر يقدِّمونه. قال: وكان العبّاس من الظُّرفاء، ولم يكن من الخُلعاء؛ وكان غزِلاً ولم يكن فاسقاً؛ وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيَّ المذهب شديدَ التّرَفُّ، وذلك بيِّنٌ في شعره. وكان قصدُه الغزل وشغلُه النسيب، وكان حلواً مقبولاً غزِلاً غزير الفكر واسع الكلام كثيرَ التصرُّف في الغزل وحده، ولم يكن هجَّاء ولا مدّاحاً. (٣٥٢/٨)

(١١٤)

أخبرني محمد قال حدّثني حسين بن فهْم قال سمعت العطويَّ يقول: كان العبّاس بن الأحنف شاعرا مجيداً غزلاً، وكان أبو الهُذيْل العلاّف يُبغضه ويلعنه لقوله:

إذا أردتُ سُلُوّاً كان ناصركم ... قلبي، وما أنا من قلبي بمنتصرِ

فأكثِروا أو أقِلّوا من إساءتكم ... فكلٌّ ذلك محمولٌ على القدرِ

قال: فكان أبو الهُذيْل يلعنه لهذا ويقول: يعقد الكفر والفجورَ في شعره. (٣٥٤/٨)

(١١٥)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعتُ الكِنْديَّ يقول: العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جزْلٌ في شعره، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ. فكان يُنشد له كثيراً:

ألا تعجبون كما أعجبُ ... حبيبٌ يُسيء ولا يُعْتِبُ

وأبغي رضاهُ على سُخْطه ... فيأبى عليَّ ويستصعبُ

فيا ليتَ حظِّي إذا ما أسأ ... تَ أنّك ترضى ولا تغضبُ (٣٦٠/٨)

(١١٦)

أخبرني علي بنُ سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرِّد قال حدّثني بعضُ مشايخ الأزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوز

الحدُّ في تقديمه، وكنت أقدِّم العباس بن الأحنف؛ فاغتابني بعضُ الناس عند الرشيد وعابني عنده، وقال عقبَ ذلك: وبحَسْبك يا أمير المؤمنين أنه يُخالفك في العباس بن الأحنف على حداثة سنِّه وقلَّة حِذْقه وتجريبه، ويقدِّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه. وبلغني الخبرُ فدخلت على الرَّشيد؛ فقال لي ابتداءً: أيما أشعرُ عندك: العباسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأنِّي مُسْتَثْبتٌ ثم قلت: أبو العتاهية أشعرُ. قال: أنْشدني لهذا ولهذا؛ قلت: فبأيِّهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبَّاس، وهو قوله:

أحْرَم منكم بما أقولُ وقد ... نال به العاشقون مَنْ عشِقُوا

فقال لي: أحْسن. فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدرُ عليه، وهو قوله:

كأنَّ عُتَّابةَ من حُسْنها ... دُمْيةُ قسٍّ فتنتْ قسَّها

يا ربِّ لو أنسيتنيها بما ... في جنَّةِ الفردوس لم أنْسها

إنِّي إذاً مثلُ التي لم تزل ... دائبةً في طحنها كُدْسها

حتى إذا لم يبقَ منها سوى ... حفْنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسها

قال: أتعيِّره هذا! فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمدُ ولم يدْر ما بي ... أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حقًّا

فتنفَّسْتُ ثُمَّ قلت نعم حُبّاً ... جرى في العروق عِرقاً فعِرقا

ويحك! أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: «فتنفَّسْتَ ثم قلت كذا وكذا»! اذهبْ ويحك فاحْفظها؛ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمعتُ بها لحفظتُها. قال إسحاق: وما أشكّ أني كنت أحفظ لها حينئذ من أبي العتاهية، ولكنِّي إنَّما أنشدتُ ما أنشدتُ تعصُّباً. (٨/٣٧١)

(١١٧)

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال: سمعتُ مُصْعباً الزُّبيريّ يقول: العباسُ بن الأحنف وعمرو العرَّاف ما ابتذلا شعرهُما في رغبة ولا رهْبة، ولكن فيما أحبَّاه، فلزما فنَّا

---

(١) هذا يشبه رأي الجاحظ في العبَّاس حين يقول: «لولا أنَّ العباس بن الأحنف أحذق الناس، وأشعرهم، وأوسعهم كلاماً، وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه». ينظر الأغاني (٨/٣٥٤).

واحدا لو لزمه غيرُهما ممّن يُكثر إكثارهما لضُعف فيه(١). (٣٧٢/٨)

(١١٨)

وحارثة بن بدر من فُرسان بني تميم ووجوهها وساداتها (وجودائها)، وأحسب أنه قد أدرك النبي(ص) في حال صباه وحداثته. وهو من ولد بني الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشِّعر، وله في ذلك أشياء كثيرة ليست مما يُلحقه بالمتقدمين في الشعر والمُتصرفين في فنونه. (٣٨٥/٨)

(١١٩)

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدّثنا محمد بن زكريا، قال: حدّثنا محمد بن معاوية الزيادي، عن القحذمي، قال: كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعرا ذا فكاهة، فكان زيادٌ يأنس به طُول حياته. (٤١١/٨)

(١٢٠)

ويكنى كثيّر أبا صخر، وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والرّاعي(١). وكان غالياً في التشيُّع يذهب مذهب الكيْسانية، ويقول بالرّجْعة والتّناسخ، وكان مُحمّقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم. وكان من أتيْهِ الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد. (٤/٩)

(١٢١)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلاّم الجمَحي قال: كان كثيِّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنّه منقوصٌ حظُّه بالعراق. (٥/٩)

---

(١) هذا مخالف لما اشترطه ابن سلاّم في جعله الطبقة الواحدة أربعة شعراء فقط، ولذلك لا نجد كثيّراً في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام مثلما ذكر أبو الفرج. بل هو في الطبقة الثانية منهم مع البعيث والمجاشعي، والقطامي، وذي الرُّمّة، ينظر طبقات ابن سلاّم (٥٣٣/٢).

(١٢٢)

وهو (الأعشى) أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدّم على سائرهم؛ وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره. (١٠٨/٩)

(١٢٣)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيُّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال أبو عبيدة: مَنْ قدّم الأعشى يحتجُّ بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره. ويقال: هو أوّل من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد. وكان يُغنّى في شعره؛ فكانت العرب تُسمّيه صنّاجة العرب. (١٠٩/٩)

(١٢٤)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أبو عدنان قال: وقال لي يحيى بن الجون العبْديُّ راويةُ بشّار: نحن حاكةُ(١) الشّعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعْلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية. وجرير بن الخطفى أستاذهم في الإسلام. (١١٢/٩)

(١٢٥)

وجعل محمد بن سلاّم في الطبقة الثالثة الشمّاخ وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذُؤيْب الهُذليّ(٢)، ووصفه فقال: كان شديد متون الشعر أشدُّ كلاما من لبيد، وفيه كزازةٌ، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقاً(٣). أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه. (١٦٠/٩)

(١٢٦)

عديّ بن الرِّقاع ونسبه

هو عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرِّقاع بن عصْر بن علّ بن شعْل بن معاوية بن الحارث

---

(١) حاكة: جمع حائك، وهو الذي يحوك الثياب. ينظر لسان العرب (٤١٨/١٠)، يعني هم يعرفون خبايا الشعر، ومسالكه، مثلما يعرف الحائك الثوب الذي يحوكه، وهو ـ لا شكّ ـ به خبير.

(٢) هي الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية. ينظر طبقات فحول الشعراء (١٢٤/١).

(٣) متون الشعر: يراد بها عباراته، وألفاظه، وصياغته، والكزازة: اليُبس، والتقبّض، يريد أنّه قليل الماء غير ليّن ولا سهل. ينظر طبقات فحول الشعراء (١٣٢/١)، هامش رقم (٦).

وهو عاملةُ بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أدد. وأمُّ معاوية بن الحارث عاملةُ بنت وديعة من قُضاعة، وبها سمُّوا عاملة. ونسبه الناسُ إلى الرِّقاع، وهو جدُّ جدِّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلاّم. وكان شاعراً مقدَّما عند بني أميّة مدّاحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك. وله بنت شاعرة يقال لها سلْمى، ذكر ذلك ابن النَّطّاح. وجعله محمد بن سلاّم في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام(١). وكان منزله بدمشق. وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم.
(٣٠٧/٩)

(١٢٧)

الفرزدق وجرير الأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميّين والمقدَّمُ في الطبقة الأولى منهم. (٣٢٤/٩)

(١٢٨)

هو دُريد بن الصِّمّة. اسم الصِّمّة، فيما ذكر أبو عمرو، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقة، وقيل علْقمة، بنُ خُزاعة بن غزيّةَ بن جُشم بن معاوية بن بكْر بن هوازن. وأما أبو عبيدة فقال: هو دريد بن الصِّمّة، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقة ولم يذكر معاوية. وقال ابن سلاّم: الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة.

ودريد بن الصِّمّة فارسٌ شجاع شاعر فحْل، وجعله محمد بن سلاّم أوّل شعراء الفُرْسان(٢). وقد كان أطولَ الفُرْسان الشعراء غزْواً، وأبعدهم أثراً، وأكثرهم ظفْراً، وأيمنهم نقيبةً عند العرب، وأشعرهم دريد بن الصِّمّة. (٣/١٠)

(١٢٩)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا ابن السَّخيّ قال حدّثني الحسين بن عبد الله قال: سمعتُ

---

(١) جعله ابن سلاّم في الطبقة السابعة من شعراء الإسلام، وقرن به المتوكّل الليثي، ويزيد بن ربيعة بن مفرِّغ، وزياد الأعجم، ينظر طبقات فحول الشعراء (٦٨١/٢).

(٢) ليس هناك من ذكر لدريد في طبقات ابن سلاّم، وقد ناقش الشيخ شاكر في مقدمته للكتاب هذا الأمر، وذهب إلى أنّ «لابن سلاّم كتباً أخرى غير كتاب طبقات فحول الشعراء، وليس كلُّ ما روي عن ابن سلاّم، فهو من كتابه هذا وحده»، تنظر مقدّمة الطبقات (ص ٥٨)، ففيها مناقشة مستفيضة لطبعة يوسف هل لكتاب الطبقات.

إبراهيم بن العبّاس يقول لأبي تمّام الطائيّ وقد أنشده شعراً له في المعتصم: يا أبا تمّام، أمراءُ الكلام رعيّةٌ لأحسانك. فقال له أبو تمام: ذلك لأنّي أستضيء بك وأردُ شريعتك(١). (١٠/٥٧)

(١٣٠)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني سليمان بن جعفر قال حدّثني أحمد بن عبد الأعلى قال: اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد اليزيديّ عند المهديّ؛ فابتدأ مروان يُنشد: طرقتْكَ زائرةٌ فحيِّ خيالها

فقال اليزيديّ: لحن والله وأنا أبو محمد. فقال له مروان: يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال! ثم قال: بيضاءُ تخلط بالجمال دلالها

فقال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أيتكنّى في مجلسك! (يعني اليزيديّ) فقال: اعذروا شيخنا، فإن له حُرْمة. (١٠/٨٠)

(١٣١)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العبّاس بن ميمون طائع قال: سمعتُ الأصمعيّ ذكر مروان بن أبي حفصة فقال: كان مولّدا، لم يكن له علم باللغة. (١٠/٨٣)

(١٣٢)

كان ابن الأعرابي يختم بمروان بن أبي حفصة الشعراء. وما دوّن لأحد بعده شعراً. (١٠/٩٠)

(١٣٣)

ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشرحِ سائر أخبار إبراهيم بن المهديّ وقصصه لمّا ولي الخلافة وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان، وحسن البيان، وجودةِ الشعر، ورواية العلم، والمعرفة بالجدل، وجزالةِ الرأي، والتصرُّف في الفقه واللّغة وسائر الآداب الشريفة، والعلوم النفيسة، والأدوات الرفيعة، لأطلْتُ. (١٠/٩٧)

---

(١) الشريعة: مورد الماء الذي يُستقى منه بلا رِشاء، يعني هو يستفيد منه، ويعوِّل عليه.

(١٣٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسديّ قال حدّثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدّثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال: ... دخل على (إبراهيم بن المهدي) الأعرابيّ أخو مُعلّة صاحبة الفضل بن الربيع. وكان حسن الشعر حلو اللفظ فصيحاً... (١٠/١٢٥)

(١٣٥)

أبو النَّجْم ونسبُه

قال أبو عمرو الشيّبانيّ: اسمه المُفضّل. وقال ابن الأعرابيّ: اسمه الفضل بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عِجْل بن لُجَيْم بن صعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وهو من رُجّاز الإسلام الفُحول المقدّمين وفي الطبقة الأولى منهم. (١٠/١٥٠)

(١٣٦)

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ عن عمِّه قال: كانت عُليّةُ بنتُ المهديّ من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشِّعْر الجيِّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنة. (١٠/١٦٢)

(١٣٧)

أخبرني الحسين بن يحيى ووكيع قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول: كانت عُليّةُ حسنةَ الدِّين، وكانت لا تغنّي ولا تشرب النّبيذ إلاّ إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهُرَتْ أقبلتْ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تلذُّ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان، إلاّ أن يدعُوها الخليفةُ إلى شيء فلا تقْدر على خلافه. وكانت تقول: ما حرّم الله شيئاً إلاّ وقد جعل فيما حلّل منه عوضاً، فبأيِّ شيءٍ يحتجُّ عاصيه والمُنْتهكُ لحُرماته!. وكانت تقول: لا غفر الله لي فاحشةً ارتكبتُها قطّ، ولا أقول في شعري إلاّ عبثاً. (١٠/١٦٣)

(١٣٨)

أبو عيسى بن الرّشيد ونسبه

اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد، وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح، وأمُّه أمُّ ولدٍ بربريَّة. وكان من أحسنِ النَّاس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأمجنهم وأحدَّهم نادرةً وأشدهَم عبثاً. وكان يقول شعراً ليِّناً(١) طيِّبا من مثله. (١٠/١٨٧)

(١٣٩)

عبد الله بن محمد ونسبه

عبدُ الله بن محمد الأمين بن هارون الرَّشيد بن محمد المهديّ بن عبد الله المنصور بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب. وأمُّ عبد الله بن محمد أمةُ ولد. وكان ظريفاً غزلاً يقول شعراً ليِّناً(٧) ويصنع صنعةً صالحةً. وأمُّ محمد الأمين زُبَيْدَةُ. (١٠/١٩٨)

(١٤٠)

وكان عليّ بن الجهْم شاعرا فصيحاً مطبوعاً، وخُصَّ بالمتوكِّل حتى صار من جُلسائه. (١٠/٢٠٥)

(١٤١)

عبد الله بن المعتزّ

وممَّن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدَّم جميعَ أهلِ عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرُّفاً في سائر الآداب أبو العبَّاس عبد الله بن المُعْتزّ بالله. وأمرُه، مع قرب عهده بعصرنا هذا(٢)، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تشركُ في أكثر فضائله الخاصُّ والعامُّ. وشعره وإن كان فيه رقَّةُ الملوكيَّة(٣) وغزلُ الظُّرفاء وهلْهلةُ(٤) المُحدثين، فإن فيه أشياءَ كثيرةً

---

(١) اللَّين: من الشعر هو السهل الألفاظ، البعيد عن الخشونة، وكأنَّ أبا الفرج يرى في هذا النصّ، والذي قبله أنَّ هذا النمط من الشعر يتناسب مع أشعار الخلفاء، وأولادهم بسبب لين معيشتهم وترفها، فهل يشير إلى أثر البيئة في الشعر؟ وتشكيلها نمط شعر الشاعر، وأسلوبه؟ إنَّ الليونة المشار إليها في النَّصين، مع قوله (من مثله) تومئ إلى هذا، وتُفهم ضمناً من سياق الكلام.

(٢) توفي ابن المعتّز سنة (٢٩٦هـ) قتْلاً.

(٣) هذه الرِّقة الملوكية تدخل في اللِّين الذي أشرنا إليه في النصّ قبل السابق.

(٤) الهلهلة: تعني الرقّة، ومنها تسمية الشاعر المعروف بـ (المهلهل) أي الذي جعل الشعر رقيقاً، ونسبها إلى =

المحدثين قياساً إلى ما اتّصف به الشعر القديم من القوة، والمتانة.

جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبّه فيها بفحول الجاهليّة. فليس يمكن واصفاً لصَبوح، في مجلس شكلٍ ظريفٍ، بين ندامى وقيان. وعلى ميادين من النَّوْر والبنفسج والنَّرْجس ومنضود من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرش ومختار الآلات، ورقَّة الخدم، أن يعْدل بذلك عما يُشْبُهه من الكلام السَّبْط(١) الرقيق الذي يفهمه كُلُّ منْ حضر، إلى جعْد(٢) الكلام ووحْشيِّه، وإلى وصف البيد والمهامه والظَّبيَّ والظَّليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مسيء(٣)، ولا أن يُغْمط حقّه كلّه إذا أحسن الكثير وتوسّط في البعض وقصّر في اليسير، ويُنْسب إلى التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطيِّ المحاسن. فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدَّم لوجد مساغاً. ولو أن قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى - وهو أحدُ مَنْ يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء - بقوله: «فأصاب حبَّة قلبه وطحالها»(٤). وبقوله:

ويأمر لليحْموم كـلَّ عشيَّةٍ بقتٍّ وتعليق فقد كاد يسْنَقُ(٥)

وأمثالٍ لهذا كثيرةٍ. وإنّما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه، ويُلغي ما لم يستحسنه،

---

(١) السَّبط: السهل المرسل. (٢) الجعد: المعقّد.

(٣) يشير أبو الفرج إلى التطور المهمّ الذي أصاب الشعر العربي في العصر العباسي من حيث الأغراض، واللغة، والأسلوب وهو في أخذه بهذا التّطور يبدو في غاية الإنصاف، والموضوعية فليس القديم وحده مقياساً لجودة الشعر، أو رداءته، بل ينبغي أن يُنظر إلى هذا التغيّر بشكلٍ جادّ. وقد حكم على شعر ابن المعتز من خلال هذه النظرة فوجد له أشياء كثيرة مستحسنة، لا مثل الطاعنين الذين رأوا في القضية وجهاً واحداً فحسب مثلما سنرى.

(٤) مرَّ الحديث عن هذا البيت في القضية السابقة.

(٥) اليحموم: اسم فرسه، والقتّ: حبٌّ بريٌّ، والتّعليق: ما تعلفه الدابة من شعير ونحوه، ويسنق: يأكل حتى يصيبه كالبشم، وقد وقف ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢٦٤/١)، عند هذا البيت، وبيّن عيبه فقال: «هذا ممّا لا يُمدح به رجل من خِساس الجنود، لأنّه ليس من أحد له فرس إلاّ وهو يعلفُه قتّاً، ويُقضمه شعيراً». ومعروف أنّ هذا البيت في مدح ملك الحيرة، وردّ ابن قتيبة نفسه على هذا المَأخذ بقوله: «ولستُ أرى هذا عيباً، لأنّ الملوك تُعدُّ فرساً على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه ولجامه، خوفاً من عدوٍّ يفجؤها، أو أمر ينزل، أو حاجة تعرض لِقلب الملك فيريد البِدار إليها فلا يحتاج إلى أن يتلوّم (ينتظر) على إسراج فرسه وإلجامه، وإذا كان واقفاً غُدّي وعُشّي. فوضع الأعشى هذا المعنى، ودلّ به على مُلكه وعلى حزمه».

فليس مأخوذاً به(١). ولكنَّ أقواماً أرادوا بالطعن أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة. ويُشيدوا بذكرهم الخامل، ويُعلُوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقدْح فيهم، فلا يزدادون بذلك إلاَّ ضعةً ولا يزداد الآخرُ إلاَّ ارتفاعاً، ألا ترى إلى ابن المعتزّ قد قُتل أسوأ قتلة، ودرجَ فلم يبق له خلفٌ يقرّظه ولا عقبٌ يرفع منه. وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحُسْنِ أخباره وتصرُّفه في كلّ فنٍّ من العلوم إلاَّ رفعةً وعُلُوّاً، ولا نُظر إلى أضداده كلّما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مِثْلهم في ثَلْبه والطعن عليه، زادوها سقوطاً وضعةً، وكلّما وصفوا أشعارهم وقرّظوا آدابهم، زادوا بها ثقلاً ومقتاً. فإذا وقع عليهم المُحصِّل الموافق، عدلوا عن ثَلْبه في الآداب، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب، وهم أوّل من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبي طالب عند المُكْتفي حتى نهاهم عنه(٢)، فعدلوا عن عيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه، وارتكبوا أكثر منه. وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله، مُصرِّحاً به على شرحٍ إن شاء الله تعالى. (١٠/٢٧٤)

(١٤٢)

زهير أحدُ الثلاثة المُقدَّمين على سائر الشعراء، وإنما اختُلفَ في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأمَّا الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزُهير والنّابغة الذُّبيانيّ. (١٠/٢٨٨)

(١٤٣)

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحيُّ عن أخيه قُدامة بن موسى ـ وكان من أهل العلم ـ : أنه كان يقدِّم زُهيراً. قلت: فأيّ شيء كان أعجب إليه؟ قال: الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخير من هرمٍ   والسائلون إلى أبوابه طُرُقا (١٠/٢٨٩)

(١٤٤)

وبشامةُ بن الغدير شاعر مُجيد وهو الذي يقول:

---

(١) ليس هذا من النقد في شيء، إذ هو معرض للجيّد والرديء من القول بإنصاف، وموضوعية، بلا تعصّب.

(٢) فصلَّ الصولي في كتابه أشعار أولاد الخلفاء (ص ١٠٧) وما بعدها الحديث عن هذا الأمر، وأورد له شواهد كثيرة.

ألا تريْـنَ وقـد قطَّعـتني قطعــاً ... مـاذا من الفوْتِ بين البـخل والجودِ

إلاَّ يكـــن ورقٌ يومـــاً أراحُ بـــه ... للخـــابطين فإنِّـي ليِّـنُ العُـودِ(١) (٣١٢/١٠)

(١٤٥)

قال ابن الأعرابيّ: كان لزُهيرٍ في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخالُه شاعراً، وأختُه سلْمى شاعرةً، وابناه كعبٌ وبُجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرةً، وهي القائلة ترثيه:

ومـا يُغْني توقِّي الموتِ شيـئـاً ... ولا عقْـدُ التَّميم ولا الغضـارُ(٢)

إذا لاقـى منيَّتَــه فـأمْســى ... يُسـاق به وقــد حقَّ الحــذارُ

ولاقــاهُ مـــن الأيّــام يـــومٌ ... كمـا من قـبْلُ لم يخْلُدْ قُدارُ(٣)

وابنُ ابنهِ المُضرِّب بن كعب بن زُهير شاعرٌ، و هو القائل:

إني لأحْبِسُ نفـسي وهي صـاديةٌ ... عن مُصْـعبٍ ولقـد بانت لي الطُّرُقُ

رُعْوى عليه كمـا أرْعى على هرمٍ ... جدِّي زُهيْرٌ وفـينــا ذلك الخُـلُـقُ(٤)

مدْحُ الملوك وسعْيٌ في مسـرَّتهم ... ثم الغنى ويـدُ الممـــدوح تنطلــقُ (٣١٤/١٠)

(١٤٦)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: مَنْ قدَّم زُهيراً احتجَّ بأنه كان أحسنهم شعراً، وأبعدهم من سُخْفٍ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ، وأشدُّهم مبالغةً في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره. (٣١٥/١٠)

(١٤٧)

النابغةونسبه

النابغة اسمه زيادُ بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيْظ بن مُرَّة بن عوْف بن سعْد بن ذُبْيان بن بغيض بن ريْث بن غطفانَ بن سعْد بن قيْس بن عيْلان بن مُضر. ويُكْنى أبا أمامة. وذكر أهل الرِّواية أنه إنما لُقِّب النَّابغة لقوله: فقد نبغتْ لهم منَّا شؤونُ

---

(١) يقال: راحت الريح الشيء إذا أصابته، ويقال: خبط الشجرة إذا شدَّها ثمَّ نفض ورقها.

(٢) الغضار: خزف أخضر يُعلَّق في العنق. (٣) قُدار: هو قدار بن سالف عاقر الناقة.

(٤) رعوى عليه: أي بقيا عليه، يقال: أرعى فلان على فلان إذا أبقى عليه.

وهو أحد الأشراف الذين غضَّ الشعرُ منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء. (٣/١١)

(١٤٨)

ذكر أوْس بن حجرٍ

وقد اختُلفَ في نسبه. فقال الأصمعيّ، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرِّياشي عنه: هو أوْسُ بن حجر بن مالك بن حزْن بن عُقيْل بن خلف بن نُميْر، وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكريّ عنه، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة وفحولها. وذكر أبو عبيدة أنّه من الطبقة الثالثة(١)، وقرنه بالحُطيئة ونابغة بني جعْدة. (٧٠/١١)

(١٤٩)

هي ليلى بنت عبد الله بن الرّحال ـ وقيل ابن الرّحالة ـ بن شدّاد بن كعْب بن مُعاوية، وهو الأخْيلُ وهو فارسُ الهرّار(٢)، ابن عُبادة بن عُقيل بن كعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وهي من النساء المتقدِّمات في الشعر من شعراء الإسلام. وكان توْبةُ بن الحُميِّر يهواها. وهو توْبةُ بن الحُميِّرِ بن حزم بن كعْب بن خفاجة بن عمرو بن عُقيْل. (٢٠٤/١١)

(١٥٠)

النّضير ونسبه

أبو النضير اسمُهُ عُمرُ بن عبد الملك، بصْريٌّ، مولى لبني جمح. أخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مهرويه عن إسحاق بن محمد النَّخعيِّ عن إسحاق بن خلفٍ الشاعر قال: قلت لأبي النُّضير بن أبي الياس: لمن أنت؟ فقال: لبني جُمح. وذكر أبو يحيى اللاّحقيُّ أنَّ اسمه الفضلُ بن عبد الملك. شاعرٌ من شعراء البصريِّين، صالحُ المذْهب، ليس من المعدودين المتقدِّمين ولا من المولَّدين الساقطين. وكان يغنِّي بالبصرة على جوارٍ له مولَّدات، ويُظهر الخلاعة والمجون والفسق، ويُعاشر

---

(١) يشير أبو الفرج إلى كتاب أبي عبيدة (ت ٢٠٨هـ) عن الشعر والشعراء وهو مفقود حتى الآن، وقد ذكره غير واحد من الدارسين، ينظر مثلاً: الفهرست (ص ٨٠)، ووفيات الأعيان (٥/٢٣٩)، ومعجم الأدباء (١٩/١٦٢)، وغيرها.

(٢) الهرّار: فرس له في قوائمه اعوجاج، وهو ممّا يستحبّ في الخيل، ينظر الأغاني (٨٧/١١).

جماعةٌ ممَّن يُعرفُ بذلك الشأن. وكان أبانُ اللاحقيُّ يُعاشره ثم تصارما، وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قلى، ثم انقطع أبو النُّضير إلى البرامكة فأغْنَوْه إلى أن مات. (٢٨٥/١١)

(١٥١)

العبْليّ ونسبه

اسْمُه عبدُ الله بن عُمر بن عبد الله بن عليّ بن عديٍّ بن ربيعةَ بن عبد العُزّى بن عبد شمْس بن عبد مناف، ويُكْنى أبا عديٍّ، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قُريش، ومن مُخضْرميّ الدَّولتين. (٢٩٣/١١)

(١٥٢)

نسبُ إسماعيل بن عمَّار

هو إسماعيلُ بن عمَّارِ بن عُيينة بن الطُّفيل بن جذيمة بن عمْرو بن خلف بن زبّان بن كعب بن مالك بن ثعلبة بن دُودانَ بن أسدِ بن خُزيمة أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفشُ عن السكّريّ عن ابن حبيب. وإسماعيل بن عمَّارٍ شاعرٌ، مُقلٌّ، مُخضْرَمٌ من شعراء الدولتين الأمويّة والهاشميّة. وكان ينزل الكوفة. (٣٦٤/١١)

(١٥٣)

والطِّرمَّاح من فُحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم. ومنشؤه بالشام، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَن وردها من جيوش أهل الشام، واعتقد مذهب الشُّراة الأزارقة(١). (٣٥/١٢)

(١٥٤)

معن بن أوس شاعرٌ مجيدٌ فحْل، من مُخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبيّ(ص) ورحمهم، منهم عبدُ الله بن جحْش، وعُمر بن أبي سلمة المخزوميّ، ووفد إلى

---

(١) الشُّراة: الخوارج، والأزارقة طائفة منهم، وهم أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا عليها، وعلى كوَرها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان، أيام عبد الله بن الزبير، وقتلوا عمّاله في تلك النواحي، ولهم بدع منها أنَّهم يكفِّرون أصحاب الكبائر، ويجوِّزون قَتْل المخالفين لهم، وسبي نسائهم.

عُمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مُسْتعيناً به على بعض أمره، وخاطبه بقصيدته التي أولّها: تأوّبه طيفٌ بذاتِ الجرائم فنام رفيقاه وليس بنائم(١)

وعُمِّرَ بعد ذلك إلى أيّام الفتْنة بين عبد الله بن الزُّبير ومرْوان بن الحكم. (٥٤/١٢)

(١٥٥)

الحسين بن عبد الله

قد تقدّم نسبُه(٢)، وهو أشهر من أن يُعاد، ويُكْنى أبا عبد الله. وكان من فتْيان بني هشام وظُرفائهم وشُعرائهم. وقد روى الحديث وحُمل عنه، وله شعرٌ صالح. (٦٦/١٢)

(١٥٦)

مروان الأصغر

قد مرَّ نسبه ونسب أبيه وأهله وأخبارهم متقدّما. وكان مروان هذا آخر مَنْ بقي منهم يُعدّ في الشعراء، وبقي بعده منهم متوّجٌ. وكان ساقطاً بارد الشّعر، فذُكر لي عن أبي هفّان أنه قال: شعْرُ آل أبي حَفْصة بمنزلة الماء الحارّ. ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته، ثم يفتُر ثم يبْرُد، وكذا كانت أشعارهم، إلا أنَّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتوّج جمد(٣). (٨٠/١٢)

(١٥٧)

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال: كان عليّ بن بن الجهْم يطْعن على مروان بن أبي الجنوب ويثْلُبُه حسداً له على موضعه من المتوكّل. فقال له المتوكّل (يوماً): يا عليّ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مروان؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فأقبل على مرْوان فقال له: قد سمعت، فما عندك؟ قال: كلُّ أحدٍ أشعرُ منّي يا أمير المؤمنين، وما أصفُ نفْسي ولا أزكّيها. وإذا رضيني أميرُ المؤمنين فما أبالي مَنْ زيّفني. فقال له: قد صدّقْتُك، عليٌّ يزعُم سراً وجهراً أنّه

---

(١) ذات الجرائم: موضع بعينه.

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّس بن عبد المطّلب.

(٣) يُنسب هذا الرأي في شعراء آل أبي حفصة إلى ابن المعتزّ أيضاً، ينظر الموشح (ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤)، وأشعار أولاد الخلفاء للصولي (ص ١١٦ ـ ١١٧)، ويقول الكساني عن شعر هذه الأسرة: «إنّما الشّعر سقاء، تمخضُ فدُفعت الزبدة إلى مروان بن أبي حفصة»، ينظر تاريخ بغداد (١٤٥/١٣).

أشعر منك. فالتفت إليه مروانُ فقال له: يا عليّ! أأنتَ أشعرُ منّي؟ فقال: أوتشكُّ في ذاك؟ قال: نعم! أشكُّ وأشكُّ، وهذا أميـر المؤمنين بيننا . فـقـال له عليٌّ: إنّ أمـيـر المؤمنين يُحـابيك. فـقـال المتوكل: هذا عيٌّ منك يا عليّ؛ ثم قال لابن حمدون: احكُمْ بينهما. فقال: طرحْتني والله يا أمير المؤمنين بين أنياب ومخـالب أسدين. قال: والله لتحكُمنَّ بينهما . فقال له: أمّا إذْ حلفتَ يا أمير المؤمنين فـأشـعرُهما عندي أعْرفُهما في الشِّعْر. فـقال له المتوكل: قد سمعتَ يا عليّ. قال: قد عرفت ميْلك إليه فمال معه. فقال: دعْنا منك، هذا كلُّه عيٌّ، فإن كنتَ صادقاً فاهْجُ مروان. قال: (قد) سكرتُ ولا فضلَ فيّ. فقال المتوكل لمروان: اهْجُه أنت، وبحياتي لا تبقِ غايةً، فقال مروان:

إنّ ابن جهْمٍ في المغيبِ يعيبُني ... ويقـول لي حسـناً إذا لاقاني

صـغُرتْ مـهـابتُه وعُظّمَ بطْنُه ... فكـأنّمـا في بطـنه ولـدان

ويْح ابنِ جـهْمٍ ليس يرْحم أمّهُ ... لو كان يرحـمـهـا لما عـاداني

فإذا التقينا ناك شعري شعره ... ونزا على شـيـطانـه شيطاني

قال: فضحك المتوكل والجلساءُ منه، وانخزل(١) ابن الجهم، فلم يكن عنده أكثرَ من أن قال: جمعَ حيلة الرِّجالِ وحيلةَ النساء. فقال له المتوكل: هذا أيضاً من عيِّك وبرْدك، وإن كان عندك شيءٌ فهاته؛ فلم يأت بشيء. (٨١/١٢)

(١٥٨)

إبراهيم بن سيابة ونسبه

إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم. وكان يقال: إنّ جدّه حجّام أعتقه بعض الهاشميين، وهو من مُقارَبي شُعراء وقته ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف، وإنّما كان يميل بمودّته ومدْحه إلى إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق، فغنّيا في شعره ورفعا منه وكانا يذكرانه للخُلفاء والوُزراء ويُذكّرانهم به إذا غنّيا في شعره، فينفعانه بذلك. وكان خليعاً ماجناً، طيِّب النادرة. (٨٨/١٢)

(١٥٩)

أبو زُبيد ونسبه

هو حرْملةُ بن المُنذر، وقيل المنذر بن حرملة والصحيح حرملة بن المنذر بن معْدِ يكرب بن

---

(١) انخزل في كلامه: انقطع.

حنظلة بن النُّعْمان بن حبَّة بن سعْنة بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيٍّ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. وكان أبو زُبيد نصرانياً وعلى دينه مات، وهو ممَّن أدرك الجاهلية والإسلام فعُدَّ في المخضرمين، وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين، وهم العُجير السلُّوليّ ونووه(١) وقد مضى أكثرُ أخباره مع أخبار الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط. (١٢/١٢٧)

(١٦٠)

محمد بن أميَّة وأخوه عليٌّ بن أمية

سألتُ أحمد بن جعفر جَحْظة عن نسبه قلتُ له: إنَّ النَّاس يقولون ابن أميةَ وابنُ أبي أمية؛ فقال: هو محمدُ بن أميَّة بن أبي أمية. قال: وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً، وكان ينادمُ إبراهيم بن المهديّ، وربما عاشر عليَّ بن هشام، إلاَّ أنَّ انْقطاعه كان إلى إبراهيم، ورُبَّما كتبَ بين يديه، وكان حسن الخطِّ والبيان. وكان أميَّةُ بن أبي أمية يكتُبُ للمهديّ على بيْتِ المال. وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بحضْرته، وكان يأنسُ به لأدبه وفضْله، ومكانه من ولائه، فزامله أرْبع دَفْعات حجَّها في ابتدائه ورُجوعه. (١٢/١٤٥)

(١٦١)

نسب المتوكِّل الليثي

هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مُسافع بن وهْب بن عمرو بن لقيط بن يعْمر بن عوْف بن عامر بن ليْث بن بكر بن عبد مناة بنِ كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزارٍ، من شعراء الإسلام، وهو من أهل الكوفة. كان في عصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما، ويكنى أبا جهمة. وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبيصة بن والقٍ، ويقال عند عكرمة بن ربْعيّ الذي يقال له الفيَّاضُ، فقدَّمه الأخطل. (١٢/١٥٩)

(١٦٢)

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا القاسم بن مهرويه قال حدَّثنا ابن أبي سعد عن علي بن

---

(١) في الطبقة الخامسة مع الشاعرين المذكورين: عبد الله بن همام السلولي، ونُفَيع بن لقيط الأسدي.

الصبّاح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال: كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيّد قومه وقائدهم في حروبهم. (١٦٩/١٢)

(١٦٣)

وعقيل بن علّفة شاعر مجيد مقلّ، من شعراء الدولة الأموية. وكان أعرج جافيا شديد الهَوَج والعَجْر فية والبذخ بنسبه في بني مرّة، لا يرى أنّ له كفئا. (٢٥٤/١٢)

(١٦٤)

وشبيبُ بن البَرْصاء شاعر فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية، بدويّ لم يحضُر إلاّ وافدا أو منتجعا. وكان يُهاجي عقيل بن علّفة ويعاديه لشراسة كانت في عقيل وشر عظيم. وكلاهما كان شريفا سيّدا في قومه، في بيت شرفهم وسُؤدُدُهم. وكان شبيب أعور، أصاب عينه رجل من طيء في حرْب كانت بينهم. (٢٧١/١٢)

(١٦٥)

سويد بن كرا ع ونسبه

سُويد بن كُرا ع العُكليّ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل. شاعر فارس مقدّم من شعراء الدولة الأموية. وكان في آخر أيام جرير والفرزدق. وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات(١) فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال: كان سويد بن كرا ع شاعراً مُحْكماً(٢)، وكان رجل بني عُكل وذا الرأي والتقدّم فيهم، وعُكْل وضبّةُ وعديّ وتيْم هم الرِّباب. (٢٤٠/١٢)

(١٦٦)

الأسودُ بن يَعْفُر - ويقال يُعْفُر بضم الياء - ابن عبد الأسود بن جنْدل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنْظلة بن مالك بن زيْد مناة بن تميم. وأم الأسود بن يعفر رُهْم بنت العبّاب، من بني سهْم بن عجْل، شاعر متقدّم فصيح، من شعراء الجاهلية، ليس بالُمكْثر. وجعله محمد بن سلاّم

(١) جعله ابن سلاّم في الطبقة التاسعة من الجاهليين ومعه: ضابئ بن الحارث البرجمي، والحويدرة، وسُحيم عبد بني الحسحاس.

(٢) مُحْكِما: أي لا اضطراب ولا اختلاف في شعره، فهو سليم مستوٍ.

في الطبقة الثامنة(١) مع خداش بن زُهير، والمخبَّل السعديّ، والنَّمر بن تولبٍ العُكْليّ، وهو من العُشيّ ـ ويقال العُشْوُ بالواو ـ المعدودين في الشعراء. (١٣/١٥)

(١٦٧)

وأرطاةُ بنسُهيَّةُ شاعر فصيح، معدودٌ في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أميَّة لم يَسْبقها ولم يتأخَّر عنها. وكان أمرأ صدْقٍ شريفاً في قومه جواداً. (١٣/٣٠)

(١٦٨)

جعفر بن عُلبة الحارثي ونسبه

هو جعفرُ بنُ علبة بن ربيعة، بن عبد يغوث الشاعر أسيرِ يومِ الكلاب بن معاوية بن صلاءة بن المُعقَّل بن كعبِ بن الحارث بن كعبٍ، ويكْنى أبا عارم، وعارمٌ ابنٌ له قد ذكره في شعره. وهو من مُخضْرميَ الدولتين الأمويةِ والعباسية، شاعرٌ مُقلٌّ غزلٌ فارسٌ مذْكورٌ في قومه. وكان أبو ه علبةُ بن ربيعةَ شاعراً أيضاً. (١٣/٤٥)

(١٦٩)

العُجير السَّلوليّ ونسبُه

هو ـ فيما ذكر محمد بن سلاّم ـ العُجير بنُ عبد الله بن عبيدة بن كعب بن عائشة بن الربيع بن ضُبَيْط بن جابر بن عبد الله بن سلُولٍ، ونسختُ نسبَهُ من نسخة عبيد الله بن محمد اليزيديّ عن ابن حبيبٍ قال: هو العجيرُ بن عبيد الله بن كعب بن عبيدة بن جابر بن عمرو بن سلول بن مرةَ بن صعصعة. شاعرٌ مقلٌّ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية. وجعله محمدُ بن سلامٍ في طبقة أبي زبيدٍ الطائيّ؛ وهي الخامسةُ من طبقاتِ شعراءِ الإسلام(٢). (١٣/٥٨)

(١٧٠)

خُزيمة بن نهد ونسبه

---

(١) جعله ابن سلاّم في الطبقة الخامسة من الجاهليين وقرنه بخداش بن زهير، والمخبّل السّعدي، وتميم بن أبيّ بن مقبل. أمّا الطبقة الثامنة ففيها: عمرو بن قميئة، والنمْر بن تولب، وأوس بن غلفاء، وعوف بن عطيّة بن الخَرِع. (٢) مرَّ ذكر هذه الطبقة.

هو خُزيمةُ بن نهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة شاعر مُقِل من قدماء الشعراء في الجاهلية. (١٣/٧٨)

(١٧١)

نسب المغيرة بن حبْناء

المغيرة بنُ حبْناء بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. وحبناء لقبٌ غلب على أبيه واسمه جُبيرُ بنُ عمرو، ولُقِّبَ بذلك لحبن(١) كان أصابه. وهو شاعرٌ إسلاميٌ من شعراء الدولةِ الأموية. وأبوه حبناءُ بن عمرو شاعرٌ، وأخوه صخر بن حبناء شاعر، وكان يهاجيه، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرةٌ، سأذكر منها طرفاً. وكان قد هاجى زياداً الأعجم فأكثر كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه وأفحش، ولم يغلب أحدٌ منهما صاحبه، كانا متكافئين في مهاجاتهما ينتصِفُ كلٌّ واحد منهما من صاحبه. (١٣/٨٤)

(١٧٢)

سويد بن أبي كاهلٍ ونسبه

سُويد بن أبي كاهل بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعيد بن جُشم بن ذُبيان بن كنانة بن يشكُر. وذكر خالد بن كلثوم أنَّ اسم أبي كاهل شبيب، ويكنى سُويد أبا سعيد. أنشدني وكيعٌ عن حمادٍ، عن أبيه، لسويد بن أبي كاهل شاهداً بذلك:

أنا أبو سعدٍ إذا الليلُ دجا   دخلْتُ في سرباله ثُمَّ النَّجا

وجعله محمَّد بن سلامٍ في الطبقة السادسة، وقرنه بعنترة العبسيِّ وطبقته(٢). وسويد شاعر متقدِّم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كذلك ذكر ابن حبيبٍ، وكان أبوه أبو كاهل شاعراً. (١٣/١٠٢)

(١٧٣)

العتابي ونسبه

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عُبيد بن حُبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم

---

(١) الحبن: ورم في البطن. (٢) معهما في الطبقة السادسة: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حِلِّزة.

الشاعر، وهو ابن مالك عتاب، سعيد بن زُهير بن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب. شاعر مترسّل بليغ مطبوع، متصرِّف في فنون الشِّعر ومقدَّم. ومن شعراء الدولة العباسية، ومنصور النَّمريّ تلميذه وراويته، وكان منقطعاً إلى البرامكة، فوصفوه للرّشيد، ووصلوه به، فبلغ عنده كلَّ مبْلغ، وعظُمت فوائدهُ منه، ثم فسدت الحال بينه وبين منصور وتباعدت. (١٠٩/١٣)

(١٧٤)

الأبيرد ونسبُه

الأبيرد بنُ المعذّر بن قيس بن عتّاب بن هرْميّ بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعرٌ فصيحٌ بدويٌّ، من شعراء الإسلام وأوّل دولة بني أمية. وليس بمكثرٍ، ولا ممّن وفد إلى الخلفاء فمدحهم. (١٢٦/١٣)

(١٧٥)

... وكان منصور النمريّ شاعراً من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابيّ وراويته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبُّه. والعتابي وصفه للفضلِ بن يحيى بن خالد وقرّضه(١) عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه، ثم وصله بالرشيد. وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابيّ وحشةٌ حتى تهاجرا وتناقضا، وسعى كلٌّ واحد منهما على هلاك صاحبه، وأخبار ذلك تُذْكرُ في مواضعها من أخبارهما - إن شاء الله تعالى - وكان النمري قد مدح الفضلَ بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة، فأوصلها العتابيّ إليه، واسترفده له، وسأله استصحابه، فأذن له في القدوم، فحظي عنده، وعرف مذهبَ الرشيد في الشعر، وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الإمامة عن ولدِ علي بن أبي طالب - عليهم السلام - والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك ممّا كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة، وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهبَ مروان في ذلك، ونحا نحوه، ولم يصرِّح بالهجاء والسبِّ كما كان يفعل مروان، ولكنه حام ولم يقع، وأومأ ولم يُحقِّق، لأنّه كانت يتشيع، وكان مروانُ شديد العداوة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نيّةٍ قويّة يقصد بها طلب الدنيا، فلا يُبْقي ولا يذر. (١٤٠/١٣)

---

(١) قرضه: مدحه.

(١٧٦)

ناهض بن ثومة ونسبه

هو ناهضُ بن ثُومة بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب بن أنس بن ربيعة بن كعب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدويٌّ فارس فصيح، من الشعراء في الدولة العباسية، وكان يقدم البصرة فيُكتب عنه شعره، وتؤخذ عن اللغة. روى عنه الرياشي، وأبو سراقة، ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. (١٧٥/١٣)

(١٧٧)

المخبَّل ونسبه

قال ابنُ الكلبيّ: اسمه الربيع بن ربيعة، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة وقال ابنُ حبيب وأبو عمرو: اسمه ربيعةُ بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن رقيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناةَ بن تميم. شاعرٌ فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ويكنى أبا يزيد. وإيَّاه عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائدَ لي النوابغُ إذ مضَوْا ... وأبـو زيـد وذو القـروح وجـرْول

ذو القروح: امرؤُ القيس، وجرول: الحطيئة، وأبو يزيد: المخبَّل، وذكره ابن سلام فجعله في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل. وهو من المقلِّين، وعمر في الجاهلية والإسلام عمراً كثيراً، وأحسبه مات في خلافة عمر أو عثمان (رضي الله عنهما) وهو شيخ كبير. (١٨٩/١٣)

(١٧٨)

غيلان ونسبه

غيلانُ بن سلمة بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ - وهو ثقيف. وأمّه سبيعةُ بنتُ عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، أخت أمية بن شمس بن عبد مناف. أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله، وهاجر، ومات بالشام في طاعون عمواس وأبوه حيٌّ. وغيلانُ شاعرٌ مقلّ، ليس بمعروف في الفحول. (٢٠٠/١٣)

(١٧٩)

حاجز ونسبه

هو حاجزُ بنُ عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذُهلِ بنِ مالك بن سلامان بن مُفرِّج بن مالك بن زهران بن عوف بن ميدعان بن مالك بن نصر بنِ الأزد. وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وفي ذلك يقول:

قومي سلامان إمَّا كُنْتِ سائلةً ... وفي قريش كريمُ الحلف والحَسَبِ
إنّي متى أدعُ مخزوماً ترىٰ عُنُقاً ... لا يرعشون لضرب القوم من كَثَبِ(١)
يُدعى المغيرةُ في أولى عديدهم ... أولادُ مرْأسةٍ ليسوا من الذنب

وهو شاعر جاهليّ مقلّ، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل. (٢٠٩/١٣)

(١٨٠)

عبد الصمد بن المعذَّل شاعر فصيح من شعراء الدولة العبَّاسية، بصريّ المولد والمنشأ وكان هجّاء خبيث اللسان، شديد العارضة، وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً، إلا أنه كان عفيفاً، ذا مروءة ودين وتقدّم في المعتزلة، وله جاه واسع في بلده وعند سلطانه، لا يقاربه عبد الصمد فيه، فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، وكان أبو عبد الصمد المعذل وجدّه غيلان شاعرين، وقد رُوي عنهما شيء من الأخبار واللغةِ والحديث ليس بكثير. (٢٢٦/١٣)

(١٨١)

عبد الرحمن ونسبه

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمُّه أمُّ أخيه مروان. آمنة بنت صفوان بن أمية بن محرِّث بن شق بن رقبة بن مخدج من بني كنانة، ويكنى عبد الرحمن أبا مطرف. شاعر إسلامي متوسِّط الحال في شعراء زمانه، وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فيقاومُه وينتصفُ كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه. (٢٥٩/١٣)

---

(١) العنق: الجماعة الكثيرة من الناس.

(١٨٢)

مطيع بن إياس شاعرٌ من مخضرميَ الدّولتين الأمويّة والعباسية، وليس من فحول الشعراء في تلك، ولكنّه كان ظريفاً خليعاً حلو العشرة، مليح النّادرة، ماجناً متُّهماً في دينه وبالزندقة، ويكنى أبا سلّمى. ومولده ومنشؤه الكوفة، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمدّ بهم عبدُ الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث، فأقام بالكوفة وتزوّج بها، فولِد له مُطيع. (٢٧٦/١٣)

(١٨٣)

محمد بن كناسة ونسبه

هو محمد بن كُناسة، واسم كناسة عبدُ الله بن عبد الأعلى بن عُبيد الله بن خليفة بن زهير بن نضلة بن أنيف بن مازن بن صهبان - واسم صهبان كعب - بن دويبة بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة؛ ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كوفي المولد والمنشأ، قد حُمل عنه شيء من الحديث؛ وكان إبراهيمُ بن أدهم الزاهد خاله، وكان امرأً صالحا لا يتصدّى لمدح ولا لهجاء. (٣٣٧/١٣)

(١٨٤)

محمد بن يسير ونسبه

محمد بن يسير الرِّياشي، يقال إنّه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشي الأخباري الأديب، وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفا من شعراء المحدثين، متقلِّل، لم يفارق البصْرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا، ولا تجاوز بلده، وصُحْبتُه طبقتُه[١]، وكان ماجناً هجّاء خبيثاً. (١٧/١٤)

(١٨٥)

ديك الجنّ ونسبه[٢]

---

(١) صحبته طبقته: أي صحب من الشعراء مَنْ هم في مستواه الشعري، وعلى شاكلته.

(٢) ديك الجنّ: دويبة توجد في البساتين.

ديكُ الجنّ لقبٌ غلب عليه، واسمه عبد السلام بن رغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغْبان بن يزيد بن تميم. وكان جدّه تميم ممن أنعم الله ـ عزّ وجلّ ـ عليه بالإسلام منْ أهل مُؤتة(١) على يديْ حبيب بن مسلمة الفِهْريّ، وكان شديد التشعبُّ والعصبية على العرب، يقول: ما للعرب علينا فضل. جمعتنا وإيّاهم ولادةُ إبراهيم (ص)، وأسلمنا كما أسلموا، ومَنْ قتلَ منهم رجلاً منّا قُتل به، ولم نجد الله عزّوجلّ فضّلهم علينا، إذ جمعنا الدين.

وهو شاعرٌ مجيدٌ يذهب مذهبَ أبي تمام والشاميِّين في شعره(٢). من شعراء الدّولة العبّاسيّة. وكان من ساكني حمص، ولم يبرح نواحي الشام، ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدّياً لأحد، وكان يتشيّع تشيُّعاً حسناً، وله مراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليّ ـ عليهما السلام ـ، منها قوله:

يا عينُ لا للقضا ولا الكُتُبِ بُكا الرّزايا سوى بُكّا الطَّرب

وهي مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها، وله عدّة أشعار في هذا المعنى. وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتّهمها بغلامٍ له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها. (٥١/١٤)

(١٨٦)

محمد بن حازم ونسبه

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بغْداد مولده ومنْشؤه البصْرة. أخبرني بذلك ابن عمّار أبو العبّاس عن محمد بن داودُ بن الجرّاح عن حسن بن فهْم. وهو من شعراء الدولة العبّاسيّة، شاعر مطبوع، إلاّ أنّه كان كثير الهجاء للناس، فاطُّرح، ولم يمدح من الخلفاء إلاّ المأمون، ولا اتصل بواحد منهم، فيكون له نباهةُ طبقته. وكان ساقط الهمّة، مُتقلّلا جداً، يُرْضيه اليسير، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب. (٩٢/١٤)

---

(١) مؤتة: قرية من قرى البلقاء: بمشارف الشام.

(٢) فصّل الدكتور عمر فروخ الحديث عن المذهب الشامي في كتابه تاريخ الأدب العربي (٢/٤٢)، وذهب إلى أنْ من أهم خصائصه: الجِدّ، والإعجاب بالفنون القديمة، والفخر بالعرب، والحماسة، وتكلّف المعاني البعيدة، والإتكاء في التشبيه، والاستعارة على قضايا المنطق، والنحو، والفقه، وأشار إلى شيء من التداخل بين هذه الخصائص، وبين الشعر غير الشامي، ولكنّها السمات العامة عليه.

(١٨٧)

ابن أبي الزوائد ونسبه

اسمه سُلَيْمان بن يحيى بن زيْدِ بن معْبدِ بن أيُّوب بن هلال بن عوْف بن نضلة بن عُصيَّةُ بن نصْر بن سعْدِ بن بكْر بن هوازن بن منْصور، ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً. شاعرٌ مُقِلٌّ، من مُخْضرمي الدوْلتين، وكان يؤمُّ الناس في مسجد رسول الله(ص). (١٢١/١٤)

(١٨٨)

أبو الأسد ونسبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تينةَ عن القحْذميّ، نُباتةُ بن عبد الله الحمّانيّ. وذكر أبو هفّان المهْزميُّ أنّه من بني شيْبان. وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْرِ، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينور(١). وكان طبّاً مليح(٢) النَّوادر مزّاحاً خبيث الهجاء، وكان صديقاً لعلُّويه المُغنِّي الأعسر، يُنادمه ويُواصل عِشْرته ويصلُه علُّويه بالأكابر، ويُعرِّضُه للمنافع، وله صنعةٌ في كثير من شعره. (١٣١/١٤)

(١٨٩)

ابن قُنْبرُ ونسبه

هو الحكم بن محمد بن قُنْبرُ المازنيّ مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشميّة، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدّة، ثم غلبه مسلم. (١٦٢/١٤)

(١٩٠)

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطّه: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدّثني منصور بن جهْور قال: لمّا تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلما ابنُ عم له فقال: أيها الرجل، إنّك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر(٣)، وقد بعثتَ عليه لسانك ثم أمسكت عنه، فأما أن قاذعته، وأما أن

---

(١) الدِّينور: مدينة من أعمال الجبل بفارس. ... (٢) الطبّ: الحاذق الماهر.

(٣) مضى الحديث عن عمود الشعر في القضية السابقة.

سالمته. (١٦٢/١٤)

(١٩١)

عبد الله بن الزَّبير ونسبه

عبد الله بن الزَّبير بن الأشمَ بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنقذ بن طريف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. أخبرني بذلك أحمد عن الخرّاز عن ابن الأعرابيّ؛ وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأمويّة، وكان من شيعة بني أميّة وذوي الهوى فيهم والتعصّب والنُّصْرة على عدوّهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتي به أسيراً فَمَنَّ عليه ووصله وأحسن إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب، ثم عَمي عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ويُكنى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعني نفسه:

فقالت: ما فعلتَ أبا كثير أصح الودُّ أم أخلفتَ بعدي؟

وهو أحد الهجّائين للناس، المرهوبِ شرّهم. (٢١٧/١٤)

(١٩٢)

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنى أبا الهيثم، وإيّاه يعني أخوه سراقة بقوله يرثيه:

أعين ألا ابكي أبا الهيثم وأذري الدموعَ ولا تسأمي

وهي أبيات تُذكر في أخباره، وأمهُ الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة(١) والبيان، سيّدا في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ووفد إلى النبيّ (ص)، فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضّل عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك، فأمر بلالا فأعطاه حتى رضي، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع؛ والله أعلم. (٣٠٢/١٤)

---

(١) العارضة: القدرة على الكلام؛ والرأي الجيّد.

(١٩٣)

قال أبو عبيدة: وكان العباس وسراقة وحَزن وعمرو بنو مرداس كلهّم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد، وكلّهم كان شاعراً، وعبّاس أشعرهم، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات في الإسلام. (٣١٨/١٤)

(١٩٤)

حمّاد عجرد ونسبه

هو حمّاد بن يحيى بن عمر بن كُليب، ويُكنى أبا عمر، مولى (بني) عامر بن صعصعة، وذكر ابن النطّاح أنه مولى بني سَراة، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عُقيل، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة، وكان يبري النُبل، وقيل: بل أبوه كان نبّالاً، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر. وقال صالحُ بن سليمان: كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب، وكانت له هيئة ـ وابن عمّه عُمارة بن حمزة بن كليب ـ انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطا، فكانوا بها، وحمّاد من مخضرميّ الدّولتين الأمويّة والعبّاسية، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العبّاس، وكان خليعاً ماجناً، متهُما في دينه، مرمياً بالزندقة. (٣٢١/١٤)

(١٩٥)

حُريثونسبُه

حُريث بن عنّاب (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كــعب بن عــوف بن عُنين بن نائل بن أسودان، وهو نبهان بنُ عمرو بن الغوث بن طيء، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنّه كان بدوياً مُقلا غير متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء، ولا يعْدو شعره أمر ما يخصّه. (٣٨٢/١٤)

(١٩٦)

هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وهو أحدُ شعراء قريش المعدودين. وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفار قريش في شعره، ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبيّ(ص) إسلامه وأمّنه يوم الفتح. (١٧٩/١٥)

(١٩٧)

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو ـ وقيل مكان عمرو شمْر ـ بن عديّ بن مالك بن أيدعان بن النَّمر بن وائلة بن الطُّمـثـان بن زيد مناة بن يقـدم بن أفـصى بن دُعْميّ بن إياد. خطيبُ العـرب وشاعرها، وحليمها وحكيمها في عصره. يقال: إنه أولُ من علا على شرفـ(١) وخطب عليه. وأوّل من قـال في كـلامـه: أمّا بعـد، وأول من اتّكأ عند خطبتـه على سيفٍ أو عـصـا.

(٢٤٦/١٥)

(١٩٨)

علي بن أديم.. هو رجل من تجّار أهل الكوفة... كان متأدِّباً صالح الشعر. (٢٦٦/١٥)

(١٩٩)

ذكر عمرو بن بانة

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف، وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهاً من وجوه الكتّاب، وينسب إلى أمّه بانة (بنت روح) القحطبية، وكان مغنّياً مُحسناً، وشاعراً صالح الشعر. (٢٦٩/١٥)

(٢٠٠)

الحزين ونسبه

ذكر الواقدي أنه من كنانة وأنه صليبة(٢)، وأنّ الحزين لقبٌ غلب عليه، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وُهيب بن مالك ـ ويكنى أبا الشعثاء ـ بن حُريث بن جابر بن بُجير ـ وهو راعي الشمس الأكبر ـ بن يعمر بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة، عن الواقدي، قال: وأما عمر بن شبّة فإنّه ذكر أنّ الحزين مولى، وأنه الحزين بن سليمان، ويكنى سليمان أبا الشعثاء، ويكنى الحزين أبا الحكم. من شعراء الدولة الأموية حجازيّ مطبوعٌ ليس من فُحول طبقته. وكان هجّاءً خبيث اللسان ساقطاً، يُرضيه اليسير، ويتكسّب بالشرّ وهجاء الناس، وليس ممّن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح، ولا كان يريم

---

(١) الشرف: المرتفع من الأرض. (٢) صليبة: خالص النّسب.

الحجاز حتّى مات. (١٥/٣٢٢)

(٢٠١)

وطفيلٌ شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، ويكنى أبا قُرّان، ويقال إنه من أقدم شعراء قيس. وهو (من) أوصف العرب للخيل. (١٥/٣٤٩)

(٢٠٢)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن، قال حدّثني عمي قال: كان طفيلٌ أكبر من النابغة، وليس في قيس فحلٌ أقدم منه. (١٥/٣٥٠)

(٢٠٣)

ولبيدٌ أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممّن أدرك الإسلام، وهو من أشراف الشُّعراء المُجيدين الفُرسان المعمّرين، يقال إنه عمّر مائةً وخمسا وأربعين سنة. (١٥/٣٦١)

(٢٠٤)

زياد الأعجم ونسبه

زياد بن سليمان، مولى عبد القيس، أحد بني عامر بن الحارث، ثم أحد بني مالك بن عامر الخارجية. أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكريّ، وأخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه عن ابن حبيب قال: هو زياد بن جابر بن عمرو، مولى عبد القيس. وكان ينزل إصطخْر(١) فغلبت العُجمةُ على لسانه، فقيل له الأعجم. وكان شاعراً جزْل الشِّعر فصيح الألفاظ على لُكنةِ لسانه، وَجَرْيِهِ على لفظ أهل بلده. (١٥/٣٨٠)

(٢٠٥)

الحسين بن مُطير ونسبه

هو الحسين بن مُطير بن مكمّل، مولى لبني أسد بن خُزيمة، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد، وكان جده مكمل عبداً، فأعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى

---

(١) اصطخر: بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس، ومدنها، وكوُرها. ينظر معجم البلدان (١/٢١١).

أدّاها وأعتق، وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعبّاسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز، فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجراح، عن محمد بن الحسن بن الحرون: أنه كان من ساكني زُبالة(١)، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. وذلك بيِّن في شعره. (١٦/١٧)

(٢٠٦)

محمّد بن بشير الخارجيّ ونسبه

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر بن يشكر بن عدْوان الخارجيّ، من بني خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نُسبا إلى أمهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بين طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى محمد ابن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حجازيّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن زمْعة القرشي، أحد بني أسد بن عبد العزى، وهو جدّ ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبي عبيدة بن زمعة القرشي؛ ولدت لعبد الله محمداً وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومراث مختارة، وهي عيون شعره، وكان يبدو(٢) في أكثر زمانه، ويقيم في بوادي المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس. (١٦/١٠٢)

(٢٠٧)

وسُديف شاعر مُقِلّ، من شعراء الحجاز، ومن مخضرميّ الدولتين، وكان شديد التعصّب لبني هاشم، مظهراً لذلك في أيام بني أمية. (١٦/١٣٥)

(٢٠٨)

الفضل بن العباس اللهبيّ ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم. وكان شديد الأدمة، ولذلك قال:

---

(١) زُبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة، بها أسواق. (٢) يبدو: يقيم في البادية.

وأنا الأخضر من يعرفني. وهو هاشميّ الأبوين: أمه بنت العباس بن عبد المطلب. (١٦/١٧٥)

(٢٠٩)

حمزة بن بيض الحنفيّ: شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية، كوفيّ خليع ماجن، من فحول طبقته، وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبي صُفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بُرْدة. واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً، ولم يدرك الدولة العباسية. (١٦/٢٠٢)

(٢١٠)

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله (ص) المعدودين، وهو بدْري عَقَبيّ. وأبوه مالك بن أبي كعب بن القين شاعر، وله في حروب الأوس والخزرج، التي كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر. وعمه قيس بن أبي كعب شهد بدراً، وهو شاعر أيضاً. (١٦/٢٢٦)

(٢١١)

الرقاشي ونسبه

هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش، وهو من ربيعة، وكان مطبوعاً سهل الشعر، نقيّ الكلام، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس:

وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ لأن الفضل مولاه الرسول

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه، لأنه كان أكرم ممن ينتمي إليه، وذهب أبو نواس إلى قول النبيّ(ص): أنا مولى من لا مولى له. وذكر إبراهيم بن تميم، عن المعلّى بن حُميد: أنّ الرقاشيّ كان من العجم، من أهل الريّ وقد مدح الرقاشيّ الرشيدَ وأجازه، إلا أنّ انقطاعه كان إلى آل برْمك، فأغنوه عن سواهم. (١٦/٢٤٥)

(٢١٢)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبي قال: حدّثني أبي، قال: كان الفضل الرّقاشي منقطعاً إلى آل برْمك، مستغنيا بهم عن سواهم، وكانوا يصولون به على الشعراء، ويُروُّون أولادهم أشعارهم، ويدوِّنون القليل والكثير منها، تعصبا له، وحفظاً لخدمته، وتنويها باسمه، وتحريكا لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلمّا نُكبوا صار إليهم في حبسهم، فأقام معهم مدّة أيامهم، ينشدهم ويسامرهم، حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر، ونشر محاسنهم وجودهم

ومآثرهم فأفرط، حتى نشر منها ما كان مطوياً، وأذاع منها ما كان مستوراً؛ وجرى على شاكلته بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم. ثم انقطع إلى طاهر وخرج معه إلى خراسان، فلم يزل بها معه حتى مات. (٢٤٥/١٦)

(٢١٣)

... وكان الرقاشيّ مع تقدّمه في الشعر ماجناً خليعاً... (٢٤٦/١٦)

(٢١٤)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانيّ قال: قيل لابن دراج الطفيليّ أتتطفّل على الرءوس؟ قال: وكيف لي بها؟ قيل: إن فلاناً وفلاناً قد اشترياها، ودخلا بستان ابن بزيع، فخرج يُحْضر خوفا من فوتهما، فوجدهما قد لوّحا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثل قول الرّقاشيّ:

أثـار ربـعٍ قدُمـا أعيا جوابي صمما

وابن دارج هذا يقال له عثمان، وهو مولىً لكندة، وكان في زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة. (٢٥٠/١٦)

(٢١٥)

ربيعة الرّقيّ ونسبه

هو ربيعة بن ثابت الأنصاريّ، ويكنى أبا شبابة، وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت، وكان ينزل الرّقة، وبها مولده ومنشؤه، فأشخصه المهديّ إليه، فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثواباً كثيراً، وهو من المكثرين المجيدين، وكان ضريراً، وإنّما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته، بُعده عن العراق، وتركه خدمة الخلفاء، ومخالطة الشعراء(١)، وعلى ذلك فما عدم مفضّلا لعشره، مقدّماً له. (٢٥٤/١٦)

---

(١) يؤكدّ أبو الفرج في مواضع كثيرة أنّ ابتعاد الشاعر عن مركز الخلافة سواء أكانت دمشق أم بغداد، كفيل بإخمال ذكره، وهبوط منزلته، حتى بين الشعراء الذين يقفون معه على مستوى شعري واحد، وقد أشرنا إلى طرف من هذا الأمر في القضية الأولى.

(٢١٦)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أسيد بن خالد الأنصاريّ، قال: قلت لأبي زيد النحويّ: إن الأصمعيّ قال: لا يقال: شتّان ما بينهما، إنّما يقال: شتّان ما هما، وأنشد قول الأعشى: شتان ما يومي على كورها

فقال: كذب الأصمعيُّ، يقال: شتّان ما هما، وشتّان ما بينهما، وأنشدني لربيعة الرقيّ، واحتج به: لشتّان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سُليم والأغرُّ ابن حاتم

وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع مثل قول الأصمعيّ بشعر ربيعة الرقيّ، كفاية له في تفضيله. (١٦/٢٥٥)

(٢١٧)

أبو العباس الأعمى

هو السائب بن فرُّوخ مولى بني ليث. وقيل إنّه مولى بني الدِّيل، وهذا القول هو الصحيح. ذكر محمد بن معاوية الأسديّ، عن المدائنيّ والواقديّ: أنّ أبا العباس الأعمى الذي يروي عنه حبيب بن أبي ثابت، مولى جذيمة بن عليّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بني أمية المعدودين، المقدّمين في مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذي يقول في أبي الطفيل عامر بن واثلة، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام:

لعمركَ إنّني وأبا طُفيلٍ لمختلفان، والله الشهيدُ

أرى عثمان مهتديا ويأبى متابعتي وآبى ما يريدُ (١٦/٢٩٨)

(٢١٨)

وأبو حية النُّميري شاعر مُجيد مُقدَّم، من مُخضرميّ الدولتين: الأموية والعباسية، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً، وكان فصيحاً مُقصِّدا راجزا، من ساكني البصرة، وكان أهوج جبانا بخيلاً كذابا، معروفا بذلك أجمع. (١٦/٣٠٧)

(٢١٩)

قال محمد بن علي بن حمزة: وحدّثني أبو عثمان قال: قال سلمة بن عياش لأبي حية النُّمريّ: أتدري ما يقول الناس؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون إنّي أشعر منك. قال: إنّا لله!

هلك والله الناس! (٣٠٨/١٦)

(٢٢٠)

محمد بن صالح العلويّ ونسبه

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازيّ ظريف، صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدّمين. (٣٦٠/١٦)

(٢٢١)

أبو دواد الإياديّ ونسبه

هو فيما ذكر يعقوب بن السكّيت: جارية بن الحجاج، وكان الحجاج يلقب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ. وقال ابن حبيب هو جارية بن الحجّاج أحد بني بُرْد بن دُعْميّ بن إياد بن نزار، شاعر قديم من شعراء الجاهلية، وكان وصّافاً للخيل، وأكثر أشعاره في وصفها، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك، إلاّ أنّ شعره في وصف الفرس أكثر. (٣٧٣/١٦)

(٢٢٢)

أبو تمام ونسبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائيّ، من نفس طيِّئ صليبة. مولده ومنشؤه منْبج، بقرية منها يقال لها جاسم، شاعر مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غوّاص على ما يُستصعب منها، ويعسر متناوله على غيره، وله مذهب في المطابق، هو كالسابق إليه جميع الشعراء، وإن كانوا قد فتحوه قبله، وقالوا القليل منه، فإنّ له فضلَ الإكثار فيه(١)، والسلوكِ في جميع طرقه. والسليمُ من

---

(١) هذا الكلام يشبه ما ذهب إليه ابن المعتزّ في كتابه البديع (ص٢) حيث يقول: «.. وإنّما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربّما قُرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع» ولكنّ أبا الفرج يختلف عن ابن المعتز من حيث جَعْلُه هذا الإكثار فضيلة بينما يقول ابن المعتز: «.. ثمّ إنّ حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغف به حتى غلب عليه، وتفرّع فيه وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبى الإفراط، وثمرة الإسراف» ولعلّ الصورة العامة تبيّن تقارب الرأيين. =

شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد، وله أشياءُ متوسطة، ورديئة رذْلة جداً.

وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط، حتى يفضله على كل سالف وخالف، وأقوام يتعمّدون الرديء من شعره فينشرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك، ليقول الجاهل بهم: إنّهم لَمْ يبلغوا علم هذا وتمييزه إلاَّ بأدب فاضل، وعلم ثاقب. وهذا ممَّا يتكسّب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس، وطلب معايبهم، سببا للترفُّع، وطلبا للرياسة. وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مُسْقطةً إحسانه؛ ولو كثُرت إساءته أيضاً ثم أحسن، لم يُقَلْ له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والتوسط في كلِّ شيء أجمل، والحق أحق أن يتبّع(١).

وقد فضَّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء، من لا يشُقُّ الطاعنون عليه غُباره، ولا يدركون - وإن جدُّوا - آثاره، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له في جيّده نظيراً ولا شكلا؛ ولولا أن الرواة قد أكثروا في الاحتجاج له وعليه، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه في التسطير لرديئه، والتنبيه على رذْله ودنيئه، لذكرت منه طرفا، ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه. (١٦/٣٨٣)

(٢٢٣)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال: سمعت علي بن الجهم يصف أبا تمّام ويفضله، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك هذا. فقال: إن لم يكن أخا بالنسب، فإنّه أخ بالأدب والمودة؛ أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول:

إنْ يُكْدِ مُطَّرفُ الإخاء فإنَّنا ... نغدو ونسري في إخاء تالد(٢)
أو يختلفْ ماء الوصالِ فماؤنا ... عذبٌ تحدُّر من غمام واحدِ
أويفترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننا ... أدبٌ أقمناه مقامَ الوالد (١٦/٣٨٦)

= واستفادة أبي الفرج من ابن المعتز حول هذه القضية.

(١) تنكّرنا هذه الموضوعية التي يطلبها أبو الفرج بموقفه السابق من ابن المعتزّ، وإلحاحه في توّخي الإنصاف، والنظر السليم.

(٢) أكدى: خاب ولم ينفع، والمطّرف: المستحدث، والتالد: القديم.

(٢٢٤)

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني عون بن محمد قال: شهدت دعبلا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام، فاعترضه عصابةُ الجرجاني، فقال: يا أبا عليّ، اسمع مني ما قاله، فإن أنت رضيتَه فذاك؛ وإلاَّ وافقتك على ما تذُّمه منه، وأعوذ بالله فيك من ألاَّ ترضاه، ثم أنشده قوله:

أما إنه لولا الخليطُ المودِّعُ ... ومغنىً عفا منه مصيفٌ ومرْبعُ

فلما بلغ إلى قوله:

هو السيلُ إن واجهته انقدْتَ طوْعَه ... وتقتادُه من جانبيه فيتبعُ

ولم أر نفعا عند مَن ليس ضائرا ... ولم أر ضُراً عند مَن ليس ينفع

معادُ الورى بعد الممات وسيبُه ... معادٌ لنا قبل المماتِ ومرجع

فقال له دعبل: لم ندفع فضل هذا الرجل، ولكنَّكم ترفعونه فوق قدره، وتقدِّمونه على مَن يتقدمه، وتنسبُون إليه ما قد سرقه. فقال له عصابة: إحسانه صيَّرك له عائباً، وعليه عاتبا. (٢٩٣/١٦)

(٢٢٥)

أبو الشِّيص ونسبه

اسمه محمد بن رَزين بن سليمان بن تميم بن نهْشل ـ وقيل: ابن بُهيْش ـ ابن خراش بن خالد بن عبد بن دعْبل بن أنس بن خُزيمة بن سلامان بن أسلم بن افصى بن حارثة بن عمرو مُزيقيا ابن عامر بن ثعلبة.

وكان أبو الشيص لقبا غلب عليه. وكنيته أبو جعفر، وهو ابن عم دعبل بن عليّ بن رزين لحًا. وكان أبو الشيص من شعراء عصره، متوسِّط المحلّ فيهم، غير نبيه الذكر، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس(١)، فخمل وانقطع إلى عُقْبة بن جعفر بن الأشعث الخُزاعيّ، وكان أميراً على الرَّقّة، فمدحه بأكثر شعره، فقلَّما يُرْوى له في غيره، وكان عُقْبة جواداً فأغناه عن غيره. ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً، صالح الشعر، وكان منقطعاً إلى محمد

(١) علَّل أبو الفرج لخمول ذكر أبي الشيص بسبب وقوعه بين شعراء كبار، إذ ينشغل الناس، والعلماء، والرواة بهم، وهو تعليل مقبول نجد نظيراً له عند المتنبي الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس بشعره، فتركوا غيره.

بن طالب، فأخذ منه جامع شعر أبيه، ومن جهته خرج إلى الناس. وعَمي أبو الشَّيص في آخر عمره، وله مراثٍ في عينيه قبل ذهابهما وبعده، وكان سريع الهاجس جداً، فيما ذُكر عنه. فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامريّ قال له: مَن أخبرك أنّه كان في الدنيا أشعرُ من أبي الشيص فكذّبه. والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان. وكان من أوصف الناس للشراب، وأمدحهم للملوك. وهكذا ذكر ابن المعتز. وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره، ولا هو بساقط، ولكن هذا سرف شديد(١). (١٦/٤٠٠)

(٢٢٦)

ذكر الكُميت ونسبه

هو الكميت بن زيد بن خُنيس بن مجالد بن وُهيب بن عمرو بن سُبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مقدَّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيامها، من شعراء مُضر وألسنتها، والمتعصّبين على القحطانية، المقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها، وكان في أيام بني أميّة ولم يدرك الدولة العبّاسيّة، ومات قبلها. وكان معروفا بالتشيّع لبني هاشم، مشهورا بذلك، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره. ولم تزل عصبيّته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متّصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته وبعد وفاته، حتى ناقض دعبلٌ وابنُ أبي عُيينَةَ قصيدته المُذهبة بعد وفاته، وأجابهما أبو البلْقاء البصْريّ مولى بني هاشم عنها. (١٧/١)

(٢٢٧)

كعب بن زُهير بن أبي سُلْمى المُزنيّ، وأمُّ كعْب امرأةٌ من بني عبد الله بن غطفان يقال لها كبْشة بنت عمّار بن عديّ بن سُحيم، وهي أمُّ سائر أولاد زُهير. وهو من المخضرمين، ومن فحول الشعراء. (١٧/٨٢)

---

(١) تشعّ الموضوعية من حكم أبي الفرج، ويظهر منه مدى تمسّكه بطرائق النقد الجيّد، القائم على الدراسة، ومقاربة النصوص، بعيداً عن الهوى، فالديوان لا يساعد على إبراز هذه الصفات التي أوردها العامري، وهو الفيصل في هذا الأمر، ولم نَرَ أبا الفرج يعمد إلى طريق آخر غير الديوان، أو يلجأ إلى قياس سواه، فالشعر هو الحكَم، وقد ارتضاه. فألفاه لا يُظهر ما قيل، فنسب هذا كلّه إلى السَّرَف، الذي يؤدي إلى مثل هذه الأحكام العريضة.

(٢٢٨)

المقنّع الكندي

اسمه محمد بن ظفر بن عُمير بن أبي شمر بن فُرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولاّدة - سُمّي بذلك لكثرة ولده - بن عمْرو بن معاوية بن كنْدة بن عُفير بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيْد بن كهْلان بن سبأ بن يشْجُبُ بن يعْرُب بن قحطان. شاعر مقلٌ مِنْ شعراء الدولة الأموية، وكان له محلّ كبير، وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته. (١٧/١٠٨)

(٢٢٩)

وكان زيد الخيلِ فارساً مِغواراً مظفّراً شجاعاً بعيدَ الصّيت في الجاهلية، وأدرك الإسلام ووفد إلى النّبيّ(ص) ، ولقيه وسُرَّ به وقرّظه وسمّاه زيْد الخير. وهو شاعر مُقلٌ مخضْرمٌ معدودٌ في الشعراء الفرسان، وإنّما كان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند مَنْ مرَّ عليه وأحسنَ في قراه إليه؛ وإنما سمي زيد الخيْلِ لكثرة خيله، وأنّه لم يكن لأحدٍ من قومه ولا لكثير من العرب إلاّ الفرس والفرسان، وكانت له خيْلٌ كثيرة، منها المسمّاة المعروفة التي ذكرها في شعره وهي سته، وهي الهطّال، والكُميت، والورْد، وكامل، ودؤول، ولاحق. وفي الهطال يقول:

أقـرِّبُ مرْبـطَ الهطّـالِ إنّي   أرى حرْباً ستلْقَحُ عن حيالِ

وفي الورد يقول: أبتْ عادةٌ للورْدِ أنْ يُكره القنا   وحاجةُ نفْسي في نُميْرٍ وعامرِ

وفي دؤول يقول: فأقسـم لا يُفارقني دؤول   أجولُ به إذا كثر الضِّرابُ

هذا ما حضرني مِنْ تسمية خيْله في شعره، وقد ذكرها. (١٧/٢٤٥)

(٢٣٠)

ذكر أبي عطاء السندي

أبو عطاء اسمه أفلح بن يسار، مولى بني أسد، ثم مولى عنبر بن سماك بن حُصين الأسديّ، منشؤه الكوفة، وهو مِنْ مخضرميّ الدولتين، مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سنْدياً أعجمياً لا يفصح، وكان في لسان أبي عطاء لكْنةٌ شديدة ولثغة، فكان لا يفصح، وكان له غلامٌ فصيح سمّاه عطاء، وتكنّى به، وقال: قدْ جعلتُك ابني، وسميتُك بكنيتي، فكان يروِّيه شِعْره، فإذا

مدح مَنْ يجْتديه أو ينتجعه أمره بإنشاده ما قاله. وكان ابن كناسة يذْكُر أنه كاتب مواليه، وأنَّهم لم يعتقوه. (٣٢٧/٧)

(٢٣١)

قال أبو العالية الحرّ بن مالك الشامي: كان أبو عطاء من شعراء بني أميّة ومُداحِهم والمصبِّي الهوى إليهم، وأدرك دولة بني العبّاس فلم تكن له فيها نباهة، فهجاهم. وفي آخر أيام المنصور مات. وكان مع ذلك من أحسن النّاس بديهة، وأشدّهم عارضةً وتقدُّماً.

(٢٣٢)

قال: وقال أبو عبيدة: ذو الرّمّة يخبر فيُحسن الخبر، ثم يردُّ على نفسه الحجُةَ من صاحبه فيحسن الردُّ، ثم يعتذر فيحسن التخلص، مع حُسْنِ إنصافٍ وعفاف في الحكم. (٨/١٨)

(٢٣٣)

وحدّثني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: كان لذي الرُّمّة حظٌ في حُسْنِ التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين، كان علماؤنا يقولون: أحسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس، وأحسنُ أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرُّمّة. (١٠/١٨)

(٢٣٤)

حدّثنا أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان ذو الرّمّة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين، كان يرْوي عنهما ويروي عن الصحابة، وكذلك ذو الرّمة، هو دونهما ويساويهما في بعض شعره. (٣٣/١٨)

(٢٣٥)

خفاف ونسبه

هو خفاف بن عُمير بن الحارث بن الشُّريد بن رياح بن يقظة بن عُصيُة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ونُدْبة أمُّه وهي أمةٌ سوداء؛ وكان خفاف أسودَ أيضاً، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فرسانهم، وجعله ابنُ سلاّم في الطبقة الخامسة من الفُرسان مع مالك بن نُويرة، ومع ابني عمِّه

صخْر ومعاوية ابني عمرو بن الشريد، ومالك بن حمار الشمْخيّ(١). (٧٤/١٨)

(٢٣٦)

جبهاء ونسبه

جبهاء لقب غلب عليه، يقال جبْهاء وجُبَيْهاء جميعاً، واسمه يزيدُ بن عُبيد، ويقال: يزيد بن حُميمة بن عُبيد بن عُقيلة بن قيس بن رُوَيْبة بن سُحيم بن عُبيد بن هلال بن زبيد بن بكر بن أشْجع، شاعر بدويّ من مخاليف(٢) الحجاز، نشأ وتُوفّيَ في أيام بني أمية، وليس ممّن انْتجعَ الخُلفاء بشعْره ومدحهم فاشتهر، وهو مقِلٌّ، وليس من معْدودي الفُحول. (٩٤/١٨)

(٢٣٧)

والبة بن الحباب

والبة بن الحُباب أسديٌّ صليبةً، كوفيٌّ، شاعر من شعراء الدولة العباسيّة، يُكنى، أبا أسامة، وهو أستاذ أبي نواس، وكان ظريفاً شاعراً غزلاً وصّافاً للشراب والغلمان، وشعره في غير ذلك مُقارب ليس بالجيِّد، وقد هاجى بشّاراً وأبا العتاهية، فلم يصنع شيئاً وفضحاه، فعاد إلى الكوفة كالهارب، وخمل ذكرُه بعد. (١٠٠/١٨)

(٢٣٨)

هو عِمْرانُ بن حطّان، بن ظبْيان بن لَوْذان، بن عمرو، بن الحارث، بن سدُوس، بن شيبان، بن ذُهل، بن ثعْلبة، بن عُكابة، بن صعْب، بن عليّ، بن بكْر، بن وائل. وقال ابنُ الكلبيّ: هو عمران، بن حِطّان بن ظبْيان، بن معاوية بن الحارث، بن سدوس، ويُكْنى أبا شهاب، شاعر فصيح من شعراء الشُّراة ودُعاتهم والمُقدِّمين في مذهبهم، وكان من القَعَدة(٣)؛ لأنَّ عُمره طال فضعُف عن الحرْب وحضورها، فاقتصر على الدّعوة والتحريض بلسانه.

---

(١) ذكرنا فيما مضى أن لابن سلام كتباً غير كتاب طبقات فحول الشعراء، وأبو الفرج ينقل عنها، وعلى هذا فهو لا يأخذ هنا من الطبقات، وإنّما ينسخ في كتاب آخر له هو كتاب الفرسان أو فرسان الشعراء، وتنظر مقدمة الشيخ شاكر للطبقات (٥٨/١) وا بعدها.

(٢) المخاليف: واحدها المخلاف، وهي الأطراف، والنواحي، وفي كلّ بلد مخلاف بمكة والمدينة والبصرة والكوفة، ويقال فلان من مخلاف كذا وكذا وهو عند اليمن كالرُّستاق. ينظر لسان العرب (٩٦/٩).

(٣) القَعَدة: العاجزون.

وكان قبل أن يُفتن بالشُّراة مشتهراً بطلب العلم والحديث، ثم بُلي بذلك المذهب فضلَّ وهلك، لعنه الله، وقد أدرك صدْراً من الصحابة، وروى عنهم، وروى عنه أصحابُ الحديث. وكان أصلُه من البصرة، فلما اشتهر بهذا المذْهب طلبه الحجّاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبدُ الملك، فهرب إلى عُمان، وكان ينتقل إلى أن مات في تواريه. (١٨/١٠٩)

(٢٣٩)

الأعشى ونسبه

الأعشى اسمه عبدُ الله بن خارجةَ بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبي ربيعة بن ذُهلْ بن شيْبان بن ثعلبة الحُصين بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْميْ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار: شاعر إسلامي من ساكني الكوفة، وكان مرْوانيّ المذهب، شديد التعصب لبني أمية. (١٨/١٣٢)

(٢٤٠)

وكان عمرو بن قميئة من قُدماء الشعراء في الجاهلية، ويقال: إنه أوّل مَنّ قال الشعر من نزار، وهو أقدم من امرئ القيْس، ولقيه امرؤ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى قيْصر لمّا توجه إليه فمات معه في طريقه، وسمتْه العربُ عمْراً الضائع لموته في غُرْبة وفي غير أربٍ ولا مطْلب. نسختُ خبره من روايتي أبي عمْرو الشيْبانيّ، ومؤرّج، وأخبرني ببعْضه الحسنُ بنُ عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي سعْد، عن ابن الكلْبيّ، فذكرتُ ذلك في مواضعه ونسبتُه إلى رُواته، قالوا جميعاً: كان عمْرُو بنُ قميئة شاعراً فحْلاً مُتقدّما. (١٨/١٣٩)

(٢٤١)

حدّثنا يحيى بن محمد بن إدريس، عن أبيه: أنَّ يحيى بن أبي حفْصة زوّج ابنه جميلاً شريفة بنت المُذلّق بن الوليد بن طلبة بن قيس بن عاصم، فولدت له المُؤمّل بن جميل، وكان شاعراً ظريفاً غزلاً، وكان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان بالمدينة. (١٨/١٤٧)

(٢٤٢)

ـ مساورونسبه

هو مساور بن سوّار بن عبد الحميد، من آل قيْس بن عيلان بن مُضر ويقال: إنه مولى خُويلد

من عدوان، كوفيّ قليل الشِّعْر من أصحاب الحديثِ ورُواته، وقد روى عن صدْر من التابعين، وروى عنه وُجوهُ أصحابِ الحديثِ. (١٨/١٤٩)

(٢٤٣)

سعيد بن حميد ونسبه

سعيد بن حُمَيْد بن سعيد بن حُميد بن بحر، يُكْنى أبا عُثْمان من أولاد الدَّهاقين، وأصله من النَّهروان الأوْسط، وكان هو يقول: إنَّه مولى بني سامة بن لُؤيٍّ، من أهل بغداد، بها وُلِد ونشأ، ثم كان ينتقل في السُّكْنى بينها وبين سرَّ من رأى: كاتبٌ شاعر مُترسِّل، حسن الكلام فصيح، وكان أبوه وجْهاً من وجوه المعتزلة، فخالف أحمد بن أبي دواد في بعض مذهبه، فأغرى به المُعْتصم، وقال: إنه شعُوبيٌّ زنْديق، فحبسه مدة طويلة، ثم بانت براءته له أو للواثق بعده، فخلَّى سبيله، وكان شاعراً أيضاً، فكان يهْجو أحمد بن أبي دواد، وأنْشدنيها جماعة من أصحابنا، قال:

لقد أصبحتَ تُنْسبَ في إيادٍ ... بأن يُكْنى أبوكَ أبا دوادِ
فلو كان اسمُه عمرو بن معْدي ... دُعيتَ إلى زُبَيْد أو مُرادِ
لئن أفسدتَ بالتَّخويف عيْشي ... لما أصلحتَ أصلك في إيادِ
وإن تكُ قد أصبتَ طريف مالٍ ... فبُخْلُك باليسير من التِّلادِ (١٨/١٥٥)

(٢٤٤)

ومحمد بن مُناذر شاعر فصيح مُقدَّم في العلم باللغة وإمام فيها، وقد أخذ عنه أكابرُ أهلها، وكان في أوّل أمره يتألّهُ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس، وتهتَّك وخلع، وقذف أعراضَ أهل البصرة حتى نُفي عنها إلى الحجاز فمات هناك. (١٨/١٦٩)

(٢٤٥)

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش: قال: حدّثنا محمد بن يزيد النَّحويُّ قال: كان ابن مُناذر مولى صُبير بن يربوع، وكان إماماً في علم اللُّغة وكلام العرب، وكان في أوّل أمره ناسكاً مُلازماً للمسجد، كثيرَ النَّوافل، جميلَ الأمر إلى أن فُتِنَ بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفيِّ، فتهتَّك بعد ستره، وفتك بعْد نُسْكه، ثم ترامى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفيِّ إلى أن شتم الأعراضَ وأظْهر البذاء وقذف المُحْصنات، ووجبت عليه حدودٌ، فهرب إلى مكة وبقي بها

حتى مات.

وكان يُجالس سُفيان بن عُيينة، فيسأله سُفيان عن معاني حديث النبيّ(ص) فيُخْبره بها، ويقول له: كذا وكذا مأخوذ من كذا، فيقول سفيْان: كلامُ العرب بعضُه يأخذُ برقاب بعض. قال: وأدرك المهديّ ومدحه، ومات في أيام المأمون. (١٨/١٧٠)

(٢٤٦)

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدب، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، قال حدّثني جعفر بن محمد عن دماذ قال: دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مُناذر كلام، فقال له الخليل: إنّما أنتم معشر الشعراء تَبَعٌ لي، وأنا سُكّان السفينة، إن قرّظتكم ورضيتُ قولكم نفقتم وإلاّ كسدتم... (١٨/١٨٣)

(٢٤٧)

نسب أشجع

أخبرني محمد بن عمران الصيْرفيّ والحسن بن عليّ قالا: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، قال: حدّثني عليّ بن الفضل السلَميّ، قال: كان أشجعُ بن عمْرو السلميّ يُكنى أبا الوليد من ولد الشّريد بن مطْرود السلميّ، تزوج أبوه امرأة من أهْل اليمامة، فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشْجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه، فقدمت به أمُّه البصْرة تطلب ميراث أبيه، وكان له هناك مال فماتت بها، وربِّي أشْجع ونشأ بالبصْرة، فكان مَنْ لا يعرفُه يدْفع نسبه، ثم كبر وقال الشّعر وأجاد وعُدّ في الفحول، وكان الشّعر يومئذ في ربيعة واليمن، ولم يكن لقيْس شاعر معْدود، فلما نجم أشجعُ وقال الشّعر، افتخرت به قيْس وأثبتت نسبه، وكان له أخوان: أحمدُ وحُريْث ابنا عمرو، وكان أحمدُ شاعراً ولم يكن يُقارب أشْجع، ولم يكن لحُريث شِعْر، ثم خرج أشجع إلى الرّقّة والرّشيد بها، فنزل على بني سُليْم فتقبّلوه وأكرموهُ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعْفر خاصةً وأصفاه منْحه، فأعجب به ووصله إلى الرشيد، ومدحه فأعجب به أيضاً، فأثْرى وحسنُت حالُه في أيّامه وتقدّم عنده. (١٨/٢١٢)

(٢٤٨)

قال الفضل بن محمد اليزيديّ: ... وكان في إسحاق (الموصلي) تعصّب على أبي نواس

لشيء جرى بينهما. (١٨/٢٢١)

(٢٤٩)

قال محمد بن يزيد: (وهناك) شاعر من أهل جدّة كان يكنى أبا محمد، وكان مجيداً قويَّ النَّفْس قويَّ الشِّعْر... (١٨/٢٤٠)

(٢٥٠)

قال محمد بن خلف: أخبرني محمد بن عبدِ الرحمن الأسديّ، عن محمد بن رزين، قال: قال الأخفش: كان ربيعةُ بن مُفرِّغ شعَّاباً(١) بالمدينة وكان يُنْسب إلى حِمْير، وإنَّما سُمِّي مُفرِّغاً لتفريغهِ العُسَّ وكان شاعراً غزلا محسناً، والسيِّد من ولده. (١٨/٢٥٤)

(٢٥١)

نسب العمانيّ

اسمه محمد بن ذُؤيب بن مِحْجن بن قُدامة بن بِلْهيَة الحنْظليّ ثمَّ الدَّارميّ صليبة، وقيل له: العُمانيُّ، وهو بصْريٌّ؛ لأنَّه كان شديد صُفْرة اللون، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان، وكان شاعراً راجزاً متوسطاً، من شعراء الدولة العباسية، ليس من نُظراء الشعراء الذين شاهدهم في عصره، مثل أشْجع وسلْم ومرْوان، ولكنَّه كان لطيفاً داهياً مقبولاً، فأفادَ بشعره أموالا جليلة. (١٨/٣١١)

(٢٥٢)

ويُكنى عُروةُ بن أذينة أبا عامر، وهو شاعر غزل مقدَّم، من شُعراء أهل المدينة، وهو معدودٌ في الفقهاء والمحدِّثين، وروى عنه مالكُ بن أنس، وعُبيْدُ الله بن عمر العدويّ، أخبرني بذلك أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ، عن عُمر بن شبَّة، وروى جدُّه مالكُ بنُ الحارث عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. (١٨/٣٢٢)

---

(١) الشَّعاب: مَنْ يُصلح الصدوع.

(٢٥٣)

أبو مِحْجن عبدُ الله بن حبيب بن عمْرو بن عُمير بن عوْف بن عُقدة بن عنزة بن عوْف بن قسيّ وهو ثقيف، وأبو مِحْجن من المُخضْرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فارس شُجاع معدود في أولي البأسِ والنَّجْدة، وكان من المعاقرين للخمْر المحدودين في شرْبها. (٦/١٩)

(٢٥٤)

زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوْف بن عُذْرة بن زيد اللاّت بن رُفيدة بن ثوْر بن كلْب بن وبْرة بن تغلب، بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة. شاعرٌ جاهليٌّ، وهو أحد المُعمّرين، وكان سيّد بني كلْب وقائدهم في حروبهم؛ وكان شُجاعاً مُظفّراً ميْمونَ النَّقيبة في غزواته، وهو أحدُ مَنْ ملّ عمره فشرب الخمْر صِرْفا حتى قتلته. ولم يوجد شاعرٌ في الجاهليّة والإسلام ولد من الشعراء أكثر ممّنْ ولد زُهيْرٌ. (١٥/١٩)

(٢٥٥)

... وأمّا الشعراء من ولد زهير(بن جناب)... فمنهم فصاد بن أسعد بن جُنادة بن صهبان بن امرئ القيس بن زُهير بن جناب... ومنهم حُريث بن عامر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب... ومنهم الحزنْبل بن سلامة بن زُهير بن أسعد بن صهْبان بن امرئ القيس بن زُهير بن جناب... ومنهم غُرير بن أبي جابر بن زهير بن جناب.. ومنهم عرفْجة بن جنادة بن أبيّ بن النعمان بن زهير بن جناب... ومنهم المسيّب بن رفْل بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب.. ومن بني زهير شعراء كثير وذكرت منهم الفحول دون غيرهم. (٢٧/١٩)

(٢٥٦)

هو مُسلم بن الوليد، أبوه الوليد مولى الأنصار ثم مولى أبي أمامة أسعد بن زُرارة الخزرجيّ، يُلقّب صريع الغواني، شاعر مُتقدم من شُعراء الدّولة العبّاسيّة، منْشؤه ومولده الكوفة. وهو ـ فيما زعموا ـ أوّل من قال الشّعر المعروف بالبديع، هو لَقّبَ هذا الجنسَ البديعَ واللّطيف. وتبعه فيه جماعة، وأشْهرُهم فيه أبو تمام الطائيّ فإنه جعل شعره كلّه مذْهباً واحداً فيه. ومُسْلم

كان مُتفنِّنًا مُتصرِّفًا في شعره. (٣١/١٩)

(٢٥٧)

أخبرني عليُّ بن سُليمان الأخفش قال: قال أبو العبّاس محمد بن يزيد: كان مُسلم شاعراً حسن النَّمط، جيِّد القول في الشراب، وكثيرٌ من الرُّواة يقْرنه بأبي نواس في هذا المعنى. وهو أول منْ عقد هذه المعاني الظّريفة واستخرجها. (٣١/١٩)

(٢٥٨)

حدّثنا أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهْرويه قال: سمعتُ أبي يقول: أولُ من أفْسد الشِّعر مُسلمُ بن الوليد(١)، جاء بهذا الذي سمّاه النَّاس البديع، ثم جاء الطائيّ بعده فتفنَّن فيه. (٣١/١٩)

(٢٥٩)

محمد بن وُهيْب الحمْيريّ صليبة شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية، وأصله من البصرة، وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوّقُها، ويصف إيطانه إياها ومنشأه بها. وكان يسْتمْنحُ الناسَ بشعْره، ويتكسّب بالمديح، ثم توسّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضّحّاك ومدحه، فوصله إليه وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فسْنى جائزته، ثم لم يزل مُنْقطعاً إليه حتى مات. وكان يتشيَّع، وله مراثٍ في أهل البيت. وهو متوسط من شعراء طبقته، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة. (٧٤/١٩)

(٢٦٠)

هو مُزاحم بن عمْرو بن الحارث بن مصرِّف بن الأعلم بن خويلد بن عوْف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكْر بن هوازن. وقيل: مزاحم بن عمْرو بن مُرّة بن الحارث بن مصرِّف بن الأعلم، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب. بدويٌّ شاعر

---

(١) لعلَّ الفساد في هذا النصّ يحتمل وجوهاً كثيرة، وواضح في هذا الرأي تحامل صاحبه على مسلم، ومذهب البديع عموماً.

فصيح إسلاميّ، صاحب قصيد ورجز، كان في زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفه ويُقرِّظه ويقدِّمه. (٩٨/١٩)

(٢٦١)

بكر بن النَّطَّاح الحنفيّ، يُكنى أبا وائل، هكذا أخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب، وذكر غيره أنه عجْليٌّ من بني سعْد بن عِجْل، واحتجَّ مَنْ ذكر أنه عِجْليّ بقوله:

فإن يكُ جدُّ القومِ فِهْرُ بن مالكٍ فجدِّيَ عِجْـلٌ قرْم بكْرِ بن وائلِ

وأنكر ذلك مَنْ زعم أنه حنفيٌّ وقال: بل قال: «فجدِّي لُجَيْمٌ قرْمُ بكْرِ بنِ وائل». وعِجْل بنُ لجيم وحنيفة بن لُجيم أخوان.

وكان بكر بن النطّاح صعلوكا يُصيب الطَّريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دُلَفَ من الجُند، وجعل له رِزْقاً سُلْطانياً، وكان شُجاعاً بطلا فارساً شاعراً حسن الشِّعْر والتصرُّف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام. (١٠٦/١٩)

(٢٦٢)

هو عويفُ بن معاوية بن عُقْبة بن حصن وقيل: ابنُ عُقْبة بن عُيينة بن حِصْن بن حُذيْفة بنِ بدْر بنِ عمْرو بن جُوَيَّة بن لوْذان بن ثعْلبة بن عديّ بن فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريْث بن غطفان بن سعْد بن قيْس بن عيْلان بن مُضر بن نزار. وعُويْفُ القوافي شاعرٌ مُقلٌّ من شُعراء الدَّوْلة الأمويّة من ساكني الكُوفة، وبيْتُه أحدُ البيوتِ المُقدَّمة الفاخرة في العرب. (١٨٤/١٩)

(٢٦٣)

نسختُ من كتاب أبي سعيد السكريّ في كتاب «مَنْ قال بيْتاً فلُقِّب به» قال: أخبرني محمد بن حبيب قال: وإنّما قيلَ لعُويْف: عُويفُ القوافي لقوْله، وقد كان بعض الشعراء عيَّره بأنّه لا يُجيد الشعر، فقال أبياتاً منها:

ساكذب مَنْ قد كان يزعُم أنّني إذا قلتُ شعْراً لا أجيدُ القوافيا

فسُمّي عُويف القوافي. (١٨٨/١٩)

(٢٦٤)

عبد الله بن العبّاس بن الفضْل بن الرّبيع، والرّبيع ـ على ما يدّعيه أهله ـ ابنُ يونُس بن أبي

فـرْوة، وقيل إنـه ليس ابنه، وآلُ أبي فـرْوة يدفـعـون ذلك ويزعـمـون أنّه لقـيط، وُجِد منـبوذاً، فكفله يونس بن أبي فروة وربّاه، فلمّا خدم المنصور ادّعى إليه.

ويُكنى عبدُ الله بن العبّاس أبا العبّاس. وكان شـاعراً مطْبوعـاً، ومُغنّياً مُحْسناً جيّد الصنْعة نادرها، حسنَ الرّواية، حلْو الشعـر ظريفه، ليس مـن الشّعر الجيّد الجزْل ولا مـن المرْذول، ولكنّه شِعْر مطْبوع ظريف مليح المذْهب، من أشْعار المُترفين وأولاد النّعم. (٢١٩/١٩)

(٢٦٥)

سلم الخاسر ونسبه

سَلْمُ بنُ عمروٍ مولى بني تيْم بن مرّة، ثم مولى أبي بكر الصديق، رضـوان الله عليه. بصـريّ، شاعر مطبوع مـتصـرّف في فنون الشّعر، من شـعراء الدولة العبّاسيـة. وهو راوية بشارِ بن بُرد وتلميذُه، وعنه أخذ، ومن بحره اغترف، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر. ولُقّب سلمٌ بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مُصْحفاً، فباعه واشترى بثمنه طُنبوراً. وقيل: بل خلّف له أبوه مالاً، فأنفقه على الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسرُ الصفقة، فلُقّب بذلك. (٢٦١/١٩)

(٢٦٦)

فضل الشاعرة

كانت فـضْل جاريةً مولّدة من مـولّدات البصـرة وكـانت أمـهـا من مـولّدات اليـمامـة بـهـا ولدت، ونشـأت في دار رجل من عبد القـيس، وباعـها بـعد أن أدّبها وخرّجـهـا، فـاشتُريت وأهديت إلى المتـوكل، وكانت هي تزعم أنّ الذي باعـهـا أخـوها، وأنّ أباهـا وطئ أمـهـا فـولدتها مـنه، فـأدّبهـا وخرّجها معترفاً بها، وأنّ بنيه من غير أمها تواطئوا على بيعها وجحْدها، ولم تكن تُعْرف بعد أن أعتقت إلا بفضل العبدية. وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام، أديبة فـصيحة سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر، ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها. (٣٠١/١٩)

(٢٦٧)

وأخبرني محمد بن خلف بن المرْزبانٌ، قال: حدّثني الحسنُ بن عيسى الكوفيّ قال: حدّثنا أبو دهمان، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المرْوزيّ، قالا: كانت فضل الشاعر من أحسن الناس وجهاً وخلْقاً وخُلُقا وأرقّهم شعراً. (٣٠٣/١٩)

(٢٦٨)

نسب ابن الخياط

هو عبد الله بن مُحمد بن سالم بن يونُس بن سالم، ذكر الزبيرُ بنُ بكّار أنّه مولى لقريش، وذكر غيره أنّه مولى لهُذيل. وهو شاعر ظريف، ماجن خليع، هجّاء خبيث، مخضرم من شعراء الدولة الأموية والعباسية. وكان منقطعاً إلى آل الزبيرِ بن العوام مدّاحاً لهم، وقدم على المهديّ مع عبد الله بن مصعب فنوصله إليه، وتوصل له إلى أن سمع شعره وأحسن صلته. (١/٢٠)

(٢٦٩)

عليّ بن جبلة

هو عليُّ بنُ جبلة بن عبد الله الأبناويّ، ويُكنى أبا الحسن، ويلقب بالعكوّك، من أبناء الشيعة الخُراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحرْبية(١) من الجانب الغربيّ، وكان ضريراً، فذكر عطاء الملط أنّه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريراً، وزعم أهله أنّه عمي بعد أن نشأ. وهو شاعر مطبوع، عَذْبُ اللفظ جزله، لطيف المعاني، مدّاح حسن التصرف، واستنفد شعره في مدح أبي دُلف القاسم بن عيسى العِجْلي، وأبي غانم حُميدِ بن عبد الحميد الطُّوسيّ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دُلفَ خاصة حتى فُضّل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحدُّ في ذلك. فيقال: إنّ المأمون طلبه حتى ظفر به، فسلّ لسانه من قفاه، ويقال: بل هرب، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ. (١٤/٢٠)

(٢٧٠)

التيميّ ونسبه

هو عبدُ الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سُليم. ذكر ذلك ابن النّطاح، وكان له أخ يقال له أبو التُّيحان، وكلاهما كان شاعراً، وهما من أهل الكوفة، وهما من شعراء الدولة العباسية، أحدُ الخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر، وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق، ونديماً لهما، ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم، واتصل بيزيد بن مزْيد فلم يزل منقطعاً

---

(١) الحربية: محلّة كبيرة ببغداد، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي، أحد قوّاد المنصور.

إليه حتى مات يزيد. واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر. (٢٠/٤٤)

(٢٧١)

ابن أبي عُيينة

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غزل هجّاءٌ، وأنفد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمِّه خالد. وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة. (٢٠/٧٨)

(٢٧٢)

أخبرني عليٌّ بن سليمان قال حدّثني محمدُ بن يزيد قال: كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً، من غير أدب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة، وكان يقرِّب البعيد(١)، ويحذف الفضول(٢)، ويُقلّ التكلف، وكان أصغرَ من أخيه عبد الله ومات قبله. وقيل لعبد الله: أنت أشعرُ أم أخوك؟ فقال: لو كان له علمي لكان أشعرَ منِّي(٣). (٢٠/٨٠)

(٢٧٣)

قال مؤلف هذا الكتاب: وكان عبد الله، أخو أبي عُيينة شاعراً، وكان يُقدَّم على أخيه، فأخبرني جحْظة قال: حدّثني عليٌّ بن يحيى المنجّمُ قال: قال إسحاق الموصليّ: شعرُ عبدِ الله بن أبي عُيينة أحبُّ إليّ من شعر أبيه وأخيه. قال: وكان عبدُ الله صديقاً لإسحاق(٤). (٢٠/٨٥)

(٢٧٤)

دعبل بن عليّ ونسبه

هو دعْبلُ بن عليٍّ بنِ رَزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن

---

(١) يقرِّب البعيد: أي لا يوغل في تشبيهاته، واستعاراته، بل يأتي بها قريبة، سريعة الفهم.

(٢) يحذف الفُضول: أي لا يأتي في كلامه بما يستغني الشعر عنه، وما لا حاجة إليه، وهو نوع من الإيجاز المطلوب. ومن المفيد أن نضيف هنا رأي المفضّل الضبيّ في الإيجاز إذ يقول: «حَذْف الفضول، وتقريب البعيد». ينظر البيان والتبيين (١/٩٧)، وهو يشبه رأي محمد بن يزيد كثيراً.

(٣) هذه إشارة مهمة إلى أثر العلم في الشعر، فهو يساعد الشاعر على الوصول إلى المعاني العميقة، والغوص إليها، ويبعده عن السطّحية، والمباشرة التي رأينا أبا عيينة يتّصف بشيء منها.

(٤) هل نجد لهذا القيد الأخير أثراً في حكم اسحاق على الشعر؟

دِعْبِل بن أنسِ بن خزيمة بن سلامانَ بن أسلم بنِ أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامرِ بن مُزيقيا، ويكنى أبا عليّ. شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجّاءٌ خبيثُ اللسان، لَمْ يسلم عليه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة، أحسنَ إليه أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبيرُ أحد. (١٢٠/٢٠)

(٢٧٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: سمعتُ حُذيفة بن محمد الطائيّ يقول: الدِّعبل: الشيء القديم. قال ابن مهرويه: سمعت أبي يقول: خُتم الشعر بدعبل، قال: وقال أبي: كان أبو محلِّم يقول: خُتم الشعر بعُمارة بن عقيل(١). (١٢٣/٢٠)

(٢٧٦)

السري ونسبه

السريُّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُويم بن ساعدة الأنصاريّ، ولجده عويم بن ساعدة صحبة بالنبيّ(ص). والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمُكثر ولا فحل، إلاّ أنّه كان أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب. وكان هو وعُتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف، وجُبيرُ بن أيمن، وخالدُ بن أبي أيوب الأنصاريّ يتنادمون. قال: وفيهم يقول:

إذا أنت نادمتَ العُتير وذا الندى   جُبيْراً ونازعت الزُّجاجة خالدا
أمنتَ بإذن الله أن تُقرع العصا   وأن يُنْبهوا من نومةِ السُّكْر راقدا

وكان السريّ هذا هجا الأحوص، وهجا نُصيبا؛ فلم يجيباه. (١٩٨/٢٠)

(٢٧٧)

سلمة بن عياش

سلمة بن عياش مولى بني حِسْل بن عامر بن لؤي، شاعرٌ بصريّ من مخضْرميّ الدولتين، وكان يتديّن ويتصون، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابنيْ سليمانَ بن علي بن عبد الله بن عباس، ومدحهما فأكثر وأجاد. (٢٩٤/٢٠)

---

(١) أشرنا فيما مضى إلى أنَّ أمر الخاتمة هذا لا يمكن أن يؤخذ على حقيقته، فهو رأي شخصي بحت، بالإضافة إلى أنّه يشير إلى الإعجاب، والتقديم، ومن هنا رأينا كثرة مَنْ خُتم الشعر بهم.

(٢٧٨)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمدُ بن يزيد النحويّ، قال: حُدِّثت من غير وجه عن سلمة بن عياش أنّه قال: قلت لأبي حيّة النمريّ أهزأ به: ويحك يا أبا حيّة! أتدري ما يقول الناس؟ قال: لا، قلت: يزعمون أنّي أشعر منك، قال: إنّا لله! هلك والله الناس. (٢٠/٢٩٧)

(٢٧٩)

أبو الهندي ونسبه

اسمه غالب بنُ عبد القدُّوس، بن شبث بن رِبْعيّ، وكان شاعراً مطبوعاً وقد أدرك الدولتين: دولة بني أمية، وأول دولة ولد العباس. وكان جزْل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني. وإنّما أخمله ومات ذكره بُعْدُه من بلاد العرب، ومُقامه بسجْستان وبخراسان، وشغفه بالشراب ومعاقرته إياه، وفسْقه وما كان يُتّهم به من فساد الدين. واستفرغ شعره بصفة الخمر، وهو أول مَن وصفها من شعراء الإسلام، فجعل وصفها وكْده وقصْده، ومن مشهور قوله فيها ومختاره:

سقيتُ أبا المطرّح إذ أتاني ... وذو الرُّعَثات منتصبٌ يصيحُ(٢)

شراباً يهربُ الذِّبّان منه ... ويلْثغُ حين يشربه الفصيحُ (٢٠/٣٢٩)

---

(١) لا يريد أبو الفرج بقوله هذا أنّ أبا الهندي هو أول مَنْ وصف الخمر في الإسلام هكذا على الإطلاق، وإلاّ فإنّ كثيرين قبله قد وصفوها مثل النابغة الشيباني، والقطامي، والأخطل، وابن ميّادة، وابن هرمة، وغيرهم، ولكنّه يشير إلى أمر مهم في شعر أبي الهندي، وهو الإكثار في وصفها، والتخصّص فيه، والتوسّع حتى يأخذ الوصف شكل القصيدة الكاملة الخالصة للخمر. ولهذا كلّه عدّه بعض (النقّاد) فاتح باب الخمريات في الشعر العربي. وجعلوا أبا نواس عيالاً عليه، وهو حكم فيه شيء من الإفراط، فأبو الفرج يعرف هذا، ويحفظ آراد أولئك النقّاد في كتابه، ولذلك نراه يجعل أبا الهندي أول مَنْ وصف الخمر في الإسلام من هذه الجهة التي أشرنا إليها سابقاً. وللتوسّع في هذا الموضوع ينظر: شعراء الدولتين، د. حسين عطوان (ص ٣٠٧) وما بعدها حيث يقول مثلاً عن خمريات أبي الهندي أنه «لم يقف فيها عند الانتفاع بتراث الماضين، والاقتصار على معانيهم وصورهم، بل فرّع فيها تفريعات لا تُحصى وأضاف إليها إضافات شتّى .. وابتدع لنفسه أسلوباً متميّزاً، فيه رصانة أساليب الجاهليين والأمويين .. وفيه رقّة أساليب العباسيين وأناقتها». (ص ٣١٦).

(٢) ذو الرُّعثات: الديك، والرُّعَثات: جمع رعثة، وهي عثنون الديك، والعثنون في الأصل: اللحية، ويراد بها هنا اللحمة التي تحت رأس الديك.

(٢٨٠)

سعيد بن وهب

سعيدُ بن وُهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤيّ بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرة، ثم سار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه، وتقدّم عندهم. وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثر شعْره في الغزل والتشبيب بالمذكّر، وكان مشْغوفاً بالغلمان والشراب. ثم تنسك وتاب، وحجّ راجلاً على قدميْه، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل. (٢٠/٢٣٦)

(٢٨١)

رؤبة ونسبه

هو رؤبة بن العجّاج، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة، وهو أبو جُذيْمُ بن مالك بن قُدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، من رُجّاز الإسلام وفصحائهم، والمذكورين المقدّمين منهم، (بدويّ) نزل البصرة، وهو من مُخضْرمي الدولتين. مدح بني أميّة وبني العباس، ومات في أيام المنصور، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهل اللغة، وكانوا يقتدون به، ويحتجُّون بشعره، ويجعلونه إماما؛ ويكنى أبا الجحّاف وأبا العجّاج. (٢٠/٢٤٥)

(٢٨٢)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود، قال: لقيتُ الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي: يا أبا عبد الله دفنّا الشعر واللغةَ والفصاحة اليوم، فقلت: وكيف ذاك؟ قال: هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤبة. (٢٠/٣٥٥)

(٢٨٣)

أبو نُخيلة اسمه لا كنيته، ويكنى أبا الجُنيد، ذكر الأصمعيّ ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب، لا يعرف له اسم غيره، وله كنيتان: أبو الجُنيد وأبو العرماس، وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربيّ، وقيل: بن أُثربي بن ظالم بن مُجاسرِ بنِ حمّاد بن عبد العُزى بن كعبِ بن لؤي بن سعدِ بن زيد مناة بن تميم. وكان عاقا بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام

وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكا في نسبه، مطعوناً عليه، وكان الأغلب عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير. ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم. انقطع إلى بني هاشم. ولقّب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثر. وكان طامعا فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى ويعقد العهد لابنه محمد المهديّ، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل، فطلبه عيسى فهرب منه؛ وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده. (٣٩٠/٢٠)

(٢٨٤)

المُنخَّل (اليشكريّ) ... شاعر مقلّ من شعراء الجاهلية. (١/٢١)

(٢٨٥)

وعبْدةُ بن الطبيب شاعر مُجيد ليس بالمكثر، وهو مُخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن المُقرِّن الذي حاربوا معه الفرس بالمدائن. (٢٥/٢١)

(٢٨٦)

الأغلب ونسبه

هو- فيما ذكر ابن قُتيبة ـ الأغلب بن جشُمَ بن سعد بن عجل بن لُجيْم بن صعب بن عليٍّ بن بكرِ بن وائل. وهو أحد المعمّرين، عُمّر في الجاهلية عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحسن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعدِ بن أبي وقّاص، فنزلها، واستُشهد في وقعةِ بنهاوند، فقبره هناك في قبور الشهداء ويقال: إنه أوّل من رجّز الأراجيز الطّوال من العرب، وإيّاه عنى الحجاج بقوله مفتخراً: إنّي أنا الأغلب أمسى قد نشد

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى، فتأتي منه بأبيات يسيرة، فكان الأغلب أول من قصّد الرجز، ثم سلك الناسُ بعده طريقته. (٢٩/٢١)

(٢٨٧)

البحتري ونسبه

هو الوليد بن عُبَيْد الله بن يحيى بن شمْلال بن جابر بن سلمة بن مُسْهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدْي بن تدول بن بُحتُر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثُعلَ بن عمرو بن الغوث بن جلْهمةَ وهو طيِّئُ بنُ أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجبُ بن يعْرُب بن قحْطان.

ويكنى أبا عبادة، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نقيّ الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، وله تصرّف حسن فاضل نقيٌّ في ضروب الشعر، سوى الهجاء، فإنَّ بضاعته فيه نزْرة، وجيّدُه منه قليل، وكان ابنه أبو الغوث يزعم أنَّ السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لمّا حضره الموتُ دعابه، وقال له: اجمع كلّ شيء قلتُه في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قلتُه في وقت، فشفيتُ به غيظي، وكافأت به قبيحاً فُعِل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن بقي رُوي، وللناس أعقاب يورثونهم العداء والمودّة، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه، قال: فعلمت أنّه قد نصحني وأشفق عليّ، فأحرقته. (٣٧/٢١)

(٢٨٨)

وكان البحتريّ يتشبّه بأبي تمّام في شعره، ويحذو مذهبه، وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحباً وإماما، ويقدّمه على نفسه، ويقول في الفرق بينه وبينه قولَ مُنصف: إنّ جيّد أبي تمّام خيرٌ من جيّده، ووسطه ورديئه خَيْر من وسط أبي تمّام ورديئه، وكذا حكم هو على نفسه. (٣٩/٢١)

(٢٨٩)

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ: قال: حدّثني الحسن بن علي الياقُطانيّ: قال: قلت للبحتريّ: أيهُما أشعر أنتَ أو أبو تمام؟ فقال: جيّده خير من جيّدي، ورديئي خيْر من رديئه. (٣٩/٢١)

(٢٩٠)

حدّثني محمد قال: سمعتُ عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ ـ وقد اجتمعنا في

دار عبد الله بالخلد(١)، وعنده المبرّد في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحتريّ شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله - : أنت واللهِ أشعرُ من أبي تمّام في هذا الشعر، قال: كلاّ والله، إنّ أبا تمام للرئيسُ والأستاذ، واللهِ ما أكلتُ الخبز إلاّ به، فقال له المُبرّد: لله درُّك يا أبا الحسن، فإنّك تأبى إلاّ شرفاً من جميع جوانبك. (٣٩/٢١)

(٢٩١)

حدّثني محمد: قال: حدّثني الحسين بن إسحاق: قال: قلت للبحتريّ: إنّ الناس يزعمون أنّك أشعر من أبي تمام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضرّ أبا تمّام، والله ما أكلت الخبزَ إلاّ به، ولو ودِدْتُ أنّ الأمر كان كما قالوا، ولكنّي والله تابعٌ له آخذٌ منه لائذٌ به، نسيمي يركدُ عند هوائه، وأرْضي تنْخفض عن سمائه. (٤٠/٢١)

(٢٩٢)

كانت عَريب مغنية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر... (٥٤/٢١)

(٢٩٣)

ذكر أبي خراش الهذلي

أبو خراش اسمه خُويلد بن مُرَّة، أحدُ بني قِرْد، واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعْد بن هُذيل بن مُدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلامَ فأسْلم وعاش بعد النبيّ(ص) مدة، ومات في خلافةِ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهشتْه أفعى فمات، وكان ممن يعْدو فيسبِقُ الخيل في غارات قومه وحروبهم. (٢٠٥/٢١)

(٢٩٤)

هو هُدْبةُ بن خشْرم بن كُرْزِ بن أبي حيَّة بن الكاهن - وهو سلمة - بن أسحم بن عامر بن ثعلبة

---

(١) الخُلْد: قصر بناه المنصور ببغداد بعد فراغه من مدينته على شاطئ دجلة في سنة (١٥٩هـ)، وبنيت حواليه منازل كثيرة فصارت محلة كبيرة عُرفت بالخلد، والأصل فيها القصر المذكور. ينظر معجم البلدان (٣٨٢/٢) وذكر ياقوت أن المبرّد كان ينزل هذه المحلّة.

بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذيم؛ وسعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاعة؛ ويقال: بل هو سعد بن أسلم، وهذيم عبدٌ لأبيه رباه، فقيل: سعد بن هذيم، يعني سعداً هذا.

وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز. وكان شاعراً راوية، كان يروي للحُطيئة، والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكثيّر راوية جميل، فلذلك قيل: إنّ آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثيّر. وكان لهدبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حوطٌ وسيْحانُ والواسع، أمهم حيّةُ بنتُ أبي بكر بن أبي حيّة من رهطهم الأدْنين، وكانت شاعرة أيضاً. (٢٥٤/٢١)

(٢٩٥)

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدّثنا محمد بن حبيب، قال: حدّثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة معمرُ بن المثنّى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثلُ حظِّ تميم في الشعر، وأشعر تميمٍ جرير والفرزدق، ومن بني تغلب الأخطلُ. (٢٨٤/٢١)

(٢٩٦)

قال يونس بن حبيب: ما ذُكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفّق المجلسُ على أحدهما، قال: وكان يونس فرزدقياً. (٢٨٤/٢١)

(٢٩٧)

قال أبو الفرج: والفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو جرير والأخطل، ومحلُّه في الشعر أكبر من أن يُنبّه عليه بقول، أو يُدلّ على مكانه بوصف؛ لأنّ الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تقدُّمه بالخبر الشائع علما يُستغْنى به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلّم الناس في هذا قديماً وحديثاً، وتعصّبوا، واحتجّوا بما لا مزيد فيه، واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيِّهم أحقُّ بالتقدم على سائرها، فأمّا قدماء أهل العلم والرواة فلم يسوُّوا بينهما وبين الأخطل؛ لأنّه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولا له مثلُ ما لهما من فنونه، ولا تصرُّفَ كتصرُّفهما في سائره، وزعموا أنّ ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقته بهما، وهم في ذلك طبقتان، أمّا مَن كان يميل إلى جزالة الشعر، وفخامته، وشدّة أسرِه، فيُقدّم الفرزدق، وأمّا مَنْ كان يميل

إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السَّمح السهل الغزلِ فيقدّمُ جريرا. (٣٩٣/٢١)

(٢٩٨)

أخبرنا أبو خليفة: قال حدّثنا محمد بن سلاّم، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ما شهدت مشهداً قط ذُكر فيه الفرزدق وجرير، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام: وكان يونس يقدِّم الفرزدق بغير إفراط، وكان المفضَّل يقدِّمه تقدمة شديدة. قال ابن سلام: وقال ابن دأب، وسئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر خاصةٍ وجرير أشعرُ عامةٍ. (٣٩٤/٢١)

(٢٩٩)

أخبرني الجوهريَ وحبيب المهلّبيَ عن ابن شبَّة، عن العلاء بن الفضل: قال: قال: لي أبو البيداء، يا أبا الهُذيل، أيّهما أشعر؟ أجرير أم الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إليك، ثم قال: ألم تسمعه يقول:

ما حُمِّلت ناقةٌ من معشرٍ رجلاً ... مثلي إذا الريح لفتني على الكُورِ
إلاّ قريشاً فإنَّ الله فضّلها ... مع النبوّة بالإسلام والخير

ويقول جرير:

لا تحسبنَّ مراسَ الحرب إذ لقِحتْ ... شُرْبَ الكسيس وأكلَ الخبز بالصِّير؟(١)

سلح والله أبو حزرة. (٣٩٤/٢١)

(٣٠٠)

صخر بن الجعد ونسبه

صخرُ بن الجعدِ الخُضْريّ، والخُضرُ ولد مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عيْلان بن مُضر، وصخر أحد بني جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: وسُمِّي ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادهم، وكان مالك شديد الأدْمة. وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر، والعرب تسمي الأسودَ الأخْضرَ. وهو شاعر فصيح من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقد كان يعْرِض لابن ميادة لمّا انقضى ما بينه وبين حكمِ الخُضْريَ من المهاجاة. ورام أن

---

(١) الكسيس: شراب يُتّخذ من الشعير والذرة. والصِّير: السمكات المملوحة.

يهاجيه، فترفَّع ابنُ ميَّادة عنه. (٢١/٢٢)

(٣٠١)

مالك ونسبه

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك: أحد بني جعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر بدوي مُقِلّ. (٧٧/٢٢)

(٣٠٢)

عبيد بن الأبرص ونسبه

قال أبو عمرو الشيباني: هو عُبيد بن الأبرص بن حَنْتم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعديّ بن زيد. (٨١/٢٢)

(٣٠٣)

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: عَبيد بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله في كلمته: «أقْفر من أهْلِه ملْحُوبُ» ولا أدري ما بعد ذلك. (٨١/٢٢)

(٣٠٤)

كعبُ بن الأشرف مُختلفٌ في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيّء، وأمه من بني النَّضير، وأنَّ أباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد، وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النَّضير. وكان شاعراً فارساً، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، وهو شاعر من شعراء اليهود فحْل فصيح، وكان عدوا للنبي(ص) يهجوه، ويهجو أصحابه، ويُخذِّل منه العرب، فبعث النبي(ص) نفراً من أصحابه، فقتلوه في داره. (١٣٢/٢٢)

(٣٠٥)

بيهس ونسبه

بيهسُ بن صُهيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غـالب بن عـديّ بن بيـهس بن طَرُود بن قـدامـة بن جـرم بن ربّان بن حُلوان بن عمـران بن الحاف بن قُضاعة. ويكنى أبا المقدام: شاعر فارس شجاع، من شعراء الدولة الأموية، وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جرْم وكلب وعُذْرة، ويحضر إذا حضروا، فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاءٌ حسن.

(١٣٥/٢٢)

(٣٠٦)

الكميت بن معروف ونسبه

هو الكُمـيْتُ بن معروف بن الكميت بن ثعلبة بن رباب بن الأشْتر بن جـحوانَ بن فقـعسٍ بن طريف بن عمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر من شعراء الإسلام بدويٌ، أمُّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة. والكميتُ أحد المُعرقين في الشعر، أبوه معروف شاعر، وأمه سعدة شاعرة، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر، وابنه معروف الكميت شاعر. (١٤٣/٢٢)

(٣٠٧)

يعلى ونسبه

يعلى الأحولُ بن مسلم بن أبي قيس، أحدُ بني يشكر بن عمرو بن رالان - ورالانُ هو يشكر - ويشكر لقب لُقّب به - بن عمران بن عمرو بن عديّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام - هكذا وجدته بخطِّ المبرد - بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. شاعر إسلامي لص من شعراء الدولة الأموية.

(١٤٧/٢٢)

(٣٠٨)

إبراهيم بن المدبِّر

أبو إسحاق إبراهيم بن المُدبِّر شاعرٌ كاتب متقدِّم من وجوه كتَّاب أهل العراق ومتقدِّميهم

وذوي الجاه والمتصرِّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات، وكان المتوكلُ يقدّمه ويؤثره، ويفضِّله. (١٥٧/٢٢)

(٣٠٩)

محبوبة

كانت محبوبة مولَّدة من مولدات البصرة، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها. (٢٠٠/٢٢)

(٣١٠)

عتيبة ونسبه

عُتيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم، لم يقع إليَّ من نسبه غيرُ هذا، وهو شاعر مُقلٌّ غيرُ معدود في الفحول، مُخضرم ممّن أدرك الجاهلية والإسلام هجّاء خبيث اللسان بذيٌّ. (٢٢٧/٢٢)

(٣١١)

المؤمل ونسبه

المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربيّ، من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، شاعر كوفيٌّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكانت شهرته في العباسية أكثر، لأنَّه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم، ويخدمهم من أوليائهم، وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده، وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذَولين، وفي شعره لينٌ، وله طبع صالح. (٢٤٥/٢٢)

(٣١٢)

مالك ونسبه

أبو مالك النَّضر بن أبي النضر التميميّ، هذا أكثر ما وجدتُه من نسبه، وكان مولده ومنشؤه بالبادية. ثم وفد إلى الرشيد، ومدحه، وخدمه فأحمد مذهبه، ولحظتْه عنايةٌ من الفضل بن يحيى، فبلغ ما أحبَّ، وهو صالح الشعر، متوسِّط المذهب، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين، ولا

من المزنوقين. (٢٢/٢٥٢)

(٣١٣)

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. شاعر من شعراء الدولة الأموية بدويٌّ حَضِر وسكن البصرة ثم اكتُتب في الديوان، وضُرب عليه البعث إلى سجستان، فكان بها مدة، وعاد إلى البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك، وأظنُّه قُتل معه، وكان شاعراً، راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجَّاء. (٢٢/٢٦٠)

(٣١٤)

نسب زهير السكب

هو زُهير بن عُروة بن جلّهمة بن حجر بن خزاعى شاعر جاهليٌّ، وإنَّما لُقِّب السُّكب ببيت قاله وقال فيه: برقٌ يُضيء خلالَ البيتِ أسْكوب(١) (٢٢/٢٧٠)

(٣١٥)

النمر بن تولب ونسبه

هو النَّمر بن تولب بن أقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل ـ واسم عكل عوف بن عبد مناف ـ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. شاعر مقلٌّ مخضرم أدركَ الجاهلية، وأسلم، فحسن إسلامه، ووفد إلى النبيِّ(ص)، وكتب له كتابا، فكان في أيدي أهله، وروى عنه (ص) حديثاً سأذكره في موضعه، وكان النمرُ أحد أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم. (٢٢/٢٧٣)

(٣١٦)

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدَّثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجُمْحيَّ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليَّ، عن محمد بن سلاَّم قال: كان النَّمر بن تولب جواداً لا يُليق(٢) شيئاً، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيِّس لحُسن شعره. (٢٢/٢٧٣)

---

(١) أسكوب المطر: يصبّ. (٢) لا يليق: لا يُبقي شيئاً لجوده وسخانه.

(٣١٧)

عبد بني الحسحاس

اسمه سُحيم، وكان عبداً أسودَ نوبيّاً أعجميّاً مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بني أسد، قال أبو أسد، قال أبو عبيدة: الحسحاس بن نُفاثة بن سعيد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة. (٢٢/٣٠٣)

(٣١٨)

مُرّة بن محكان

هُو مُرّة بن محكان ولم يقع إلينا باقي نسبه، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر مُقلٌ إسلاميّ من شُعراء الدُّولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق، فأخملا ذكره، لنباهتهما في الشعر. (٢٢/٣٢١)

(٣١٩)

والعديلُ بن الفرخ شاعر مُقلٌّ من شعراء الدولة الأموية، وكان له ثمانية إخوة، وأمهم جميعاً امرأة من بني شيبان، ومنهم من كان شاعراً فارساً: أسود وسوادة وشملة ـ وقيل سلمة ـ والحارث، وكان يقال لأمهم درماء. (٢٢/٣٢٧)

(٣٢٠)

يادار عمرةَ من محتلّها الجرَعا ... هاجتْ لي الهمَّ والأحزانَ والوجعا(١)
أرى بعيني إذا مالت حمولتهم ... بطن السلَوْطح لا ينظرون من تبعا(٢)
طوراً أراهم وطوراً لا أبيِّنُهم ... إذا ترفّع حِدْجٌ ساعة لمعا

الشعر للقيط الأياديّ ينذر قومه قصد كسرى لهم، وهو لقيطُ بن يعمر، شاعر جاهليّ قديم مُقلّ، وليس يُعرف له شعرٌ غير هذه القصيدة (السابقة) وقطعٍ من الشعر لطاف متفرقة. (٢٢/٣٥٤)

---

(١) الجرَع: الرملة لا تُنبت شيئاً، وهي هنا موضع.

(٢) السلَوْطح: موضع بالجزيرة قريب من البِشر، ينظر معجم البلدان (٣/٢٤٢)، وساق ياقوت هذا البيت.

(٣٢١)

نُصَيْب الأصغر

نُصيب مولى المهديّ: عبدٌ نشأ باليمامة، واشتُرِيَ للمهديّ في حياة المنصور، فلمّا سمع شعره قال: والله ما هو بدون نُصيب مولى بني مروان، فأعتقه، وزوّجه أمةً له يقال لها: جعفرة. وكنّاه أبا الحجْناء، وأقطعه ضيْعةً بالسواد، وعُمِّرَ بعده. (١/٢٣)

(٣٢٢)

أبو شراعة ونسبه

هو ـ فيما كتب به إلينا ابنُه أبو الفيّاض سوّار بن أبي شُراعة من أخباره ونسبه ـ أحمدُ بن محمد بن شُراعة بن ثعلبة بن محمد بن عمير بن أبي نُعيم بن خالد بن عبدة بن مالك بن مُرّة بن عبّاد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل: شاعرٌ بصْريٌ من شعراء الدولة العباسية جيّدُ الشعر جزلُه، ليس برقيق الطبع، ولا سهل اللّفظ، وهو كالبدويّ الشعر في مذهبه، وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخُطب مع شعره، وكانت به لُوثة وهَوَج. (٢٢/٢٣)

(٣٢٣)

ابن البواب

هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق، من أهل بخارى. وُجِّه بجدّه وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف، فنزلوا عنده بواسط، فأقطعهم سكّة بها، فاختطُّوها ونزلوها طولَ أيام بني أمية، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع، فخدموه. وكان عبد الله بن محمد هذا يخلُفُ الفضلَ بن الربيع على حجبة الخلفاء، وكان أبوه محمد بن عتاب يخلُفُ الربيع في أيام أبي جعفر، وكان معه فرآه أبو جعفر مع أبيه، فسأله عنه فأخبره، فكساه قباء خزٍّ، وكساه تحته قباء كتّان مرقوع القبِّ، وقال له: هذا يخْفى تحت ذاك. ذكر لي ذلك أحمد بن القاسم بن يوسف عن محمد بن عبد الله بن محمد البواب عن أبيه، وكان عبد الله صالح الشعر قليله، وراوية لأخبار الخلفاء عالما بأمورهم روى عنه أبو زيد عُمرُ بن شبّه ونظراؤه. (٣٨/٢٣)

(٣٢٤)

أخبرني جحظة والصُّوليّ قالا: حدّثنا ميمون بن هارون: قال: لما مدح محمد بن عبد الملك الحسن بن سهل، ووصله بعشرة آلاف درهم مثّلَ بين يديه وقال له:

لم أمتدحْك رجاء المالِ أطلبُه   لكنْ لتُلبسني التّحجيل والغُررا
وليس ذلك إلا أنّني رجلٌ   لا أطلب الوِرْدَ حتى أعرفَ الصَّدَرا

وكان محمد بن عبد الملك شاعراً مجيداً، لا يقاس به أحد من الكتّاب، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك، فإنّ إبراهيم مقلّ وصاحب قصار ومقطّعات، وكان محمد شاعراً يُطيل فيجيد، ويأتي بالقصار فيجيد، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلّم وإذا كتب. (٤٧/٢٣)

(٣٢٥)

أحمد بن يوسف

هو أحمدُ بن يوسف بن صبيح الكاتب، وأصله من الكوفة، وكان مذهبه الرسائلَ والإنشاء، وله رسائل معروفة، وكان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، ويُكنى أبا جعفر، وكان موسى بن عبدُ الملك غلامه وخرِّيجه، فذكر محمدُ بن داود بن الجراح أنّ أحمد بن سعيد حدّثه عن موسى بن عبد الملك: قال: وهب لي أحمد بن يوسف، ألفي ألف درهم تفاريق عن ظهر يدٍ. وأخوه القاسم بن يوسف أبو محمد شاعر مليح الشعر، وكان ينتمي إلى بني عِجْل، ولم يكن أخوه أحمد يدَّعي ذلك. (١١٨/٢٣)

(٣٢٦)

العطوي

هو محمدُ بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ويكنى أبا عبد الرحمن، بصريُّ المولد والمنشأ. وكان شاعراً كاتباً من شعراء الدولة العباسية، واتصل بأحمد بن أبي دُاود، وتقرّبَ إليه بمذهبه(١) وتقدّمه فيه بقوة جداله عليه، فلما تُوفّيَ أحمد نقصت حاله، وله فيه مدائح يسيرة، ومراثٍ كثيرة. (١٢٣/٢٣)

---

(١) سيأتي ذكر هذا المذهب في النصّ التالي.

(٣٢٧)

وذكر محمد بن داود في كتاب الشعراء، فقال: كان للعطويّ فنٌّ من الشعر لم يُسبق إليه، ذهب فيه إلى مذهب أصحابِ الكلام، ففاق جميعَ نظرائه، وخفَّ شعرهُ على كل لسان، ورُوي، واستعمله الكتَّابُ، واحتذوا معانيه، وجعلوه إماماً(١). (١٢٣/٢٣)

(٣٢٨)

تويت ونسبه

تُويْت لقب، واسمه عبدُ الملك بن عبد العزيز السَّلُولي من أهل اليمامة، لم يقع لي غير هذا وجدتُه بخط أبي العبَّاس بن ثوابة، عن عبد الله بن شبيب من أخبار راوها عنه. وتُويْت أحدُ الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حفْصة ونويهم، ولم يفدِ إلى خليفة، ولا وجدتُ له مديحاً في الأكابر والرؤساء فأخمل ذلك ذكره، وكان شاعراً فصيحاً نشأ باليمامة وتُوفي بها. (١٦٩/٢٣)

(٣٢٩)

ماني الموسوس

هو رجلٌ من أهل مصر، يكنى أبا الحسن واسمه محمد بن القاسم، شاعر ليّن الشعر رقيقه، لم يقل شيئاً إلا في الغزل، وماني لقب غلب عليه، وكان قدم مدينة السلام، ولقيه جماعةٌ من شيوخنا، منهم أبو العباس محمد بن عمَّار وأبو الحسن الأسديّ وغيرهما. (١٨١/٢٣)

(٣٣٠)

بكر بن خارجة

كان بكرُ بن خارجة رجلاً من أهل الكوفة، مولى لبني أسد، وكان ورّاقاً ضيّق العيش،

---

(١) كان العطوي من القائلين بالاعتزال، أخذه في البصرة عن الحسين بن محمد النّجار، وكان يوصف بأنّه أحد المتكلمين المتقدّمين، وق ضمّن آراءه في الاعتزال، شعره وكان مقتدراً على توليد الأفكار واستنباط خبيئاتها، مع فصاحة، وقوة على الإقناع. ينظر طبقات ابن المعتز (ص ٣٩٤)، والعصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف (ص ٤١٨)، وتاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ (٢/٢٠٢).

مقتصراً على التكسب من الوراقة، وصرف أكثر ما يكسبه إلى النبيذ، وكان معاقراً للشُّرب في منازل الخمّارين وحاناتهم، وكان طيّب الشعر مليحاً مطبوعاً طبْعاً ماجناً. (١٨٩/٢٣)

(٢٣١)

العبر ونسبه

هو أبو العباس محمد بنُ أحمد، ويلقب حمدونا الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعر المستوي في أول عمره منذ أيام الأمين وهو غلام، إلى أن ولي المتوكل الخلافة، فترك الجدَّ، وعاد إلى الحُمق والشهرة به، وقد نيِّف على الخمسين، ورأى أنَّ شعره مع توسطه لا يُنفق مع مشاهدته أبا تمام الطائيَّ والبحتريَّ وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم. (١٩٧/٢٣)

(٢٣٢)

مروان بن أبي حفصة الأصغر

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة، ويكنى مروان الأصغر أبا السِّمط، وكان يتشبَّه بجدِّه في شعره، ويمدح المتوكل، ويتقربُ إليه بهجاء آل أبي طالب، فتمكَّن منه وقرب إليه، وكسب معه مالا كثيراً، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنَّب مذهب أبيه في كل أمر، فطرده وحلف ألاَّ يدخل إليه أبداً لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه. (٢٠٦/٢٣)

(٢٣٣)

نسب أمية بن أبي عائذ

أميةُ بن أبي عائذِ العَمْريُّ، أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعْد بن هُذيل. شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعراء الدّولةِ الأمويّة. وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبه في سائر النُسخِ. وكان أميةُ أحد مدّاحي بني مروان؛ وله في عبد الملك وعبد العزيز ابنَيْ مروان قصائدُ مشهورةٌ. (٥/٢٤)

(٢٣٤)

عبد الله بن أبي مَعقِل... شاعر مُقِلّ حجازي من شعراء الدولة الأموية. (١٠/٢٤)

(٢٣٥)

ذكر نسب القطامي

القُطاميّ لقبٌ غَلَب عليه، واسمُه عُمَيْر بن شُيَيم، وكان نصرانياً، وهو شاعر إسلاميٌّ مُقلّ مجيدٌ. (١٧/١٤)

(٢٣٦)

القُحيف ونسبه

القُحيف بن حُمَيِّر، أحد بني قُشير بن مالك بن خفاجة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر مُقِلّ من شعراء الإسلام. (٨٣/٢٤)

(٢٣٧)

المتنخِّل ونسبه

المُتنخِّلُ لقبٌ، واسمه مالكُ بن عُوَيْمر بن عثمان بن سُوَيدِ بن حُبيش، بن خُناعة بن الدِّيلِ بن عاديةَ بن صعصعة بن كعْب بن طابخة بن لِحْيان بن هُذيل بن مُدْركةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار. هذه روايةُ ابن الكلبيّ وأبي عمروٍ. وروى السُّكَّرِيُّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ، وعن ابن حبيب، عن أبي عُبيدة وابن الأعرابيِّ: أنَّ اسمُه مالكُ بن عُوَيْمر بن عثمان بن حُبيشٍ بن عادية ابن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هُذيلٍ، ويكنَّى أبا أثيلة. من شُعراء هُذيلٍ وفُحُولِهم وفُصحائهم. (١٠١/٢٤)

(٢٣٨)

أبو صخر الهذلي ونسبه

هو عبد الله بن سَلْم السَّهميّ، أحد بني مُرمضٍ وهذا أكثرُ ما وجدتُه من نسبه في نسخة السُّكريّ، وهي أتمّ النسخِ ممّا يأثُرُه عن الرياشيّ عن الأصمعيّ، وعن الأثرم عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ. وهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراءِ الدّولةِ الأموية، وكان مُوالياً لبني مرْوان، متعصّباً لهم، وله في عبدِ الملك بن مروان مدائح، وفي أخيه عبد العزيز، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيدٍ. (١١٠/٢٤)

(٣٣٩)

يحيى بن طالب

يحيى بن طالب: شاعرٌ من أهل اليمامة، ثم من بني حنيفة، لم يقعْ إليَّ نسبُه وهو من شُعراء الدَّولةِ العبّاسيَّة مُقلٌّ، وكان فصيحاً شاعراً غزلا فارساً. (١٣٦/٢٤)

(٣٤٠)

عروة بن حزام

هو عُرْوةُ بن حزام بن مُهاصرٍ، أحد بني حزام بن ضبَّة بن عبد بن كبير بن عُذْرة. شاعرٌ إسلاميٌّ، أحدُ المتيَّمينَ الذين قتلهم الهوى، لا يُعْرفُ له شعرٌ إلا في عفْراء بنتِ عمِّه: عقال بن مُهاصر، وتشْبيبه بها. (١٤٥/٢٤)

(٣٤١)

أبو العيال ونسبه

أبو العيال بنُ أبي عنترة، وقال أبوعمرو الشَّيْبانيّ: ابنُ أبي عنبر بالباء ولم أجدع له نسباً يتجاوز هذا في شيء من الرِّوايات، وهو أحد بني خُناعة بن سعد بن هُذيل، وهذا أكثر ما وجدتُه منْ نسبه، شاعرٌ فصيحٌ مقدَّم، من شُعراء هُذيل، مُخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، ثم أسلم فيمنْ أسلم من هذيل، وعُمِّرَ إلى خلافة مُعاوية. (١٩٧/٢٤)

(٣٤٢)

نسب الراعي

هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل بن قَطَن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة .. بن مضر.

ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه، لكثرة وصفه الإبل، وجودة نعته إيّاها.

وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدَّماً مفضَّلاً حتى اعترض بين جرير والفرزدق، فاستكفَّه جرير فأبى أن يكفُّ، فهجاه ففضحه. (٢٠٥/٢٤)

(٣٤٣)

عمار نو كبار ونسبه

هو عمّار بن عمْرو بن عبدِ الأكبر يُلقَّب ذا كُبار، همْدانيٌّ صليبة، كُوفيّ، وجدتُ ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحزنْبل. وكان ليِّن الشِّعر ماجناً خميِّراً مُعاقراً للشراب، وقد حُدَّ فيه مرات، وكان يقول شعراً ظريفاً يُضحك من أكثره، شديد التَّهافُت جَمُّ السخف، وله أشياء صالحةٌ، وكان هو وحمّاد الراوية ومُطيعُ بن أياس يتنادمون ويجْتمعونَ على شأنهم لا يفترقُون، وكلهم كان مُتَّهماً بالزَّنْدقة. وعمَّار ممَّن نشأ في دولة بني أميَّة، ولم أسمع له بخبر في الدُّولة العباسية، ولا كان مع شهْوة النَّاس لشعره واستطابتهم إياه ينْتجع أحداً ولا يبْرح الكوفة لعشاء بصره وضعْف نظره. (٢٤/ ٢٢٠)

(٣٤٤)

عبد الله بن مصعب ونسبه

عبدُ الله بن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير بن العوّام بن خُويْلد ابن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعْب بن لُؤيّ بن غالب، شاعرٌ فصيحٌ خطيبٌ ذو عارضة وبيان واعتبار بين الرجال وكلامٍ في المحافل، وقد نادم أوائل الخلفاء من بني العبّاس، وتولّى لهم أعمالا، وكان خرج مع محمد بن عبد الله الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير، فلمَّا قُتل محمد استتر عنه وقيل: بل كان استتارُه مُدَّة يسيرة إلى أن حجَّ أبو جعفر المنصور وأمن النَّاسَ جميعاً فظهر. (٢٤/ ٢٣٧)

(٣٤٥)

عمارة ونسبه

عُمارةُ هو ابنُ عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى، ويُكنى عُمارة أبا عقيل، شاعرٌ مُقدَّم فصيح، وكان يسكن بادية البصْرة، يزور الخلفاء في الدولة العباسيّة فيجزلون صلته، ويمدح قُوَّادهم وكُتَّابهم فيحْظى منهم بكل فائدة، وكان النَّحويُّون بالبصرة يأخذون عنه اللُّغة. (٢٤/ ٢٤٥)

السرقات والانتحال

تعالج النصوص في هذا الموضع قضيتين مهمّتين من قضايا النقد، وهما السرقات، والانتحال، وقد آثرنا وضعهما في مكان واحد، وذلك لاهتمامهما بموضوع يكاد يكون متقارباً، وانشغالهما بأمر الشعر حين لا يسير الوجهة الصحيحة، أو يداخله الاضطراب، والاتكاء على الغير.

وقد شغلت هاتان القضيّتان النقد العربي، بل الأدب العربي لأزمان متلاحقة. فنرى النقّاد المتخصّصين وغير المتخصّصين يولون السرقات اهتماماً واضحاً، وتحتلّ في كتبهم مكاناً رَحْباً، وتُفرد كتب برأسها لتعالجَ مباحثها. كما تكثر مصطلحاتها كثرةً لافتة للنَّظر، ولعلَّ ارتباطها بتعيين المبدع الأول للمعنى، وتداول المعنى بعد هذا بصيغ شتّى كانتا من أهمّ أسباب هذا الاهتمام.

وقد أريق مداد كثير في الكتابة عن القضية الثانية، الانتحال، قديماً وحديثاً، فمنذ إشارة ابن سلاّم إلى أنّ في الشعر موضوعاً مفتعلاً، ونقده الشديد لابن إسحاق، فمنذ هذه الإشارة، وحتى كتاب الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي، والرّدود الكثيرة عليه، بدأت هذه القضية تأخذ أبعاداً مختلفة، ويعالجها دارسون مختلفو المشارب. ويصطنعون من الوسائل للحديث عنها، ويعتمدون على مقاييس متباينة لإثبات الانتحال في شعر ما، أو نفيه عن شعر آخر، وهذا يدلّ على أهمّيتها، وتجدُّدها في فترات زمنية متعاقبة.

قدّمت النصوص المتعلّقة بالسرقات جملةً من المحاور أمكن حصرها تحت أربعة أمور، ونرى من الضروري الوقوف عندها بشكل مفصّل. وأوّل هذه الأمور هو الوقفات الكثيرة عند المعاني المسروقة، فمنذ العصر الإسلامي تقابلنا نماذج من السرقات، وتغزر هذه النماذج في العصر الأموي، ونرى الشعراء يتّهم بعضهم بعضاً بسرقة شعرهم، أو الإشارة إلى سرقة شعر الآخرين، حتّى يشيع مضمون مقولة الفرزدق: خير السرقة ما لا يوجب فيه القطع، أو مقولة الأخطل: نحن الشعراء أسرقُ من الصاغة، وهما يشيران بذلك إلى السرقة الخفيّة التي لا تُدرك، وسيكون لها صدى واسع في كتب النقّاد المتخصّصين فيما بعد، وتستمرّ هذه الوقفات في العصر العباسي، ويصبح الحديث عن السرقات من مستلزمات المهتمين بالأدب عامة، والنقد خاصة. بعد اتّساع التراث الشعري، والثقافي للشاعر العباسي الذي يتكئ عليه، ويصير اكتشاف السرقة أمراً

عسيراً، لا يناله إلاّ الخبير المدرَّب.

وثاني هذه الأمور هو المصطلحات التي استخدمها (النقّاد) في تعيينهم للسرقات، فلم يكتفوا بالفعْلِ (سَرَقَ) ومشتقّاته، أو الأخْذ، بل نراهم يوظِّفون مصطلحات كثيرة، وهي ذات مدلولات محدَّدة، مستقرّة نجدها في كتب النقد المتخصِّصة، مثل: الاصطراف ـ الاسترفاد ـ الإغارة ـ الاستعارة ـ السلخ ـ المصالتة، وغيرها، وقد بيّنا معنى هذه المفردات الاصطلاحي في مواضعها من النصوص، إنَّ هذا الاستخدام الدقيق لهذه المصطلحات يشير إلى اطّلاع أولئك (النقّاد) على مسيرة النقد العربي اطّلاعاً كافياً، ومشاركتهم في الحقل النقدي بالأدوات المعترف بها، ووقوفهم إلى جانب النّقاد المتخصّصين في إرساء دعائم هذه المصطلحات، وتثبيت مدلولاتها المحدّدة، فإذا علمنا أنَّ بعض هذه المصطلحات قد استُخدِم في العصر الأموي، أدركنا الجذور الحقيقية لها، ونموّها في تربتها الصالحة، واعتمادها على ما حولها في تحديد مدولاتها.

أمّا الثالث من هذه الأمور فهو انتشار بعض الملاحظات الجزئية في النصوص سنجد لها تأييداً واسعاً في كتب النقد المتخصّصة التي تناولت قضية السرقات، مثال ذلك استحسان فعل الشاعر الذي يأخذ معنى ما فيضيف إليه، أو يوضحه، أو يشققُه، فيعدّ بعد ذلك أحقَّ بهذا المعنى من صاحبه الأول، وفي المقابل نرى نصوصاً أخرى تتوّجه باللوم، والتأنيب إلى الشاعر الذي يأخذ المعنى فيفشل في تجويده، فيبقيه على حاله، أو يحاول الإضافة فيخفق، عند ذاك يقع في المحذورَيْن: السرقة، وإفساد المعنى، وهذا من صفات السرقة الرديئة التي لا يقوم بها إلاّ الضُعاف من الشعراء.

وآخر هذه الأمور هو تلك الإشارات المتكرّرة إلى أنَّ السرقة لا تكون من الشعر وحده، بل نرى الباب مفتوحاً أمام الشاعر كي يستفيد من التراث الثقافي كلّه، فهناك نصوص تتحدّث عن سرقات من التوراة، وخطب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكلام أرسطو، ورسائل المشهورين من الكُتّاب، وغير هذا، ومن الملاحظ أنَّ تعيينَ هذا النوع من السرقات بدأ منذ وقت مبكِّر ممّا يدلّ على أنَّ أولئك (النقّاد) كانوا مواكبين للحركة الثقافية في عصرهم، وقبل عصرهم، واستطاعوا ردَّ بعض الشعر إلى مصادره الأصلية في المنبع النثري بمفهومه العام الواسع. وقد أولتْ كتب النقد المتخصصة هذه الإشارات اهتمامها، وتحدثت فيما بعد عن (نظم النثر)، وأرستْ له قواعد، وقسّمته أقساماً، وفصلّت الحديث عن أركانه، وهذا يومئ إلى الارتباط الوثيق بين هذه النصوص من جهة، ومباحث المتخصّصين من النقّاد من جهة أخرى، فهي ما تفتأ تعتمد عليها، وتستفيد منها، وتبني على أساسها.

ورأينا النّصوص في قضية الانتحال تحكم على كثير من الشعر بأنّه مصنوع، وتترك هذا الحكم بلا تعليل تارة، وتقدّم تعليلاً تارة أخرى، ولعلّ هذا هو الجانب المهمّ في هذه القضية، وقد بُنيت هذه التعليلات على أسس واضحة مثل تضعيف الرواة المعروفين بالانتحال والتزيُّد مثل حمّاد الراوية، وابن الكلبي، فهذان دأبا على صنع بعض الشعر، ونحله شعراء آخرين، أو التزيّد في الأشعار، وهو يسبّب ارتباكاً، وخَلْطاً شديدين في نسبة شعر ما إلى صاحبه، أو التأكّد من هذه النسبة، وسنرى توسيعاً كبيراً لهذا الجانب في القضية المقبلة، ومن هذه الأسس ما يلاحظه صاحب النصّ من تضمُّن الشعر أسماء أعلام، أو أماكن، لا يرى عند ورودها شيئاً معقولاً، أو مستساغاً فيحكم عليه بأنّه مصنوع، أو يلاحظ وجود تفاوت تاريخي بين حياة الشاعر، وعصره، وما ورد في الشعر المنسوب إليه من حوادث، أو أعلام بعد عصره بكثير، فهذا أدعى إلى الحكم عليه بالافتعال، ومن هذه الأسس أيضاً، ولعلّه من أهمّها إجراء موازنة بين شعر الشاعر الصحيح النسبة إليه، وبين شعر آخر يُنسب إليه وتكون نتيجة هذه الموازنة اختلاف الأسلوبين، أو هبوط الشعر المشكوك فيه عن مستواه الفنيّ المعهود في الشاعر، عند ذاك يحكم على هذا الشعر بالانتحال بسبب عدم التشابه بين النمطين، أو الطرازين، وهذا من أدقّ أنواع هذا المنهج، وألصقها بروح النقد، لأنّها تستنبط أحكاما من داخل النصوص بعد المعايشة، والمدارسة، والفَهْم الدقيق لأسلوب الشاعر، وطريقته في القول.

وقد رأينا أبا الفرج في هاتين القضيتين دائب الحركة، جمُّ النشاط، ذا شخصية واضحة، يبدي رأيه فيهما، ويوازن بين الآراء، ويرجّح رأياً على آخر، ويستفيد من ثقافته الواسعة، وسعة اطّلاعه على الشعر القديم، والمحدث، وكثيراً ما كان يسارع إلى التعليق على النصّ الذي ينقله إذا ما رأى شكّاً في النسبة، أو تردّداً في تعيين السرقة من صاحب النصّ، ولعلّ هذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً منذ القضية الأولى من أنّ شخصية أبي الفرج النقدية ستزداد بزوغاً كلّما أوغلنا في صميم القضايا النقدية، ممّا يشير إلى تمرّس واضح بالنقد، ومدارسة عميقة لقضاياه، ومسائله.

العصر الجاهلي

(١)

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحلُ للأعشى:

ونحن قهرنا تغلبَ ابنةَ وائلٍ   بقتل كُليبٍ إذ طغى وتخيّلا
أبأناه بالناب التي شقّ ضرْعها   فأصبح موْطُوءَ الحمى مُتذلِّلا[١]   (٥/٣٨)

(١) أباء القاتلَ بالقتيل: قتله به.

العصر الإسلامي

(١)

... وأمَّا خبر النابغة الجعديّ مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال مسلمة بن محارب: دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال: أستودعك الله يا أمير المؤمنين، قال: وأين تريد يا أبا ليلى؟ قال: ألْحقُ بإبلي فأشربُ من ألبانها فإنِّي مُنكر لنفسي؛ فقال: أتعرُّباً(١) بعد الهجرة يا أبا ليلى! أما علمتَ أنَّ ذلك مكروه؟! قال: ما علمتُه، وما كنت لأخرج حتى أعلمك، قال: فأذن له، وأجَّل له في ذلك أجلا؛ فدخل على الحسن والحسين ابني عليّ فودَّعهما؛ فقالا له: أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى؛ فأنشدهما:

الحمدُ لله لا شريكَ لـهُ   من لم يُقلْها فنفسَه ظلما

فقالا: يا أبا ليلى، ما كنَّا نروي هذا الشعر إلا لأميّة بن أبي الصلْت؛ فقال: يابنيْ رسول الله (ص) إني لصاحبُ هذا الشعر وأوّل من قاله، وإنَّ السرُّوق لمن سرق شعر أمية. (٩/٥)

(٢)

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزُّهْريّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدِّيق: أنَّ عائشة حدّثتْها أنَّ عمر أذن لأزواج النبيّ(ص) أن يحجُجْنَ في آخر حِجَّةٍ حجَّها عمر. قال: فلما ارتحل عمر من المحصَّب أقبل رجل متلثّم فقال وأنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عقيرته يتغنّى:

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ   يدُ الله في ذاك الأديم الممزّقِ

فمَن يَجْرِ أو يركبْ جناحيْ نعامة   ليدرك ما قدَّمتَ بالأمس يُسْبقِ

---

(١) يقال: تعرّب الرجل: صار أعرابياً بعد أن كان عربياً. وفي الحديث: ثلاث من الكبائر: منها التعرّب بعد الهجرة، وهو أن يعود إلى البادية، ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً.

قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها بوائقَ في أكمامها لم تفتَّقِ

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلموا لي علم هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخه أحداً. قالت عائشة: فوالله إنّي لأحسبه من الجنّ، فلما قُتل عمر نحل الناسُ هذه الأبيات للشمّاخ بن ضرار أو جمّاع بن ضرار، هكذا في الخبر، وهو جَزْء بن ضرار. (١٥٩/٩)

العصر الأموي

(١)

قال يحيى بن عليّ في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود الفزاريّ: إنّ ابن ميّادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمّه في العجم:

ألَيس غلامٌ بين كسرى وظالم بأكرم مَن نيطت عليه التمائمُ(١)

لو أنّ جميع الناس كانوا بتلْعةٍ وجئتُ بجدّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ(٢)

لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجمِ

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال: كان ابن ميّادة واقفا في الموْسم يُنشد: لو أنّ جميع الناس كانوا بتلْعةٍ

وذكر تمام البيت والذي بعده. قال: والفرزدق واقف عليه في جماعة وهو متلثّم، فلمّا سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال: أنت يابن أبْردَ صاحب هذه الصفة! كذبتَ والله وكذب من سمع ذلك منك فلم يُكذّبك! فأقبل عليه فقال: فمَهْ يا أبا فراس؛ فقال: أنا والله أوْلى بهما منك، ثم أقبل على راويته فقال: اضممهما إليك:

لو أنّ جميع الناس كانوا بتلْعةٍ وجئت بجدّي دارمٍ وابن دارمِ

لظلّت رقابُ الناس خاضعة لنا سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

قال: فأطرق ابن ميّادة فما أجابه بحرف، ومضى الفرزدق فانتحلهما. (٢٦٦/٢)

(٢)

وأخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شدّاد بن عُقبة عن

---

(١) الإقواء ظاهر في هذا البيت.

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض وأشرف، أو ما انهبط منها وانحدر، فهو من الأضداد.

عبد السلام بن القتّال قال: عارضني ابن ميّادة فقال: أنشدني يابن القتّال، فأنشدتُه:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً ... بصحراء ما بين التّنوفة والرمْلِ(١)

وهل أزجُرنْ العيس شاكيةَ الوجى ... كما عسل السُّرحانُ بالبلد المحْلِ(٢)

وهل أسمعَنْ الدهرَ صوتَ حمامةٍ ... تُغنّي حماماتٍ على فننٍ جثْلِ(٣)

وهل أشربَن الدهرَ مُزْنَ سحابةٍ ... على ثمدِ الأفعاة حاضرُه أهلي(٤)

بلادٌ بها نيطتْ عَلَيَّ تمائمي ... وقُطّعنَ عنّي حين أدركني عقْلي

قال: فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد اصطرفه(٥) ابن ميّادة وحده. (٢/٣١١)

(٣)

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن مرْوان بن أبي حفْصة، وأخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرم عن مروان بن أبي حفْصة قال: دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثّقفي والحسين بن مُطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليدَ بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعر؛ فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: حمّاد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت: ما كلام هذا في مجلس

---

(١) التّنوفة: المفازة، وقيل الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس، وإن كانت معشبة.

(٢) الوجى: الحفا، وقيل شدّته. وعسل: مضى مسرعاً، واضطرب في عدوه وَهَزَّ رأسه، والسُّرحان: الذئب.

(٣) الفنن: الغصن، والجثل: الضخم الكثير الورق.

(٤) المُزن: جمع مزنة، وهي المطرة، وتقال على السحابة البيضاء، أو السحابة ذات الماء، والثّمَد: الماء القليل، والأفعاة: الموجود في أسماء الأماكن (أفعى) وهي هضبة لبني كلاب، وقيل إنّها ماءة في ناحية هضب الوراق لبني الطماح من بني أسد.

(٥) جاء في هامش الأغاني رقم (٨): «... ولم نجد لاصطرف في هذا الموضع معنى مناسباً .. ولعلّ أصله استطرفه أي عدّه طريفاً أو اختاره»، والاصطراف من مصطلحات السرقات الشعرية وهو: «صرْف الشاعر إلى أبياته، وقصيدته بيتاً، أو بيتين أو ثلاثة لغيره فيضيفها إلى نفسه، ويصرفها عن قائلها »، ينظر حلية المحاضرة، للحاتمي (٢/٦١)، ويعرّفه ابن رشيق بقوله: «هو أن يُعجب الشاعر ببيت من الشِّعر، فيصرفه إلى نفسه»، ينظر العمدة، طبعة قرقزان (٢/١٣٠٩)، وجعله ابن رشيق على نوعين هما: الاجتلاب، والانتحال، وفصّل الحديث عنهما.

أمير المؤمنين وهو لُحَنة لحّنة؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال: يابن أخي، إنّي رجل أكلّم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عنّي الشعر كُلُّه إلا شعر ابن مُقْبل؛ فقلت له: نعم، شعر ابن مُقبل؛ قال: أنشدْ، فأنشدتُه قوله:

سل الدار من جنْبيْ حبِرٍ فواهبٍ　　　إذا ما رأى هضْبَ القليب المُضيَّحُ(١)

ثم جُزْتُ؛ فقال لي: قف فوقفت؛ فقال لي: ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول! فقال لي حماد: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا. (٦/٧١)

(٤)

حدّثني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني الكُرانيّ محمد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو بن الوليد بن هشام عن أبيه قال: أنشدني الفرزدق وحمادٌ الراوية حاضر:

وكنتَ كذئب السَّوْء لَمّا رأى دماً　　　بصاحبه يومـاً أحال على الدمِ(٢)

فقال له حماد: أنت تقوله؟ قال: نعم؛ قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن؛ قال: ومَن يعلم هذا غيرُك! أفأردت أن أتركه وقد نحلنيه الناسُ ورووْه لي لأنّك تعلمه وحدك ويجهله الناسُ جيمعاً غيرك!. (٦/٧٣)

(٥)

قال صالح: وأنشد حمّاد الراوية بلال بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعريّ يقول فيها:

جـمعْتَ من عامرٍ فـيهـا ومن جُشم　　　ومن تميم ومـن حـاء ومـن حـام(٣)

مُسْـتحقبات رواياها جحافلها　　　يسـمو بها أشْعريٌّ طرْفُه سامي(٤)

فقال له بلال: قد علمتُ أنّ هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الحطيئة، وإلاّ فهل كان يجوز أن

---

(١) حبِّر: جبل لبني سلُيم، وكذلك واهب، وهضب القليب: ماء لبني قنفذ من بني سلُيم، والمضيّح: ماء لبني البكاء.

(٢) أحال على الدم: أقبل عليه.

(٣) فيه: الضمير يعود على الجحفل في البيت الذي قبله، وحاء: حيٌّ من مذحج، وحام: خثعم.

(٤) مستحقبات: من استحقب الشيء إذا احتمله من خلف، والروايا: الإبل التي تحمل أزوادهم وأثقالهم، وجحافلها: جمع جحفلة، وهي من الخيل والحمير والبغال بمنزلة الشفة للإنسان، والمعنى أنّ الخيل تجنب إلى الروايا فتضع جحافلها على أعجاز الإبل.

يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دعها تذهب في الناس وسيِّرها حتى تشتهر، ووصله. (٨٨/٦)

(٦)

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمي عُبيد الله قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني صالح بن سليمان قال: قدم حمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرة، وعند بلال ذو الرُّمَّة، فأنشده حمادٌ شعراً مدحه به؛ فقال بلال لذي الرُّمَّة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيّداً وليس له؛ قال: فمَن يقوله؟ قال: لا أدري إلا أنّه لم يقله؛ فلما قضى بلالٌ حوائجَ حماد وأجازه، قال له: إنّ لي إليكَ حاجةً؛ قال: هي مقضيةٌ؛ قال: أنت قلت ذلك الشعر؟ قال: لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال: بعضُ شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري؛ قال: فمن أين علم ذو الرّمة أنّه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام(١). (٨٨/٦)

(٧)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال حدّثني أبو عُبيدة قال حدّثني يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمّاح بن حكيم عن أبيه عن جدِّه الطِّرِمّاح قال: أنشدتُ حمّادا الراوية في مسجد الكوفة - وكان أذكى الناس وأحفظهم - قولي: بانَ الخليطُ بسُحْرةٍ فتبدّدُوا

وهي ستون بيتاً، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليَّ فقال: أهذه لك؟ قلت: نعم؛ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردَّها عليَّ كلّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته؛ فقلت له: ويْحك! إنّ هذا الشعر قلتُه منذ أيام ما اطلعَ عليه أحد؛ قال: قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعليّ وعليّ؛ فقلتُ: لله على حجّة حافياً راجلاً إن جالستُك بعد هذا أبداً؛ فأخذ

(١) كأنّ حمّاداً يومئ إلى ما تولّد في نفس ذي الرّمّة من خبرة، لطول مدارسته الشعر، وممارسته له، وقد ساعدته هذه الخبرة على التمييز بين الشعرين لاختلاف الأذواق، والمضامين بين شعر الجاهلية، وشعر الإسلام، ومن المفيد أن نورد رأي القاضي الجرجاني في السَّرق، فهو داخل في هذا المضمار الذي نتحدّث عنه حيث قال: « . والسَّرَق لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعالم المبرِّز. وليس كلّ مَنْ تعرّض له أدركه، ولا كلُّ مَنْ أدركه استوفاه، واستكمله، ولست تعد من جهابذة الكلام ونقّاد الشعر حتى تميِّز بين أصنافه. وأقسامه، وتحيط علماً برُتبه ومنازله»، ينظر الوساطة (ص ١٨٣)، فكأنّ المدخل الوحيد لهذا الفنّ هو العلم، والمدارسة، وهو ما تحقّق لذي الرّمّة في ذلك الوقت المبكّر.

قبضةً من حصى المسجد وقال: لله عليَّ بكل حصاة من هذا الحصى مائةُ حجَّة إن كنتُ أبالي؛ فقلت: أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفت. (٩٤/٦)

(٨)

فكتب الوليد بن يزيد ـ ويقال: بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى(١) ونحله إيّاه ـ

يأيّها السائلُ عن ديننا نحن على دين أبي شاكرِ(٢)
نشربُها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاترِ (٣/٧)

(٩)

أخبرني عمّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال قال الأصمعيّ وذكر جريراً فقال: كان ينْهشُه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان ينْفحه(٣) فيرمي به، وثبتَ له الفرزدقُ والأخطل. وقال جرير: والله ما يهجوني الأخطل وحده وإنّه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيز ليس بدون الأخطل، وذلك أنّه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل هو القصيدة بعد أن يُتمّوها. (٨/٨)

(١٠)

حدّثني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال حدّثني عُمارة بن عُقيل عن المُغيرة بن حَجْناء عن أبيه قال: قال: وأوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه:

فرُدِّي جمالَ البيْن ثم تحمّلي فما لك فيهم من مُقامٍ ولا ليا
لقد قادني الجيرانُ يوماً وقُدْتُهم وفارقتُ حتّى ما تَصُبُّ جماليا(٤)
وإنّي لمغرورٌ أعلَّلُ بالمُنى ليالي أرجو أنَّ مالك ماليا
بأيِّ سنانٍ تطْعُنُ القرْم بعدما نزعْتَ سناناً من قناتك ماضيا
بأيِّ نجادٍ تحمل السيفَ بعدما قطعتَ القُوى من محْملٍ كان باقيا

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه؛ لأنَّ جريراً لم يكن

---

(١) عبد الصمَد بن عبد الأعلى: هو مؤدّب الوليد بن يزيد. (٢) أبو شاكر: كنية مسلمة بن هشام.
(٣) ينفحه: يضربه ضربة خفيفة بالسيف. (٤) يقال: صبٌ في الوادي إذا انحدر.

شعرُه شهر حينئذ. فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤذِن له مع الشعراء، فأمر يزيدُ ألاّ يدخلَ عليه شاعر إلاّ مَن عرف شعره؛ فقال جرير: قولوا له: أنا القائل:

فردّي جمالَ الحيِّ ثم تحمّلي فما لك فيهم من مُقامٍ ولا ليا

فأمر بإدخاله. فلمّا أنشده قال يزيد: لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلاّ أنّي قائلها، وأمر له بجائزة وكُسْوة. (٨/٤٩)

(١١)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدْنانَ قال حدّثني أبو صخْر من ولد حجْناءَ بن نُوح بن جرير قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه قال: أتى هشامُ بن قيس المرئيّ أبي (يعني جريراً) فاسترفده(١) على ذي الرّمة، وقد كانا تهاجياً دهراً، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أهل قرية لبني امرئ القيس فلم يُدْخلوا رحله، فذمّهم في القرى، ومدح بيهساً صاحب ذات غسل ـ وهو مرئيّ. وذات غِسْل: قرية له ـ فقال ذو الرُّمّة:

ولمّا وردْنا مَرْأةَ اللُّؤم أغلقتْ دساكرُ لم تُفْتَحْ لخيرٍ ظلالُها

ولو عُرّيتْ أصلابُها عند بيْهسٍ على ذات غِسْلٍ لم تشمّس رحالُها(٢)

إذا ما امرؤ القيس ابنُ لؤمٍ تطعّمتْ بكأس الندامى خبّثتها سبالُها

فقال جرير للمرئيّ: قل له:

غضبتَ لرحْلٍ من عديٍّ مُشمَّسٍ وفي أيِّ يومٍ لم تُشمَّس رحالُها

وذكر الأبيات. قال: فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له: تعصّبت للمرئيّ وأنا خالك!. وقال: حين قلتُ ماذا؟ قال: حين قلت له أن يقول لي: عجبتَ لرحْلٍ من عديٍّ مشمّسٍ

فقال له جرير: لا! بل ألهاك البكاءُ في دارميّةَ حتى أبيحت محارمُك. قال: وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر إليه ويحلف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمرئيّ:

---

(١) الاسترفاد: من مصطلحات السرقات الشعرية، وهو من الرِّفْد أي العطاء والصلة، والاسترفاد: الاستعانة، ويراد به مصطلحاً «أن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له». ينظر العمدة (١٠٤٦/٢)، طبعة قرقزان، وقد ساق ابن رشيق هذا الخبر.

(٢) الأصلاب: جمع صلب وهو عَظْم من لدن للكاهل أى العجب، يريد: لو وضعت رحالها عن ظهورها عند بيهس لأكرمها ولم يتركها

يعُـدُّ الناسـبون إلى تميم بيوتَ المجدِ أربعةً كبارا
يعُـدُّون الرِّباب وآلَ سعْدٍ وعمْراً ثم حنْظلة الخيارا
ويهلِكُ بينها المرئيُّ لغْواً كما ألغيتَ في الدِّيَةِ الحوارا(١)

فقال ذو الرّمة قصيدته التي أوّلها:

نبتْ عيناك عن طللٍ بحُزْوَى عفتْه الريحُ وامتُنِحَ القطارا(٢)

وألحقَ فيها هذه الأبياتَ. فلما أنشدها وسمعها المرئيّ جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بويْله وحَرَبه ويقول: مالي ولجرير! فقيل له: وأين جريرٌ منك! هذا رجل يُهاجيك وتُهاجيه! فقال: هيهات! لا والله ما يُحْسِن ذو الرُّمّة أن يقول:

ويذهب بينها المرئيُّ لغْواً كما ألغيتَ في الدِّيَة الحِوارا

هذا والله كلام جرير ما تعدّاه قطّ.

قال: ومرُّ الفرزدق بذي الرُّمّة و يُنشد هذه القصيدة؛ فلما أنشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أعِدْ يا غيْلان، فأعاد؛ فقال له: أأنت تقول هذا؟ قال: نعم يا أبا فراس. قال: كذب فُوكَ! والله لقد نحلكها أشدُّ لحيينِ(٣) منك، هذا شعر ابن الأتان. قال: وجاء المرئيُّون إلى جرير فقالوا: يا أبا حزْرة، قد استعلى علينا ذو الرُّمة، فأعنّا على عادتك الجميلة، فقال: هيهات! قد والله ظلمتُ خالي لكم مرّةً وجاءني فاعتذر وحلف، وما كنتُ لأعينكم عليه بعدها . قال: ومات ذو الرُّمّة في تلك الأيام. (٥٧/٨)

(١٢)

قال ابن سلاّم وحدّثني الرازيّ عن حَجْناء بن جرير قال: قلتُ لأبي: يا أبت، ما هجوت قوماً قطُّ إلاّ فضحتهم إلاّ التَّيْمَ. فقال: يا بُنيّ، لم أجد بناءً أهْدِمُه ولا شرفاً أضعُه. وكانت تيْمٌ رعاء غنم يغْدون في غنمهم ثم يرُوحون، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ابنُ لجأ. فقيل لجرير: ما صنعتَ في التَّيْم شيئاً؛ فقال: إنهم شعراءُ لئامٌ. (٨٧/٨)

---

(١) الحوار: ولد الناقة، وقيل: هو الفصيل أول ما ينتج. يريد أنّ المرئي لا يؤبه له كما لا يؤبه لولد الناقة إذا تبع أمّه، وقد سبقت في دية القتيل.

(٢) حُزْوَى: موضع في ديار بني تميم.

(٣) اللَّحيان: الفكّان.

(١٣)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدّثني أبو جناح أحد بني كعب بن عمرو بن تميم قال: نُعي الفرزدقُ إلى المهاجر بن عبد الله وجريرٌ عنده فقال:

مات الفرزدقُ بعد ما جدّعتُه   ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر: بئس لعمرُ الله ما قلتَ في ابن عمك! أتهجو ميّتاً! أما والله لو رثيتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرها. فقال: إن رأى الأمير أن يكتُمها عليّ فإنها سوْءة؛ ثم قال من وقته:

فلا وضعتْ بعد الفرزدق حامل   ولا ذات بعْلٍ من نفاسٍ تعلّتِ(١)

هو الوافدُ الميمونُ والراتقُ الثأى   إذا النعل يوماً بالعشيرة زلّتِ(٢)

قال: ثم بكى ثم قال: أما والله إنّي لأعلم أنّي قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمُنا واحدا، وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلّما مات ضدٌّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتا أخَر، ولم يقل غيرهما وإنّما أضيف إلى ما قاله. (٨٨/٨)

(١٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شهاب عن طلْحة بن عبد الله بن عوْف قال: لقي الفرزدقُ كثيِّرا بقارعة البلاط(٣) وأنا وهو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، أنت أنْسبُ العرب حين تقول:

أريد لأنْسى ذكرها فكأنّما   تمثّلُ لي ليْلى بكلِّ سبيل

يُعرِّض له بسرقته من جميل. فقال له كثيِّر: وأنت يا أبا فراس أفخرُ الناس حين تقول:

ترى الناس ما سرِنْا يسيرون خلْفنا   وإن نحن أوْمأنا إلى الناس وقَفُوا

قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرقه الفرزدقُ. (٩٦/٨)

---

(١) تعلت المرأة في نفاسها: برئت منه وخرجت.

(٢) الثأي: الفتق والفساد.

(٣) البلاط: موضع معروف بالمدينة.

(١٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمي قال: مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

وكذاك الزمان يذهب بالنا س وتبقى الديارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوصُ مثلك! قلتَ قصيدة مدحتُ فيها الأمير فسرقت أجود بيت فيها وجعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، ولا البيت لي ولا لك هو للبيد سرقناه جميعاً منه، إنّما ذكر لبيد قومه فقال:

فعفا آخرُ الزمان عليهم فعلى آخر الزمان الدّبارُ(١)

وكذا الزمان يذهب بالنا س وتبقى الرسوم والآثارُ

قال: فسكت موسى شهوات فلم يُحر جواباً كأنّما ألقمه حجراً. (١٣٣/٩)

(١٦)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمْرانَ عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلْحة بن عبد الله بن عوْف قال: لقي الفرزدق كثيّراً بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صخْر! أنتَ أنسبُ العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّلُ لي ليلى بكلّ سبيلِ

قال: وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرْنا يسيرون خلْفنا وإن نحن أوْمأنا إلى الناس وقّفوا

- قال عبد العزيز: وهذان البيتان جميعاً لجميل، سرق أحدهما الفرزدق، وسرق الآخر كثيّر - فقال له الفرزدق: يا أبا صخْر، هل كانت أمّك تردُ البصرة؟ قال: لا! ولكنّ أبي كان كثيراً يردُها. قال طلْحة: فوالذي نفسي بيده لقد تعجّبتُ من كثيّر. (٣٤١/٩)

---

(١) الدّبار: الهلاك.

(١٧)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني أبو مسلمة موهوبُ بن رشيد الكلابيّ قال: وقف الفرزدق على جميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو يُنشد:

ترى الناس ما سِرْنا يسيرون خلْفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفُوا

فأشْرع إليه رأسه من وراء الناس وقال: أنا أحقُّ بهذا البيت منك. قال: أنشدك الله يا أبا فراس!. فمضى الفرزدقُ وانتحله. (٩/٣٤١)

(١٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني أبي عن جدّي: أنّ الفرزدق لقي كثيِّراً فقال له: ما أشعرك يا كثيِّر في قولك:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّلُ لي ليْلى بكلِّ سبيل

فعرّض له بسرقته إيّاه من جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّلُ لي ليْلى على كلِّ مَرْقَبِ

فقال لي كثيِّر: أنت يا فرزدق أشعر منّي في قولك:

ترى الناس ما سِرْنا يسيرون خلْفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

قال: وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق. فقال الفرزدق لكثيِّر: هل كانت أمُّك تردُ البصرة؟ قال: لا! ولكن أبي كان نزيلاً لأمّك. (٩/٣٤١)

(١٩)

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال: قدم حماد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حمّادُ! فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى، فقال له: ويحك! يمدح الحطيئةُ أبا موسى وأنا أروي شعره كله ولا أعلم بهذه؟ أذِعها تذْهب في الناس. (١٢/١٤٠)

(٢٠)

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال حدّثنا أبو غسان عن أبي عبيدة عن أبي عمرو وأبي

سهيل قالا: وقف الفرزدق على الشمردل وهو ينشد قصيدة له فمر فيها هذا البيت:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة   وبين تميم غير جز الحلاقم

فقال له الفرزدق: والله يا شمردل لتتركنَّ لي هذا البيت، أو لتتركنَّ لي عرضك. فقال: خذه لابارك الله لك فيه. فادّعاه وجعله في قصيدة ذكر فيها قتيبة بن مسلم التي أوّلها:

تحِنُّ بزوراء المدينة ناقتي   حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائم[1]   (٣٥٦/١٣)

(٢١)

قال الزبير: ... ولجعفر (بن الزبير) شعر كثير قد نُحِل عمرَ بنَ أبي ربيعة ودخل في شعره. (٩/١٥)

(٢٢)

ومما يدل على إدراك الحسين بن مطير دولة بني أمية، ومدحه إيّاهم، ما أخبرنا به يحيى بن علي بن يحيى إجازة، قال: أخبرني أبي، عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ، عن مروان بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفيّ، والحسين بن مطير الأسديّ، في عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعرا، وقف الوليد على بيت بيت منه، وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان، حتى أتى على أكثر الشعراء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حماد الراوية، فلما وقفت بين يدي الوليدَ لأنشده، قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة. فتهانف الشيخ[2]، ثم قال: يابن أخي، أنا رجل أكلم العامة، وأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً؟ فذهب عنّي الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل، فقلت: نعم، لابن مقبل. فأنشدته:

سلِ الدار من جنبي حبّر فواهبٍ   إلى ما رأى هضب القليب المُضيَّحُ[3]

ثم جزت. فقال: قف. ماذا يقول؟ فلم أدرِ ما يقول. فقال: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب، يقال: تراءى الموضعان: إذا تقابلا. (١٧/١٦)

---

(١) زوراء: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد. والعجول: الناقة الشديدة الحزن لفقد ولدها. والبوّ: ولد الناقة، وجلد الحوار يُحشى تبناً فيقرب في أمّ الفصيل فتدرّ، ورائم عاطفة، حانية وقد فصلّت الحديث عن سرقات الفرزدق الشعرية في كتابي الشعراء النقّاد، الفرزدق (ص ١٦٦) وما بعدها.

(٢) تهانف: ضحك بسخرية.   (٣) مرّ شرح هذا البيت فيما سبق.

(٢٣)

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال: حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة: أنّ هذين البيتين للمعلوط، وأنّ جريراً سرقهما منه، وأدخلهما في شعره. وهما:

إنّ الذين غدوا بلُبِّك غادروا ... وشلا بعينك ما يزال مَعينا(١)

غيَّضْن من عبراتهن وقلن لي: ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟(٢) (٣١٧/١٦)

(٢٤)

قال: وقال عمر بن شبّة في خبره: قال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة:

أليس يزيد السيرُ في كل ليلة ... وفي كلّ يوم من أحبّتنا قُربا

أحِنُّ إلى بنت الزبير وقد علَتْ ... بنا العيسُ خرقاً من تهامة أو نقبا(٣)

إذا نزلتْ أرضاً تحبّب أهلها ... إلينا وإن كانت منازلها حربا

وإن نزلت ماءً وإن كان قبلها ... مليحاً وجدْنا ماءه بارداً عذْبا(٤)

تجولُ خلاخيلُ النساء ولا أرى ... لرملة خلخالا يجولُ ولا قُلْبا

أقِلُّوا عليَّ اللومَ فيها فإنني ... تخيَّرتُها منهم زُبيريةً قلْبا(٥)

أحبُّ بني العوّام طُراً لحبِّها ... ومِنْ حبِّها أحببْتُ أخوالها كلبا

قال أبو زيد: وزادوا في الأبيات:

فإن تُسْلمي وإن تتنصّري ... تخطُّ رجالٌ بين أعينهم صلْبا

فقال له عبد الملك: تنصّرْتَ يا خالد، قال: وما ذاك؟ فأنشده هذا البيت، فقال له خالد: على مَن قاله ومَنْ نحلنيه لعنةُ الله. (٣٤٤/١٧)

(٢٥)

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم أنّ أبا يحيى الضبيّ قال: قال ذو الرّمّة يوْماً: لقد قلتُ أبياتاً إنّ لها لعُروضاً وإن لها لمراداً ومعنى بعيداً. قال له الفرزدق: ما هي؟ قال: قلت:

---

(١) غادروا: تركوا، والوَشَل: الماء القليل، والمَعين: الماء الصافي الجاري.

(٢) غيّضْن: أي كففن من عبراتي ومَسَحْنَها حتى تغيض.

(٣) الخرق: الفلاة الواسعة، والنقب: الطريق في الجبل.

(٤) المليح: الملح ضدّ العذب. (٥) زبيرية قلبا: يريد خالصة النسب.

أحين أعـاذتْ بي تميـمٌ نسـاءهـا وجُرِّدْتُ تجـريدَ اليـمـاني من الغِمْدِ
ومـدّت بضَبْعيَّ الرِّبـابُ ومـالكٌ وعمْروٌ وشالتْ مِنْ ورائي بنو سعْدِ
ومـن آل يربُـوعٍ زُهـاءٌ كـأنّـه زُها اللّيلِ مـحـمـودُ النّكايةِ والرِّفْدِ

فقال له الفرزدق: لا تعودنّ فيها، فأنا أحقُّ بها منك، قال: والله لا أعودُ فيها ولا أنشدها أبداً إلاّ لك، فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها:

وكُنّا إذا القيْسيُّ نَبَّ عتُوده ضربْناه فوقَ الأنثيين على الكَرْدِ(١)

وروى هذا الخبر حمّاد عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن الضّحاك الفقيميّ قال: بينا أنا بكاظمة وذو الرّمة يُنْشدُ قصيدته التي يقول فيها: أحينَ أعاذتْ بي تميمٌ نساءها

إذا راكبان قد تدليّا مِنْ نقْب كاظمة مُقنّعان فوقفنا، فلما فرغ ذو الرّمة حسر الفرزدقُ عن وجْهه وقال لراويته: يا عُبيد، اضمُمْ إليك هذه الأبيات. قال له ذو الرّمة: نشدتُك الله يا أبا فراس! فقال له: أنا أحقُّ بها منك، وانتحل منها هذه الأربعة الأبيات. (١٨/١٦)

(٢٦)

قال إبراهيم بن نافع: كان ذو الرّمة يتشبب بمي بنت طَلَبة بن قيس بن عاصم المنقريّ، وكانت كثيرة أمةً مولّدة لآل قيس بن عاصم، وهي أم سهم بن بُردة اللّص الذي قتله سنان بن مُخيِّس القشيريّ أيام محمد بن سليمان، فقالت كثيرة:

على وجْه ميٍّ مسحة مِنْ ملاحةٍ وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
ألم تَرَ أنَّ الماء يخبثُ طعْمُه ولو كان لوْنُ الماء في العين صافيا

ونحلتها ذا الرّمة، فامتعض من ذلك، وحلف بجهد أيمانه ما قالها. قال: وكيف أقول هذا وقد قطعتُ دهْري، وأفنيتُ شبابي أشبِّب بها وأمْدَحها، ثم أقول هذا! ثم اطّلع على أنّ كثيرة قالتهما، ونحلتهما إيّاه. (١٨/٢٥)

(٢٧)

أخبرني ابنُ دُريد، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن محمد بن أبي بكر المخزوميّ، قال: قال رؤبة: كلما قلتُ شعراً سرقه ذو الرّمة، فقيل له: وماذاك؟ قال: قلت: «حيٌّ الشهيقِ ميّتُ الأنفاس».

---

(١) الأنثيان: الأذنان، والكَرْد: العُنُق.

فقال هو:

يطْرحنَ بالمهارق الأغفال كـلَّ جهيضٍ لثقِ السِّرْبالِ(١)

حيٍّ الشهيق ميتِ الأوصالِ

فقلت له: فقوله والله أجودُ من قولك، وإن كان سرقه منك، فقال: ذلك أغمُّ لي. (١٨/٣٠)

(٢٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ. قال: حدثنا عمر بن شبةُ وغيره، قال: قال سلمة بن عياش: دخلت على الفرزدق السجن وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعـائمه أعـزُّ وأطـولُ

وقد أفحم وأجبل(٢)، فقلت له: ألا أرفدك؟ فقال: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بيـتٌ زرارةُ محـتبٍ بفـنائـه ومُشاجع وأبو الفوارس نهشلُ

فاستجاد البيت... وأخذه فأدخله في قصيدته. (٢٠/٢٩٥)

(٢٩)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا حاتم عن أبي عبيدة قال: دخل أبو نخيلة على عُمر بن هُبيْرة، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر، فأنشد أبو نخيلة مديحه له، ثم قال ابن هبيرة: يا أبا نخيلة، أيُّ شيء أحدثتَ بعدنا؟ فاندفع يُنشده أرجوزة لرؤبة، فلما توسطها كشف رؤبة الستر، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له: كيف أنت يا أبا نخيلة؟ فقطع إنشاده وقال: بخير أبا العجاج، فمعذرة إليك ما علمت بمكانك. فقال له رؤبة: ألم ننهك أن تعرض لشعري إذا كنتُ حاضراً، فإذا ما غبتُ فشأنك به! فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلاَّ حسنة من حسناتك، وتابعٌ لك، وحامل عنك؟ فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعه حرفاً. والله أعلم. (٢٠/٤٠٥)

---

(١) المهارق: الصحف، شبّه الفلوات بها، والأغفال: اللواتي لا علم بها، والجهيض: الولد الذي سقط لغير تمام، والسربال: يعني جلده.

(٢) أجبل الشاعر: صعب القول عليه، وكثيراً ما كانت هذه الحالة تجابه الفرزدق حتّى كان يقول: «أنا عند الناس أشعر الناس، وربّما مرّت عليّ ساعة ونزع ضرس أهون عليّ من أن أقول بيتاً واحداً». ينظر البيان والتبيين (١/٢٠٩)، ومحاضرات الأدباء، للراغب (١/٨٩).

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرميّ عن الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي، وأخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مُصعب الزبيريّ، عن المؤمّلي، عن عمر بن أبي بكر الموصليّ، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر: قال: خرجت أنا والأحوصُ بن محمد مع عبدِ الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنّا بقُديد(١) قلنا لعبد الله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُباكل، فأنشدنا شيئاً من شعره، فأرسل إليه فأتانا، فاستنشدناه، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها:

يا بيتَ خنْساءَ الذي أتجنب ... ذهب الشباب وحبُّها لا يذهب
أصبحتُ أمنحكِ الصدود وإنّني ... قسماً إليك مع الصدود لأجنُبُ
ما لي أحنُّ إلى جمالك قُرِّبت ... وأصُدُّ عنك وأنت منّيَ أقربُ
لله درُّك هل لديك مُعوَّلٌ ... لمتيَّم أم هل لودّك مطلبُ؟
فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني ... لمُوكَّل بهواك أو متقرِّب
إذ نحن في الزمن الرخيّ وأنتمُ ... متجاورون كلامُكم لا يُرقبُ
تبكي الحمامةُ شجوها فتهيجُني ... ويروح عازبُ همّيَ المتأوِّبُ
وتهبُّ جاريةُ الرياح من ارضكم ... فأرى البلاد لها تُطلُّ وتُخصب
وأرى السَّمية باسمكم فيزيدُني ... شوقاً إليك رجاؤك المتنسِّب
وأرى العدوَّ يودّكم فأودّه ... إن كان يُنسب منك أولا يُنسبُ
وأخالف الواشينَ فيك تجمُّلا ... وهُمُ عليَّ ذوو ضغائن دُؤَّبُ
ثم اتخذتِهمُ عليَّ وليجةً ... حتى غضبت ومثلُ ذلك يُغضِب(٢)

قال: فلما كان من قابل حجَّ أبو بكر بنُ عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوصُ، واستصحبه فأصحبه، فلما خرج الأحوصُ قال له بعض من عنده: ماذا تريد بنفسك؟ تقدم بالأحوص الشام، وبها مَن يُنافسك من بني أبيك، وهو من الأفْن والسُّفه على ما قد علمت فيعيبُونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجزاً لما وعده من الصحابة

---

(١) قُديد: اسم موضع قرب مكة. ينظر معجم البلدان (٤/٣١٣).

(٢) وليجة: أصدقاء وأعوان.

فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال: يا خال، إنّي نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهك فيشمت بك عدوّي من أهل بيتي، ولكن خُذْ هذه الثياب والدنانير، وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمتَ عليّ. فقال له الأحوص: لا ولكن قد سُبِعْتُ(١) عندك، ولا حاجة لي بعطيتك، ثم خرج من عنده.

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أميرُ المدينة، فلمّا دخل عليه أعطاه مائة دينار، وكساه ثياباً فأخذ ذلك، ثم قال له: يا أخي هبْ لي عِرْض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دُبا كل قصيدةُ مدح بها عمر بن عبد العزيز. وقال حماد: قال أبي: سرق أبيات سليمان بأعيانها، فأدخلها في شعره، وغيَّر قوافيها فقط، فقال:

يا بيتَ عاتكـة الـذي أتعـزَّلُ ... حذر العدا وبه الفـؤاد موكّلُ
أصبحتُ أمنحك الصُّدودَ وإنّني ... قسماً إليك مع الصدود لأمْيل
فصددتُ عنك وما صددتُ لبِغْضة ... أخشى مقالة كاشحٍ لا يعْقلُ
هل عيشُنا بك في زمانك راجعٌ ... فلقد تفاحش بعدك المتعلَّل؟
إنّي إذا قُلتُ استقام يحُطُّه ... خُلْفٌ كما نظر الخلافَ الأقبلُ
لو بالذي عالجت لينَ فؤاده ... فأبى يُلانُ به للاَنَ الجنْدلُ
وتجنُّبي بيتَ الحبيبِ أودُّه ... أرضي البغيض به، حديثٌ مُعْضِلُ
ولئن صددتُ لأنتِ لولا رقبتي ... أهوى من اللاتي أزورُ وأدْخلُ
إنّ الشَّبابَ وعيشنا اللذُّ الذي ... كُنّا به زمنا نُسرُّ ونجذلُ
ذهبت بشاشتُه وأصبح ذكرُه ... حزْنا يُعلُّ به الفؤاد وينهلُ
إلاّ تذكُّرَ ما مضى وصبابةٌ ... مُنيتْ لقلبٍ متيَّمٍ لا يذهلُ
أودى الشبابُ وأخلفتْ لذّاتُه ... وأنا الحزينُ على الشباب المعْولُ
يبكي لما قلب الزمانُ جديده ... خلَقاً وليس على الزّمان مُعوَّلُ
والرأس شامِلُه البياضُ كأنّه ... بعد السَّواد به الثُّغامُ المُحْجِلُ(٢)

(١) سبع فلان فلاناً: شتمه ووقع فيه، يريد: إنك تغيّرت عليَّ بسبب الوشاية.

(٢) الثغام: نبت أبيض، والمحجّل: من الحجل، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه، فهو صفة مؤكدة.

وسفيهة هبّت عليّ بسَحْرةٍ جهلاً تلوم على الثّواء وتعذلُ
فأجبتُها أن قلتُ لستِ مُطاعةً فذرى تنصّحك الذي لا يُقبلُ
إنّي كفاني أن أعالج رحلةً عُمَرٌ ونبوةُ من يضنّ ويبخل
بنوال ذي فجرٍ تكون سجاله عمماً إذا نزل الزّمانُ الممحلُ
ماضٍ على حدث الأمور كأنه ذو رونق عضبٌ جلاهُ الصّيْقلُ
تُبدي الرجال إذا بدا إعظامه حذرَ البُغاث هوى لهنّ الأجْدلُ(١)
فيرون أنّ له عليهم سورةً وفضيلةً سبقت له لا تجهلُ
متحمّلٌ ثقلَ الأمورِ حوى له سبقَ المكارم سابقٌ مُتمَهلُ
وله إذا نُسبت قريشٌ منهم مجدُ الأرومة والفعالُ الأفضلُ
وله بمكة إذْ أميّة أهلُها إرثٌ إذا عُدّ القديمُ مؤثّلُ
أعييت قرابتُه وكان لزومه أمْراً أبانَ رشاده مَنْ يعقل
وسموتَ عن أخلاقهم فتركتهم لنداك إنّ الحازم المتحوّلُ
ولقد بدأتُ أريدُ وُدّ معاشرٍ وعدُوا مواعدَ أخلفت إن حُصّلوا
حتى إذا رجع اليقينُ مطامعي يأساً وأخلفني الذين أؤمّلُ
زايلتُ ما صنعوا إليك برحْلةٍ عجلى وعندك عنهمُ متحوّلُ
ووعدتني في حاجةٍ فصدقْتني ووفيتَ إذ كذبُوا الحديثَ وبدّلوا
وشكوتُ غُرماً فادحاً فحملته عنّي وأنت لمثله مُتحمّل
فلأشكرنّ لك الذي أوليتني شُكراً تحُلّ به المطيُّ وتُرحلُ
مِدَحاً تكون لكم غرائبُ شعرها مبْذولةً ولغيركم لا تُبذلُ
فإذا تنحّلتُ القريض فإنّه لكم يكون خيار ما أتنحّلُ
ولعمرُ من حجّ الحجيجُ لبيْته تهْوي به قُلُص المطيُّ الذُّمُلُ
إنّ امرأ قد نال منك قرابةً يبغي منافعَ غيرها لمُضلّلُ
تعفُو إذا جهلُوا بحلمك عنهمُ وتُنيل إن طلبوا النّوال فتُجزلُ
وتكون معْقلهمْ إذا لم يُنجهم من شرّ ما يخشون إلاّ المعْقلُ
حتى كأنّك يُتقى بك دونهم من أسْدِ بيشة خادرٌ مُتبسّلُ(٢)

---

(١) الأجدل: الصقْر، يريد أنّ الرجال يهابون عمرَ كما يهاب البغاثُ أو الحمامُ الصقر. (٢) بيشة: مكان =

وأراكَ تفعلُ ما تقول وبعضُهم مَذِقُ الحديث يقول مالا يفْعل(١)

وأرى المدينةَ حين صِرْتَ أميرها أمِـنَ البريءُ بها ونـام الأعـزلُ

فقال عمر: ما أراك أعفيتني مما استَعْفيت منه، قال: لأنه مدح عمر وعرُضَ بأخيه أبي بكر. (٩٦/٢١)

(٣١)

أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبريّ، عن أبي عثمان المازنيّ قال: مرَّ الفرزدق بابن ميّادة الرمّاح والناسُ حوله وهو ينشد:

لو أنَّ جـمـيـعَ الناس كـانوا بربوة وجِـئـتُ بجـدِّي ظـالمٍ وابنِ ظـالم

لظلَّت رقـابُ الناس خـاضـعـةً لنا سُجـوداً على أقـدامنا بالجـمـاجمِ

فسمعه الفرزدق: فقال: أما والله يابن الفارسية لتدعنّه لي أو لأنبشنَّ أمَّك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لابارك الله لك فيه، فقال الفرزدق:

لو أنَّ جـمـيـعَ النَّاس كـانوا بربوة وجِـئـت بجـدِّي دارمٍ وابنِ دارمِ

لظلّـت رقـاب الناس خاضعـةً لنـا سـجوداً على أقـدامنا بالجـمـاجـمِ (٢٨٤/٢١)

(٣٢)

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشيّ قال: كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء، فمرَّ يوماً بالشمردل، وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

وما بين مَنْ لم يُعْطِ سمعاً وطاعةً وبين تميـمٍ غـيرُ حـزِّ الغلاصـم

قال: والله لتتركنّ هذا البيت أو لتتركنّ عرضك، قال: خذه على كرهٍ منّي، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولُها قوله: تحنُّ بزوراء المدينة ناقتي.

قال: وكان الفرزدق يقول: خير السرقة مالا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر(٢). (٣٢٥/٢١)

= اشتُهر بأسوده، والخادر: الذي لزم عريسته، ومتبسّل: عابس غضباً أو شجاعة.

(١) مذق الحديث: مخلوطه غير خالصه.

(٢) يومئ إلى خفائها، وعدم القدرة على اكتشافها، وهذا دليل على براعة السارق، ولُطف مدخله.

(٣٣)

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاك بن بهلول الفُقَيْمي قال: بينما أنا بكاظمة وذو الرُّمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

أحينَ أعاذت بن تميمٌ نساءها   وجُرِّدْت تجريدَ اليماني من الغمدِ

إذا راكبان قد تدلّيا من نعفِ كاظمة مقنّعان، فوقفا، فلما فرغ ذو الرُّمة حسر الفرزدق عن وجهه، وقال: يا عُبيد، اضممها إليك - يعني راويته - وهو عبيد أخو بني ربيعة ابن حنظلة، فقال ذو الرّمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته وهي أربعة أبيات:

أحينَ أعاذت بن تميمٌ نساءها   وجُرِّدت تجريدَ اليماني من الغمدِ

ومدت بضبعيَّ الرِّبابُ ومالكٌ   وعمرٌو، وشالت من ورائي بنو سعد

ومن آل يربوعٍ زُهاءٌ كأنه   دُجى الليل محمود النِّكاية والوِردِ(١)

وكنّا إذ الجبّارُ صعَّرَ خدَّه   ضربناه فوق الأنثيَيْن على الكرْد (٢١/٣٢٦)

(٣٤)

وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو نهشل: حدّثنا بعض أصحابنا: قال: وقف الفرزدق على الشمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمرَّ هذا البيت في بعض قوله:

وما بين من لم يعطِ سمعاً وطاعة   وبين جرير غير حَزِّ الحلاقم

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركنَّ هذا البيت لي أو لتتركنَّ عرضك: قال: خذه، لابارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم، وهي التي أولها قوله:

تحنُّ إلى زورا اليمامة ناقتي   حنينَ عجولٍ تبتغي البَوَّ رائمِ (٢١/٣٦٤)

---

(١) الزهاء: العدد الكثير، والمراد بالورد، ورد دم الحرب.

العصر العبّاسي

(١)

أجـــارتنا إنَّ الخطـوبَ تنُـوبُ ... علينا وبعضَ الآمنين تُصـــيبُ
أجـارتنا لسْتُ الغـداة ببـارحٍ ... ولكنْ مُقـيمٌ مـا أقـام عـسـيبُ(١)
فـإن تسـأليني هل صبـرْتَ فـإنّني ... صـبُورٌ على ريْـب الزمـانِ صليبُ

قال عليّ بن الحسين: هذه الأبيات الثلاثة أغار(٢) عليها ابنُ ميّادة فأخذها بأعيانها، أمّا البيتان الأوّلان فهما لامرئ القيس قالهما لمّا احتُضر بأنقرة في بيتٍ واحد وهو:

أجارتنا إنَّ الخطوب تنُوبُ ... وإنّي مُقيمٌ ما أقـام عسيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية، وتمثّل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عقيل بن أبي طالب(٣)، فنقله ابن ميّادة نقلاً. (٢/٢٧٤)

---

(١) عسيب: اسم جبل بعالية نجد، يقال: لا أفعل كذا ما أقام عسيب، اي لا أفعله أبداً.

(٢) الإغارة: من مصطلحات السرقات، وقد وقف عندها ابن رشيق فقال: «هي أن يصنع الشاعر بيتاً، أو يخترع معنى مليحاً، فيتناوله مَنْ هو أعظم منه ذكراً، وأبعد صوتاً، فيُروى له دون قائله». ينظر العمدة طبعة قرقزان (٢/١٠٤٤)، ولا نظنُّ أنَّ ابن ميادّة أعظم ذكراً، وأبعد صوتاً من امرئ القيس، ولعلَّ فيتعريف المظفر العلوي لها شيئاً من الإيضاح حيث يقول: «هي ادّعاء اللفظ والمعنى من غير أن يفكر الشاعر أو يتعنّى»، ينظر نضرة الإغريض (ص ١٤٥)، وهذا التعريف أقرب إلى روح النصّ السابق، وأقرب أيضاً إلى معنى الإغارة اللغوي، فقول أبي الفرج: أخذها بأعيانها، أي أخذ لفظها، ومعناها، ومقارنة البيتين خير دليل على هذا، ولذلك نرى العلوي نفسه يصفها بأنّها من «أقبح وجوه السرقات، وأشنعها، وأدناها منزلة، وأوضعها». ينظر نضرة الإغريض (ص ٢١٧).

(٣) ينظر نهج البلاغة، طبعة الشيخ محمد عبده (٣/٦٢)، وفيه: « ... كما قال أخو بني سلَيم». وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٦/١٥٢): «والشعر ينسب إلى العباس بن مرداس السلَمي، ولم أجده في ديوانه».

(٢)

قال ابن ميّادة:

إذا حلَّ بيتي بين بدْر ومازنٍ ومُرَّة نلتُ الشمس واشتدَّ كاهلي

قال أبو الفرج الأصْبهانيّ: أخذ إسحاقُ الموصليّ معنى بيت ابن ميّادة في قوله: «نلتُ الشمسَ واشتدَّ كاهليّ» فقال:

عطسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ يداي الثريّا قاعداً غير قائم

ولعمْري لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد(١). (٢/٢٩٤)

(٣)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح قال حدّثني أبو عُبيدة قال سمعت بشّاراً يقول وقد أنشد في شعر الأعشى:

وأنكرْتني وما كان الذي نكِرتْ من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يُشْبه كلام الأعشى؛ فعجبتُ لذلك. فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس، فقال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنّه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى(٢):

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عجباً من فِطْنة بشّار وصحّة قريحته وجودة نقْده للشعر. (٣/١٤٣)

---

(١) عالج الباحثون في السرقات الشعرية هذه النقطة وأسموها (حُسْن الأخذ) أو (إحسان الآخذ على المأخوذ منه)، أو (حسن الاتباع)، وقد بينه صاحب الصناعتين (ص١٩٦). مثلاً بقوله: «ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم، والصبّ على قوالب مَنْ سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض تأليف، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها، وجودة تركيبها، وكمال حليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحقّ بها ممّن سبق إليها»، ويقول الحلبي في حسن التوسّل (ص ٢٩٨): «وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى قد اخترعه غيره فيتبعه فيه اتباعاً يوجب له استحقاقه، إمّا باختصار لفظة، أو قصر وزنه، زو عذوبة نظمه، أو سهولة سبكه، أو إيضاح معناه، أو تتميم نقصه، أو تحليته بما توجبه الصناعة، أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاق»، وينظر كذلك الدرّ الفريد، محمد بن أيدمر، مخطوط (ورقة ٦٠)، والعمدة لابن رشيق، طبعة قرقزان (٢/١٠٥٤).

(٢) وسنرى في النص الثالث والسبعين القادم أنّ الأصمعي هو الذي صنع هذا البيت.

(٤)

قال يحيى: وقد أخذ (من بشّار) هذا المعنى منصور النَّمريّ فقال وأحسن:

ليلٌ من النقع لا شمس ولا قمرٌ   إلاّ جبينك والمذْروبةُ الشُّرُعُ[١]   (١٩٦/٣)

(٥)

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال: كان إسحاقُ الموْصليُّ يطعنُ على شعرِ بشّارِ ويضعُ منه وينكر أنّ كلامه مُختلفٌ لا يشبه بعضه بعضا؛ فقلنا: أتقولُ هذا القول لِمَنْ يقولُ:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتباً   صديقك لم تلْقَ الذي لا تُعاتبهْ

فعِشْ واحداً أو صلْ أخاكَ فإنّهُ   مُقارِفُ ذنبٍ مرّةً ومُجانبُهْ[٢]

إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى   ظمئتَ وأيّ الناسِ تصفُو مشاربُهْ

قال عليّ بن يحيى: وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حشو فيه؛ فقال لي إسحاقُ أخبرني أبو عُبيدة معْمَر بن المثنّى أن شُبيلَ بن عزْرة الضُّبعيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس، وكان عالما بشعره لأنّهما جميعاً من بني ضُبيعة؛ فقلت له: أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنّه قال لبشّار: إن شُبيلاً أخبره أنها للمتلمّس؛ فقال: كذبَ والله شُبيلٌ، هذا شعري، ولقد مدحْتُ به ابن هُبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً. وقد صدق بشّارٌ، قد مدح في هذه القصيدةِ ابن هُبيرة، وقال فيها:

رُوَيْدَ تصاهلْ بالعراق جيادُنا   كأنّك بالضّحاك قد قام نادبُهْ[٣]

وسامٍ لمروان ومِنْ دونه الشّجا   وهولٌ كلُجِّ البحرِ جاشتْ غواربُهْ

أحلّتْ به أمّ المنايا بناتها   بأسيافنا، إنّا ردى مَنْ نُحاربُهْ

وكنّا إذا دبّ العدوُّ لسخْطنا   وراقبنا في ظاهرٍ لا نُراقبُهْ

ركبنا له جهْراً بكلِّ مُثقّفٍ   وأبيضَ تستسقي الدّماءَ مضاربُهْ

ثم قلتُ لإسحاق: أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدة:

فلمّا تولّى الحرُّ واعتصر الثّرى   لظى الصّيف مِنْ نجمٍ توقّد لاهبُهْ

---

(١) المذروبة: المحدّدة، والشرّع: المشروعة، ويريد بها السيوف.

(٢) مقارف ذنب: مخالطه ومرتكبه، من قارف الخطيئة إذا خالطها.

(٣) في اللسان مادة (رود): وقال الليث: إذا أردت (برويدا) الوعيد نصبتها بلا تنوين، وساق البيت.

وطارتْ عصافيرُ الشَّقائق واكتسى ... من الآل أمثالَ المجرةِ ناضبُه[1]
غدتْ عانةً تشكو بأبصارها الصَّدى ... إلى الجأب إلاَّ أنَّها لا تُخاطبُه

ـ العانةُ: القطيع من الحمير، والجأب: ذكرها، ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنَّ العطش قد تبيَّن في أحداقها فغارتْ ـ قال: وهذا من أحسن ما وُصِفَ به الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للمتلمّس أيضاً! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجودة وشبيه بسائر الشعر؟ فكيف قصد بشّارٌ لسرقة تلك الأبيات خاصةً! وكيف خصّهُ بالسرقة منه وحده من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويل! وقد روى الرُّواةُ شعره وعلم بشّارٌ أنَّ ذلك لا يخفى، ولم يُعْثر على بشّارٍ أنه سرق شعراً قطُّ جاهلياً ولا إسلامياً. وأخرى فإنَّ شعر المتلمس يُعرفُ في بعض شعر بشّر؛ فلم يردُدْ ذلك بشيء.

(١٩٦/٣)

(٦)

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عُبيدة أنَّ بشاراً أنشده:

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتباً ... صديقك لم تلْقَ الذي لا تُعاتبُه

وذكر الأبيات، قال: وأنشدتُها شُبيل بن عزْرةَ الضُّبعيّ، فقال: هذا للمتلمّس؛ فأخبرتُ بذلك بشّارا، قال: كذب والله شُبيلٌ، لقد مدحتُ ابن هُبيرةَ بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً.

(١٩٨/٣)

(٧)

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ـ وكان أحد الأدباء ـ قال: غضب بشّارٌ على سلْمٍ الخاسر وكان من تلامذته ورُواته، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاءوه في أمره؛ فقال لهم: كلُّ حاجةٍ لكم مقضيةٌ إلا سلْماً؛ قالوا: ما جئناكَ إلا في سلْمٍ ولا بدَّ منْ أن ترضى عنه لنا؛ فقال: أين هو الخبيثُ؟ قالوا: ها هو هذا؛ فقام إليه سلْمٌ فقبّل رأسه ومثل بين يديه وقال: يا أبا مُعاذٍ، خرِّيجُكَ وأديبك؛ فقال: يا سلْمُ، من الذي يقول:

---

(١) الشقائق: جمع شقيقة، وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر، والعشب. والآل: السراب، والمجرة: نجوم كثيرة لا تُدرك بمجرَّد البصر وإنّما ينتشر ضوؤها فيُرى كأنّه بقعة بيضاء.

مَنْ راقبَ الناس مات غماً   وفـــاز باللـّـذّة الجَســـــورُ

قال: خرّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسه)؛ قال: أفتأخذُ معانيَّ التي قد عُنيتُ بها وتعبتُ في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفّ مِنْ ألفاظي حتى يُرْوى ما تقولُ ويذهبُ شعْري! لا أرضى عنك أبداً، قال: فما زال يتضرّعُ إليه، ويشفعُ له القومُ حتى رضي عنه، وفي هذه القصيدة يقول بشّارٌ:

لو كنت تلْقين ما نلْقى قسمتِ لنا   يومـاً نعيشُ بـه منكـم ونبتهـجُ
لا خيرَ في العيش إن كنّا كذا أبداً   لا نلتقي وسبيلُ الملتقي نَهـجُ(١)
قـالوا حـرامٌ تلاقينا فـقلت لهـم   مـا في التّلاقي ولا في قُبْلةٍ حـرجُ
منْ راقبَ الناسَ لَمْ يظفرْ بحاجته   وفـاز بالطّيِّبـاتِ الفـاتـك اللّهـجُ
أشكو إلى اللـه همّاً مـا يُفـارقُني   وشُرّعاً في فؤادي الدّهـر تعتلجُ(٢)   (١٩٩/٣)

(٨)

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمانُ المدنيّ قال حدّثني الفضلُ بن إسحاق الهاشميّ قال: أنشد بشارٌ قوله:

يُرَوِّعُهُ السِّرارُ بكل أرضٍ   مخافة أن يكونَ به السِّرارُ(٣)

فقال له رجل: أظنُّك أخذتَ هذا من قول أشعب: ما رأيتُ اثنين يتساراّن إلاّ ظننتُ أنّهم يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعب فإنّك أخذتَ ثقلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا، وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه:

تركتْني الوُشـاةُ نُصْبَ المُسرِّيـ   ـنَ وأحْـدوثـةً لكـلِّ مكـانِ
ما أرى خـاليْنِ فـي السِّـر إلاّ   قلـتُ مـا يخلـوان إلا لشـاني   (٢٢٣/٣)

(٩)

قال أبو الفرج: يقول بشار:

---

(١) النهج: البيّن الواضح. (٢) الشرّع: الرماح والمراد بها ها هنا الخواطر وما إليها مجازاً، وتعتلج: تتضارب.

(٣) السِّرار: المسارّة، وهي الكلام في خفية.

إنَّ المطـايا تشـتكيكَ لأنّها   قطعتْ إليك سباسباً ورمالا
فإذا وردْنَ بنا وردْنَ مُخِفّةً   وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

أخذ هذا المعنى من قول نصيب:

فعاجوا فأثنَوا بالذي أنت أهلُه   ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقـائبُ   (٣٨/٤)

(١٠)

أخبرني يحيى إجازةً قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال: كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة، فتُوفّي عليّ بن ثابت قبله، فقال يرثيه:

مـؤنِسٌ كـان لي هلَكْ   والسـبيلُ التي سلكْ
يا عـلـيّ بـن ثـابتٍ   غـفـر الله لي ولكْ
كـلُّ حـيٍّ مُمـلَّكٍ   سـوف يفْنى وما مَلَكْ

قال الفضل: وحضر أبو العتاهية عليّ بن ثابت وهو يجود بنفسه، فلم يزلْ مُلتزمه حتى فاض؛ فلما شُدّ لحْياه بكى طويلاً، ثم أنشد يقول:

يا شـريكي في الخـير قـرّبك اللـ   ـهُ فنعم الشريكُ في الخـير كُنتـا
قـد لعـمْري حكيْتَ لي غُصص المو   تِ فـحـركْـتني لهـا وسـكنْـتـا

قال: ولمّا دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء، ويردّد هذه الأبيات:

ألا مَـنْ لي بـأنسِك يا أخـيّا   ومـنْ لـي أن أبثّك مـا لديّا
طوتْكَ خُطوبُ دهرك بعـد نشْرٍ   كـذاك خُطـوبه نشْـراً وطـيّا
فلـو نشـرتْ قُـواك ليَ المنايا   شكوتُ إليك مـا صنعتْ إليّا
بكيتُـك يا عـليُّ بدمـع عـيني   فـمـا أغنى البكاءُ عليك شـيّا
وكـانت في حـياتك لي عظاتٌ   وأنـت اليـومَ أوعـظُ منك حـيّاً

قال علي بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب: هذه المعاني أخذها كلّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لمّا حضروا تابوت الإسكندر، وقد أخرج الإسكندر ليُدْفنَ: قال بعضهم: كان الملك أمس أهيبَ منه اليوم، وهو اليوم أوعظُ منه أمس. وقال آخر: سكنتْ حركةُ الملك في لذّاته، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده. وهذان المعينان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه

الأشعار(١). (٤٣/٤)

(١١)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المُهلّبيّ قال: لقينا أبو العتاهية فقلت له: أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل؛ فقال: يابن أخي، إنّ الغزل يُسرع إلى مثلك. فقلت له: أرجو عصمة الله جل وعزّ. فأنشدني:

كأنّها من حُسنها دُرّةٌ   أخرجها اليمُّ إلى الساحلِ
كأنّ في فيها وفي طرْفها   سواحراً أقبلن من بابلِ
لم يُبق منّي حبُّها ما خلا   حشاشةً في بدنٍ ناحلِ
يامنْ رأى قبلي قتيلاً بكى   من شدّةِ الوجْدِ على القاتلِ

فقلت له: يا أبا إسحاق، هذا قولُ صاحبنا جميل:

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتما   قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبلي

فقال: هو ذاك يابن أخي وتبسّم. (٤٤/٤)

(١٢)

قال اليزديّ: قال عمّي وحدّثني الحسين بن الضّحاك قال: كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها:

يابني النقص والغِيَرْ   وبني الضعف والخوَرْ

فلمّا فرغ منها قال لي: يا أبا عليّ، والله لكأنّها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية). (٨٢/٤)

(١٣)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحُسين بن إسماعيل المهْديّ قال حدّثني رجاء بن سلمة قال: وجد المأمونُ عليّ في شيء، فاستأذنتُه في الحجّ فأذن لي، فقدمتُ البصرة وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ عليها وإليه أمرُ الحجّ، فزامَلْتُه إلى مكة. فبينا

---

(١) سمّى النقّاد هذا النوع من السرقات بنظم النثر، وحلّ الشعر، وجعله ابن رشيق في العمدة (١٠٥٨/٢)، من «أجلّ السرقات»، وتعرض له غيره بتفصيل مبيّنين أقسامه، المستحسن منه، والمستهجن. ينظر على سبيل المثال: الصناعتين، لأبي هلال (ص ٢١٦)، والمثل السائر لابن الأثير (٧٨/١) وغيرهما.

نحن في الطّواف رأيت أبا العتاهية، فقلت لعُبيد الله: جُعلتُ فداك! أتُحبُّ أن ترى أبا العتاهية؟ فقال: والله إنّي لأحبُّ أن أراه وأعاشره، قلت: فافرغ من طوافك واخْرُجْ، ففعل. فأخذتُ بيد أبي العتاهية فقلت له: يا أبا إسحاق، هل لك في رجل من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف؟ قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عُبيد الله، وكان لا يعرفه، فتحدّثا ساعةً، ثم قال له أبو العتاهية: هل لك في بيتين تُجيزهما؟ فقال له عُبيد الله: إنّه لا رفثَ ولا فُسوق ولاجدالَ في الحجّ. فقال له لا نرْفُثَ ولا نفسق ولا نجادل. فقال: هات إذاً فقال أبو العتاهية:

إنَّ المنونَ غُدُوُّها ورواحَها ... في الناس دائبة تُجيل قداحها

يا ساكنَ الدنيا لقد أوطنْتَها ... ولتنْزحنَّ وإن كرهت نزاحها

فأطرق عبيد الله ينظُر إلى الأرض ساعةً، ثم رفع رأسه فقال:

خُذْ لا أبالك للمنيّة عُدَّةً ... واحْتلْ لنفسك إن أردتَ صلاحَها

لا تغْترِرْ فكأنّني بعُقاب ريب ... الموت قد نشرتْ عليك جناحها

قال: ثم سمعتُ الناس يَنْحلُون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها، وليس له إلاّ البيتان الأوّلان. (٩١/٤)

(١٤)

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا ميمْون بن هارون قال حدّثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله، وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا هارون بن مُخارق قال حدّثني إبراهيم بن دسكرة، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن سُليمان بن أبي شيخ(١) قال: قال أبو العتاهية: حبسني الرشيدُ لمّا تركتُ قولَ الشعر، فأدخلتُ السجنَ وأغلق البابُ عليّ، فدهشتُ كما يدهش مثلي لتلك الحال، وإذا أنا برجل جالسٍ في جانب الحبس مُقيّد، فجعلت أنظر إليه ساعةً، ثم تمثّل:

تعوّدتُ مُرَّ الصبر حتى ألِفْتُهُ ... وأسلمني حسنُ العزاء إلى الصَّبرِ

وصيّرني يأسي من النّاس راجياً ... لحُسْن صنيع الله من حيثُ لا أدري

فقلت له: أعِدْ، يرحمك الله، هذين البيتين. فقال لي: ويلك أبا العتاهية! ما أسوأ أدبك وأقلّ

---

(١) أورد أبو الفرج هذه القصة في كتابه مقاتل الطالبيين (ص ٤٢٥) وما بعدها، بغير هذا السَّند، وباختلاف يسير.

عقلك! دخلتَ عليَّ الحبْس فما سلَّمتَ تسليمَ المُسْلم على المُسْلم، ولا سألت مسئلة الحُرِّ للحرِّ، ولا توجَّعت توجُّع المُبتلى للمُبتلى، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره، لم تصبر عن استعادتهما، ولم تقدِّم قبل مسألتك عنهما عُذْراً لنفسك في طلبهما! فقلتُ: يا أخي إنّي دَهِشْتُ لهذه الحال، فلا تعذُلني واعْذرني متفضِّلاً بذلك. فقال: أنا والله أولى بالدَّهَش والحَيرة منك؛ لأنك حُبستَ في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلغت، فإذا قُلْتَ أمِنْت، وأنا مأخوذٌ بأن أدُلَّ على ابن رسول الله (ص) ليُقتل أو أقتل دونه، ووالله لا أدُلّ عليه أبدا، والساعة يُدعى بي فأُقتل، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش؟ فقلت له: أنت والله أولى، سلَّمك الله وكفاك، ولو علمتُ أنَّه هذه حالُك ما سألتُك. قال: فلا نبْخلُ عليك إذاً، ثم أعاد البيتين حتى حفظتُهما. قال: فسألته مَنْ هو؟ فقال: أنا خاصُّ داعيةُ عيسى بن زيد(١) وابنه أحمد. ولم نلبث أن سمعنا صوْتَ الأقفال، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرَّة، ولبس ثوباً نظيفاً كان عنده، ودخل الحرسُ والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً، وقُدِّم قبلي إلى الرشيد. فسأله عن أحمد بن عيسى؛ فقال: لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع، فلو أنَّه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه. وأمر بضرْب عُنقه فضُرِب. ثمُّ قال لي: أظنُّك قد ارتعتَ يا إسماعيل! فقلت: دون ما رأيته تسيل منه النفوس. فقال: ردُّوه إلى محْبسه فرُددتُ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما:

إذا أنا لم أقْبلْ من الدَّهر كلَّ ما تكرَّهتُ منه طال عتْبي على الدَّهرِ (٩٢/٤)

(١٥)

أخبرني عليّ بن سلمان الأخفش قال: أوّلُ مَن سبق إلى الكناية عن اسم من يغْني بغيره في الشعر الجعديُّ، فإنَّه قال: أكْني بغير اسمها وقد علم الله خفيّات كلّ مُكتتمِ

فسبقَ الناسَ جميعاً إليه واتَّبعوه فيه. وأحسنُ من أخذه وألطفُه فيه أبو نُواس حيث يقول:

أسألُ القادمين من حَكَمانِ كيف خلّفْتُم أبا عثمان(٢)

---

(١) في مقاتل الطالبيين (ص ٤٢٧): «أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد»، وأورد السيد أحمد صقر محقّق المقاتل في الهامش ما يلي: «في الأغاني: أنا خالص داعية عيسى بن زيد»، ولم يذكر الطبعة التي رجع إليها، وفي فهرس المصادر طبعتان للأغاني، بولاق، ودار الكتب.

(٢) حَكَمان: اسم لضياع بالبصرة سُمِّيت بالحكم بن أبي العاص الثقفي. وهذا اصطلاح لأهل البصرة إذا سمّوا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً، حتى سمّوا عبد اللان في قرية سُمِّيت بعبد الله، وكانت هذه الضيعة لبني عبد الوهاب الثَّقفيين موالي جنان صاحبة أبي نؤاس.

فيقولون لي جنانٌ كما سرّك   في حالها فسلْ عن جنانِ
ما لهمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ   كيف لم يُغْنِ عندهم كتماني   (٥/٢٧)

(١٦)

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العبّاس بن الفضْل قال حدّثني أبي قال: قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامعٍ وابنِ أبي الكنّات: باكروني غداً، وليكن كلُّ واحد قد قال شعرا إن كان يقدر أن يقوله، وغنّى فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره، قال إبراهيم بن المهديّ: فقمتُ في السّحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي، فلمّا خِفْتُ طلوعَ الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم: إنّي أريد أن أمضي إلى موضع ولا يشعرُ بي أحد حتى أصيرَ إليه، وكانو يبيتون على باب داري، فقمت فركبت وقصدتُ دارَ إبراهيم الموصليّ، وكان قد حدّثني أنّه إذا أراد الصنعة لم ينَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه، وإذا قام لحاجته في السّحر اعتمد على خشبة له في المُستراح، فلم يزل يقرع عليها حتى يفْرُغَ من الصوت ويرسخ في قلبه، فجئت حتى وقفت تحت مُستراحه، فإذا هو يُردّد هذا الصوت:

إذا سُكبتْ في الكأس قبل مزاجها   ترى لونها في جلدة الكأس مُذْهَبا
وإن مُزجتْ راعت بِلونٍ تَخالُه   إذا ضُمّنتْه الكأسُ في الكأس كوكبا
أبوها نِجاء المُزْن والكرْمُ أمُّها   فلم أر زوْجاً منه أشهى وأطيبا(١)
فجاءتك صفْرا أشبهت غير جنسها   وما أشبهت في اللون أمّا ولا أبا

قال: فما زلتُ واقفاً أستمعُ منه الصوت حتى أخذتُه؛ ثم غدوْنا إلى الرشيد، فلما جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إليّ فقال: يقول لك أمير المؤمنين: يابن أمّ غنّني؛ فاندفعتُ فغنيّتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرغتُ منه، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف درهم؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أنّ الشعر له قاله البارحة وغنّى فيه، ما سبقه إليه أحدٌ؛ فقال إبراهيم: يا سيّديّ، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهْتُه! وإبراهيم يضطرب ويضجّ؛ فلمّا قضيتُ أرباً من العبث به قلتُ للرشيد: الحقُّ أحقُّ أن يُتّبع، وصدقتُه؛ فقال للموصليّ: أمّا أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً ممّا جرى عليه، فلو بدأت أنتَ بالصوت لكان هذا حظّك؛ فأمر له بها فحُملتْ إليه.   (٥/٢١٥)

---

(١) النجاء: جمع النجو، وهو السحاب الذي قد هراق ماءه، والزوج: النوع والصنف.

(١٧)

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني إسحاق بهذا الخبر، فذكر مثل ما ذكره من قدّمت الرواية عنه، وزاد فيه: فقال لي عليّ بن يحيى بعقب هذا الخبر: كان إسحاق يُعْجب بهذا المعنى ويكرره في شعره. ويروي أنّه ما سُبِقَ إليه؛ فمن ذلك قوله:

أيّها الظّبيُ الغريرُ هل لنا منك مُجيرُ
إنّ ما نوّلتني منـ ـكَ وإنْ قلّ كثير

فقلت: إنّك قد سُبقت إلى هذا المعنى، فقال: ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقيل:

قفي ودِّعينا يا مليحُ بنظرةٍ فقد حان منّا يا مليح رحيلُ
أليس قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها إليك وكلاّ ليس منك قليلُ
عُقَيْليّةٌ أمّا مَلاثُ إزارِها فوعْثٌ وأما خصْرُها فضئيلُ(١)
أيا جنّةَ الدنيا ويا غاية المُنى ويا سُؤْلَ نفسي هل إليك سبيلُ
أراجعةٌ نفسي إليّ فأغتدي مع الرُّكْب لم يُقتل عليك قتيلُ
فما كلُّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ولا كلُّ يومٍ لي إليك رسولُ

قال: فحلف أنه ما سمع بذلك قطُّ. قال عليّ بن يحيى: وصدق، ما سمع بها. (٥/٢١٨)

(١٨)

حدّثنا الحرميّ قال حدّثنا الحسين بن طالب قال: كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب، وينشده للأعراب، وكان يُعايي بذلك أصحابه ويُغْرب عليهم به؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ:

لفظ الخدورُ عليك حُوراً عينا أنسين ما جمع الكناسُ قطينا(٢)
فإذا بسمْنَ فعنْ كمثل غمامةٍ أو أقحوان الرمل بات مَعينا(٣)
وأصحُّ مَن رأتِ العيونُ محاجراً ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيونا

---

(١) ملاث الشيء: الموضع الذي يدار فيه ذلك الشيء ويلفّ. وملاث الإزار: ما دون الخصر أي العجز وما تحته. ووعث: ليّن، يقال: امرأة وعثة، ووعثة الأرداف، كأنّ الأصابع تسوخ فيها من لينها، وكثرة لحمها.

(٢) لفظ: أخرج. والقطين: اسم جمع لقاطن، وهو مَنْ قطن بالمكان إذا أقام به وتوطّنه. (٣) معين: ريّان.

وكـأنَّما تـلك الوجـوهُ أهلّـةٌ أقْمَرْنَ بين العـشْرِ والعـشرينا(١)
وكـأنهنّ إذا نهـضْـنَ لحـاجـةٍ ينهـضن بالعَقِداتِ من يبـرينا(٢)

قال: وأنشدني أيضاً مما كان ينسبُه إلى الأعراب وهو له:

ومكحولة العينين من غير ما كُحْـلِ مهفهفة الكشْحين ذات شوىً خَدْلِ(٣)
مُنعَّمـة الأطـراف مفْعمـة البُرى روادفها تحكى الدّهاس من الرملِ(٤)
صيود لألباب الرجـال، متى رنـتْ إلى ذي نُهى جلْد القُوى وافر العقلِ
تخلّى النُّهى عنه وخـالفـه الصِّبا وأسلمـه الرأيُ الأصيل إلى الجـهلِ
شـبـيـبـة كُثْبـانٍ يروقـك تحـتـهـا عناقـيـدُ كـرم جـادها غـدق الوبْلِ
رمتْني فحلّـت نائطيُّ ولـم تُصب لها نائطـيْ قلبٍ ولا مقـتلاً نبْلي(٥) (٥/٣٢٠)

(١٩)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخرّاز يقول سمعت ابن الأعرابيّ يقول سمعت المفضّل الضّبّيّ يقول: قد سلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإنّ أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنّه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهب رجل ويدخلُه في شعره، ويُحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك!(٦). (٦/٨٩)

---

(١) أقمر الهلال: صار قمراً. (٢) العَقَدات: جمع عَقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقّد، ويبرين: من أصقاع البحرين، وهناك الرمل المعروف بالكثرة، والظاهر أنّه يريد أن يصف أعجازهن بالضخامة حتى إذا نهضن ينهضن بكثبان يبرين، يشبّه أعجازهنّ بالكثبان.

(٣) الشوى: الأطراف، وخدل: ممتلئ ضخم، أي هي ممتلئة الساقين والذراعين.

(٤) البرى: جمع برة، وهي الحلقة سواء كانت خلخالاً أو سواراً أو قرطاً، يصف ذراعيها بالامتلاء، والدّهاس: المكان اللين السهل الذي تغيب فيه القوائم للينه، أي إنّ روادفها ضخمة في لين، ويقال: امرأة دهاس: أي عظمية العجيزة.

(٥) النائط: العِرْق المستبطن الصلب تحت المتن. (٦) يتحدّث المفضّل - وهو الثقة - عن مشكلة واجهت الشعر العربي وهي ما يُسمّى بالانتحال، وهي من المشاكل التي باتت معروفة، ظاهرة للعيان، ولكنّ إشارته أشبه =

أخبرني رضْوان بن أحمد الصَّيْدلاني قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني السَّعيديّ الراوية وأبو إياد المؤدِّب - وكان مؤدِّبي ثم أدّب المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سنُّه - وحدّثني بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسعيد بن سلم وحدّثني به ابن غزالة أيضاً واتفقوا عليه: أنَّهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهديّ بعيساباذ، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضّل الضّبّيّ الراوية فدخل، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضّل جميعاً وقد بان في وجه حمادٍ الانكسارُ والغم، وفي جه المفضّل السرور والنّشاط، ثم خرج حُسين الخادم معهما، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إنّ أمير المومنين يُعلمكم أنّه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضّل بخمسين ألفا لصدقه وصحة روايته، فمَن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثا فليسمع من حمّاد، ومَن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضّل؛ فسألنا عن السبب فأخبرنا أنّ المهديّ قال للمفضل لما دعا به وحده: إنّي رأيتُ زُهير بن أبي سلّمى افتتح قصيدته بأن قال:

دع ذا وعدِّ القول في هرم

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضّل: ما سمعتُ يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله، أو يُروِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعدِّ القولَ في هرم؛ فأمسك عنه. ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضّل، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين؛ قال فكيف قال؟ فأنشده:

= بناقوس الخطر الذي يقرعه منبّهاً إلى اتّخاذ الحذر من أولئك العلماء بالشعر، الموغلين في مذاهب الشعراء، ومعانيهم، على حدّ قوله، مثل حمّاد، وقد ابتُلوا بداء التزيّد، والنحل، فهذه الطائفة هي التي يُخشى خطرها على الصحيح، الثابت من الشعر، لأنّها قادرة على نظم شعر يشبه في شكله، ومضمونه شعر القدماء اعتماداً على خبرتهم، وبراعتهم، ويعد هذا نحل هذا الشعر لشاعر، أو شعراء آخرين، وهنا تكمن المشكلة الحقيقية، إذ يصعب تخليص الصحيح من المنحول بسبب التشابه الوثيق بين الاثنين، ولا ينهض بهذا الأمر سوى خبير، مدقّق، وأين ذلك؟ ولعلّ المفضّل، وأقرانه من علماء العربية قد أدّوا واجبهم على الوجه الأمثل.

لمن الديار بقُنَّة الحِجْرِ   أقوينَ مُذْ حِجَجٍ ومُذْ دهرِ[1]

قفرٌ بمُنْدفَعِ النحائت من   ضَفْوى أولاتِ الضَالِ والسِّدْرِ[2]

دع ذا وعدِّ القول في هرم   خيرِ الكهول وسيِّدِ الحضْرِ

قال: فأطرق المهديُّ ساعةً، ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بدَّ من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين مُحْرِجة ليصدُقنَّه عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثَّق منه. قال له: اصدُقْني عن حال هذه الأبيات ومَن أضافها إلى زُهير؛ فأقرَّ له حينئذ أنَّه قائلُها؛ فأمر فيه وفي المفضَّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكشْفه. (٦/٨٩)

(٢١)

حدَّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا دماذ عن أبي عُبيدة قال: قال خلف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها. وكان فيه حمق. (٦/٩٢)

(٢٢)

قال ابن هرمة: يطْعَنُ بالرمحِ أحْياناً ويضربهم   بالسيف ثمَّ يدانيهم فيعتنقُ

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهير ومن مُهلهل جميعاً، فإنَّهما سبقا إليه. قال مُهلهل وهو أقدمهما: أنْبَضوا معْجِسَ القسيِّ وأبرقـ   ـنا كما تُوعِدُ الفُحولُ الفحولا

يعني أنَّهم لما أخذوا القسيَّ ليرموهم من بعيد انتضوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها. وقال زهير - وهو أشرح من الأوَّل[3]:

يطعنُهم ما ارتمَوا حتى إذا اطَّعنوا   ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره. (٦/١٠٣)

---

(١) القُنَّة: أعلى الجبل: وأراد بها هنا ما أشرف على الأرض، والحجر: موضع بعينه، وهو حجر اليمامة.

(٢) النحائت: آبار في موضع معروف، وليس كلّ الآبار تسمّى النحائت، وضَفْوى: مكان دون المدينة، والضال: السدر البريّ، فإن نبت على شطوط الأنهار فهو عبرى، وكأنَّه أراد بالسدر ما كان غير بريٍّ فلذلك عطفه على الضال.

(٣) أشرح: أي أبيَن، وأكثر وضوحاً، وكشفاً.

(٢٣)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني عبد الله بن محمد اليزيديّ قال حدّثني أخي محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعر قطُّ إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبيٌ تحيّر الحسنُ في الأر ... كان منه وجال كلَّ مكانِ

عرضتْ دونه الحجالُ فما يلْـ ... ـقاك إلا في النّوم أو في الأماني

فاستعرت(١) معناه فقلت:

يا بعيد الدار موصو ... لاً بقلبي ولساني

ربّما باعدك الدهـ ... ـرُ فأدنتك الأماني

قال: وقال مسلم أيضاً:

متى ما تسمعي بقتيل أرض ... فإنّي ذلك الرجلُ القتيلُ

أتيتُكِ عائذاً بك منـ ... ـك لمّا ضاقت الحيلُ

وصيّرني هواك وبي ... لحيْني يُضرب المثلُ

فإن سلِمتْ لكم نفسي ... فما لاقيتُه جلل

وإن قتل الهوى رجلاً ... فإني ذلك الرجل (١٦٨/٦)

(٢٤)

لم يَطُلْ ليلي ولكنْ لم أنمْ ... ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألمْ

وإذا قلتُ لها جودي لنا ... خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ

رفّهي يا عبْد عنّي واعلمي ... أنّني يا عبد من لحم ودمْ

إنّ في بُرْديَ جسماً ناحلاً ... لو توكأتِ عليه لانهدمْ

ختم الحبُّ لها في عنقي ... موضعَ الخاتم من أهل الذممْ

وكان بشّار يُنكر هذا البيتَ الأخير وهو: ختم الحب لها في عنقي (٢٥٠/٦)

---

(١) يُلاحظ أنّ اليزيدي استخدم لفظ (السرقة) مرّة أخرى بمعنى واحد، وهما كذلك فالاستعارة هي السرقة، والأخذ.

(٢٥)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثني أبو حاتم السِّجستانيّ قال حدّثني مَنْ أنشد بشاراً قوله: «لم يَطُل ليْلي ولكنْ لم أنم» حتى بلغ إلى قوله:

ختم الحبُّ لها في عُنقي   موضع الخاتمِ مِنْ أهل الذممْ

فقال بشار: عمّن أخذت هذا؟ قلتُ: عنْ راويتك فلان! فقال: قبّحه الله! والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ، أما ترى إلى أثره فيه! ما أقبحه وأشدَّ تميُّزه عنّي! فقال له بعضُ من حضر: نعم، هو ألحقه بالأبيات. (٦/٢٥١)

(٢٦)

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سَلخوا(١) معانيها، وأبو نواس خاصّة فإنّه سلخ معانيه كلّها وجعلها في شعره فكرّرها في عدّة مواضع منه. ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها هاهنا(٢)، على أنها تنبئ عن نفسها. (٧/٢٠)

(٢٧)

قال أبو حاتم في خبره خاصّة وحدّثني غسّان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفيّ عن جماعة من مشايخ الطائفيّين وعلمائهم قالوا: قال يزيد بن ضبّة ألفَ قصيدة، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلتْ في أشعارها. (٧/١٠٣)

(٢٨)

وممّا نُسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له:

امدح الكأسَ ومَن أعْملها   واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ

إنّما الكأس ربيعٌ باكرٌ   فإذا ما غاب عنّا لم نعِشْ

الشعر لنابغة بني شيْبان. (٧/١٠٥)

---

(١) السَّلْخ: من مصطلحات السرقة وهو «تغيير بعض اللفظ». العمدة لابن رشيق (٢/١٠٣٩)، أو هو «أخذ بعض المعنى، وهو مأخوذ من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ». المثل السائر (٢/٣٦٥).

(٢) أضاع علينا أبو الفرج مبحثاً جديداً في استفادة أبي نؤاس من الوليد بسبب هذا التطويل الذي ذكره.

(٢٩)

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن عبد الله مولى بني هاشم أبو جعفر قال: سمعت الحسين بن الضّحّاك يقول: لما قلت قصيدتي: بُدِّلتَ من نفحات الورد بالآء أنشدتُها أبا نواس؛ فقال: ستعلم لمن يرويها الناسُ ألي أم لك؛ فكان الأمرُ كما قال: رأيتُها في دفاتر الناس في أوّل أشعاره. (١٤٧/١٧)

(٣٠)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه قال: أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قول حسين بن الضّحاك:

كأنما نُصْبَ كأسه قمرٌ حاسده بعض أنْجُم الفلك
حتى إذا رنّحتْه سورتها وأبدلته السكونَ بالحرك
كشفتُ عن وزّة مسنّمة في لين صينيّة من الفلك(١)

فقال لي إبراهيم بن المدبِّر: إنَّ الحسين كان يزعم أنَّ أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول: (يقبِّل في داج من الليل كوكبا) فإن كان سرقه منه فهو أحقُّ به لأنه قد برّز عليه، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصّر عنه(٢). (١٥٥/٧)

(٣١)

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني أبي عن حسين بن الضّحاك قال: أنشدتُ أبا نُواس قصيدتي:

وشاطريِّ اللسان مختلق التكـ ـريه شاب المُجونَ بالنُّسُك(٣)

حتى بلغت إلى قولي:

كأنّما نُصْبَ كاسه قمرٌ يكرعُ في بعض أنْجُم الفلك

قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

---

(١) الصينية: الإناء المعروف، والفلك: التلّ من الرمل. وكثيراً ما تشبّه العجيزة في الضخامة واللين بكثيب الرمل.

(٢) أشرنا إلى هذا الأمر فيما سبق. (٣) شاطريّ: نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤنّبه خبثاً، وكان هذا الاسم يُطلق في الدولة العباسية على أهل البطالة، والفساد..

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلته		يُقبِّل في داجٍ من الليل كوكبا

قال: فقلت له: يا أبا عليّ هذه مُصالتةٌ[1]. فقال لي: أتظنُّ أنّه يُروى لك في الخمر معنى جيّد وأنا حيّ!. أخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحّاك فذكر مثله. (١٥٥/٧)

(٣٢)

وأخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عوْن بن محمد قال حدّثني محمد بن عمرو الروميّ قال: لما وَلِي الواثقُ الخلافة أنشده حسين بن الضحّاك قصيدة منها:

سيُسْليك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ		أوائلُه محمودةٌ وأواخرُه

وما قدّم الرحمنُ إلاّ مقدّما		موارِدُه محمودةٌ ومصادرُه

قال: فأنشدتُ إسحاق الموصليّ هذا الشعر؛ فقال لي: نقل حسين كلام أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول:

جرى لك من هارونَ بالسعد طائرُه		إمامُ اعتزام لا تُخاف بوادُرهْ

إمامٌ له رأيٌ حَميدٌ ورحمةٌ		موارده محمودةٌ ومصادُره

قال: فعجبت من رواية إسحاق شعر المحدثين، وإنّما كان يروي للأوائل ويتعصّب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصّة. (١٥٧/٧)

(٣٣)

أخبرني جحْظة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني حسين بن الضحّاك، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن علي بن يحيى عن حسين بن الضحّاك قال: لقيني أبو نُواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربيّ، فأنشدته:

أخويَّ حيَّ على الصَّبوح صباحا		هُبّا ولا تعدا الصباحَ رواحا

هذا الشُّميط كأنه متحيّرٌ		في الأفقِ سُدَّ طريقُه فألاحا[2]

---

(١) المصالتة: من مصطلحات السرقات. وهي «أخذ البيت بأسره غصباً من غير تغيير شيء منه». الإيضاح في شرح مقامات الحريري (ص ١٩)، ووصفها الصنعاني بأنّها «قبيحة جداً من كلّ وجه عن النقدة». الرسالة المسجدية (ص ٥٥)، عن معجم النقد العرب القديم، د. أحمد مطلوب (٢٩٨/٢). (٢) الشُّميط: الصبح.

مـا تأمـران بسـكْـرة قـرويـة قـرنتْ إلى درك النجـاح نجـاحـا

هكذا قال جحْظة. والذي أحفظه: ما تأمران بقهوة قروية

قال: فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول:

ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا وأملَّـه ديـكُ الصَّباح صياحا

فقلت له: حسنٌ يابن الزانية! أفعلتها! فقال: دع هذا عنك، فوالله لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلاَّ نُسب لي. (١٦٢/٧)

(٣٤)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدَّثني أحمد بن خلاَّد قال: أنشدني حسين بن الضَّحاك لنفسه:

بُدِّلتَ من نفحـات الورد بالآء ومن صبُوحك دَرَّ الإبْل والشاء

حتى أتى على آخرها، وقال لي: ما قال أحد من المحدثين مثلها. فقلت: أنت تحوم حول أبي نُواس في قوله:

دعْ عنك لومي فإنَّ اللوم إغراءُ وداوني بالتي كـانت هـي الداء

وهي أشعر من قصيدتك. فغضب وقال: ألي تقول هذا! عليّ وعليّ إن لم أكن نكْتُ أبا نواس! فقلت له: دع عنك فإنّه كلام في الشعر لا قدْحٌ في نسب، لو نكتَ أبا نواس وأمَّه وأباه لم تكن أشعر منه. وأحبّ أن تقول لي: هي لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك:

فُضَّت خواتِمُها في نعت واصفها عـن مثل رقْراقـةٍ في عين مرْهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها:

دارتْ على فتْيـةٍ ذلَّ الزمـانُ لهم فـمـا أصـابهُمُ إلاَّ بما شـاءوا

صفراءُ لا تنْزل الأحزانُ ساحتها لـو مسَّـها حجرٌ مسَّـته سرَّاء

فـأرسلتْ من فم الإبريق صـافـيةً كـأنَّمـا أخـذُها بالعـقـل إغـفـاء

والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه؛ فقام وهو مغضب كالمُقرّ بقولي. (٢٠٢/٧)

(٣٥)

وقد أخبرني الحسن بن علي البُرّيّ عن محمد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالخندق راوية السَّيد الحمْيريّ قال: ما مضى والله ألاَّ على مذهب

الكَيْسانية. وهذه القصائدُ التي يقولها الناس مثل: تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبرُ

و: تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا وقوله:

أيا راكباً نحو المدينة جَسْرةً عُذافرةً تهوي بها كلُّ سَبْسَبِ(١)

إذا ما هداك اللهُ لاقيتَ جعفراً فقل يا أمينَ الله وابنَ المهذَّبِ

لغلام للسيِّد يقال له قاسم الخيَّاط، قالها ونحلها للسيِّد، وجازت على كثير من الناس ممَّن لم يعرف خبرها، بمحل قاسم منه وخدمته إيَّاه. (٢٣١/٧)

(٣٦)

أخبرني عمِّي قال حدَّثني الحسن بن عُلَيْل العنزيِّ عن أبي شُراعة القَيْسيِّ عن مسعود بن بشر: أنَّ جماعةً تذاكروا أمرَ السيِّد، وأنَّه رجع عن مذهبه في ابن الحنفيَّة(٢) وقال بامامة جعفر بن محمد(٣) ـ فقال ابنُ الساحر راويته: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجعْفريَّات إلا منحولةٌ له قيلتْ بعده. وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً يروي عن النبيِّ (ص) أنه قال لعليٍّ عليه السلام: «إنَّه سيولد لك بعدي ولدٌ وقد نحلتُه اسم وكُنْيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها:

أشاقتك المنازلُ بعد هند وتِرْبيها وذات الدلِّ دعْدِ

منازل أقفرتْ منهنَّ محَّتْ معالمُهنَّ من سبلٍ ورعْدِ(٤)

وريح حَرْجفٍ تَستنُّ فيها بسافي التُّرْب تلْحم ما تُسدِّي(٥)

ألم يبلُغك والأنباءُ تنْمى مقالُ محمدٍ فيما يؤدِّي

إلى ذي علمه الهادي علي وخولةُ خادمٌ في البيت تَرْدي(٦)

ألم ترى أنَّ خولةَ سوف تأتي بواري الزَّند صافي الخِيم نجْدِ(٧)

---

(١) الجسرة: العظيمة القوية من الإبل. والعذافرة: الشديدة منها.

(٢) ابن الحنفيَّة: هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأمَّه خولة بنت جعفر من بني حنيفة، وكنيته أبو القاسم، وكانت الكيسانية تعتقد إمامته وأنَّه بجبل رضوى (جبل بالمدينة) في شعب منه وأنَّه لم يمت، دخل الجبل ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، وهم أحياء يرزقون.

(٣) هو جعفر الصادق بن محمدالباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٤) محَّت: عفت، والسبل: المطر. (٥) ريح حرجف: باردة، وتستنّ: تعدو فيها إقبالاً وإدباراً. (٦) تَرْدي: تلعب، يقال: الجواري يردين ردياً إذا رفعن رجلاً ومشين على أخرى يلعبن. (٧) الخيم: الطبيعة والسجية.

يفوز بكنيتي واسمي لأنّي نحلتُهماهُ والمهديَ بعدي
يُغيّب عنهمُ حتى يقولوا تضمّنه بطيبة بطنُ لحْدِ
سنينَ وأشهراً ويُرى برضوى بشِعْب بين أنْمار وأسْدِ
مقيم بين آرامٍ وعِينٍ وحفّانٍ تروح خلال رُبْدِ(١)
تُراعيها السّباع وليس منها ملاقيهنّ مفترساً بحدّ
أمِنّ به الرّدى فرتعْن طوراً بلا خوف لدى مرْعى ووِرْدِ
حلفتُ بربِّ مكة والمصلّى وبيتٍ طاهر الأركان فرْدِ
يطوف به الحجيجُ وكلُّ عامٍ يَحُلُّ لديه وفدٌ بعد وفدِ
لقد كان ابنُ خولة غير شك صفاءَ ولايتي وخُلوص وُدّي
فما أحدٌ أحبُّ إليَّ فيما أسِرُّ وما أبوح به وأبدي
سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ولا أزكى وأطيب منه عندي
ومن ذا يابن خولة إذ رمتني بأسْهُمها المنيّةُ حين وعدي
يُذبّبُ عنكُم ويسدّ مما تثلّم من حصونكمُ كسدّي
وما لي أن أمُرّ به ولكن أؤمّل أن يؤخر يوم فقدي
فأدرك دولةً لك لستَ فيها بجبّار فتُوصفَ بالتّعدّي
على قوم بغوا فيكم علينا لتُعْدي منكمُ يا خير مُعْدِ(٢)
لتعلُ بنا عليهم حيث كانوا بغَوْرٍ من تهامة أو بنجدِ
إذا ما سرتَ من بلد حرامٍ إلى مَن بالمدينة من معدّ
وماذا غرّهم والخيرُ منهم بأشْوسَ أعصلِ الأنياب وَرْدِ(٣)
وأنت لمن بغى وعدا وأذكى عليك الحربَ واستدراك مُرْدِ (٢٣٢/٧)

(٣٧)

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيِّد: كنتُ عنده يوماً في جناح له، فأجال بصره فيه ثم

(١) الحفّان: صغار النعام، والرُّبْد: لون كلون الرماد. ينظر لسان العرب (٣/ ١٧٠).

(٢) يقال: استعداه فأعداه أي استنصره فنصره.

(٣) الشّوَس: النظر بمؤخر العين وإمالة الوجه في شقّ العين التي ينظر بها، ويكون ذلك من الكبر، والتيه، والغضب، وأعصل الأنياب: معوجّها.

قال: يا إسماعيل، طال والله ما شُتم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح. قلت: ومَن كان يفعل؟ قال: أبواي. وكان يذهب مذهب الكيْسانيّة ويقول بإمامة محمد بن الحنفيّة، وله في ذلك شعر كثير. وقد روى بعضُ مَن لم تصحّ روايتُه أنّه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميّة، وله في ذلك:

تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبر وأيقنتُ أنّ اللـه يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية مُحصِّل، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأنّ هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه، وشعرُه في قصائد الكيسانيّة مُباينٌ لهذا جزالةً ومتانةً، وله رونق ومعنى ليسا لما يُذكر عنه في غيره. (٢٣٥/٧)

(٣٨)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: كان لكثيِّر في النّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مقدّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثيِّر راوية جميل، وكان جميل صادقَ الصُّبابة والعشق، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنّه كان يتقوّل. وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب:

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثّلُ لي ليْلى بكلّ سبيل

قال: ورأيت مَن يفضّل عليه بيتَ جميل:

خليليّ فيما عِشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبْلي

قال ابن سلاّم: وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول:

أريد لأنســى ذكـرها فكـأنّما تمثّـلُ لـي ليْلى على كـلّ مَرْقَبِ (٩٥/٨)

(٣٩)

بنفـسِ يا جنان وأنـت منّي محلُّ الروح من جسد الجبان

..وهذا البيت أخذه (أبو دُلف) من كلام إبراهيم النّظام. (٢٤٨/٨)

(٤٠)

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: لقي إبراهيم النظّام غلاماً حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنّك لولا ما سبقَ من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبُر عن أن يسأل، كما أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر على أن يقول: لما أنبتُّ إلى مُخاطبتك ولا

انشرح صدري لمحادثتك، لكنّه سببُ الإخاء وعقْد المودّة، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام ـ وهو لا يعرفه ـ : لئن قلتَ ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام: الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة؛ وكياني مائلٌ إلى كيانك بكلّيّتي. ولو كان الذي انطوى عليه عرضاً لم أعتدّ به وُدّاً، ولكنّه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعدمُه بعدمها؛ وأقول كما قال الهذليّ:

فتيقّني أنْ قد كلفتُ بكم ثم افعلي ما شئتِ عن علم

فقال له النظّام: إنّما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُستحْسن؛ ولو علمتُ أنَّ محلّك مثلُ محلّ معْمر(١) وطبقته في الجدل لما تعرّضتُ لك. قال أبو الحسن: ومن هذا أخذ أبو دُلفَ قوله:

أحبُّك يا جنانُ وأنتِ منّي محلُّ الرُّوح من جسد الجبانِ (٢٤٨/٨)

(٤١)

حدّثني الصُّوليُّ قال حدّثني عونُ بن محمد الكنديّ قال: كنّا مع مخْلد الموصليّ في مجلس وكان معنا عبدُ الله بن ربيعة الرَّقّيّ: فأنشد مخْلد الموصلي قصيدةً له يقولُ فيها:

كلُّ شيء أقوى عليه ولكنْ ليس لي بالفراق منك يدان

فجعل يستحسنه ويردّده، فقال له عبدُ الله: أنتَ الفداء لم ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول:

سلبتْني من السُّرور ثيابا وكستني من الهموم ثيابا

كلما أغلقتْ من الوصل بابا فتحتْ لي إلى المنيّةِ بابا

عذّبيني بكلّ شيء سوى الصـ ـدّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال: فضحك الموصليّ. والشعرُ للعبّاس بن الأحنف. (٣٦٩/٨)

(٤٢)

قال: فقال امرؤ القيس:

طرقتك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ وهْناً ولم تكُ قبل ذلك تطرُقُ

وهي قصيدة طويلة، وأظنُّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، والتوليدُ فيها بيِّن، وما دوّنها في ديوانه أحد من الثّقات؛ وأحسبها مما صنعه دارمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه

(١) معمر: هو أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيميّ، من تيم قريش البصري النحوي العلاّمة.

مَن روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا. (٩/٩٧)

(٤٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمِّي قال: مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مرْوان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

وكذاك الزمانُ يذهب بالنا س وتبقى الديارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوصُ مثلك! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجود بيت فيها وجعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، ولا البيت لي ولا لك، هو للبيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر لبيدٌ قومه فقال:

فعفا آخرُ الزمان عليهم فعلى آخرِ الزمان الدَّبارُ
وكذاك الزمانُ يذهب بالنا سِ وتبقى الرُّسُوم والآثارُ

قال: فسكت موسى شهوات فلم يُحرِ جواباً كأنما أُلقمه حجراً.

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدّمشقي خبر الأحوص مع سلاّمة التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نمطَ الأحوص، والتوليدُ بيِّن فيه يشهد على أنه مُحْدث(١). والقصّة أيضاً باطلةٌ لا أصل لها؛ ولكنّي ذكرتُه في موضعه على ما فيه من سوء العهدة(٢). (٩/١٣٣)

(٤٤)

قال الفرزدق:

علام تلفتّين وأنتِ تحتي وخير الناس كلّهمُ أمامي
متى تردي الرصافة تستريحي من التّهجير والدُّبَر الدّوامي

---

(١) يلجأ أبو الفرج إلى النقد الداخلي للأبيات التي تنسب إلى الأحوص، فيوازن بينها وبين شعره الصحيح، الثابت النسبة له، فيجد اختلافاً كبيراً بين الأسلوبين، وتبايناً بين النمطين، وعلى هذا يردّ هذا الشعر، ويقطع بتوليده، وصناعته، وأنّه محدث لا يتناسب مع عصر الأحوص وجزالته.

(٢) كأنّ أبا الفرج يذكّرنا هنا بمنهجه الذي آثره، وهو منهج الرواة، فهو مع علمه بتوليد الرواية وشعرها، لكنّه يثبتها، ويردّ عهدتها إلى مَنْ رواها.

قلت (أبو الفرج): وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلْم في مدحه قُثَمَ بن العبَّاس فأحسن فقال:

نجــوتِ من حلِّي ومــن رحْلَتي ... ياناقُ إن أدنيـــتني من قُــثَمْ
إنــك إن أدنيــتِ مــنـه غـــداً ... حــالفنا اليُسْرُ ومــات العــدَمْ
فــي كــفِّه بحــرٌ وفي وجــهــه ... بدرٌ وفي العــرنين منه شــممْ
أصمُّ عن قِيل الخنا ســمعُهُ ... ومــا عن الخـيـر به من صـمم
لم يــدْرِ ماه لا» و«بلى» قــد دري ... فعــافها واعتاض منها «نعم» (١٦٩/٩)

(٤٥)

قال مؤلِّف هذا الكتاب: هذه الأخبار التي ذكرتُها عن ابن الكلبيِّ موضوعة كلُّها، والتوليدُ بيِّن فيها وفي أشعارها، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُريد بن الصِّمَّة على سائر الروايات. وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ؛ فإنه ذكر فيه، ما لحقَ دريداً من الهُجْنة والفضيحة في أصحابه وقَتْل من قُتل معه وانصرافه منفرداً، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنَّه ظفر ببني الحارث وقتلَ أماثلهم(١)؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبيِّ. وإنما ذكرتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتداولُوه. (٤٠/١٠)

(٤٦)

أنشدتُ عمِّي رحمه الله أبياتاً لابن دريد يمدح رجلاً من أهل البصرة:

يا من يُقَبِّلُ كــفَّ كلِّ مــخــرَقٍ ... هذا ابنُ يحــيى ليس بالمِخْراق
قَـــبِّلْ أنامله فلسن أنامــلا ... لكنهــنَّ مــفـــاتحُ الأرزاق

فقال: يا بُنيَّ هذا سرقه هو وابنُ الرُّوميِّ جميعاً من إبراهيم بن العبَّاس؛ قال إبراهيم بن العبَّاس يمدح الفضل بن سهْل:

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ ... تقاصَرَ عنها الأملْ
فــبــاطنُهــا للنَّدى ... وظاهــرُها للقُــبــلْ
وبسْطتُهـــا للغنى ... وسطوتُهـــا للأجلْ

---

(١) يلجأ أبو الفرج هنا إلى ما حول لردِّ بعض أخبار ابن الكلبي، فالشعر الصحيح النسبة له يشير إلى غير ما ذكره ابن الكلبي، ولذلك نرى أبا الفرج يردّ رواياته، ويضعِّفها.

وسرقه ابن الرُّوميّ فقال:

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومذلّةٍ والحُرُّ بينهما يموت هزيلا
فامدُدْ إليه يداً تعوَّد بطنُها بذْلَ النّدى وظهورُها التّقبيلا (٥٩/١٠)

(٤٧)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني علي بن محمد النّوْفليّ قال حدّثني أبي قال: اجتاز مروانُ بن أبي حفْصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد، وإنّه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشده إيّاه، أوّله:

مرْوانُ يابنَ محمدٍ أنت الذي زيدتْ به شرفاً بنو مروانِ

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهليّ حتى قام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعتُ قصيدتك وأعجبتني، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتك ما قد رُمته عنده؛ أتبيعني القصيدة حتى انتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلثمائة درهم. قال: قد ابتعتُها؛ فأعطاه الدراهم وحلّفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المُحْرجة ألاّ ينْتحلها أبداً ولا ينسبُها إلى نفسه ولا يُنْشدها، وانصرف بها إلى منزله، فغيّر منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معْن، وقال في ذلك البيت:

معْنُ بن زائدة الذي زيدتْ به شرفاً إلى شرف بنو شيْبان (٨٣/١٠)

(٤٨)

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن يزيد قال: قلت لدعبل: بالله أسألك أنت القائل:

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة إذا حُسِبوا يوماً وثامنهم كلبُ(١)

فقال: لا والله! فقلت: مَنْ قاله؟ قال: مَنْ حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهديّ، كافاني بذلك عن هجائي إيّاه ليُشيط(٢) بدمي. (١٣٠/١٠)

---

(١) جاء في ديوان دعبل (ص ١٠٢)، أنه يهجو بهذه القصيدة الخليفة المعتصم، وهو ثامن خلفاء بني العبّاس، فكأنّه يعرّض به، ويشير إليه.

(٢) أشاط دمه أو بدمه: أذهبه.

(٤٩)

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبّر لعليّ بن الجهْم وذكر أن علياً أنشده إيّاه لنفسه:

أميلُ مع الذّمام على ابن أمّي وآخُذ للصّديق من الشّقيقِ
وإن ألفيتني حُراً مُطاعاً فإنّك واجدي عبْدَ الصديق
أفرّق بين معروفي ومَنّي وأجْمعُ بني مالي والحقوق

فقال إبراهيم: كذب والله عليُّ بن الجهْم وأثم. والله لهذا الشعرُ أشهرُ بإبراهيم بن العبّاس من إبراهيم بالعباس أبيه. (٢١١/١٠)

(٥٠)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق والحسن بن عليّ قالا جميعاً حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني عيسى بن أبي حرْب قال حدّثني عليّ بن الجهْم قال: حبسني أبي في الكتّاب، فكتبت إلى أمي:

يا أمَّنا أفْديك من أمّ أشكو إليكِ فظاظة الجهْم
قد سُرّح الصّبْيانُ كلُّهُم وبقيتُ محصوراً بلا جُرْم

قال: وهو أوّل شعر قلته وبعثت به إلى أمّي: فأرسلتْ إلى أبي: والله لئن لم تُطلقه لأخْرجنَّ حاسرةً حتى أطْلقه. قال عيسى فحدّثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبّر فقال: عليُّ بن الجهم كذّاب، وما يمنعه من أن يكون ولّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة، ثم حدّثكم أنه قاله وهو صغير، ليرفع من شأن نفسه!. (٢١٧/١٠)

(٥١)

حدّثني الحسنُ بن علي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال أنشدني علي بن الجهْم لنفسه:

وإذا جزى اللّه امرأ بفعاله فجزى أخاً لي ماجداً سمْحا
ناديتُه عن كُرْبةٍ فكأنّما أطلعتُ عن ليلٍ به صُبْحا

فقلت له: ويْلك! هذا لإبراهيم بن العبّاس يقوله في محمد بن عبد الملك الزّيات! فجحدني

وكابر. فدخل يوماً عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العبّاس وأنا عنده. فلمّا رآني قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركتُه ساعةً ثم أنشدت البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس: إنَّ هذا يزعم أنَّ هذين البيتين له. فقال: كذب، هذان لي في محمد بن عبد الملك الزيّات. فقال له عليّ بن الجهم بقحة: ألم أنهكَ أن تنتحل شعري! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سوءةً عليك سوءةً لك! ما أوقحك! وهو لا يُنْكر في ذلك ولا يخْجل. ثم التقينا بعد مدّة فقال: أرأيت كيف أخزيتُ إبراهيم ابن العباس!! فجعلت أعْجبُ من صلابة وجهه. (١٠/ ٢٢٠)

(٥٢)

قال النابغة الذّبياني:

قالت ألا ليْتما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنا ونصْفُه فَقَدِ(١)
يحفُّه جانبا نيقٍ وتُتْبِعُه ... مثلَ الزُّجاجة لم تُكْحلْ من الرَّمدِ(٢)
فحسبوه فألفوه كما حسبتْ ... تسعاً وتسعين لم تنقُص ولم تزِدِ
فكمَلتْ مائةٌ فيها حمامتُها ... وأسرعتْ حِسْبةً في ذلك العددِ(٣)

هذا خبرٌ رُوي عن زرْقاء اليمامة(٤)، ويُرْوى عن بنت الخُسّ(٥).

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة، قالت:

ليت الحمامَ ليَه ... ونصْفَه قديَه(٦)
إلى حمامتيهْ ... تَمُّ الحمامُ ميهْ

فسلخه(٧) النابغة. وقال الأصمعيّ: سمعت أناسا من أهل البادية يتحدّثون أنَّ بنت الخُسّ كانت قاعدةً في جوارٍ، فمرَّ بها قطاً واردٌ في مضيقٍ من الجبل، فقالت:

يا ليت ذا القطا ليهْ ... ومثل نِصْفِ معيهْ

---

(١) فَقَدْ: فحسب. (٢) يحفُّه: يحيط به ويكتنفه، والنِّيق: الجبل، ومثل الزجاجة: يريد عيناً صافية مثل الزجاجة.
(٣) الحسبة: الهيئة التي تُحسب، يقال: ما أحسن حسبته، مثل الجِلْسة، واللِّبسة.
(٤) زرقاء اليمامة: امرأة من بقايا طسم وجديس كانت حديدة النَّظر، وكانوا يزعمون أنها تبصر مسيرة ثلاثة أيام. (٥) بنت الخسّ: امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة، اسمها: هند، وقيل: جمعة.
(٦) قديه: حسبي، والهاء الساكنة للسّكْت. (٧) السلْخ: من مصطلحات السرقة وقد مضى الحديث عنه.

إلي قطاةٍ أهليــة إذاً لنا قطاً مـيـة
وأتبعتُ فعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستٌّ وستون. (٣٥/١١)

(٥٣)

... قال الأخطل:

الآكلـون خبيـث الزادِ وحدهُـم والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ

... (قال أبو الفرج):... وقد احتاج جرير إلى سلخ(١) هذا البيت فَردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة، وضمنَّه بيتين من شعره فقال:

الآكلون خـبـيث الزاد وحـدهم والنازلـون إذا واراهُـمُ الخُمُـرُ(٢)
والظاعنون على العمياء إن رحلوا والسـائلون بظهـر الغيب ما الخبرُ (٦٥/١١)

(٥٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبِّر قال قرأتُ في كتاب قديم: قال عوفُ بن مُحلِّم لعبد الله بن طاهر في علّةٍ اعتلَّها:

فـإنْ تـكُ حُمّى الرِّبع شفَّك وِرْدها فـعُقْبـاكَ منهـا أن يطول لك العُمْرُ(٣)
وقيْناكَ لو نُعْطى المُنى فيك والهوى لكـان بنا الشّـكْوى وكان لك الأجْرُ

قال: ثم حُمَّ المتوكّلُ حمّى الرِّبْع، فدخل عليه مرْوان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِيِّ، وأدخل البيتين فيها فسُرَّ بها المتوكل. فقال له عليّ بن الجهْم: يا أمير المؤمنين، هذا شعرٌ مقُولٌ، والتفتَ إليَّ وقال: هذا يعلم، فالتفت إليَّ (المتوكّل) وقال: أتعْرفه؟ فقلتُ: ماسمعتُه قبل اليوم. فشتم عليّ بن الجهْم وقال له: هذا من حسدك وشرِّك وكذبك. فلمَّا خرجنا قال عليُّ بن الجهْم: ويْحك! مالك قد جُنِنْتَ! أما تعْرف هذه الشعر؟ قلتُ: بلى! وأنشدتُه إيّاه. فلمَّا عدتُ إلى المتوكّل من غدٍ قال له: يا أمير المؤمنين، قد اعترف لي بالشِّعر وأنشدنيه. فقال لي: أكذاك هو؟ فقلتُ: كذب (يا أمير المؤمنين)! ما سمعتُ به قطُّ.

---

(١) هذا أجدر أن يكون مصالتة من أن يكون سلخاً، لأنَّ السلخ أخذ بعض المعنى، أمّا المصالتة فهي أخْذُ البيت بأسره من غير تغيير شيء منه، وقد صنع جرير هذا في بيتَيْه. (٢) الخُمُر: ما واراك من شجر وغيره.
(٣) حمّى الرِّبْ: التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع.

فازداد عليه غيظاً وله شتْماً. فلمَّا خرجنا قال لي: ما في الأرض شرٌّ منك. فقلتُ له: أنت أحمقُ، تُريد منِّي أن أجيء إلى شعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحبُّه ويُعْجبه شعرُه فأقول له: إنِّي أعرفُه فأوقع نفسي وعرْضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده، ويسْقُطَ ذاك ويُبْغضني أنا!. (٨٦/١٢)

(٥٥)

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا | بحقلٍ لكم يا عزُّ قد رابني حقْلا(١)
فياعزُّ إن واشٍ وشى بيَ عندكم | فلا تُكرميه أن تقولي له مهلا
كما نحن لو واشٍ وشى بك عندنا | لقلنا تزحزح لا قريبا ولا سهْلا
ألم يأنَ لي يا قلب أن أترك الجهلا | وأن يُحدث الشيبُ الملمُّ لي العقْلا
على حينَ صار الرأس منِّي كأنَّما | علت فوقه ندافةُ العُطْبِ الغزْلا

الشعر لكثيِّر كلُّه إلا البيت الأوَّل فإنه انتحله، وهو للأفوه الأوْديِّ. (١٦٨/١٢)

(٥٦)

أخبرني محمد بنُ مزْيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصلي عن يزيد حوْراء المغنِّي قال: كان يزيدُ بنُ الحكم الثقفي يهْوى جاريةً مغنِّية، وكانت غير مطاوعةٍ له، فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرَّت بيزيد بن الحكم مع غِلمة لمولاها وهي راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال:

يأيها النازحُ الشُّسُوع | ودائعُ القلب لا تضيعُ(٢)
أستودعُ الله منْ إليه | قلبي على نأيه نَزُوعُ
إذا تذكرتُه استهلت | شوقاً إلى وجهه الدموعُ

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدَّة، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له: أأنت يزيدُ بن الحكم؟ قال: نعم، فدفع إليه كتابا مختوما، ففضَّه فإذا كتابها إليه وفيه:

لئن كوى قلبَك الشُّسوعُ | فالقلبُ منِّي به صُدوعُ
وبي وربُّ السماءِ فاعلم | إليك يا سيدي نُزُوعُ
أعززْ علينا بما تلاقي | فينا وإن شفَّنا الولوعُ

(١) حقْل: مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً كان لعزَّة صاحبة كثيِّر. (٢) الشُّسوع: الشاسع البعيد.

فالنفس حرّى عليك ولهى　　والعين عبرى لها دموع
فموتنا في يد التنائي　　وعيشنا القربُ والرجوعُ
وحيثما كنتَ يا مُنايا　　فالقلب منّي به خشوعُ
ثم عليك السلام منّي　　ما كان من شمسها طلوعُ

قال: فبكى والله حتى رحمه من حضر، وقال لنا الكهل: ما قصّتُه؟ فأخبرناه بما بينهما، فجعل يستغفر الله مِنْ حمْله الكتاب إليه، وأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر. (٢٩٢/١٢)

(٥٧)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: قال العتّابيّ:

هيبة الأخوان قاطعة　　لأخي الحاجات عن طلبه
فإذا ما هِبْتُ ذا أملٍ　　مات ما أمّلت من سببه

قال ابن مهرويه: هذا سرقه العتّابي من قول علي بن أبي طالب. رضي الله عنه: «الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرون بالحرمان، والفرصة تمرُّ مرَّ السحاب». (١١٦/١٣)

(٥٨)

أخبرني محمدُ بن عمران الصيرفيّ وعمي، قالا: حدّثنا الحسنُ بن عليل العنزيّ، قال: أخبرني علقمة بن نصر بن واصلٍ النمريّ، قال: سمعتُ أشياخنا يقولون: إنّ منصور بن بُجْرَةَ بن منصور بن صُليل بن أشيم بن قطنِ بن سعد بن عامرِ الضُّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، قال هذه القصيدة:

ما تنقضي حسرة منّي ولا جَزَعُ　　إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرتجَعُ
بان الشباب وفاتتني بِشِرَّتِهِ　　صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ(١)
ما كنت أولَ مسلوبٍ شبيبتَهُ　　مكسوِّ شيبٍ فلا يذهبْ بك الجزعُ

فسمعها منصورُ بنُ سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم بن مالكِ بن سعد بن عامرِ الضحيان فاستحسنها، فاستوهبها منه فوهبها له. (١٥١/١٣)

---

(١) فاتتني: تخطّتني ولم تُصبني، والشرة: النشاط.

(٥٩)

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هفّان لأبي الأسد في صديق له يقال له بِسْطام كان براً به ـ قال: وقد سرق البُحْتريُّ معناه منه في شعر مدح به عليّ بن يحيى المنجِّم :

أعْدو على مال بِسْطامٍ فأنْهبُهُ ... كما أشاءُ فلا تُثْنى إليّ يدي
حتى كأنّيَ بِسْطامٌ بما احتكمتْ ... فيه يداي وبِسْطامٌ أبو الأسدِ (١٤/ ١٤٠)

(٦٠)

وقال أبو عمرو: وزعموا أنّ قيس بن عيلان رغبتْ في البيت، وخُزاعة يومئذ تليه، وطمعوا أن ينزعوه منهم، فساروا ومعهم قبائلُ من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظَّرِب العَدْواني، فساروا إلى مكَّة في جمع لُهام(١)، فخرجتْ إليهم خزاعة فاقتتلوا، فهُزمتْ قيس، ونجا عامرٌ على فرس له جواد، فقال قيس بن الحُداديَّة في ذلك:

لقد سُمْتَ نفسك يابنَ الظَّرِبْ ... وجشَّمْتَهمْ منزلا قد صعُبْ
وحمَّلتَهمْ مركبا باهظا ... من العبء إذ سُقْتَهم للشَّغب
بحرب خُزاعة أهلِ العُلا ... وأهلِ الثَّناء وأهلِ الحسب
همُ المانعو البيت والذائدون ... عن الحُرُمات جميعَ العرب
نفَوا جُرْهُماً ونفَوا بعدهم ... كنانةَ غصْباً ببِيض القُضُب
وسُمْرِ الرماح وجُرْدِ الجياد ... عليها فوارسُ صدقٍ نُجُبْ
وهمْ ألحقوا أسداً عنوةً ... بأحياء طيٍّ وحازُوا السلَبْ
خُزاعةُ قومي فإن أفتخر ... بهم يزْكُ مُعتصري والنَّسبْ(٢)
هم الرأس والناس من بعدهم ... ذُنابى، وما الرأس مثلُ الذَّنب
يُواسى لدى المحلِ مولاهُمُ ... وتُكشف عنه غمومُ الكُرب
فجارُهُم آمنٌ دهره ... بهمْ أن يُضام وأن يُغتصبْ
يلبُّون في الحرب خوف الهجاء ... ويبْرون أعداءهم بالحربْ
ولو لم ينجِّك من كيدهم ... أمينُ الفصوص شديد العصب(٣)

---

(١) لُهام: كثير عظيم. (٢) زكا يزكو: نما، ويقال رجل كريم المعتصر: جواد عند المسألة كريم.

(٣) الفصوص: جمع فصّ، وهو ملتقى كلّ عظيمين، والأمين: القوي، أراد جواده الذي فرَّ عليه.

لـزرتَ المـنـايا، فـــلا تكفُـــرنْ   جـــوادك نُعْمـــاه يابن الطَّرب
فـإنْ يلتـقـوك يزُرْك الحـمـــا   م أو تنـــجُ ثانيـــةً بالهـــرب

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بيِّن التوليد. (١٤/١٤٨)

(٦١)

قال أبو عمرو: وكان ابن الحدادية أصاب دما في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا في فراس بن غَنم، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً، فهربوا فنزلوا في بَجيلة على أسد بن كُرز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمَّل عنهم ما أصابوا في خُزاعة وفي فراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسلم بن كرز:

لا تعذليني سلمى اليومَ وانتظري   أن يجمع الله شملا طالما افترقا
إن شتَّت الدهر شملا بين جيرتكم   فطال في نعمةٍ يا سلْم ما اتفقا
وقد حللنا بقسْريٍّ أخي ثقة   كالبدر يجلو دُجى الظلماء والأفقا
لا يجبرُ الناسُ شيئاً هاضه أسدٌ   يوما ولا يرتقُون الدهر ما فتقا
كم من ثناءٍ عظيم قد تداركه   وقد تفاقم فيه الأمرُ وانخرقا

قال أبو عمرو: وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرهُم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمَّاد الراوية لخالد القسريِّ في أيام ولايته، وأنشده إيَّاها فوصله، والتوليد بيِّن فيها جدًا. (١٤/١٥١)

(٦٢)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثني ابن مهرويه قال: قال لي إبراهيم بن المدبِّر: أتعرف الذي يقول:

إن كـنتَ لا ترهـبُ ذمّـي لمـا   تعرف من صفحي عن الجاهلِ
فـاخشَ سُكوتي فطِنا مُنصتـا   فيك لتحسـين خنا القائل
مـقـالةُ السّـوء إلى أهلهـا   أسـهلُ من منحدر سائل
ومن دعـا الناس إلى ذمّه   ذمُّوه بالحقّ وبالباطل

فقلت: هذه للعتّابي، فقال: ما أنشدتُها إلاّ لابن قُنبر، فقلت له: من شاء منهما فليقلْها، فإنه

سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة:

وإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما سكتُّ له حتى يلجَ ويستشري (١٤/١٦٦)

(٦٣)

أخبرنا الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: أنشدني أبو الشبل لنفسه:

عذيري من جواري الحـ ـي إذ يرغبن عن وصلي
رأيْنَ الشيبَ قد ألبـ ـسني أبْهةَ الكهْل
فأعرضْنَ وقد كنَّ إذا قيل أبو الشبل
تساعيْن فرقّعن الـ ـكُوى بالأعينُ النُّجل[1]

قال: وهذا سرقه من قول العُتبيّ:

رأين الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضنَ عنّي بالخدود النواضرِ
وكنّ إذا أبصرنني أو سمعنني سعيْن فرقّعن الكُوى بالمحاجر (١٤/٢٠٠)

(٦٤)

قال ابن حبيب: قالت الزباء ـ وقيل إنّه مصنوع منسوب إليها:

ما للجمالِ مشيُها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صَرِفاناً بارداً شديدا أم الرجالُ جُثّما قُعودا[2] (١٥/٣٢٠)

(٦٥)

قال الأصمعيّ: وقال لبيد يهجو الربيع بن زياد ـ ويزعمون أنها مصنوعة. قال:

ربيعُ لا يسُقْكَ نحوي سائقُ فتُطلَبَ الأذْحالُ والحقائقُ[3]
ويُعلمَ المُغْيا به والسّابقُ ما أنتَ إن ضمَّ عليك المازِقُ
إلاّ كشيءٍ عاقه العوائق إنّك حاسٍ حُسوةً فذائق
لابدَّ أن يُغمز منك العاتق غمزاً ترى أنك منه ذارقُ
إنك شيخٌ خائن منافقُ بالمخزيات ظاهرٌ مطابقُ (١٥/٣٦٦)

---

(١) الكوى: جمع كوّة، وهي الخرق في الحائط، يريد نظرن من خلال الكُوى إليّ.

(٢) الصَّرَفان: الرصاص، أو ضرب من التمر. (٣) الأذحال: جمع ذحل، وهو الثأر.

(٦٦)

أخبرني ابن عمار ويحيى بن علي، قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبي بكرٍ الأصم قال: كنا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدعبل بن عليّ: «أين الشبابُ وأيةً سلكا». فاستحسنا قوله:

لا تعجبي يا سلْمُ من رجلٍ ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال الأصمعيّ: هذا أخذه من قول الحسين بن مطير:

أين أهل القباب بالدهناء أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرض مُلبسة نو ر الأقاحي يُجاد بالأنواء

كلُّ يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء (٢٠/١٦)

(٦٧)

قال النعمان بن بشير:

كأنَّ الرضابَ وصوْبَ السحا بِ بات يُشابُ بنوْب العسلْ

من الليل خالط أنيابها بُعيد الكرى واختلاف العلَلْ(١)

أخذ هذا المعنى جميل منه فقال:

وكأنَّ طارقها على عَلَل الكرى والنجمُ وَهْناً قد دنا لتغوُّرِ

يشتمُّ ريح مدامة معلولة بسحيقِ مسكٍ في ذكيِّ العنبرِ (٤٩/١٦)

(٦٨)

... وقد كان أبو الشمقمق عارض ربيعة الرَّقّي في قوله:

لَشتّان ما بين اليزيدَين في الندى يزيد سُليم والأغرُّ ابنُ حاتمِ

في قصيدة مدح بها يزيد بن مزْيد، وسلخ بيت الرقّي، بل نقله وقال:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى إذا عُد في الناس المكارمُ والمجدُ

يزيدُ بني شيبان أكرم منهما وإن غضبت قيسُ بن عيلان والأزدُ

فتى لم تلده من رُعين قبيلةٌ ولا لخْمُ تُنْميه ولم تُنمه نهْدُ

---

(١) اختلاف العلل: حدوث النوم بعد النوم.

ولكن نمته القُرُّ من آل وائل ... وبَرَّةُ تنميه ومن بعدها هند

ولم يسر في هذا المعنى شيء كما سار بيت ربيعة. (١٦/ ٢٦٠)

(٦٩)

أخبرني محمد قال: حدّثني هارون بن عبد الله المهلّبيّ قال: كنّا في حلْقة دعْبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتتبّع معانيّ فيأخذُها. فقال له رجل في مجلسه: وأي شيء من ذلك، أعزّك الله؟ قال: قولي:

وإنّ امرأً أسْدى إليّ بشافع ... إليه ويرجو الشكر منّي لأحمقُ

شفيعك فاشكر في الحوائج إنه ... يصونُك عن مكروهها وهو يَخلُق

فقال الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ فقال: قال:

فلقيتُ بين يديك حُلْوَ عطائه ... ولقيت بين يديْ مُرَّ سؤاله

وإذا امْرؤ أسدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنها من ماله

فقال له الرجل: أحسن والله. فقال: كذبتَ قبحك الله. فقال: والله لئن كان أخذه منك، لقد أجاد، فصار أولى به منك، وإن كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه. فغضب دعبل وانصرف. (١٦/ ٣٨٦)

(٧٠)

أخبرني أبو العباس أحمد بن وصيف، وأبو عبد الله أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني ابن عمي، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال: كنّا عند دِعْبل أنا والقاسم، في سنة خمس وثلاثين ومئتين، بعد قدومه من الشام، فذكرنا أبا تمام، فثلبه، وقال: هو سروق للشعر. ثم قال لغلامه: يا ثقيف، هات تلك المخلاة. فجاء بمخلاة فيها دفاتر، فجعل يمرُّها على يده، حتى أخرج منها دفتراً، فقال: اقرءوا هذا. فنظرنا فيه، فإذا فيه: قال مُكْنف أبو سلْمى، من ولد زهير بن أبي سلْمى، وكان هجا ذُفافة العَبْسيّ بأبيات منها:

إن الضُّراط به تصاعد جَدُّكُم ... فتعاظموا ضَرْطاً بني القعقاعِ

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك، فرثاه فقال:

أبعد أبي العباس يُسْتَعْذَبُ الدهرُ ... فما بعده للدهر حُسنٌ ولا عُذْرُ

ألا أيُّها الناعي ذُفافـة والنـدى   تعَسْت وشلَّت من أناملك العـشـر
أتنعى لنا منْ قيس عيلانَ صخرة   تفلَّق عنها من جبال العدا الصخر
إذا مـا أبو العـبـاس خلَّى مكانه   فـلا حـملـتْ أنثى ولا نالـهـا طُهْرُ
ولا أمطرتْ أرضـاً سماءٌ ولا جرتْ   نجومٌ ولا لذَّتْ لشـاربهـا الخمـر
كـأنَّ بني القـعـقـاع يوم مُصابه   نجومُ سـمـاءٍ خرَّ من بينهـا البـدر
توفِّيـتِ الآمـالُ يـومَ وفـاتـه   وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفْر السفر

ثم قال: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة، فأدخلها في قصيدته:

كذا فليجلِّ الخطبُ وليَفدحِ الأمـرُ   وليس لعين لـم يفـضْ مـاؤهـا عُذْرُ   (٣٩٦/١٦)

(٧١)

...لمَّا سمع أبو نُواس أبيات أبي الشيص:

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي   متأخَّـر عـنـه ولا متقـدَّمُ
أجـد الملامـة في هواك لذيذة   حـبـاً لذكـرك فليلمني اللّـومُ
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبّهم   إذ كـان حظي منك حظّي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً   ما مَـنْ يهـون عليك ممنْ يُكرم

قال له: وحياتك لأسرقنّ هذا المعنى منك، ثم لأغلبنك عليه، فيشتهُر ما أقول: ويموت ما قلت.
قال: فسرق قوله: وقف الهوى بين حيث أنت فليس لي   مـتـأخَّـرٌ عنـه ولا متقـدَّمُ
سرَقاً خفياً، فقال في الخصيب:

فما جازه جودٌ ولا حلّ دُونَـه   ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت أبي نواس، وسقط بيت أبي الشيص.   (٤٠٢/١٦)

(٧٢)

أخبرني محمد، قال حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: حدّثني سعيد بن حميد، قال: كانت فوز قد مالتْ إلى بعض أولادِ الجُنْد، وبلغ ذلك العباس، فتركها ولم ترْضَ هي البديل بعد ذلك، فعادت إلى العباس، وكتبت إليه تُعاتبه في جفائه؛ فكتب إليها:

كتبتْ تلوم وتسـتـريبُ زيارتي   وتقـولُ: لستَ لنا كـعـهدِ العاهدِ
فأجبتُها ودموعُ عينيَ جـمَّـةٌ   تجْري على الخدَّيْن غيرَ جوامدِ!

يا فوزَ لم أهجركُمُ لملالةٍ ... منِّي ولا لمقالِ واشٍ حاسدِ

لكنَّني جرَّبتكُمْ فوجدتُكم ... لا تصبرونَ على طعامٍ واحدِ

وقد أنشدني عليُّ بن سليمان الأخفش هذه الأبيات، وقال: سرقها من أبي نواس حيث يقول:

ومُظْهِرة لخلْقِ اللهِ وُدّاً ... وتلْقى بالتحيَّةِ والسلامِ

أتيتُ فؤادَها أشكو إليه ... فلم أخْلُصْ إليه من الزِّحامِ

فيا مَنْ ليس يكْفيه مُحبٌّ ... ولا ألفا مُحِبٍّ كلُّ عامِ

أظنُّكِ مِنْ بقية قوم مُوسى ... فهُمْ لا يصبرون على طعامِ (٧٢/١٧)

(٧٣)

بانت سعادُ وأمسى حبْلها انقطعا ... واحتلَّت الغوْر فالجدَّين فالفَرَعا

وأنكرتْني وما كان الذي نكِرتْ ... من الحوادث إلاَّ الشَّيبَ والصَّلَعا

الشعر للأعشى، أعشى بني قيس بن ثعلبة. وزعم الأصمعيّ أن البيت الثاني هو صنعه ونحله الأعشى. أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، عن عمه، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال: ما نحلت أحداً من الشعراء شيئاً قطّ لم يقُله إلاَّ بيتاً واحداً نحلتُه الأعشى، وهو:

وأنكرتْني وما كان الذي نكِرتْ ... من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعا (١٧٦/١٧)

(٧٤)

يا دنانيرُ قد تنكَّر عقْلي ... وتحيَّرتُ بين وعْدٍ ومَطْلِ

شفِّعي شافعي إليكِ وإلاَّ ... فاقتُليني إن كنتِ تهْوين قتْلي

الشعرُ والغناء لعَقيد مولى صالح بن الرشيد، وهذا الشعر يقوله في دنانير مولاة البرامكة، وكان خطبها فلم تُجبه، وقيل: بل قاله أحدُ اليزيديين ونحله إيَّاه. (٦٤/١٨)

(٧٥)

قال الكرانيّ: وحدثني الرِّيَاشيّ قال: سمعت خلف بن خليفة يقول: قال لي ابن مُناذر: قال لي جعفرُ بن يحيى: قلْ فيَّ وفي الرَّشيد شعراً تصف فيه الألفة بيننا فقلت:

قد تُقطعُ الرَّحِمُ القريبُ وتُكفر النُّعمى ... ولا كتقاربُ القلْبين

يُدْني الهوى هذا ويُدْني ذا الهوى ... فإذا هُما نفْسٌ تُرى نفْسينِ

قال مؤلف هذا الكتاب: هذا أخذه من كلام رسول الله(ص) نقلاً؛ فإن ابن عُيينة روى عن إبراهيم بن ميْسرة، عن طاوس، عن ابن عبّاس: أن النبي(ص) قال: إنَّ الرّحم تُقْطَع، وإنَّ النِّعم تُكفَر، ولن ترى مثلَ تقاربِ القلوب». (٢٠٣/١٨)

(٧٦)

حدّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريُّ، قال: حدّثني أبو هفان، قال: حدّثني سعيد بن هُرَيْم وأبو دعامة، قالا: كان انْقطاعُ أشجع إلى العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، فقال الرّشيدُ للعباس يوماً: يا عمُّ، إنَّ الشُّعراء قد أكثروا في مدْح محمد بسببي وبسبب أمّ جعفر، ولم يقل أحدٌ منهم في المأمون شيئاً، وأنا أحبّ أن أقع على شاعر فطِنٍ ذكيّ يقول فيه، فذكر العبّاسُ ذلك لأشْجع، وأمره أن يقول فيه، فقال:

بيْعــةُ المأمــون آخذةٌ   بعنان الحـقّ في أفُقِــهْ
أحكمتْ مِرّاتُها عُقداً   تمنع المُخْتال في نفقِه[١]
لن يفكَّ المرءُ رِبْقَتـهـا   أو يفكَّ الدِّينَ من عُنُقـه
ولـه مـن وجْـه والـده   صُورةٌ تمّتْ ومن خُلُقـه

قال: فأتى بها العبّاسُ الرّشيدَ، وأنشده إيّاها فاستحسنها وسأله: لمن هي؟ فقال هي لي، فقال: قد سررتني مرّتين: بإصابتك ما في نفسي، وبأنّها لك، وما كان لك فهو لي، وأمر له بثلاثين ألف دينار، فدفع إلى أشْجع منها خمسةَ آلاف درهم، وأخذ باقيها لنفسه. (٢٢٨/١٨)

(٧٧)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا محمد بن مُوسى، قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعْد، قال: حدّثني محمد بن عبدِ الله بن مالك قال: كان حرْبُ بنُ عَمْرو الثّقفيُّ نخّاساً، وكانت له جارية مُغنّية، وكان الشعراء والكُتّاب وأهلُ الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها، ويُنْفِقون في منزله النُّفقات الواسعةَ، ويبرُّونه ويُهدون إليه، فقال أشْجع:

جــاريــةٌ تهـتــزُّ أردافُهــا   مُشْـبـعــةُ الخلْخــال والقُلْب[٢]
أشكُو الذي لاقـيتُ من حُبّهـا   وبُغْـضِ مـوْلاهــا إلـى الرّبِّ

---

(١) المِرّات: جمع مِرّة، وهي طاقة الحبل. (٢) القُلْب: سوار المرأة.

مِن بُغْض مولاها ومن حُبِّها ... سقِمتُ بين البُغْض والحُبِّ
فأختلجا في الصدر حتى استوى ... أمرُهما فاقتسما قلْبي
تعجَّل اللهُ شفاني بها ... وعجَّل السُّقم إلى حربِ

قال مؤلف هذا الكتاب: فأخذ هذه المعنى بعضُ المُحْدثين من أهْل عصْرنا، فقال في مُغنِّية تُعرف بالشاة:

بحُبِّ الشَّاةِ ذبتُ ضنىً ... وطال لزوجها مقْتي
فلو أنِّي ملكْتُهما ... لأسْعدَ في الهوى بخْتي
فأدخل في استها أيْري ... ولحيةَ زوْجها في استي (٢٤٩/١٨)

(٧٨)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدَّثني أبو العيناء قال: سُئل الأصمعيّ عن شعر تُبَّع وقصَّته ومَنْ وضعهما؟ فقال: ابنُ مفرِّغ؛ وذلك أن يزيد بن معاوية لمَّا سيَّره إلى الشام وتخلَّصه من عبَّاد بن زياد أنزله الجزيرة، وكان مُقيماً برأس عيْن(١)، وزعم أنه من حِمْير، ووضع سيرةَ تُبَّع وأشعاره، وكان النَّمر بن قاسط يدَّعي أنَّه منهم (٢٥٤/١٨)

(٧٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدَّثني الحسين بن أبي السَّري. وأخبرني بهذه الأخبار محمَّد بن خلف بن المرزبان، قال: حدَّثني إبراهيم بن محمد الوراق، عن الحسين بن أبي السَّريّ قال: قيل لمسلم ابن الوليد: أي شعرك أحبُّ إليك؟ قال: إنَّ في شعري لَبيتاً أخذت معناه من التوراة، وهو قولي:

دلَّتْ على عيبها الدنيا وصدَّقها ... ما استرجع الدهر ممَّا كان أعطاني (٤٥/١٩)

(٨٠)

أخبرني عمِّي، قال: أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني أحمد بن صالح المؤدب، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، قال: حدَّثني أبي، عن أحمد بن صالح قال، قال بشارُ

---

(١) رأس عين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرَّان ونصيبين ودُنيسر، فيها عيون كثيرة صافية تجتمع كلّها فتصير نهر الخابور. ينظر معجم البلدان (١٤/٣).

بن برد: لا خيْرَ في العيشِ إن دُمنا كذا أبـداً ... لا نلتـقـي وسـبيلُ المُلتقـى نَهَـجُ
قالـوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لهـمْ ... مـا في التّلاقي ولا في غيره حـرجُ
مَنْ راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجته ... وفـاز بالطيّبـات الفـاتِكُ اللهـجُ

قال: فقال سلم الخاسر أبياتاً، ثم أخذ معنى هذا البيت، فسلخه، وجعله في قوله:

مَن راقبَ الناسَ مات غمّاً ... وفـاز باللـذة الجسـورُ

فبلغ بيتُه بشاراً، فغضب واستشاط، وحلفَ ألا يدْخلَ إليه، ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيّاً. فاستشفعَ إليه بكلِّ صديق له، وكلِّ من يثقُل عليه ردُّه، فكلّموه فيه، فقال: أدخلوه إليَّ، فأدخلوه إليه فاستدناه، ثم قال: إيه يا سلم، من الذي يقول:

مَن راقب الناسَ لم يظْفرْ بحـاجته ... وفـاز بالطيّبـاتِ الفـاتكُ اللهـجُ

قال: أنت يا أبا معاذ، قد جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غمّاً ... وفـاز باللـذة الجَسورُ؟

قال: تلميذك، وخرّيجك، وعبدك يا أبا معاذ، فاجتذبه إليه، وقنّعه بمخصرة(١) كانت في يده ثلاثاً، وهو يقول: لا أعود يا أبا معاذُ إلى ما تُنْكره، ولا آتي شيئاً تذُمّه، إنّما أنا عبدك، وتلميذك، وصنيعتك، وهو يقول له: يا فاسق! أتجيء إلى معنىً قد سهرتُ له عيني، وتعب فيه فكري، وسبقتُ الناسَ إليه، فتسرقه، ثم تختصره لفظاً تقرّبه به، لتزْري عليَّ، وتُذهب بيتي؟ وهو يحلف له ألا يعود، والجماعة يسألونه. فبعد لأي وجهد ما شفّعهم فيه، وكفَّ عن ضربه، ثم رجع له، ورضي عنه. (٢٦٣/١٩)

(٨١)

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمار، قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور، قال: حدّثني عبدُ الوهاب بن مرّار، قال: حدّثني أبو معاذ النُّميريّ راوية بشار، قال: قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت:

من راقب الناس لم يظْفرْ بحاجته ... وفـاز بالطيّبـاتِ الفـاتكُ اللهـجُ

قال: فقلت له يا أبا مُعاذ! قد قال سلم الخاسر بيْتاً، هو أحسنُ وأخفّ على الألسن من بيتك

---

(١) قنّعه: ضربه، والمخصرة: أداة كالسوط.

هذا، قال: وما هو؟ فقلت:

من راقب الناس مات غماً　　وفــاز باللــذة الجَســورُ

فقال بشار: ذهب والله بيتنا، أما والله لوددت أنه ينتمي في غيرِ ولاء أبي بكر - رضي الله عنه - وأني مُغرم ألف دينار محبة منّي لهَتْك عرضه وأعراض مواليه! قال: فقلت له: ما أخرج هذا القولَ منك إلاّ غمّ، قال: أجل، فوالله لا طعمت اليوم طعاماً، ولا صُمْت. (١٩/٢٦٤)

(٨٢)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني يونُس بنُ عبد الله بن سالم الخياطُ قال: دخل أبي علي المهدي فمدحه، فأمر له بخمسين ألف درهم فقال يمدحه:

أخـذتُ بكفّي كـفّه أبتـغـي الغنى　　ولم أدر أنّ الجـود من كـفّـه يُعـدي

فـلا أنا مـنه مـا أفـاد نوو الغنى　　أفـدتُ وأعداني فـأتلفت مـا عندي

قال: فبلغ المهديّ خبرُه فأضعف جائزته، وأمر بحملها إليه إلى منزله. قال الزبير بن بكّار: سرق ابن الخياط هذا المعنى من ابن هرْمة. (٢٠/١)

(٨٣)

... وقد أخذ البحتريّ أكثر معاني (قصيدة علي بن جبلة في رثاء حُميد الطوسي التي مطلعها:

أللدهر تبكي أم على الدهر تجزعُ؟　　ومـا صـاحب الأيّـام إلاّ مفجّـعُ)

فسلخه، وجعله في قصيدتيه اللتين رثى بهما أبا سعيد الثغري: «انظر إلى العلياء كيف تضام»(١) و«بأي أسى تثنى الدموع الهوامل»(٢). وقد أخذ الطائيّ أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة، وإذا تأمل ذلك منتقد بصير عرفه. (٢٠/٢٩)

(٨٤)

أخبرني عليُّ بن سليمان قال: قال لي أبو العباسِ محمدُ بن يزيد: قال النابغة الجعديّ:

أكْني بغير اسمها وقد علم الله　　خفيّاتِ كلّ مُكْتتم

---

(١) عجز البيت: ومأتم الأحساب كيف تقامُ.　(٢) عجز البيت: وترجى زيال من جوىً لا يزايلُ.

وهو سبق الناسَ إلى هذا المعنى، وأخذوه جميعاً منه، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول:

أســألُ المُقـبليـن مــن حكَـمـانِ كـيـف خلَّفـتُمـا أبـا عـثـمـانِ؟
فـيقولان لي جنانٌ كما سـرَّكَ فـي حـالهـا فـسـلْ عن جـنان
مـا لهـمْ لا يبارِكُ اللـه فيهـمْ كيف لـم يُغْنِ عندهـمْ كتماني! (٦٧/٢٠)

(٨٥)

وقال في دنيا أيضاً، وأنشدناه الأخفش عن المبرِّد، وأنشدناه محمدُ بن العباسِ اليزيديَّ قال: أنشدني عمي عُبيد الله لأبي عيينة:

حيـن قـالت دنيـا علام نهــارا زُرت؟ هلا انتظرتَ وقت المساء!
إن تكــن مُعْجـباً برأيـك لا تفْـ ـرَق فـاسـتـحْي يا قليلَ الحـيـاء
ذاك إذ رُوحـهـا وروحي مـزاجـا ن كـأصـفـى خـمـرٍ بأعـذبِ مـاء

قال محمدُ بن يزيد: وقد أخذ هذا المعنى غيرُه منه ولم يسمِّه، وهو البحتريُّ فقال:

جـعلتُ حبَّكِ مــن قلبي بمنزلـة هي المصـافـاةُ بين الماء والراحِ
تهتزُّ مثلَ اهتزاز الغصن حرَّكه مرورُ غيثٍ من الوسْمي سـحّاحِ[1] (٨٦/٢٠)

(٨٦)

أخبرني عليُّ بن صالحٍ قال: حدّثني أبو هفّان قال: قال مسلم بن الوليد:

مُسْـتَعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيبْ

فسرقه دعبل، فقال: لا تعجبي ياسـلم من رجـل ضـحك المشيب برأسه فبكى

فجاء به أجود من قول مسلم، فصار أحقَّ به منه. قال أبو هفان: فأنشدت يوماً بعض البصريين الحمقى قول دعبل: «ضحك المشيب برأسه فبكى» فجاءني بعد أيام، فقال: قد قلتُ أحسن من البيت الذي قاله دعبل، فقلت له: وأيُّ شيء قلت؟ فتمنَّع ساعة، ثم قال: قلت: قهقه في رأسك القتيرُ[2]. (١٢٦/٢٠)

(٨٧)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو المثنّى أحمدُ بن يعقوبَ

---

(١) الوسميّ: مطر الربيع الأول، لأنه يسم الأرض بالنبات. وسحّاح: هاطل. (٢) القتير: الشَّيب.

ابن أخت أبي بكرٍ الأصمِّ قال: كنّا في مجلس الأصمعيّ، فأنشده رجل لدعبل قوله:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

فاستحسنّاه، فقال الأصمعيّ: إنّما سرقه من قول الحُسين بن مُطير الأسديّ:

أين أهلُ القباب بالدهناء؟ أين جيراننا على الأحساء؟

فارقونا والأرضُ مُلبسةٌ نوْ رَ الأقاحي تُجاد بالأنواء

كلُّ يوم بأقحُوان جديدٍ تضحك الأرضُ من بُكاء السماء (١٢٧/٢٠)

(٨٨)

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ قال حدّثنا محمدُ بن يزيد قال: سألت دعبلاً عن هذه الأبيات: «ملوكُ بني العباس في الكتْب سبعة» فأنكر أن تكون له. فقلتُ له: فمن قالها؟ قال: من حشا الله قبره نارا، إبراهيمُ بن المهديّ، أراد أن يُغريَ بي المعتصم فيقتلني لهجائي إياه. (١٤٥/٢٠)

(٨٩)

حدّثني حبيبُ بن نصرٍ المهلّبيُّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: سألتُ دعبلاً من الذي يقول: «ملُوك بني العباس في الكتْبِ سبعة» فقال: مَن أضرم الله قبره ناراً، إبراهيم بن المهديّ، قال ابن أبي سعد: وحدّثني عبدُ العزيز بن سهل أنه سأله عنها فاعترف بها. (١٥٥/٢٠)

(٩٠)

أخبرني محمدُ بن عمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمي قالوا: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني عليُّ بن أبي عمرو الشيبانيُّ قال: جاءني إسمعيلُ بن إبراهيم بن ضمْرة الخُزاعيُّ، فقال لي: إنّي سألت دعبلا أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مرُّ الأربعينا

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه، فيكونَ أهونَ عليُّ منك. فقلت له: لقد اخترْتُ صديقاً لي يقال له: علي، فقال: أمن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: منْ أيِّ العرب؟ قلت: مِن بني شيْبان. قال: شيبانُ كندة؟ فقلت: بل شيْبانُ ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأتيني برجل أسمعه ما يكره في قومه؟ فقلت: له: إنه

رجل يحتمل، ويحبَّ أن يسمع ماله وعليه، فقال: في مثل هذا رغبة، فأتني به، فصرنا إليه، فلما لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررتُ به: أن كنت رجلاً من العرب تُحب أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تغبن، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله:

مِن أي ثنيَّة طلعت قريش　　وكانوا معشـراً متنبَطينا

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي، ثم قال: لعنه الله وانتقم منه - يعني أبا سعد المخزوميَّ - دسّه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجرد البيت بحدّها. (١٦٧/٢٠)

(٩١)

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدّثني محمدُ بن داودَ الجراحُ قال: حدّثني أبو القاسم عُبيد الله بنُ محمد اليزيديُّ قال: حدّثني أحمد بن محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقتُ من الشعر شيئاً إلا معنيين؛ قال مُسلم بن الوليد:

ذاك ظبي تحيّر الحسنُ في الأر　　كان منه وحلّ كل مكانِ
عرضتْ دونه الحجال فما يلـ　　ـقاك إلا في النوم أو في الأماني

فقلت:
يا بعيد الدار موصو　　لاً بقلبي ولساني
ربما باعدك الدهـ　　ـر وأدنتك الأماني

وقال مسلم أيضاً: متى ما تسمعي بقتيل حُبٍّ　　أصيب فإنّني ذاك القتيلُ

فقلت أنا:
أتيتك عائذاً بكِ منـ　　ـكِ لما ضاقت الحيلُ
وصيّرني هواكِ وبي　　لحيني يُضرب المثل
فإن سلمتْ لكم نفسي　　فما لاقيته جلل
وإن قتل الهوى رجلا　　فإني ذلك الرجلُ　　(٢٤٢/٢٠)

(٩٢)

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش، قال حدّثني فضل اليزيديّ أنه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول، وأنشد شعراً لأبي الهنديّ في صفة الخمر فاستحسنه وقرّظه، فذُكر عنده أبو نواس، فقال: ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة؟ وأنا أوجدكم سلْخه هذه

المعاني كلّها في شعره، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهنديّ؛ ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره. (٢٠/٣٢٩)

(٩٣)

أخبرني الحسن بن عليّ؛ قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني شيخ من أهل البصرة، قال: كنّا عند أبي عُبيدة، فأنشد منشد شعراً في صفة الخمر ـ أنسيه الشيخ ـ فضحك ثم قال: هذا أخذه من قول أبي الهنديّ:

سيغْنى أبا الهندي عن وطْبِ سالم ... أباريقُ لم يعلـق بها وضـر الزُّبْدِ(١)
مُفـدَّمـةٌ قُـزٌّ كـأنّ رقـابهـا ... رقـابُ بنات الماء تفْزعُ للرعـد(٢)
جلتْها الجوالي حين طاب مزاجها ... وطيَّبتها بالمسـك والعـنبر والورْد
تمجّ سُلافا في الأباريق خالصاً ... وفي كلّ كأس من مهاً حسن القدِّ
تضـمَّنهـا زِقّ أزبّ كـأنّـه ... صريعٌ من السودانِ ذو شـعر جعْدِ(٣) (٢٠/٣٢٩)

(٩٤)

وقال ابنُ الكلبيّ: حدّثنا بعضُ بني الحارث بن كعب قال: اجتمع يزيدُ بن عبد المدان وعامرُ بن الطّفيل بموسم عُكاظ، فقدم أميةُ بنُ الأسكر، ومعه بنتُ له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيدُ وعامرُ، فقالت أمُّ كلابٍ امرأةُ أمية: مَن هذان الرجلان؟ قال: هذا ابنُ الديّان، وهذا عامر بن الطفيل. قالت: أعرف ابنَ الدّيان، ولا أعرف عامراً. قال: هل سمعْتِ بمُلاعب الأسنة؟ قالت: نعم والله. قال: فهذا ابنُ أخيه. وأقبل يزيدُ فقال: يا أميّةُ أنا ابنُ الديان صاحبُ الكثيب، ورئيسُ مذْحِج، ومكلِّمُ العُقاب، ومن كان يصوِّب أصابعه فتنطف دما، ويدلك راحتيْه فتخرجان ذهبا قال أميـة: بخٍ بخٍ. فـقال عامـر: جدّي الأحزمُ، وعمّي أبو الأصبع، وعمّي مُلاعبُ الأسنّة، وجدّي الرّحّال، وأبي فارس قُرْزُل. قال أميـة: بخٍ بخٍ، مرْعىً ولا كالسَّعْدان، فأرسلها مثلاً(١). فقال

---

(١) الوطب: سقاء اللبن، والوضر: وسخ الدّسم.

(٢) مفدّمة: وصف من فدم الإناء: إذا جُعِل عليه الفِدام، وهو مصفاة صغيرة، أو خرقة تُجعل على فم الإبريق ليصفى بها ما فيه، والقزّ: التباعد من الدّنس، وكلُّ ما يُستقذر، يريد أنّها قُدمت صيانة لها، ومحافظة على ما فيها.

(٣) الأزبّ: في الأصل كثير شعر الوجه والأذنين، والمراد أنّه ذو شعر. (٤) شُرح هذا المثل في موضع سابق.

يزيد: يا عامرُ، هل تعلم شاعراً من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك؟ قال: لا قال: فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي؟ قال: نعم، قال: فهل لك نجْمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيف يمانٍ أو ركن يمانٍ؟ فقال: لا، قال: فهل ملكنا كم ولم تملكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد وقام، ثم قال:

أميَّ يابنَ الأسكر بنِ مدلَج ... لاتجعلنْ هوازنا كمنحجِ
إنّك إن تلهج بأمر تلججِ ... ما النَّبع في مغرسه كالعوسَجِ
ولا الصَّريحُ المحضُ كالمزَّجِ

وقال مُرَّةُ بنُ داودان العقيلي، وكان عدوّاً لعامر بن الطفيل:

ياليت شعري عنك يا يزيدُ ... ماذا الذي من عامر تريدُ؟
لكلُّ قوم فخرُهم عتيدُ ... أمُطلقون نحن أم عبيدُ؟
لا بل عُبيدٌ زادُنا الهبيد(١)

فزوَّج أمية يزيد فقال يزيد في ذلك:

يا للرجال لطارق الأحزان ... ولعامر بن طفيلٍ الوسنانِ
كانت إتاوةُ قومه لمحرِّق ... زمنا وصارت بعدُ للنعمان
عدُّ الفوارسَ من هوازن كلّها ... كثْفاً عليَّ وجئتُ بالدَّيان(٢)
فإذا ليَ الفضلُ المبين بوالدٍ ... ضخمِ الدَّسيعة أزأنيٍّ ويمان(٣)
يا عامِ إنك فارسٌ متهورٌ ... غضُّ الشباب أخونديٌّ وقيان
ليستْ فوارسُ عامر بمُقرّةٍ ... لك بالقضية في بني عيْلان
فإذا لقيتَ بني الخميس ومالكاً ... وبني الضِّباب وحيَّ آل قنان
فاسأل مَن المرءُ المُنوّه باسمه ... والدافعُ الأعداء عن نجران؟
يُعطي المقادة في فوارس قومه ... كرما لعمرك والكريم يمان

فقال عامر بن الطفيل مجيباً له:

يا للرجال لطارق الأحزان ... ولما يجيء به بنو الدَّيانِ

---

(١) الهبيد: الحنظل. (٢) الكثف: الكثرة والالتفاف.

(٣) أزأنيّ: لغة في يَزَنيّ، نسبة إلى يزن، بطن من حِمير، وواد لهم، حماه أحد ملوكهم فسُمّيَ بذي يزن.

فخروا عليَّ بحبْوة لمحرِّق وإتاوة سلفت من النعمان
ما أنت وابنَ محرقٍ وقبيله وإتاوةَ اللخميِّ في عيلان؟
فاقصد بذرْعك قصْد أمرك قصده ودعِ القبائل من بني قحطان
إذ كان سالفُنا الإتاوة فيهم أولى ففخرك فخر كل يمان
وافخر برهطِ بني الحماس ومالك وابن الضُّباب وزعبل وقيان
وأنا المنخل وابنُ فارس قُرْزُلٍ وأبو نزار زانني ونماني
وإذا تعاظمت الأمور موازنا كنتُ المنوَّه باسمه والثاني

فلما رجع القوم إلى بني عامر وثبوا على مُرّةَ بنِ دُودانَ، وقالوا: أنت شاعر بني عامر ولم تهجُ بني الديان، فقال:

تكلّفني هوازنُ فخْرَ قومٍ يقولون الأنامُ لنا عبيدُ
أبوهم مَذْحِجٌ وأبو أبيهم إذا ما عُدّت الآباء - هودُ
وهل لي إن فخرتُ بغير فخر مقال والأنام له شهود؟
فإنّا لم نزل لهمُ قطيناً تجيء إليهما منّا الوفود
فإنّا نضرب الأحلام صفحاً عن العلياء أو مَن ذا يكيدُ؟
فقولوا يا بني عيلان كنا لكم قنّاً وما عنكم محيد

وهذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ، والتوليد فيه بيّن وشعره شعر ركيك غثّ، لا يشبه أشعار القوم، وإنما ذكرتُه لئلا يخلو الكتاب من شيء قد رُوي. (١٧/٢١)

(٩٥)

أليسَ إلى أجبال شمخٍ إلى اللِّوى لِوى الرَّمل يوما للنُّفوس معادُ؟
بلادٌ بها كُنَّا، وكنا من أهلها إذِ الناسُ ناسٌ والبلادُ بلادُ

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، وقيل: إنّه من منحوله إليه. (٩٣/٢١)

(٩٦)

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول: سرق ذو الرُّمة قوله: «يطفو إذا ما تلقّته الجراثيمُ»(١) من قول العجّاج:

(١) الجراثيم: جمع جرثومة، وهي التراب المتجمّع في أصول الشجر تسفيه الريح.

«إذا تلقَّته العقاقيلُ طفا»(١). وسرقه العجّاج من علقمة بن عبدة في قوله: يطفو إذا ما تلقته العقاقيل. (٢٠١/٢١)

(٩٧)

فلما مات المهديّ انقطع أبو حفص الشطرنجي إلى عُليّة، وخرج معها لما زوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء، فتنتحل بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما يُنسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها: «تحبَّبْ فإن الحبَّ داعيةُ الحب» وهو صوت مشهور لها. (٤٤/٢٢)

(٩٨)

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان أبو حفص الشِّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بن الرشيد، ويقول له الشعر، فينتحله، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته، وكذلك بُعليّة عمّتهم، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به. (٤٩/٢٢)

(٩٩)

ياذا الّذي بعذابي ظلَّ مفتخرا هل أنت إلا مليكٌ جارَ إذ قدرا
لولا الهوى لتجازَيْنا على قدرٍ وإن أفِقْ منه يوما ما فسوف ترى

الشعر يقال إنّه للواثق، قاله في خادم له غضب عليه، ويقال: إنّ أبا حفص الشِّطرنجي قاله له. (٢٠٤/٢٢)

(١٠٠)

قال ابنُ الأعرابيّ: مرض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه؛ فلما أشرف على الموت تخلَّف معه مُرّةُ الكاتب ورجل آخرُ من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما:

أيا صاحبيْ رحْلي دنا الموتُ فانزلا برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

---

(١) العقاقيل: جمع عقال، وهو داء يصيب رجل الدابة، يريد أنّ الداء لا يعطل عَدْوَه، بل يسرع به.

ومات في منزله ذلك، فدفناه، وقبره هناك معروف إلى الآن، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسه. قال أبو عبيدة: الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً، والباقي منحول. ولّده الناس عليه. (٣٠٠/٢٢)

(١٠١)

ألا متُّ لا أعطِيتَ صبراً وعزمة   غداة رأيتَ الحيَّ للبين غاديا
ولم تعتصر عينيك فكهةُ مازح   كأنك قد أبدعت إذ ظلتَ باكيا
فصيِّرتَ دمعاً أن بكيتَ تلدُّداً   به لفراق الإلف كفؤاً موازيا
لقد جلَّ قدر الدمع عندك أن ترى   بكاءك ما بين المُشتتّ مُساويا

الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحرميُّ بن أبي العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناريّ عن إسحاق الموصليّ الأعرابيّ. قال الديناريّ: وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب، وهو قائله وأظنّ هذا الشعر له. (٣٢٤/٢٢)

(١٠٢)

وقال أحمد بن القاسم حدثني جَزء بن قطن. وأخبرني بهذا الخبر الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق، قالا جميعاً: وقع بين إسحاق وبين ابن البواب شرٌّ فقال ابن البواب شعراً ذميما رديئاً، ونسبه إلى إسحاق وأشاعه ليُعيّره به وهو:

إنما أنتِ يا عنانُ سراج   زيتُه الظُّرف والفتيلةُ عقلُ
قاده للشقاء مني فؤادي   رِجْلُ حُبٍّ لكم وللحبِّ رجلُ
هضم اليوم حبُّكم كلُّ حُبٍّ   في فؤادي فصار حُبُّك فُجْلُ
أنت ريحانةٌ وراحٌ ولكن   كلُّ أنثى سواكِ خلٌّ وبَقْلُ   (٣٩/٢٣)

(١٠٣)

قال الصوليّ: وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبد الملك، وكان في حياته ينتفي منها ويجحدها، ثم شاعت بعد ذلك، ووُجِدت بخطه:

يكاد القلب من جزعٍ يطيرُ   إذا ما قيل قد قُتِلَ الوزيرُ
أميرَ المؤمنين هدمْتَ ركناً   عليه رحاكُمُ كانت تدورُ

سَيُبلى المُلك من جزعٍ عليه ... ويخرب حين تضطرب الأمورُ
فمهلا يا بني العباس مهلاً ... فقد كُويتْ بفعلكُمُ الصدورُ
إلى كم تنكُبُون الناس ظلماً ... لكم في كل ملحمة عقيرُ
جزيتم ناصراً لكمُ المنايا ... وليس كذلكُمْ يُجْزى النَّصيرُ
فكنتم سائقاً أرساً إليكم ... وذلك من فعالكُمُ شهيرُ
وكأنَّ صلاحه لو شئتموه ... قريباً لا يحاوله البصيرُ
كأنَّ الله صيَّركم ملوكاً ... لئلاَّ تعدلوا ولأنْ تجوروا (٧٤/٢٣)

(١٠٤)

أخبرني الحسنُ بن عليّ: قال: حدثنا محمد بن موسى: قال: قال رجل للحسن بن وهب: إنّ أبا تمام سرق من رجل يقال له مُكنَف من ولد زهير بن أبي سلمى، وهو رجل من أهلِ الجزيرة قصيدته التي يقول فيها:

كأنَّ بني القعقاع يومَ وفاته ... نُجومُ سماء خرَّ من بينها البدْرُ
تُوفِّيت الآمالُ بعدَ محمدٍ ... وأصبحَ في شغْلٍ عن السَّفْر السَّفْرُ

فقال الحسن: هذا دعبل حكاه، وأشاعه في الناس، وقد كذب، وشعْرُ مكنف عندي، ثم أخرجه، وأخرج هذه القصيدة بعينها، فقرأها الرجل فلمْ يجد فيها شيئاً مما قاله أبو تمام في قصيدته: ثم دخل دعبل على الحسن بن وهب، فقال له: يا أبا عليّ، بلغني أنّك قلت في أبي تمام كيتَ وكيتَ، فهبه سرق هذه القصيدة كلّها، وقبلنا قولك فيه، أسرق شعره كلّه؟ أتحسنُ أنت أن تقول كما قال:

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدي ... ومحّتْ كما مُحّتْ وشائعُ من بُرد(١)
وأنجدتُمُ من بعد إتهام داركُمْ ... فيادمعُ أنجدني على ساكني نجدِ؟

فانخزل دعبل واستحيا، فقال له الحسنُ: الندم توبة، وهذا الرجل قد توفّى، ولعلّك كنتَ تُعاديه في الدنيا حسداً على حظّه منها، وقد مات الآن، فحسبُك من ذكره، فقال له: أصدقك يا أبا عليٍّ، ما كان بيني وبينه شيء قط إلا أني سألتُه أن ينزل لي عن شيء استحسنتُه من شعره،

---

(١) محّ الثوب: بَلي، والوشائع: جمع وشيعة وهي المكوك.

نبخلَ عليَّ به، وأما الآن فأمسكُ عن ذكره، فجعل الحسنُ يضحك من قوله واعترافه بما اعترف به. (١١٥/٢٣)

(١٠٥)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدّثني محمد بن يزيد: قال: سمع العطويُّ رجلاً يحدّث أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: إنّ فلاناً قد جمع مالاً، فقال عمر بن الخطاب: فهل جمعَ له أيّاماً؟ فأخذ العطوي هذا المعنى فقال:

إنَّ الذي قسم الأرزاقَ يرزُقُه ... أرفه بعيش فتى يغدو على ثقة
والوجه منه جديد ليس يخلُقه ... فالعِرْضُ منه مصونٌ لا يُدنِّسُه
يا جامعَ المال أياماً تُفرّقه ... جمعتَ مالاً ففكِّرْ هل جمعتَ له
ما المالُ مالُك إلا حين تُنفقه ... المال عندكَ مخزونٌ لوارثه (١٢٤/٢٣)

(١٠٦)

حدّثني عمي: قال: حدّثني كوثرة: قال: كان لأبي عبد الرحمن صديقٌ من الأدباء، وكان يتعشّق جارية من جواري القيان يقال لها: عثْعث، وكان لا يقدر عليها إلا على لقاء عسير، واجتماع يسير، فأرسل إليها يوماً، فأحضرها وأصلح جميع ما يحتاج إليه، واتفق أن كان ذلك في يوم رذاذ به من الطِّيب والحُسن ما الله به عليم، فكتب إلى صديقه يعرفه الخبر، ويسأله المصير إليه ووصف له القصة بشعر؛ فقال:

وكأسٌ تدورُ وقِدْرٌ تفورُ ... يوم مطيرٌ وعيش نضيرُ
فتسمع منها غناء يصُورُ ... وعثْعثُ تأتي إذا جئتنا
شعرٌ يمرُّ وعلمٌ يدورُ ... وعندي وعندك ما تشتهيه
فإنّ التفرّق خطبٌ كبيرُ ... وإذ كان هذا كما قد وصفتُ
فإنّ زمانَ التلهّي قصيرُ ... فقم نصطبحْ قبل فوتِ الزّمانِ

قال: فسار إليه صاحبُه فمرَّ لهما أحسنُ يوم وأطيبُه. وهذا الشعر أخذه العطويَّ من كلام إسحاق، أخبرني به وسْواسة بن الموصلي عن حماد عن أبيه: قال: كان يألفُني بعضُ الأعراب وكان طيباً، فجاءني يوماً، فقلت له: لم أرك أمسِ، فقال: دعاني صديق لي، فقلتُ: صف لي ما كنتم فيه، فقال لي: كنّا في مجلس نظامُه سرور بين قُدور تفور، وكأسٍ تدور، وغناء

يصور(1)، وحديثٍ لا يحور، وندامى كأنَّهم البُدور. (١٢٦/٢٣)

(١) يصور: يُميل.

نسبة الشعر إلى شاعرين

قامت الراوية الأدبية بدور خطير في نقل الشعر العربي، وتداوله جيلاً بعد جيل، حيث لم يكن للتدوين إلاّ ذلك القدر القليل الذي تسمح به حياة العرب قبل إسلامها من حيث ارتحالهم، وعدم اصطناع وسائل الكتابة وأدواتها على نطاق واسع، وظلّت الرواية - حتى بعد عصر التدوين - ذات مكانة متميّزة، وخاصة الرواية عن الأعراب، والأخذ منهم، وبدأت تفقد مركزها بعد فساد ألسنة الأعراب من جهة، واعتماد المؤلفين، والعلماء على الكتاب، مصدراً مهماً من مصادر المعرفة من جهة أخرى. وقد رافق الرواية - على أهمّيتها - جملة من الأمور يتعلّق بعضها بالرواة أنفسهم، من حيث أمانتهم، أو تزيّدهم، أو بالمادة المرويّة من حيث ضبطها، ونقلها مثلما أراد صاحبها، وقد مرّ بنا أطراف من هذا الأمر في القضية السابقة، في مبحث الانتحال، ونقف هنا عند أمر نراه جديراً بالتوقّف، يتعلّق بنسبة شعر معيّن إلى شاعرين أو أكثر، ولا شكّ أنّ هذا الأمر واحد من المشاكل التي ترافقت مع الرواية بسبب تزيّد الرواة، أو عدم التزامهم بالضبط، والإتقان لما ينقلون، أو غلبة النسيان عليهم، وهو من صفات البشر، فينسب شعراً إلى شاعر لم يَقُلْه، بينما يُنْسَب عند غيره من الرواة إلى شاعر آخر، ربّما يكون صاحبه الحقيقي، أو يدخل عليه ما دخل على الراوية الأول من النسيان، أو التعمّد، يضاف إلى هذا أنّ أبا الفرج كان يجد اختلافاً في النسبة في الكتب التي ينقل عنها، ولا يقتصر هذا الاختلاف عند شعر القدماء، بل لاحظه في شعر المحدثين أيضاً، فهو يرى الشعر منسوباً إلى شاعر في كتاب ما، ويقابل الشعر نفسه منسوباً إلى شاعر آخر في كتاب ثانٍ، فكأنّ اختلاف النسبة راجع إلى عدم التدقيق، والضبط في الحالتين، ناهيك عن التعمّد الذي يشير إليه في بعض الأحيان.

وقد وقف أبو الفرج عند هذه القضية وقفات طويلة، وعالجها مرّة بروح الراوية الذي يكتفي بعرض البضاعة مثلما سمعها، أو قرأها، ومرّة أخرى بروح المؤرخ حين يعرض هذه البضاعة، ويروح بعد هذا العرض يرجّح النسبة إلى شاعر معيّن من الذين ارتبطت أسماؤهم بهذا الشعر، بلا تعليل يذكره لترجيح هذه النسبة، ولكنّه مرّة ثالثة لا يكتفي بالترجيح وحده، بل يسوق له تعليلاً يقوّي به هذا الترجيح، ويدعمه ممّا يبطل الشكّ حوله ويصحّح النسبة إلى شاعر معين لا تحوم الريبة حولها، وله في هذه التعليلات مقاييس يفيء إليها، سنعرض لها بعد قليل.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنّ أبا الفرج قد نقل نصوصاً كثيرة - مثلما سنرى - لنسبة الشعر إلى شاعرين خاصة برواة، وعلماء آخرين، وكان لا يتدخّل بتعليق أو إضافة، كأنّه يرى أنّ

ما قام به أولئك العلماء، والرواة كان كافياً في نقل الخلاف، أو تصحيح النسبة، وهو بعمله هذا قد قدّم خدمة جليلة في تقديم نشاط الرواية الشعرية، مثلما تناوله سابقوه، ولعلّ هذا يشير إمّا إلى رضاه عن صنيعهم، أو عدم قدرته على القطع بصحة النسبة، مثلما لم يستطع صاحب النصّ قبله أن يقطع، فآثر السكوت، ونقل النصّ مثلما سمعه، أو قرأه إلى غيره من الدارسين لعلّهم يستطيعون إضافة شيء لم يستطع هو القيام به، من خلال أدوات جديدة، أو مصادر معرفية لم يتمكّن من الاطّلاع عليها، والتزوّد منها.

وقد لاحظنا أنّ أبا الفرج كان يلجأ إلى مجموعة من المقاييس، يستخدمها في تعليلاته حول ترجيح رواية ما، وتأكيد نسبتها إلى شاعر معين، ومن المؤكّد أنّ هذه المقاييس داخلة ضمن المنهجية التي سلكها العلماء، واقتفوا أثرها في تأليف كتبهم، وتعاملهم مع النصوص، ولا شكّ أنّ أبا الفرج كان يستفيد من المنجزات الحضارية الكبيرة التي وصلت إليها الحضارة العربية الإسلامية في عصره، ولم يستطع مَنْ كان قبله من العلماء، والرواة الاستفادة منها بسبب تقدّم أزمانهم، وعدم نضج تلك الأدوات، واكتمالها بعد. وقد استطعنا رصد ثلاثة من هذه المقاييس كان أبو الفرج دائم الاستخدام لها، معوّلاً عليها، وكانت توصله إلى نتائج حاسمة في ترجيح النسبة وإثباتها لشاعر معين، وأوّل هذه المقاييس ما يمكن تسميته بالنقد الداخلي للشعر، وهو معرفة أبي فرج الدقيقة بطراز الشاعر، وطريقته في القول، وخصائصه الأسلوبية التي يكثر استخدامها في شعره، وعند ذاك يوجّه نسبة الشعر الذي بين يديه إلى الشاعر الذي يقترب هذا الشعر من النمط الذي عُرِف به، كما إنّه ينفي نسبة شعر ضعيف إلى شاعر مقدّم، مشهور لعدم تلاؤم هذا الشعر مع مستواه الفنيّ، والمكانة التي يحتلّها بين الشعراء، ولا ريب في أنّ النقد الداخلي من أقوم المقاييس، وأكثرها صحّة، واستقامة، وهو في المقابل من أعسر المقاييس، وأشدّها صعوبة، لما يستلزم من علم بشعر الشاعر كلّه، وقدرة على استخلاص الخصائص العامّة لهذا الشعر، وموازنتها بشعر الآخرين، والتوصّل إلى تلك النتائج المرضية.

وثاني هذه المقاييس هو النقد الخارجي، أو دراسة ما حول النصّ من أعلام، وحوادث، وأخبار. إذ يلجأ أبو الفرج إلى هذه المادة الخبرية فيجعلها حَكَماً على ما ورد في الشعر من هذه الأعلام، والحوادث، فإذا لم تتّفق مع عصر الشاعر، أو بيئته، أو سلوكه، عمد إلى نفي نسبة الشعر إليه، وإثباتها في المقابل إلى الشاعر الآخر الذي يتلاءم في سيرته. وعصره مع ما ورد في الشعر منها. ومن الواضح أنّ هذا النقد يتبع منهجاً علمياً صارماً لا يحتمل التأويل، إذ يعتمد على حقائق ثابتة، ومسلّمات أقرّ بها العلماء، واتّفقوا عليها.

وثالث هذه المقاييس هو الاعتماد على ديوان الشاعر، أو شعره المجموع، أو ما يسميه أبو الفرج في بعض الأحيان، دفتر شعر الشاعر. إذ كثيراً ما يصحّح نسبة شعر ما، أو ينفيها بالاستناد إلى وجود الأبيات في الديوان، أو خلوّه منها، وقد لاحظنا أنّ أبا الفرج كان يعتمد على نسخ متعدّدة للديوان الواحد، زيادة في التأكّد، وإمعاناً في التجويد، ونحن نعلم أنّ كثيراً من دواوين الشعراء قد صنعها علماء مشهود لهم بسعة العلم، والتبحّر في الرواية، والأمانة في النقل، وتحرّي الصواب، وتجنّب الخطأ، فإذا أضفنا إلى هذا كلّه أنّ الديوان أصبح المكان الطبيعي لشعر الشعراء في عصر أبي الفرج، أدركنا قيمة الرجوع إليه، والتعويل عليه، إذ هو رجوع إلى المنبع، واعتماد على الثابت الصحيح من شعر الشاعر، فهو، على ذلك الأساس، كان يردّ نسبة كثير من الشعر إذا لم يجدها في الديوان، ويثبت النسبة إذا وجده فيه، وهو مقياس سليم، ظلّ كثير من النقّاد، والعلماء يأخذون به بعد أبي الفرج، وحتى يوم الناس هذا.

ولعلّ ممّا يتصل بهذا الأمر، ما وجدناه عند أبي الفرج، وهو يستخدم تلك المقاييس، وقوفه عند أبيات القطعة، أو القصيدة المتنازعة النسبة بيتاً بيتاً، وتصحيحه نسبة بيت أو بيتين منها إلى شاعر معين، وبيتين إلى شاعر آخر وهكذا، حتى ينتهي من القطعة، أو القصيدة كلّها، فكأنّه يحلّ بذلك مشكلة التداخل في الأبيات بسبب اتّفاقها في الوزن، وحرف الرويّ مع أنّ أبياتها لشعراء مختلفين، وهو لا يتردّد في استخدام تلك المقاييس على قطعة واحدة، فجميعها تتضافر للوصول إلى نتيجة جليلة كان أبو الفرج يسعى إليها، وهو تقديم شعر موثّق، صحيح النسبة إلى أصحابه.

العصر الأموي

(١)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة: قال: أنشدني أبو الزعراء ـ رجل من بني قيس بن ثعلبة ـ لطرفة بن العبد:

تكاشرني كرهاً كأنّك ناصح   وعينك تبدي أنّ صدرك لي جوى

قال: فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له: إنّي كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفي فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد، فقال لي أبو عمرو: إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحكم، ويزيد مولّد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً... (٢٩٤/١٢)

(٢)

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم، فجاور بني قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فأنزله بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة بن قُريع وأرعاه، ووصله وكساه، فلم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا(١)، ثم ودّعهم وأتى بغيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله: قال حماد: ومن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً، وهي لسويد بن كراع:

ارتعتُ للزَّورِ إذ حيّاً وأرّقني   ولم يكن دانيا منا ولا صددا(٢)
ودونه سبسبٌ تُنْضى المطيُّ به   حتى ترى العنْس تُلْقي رحلها الأجُدا(٣)

---

(١) أحيا: حسنت حال مواشيه. (٢) الزَّور: الطيف، والصدد: القصد والقرب.

(٣) السبسب: المفازة، وأنضاه السفر: أهزله، والعنس: الناقة الصلبة، وناقة أجد: قوية موثقة الخلق متصلة فقار الظهر.

إذا ذكرتك فاضت عبرتي درراً ... وكاد مكتومُ قلبي يصدع الكبدا
وذاك منّي هوىً قد كان أضمره ... قلبي فما ازداد من نقص ولا نفدا
وقد أرانا وحالُ الناس صالحةٌ ... نحتلُّ مربوعةً أدمانَ أو بردى(١)
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذي كنّا به أبدا
أيام أعلم كم أعلمتُ نحوكُم ... من عِرْمسٍ عاقدٍ لم ترأمِ الولدا(٢)
تُصيخ عند السُّرى في البيد ساميةٌ ... سطعاءَ تنهض في مِيتانها صُعُدا(٣)
كأن رحْلي على حُمْشٍ قوائمه ... برمل عِرْنانَ أمسى طاويا وحِدا(٤)
هاجت عليه من الجوزاء ساريةٌ ... وطْفاء تحمل جوْنا مُرْدفا نضدا(٥)
فألجاته إلى أرطاةِ عانكةٍ ... فيْحاءَ ينهال منها تُرْبُ ما التبدا(٦)
تخال عِطْفيه من جوْل الرُّذاذ به ... منظُما بيديْ داريَّةٍ فردا(٧)
حتى ما انجلت عنه دُجُنَّتُه ... وكشَّف الصبحُ عنه الليلَ فاطّردا(٨)
غدا كذي التاج حلّته أساوِرةٌ ... كأنما اجتاب في حرٍّ الضحى سندا(٩)

وهي طويلةٌ اختصرتها، يقول فيها:

---

(١) أدمان: شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام، وبردى: جبل بالحجاز، وربعت الأرض فهي مربوعة: أصابها مطر الربيع. (٢) العرمس: الناقة الصلبة، وناقة عاقد: تعقد بذنبها عند اللقاح، ورئمت الناقة ولدها: عطفت عليه ولزمته. (٣) أصاخ له: استمع، وسطعاء: طويلة العنق، والمِيتاء: الطريق المسلوك، ومنه قول رسول الله صلى اله عليه وسلم لابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه: لولا أنّه طريق ميتاء لحزنّا عليك أكثر ممّا حزنّا، ينظر لسان العرب (٢/٩٥).

(٤) على حمش قوائمه: أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دقاق، وعرنان: اسم وادٍ دون وادي القري إلى فيد، كثير الوحش، وطاويا: ضامر، وواحدا: وحيد منفرد.

(٥) الجوزاء: من بروج السماء، والسارية: السحابة تسري ليلاً، وسحابة وطفاء: مسترخية لكثرة مائها، والجون يُطلق على الأسود والأبيض، ومردفا: متتابعاً متوالياً، والنضد: السحاب المتراكم.

(٦) الأرطاة: واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل، وعنك الرمل: تعقّد وارتفع فلم يكن فيه طريق، ورملة عانك: فيها تعقُّد لا يقدر البعير على المشي فيها إلاّ أن يحبو، وفيحاء: واسعة، والتبد: تلّبد وتجمع بعضه فوق بعض. (٧) العطف: الجانب، وجول: جوَلان، والدَّارية: المنسوب إلى دارين، وفرَد: منقطع القرين لا مثل له في جودته.

(٨) الدجنّة: الظلمة. (٩) اجتاب القميص: لبسه، والسند: ضرب من البرود.

لا يُبْعد الله إذ ودَّعت أرضهُمُ أخي بغيضاً ولكن غيرُه بُعِدا(١)
لا يُبْعد الله من يعطي الجزيل ومن يحبو الخليل وما أكدى وما صلدا(٢)
ومن تلاقيه بالمعروف معترفاً إذا أجْرهدَّ صفا المذموم أو صلدا(٣)
لاقيتُه مفضلاً تنْدى أناملُه إن يُعْطِكَ اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
تجيء عفواً إذا جاءت عطيّتُه ولا تخالطُ ترْنيقاً ولا زهدا(٤)
أوْلاهُ بالفخرِ الأعلى وأعظمُه خُلقا وأوْسعُه خيرا ومُنْتفدا(٥)
إذا تكلَّف أقوامٌ صنائعه لاقوا ـ ولم يُظْلموا ـ من دونها صعدا(٦)
بَحْرٌ إذا نكس الأقوام أو ضجروا لاقيت خيرَ يديه دائما رغدا
لايحسبُ المدح خدْعا حين تمدحه ولا يرى البُخل منْهاةً له أبدا
إنّي لَرافدُه وُدّي ومنْصرتي وحافظٌ غيبه إن غاب أو شهدا (٢٤٤/١٢)

(٢)

إني بدهماءَ عزٌّ ما أجدُ عاودني من حبابها زُؤُدُ
عاودني حبُّها وقد شحطتْ صرفُ نواها فإنني كمِدُ

الشعر لصخر الغيِّ الهُذليِّ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنّه رأى جماعة من شعراء هُذيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصخْر الغيّ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب، وأن الهيثم بن عديّ حدّثه عن حمّاد الراوية أنّها لعمرو ذي الكلب. (٢٤٤/٢٢)

---

(١) بعد: هلك. (٢) أكدى: بخل وقلّ خيره، وصلد: بخل.

(٣) اجرهدت الأرض: لم يوجد فيها نبت ولا مرعى، وصلد الزند: صوّت ولم يُورِ، ويقال للبخيل: صلدت زناده.

(٤) الترنيق: التكدير، والزهد: القلّة. (٥) يقال في ماله منتفد: أي سعة.

(٦) الصَعَد: المشقّة.

العصر العباسي

(١)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العمريّ عن لقيط بن بكر المحاربي قال: أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر:

مَنْ لسقيمٍ يكتم الناس ما به لزينب نجوى صدره والوساوسُ

... وكان بعض المحدثين ممّن شاهدناه يدّعي أنّه له، ولم يُصدَّق. (١/٩٩)

(٢)

ومن حسن عزائه قوله (عمر بن أبي ربيعة):

أألحقُّ إنْ دارُ الرُّباب تباعدتْ أو انبتَّ حبلٌ أنَّ قلبَك طائرُ

أفقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال المرائرُ

زَعِ النفس واستبقِ الحياء فإنَّما تُباعِدُ أو تُدني الرُّبابَ المقادرُ

أمِتْ حبَّها واجعلْ قديمَ وصالها وعِشْرتها كمثل مَن لا تُعاشرُ

وَهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غيَّبته المقابرُ

وكالناس عُلِّقْتَ الرُّبابَ فلا تكن أحاديثَ مَنْ يبدُو ومَن هو حاضرُ

.. وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثيّر، ويرويها الكوفيون للكُميت بن معروف الأسدي، وذكر بعضها الزبير بن بكّار عن أبي عبيدة لكثيّر في أخباره. (١/١٢٢)

(٣)

أبَ ليلي بهُمومٍ وفِكَرْ من حبيبٍ هاج حُزْني والسَّهرْ

يوم أبصرتُ غراباً واقعاً شرُّ ما طارَ على شرِّ الشَّجَرْ

ينتِفُ الرِّيشَ على عُبْريَّةٍ مُرَّةِ المقْضم من دوحِ العُشَرْ(١)

---

(١) العُبْريَّة: واحدة العبري، وهو من السِّدر (شجر النبق) ما نبت على عبر النهر، وعظم، ويريد على عِبرية أي =

على شجرة من شجر العشر نابتة على عبر النهر، والعشر: من العضاه، وهو من كبار الشجر، له صمغ حلو، وهو عريض الورق.

الشِّعْر لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت يقولُه في رمْلة بنتِ معاوية بن أبي سُفْيان، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشْبيبه بها أخبارٌ كثيرةٌ. ومن الناس من ينْسُب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة، وهو غلطٌ وقد بُيِّنَ ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه. (٢٧٥/١)

(٤)

.. وقال العرجيّ:

حُورٌ بعثْنَ رسولاً في مُلاطفةٍ ثَقْفاً إذا غَفَل النُّسَّاءةُ الوهِمُ(١)
إلـيَّ أنْ إيتنا هـدْأً إذا غفلتْ أحراسُنا وافتضحْنا إنْ هُم علمُوا(٢)
فجئتُ أمْشي على هولٍ أجشّمُه تجشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كرمُ
إذا تخوّفتُ من شيءٍ أقولُ له قد جفّ فامْضِ بشيءٍ قُدّر القلمُ
أمْشي كما حرّكتْ ريحٌ يمانيةٌ غُصْناً من البانِ رطْباً طلّه الدِّيَمُ
في حلّةٍ من طرازِ السُّوس مُشْربةٍ تعفُو بهُدّابها ما أثّرتْ قدمُ(٣)
خلّتْ سبيلي كما خلّيْتُ ذا عُذُرٍ إذا رآته عتاقُ الخيلِ ينتجمُ(٤)
وهُنّ في مجلس خالٍ وليس له عينٌ عليهنّ أخْشاها ولا ندمُ
حتى جلستُ إزاء الباب مكتتماً وطالبُ الحاجِ تحت الليلِ مُكْتَتِمِ
أبْدينَ لي أعْيُناً نُجْلاً كما نظرتْ أدْمٌ هجانٌ أتاها مُصْعبٌ قطِمُ(٥)
قالتْ كُلابةُ مَنْ هذا؟ فقلتُ لها أنا الذي أنتِ من أعدائه زعمُوا
أنا امرؤٌ جدُّ بي حبٌّ فأحْرضني حتى بليتُ وحتى شفّني السُّقمُ(٦)

---

(١) رجل ثُقْف: إذا كان حاذقاً فَهِماً، والنُّساءة: صيغة مبالغة من الناسي: والتاء فيه للمبالغة، والوهِم: الكثير الوهم وهو السهو والغلط.

(٢) الهَدْء: الثلث الأول من الليل، وذلك ابتداء سكونه وانقطاع الناس عن المشي والاختلاف إلى الطرق.

(٣) السّوس: بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال عليه السلام، ومشربة: مختلطة اللونين، كأنّ الواحد أشرب الآخر.

(٤) العُذُر: جمع عذار، وهو من الفرس كالعارض للإنسان، ثمّ سُمّي السير الذي يكون عليه من اللجام عذاراً باسم موضعه. (٥) المصعب: الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة، والقطم: المشتهي للضراب.

(٦) أحرضني المرض: إذا أشفى الإنسان منه على الموت.

لا تكليني إلى قوم لو أنهم من بُغضنا أطعموا لحمي إذاً طعموا
وأنعمي نعمة تُجزَي بأحسنها فطالما مسَّني من أهلك النِّعَمُ
سترُ المُحبِّين في الدنيا لعلّهمُ أن يُحْدثوا توبةً فيها إذا أثموا
هذي يميني رهْنٌ بالوفاء لكم فارضَيْ بها ولأنفِ الكاشح الرَّغَمُ
قالت رضيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ هلاَّ تلبَّثتَ حتى تدخلَ الظُّلَمُ
فبتُّ أسقى بأكْواسٍ أُعلُّ بها من باردٍ طاب منها الطَّعْمُ والنَّسمُ
حتَّى بدا ساطعٌ للفجر نحْسبُه سنى حريق بليلٍ حين يضْطرِمُ
كغُرَّة الفرس المنْسُوبِ قد حُسرتْ عنه الجِلالُ تلالا وهو يلْتجمُ
ودَّعتهنَّ ولا شيءٌ يُراجعني إلا البنانُ وإلا الأعينُ السُّجُمُ
إذا أردْنَ كلامي عنده اعترضتْ من دونه عبراتٌ فانثنى الكلمُ
تكاد إذ رُمْنَ نهْضاً للقيام معي أعجازُهنُّ من الأنصافِ تنْقصِمُ

وقال إسحاق: وقد قيل: إنَّ صاحب هذه القصيدة (والقصة) أبو حراب العبْليّ، وإنَّ كُلابةَ كانت أمةً لسُعْدةَ بنتِ عبد الله بن عمْرو بن عثمان، وكان العرْجيّ قد خطبها وسُمِّيت به، ثم خطبها يزيدُ بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوَّجتْه، فقال العرْجيّ هذا الشعر فيها. (٢٨٨/١)

(٥)

وأخبرني عمِّي عن عبد الله بن شبيب عن هارون بن موسى الفرْويّ قال: سألت أبا بكر العَدويّ عن هذين البيتين(١) فقال: هما لجميل، ولم يعرف المجنون، فقلتُ: فهل معهما غيرُهما؟ قال: نعم، وأنشدني:

وإنّي لأخشى أن أموتَ فجاءةً وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا
وإنِّي ليُنْسيني لقاؤك كلُّما لقيتُك يوماً أنْ أبثَّك ما بيا
وقالوا به داءٌ عَياءٌ أصابه وقد علمتْ نفسي مكانَ دوائيا (١٠/٢)

(٦)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقُ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّةَ قال حدّثني إسحاقُ قال:

---

(١) هما البيتان اللّذان سيردان في النصّ التالي.

أنشدتُ أيُّوبَ بن عباية هذين البيتين:

وخبرتُماني أنَّ تيماء منزلٌ   لليلي إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيا(١)
فهذي شهورُ الصَّيفِ عنَّا قد انقضتْ   فما للنَّوى ترمي بليلى المراميا

وسألتُه عن قائلهما، فقال: جميلٌ، فقلت له: إنَّ الناس يروونهما للمجنون، فقال: ومَن هو المجنونُ؟ فأخبرتُه، فقال: ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به. (١٠/٢)

(٧)

وأنا أذكر ممَّا وقع إليَّ من أخبار (المجنون) وجُملاً مستحسنةً، مُتبرِّئاً من العهدة فيها، فإنَّ أكثر أشعاره المذكورةِ في أخبار ينسبُها بعضُ الرُّواة إلى غيره وينسبُها من حُكيتْ عنه إليه، وإذا قدَّمتُ هذه الشريطة برئتُ من عيب طاعنٍ ومُتتبِّعٍ للعيوب. (١١/٢)

(٨)

حدَّثني عمِّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القُرشيِّ قال حدَّثنا أبو العالية عن أبي ثُمامةَ الجعديِّ قال: لا يُعرفُ فينا مجنونٌ إلا قيسُ بنُ الملوَّح. قال: وحدَّثني بعضُ العشيرة قال: قلتُ لقيس بن الملوَّح قبل أن يُخالط: ما أعجبُ شيء أصابك في وجْدِكَ بليلي؟ قال: طرقنا ذاتَ ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي: اطلب (لنا) منه أدماً، فأتيتُه فوقفتُ على خبائه فصِحْتُ به، فقال: ما تشاء؟ فقلتُ: طرقنا ضيفانٌ ولا أدمَ عندنا لهم فأرسلني أبي نطلُبُ منك أدماً، فقال: يا ليلى، أخرجي إليه ذلك النِّحْي(٢)، فاملئي له إناءه من السمن، فأخرجتْه ومعي قَعْبٌ(٣)، فجعلتْ تصُبُّ السمنَ فيه ونتحدَّثُ، فألهانا الحديثُ وهي تَصُبُّ السمنَ وقد امتلأ القَعْبُ ولا نعلمُ جميعاً، وهو يسيلُ حتى استنقعتْ أرجلنا في السمن، قال: فأتيتُهم ليلة ثانيةً اطلُبُ نارا، وأنا متلفِّعٌ ببُرْدٍ لي، فأخرجتْ لي ناراً في عُطْبةٍ فأعطتنيها ووقفنا نتحدَّثُ، فلمَّا احترقت العُطبةُ خرقْتُ من بُرْدى خرقةً وجعلتُ النار فيها، فكلما احترقتْ خرقتُ أخرى وأذكيتُ بها النارَ حتى لم يبقَ عليَّ من البرد إلا ما وارى عورتي، وما أعقل ما أصنعُ، وأنشدني:

---

(١) تيماء: بلد صغير في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى.

(٢) النحي: الزقّ الذي يوضع فيه السَّمن. (٣) القعب: القدح الضخم الغليظ.

أمُسْتقْبلي نفحُ الصَّبا ثم شائقي ... ببَرْدِ ثنايا أمِّ حسّانَ شائق
كأنَّ على أنيابها الخمر شجَّها ... بماء الندى من آخرِ الليل عاتقُ(١)
وما شِمْتُه إلا بعيني تفرُّساً ... كما شيم في أعلى السَّحابة بارقُ

ومن الناس مَنْ يروي هذه الأبيات لنُصيبٍ، ولكن هكذا رُوي في (هذا) الخبر. (٢/٣١)

(٩)

وقال الهيثمُ بنُ عديٍّ في خبره: حدَّثني عبد الله بن عيَّاش الهمْدانيّ قال حدَّثني رجلٌ من بني عامر قال: مُطِرنا مطراً شديداً في ربيع ارتبعْناه، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالساً حَجْرةً(٢) وحده فقصدتُه، فإذا هو المجنون جالسٌ وحده يبكي فوعظتُه وكلَّمتُه طويلا وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليّ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرْقته:

جرى السَّيلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرى ... وفاضتْ له من مُقْلتيَّ غُروبُ(٣)
وما ذاك إلاّ حينَ أيقنتُ أنه ... يكون بوادٍ أنتِ فيه قريبُ
يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقّى طيبكم فيطيبُ
أظلُّ غريبَ الدارِ في أرض عامرٍ ... ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غريبُ
وإنّ الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى ... إليَّ وإن لم آته لحبيبُ
فلا خيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تزُر ... حبيبا ولم يطربْ إليكَ حبيبُ

وأوّل هذه القصيدة:

ألا أيّها البيتُ الذي لا أزوره ... وهجْرانُه منّي إليه ذنُوبُ
هجرتُك مشتاقاً وزرتُك خائفاً ... وفيكَ عليَّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستعْطِفُ الأيامَ فيكَ لعلّها ... بيومِ سرورٍ في هواكَ تُثيبُ

هذه الأبيات في شعر محمد بن أميّة مرْويةٌ، ورُوِيْت ها هنا للمجنون (في هذه القصيدة).

وأفردْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ ... إلى النفس حاجاتٌ وهنَّ قريبُ
لئن حالَ يأسٌ دون ليلى لربّما ... أتى اليأسُ دون الأمر فهو عصيبُ

---

(١) شجَّها: مزجها، والعاتق: البكر التي لم تبن عن أهلها.

(٢) حَجْرة: ناحية. (٣) غروب: جمع غرب وهو الدَّمع.

ومنَّيتني حتى إذا ما رأيتني على شرفٍ للناظرين يُريبُ
صددتِ وأشمتُّ العدوّ بصرمِنا أثابكِ يا ليلى الجزاءَ مُثيبُ (٢/٦٣)

(١٠)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابيّ للمجنون:

ألا ليتَ ليلى أطفأتْ حرَّ زفرةٍ أعالجها لا أستطيع لها ردًّا
إذا الرّيحُ من نحو الحمى نسمتْ لنا وجدتُ لمسْراها ومنْسمها بردًا
على كبدٍ قد كاد يُهدي بها الهوى نُدُوبا وبعضُ القوم يحسبُني جلْدا

هذا البيت الثالثُ خاصةً يُروى لابن هرْمةَ في بعض قصائده. (٢/٨٠)

(١١)

ومنها:

ألا هل هاجك الأظعا نُ إذ جاوزْن مُطّلحا(١)
نعمْ ولوَشْك بيْنهمُ جرى لكَ طائرٌ سنُحا(٢)
أخذْن الماءَ من ركَكٍ وضوءُ الفجر قد وضحا(٣)
يقلْنَ مقيلنا قرْنٌ نُباكرُ ماءه صُبُحا(٤)
تبعتُهمُ بطرْفِ العين حتى قيل لي افتضحا
يودِّع بعضُنا بعضاً وكلٌّ بالهوى جُرحا
فمن يفرَحْ ببينهمُ فغيري إذ غدَوا فرِحا

---

(١) قال أبو الفرج: «ورواه الزّبير: إذ جاوزن مَنْ طلى، وقال: ليس على وجه الأرض موضع يقال له: مُطّلَح». ولعلّ ما يؤكد هذا عدم تحديد ياقوت في معجم البلدان (٥/١٥٠)، هذا الموضع، بل اكتفى بالقول: وهو موضع، وساق الشطر الثاني من هذا البيت فحسب، وطلّح: إذا أعيا وكلّ، وهي تطلق على الإبل والإنسان، فيقال هو طليح سفر، إذا أعياه وأتعبه. ينظر لسان العرب (٢/٥٣١).

(٢) سنح الطائر: ولاّك ميامنه، وبرح: ولاّك مياسره، والعرب تختلف في التيّمن والتشاؤم بالسانح والبارح، فأهل نجد يتيمّنون بالسانح، وأهل الحجاز يتشاءمون به.

(٣) ركك: محلة من محالّ سلمى أحد جبلي طيء.

(٤) قرن: يريد به قرن المنازل، وهو تلقاء مكة على يوم وليلة، ينظر معجم البلدان (٤/٣٣٢).

الشعر ترْويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزُّبير بن بكّار فإنه رواه عن عمّه وأهله لجعفر بن الزُّبير بن العوام. (٢/٢١٥)

(١٢)

طرق الخـيـالُ المُعْتري وهْـنـاً فـؤادَ العـاشـقِ
طيْفٌ ألمَّ فـهـاجني للبـيْنِ أمْ مُسـاحـق
ألآنَ أبصـرتُ الهـدى وعـلا المشـيبُ مـفـارقي
وتركـتُ أمـر غـوايتي وسـلكتُ قصد طرائقي
ولقـد رضـيتُ بعـيشنـا إذ نحـن بين حـدائـق
وركـائبُ تـهْـوي بنـا بين الدُّروب فـدابق(١)

الشعر للوليد بن يزيد، ويقال: إنّه لابن رُهيْمة. (٢/٢١٦)

(١٣)

قال أبوعمرو: وابنُ سيْحان الذي يقول:

ألا هل هاجك الأظعا نُ إذ جـاوزْنَ مطّلحا(٢)

والناس يرْوونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعاً. (٢/٢٥٥)

(١٤)

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصحّاف الكوفيّ قال حدثّنا قعنب بن الحُرْز الباهليّ قال أخبرنا الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشّعْبيّ جميعاً، وأخبرني محمد بن مزْيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشّعْبيّ قال: لما وَليَ بِشْرُ بن مروان الكوفةَ كنتُ على مظالمه، فأتيتُه عشيّةً وحاجبُه أعين (صاحب حمّام أعْين) جالس، فقلت له: استأذن لي على الأمير! فقال لي: يا أبا عمرو، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها؛ فقلت: أعْلمْه - وخلاك ذمٌ - فقد حدث أمر لا بدَّ لي من إنهائه

(١) دابق: قرية على أربعة فراسخ من حلب، بها قبّة سليمان بن عبد الملك، وقد كان سليمان عسكر بها وعزم ألاّ يرجع حتى يفتح القسطنطينة أو تؤدّي الجزية، فمات ودُفن بها.

(٢) ينظر النصّ الحادي عشر السابق، والتعليق عليه.

إليه ـ وكان لا يجلس بالعشيّ ـ فقال: لا، ولكن اكتب حاجتك في رُقعة حتى أوصلّها إليه؛ فكتبتُ رقعة، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها: ليس الشعبيّ ممّن يحتشم منه فأذنْ له، فأذن لي فقال: ادخل، فدخلت فإذا بشرٌ بن مروان عليه غلالةٌ رقيقة صفراء وملاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال، وعلى رأسه إكليل من ريْحان، وعلى يمينه عكْرمةُ بن ربْعيّ، وعلى يساره خالد بن عتّاب بن ورْقاء، وإذا بين يديه حُنين بن بلْوع معه عودُه، فسلمت فردَّ عليَّ السلام ورحّب وقرّب، ثم قال: يا أبا عمرو، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال؛ فقلت: أصلح الله الأمير، عندي لك السترُ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يجْمُل، والشكرُ على ما تُوليني؛ فقال: كذاك الظنُّ بك، ثم التفتُّ إلى حُنين وعودُه في حجْره وعليه قباء خُشْك شوى(١) ـ وقال إسحاق: خشكون ـ ومُسْتقة(٢) حمراء وخُفّان مُكعّبان(٣)، فسلّم عليَّ؛ فقلت له: كيف أنت أبا كعب؛ فقال: بخير أبا عمرو، فقلت: احْزِق الزِّير(٤) وأرْخِ البَم(٥) ففعل، وضرب فأجاد؛ فقال بشرٌ لأصحابه: تلومونني على أن آذن له في كل حال! ثم أقبل عليَّ فقال: أبا عمرو، من أين وقع لك حزْقُ الزير؟ فقلت: ظننت أنّ الأمر هناك؛ فقال: إن الأمر كما ظننت هناك كلُّه. ثم قال: فمن أين تعرف حُنيناً؟ فقلت: هذا بطّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه! فضحك، وغنّى حُنين فأجاد، فطربَ وأمر له بجائزة، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ، وقد وجدت هذا الخبر بخط أبي سعيد السُّكّريّ يأثره(٦) عن محمد بن عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جدّه: أنه كان عند بِشْر بن مرْوان يوم دخل عليه الشّعبيّ هذا المدْخل وأنّ حُنين بن بلوعَ غنّاه:

هُمُ كتموني سيْرهمْ حين أزمَعُوا ... وقالوا اتّعدنا للرّواح وبكّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح، لأنّ هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء لعلُّويه رمل بالوسطى، وغُنّي للمأمون فيه فقال: سخِرُوا من أبي الفضل أعزّه الله. (٢/٣٤٩)

(١٥)

.. فاندفع (الغريض) يغنّي بشعر عمر ـ ومن الناس مَنْ يرويه لجميل:

---

(١) خشك شوى: القميص الخشن. (٢) المستقة: فرو طويل الكمّ.

(٣) مكعّبان: موشّيان. (٤) الزّير: أرفع أوتار العود.

(٥) البمّ: أغلظ أوتار العود. (٦) يأثره: يرويه.

إنّي لأحفظ سرّكم ويسرّني ... لو تعلمين بصالح أن تُذكري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسَلاً ... أو نلتقي فيه عليّ كأشهر
ياليتني ألقى المنيّة بغتةً ... إنْ كان يوم لقائكم لم يُقْدر
ما كنتِ والوعدَ الذي تعدينني ... إلاّ كبرْقِ سحابةٍ لم تمطرِ
تُقْضى الديونُ وليس يُنجِز عاجلاً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ (٢٩٦/٢)

(١٦)

أخبرني ابن دُريدٌ قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال: لما ظفرَ ابن الزُّبيْر بالعراق وأخرج عنها عُمَّال بني أميَّةَ خرج ابنُ عبْدل معهم إلى الشام، وكان ممّن يدخلُ إلى عبد الملك ويسْمُر عنده، فقال لعبد الملك ليلةً:

يا ليتَ شعْري وليتَ رُبّما نفعتْ ... هل ابصرنْ بني العوّام قد شمِلُوا
بالذّل والأسْر والتشريد إنهُمُ ... على البريَّة حَتْفٌ حيثما نزلُوا
أم هل أراكَ بأكناف العراق وقد ... ذلّت لعزّك أقوامٌ وقد نكلُوا

فقال عبد الملك - ويُرْوى أنّه قائل هذا الشعر -:

إن يُمكن اللهُ من قيْس ومن جدسٍ ... ومن جُذام ويُقْتلْ صاحبُ الحرمِ
نضْرِبْ جماجِمِ أقوامٍ على حنقٍ ... ضرْباً يُنكّلُ عنّا سائر الإمم (٤٢٠/٢)

(١٧)

.. فتناول طويس خريطةً(١) فاستخرج منها نُقاً ثم نقره وقال:

يا خليليّ نابني سَهُدي ... لم تنَمْ عيني ولم تكدِ
فشرابي ما أسيغُ وما ... أشْتكي ما بي إلى أحدِ
كيف تلْحوني على رجلٍ ... آنس تلتذُّه كبدي
مثلُ ضوءِ البدر صورتُه ... ليس بالزُّمّيلةِ النُكدِ(٢)
من بني آل المُغيرة لا ... خامل نكْسٍ ولا جحدِ(٣)

---

(١) الخريطة: وعاد من أدم. (٢) الزُّمّيلة: الجبان الضعيف.

(٣) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه، والجحد: القليل الخير.

نظرتُ يوماً فلا نظرتْ بعده عيني إلى أحد

ثم ضرب بالدفّ الأرض؛ فقال سعيد ما رأيتُ (كاليوم) قطُّ شعراً أجود ولا غناءً أحسنَ منه؛ فقال له طويس: يابن الحُسام، أتدري مَنْ يقوله؟ قال: لا؛ قال: قالته عمَّتُك خوْلةُ بنت ثابت تُشبِّب بعُمارةَ بن الوليد بن المُغيرة المخْزوميّ؛ قال أبو الفرج الأصْبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحرميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار، لابن زُهير المخنّث. (٣٤/٣)

(١٨)

يا ربْعَ سلْمى لقد هيَّجتَ لي طربا زدْتَ الفؤادَ على علاّته وصَبا
ربعٌ تبدَّل ممّن كان يسكُنه عُفْرَ الظِّباء وظُلْماناً به عُصَبا(١)

الشعر لهلال بن الأسْعر المازنيّ، أخبرني بذلك وكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وهكذا هو في رواية عمْرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ، ومن لا يعلم ينسُبه إلى عمر بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصيب، وليس كذلك. (٥٠/٣)

(١٩)

ارفَعْ ضعيفكَ لا يحربْكَ ضعفُهُ يوماً فتدركَه العواقبُ قد نما
يجزيك أو يُثني عليك وإنَّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جزى

الشعرُ لغَريض اليهودي وهو السموءلُ بن عادياء، وقيل إنّه لابنه سعْيةَ بن غريض، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نُفيل، وقيل إنه لورقة بن نوْفل، وقيل إنه لزُهير بن جناب، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرميّ الذي يقال له: مدْرَجُ الرِّيح، والصحيحُ أنه لغريضٍ أو لابنه. (١١٤/٣)

(٢٠)

.. فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنه فيها أمدحُ الناس وأوّلها: «لمستُ بكفِّي كفَّه أبتغي الغنى» فإنه ذكر أنها لبشّار. وذكر الزُّبير بن بكّار أنها لابن الخيّاط في المهْديّ. (١٥١/٣)

---

(١) الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام، والعصب: الجماعات.

(٢١)

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الداوميّ عن نصر بن عبد الرحمن العجليّ قال: هجا بشّار روْحَ بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدّده؛ فلما بلغ ذلك بشّاراً قال فيه:

تهـدّدني أبو خلفٍ   وعن أوتـاره نامـا
بسـيفٍ لأبي صُـفْرَ   ةَ لا يقْطَع إبهـامـا
كأنَّ الورْسَ يعْلُـوهُ   إذا ما صدرُه قـامـا

ـ قال ابن أبي سعد: ومن الناس مَن يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي ـ (٢١٧/٣)

(٢٢)

سلا دارَ ليلى هل تُبين فتنْطقُ   وأنّى تردُّ القولَ بيداءُ سمْلقُ(١)
وأنّى تردُّ القـولَ دارٌ كـأنهـا   لطُـول بلاها والتـقـادم مُهْرقُ(٢)

الشّعر لابن المولى. وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعر للأعشى؛ وذلك غلط، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذُكر في شعراء العرب فلم نجده(٣)، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة

---

(١) السَّمْلق: القاع المستوي الأملس الذي لا شجر فيه.

(٢) المهرق: الصحيفة، ومن عادة العرب تشبيه الديار، والمنازل إذا عَفَتْ وأقوت بالصحف، والكتابة.

(٣) يسلك أبو الفرج لإثبات نسبة الشعر إلى صاحبه منهجاً علمياً صارماً، فنراه هنا ـ وهو جانب من جوانب منهجه ـ يلجأ إلى الدواوين يفحصها، بغية إيجاد البيتين فيها، ولم يكتفِ بلفظ الأعشى، أي الشاعر المشهور، ميمون بن قيس، بل عمد إلى كلّ مَنْ لُقّب بالأعشى فبحث في شعره، إزالةً منه للغموض، وحرْصاً على التجويد، وبلوغ الغاية، فلمّا لم يظفر بهما في شعر كلّ أعشى على حده قوله، أفاد أنّه وجدهما في شعر ابن المولى، وهذا تأكيد منه لنسبتهما، وتصحيح للوهم الذي وقع فيه غيره، ومن المفيد أن نضيف هنا أنّ البغدادي صاحب الخزانة، قد ترجم في كتابه لستّة شعراء يُلقّبون بالأعشى وهم: أعشى طرود، (٢٤٣/٣)، واسمه إياس بن موسى، شاعر إسلامي، وأعشى باهلة، (١٨٧/١)، واسمه عامر بن الحارث، شاعر جاهلي، وأعشى قيس (١٧٥/١)، واسمه ميمون بن قيس، الشاعر الجاهلي المعروف، والأعشى بن نبّاش بن زرارة التميمي، (٤٢٠/٦)، وأعشى بني نهشل (٤٠٥/١)، وهو الأسود بن يعفر، الشاعر الجاهلي، وأعشى همدان (٥٧٦/٩)، واسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن، شاعر أموي، فهؤلاء ستة شعراء ذكرهم البغدادي، وأضاف قائلاً (١٧٨/١): «وعدّة مَنْ هو أعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً، ذكرهم الآمدي

لأحد منهم، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، وقد أثبتناها بعقب أخباره ليُوقفَ على صحّة ما ذكرناه[1]، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّةِ على ما خالفه والدّلالة على الصواب فيه. (٢٨٥/٣)

(٢٣)

حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ إذ لا يوافق شكلُها شكلي[2]
اللـه أنجحُ ما طلبتَ به والبِرُّ خيرُ حقيبة الرَّحْلِ
إني بحبلك واصلٌ حبلي وبريش نبْلك رائشٌ نبْلي
وشمائلي ما قد علمت وما نبحتْ كلابُك طارقاً مثلي

الشعر لامرئ القيس بن عابس الكِنْديّ، هكذا روى أبو عمرو الشَّيْباني، وقال: إن من يرويه لامرئ القيس بن حُجْر يغلط. (٣٠٤/٣)

(٢٤)

عُوجا خليليَّ على المحْضرِ والربعِ من سلامة المُقْفِرِ[3]
عُوجا به فاستنطقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذْكُرِ
ذكّرني سلمى وأيامها إذ جاورتْنا بلوى عَسْجَرِ[4]
بالربع من ودّان مبدا لنا ومِحْوراً ناهيكَ من محورِ[5]
في محْضرٍ كنّا به نلتقي يا حبَّذا ذلك من محضرِ
إذ نحن والحيّ بهِ جيرةٌ فيما مضى من سالف الأعصُرِ

= في المؤتلف والمختلف»، ولا نستطيع الجزم بأنّ أبا الفرج قد التمس أشعار هؤلاء جميعاً، فهذا ما لم يصرّح به، ولكنّ فقه كلامه يشير إلى كثرة من الشعراء يقتربون من ذلك الرقم الذي نقله البغدادي.

(١) أثبت أبو الفرج أبياتاً من القصيدة، وعدّتها ثلاثون بيتاً. ينظر الأغاني (٢٨٦/٣ ـ ٢٨٩)، وعقّب عليها بقوله: «... والقصيدة طويلة. وفي بعض ما ذكرتُه منها دلالةٌ على صحّة ما قلتُه».

(٢) العَزْل: ماء بين البصرة، واليمامة، ينظر معجم البلدان (١١٩/٤)، وقد ساق ياقوت هذا البيت، ونسبه لامرئ القيس حسب.

(٣) المحضر: المنهل الذي يجتمع القوم فيه ويحضرون عليه. (٤) عسجر: موضع قرب مكة.

(٥) المبدا: هو المبدأ سُهِّلَتْ همزته، أي المبتدأ، الذي كنّا نبتدئ منه الذّهاب، ومحور: أي مرجع نرجع إليه.

(٣٦٦/٣)

(٢٥)

أخبرني محمد بن مزْيد والحرميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمرو بن أدعج قال: قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمريّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية: أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه:

مرّتِ اليومَ شاطرهْ   بضّةُ الجسم ساخرهْ
إنّ دُنيا هي التي   مرّت اليومَ سافرهْ
سرقوا نصفَ إسمها   فهْيَ دنيا وآخرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز: وكله اللّه إلى أخرتها. قال: وما سُمِع بعد ذلك يتمثّل ببيتٍ من شعره. قال عليّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب: هذه الأبيات لأبي عُيينة المُهلّبيّ، وكان يُشبِّب بدنيا في شعره، فإمّا أن يكون الخبرُ غلطاً، وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمريُّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له. (٨٣/٤)

(٢٦)

ذكر أميّة بن أبي الصلْت ونسبه وخبره

واسمُ أبي الصلْت عبدُ الله بن أبي ربيعة بن عوْف بن عُقْدة بن عنْزة بن قسيّ، وهو ثقيفُ بن مُنبِّه بن بكْر بن هوازن. هكذا يقول مَنْ نسبهم إلى قيْس، وأمُّ أميّة بن أبي الصلت رُقيّةُ بنت عبد شمس بن عبد مناف. وكان أبو الصلت شاعراً، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن:

ليطْلُبِ الثأرَ أمثالُ ابن ذي يزنٍ   إذ صارفي البحْرِ للأعداء أحْوالا

وقد كُتب خبر ذلك في موضعه. وكان له أربعة بنين: عمروٌ وربيعة ووهبٌ والقاسم. وكان القاسم شاعراً، وهو الذي يقول - أنشدنيه الأخْفش وغيرُه عن ثعْلب، وذكر الزُّبير أنّها لأميّة -:

قومٌ إذا نزل الغريبُ بدارهمْ   ردّوه ربَّ صواهلٍ وقيانِ
لا ينْكُتون الأرضَ عند سؤالهمْ   لتلمُّسِ العِلاّتِ بالعيدانِ

يمدح عبد الله بن جدْعان بها، وأوّلها:

قومي ثقيفٌ إنْ سألتَ وأسْرتي   وبهم أدافع ركْنَ مَنْ عاداني (١٢٠/٤)

(٢٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أبو يحيى الزّهريّ قال: حدّثني الهزبريّ قال: قيل لكثيّر: ما أنسبُ بيت قلته؟ قال: الناس يقولون:

أريد لأنس ذكرها فكأنّما ... تمثّل لي ليلى بكلّ سبيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي:

وقُلْ أمُّ عمْرٍو داؤه وشفاؤه ... لديها وريّاها الشفاءُ من الخبْلِ

وقد قيل: إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكّل الليثي. (٢٦٧/٤)

(٢٨)

وجدَ الفؤاد بزينبا ... وجْدا شديدا مُتْعبا

أصبحتُ من وجدي بها ... أُدْعى سقيماً مُسْهبا(١)

وجعلتُ زينبَ سُتْرة ... وأتيتُ أمراً مُعْجبا

... الشعر لابن رُهيْمة في زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام... ومَنْ لا يعلم يزعم أنّ هذا الشعر لعلية بنت المهدي. (٤٠٢/٤)

(٢٩)

ألا يا لَقَومي للرُقادِ المُسهدِ ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصدي

وللحال بعد الحال يركبُها الفتى ... وللحُبِّ بعد السلْوة المتمرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يسار النّسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان، وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق: أنّها للغول بن عبد الله بن صيفيّ الطّائيّ. والصحيح أنّها لإسمعيل. وأما أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومنْحه إيّاه بها ليُعْلَم صحّةُ ذلك(٢). وتمام هذه الأبيات:

والمرءِ لا عمّنْ يُحبُّ بمُرْعَوٍ ... ولا لسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمهتدي

وقد قال أقوامٌ وهم يعذلونه ... لقد طال تعنيبُ الفؤادِ المُصيَّدِ (٤٠٦/٤)

---

(١) أسْهِب الرجل: ذهب عقله، أو تغيّر لونه من حُبّ أو غيره.

(٢) ينظر الأغاني (٤٢١/٤)، إذ أورد هذا الخبر هناك.

(٣٠)

سلي هل قلاني مِنْ عشيرٍ صحبتُه … وهل ذمَّ رحْلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يجتوي القومُ الكرامُ صحابتي … إذا اغبرَّ مخْشيّ الفجاج عميقُ
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنّني … لكُم والهدايا المُشْعَراتِ صديقُ(١)

الشعر يُنسب إلى مُضرِّس بن قُرْط الهلاليّ وإلى قيْس بن ذريح، وفيه بيت يقال: إنّه لجرير. والغناء مختلطٌ في أشعار الثلاثة المذكورين. (١٩٣/٥)

(٣١)

قال الصمَّة القشيريّ:

حننْتَ إلى ريّا ونفسُك باعدتْ … مزارَك من ريّا وشعبا كما معا
فما حَسنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعاً … وتجزع أنْ داعي الصبابة أسمعا
بكتْ عيني اليمنى فلمّا زجرتُها … عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
وأذكرُ أيام الحمى ثم أنثني … على كبدي من خشية أنْ تصدّعا
فليست عشيّات الحمى برواجعٍ … عليك ولكن خلِّ عينيك تدمعا

وهذه الأبيات التي أولها «حننت إلى ريّا» تُروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذُكرتْ في مواضعها، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرتْ أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأولين أنّهما لقيس بن ذريح وروايتهما له أثبت، وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق؛ والأُخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصمّة. (٦/٥)

(٣٢)

قُلْ لأسماءَ أنْجزي الميعادا … وانظري أن تُزوِّدي منك زادا
إن تكوني حللتِ ربْعاً من الشا … م وجاورتِ حِمْيراً أو مرادا
أو تناءتْ بك النّوى فلقد قُدْ … تِ فؤادي لحينه فانقادا
ذاك أني علقتُ منك جوى الحبّ … وليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

---

(١) الهدايا: ما يُهدى إلى البيت الحرام من النَّعَم لتُنْحر، والمشعرات: المُعلمات بعلامة يُعرف بها أنّها هَديٌ.

الشعر لداود بن سلم. وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقِّش، وطلبناه في أشعار المرقِّشيْن(١) جميعاً فلم نجده(٢)، وكنّا نظنه من شاذِّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبرٍ أنا ذاكره في أخبار داود(٣). وإنما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته؛ فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره، وما لم يجرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يُلزمنا لومَ خطأ لم نتعمَّده ولا اخترعناه، وإنما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة، وإن عرف صوابا مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله(٤). (٦/٨)

(٣٣)

لــو ردَّ ذو شــفق حِمام منيَّةٍ ... لرددتُ عن عبد العزيز حماما

صلّى عليكَ اللهُ مــن مســتودَعٍ ... جاورتَ بُوماً في القبور وهاما(٥)

الشعر لكُثيِّر يرثي عبد العزيز بن مروان. وزعم بعضُ الرواة أنّ هذا الشعر ليس لكثيّر وأنه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له(٦). (٦/٢٥)

(٣٤)

ليستْ نعَمٌ منكَ للعافين مُسْجلةً ... مـن التخلُّـق لكـنْ شـيمةٌ خلُقُ(٧)

يكاد بابُك من علْم بصاحبه ... مـن دون بوّابـه للناس ينْدلِـق(٨)

---

(١) المرقِّشان: هما الأكبر والأصغر، والأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل، والأصغر هو ربيعة بن سفيان بن سعد. وهو ابن أخي المرقشَ الأكبر، وهو أيضاً عمّ طرفة بن العبد.

(٢) يشبه صنيع أبي الفرج هنا، صنيعه في شعر كلِّ مَنْ لُقِّب بالأعشى، فقد بحث في أشعار المرقِّشَين فلم يجد الشعر، وهذه بداية سليمة للتثبّت، ثمّ استمرّ بعدها في البحث حتى وقع عليه في شعر داود بن سلم.

(٣) ينظر الأغاني (٦/١٢). (٤) يطلب أبو الفرج ممّن يرى صواباً يخالف ما ذكره أن يصلحه، فهو بعد هذا الجهد المبذول في التتبّع للوصول إلى الصواب لا يتردّد في هذا الطلب. وكأنّه يرى أنّ الحقيقة العلمية لا تعرف توقّفاً، فالجميع في طلب لها، ومحاولة للوصول إليها، وهو لا يضع نفسه فوقها، بل يعرض النتيجة مثلما توصّل إليها، وللباحثين أن يتأكدوا منها، وهذا بلا شك من سمات المنهج العلمي، وصاحبه من الباحثين الناضجين. (٥) الهام: طير الليل وهو الصدى، واحده هامة.

(٦) جاء في هامش الأغاني: «نُسِب هذا الشعر في تجريد الأغاني لإسماعيل بن يسار».

(٧) مسجلة: مبذولة أو مرسلة. (٨) اندلاق الباب: انفتاحه سريعاً.

ذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطُريح. وذكر يعقوب بن السكِّيت أنه لابن هرْمة. فمن روى هذه الأبيات لابن هرْمة ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك؛ ومن ذكر أنها لطُريح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد والصحيح من القولين أن البيت الأوّل من البيتين لطُريح والثاني لابن هرْمة. فبيت طُريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيبها:

تقول والعيسُ قد شُدّتْ بأرحُلها ... ألحقٌ أنّك منا اليوم منطلقُ؟
قلتُ نعمْ فاكظمي قالت وما جَلَدي ... ولا أظنُّ اجتماعاً حين نفترق
فقلت إن أحْيَ لا أطْولِ بعادَكُمُ ... وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غلَق
فارقتُها لا فؤادي من تذكُّرها ... سالي الهموم ولا حبْلي لها خلق
فاضت على إثْرهم عيناك دمْعُهما ... كما تتابع يجري اللؤلؤ النَّسَق(١)
فاستبقِ عينك لا يُوْدي البكاءُ بها ... واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تستبق
ليس الشئونُ وإن جادت بباقية ... ولا الجفونُ على هذا ولا الحدق

يقول فيها في مدح الوليد:

وما نعَمْ منكَ للعافين مُسْجلة ... من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختصصت بها ... وطار قومٌ بلا والذمُّ فانطلقوا
قوم هُمُ شرف الدنيا وسُوددُها ... صفْوٌ على الناس لم يُخلط بهم رَنَق
إن حاربوا وضعوا أو سالموا رفَعُوا ... أو عاقدوا ضمنوا أو حدّثوا صدقوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومنْ أبي أحمد رحمه الله سمعْنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعلّه لم يتفقّد ذلك، أو لعلّ أحد الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله. (١٠٠/٦)

(٣٥)

ومما يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره:

---

(١) النَّسَق: المنظَّم.

ولما أنْ دنا منّا ارتحالٌ وقُرِّب ناجياتُ السيرِ كُومُ(١)
تحاسر واضحاتُ اللون زُهْر على ديباج أوجهها النعيم
أتيْنَ مودِّعات والمطايا لدى أكوارها خوصٌ هُجوم(٢)
فكم من حُرّة بين المُنقّى إلى أحُدٍ إلى ما حاز ريم(٣)

ويروى: «فكم بين الأقارع(٤) فالمُنقّى» وهو أجود.

إلى الجمّاء من خدٍّ أسيل نقيّ اللون ليس به كُلُوم(٥)
كأنْ من تذكُّر ما ألاقي إذا ما أظلم الليلُ البهيم
سليمٌ ملَّ منه أقربوه وأسلمه المُداوي والحميم(٦)

ذكر الزُّبير بن بكّار أن هذا الشعر كله لأبي المِنْهال نُفيلة الأشجعيّ. قال: وسمعتُ بعض أصحابنا يقول: إنه لمعْمر بن العنْبر الهُذليّ. والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولمّا غُنّي فيها وفي أبيات نُفيلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيّر إلى ما أوجب رفعها. فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها:

أجارتنا بذي نفَر أقيمي فما أبكي على الدهر الذميم(٧)
أقيمي وجهَ عامكِ ثم سيري بلا واهي الجوار ولا مُليم
فكم بين الأقارع فالمُنقّى إلى أحُدٍ إلى أكناف ريم
إلى الجمّاء مِنْ خدٍّ أسيلٍ نقيّ اللون ليس بذي كُلوم
ومن عينٍ مكحّلة الأماقي بلا كُحْل ومن كشْح هضيم
أرِقتُ وغاب عني من يلوم ولكنْ لم أنَمْ أنا للهموم

---

(١) الناجيات: النوق السريعة تنجو بمن ركبها، والكوم: النوق الضخمة السنام.

(٢) خوص: جمع أخوص، وخوصاء، والخوص: ضيق العين وغؤورها، وهجمت العين: غارت ودخلت في موضعها. (٣) المنقّى: طريق بين أحد والمدينة، والريم: وادٍ لمزينة قرب المدينة.

(٤) الأقرع: جبل بين مكة والمدينة بالقرب منه جبل يقال له الأشعر، ويسوغ في الشعر أن يجيء اسم المكان مفرداً، ومثنّى، ومجموعاً حسب الضرورة الشعرية، والكلُّ واحد.

(٥) الجمّاء: جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجُرْف. (٦) السليم: الملدوغ.

(٧) ذو نَفَر: موضع على ثلاثة أيام من السليلة بينها وبين الرُّبذة. وقيل خلف الرُّبذة بمرحلة من طريق مكة.

أرِقْتُ وشفّني وجعٌ بقلبي لزينبَ أو أميمةَ أو رعُوم
أقاسي ليلةً كالحوْل حتى تبدَّى الصبحُ مُنقطعَ البريم(١)
كأنَّ الصبح أبلقُ في حُجُول يشُبّ ويتّقي ضربَ الشُكيم
رأيتُ الشّيب قد نزلتْ علينا روائعُه بحجة مستقيم
إذا ناكرتُه ناكرتُ منه خصومةَ لا ألدَّ ولا ظلُوم
وودّعني الشباب فصِرتُ منه كراضٍ بالصغير من العظيم
فدعْ مالا يَردّ عليك شيئاً من الجارات أو دِمَن الرسوم
وقُلْ قولا تُطبِّق مفصليه بمِدْحةِ صاحب الرأي الصَّروم(٢) (١١٣/٦)

(٣٦)

إذا قلتُ تسلو النفسُ أو تنتهي المُنى أبى القلبُ إلاّ حبُّ أمِّ حكيم(٣)
مُنعّمةٌ صفراء حلْوٌ دلالُها أبيتُ بها بعدَ الهُدُوء أهيم(٤)
قطُوفُ الخُطا مخْطوطةُ المتْنِ زانها مع الحُسن خلْقٌ في الجمال عميم(٥)

الشعر مُختلف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبد الله العبْشميّ، ومنهم من يرويه لقطريّ بن الفُجاءة المازنيّ، ومنهم مَن يرويه لعبيدة بن هلال اليشكُريّ. ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية، وفيها ذِكْرٌ لأمّ حكيم هذه أيضاً، تُنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات منها:

لعمْرُكَ إنّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش مالم ألْقَ أمَّ حكيم
ولو شهدتني يومَ دُولاب أبصرتْ طعانَ فتى في الحرب غيرِ ذميم(٦)

---

(١) البريم: ضوء الشمس مع بقية سواد الليل. (٢) تطبّق مفصليه: تصيب فيه الحجّة، وأصله: إصابة المفصل وهو طبق العظمين أي ملتقاهما فيفصل بينهما، والصَّروم: القاطع.
(٣) يرجى ملاحظة الإقواء في البيت. (٤) الهدوء: الهزيع من الليل.
(٥) قطوف الخطا: ضيقة الخطا، خفيفة، ومخطوطة المتنين: ممدودتهما، أو هي ممدودة حسنة قويّة.
(٦) دولاب: قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الأزارقة وبين مسلم بن عُبيس بن كريز خليفة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزُّبير. ينظر الأغاني (١٤٢/٦ ـ ١٥١)، ففيها تفصيل لهذه الوقعة.

ذكر المبرّد أن الشعر لقطريّ بن الفُجاءة، وذكر الهيثم بن عديّ أنه لعمرو القنا، وذكر وهْب بن جرير أنه لحبيب بن سهم التميميّ، وذكر أبو مِخْنَف أنه لعبيدة بن هلال اليشْكريّ، وذكر خالد بن خداش أنه لعمرو القنا أيضاً. (١٤٠/٦)

(٣٧)

وقال شاعر آخر منهم (الخوارج):

شَمِتَ ابن بدر، والحوادثُ جمّةٌ والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حتْمٌ لا محالة واقعٌ مَنْ لا يُصبّحْهُ نهاراً يطرُقُ(١)
فلئن أميرَ المؤمنين أصابه ريبُ المنون فمنْ تُصبْه يغلَق(٢)

قال قطريُّ بن الفُجاءة، فيما ذكر المبردُ، وقال المدائني في خبره: إنّ صالح بن عبد الله العبشميّ قائلُ ذلك؛ وقال خالد بن خداش: بل قائلها عمرو القنا؛ قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حدّثني به أحمد بن الجعْد الوشّاء عن أحمد بن أبي خيْثمة عن أبيه عن وهْب بن جرير عن أبيه: إنّ حبيب بن سهْم قائلُها:

لعمرُك إنّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم ألْقَ أمُّ حكيم
مِنَ الخفرات البيض لم أر مثلها شفاءُ لذي بثٍّ ولا لسقيم
لعمرُك إني يوم ألطِمُ وجهها على نائبات الدهر غيرُ حليم
ولو شهدتْني يوم دولاب أبصرتْ طعانَ فتىً في الحرب غيرِ لئيم
غداة طفتْ علماءِ بكْر بن وائل وألافُها مِنْ حمْير وسليم(٣)
ومالَ الحجازيّون نحو بلادهم وعُجْنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيْس أوّلُ جدّها وولّتْ شيوخُ الأزْدِ فهي تعُوم(٤)
فلم أرَ يوماً كان أكثر مُقْعصاً يمُجّ دماً من فائظٍ وكليم(٥)
وضاربةٌ خدّاً كريماً على فتىً أغرُّ نجيب الأمهات كريم
أصيب بدُولابٍ ولم تكُ موطناً له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ حميم

---

(١) طرقه يطرقه: أتاه ليلاً. (٢) أمير المؤمنين: يريد به نافع بن الأزرق، ويغلق: أي لا ينفلت ولا ينجو.
(٣) علْماء: يريد على الماء، وسَليم: يريد سُلَيْمٍ و كبرّه للوزن، وسُلَيم أبو قبيلة. (٤) في هذا البيت إقواء.
(٥) المقعص: يقال: أقعصه بالرمح إذا طعنه به فمات في مكانه، والفائظ: الميت، والكليم: الجريح.

فلو شــهــدتنا يومَ ذاك وخليُنا　تُبــيح مـــن الكُفّار كـلَّ حــريم
رأت فتيةً باعـوا الإلـه نفوسـهم　بجـنّات عـدْنٍ عـنده ونعـيم (١٤٧/٦)

(٣٨)

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ - ويقال إن ابنه حمْدان بن أبان قالها . والأشبه عندي أنها لأبان، وما أظنُّ ابنه أدرك يحيى -:

يامَنْ يُفـضّل دحـمـاناً ويمدحـه　على المغنّين طُـرّاً قلـتَ بهـتـانا
لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به　لـم تمتدح أبداً ما عشـتَ إنسانا
ولم تقُل سفـهاً في مُنيةٍ عرضتْ　ياليت دحمـانَ قبل الموت غنّانا(١)
لقـد عـجـبتُ لدحـمـانٍ ومـادحـه　لا كــان مـادحُ دحـمـانٍ ولا كــانا
ما كان كابن صغير العين إذ جَريا　بل قام في غاية المجرى وما دانى
بذَ الجـياد أبـو بكـر وصيّرهـا　مـن بعد ما قرحـتْ جُـذْعاً وثُنيانا(٢) (١٧٤/٦)

(٣٩)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن عليّ بن منصـور قـال أخبـرني أبو عتّاب عن إبراهيم بن محـمـد بن العبـاس المُطّلبي: أنَّ سعيد بن المُسيّب مرَّ في بعض أزقة مكة، فسمع الأخضرَ الحرْبيّ يتغنّى في دار العاص بن وائل (ببيت النميريّ):

تضوّع مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشت　بــه زينـبٌ فــي نســوة خفــراتِ

فضرب برجله وقال: هذا واللهِ مما يلذُّ استماعه، ثم قال:

وليست كأخرى أوسعت جيب درْعها　وأبــدت بنــانَ الكــفّ للجمــراتِ
وعلّت بنان المسـك وحْفـاً مـرجّلاً　على مـثل بدْرٍ لاح فـي الظلمـات(٣)
وقـامتْ تراءى يومَ جـمْعٍ فـأفْتنتْ　برؤيتـهـا مَـنْ راح مــن عـرفـاتِ(٤)

---

(١) المُنية: البغية، وما يُتمنّى. (٢) الجذْع: وسُكّن للضرورة، جمع جَذَع وهو ما كان في الثانية في سنّه، والثُّنيان: جمع ثني، وهو ما كان في الثالثة من سنّه، وقرحت: كبرت وأصبحت قويّة.

(٣) علّت: كرّرت وضع الطيب في رأسها، والوحْف: الشعر الغزير الأسود.

(٤) جمع: علم للمزدلفة، سمُيّت به لاجتماع الناس بها.

قال: فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب. (٦/٢٠٢)

(٤٠)

ومن الغناء في أشعار (النميريّ في زينب):

ألا مَنْ لقلبٍ مُعنّى غـزِلْ ... يُحبّ المُحلّـةَ أختَ المحِلْ
تراءتْ لنا يـوم فرع الأرا ... ك بين العشاء وبين الأصُلْ
كأنّ القَرَنْفُلَ والزّنجبيلَ ... وريحَ الخُزامى وذوْب العسل
يُعلّ بـه بـرْدُ أنيابهـا ... إذا ما صفا الكوكبُ المعتدل

وذكر يونس أن لمالك فيه لحناً في: «كأنّ القَرَنْفُلَ والزّنجبيل» والبيتِ الذي بعده وبيتين آخرين وهما:

وقالت لجارتها هـل رأيـ ... ـتِ إذْ أعرض الركبُ فِعْلَ الرجُل
وأنْ تبسّمَـه ضاحكـاً ... أجدُّ اشتياقاً لقلب غزل

وقد قيل بأن الأبيات اللامية التي أولها: «ألا مَنْ لقلبٍ مُعنّىً غزِلْ» لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رملة بنت الزُّبير، وقيل: إنها لأبي شجرة السُّلَميّ. (٦/٢٠٥)

(٤١)

وقال عمر بن شبّة في خبره: وقال الأحوص في أمّ جعفر أيضاً ـ وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شبّة بيتين فأضفتهما إليها ـ:

وإنّي ليدعوني هوى أمّ جعفر ... وجاراتها من ساعةٍ فأجيبُ
وإني لآتي البيتَ ما إن أحبُّه ... وأكثر هجرَ البيت وهو حبيب
وأُغضي على أشياء منكم تسوءني ... وأُدعى إلى ما سرّكم فأجيب
هبيني امرأً إمّا بريئاً ظلمته ... وإمّا مسيئاً مذنباً فيتوب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها ... من الحزن قد كادت عليك تذوب
لك اللهُ إني واصلٌ ما وصلتني ... ومُثْنٍ بما أوليتني ومُثيب
وآخُذُ ما أعطيتِ عفواً وإنني ... لأزْوَرُ عما تكرهين هيوب

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات؛ وهي بشعره أشبه. (٦/٢٥٥)

(٤٢)

ومنها وهو:

وإني لآتـي البيـتَ مـا إن أحـبُّه ... وأكثـر هجـر البـيت وهو حـبـيبُ

وأغضي على أشياء منكم تسوءني ... وأدعـى إلـى ما سـرِّكم فـأجـيب

ومـازلتُ من ذكراكِ حـتى كـأنني ... أمـيمٌ بـأفـيـاء الديـار سـليب(١)

أبُثُّك مـا ألقى وفي النفس حـاجـةٌ ... لهـا بيـن جلـدي والعظـام دبيـب

لكِ اللهُ إنّي واصلٌ مـا وصلتني ... ومُثْنٍ بمـا أوليـتني ومُثيـب

وآخُذ مـا أعطيتِ عـفـواً وإنني ... لأزْوَرُّ عـمـا تكـرهـين هـيـوب

فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها ... مـن الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص. ومن الناس من يُنسب البيت الخامس وما بعده إلى المجنون. (٢٥٧/٦)

(٤٣)

اسـلم وحُيِّيت أيهـا الطللُ ... وإن عـفـتْك الرياح والسَّبلُ

خليـفـةٌ لا يخـيب سـائلُه ... عليـه تـاجُ الوقـار مُعْتـدل

الشعر لأشجع أو لسلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي. (٣٠٧/٦)

(٤٤)

يا صـاحبَ القبـر الغـريبِ ... بالشـام في طـرَف الكثـيب

بالحِجْر بين صـفـائح ... صُمٍّ تُرصَّـف بالجَبـوب(٢)

رصْفـاً ولحـدٍ مُمْـكـنٍ ... تحت العجـاجة في القليب

فـإذا ذكـرتُ أنينـهُ ... ومـغـيـبـه تحت المغـيب

هـاجتْ لـواعـجُ عـبْرة ... في الصـدر دائمـة الدُّبيب

أسـفـاً لحـسن بلائـه ... ولمصـرع الشـيخ الغـريب

أقـبلـتُ أطلـب طبُّـه ... والمـوت يُعْضل بالطبـيب

---

(١) الأميم: المشجوح الرأس، والسليب: المستلَب العقل.

(٢) الحجر: قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز، والجبوب: المدر (الطوب) المفتّت.

الشعر لمكين العُذريّ يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هويها فمات هناك. وقيل: إن الشعر لسلاّمة ترثي الوليد بن يزيد. (٦/٣٠٨)

(٤٥)

لحا الله صعلوكاً مُناه وهمُّه ... من الدهر أن يلقى لَبوساً ومطْعما

ينام الضحى حتى إذا ليلُه انتهى ... تنبّه مثلوجَ الفؤاد مورَّما

ولكنّ صعلوكاً يُساور همَّه ... ويمضي على الهيجاء ليثاً مصمِّما

فذلك إن يلقَ الكريهة يلقها ... كريماً وإن يستغن يوماً فربَّما

الشعر يقال إنه لعُرْوة بن الورْد، ويقال: إنه لحاتم الطائيّ وهو الصحيح. (٦/٣٢٢)

(٤٦)

تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْءل بن عادياء، ويقال: إنه للسموءل. وكان من يهود يثْرب؛ وهو الذي يُضرب به المثلُ في الوفاء فيقال: «أوفى من السَّموءل». (٦/٣٢١)

(٤٧)

أخبرني عمّي والكوكبيّ بهذا قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عبد الله بن الحارث المرْوَزيّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السِّنْديّ بن شاهك، فذكر مثله سواء. قال ابن أبي طاهر فحدّثني محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال: دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضّحاك، فقلت يا أمير المؤمنين، أحبّ أن تسمع مني بيتين؛ فقال أنْشدهما فأنشدتُه:

حمدْنا الله شكْرا إذ حبانا ... بنصرك يا أمير المؤمنينا

فأنت خليفةُ الرحمن حقّاً ... جمعتَ سماحةً وجمعتَ دينا

فقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ فقلتُ: لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضّحاك؛ قال: قد أحسن. فقلتُ: وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا؛ فقال: وما هو؟ فأنشدتُه قوله:

أيبْخل فرْدُ الحسن فرْدُ صفاته ... عليَّ وقد أفردتُه بهوىً فردِ

رأى اللهُ عبد الله خير عباده ... فملّكه واللهُ أعلمُ بالعبد

قال: فأطرق ساعةً ثم قال: ما تطيبُ نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال. قال أبو الفرج: وهذه الأبيات تُروى لابن البّواب، وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطاً بيّنا، لأنها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضّحاك. وقد رُوي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البّواب فنوصلها إلى ابن المأمون، وكان له صديقاً. ولعلّ الغلط وقع من هذه الجهة. (١٤٨/٧)

(٤٨)

جرى لك من هارون بالسَّعد طائرُه ... إمامُ اعتزامٍ لا تُخاف بوادرُه

إمامٌ له رأي حميدٌ ورحمةٌ ... مواردُه محمودة ومصادره

هو الملكُ المجبولُ نفساً على التُّقى ... مُسلَّمةٌ من كل سوء عساكره

لتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللهُ وحده ... وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُه

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصُّوليّ. وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلْمٍ الخاسر. (١٥٧/٧)

(٤٩)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن ابن عائشة قال: وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر؛ فأقبل عليه وقال:

أيّها المادحُ العبادَ ليُعْطى ... إنّ لله ما بأيدي العبادِ

فاسألِ الله ما طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفعَ المنزِّل العوّادِ

لا تقُلْ في الجواد ما ليس فيه ... وتُسمِّي البخيلَ باسم الجواد

قال بشّار: من هذا؟ فعرّفه؛ فقال: لولا أن هذا الرجل قد شُغِلَ عنّا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا وروُي في هذا الخبر أنّ عمران بن حطّان الشّاريّ خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب. (٢٣٧/٧)

(٥٠)

أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القُمّي قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو داود المسترق راويةُ السيّد: أنّه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن عليّ بن النعمان المعروف بشيطان الطّاق(١) في

---

(١) الطّاق: حصن بطبرستان، وبه سكن محمد هذا، وإليه تُنسب الطائفة الشيطانية من غلاة الشيعة.

الإمامة، فغلبه محمد في دفع ابن الحنفيّة عن الإمامة؛ فقال السيّد:

ألا يأيّها الجدِلُ المعنّى لنا، ما نحن ويْحك والعناءُ!(١)
أتُبْصِرَ ما تقول وأنت كهلٌ تُراك عليك من ورع رداء
ألا إنَّ الأئمةَ من قريشٍ ولاةُ الحقّ أربعةٌ سواء
عليٌّ والثلاثةُ من بنيه هُمُ أسْباطُه والأوصياء(٢)
فأنّى في وصيّته إليهم يكون الشك منّا والمراء
بهم أوصاهُمُ ودعا إليه جميع الخلق لو سُمِع الدّعاء
فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحلْمٍ وسبطٌ غيّبته كربْلاء
سقى جدثاً تضمّنه مُلِثٌّ هتوفُ الرّعد مُرْتجِزٌ روِاء(٣)
تظلُّ مُظلّةٌ منها عَزالٍ عليه وتغتدي أخرى مِلاء(٤)
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء(٥)
من البيت المحجّبِ في سراةٍ شراةٍ لفّ بينهُمُ الإخاء
عصائبُ ليس دون أغرَّ أجلى بمكة قائمٍ لهُمُ انتهاءُ

وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثيِّر. (٢٤٥/٧)

(٥١)

أخبرني أحمد بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعيم قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله الطلّحيّ راويةُ الشعراء بالكوفة قال حدّثنا أبو مسعود عمر بن عيسى الرِّياح ومحمد بن سلمة، يزيد بعضُهم على بعض: أنَّ السيِّد لمّا قدم الكوفة أتاه محمد بن سهل راويةُ الكميت، فأقبل عليه السيّد فقال: مَن الذي يقول:

يعيب عليّ أقوامٌ سفاهاً بأن أرجى أبا حسن عليّاً(٦)

---

(١) الجَدِل: الشديد الخصومة. (٢) الثلاثة: يعني بهم الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية.

(٣) الثُّ المطر إلثاثاً: دام أياماً لا يقلع، وارتجز الرعد: تتابع صوته، والرواء: الكثير المروي.

(٤) العزالي: جمع عزلاء، وهي مصبُّ الماء من الراوية، والقربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء، يقال: أرسلت السماء عزاليها أي كثر مطرها.

(٥) يعني بسبط الإيمان الحسن بن علي، والسبط الذي غيّبته كربلاء الحسين بن علي، والسبط الذي لا يذوق الموت هو محمد بن الحنفية. (٦) الإرجاء: التأخير.

وإرجـاني أبا حـسن صـوابٌ ... عـن العُمَـرين بَرّاً أو شـقـيّا[1]
فـإن قـدّمتُ قـومـاً قـال قـومٌ ... أسـاتَ وكـنتَ كـذّاباً رديّا
إذا أيقنـتُ أنّ اللـه ربّـي ... وأرسل أحـمـداً حـقـاً نبـيّاً
وأنّ الرُّسْلَ قـد بُعثـوا بحق ... وأنّ اللـه كـان لهـم وليّـا
فليس عليّ في الإرجـاء بأسٌ ... ولا لَبْسٌ ولست أخـاف شـيّا؟

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله مُحارب بن دثار الذُّهْليّ. فقال السيّد: لا كان الله وليّاً للعاضّ بظْر أمّه! من يُنشدنا قصيدة أبي الأسود:

أحبّ محمداً حبا شديدا ... وعبّاساً وحمزة والوصيّا

فأنشده القصيدة بعض مَن كان حاضراً، فطفق يسُبُّ محارب بن دثار ويترحم على أبي الأسود. (٢٤٨/٧)

(٥٢)

فـلا زلْنَ حسْرى ظُلّعا لِمْ حملْنها ... إلـى بلـدٍ نـاءٍ قليـلِ الأصـادق[2]
ولا ذنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيـرةٌ ... أثيبي بـودٍّ قبل إحدى البوائق[3]

البيت الأوّل من الشعر لكُثيِّر، ويقال: إنّه لأبي جُنْدب الهذليّ، والبيت الثاني لرجل من كنانة ثم من بني جذيمة، وزعم ابن دأبٍ أنّه عبد الله بن علْقمة أحدُ بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل أيضاً: إنّه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مغازيه التي وجهه رسول الله (ص) فيها. (٢٧٩/٧)

(٥٣)

قال أبو عمرو وحدّثني هذا العُذْريّ: أنّ جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحيّةَ الشام فرحل إليه. قال: فلقيتُه فسألتُه عما أحْدث بعدي؛ فأنشدني:

---

(١) العمران هما أبو بكر الصّدّيق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٢) فلا زلن حسرى: دعاء على الإبل التي ظعنت بها وأبعدتْها عنه، وحسرى: أي بلغ منهنّ الجهد فلم يبق فيهنّ بقيةٌ، والظّلّع من كلّ شيء: أن تألم رجله فلايقدر أن يمشي عليها فيغمز في مشيه كالأعرج إذا مشى، والنائي: البعيد.

(٣) البوائق: الحوادث التي تأتي بما يُحْذَر بغتة، وهي مثل المصائب والنوائب.

سقى منزلَيْنا يا بُثين بحاجرٍ على الهجْرِ منّا صيِّفٌ وربيعُ
ودُورك يا ليْلى وإن كُنَّ بعْدنا بَلين بلىً لم تبْلهُنَّ ربُوعُ
وَخيْماتُكَ اللاتي بمُنْعرج اللِّوى لقُمْريِّها بالمشْرقيْن سجيعُ
تُزعْزِعُ منها الريحُ كلَّ عشيَّةٍ هزيمٌ بسُلاَّفِ الرياح رجيعُ(١)
وإنّيَ أن يعْلى بكِ اللَّوْمُ أو تُرىَ بدار أذىً من شامتٍ لجزوعُ
وإنّي على الشيء الذي يلْتوى به وإن زجرتْني زجْرةً لوريعُ(٢)
فقدتُكِ من نفسٍ شعاعٍ فإنّني نهيتُك عن هذا وأنتِ جميعُ
فقرّبتِ لي غير القريب وأشرفتْ هناكَ ثنايا ما لهنّ طلّوعُ
يقولون صبٌّ بالغواني موكَّلٌ وهل ذاك من فعل الرجال بديعُ!
وقالوا رعيتَ اللّهْوَ والمالُ ضائعٌ فكالناس فيهم صالحٌ ومُضيعُ

ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رويٍّ وقافية هذه القصيدة، وليست له. (١٢٤/٨)

(٥٤)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن أبي عبيدة عن أبيه قال: دخل علينا كُثيِّر يوماً وقد أخذ بطرف ريْطته وألقى طرفها الآخر وهو يقول: هو والله أشعرُ الناس حيث يقول:

وخبّرْتُماني أنّ تيْماءَ منزلٌ لليلى إذا ما الصّيْفُ ألقى المراسيا
فهذي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ فما للنّوى ترمي بليلى المراميا

ويجُرّ ريْطته حتى يبلُغَ إلينا، ثم يولّي عنّا ويجُرُّها ويقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

وأنتِ التي إن شئتِ كدَّرتِ عيشتي وإن شئتِ بعد الله أنْعمتِ باليا
وأنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عداً يرى نِضْو ما أبْقيتِ إلاَّ رثى ليا

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: مَنْ تعْني يا أبا صخْر؟ فقال: ومَنْ أعني سوى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا!. وتيْماءُ خاصةً: منزلٌ لبني عُذْرة، وليس من

---

(١) زعزت الريح الشجر ونحوه: حركته، والهزيم: صوت الرّعد، والمراد الصوت الشديد، وسلاّف الرياح: متقدّماتها، والواحد سالف وسالفة. (٢) وريع: كافّ.

منازل عامر؛ وإنّما يرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه. (١٢٥/٨)

(٥٥)

وقالت زينب بنت الطَّثْرِيّة ترثي أخاها يزيد ـ وعن أبي عمرو الشّيْباني أنّ الأبيات لأمّ يزيد، قال: وهي من الأزْد، ويقال: إنّها لوحشيّة الجرْميّة ـ:

أرى الأثْلَ من بطن العقيق مُجاوري ... مقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتىً قُدَّ قدَّ السّيْفِ لا مُتضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لبّاتُه وبآدلُه(١)
فتىً لا ترى قدَّ القميص بخصْره ... ولكنّما تُوهي القميصَ كواهلُه
إذا نزل الضّيفانُ كان عذوّراً ... على الحيّ حتى تستقلَّ مراجلُه(٢)
يسُرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً ... وكلُّ الذي حمّلته فهو حاملُه
إذا جدَّ عند الجدِّ أرضاك جدُّه ... وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاكَ باطلُهْ
إذا القومُ أمُّوا بيته فهو عامدٌ ... لأفضل ما أمُّوا له فهو فاعلُه
مضى وورِثْناه دريسَ مُفاضةٍ ... وأبيضَ هنْدياً طويلاً حمائلُه(٣)
وقد كان يحْمي المحْجرين بسيفه ... ويبلغُ أقْصى حَجْرة الحيِّ نائلُه(٤)
فتىً ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكلُه
سيبْكيه مولاه إذا ما ترفّعت ... عن الساق عند الرّوْع يوما ذلاذلُه(٥) (١٨٢/٨)

(٥٦)

وقد أخبرنا الحرميّ عن الزُّبير عن عمر بن إبراهيم السّعْديّ عن عباس بن عبد الصمد قال: قال هشام بن عبد الملك للعُجيْر السّلوليّ: أصدَقت فيما قلتَ في ابن عمّك؟ قال: نعم يا أمير

---

(١) البآدل: جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والترقوة.

(٢) العذوّر: السيّء الخلق، القليل الصبر عمّا يريده وما يهمّ به، والمراجل: جمع مرجل وهو القدر، واستقلالها: انتصابها على الأثافي، وصفته بسوء الخلق، والتشدّد في الأمر والنهي حتى تنصبَّ المراجل، وتهيأ المطاعم للضيفان ثمّ يعود إلى خلقه الأول.

(٣) الدريس: الخلق من الدروع وغيرها، والمافضة: الدرع الواسعة، وأبيض يعني سيفاً، وجعله طويل الحمائل لطول قوامه، يريد: أنّه أنفق ماله فيما نشر له حمداً فلم يكن إرثه إلاّ ما ذكر من السلاح.

(٤) المحجر: الحرم وما يمنعه القوم، والحَجرة: الناحية. (٥) الذلاذل: مفردها الذُّلذل: وهو هُدْب الثياب.

المؤمنين، ألا إنّي قلتُ:

فتىً قُدّ قدّ السيفِ لا متضائلٌ ولا رهـلٌ لبّـاتـه وأباجلُـه(١)

فذكر هذا البيتَ حده ونسبه إلى العُجير السلوليّ من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطثْرية أو إلى أمّه وأتى بأبياتٍ أخر ليست منها. (١٨٣/٨)

(٥٧)

قال وحدّثني بعض المكّيين قال: كان العرْجيّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً سخيّاً أديباً ظريفاً. ويشبّه شعرُه بشعر عُمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدّما عليه؛ وقد نُسبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهم. (٢٣٠/٨)

(٥٨)

وحدّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد: وسألها (جميلة) الأحوص وأقسم عليها أن تغنّيه من شعره:

وبالقـفْر دارٌ من جـمـيلةَ هيَّجتْ سـوالفَ حبٍّ في فـؤادك مُنْصِـبِ

وكـانت إذا تنـأى نـوىً أو تفرّقـتْ شدادُ الهوى لم تدرِ ماقولُ مِشْغَبِ(٢)

أسيلةُ مجْرى الدمع خُمصانةُ الحشا برُودُ الثنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشرعبِ(٣)

ترى العينُ مـا تهوى وفيـهـا زيادةٌ مـن الحـسـن إذ تبـدو ومَلْهىً لِمَلْعبِ

قال يونس: مالها صوتٌ أحسنُ منه، وابنُ مُحْرزٍ يغنّيه وعنها أخذه، وأنا أغنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النَّخوةِ والتِّيه. وقال المحدِّث لي (أبو الفرج) بهذا الحديث عن يونس: إنّ هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنّه لطُفيل الغنويّ قاله في ابن زيد الخيل. (٢٣٢/٨)

(٥٩)

يادار عبْلةَ من مشارق مأسلِ درس الشؤونُ وعهدُها لم ينجلِ(٤)

---

(١) الأباجل: جمع أبجل، وهو عرق غليظ في الرِّجل، وقيل: هو في باطن الذراع.

(٢) المشغب: المشاغب والعاند عن الحقّ. (٣) المشرعب: الطويل.

(٤) مأسل: اسم رملة، وقيل: ماء في ديار بني عقيل، وهناك دارة مأسل. ينظر معجم البلدان (٢/٤٢٩، ٥/٤٢)، والشؤون: جمع شأن، وهو الأمر والحال.

فاستبدلتْ عُفْرَ الظِّباء كأنَّما أبعارُها في الصَّيف حبُّ الفُلْفُلِ(١)

تمشي النَّعامُ به خلاءً حولَه مَشْيَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ

احْذر مـحلَّ السُّوءِ لا تحْلُلْ به وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ

الشعر، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق، لعنْترة بن شدّاد العبْسيّ. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعلَّه من رواية لم تقع إلينا؛ فذكر غير أبي أحمد أنَّ الشعر لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ، إلا أنَّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشكُّ فيه. (٢٣٥/٨)

(٦٠)

أمَّا القطاةُ فإنّي سوف أنعتُها نعتاً يوافق منها بعض ما فيها

سكَّاءُ مخطوبةٌ في ريشها طَرَقٌ صُهْبٌ قوادمها كدرٌ خوافيها(٢)

الشعر مختلف في قائله، ينسب إلى أوْس بن غلْفاء الهُجَيْميّ وإلى مُزاحم العُقيليّ وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكنْديّ وإلى العُجيْر السلُوليّ وإلى عمرو بن عُقيل بن الحجّاج وهو أصحُّ الأقوال؛ رواه ثعلب عن أبي نصْر عن الأصمعيّ. (٢٥٨/٨)

(٦١)

لمن الديارُ رُسُومُها قَفْرُ لعبتْ بها الأرواحُ والقَطْرُ

وخلا لها من بعد ساكنها حِججٌ مضين ثمانٍ أوْ عشْرُ

والزَّعْفرانُ على ترائبها شَرِقٌ به اللَّباتُ والنَّحْرُ(٣)

الشعر يُنسب إلى أبي بكر بن المِسْورَ بن مخْرمة الزُّهْريّ، وإلى الحارث بن خالد المخزوميّ، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. (٣٢٣/٨)

(٦٢)

قد لعمْري بتُّ ليْلى كأخي الداء الوجيعِ

ونَجيُّ الهمِّ منّي بات أدنى من ضجيعي

---

(١) عُفْر: جمع أعفر، وهوالظبي يعلو بياضه حمرة.

(٢) سكّاء: السكك: صغر الأذن ولصوقها بالرأس، يقال للقطاة سكّاء لأنّه لا أذن لها. والمخطوبة: التي على لون الحنظلة، إذا أخطبت أي اصفرّت، وصارت فيها خطوط خضر. والطَّرَق في الريش: أن يكون بعضه فوق بعض. والصهبة: لون يضرب إلى الحمرة أو إلى الشقرة. (٣) شرق الجسد بالطيب: امتلأ.

كلمـا أبصـرتُ ربْعـاً خـالياً فـاضت دمـوعي
لا تلُمْـنا إن خـشـعْنا أو همـمْنا بالخـشـوع
إذ فـقـدنا سـيُداً كـا ن لنـا غـيـرَ مُضـيـع

الشعر للأحوص. والغناء لسلاّمة القسّ. وقد قيل: إنّ الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إنّ الغناء لمعبد وإنّها أخذتْه عنه. (٣٣٢/٨)

(٦٣)

يادار عبْلة من مشارق مأسـل درس الشّؤون وعهدها لم ينْجلِ
واستبدلت عُفْر الظّباء كأنّما أبعارُها في الصّيْف حبُّ الفُلْفلِ

ذكر يحيى بن علي أنّ الشعر لعنترة بن شدّاد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرُّواة أنّه لعبد قيس بن خُفاف البُرْجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً، والشعر لحارثة بن بدر الغُداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. (٣٨٣/٨)

(٦٤)

وقال فيه (كثير) الأحوص ـ ويقال: بل قاله سُراقة البارقيّ ـ:

لعمْري لقد جاء العراقَ كُثيِّرٌ بأحدوثـةٍ مـن وحْيه المُتكذّبِ
أيزعـمُ أنّي مـن كـنانةَ أوّلي ومـا ليَ من أمٍّ هناك ولا أبِ
فإنْ كنتَ حرّاً أو تخاف معـرّةً فخُذْ ما أخذتَ من أميركِ واذهبِ (١٢/٩)

(٦٥)

وقد قيل: إنّ بيْتيْ مسافر بن أبي عمرو أعني: «ألا إنّ هنداً أصبحت منك محرما» لابن عجْلان. (٥٤/٩)

(٦٦)

وكان عامر أيضاً يقول يعرِّض بهند بنت امرئ القيس:

ألا حـيِّ هـنداً وأطلالهـا وتظْعـان هندٍ وتحْلالهـا
همـمتُ بنفسيَ كلَّ الهُموم فـأوْلى لنفسـيَ أوْلى لها
سـأحـمل نفـسي على آلة فـإمّـا عليـها وإمّـا لهـا

هكذا روى ابنُ أبي سعد عن دارم بن عقال. ومن الناس مَن يروي هذه الأبيات للخنساء في قصيدتها: ألا ما لعيني ألا ما لها لقد أخْضل الدمعُ سرْبالها (٩/٩٦)

(٦٧)

أمن آل ليْلى بالملا مُتربَّعُ كما لاح وشْمٌ في الذراع مرجَّعُ(١)
سأتبعَ ليْلى حيث سارت وخيَّمتْ وما الناسُ إلا آلِفٌ ومودِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل: إنَّه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أُخَر وهي:

وقفتُ لليلى بعد عشرين حجَّةً بمنزلة فانهلَّت العينُ تدْمَعُ
فأمرضَ قلبي حبُّها وطِلابُها فيا آل ليلى دعوةً كيف أصْنَعُ
سأتبعُ ليلى حيث حلَّت وخيَّمتْ وما الناسُ إلا آلِفٌ ومودِّع
كأنَّ زِماماً في الفؤاد معلَّقاً تقود به حيث استمرَّتْ وأتْبع (٩/١٢٨)

(٦٨)

أسْعداني بعبْرةٍ أسْرابِ من شؤون كثيرة التُّسْكاب(٢)
إنَّ أهلَ الحصاب قد تركوني موزَعاً مولعاً بأهل الحصاب
كم بذاك الحَجُون من حيٍّ صِدْقٍ وكهول أعفَّة وشباب
سكنوا الجِزْعَ جزع بيت أبي مو سى إلى النخل من صُفيِّ السِّباب(٣)
فارقوني وقد علمتُ يقيناً ما لمن ذاق ميتةً من إياب
فليَ الويلُ بعدهم وعليهم صرتُ فرداً وملَّني أصحابي

الشعر لكثير بن كثير بن المطَّلب بن أبي وداعة السَّهْميِّ، وقيل: بل هو لكثيِّر عزَّة. وقد روي في ذلك خبر نذكره. فمن روى هذا الشعر لكثيِّر عزَّة يرويه: «إنَّ أهل الخضابِ قد تركوني» ويزعم أن كثيِّراً قاله في خضاب خضبتْه عزَّةُ به. (٩/١٧٤)

---

(١) الملا: اسم يطلق على مواضع منها: ما بين نقعاء وهي قرية لبني مالك بن عمرو بن ثمامة بن عمرو بن جندب من ضواحي الرمل متصلة هي والجَلَد إلى طرف أجإ. أو هو مدافع السُّبعان، والسُّبعان: وادٍ لطيِّء يجيء بين الجبلين. ينظر معجم البلدان (٥/١٨٨). (٢) أسراب: منهمرة، وشؤون: مجاري الدمع.

(٣) صُفيّ السِّباب: جمع صفاة وهي الحجارة، ولُقِّبتْ صُفيَّ السِّباب لأنَّ قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشيّات يتشاتمون ويذكرون المعايب، والمثالب التي يرْمون بها فسُميِّت تلك الحجارة صُفيَّ السِّباب، وهو شِعب من شعاب مكة.

(٦٩)

أتجمع قلباً بالعراق فريقُه ... ومنه بأطلال الأراكِ فريقُ
فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النّوى ... ولا أنت يوماً عن هواك تُفيقُ
ولو تعلمين الغيب أيقنتِ أنّني ... لكم والهدايا المُشْعرات صديقُ

البيتان الأوّلان يُرْويان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معْبد. (١٧٩/٩)

(٧٠)

إلى الله أشكو فَقْد لُبنى كما شكا ... إلى الله فقدَ الوالدَيْن يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه ... نحيلٌ وعهدُ الوالدين قديمُ
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ ... دموعي فأيُّ الجازعين ألوم
أمُستعبراً يبكي من الشوق والهوى ... أم آخر يبكي شجْوَه ويهيم
تهيّضني من حبِّ لُبْنى علائقٌ ... وأصنافُ حبٍّ هَوْلُهنّ عظيمُ
ومَن يتعلّق حبَّ لبنى فؤادُه ... يمُتْ أو يعْش ما عاش وهو كليم
فإنّي وإن أجمعتُ عنك تجلُّداً ... على العهد فيما بيننا لَمقيم
وإنَّ زماناً شتَّت الشمل بيننا ... وبينكُم فيه العدا لمشُوم
أفي الحقِّ هذا أنَّ قلبكِ فارغٌ ... صحيح وقلبي في هواكِ سقيم

وقد قيل: إنَّ هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره ولكنَّها في هذه الرواية منسوبة إليه. (١٩٨/٩)

(٧١)

فإن يحْجُبوها أو يَحُلْ دون وصلها ... مقالةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيّ من دائم البُكا ... ولن يُذهبوا ما قد أجنَّ ضميري
إلى اللّه أشكو ما ألاقي من الهوى ... ومن حُرَقٍ تعتادني وزفير
ومن حَرَقٍ للحبِّ في باطن الحشى ... وليلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصير
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ ... بكاء حزينٍ في الوثاقِ أسير
وكُنّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنْعمِ حالَيْ غبْطةٍ وسرور
فما برح الواشون حتى بدتْ لهم ... بطونُ الهوى مقلوبةً لظهور

لقد كنتِ حسْبَ النفس لو دام وصلُنا ولكنَّمـا الدنيـا متـاعُ غـرور

هكذا في هذا الخبر أنَّ الشعر لقيس بن ذريح. وذكر الزُّبير بن بكّار أنَّه لجدّه عبد الله بن مُصعب. (٩/٢٠٠)

(٧٢)

ألا حيِّ لُبْنى اليومَ إن كنتَ غاديا وألمِمْ بها من قبل أن لا تلاقيا

وأهْدِ لها منك النصيحة إنَّها قليلٌ ولا تخْشَ الوُشاةَ الأدانيا

وقل إنّني والراقصات إلى منىً بأجْبُلِ جَمْعٍ ينتظرنَ المناديا(١)

أصونك عن بعض الأمور مضنَّةً وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا

تساقطُ نفسي حين ألقاك أنفساً يردْنَ فما يصْدُرْنَ إلاّ صواديا

فإنْ أحْيَ أو أهلِكْ فلستُ بزائلٍ لكم حافظاً ما بلَّ ريقٌ لسانيا

أقول إذا نفسي من الوجْد أصْعَدَتْ بها زفرةٌ تعتادني هي ما هيا

وبين الحشا والنَّحر منّي حرارةٌ ولوعةُ وَجْدٍ تترك القلب ساهيا:

ألا ليت لُبْنى لم تكن ليَ خُلَّةً ولم ترني لُبْنى ولم أدرِ ما هيا

سَلي الناس هل خبَّرتُ سرَّكِ منهمُ أخا ثقةٍ أو ظاهر الغشِّ باديا

يقول ليَ الواشون لمّا تظاهروا عليكِ وأضحى الحبلُ للبين واهيا:

لعمْري لقبلَ اليوم حُمِّلتَ ما ترى وأُنذرتَ من لُبْنى الذي كنتَ لاقيا

خليليَّ ما لي قد بَليتُ ولا أرى لُبيْنى على الهجْران إلاّ كما هيا

ألا يا غرابَ البيْنَ مالك كلّما ذكرتُ لبُيْنى طرْتَ لي عن شماليا

أعندك علمُ الغيب أم لست مُخْبري عن الحيِّ إلا بالذي قد بدا ليا

جزعتُ عليها لو أرى ليَ مجْزعاً وأفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيا

حياتك لا تُغْلبْ عليها فإنّه كفى بالذي تلْقى لنفسك ناهيا

تمرُّ الليالي والشهور ولا أرى وَلُوعي بها يزداد إلاّ تماديا

فما عن نوالٍ من لُبينى زيارتي ولا قلّةُ الإلمام أن كنتُ قاليا

ولكنّها صدَّتْ وحُمِّلتُ من هوىً لها ما يؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تُخلط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلّما يتميزان.

---

(١) جمع: المزدلفة.

(٧٣)

وهذه القصيدة العينيّة أيضاً من جيِّد شعر قيس بن ذريح، والمختارُ منها قوله:

أتبكي على لُبْنى وأنت تركتها ... وكنتَ كآتٍ حتفَه وهو طائعُ
فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى ... ويا حبَّها قعْ بالذي أنت واقع
ويا قلبُ خبِّرني إذا شطَّتِ النّوى ... بلُبْنى وبانت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبيْن المُشتِّ مع الجوى ... أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازع
كأنّك بِدْعٌ لم ترَ الناس قبلها ... ولم يطّلعْك الدهرُ فيمن يُطالع
ألا يا غرابَ البيْن قد طرْتَ بالذي ... أحاذر من لُبنى فهل أنت واقع
فليس محبٌّ دائماً لحبيبه ... ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجع
كأنْ بلاد الله ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الناسُ قفْرٌ بلاقع
فما أنت إذ بانت لُبينى بهاجعٍ ... إذا ما اطمأنّتْ بالنِّيام المضاجع
أقضّي نهاري بالحديث وبالمُنى ... ويجْمعني والهمَّ بالليل جامعُ
نهاري نهارُ الناس حتى إذا دجا ... ليَ الليلُ هزّتْني إليكِ المضاجع
لقد رسختْ في القلب منكِ مودّةٌ ... كما رسختْ في الراحتين الأصابع
أحال عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب ... ودامتْ فلم تبرح عليَّ الفواجع
ألا إنّما أبكي لما هو واقعٌ ... فهل جزعي من وشْكِ ذلك نافع
وقد كنتُ أبكي والنّوى مطمئنّةٌ ... بنا وبكم من علْمِ ما البينُ صانع
وأهجُركم هجر البغيض وحبُّكم ... على كبدي منه كلُومٌ صوادع
وأعمد للأرض التي لا أريدها ... لترْجعني يوماً إليكِ الرواجع
وأشْفق من هجرانكم وتروعني ... مخافةُ وشْكِ البين والشّملُ جامع
فما كلُّ ما منّتْك نفسك خالياً ... تُلاقي ولا كلُّ الهوى أنت تابع
لعمْري لمنْ أمسى ولُبْنى ضجيعه ... من الناس ما اختيرتْ عليه المضاجع
فتلك لُبيْنى قد تراخى مزارُها ... وتلك نواها غرْبةٌ ما تُطاوع
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمعه ... مُشتٌّ ولا ما فرّق اللهُ جامع
فلا تبْكينْ في إثر لُبْنى ندامةً ... وقد نزعتْها من يديك النوازع

وقد قيل: إنَّ ثلاثة أبيات من هذه وهي: «أقضّي نهاري بالحديث وبالمنى» (والبيتان اللذان بعده) لابن الدُّمَيْنة الخثْعميِّ؛ وهو الصحيح؛ وإنَّما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها. (٢١٧/٩)

(٧٤)

«هل غادر الشعراء» البيت، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة؛ وممَّن يدفعه الأصمعيَّ وابن الأعرابيَّ، وأوَّل القصيدة عندهما «يادار عبْلة». فذكر أبو عمرو الشَّيْبانيَّ أنه لم يكن يرْويه حتى سمع أبا حزامٍ العُكْليَّ يرويه له. (٢٢٢/٩)

(٧٥)

ألا يا دينَ قلبُك من سُليْمى   كما قد دينَ قلبُك من سُعادا
هما سبتا الفؤاد وأصْبتاه   ولم يُدْرك بذلك ما أرادا
قِفا نَعْرِفْ منازل من سُلَيْمى   دوارس بين حومَلَ أو عُرادا(١)
ذكرتُ بها الشَّبابَ وآلَ ليلى   فلم يَرُدِ الشبابُ بها مرادا
فإن تشب الذُّؤابةُ أمُّ زيدٍ   فقد لاقيتُ أيَّاماً شدادا

الشعر لأشْهب بن رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابيَّ وأبو عمرو الشَّيباني. وحكى ابن الأعرابيَّ أنَّه سمع بعض بني ضبَّة يذكر أنَّها لابن أبي رُمَيْلة الضَّبِّيِّ. (٢٦٨/٩)

(٧٦)

أبا مُنْشِرَ الموتى أقِدْني من التي   بها نهِلتْ نفسي سقاماً وعلَّتِ
لقد بخلتْ حتى لو إنِّي سألتُها   قذى العين من ضاحي التُّراب لضنَّتِ

الشعر لأعرابيٍّ رواه إسحاق عنه ولم يذكر اسمه، والناس يغلطون فينسبونه إلى كثيِّر ويظنُّونه من قصيدته التي أوَّلها:

خليليَّ هذا رسْمُ عزَّةَ فاعْقِلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك. (٢٨٠/٩)

---

(١) حومل: موضع معروف، وعُراد: جبل.

(٧٧)

أعـاذلُ إنّمـا أفنـى شـبابي ... ركوبي في الصَّريخِ إلى المُنادي

مع الفتْيان حتى كلَّ جسمي ... وأقْـرح عاتقـي حمْـلُ النِّجاد(١)

أعـــاذلُ إنّه مـــالٌ طريفٌ ... أحـبّ إلـيّ مـن مـــالٍ تلادِ

أعـاذل عُدّتـي بَدني ورُمْحـي ... وكلُّ مـقلّص شكس القيـاد(٢)

ويبْقى بعـد حِلْم القـوم حِلْمي ... ويفْنى قـبلَ زاد القـوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب، وقول أبي عبيدة أصحّ.
(١٠/٢٦)

(٧٨)

أخبرني جحْظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال: لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيّات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوْه، وكان الحارث بن بُسْخُنَّر صديقاً له مصافيا، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه:

تغيَّر لي فيمـن تغـيَّر حـارثٌ ... وكم من أخ قد غيَّرته الحوادثُ

أحارثُ إنْ شوركتَ فيك فطالما ... غنينـا ومـا بيني وبينـك ثالـثُ

وقد قيل: إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ. (١٠/٤٥)

(٧٩)

قل لمن صـد عـاتبـا ... ونـأى عنك جانبـا

قـد بلغتَ الذي أردْ ... تَ وإن كنتَ لاعبـا

واعترفنا بما ادّعيـ ... ـتَ وإن كـنتَ كـاذبا

فافعل الآنَ ما أرد ... تَ فقـد جئتُ تائبا

يقال: إنّ الشعر لإسحاق، ولم أجِدْه في مجموع شعره. ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره. (١٠/١١٠)

---

(١) النجاد: هو حمائل السيف.

(٢) البدن: هنا: الدرع، ومقلّص: الفرس طويل القوائم منضمّ البطن.

(٨٠)

يارب إنّي قد غرضْتُ بهجرها ... فإليك أشكو ذاك يا ربّاه(١)
مولاةُ سوءٍ تستهين بعبدها ... نِعْمَ الغلامُ وبئستِ المولاه
«طلٌّ» ولكنّي حُرِمْتُ نعيمه ... ووصاله إن لم يُغِثْني الله
يارب إن كانت حياتي هكذا ... ضراً عليّ فما أريد حياه

الشعر والغناء لعليّة بنت المهدي. وقد ذكر ابن خُرداذْبه أنّ الشعر والغناء لنُبيْه الكوفيّ، وأنّه هوى جارية تُغنّي فتعلّم الغناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصّل إليها بذلك حتى صار مُقدّماً في المغنّين، وأنّ هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً. (١٠/١٦٤)

(٨١)

إنّ الرجال لهم إليك وسيلةٌ ... إن يأخذوك تكحّلي وتخضّبي
وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عنْوةً ... أقْرنْ إلى سيْرِ الرّكاب وأجْنبِ
ويكون مركبُكِ القَعودَ وحِدْجَه ... وابنُ النّعامةِ يومَ ذلك مرْكبي(٢)

الناس يرْوون هذه الأبيات لعنترة بن شدّاد العبْسيّ، وذكر الجاحظ أنها لخُرز بن لَوذان، وهو الصحيح. وخرز شاعرٌ قديم يقال إنّه قبل امرئ القيس. (١٠/١٨٠)

(٨٢)

إنّي أرِقتُ ولم يأرَقْ معي صاحِ ... لِمُسْتكفٍّ بُعَيْدَ النّوم لوّاحِ
دانٍ مُسِفٍّ فُويْقَ الأرضِ هيْدبُهُ ... يكاد يدفعه مَنْ قام بالرّاحِ(٣)

الشعر لأوْس بن حجر - وهكذا رواه الأصمعيّ، أخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرّياشيّ عنه، ووافقه بعض الكوفيين، وغير هؤلاء يرويه لعبيد بن الأبرص - أخبرني اليزيديّ عن الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: تميم تروي هذه القصيدة الحائية لعبيد، وذلك غلط؛ ومن الناس مَنْ يخلطها بقصيدته التي على وزنها ورويّها لتشابههما. (١١/٦٨)

---

(١) غرضت: ضجرت. (٢) القعود من الإبل: ما اتخذه الراعي للركوب، وحمل الزاد والمتاع، والحدج: مركب من مراكب النساء نحو الهودج، والمحفّة.

(٣) شُرح البيتان في موضع سابق، ولأبي الفرج شرح لهما، ينظر الأغاني (١١/٦٩).

(٨٣)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: بلغني أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلاً يغنّي:

إنْ كانتِ الخمرُ قد عزّتْ وقد مُنِعتْ ... وحالَ من دونها الإسلامُ والحرجُ

فقد أبا كرُها صرفاً وأشربُها ... أشفي بها غُلّتي صرفاً وأمتزجُ

وقد تقومُ على رأسي مُغنّيةٌ ... لها إذا رجّعتْ في صوتها غُنَجُ

وترفعِ الصوتَ أحياناً وتخفضُه ... كما يطنُّ ذُبابُ الرّوْضةِ الهزِجُ

قال: فوجّه في أثر الصوت مَنْ جاءه بالرجل وهو يُرْعَدُ، فقال: لا تُرَعْ فإنّما أعجبني حُسْنُ صوتك. فقال: والله يا أمير المؤمنين ما تغنّيت بهذا الشعر إلاّ وأنا قد تُبْتُ من شرب النّبيذ، وهذا شعرٌ يقوله الأقيْشرُ في توْبته من النّبيذ. فقال له الرشيدُ: وما حملك على تركه؟ قال: خشْيةُ الله، وإنّي فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيدُ بن ظبْيان:

جاءوا بقاقُزّةٍ صفراء مُترعةٍ ... هل بين ذي كَبْرةٍ والخمر من نسبِ(١)

بئس الشراب شراباً حين تشْربُه ... يوهي العظام وطوراً مُفْتِرُ العصبِ

إنّي أخافُ مليكي أن يعذّبني ... وفي العشيرة أن يُزرى على حسبي

فقال له الرشيد: أنت وما اخترتَ أعلمُ هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شبّة في هذا الخبر أنّ الأبياتَ للأقيشر، ووجدتُها في شعر أبي مِحْجنٍ الثّقفيّ له لمّا تاب من الشّراب. (٢٧٣/١١)

(٨٤)

قال ابن حبيب قال أبو عُبيدة: كان يزيد بن المُهلّب يُتّهم بالنّساء. فقال فيه أبو جِلْدة:

إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونوّمتْ ... عيونَ رجالٍ واستلذّوا المضاجعا

سما نحو جارِ البيتِ يستامُ عِرْسَه ... يزيدُ دبيباً للمعاناة قابعا(٢)

وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رنتْ ... إليه أتاها بعد ذلك طائعا

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لقتادة بن مُغْرِب. فقال أبو جِلْدة:

---

(١) القاقزّة: الصغيرة من القوارير، أي الكأس الصغيرة.

(٢) يستام عرسه: يطلب زوجه، وقابعا: ماكثاً بسكوت.

أبا خــالدٍ رُكْني ومَــنْ أنـا عبـدُه لقد غـالني الأعداءُ عـمداً لتَغْضـبا

فإنْ كنتُ قلتُ اللَّذْ أتاك بـه العـدا فشلَّتْ يدي اليُمْنى وأصبحتُ أعْضبا(١)

ولا زلـتُ مـحـمـولاً علـيَّ بليـّـةٌ وأمسـيتُ شِـلواً السِّبـاع مُتـرِّبا(٢)

فلا تسـمعنْ قـولَ العـدا وتبيَّنَـنْ أبا خــالدٍ عُـذْراً وإنْ كنتَ مُغْضـبا (١١/٣٢٦)

(٨٥)

أطـل حمْل الشـنـاءة لي وبغـضي وعـش ماشـئت فـانظر مَنْ تضـيرُ

إذا أبصــرتني أعــرضــتَ عنّـي كــأنَّ الشــمـس من قِبَلي تدورُ

الشعر لعبد الله بن الحشرج الجعدي...

وقد قيل: إنَّ الأبيات التي ذكرتُها وفيها الغناءُ ونسبتُها إلى عبد الله بن الحشْرج لغيره. والقول الأصحُّ هو الأوّل. أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسدٍ قال حدّثنا العُمريّ عن هشام بن الكلبيّ: أنه سمع أبا باسل الطائيّ يُنْشد هذا الشعر، فقلت: لمن هو؟ فقال: لعمّي عنترة بن الأخرس. قال: وكان جدّي أخْرس، فولد له سبعةُ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أو خطيب ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه مالا يعلم. (١٢/١٢،١٢/٣٤)

(٨٦)

ألا يا حمامات اللِّوى عُدْنَ عودةً فـإنِّي إلى أصـواتِكُـنُّ حزيـنُ

فـعُدْنَ فلمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمـتنني وكِدْتُ بإسـراري لهُــنَّ أبينُ

دعونَ بأصـواتِ الهديلِ كأنَّما شـربْنَ حُمَيّا أو بهـنَّ جُـنُونُ

فلـم تر عيني مثلَهنَّ حـمـائمـاً بكـيْنَ ولـم تدمَــعْ لهُنَّ عيـونُ

الشعر لأعرابيّ، هكذا أنشدناه جعفر بن قُدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل. وقد قيل: إنَّ الشعر لابن الدُّمَيْنة. (١٢/٤٧)

(٨٧)

لقدْ طـالَ عهْدي بالإمــام محمـدٍ وما كنتُ أخشى أن يطولَ به عهدي

---

(١) الأعضب هنا: القصير اليد. (٢) شلواً للسباع: طعاماً لها، ومترّباً: الملطّخ بالتراب.

فأصبحتُ ذا بُعْدٍ وداري قريبةٌ فواعجبا من قُرْبِ داري ومن بُعْدي
فياليتَ أنَّ العيدَ لي عادَ يومُهُ فإنِّي رأيت العيد وجهَك لي يُبدي
رأيتُك في بُرْدِ النبيِّ محمدٍ كبدْرِ الدُّجى بين العمامةِ والبُرْدِ

الشعر لأبي السِّمْط مرْوان الأصغر بن أبي الجنوبِ بن مرْوان الأكبر بن أبي حفْصة. وذكر الصُّولِيّ أنَّ هذا الشعر ليحيى بن مروان. وهذا غلط قبيح. (٧٩/١٢)

(٨٨)

هلاَّ سقيْتُمْ بني سهْمٍ أسيرَكُمُ نفسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي
الطاعنُ الطَّعْنة النَّجلاء يتْبعُها مُضرَّجٌ بعد ما حادتْ بإزْبادِ

الشعر لأخت عمرو بن عاصية السُّلمي(ترثيه). وكان بنو سهْم، وهم بطنٌ من هُذيل، أسروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه، فلمَّا عرفوه قتلوه. وكان قد عطش فاستسقاهم، فمنعوه وقتلوه على عطشه. وقيل: إنَّ هذا الشعر للفارعة أخت مسعود بن شدَّاد. (١٠٦/١٢)

(٨٩)

إنَّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ إنْ يأخذوكِ تكحَّلي وتخضَّبي
وأنا امْرؤٌ إن يأخذوني عنْوةً أقْرنْ إلى سيْرِ الركاب وأجْنبِ
ويكون مرْكبُكِ القعودَ وحِدْجه وابنُ النَّعامةِ يوم ذلك مرْكبي(١)

الشعر للحارث بن لوذان بن عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة. وقال ابن سلام: لخُزَز بن لوذان. ومن الناس مَن ينسب هذا الشعر إلى عنترة، وذلك خطأ، وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصليّ. والغناء لعزة المَيْلاء. (١٥٥/١٢)

(٩٠)

.. فقال معد يكربُ أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامةٍ معتزلا عن جميع هذه الحروب:

---

(١) جاء في الأغاني (١٥٥/١٢): «قال ابن الأعرابي في تفسير قوله: وابن النعامة، ظلّ الإنسان، أو الفرس، أو غيره، وقال الجاحظ: ذكر علماؤنا البصريون أنَّ النعامة اسم فرسه، يقول: إنِّي أشدُّ على ركابي السرج فإذا صار للفرس ـ وهو الذي يُسمّى النعامة ـ ظلٌّ وأنا مقرون إليه صار ظلّه تحتي فكنتُ راكباً له. وجعل ظلَّها ها هنا ابنها». وينظر النصّ الحادي والثمانون السابق.

ألا أبلغْ أبا حنش رسولاً فما لك لا تجيءُ إلى الثواب!
تعلّمْ أن خيرَ الناس طرّاً قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ(١)
تداعت حوله جُشمُ بن بكر وأسلمه جماسيسُ الرِّباب
قتيلٌ ما قتيلُك يابن سلمى تضرُّبه صديقك أو تُحابي

فقال أبو حنش مجيبا له:

أحاذر أن أجينكُمُ فتحبُو حباءَ أبيك يوم صُنَيْبعاتِ
فكانت غدرةً شنعاء تهفو تقلَّدها أبوك إلى المماتِ

ويقال: إنَّ الشعر الأوّل لسلمة بن الحارث. (٢١٢/١٢)

(٩١)

ألا هلْ أسيرُ المالكيَّة مُطْلَقُ فقد كاد لو لم يُعْفِهِ الله يفْلَقُ
فلا هو مقتولٌ، ففي القتل راحة ولا مُنْعَمٌ يوماً عليه فمُعْتَقُ

الشعر لعقيل بن عُلّفة البيتُ الأوّلُ منه، والثاني لشبيب بنِ البرْصاء، وأوّله:

سلا أمُّ عمرو فيمَ أضْحى أسيرُها يُفادى الأسارى حوْله وهو موثَقُ

وبعده البيتُ الثاني وهو:

فلا هو مقتولٌ ففي القتْلِ راحةٌ ولا مُنْعَمٌ يوْماً عليه فمُعْتقُ

والبيتان على هذه الرواية لشبيب بن البرْصاء. (٢٥٣/١٢)

(٩٢)

أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
كأنَّ أحور من غزلان ذي بَقَرٍ أهدى لها شَبَهَ العينين والجيدا(٢)
أجري على موعدٍ منها فتُخْلفُني فلا أملُّ ولا تُوفي المواعيدا
كأنّني يوم أمْسي لا تكلّمُني ذو بُغْية يبتغي ماليس موجودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ. وهي ليزيد بن الحكم.

(٢٨٨/١٢)

---

(١) جماسيس: جمع جمسوس وهو القصير الدميم

(٢) ذو بقر: موضع، والحَوَر: شدّة سواد المقلة في شدّة بياضها.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ـ رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ـ لطرفة بن العبد:

تكاشرني كرهـاً كـأنّك ناصح   وعينك تُبدي أنّ صدرك لي جوي

قال: فعجبت من ذلك وأنشدتُه أبا عمرو بن العلاء وقلت له: إنّي كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد، فقال لي أبو عمرو: إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحكم، ويزيد مولّد يجيد الشعر، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً. قال مؤلّف هذا الكتاب: ما أظن أبا الزعراء صدق فيما حكاه، لأنّ العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم، وهذا أعرابيّ لا يحصّل ما يقوله، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنّه ليزيد بن الحكم ـ وليس كذلك ـ لكان معلوما أنّه ليس لطرفة، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات، ولا هو أيضاً مشبهاً لمذهب طرفة ونمطه، وهو بيزيد أشبه، وله في معناه عدّة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربّه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي. ومن قال إنّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمه عبد الرحمن هو الذي عاتبه وفيه يقول:

ومولًى كذئب السَّوء لو يستطيعني   أصابَ دمي يوماً بغير قتيلِ
وأعْرِضُ عمّا ساءه وكأنّما   يقاد إلى ما ساءني بدليل
مجاملةً منّي وإكرامَ غيره   بلا حسنٍ منه ولا بجميل
ولو شئت لولا الحلم جدّعتُ أنفه   بإيعاب جدْعٍ بادئٍ وعليلِ(١)
حفاظاً على أحلام قوم رُزئتُهم   رزانٍ يزينون النَّديَّ كُهولِ

وقال في أخيه عبد ربه:

أخي يُسرُّ ليَ الشَّحناءَ يُضمرها   حتى وَرى جوفَه من غمْرِه الداءُ(٢)
حرّان ذو غُصّةٍ جُرِّعتُ غُصّتَه   وقد تعرّض دون الغصّةِ الماءُ
حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلني   منه كما يُنزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفُرُ سعيي ماسعيتُ له   إنّي كذاك من الإخوان لقّاءُ

---

(١) أوعبه إيعاباً: استوعبه، وجدعت: قطعت.

(٢) يقال: ورى القيح جوفه: أفسده، والغمر: الحقد والغلّ.

وكـــــم يـدٍ ويـدٍ لـي عـنـده ويـدٍ   يـعــــــــــدّهـن تـراتٍ وهْيَ آلاءُ

فأمَّا تمام القصيدة التي نسبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُخْتارها ليُعْلَم أنَّ مرذول كلام طرفة فوقه:

تُصـافِحُ مَن لاقيتَ لـي ذا عداوةٍ   صِفـاحـاً وعنّي بينَ عـينيك مُنْزوي
أراكَ إذا لـم أهْـوَ أمـراً هـويتـه   ولست لما أهوى من الأمـر بالهـوي
أراكَ اجتويتَ الخيرَ مني واجتوي   أذاكَ، فكلٌّ يجتوي قُـرْبَ مجتوي(١)
فليـت كفـافا كـان خيرُك كـلّـه   وشرُّك عني ما ارتوى الماء مرتوي(٢)
عـدوّك يخـشى صـولتي إن لقـيتَه   وأنت عـدوّي، ليس ذاك بمسـتـوي
وكم موطنٍ لولاي طِحتَ كمـا هوى   بأجرامه مـن قُـلّة النِّيق مُنهوي(٣)
إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمك لن تُعِن   وقلتَ ألا يا ليـت بنيانـه خـوي(٤)
كأنَّك إن نال ابنُ عمِّك مغنـمـا   شجٍ أو عميدٌ أو أخـو غُلَّة لـــوي(٥)
ومـا برحتْ نفسٌ حسـودٌ حُشـيتَها   تُذيبُك حتى قيل هـل أنت مكتـوي
جـمعتَ وفُحـشا غـيبـةً ونميـمـةً   ثلاثَ خصـال لست عنهنَّ ترعـوي
ويدحو بك الداحي إلى كـلّ سـوْءةٍ   فياشرُّ من يدحو إلى شر مُنْحوي
بدا منك غِشٌّ طالما قـد كـتـمـتـه   كمـا كـتـمتْ داءَ ابنهـا أمُّ مُدْوي(٦)

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَنْ له في العلم أدنى سهمٍ عرف أنَّه لا يدخل في مذهب طرفة ولا يقاربه. (٢٩٤/١٢)

---

(١) اجتواه: كرهه.

(٢) الكفاف: الذي لا يفضل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة إليه.

(٣) طاح يطيح ويطوح: هلك، وهوى: سقط، وأجرام: جمع جرم وهو الجسم، والقُلّة: أعلى الجبل، والنِّيق: أرفع موضع في الجبل.

(٤) خوي المنزل: خلا من أهله.

(٥) شجٍ: حزين، والعميد: المريض الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يعمد من جوانبه بالوسائد (أي يقام)، ولوي: أصابه اللوى، وهو وجع في الجوف، والغُلّة: حرارة الجوف.

(٦) ادّوى: أكل الدواية، وهي جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق، وذلك أنَّ خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أمُّها إلى أمّ الغلام لتنظر إليه، فدخل الغلام فقال: أأدّوي يا أمي؟ فقالت: اللجام معلّق بعمود البيت، أرادت بذلك كتمان زلّة الابن، وسوء عادته.

(٩٤)

حنتني حانياتُ الدهرِ حتّى كأنّي خاتلٌ يدنو لصيْدِ(١)
قريبُ الخطْوِ يحسبُ من رآني - ولستُ مقيّداً - أنّي بقيْدِ

الشعر لأبي الطَّمحان القيْني، وذكر ابن حبيب أنَّ هذا الشعر للمسجاح بن سباع الضبيّ.
(٣٤٧/١٢)

(٩٥)

ويروى لجعفر بن علبة الحارثي:

وعطّل قلوصي في الرِّكاب فإنّها ستبرد أكبادا وتبكي بواكيا

وهذا البيت بعينه يُرْوى لمالك بن الريْبِ في قصيدته المشهورة التي يرثي بها نفسه. (٤٨/١٣)

(٩٦)

قال المُجير السلولي:

فتى قُدَّ قدَّ السيف لا متضائلٌ ولا رَهِلٌ لبّاتُه وبآدله

هذا البيت يُروى لأخت يزيد بن الطثريّة ترثيه به. (٦٠/١٣)

(٩٧)

سلي الطارق المعترَّ يا أمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بين قدري ومَجْزري(٢)
أأبسُطُ وجهي أنّه أول القِرى وأبذلُ معروفي له دون مُنْكري
فلا قصر حتّى يفرج الغيثُ من أوى إلى جنب رحْلي كلُّ أشعثَ أغبر
أقِي العِرضَ بالمال التّلاد وما عسى أخوك إذا ما ضيّع العرض يشتري(٣)
يؤدّي إليَّ النَّيلَ قنْيانَ ماجدٍ كريم ومالي سارحاً مال مقتر(٤)
إذا مُتُّ يوماً فاحضُري أمَّ خالدٍ تُراثَك من طرفٍ وسيف وأقدرِ(٥)

---

(١) الخاتل: الذي تهيأ للصيد، وينحني حتى لا يُرى.

(٢) الطارق: الآتي بالليل، والمعترّ: الذي يطيف بك يطلب ما عندك سألك أو سكت عن السؤال.

(٣) التّلاد: المال القديم. (٤) القنيان: ما اقتُني من المال، والنيْل والنائل: ما نلته.

(٥) الطِرف: الكريم من الخيل، والأقدر: الفرس الذي يجاوز حافرا رجليه مواقع حافريْ قدميه.

قال ابن حبيب: من الناس من يروي هذه الأبيات الأخيرةَ التي أوّلها: «سلي الطارقَ المعترَّ يا أمَّ مالك» لعروة بن الوردِ، وهي للعُجَيْر. (٦٦/١٣)

(٩٨)

... وأنشد العُجير السلولي:

عـفـا يافعٌ مـن أهلـه فطلـوبُ | وأقـفـر لو كـان الفـؤادُ يثـوبُ(١)
وقـفتُ بهـا من بعـدِ مـاحلُ أهلها | نصـيـبين والرّاقي الدمـوعَ طبيب
وقد لاح مـعروفُ القتيـر وقد بدت | بك اليومَ من ريـب الزمان نُدوبُ(٢)
وسـالمتْ روحـاتِ المطيِّ وأحـمدت | مناسـمُ منهـا تشـتكي وصُلوبُ(٣)
وما القلب أم مـا ذكـرُه أمُّ صـبْيـةٍ | أريْكـةُ منهـا مسـكن فـهـروبُ(٤)
حصـان الحُميّا حُـرّةٌ حـال دُونها | حليلٌ لها شاكي السلاح غضوبُ(٥)
شمـوسٌ، دُنُوّ الفرقدين اقترابُها | لغيٌّ مقـاريف الرجـال سـبوبُ(٦)
أحـقّاً عـبـادَ الله أن لستُ ناظرا | إلـى وجـهـهـا إلا علـيَّ رقـيـبُ
عدتني العدا عنها بُعيْدَ تساعف | ومـا أرتجـي منهـا إلـيَّ قريبُ(٧)
لقـد أحسنت جُملٌ لو أن تبيـعها | إذا مـا أرادت أن تُثيـب يثيـبُ(٨)
تصُدّين حـتّى يذهبَ اليـأسُ بالمنى | وحتّى تكـادَ النفـسُ عنكِ تطيـبُ

ـ هذا البيت يروى لابن الدُّمَيْنة، وهو بشعره أشبه، ولا يشاكل أيضاً هذا المعنى ولا هو من طريقه؛ لأنّه تشكى في سائر الشعر قومها دونها، وهذا بيت يصف فيه الصدّ منها، ولكن هكذا

---

(١) يافع: مكان، وطلوب: علم لقليب عن يمين سُميراء في طريق الحاجّ، طيّب الماء، وقيل: إنّه من مياه عوف بن عقيل. (٢) معروف القتير: هو الشيء الذي لا يمكن نكرانه، ولاح: ظهر، والندوب: آثار الجروح على الجلد.

(٣) المراد من سالمت روحات المطيّ: أنّها سلمت من عنائها في الغدوّ والرواح، وأحمدت: حمدت وأثنت، والمناسم: جمع مَنسِم: خفّ البعير، والصلوب: جمع قياسي للصلب، والصلب يبدأ من الكاهل إلى أصل الذنب أي المؤخر. (٤) ما: اسم استفهام، وأم: حرف عطف، وأريكة: اسم جبل بالبادية، وقيل: إنّه ماء لبني كعب، وهروب: من قرى صنعاء.

(٥) الحَصان: العفيفة أو المتزوّجة، والحميّا: الحوزة والجانب.

(٦) الشَّموس: الجامحة، ومقاريف الرجال: المتّهمون، والسبوب: من السبّ والطعن.

(٧) التساعف: الدنوّ والقرب والإقبال الشديد. (٨) التبيع: المولى والناصر، وتثيب: تعطف.

هو في رواية ابن الأعرابي. (٧٢/١٣)

(٩٩)

أخبرني الحرميَ بنُ أبي العلاء قال: حدثني هرونُ بن موسى الفروي قال: كان ابن عم للعجير السلولي إذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتي بجزور كوماء(١)، فيطعن في لبَّتها عند بيته، ليبيتون في شواء وقدير(٢)، ثم مات، فقال العجير يرثيه:

تركنا أبا الأضياف في ليلة الصَّبا بمرٍّ ومردى كل خصم يجادله(٣)

وأرعيه سمعي كلَّما ذُكر الأسى وفي الصدر مني لوعةٌ ما تزايله

وكنت أعيرُ الدمعَ قبلك من بكى فأنت على مَنْ مات بعدك شاغلُه

هكذا ذكر هرون بن موسى في هذا الخبر، والبيت الثالثُ من هذه الأبيات للشمردلِ بن شريك لا يُشكُّ فيه، من قصيدة له طويلة. (٧٧/١٣)

(١٠٠)

قال الأبيرد:

فتى قُدَّ قدَّ السيف لا متضائلٌ ولا رهلٌ لبَّاته وأباجله

... وهذا البيت الأخير يروى للعجير السلولي، ولأخت يزيدَ بن الطثرية (١٣٠/١٣)

(١٠١)

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا الخليل بن أسد عن العمريّ، ولم أسمعه من العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ قال: لما ادّعى معاوية زياداً قال عبد الرحمن بن الحكم في ذلك ـ والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه إلى زياد، وذلك غلط ـ قال:

ألا أبلغْ معاويةَ بن حربٍ مغلغلةً من الرجُل الهجانِ(٤)

أتغضبُ أن يقالَ أبوك عفٌّ وترضى أن يقالَ أبوك زانِ

فأشهدُ إنَّ رِحْمَك من زيادٍ كرحْمِ الفيلِ من ولدِ الأتانِ

---

(١) الكوماء: الناقة العظيمة السنام. (٢) القدير: ما يطبخ في القدر.

(٣) قرّ: مأمة لبني أسد، مات بها جابر بن زيد، وهو ابن عمّ العجير، ومردى الخصومة، والحرب: الصبور عليهما. (٤) المغلغلة: الرسالة تُحمل من بلد إلى بلد، والهجان: الحسيب.

وأشهدُ أنَّها ولدتْ زياداً ... وصخرٌ من سُميَّةَ غيرُ داني (٢٦٥/١٣)

(١٠٢)

خرجنا نمتطي الزهرا ... ونجعلُ سقفنا الشجرا
ونشربُها معتَّقةً ... تخالُ بكأسها شررا
وجوهرُ عندنا تحكي ... بدارةِ وجهها القمرا
يزيدك وجهُها حُسْنا ... إذا ما زدته نظرا
وجوهرُ قد رأيناها ... فلم نر مثلها بشرا

وقد رُويَ أن بعض هذا الشعر للمهدي وأنَّه قال منه واحداً، وأجازه بالباقي بعض الشعراء. وهذا أصحّ. (٣٢٣/١٣)

(١٠٣)

... وقال ديك الجن في ندمه على قتل جاريته:

يا طلعةً طَلَعَ الحِمامُ عليها ... وجنى لها ثمرَ الرَّدى بيديها
روَّيْتُ من دمها الثَّرى ولطالما ... روَّى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيْفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خدَّيها
فوحقِّ نعليها وما وطئ الحصى ... شيٌ أعزُّ عليَّ من نَعْلَيْها
ما كان قَتْلِيها لأنِّي لم أكنْ ... أبكي إذا سقطَ الذُّبابُ عليها
لكنْ ضَننْتُ على العيون بحُسْنها ... وأنفْتُ من نظر الحسودِ إليها

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن. (٥٧/١٤)

(١٠٤)

.. ثم مات قيس بن عاصم فقال عبْدةُ بن الطُّبيب يرثيه:

عليك سلامُ الله قيْسَ بن عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أن يترحَّما
تحيةُ مَن أوليتَه منك نعمةً ... إذا زار عن شحْطٍ بلادك سلَّما
فما كان قيسٌ هلْكُه هلْكُ واحدٍ ... ولكنَّه بُنْيانُ قومٍ تهدَّما

قال: ولما مات قيس رثاه مرداس بن عبدة بن منبه فقال:

وما كان قيسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ولكنَّه بُنْيانُ قومٍ تهدّما

(١٤/٨٣،١٤/٩٠)

(١٠٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: قال لي إبراهيم بن المدبِّر: أتعرف الذي يقول:

إن كنتَ لا ترهب ذمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهلِ

فاخشَ سكوتي فطِناً منصتاً فيك لتحسين خنا القائلِ

مقالة السوءِ إلى أهلها أسهلُ من منحدر سائلِ

ومَنْ دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

فقلت هذه للعتّابيّ، فقال: ما أنشدتُها إلاّ لابن قُنْبر... (١٤/١٦٦)

(١٠٦)

قال الزبير ـ فيما حدثنا به شيخانا المذكوران عنه ـ: وحدّثني عمّي قال: كان عمارة بن الوليد النوفليّ أبو الأسود بن عمارة شاعراً، وهو الذي يقول:

تلك هندٌ تصدُّ للبيْن صدّاً أدلالاً أم هندُ تهجُرُ جدّاً

أم لتنْكا به قُروحَ فؤادي أو أرادت قتلي ضِرارا وعمدا

قد براني وشفَّني الوجدُ حتى صرتُ مما ألقى عظاماً وجلدا

أيُّها الناصح الأمين رسولا قل لهندٍ عنّي إذا جئتَ هندا

علم الله أن قد أوتيتِ مني غير منٍّ بذاكِ نصحا وودّاً

ما تقرّبتُ بالصفاء لأدنو منك إلاّ نأيتِ وازددتِ بُعدا

قال الزبير: قال عمّي ومن لا يعلم: يروي هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي. (١٤/١٦٩)

(١٠٧)

ما هاج شوقَك من بُكاء حمامةٍ تدْعُو إلى فنن الأراكِ حماما

تدعو أخا فَرْخَين صادف ضارياً ذا مخلبين من الصُّقُور قطاما(١)

---

(١) صقر قطام: شره لأكل اللحم.

إلا تذكُّرُكَ الأوانسَ بعْدما   قطع المطيُّ سباساً وهُياما

الشعر لثابت قُطْنة؛ وقيل إنّه لكعب الأشقريّ، والصحيح أنّه لثابت. (٢٦٢/١٤)

(١٠٨)

طربتُ وهاجَ لي ذاك ادّكارا   بكشّ وقد أطلت به الحصارا(١)

وكنتُ ألذُّ بعضَ العيش حتّى   كبرتُ وصار لي همّي شعارا

رأيتُ الغانيات كرهن وصلي   وأبدين الصَّريمةَ لي جهارا

الشعر لكعب الأشقريّ، ويقال إنّه لثابت قطنة، والصحيح أنّه لكعب. (٢٨٢/١٤)

(١٠٩)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال: حدّثني عمرو بن بانة قال: كان لمحمّد بن أبي العبّاس السفّاح شعر في زينب، وغنّى فيه حكم الوادي:

قُولا لزينبَ لو رأيـ   ـتِ تشوُّفي لك واشترافي(٢)

وتلفُّتي كيما أرا   كِ وكان شخصُكِ غير خافِ

وشممْتُ ريحكِ ساطعاً   كالبيت جُمِّـر للطُّوافِ

فتركتني وكأنّما   قلبي يغـرَّزُ بالأشافي(٣)

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال: حدّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال: خطب محمد بن أبي العباس زينبَ بنتَ سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلاّ أنّه قال فيه: فقال محمد بن أبي العبّاس فيها، وذكر الأبيات كلّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّادا. قال أبو الفرج مؤلّف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غلطٌ من رواته، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحن حكم، نسبوه إلى محمد بن أبي العبّاس، وقد ذكر هذا الشعر بعينه إسحاقُ الموْصليّ في كتابه، ونسبه إلى ابن رُهيْمةَ وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة، معروفٌ ومنها فيه يقول:

فذكرتُ ذاكَ ليونسٍ   فذكرتُه لأخٍ مُصافِ (٣٧١/١٤)

---

(١) كشّ: قرية من قرى أصبهان بفارس.

(٢) تشوّف إلى الشيء: تطلّع وتطاول وأشرف، والاشتراف: الانتصاب.

(٣) الأشافي: جمع إشفى، وهو المثقب.

(١١٠)

هل قلبُك عن شـنْباء منصـرفُ وأنتَ ما عشتَ مجنونٌ بها كلفُ
ما تُذكرُ الدهرَ إلاّ صدّعت كبداً حرّى عليك وأذرتْ دمعةً تكف

ذكر أبو عمرو الشيباني أنّ الشّعر لحُريث بن عتّاب الطائيّ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لإسماعيل بن يسار النّساء، والصحيح أنّه لحُريث. (٣٨١/١٤)

(١١١)

قال الزبير: أنشدتني عمّتي أسماءُ بنت مصعبِ بن ثابتٍ، لجعفر بن الزبير، وأنشدنيه غيرُها يرثي ابناً له:

أهاجكَ بَيْنٌ من حبيبٍ قد احتملْ نعَمْ ففؤادي هائمُ العقلِ مُحْتَبَلْ
وقالوا صُحيْرات اليمام وقدَّموا أوائلهم من آخرِ الليل في الثُّقَل(١)
مررنَ على ماءِ العُشيرة والهوى على ملَلٍ يالهفَ نفسي على ملل(٢)
فتى السنِّ كهلُ الحلم يهتزُّ للندى أمرُّ من الدِّفْلَ وأحلى من العسلْ(٣) (٧/١٥)

(١١٢)

قال الزبير: ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبي ربيعة ودخلَ في شعره. فأمّا الأبياتُ التي ذكرتُ فيها الغناء:

هلْ في ادِّكار الحبيب من حرج أمْ هلْ لهمِّ الفؤاد من فرجِ
أم كيف أنْسى رحيلنا حُرُماً يوم حللنا بالنَّخل من أمجِ(٤)
يوم يقولُ الرسولُ قد أذِنَتْ فأْتِ على غير رقبةٍ فلج
أقبلتُ أسعى إلى رحالِهم في نفحةٍ من نسيمها الأرِج

فمن الناس مَنْ يرويها لعمر بن أبي ربيعة، ومنهم من يرويها للأحوص وللعرْجيّ وقد أنشدنيها جماعةٌ من أصحابنا لجعفر بن الزبير. وأخبرني بذلك الحرميُّ، والطوسيّ، وحبيب بن نصر المهلّبيّ، وذكر الأبيات. وأخبرنيه عمّي عن ابن أبي سعد (عن سعيد بن عمرو عن أم عروة

---

(١) صحيرات اليمام: ويقال أيضاً صحيرات الثمام، وهو موضع ذكر في غزاة بدر.
(٢) ملل: وادٍ ينحدر من ورقان حتى يصبّ في الفرش.
(٣) الدِّفلى: نبات شديد المرارة (٤) أمج: بلد من أعراض اليمامة.

بنت جعفر مثله. قال ابن أبي سعد): قال الحزاميّ: الناس يروونها للعرْجيّ، وأمّ عروةَ أصْدقُ. (٩/١٥)

(١١٣)

كأنْ لم يكن بين الحَجونِ إلى الصفا ... أنيس ولم يسْمُر بمكة سـامـرُ(١)

بلى نحن كنّا أهلها فـأبادنا ... صروف الليالي والجدود والعواثر(٢)

الشعر فيما ذكر ابن إسحاق صاحب المغازي لمُضاض بن عمرو الجرهمي. وقال غيره: هو للحارث بن عمرو بن مُضاض. (١١/١٥)

(١١٤)

إذا ما أمُّ عبد اللـ ... ـه لـم تحْلُلْ بواديـه

ولم تشفِ سقيماً هـ ... ـيـج الحـزنُ دواعيه

غـزالٌ راعه القنّا ... صُ تحميـه صواصيه(٣)

عرفتُ الربع بالإكليـ ... ـلِ عفَّته سـوافيه(٤)

بجـوٍّ ناعم الحَوذا ... نِ مُلتـفٍّ روابيـه(٥)

وما ذكرى حبيباً و ... قليـلاً مـا أواتيـهِ

كذي الخمـرِ تمنَّاهـا ... وقد أسْرفَ ساقيه

ذكر الزُّبير بكّار أنَّ الشِّعرَ لعديِّ بن نوفل، وقيل إنَّه للنُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريِّ وذاك أصحُّ. وقد أخرجتُ أخبارَ النُّعمان فيه مفردةً في موضعٍ آخر، وذكرتُ القصيدة بأسرها. ورواها ابنُ الأعرابيِّ وأبو عمرو الشيباني للنُّعمان، ولم يذكر أنَّها لعديٍّ غير الزُّبير بن بكّار(٦). (٧٢/١٥)

---

(١) الحَجون: جبل بمعلاة مكة، والصفا: من مشاعر مكة. (٢) الجدود: الحظوظ، والواثر: الخوائب.

(٣) راعه: أفزعه، والقنّاص: الصائد، والصياصي: الحصون.

(٤) الإكليل: موضع، والوسافي: الرياح التي تسفي التراب.

(٥) الجو والجوّة: المنخفض من الأرض، والحوذان: نبت له زهرة حمراء في أصلها صفرة، وملتفّ روابيه: أي ملتفّ نبت روابيه، والرابية: ما ارتفع من الأرض.

(٦) أورد أبو الفرج أخبار النعمان بن بشير في الجزء السادس عشر (ص ٢٧) وما بعدها. وذكر القصيدة مثلما أشار هنا.

(١١٥)

قال الزبير: ودارُ عديِّ بن نوفلٍ بين المسجد والسُّوق معروفة، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النِّسائيّ:

إنَّ ممْشــاكِ نحــو دارِ عــديٍّ ‍ ‍ ‍ ‍ كــان للقلب شــقــوةً وفُتــونا
إذْ تــراءت على البــلاط فلمَّــا ‍ ‍ ‍ ‍ واجهتها كالشَّمس تُعشي العُيونا(١)
قــال هــارونُ قِفْ فــيــاليتَ أنّي ‍ ‍ ‍ ‍ كنتُ طاوعتُ ســاعــةً هــارونا

وقد قيل إنَّ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة. (٧٤/١٥)

(١١٦)

... ثم أقبل (عمرو بن الحارث على النابغة فقال: قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءِ المسجوع. فقام النابغة فقال: ألا أنعم صباحاً أيُّها الملك المبارك، السَّماء غطاؤك، والأرض وطاؤك، ووالديَّ فداؤك، والعربُ وقاؤك، والعجم حماؤك(٢)، والحكماء جُلساؤك، والمداره(٣) سُمَّارك، والمقاول(٤) إخوانك، والعقل شعارُك، والحلم دثارك، والسكينة مهادُك، والوقار غشاؤك، والبرُّ وسادك، والصِّدق رداؤك، واليُمْن حذاؤك، والسَّخاء ظهارتك، والحميَّة بطانتُك، والعلاء علايتك، وأكرم الأحياء أحياؤك، وأشرفُ الأجداد أجدادك، وخير الآباء آباؤك، وأفضل الأعمام أعمامك، وأسْرى الأخوالِ أخوالك، وأعفُّ النساء حلائلك، وأفخر الشبَّان أبناؤك، وأطهر الأمَّهات أمَّهاتك، وأعلى البنيان بُنيانك، وأعذبُ المياه أمواهُك، وأفيح(٥) الداراتِ داراتك، وأنزه الحدائق حدائقُك، وأرفع اللباس لباسُك، وقد حالف الإضريج(٦) عاتقيك، ولاءم المسكُ مسْكَك(٧)، وجاور العنبر ترائبك، وصاحبَ النعيمُ جسدك، العسجدُ آنيتك واللُّجين صحافُك، والعصْب مناديلك(٨)، والحُوَّاري طعامُك(٩)، والشُّهد إدامُك، واللذات(١٠) غذاؤك، والخُرطوم(١١) شرابك، والأبكار مستراحك، والأشراف

(١) البلاط: موضع بالمدينة مبلَّط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة.
(٢) حماؤك: فداؤك. (٣) المداره: جمع مِدرَه: وهو المقدَّم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال.
(٤) المقاول: جمع مِقْول: وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى. (٥) أفْيَح: أوسع.
(٦) الإضريج: ضرب من الأكسية أصفر، أو هو الخزّ الأحمر. (٧) لاءم: وافق، والمَسك: الجلد.
(٨) العَصْب: ضرب من برود اليمن. (٩) الحُوَّاريّ: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق، وأجوده وأخلصه.
(١٠) اللذات: اللذيذات من الأطعمة.
(١١) الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار.

مناصفك(١)، والخير بفنائك، والشرُّ بساحة أعدائك، والنّصر منُوطٌ بلوائك، والخذلان مع ألوية حُسّادك، والبر فعلُك. قد طحطح(٢) عدوّك غضبك، وهزم مغايبهم(٣) مشهدُك؛ وسار في الناس عدلُك، وشسع(٤) بالنصر ذكرك، وسكّن قوارعَ الأعداء ظفرك. الذّهبُ عطاؤك، والدواة رمزك(٥)، والأوراق لحظُك وإطراقك، وألف دينارٍ مرجوحةٍ إنماؤك(٦). أيفاخرك المنذرُ اللخمي، فوالله لقفاكَ خيرٌ من وجهه، ولشمالك خيرٌ من يمينه، ولأخمصُك(٧) خيرٌ من رأسه، ولخطاؤك خير من صوابه، ولصمتُك خيرٌ من كلامه، ولأمّك خير من أبيه، ولخدمك خيرٌ من قومه. فهبْ لي أسارى قومي، واسْترْهن بذلك شكري؛ فإنّك من أشراف قحطان، وأنا من سروات عدنان. ... فقال عمرو النابغة: إجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعراً فإنه أسْير(٨). فقال:

وَنُبِّئْتُ أنَّ أبا منذرٍ ... يُساميك للحدث الأكبرِ

فذالك أحسنُ من وجهه ... وأمُّك خيرٌ من المنذرِ

ويُسراك أجْودُ من كفّه الـ ... ـيمينِ فقُولا له أخّرِ

وقد ذكر المدائنيّ أنَّ هذه الأبياتِ والسجعَ الذي قبلها لحسان، وهذا أصحّ. (١٥/١٥٩)

(١١٧)

وممّا قاله عمرو بن معد يكرب في ريحانة أخته، وغُنّيَ فيه، قولُه:

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطربا ... إذْ فارقتكَ وأمست دارها غُرُبا(٩)

مازلتُ أحبس يومَ البينِ راحلتي ... حتى استمروا وأذرتْ دمعها سرْبا(١٠)

حتّى ترفّع بالحُزّان يركُضها ... مثل المهاة مرتْه الريحُ فاضطربا(١١)

والغانياتُ يُقتّلْنَ الرجال إذا ... ضرّجن بالزعفران الرّيط والنُّقبا(١٢)

من كلِّ آنسةٍ لم يغذُها عُدُمٌ ... ولا تشدُّ لشيءٍ صوتها صخبا

---

(١) المناصف: جمع مَنْصَف، وهو الخادم. (٢) طحطحهم: بدّدهم وفرّقهم وكسرهم.

(٣) المغايب: جمع مغيب، مقابل المشهد. (٤) شسع: صار بعيداً ذائعاً. (٥) الرمز: الإشارة.

(٦) الإنماء: الزيادة. (٧) الأخمص: هو من باطن القدم ما لا يصيب الأرض.

(٨) أسْيَر: أكثر سَيْراً بين الناس وشهرة، وقد تحدثنا كثيراً عن هذا الأمر فيما سبق. (٩) الغُرُب: الغريب.

(١٠) أذرت: أرسلت، والسرب: السائل. (١١) الضمير في (ترفّع) للراحلة، وترفّع: ارتفع في سيره، والحُزّان: جمع حزيز وهو ما غلظ من الأرض، والمهاة: البقرة الوحشية.

(١٢) الريط: جمع ريطة، وهي الملاءة غير ذات لفقين، والنقب: نقبة، وهي ثوب كالإزار.

إنَّ الفـــوانيَ قد أهلكنـــي وأرى حـبالهنَّ ضـعيفـات القـوى كُذُبا

وقال الأصمعيّ: هذا الشعر لسهل بن الحنظلية الغنوي ثم الضُّبيني ثم الجابري، وهو جابر بن ضبينة. (٢٣٩/١٥)

(١١٨)

خليليّ هُبّا طـالما قـد رقدتُـمـا أجدُكُما لا تقضيان كراكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذي يردُّ على ذي لوعـةٍ إن بكـاكما

الشعر لقُس بن ساعدة الإيادي، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ، وذكر يعقوبُ بن السُّكيت أنَّه لعيسى بن قُدامة الأسديّ. وذكر العتبي أنَّه لرجلٍ من بني عامر بن صعصعة، يقال له الحسن بن الحارث. (٢٤٥/١٥)

(١١٩)

قال عمرو بن عدي:

صددتِ الكأس عنا أمَّ عمـروٍ وكـان الكأسُ مـجراها اليـمينا

ومـا شـرُّ الثـلاثـة أمّ عـمـرو بصـاحـبك الذي لا تَصْبَـحـينا

وقد زعم بعض الرواة أنَّ هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب. وأخبرني اليزيديّ قال: حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانيّ قال: حدّثنا حفص بن عمرو، وعن الهيثم بن عديّ، عن ابن عيّاش، أنَّ هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب في ربيعة بن نصرٍ اللخمي. (٣١٤/١٥)

(١٢٠)

قال الحزين الدِّيلي:

في كفّه خيزرانٌ ريحُها عبِقٌ من كفّ أروعَ في عرنينه شممُ

يُغضي حياءً ويُغضى ممّن مـهـابتـه فـمـا يكلَّـم إلا حـيـن يبتسـم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام، التي أوّلها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفـه والحـلُّ والحرم

وهو غلطٌ ممن رواه فيها. وليس هذان البيتان مما يُمدح به مثل علي بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المُتعالم ما ليس لأحد. (١٥/٣٢٥)

(١٢١)

وأما الأبيات التي مدح بها الفرزدق علي بن الحسين وخبره فيها، فحدّثني بها أحمد بن محمد الجعد، ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: حدّثنا ابن عائشة قال: حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه، ومعه رؤساءُ أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس، فنُصب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل علي بن الحسين وهو أحسنُ الناس وجهاً، وأنظفهم ثوباً، وأطيبهم رائحة، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحّى الناس كلُّهم وأخلوا له الحجر ليستلمه، هيبةً وإجلالاً له، فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه، فقال رجل لهشام: مَن هذا أصلح الله الأمير؟ قال: لا أعرفه، وكان به عارفاً، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كلّه حاضراً: أنا أعرفه، فسلْني يا شاميّ. قال: ومن هو؟ قال:

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته ... والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عباد الله كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلم
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمُسكه عرفانَ راحته ... رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
فليس قولُكَ من هذا بضائره ... العُرب تعرف من أنكرتَ والعجم
أيَ الخلائق ليست في رقابهم ... لأوّليةِ هذا أو لهُ نعَم(١)
من يعرفِ الله يعرفْ أوّليةَ ذا ... فالدينُ من بيتِ هذا ناله الأمم

فحبسه هشام فقال الفرزدق:

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوبُ الناس يهوى مُنيبها
يُقلّب رأساً لم يكن رأسَ سيِّدٍ ... وعيناً له حولاء بادٍ عيوبُها

فبعث إليه هشامٌ فأخرجه، ووجّه إليه عليُّ بن الحسين عشرةَ آلاف درهم وقال: اعذرْ يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصلْناك به. فردَّها وقال: ماقلت ما كان إلاّ

---

(١) الأوّلية: مفاخر الآباء والأجداد.

لله، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئاً. فقال له علي: قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنَّا أهلُ بيت إذا أنفقنا شيئاً ما نرجع فيه فأقسم عليه فقبلها. ومن الناس أيضاً مَن يروي هذه الأبيات لداود بن سلْم في قُثَم بن العباس، ومنهم مَن يرويها لخالد بن يزيد فيه؛ فهي في روايته:

كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ ... يرجُـوك ياقثَمَ الخيراتِ ياقُثَمُ
أيُّ العمائر ليست في رقابهم ... لأوّليــةِ هـــذا أوْلـــه نِعَـم(١)
في كفِّه خَيْزُرانٌ ريحُها عبقٌ ... من كفِّ أروعَ في عرنينه شمم
يُغضي حياء ويُغضى من مهابته ... فمــا يُكلّــم إلا حيـنَ يبتسـم

وممّن ذكر لنا ذلك الصوليّ عن الغلابيّ عن مهدي بن سابق، أنَّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل في شعره في علي بن الحسين عليه السلام. وذكر الرياشي عن الأصمعيّ أنَّ رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال:

يكـاد يمُسـكه عـرفـانَ راحتـه ... رُكْنُ الحطيم إذا مـا جـاء يستلمُ
كم صارخ بك مـن راجٍ وراجيـةٍ ... في الناس ياقثم الخيـراتِ يا قُثَمُ

فأمر له بجائزة سنية. والصحيح أنَّها للحزين في عبد الله بن عبد الملك. وقد غلط ابن عائشة في إدخاله البيتين، في تلك الأبيات. وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة، تنبئ عن نفسها. وهي:

الله يعلمُ أنْ قــد جُبت ذا يمنٍ ... ثمَّ العــراقين لا يثنينيَ السأَمُ
ثم الجـزيرة أعلاهـا وأسـفلها ... كذاك تسري على الأهوالِ بي القدمُ
ثم المواسـم قـد أوطنْتـهـا زمناً ... وحـيث تُحلَقُ عند الجـمـرة اللمَمُ
قـالوا دمشقُ يُنبِّيك الخبيـرُ بهـا ... ثـم ائتِ مصـر فثَمَّ النائلُ العمم
لمّا وقفت عليها في الجموع ضُحىً ... وقـد تعرّضـتِ الحجّـابُ والخـدمُ
حـيّيتـه بسـلامٍ وهـو مـرتفـقٌ ... وضـجّةُ القـومِ عند البـاب تزدحمُ
في كـفِّه خـيـزرانٌ ريحُهـا عـبقٌ ... مـن كفِّ أروعٍ، في عـرنينه شـمَمُ
يُغْضي حياءً ويُغضى منْ مهابته ... فمـــا يكلّـم إلاّ حيـنَ يبتسـمُ
ترى رءوس بني مرْوانَ خاضعةً ... يمشـونَ حـولَ ركـابيـه وما ظلمـوا

---

(١) العمائر: جمع عمارة، وهو الحيّ العظيم، أو هي أصغر من القبيلة.

إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشروا جذلا   وإنْ هُم أنسوا إعراضه وَجَموا

كلتا يديه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ   بحرٌ يفيض وهادي عارضٍ هزِمِ(١)

ومن الناس من يقول: إنَّ الحزين قالها في عبد العزيز بن مروان، لذكره دمشق ومصر، وقد كان ثمَّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضاً في مصر، والحزين بها. (١٥/٣٢٦)

(١٢٢)

وقد أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن السكري عن محمد بن حبيب، أنَّ من الناس مَنْ يروي هذه القصيدة (ومطلعها:

قُلْ للقوافل والغزيّ إذا غزوا   والباكرين وللمجدِّ الرائحِ(٢)

للصَّلَتان العبدي. وهذا قول شاذ، والصحيح أنَّها لزياد (الأعجم) قد دوَّنها الرواة، غير مدفوع بها. (١٥/٣٨١)

(١٢٣)

إذا ما أم عبد الله   لم تحلل بواديه

ولم تمس قريبا هيـ   ـج الحزن دواعيه

غزالٌ راعه القنَّا   ص تحميه صياصيه

وما ذكرى حبيبا و   قليل ما أواتيه

كذي الخمرِ تمناها   وقد أنزف ساقيه(٣)

عرفت الربع بالإكليـ   ـل عفته سوافيه

بجو ناعم الحوذا   ن ملتف روابيه

الشعر مختلط، بعضه للنعمان بن بشير الأنصاريّ، وبعضه ليزيد بن معاوية، فالذي للنعمان بن بشير منه الثلاثة الأبيات الأول والبيت الأخير، وباقيها ليزيد بن معاوية. ورواه مَن لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى. فأما مَن ذكر أنَّه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيباني؛ وجدت ذلك عنه في كتابه، وخالد بن كلثوم، نسخته من كتاب أبي سعيد السكري في مجموع

---

(١) الهادي: المقدَّم، والعارض: السحاب الذي يعترض الأفق، والهزم: المتحرك الذي لا يستمسك.

(٢) الغزيّ: اسم جمع للغازي. (٣) أنزف: ذهب عقله كلّه.

شعر النعمان. وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التي نسبتها إليه، فإنها متوالية، قال:

فبحت اليوم بالأمر الـ ـلذي قد كنت تخفيه
فإن أكتمه يوما فإني سوف أبديه
وما زلت أفديه وأدنيه وأرقيه
وأسعى في هواه أ بدا حتى ألاقيه
فبات الريم مني حـ ـذرا زلت مراقيه (٢٦/١٦)

(١٢٤)

نفرتْ قلوصي من حجارة حَرَّةٍ بُنيتْ على طلْقِ اليدين وهوبِ
لا تنفري يا ناقَ منه فإنّه شرِّيب خمر مِسْعر لحروب
لا يبعدنْ ربيعةُ بن مكدَّم وسقى الغوادي قبره بذنوب
لولا السِّفارُ وبُعْدُ خرْقٍ مهمهٍ لتركتُها تحبو على العُرْقوب[١]

يقال إنّ الشعر لحسان بن ثابت الأنصاريّ، ويقال: إنّه لضرار بن الخطاب الفهريّ. أخبرني أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال: الصحيح أنّ هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بني فهر بن مالك. ومن الناس مَن يرويها لمُكرِّز بن حفص بن الأحنف الفهري، وعمرو بن شقيق أولى بها. (٥٥/١٦)

(١٢٥)

.. فمر بقبر ربيعة بن مكدم رجل من بني الحارث بن فهر، فنفرت ناقته من تلك الأحجار التي أهيلت على ربيعة. فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره، وحض على قتلته، وعيَّر مَن فرَّ وأسلمه من قومه:

نفرت قلوصي من حجارة حَرَّةٍ بُنيت علي طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري يا ناق منه فإنّه سبّاء خمر مِسْعر لحروب
لولا السِّفار وبُعد خرقٍ مهمهٍ لتركتها تحبو على العرقوب

(١) يريد لولا طول رحلته في الفلوات المترامية لعقر ناقته على قبره.

فرَّ الفوارس عن ربيعة بعدما　　نجّاهُمُ من غُمَّة المكروب
يدعو عليا حين أسلم ظهره　　فلقد دعوتَ هناك غير مجيب
لله درُّ بني عليّ إنَّهم　　لم يُحمشوا غزوا كولْغ الذيب(١)
نِعْمَ الفتى أدَّى نبيشة بزَّه　　يوم الكديد، نبيشةُ بن حبيب(٢)
لا يبعدنَّ ربيعة بن مكدَّم　　وسقى الغوادي قبره بذَنوب

قال أبو عبيدة: ويقال إنَّ الذي قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب بن مرداس، أحد بني محارب بن فهر. وقال آخر: هو حسان بن ثابت. وقال الأثرم: أنشدني أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت: «وسقى الغوادي قبره بذنوب». واحتج به في قول الله عزوجل: «ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم». فسألته لمن هذا البيت، فقال: لُكرِّز بن حفص بن الأحنف، أحد بني عامر بن لؤي، رجل من قريش الظواهر؛ ولم يسمه ههنا. وقال رجل من بني الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثي ربيعة بن مكدم. وقال أبو عبيدة: زعم أبو الخطاب الأخفش أنَّه لحسان بن ثابت، يحض على قتلته.

ولأصرفنَّ سوى حذيفة مدْحتي　　لفتى الشتاء وفارس الأجراف(٣)
مأوى الضَّريكِ إذا الرياح تناوحتْ　　ضخم الدَّسيعة مُخلفٍ متلاف(٤)
من لا يزال يكُبُّ كلَّ ثقيلة　　كوْماء غير مسائل منزاف(٥)
رحْب المباءة والجناب موطَّأ　　مأوىً لكل مُعتَّق بسواف(٦)
فسقى الغواديَ قبرك ابن مكدَّم　　من صوْب كل مُجلجل وكُاف(٧)
أبلغ بني بكر وخُصَّ فوارسا　　لحقوا الملامة دون كل لحاف

---

(١) يحمشوا: يحرّضوا على القتال، ويلهبوه، والولغ: مصدر ولغ الذئب في الماء: شرب منه.

(٢) البزّ: السلاح، درعاً وغيرها.

(٣) فتى الشتاء: الذي يطعم في الشتاء وقت الجدب، والأجراف: موضع.

(٤) الضَّريك: المحتاج، وتناوحت الريح: هبّت من جهات مختلفة، والدَّسيعة: مائدة الرجل إذا كانت كريمة

(٥) الثقيلة: يريد الناقة الضخمة السمينة، والكوماء: العظيمة السنام، وغير مسائل: أي لا يسأل أحداً عوناً على الكرم كما يفعل أصحاب الميسر.

(٦) المباءة: المنزل، والمعتّق من الإبل: المسنّ، والسواف: مرض يصيب الإبل، يريد أنّه لم يُبقِ غير مسانّ الإبل التي أصابها المرض، أمّا شبابها فإنّه ينحرها للضّيفان.

(٧) المجلجل: المطر ذو الرعد، والوكاف: المنهمر.

أسلمتُمُ جِذل الطعان أخاكمُ بين الكديد وقُلّة الأعراف(١)

حتى هوى مُتزايلا أوصاله للحدّ بين جنادل وقفاف(٢)

لله در بني عليّ إنْ هُم لم يثأروا عوفاً وحيّ خفاف(٣)

قال الأثرم: وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه، فقال: «تنكَّر ليلى حُسنها وصفاءها» (٥٨/١٦)

(١٢٦)

قال مالك بن أبي كعب:

لعمرُ أبيها لا تقول حليلتي: ألا فرَّ عني مالك بن أبي كعبِ

أقاتل حتى لا أرى لي مُقاتلا وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكرْب

أبي ليَ أن أعطي الصغار ظلامةً جدودي وآبائي الكرامُ أولو السُّلْب

هُمُ يضربون الكبش يبرُق بيضُه ترى حوله الأبطال في حلَق شُهْب

وهم أورثوني مجدهم وفعالهم فأقسم لا يُزْري بهم أبداً عقبي

وأرعى لجاري ما حييتُ ذمامه وأعرف ما حقُّ الرفيق على الصحْب

ولا أسمع النَّدمان شيئاً يريبه إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ

إذا ما اعترى بعضُ الندامى لحاجةٍ فقولي له: أهلا وسهلا وفي الرحب

إذا أنفدوا الزِّق الرويَّ وصُرِّعوا نُشاوى فلم أقنع بقولهم: حسبي

بعثت إلى حانوتها فاستبأتُها بغير مكاس في السَّوام ولا غصْب

وقلت: اشربوا ريّاً هنيئاً فإنَّها كماء القليب في اليسارة والقُرب

يطاف عليهم بالسَّديف وعندهم قيانٌ يلهِّينَ المزاهرَ بالضرب

فإن يصبروا لي الدهر أصبرهم بها ويرحُبْ لهم باعي ويغزرْ لهم شرْبي

وكان أبي في المحل يطعم ضيفه ويُروى نداماه ويصبرُ في الحرب

ويمنعُ مولاه ويدرك تبْله ولو كان ذاك التبلُ في مركبٍ صعب

إذا ما منعت المال منكم لثروةٍ فلا يهنني مالي ولا ينمُ لي كسبي

---

(١) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، والأعراف: رمل.

(٢) القفاف: جمع قفّ، وهو الأرض الغليظة.

وقد رُوي أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبي كعب، لرجل من مراد، يقال له مالك بن أبي كعب، وذُكر له خبر في ذلك. أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان. قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدّثنا العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن عبد الله بن عباس، عن مجالد عن الشعبيّ، قال: كان رجل من مُراد يُكنى أبا كعب، وكان له ابن يدعى مالكاً، وبنت يقال لها طُريفة، فزوج ابنه مالكاً امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك: إنّي قد اشتقت إلى أهلي ووطني، ونحن ها هنا في جدب وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبي، فنزلت على أهلي، لكان عيشنا أرغد، وشمْلنا أجمع؛ فطاعها، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحيّ كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه، فخرجوا إليه، وأحدقوا به، وقالوا له: استسْلم وسلم الظعينة. فقال: أما وسيفي بيدي وفرسي تحتي فلا، وقاتلهم حتى صُرع، فقال وهو يجود بنفسه:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فرُّ عنّي مالك بن أبي كعب

وذكر باقي الأبيات التي تقدم ذكرها قبل هذا الخبر. قال مؤلف هذا الكتاب: وأحسب هذا الخبر مصنوعا، وأنّ الصحيح هو الأول. (١٦/٢٣٨)

(١٢٧)

.. وقصيدة الرقاشي التي يوصي فيها بالخلاعة والمجون مشهورة، سائرة في الناس، مبتذلة في أيدي الخاصة والعامة، وهي التي أوّلها:

أوصى الرقاشيُّ إلى إخوانِهِ ... وصية المحمودِ في نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ في شعر أبي نعامة، من جملة قصيدة له طويلة، يهجو فيها جماعة، ويأتيَ في وسطها بقصيدة الرقاشيّ. (١٦/٢٤٦)

(١٢٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمرُ بن شبّة قال: حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائيّ، عن خالد بن سعيد، عن أبيه قال: لما قُتل عثمان رحمة الله عليه، قالت نائلة بنت الفرافصة:

ألا إنّ خيرَ الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيلُ التُّجيبيّ الذي جاء من مصر

ومالِيَ لا أبكي وتبكي قرابتي ... وقد غُيِّبت عنا فضولُ أبي عمرو

هكذا في هذه الرواية. وقد قيل إنّ هذين البيتين للوليد بن عُقْبة. (٣٢٤/١٦)

(١٢٩)

أيا بعْل ليلى كيف تجمع سَلْمها وحربي وفيما بيننا شبَّت الحربُ
لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنبا ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنبُ

... الشعر لنصيب، ويروى للمجنون. ويروى لكعب بن مالك الخثعميّ. (٣٤٤/١٦)

(١٣٠)

قال ابن النطّاح: وقال بعضُ الشعراء يمدحُ بني زياد من فاطمة، يقال: إنّه قيس بن زهير، ويقال حاتم طيي:

بنو جنيّةٍ ولدتْ سيوفاً قواطعَ كلُّهم ذكرٌ صنيعُ
وجارتُهم حصانٌ لم تُزنَّى وطاعمة الشتاء فما تجوعُ
شرى ودّي ومكرمتي جميعا طوالَ زمانه منّي الربيع (١٨٢/١٧)

(١٣١)

اشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتَفقاً في رأس غُمدان داراً منك مِحْلالا(١)
تلك المكارمُ لا قعْبانِ من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعْدُ أبوالا(٢)

الشعرُ لأميّة بن أبي الصلت الثقفيّ، وقيل: بل هو للنابغة الجعديّ، وهذا خطأ من قائله؛ وإنّما أدخل النابغة البيت الثاني من هذه الأبيات في قصيدة له على جهة التضمين. (٣٠٢/١٧)

(١٣٢)

ألا لا أبالي بعد ريّا أوافقتْ نوانا نوى الجيران أم لم توافقِ
هجانُ المُحيّا حرّةُ الوجه سُربلتْ من الحُسن سربالاً عتيق البنائق

الشعر لجبهاء الأشجعيّ... ومن الناس مَنْ يروي هذه الأبيات لأبي رُبيْس الثعلبي وليس ذلك بصحيح، وهي في شعر جبْهاء موجودة. (١٨/٩٣ ـ ٩٤)

---

(١) المرتفق: المتكئ على مرفقه، وغمدان: اسم قصر كان لسيف بن ذي يزن باليمن، والمِحلال: الدار التي يحلّ فيها، أي يقيم فيها. (٢) شيبا: خُلِطا.

(١٣٣)

لقد زاد الحياةَ إليَّ حبًا ... بناتي إنهُنَّ من الضّعافِ
مخافة أن يذُقْنَ البُؤسَ بعدي ... وأن يشْربْنَ رنْقاً بعد صافِ
وأن يعريْنَ إن كُسيَ الجواري ... فيُبدي الصرُّ عن هُزْلٍ عجافِ
ولولاهنَّ قد سوَّمْتُ مُهري ... وفي الرَّحْمانِ للضُّعفاء كافِ

الشعر لعمران بن حطان فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ، وذكر المدائنيّ أنّه لعيسى الحبطيّ، وكلاهما من الشُّراة. (١٠٨/١٨)

(١٣٤)

نسختُ من كتاب ابن سعْد قال: أخبرني الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال: أخبرني أحمد بنُ عبدِ الله بن سُويد بن منْجوف السُدوسيّ، قال: أخبرني أحمد بن مُؤرِّج عن أبيه قال: حدّثني به تميمُ بن سوادة، وهو ابن أخت مؤرّج، قال: حدّثني أبو العوّام السُدوسيّ، قال: كان مالك المذموم رجلا من بني عامر بن ذُهْل، وكان من الخوارج، وكان الحجّاج يطلبه. قال أبو العوّام: فدخلتُ عليه يوماً وهو في تواريه، فأنشدني يقول:

ألم يأنِ لي يا قلبُ أن أتْركَ الصِّبا ... وأن أزجرَ النفسَ اللُّجُوجَ عن الهوى
وما عُذْرُ مَنْ يعمى وقد شاب رأسُه ... ويُبصر أبوابَ الضّلالةِ والهُدى
ولو قُسِم الذَّنبُ الذي قد أصبتُه ... على النّاس خاف النّاسُ كلّهم الرَّدى
فإن جنَّ ليلٌ كُنتُ بالليل نائما ... وأصبحَ بطّالَ العشيّاتِ والضُّحى

قال: فلما فرغ من إنشادها قال: سيغلُبني عليها صاحبكم، يعني عمرانَ بن حطّان، فكان كذلك، لمّا شاعت رواها الناسُ لعمران، وكان لا يقول أحدٌ من الشُّعراء شِعْراً إلاّ نُسب إليه لشُهرته إلاّ منْ كان مثله في الشُّهرة مثل قطريّ وعمرو القنا ونويهما، ثم هرب إلى اليمامة من الحجّاج، فنزل بحجر، فأتاه آلُ حكّام الحنفيّون، فقال:

طيَّروني من البلاد وقالوا ... مالكَ النُّصفُ من بين حكّام
ناقَ سيري قد جدَّ حقّاً بنا السَّيرُ ... وكوني جوّالةً في الزِّمام
فمتى تعْلقي يدَ الملكِ الأسْودِ ... تَسْتيقني بالاّ تُضامي
قد أراني ولي من الحاكم النِّصفُ ... بحدّ السِّنانِ أو بالحُسام

قال: والملك الأسود إبراهيم بن عربيٍّ والي اليمامة لعبدِ الملك، وكان ابنُ حكّام على شُرْطته قال:

ومُنينا بِطِمْطِـــمٍ حبشـــيٍّ حالكِ الوجْنتيْن من آلِ حامِ
لا يُبالي إذا ٠تَضلّع خمْرا أبحِـــلٌ رمـــاك أم بحـــرامِ(١)

قال العنزيّ: فأخبرني محمد بن إدريس بن سُليمان بن أبي حفصة، عن أبيه: قال: كان مالكٌ المذمومُ من أحسن الناس قراءة للقرآن، فقرأ ذاتَ ليلة فسمعت قراءته امرأةٌ من آل حكّام فرمت بنفسها من فوق سطح كانتْ عليه، فسمع الصوتَ أهلُها، فأتَوْه فضربوه ضربات، فاستعْدى عليهم إبراهيم بن عربيّ، وكان عبدُ الله بن حكّام على شُرْطته فلم يُعده عليهم، فهجاه بالأبيات الماضية، وهجاه بقصيدته التي أوّلها:

دار سلْمى الجزْع ذي الأطام خبِّرينا سُــقيتِ صوبَ الغمام

وهي طويلة ينسبونها أيضاً إلى عِمْران بن حِطّان. (١٨/١١٧)

(١٣٥)

ألا إنَّ حِـــزْبَ اللـــه ليس بمُعْجِـــزٍ وأنصـــارُه في منْعـــة المتـــحـــرِّزِ
أبى اللهُ أن يُعصى لهارونَ أمرُه وذاتَ لـــه طوعـــاً يـــدُ المتعـــزِّزِ
إذا الرّايةُ السوْداء راحتْ أو اغتدتْ إلى هـــاربٍ منها فليس بمُعْجِـــزِ
لطاعتْ لهـارونَ العُداةُ لدى الوغـا وكـــبَّر للإسـلام بنـــدارُ هُـــرمُـــزِ

وذكر إبرهيمُ بنُ المهديّ أنّ الشِّعر للزُّبير بن دحْمان، وهذا خطأ؛ الشِّعر لأبي العتاهية وهو موْجود في شعْره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد. (١٨/٣٠٢)

(١٣٦)

أشاقك من أرضِ العراق طلولُ تحمَّـــل منهـــا جيرةٌ وحُمـــولُ!
وكيف ألذُّ العيشَ بعد معاشرٍ بهم كنتُ عند النّائبات أصولُ!

وهذان البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضْلَ بن الرّبيع، قال: أنشدنيها عبدُ الله بن الرّبيع الربيعيّ، قال: أنشدنيها أبو سُويد عبدُ القويّ بنُ محمد بن أبي العتاهية لجدّه يمدحُ

---

(١) تضلّع: امتلأ.

الفضل بن الربيع، وإنّما ذكرتُ ذلك ها هنا لأنَّ من الناس مَن ينسُبُهما إلى غيره، فذكرتُ الأبياتَ الأوَل، وفيها يقولُ في مدح الفضْل بن الرّبيع:

قبائلِ منْ أقْصى وأدْنى تجمّعتْ ... فهُنَّ على آلِ الرَّبيع كلولُ

تمرُّ ركابُ السَّفْر تُثني عليهمُ ... عليها من الخيْر الكثير حُمولُ

إليكَ أبا العبّاس حنّتْ بأهلها ... مغانٍ وحنّت ألسنٌ وعقولُ

وأنت جبينُ المُلك بل أنت سمعُهُ ... وأنت لسانُ المَلْكِ حين تقولُ

وللمُلك ميزانٌ يداك تقيمُه ... يزول مع الإحسان حيث يزولُ (٣٠٦/١٨)

(١٣٧)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعْد قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبد الله بن جُشم قال: كان يزيدُ بن مزْيد قد سأل مُسلم بن الوليد عمّا يكفيه ويكفي عياله، فأخبره فجعله جرايةً له، ثم قال: ليْس هذا مما تُحاسبُ به بدلاً من جائزةٍ أو ثواب مديح. فكان يبْعث به إليه في كُلّ سنة، فلمّا مات يزيد رثاه مُسلم فقال:

أحقّاً أنّه أودى يزيدُ ... تبيَّنْ أيُّها النّاعي المُشيدُ!

أتدْري من نعيْتَ وكيف دارت ... به شفتاك دار بها الصّعيدُ

أحامي المجدِ والإسلام أودى ... فما للأرض ويْحك لا تميدُ!

تأمَّلْ هل ترى الإسْلام مالت ... دعائمهُ وهل شابَ الوليدُ

وهل شيمت سُيوفُ بني نزار ... وهل وضعت عن الخيْل اللُّبودُ

وهل تسْقي البلاد عُشار مُزْنٍ ... بدرَّتها وهل يخْضرُّ عُودُ

أما هُدّت لمصْرعه نزارٌ ... بلى وتقوّضَ المجْدُ المشيدُ

وحلَّ ضريحه إذ حلَّ فيه ... طريفُ المجْد والحسبُ التّليدُ

أما والله ما تنفكُّ عيني ... عليك بدمْعها أبداً تجودُ

وإن تجْمُدْ دُموعُ لئيم قومٍ ... فليس لدمعْ ذي حَسَبٍ جمودُ

أبعْد يزيد تختزنُ البواكي ... دموعاً أو تصانُ لها خدودُ

لتبْكِكَ قُبّةُ الإسلام لمّا ... وهتْ أطنابُها ووهى العمودُ

ويبكك شاعرٌ لم يُبق دهْرٌ ... له نشباً وقد كسد القصيدُ

فإن يهلك يزيدُ فكلُّ حيٍّ ... فريسٌ للمنيّةِ أو طريدُ

هكذا في الخبر، والقصيدة للتيميّ. (١٩/٥٥)

(١٣٨)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أبو هفّان قال: كان بكْرُ بن النُّطّاح قصد مالك بن طوْقٍ فمدحه، فلم يرض ثوابه، فخرج من عنده وقال يهْجوه:

فليتَ جَـــدًا مـــالكٍ كلّـــه ... ومـا يُرتجى منه من مطلبِ
أصبْتُ بأضعـاف أضعافه ... ولـم أنتجِعْـه ولـم أرغبِ
أساتُ اخْتياريَ منك الثّواب ... لي الذّنبُ جهْلا ولـم تُذنبِ

وكتبها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وجّه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويْلُ لكم إن فاتكم بكْر بنُ النُّطّاح. ولا بد أن تكْفنوا على أثره ولوصار إلى الجبل، فلحقوه فردّوه إليه، فلما دخل داره ونظر إليه قام فتلقاه وقال: يا أخي، عَجلتَ علينا وما كُنّا نقتصر بك على ما سلف وإنما بعثْنا إليك بنفقة، وعولّنا بك على ما يتلوها، واعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بكْرُ بن النُّطّاح يمدحه:

أقولُ لُمرتـادٍ نـدى غيرِ مالكٍ ... كفى بذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عداته
فتىً جادَ بالأموال في كُلّ جانبٍ ... وأنْهبها فـي عـوْده وبداتـه
فلـو خَذَلَتْ أموالُـه بذلْ كفّـه ... لقاسم منْ يرجُوه شطْرَ حياته
ولو لم يجد في العُمْر قسمة ماله ... وجاز لـه الإعطاء من حسناته
لجاد بها مـن غيْرَ كُفْـر بربّـه ... وشاركهم في صوْمه وصلاته

فوصله صلة ثانية لهذه الأبيات، وانصرف عنه راضياً. هكذا ذكر أبو هفّان في خبره وأحسبه غلطا، لأن أكثر مدائحِ بكْر بن النُّطّاح في مالك بن علي الخزاعي - وكان يتولّى طريق خراسان وصار إليه بكر بن النطاح بعد وفاة أبي دُلف ومدحه. فأحسن تقبُّله وجعله في جُنده، وأسنى له الرِّزق، فكان معه، إلى أن قتله الشُّراة بحلْوان، فرثاه بكْرٌ بعدّة قصائد هي من غُرر شعره وعيونه. (١٩/١١٢)

(١٣٩)

قال: وقال يزيد بن الرِّقاع العامليّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام:

نحن قتلْنا ابنَ الحواريِّ مُصعباً ... أخـا أسـد والمنْحجـيُّ اليمـانيا

يعني ابنَ الأشتر، قال:

ومرّت عُقاب الموت منا بُمسلمٍ فأهْوتَ له ظُفراً فأصبح ثاويا

قال الزبير: ويُروى هذا الشعر للبعيث اليشْكريّ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليّ. (١٩/١٢٦)

(١٤٠)

أخبرني حبيبُ بن نصْر المُهلّبيّ قال: حدّثنا عُمرُ بن شبَّة قال: قال العُتْبيّ: سأل عُويْفُ القوافي في حمالةٍ، فمرّ به عبدُ الرّحمن بنُ محمد بنِ مرْوان وهو حديث السِّنّ، فقال له: لا تسأل أحداً وصِرْ إليّ أكْفِك، فأتاه فاحتْملها جمْعاء له، فقال عويف يمْدحه:

غلامٌ رماه اللهُ بالخير يافعاً له سيمياءٌ لا تشُقُّ على البصرْ
كأنّ الثُّريّا علّقت في جبينه وفي خدّه الشِّعْريّ وفي جيده القمَرْ
ولمّا رأى المجد استُعيرت ثيابُه تردّى رداءً واسعَ الذّيل واتّزرْ
إذا قيلت العوراءُ أغضى كأنّه ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاء لانْتصرْ
رآني فآساني ولو صدَّ لم ألمْ على حينَ لاباد يُرجَى ولا حضرْ

قال أبو زيد: هذه الأبيات لابن عنَقاء الفزاريّ، يقولها في ابن أخ له، كان قوم من العرب أغاروا على نعم ابن عنقاء فاستاقُوها، حتى لم يبْق له منها شيءٌ، فأتى ابن أخيه فقال له: يابْنَ أخي، إنّه قد نزل بعمّك ما ترى، فهل من حلُوبة؟ قال: نعم يا عمّ، يرُوحُ المالُ وأبلغُ مُرادك، فلما راح مالُه قاسمه إيّاه وأعطاه شطره، فقال ابنُ عنقاء:

رآني على ما بي عميلة فاشتكى إلى ماله حالي أسرُّ كما جهرْ

وذكر بعد هذا البيْت باقي الأبْيات. قال أبو زيد: وإنّما تمثّلها عُويفْ. (١٩/٢٠٨)

(١٤١)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرْزبان، قال: حدّثني محمد بن الفضل، قال: حدّثني أبو هفّان، قال: حدّثني أحمدُ بنُ أبي فنن، قال: خرجت قبيحةُ إلى المتوكل يوم نيروزٍ وبيدها كأسُ بِلوْر بشراب صافٍ، فقال لها: ما هذا فديتُك؟ قالت: هديتي لك في هذا اليوم، عرّفك الله بركته! فأخذه من يدها، وإذا على خدّها: جعْفرٌ، مكتوباً بالمسك، فشرب الكأسَ وقبّل خدها، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت:

وكاتبةٍ بالمسك في الخدِّ جعفرا بنفسي سواد المسكِ من حيثُ أثَّرا
لئن أثَّرتْ بالمسك سطراً بخدِّها لقد أودعتْ قلبي من الحزْن أسطُرا
فيا مَن مُناها في السريرة جعفرٌ سقى الله من سُقيا ثناياك جعفرا

وقالت فضل في ذلك أيضاً:

سُلافةٌ كالقمر الباهرِ في قدح كالكوكب الزاهر
يُديرُها خشْفٌ كبدْرِ الدجى فوق قضيبٍ أهيفٍ ناضرِ
على فتىً أروعَ من هاشم مثلِ الحسامِ المرهف الباترِ

وقد رُويت الأبيات الأول لمحبوبة شاعرةِ المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة. (١٩/٣١٠)

(١٤٢)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاقي قال حدّثني عبدُ الله بن أبي سعدٍ قال: حدّثني إبراهيمُ بن إسحاق العُمَريّ قال: حدّثنا أبو هاشم الإسكندرانيّ، عن أبي أبي لهيعة قال: حُفِر حفرٌ في بعضِ أفنيةِ مكة، فوُجِد فيه حجرٌ عليه منقوش:

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ فيكون
سيكون ما هو كائن في وقته وأخو الجهالةِ مُتعب محزون
يسعى القويُّ فلا ينال بسعيه حظّاً ويحظى عاجزٌ ومَهين

قال ابنُ أبي سعدٍ: هكذا في الحديث، وقد أنشدني هذه الأبيات جماعةٌ لأبي عُيينة. (٢٠/٩٢)

(١٤٣)

أتهجر من تُحب بغير جرم أسأتَ إذاً وأنت له ظلوم
تؤرقني الهموم وأنت خِلْوٌ لعمرك ما تؤرِّقك الهموم

الشعر لجعيفران الموسوس، أنشدنيه عمي عن عبدِ الله عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جده، وأنشد فيه جحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له، وأنشدنيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحويّ له. ووجدته في بعض الكتب منسوباً إلى أم الضحاك المحاربية، والقول الأول أصحّ. (٢٠/١٨٧)

(١٤٤)

قال: أيوب ابن أبي أيوب السعديّ: كان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمن في البحر، ويُغزي قيساً

في البرّ، فقال شاعر اليمن:

ألا أيهـا القـوم الذين تجـمّعـوا بعكّـا أنـاسٌ أنتـمُ أم أبـاعـر؟
أتُتْرك تـيـسٌ آمنيـن بدارهـم ونركب ظهر البحر والبحـر زاخر؟
فوالله مـا أدري وإنّي لسـائل أهمدانُ يُحمى ضيْمها أم يُحابر؟
أم الشرف الأعلى من أولاد حمير بنو مـالك إذ تسـتمر المرائر(١)
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكـم بينكـم أن تدابروا

قال، ويقال: إنّ النجاشي قال هذه الأبيات. (٢٠/٢٠٩)

(١٤٥)

أفي كُلّ يـوم أنت من غُبْرِ الهوى إلى الشُّمّ من أعـلام مـيـلاء ناظرُ(٢)
بعـمشـاء من طول البكاء كـأنّما بهـا خـزرٌ أو طرفُـهـا مُتـخـازرُ(٣)

والشعر لرجل من قيس يقال: كعب، ويلقب بالمخبل ومن الناس مَن يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرمة ويجعل فيه مية مكان ميلاء. (٢٠/٢٦٣)

(١٤٦)

من الناس إنسانان دَيْني عليهـما مليئـان لو شـاءوا لقد قضـيـاني
خليليّ أمـا أمّ عـمـرو فـمنْهـمـا وأمـا عن الأخـرى فـلا تسـلاني

الشعر - على ما في هذا الخبر - لكعب المذكورة قصته، وروى المفضلُ بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخثعميّ. (٢٠/٢٦٧)

(١٤٧)

وقد رُوي أيضاً أنّ هذا البيت: (وهو لابن الدمينة)

أفي كلّ يومٍ أنت رامٍ بلادها بعينين انسـانا هما غرقان

لعُروة بن حزام. (٢٠/٢٦٨)

---

(١) المرائر: العزائم، جمع مريرة. (٢) الغبْر: بقية الشيء، يقال: فلان في غبر من علّته، وأكثر ما يُستعمل في هذا ونحوه، والشُّمّ: الطّوال، والأعلام: جمع علم وهو الجبل.

(٣) الخزر: ضيق العين وصغرها.

(١٤٨)

ثم قال: عارضه أبو الهيثم - يعني خالداً نفسه - فقال:

فديتُ محمداً من كل سوءٍ ... يحاذر في رواحٍ أو غُدوِّ
أيا قمرَ السماء سَفُلْتَ حتى ... كأنك قد ضجِرْتَ من العلوّ
رأيتك من حبيبك ذا بِعادٍ ... وممّن لا يُحبُّك ذا دُنُوِّ
وحسبُك حسرةً لك من حبيبٍ ... رأيتَ زمامه بيدَيْ عدوّ

هكذا أخبرني عمي عن خالد، وهذه الأبيات أيضاً تُروى لأبي تمام. (٢٨٥/٢٠)

(١٤٩)

أنارٌ بدتْ وهْناً لعينك تُرْمِضُ ... ببغداد أم سارٍ من البرق مُومِضُ؟(١)
يضيء سناه مكْفهراً كأنَّه ... حناتمُ سُودٌ أو عِشارٌ تمخَّضُ(٢)

يقول فيها: ولولا انتظاري جعفراً ونواله ... لما كان في بغداد ما أتبرّضُ(٣)

وقد وجدتُ هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له، وأظن ذلك الصحيح، لا ما ذكر محمدُ بن داود من أنها لسلمة بن عياش. (٢٩٥/٢٠)

(١٥٠)

تصابيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينبُ ... وكيف تصابى المرء والرأسُ أشيبُ!
إذا قرُبت زادتْك شوقاً بقُرْبِها ... وإن جانبتَ لم يُسلِ عنها التجنّبُ
فلا اليأسُ إن ألمتَ يبدو فترعوي ... ولا أنت مردود بما جئت تطلبُ
وفي اليأسِ لو يبدُو لك اليأسُ راحةٌ ... وفي الأرض عمَّنْ لا يؤاتيكَ مذهبُ

الشعر لحُجيّةَ بن المضرب الكنديّ، فيما ذكره إسحاق والكوفيون. وذكر الزبير بنُ بكّار أنّه لإسماعيل بن يسار، وذكر غيرُه أنّه لأخيه أحمد بن يسار. (٣١٥/٢٠)

---

(١) ترمض: تشتعل.

(٢) الحناتم: جمع حنتم، وهي الجرّة الخضراء، والعشار: جمع عُشَراء: وهي الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية.

(٣) أتبرّض: أتبلّغ بالقليل.

(١٥١)

قال أبو الحسن: وقد قيل: إنَّ هذين البيتين - يعني:

خليليَّ هيا نَصطبح بسواد ونُروِ قلوباً هامُهنَّ صوادِ

وقولا لساقينا زياد يُرِقُّها فقد هزَّ بعض القوم سقيُ زيادِ

للأخطل (وليسا لأسحاق). (٢٠/٣٢١)

(١٥٢)

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ

ولا تنقريني نقرة الدُّف مرة فإنّك لا تدرين كيف المغيَّبُ

فإنّي وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

والشعر لأسماء بن خارجة الفزاريّ، وقد قيل: إنّه لأبي الأسود الدّؤلي، وليس ذلك بصحيح.

(٢٠/٣٦٢)

(١٥٣)

أخبرني الحرميّ عن الزبير عن محمدِ بن الضحاك عن أبيه قال: قال أبو دهبل:

أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذا لصبورُ

هبوني أمرأ منكم أضلّ بعيره له ذمة إنَّ الذمام كبيرُ

والصاحبِ المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضلّ بعيرُ

قال الزبير وقال عمي: هذه الأبيات لمجنون بني عامر. (٢٠/٣٧٢)

(١٥٤)

عفا الله عن ليلى الغداة فإنّها إذا وليتْ حكماً عليّ تجورُ

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذا لصبور!

والشعر - يقال - لأبي دهبلٍ الجُمحيّ، ويقال: إنّه لمجنون بني عامر، ويقال: إنّه لعمر بن أبي ربيعة. (٢٠/٣٧٢)

(١٥٥)

سألونا عن حالنا كيف أنتمُ مَنْ هوى نجمُه فكيفَ يكونُ؟

نحن قومٌ أصابنا عنَتُ الدّهر   فظلنا لريبه نستكين

ذكرت عَريبُ أنَّ هذا الشعر للفضْلِ بن يحيى، وهذا غلط من عَريب، ولعلَّه بلغها أنَّ الفضل تمثَّل بشعرٍ غير هذا، فنسيتْه وجعلت هذا مكانه. فأمَّا هذا الشّعر فللحُسيْن بن الضّحاك، لا يُشكّ فيه، يرثي به محمداً الأمينَ بعد قوله:

نحن قوم أصابنا حادثُ الدّهرِ   فظلْنا لريْبه نستكينُ

نتمنّى من الأمين إياباً   كلَّ يوم وأينَ منّا الأمينُ؟

وهي قصيدة. (٢١/٦٠)

(١٥٦)

ومقالها بالنَّعف نعف مُحسِّرٍ   لفتاتُها: هل تعرفين المُعْرِضا؟(١)

ذاك الذي أعطى مواثقَ عهدهِ   ألاّ يخونَ وخلتُ أن لن ينْقُضا

فلئن ظفرتُ بمثْلِها من مثْله   يوماً ليعترفنَّ ما قد أقْرضا(٢)

الشعر لخالد القَسْريّ، والناس ينسبونه إلى عمر بن أبي ربيعة، وقبل أن أذكر أخباره ونسبه فإنّي أذكر الرواية في أنَّ هذا الشعر له. أخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد. قال: حدّثني أبو بشر، محمد بن خالد البجليّ: قال: حدّثني أبو الخطّاب بن يزيد بن عبد الرحمن: سمعت أبي يحدّث: قال: حدّثني مسمع بن مالك بن جحوش البجليّ، قال: ركب خالد بن عبد الله، وهو أمير العراق، وهو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المَكْرُخة، وهي من الكوفة على أربعة فراسخ، وركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يابن جحوشٍ، هل سمعت غريضَ مكة يتغنى:

ومقالها بالنَّعفِ نعفِ محسِّرٍ   لفتاتها: هل تعرفين المُعْرِضا

قال: قلت: نعم، قال: الشعر والله لي، والغناء لغريض مكة، وما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيّون والمكيّون؛ وإنّما يوجد في الكتب المحدثة والإسنادات المنقطعة. (٢١/٤٠٤)

---

(١) مقالها: معطوف على كلام سابق، أو مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: وعجيب مقالها ونحو ذلك، والنّعف: مكان مرتفع يكون فيه صعود وهبوط، ومحسِّر: موضع.

(٢) أقرض: أسلف، وفي البيت توّعد، أي ليعرفنّ نتيجة إعراضه، ونقضه لعهوده.

(١٥٧)

قال الفرزدق يهجو خالد بن عبد الله:

وأهلكت مـالَ اللـه في غـيـر حـقّهِ ... على النَّهر المشـؤم غـيـرِ المبـاركِ
وتضرب أقواماً صحاحاً ظُهورهم ... وتتْـركُ حـقَّ اللـه في ظهـر مـالك

قال ابن الكلبي: ويقال إنّها للمفرج بن المرقع. (٢٠/٢٢)

(١٥٨)

أنائلُ مـا رؤيا زعـمتِ رأيتهـا ... لنا عـجبٌ لو أنَّ رؤياكِ تصدُقُ
أنائلُ مـا للعـيش بعـدك لـذةٌ ... ولا مـشـربٌ نلقـاه إلا مـرنَّقُ
أنائـلُ إنـّي والـذي أنـا عـبدُه ... لقد جعلتْ نفسي من البين تُشفقُ
لعمرك إنَّ البين منك يشوقني ... وبعض بُعادِ البين والنـأي أشـوقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضريّ. أخبرنا بذاك محمد بن مزيد، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضريّ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر(١). ومن الناس مَن يروي هذه الأبيات لجميل، ولم يأتِ ذلك من وجه يصحّ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين. (٣٠/٢٢)

(١٥٩)

أحبُّ هبـوطَ الواديـيـن وإنَّني ... لمشـتـهـرٌ بالواديين غـريبُ
أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ... ولا والجـاً إلا علـيَّ رقيـبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة ... من الناس إلاّ قيل: أنت مُريبُ
وهل ريبةٌ في أن تحنَّ نجيبـةٌ ... إلى إلفـهـا أو أن يحـنَّ نجيـبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيباني في أشعار بني جعدة، وذكره أبو الحسن المدائنيّ في أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة الجعديّ، ومن الناس مَن يرويه لابن الدُّمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية. (٧٦/٢٢)

---

(١) لم يورد أبو الفرج هذا الشعر عقب أخبار صخر مثلما يذكر هنا.

(١٦٠)

أرقتُ لبرق دُونه شذَاونِ يمانٍ وأهوى البرقَ كلُّ يماني(١)
فليت القلاصَ الأُدْمَ قد وخدت بنا بوادٍ يمانٍ ذي رُباً ومجاني(٢)

الشعر ليعلى الأحولِ الأزديِّ، وجدت ذلك بخط أبي العباس محمد بن يزيد المبرد في شعر الأزد، وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه: هي ليعلى الأحول، كما روى غيره، قال: ويقال: إنها لعمرو بن أبي عمارة الأزدي من بني خُنيس، ويقال: إنها لجَوّاس بن حيانَ من أزد عمان. (١٤٦/٢٢)

(١٦١)

وفي عبيدة يقولُ بعضُ الشعراء، ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق:

أمست عُبيدةُ في الإحسان واحدةً فالله جارٌ لها من كلِّ محذور
من أحسن الناس وجها حين تُبصرُها وأحذقِ الناس إن غنّت بطنبور (٢١٠/٢٢)

(١٦٢)

سقِمتُ حتى ملّني العائدُ وذبتُ حتى شَمِتَ الحاسدُ
وكنتُ خلواً من رسيسِ الهوى حتى رماني طرفُك الصائدُ

الشعر فيما أخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُه في شعر محمد بن أميّة له. (٢١١/٢٢)

(١٦٣)

وقد أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال حدّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن قال: حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال: خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إنَّ هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حُمُوّتِها حَمَا
وأصبحتُ كالمقمور جفنَ سلاحه يقلّب بالكفين قوساً وأسهماً

ثم مدَّ بها صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعت أنَّ أحداً مات عشقاً غير هذا. وهذا

---

(١) شذوان: تثنية شذا: شجر تُتّخذ منه المساويك. (٢) القلاص الأدم: النوق السمراء.

الخبر عندي خطأ لأنَّ أكثر الرواة يروى هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، وهل حدث بعده شيء، فقال: لا، إلاَّ أنِّي تزوجتُ هنداً بنت عتبة، فمات مسافرٌ أسفاً عليها، ويدل على صحّة ذلك قوله: «وأصبحت من أدنى حمومتها حما» لأنَّه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحاً وليس النميري المتزوج هنداً النهديّة ابن عم عبد الله بن العجلان فيكون من أحْمائها، والقول الأول على هذا أصحّ. (٢٢/٢٤٢)

(١٦٤)

أخبرني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش. وأخبرنا ابنُ المرزبان قال: أخبرني عيسى بن يونس قال: حدّثني محمد بن الفضل قال: حدّثنا الهيثمُ بن عديّ، عن ابن عبّاس قال: لما فارق النمر بن تولب امرأته الأسدية جزع عليها، حتى خيفَ على عقله ومكث أياماً لا يطعمُ، ولا ينام، فلما رأت عشيرتُه منه ذلك، أقبلوا عليه يلومونه، ويُعيِّرونه، وقالوا: إنَّ في نساء العرب مندوحةً ومتَّسعاً، وذكروا له امرأة من فخذه الأدنينْ يقال لها دعْد، ووصفوها له بالجمال والصلاح، فتزوّجها ووقعت من قلبه، وشغلته عن ذكر جَمرة وفيها يقول:

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمُتْ　　　أوكِّلْ بدعْدٍ من يهيمُ بها بعدي

والناسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب وهو خطأ. (٢٢/٢٧٨)

(١٦٥)

وممَّا يُغنَّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس، وقال أبو بكر الهذلي: إنَّ من الناس مَن يرويها لغيره:

تجمَّعْنَ من شتَّى ثلاثا وأربعا　　　وواحدةً حتى كملْنَ ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يعُدنني　　　بقية ما أبقين نصلا يمانيا
يعُدْن مريضا هنَّ قد هجن داءَهُ　　　ألا إنَّما بعضُ العوائدِ دائيا (٢٢/٣١٠)

(١٦٦)

سقياً لقاطولَ لا أرى بلداً　　　أوْطَنَهُ الموطنون يُشْبهها(١)

---

(١) القاطول: اسم نهر كأنّه مقطوع من دجلة، وهو نهر كان في موضع سامرّا قبل أن تُعمَّر، وكان الرشيد =

أمنّا وخفضا ولا كبهْجتِها　　أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفُهُا

البيت الأول من البيتين لعنان جارية الناطفيّ، والثاني يقال: إنّه لعمْرو الوراق، ويقال إنّه لأبي نواس، ويقال بل هو لها. وكان الشعر: «سقْيا لبغداد» فغيّرته عَريب وجعلت مكانه «سقيا لقاطول». (٢٣/٨٤)

(١٦٧)

.. وعمل أبان بن عبد الحميد... القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئاً من المنطق، وسمّاها ذات الحلل، ومن الناس مَنْ ينسبها إلى أبي العتاهية، والصحيح أنّها لأبان. (٢٣/١٥٥)

(١٦٨)

قلبي إلى ما ضرُّني داعي　　يُكْثر أحزاني وأوجاعي

لقلّ ما أبقى على ما أرى　　يوشك أن ينعانيَ الناعي

كيف احتراسي من عدوّي إذا　　كان عدوي بين أضلاعي؟

أسلمني الحبُّ وأشياعي　　لمّا سعى بي عندها الساعي

لمّا دعاني حبُّها دعوةً　　قلت له: لبيكِ من داعِ

وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أنّ هذه الأبيات للعباس بن الأحنف، وذكر محمد بن داود بن الجرّاح عن أبي هفّان أنّها لبكر بن خارجة. (٢٣/١٩٢)

(١٦٩)

قال: وقال لي ابنُ المكّيّ: حدّثني أبي، قال: نظر أحمد بن يُوسُفَ الكاتبُ إلى عبد الله بن أبي العلاء عندَ إسحاقَ، وهو يُطارِحُه، فأقام عندَ إسحاقَ، وسأله احتباس عبد الله عنده، فأمره بذلك، فاعْتلّ عليه وقال: أريدُ أن أشيِّع غازياً يخرُجُ من جيراننا، فقال له أحمدُ ابن يُوسُفَ:

لا تخرُجنَّ مع الغُزاة مُشيِّعاً　　إنَّ الغزيَّ يراكَ أفضلَ مَغْنَم

ودع الحجيجَ ولا تُشيِّع وفْدَهُمْ　　أخشى عليك من الحجيج المُحرمِ

= أول مَن حفر هذا النهر، وبنى على فوهته قصراً سمّاه أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الأرضين وجعله لأرزاق جنده، ينظر معجم البلدان (٤/٢٩٧).

مـا أنـتَ إلاَّ غـادةٌ ممْكـورةٌ   لولا شـوارِبُكَ المُحـيطةُ بالفم(١)

وقد رُوي أنَّ هذا الشعر لسعيد بن حُميد في عبدِ الله بن أبي العلاء وهو الصَّحيح. (١/٢٤)

(١٧٠)

وقال لي جعفرُ بن قُدامة، وقد تجاذبْنا هذا الخبر(٢): حدَّثني حمَّادُ بن إسحاق، عن أبيه: أنَّ العِشْرةَ اتَّصلتْ بين عبد الله وبين أحمدُ بن يوسف، وتعشَّقَهُ وأنْفق عليه جُملةً من المالِ، حتى اشْتهر به، فعاتبه محمدُ بن عبدِ الملك الزَّيات، في ذلك، فقال له:

لا تعذِلَنِّي يا أبا جعفرِ   عَذْلُ الأخلاءِ من اللُّومِ

إنَّ استَهُ مُشْربةٌ حُمـرةً   كـأنَّهـا وجْنةُ مكْظُومِ

وقد قيل: إنَّ هذين البيْتين لأحمد بن يوسف في موسى بن عبد الملك. (٢/٢٤)

(١٧١)

أخبرني الحرميُّ بنُ أبي العلاء قال: حدَّثني أبو بكر عبدُ الله بن جعفر بن مصعب بن عبد الله الزُّبيريِّ قال: حدَّثني مُصْعب بن عبد الله، عن ابن القدَّاح أنَّه قال: هذا البيتان، يعني قوله:

أأمُّ نُهيْكٍ ارفعي الطرف صاعدا...

والذي بعده لعبدِ الله بن أبي معْقل بن نُهيك بن إساف، والناس يروونهُما لجدِّه. وليس ذلك بصحيحٍ؛ هما لعبدِ الله. (١٠/٢٤)

(١٧٢)

... وقال زُفر بن الحارث ـ وذكر أبو عبيدة أنَّها لعقيل بن علَّفة:

أقـرَّ العـيـون أنَّ رهْطَ ابن بحْدلٍ   أذيقـوا هواناً بالذي كـان قدَّمـا

صبحناهمُ البيضَ الرِّقاق ظُباتُها   بجـانب خبْتٍ والوشـيج المقـدَّما

وجـرداء ملَّتْها الغـزاةُ فكلَّهـا   ترى قلقاً تحت الرِّحالة أهضمـا

لكـلِّ فتى لـم تـأبُر النخـلَ أمُّـه   ولـم يُـدْعَ يومـاً للغرائـر مِعْكمـا (٣٥/٢٤)

---

(١) ممكورة: مطويَّة الخلق مستديرة الساقين.

(٢) يقصد الخبر السابق.

(١٧٣)

قال أبو صخر الهذليّ:

إذا قلت هـذا حين أسـلو يهيجني نسيم الصَّبا من حيث يطّلعُ الفجْرُ

وهذا البيت ... رواه الزبير بن بكّار لنُصيب... (١٢٢/٢٤)

(١٧٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزبير بن بكّار، قال: حدّثنا عمّي وفُليح بن إسماعيل، عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال: دخلت على المهديّ، وإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب:

فإن يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلها مقالـــة واشٍ أو وعـيد أمـيرِ

فلن يمنعوا عينيّ من دائم البكا ولن يُخرجوا ما قد أجنُّ ضميري

ومـا برح الواشـون حتى بدت لنا بطـون الهوى مقلـوبـة لظهورِ

إلى الله أشكو ما ألاقي من الجوى ومـن نفَـسٍ يعتادني وزفـيرِ

... وهذه الأبيات تنسب للمجنون. (٢٣٧/٢٤)

القدماء والمحدثون

تبوّأت قضية القدماء والمحدثين مكانة بارزة في تاريخ النقد العربي، وماتزال هذه القضية ذات أبعاد خطيرة في الحركات الأدبية، لاتّصالها الوثيق بحركة المجتمع، وتغيّره، وما يستتبع ذلك من تغيّر الأذواق، واختلاف الأشكال، والمضامين. وقد حرص النقّاد المتخصّصون على الوقوف عند هذه القضية، يدلون بآرائهم فيها، ويبحثون في جانب، أو جوانب منها، وليس حديث ابن قتيبة عن تعصّب أنصار القديم، ووقوف ابن طباطبا عند أزمة الشاعر المحدث، ومعالجة الآمدي لتجديد أبي تمام، وغيرهم كثير، نقول ليس هذا سوى مظاهر من اهتمام أولئك النقّاد بهذه القضية، ومحاولتهم النفاذ إلى أعماقها، وتفصيل الحديث عن مباحثها سواء في اللفظ والمعنى، أم الطبع والتكلّف، أم ابتداع المعاني وغيرها، والوصول فيها إلى نتائج تحاول حسم هذا الاختلاف الشديد بين النظرتين إلى الشعر. (ينظر عن هذه القضية، ومسائلها، وتاريخها كتاب الدكتور عثمان موافي، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، وكتاب الدكتور محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي).

وسنرى أنّ أبا الفرج لم يحفظ سوى نصوص قليلة عن هذه القضية، هي اثنا عشر نصاً حسب، وهي تشير إلى أطراف من هذه الخصومة، مع تعيين المتعصّبين للقديم، الذين لا يرون في الشعر المحدث شيئاً ذا قيمة، أو غَنَاء. وهي تؤكد ما عُرِف في تاريخ هذه القضية من تحكيم الزمن في التفضيل، وعدم الاهتمام بالشعر نفسه، وتجنّب رواية الشعر المحدث، أو الاهتمام به، وتفضيل القدماء تفضيلاً مطلقاً بلا تعليل، أو إقناع وحسبنا أن نسمع هذه المقولة عن المحدثين، فَهُم «كَلٌّ على غيرهم، إن قالوا حَسَناً فقد سُبِقوا إليه، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم»، وهذا حكم عام، لا يعتمد على مقياس، أو يركن إلى دليل، ونحن نعلم أنّ تاريخ هذه القضية قد شابه الكثير من العناد، واللجاجة، والتعصّب، حتى استحال في بعض الأحيان إلى مواقف شخصية تبتعد كثيراً عن النقد، وروحه.

ويضاف إلى ما تقدّم، أنّنا لم نجد موقفاً واضحاً لأبي الفرج في نصوص هذه القضية، ولكنّنا نستطيع القول باطمئنان إلى أنّه كان من النقّاد المنصفين الذين عالجوا هذه القضية، يساعدنا على هذا مواقفه المعتدلة من الشعراء المحدثين، حتّى مع أشدّهم تجديداً، وهو أبو تمام، وهذا ما رأيناه في ثنايا قضية سابقة، يضاف إلى هذا أنّ أبا الفرج نفسه كان شاعراً، وهو محدث بمقياس المتعصّبين للقديم، فلابدّ أن يناله شيء مما ناله المحدثون عموماً بسبب تلك

النظرة الواسعة إليهم، فمن الضروري أن يقف أبو الفرج موقف الاعتدال في هذه القضية، دفاعاً عمّا قدّمه الشعر المحدث، وشعراؤه، وهو كثير، ودفاعاً عن نفسه، وهو المحدث، إذ لا يمكن أن ينفصل عن عصره، وبيئته، وهو المنغمر فيهما، الآخذ بأسبابهما. بالإضافة إلى سعة علمه، وروايته شعر القدماء، كلُّ هذا ساعد على تكوين تلك النظرة المعتدلة التي استطعنا استنتاجها ممّا جمعنا أطرافه من مواضع متباعدة.

(١)

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان الأصمعيّ يقول: بشّارٌ خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرت لفضّلتُه على كثيرٍ منهم. (١٤٣/٣)

(٢)

يقول (الأصمعيّ): ما يؤخرّه (ابن هرمة) عن الفحول إلاّ قُرب عهده. (٢٦٣/٥)

(٣)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي: قال إسحاق: قلت في ليلة من الليالي:

هل إلى نظرةٍ إليك سبيلُ ... يُروَ منها الصَّدى ويُشفَى الغليلُ

إنّ ما قلّ منك يكثُر عندي ... وكثيرٌ ممن تحبّ القليلُ

قال: فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ، فقال: هذا الدّيباج الخُسْروانيّ، هذا الوشْي الإسكندرانيّ، لمن هذا؟ فقلت له: إنّه ابن ليلته؛ فتبيّنت الحسد في وجهه، وقال: أفسدتَه! أفسدته! أما إنّ التوليد فيه لَبيّن. (٢١٧/٥)

(٤)

قال (محمد بن بن عمرو الرومي)... فعجبت من راوية إسحق (الموصلي) شعر المحدثين، وإنّما كان يروي للأوائل ويتعصّب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصة (١٥٧/٧)

(٥)

قال إسحاق وحدّثني أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّمتُ عليه أحداً. (٢٨٥/٨)

(٦)

... وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضّلتُ عليه أحدا. (٢٨٦/٨)

(٧)

حدّثني الصولي قال حدّثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظرف ابن الأحنف في قوله يصف طول عهده بالنوم:

قفا خبّراني أيّها الرجلانِ عن النوم إنّ الهجر عنه نهاني

وكيف يكون النوم أم كيف طعمه صفا النوم لي إن كنتما تصفانِ

قال: على قلّة إعجابه بمثل هذه الأشعار. (٣٥٨/٨)

(٨)

أخبرني الصوليّ قال سمعت أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: كان إبراهيم بن العبّاس أشعر المحدثين... وكان يستحسن كثيراً قوله:

لنا إبل كومٌ يضيق بها الفضا ويفترّ عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤها ومن دوننا أن تستباح دماؤها

حمى وقرى فالموت دون مرامها وأيسر خطب يوم حقّ فناؤها

ثم قال: والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجيدَ له. (٩٥/١٠)

(٩)

نسخت من كتاب ابن النطّاح: حدّثني أبو عبيدة، عن أبي عمرو، قال: خُتِمَ الشِّعْرُ بذي الرّمة، وخُتم الرُّجزَ برؤبة. قال: فما تقول في هؤلاء الذين يقولون؟ قال: كَلٌّ على غيرهم؛ إنْ قالوا حسناً فقد سُبِقُوا إليه، وإن قالوا قبيحاً فمن عندهم. (٩/١٨)

(١٠)

أخبرني أبو دُلف هاشم بن محمد الخُزاعيّ، قال: حدّثنا العباس بن ميْمون طائع، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: حضرنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرز خلفُ الأحمر، وحضرها ابنُ مناذر، فقال لخلف الأحمر: يا أبا مُحرز، إن يكُن النّابغة، وامرؤُ القيس، وزُهيْر، قد ماتوا فهذه

أشعارُهم مُخلّدة نقسْ شعْري إلى شعرهم واحكمْ فيها بالحقِّ، فغضب خلفٌ، ثم أخذ صحفة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه فملأه، فقام ابنُ مناذر مُغْضباً وأظنُّه هجاه بعد ذلك. (١٧٤/١٨)

(١١)

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلّبيّ، قال: حدّثنا عمرو بن شبّة: قال: حدّثنا خلاّد الأرقط، قال: لقيني ابنُ مُناذر بمكة، فأنشدني قصيدته: «كُلُّ حيٍّ لاقي الحمام فمُودي»

ثم قال لي: أقرئ أبا عُبيدة السلام وقل له: يقول لك ابنُ مناذر، اتَّقِ اللهَ واحكُم بين شعري وشعْر عديّ بن زيد، ولا تقلُ ذلك جاهليٌّ، وهذا إسلاميّ، وذاك قديم وهذا مُحْدث فتحكم بين العصرين، ولكن احكُم بين الشعرين ودع العصبيّة(١). (١٧٤/١٨)

(١٢)

حدّثني عمّي قال: حدّثنا الكرانيّ قال: حدّثني النُّضرُ بن عمرو بن المازنيّ، قال: حدّثنا حيّان: أنّ ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه، وقال: اعرضها على أبي عُبيدة، فأتيتُه وهو على باب أبي عمْرو بن العلاء، فقرأتُ عليه منها خمسة أبيات فلم تُعْجبْه، وقال: دعني من هذا، فإنّي قد تشاغلتُ بحفْظِ القرآن عنه وعن مثْله، قال: وكان أبو عبيدة يُبغضُه ويُعاديه لأنه هجاه. (١٨٠/١٨)

---

(١) هذا مقياس سليم للنقد، وطلب عادل من الشاعر، ولكنّ الجمهرة من العلماء لم تأخذ به، وكانت تتّخذ من العصر مقياساً للأخذ أو الردّ، وهو ممّا أثار الخصومة، وأشعلها.

أشعر العرب أو الناس

تقدّم هذه القضية مجموعة النصوص المتعلّقة بحكم واحد، شائع على شاعر ما بأنّه أشعر العرب، أو الناس، وقد آثرنا إفرادها بموضع مستقلّ لسببين، أولهما هو كثرة هذه الأحكام، وغزارتها واستمرارها في عصور النقد العربي: الجاهلي، والإسلامي، والأموي، والعباسي، فكأنّ الكثير من (النقّاد) قد آثر استخدامها، ولم يمنع العصر وتطورّه، أو الشاعر ومكانته من استخدام ذلك الحكم وصفاً للشاعر. أمّا السبب الثاني فهو ما تعرّض له هذا الحكم من هجوم، واستهجان بسبب صيغته الفضفاضة الواسعة، وما رافقه من عدم التزام كثير من الدارسين بالدقّة في فهمه، وتوجيهه، أو عرض مدلوله بشكل علميٍّ سليم. وسنرى فيما بعد أنّ هذه النصوص قد غيّرت الكثير من المسلّمات عن هذا الحكم، ودَعَتْ إلى إعادة النظر فيه، وقراءته قراءةً مغايرة لما سبق، وفق المعطيات الجديدة، والمفاهيم المختلفة التي تطرحها.

بينّت نصوص هذه القضية أنّ الكثير من (النقّاد) قد دأب على استخدام هذا الحكم وصفاً لمكانة شاعر ما، وجدنا هذا في فجر النقد العربي: العصر الجاهلي، ومن ثمّ في العصر الإسلامي، وبعده في العصر الأموي، ولم يمنع التطوّر الكبير الذي أصاب النقد في العصر العبّاسي من حيث ظهور النقّاد المتخصّصين، والكتب المفردة للنقد، نقول، لم يمنع هذا كلّه من استخدام هذا الحكم، وإطلاقه على مجموعة كبيرة من الشعراء تحديداً لمنزلتهم، وتنويهاً بذكرهم، كأنّهم لم يروا فيه تعارضاً مع ذلك التّطور، أو استعمالاً لأحكام قد بليت، ومن الضروري تركها، وعدم استخدامها، بل إنّ هذا الانتشار يدلّ على صلاحية ذلك الحكم في مناطق معيّنة، واستمرار حيويته، وفاعليته، على الرغم من طول الزمن، وتقادم العهد.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى أنّ هذه الكثرة من (النقّاد) التي استخدمت هذا الحكم، لم تكن لتستعمله بمفهوم واحد، أو بشكل متشابه مع الآخرين، إذ وجدنا اختلافاً كبيراً في طريقة الاستخدام هذه، والغرض المُراد من هذه الطريقة، ومن الممكن تخليص هذا الاختلاف بما يلي:

ـ رصدت النصوص ستّة أشكال من استخدام هذا الحكم هي: أشعر الجنّ والإنس ـ أشعر الناس ـ أشعر العرب ـ أشعر قبيلة معيّنة ـ أشعر في غرض معيّن مثل: أمدح، أو أهجى، أو أغزل ـ أشعر المحدثين. إذ يوصف شاعر ما بأنّه أشعر الناس، أو أشعر هوازن، أو تميم وهكذا. فكأنّ التعميم يرافق الأشكال الثلاثة الأولى، بينما نلاحظ دخول نوع من التحديد على الأشكال

الثلاثة الأخيرة، وهي: أشعر قبيلة ـ وأشعر في غرض ـ وأشعر المحدثين، فالشاعر هنا أشعر من غيره ضمن النطاق الذي حدّده الناقد: القبيلة، الغرض، الزمن، وهذا التحديد يضفي على هذا الحكم لوناً من المنهجية، ويبعده عن الاتّساع، والتعميم اللذين وُصِف بهما، وخاصة في أشكاله الثلاثة الأولى.

ـ لاحظ الباحث أنّ كثيراً من النصوص كانت تقرن هذا الحكم ببيت من أبيات الشاعر، أو مجموعة أبيات، وذلك حين يقول (الناقد): هذا الشاعر أشعر الناس حين يقول، ثمّ يسوق البيت المقصود، أو مجموعة الأبيات، أو يقول: هو أشعر العرب في قصيدته، ثمّ يورد مطلع القصيدة، وأبياتاً منها، فكأنّ الشاعر المعنيّ هنا قد أصبح أشعر العرب، أو أشعر الناس في هذا البيت، أو الأبيات، أو القصيدة وليس في سائر شعره، فهو متفوّق في هذا المعنى بالذات على غيره ممّن طرق المعنى نفسه، وعالجه في بيت آخر، أو أبيات. ولعلّ هذا يضفي لوناً آخر من التحديد الذي أشرنا إليه فيما مضى.

ـ عمد بعض النقّاد إلى سوْق تعليل لهذا الحكم، إذ لا يُترك هكذا على إطلاقه، فشاعر ما قد أصبح أشعر الناس، أو العرب لأنّه قال ما لم تقله الشعراء، أو جاء بالبديع المستطرف الذي فاق به نظراءه، ومعروف أنّ التعليل يقترب بالحكم من الموضوعية، ويمنحه أبعاداً من القبول، والمصداقية، وقد أفضنا في الحديث عن أهمية التعليل الذي يُقرن بالحكم النقدي فيما مضى، ولا داعي للإعادة هنا.

ـ وردت مجموعة من النصوص توقّف أصحابها عن إطلاق هذا الحكم على شاعر ما، بعد سؤالهم ذلك السؤال التقليدي: مَنْ أشعر الناس؟ أو مَنْ أشعر العرب؟ فكأنّ التوقّف عن الإجابة يشير من ضمن ما يشير إليه إلى عدم اقتناع أولئك (النقّاد) بهذا الحكم، أو عدم قدرتهم على تحديد شاعر ما بحيث يصبح أشعر الشعراء جميعاً، لافتقارهم إلى الأدوات التي تمكّنهم من إطلاق هذا الحكم الواسع.

وفي ضوء ما تقدّم نستطيع القول إنّ تحكيم منهج صارم على هذا الحكم يعدّ تضييقاً شديداً عليه، بحيث نطلق عليه صفات الاتّساع، والتعميم هكذا بلا اعتبار لأشكاله المختلفة، إذ يفترض ذلك المنهج أن يكون صاحب الحكم عارفاً بالشعراء جميعهم، دارساً شعرهم، ذاهباً بعد هذا، إلى أنّ هذا الشاعر هو أشعرهم، أو أفضل منهم، وهذا ـ فيما نعتقد ـ لم يفكّر فيه صاحب الحكم، أو يضعه في حسابه، ناهيك عن أنّه ليس في طاقة البشر، ولذلك من الممكن اعتبار هذا الحكم تعبيراً عن فرط الإعجاب، وشدّته، بحيث إنّ الناقد لشدّة إعجابه بالشعر الذي يسمعه، أو

بالشاعر نفسه لم يجد من أداة لتفضيل ذلك الشعر، أو الشاعر إلاّ بصيحة الإعجاب تلك، وجَعْله أشعر من غيره، ولعلّ فكرة التفضيل، والموازنة بين الشعراء ساعدت إلى مدى كبير على كثرة استخدام هذا الحكم، وانتشاره، وإلاّ فكيف نفسِّر أن يوصف شاعر ما بأنّه أشعر الجنّ، والإنس مثلاً، فإذا كان (الناقد)، أيّ ناقد، قادراً على الاطلاّع على شعر الشعراء كلّهم، وهو أمر متعذِّر مثلما ذكرنا سابقاً، فكيف يطّلع على شعر الجنّ، ليصبح شاعره أشعر من شعرائهم، ولعلّ ممّا يؤيّد ما نذهب إليه هو إنّ فكرة شياطين الشعراء التي سيأتي الحديث عنها قد تدخّلت في توجيه جوانب من هذه القضية، إذ إنّ شدّة الإعجاب، وقوّته قد دعتا هذا (الناقد) إلى أن يجعل من شاعر أشعر من الجنّ أنفسهم، أولئك الذين ينفثون الشعر على ألسنة الشعراء، وهم السبب في قوله، والشاعر بدونهم عاجز عن القول، مسلوب الإادة فيه، فإذا أضفنا إلى هذا ما ذكرناه سابقاً من ألوان التحديد التي رافقت ذلك الحكم، والتعليل الذي يُقرن به في بعض الأحيان، أدركنا أنّ هذا الحكم ما هو إلاّ تعبير عن الإعجاب، والإطراء، وليس فيه من صفات التعميم التي وُصِف بها سوى صيغة (أفعل) التي ذهبت إلى التفضيل، ولكنّه تفضيل الإعجاب المنفعل الذي لا يلتزم بقواعد صارمة.

العصر الجاهلي

(١)

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال قال أبو غُزيَّة قال حسّان بن ثابت: قدم النابغةُ المدينة فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشد يقول:

عفـرتْ منازلاً بعُريتنـاتِ فأعلى الجِزْعِ للحيِّ المُبِنِّ(١)

نقلت: هلك الشيخ ورأيتُه قد تبع قافيةً مُنْكرة. قال: ويقال: إنّه قالها في موضعه، فما زال يُنْشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجلٌ يُنْشد؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده: أتعرف رسْماً كاطّراد المذاهب

حتى فرغ منها؛ فقال: أنت أشعرُ الناس يابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، وإنّي في ذلك لأجد القوّة في نفسي عليهما، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه؛ فقال: أنشدْ فوالله إنّك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته؛ فقال أنت أشعر الناس، قال الحسن بن موسى: وقالت الأوْس: لم يزِدْ قيسُ بن الخطيم النابغة على: أتعرف رسما كاطّراد المذاهبِ ـ نصف البيت ـ حتى قال أنت أشعر الناس(٢). (٨/٣)

(٢)

... أنشدتِ الخنساءُ النابغةَ الذبياني قولها:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به كـأنّه علم في رأسـه نـارُ

فقال (لها): لولا أنَّ أبا بصير أنشدني آنفاً لقلتُ إنّك أشعر الجنِّ والإنسِ(٣) (٦/١١)

---

(١) المبنّ: المقيم. (٢) يُلاحظ أنَّ النابغة جعل من شاعرين في موضع واحد أشعر الناس.

(٣) يبرز هنا مقياس نراه غريباً، وهو ترتيب الإنشاد، فمَن ينشد أولاً فهو أشعر الناس، ومَنْ يأتي لاحقاً =

(٣)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصْر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيتُه: بينا نحن نسير بين أنْقاء(١) من الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكبُ أطيْلِس(٢) يقول: أشعرُ الناس زياد بن مُعاوية؛ ثم تملّس فلم نره. (٧/١١)

(٤)

.. وكان (النابغة الذبياني) يقول: وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة (وهو الإقواء)، فصدرتُ عنها وأنا أشعر الناس. (١١/١١)

(٥)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثنا هارون بن مسلم عن العمري عن الهيثم بن عدي عن حمادٍ الراوية قال: نظر النابغة الذبياني إلى لبيد بن ربيعة وهو صبيٌّ، مع أعمامه على باب النُّعمان بن المنذر، فسأل عنه فنُسب له، فقال له: يا غلام، إنَّ عينيكَ لعينا شاعرٍ، أفتقرض من الشُّعر شيئاً؟ قال: نعَمْ يا عمّ. قال: فأنشدني شيئاً ممّا قلته. فأنشده قوله: ألم تربعْ(٣) على الدِّمن الخوالي

فقال له: يا غلامُ، أنت أشعر بني عامر، زِدْني يا بنيّ، فأنشده: طللٌ لخولةَ بالرُّسيس قديمُ

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال: اذهبْ فأنت أشعرُ من قيس كلّها، أو قال هوازن كلّها. (٣٧٦/١٥)

(٦)

وأخبرني بهذا الخبر عمي قال: حدّثنا العمري عن لقيط عن أبيه، وحمادُ الراويةُ عن عبد الله بن قتادة المحاربيّ قال: كنتُ مع النابغة بباب النُّعمان بن المنذر، فقال لي النابغة: هل رأيتَ لبيد بن ربيعة فيمن حضر؟ قلت: نعم، قال: أيُّهم أشعر؟ قلت: الفتى الذي رأيتَ من حاله كيْتَ وكيت.

= نرى النابغة يتردّد في جعله أشعر الناس بسبب تنخره في الترتيب، وهذا أمر ينظر إلى الترتيب لا إلى الشعر، ومن هنا جاءت غرابته.

(١) الأنقاء: جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة.

(٢) أطيلس: تصغير أطلس، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد. (٣) ربع: وقف وانتظر.

فقال: اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا. قال: فجلسنا فلما خرج قال له النابغة: إليَّ يابن أخي. فأتاه فقال: أنشدني فأنشده قوله:

ألم تُلِمِمْ على الدِّمن الخوالي　　لسلْمى بالمذانبِ فالقُفَالِ(١)

فقال له النابغة: أنت أشعرُ بني عامر، زِدْني، فأنشده:

طللٌ لخولة بالرُّسيس قديمُ　　فبعاقلٍ فالأنعمين رسومُ(٢)

فقال له: أنتَ أشعر هوازن، زدني، فأنشده قوله:

عَفَتِ الديار محلها فمُقامها　　بمنىً تأبَّد غَوْلُها فرجامُها

فقال له النابغة: اذهبْ فأنت أشعر العرب. (١٥/٣٧٧)

(٧)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا يحيى بن سعيد قال: كانت إيادُ تفخر على العرب، تقول: منّا أجود الناس كعب بن مامة، ومنّا أشعر الناس أبو دواد، ومنا أنكح الناس ابن ألْغز. (١٦/٣٧٨)

(٨)

أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبيّ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن الحسن الأنصاريّ، قال: حدّثني الحسن بن موسى؛ مولى بني مازن بن النجار عن أبي عبيدة قال: أقبل النابغة الذبياني يريد سوقَ بني قَيْنقاعَ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أطُمه، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجَّة، وكانت سوقا عظيمة، فحاصتْ(٣) بالنابغة ناقته، فأنشأ يقول: كادت تُهال(٤) من الأصوات راحلتي

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق: أجز يا ربيع، فقال: والنَّفْرُ منها إذا ما أوجستْ خُلُقُ

فقال النابغة: ما رأيتُ كاليوم شعراً، ثم قال: لولا أنهنهها بالسَّوط لاجْتذبتْ

أجز يا ربيع، فقال: منّي الزمامَ وإنّي راكبٌ لبِقُ

فقال النابغة: قد ملَّتِ الحبْسَ في الآطام واستْعفَتْ

---

(١) المذانب والقفال: موضعان. (٢) الرَّسيس: وادٍ بنجد لبني كاهل من بني أسد، وعاقل: وادٍ بنجد أسفله لبني أسد، والأنعمان: جبل ببطن عاقل.

(٣) حاصت ناقته: نفرت، وحادت. (٤) تُهال: يعتريها الهول.

أجِز يا ربيع، فقال: إلى مناهلها لو أنها طُلُقُ

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر الناس. (١٢٨/٢٢)

العصر الإسلامي

(١)

قال حمّاد: قال أبي: وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال: لقيت الحطيئة بذات عرق(١) فقلت له: يا أبا مُليكة، من أشعر الناس؟ فأخرج لسانه كأنه لسانُ الحية ثم قال: هذا ذا طمع. (٢/١٧٠)

(٢)

... ثم قال ابن عباس: يا أبا مُليكة، من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين؛ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يفرْهُ ومن لايتّقِ الشتم يُشْتمِ

وما بدونه الذي يقول:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لاتلُمُّه على شَعَثٍ، أيُّ الرجال المهذّبُ

ولكنَّ الضراعة أفسدتْه(٢) كما أفسدتْ جرْولاً - يعني نفسه - والله يابن عمّ رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعرَ الماضين، فأما الباقون فلا تشكُّ أنّي أشعرهم وأصْرَدُهم(٣) سهماً إذا رميتُ. (٢/١٩٣)

(٣)

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتي كلُّ فريق من الرواة ببعضها، وقد جمعتُ ما وقع إليّ منها في موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها. أخبرني بها محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال حدّثنا عُيينة بن المِنْهال عن الأصمعيّ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز

---

(١) ذات عرق: هو الحدّ بين تهامة، ونجد. (٢) يعني أفسدت النابغة الذبياني. (٣) أصردهم: أنفذهم.

الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتيبة، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبديّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إبي عمرة) عن أبيه، وأخبرني الحُسين بن يحيي عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدة قالوا:

لما حضرتِ الحطيئةَ الوفاة اجتمع إليه قومُه فقالوا: يا أبا مُليكة: أوصِ فقال: ويلٌ للشِّعْر من راوية السوء! قالوا: أوصِ رحمك الله يا حُطيء! قال: من الذي يقول:

إذا أنْبض الرامون عنها ترنّمتْ ترنُّم ثَكْلى أوجعتْها الجنائزُ؟(١)

قالوا: الشمّاخ: قال: أبلغوا غطفان أنه أشعرُ العرب! قالوا: ويحك! أهذه وصيّةٌ! أوْصِ بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل ضابئ أنه شاعرٌ حيث يقول:

لكلُّ جديدٍ لذّةٌ غير أنني رأيتُ جديدَ الموتِ غير لذيذ

قالوا: أوص ويحك بما ينفعك! قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول:

فيا لك من ليْلٍ كأنّ نجومَه بكلّ مُغارِ الفتْل شُدّتْ بيذْبُلِ

قالوا: اتّق الله ودعْ عنك هذا! قال: أبلغوا الأنصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول:

يُغْشوْنَ حتّى ما تهرُّ كلابُهم لا يسْألون عن السّوادِ المقبل

قالوا: هذا لا يُغني عنك شيئاً، فقل غير ما أنتَ فيه! فقال:

الشِّعْرُ صعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلَمُهْ
زلّتْ به إلى الحضيض قدمُهْ يريدُ أن يعربه فيُعْجِمُه

قالوا: هذا مثْلُ الذي كنتَ فيه! فقال:

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخصْمِ ألدّ(٢)
فوردَتْ نفسي وما كادت تردْ

قالوا: يا أبا مُليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيِّد يُمدح به مَن ليس له أهلاً. قالوا: فمنْ أشعرُ الناس؟ فأومأ بيده إلى فيه وقال: هذا الحُجير إذا طمِعَ في خير (يعني فمه) واستعبر باكياً! فقالوا له: قل لا إله إلا الله! فقال:

---

(١) أنبض القوس وأنضبها: جذب وترها لتصوّت. (٢) الغرب: الحدّ، ومنه غرب السيف: حدُّه.

قالتْ وفيها حيْدةٌ وذُعْرُ   عوذٌ بربِّي مِنْكُمُ وحُجْرُ(١)

(٤)

وقال ابن سلاّم: قال أبو عمرو بن العلاء: سُئل حسّان بن ثابت: منْ أشعر الناس؟ قال: أحياً أم رجلاً؟ قالوا: حياً؛ قال: اشعرُ الناس حياً هُذيل، وأشعر هذيل غير مُدافع أبو ذُؤيب. قال ابن سلاّم: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله. (٢٦٤/٦)

(٥)

أخبرني عمِّي قال حدّثنا ابن أبي سعْد قال حدّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين. أن حساناً سُئل: من أشعرُ الناس؟ فقال: أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة، قال: الزُّرْق من بني قيْس بن ثعْلبة، وهذا حديث يروى أيضاً عن غير حسان. (١٠٨/٩)

(٦)

وقد قال الحُطيئة في وصيّته: أبْلِغوا الشمَّاخَ أنه أشعر غطفان، قد كُتب ذلك في شعر الحطيئة. (١٦٠/٩)

(٧)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصْر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو نُعيْم قال حدّثنا شريكٌ عن مُجاهد عن الشعْبيّ عن رِبعيّ بن حراش قال: قال عمر: يامعشر غطفان، من الذي يقول:

أتيتُك عارياً خلَقاً ثيابي   على خوفٍ تُظنُّ بي الظُّنونُ

قلنا: النابغة. قال: ذاك أشعرُ شعرائكم. (٣/١١)

(٨)

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عُبيد بن جنّاد قال حدّثنا معنْ بن عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الرحمن السُلَميّ عن جدّه عن الشعْبيّ قال: قال عمر: مَنْ أشعرُ الناس؟ قالوا: أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين قال: من الذي يقول:

---

(١) حيدة: من حاد عن الشيء إذا صدّ عنه أو نفر خوفاً منه، وحُجْر: دَفْع ومنع.

إلاَّ سليمان إذ قال الإله لـه قُمْ في البريَّة فاحْدُدْها عن الفَنَدِ[1]
وخيِّرِ الجنَّ أنِّي قد أذنتُ لهم يبنون تدمُرَ بالصُّفَّاح والعمدِ

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على خوفٍ تُظنُّ بي الظنونُ

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنِّي خيانةً لَمُبْلِغُك الواشي أغشُّ وأكْذبُ
ولستَ بمُسْتبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ على شعثٍ أيَّ الرجالِ المهذَّبُ

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب. (٤/١١)

(٩)

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثني عليّ بن محمد عن المدائنيّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُباب عن أبي المؤمّل قال: قام رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: أيُّ الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخْبره يا أبا الأسود الدُّؤليّ؛ قال الذي يقول: (وهو النابغة الذبياني)

فإنَّك كالليلِ الذي هو مُدْركي وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنك واسعُ (٥/١١)

(١٠)

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد قال: قال مرَّ لبيدٌ بالكوفة على مجلس بني نهد وهو يتوكأ على محجنٍ له فبعثوا إليه رسولا يسأله عن أشعر العرب، فسأله فقال: الملك الضِّلِّيل ذو القُروح، فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا امرؤ القيس. ثم رجع إليه فسأله: ثم من؟ فقال له: الغلامُ المقتول من بني بكر. فرجع فأخبرهم فقالوا: هذا طرفة، ثم رجع فسأله ثم من؟ فقال: ثم صاحب المحجن، يعني نفسه. (٣٦٨/١٥)

(١١)

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدّثنا يعقوب الثقفيّ، وابن عيّاش ومسعر بن كدام،

(١) احددها: امنعها، والفند: الخطأ.

كلُّهم عن عبد الملك بن عُمير قال: أخبرني منْ أرسله القراء الأشراف - قال الهيثم: فقلت لابن عياش: مَن القرّاء الأشراف؟ قال: سُليمان بن صُرد الخُزاعيّ، والمسيَّب بن نجبة الفزاري، وخالد بن عُرفُطة الزُّهريّ، ومسروق بن الأجْدع الهمْداني، وهانئ بن عروة المُرادي - إلى لبيد بن ربيعة وهو في المسجد، وفي يده محجن فقلت: يا أبا عقيل، إخوانك يقرونك السلام ويقولون: أيّ العربِ أشعر؟ قال: الملك الضِّلّيل ذو القروح. فردُّوني إليه وقالوا: ومنْ ذو القروح؟ قال: امرؤ القيس. فأعادوني إليه وقالوا: ثم منْ؟ قال: الغلام ابن ثمانِ عشرة سنة. فردُّوني إليه فقلت: ومَن هو؟ فقال: طرفة. فردُّوني إليه فقلت: ثم من؟ قال: صاحب المحجن حيث يقول:

إنْ تقوى ربِّنا خيرُ نفلْ ... وبإذن الله ريثي وعجلْ

أحمدُ اللهَ ولا ندَّ لهُ ... بيديه الخيرُ ما شاء فعلْ

من هداه سُبل الخيرِ اهتدى ... ناعمَ البالِ ومنْ شاءَ أضلْ

يعني نفسه. ثم قال: أستغفرُ الله. (٢٧١/١٥)

(١٢)

أخبرني عمي قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثنا عُيينة بن المنهال قال: حدّثنا شدّاد بن عبيد الله قال: حدّثني عبيد الله بن الحرّ العنزيّ القاضي، عن أبي عرادة قال: كان عليّ صلوات الله عليه يُفطر الناس في شهر رمضان، فإذا فرغ من العشاء تكلم، فأقلّ وأوجز، فأبلغ. فاختصم الناس ليلة حتى ارتفعت أصواتهم في أشعر الناس، فقال عليّ عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤلي: قل يا أبا الأسود. فقال أبو الأسود، وكان يتعصب لأبي دُواد الإياديّ: أشعرهم الذي يقول:

ولقد أغتدي يدافعُ رُكني ... أحْوذيٌّ ذو ميعة إضْريجُ(١)

مِخلط مِزْيل مكَرٌّ مفرّ ... مِنْفح مطرح سبوحٌ خَروج(٢)

سلْهبٌ شرْجبٌ كأنّ رماحا ... حملتْه وفي السَّراة دُموج(٣)

وكان لأبي الأسود رأي في أبي دُواد، فأقبل عليّ على الناس، فقال: كل شعرائكم محسن،

(١) الأحوذيّ: السريع، والميعة: النشاط والسرعة، والإضريج: السريع.

(٢) مخلط: حسَن الجري، يأتي منه بفنّ بعد فنّ، والمنفح: الذي يرمي بحده حوافره ويدفع، والمطرح: السريع، والخَروج: الذي يسبق الخيل، فيخرج من بينها.

(٣) السلهب والشرجب: الطويل، والسّراة: الظهر، والدموج: الإحكام.

ولو جمعهم زمان واحد، وغاية واحدة، ومذهب واحد في القول، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك(١)، وكلهم قد أصاب الذي أراد، وأحسن فيه، وإن يكن أحد فضلهم، فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجر، فإنه كان أصحهم بادرة، وأجودهم نادرة. (٣٧٦/١٦)

---

(١) يضع الإمام علي كرّم الله وجهه قيداً مهمّاً لهذا المصطلح، وهو الزمان، والغاية، والمذهب، فمن خلال = تقارب الشعراء في هذه الأمور يمكن الحكم بعد ذاك أيّهم أشعر. وبما أنّ الكثرة لا ينطبق عليها هذا، فمن الصعب تعميم للحكم على الجميع، وهي نظرة فاحصة مدقّقة، ولعلّ هذا ينفع في إجراء الموازنة بين شاعرين أو أكثر، فبقدر تحقّق هذه الشروط الثلاثة تكون الموازنة ناجحة، وتصبح على الضدّ منه حين تقلّ هذه الشروط، أو تنعدم. ويظلّ حكمه على امرئ القيس صحيحاً إذا وضعنا في الاعتبار زمن الإمام علي المتقدّم، وإجماع الآراء على تقديم امرئ القيس على الجاهليين في الأقل.

العصر الأموي

(١)

قال النصيب: .. سأل عبد العزيز بن مروان أيمنَ بنَ خريم عن شعره فقال: شعرُ أسودَ هو أشعر أهل جلدته. (١/٣٢٥ ويُنظر ١/٣٢٨)

(٢)

أخبرني الحرميّ قال حدثُنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الأزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فرْوة قال: قال عبد العزيز بن مروان لأيمن بن خُريم: كيف شعر النصيب؟ قال: هو أشعر أهل جلدته. (١/٣٣٠)

(٣)

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو العرّاف قال: مرُّ جريرٌ بنصيب وهو يُنْشد، فقال له: اذهبْ فانت أشعرُ أهل جلْدتك قال: وجلْدتِك يا أبا حَزْرة. (١/٣٣٨)

(٤)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران بن محمد عن المسْور بنِ عبد الملك قال: قال نُصيب لعبد الرحمن بن أزْهر: أنشدتُ الوليدَ بن عبد الملك، فقال لي: أنت أشعرُ أهل جِلْدتك، والله ما زاد عليها! فقال لي عبُد الرحمن: يا أبا مِحْجن، أفرضيتَ منه أنْ جعلكَ أشعر السُّودانِ فقطْ؟ فقال له: وددْتُ والله يابنَ أخي أنّه أعطاني أكثر من هذا، ولكنّه لم يفعلْ ولستُ بكاذبك. (١/٣٥٥)

(٥)

أخبرني الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن خلف: أنُّ نُصيبا أنشد

جريراً شيئاً من شعره فقال له: كيف ترى يا أبا حزْرة؟ فقال له: أنت أشعرُ أهلِ جلْدتك. (٣٥٥/١)

(٦)

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاقُ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني أسعدُ بن عبد الله المريّ عن إبراهيم بن سعيد بن بِشْر بن عبد الله بن عقيل الخارجيّ عن أبيه قال: والله إنّي لمعَ أبي عُبيدة بن عبد الله بن زمْعة في حواءٍ(١) له، إذ جاءه كُثيِّر فحيّاه، فاحتفى به، ودعا بالغداء فشرعْنا فيه وشرع معنا كثيِّر؛ وجاء رجلٌ فسلَّم فرددْنا عليه السلام واستدنْيناه، فإذا نُصيب في بزّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادماً من الشام، فأكبَّ على أبي عُبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء، فأكل مع القوم، فرفع كثيِّر يده وأقلع عن الطعام، وأقبل عليه أبو عبيدة والقومُ جميعاً يسألونه أن يأكل، فأبى فتركوه.

وأقبل كثيِّر على نُصيب فقال: والله يا أبا محْجن، إنَّ أثر أهلِ الشام عليك لجميل، لقد رجعتَ هذه الكرّةَ ظاهرَ الكبْر قليلَ الحياء. فقال له نُصيب: لكنَّ أثر الحجازِ عليك يا أبا صخْر غير جميل. (لقد رجعت) وإنك لزائدُ النقص، كثير الحماقة، فقال كثيِّر: أنا والله أشْعرُ العرب حيث أقول لموْلاتك:

إذا أمْسيتُ بطْنُ مَجاح دُوني ... وعمْقٌ دون عزَّةَ فالبقيعُ(٢)
فليس بلائمي أحدٌ يُصلِّي ... إذا أخذتْ مجاريَها الدموعُ

فقال له نُصيب: أنا والله أشعرُ منكَ حيث أقول لابنة عمِّك:

خليليَّ إنْ حلَّتْ كُليّةَ فالرُّبا ... فذا أمجٍ فالشِّعْبَ ذا الماء والحَمْض(٣)
فأصبحَ من حَوْران رحْلي بمنزلٍ ... يُبعِّده من دونها نازحُ الأرضِ(٤)
وأيْأستُما أنْ يجمعَ الدهرُ بيننا ... فخُوضا ليَ السمَّ المُصرَّحَ بالمحْض(٥)

---

(١) الحِواء: جماعة البيوت المتدانية. (٢) بطن مجاح: موضع من نواحي مكة، وعَمْق: وادٍ من أودية الطائف نزله رسول الله (ص) لمّا حاصر الطائف. (٣) كُلَيّة: وادٍ معروف، والرُّبا: موضع بين الأبواء والسقيا من طريق الجادّة بين مكة والمدينة، وذو أمج: بلد من أعراض المدينة، والشِّعب: اسم لجملة أماكن بين مكة والمدينة. (٤) حَوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع، وقصبتها بُصرى. (٥) خوضا: اخلطا، والمصرَّح: الذي انجلى عنه زبده فخلص.

ففي ذاك من بعض الأمور سلامةٌ وللمَـوْتُ خيرٌ مـن حياة على غمْضِ

قال: فاقْتحم(١) إليه كُثَيِّرٌ، وثبتَ له النُّصيب. فلما نالتْه رِجلاه رمحه نُصيبٌ بساقه رمْحةً طاح منها بعيداً عنه، فما زال راقداً حتى أيْقظْناه عشياً لرمْيِ الجمارِ. (٣٦٦/١)

(٧)

وقال ابنُ شبيبٍ وحدّثني هارونُ بن موسى قال: قلتُ لغرير بن طلحة المخزومي. مَن أشعرُ الناس ممن قال شعراً في منىً ومكة وعرفات؟ فقال: أصحابنا القرشيُّون، ولقد أحسن المجنونُ حيث يقول:

وداعٍ دعـا إذ نحن بالخَيْـف من منىً فـهـيَّج أحـزان الفـؤاد ومـا يـدري

دعـا باسـم ليلى غـيـرها فكأنمـا أطار بليلى طائراً كـان في صـدري

فقلت له: هل تروي للمجنون غير هذا؟ قال: نعم، وأنشدني له:

أمـا والذي أرْسى ثَبـيـراً مكانه عليـه السُّحـابُ فـوقـه يتنصَّبُ(٢)

وما سلكَ الموماةَ من كـل جسْـرةٍ طَليحٍ كجفن السّيف تهْوي فتَركبُ(٣)

لقـد عِشْـتُ مِنْ ليلى زمانا أحبُّها أخا الموت إذ بعضُ المحبين يكذبُ (٥٥/٢)

(٨)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن التَّوزَيّ عن أبي عُبيدة قال: بينا سعيد بن العاص يُعشّي الناس بالمدينة والناسُ يخرجون أولاً أوّلاً، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر، رثّ الهيئة، جالسٍ مع أصحاب سمره، فذهب الشُّرطُ يُقيمونه فأبى أن يقوم، وحانتْ من سعيدٍ التفاتةٌ فقال: دعُوا الرجل، فتركوه؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مليّاً؛ فقال لهم الحطيئةُ: والله ما أصبتم جيِّدَ الشعرِ ولا شاعرَ العرب؛ فقال له سعيد: أتعرفُ من ذلك شيئاً؟ قال: نعم؛ قال: فمن أشعرُ العرب؟ قال: الذي يقول:

لا أعُدُّ الإقتارَ عُدماً ولكن فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها؛ فقال له: مَنْ يقولها؟ قال: أبو دوادٍ الإياديُّ؛ قال: ثم مَنْ؟ قال:

---

(١) اقتحم إليه: تقدَّم إليه. (٢) يتنصَّب: يرتفع.

(٣) الموماة: الفلاة، وناقة جَسْرة: ماضية في سيرها، وناقة طليح: إذا جهدها السَّير وهزلها.

الذي يقول:

أفلِحْ بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالـ ... جهـل وقـد يُخـدَعُ الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها؛ قال: ومن يقولها؟ قال عبيد بن الأبرص؛ قال: ثم من؟ قال: والله لحسبُك بي عند رغبةٍ أورهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجليَّ على الأخرى. ثم عويت في أثر القوافي عُواء الفصيل الصَّادي؛ قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئةُ؛ قال: فرحَّبَ به سعيد، ثم قال: أسأتَ بكتمانِنا نفسك منذ الليلة؛ ووصله وكساه. ومضى لوجهه إلى عُتيبةَ بن النَّهَّاس العجْليِّ فسأله؛ فقال له: ما أنا على عملٍ فأعطيك من عدده، ولا في مالي فضل عن قومي؛ قال له: فلا عليك، وانصرف. فقال له بعض قومه: لقد عرَّضتنا ونفسك للشر! قال: وكيف! قالوا: هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء؛ فقال: ردّوه، فردُّوه إليه، فقال له: لمَ كتمتنا نفسك كأنك كنتَ تطلب العللَ علينا! اجلسْ فلك عندنا ما يسرّك؛ فجلس فقال له: منْ أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

ومنْ يجعلِ المعروفَ من دون عِرْضهِ ... يفرْهُ ومنْ لا يتّقِ الشَّتم يُشتمِ

فقال له عتيبةُ: إنْ هذا من مقدّمات أفاعيك؛ ثم قال لوكيله: اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئاً إلاّ اشتريته له؛ فجعل يعرضُ عليه الخزُّ ورقيق الثياب فلا يريدها ويومئ إلى الكرابيس(١) والأكسية الغلاظِ فيشتريها له حتى تقضى أربه ثم مضى؛ فلما جلس عتيبةُ في نادي قومه أقبل الحطيئةُ، فلما رآه عتيبة قال: هذا مقامُ العائذِ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرّك؛ قال: قد كنتُ قلتُ بيتين فاستمعْهما ثم أنشأ يقول:

سُئلتَ فلم تبخل ولم تُعْطِ طائلاً ... فسيَّانِ لاذمٌّ عليك ولا حمدُ

وأنتَ امرؤ لا الجودُ منكَ سجيَّةٌ ... فتُعْطي ولا يُعْدى على النائل الوُجْدُ(٢)

ثم ركض فرسه فذهب. (١٦٧/٢)

(٩)

قال حمّاد: وسمعت أبي يقول وقد أنشد قول الحطيئة:

وفتيانِ صدقٍ من عديٍّ عليهمُ ... صفائحُ بُصْرى عُلِّقتْ بالعواتقِ

إذا مادُعُوا لم يسألوا مَنْ دعاهمُ ... ولم يُمْسكوا فوق القلوب الخوافقِ

وصارُوا إلى الجُرْدِ العتاقِ فألجموا ... وشدُّوا على أوساطهم بالمناطقِ

---

(١) الكرابيس: جمع كرباس، وهو ثوب من القطن الأبيض، فارسيٌّ معرّب. (٢) الوُجْد: اليسار، والسعة.

أولئك أبناءُ الغريب وغاثةُ الصَّريخ ومـــــأوى المُـــرْمليـــــن الدَّرادقِ[1]

أحلُّوا حياض الموت فوق جباههم مكـانَ النَّواصي من وجوه السَّوابقِ

ويروى: «إذا اســـتُلْحمـــوا» .... وإذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم

ويروى: أولئك أبناء العزيف ـ ثم قال: أما إنّي ما أزعم أنّ أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة.
(١٦٩/٢)

(١٠)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجوسَق عن رجل من كعب قال: جئتُ سوق الظَّهْر فإذا بكُثَيِّر، وإذا الناسُ مُتقصِّفون[2] عليه، فتخلَّصْتُ حتى دنوْتُ منه فقلت: أبا صخْر. قال: ما تشاء؟ قلتُ: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول:

وأثرتُ إدلاجي على لَيْـلِ حُـرَّةٍ هضيم الحشا حُسَّانة المتجرِّدِ[3]

تُفـرِّق بالمـدْرى أثيثـاً نباتُـه على واضح الذِّفْرىَ أسيلِ المقلَّدِ[4]

قال: قلتُ: هذا الحطيئة؟ قال: هو ذاك. (٢٠٠/٢)

(١١)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال: قال يحيى بن محمد: قال الكُميتُ: أميَّة أشعرُ الناس، قال كما قُلْنا ولم نقُلْ كما قال[5]. (١٢٢/٤)

(١٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني عبد الله بن مُسلم بن جُندب الهُذليّ قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال: سمعتُ بالفرزدق وجرير على باب الحجّاج، فقلتُ: لو

---

(١) الدَّرادق: واحده وردق، وهم الصبيان الصغار. (٢) متقصِّفون: مزدحمون.

(٣) الحُسَّانة: الشديدة الحسن، والمتجرَّد: مصدر بمعنى التجرّد، ويراد به الجسم.

(٤) المِدْرى: أداة كالمشط، وأثيثاً نباته: شعر كثيف كثير، والذِّفرى: العظم الشاخص خلف الأذن، والأسيل: الطويل، والمقلَّد: العنق.

(٥) يلاحظ ظهور التعليل في جَعْلِ أمية الكميت اشعر الناس.

تعرّضتُ ابنَ أختنا! فامتطيتُ إليه بعيراً، حتى وجدتُهما قبل أن يخلُصا(١)، ولكلِّ واحدٍ منهما شيعةٌ؛ فكنتُ في شيعة الفرزدق؛ فقام الآذن يوماً فقال: أين جرير؟ فقال جرير: هذا أبو فراس؛ فأظهرتْ شيعتُه لوْمه وأسرتُه. فقال الآذن: أين الفرزدق؟ فقام فدخل. فقالوا لجرير: أتُناوئه وتُهاجيه وتُشاخصه، ثم تُبدِّي عليه فتأبى وتبديه؟! قضيتَ له على نفسك! فقال لهم: إنّه نزْرُ القول، ولم ينْشبْ(٢) أن ينفد ماعنده وما قال فيه فيُفاخره ويرفع نفسه عليه؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحْسِن. فقال قائلُهم: لقد نظرت نظراً بعيداً. قال: فما نشِبُوا أنْ خرج الآذنُ فصاح: أين جرير؟ فقام جرير فدخل. قال: فدخلتُ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد، وإذا هو يقول:

أينَ الذين بهمْ تُسامي دارماً ... أمْ مَنْ إلى سلفيْ طُهيَّةَ تجعلُ(٣)

قال: وعمامتُه على رأسه مثل المِنْسف، فصِحْتُ من ورائه:

هذا ابنُ يُوسُفَ فاعلَموا وتفهَّمُوا ... برِحَ الخفاءُ فليس حين تناجي

مَنْ سدَّ مُطَّلعَ النِّفاق عليكُمُ ... أمْ مَنْ يصُولُ كصولة الحجَّاج

أم مَنْ يغارُ على النِّساء حفيظةً ... إذ لا يثقْنَ بغيْرة الأزواج

قُلْ للجبانِ إذا تأخَّرَ سرْجُهُ ... هل أنتَ من شَرَكِ المنيَّةِ ناجي

قال: وما تشبيبها؟ وطرب: فقال جرير:

هاجَ الهوى بفؤادك المِلْجاج ... فاحبِسْ بتوضَحَ باكرَ الأحْداج(٤)

وأمرُها، أو قال: أحضاها. فقال: أعْطُوه كذا وكذا؛ فاستقللت ذلك. فقال الهُذليّ: وكان جريرٌ عربيّاً قرويّاً. فقال للحجاج: قد أمر لي الأمير بما لم يُفْهم عنه، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأمير؛ فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضعْفه، وأعطى الفرزدق أيضاً. قال الهُذليّ: نجعْتُ الفرزدقَ فأمر لي بستّين ديناراً وعبدٍ. ودخلتُ على رُواته فوجدتُهم يعدِّلون ما انحرف من شِعْره، فأخذتُ من شعره ما أردتُ. ثم قلتُ له: يا أبا فراس، منْ أشعرُ الناس؟ قال: أشعرُ الناس بعدي ابنُ المراغة. قلت: فمنْ أنْسبُ الناس؟ قال الذي يقول:

---

(١) يخلصا: يصلا. يقال: خلص فلان إلى كذا إذا وصل إليه. (٢) لم ينشب: لم يلبث.

(٣) دارم: اسم قبيلة، وطهيّة: بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد، فولدت له أبا سود، وعوفاً، وجشيشاً، فغلبت على بنيها فنُسبوا إليها.

(٤) الملجاج: اللجوج، وتوضح: موضع معروف في بلاد بني يربوع، والأحداج: جمع حدج وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفّة، يريد: هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك، فارم بطرفك نحو توضح.

لـي ليلتـان فليـلـةٌ مغـســولـةٌ ألقى الحبيب بها بنجْم الأسْعُدِ
ومُريحــةٌ همِّـــي عليَّ كـأنَّني حتَّى الصُّبـاح مُعلَّقٌ بالفرْقـدِ(١)

قلتُ: ذاك الأحوص. قال: ذاك هو. قال الهذليّ: ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلُّ عنده ما أعطاني صاحبي أستخْرجُ به منه؛ فقال: كم أعطاك ابنُ أخْتك؟ فأخبرته. فقال: ولك مثله؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً، قال: وجئتُ رُواته وهم يُقوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد، فأخذتُ منه ما أردت، ثم قلتُ: يا أبا حَزْرَة، منْ أنسبُ الناس؟ قال الذي يقول:

ياليتَ شـعْري عـمَّنْ كلفتُ بـه من خـثْعمٍ إذ نـأيْتُ مـاصنعُوا
قـومٌ يـحُلُّـون بالسَّـدير وبالـ ـحيرة منهمْ مرأى ومُسْـتمَعُ(٢)
أنْ شـطَّتِ الدارُ عـن ديارهـمْ أأمسكوا بالوصال أم قطعوا
بل همْ على خيْرِ مـا عهدْتُ وما ذلك إلاَّ التأميـلُ والطَّمـعُ

قلت: ومنْ هو؟ قال: الأحوص. فاجتمعا على أنَّ الأحوص أنسبُ الناس. (٢٥٦/٤)

(١٣)

حدَّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسد قال حدَّثنا العمريّ عن الكلبيّ عن أبي مسكين، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن الهيثم بن فراس حدَّثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين: أنَّ قوماً مرّوا براهب، فقالوا له: يا راهب، منْ أشعرُ الناس؟ قال: مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي، فنظر في رقّ له عتيق ثم قال: وهْبٌ من وهْبين، من جُمح أو جُمحين(٣). (١١٥/٧)

(١٤)

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أبو يعقوب الثَّقفيّ عن الشعبيّ: أنَّ الفرزدق خرج حاجّاً؛ فلما قضى حَجَّه عدل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلَّم. فقالت له: يا فرزدق، منْ أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! أشعرُ منك الذي يقول:

---

(١) مريحة: من أراح الإبل إذا ردَّها إلى المراح من العشيّ، والمراد أنَّها تسوق إليه همَّه.
(٢) السَّدير: نهر بالحيرة، وقيل: السَّدير: قصر في الحيرة من منازل آل المنذر.
(٣) يشير الراهب إلى أبي دَهْبل وهو وَهْب بن زمعة بن أسُيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب.

بنفسي منْ تجنُّبه عزيزٌ   عليٌ ومنْ زيارتُه لمامُ
ومَنْ أمسي وأصبح لا أراه   ويطْرُقُني إذا هجع النِّيام

فقال: والله لو أذنتِ لي لأسمعتُك أحسن منه. قالت: أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق، منْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا قالت: كذبت! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول:

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ   ولَزُرْتُ قبرك والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجر الضَّجيعُ فراشها   كُتِمَ الحديثُ وعفَّت الأسرار
لا يلْبثُ القُرناءُ أنْ يتفرَقوا   ليلٌ يكُرّ عليهمُ ونهارُ

فقال: والله لئن أذنتِ لي لأسمعنَّك أحسن منه، فأمرتْ به فأخرِج، ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحولْها مولَّدات لها كأنهنَّ التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنَ فأعْجب بها وبُهت ينظر إليها، فقالت له سُكينة: يا فرزدق، منْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول:

إنَّ العيونَ التي في طرْفها مرضٌ   قتلْننا ثم لم يُحْيين قتْلانا
يصْرعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ به   وهنَّ أضعفُ خلْق الله أركانا
أتْبعتُهم مُقلةً إنسانُها غرقٌ   هل ما ترى تاركٌ للعين إنسانا

فقال: والله لئن تركتني لأسمعنَّك أحسنَ منه؛ فأمرت بإخراجه. (٣٨/٨)

(١٥)

قال إسحاق وقال الأصمعيَ حدثَني بلال بن جرير ـ أو حُدِّثتُ عنه ـ : أنَّ رجلاً قال لجرير: مَن أشعرُ الناس؟ قال له: قمْ حتى أعرِّفك الجواب؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيَّة وقد أخذ عنْزا له فاعتقلها وجعل يمصُّ ضرْعها، فصاح به: اخرجْ يا أبتِ؛ فخرج شيخٌ دميمٌ رثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العنْز على لحيته؛ فقال: ألا ترى هذا؟ قال نعم. قال: أو تعرِفه؟ قال لا. قال: هذا أبي، أفتدْري لِم كان يشرب من ضرْع العنْز؟ قلت لا. مخافة أن يُسمع صوتُ الحلْب فيُطلب منه لبن. ثم قال: أشعرُ الناس مَنْ فاخر بمثل هذا الأبِ ثمانين شاعراً وقارعهم به فغلبهم جميعاً. (٤٩/٨)

(١٦)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عُمارة بن عُقيل يحدّث عن أبيه عن جدّه قال: قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: منْ أشعر الناس؟ قال: فقال: ابن العشرين(١). (٨/٥٢)

(١٧)

أخبرنا عمّي قال حدّثنا الكُراني قال حدّثنا العُمريّ عن عطاء بن مُصعب قال: قلت لأبي مهْديّ الباهليّ وكان من علماء العرب: أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدقُ؟ فغضب ثم قال: جريرٌ أشعرُ العرب كلِّها! ثم قال: لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكم بينهم. (٨/٧٣)

(١٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْور بن عبد الملك عن نُصيب مولى عبد العزيز مرْوان قال: قدمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد بن أبي سنان الأسْلميّ، فوجدتُه بشعْب سلْع(٢) مع عبد الرحمن بن حسّان وعبد الرحمن بن أزْهر. فإنّا لجلُوسٌ إذ طلع علينا رجلٌ طويلٌ بين المنكبين طُوالٌ يقود راحلة عليها بزّةٌ حسنة. فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أزهر: يا أبا جُبيْر هذا جميلٌ، فادعُه لعلّه أن يُنشدنا. فصاح به عبد الرحمن: هيا جميلُ هيا جميل! فالتفت فقال: منْ هذا؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن أزهر. فقال: قد علمتُ أنه لا يجترئ عليّ إلاّ مثلُك. فأتاه فقال له أنشدنا، فأنشدهم:

نحنُ منَعنا يومَ أوْلٍ نساءَنا ... ويومَ أفيٍّ والأسنّةُ ترعُفُ(٣)

ويومَ ركايا ذي الجُذاةِ ووقعةٍ ... ببنْيانَ كانت بعضَ ما قد تسلّفُوا(٤)

يُحبُّ الغواني البيضُ ظلَّ لوائنا ... إذا ما أتانا الصارخُ المتلهِّفُ

---

(١) ابن العشرين: هو طرفة بن العبد، الشاعر المعروف، قُتل وهو ابن عشرين سنة فيُقال له ابن العشرين.

(٢) سلْع: موضع بقرب المدينة.

(٣) أوْل: وادٍ بين الفيل وأكمة على طريق اليمامة إلى مكة، وأفيّ: موضع وترعف: تسيل دماً.

(٤) ركايا: جمع ركية، وهي البئر ذات الماء، وذو الجذاة: موضع وبنيان: موضع.

نســـيـر أمـامَ الناس والناسُ خلْفنـا ... فـإن نحن أوْمـأنا إلى الناس وقّفـوا

فـأيُّ مـعـدٌ كـان فـيء رمـاحـه ... كـمـا قـد أفـأنا والمُفـاخـرُ يُنْصفُ

وكنّا إذا مـا مـعْشـرٌ نصـبُوا لنا ... ومـرّتْ جـواري طيْرهم وتعـيّفـوا

وضـعْنا لهم صـاعَ القِصـاص رهينةً ... بما سـوف نُوفـيـهـا إذا الناسُ طفّفُوا

إذا اسـتـبقَ الأقـوامُ مـجداً وجـدتنا ... لنـا مِغْرفـا مـجْـدٍ وللناس مِغْـرَفُ

قال: ثم قال له: أنشدْنا هزجا. قال: وما الهزج؟ لعلّه هذا القصير؟ قال نعم، فأنشده ـ قال الزُّبير: لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين، وأنشدنا باقيها بُهْلول بن سليمان بن قرْضاب البلويّ:

رسْـمِ دارٍ وقفْتُ في طلله ... كدتُ أقضي الغداة من جلله(١)

موحشاً ما ترى به أحداً تنْ ... ـسـجُ الريـحُ تُربَ مُعْتدلـه

وصـريعـاً من الثُّمـامِ ترى ... عـارمـاتِ المدبِّ في أسلِه(٢)

بيـن عليـاءِ وابشٍ فـبُلَـيٍّ ... فـالغـمـيم الذي إلى جبله(٣)

واقفاً في ديار أمِّ جُسـيرٍ ... من ضُحى يومه إلى أُصُله(٤)

يا خليلـيَّ إن أمَّ جُسـيْرٍ ... حـ ين يدنو الضجيعُ من غلله(٥)

روضـةٌ ذاتُ حنْوةٍ وخُزامى ... جاد فيها الربيعُ من سَبله(٦)

بينمـا هـنّ بالأراكِ مـعـاً ... إذ بدا راكـبٌ على جـملـه

فـتـأطّرْنَ ثم قلـن لهـا ... أكْرمـيـه حُيّيتِ في نُزُله(٧)

فظللنـا بنعـمـةٍ واتّكأنـا ... وشـربنا الحـلالَ من قُلله(٨)

قد أصون الحديث دون خليلٍ ... لا أخـاف الأذاة مـن قـبلـه

---

(١) رسم دار: أي رُبَّ رسم دار، ومن جلله: من أجله، أو من عظمه في عيني.

(٢) والثُمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، والعارمات: القويّة الشديدة، والمَدب: مجرى السّيل، والأسل: نبات له أغصان كثيرة، واحده أسلة.

(٣) وابش: واد أو جبل بين وادي القرى والشام، وبلَيّ: تلّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق. والغميم: موضع بالحجاز. (٤) أمّ جُسير: أخت بثينة صاحبة جميل. (٥) الغلل: داء، أو هو الماء بين الأشجار.

(٦) الحنوة: نبات سهليّ طيب الريح، والسَّبَل: المطر. (٧) التأطُّر: التثنّي، والنُزُل: ما يُهيّأ لضيف أن ينزل عليه. (٨) اتّكأنا: معناه طعمنا و أكلنا.

وخليلٍ صاقبتُ مُرْتضياً   وخليلٍ فارقتُ من مللِه(١)

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولياً. فقال ابن الأزهر: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حسّان: نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نسيبه. فقال عبد الرحمن بن الأزهر: صدقت. قال نُصيب: وأنشدتُ الوليد فقال لي: أنت أشعرُ أهل جِلْدتك، والله ما زاد عليها. فقُلْت: يا أبا محجن، أفرضيتَ منه بأن تكون أشعرَ السُّودان؟ قال: وددْتُ والله يابن أخي أنّه أعطاني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل، ولستُ بكاذبك. (٩٢/٨)

(١٩)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن أبي عبيدة عن أبيه قال: دخل علينا كُثيِّر يوماً وقد أخذ بطرف رِيْطته وألقى طرفها الآخر وهو يقول: هو والله أشعرُ الناس حيث يقول:

وخبَّرْتُماني أنَّ تيْماءَ منزلٌ   لليلى إذا ما الصَّيْفُ ألقى المراسيا
فهذي شهورُ الصيف عنّي قد انقضتْ   فما للنَّوى ترمي بليلى المراميا

ويُجرُّ رِيْطته حتى يبلُغ إلينا، ثم يولّي عنّا ويجرُّها ويقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

وأنتِ التي إن شئتِ كدَّرْتِ عيشتي   وإن شئتِ بعد الله أنْعمتِ باليا
وأنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عداً   يرى نِضْوَ ما أبْقيتِ إلاّ رثى ليا

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: منْ تعْني يا أبا صخْر؟ فقال: ومنْ أعني سوى جميل! هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا!. (١٢٥/٨)

(٢٠)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن معْن الغفاري عن الأصْبغ بن عبد العزيز قال: كنت عند طلْحة بن عبد الله بن عوْف؛ فدخل عليه كُثيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ برجْله فثناها ثم حجل حتى بلغ الفراش وهو يقول: جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول: «وخبَّرْتُماني أنَّ تيْماءَ منزلٌ» ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن مزْيد. (١٢٦/٨)

---

(١) صاقبت: قاربت.

(٢١)

وقال عمارة بن عُقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي: سمعتُ أبي يقول: دخل جدّي على بعض ملوك بني أميّة؛ فقال: ألا تخبرني عن الشعراء؟ قال: بلى. قال: منْ أشعر الناس؟ قال: ابن العشرين (يعني طرفة). (١٩٩/٨)

(٢٢)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال الأخطَل: أشعرُ الناس قبيلةً بنو قيْس بن ثعْلبة، وأشعرُ الناس بيتاً آلُ أبي سلْمى[١] وأشعر الناس رجل في قميصي. (٢٨٧/٨)

(٢٣)

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد قال حدّثني الخرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد ـ هكذا قال؛ وأظنه عليّ بن مجاهد ـ قال: قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابنُ المراغة أنّه يبلغُ مدْحتك في ثلاثة أيّام وقد أقمتُ في مدحتك: (خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكَروا) سنةً فما بلغتُ كلَّ ما أردتُ. فقال عبد الملك: فأسْمعناها يا أخطلُ؛ فأنشده إيّاها؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها؛ ثم قال: ويْحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. وأمر له بجفْنةٍ كانت بين يديه فملئتْ دراهم وألقى عليه خلعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب. (٢٨٧/٨)

(٢٤)

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو دقاقة الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال: رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك؛ فلما انحدر دنوتُ منه فقلت: يا أبا مالك، مَنْ أشعرُ العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم، فقلتُ: فأين أنت منهما؟ قال: أنا واللاّتِ أشعرُ منهما. قال: فحلف باللاّتِ هُزْؤا واستخفافا بدينه. (٢٨٨/٨)

---

(١) يعني بيت زهير بن أبي سلمى الشاعر المعروف.

(٢٥)

وقال هارون بن الزيَّات حدّثني ابن النَّطّاح عن أبي عمرو الشّيبانيّ عن رجل من كلْب يقال له مهوش عن أبيه: أنَّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس؛ قال: الذي كان إذا مدح رفع، وإذا هجا وضع. قال: ومنْ هو؟ قال: الأعشى. قال: ثم منْ؟ قال: ابن العشرين (يعني طرفة). قال: ثم من؟ قال: أنا. (٢٩٣/٨)

(٢٦)

وقال يعقوب بن السّكيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمرو بن عبد الله عن داود بن المساور قال: دخلت إلى الأخطل فسلّمت عليه... وقلت: منْ أشعر الناس؟ قال: الأعشى قلت: ثم منْ؟ قال: ثمَّ أنا. (٣٠٣/٨)

(٢٧)

هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخْلد بن سُبيعْ بن سعد بن مُليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وأمه جُمُعة بنت الأشيْم بن خالد بن عُبيد بن مُبشِّر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جاشمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جدِّه أبي أمّه أبا جُمعة؛ ولذلك قيل له ابن أبي جُمُعة. وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له. (٤/٩)

(٢٨)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لكثيِّر: مَنْ أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر؟ قال: منْ يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أمَا إنّك لمنهم. (٢٣/٩)

(٢٩)

أخبرنا الحرمي قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن مُصعْب قال حدّثني الواقديّ قال حدّثني خالد بن القاسم البياضيّ قال: مات عكْرمةُ مولى ابن عباس وكثيِّر بن عبد الرحمن الخزاعيّ صاحبُ عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتُهما جميعاً صلِّي عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعرُ

الناس. (٩/٣٧)

(٣٠)

وقال ابن أبي سعد الورّاق حدّثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغاني قال حدّثنا يحيى بن غيلان قال حدّثني المُفضَّل بنُ فضالة عن يزيد بن عُروة قال: مات عكرمة وكثيِّر عزّة في يوم واحد، فأخرجتْ جنازتاهما، فما علمتُ تخلّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازتيهما. قال: وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلم الناس. (٩/٣٧)

(٣١)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا بن مهرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم بن عديّ أن حماداً الراوية سُئل عن أشعر العرب، قال الذي يقول(١):

نازعتُهم قُضُبَ الرّيحانِ متّكئاً وقهوةً مُزّةً راووقُها خَضِلُ (٩/١١٢)

(٣٢)

قال أنصاريّ للفرزدق: بلغني أنّك تزعم أنّك أشعر العرب وتزعم مضر ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسّان شعراً فأردتُ أن أعرضه عليك وأؤجّلك سنة؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنت كذّاب مُنْتحل. (٩/٣٣٨)

(٣٣)

قال ابن سلاّم وأخبرني أبو قَيْس العنبريّ - ولم أر بدوياً يفي به - عن عكرمة بن جرير قال: قلتُ لأبي: يا أبت مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أعن الجاهليّة تسألني أم عن الإسلام؟ قلت: ما أردتُ إلاّ الإسلام، فإذا ذكرتَ الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زُهيْرٌ أشعرُ أهلها. قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبْعةُ الشعر قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد مدْحَ الملوك ويُصيب وصْفَ الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: نحرْتُ الشعرَ نحْراً. (١٠/٢٨٩)

(٣٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد المدائنيّ عن عيسى بن يزيد قال:

---

(١) هو الأعشى.

سأل معاويةُ الأحنف بن قيْسٍ عن أشعر الشعراء، فقال: زُهير. قال: وكيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فما يكُ من خيرٍ أتوْه فإنّما ... توارثَه آباءُ آبائهم قَبْلُ

(١٠/٢٩٠)

(٣٥)

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عمرو بن المُنْتشر المراديّ: وفدْنا على عبد الملك بن مروان فد خلنا عليه، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه. فقال له عبد الملك: ما كنتَ حريّاً أن تفعل ولا تعتذر، ثم أقبل على أهل الشام فقال: أيُكم يروي من اعتذار النابغة إلى النُّعمان:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ

فلم يجد فيهم من يرويه؛ فأقبل عليه فقال: أتَرْويه؟ قلت نعم! فأنشدتُه القصيدة كلّها؛ فقال: هذا أشعر العرب.

(١١/٧)

(٣٦)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا هارون بن عبد الله الزُّبيريّ قال حدّثنا شيخ يُكْنى أبا داود عن الشعبيّ قال: دخلت على عبد الملك بن مرْوان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه. فقلتُ حين دخلت: عامرُ بن شراحيل الشُّعْبيّ. فقال: على علمٍ ما أذنّا لك. فقلت في نفسي: خذ واحدةً على وافد أهل العراق. فسأل عبد الملك الأخطل: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. فقلت لعبد الملك: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسّم وقال: هذا الأخطل فقلت في نفسي: خُذْها ثنْتين على وافد أهل العراق، فقلت: أشعرُ منك الذي يقول:

هـذا غلامٌ حسـن وجهـه ... مُستقبلُ الخيرِ سريع التّمامْ

للحارثِ الأكبرِ والحارث الـ ... ـأصغرِ والأعرج خير الأنامْ

خمسـةُ آباءٍ وهُـمْ ما هُـمُ ... همْ خير من يشرب ماء الغمامْ

- والشعر للنابغة - فقال الأخطل: إنّ أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهليّة لكنتُ حريّاً أن أقول كما قلتَ أو شبيهاً به. فقلت في نفسي: خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق. (يعني أنه أخطأ ثلاث مرات).

(١١/٢٠)

(٣٧)

قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدّثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال: كتبَ عبدُ الملك

إلى الحجّاج: إنّه ليس شيءٌ من لذّة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه، ولم يكن عندي شيء ألذُّه إلا مناقلة الإخوان للحديث. وقِبَلك عامرُ الشَّعْبِيّ، فابعث به إليّ يحدّثني. فدعا الحجاجُ الشعبيَّ فجهزه، وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في كتابه. فخرج الشعبيّ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذِنْ لي. قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا عامر الشعبيّ. قال: حيّاك الله! ثم نهض فأجلسني على كرسيه. فلم يلبث أن خرج إليّ فقال: ادخُل يرحمك الله. فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللّحية على كرسيّ. فسلّمتُ فردّ عليّ السلام، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: ويْحك! مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال الشعبيّ: فأظلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبر أن قلتُ: ومنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟! - قال: فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي - قال: هذا الأخطل، فقلت: يا أخطل! أشعرُ واللهِ منك الذي يقول:

هـذا غـلامٌ حسـنٌ وجهُـه ... مستقبل الخير سريع التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ ... أصغر والأعرج خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد ... أسرع في الخيرات منه إمامْ
خمسة آباءٍ وهُمْ ما هُمُ ... هُمْ خيرُ من يشرب صوب الغمامْ

فردّدتها حتى حفظها عبد الملك، فقال الأخطل: منْ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبيّ. قال فقال: صدق والله يا أمير المؤمنين، النابغةُ واللهِ أشعرُ منّي. فقال الشعبيّ: ثم أقبل عليّ فقال: كيف أنت يا شعبيّ؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به. ثم ذهبتُ لأضعَ معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فقال: مهْ! إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منّا في قولٍ ولا فعل حتى تُفارقنا. ثم أقبل عليّ فقال: ما تقول في النابغة؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضّله عمرُ بن الخطّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفدُ غطفان فقال: يا معشر غطفان، أيُّ شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عنّي خيانةً ... لَمُبلغُكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمُستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شعَثٍ أيُّ الرجالِ المهذّبُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فأيُّكم الذي يقول:

فإنكَ كالليلِ الذي هو مُدْركي ... وإن خلتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ

خطاطيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينةٍ ... تمُدُّ بها أيدٍ إليك نوازعُ

قالوا: النابغةُ. قال: فأيُّكم الذي يقول:

إلى ابن مُحرِّقٍ أعملتُ نفسي ... وراحلتي وقد هَدَتِ العيونُ

أتيتُك عارياً خلَقاً ثيابي ... على خوفٍ تُظنُّ بيَ الظُّنونُ

فألفيتُ الأمانةَ لم تخُنها ... كذلك كان نُوحٌ لا يخونُ

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال: ثم أقبل على الأخطل فقال: أتُحبُّ أنَّ لك قياضاً بشعرك شعر أحدٍ من العرب أو تحبّ أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلاَّ أنّي وددتُ أنْ كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا، كان والله ما علمتُ مُغْدفَ القناع(١) قليل السمّاع قصير الذّراع. قال: وما قال: فأنشد قصيدته:

إنّا محيُّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطَّللُ ... وإن بليتَ وإن طالت بك الطِّيَلُ

ليس الجديدُ به تبقى بشاشتُه ... إلا قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يصلُ

والعيشُ لا عيشَ إلاَّ ما تقرُّ به ... عينٌ ولا حالَ إلاَّ سوف تنتقل

إن ترْجعي من أبي عثمان مُنْجحة ... فقد يهون على المُسْتنجح العمل

والناسُ من يلْقَ خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأمِّ المخطئ الهَبلُ

قد يُدْرك المُتأنّي بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

حتى أتى على آخرها، قال الشعبيّ: فقلت: قد قال القطاميّ أفضل من هذا قال: وما قال؟ قلت قال:

طرقتْ جَنوبُ رحالنا من مَطْرَقِ ... ما كنت أحسبها قريبَ المُعْنَقِ(٢)

قطعتْ إليك بمثل جيدِ جدايةٍ ... حسنٍ مُعلَّقُ تُومَتَيْه مطوَّقِ(٣)

ومُصرَّعين من الكلال كأنما ... شربوا الغَبوقَ من الرَّحيقِ المُعْرَقِ(٤)

---

(١) إغداف القناع: إرساله على الوجه. (٢) المعنق: المكان الذي أعنقت منه، يقول:لم أظنّ أنها تقدر على أن تعنق، وتسرع من هذا المكان، والعَنَق: ضرب من السير سريع.

(٣) الجداية: الغزال، والتومة: اللؤلؤة، والقُرط فيه حبَّة كبيرة.

(٤) الكَلال: الإعياء والتعب، والغبوق: ما يُشرب بالعشيّ، والرحيق: من أسماء الخمر، والمعرق: القليل الماء.

مـتـوسـدين ذراعَ كلِّ نجـيـبـةٍ ومُفـرَّجٍ عـرِقِ المقـذِّ مُنـوَّقِ(١)
وجـثتْ على رُكبٍ تهُدّ بها الصفا وعلى كلاكل كالنقيل المُطـرقِ(٢)
وإذا سـمعْنَ إلى همـاهم رُفقةٍ ومن النجـوم غـوابرٌ لم تخفـقِ(٣)
جـعلتْ تُميلُ خـدودها آذانُهـا طربـاً بهـنَّ إلى حُـداء السُّـوَّقِ
كالمُنصـتـات إلى الغناء سَمِعْنَه مِـن رائـعٍ لقلوبهـن مـشـوِّقِ
وإذا نظـرنَ إلى الطريـق رأينـه لهـقاً كشاكلة الحصان الأبلق(٤)
وإذا تخلّف بعـدهنّ لحـاجـةٍ حـادٍ يُشـسِّعُ نعلـه لم يلحـقِ(٥)
وإذا يصـيـبك والحـوادثُ جـمّةٌ حـدثٌ حـداك إلى أخـيك الأوثـقِ
لئن الهـمـومُ عن الفـؤاد تفـرّقتْ وخـلا التكلُّمَ للّسـان المُطلَـقِ

قال: فقال عبد الملك. هذا والله أشعرُ، ثكلت القطاميّ أمُّهُ! . قال: فالتفت إليَّ الأخطل فقال: يا شعبيّ، إن لك فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فنٌّ واحد؛ فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرضاً!(٦). فقلت: لا أعرض لك في شيء من الشعر أبداً، فأقِلْني في هذه المرّة. قال: منْ يتكفّل بك؟ قلت: أمير المؤمنين. فقال عبد الملك: هو عليَّ ألاّ يعرض لك أبداً! ثم قال: يا شعبيّ، أيُّ نساء الجاهليّة أشعر؟ قلت: خنساء. قال: ولم فضّلتها على غيرها؟ قلت: لقولها:

وقـائلـةٍ والنَّعْشُ قـدفـات خطوهـا لتُدْركه يالهفَ نفسي على صـخْرِ
ألا ثكلـتْ أمُّ الذيـن غـدوا بـه إلى القبر! ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك: أشعرُ منها والله التي تقول: (هي ليلى أخت المنتشر الباهليّ)

مُهفهف الكشْح والسربال منخرقٌ عنه القميصُ لسير الليل محتقرُ(٧)

---

(١) النجيبة من الإبل: الكريمة، والمفرج: ما بان مرفقه عن إبطه،وهي صفة ممدوحة في الإبل، والمقذّ: ما خلف الأذن، وعُرَق: كثير العرق، وبعير منوّق: مذلّل كأنّه ناقة.

(٢) جثا: جلس على ركبتيه، وصفا: جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم، والكلاكل: الصدور، والنقيل: رقاق النّعل والخفّ، واحدتها نقيلة، والمطرق: الذي وضع بعضه فوق بعض، أي هي شديدة كأنّها نعال مرقّعه.

(٣) الهماهم: جمع همهمة وهي الكلام الخفيّ، أو ترديد الصوت في الصدر، وغوابر: بواقٍ، وتخفق: تغيب.

(٤) اللّهق: الشديد البياض، والشاكلة: الخاصرة، والأبلق من الخيل: الذي ارتفع تحجيله إلى فخذيه.

(٥) شسّع نعله: جعل لها شِسعاً، وهو أحد سيور النّعل.

(٦) الحَرَض: الرديء من الناس، يريد أجعلهم بهجائي من أراذل الناس. (٧) مهفهف الكشح: ضامره، =

لا يأمنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَهُ   في كلِّ فجٍّ وإن لم يغزُ يُنتظرُ

ثم قال: يا شعبيّ، لعلّك شقّ عليك ما سمعت. قلت: إي والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة، إني أحدّثك منذ شهرين لم أفدْكَ إلا أبياتَ النابغة في الغلام. قال: يا شعبيّ، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام، يقولون: إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية؛ وأهلُ الشأم أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم ردَّ عليَّ الأبيات أبيات ليلى حتى حفظتها، ولم أزل عنده؛ فكنتُ أوّل داخل وآخر خارج. قال: فمكثتُ كذلك سنين، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مرْوان بمصر وكتب إليه: يا أخي، إني قد بعثت إليك الشعبيَّ، فانظر هل رأيت مثله قطُّ؟! ثم أذن لي فانصرفت. (٢١/١١)

(٣٨)

أخبرني الحسن بن عليّ العنزيّ عن (محمد بن) معاوية قال: غنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مرْوان بشعرِ الأقيشر:

قرّبَ اللهُ بالسلام وحيّا   زكريّا بنَ طلْحة الفيّاضِ
معْدنُ الضّيْفِ إنْ أناخوا إليه   بعد أيْنِ الطلائحِ الأنقاضِ(١)
ساهماتُ العيونِ خوصٌ رذايا   قد براها الكلالُ بعد أياضِ(٢)
زاده خالدُ ابنُ عمّ أبيه   منْصباً كان في العُلا ذا انتقاضِ
فرْعُ تيمٍ من تيمِ مُرّةَ حقّاً   قد قضى ذاك لابن طلحةَ قاضِ

فقال عبد الملك للجارية: ويْحك! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدحُ لا على طمعٍ ولا فَرَقٍ، وأشعرُ الناس الأقيشر. (٢٥٥/١١)

= وهفهفة السربال: رقّته وخفّته، ومنخرق عنه القميص أي لا يبالي كيف كانت ثيابه لأنّه لا يزيّن نفسه، إنّما يزيد حسبه، ويصون كرمه، وقيل معناه أنّه غليظ المناكب، وإذا كان كذلك أسرع الخرق إلى قميصه.

(١) معدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به، والأين: التعب، والطلائح: جمع طليحة وطليح، وهو الذي أعياه السير، والأنقاض: جمع نِقض، وهو المهزول من السير.

(٢) ساهمات العيون: متغيّراتها، وخوص: غائرات العيون، الواحد أخوص، ورذايا: مهزولات.

(٣٩)

وذكر عبد الله بن خلف أنَّ أبا عمرو الشيبانيَّ أخبره أنَّ الكُميتَ بن يزيد لقي الأقيشر في سفره فقال له: أين تقصدُ يا أبا مُعْرِض؟ فقال:

سألني الناس أين يقصدُ هذا ... قلتُ آتي في الدار قرْماً سريّا

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مراراً، ثم قال: ما كذب مَنْ قال إنك أشعرُ الناس. (٢٥٦/١١)

(٤٠)

قال بشر بن مروان لعبد الله بن الزَّبير: إني أريد أن أوفدكَ على أمير المؤمنين، فتهيأْ لذلك يابن الزَّبير، قال: أنا فاعل أيّها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيته إن شاء الله. فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال:

أقول: أمير المؤمنين عصمتنا ... ببشرٍ من الدهر الكثيرِ الزّلازلِ(١)
وأطفأت عنّا نار كلّ منافقٍ ... بأبيض بهلول طويل الحمائل(٢)
نمَته قروم من أمية للعلا ... إذا افتخر الأقوام وسط المحافلِ(٣)
هو القائد الميمون والعصمة التي ... أتى حقّها فينا على كلّ باطلِ
أقام لنا الدين القويم بحلمه ... ورأي له فضل على كلّ قائل
أخوك أمير المؤمنين ومَنْ به ... نُجاد ونُسقى صوْبَ أسحمَ هاطل(٤)
إذا ما سألنا رفده هطلتْ لنا ... سحابةُ كفيه بجود ووابلِ(٥)
حليمٌ على الجُهّال منّا ورحمةٌ ... على كلّ حافٍ من معدٍّ وناعلِ

---

(١) الزلازل: البلايا والشدائد.

(٢) إذا قالت العرب: فلان أبيض، فالمعنى نقاء العرض من الدَّنس والعيوب، وهو كثير في شعرهم. لا يريدون به بياض اللون. والبهلول: السيّد الجامع لكلّ خير، والحمائل: جمع حِمالة: وهي علاّقة السيف، وطويل الحمائل كناية عن أنّه طويل القامة.

(٣) يقال: نماه جَدُّه: إذا رفع إليه نسبه، وقروم جمع قَرْم: وهو السيّد.

(٤) الصوب: المطر، وأسحم، أي سحاب أسحم: وهو الأسود المتكاثف.

(٥) الجود: المطر الغزير، أو ما لا مطر فوقه، جمع جائد.

فقال بشر لجلسائه: كيف تسمعون؟ هذا واللهِ الشعر، وهذه القدرة عليه! فقال له: حجّار بن أبجر العجلي، وكان من أشراف أهل الكوفة، وكان عظيم المنزلة عند بشر: هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً إذا أراد، فقال محمد بن عمير بن عطارد - وكان عدوّاً لحجار - أيها الأمير، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول:

لبشــر بـنِ مـروانٍ على كـلّ حالــةٍ   من الدهر فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ
قــريع قــريش والذي بـاع مــالــه   ليكسـب حــمْدا حين لا أحــدٌ يُجْدي(١)
ينافس بشر في الســماحة والنّدى   ليُحرز غــايـاتِ المكــارم بالحمــد
فكم جبرتْ كفّاك يا بِشــرُ من فتىً   ضريكٍ، وكم عيُلت قوماً على عمد(٢)
وصــيُّرتَ ذا فــقــرٍ غنيــاً، ومـثـريـا   فــقـيـراً، وكـلاً قـد حـذوتَ بلا وعد

فقال بشر: مَن يقول هذا؟ قال: الفرزدق، وكان بشر مُغضبا عليه، فقال: ابعثْ إليه فأحضرْه، فقال له: هو غائب بالبصرة، وإنّما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدَكها ولترضى عنه، فقال بشر: هيهات! لست راضياً عنه حتى يأتيني، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق، فتهيّأ للقدوم على بشر، ثم بلغه أن البصْرة قد جُمِعتْ له مع الكوفة، فأقام وانتظر قدومه، فقال عبد الله بن الزّبير لمحمد بن عُمير في مجلسه ذلك بحضرة بشر:

بني دارمٍ هل تعرفـون مـحـمـداً   بدِعوته فـيكـم إذا الأمـر حُقِّقـا(٣)
وساميتُم قوما كراما بمجدكـم   وجاء سُكيْتا آخر القوم مخفقا
فـأصلك دُهْمان بنُ نصرٍ فردُهـم   ولا تـك وغـْدا في تميـــم معلّقـا
فــإن تميما لســتَ منهم ولا لهـمْ   أما يابن دُهمانٍ فلا تك أحمقـا
ولـولا أبـو مـروان لاقيْـتَ وابــلاً   من السوط يُنسيك الرُحيق المعتّقا
أحينَ علاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهرا   وقلت اسقني الصُهباء صرفا مروّقا
تركـت شـرابَ المسـلمين ودينهـم   وصاحبتَ وغـْداً من فزارة أزرقا(٤)

---

(١) أجدى: أعطى. (٢) الضريك: الفقير، السيء الحال، وعيّلهم: أهملهم.

(٣) دارم بن مالك بن حنظلة: بطن من تميم، ومحمد هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي سيّد تميم الكوفة، والدِعوة في النسب: أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته.

(٤) أزرق أي أزرق العينين، أي شبيه الروم، وكان العرب يكرهون الروم وهم زرق العيون، فكانت الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب.

تبيتان من شُرب المدامة كالّذي أتيحَ له حبلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر: أقسمتُ عليك إلاّ كففتَ، فقال: أفعلُ أصلحك الله، والله لولا مكانك لأنفذتُ حضْنَيْه(١) بالحق، وكَفَّ ابن الزّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته، وشمت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير ـ وكان عدوّه ـ وأقبلت بنو أسد على ابن الزّبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمتَّ حجارا بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاءً يرضى به محمد بن عمير عنك، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعرُ العرب؟ قال: بلى، ولكن محمداً ظلمني وتعرَّض لي، ولم أكن لأحلُمَ عنه إذ فعل. (٢٥٤/١٤)

(٤١)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش: قال: أنشدنا محمد بن يزيد للحسين بن مطير، قال: كان سبب قوله هذه الأبيات أن والياً ولي المدينة. فدخل عليه الحسين بن مطير، فقيل له: هذا من أشعر الناس. فأراد أن يختبره وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت، وتتابع منها الرعد والبرق، وجاءت بمطر جَوْد، فقال له: صف هذه السحابة. فقال:

مستضحك بلوامعٍ مستعبر بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاءُ(٢)
فله بلا حزن ولا بمسرة ضحك يراوح بينه وبكاءُ
كثرت لكثرة وبقِه أطباؤه فإذا تحلَّب فاضتِ الأطباءُ
وكأن بارقه حريق تلتقي ريح عليه وعرفج وألاءُ
لو كان من لجج السواحل ماؤه لم يبق في لجج السواحل ماءُ (٢٥/١٦)

(٤٢)

وروى أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائنيّ، عن أبي يعقوب الثقفيّ، عن عامرٍ الشعبيّ؛ وذكر أيضاً أبو عبيدة معمر بن المثنى: أنّ الفرزدق خرج حاجّاً، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سُكينة بنت الحسين عليه السلام مسلّماً، فقالت له: يا فرزدق، مَن أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

بنفسي مَن تجنُّبه عزيزٌ عليّ ومن زيارته لمامُ

---

(١) الحضن: الجنب. (٢) لم تمرها الأقذاء: لم يَسِلْ دمعها وقوع القذى فيها، وأصل المري: الحلْب.

ومَن أمسـي وأصبح لا أراه ويُطرِقُني إذا هجـع النِّيـامُ

قال: والله لئن أذنتِ لي لأسمعنَّك أحسن منه. قالت: أقيموه، فأُخرج. ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها، فقالت: يا فرزدق، مَن أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت. صاحبك أشعر منك حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرت قبرك والحبيب يُزارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كُتِم الحديث وعفَّت الأسرارُ
لا يَلْبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يكرّ عليهمُ ونهارُ

فقال: والله لئن أذنتِ لي لأسمعنك أحسن منه، فأمرت به فأُخرِج؛ ثم عاد إليها في اليوم الثالث. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ فقال: أنا. فقالت: كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إنّ العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يُحيينَ قتلانا
يصرَعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حراك به وهنّ أضعفُ خلق الله أركانا (١٦/١٧٠)

(٤٣)

وأخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدّثني العُمريّ عن لقيط قال: أخبرني التّوزي عن أبي عبيدة قال: كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلة، فتذاكروا الشعراء، وفضّلوا بعضهم على بعض وهو ساكت، فقال له: يا أبا مليكة ما تقول؟ فقال: ما ذكرتم والله أشعر الشعراء، ولا أنشدتُم أجود الشعر. فقالوا: فمن أشعر الناس؟ فقال الذي يقول:

لا أعدُّ الإقتار عُدما ولكن فَقدُ مَن قد رزئته الإعْدام

والشعر لأبي دواد الإياديّ. قالوا: ثم من؟ قال: ثم عبيد بن الأبرص. قالوا: ثمُ مَنْ؟ قال: كفاك والله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة، ثم عويت في إثْر القوافي عُواء الفصيل في إثر أمّه. (١٦/٣٧٨)

(٤٤)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا محمد بن عليّ النّوْفليّ، قال: سمعتُ أبي يقول: لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أوّلَ ما قال الهاشميّات، فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب، فقال له: يا أبا فراس، إنكَ شيخُ مُضر وشاعِرُها، وأنا ابنُ أخيك الكميت بن زيد

الأسديّ. قال له: صدقتَ، أنتَ ابنُ أخي، فما حاجتُك؟ قال: نُفِثَ على لساني فقلت شعراً، فأحببتُ أن أعرضه عليك؛ فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتَني بسترِه، وكنْتَ أولى مَنْ ستره عليّ. فقال له الفرزدق: أمَّا عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شِعْرُك على قدْرِ عقلك، فأنْشدني ما قلت، فأنشده: طربْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ

قال: فقال لي: فيمَ تطربُ يابْنَ أخي؟ فقال: ولا لعباً مني وذو الشيب يلْعبُ

فقال: بلى يابْنَ أخي، فالعبْ، فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يلْهِني دارٌ ولا رسْم منزلٍ   ولـم يتطـرّبْني بنـانٌ مخضَّبُ

فقال: ما يُطربك يابْنَ أخي؟ فقال:

ولا السانحات البارحاتُ عشـيّةً   أمَرَّ سليمُ القرْنِ أمْ أمرَّ أعْضبُ؟

فقال: أجل، لا تتطيَّر، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى   وخيْـرِ بني حـوّاء والخيْرُ يُطلبُ

فقال: ومنْ هؤلاء؟ ويْحك! فقال:

إلى النَّفَر البيضِ الذين بحُبِّهم   إلى اللـهِ فيمـا نابني أتقـرّبُ

قال: أرحني ويْحك! منْ هؤلاء؟ قال:

بني هاشم رهْطِ النّبيِّ فإنني   بهم ولهُمْ أرضى مراراً وأغْضبُ
خفضْتُ لهـم منّي جناحيْ مودّةٍ   إلى كنفٍ عطفاه أهـلٌ ومرْحبُ
وكنـتُ لـهـم منْ هؤلاء وهـؤلا   مُحباً، على أنّي أذمُّ وأقـصبُ(١)
وأرمي وأرْمى بالعـداوة أهلهـا   وإنـي لأوذى فـيـهـمُ وأؤنّـبُ

فقـال له الفـرزدق: يابْنَ أخي، أذع ثم أذِعْ؛ فـأنتَ والله أشـعرُ مَنْ مضـى، وأشـعر من بقي. (٢٨/١٧)

(٤٥)

أخبرني محمد القاسم الأنباريّ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثنا الحسنُ بن عبد الرحمن

---

(١) قصبه: أي عابه وشتمه.

الرُبعيّ، قال: حدّثنا أحمد بن بُكير الأسديّ قال: حدّثنا محمد بن أنس السّلامي الأسديّ قال: سُئل معاذ الهرّاء: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: أمن الجاهليين أو من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: امرؤ القيس، وزُهير، وعبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والرّاعي. قال: فقيل له: يا أبا محمد، ما رأيناك ذكرتَ الكميت فيمنْ ذكرت. قال: ذاك أشعر الأوّلين والآخرين. (٣٣/١٧)

(٤٦)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ، عن خالد بن سعيد بن العاص، عن أبيه، قال: كان سعيد بن العاص في المدينة زمنَ معاوية، وكان يعشّي الناس، فإذا فرغ من العشاء قال الآذنُ: أجيزوا إلاّ من كان من أهل سمره، قال: فدخل الحطيئة فتعشّى مع الناس، ثم أقبل فقال الآذنُ: أجيزوا، حتى انتهى إلى الحطيئة، فقال: أجز، فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءه قال: دعْه، وأخذ في الشّعْر والحطيئةُ مُطرقٌ لا ينطق، فقال الحطيئة: والله ما أصبتُم جيِّدَ الشعر، ولا شاعر الشعراء، قال سعيد: مَنْ أشعر العرب يا هذا؟ فقال: الذي يقول:

لا أعـدُّ الإقتـارَ عُدْمـاً ولكن فَـقْدُ مَنْ قـد رُزِئتُه الإعـدامُ
مِنْ رجـالٍ مـن الأقـارب بانُوا مـن جُـذامٍ هـمُ الرؤوس الكرام
سُـلِّط الموتُ والمنون عليـهـم فلهم في صُوَى المقـابر هامُ(١)
وكـذاكُم سـبـيل كلِّ أناس سـوف حـقّاً تُبْليـهُمُ الأيام

قال: ويحك! مَنْ يقول هذا الشعر؟ قال: أبو دُواد الإياديّ، قال: أوترْويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده الشعرَ كلَّه، قال: ومَنِ الثاني؟ قال: الذي يقول:

أفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبلغ بالضـ ـعـف وقـد يُخـدع الأريـبُ

قال: ومَنْ يقولُ هذا؟ قال: عبيد، قال: أوترويه؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده، ثم قال له: ثُمَّ مَنْ؟ قال: والله لحسْبك بي عند رهْبةٍ أو رغْبة، إذا وضعتُ إحدى رجليّ على الأخرى، ثم رفعت عقيرتي بالشِّعر، ثم عويت على أثر القوافي عُواء الفصيل الصادر عن الماء. قال: ومَنْ أنتَ؟ قال: الحطيئة. (٢٢٥/١٧)

---

(١) الصوى: القبور أو علاماتها.

(٤٧)

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبي عدنان، عن إبراهيم بن نافع: أنّ الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك أو غيره، فقال له: مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا، قال: أفتعلم أحداً أشعر منك؟ قال: لا، إلاّ أن غلاماً من بني عديّ بن كعب يركبُ أعجازَ الإبل، وينعت الفلوات، ثم أتاه جرير فسأله، فقال له مثل ذلك. ثم أتاه ذو الرّمّة فقال له: ويحك! أنتَ أشعر الناس، قال: لا، ولكنْ غلام من بني عقيل يقال له: مُزاحم: يسكن الرُّوضات يقول وحشياً من الشعر لا نقدر على أن نقول مثله. (١٨/٢٥)

(٤٨)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ، قال: حدّثني عمّي الفضْل بنُ إسحاق، عن الهيثم بن عديّ، قال: سأل رجلٌ حمّاداً الرّاوية بالبصْرة وهو عنْد بلال بن أبي بُرْدة: منْ أشعرُ النّاس؟ قال الذي يقول:

رمتْني بناتُ الدّهر من حيثُ لا أرى فما بالُ من يُرمى وليْس برامِ

قال: والشعر لعمْرو بن قميئة. (١٨/١٤٢)

(٤٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ، قال: دخل نُصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان، فأنشده قصيدة له امتدحه بها فأعجبته، وأقبل على أيمن بن خريم فقال: كيف ترى شعرَ مولاي هذا؟ قال: هو أشعرُ أهل جِلْدته، فقال: هو أشعر والله منك. قال أمنّي أيها الأمير؟ فقال: إي والله، قال: لا والله، ولكنك طِرْفٌ ملول(١)، فقال له: لو كنت كذلك ماصبرْتُ على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك، فقال: ائذن لي أيها الأمير في الانصراف، قال: ذلك إليك، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان. (٢٠/٣١٢)

(٥٠)

قال أبو نخيلة الراجز: وفدتُ على مسلمة بن عبد الملك فمدحته (بأبيات) فقال: ممن أنت؟

---

(١) الطرف: الذي لا يثبت على صحبة أحد لملله.

فقلت: من بني سعد، فقال: مالكم يابني سعد والقصيد إنَّما حظكم في الرجز؟ فقلت: أنا والله أرجز العرب. (٣٩٢/٢٠)

(٥١)

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدَّثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال: خرج الفرزدق حاجّاً فمرَّ بالمدينة، فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه وآله، فقالت: يا فرزدق مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت أشعر منك الذي يقول:

بنفسي مَن تجنُّبُه عزيز عليَّ ومَنْ زيارته لِمامُ
ومَن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيامُ

فقال: والله لو أذنتِ لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه، فأخرج ثم عاد إليها في اليوم الثاني، فقالت له: يا فرزدق: مَن أشعر الناس؟ قال: أنا قالت: كذبت: أشعر منك الذي يقول:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ولزُرتُ قبرَكِ والحبيبُ يزارُ
لا يلبثُ القرناءُ أن يتفرَّقوا ليلٌ يكُرُّ عليهمُ ونهارُ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها كتِم الحديثُ وعفَّت الأسرار

قال: أفأسمِعك أحسن منه؟ قالت: اخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث وعلى رأسها جاريةٌ كأنها ظبيةٌ، فاشتد عجبه بها فقالت: يا فرزدق، مَن أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت أشعر منك الذي يقول:

إنَّ العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يُحيينَ قتلانا
يصرعنَ ذا اللُّب حتى لا حراك له وهنَّ أضعف خلقِ اللهِ أركانا(١)

ثم قالت: قم فاخرج. (٣٦٦/٢١)

(٥٢)

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرنا أبو روح الراسبي، قال: لما وَلي خالدُ بن عبدالله العراقَ ولّى مالك بن المنذر شُرطة البصرة، فقال الفرزدق:

---

(١) الأبيات جميعها في هذا النصّ لجرير.

يُبغِّض فينا شرطة المصر أنني رأيتُ عليها مالكاً عقبَ الكلبِ

قال، فقال مالك عليَّ به، فمضوا به إليه، فقال:

أقول بنفسي إذ تفصُّ بريقها ألا ليت شعري مالها عند مالك؟

قال: فسمع قوله حائكٌ يطلع من طرازه(١)، فقال:

لها عنده أن يرجعَ الله ريقها إليها وتنجُو من عظيم المهالك

فقال الفرزدق: هذا أشعرُ الناس، وليعودنَّ مجنونا، يصيح الصبيان في أثره فقال: فرأوه بعد ذلك مجنونا يصيح الصبيان في أثره. (٣٧٨/٢١)

---

(١) طرازه: دكّانه.

العصر العبَّاسي

(١)

قال إسحاق: وحدّثني أبو داود قال: سمعت شيخاً عالماً من غطفان يقول: كان الرَّمَّاح[١] أشعر غطفان في الجاهلية والإسلام، وكان خيراً لقومه من النابغة، لم يمدح غير قريش وقيْس، وكان النابغة إنما يهْذي باليمن مضللا حتى مات. (٢٦٩/٢)

(٢)

قال: وكان بشّار يقول: هجوتُ جريراً فأعرض عنّي واستصغرني، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس. (١٤٣/٣)

(٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال: سمعتُ مُصْعبَ بن عبد الله يقول: أبو العتاهية أشعرُ الناس، فقلت له: بأيِّ شيء استحقّ ذلك عندك؟ فقال: بقوله:

تعلّقتُ بآمالٍ طوالٍ أيِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدّنيا مُلحّاً أيَّ إقبالِ
أيا هذا تجهَّزْ لفراق الأهل والمالِ
فلا بدَّ من الموت على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب: هذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشو فيه ولا نُقصان، يعرفه العاقل ويُقرّبه الجاهل. (١٠/٤)

(٤)

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي إملاءً قال حدّثني عمّي الفضْل بن محمد قال حدّثني

---

(١) الرمّاح: هو ابن ميَّادة.

موسى بن صالح الشهرزوري قال: أتيتُ سلْماً الخاسرَ فقلت له: أنشدني لنفسك، قال: لا، ولكن أنشدك لأشعر الجنّ والإنس، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قوله:

سكنٌ يبقى له سكنُ   ما بهذا يُؤذن الزّمنُ
نحن في دار يُخبّرنا   ببلاها ناطقٌ لسِنُ
دار سوء لم يدمْ فرحٌ   لامرئٍ فيها ولا حزنُ
في سبيل الله أنفُسنا   كلُّنا بالموت مرتهنُ
كلُّ نفسٍ عند ميتتها   حظُّها من مالها الكفنُ
إنّ مال المرء ليس له   منه إلاّ ذكرُه الحسن   (١١/٤)

(٥)

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضْل قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زياد الفرّاء قال: دخلتُ على جعفر بن يحيى فقال لي: يا أبا زكريا، ما تقول فيما أقول؟ فقلت: وما تقول أصلحك الله؟ قال: أزعم أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهل هذا العصر. فقلت: هو والله أشعرهُم عندي. (١٢/٤)

(٦)

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البصْرة أنْسيتُ اسمه، قال حدّثني حمدون بن زيد قال حدّثني رجاء بن مسْلمة قال:

قلتُ لسلْم الخاسر: مَن أشعرُ الناس؟ فقال: إن شئتَ أخبرتُك بأشعر الجنّ والإنس، فقلتُ: إنما أسألك عن الإنس، فإن زدتني الجنّ فقد أحسنتَ. فقال: أشعرُهم الذي يقول:

سكنٌ يبقى له سكنُ   ما بهذا يُؤذن الزّمنُ

قال: والشعر لأبي العتاهية. (١٢/٤)

(٧)

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النُّضْر الواسطيّ الضُّرير قال حدّثني محمد بن شيرويه الأنْماطيّ قال: قلت لداود بن زيد بن رزين الشاعر: مَنْ أشعرُ أهل زمانه؟ قال: أبو نُواس. قلت: فما تقول في أبي العتاهية؟ فقال: أبو

العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ. (١٢/٤)

(٨)

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال قال الزُّبير بن بكّار: أخبرني إبراهيم بن المُنذر عن الضُّحاك، قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العُمريّ: أشعرُ النّاس أبو العتاهية حيث يقول:

ما ضرَّ مَنْ جعل التُّرابَ مهاده　　ألاَّ ينامَ على الحرير إذا قنِعْ

صدق والله وأحْسن. (١٣/٤)

(٩)

حدّثني محمد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني ابن الأعرابيّ المُنجِّم قال حدّثني هارون بن سعْدان بن الحارث مولى عبّاد قال: حضرتُ أبا نُواس في مجلس وأنشد شعراً، فقال له مَنْ حضر في المجلس: أنت أشعرُ الناس. قال: أمَّا والشيخُ حيّ فلا. (يعني أبا العتاهية). (١٥/٤)

(١٠)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن عوْن قال حدّثني محمد بن النُّضْر كاتب غسّان بن عبد الله قال: أخْرِجتُ رسولاً إلى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر، فنزلت على العتّابيّ، وكان لي صديقاً، فقال: أنشدني لشاعر العراق - يعني أبا نواس، وكان قد مات - فأنشدتُه ما كنت أحفظ من مُلَحه وقلت له: ظننتُك تقول هذا لأبي العتاهية. فقال: لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك: أنشدني لأشعر الناس، ولم أقتصر على العراق. (٣٨/٤)

(١١)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار. قال: حدّثني جعفر بن الحسين المهلبيّ قال: لقينا أبو العتاهية فقلنا له: يا أبا إسحاق منْ أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

الله أنجحُ ما طلبتَ بـه　　والبرُّ خير حقيبة الرَّحْلِ[١] (٤٤/٤)

---

(١) البيت لامرئ القيس، ينظر ديوانه (ص ١٤٦)، وينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ١١٤).

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشْر المازنيّ قال: لقيتُ ابنُ مُناذر بمكة، فقلت له: مَنْ أشعر أهل الإسلام؟ فقال: أترى منْ إذا شئت هزل، وإذا شئتَ جدُّ؟ قلت: من؟ قال: مثلُ جرير حين يقول في النّسيب:

إنّ الذين غدَوْا بلُبِّك غادروا ... وشلاً بعينك مايزال معينا
غيّضْنَ من عبراتهنّ وقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا

ثم قال حين جدّ:

إنّ الذي حرم المكارم تغلباً ... جعل النُّبوّةَ والخلافةَ فينا
مُضرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم ... يا آل تغلبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمّي في دمشقَ خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكُمُ إليّ قطينا

ومن المحدثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعره من كُمّه، فقلت: منْ؟ قال: أبو العتاهية. قلت: في ماذا؟ قال: قوله:

اللهُ بيني وبين مولاتي ... أبْدتْ ليَ الصدَّ والملالاتِ
لا تغفرُ الذنبَ إن أساتُ ولا ... تقبل عُذْري ولا مُواتاتي
منحتُها مُهجتي وخالصتي ... فكان هجْرانُها مُكافاتي
أقلقني حُبُّها وصيّرني ... أحدوثةً في جميع جاراتي

ثم قال حين جدّ:

ومهْمهٍ قد قطعتُ طامسه ... قفْرٍ على الهوْل والمُحاماةِ(١)
بُحرةٍ جسْرةٍ عُذافرةٍ ... خوصاء عيْرانةٍ علَنْداةِ(٢)
تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ ... بالسّيْر تبغي بذاك مرْضاتي
ياناقُ خُبّي بنا ولا تعدي ... نفْسك مما ترَيْن راحات

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة، والطامس هنا: البعيد.

(٢) الحرّة من الإبل: العتيقة الأصيلة، والجسرة: العظيمة من الإبل وغيرها، والعذافرة: العظيمة الشديدة من الإبل، والخوصاء: وصف من الخوص وهو ضيق العين، وصغرها، وغؤورها، والعيرانة من الإبل: التي تشبّه بالعير في سرعتها ونشاطها، والعلنداة: الناقة الضخمة الطويلة.

حتى تُناخيْ بنا إلى ملكٍ ... توَّجه اللهُ بالمهابات
عليه تاجان فوق مفرقه ... تاجُ جلالٍ وتاجُ إخْبات[1]
يقول للرِّيح كلَّما عصفتْ ... هل لكِ يا ريحُ في مُباراتي
مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ ... أخوالُه أكرمُ الخؤولاتِ (٥٧/٤)

(١٣)

قال عمر بن شبَّة: قيل: لو كان (أبو العتاهية) جزْل اللفظ لكان أشعر الناس. (٦٢/٤)

(١٤)

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال: قدم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون. فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه، فكان أوّل ما أنشدهم:

ألم ترَ ريْبَ الدّهر في كلّ ساعةٍ ... له عارضٌ فيه المنيّة تلمعُ
أيا باني الدُّنيا لغيرك تبتني ... ويا جامع الدنيا لغيرك تجْمَعُ
أرى المرء وثّاباً على كل فُرْصةٍ ... وللمرء يوماً لا محالة مصْرَعُ
تبارك مَنْ لا يملك المُلك غيره ... متى تنقضي حاجاتُ من ليس يشبعُ
وأيُّ امرئٍ في غاية ليس نفسه ... إلى غايةٍ أخرى سواها تَطَلَّعْ

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أنّ طبعَ أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعر الناس[2].
(٦٢/٤)

(١٥)

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السّريّ بن الصبّاح مولى ثوْبان بن عليّ قال: كنتُ عن بشّار فقلتُ له: مَنْ أشعرُ أهل زماننا؟ فقال: مُخنَّث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية). (٧٢/٤)

---

(١) الإخبات: الخشية والخضوع.

(٢) وجدنا في النصوص السابقة أنّ أبا العتاهية أشعر الناس على الإطلاق، ولكنّنا نرى في هذا النصّ، والذي قبله أنّ صاحبي النّصين يضعان قيداً على أشعر الناس هذه، وهي جزالة اللفظ، وبما أنّها غير متحقّقة في شعر أبي العتاهية فهو ليس كذلك إذن.

(١٦)

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيرفيّ قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثني جعفر بن جميل قال: قدم العتّابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه، فجرى ذات يوم ذِكْرُ الشعراء؛ فقال: لكُمْ ياأهلَ العراق شاعرٌ منوَّه الكُنْية، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نُواس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال: ليس ذلك، حتى طال الكلام، فقلت: لعلّك تريد أبا العتاهية. فقال: نعم! ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته. (١٠٠/٤)

(١٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال: قال أبو عبيدة: اتّفقت العرب على أنَّ أشعر أهل المُدن أهلُ يثْرب ثم عبدُ القيس ثم ثقيف، وأنَّ أشعر ثقيف أميَّة بن أبي الصلْت. (١٢١/٤)

(١٨)

ويُكْنى حسّان بن ثابت أبا الوليد، وهو فحْلٌ من فُحول الشعراء، وقد قيل: إنّه أشعر أهل المدر(١). وكان أحد المُعمَّرين من المُخضرمين، عمِّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهلية وستّين في الإسلام. (١٣٥/٤)

(١٩)

قال أبو عبيدة: وأجمعتِ العربُ على أنَّ حسّان أشعر أهل المدر، وأخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبيدة قال: اتّفقت العرب على أنَّ أشعر أهل المدر أهلُ يثْرب، ثم عبدُ القيس ثم ثقيفٌ؛ وعلى أنَّ أشعر أهل يثْرب حسّان بن ثابت. (١٣٦/٤)

(٢٠)

أخبرني محمد بن مزْيد والحسين بن يحيى ووكيع عن حمّاد عن أبيه قال: قلت لمروان بن أبي

---

(١) المَدَر: المدن والحضر.

حفصة: مَنْ أشعر المُحدثين من طبقتكم عندك؟ لا أعنيك؛ قال: الذي يقول: (وهو ابن هرمة)

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاعُ إلا قريبةَ الأجلِ (٥/٢٦٤)

(٢١)

قال دماذ: وكان أبو عبيدة والأصمعيّ يُنْشدان بيتي الطِّرماح في هذه القصيدة وهما:

مُجْتابُ حُلَّةُ بُرْجدٍ لسراته قدداً وأخلف ما سواه البُرْجدُ(١)

يبدو وتُضمره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويُغمدُ

وكانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين البيتين. (٦/٩٥)

(٢٢)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح، فقال: إن أمير المؤمنين لايُنكر ما تقول فقُلْ؛ قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال: أترْوي من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قضيب ولي جُمَّةٌ(٢) فينانة فجعل يُدخل القضيب في جُمّتي وجعل يقول: يا غلام، ولدتك سُكّر (وهي أمُّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال: فسمعته يومئذ يُنشد:

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد أتْرِعا

كِلْنا له الصاع التي كالها فما ظلمناه بها أصْوعا

لم نأتِ ما نأتيه عن بدعة أحلّه القرآن لي أجمعا

قال: فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت. (٧/١٨)

(٢٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عليّ بن محمد

---

(١) هذان البيتان في وصف ثور، يقال: اجتاب القميص: لبسه، والبرجد: كساء في صوف أحمر، وقيل: هو كساء غليظ، وسراته: ظهره، والقدد: جمع قدة: وهي القطعة من الشيء.

(٢) الجُمّة: مجتمع شعر الرأس، وهي أكثر من الوفرة، وهي أيضاً ما تدلّى من شعر الرأس على المنكبين.

النَّوْفليّ قال قال لي محمد بن عبّاد: قال لي المأمون وقد قدمت من البصرة: كيف ظريف شعرائكم وواحد مصْركم؟ قلتُ: ما أعرفه؛ قال: ذاك الحسين بن الضّحاك، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم. أليس هو الذي يقول:

رأى اللهُ عبدَ الله خير عباده   فملّكه والله أعلم بالعبد

قال: ثم قال لي المأمون: ما قال فيَّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغ من بيته هذا؛ فاكتب إليه فاستقدمْه؛ وكان حسين عليلا وكان يخاف بوادر المأمون لما فرط منه؛ فقلت للمأمون: إنه عليل يا أمير المؤمنين، علّتُه تمنعه من الحركة والسفر، قال: فخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه إليه فقبض المال. (١٥١/٧)

(٢٤)

حدّثنا عليّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب، قال سمعْتُ أبا العباس محمد بن يزيد الأزديّ يقول: حسين بن الضّحاك أشعر المحدثين حيث يقول:

أيّ ديباجة حُسْنِ   هيّجتْ لَوْعةَ حزني
إذ رماني القمر الزا   هر عن فترة جفن
بأبي شمسُ نهار   برزتْ في يوم دَجْنِ
قرّبتني بالمنى حتى   إذا ما أخلفتْني
تركتني بين ميعا   د وخُلْفٍ وتجنّي
ما أراني لي من الصبـ   ـوة إلا حسنُ ظنّي
إنما دامت على الغد   ولما تعرف منّي
أستعيذ الله من إعـ   ـراض من أعْرض عنّي   (١٥٢/٧)

(٢٥)

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني أحمد بن سعيد بن عنْبسة القُرشيّ الأمويّ قال حدّثني علي بن الجهْم قال: دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْده وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثّل بهذا الشعر:

بالشَطّ لي سَكنٌ أفديه من سكنِ   أهْدى من الآسِ لي غصنين في غُصُنِ
فقلتُ إذ نُظما إلفين والتبسا   سقْياً ورعياً لفألٍ فيكما حسَنِ

فـالآسُ لا شـكَّ آسٍ مـن تشـوّقنا ... شـافٍ وآسٍ لنا يبـقى على الزمـن
أبْشـرتُمـاني بأسـبابٍ سـتجـمـعنا ... إن شـاء ربي ومـهـمـا يَقْضِـهِ يكُنِ

قال: فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أنْشقّ حسداً: لمن هذا الشعر يا عليّ؟ فقلت: للحسين بن الضحّاك ياسيدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نمطاً. فقلت وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رغم أنْفك ومتَّ حسدا. وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل، وعلمتُ أنّي لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخّرتُها إلى وقت آخر. (١٦٩/٧)

(٢٦)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المحدثين السيد الحميريّ وبشار. (٢٣٢/٧)

(٢٧)

أخبرني ابن دريد قال: سُئل أبو عبيدة منْ أشعرُ المولّدين؟ قال: السيّد وبشّار. (٢٣٦/٧)

(٢٨)

وقال الحسن بن علي بن المُغيرة حدّثني أبي قال: كنتُ مع السيّد على باب عُقْبة بن سلْم ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ ننتظره وقد أسْرِج له ليركب، إذ قال ابنُ سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيّد: أشعرُ الناس والله الذي يقول:

محمد خيرُ من يمشي على قدمٍ ... وصاحباه وعثمانُ بن عفّانا

فوثب السيّد وقال: أشعرُ والله منه الذي يقول:

سـائل قريشـاً إذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ ... مَـنْ كـان أثبتـها في الدّيـن أوتادا
مَن كـان أعلمـهـا علماً وأحلمـها ... حلمـاً وأصـدقـها قـولا وميـعادا
إن يصْدُقُوك فلن يعْدُوا أبا حسنٍ ... إن أنتَ لم تلْقَ للأبرار حُسّـادا

ثم أقبل على الهاشميّ فقال: يا فتى، نعم الخلفُ أنت لشرف سلفك! أراك تهْدم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتُفضِّل من ليس أصلُك من أصله على مَن فضلُك من فضله؛ وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك فوثب الفتى خجلاً، ولم ينتظر عقبة بن

سلم. وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الرُّكُوبة حتى خرجت الجائزةُ للسيِّد. (٢٦٦/٧)

(٢٩)

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلاّم ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عنه: اتفقت العرب على أنّ أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جريرٌ والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض، قال محمد بن سلاّم: والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم، والمخالف في ذلك قليل. وقد سمعتُ يونس يقول: ما شهدت مشْهداً قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما. وكان يونس فرزدقيّاً. (٤/٨)

(٣٠)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الرحمن بن القاسم العجْليّ قال حدّثني الحسن بن علي المِنْقريّ قال قال مسعود بن بِشْر: قلت لابن مُناذر بمكة: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: من إذا شئتَ لعبَ، وإذا شئتَ جدّ فإذا لعب أطمعك لعبُه فيه، وإذا رُمْته بعدُ عليك(١)؛ وإذا جدَّ فيما قصد له أيأسكَ من نفسه. قلتُ: مثلُ منْ؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لعب:

إنّ الذين غدَوْا بلُبِّك غادروا وَشَـلاً بعينك ما يزال مَعينا

ثم قال حين جدّ:

إنّ الذي حـرم المكـارم تغلبـاً جـعل الخـلافـ ـةَ والنبـوة فـينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم يـا آل تغْلـبَ مـن أبٍ كأبينـا
هذا ابنُ عمّي في دمشْقَ خليفةً لو شـئتُ سـاقكُمُ إليَّ قطينـا (٥٩/٨)

(٣١)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا يموت بن المُزرّع قال: سمعتُ خالي (يعني الجاحظ)

---

(١) لعلّ ابن مناذر يشير هنا إلى ما سُمّيَ بعد هذا بالسهل الممتنع، وهو «الذي يظنّ مَنْ سمعه لسهولة ألفاظه، وعذوبة معانيه أنّه قادر على الإتيان بمثله، فإذا أراد الإتيان بمثله عزّ عليه مثاله، وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله»، ينظر الفوائد لابن القيّم (ص ٢٢٣)، فكأنّ هذا الطمع الذي أشار إليه هو ظنّ السامع أنّه قادر على أن يقول مثل هذا الكلام لسهولته، فإذا حاول عجز، وهذا من صفات الشاعر المقتدر.

يقول: لولا أنَّ العبَّاس بن الأحنف أحذقُ الناس وأشعرهُم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه؛ لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف؛ وما نعلم شاعراً لزم فنّاً واحداً لزومه فأحسن فيه وأكثر. (٣٥٤/٨)

(٣٢)

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني المُغيرةُ بن محمد المُهلّبيّ قال: سمعتُ الزبير: يقول: ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله:

تعتلُّ بالشُّغْلِ عنّا ما تكلِّمنا ... الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبدنِ

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرها وشرِّها إلا وهو يصلُح أن يُتمثَّل فيه بهذا النصف الأخير. (٣٥٨/٨)

(٣٣)

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عيسى قال: جاء عبد الله بن العبّاس بن الفضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب، وعنده بنان جاريةُ محمد بن حمّاد، وهي نائمةٌ سكْرى وهو يبكي عندها. فقال له: مالك؟ قال: قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنْبهتْني وقالت: اجلس حتى تشربَ فجلستُ، فوالله ما غنّتْ عشرة أصوات حتى نامت وما شربتُ إلاّ قليلاً. فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم، العبّاس بن الأحنف:

أبكي الذين أذاقوني مودَّتهم ... حتى إذا أيقظوني للهوى رقدُوا

فأنا أبكي وأنْشِد هذا البيت. (٣٦٤/٨)

(٣٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمرو بن أبي بكر المؤمليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: قال وسئل عمِّي مصعب: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: كثيِّر بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامّتهم (يعني الشعراء) (٥/٩)

(٣٥)

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحوي يقول: كثيّر أشعر أهل الإسلام. (٦/٩)

(٣٦)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال سألت يونس النحويَّ: مَن أشعرُ الناس؟ قال: لا أومئُ إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهيرُ إذا رغب، والأعشى إذا طرب. (١٠٨/٩)

(٣٧)

أخبرني المهلّبيّ والجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: سمعت خلاَّداً الأرْقط يقول سمعت خلفا الأحمر يقول: لا يُعرف مَنْ أشعرُ الناس كما لا يُعرف مَنْ أشجعَ الناس ولا منْ كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خلفٌ ونسيتُها أنا. أبو زيد عمر بن شبّة يقول هذا. (١٠٩/٩)

(٣٨)

وقال هشام بن الكلبيّ أخبرني أبو قبيصة المُجاشعيُّ أنّ مروان بن أبي حفْصة سئل: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول:

كلا أبويْكم كان فرع دِعامةٍ ... ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصا

يعني الأعشى. (١١٠/٩)

(٣٩)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال حدّثني عمّي قال قال سلمة بن نجاح أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال: بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيتُ بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت: يا غلام! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في الدار فقال: مَنْ أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. قال: ادخل رحمك الله! فدخلتُ أتسمّتُ(١) الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت، فإذا حمّادٌ عرْيانٌ على فرْجه دستَجةُ شاهسْفرم(٢). فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صنّاجُها. (١١٠/٩)

---

(١) تسمّتَ الصوت: قصد نحوه.

(٢) الدستجة: الحزمة، والشاهسفرم: نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني، فارسي معرّب.

(٤٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال سمعتُ أبا عُبيدة يقول: بلغني أن رجلاً من أهل البصْرة حجّ ـ وروى هذا الحديثَ ابنُ الكلبيّ عن شُعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البصْرة أنه حجّ قال فإني لأسيُر في ليلة إضْحيانة(١) إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكبٍ على ظليم قد زمّه بخطامه وهو يذهب عليه ويجيئ، وهو يرتجز يقول:

هل يُبلغنِّيهم إلى الصَّباحْ   هِقْلٌ كان رأسه جُمَّاح(٢)

قال: فعلمتُ أنه ليس بإنسيّ، فاستوحشتُ منه. فتردّد عليّ ذاهباً وراجعاً حتى أنستُ به؛ فقلت: مَنْ أشعرُ الناس يا هذا ؟ قال: الذي يقول:

وما ذرفتْ عيناكِ إلاَّ لتضربي   بسهْميك في أعشار قلبٍ مُقتَّلِ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: امرؤ القيس، قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول:

تطْرُدُ القُرُّ بحرٍّ ساخنٍ   وعكيكَ القيْظ إن جاء بقُرّ(٣)

قلت: ومَن يقوله؟ قال: طرفة. قلت: ومنِ الثالث؟ قال: الذي يقول:

وتبــــردُ بـــــردَ رداء العـــــرُو   سِ بالصَّيْف رقرقت فيه العبيرا(٤)

قلت: ومنْ يقوله: قال: الأعشى؛ ثم ذهب به. (١١١/٩)

(٤١)

أخبرني الصوليّ قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: كان إبراهيم بن العبّاس أشعر المحدثين. قال: وما روى ثعلبٌ شعر كاتب قط. (٥٩/١٠)

(٤٢)

... وقال عبيد الله بن سليمان: لعمْري ما في الكتّاب أشعر من أبي إسحاق (إبراهيم بن العباس) وأبي علي (يعني عمّه الحسن بن وهب). (٦٥/١٠)

---

(١) إضحيانة: مضيئة.

(٢) الهِقْل: الفتيُّ من النعام، والجمّاح: سُهَيم يلعب به الصبيان يجعلون مكان زُجّه طيناً.

(٣) العكيك: صفة من العك أو العكك وهو شدّة الحرّ في سكون الريح. (٤) رقرق الطيب في الثوب: أجراه فيه.

(٤٣)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال: قال لي الرشيد: هل دخلت على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومتي إليه. قال: فأخبرني عنه. قال: فذهبت أتزحزح فقال لي: إنَّ أمير المؤمنين لايكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدّهم وأشعرهم وأجودهم.. (٨١/١٠)

(٤٤)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عُبيد الله عن العُتبيّ قال حدّثني بعض أصحابنا قال: أنشدنا مروانُ بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زُهيْر والله أشعر الناس، ثم أنشد للأعشى فقال: الأعشى أشعر الناس، ثم أنشد شعراً لامرئ القيس فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، ثم قال: والناسُ والله أشعرُ الناس. أي إنّ أشعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد، حتى يُنْتقل إلى شعر غيره. (٨٢/١٠)

(٤٥)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا الحسن بن عليّ المعروف بحدّان عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيْهم الحنفي قال: مرَّ مروان بن أبي حفصة برجل من تيْم اللاّت بن ثعلبة يُعْرف بالجنّي؛ فقال له مروان: زعموا أنك تقول الشعر. فقال له: إن شئتَ عرفْتُك ذلك. فقال له مروان: ما أنت والشعر، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله! فقال الجنّيّ: اجلس واسمع فجلس؛ فقال الجنيّ يهجوه:

ثوى اللؤمُ في العَجْلان يوماً وليلةً وفي دار مروانٍ ثوى آخرَ الدهْرِ
غدا اللؤمُ يبْغي مطْرحاً لرحاله فنقّب في برِّ البلاد وفي البحرِ
فلمّا أتى مروان خيّم عنده وقال رضينا بالمُقام إلى الحشرِ
وليست لمروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ ولكنَّ مرواناً يغار على القِدْرِ

فقال له مروان: ناشدتُك الله إلاّ كففتَ، فأنت أشعر الناس. فحلف الجنيّ بالطلاق ثلاثاً أنه لا يُكفّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: قاق في استي بيضة. فجلبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جدّي يحيى بن الأيْهم، فانصرفوا وهم

يضحكون من فعله. (١٠/٩٢)

(٤٦)

وقال الأصمعيّ: قيل لبعض رُواة العرب: مَنْ أرْجزُ الناس؟ قال: بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد. (يريد الأغلب ثم العجّاج ثم أبا النُّجْم ثم رؤبة). (١٠/١٥٢)

(٤٧)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال: كان أبو عُبيْدة والأصمعيّ يفضّلان الطِّرِمّاح في هذين البيتين، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخَلْق:

مُجْتابُ حُلّـةِ بُرْجُـدٍ لسـراته قِـدداً وأخْلفَ ما سواه البُرْجُدُ(١)

يبـدو وتُضْمِـرُه البـلادُ كأنّـه سيْفٌ على شرفٍ يسلُّ ويُغْمدُ (١٢/٤١)

(٤٨)

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى إجازة قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني عليّ بن عبيد الكوفيّ قال: حدّثني الحسين بن أبي الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال: كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه، فقال لعبد الله بن طاهر: يا أبا العباس، مَن أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم؟ قال: أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلى عيناً، فقال له: على ذاك فقل، وتكلم أنت أيضاً يا أحمد بن يوسف. فقال عبد الله بن طاهر: أشعرهم الذي يقول:

أيا قبـر معـن كنـت أوّل خطـة من الأرض خطّت للمكارم مضجعا(٢)

فقال أحمد بن يوسف: بل أشعرهم الذي يقول (هو أبو الشيص):

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متأخَّـر عنـه ولا متقـدم

فقال: أبيت يا أحمد إلا غزلاً! أين أنتم عن الذي يقول (هو أبو نواس):

يا شـقيق النفس من حكم نمـت عن ليلي ولـم أنـمِ (١٦/٢٤)

---

(١) مرّ شرح البيت في النصّ الحادي والعشرين السابق.

(٢) ينسب البيت إلى مروان بن أبي حفصة، ضمن قصيدة وهي للحسين بن مطير الأسدي، ينظر شعر مروان بن أبي حفصة، جمع د. حسين عطوان (ص ١١٤).

(٤٩)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا محمد بن داود، عن ابن أبي خيْثمة عن دعبل قال: قلت لمروان بن أبي حفصة: مَن أشعركم جماعة المحدثين يا أبا السِّمط؟ قال: أشعرنا أسْيَرنا بيتاً. قلت: ومن هو؟ قال: ربيعة الرقيّ الذي يقول:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُليم والأغرُّ ابنُ حاتمِ

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلّبيّ، وهجا يزيد بن أسيد السُّلمي، وبعد البيت الذي ذكره مروان:

يزيد سُليم سالم المالِ والفتى ... أخو الأزدِ للأموال غيرُ مُسالمِ
فهمُّ الفتى الأزديِّ إتلاف ماله ... وهمُّ الفتى القيسيَّ جمع الدراهمِ
فلا يحسب التَّمتام أني هجوتُه ... ولكنني فضلت أهل المكارمِ
فيابن أسيد لا تسام ابن حاتم ... فتقرع إن ساميته سنَّ نادمِ
هو البحر إن كلَّفت نفسك خوضه ... تهالكتَ في موج له متلاطِم (١٦/٢٥٤)

(٥٠)

أخبرني عمي قال: حدّثني أبي قال: سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول: أشعر الناس طرّاً الذي يقول:

وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقُه ... حقنتَ لي ماء وجهي أوحقنت دمي

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس الصولي وكان في نفسي أعلم من محمد وأدب، فجلست إليه، وكنت أجري عنده مجْرى الولد، فقلت له: من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال: الذي يقول:

مطر أبوك أبو أهلّة وائلٍ ... ملا البسيطة عُدّةً وعديدا
نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضُّحى ... نُوراً ومن فلق الصباح عمُودا
ورثوا الأبوَّة والحظوظ فأصبحوا ... جمعوا جُدودا في العلا وجُدودا(١)

فاتفقا على أنَّ أبا تمام أشعر أهل زمانه. (١٦/٣٨٤)

---

(١) جدود: جمع جدّ، الأولى بمعنى الآباء، والثانية بمعنى الحظوظ.

(٥١)

أخبرني محمد بن يحيى الصُولِيّ، وعلي بن سليمان الأخفش قالا: حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال: قدم عمارة بن عقيل بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم: ها هُنا شاعر يزعم (قوم) أنه أشعر الناس طرّاً، ويزعم غيرهم ضدُّ ذلك، فقال: أنشدوني قوله. فأنشدوه:

غدتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدِ وعاد قتاداً عندها كلُّ مرقدِ
وأنقذها من غمرة الموت أنَّهُ صُدودُ فراقٍ لا صُدودُ تعمُّدِ
فأجرى لها الإشفاقُ دمعا مورِّدا من الدم يجري فوق خدٍ مُوَرَّدِ
هي البدرُ يغنيها تودّدُ وجهها إلى كلِّ من لاقتْ وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عُمارة: زدنا من هذا. فوصل نشيده وقال:

ولكنني لم أحوِ وفْرا مُجمَّعا ففزْتُ به إلاَّ بشمْلٍ مُبدَّدِ
ولم تُعْطني الأيام نوما مُسكَّنا أَلَذُّ به إلا بنوم مُشَرَّدِ

فقال عُمارة: لله درُّه! لقد تقدم في هذا المعنى مَن سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حبَّب إليّ الاغتراب، هيه، فأنشده:

وطولُ مُقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ لديباجيته فاغتربْ تتجدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زيدت محبَّةً إلى الناس أنْ ليستْ عليهمْ بسرْمَدِ

فقال عُمارة: كمل والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، واطراد المراد، واتساق الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس. (٣٨٥/١٦)

(٥٢)

أخبرني الصوليّ قال: حدَّثني عبد الله بن الحسين قال: حدَّثني وهب بن سعيد قال: جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت أبي تمام، فقال له رجل في المجلس: يا أبا عليّ، أنت الذي تطعنُ على من يقول:

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ ومَحَّتْ كما مَحَّت وشائعُ من بردِ(١)

---

(١) محَّت: درست وانمحت، والوشائع: جمع وشيعة، هي الطريقة في البُرد، وتخطيط يخالف لونه سائر لون البرد.

وأنجدتمُ من بعد اتهام داركُم فيا دمعُ أنجدني على ساكني نجدِ

فصاح دعبل: أحسن والله! وجعل يردده «فيا دمع أنجدني على ساكني نجد» ثم قال: رحمه الله! لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنه أشعر الناس. (١٦/٣٩٨)

(٥٣)

..حكى عبد الله بن المعتز أنَّ أبا خالد العامري قال له: مَنْ أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذّبه ... ... وهكذ ذكر ابن المعتز، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره ولا هو بساقط، ولكن هذا سرف شديد. (١٦/٤٠٠)

(٥٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أبي قال: حدّثني مَن قال لأبي نُؤاس: مَن أشعر طبقات المحدثين؟ قال: الذي يقول:

يطوفُ علينا بها أحْورٌ يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبي الشِّيص. (١٦/٤٠٤)

(٥٥)

قال هارون: وحدّثني العباس بن ميمون طائع، قال: قال: الأصمعيّ: كان ذو الرّمة أشعر الناس إذا شبَّه، ولم يكن بالمفْلِق(١). (١٨/١٠)

(٥٦)

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، قال: حدّثني أبي، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ، والحسن بن عليّ الأدميّ جميعاً، عن القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدّثنا يعقوب بن عمر، قال: حدّثني أحمد بن سلمان، قال: حدّثني أبو عدنان السُلَميّ الشاعر، قال: قال المهديّ لعُمارة بن حمْزة: مَنْ أرقُّ الناسِ شِعْراً؟ قال: والبةُ بنُ الحُباب الأسديّ. وهو الذي يقول:

---

(١) المفلق: يقال أفلق فلان اليوم وهو يُفلِق إذا جاء بعجب، وشاعر مُفْلِق: مُجيد، يجيء بالعجائب في شعره، ينظر لسان العرب (١٠/٣١١)، ويبدو أن المفلق مرتبة دون الفحل، ويفهم هذا من نصٍّ أورده الجاحظ في البيان والتبيين ينظر، (٢/٩).

ولـــهـــا ولا ذنـــبَ لهـــــا　　حُـــبٌّ كأطـــراف الرِّمــــاحِ
في القلب يقْدحُ والحــشـــا　　فـــالقلبُ مــجْروحُ النَّواحي

قال: صدقتَ والله، قال: فما يمنعك عن مُنادمته يا أمير المؤمنين؟ قال: يمنعُني قولُه:

قُلْتُ لسـاقـينا على خلوةٍ　　أدْنِ كـذا رأسك من راسـي
ونَمْ على صدْرك لي ساعةً　　إنّـي امرؤٌ أنكحُ جُلاّسـي

أفتُريدُ أن نكون من جُلاّسه على هذه الشَّريطة ؟ (١٨/١٠٠)

(٥٧)

قال أبو سلْهبٌ الشاعر وحدّثني(والبة) أنه كان ليلة نائماً وأبو نُواس غُلامه إلى جانبه نائم إذ أتاه آتٍ في منامه، فقال له: أتدْري منْ هذا النائم إلى جانبك؟ قال: لا، قال: هذا أشعر منك وأشْعر من الجنّ والإنْس، أما والله لأفتنّن بشعْره الثُّقلين ولأغرينّ به أهلَ المشْرق والمغْرب، قال: فعلمتُ أنّه إبليس، فقلتُ له: فما عندك؟ قال: عصيتُ ربّي في سجْدة فأهْلكني، ولو أمرني أن أسْجُد له ألفا لسجدت. (١٨/١٠٦)

(٥٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابن مهرويه، قال: حدّثني محمد بن عثمان الكزبريّ، قال: أخبرني محمد بن الحجاج الجرادانيّ، قال: قلتُ لابن مُناذر: مَنْ أشعر الناس؟ قال: منْ كُنتُ في شعره، فقلت له: ومنْ ذاك؟ فقال: عديُّ بن زيد، وكان ينْحُو نحوه في شعْره ويقدّمه ويتَّخذه إماماً. (١٨/١٧٥)

(٥٩)

قال أحمد بن سيّار الجرجاني وركب الرشيد يوماً قُبّةً وسعيدُ بن سالم معه في القُبّة، فقال: أين محمد البيْذق؟ وكان رجلاً حسن الصوْت يُنشد الشعرَ فيُطرب بحُسْن صوته أشدُّ من إطْراب الغناء، فحضر، فقال: أنشدْني قصيدةَ الجرجانيّ، فأنشده، فقال: الشّعرُ في ربيعة سائر اليوم، فقال له سعيدُ بنُ سالم: يا أمير المؤمنين، استنْشده قصيدة أشْجع بنِ عمرو، فأبى، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعها، فلما أنشده هذيْن البيتين:

وعلى عدوك يابن عـم مـحـمـد　　رصَدان ضوء الصبحِ والإظلامُ

فـإذا تنبـه رُعْته وإذا غـفـا سلَّتْ عليـه سـيـوفك الأحـلام

... قال له سعيد بن سالم: والله يا أمير المؤمنين، لو خرس بعد هذين (البيتين) لكان أشعر الناس. (٢١٥/١٨)

(٦٠)

قال (الفضل بن الربيع للرشيد): أشجع السُلَميّ أشعر شعراء أهل هذا الزمان. (٢٣٢/١٨)

(٦١)

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني سمْعانُ بن عبد الصمد قال: حدّثني دعْبل بن عليّ قال: كان أبو نُواس يسألني أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد؛ وكان مسلم يسألني أن أجمع بينه وبين أبي نؤاس، وكان أبو نؤاس إذا حضر تخلّف مسْلم، وإذا حضر مسلم تخلّف أبو نُواس، إلى أن اجْتمعا، فأنشده أبو نواس:

أجـارة بيتيْنـا أبُـوكِ غيـورُ وميْسور ما يُرْجى لديكِ عسيرُ

وأنشده مُسلم: لله من هاشمٍ في أرْضه جبلٌ وأنتَ وابْنُـك رُكْنا ذلك الجبلِ

فقلت لأبي نواس: كيفَ رأيتَ مُسْلما؟ فقال: هو أشْعر النّاس بعدي. وسألت مُسلما وقلت: كيف رأيتَ أبا نُواس؟ فقال: هو أشعرُ الناس وأنا بعْده. (٥٣/١٩)

(٦٢)

قال عمّي: قال عبيد الله: دخل يوماً عبد الله بن العبّاس الربيعي على أبي مسلْما، فلمّا استقرّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له: أنشدني شيئاً من شعرك، فقال: إنّما أعبث ولستُ ممّن يقدم عليك بإنشاد شعره، فقال: أتقول هذا وأنت القائل:

ياشـــادنا رامَ إذ مــــرّ في السُعـــانين قـــتْلي
تقـول لـي: كـيـف أصبـ حت؟ كيف يُصبح مثلي!

أنت واللهِ أعزّك الله أغزل الناس وأرقّهم شعراً، ولو لم تقل غير هذا البيت الواحد لكفاكَ ولكنت شاعراً. (٢٣٢/١٩)

(٦٣)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا يعقوب بن نُعيم عن محمد بن القاسم بن

مهرويه، وأخبرني به الحسن بن عليّ، عن ابن مهرويه، عن الفريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني قال: كان سلم تلميذ بشار إلاّ أنّه كان تباعد ما بينهما. فكان سلم يقدّم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعر الجنّ والأنس. (٢٦٨/١٩)

(٦٤)

أخبرني أحمد بنُ عُبيد الله بن عمار قال: حدّثني عليّ بن عمرو الأنصاريُّ، قال: سمعت الأصمعيّ يذكر أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه: من أشعر أهل عصرنا؟ فقالوا فأكثروا، فقال الفضل بن الربيع: أشعر أهلِ زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخُريبة(١) - يعني أبا عُيينة:

زُرْ واديَ القصر نِعم القصرُ والوادي وحبّذا أهلُه من حاضر بادي
تُرْفا قراقيرُه والعيسُ واقفةٌ والضبّ والنونُ والملاّح والحادي(٢) (٩٠/٢٠)

(٦٥)

حدّثني عمّي قال عُمرُ بن محمدِ بن عبد الملك، قال: حدّثني علي بن عُمروس الأنصاريّ عن الأصمعيّ قال: قال لي الفضلُ بنُ الرَّبيع: ياصمعيّ، من أشعرُ أهل زمانك؟ فقلت: أبو نُواس قال: حيث يقول ماذا؟ قلت: حيث يقول:

أما ترى الشمسَ حلّت الحمَلا وقام وزنُ الزمان فاعتدلا

فقال: والله إنه لَذهنٌ فَطِن، وأشعر عندي منه أبو عُيينة. (٩٣/٢٠)

(٦٦)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيُّ عن عمه، قال: قيل ليونُس: مَن أشعر الناس، قال: العجاج ورؤبة، فقيل له لم ولم نَعْن الرُّجاز؟ فقال: هما أشعر من أهل القصيد، إنما الشعر كلام: فأجوده أشعره، قد قال العجاج:

قد جبر الدِّينَ الإلهُ فجبر .. وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها

---

(١) الخريبة: موضع بالبصرة، ويقال: إنه سُمِّي بذلك لأنّ المرزبان كان ابتنى به مقرّاً وخرب بعد، فلمّا نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية، وسمّوها الخريبة.

(٢) رفا السفينة: أدناها من الشطّ، والقراقير: جمع قرقور: السفينة الطويلة، والنون: الحوت.

كانت كلها منصوبة، وكذلك عامةُ أراجيزهما. (٢٠/٣٥١)

(٦٧)

... وقال المفضل في روايته: وكان السُّليك من أشدّ رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم... (٢٠/٣٧٥)

(٦٨)

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأتُ على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال: كان هدبةُ أشْعرَ الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أُقِيدَ منه. (٢١/٢٧٣)

(٦٩)

أخبرني الصوليّ، قال: حدّثني عون بن محمد الكنْديّ، قال: حدّثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، قال: وصفني محمدُ بن عبد الملك للمعتصم، وقال: ماله نظيرٌ في ملاحة الشعر والغناء والعلم بأمورِ الملوكِ. فلقيتُه فشكرتُه، وقلت: جُعِلْتُ فداءك! أتصف شعري وأنت أشعرُ الناس؟ ألستَ القائلَ:

ألم تعجب لمكتئبٍ حزينٍ خدين صبابة وحليفِ صبرِ
يقولُ ـ إذا سألتَ به ـ بخيْرٍ وكيف يكون مهجورٌ بخيْرِ؟

قال: وأين هذا، من قولك؟

يقول لي كيف أصبـ ـحتَ كيفَ يُصبح مثلي

ماءٌ ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسَّعْدان(١). (٢٣/٥٥)

(٧٠)

أخبرني أحمد: قال: حدّثني عمر بن شبّة: قال: حدّثني أحمد بْن معاوية: قال: سمعتُ مروان بن أبي حفصة يقول: لقيني الناطفيّ؛ فدعاني إلى عنان. فانطلقتُ معه، فدخل إليها قبلي، فقال لها: قد جئتُكِ بأشعر الناس، مروان بن أبي حفْصة، فوجدها عليلةً، فقالت له: إني عن

(١) هذان مثلان يضربان لانتهاء الجودة، وغايتها، وصدّاء: ركيةٌ ما عندهم أعذب منها، والسعدان: نبت من أفضل ما يُرعى.

مروانَ لفي شُغل، فأهوى إليها بسوْط فضربها به، وقال لي: ادخُل، فدخلتُ وهي تبكي، فرأيت الدموع تنْحدر من عينيها فقلتُ:

بكتْ عنانٌ فجرى دمْعُها　　كالدُّرِّ إذ يسبقُ من خيطه

فقالتْ هي تبكي:

فليت من يضربُها ظالماً　　تيبس يُمناهُ على سَوْطِهْ

فقلت: أعتق مروانُ ما يملك إن كان في الجنّ والإنس أشعر منها. (٨٦/٢٣)

(٧١)

أخبرني ابنُ عمّار قال: حدّثنا محمد بن عبّاد قال: قال أبو عمرو الشّيْبانيّ: لو قال القُطاميُّ بيته:

يمْشينَ رهْواً فلا الأعجازُ خاذلةٌ　　ولا الصدورُ على الأعجازِ تتّكلُ

في صفة النساء لكان أشعرَ الناس، ولو قال كُثيِّرٌ:

فقلتُ لها: ياعزُّ كُلُّ مصيبةٍ　　إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلّتِ

في مرثيه أو صفةِ حرْب لكان أشعر النّاس. (٢٠/٢٤)

الصدق والكذب في الشعر

تقوم قضية الصدق والكذب على تلك النظرة التي تحاول معرفة مدى مطابقة الشعر لحياة الشاعر، وهل يضمِّن في شعره من المعاني ما يؤمن به، أو يتفّق مع ما يصفه من أشخاص، وحوادث، وسنرى اهتمام كثير من المشاركين في النشاط النقدي منذ العصر الإسلامي بقضية المطابقة هذه، وسعيهم الحثيث للتعرّف عليها، والنفاذ إلى أعماق حياة الشاعر في سبيل اكتشافها. ونرى في المقابل أنّ كثيراً من الشعراء لا يُلقي لقضية التطابق بين شعره، وحياته بالاً، ويرى أنّ للشعر قانونه الخاصّ، ومنطقه المتفرّد الذي يجب أن يسير على هداه، أمّا الحياة وما إليها فهي ملك له وحده، وليس من الضروري أن تكون أوصافه مقاربة لها، دانية منها.

ونحن نعلم أنّ بعض النقّاد المتخصصّين قد وقف عند هذه القضية فيما بعد، وأبدى فيها آراء ناضجة، كانت كفيلة بتطوير النظرة إليها، وتوسيع آفاق هذا النظر. فابن طباطبا في عيار الشعر يربط الشعر بالصدق من جهات مختلفة: الصدق في التشبيه، والصدق في الشاعر، والصدق في القصيدة، وهذا ينسجم مع التناسب الذي يريده، ويجعله سرُّ الجمال، فالصدق «صنو للتناسب الجمالي في القصيدة»، (تاريخ النقد، د. إحسان عباس، ص ٣٤)، ونرى قدامة بن جعفر يقف في المكان المقابل لابن طباطبا حين يؤيِّد مَنْ يقول بأنّ أعذب الشعر أكذبه، ولا يرى في تناقض الشاعر في قصيدتين في شعره أمراً ينبغي أن يُلتفت إليه، وإنّما يجب توجيه النظر إلى كيفية قول الشاعر لشعره، ومدى نجاحه أو إخفاقه في هذه العملية، ونرى حازم القرطاجني في منهاجه يفرّع الحديث عن هذه القضية حين يقول (ص ٨٥): « .. فقد تبيّن من هذا، وممّا قبله أنّ الشعر له مواطن لا يصلح فيها إلاّ استعمال الأقاويل الصادقة، ومواطن لا يصلح فيها إلاّ استعمال الأقاويل الكاذبة، ومواطن يصلح فيها استعمال الصادقة والكذبة، واستعمال الصادقة أكثر وأحسن، ومواطن يحسن فيها استعمال الصادقة والكاذبة واستعمال الكاذبة أكثر وأحسن، ومواطن تستعمل فيها كلتاهما من غير ترجُّح، فهي خمسة مواطن، لكلٍّ مقام منها مقال»، وينتهي بعد هذا ليقرِّر أمراً مهمّاً يشبه في جوانبَ منه ما ذهب إليه قدامة من قبل، وهو قوله (ص ٨١): «الاعتبار في الشعر إنّما هو التخييل في أيِّ مادّة اتفّق، لا يشترط في ذلك صدق ولا كذب، بل أيّهما ائتلفت الأقاويل المخيّلة منه فبالعرض، لأنّ صنعة الشاعر هي جودة التأليف، وحسن المحاكاة: وموضوعها الألفاظ وما تدلّ عليه»، ومن هذا نستطيع القول إنّ

هؤلاء النقّاد، وغيرهم، قد عالجوا هذه القضية من زاوية جمالية، وإن لم يغفلوا الصدق إغفالاً تاماً، ولعلَّ هذا قد فتح الباب أمام الشاعر بعيداً عن سيف الكذب المصلت على رأسه.

وعليه، فإنَّ النصوص في هذه القضية تقدِّم نماذج من طرائق تفكير بعض (النقّاد)، وتطلّبهم المطابقة، وسؤالهم عنها، وتحرِّيهم لها، وقد تنوَّعتْ منطلقات اهتمامهم بهذه المطابقة، فمنهم كان يحدوه المنطلق الديني، أو الأخلاقي، أو السياسي، أو الاجتماعي، ولكنَّهم يلتقون عند نقطة واحدة هي ضرورة التلازم بين الشاعر، وشعره، وعدم التزيّد في الأوصاف، والمغالاة فيها، وإلاّ دخل في نطاق الكذب، والغلو، وتجاوز المقدار، ورأى آخرون عدم الالتزام بهذا القيد. وترك الشاعر عصفوراً يطير من فنن إلى آخر، فهم بذلك يقتربون في رأيهم من أولئك النقّاد المتخصِّصين الذين أوردنا بعض آرائهم، وقد تكفَّل التعليق على النصوص بتبيان آراء الفريقين، والإشارة إلى مواطن ما اعتقدوه أنّه كذب، وخروج من الشاعر عن الاقتصاد، أو ما ظنّوه صدقاً، طابق الشاعر فيه بين الوصف، والموصوف.

العصر الإسلامي

(١)

ونسخت من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرِّياشيّ قال حدّثني محمدُ بن الطُّفيل عن أبي بكر عيّاش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال: سبق رسول الله(ص) على فرس له فجثا على ركبتيه وقال: «إنه لبحْر»(١)؛ قال عمر: كذب الحطيئة حيث يقول:

وإنّ جيادَ الخيل لا تستفزُّنا ولا جاعلاتُ الرَّيْطِ فوقَ المعاصم(٢)

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله(ص). (٢/١٧٧)

(٢)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن هشام بن عُرْوة: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشِد قول الحطيئة:

متى تأتِه تعْشُو إلى ضوْء نارِه تجدْ خيْرَ نارٍ عندها خيْرُ مُوقِدِ(٣)

فقال عمر: كذب، بل تلك نارُ موسى نبيِّ الله (ص). (٢/٢٠٠)

(٣)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المنْقريّ قال حدّثنا زياد بن بيان العُقيليّ قال حدّثنا أبو خوْلة الأنصاريّ عن أنس بن

---

(١) إنّه لبحر: أي واسع الجري.

(٢) الرُّيط. جمع ريطة، وهي كلّ ملاءة غير ذات لفقين كلّها نسج واحد، أو كلّ ثوب ليّن رقيق.

(٣) تعشو: تقصد في الظلام.

مالك قال: جلس رسول الله(ص) في مجلس ليس فيه إلا خزْرجيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أتعرفُ رسماً كاطّرادِ المذاهبِ لعمْرةَ وحْشاً غير موقفِ راكبِ(١)

فانشده بعضهم إيّاها، فلما بلغ إلى قوله:

أجالدُهم يومَ الحديقة حاسراً كأنّ يدي بالسيف مِخْراقُ لاعبِ(٢)

فالتفت إليهم رسول الله(ص) فقال: «هل كان كما ذكر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شمّاس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابعِ عُرْسه عليه غلالة ومِلْحفة مورّسة(٣) فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية. (٧/٣)

(٤)

قال الزُّبير وأنشدتُ محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراقُ لاعبِ

فضحك وقال: ما اقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسَّعف. (٨/٣)

(٥)

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة عن عكْرمة عن ابن عبّاس: أنّ رسول الله (ص) صدّق أميّة في قوله:

رجلٌ وثورٌ تحت رجلِ يمينه والنّسرُ للأخرى وليثٌ مُرْصَدُ(٤)

فقال رسول الله: «صدق». (١٢٨/٤)

---

(١) الاطّراد: التتابع، والمذاهب: واحدها مُذهب، وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها في أثر بعض.

(٢) الحديقة: قرية من أعراض المدينة في طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، والمخراق: خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان.

(٣) مورّسة: مصبوغة بالورس، وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب، ويتّخذ منه طلاء الوجه.

(٤) قال الجاحظ في الحيوان (٦٨/٦): «وقد جاء في الخبر أنّ من الملائكة مَنْ هو في صورة الرجال، ومنهم مَنْ هو في صورة الثيران، ومنهم مَنْ هو في صورة النسور، ويدلّ على ذلك تصديق النبي (ص) لأمية بن أبي الصلت»، وأورد البيت.

(٦)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقدَّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيّان التَّيْميّ عن حبيب بن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعرٌ عن سعد بن إبراهيم، قالوا: قال حسّان بن ثابت للنبيّ (ص):

شـــهدتُ بإذن اللـــه أن محمـــداً رسولُ الذي فوق السّموات من علُ
وأنّ أخـا الأحـقـاف إذ يـعْذُلونـه يقـومُ بدين الله فـيـهم فـيـعـدلُ(١)
وأنّ أبا يـحـيى ويحـيى كـلاهُمـا لـــه عـمـلٌ في دينـه مُتـقـبَّـــلُ(٢)
وأنّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مريمٍ رســولٌ أتى مــن عنـد ذي العرش مُرْسَلُ
وأنّ الذي بالجِزْع من بطن نـخلـةٍ ومـنْ دونهـا فلٌّ من الخـيـر مـعزلُ(٣)

فقال النبيّ (ص): «أنا أشهد معك»(٤). (٤/١٥١)

(٧)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زُهيْر بن حرْب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسْروق، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجْليّ قال حدّثنا سُفيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق قال: دخلتُ على عائشة وعندها حسّانُ وهو يرْثي بنتاً له، وهو يقول:

رَزانٌ حصـانٌ مـا تُـزنُّ بريبـةٍ وتُصبِحُ غرْثى من لحُوم الغوافلِ(٥)

---

(١) أخو الأحقاف: هو هود عليه السلام، والأحقاف هنا: وادٍ بين عُمان وأرض مَهْرة، أو هو رمل فيما بين عمان وحضر موت. (٢) أبو يحيى: هو زكريا عليه السلام.

(٣) الجزع: قرية عن يمين الطائف، وأخرى عن شماله، والفلّ: الذي لا خير عنده، كالأرض الفلّ وهي التي لا نبت فيها ولا خير، وبطن نخلة: موضع بين مكة والطائف.

(٤) يلاحظ في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمر بن اخطاب رضي الله عنه أنّهما يتطلّبان من الشعر مطابقة الواقع، يتبّين هذا من سؤاله صلى الله عليه وسلم عن شعر قيس بن الخطيم، وأمية، وتكذيب عمر للحطيئة، فكأنّ الصدق يراد به هنا الصدق الواقعي، ومدى ملاءمة المعاني للأحداث التي يصورها.

(٥) امرأة رزان: إذا كانت ذات ثبات، ووقار، وعفاف، وكانت رزينة في مجلسها، وامرأة حَصَان: عفيفة بيّنة الحصانة، والغرثى: الجائعة، أي إنّها تصبح جائعة من لحوم الناس، والمراد أنّها لا تغتابهم.

فقالت عائشة: لكن أنت لست كذلك[1]. فقلت لها: أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزَّ وجلَّ: (والذي تولّى كِبرهُ منهُمْ لهُ عذابٌ عظيمٌ)! فقالت: أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصرُه!

(١٥٣/٤)

(٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني النوفليّ عن أبيه وأهله قالوا: لما أنشد متمم بن نويرة عمر بن الخطاب قوله يرثي أخاه مالكاً:

وكنّا كندمانيْ جَذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلمّا تفرقنا كأنّي ومالكاً ... لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

قال له عمر: هل كان مالكٌ يحبُّك مثلَ محبتُك إيّاه أم هل كان مثلك؟ فقال: وأين أنا من مالك، وهل أبلغُ مالكاً، واللهِ يا أمير المؤمنين لقد أسرني حيٌّ من العرب فشدّوني وثاقاً بالقدِ، وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبل على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ في ناديهم، فلما نظر إليَّ أعرضَ عنّي، ونظر القومُ إليه فعدل إليهم، وعرفتُ ما أراد، فسلّم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فوالله إنْ زال كذلك حتّى ملاهم سروراً، وحضر غداؤهم فسألوه ليتغدّى معهم فنزل وأكل، ثم نظر إليّ وقال: إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقىً بين أيدينا لا يأكل معنا! وأمسك يده عن الطعام. فلما رأى ذلك القومُ نهضُوا وصبُّوا الماء على قِدي حتى لان وخلّوني، ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغداء، فلمّا أكلنا قال لهم: أما ترون تحرُّمَ هذا بنا وأكله معنا، إنّه لقبيح بكم أن تردُّوه إلى القدِّ. فخلّوا سبيلي فكان كما وصفت. وما كذبتُ في شيء من صفته إلا أنّي وصفتُه خميص البطن، وكان ذا بطن.

(٣١٠/١٥)

(٩)

أخبرني الحسين بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه. وحدّثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدّثنا محمد بن حميد الرازي قال: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال: كان عثمان بن مظعون في جوارِ الوليد بن المغيرة، فتفكّر يوماً في نفسه فقال: والله ما ينبغي لمسلمٍ أن يكون آمناً في جوار كافر ورسولُ الله (ص) خائف.

---

(١) تعرّض أم المؤمنين رضي الله عنها بحسّان مشيرة إلى حادثة الإفك المعروفة.

فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له: أحبُّ أن تبرأ من جواري. قال: لعلّه رابك ريب. قال: لا، ولكن أحبُّ أن تفعل. قال: فاذهبْ بنا حتى أبرأ منك حيثُ أجرتك. فخرج معه إلى المسجد الحرام فلمّا وقف على جماعة قريش قال لهم: هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرته ثم سألني أن أبرأ منه، أكذاك يا عثمان؟ قال: نعم. قال: اشهدوا أنّي منه بريء. قال: وجماعة يتحدثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم، فجلس عثمان مع القوم فأنشدهم لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ

فقال له عثمان: صدقت، فقال لبيد: وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ

فقال عثمان: كذبت. فلم يدر القومُ ما عنى. فأشار بعضُهم إلى لبيدٍ أن يعيد، فأعاد فصدَّقه في النصف الأول وكذَّبه في الآخر، لأنَّ نعيم الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، ما كان مثلُ هذا يكون في مجالسكم. فقام أبيُّ بن خلف أو ابنُه فلطم وجه عثمان، فقال له قائل: لقد كنتَ في منعةٍ من هذا بالأمس. فقال له: ما أحوج عيني هذه الصحيحة إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأخرى في الله. (٣٧٤/١٥)

(١٠)

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه إسحاق، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الراوية، عن ابن أبي ليلى، قال: أنشدتني ليلى بنت عُروة بن زيْد الخيل الطائيّ شعْرَ أبيها في يوم محجّرٍ(١):

بني عامرٍ هل تعرفون إذا غدا أبو مُكْنفٍ قد شدَّ عقْدَ الدوابرِ
بجيشٍ تضلُّ البُلْقُ في حجراته ترى الأكْمَ فيه سُجَّدًا للحوافرِ(٢)
وجمعٍ كمثْلِ الليل مرتجزِ الوغى كثيرٍ حواشيه سريعِ البوادرِ

قالت ليلى: فقلت لأبي: يا أبهْ، أشهدتَ ذلك اليوم مع أبيك؟ قال: إي والله يا بنيَّة، لقد شهدته، قلت: كم كانت خيْلُ أبيكَ هذه التي وصفت؟ قال: ثلاثة أفراس(٣). (٢٥٦/١٧)

---

(١) محجّر: موضع، فهو جبل في ديار طيء، أو في ديار يربوع، أو قرن في أسفله جرَعة بيضاء في ديار أبي بكر بن كلاب بفرع السُّرة، ينظر معجم البلدان (٥/ ٦٠).

(٢) البلْق: الخيول، وسجود الأكم للحوافر يريد كثرة وطء الحوافر لها فتنخفض لهذا الوطء كمن يسجد.

(٣) يلاحظ البَون البعيد بين الوصف الوارد للخيل في الأبيات، وعددها المُشار إليه هنا

العصر الأموي

(١)

أخبرنا عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق عن الزُّبيريّ قال حدّثني أبي عن سَمُرة الدُّومانيّ من حمير قال: إنّي لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخٍ في الطُّوافِ، فقيل لي: هذا عمرُ بن أبي ربيعة. فقبضْتُ على يده وقلت له: يابنَ أبي ربيعة. فقال: ما تشاء؟ قلت: أكُلُّ ما قلته في شعرك فعلته؟ قال: إليكَ عنِّي. قلتُ: أسألك بالله! قال: نعمْ وأستغفرُ الله. (٧٥/١)

(٢)

قال إسحاق: وذكر محمد بن إسماعيل الجعْفريّ عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة قال: أشرف عمرُ بن أبي ربيعة على أبي قُبيس، وبنو أخيه معه وهم مُحْرِمون، فقال لبعضهم: خُذْ بيدي فأخذ بيده؛ وقال: وربِّ هذه البنيَّة ما قلتُ لامرأةٍ قطُّ شيئاً لم تقلْه لي، وما كشفْتُ ثوباً عن حرام قطُّ. قال: ولمّا مرض عمرُ مرضه الذي مات فيه جزع أخوه الحارثُ جزعا شديداً، فقال له عمر أحسبُك إنما تجزع لما تظنُّه بي، والله ما أعلم أنِّي ركبتُ فاحشةً قطُّ! فقال: ما كنتُ أشْفق عليك إلاّ من ذلك، وقد سلَّيْتَ عنِّي(١). (٧٦/١)

(٣)

قال الزُّبير وحدّثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: حججتُ مع أبي وأنا غلامٌ وعليّ جُمَّة. فلما قدمتُ مكةَ جئتُ عمر بن أبي ربيعة، فسلَّمتُ عليه وجلستُ معه، فجعل يمدُّ الخُصْلةَ من شعري ثم يُرْسلُها فترجعُ على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه! حتى فعل ذلك مراراً. ثم قال لي: يابن أخي، قد سمعتني أقولُ في شعري: قالتْ لي

---

(١) يلاحظ التناقض في إجابتي عمر في هذا النصّ، والذي قبله، وسنرى نظائر لهذا فيما سنستقبل من نصوص.

وقلتُ لها، وكلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن كنتُ كشفتُ عن فرْجٍ حرامٍ قطُّ! فقمت وأنا مُتشكِّكٌ في يمينه، فسألتُ عن رقيقه فقيل لي: أمَّا في الحَوْك فله سبعون عبداً سوى غيرهم. (٧٧/١)

(٤)

قال الزُّبير: وحدَّثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ قال حدَّثني عمِّي عِمْرانُ بنُ عبد العزيز قال: شبَّب عُمر بن أبي ربيعة بزينبَ بنتِ موسى في أبياته التي يقول فيها:

لا تلوما في آل زينبَ إنَّ الـ ... ـقلبَ رهنٌ بآل زينبَ عاني

فقال له ابنُ أبي عتيق: أمَّا قلبُك فقد غُيِّبَ عنَّا، وأمَّا لسانُكَ فشاهدٌ عليك. (٩٨/١)

(٥)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال حدَّثنا العُمريَّ عن لقيط بن بكر المحاربيِّ قال: أنشدني ابنُ أبي عتيق قول عمر:

من لسقيمٍ يكتُم الناس ما به ... لزينب نجْوى صدره والوساوسُ
أقولُ لمن يبْغي الشِّفاء متى تجيءْ ... بزينبَ تُدْرك بعض ما أنتَ لامسُ
فإنَّك إن لم تشْفِ من سقمي بها ... فإنِّيَ من طبِّ الأطباء آيسُ
ولستُ بناسٍ ليلةَ الدار مجلساً ... لزينبَ حتى يعْلُوَ الرأس رامسُ(١)
خلاءً بدتْ قمْراؤه وتكشَّفتْ ... دُجُنَّته وغاب منْ هو حارسُ
وما نلتُ منها محْرماً غير أنَّنا ... كلانا من الثوب المورَّدِ لابسُ
نجيَّيْنِ نقضي اللهو في غير مأثمٍ ... وإن رغمتْ م الكاشحين المعاطسُ

قال: فقال ابنُ أبي عتيق: أمِنَّا يسخرُ ابن أبي ربيعة! فأيُّ محْرم بقي! ثم أتى عمرَ فقال له: يا عُمرُ، ألم تُخْبرني أنَّك ما أتيتَ حراماً قطُّ؟ قال بلى! قال: فأخْبرني عن قولك:

كلانا من الثَّوبِ المورَّد لابسُ

ما معناه؟ قال: والله لأخبرنَّك! خرجتُ أريد المسجد وخرجَتْ زينبُ تريده، فالتقينا فاتَّعدنا(٢) لبعض الشِّعاب، فلما توسطْنا الشِّعْبَ أخذتْنا السماءُ، فكرهتُ أن يُرى بثيابها بللُ المطر، فيقالَ

---

(١) الرامس: الدافن في الرَّمس وهو القبر. (٢) اتَّعدنا: تواعدنا.

لها: ألا استترتِ بسقائف المسجد أن كنتِ فيه، فأمرتُ غِلْماني فستروُنا بكساء خزٍّ كان عليَّ؛ فذلك حين أقول: كلانا من الثوب المطارفِ لابسُ

فقال له ابنُ أبي عتيق: يا عامرُ! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة! (١/٩٩)

(٦)

أخبرنا محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثني أبوالعبّاس المدينيّ قال أخبرنا ابنُ عائشة قال: حضر ابنُ أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو يُنشد قوله:

ومنْ كان محزوناً بإهراق عبرةٍ وَهَى غربُها فلْيأتنا نُبْكه غدا(١)
نُعنْه على الإثْكالِ إنْ كان ثاكلاً وإن كان محْروباً وإن كان مُقْصدا(٢)

قال: فلمّا أصبح ابنُ أبي عتيق أخذ معه خالداً الخرِّيتَ وقال له: قُمْ بنا إلى عمر. فمضيا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئناك لموعدك. قال: وأيُّ موعدٍ بيننا؟ قال: قولُك: «فليأتنا نُبكه غدا» قد جئناك، والله لا نبرحُ أو تبْكي إن كنت صادقاً في قولك، أو ننصرف على أنك غير صادق، ثم مضى وتركه، قال ابن عائشة: خالدُ الخرِّيت هو خالد بن عبد الله القسْري. (١/١٥٢)

(٧)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا دماذ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش الهمْدانيّ قال: لقيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له: يا أبا الخطّاب، أكُلُّ ما قلته في شِعْرك فعلته؟ قال: نعمْ، وأستغفرُ الله. (١/١٥٣)

(٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثتني ظَبْيةُ مولاةُ فاطمةَ بنت عمر بن مُصعب عن ذُهيبةَ مولاةِ محمد بن مُصْعب بن الزُّبير قالت: كنتُ عند أمةِ الواحد أو أمة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُنبذ(٣) الذي في بيت سُكيْنة بنتِ خالد بن مُصعب أنا وأبوها عُمر وجاريتان له تُغنِّينان، يقال لإحداهما البَغُوم، والأخرى أسْماء، وكانت أمةُ المجيد بنتُ عمر تحت محمد بن

---

(١) وهي غربُها: ضعف دمعها، ونبكه هنا نُعنْه على البكاء.

(٢) المحروب: مَنْ سُلِب ماله، ومُقْصَد: مَنْ طُعن أو رُمي بسهم فلم يخطئ مقاتله.

(٣) الجنبذ: كلُّ مرتفع مستدير من الأبنية والآزاج كالقبّة.

مُصْعب بن الزبير. قالت: فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُنْبذ هذه الأبياتَ، فلما انتهى إلى قوله:

ولقد قلتُ ليلةَ الجـزْل لمّا أخْضلتْ رِيْطتي عليَّ السَّماءُ(١)

خرجتِ البغُوم ثم رجعتْ إليه فقالت: ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر! تزعمُ أنك بالجزْل وأنت في جُنْبذ محمد بن مصعب، وتزعم أنَّ السماء أخْضلتْ رِيْطتك وليس في السماء قزَعةٌ(٢)! قال: هكذا يستقيم هذا الشأن. (١/١٦٥)

(٩)

قال مُصْعب وحدّثني يعقوبُ بن إسحاق قال: لمّا بلغ الثريّا قولُ عمر بن أبي ربيعة (في رملة):

وجلا بُرْدُها وقد حسـرتْه نُورَ بدرٍ يُضيء للناظرينا

قالت: أفٍّ له ما أكْذبه! أو ترتفعُ حسْناءُ بصفته لها بعدَ رملة ؟ (١/٢٢٠)

(١٠)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني مُؤمن بن عمر بن أفْلح مولى فاطمةَ بنتِ الوليد قال أخبرني بلالٌ مولى ابنِ أبي عتيق قال: أنشدِ ابنُ أبي عتيق قول عمر:

مَنْ رسـولي إلى الثريّا فإني ضقتُ ذرْعاً بهجرها والكتابِ

فقال ابن أبي عتيق: إيّاي أراد وبي نوّه! لا جرم والله لا أذوقُ أكْلاً حتى أشْخصَ فأصلحَ بينهما، ونهض ونهضتُ معه؛ فجاء إلى قوم من بني الدّيل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فُرْهٌ يكْرونها(٣)، فاكْترى منهم راحلتين وأغلى(٤) لهم فقلتُ له: استوضعْهم أو دعْني أماكسهم؛ فقد اشْتطُّوا عليك(٥). فقال: ويْحك! أما علمت أنَّ المكاس ليس من أخلاق الكرام! ثم ركب إحداهما

---

(١) الجزل: موضع قرب مكة، ينظر معجم البلدان (٢/١٣٤)، وقد ساق ياقوت هذا البيت، ومعه آخر.

(٢) القَزَعة: قطعة الغيم. (٣) فُرْه: جمع فاره، وهو النشيط القويّ من الدواب، ويكرونها: يؤجرونها.

(٤) أغلى لهم: بذل لهم أجراً غالياً

(٥) أي اسألهم أن يحطّوا عنك بعض هذا الأجر، أو دعني أتكلّم فقد جاوزوا القدر

وركبتُ الأخرى، فسار سيْراً شديداً؛ فقلتُ: أبق على نفسك؛ فإنّ ما تريد ليس يفُوتُك. فقال: ويْحك! أبادِرُ حبْلَ الْودّ أن يتقضبا(١).

وما حلاوةُ الدنيا إن تمّ الصدْعُ بين عمر والثريّا! فقدمنا مكةَ ليلاً غير مُحْرمين، فدقّ على عمر بابه، فخرج إليه وسَلّم عليه ولم ينزلِ عن راحلته؛ فقال له: ارْكبْها نُصلح بينك وبين الثريّا؛ فأنا رسولك الذي سألتَ عنه. فركب معنا وقدمْنا الطائفَ، وقد كان عُمر أرضى أمَّ نوْفلٍ فكانت تطلبُ له الحيل لإصلاحها فلا يمكنها. فقال ابن أبي عتيق للثريّا: هذا عمر قد جشّمني السفر من المدينة إليك، فجئتُك به مُعْترفاً لك بذنبٍ لم يجْنِه، معتذراً إليك من إساءته إليك؛ فدعيني من التّعْدادِ والتّرْداد؛ فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون؛ فصالحتْه أحسنَ صلْح وأتمّه وأجمله، وكررْنا إلى مكة، فلم ينزلها ابنُ أبي عتيق حتى رحل. وزاد عمر في أبياته:

أزْهقتْ أمُّ نوفلٍ إذ دعتْها ... مُهْجتي، وما لقاتلي مِنْ متابِ

حين قالتْ لها أجيبي فقالتْ ... مَنْ دعاني؟ قالت أبو الخطّابِ

فاستجابتْ عند الدعاء كما لبّى ... رجالُ يرْجُون حسن الثواب (١/٢٢٢)

(١١)

أخبرني الحرميّ عن الزُّبير عن محمد بن الحسن قال: دخل نُصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له. فقال إبراهيمُ: ما هذا بشيء! أين هذا من قول أبي دهْبلٍ لصاحبنا ابنِ الأزرق حيث يقول:

إن تغْدُ من مَنْقليْ نخلانَ مُرْتحِلاً ... يرْحلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ(٢)

قال: فغضب نُصيبُ ونزع عمامته وبرك عليها، وقال: لئن تأتُونا برجالٍ مثل ابنِ الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهْبل أو أحسن؛ إنّ المديح والله إنما يكون على قدْر الرجال(٣). قال: فأطرق ابنُ هشام، وعجبُوا من إقدام نُصيبٍ عليه، ومن حِلْم ابنِ هشامٍ وهو غيرُ حليم. (١/٣٦٢)

---

(١) يتقضّب: يتقطّع.

(٢) منقلان: مثنّى منقل، وهو الطريق في الجبل، وهو أيضاً طريق مختصر، ونخلان: من نواحي اليمن.

(٣) كأنّه لا يصف الممدوح إلاّ بما فيه، فهو لا يتزيّد، أو يكذب، وقد وقفنا عند أطراف من هذا الأمر في قضية الأغراض الشعرية المتقدّمة.

(١٢)

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء: لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدقَ من بيت الحطيئة:

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازيه   لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ(١)

فقيل له: فقولُ طرفة:

ستُبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً   ويأتيك بالأخبار مَنْ لم تُزوّدِ

فقال: من يأتيك بها ممن زوّدت أكثر، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مطعنٌ إلا قول الحطيئة: لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس (١٧٣/٢)

(١٣)

وفي هذه القصيدة يقول (ابن ميّادة):

فضلْنا قريشاً غير رهْطِ محمدٍ   وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائلِ

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعب، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زُهير بن مُصْعب قال: قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميّادة: أنت فضلْتَ قريشاً! وجرّده فضربه أسواطاً. أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: لما قال ابن ميّادة:

فضلنا قُريشاً غير رهطِ محمد   وغير بني مرْوانِ أهلِ الفضائلِ

قال له الوليد بن يزيد: قدّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا! فقال: ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنُّه يمكنُ غيرُ ذلك. قال: فلما أفْضت الخلافةُ إلى بني هاشم وفد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه: كيف قال لك الوليد؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجّب. (٢٩٤/٢)

(١٤)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عوانة قال حدّثني رجل من أهل الكوفة قال: قدم نُصيْبٌ الكوفة، فأرسلني أبي إليه، وكان له صديقاً، فقال:

---

(١) جوازيه: اسم مصدر للجزاء، وهو جمع جازية.

أقرئْهُ منّي السلام وقل له: إنْ رأيتَ أن تُهْديَ لنا شيئاً مما قلتَ! فأتيتُه في يوم جُمعة وهو يصلِّي، فلما فرغ أقرأتُه السلامَ وقلتُ له، فقال: قد علم أبوك أنّي لا أنشد في يوم الجمعة ولكنْ تلْقاني في غيره فأبلغُ ما تحبّ. فلمّا خرجتُ وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْتُ إليه؛ فقال: أترْوي شيئاً من الشعر؟ قلتُ نعم؛ قال: فأنشدني؛ فأنشدتُه قول جميل:

إني لأحفظُ غيْبكم ويسرُّني لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكري

فقال نُصيْبٌ: أمْسِكْ! أمْسِكْ! لله درُّه! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال، ولقد نَحَتَ للنَّاس مثالاً يحتذون عليه ثم قال: أمَّا أصدقُنا في شعره فجميل، وأمَّا أوصفُنا لربّات الحجال فكُثيِّر، وأمَّا أكذبُنا فعُمرُ بن أبي ربيعة، وأما أنا فأقول ما أعرف. (٢/٢٩٦)

(١٥)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن زُهيْر بن مُضَرّس الفزاريّ عن أبيه قال: أخصب جنابُ الحجاز الشاميّ فمالتْ لذلك الخِصْبِ بنو فزارة وبنو مُرَّة، فتحالُّوا(١) جميعاً به. قال: فبينا ذات يوم أنا وابن ميّادة جالسان على قارعة الطريق عشاءً إذا راكبان يُوجفان(٢) راحلتين حتّى وقفا علينا، فإذا أحدُهما بحر الريح وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه موْلىً له، فنسبنا(٣) وانتسب لنا، وقد كان ابن ميّادة يُعلّلني بشعره(٤)، فلمّا انقضى كلامُنا مع القُرشيّ ومولاه استعدتُ ابنَ ميادة ما كنّا فيه، فأنشدني فخراً له يقول فيه:

وعلى المُليْحة من جذيمةَ فِتْيةٌ يتمارضُون تمارضَ الأسْدِ(٥)
وترى الملوكَ الغُرَّ تحت قبابهم يمشُون في الحلقات والقِدِّ(٦)

قال: فقال له القُرشيّ: كذبتَ؛ قال ابن ميّادة: أفي هذا وحده! أنا والله في غيره أكذبُ؛ فقال له القُرشيّ: إنْ كنتَ تريد في مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربك ودفعت قوله، ثم قرأ عليه: (لإيلاف قُريش) حتّى أتى على آخرها، ونهض هو ومولاه وركبا راحلتيهما؛ فلمّا فاتا أبصارنا قال ابن

---

(١) تحالّوا: حلّوا متجاورين. (٢) يوجفان: يحثّان.

(٣) نَسَبنا: سألنا أن ننتسب. (٤) يعلّلني: يشغلني ويلهيني.

(٥) المليحة: موضع في بلاد بني تميم، وكان به يوم بين بني يربوع، وبسطام بن قيس الشيباني، والتمارض: أن يرى من نفسه المرض وليس به.

(٦) القِدّ: سيور تُقَدُّ من جلد فطير غير مدبوغ يُشدّ به الأسير.

ميّادة: سمَينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَه وغثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ (٢/٣١٣)

(١٦)

أخبرنا يحيى بن علي عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المريّ قال: كان ابن ميادة قد هاجى سنان بن جابر أحد بني حُميس بن عامر بن جُهينة بن زيد بن ليْث بن سُود بن أسْلم؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هجائه:

لقد طالما علّتَ حُجْراً وأهله بأعراض قيسٍ ياسنانُ بن جابرِ
أأهجو قُريشاً ثم تكره ريبتي ويسرقُني عرْضي حُميسُ بنُ عامرِ

قال: وقال فيهم أيضاً:

قصار الخُطى فُرْق الخُصى زُمْرُ اللّحى كأنّهُمُ ظِرْبى اهترشْنَ على لحْم(١)
ذكرتُ حَمام القيْظ لما رأيتُهم يُمشُّون حوْلي في ثيابهم الدُّسْمِ(٢)
وتُبْدي الحُميْسيّاتُ في كلّ زينةٍ فُروجا كآثار الصِّغار من البهْمِ

قال: ثم إنّ ابن ميّادة خرج يبغي إبلاً له حتى وردَ جُباراً - وهو ماءٌ لحُميس بن عامر - فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنّتْ، فنشدها إبله فذكرتْها له وقالت: ممن أنت؟ قال: رجلٌ من سُليم بن منصور؛ فأذنَتْ له وقالت: ادخل حتى نقْريك وقد عرفتْه وهو لا يدري؛ فلمّا قرتْه قال ابن ميّادة: وجدتُ ريحَ الطِّيب قد نَفَحَ عليَّ من البيت، فإذا بنْتٌ لها قد هتكتِ السِّتْرَ، ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمرُ وهي مؤتزرةٌ به، فأطلقتْه وقالت: انظرْ يابن ميّادة الزانية! أهذا كما نعتَ! فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها! فقالت: أهذا كما قلت!.

وتُبْدي الحُميسياتُ في كلّ زينةٍ فُرُوجاً كآثار الصِّغارِ من البهْمِ

قال: قلت: لا والله يا سيدتي، ما هكذا قلتُ ولكن قلت:

وتُبدي الحُميسيّاتُ في كلّ زينةٍ فروجاً كآثار المقيْسَرةِ الدُّهْمِ(٣) (٢/٣١٤)

---

(١) فُرق: جمع أفرق، من الفرق وهو تباعد ما بين الخصيتين، زُمْر اللّحى: مجتمعو اللّحى، والظربى: جمع ظربان وهي دويبة كالهرّة منتنة الرائحة، واهترشن: تواثبن وتقاتلن.

(٢) الدُّسْم: الوسخة.

(٣) المقيسرة: الإبل المسانّ.

(١٧)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام عن أبي الغرّاف عمّن يثقُ به قال: بعث يزيد بن عبد الملك حين قُتل يزيد بن المهلّب في الشعراء، فأمر بهجاء يزيد بن المهلّب. منهم الفرزدق وكثيّر والأحوص. فقال الفرزدق: لقد امتدحتُ بني المهلّب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً. وإنّه لقبيح بمثلي أن يكذّب نفسه على كِبر السنّ فليعفني أمير المؤمنين؛ قال: فأعفاه. (٢٥٥/٤)

(١٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عباية المخزوميّ: أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُديلة(١) وكان له جُلساء يتحدّثون عنده، ففقدهم أيّاماً، وسأل عنهم فقيل: هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّبِ الحديث حلْوٍ ظريف قدم عليهم يسمّى محمداً ويُكنى أبا قيس. فجاء إسماعيل فوقف عليهم، فسمع الرجلُ القوم يقولون: قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار؛ فأقبل عليه فقال له: أنت إسماعيل؟ قال نعم. قال: رحم الله أبويك فإنّهما سمّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس. فقال له إسماعيل: ما اسمك؟ قال: محمد. قال: أبو منْ؟ قال أبو قيس. قال: لا! ولكن لا رحم الله أبويك؛ فإنّهما سمّياك باسم نبيٍّ وكنّياك بكُنْيةِ قرْد. فأفحِم الرجلُ وضحك القومُ، ولم يعُدْ إلى مجالستهم، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل. (٤٠٩/٤)

(١٩)

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق: قرأتُ على أبي أنّ عُبيد الله بن قيس الرُّقيات منعه عبدُ الملك بن مروان عطاءه من بيت المال وطلبه ليقتله، فاستجار بعبد الله بن جعفر، وقصده فألفاه نائماً، وكان صديقاً لسائب خاثر، فطلب الإذنَ على ابن جعفر فتعذّر، فجاء سائب خاثر ليستأذن له عليه؛ قال سائبٌ: فجئت من قِبلِ رِجْلِ عبد الله بن جعفر فنبحتُ نُباح الجرْوِ الصغير، فانتبه ولم يفتح عينيه، وركلني برجْله، فدُرتُ إلى عند رأسه، فنبحتُ نُباحَ الكلب الهرِم، فانتبه وفتح عينيه فرآني؛ فقال: مالك؟ ويحك! فقلت: ابنُ قيس الرقيّات بالباب؛

(١) حُدَيلة: محلّة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان.

قال: ائذن له، فأذنتُ له، فدخل إليه فرّحب ابنُ جعفر به وقرّبه؛ فعرّفه ابن قيس خبره فدعا بظبية(١) فيها دنانيرُ، وقال: عُدَّ له منها؛ فجعلتُ أعُدُّ وأترنَّم وأحسَنُ صوتي بجُهدي حتى عددتُ ثلثمائة دينار، فسكتُّ؛ فقال لي عبد الله: مالك ويلك سكتَّ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسن، فجعلتُ أعُدّ حتى نفدَ ما كان في الظّبية، وفيها ثمانمائة دينار، فدفعتُها إليه؛ فلما قبضها قال لابن جعفر: اسأل أمير المؤمنين في أمري؛ قال: نعم، فإذا دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام، فكُلْ أكلاً فاحشا. فركب ابنُ جعفر، فدخل معه إلى عبد الملك؛ فلما قُدّم الطعامُ جعل يُسيء الأكل؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر: مَنْ هذا؟ فقال: هذا إنسان لا يجوز إلاّ أن يكون صادقاً إن استُبقي، وإن قُتل كان أكذب الناس؛ قال: وكيف ذلك! قال: لأنه يقول:

ما نقموا من بني أميَّةَ إلاَّ أنَّهم يحلمون إن غضبوا

فإن قتلته لغضبك عليه أكذبته فيما مدحكم به؛ قال: فهو آمنٌ، ولكن لا أعطيه عطاءً من بيت المال؛ قال: ولم وقد وهبته لي؟ فأحِبّ أن تهب لي عطاءه أيضاً كما وهبتَ لي دمه وعفوتَ لي عن ذنبه؛ قال: قد فعلتُ، قال: وتُعطيه ما فاته من العطاء؛ قال: قد فعلتُ، وأمرتُ له بذلك. (٥/٨١)

(٢٠)

وقال الحطيئة يمدح الوليد بذلك، وكان قد وصله وكان الوليد جواداً:

أرى لابن أرْوى خلّتين اصطفاهما قتالٌ إذا يلقى العدوّ ونائلُهُ

فتىً يملأ الشّيزى ويروي بكفّه سنانُ الرُّدَيْنيَّ الأصمِّ وعاملُهْ(٢)

يؤمُّ العدوّ حيث كان بجحفلٍ يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ

إذا حان منه منزلُ الليل أوقدتْ لأخْراه في أعلى اليفاع أوائلُهْ(٣)

نفيْتَ الجعادَ البيضَ عن حُرِّ دارهم فلم يبقَ إلا حيَّةٌ أنت قاتلُهْ(٤)

---

(١) الظبية: الجراب، وقيل: الجراب الصغير خاصة.

(٢) الشّيزى: خشب أسود تُعمل منه القصاع، ويطلق على ما صُنع من ذلك فيقال للجفان: شيزى، والرُّدينيّ: الرمح، نسبة إلى ردينة، وهي امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخطّ، فإذا غاب باعت ردينة مكانه، وكانا يثقفان الرماح، فالردينية منسوبة إلى ردينة، والسَّمهرية منسوبة إلى سمهر، وعامل الرمح: صدره.

(٣) اليفاع: التلّ. (٤) الجعاد: جمع جعد، يقال: رجل جعد القفا إذا كان لئيم الحسب، ويقال: الجعد: البخيل والكريم أيضاً فهو من أسماء الأضداد، ويريد بالجعاد البيض: الروم.

فقال الحُليس بنُ نُعيم النَّهديّ يكذِّب الحُطيئة:

وأبلــغْ أبا وهــبٍ إذا ما لقيتَــه فقد حـاربتك الرومُ فيمَن تُحاربُ

وفي الأرض حيَّاتٌ وأسْـدٌ كثيـرةٌ عــدوٌّ ولكــنَّ الحطيئــةَ كــاذب (١٤٨/٥)

(٢١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: كان داود بن سلْم مولى بني تيْم بن مرّة، وكان يقال له: الآدم لشدّة سواده، وكان من أبخلِ الناس؛ فطَرَقَه قوم وهو بالعقيق، فصاحوا به: العشاءَ والقِرى يابن سلْم؛ فقال لهم: لا عشاء لكم عندي ولا قِرى؛ قالوا: فأين قولُك في قصيدتك إذ تقول فيها:

يا دار هندٍ ألا حُيِّيتِ من دارِ لم أقْضِ منك لُبَاناتي وأوطاري

عُوِّدتُ فيها إذا ما الضيفُ نبَّهني عقْرَ العشارِ على يُسْري وإعساري[1]

قال: لستم من أولئك الذين عنيتُ. (١١/٦)

(٢٢)

وكان يوسف بن الحكم اعتلّ علّة فطالت عليه؛ فنذرت زينب إن عُوفي أن تمشي إلى البيت[2]، فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعن بطن وجّ[3]، وهو ثلثمائة ذراع، في يوم جعلته مرحلةً لثقل بدنها، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر. فبينا هي تسير (إذ) لقيها إبراهيم بن عبد الله النُّميريّ أخو محمد بن عبد الله منصرفاً من العمرة. فلما قدم الطائفَ أتى محمداً يسلّم عليه؛ فقال له: ألك عِلْمٌ بزينب؟ قال: نعم، لقيتها بالهماء[4] في بطن نعْمان؛ فقال: ما أحسبك إلاّ وقد قلت شيئاً؛ قال: نعم، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن ينْشب بيننا وبين إخوتنا شرّ.

فقال محمد هذه القصيدة وهي أول ما قاله:

تضوّع مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ بـه زينـبٌ فـي نسـوة عطـراتِ

فأصبح ما بين الهمـاء فحـزوة إلى الماء ماء الجِزْع ذي العُشَراتِ[5]

---

(١) العشار: جمع عشراء، وهي من الإبل ما مضى لحملها عشرة أشهر، فإذا وضعت لتمام سنة فهي عشراء أيضاً، وأحسن ما تكون الإبل وأنفسها عند أهلها إذا كانت عشاراً. (٢) البيت: المراد به الكعبة المشرّفة.

(٣) وجّ: اسم وادٍ بالطائف. (٤) الهماء: موضع بنعمان بين الطائف ومكة.

(٥) العشرات: جمع عُشَر، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو، وهو عريض الورق ينبت صعداً في السماء.

له أرَجٌ من مِجْمرِ الهند ساطع　　تطَلَّعُ ريّاه من الكفرات(١)
تهادين ما بين المُحصَّب من منىً　　وأقبلن لا شُعْثاً ولا غبرات
أعان الذي فوق السموات عرشُه　　مواشيَ بالبطحاء مؤتجرات(٢)
مرَرْن بفخٍّ ثم رُحْن عشيةً　　يُلبِّين للرحمن معتمرات(٣)
يُخبِّئن أطرافَ البنان من التقى　　ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
تقسَّمن لُبّي يومَ نعمان إنني　　رأيتُ فؤادي عارمَ النظرات(٤)
جلوْنَ وجوهاً لم تلُحْها سمائمٌ　　حرورٌ ولم يُسْفعن بالسَّبرات(٥)
فقلتُ يعافيرُ الظباء تناولتْ　　نياعَ غصون المرْد مُهْتصرات(٦)
ولما رأتْ ركبَ النُّميريِّ راعها　　وكنَّ مِنَ انْ يلْقينه حذرات
فأدْنين حتى جاوز الركبُ، ودونها　　حجاباً من القَسِّيِّ والحبرات(٧)
فكدت اشتياقاً نحوها وصبابةً　　تقطَّعُ نفسي إثرها حسرات
فراجعْتُ نفسي والحفيظة بعد ما　　بللتُ رداءَ العصْب بالعبرات(٨)

قال أبو زيد: فبلغتْ هذه القصيدة عبد الملك بن مروان، فكتب إلى الحجّاج: قد بلغني قول الخبيث في زينب، فالهُ عنه وأعْرض عن ذكره، فإنك إن أدنيته أو عاتبته أطمعته، وإن عاقبته صدّقته. (١٩٢/٦)

(٢٣)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمة الغفاريّ قال: هرب النُّميريّ من الحجّاج إلى عبد الملك واستجار به؛ فقال له عبد الملك: أنشدني ما قلتَ في

---

(١) الكَفَرات: جمع كَفِر: وهو العظيم من الجبال. (٢) مؤتجرات: طالبات للأجر.

(٣) فخّ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال. (٤) عارم: شارد النظرات حائرها.

(٥) لاحته الشمس ولوّحته، لفحته وغيّرت وجهه، والسمائم: جمع سموم وهي ريح حارّة، أو حر النهار، سفعته: غيّرته والسبرات: جمع سبْرة وهي شدّة برد الشتاء.

(٦) النياع من الغصون: التي تحركّها الرياح فتتمايل، يريد أنْ أعناقهنّ في امتدادها كأعناق الظباء.

(٧) القسّيّ: ضرب من الثياب، وهو منسوب إلى قسّ، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تُصنع فيه ثياب من كتّان مخلوط بحرير، والحبرات: جمع حِبرة، وهي ضرب من برود اليمن موشّى.

(٨) العصب: ضرب من البرود.

زينب فأنشده. فلما انتهى إلى قوله:

وَلَمَّا رأتْ ركبَ النميريَّ أعرضَتْ ... وكُنَّ مـن أن يلقينـه حـذراتِ

قال له عبد الملك: وما كان ركبك يا نميريّ؟ قال: أربعة أحْمرة لي كنت أجلبُ عليها القَطْران، وثلاثة أحْمرة صحبتي تحمل البعر. فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً، ثم قال: لقد عظَّمْتَ أمرك وأمر ركبك؛ وكتب له إلى الحجاج أن لا سبيل له عليه. فلما أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له: أنا بريء من بيْعة أمير المؤمنين، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينّ على نفسه، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه، وهو إذا أنشدني آمن. فقال له يزيد: ويلك! أنشده؛ فأنشده قوله:

تضوّع مسكاً بطنُ نَعمان إذ مشتْ ... بـه زينـبٌ في نسـوة خفـراتِ

فقال: كذبت والله، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

ولما رأت ركبَ النُّمَيْريِّ راعها ... وكـنَّ مـن أن يلقينـه حـذراتِ

قال له: حقٌّ لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفرات صالحات. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

مررْنَ بفخَّ رائحاتٍ عشيةً ... يُلَبِّين للرحمـن معتمـراتِ

فقال: صدقت، لقد كانت حجّاجةً صوّامة ما علمتُها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

يُخمِّرن أطرافَ البنان من التقى ... ويخرجـن جنحَ الليـل مُعْتجراتِ

فقال له: صدقت، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرة المسلمة. ثم قال له: ويحك! إنّي أرى ارتياعك ارتياع مُريب، وقولك قول بريء، وقد أمّنتك، ولم يعْرض له. قال أبو زيد: وقيل: إنه طالب عريفه به وأقسم لئن لم يجئه به ليضربنّ عنقه، فجاءه بعد هرب طويل منه؛ فخاطبه بهذه المخاطبة. (١٩٤/٦)

(٢٤)

قال أبو زيد: وقال النُّميري في زينب أيضاً:

طربتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْنِ ... ألا ربمـا يعتـادك الشوقُ بالحُزْنِ(١)

نظرتَ إلى أظعان زينبَ باللِّوى ... فأعولتها لو كان إعوالُها يُغني(٢)

---

(٨) جفن: اسم واد بالطائف لثقيف، وهو بين الطائف وبين معدن البرام. (٢) أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.

فواللـه لا أنسـاك زينبُ مـادعـتْ مُطوَّقةٌ ورقـاءُ شـجـواً على غُصنِ
فـإنَّ احـتـمـال الحيِّ يومَ تحـمَّـلـوا عناك وهـل يعنيك إلا الذي يعنـي
ومُرْسلة في السّر أن قد فضحتني وصرَّحتَ باسمي في النَّسيب فما تكْني
وأشمتَّ بي أهلي وجُلَّ عشـيرتي ليهْنئْك مـا تهواه إن كـان ذا يهْني
وقد لا منى فيها ابنُ عمّيَ ناصحاً فقلـتُ لـه خذ لي فـؤاديَ أو دعْني

قال أبو زيد: فيقال: إنه بلَغَ زينبَ بنت يوسف قوله هذا فبكتْ: فقالت لها خادمتها: ما يُبكيك؟ فقالت: أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهلٌ بي لا يعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً. (١٩٦/٦)

(٢٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن حسن؛ قال الزُّبير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن مُحْرز: أنَّ أمَّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت منتقبة(١)، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأةً عفيفة؛ فقالت له: اقضِ ثمن الغنم التي ابتعتها منّي؛ فقال: ما ابتعتُ منك شيئاً، فأظهرتْ كتاباً قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرّاً وفاقةً وقالت: يا قوم، كلِّموه. فلامه قومُه وقالوا: اقضِ المرأة حقَّها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قطُّ ولا يعرفها. فكشفتْ وجهها وقالت: ويْحك! أما تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قطُّ. حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناسُ وكثُروا وسمعوا مادار وكثُر لغطُهم وأقوالُهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، أسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدوّ الله! صدقتَ، والله مالي عليك حقّ ولا تعرفني، وقد حلفت على ذلك وأنت صادق، وأنا أمُّ جعفر وأنت تقول: قلت لأمّ جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فخجل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم. (٢٥٨/٦)

(٢٦)

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حرب قال حدّثني مصعب الزُّبيريّ قال: بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قوله:

أنا الوليد أبو العباس قد علمت عُليـا مَعَـدَّ مدى كرِّي وإقدامي

(١) انتقبت المرأة وتنقّبت: وضعت النّقاب على وجهها.

فقال هشام: والله ما علمتُ له مَعدً كرّاً ولا إقداماً، إلا أنه شرب مرّة مع عمّه بكّار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه؛ فإن كان يعْني ذلك بكرّه وإقدامه فعسى. (١١/٧)

(٢٧)

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقيل له في ذلك وعوتب، وعرف أن الصّلتان العبدي هجاه فقال فيه:

ترك الأشياءَ طُراً وانحنى ... يشرب الصهْباءَ من ماء العنبْ
لا يخافُ الناسَ قد أدْمنها ... وهيَ تُزْري باللّئيمِ المؤتشب(١)
وهي بالأشْرافِ أزْرى وإلى ... غايةَ التأنيب تدْعو ذا الحسبْ
فدع الخمْرَ أبا حربٍ وسُدْ ... قومَكَ الأدْنين من بيْن العربْ

فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصلح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشُّرْبُ لكنتُ الرجلَ الكامل، وما يخفى عليّ قبيحه وسوء القالة فيه. (٤١٩/٨)

(٢٨)

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني الجُمَحيّ قال: كانت سلاّمة وريّا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً. فاجتمع الأحْوص وابن قيْس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات: إنّي أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدقُ فيها ولا أكذب؛ فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقربكما. قالتا: فما قلتَ؟ قال قلتُ:

لقد فتَنَتْ ريّاً وسلاّمةُ القسّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نفسا
فتاتان أمّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأخرى منهما تُشبه الشمسا
تَكُنّانِ أبشاراً رقاقاً وأوجهاً ... عتاقاً وأطرافاً مُخضّبةً ملْسا

فغنّته سلاّمة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال قلت:

أسلاّمَ هل لمتيّمٍ تنويلُ ... أم هل صرمْتِ وغال ودّكِ غولُ
لا تصْرفي عنّي دلالك إنّه ... حسنٌ لديّ وإن بخلْت جميلُ

---

(١) المؤتشب: الذي جمع ماله من الأشابات، وهي الأخلاط فيها الحرام.

أزعمتِ أنّ صبابتي أكذوبةٌ يوماً وأنّ زيارتي تعليلُ

فغنّت الأبياتَ. فقال ابن قيس الرُّقيّات: يا سلاّمةُ! أحسنتِ والله! وأظنُّك عاشقة لهذا الحلقيّ! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك إلى هذا؟ قال: حُسْنُ غنائها بشعرك، فلولا أنَّ لك في قلبها محبةً مُفْرطةً ما جاءها هكذا حسناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حسنُ الغناءُ به. (٨/٢٣٧)

(٢٩)

قال الزُّبير: فأخبرني عمّي قال: لمّا قال كثيِّر

هو المهديّ خبَّرناه كعبٌ أخو الأحبار في الحقبِ الخوالي

فقيل له: ألقيتَ كعباً؟ قال: لا. قيل: فلم قلت «خبَّرناه كعب»؟ قال: بالتوهُّم. (٩/١٦)

(٣٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة قال زعم ابن الكلبيّ عن أبي المقوّم قال أخبرني سائب راوية كثيِّر قال: خرجتُ معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزّة فإذا هي في خباء؛ فسلّمنا جميعاً؛ فقالت عزّة: وعليك السلام يا سائب، ثم أقبلتْ على كثيِّر فقالت: ويحك! ألا تتّقي الله! أرأيت قولك:

بآيةِ ما أتيتُكِ أمَّ عمروٍ فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالي

أخَلَوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ؟! قال: لم أقُلْه، ولكنني قلتُ:

فأقسمُ لو أتيتُ البحرَ يوماً لأشربَ ما سقتْني من بلالِ

وأقسم إنَّ حبَّكِ أمَّ عمروٍ لداءٌ عند منقطعَ السُّعالِ

قالت: أمّا هذا فنعم. (٩/٣٣)

(٣١)

جامع بن مُرْخية هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول:

سألتُ سعيد بن المسيِّب مفتي الـ ـمدينة هل في حبِّ ظمْياءَ من وِزْرِ

فقال سعيد بن المسيِّب إنّما تُلام على ما تستطيع من الأمرِ

فبلغ قولُه سعيداً، فقال: كذب والله! ما سألني ولا أفتيتُه بما قال. أخبرني بذلك الحرميّ بن

أبي العلاء عن الزُّبير. (١٤٧/٩)

(٣٢)

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الزُّبير والمُسَيَّبيّ ومحمد بن سلاّم والمدائنيّ، وأخبرنا به الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي ولم يتجاوزه:

أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ مرّتْ بهما امرأة من آل أبي سُفْيان، فدعا عمر بكتف فكتب إليها وكنى عن اسمها:

ألمّا بذاتِ الخالِ فاستطلعا لنا ... على العهد باقٍ ودُّها أم تصرّما

وقولا لها إنَّ النّوى أجنبيّةٌ ... بنا وبكم قد خفتُ أن تتيمّما

قال فقال له ابن أبي عتيق: سبحانَ الله! ما تريد إلى امرأةٍ مُسْلمة مُحْرِمة أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سيَّرتُه في الناس من قولي:

لقد حبّبتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها ... مساكنَ ما بين الوتائر والنَّقْعِ

ومن أجل ذات الخال أعملتُ ناقتي ... أكلِّفها سير الكلالِ مع الظَّلْعِ

ومن أجل ذات الخال يوم لقيتُها ... بمُنْدفعَ الأخباب أخْضلني دمعي(١)

ومن أجل ذات الخال آلفُ منزلاً ... أحُلُّ به لا ذا صديقٍ ولا زرْع

ومن أجل ذات الخال عُدْتُ كأنني ... مُخامرُ سُقْمٍ داخلٍ أو أخو ربْع(٢)

ألمّا بذات الخال إن مقامها ... لدى الباب زاد القلب صدْعاً على صدْع

وأخرى لدى البيت العتيق نظرتُها ... إليها تمشّتْ في عظامي وفي سمعي

وقال الحرميّ في خبره: أما ترى ما سار لي من الشعر! ما علم اللهُ أنّي اطّلعتُ حراماً قطّ! ثم انصرفنا. فلما كان من الغدِ التقينا. فقال عمر: أشعرت أنّ ذلك الإنسان قد ردّ الجواب؟ قال: وما كان من ردّه؟ قال: كتب. (٢٣٩/٩)

(٣٣)

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله عن ابن حبيب عن أبي عُبيدة قال: مال روْح بن

(١) الأخباب: موضع قرب مكة. (٢) الربع: النعش ويكنى به عن الموت.

زِنْباع الجُذاميّ إلى يزيد بن معاوية لمّا فَصَلَ بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقْنا بإخوتنا من معدٌ إنا معدّيّون، والله ما نحن من قصب الشام ولا من زعاف اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك حيث شئتَ. فبلغ ذلك عديَّ بن الرِّقاع فقال:

إنّا رضينا وإن غابت جماعتُنا   ما قال سيِّدُنا روْح بن زنْباعِ
يرعى ثمانين ألفاً كان مثلُهُمُ   ممّا يخالف أحياناً على الرّاعي

قال: فبلغ ذلك ناتلَ بن قيس الجُذاميّ، فجاء يركُض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية. فلمّا قام يزيد على المنبر، وثَبَ فقال: أين الغادر الكاذب روْح ابن زنْباع؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، وما نعرف شيئاً منه ولا نُقِرُّ به، ولكنّا قوم من قحْطان يسعُنا ما يسعهم ويعْجز عنّا ما يعجز عنهم. فأمسك روْح ورجع عن رأيه. فقال عديُّ بن الرِّقاع في ذلك:

أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه   في الناس أعْذرُ أم ضلالُ نهارِ
قحْطانُ والدُنا الذي نُدْعى له   وأبو خُزيمةَ خِنْدفُ بن نزار
أنبيع والدنا الذي نُدْعى له   بأبي معاشرَ غائبٍ مُتواري
تلك التجارةُ لا زكاءَ لمثلها   ذهبٌ يباع بآنُكٍ وإبار(١)

فقال له يزيد: غيَّرتَ يابنَ الرِّقاع. قال: إنَّ ناتلاً والله عليّ أعزُّهما سُخْطاً، وأنصحُهما لي ولعشيرتي. (٩/٣١٤)

(٣٤)

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدّثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النَّجْم عن أبي النَّجم أنّه كان عند عبد الملك بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء، وكان أبو النَّجم فيهم والفرزدقُ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمانَ أو عبد الملك تذُبّ عنه، فقال: مَن صبَّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق في فخره فلَه هذه الجاريةُ، فقاموا على ذلك ثم قالوا: إن أبا النَّجْم يغلبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجز)، قال: فإني لا أقول إلاّ قصيدة. فقال من ليلته قصيدته التي فَخَر فيها وهي: علق الهوى بحبائل الشَّعْثاء .. ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراءُ فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله:

---

(١) الآنك: الرصاص، والإبار: تلقيح النخل وإصلاحه، ينظر لسان العرب (٤/٤)

منّا الذي ربع الجيوشَ لظهره   عشـرون وهو يُعدّ في الأحياء(١)

فقال له عبد الملك: قِفْ، إن كنتَ صدقْتَ في هذا البيت فلا نريد ما وراءه. فقال الفرزدق: وأنا أعرف منه ستة عشر، ومن ولد ولدهِ أربعة كلُّهم قد ربع. فقال عبد الملك أو سليمان: ولد ولده هم ولده، ادفع إليه الجارية يا غلام، قال: فغلبهم يومئذ. قال: وبلغني من وجه آخر أنه قال له: فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة، ودفع إليه الجارية، فقدم بها البادية؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها. (١٠/١٥٢)

(٣٥)

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عطاء بن مُصعب القُرشيّ عن عاصم اللّيثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضّبيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سأل معاويةُ بن أبي سُفيان ليلى الأخيليّةَ عن توبةَ بن الحُميِّر فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أميرَ المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقّاً، والناس شجرةُ بغيٍ يحسُدون أهلَ النِّعم حيث كانوا وعلى مَن كانت. ولقد كان يا أمير المؤمنين سبْط البنان، حديدَ اللِّسان، شجاً للأقران، كريمَ المخبَر، عفيف المئزر، جميلَ المنْظر. وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له. قال: وما قلت له؟ قالت قلت ولم أتعدّ الحقَّ وعلمي فيه:

بعيدُ الثّرى لا يبلغُ القومُ قعْره   ألدُّ مُلدٌّ يغلبُ الحقَّ باطلُه(٢)
إذا حلَّ ركْبٌ في ذراه وظلّه   ليمنعهم مما تُخافُ نوازِلُهْ
حماهم بنصْلِ السّيْف من كلِّ فادحٍ   يخافونه حتى تموت خصائله(٣)

فقال لها معاويةُ: ويحك! يزعُم الناسُ أنه كان عاهراً خارباً(٤). فقالت من ساعتها:

مَعاذَ إليه كان والله سيِّداً   جواداً على العِلاّتِ جمّاً نوافِلُه(٥)

---

(١) ربع الجيوش: أخذ ربع أموالهم، وكان ذلك حظّ الرئيس عند الغلبة، واسم هذا النصيب المرباع.

(٢) الألدّ: الكثير الجدل والخصومة، الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحقّ، ومُلِدّ: وصف من ألددت بفلان إذا عسرتَ عليه في الخصومة.

(٣) الفادح: الخطب من خطوب الدهر، والخصائل: جمع خصيلة، وهي كلّ لحمة فيها عصب، والظاهر أنّها كنّتْ بموت خصائل الفادح عن سكونه وذهابه.

(٤) الخارب: اللصّ.   (٥) العِلاّت: أي على كلّ حال من عسره ويُسره.

أغرُّ خفاجيّاً يرى البُخلَ سُبَّةً ... تحلَّبُ كفّاهُ النَّدى وأناملُه

عفيفاً بعيدَ الهمِّ صُلْباً قناتُه ... جميلاً محيّاهُ قليلاً غوائلُه

وقد علم الجوعُ الذي بات سارياً ... على الضَّيْف والجيرانِ أنَّك قاتلُه

وأنك رحْبُ البا ع يا توْبُ بالقِرى ... إذا ما اللئيمُ القوم ضاقت منازِلُه

فقال لها معاويةُ: ويحك يا ليلى! لقد جُزْتِ بتوبةَ قدْره. فقالت: واللهِ يا أميرَ المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفتَ أنِّي مقصِّرة في نعْته وأنِّي لا أبلغُ كُنْه ما هو أهلُه. فقال لها معاويةُ: مِنْ أيِّ الرجال كان؟ قالت:

أتتْه المنايا حين تمَّ تمامُه ... وأقصر عنه كلُّ قِرْنٍ يُطاوِلُهْ

وكان كليث الغابِ يحمي عرينه ... وترضى به أشباله وحلائلُه

غضوبٌ حليمٌ حين يُطْلبُ حِلْمُه ... وسمٌّ زُعافٌ لا تُصابُ مقاتِلُه (١١/٢٣٧)

(٣٦)

... وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهْديّ عن ابن أبي سَعْد عن محمد بن الحسن النَّخَعيّ عن ابن الخصيب الكاتب، واللفظُ في الخبر للحزنْبل، وروايتُه أتمّ: أنَّ ليلى الأخيليّة أقبلتْ من سفرٍ، فمرّتْ بقبر توْبةَ ومعها زوجها وهي في هوْدجٍ لها. فقالت: والله لا أبرح حتى أسلِّم على توبة، فجعل زوجها يمنعها من ذلك وتأبى إلاّ أن تُلِمَّ به. فلمَّا كثُر ذلك منها تركها، فصعدتْ أكمةً عليها قبرُ توبة، فقالت: السلامُ عليك يا توبةُ، ثم حوّلت وجهها إلى القوم فقالت: ما عرفْتُ له كذبةً قطُّ قبل هذا. قالوا: وكيف؟ قالت: أليس القائل:

ولو أنَّ ليلى الأخْيليَّةَ سلَّمتْ ... عليّ ودوني تُرْبةٌ وصفائحُ

لسلَّمْتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا ... إليها صدىً من جانب القبر صائح(١)

وأغْبطُ من ليلى بما لا أنالُه ... ألا كُلُّ ما قرَّتْ به العينُ صالح

فما باله لم يُسلِّم عليَّ كما قال!. وكانت إلى جانب القبر بُومةٌ كامنةٌ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابه فزِعتْ وطارت في وجه الجمل، فنفر فرمى بليلى على رأسها، فماتت من وقتها، فدُفِنتْ إلى جنبه. وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها. (١١/٢٤٤)

---

(١) زقا: صاح، والصدى هنا: طائر كالبومة تزعم العرب أنّه يخرج من رأس القتيل، ويصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

(٣٧)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثني العُمريّ قال حدّثني شُعْبةُ قال: قلتُ للطِّرمّاح بن حكيم: ما شأنُ أبي زُبيدٍ وشأنُ الأسدِ؟ فقال: إنّه لقيه بالنُّجف، فلمّا رآه سلح من فَرَقه - وقال مرة أخرى: فسلُحه - فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت. (١٣١/١٢)

(٣٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السعديُّ قال: كان كثيِّر يلقى حاجَ المدينة من قريش بقُديد(١) في كلِّ سنة، فغفل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُديدا حتى ارتفع النهار، ثم ركب جملاً ثقالاً(٢) واستقبل الشمس في يوم صائف، فجاء قُديداً وقد كلَّ وتعب، فوجدهم قد راحوا، وتخلّف فتى من قريش معه راحلتُه حتى يُبرد(٣). قال الفتى القرشيّ: فجلس كثيِّر إلى جنبي ولم يسلّم عليّ، فجاءت امرأة وسيمة جميلة، فجلست إلى خيْمة من خيام قُديد واستقبلت كثيّراً فقالت: أأنت كثيّر؟ قال: نعم: قالت: ابن أبي جُمعة؟ قال: نعم، قالت: الذي يقول: لعزّة أطلالٌ أبت أن تكلّما

قال: نعم. قالت: وأنت الذي تقول فيها:

وكنتُ إذا ما جئتُ أجلَلْن مجلسي وأظهرْن منّي هيْبةً لا تجهُّما

فقال: نعم، قالت: أعلى هذا الوجه هيبة؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فضجر وقال: مَن أنتِ؟ فلم تجبه بشيء، فسأل المولّيات اللواتي في الخباء بقديد عنها، فلم يخبرنه شيئاً، فضجر واختلط. فلما سكن من شأوه(٤) قالت: أأنت الذي تقول:

متى تحسروا عنّي العمامة تُبْصِروا جميلَ المحيّا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل المحيّا؟ إن كنتَ كاذباً فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين. فاختلط وقال: والله ما عرفتكِ، ولو عرفتكِ لفعلتُ وفعلت. فسكتت، فلما سكن من شأوه قالت: أأنت الذي تقول:

---

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة. (٢) ثقالاً: بطيئاً.

(٣) أبرد: دخل في آخر النهار. (٤) الشأو: الحزن.

يروق العيون الناظراتِ كأنــه هرَقليُّ وزنٍ أحمرُ التِّبرِ راجحُ(١)

أهذا الوجه يروق العيون الناظرات؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها: قد عرفتك والله لأقطعنَّكِ وقومك بالهجاء. ثم قام فالتفتُّ في أثره، ثم رجعت طرْفي نحو المرآة فإذا هي قد ذهبت. فقلت لمولاة من مولياتها بقُديد: لكِ الله عليَّ إن أخبرتني من هذه المرأة لأطْوِينَّ لكِ ثوبيَّ هذين إذا قضيتُ حجِّي ثم أعطيكهما. فقالت: والله لو أعطيتني زنتهما ذهبا ما أخبرتك مَنْ هي؛ هذا كثيِّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أخبره. قال الفتى القرشيّ: فرُحت والله وبي أشدُّ مما بكثيِّر. قال سليمان: وكان كُثيِّر دميماً قليلاً أحمر أقيشر عظيم الهامةِ قبيحاً(٢). (١٢/١٨٦)

(٣٩)

قال عبد الله بن إسحاق النحويُّ: كان الجحاف معي في الكتّاب، قال أبو زيد في خبره أيضاً: ولما أمَّنه عبد الملك دخل عليه في جبَّة صوف، فلبث قائماً، فقال له عبد الملك: أنشدني بعض ما قلتَ في غزوتك هذه وفجرتك، فأنشده قوله:

صبرتْ سليمُ للطعان وعامرٌ وإذا جزعنا لم نجد مَن يصبرُ

فقال له عبد الملك بنُ مروان: كذبت، ما أكثر من يصبر! ثم أنشده:

نحنُ الذين إذا علوا لم يفْخروا يوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك: صدقتَ، حدّثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفت يومَ فتح مكة. (١٢/٢٠٤)

(٤٠)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء والطُّوسيُّ قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا عمي مصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب: أنَّ الحزين قُمِر(٣) في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه، فمرَّ به عبدُ الله بن جعفر وعليه مُقطَّعات خزٍّ؛ فاستعار الحزينُ ثوباً، ثم قام إليه فقال:

---

(١) الهرقلي: الدينار، نسبة إلى هرقل ملك الروم، وهو أول مَن ضرب الدنانير. والراجح: الموزون.

(٢) القليل من الرجال: القصير الدقيق الجثة. والأقيشر: مصغّر الأقشر، وهو الشديدالحمرة.

(٣) قُمِر: غُلب في القمار.

أقول لـه حين واجهتُه   عليك السلام أبا جعفر

فقال: وعليك السلام؛ فقال:

فأنت المهذَّبُ مـن غالـبٍ   وفي البيت منها الذي تُذكرُ

فقال: كذبتَ يا عدوّ الله؛ ذاك رسول الله (ص)، فقال:

فهذي ثيابي قد أخلقَتْ   وقـد عضَّني زمنٌ منكرُ

قال: هاك ثيابي، فأعطاه ثيابه. (٢١٧/١٢)

(٤١)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم السِّجستانيّ عن أبي عُبيدة قال: دخل أرْطاة بن سُهيَّة على عبد الملك بن مروان - وكان قد هاجى شبيب بن البرصاء - فأنشده قوله فيه: أبي كان خيراً من أبيك ولم يزلْ   جنيبـاً لآبائـي وأنـت جنيـبُ(١)

فقال له عبد الملك: كذبت! ثم أنشده البيت الآخر فقال:

وما زلتُ خيراً منك مذ عضَّ كارهاً   برأسـكَ عـاديُّ النِّجـادِ ركـوبُ(٢)

فقال له عبد الملك: صدقت وكان أرطاة أفضل من شبيبٍ نفساً، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتاً. (٢٧١/١٢)

(٤٢)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان رُفيع بن سلَمة الملقَّب بدماذ، قال: حدّثنا أبو عُبيدة قال: دخل أرطاة بن سُهيّة على عبد الملك بن مروان، فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيبَ بن البرصاء، فأنشده:

أبي كان خيراً من أبيكَ ولم يزلْ   جنيبـاً لآبائـي وأنـت جنيـبُ

فقال له عبد الملك بن مروان: كذبتَ، شبيبٌ خيرٌ منك أباً، ثم أنشده:

وما زلتُ خيراً منك مذ عضَّ كارِهاً   برأسـك عـاديُّ النِّجـاد رسوب

فقال له عبد الملك: صدقت، أنت في نفسك خيرٌ من شبيب، فعجب من عبد الملك مَنْ حضر

---

(١) الجنيب: المنقاد التابع.

(٢) العاديّ: القديم، والنجاد: جمع نجد، وهو الطريق المرتفع، والركوب: المركوب الموطوء.

ومِنْ معرفته مقادير الناس على بُعْدهم منه في بواديهم، وكان الأمر على ما قال: كان شبيب أشرف أباً من أرطاة، وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب. (٣٠/١٣)

(٤٣)

أخبرني الحرميُّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عُمرُ بن إبراهيم السعديّ عن عباس بن عبد الصمد السعديّ قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوليّ: أصَدقتَ فيما قلته لابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا أني قلت:

فتىً قُدَّ قدَّ السيف لا متضائلٌ ... ولا رهـلٌ لبَّاتُـه وبآدلـه(١)
جميلٌ إذا استقبلته من أمامه ... وإن هو ولّى أشعثُ الرأس جافله(٢)
طويلٌ سطيُّ الساعدين عذوّرٌ ... على الحيّ حتى تستقلّ مراجله(٣)
ترى جازِرَيه يُرْعدان ونارُه ... عليها عداميلُ الهشيم وصاملُه(٤)
يجران ثنياً خيرُها عظمُ جاره ... على عينه لم تعدُ عنها مشاغله(٥)
تركنا أبا الأضيافِ في كل شتوة ... بمرٍّ ومردى كلُّ خصم يجادله(٦)
مقيماً سلبناه دريسيْ مُفاضة ... وأبيض هنديّاً طوالا حمائله(٧)

فقال هشام: هلك والله الرجل. (٦٠/١٣)

---

(١) الرهل: يقال: رهل لحمه اضطرب واسترخى، أو ورم من غير داء، واللَّبة: موضع النحر، والبآدل: جمع بادلة؛ وهي اللحمة بين العنق والترقوة.

(٢) الشعث: تلبّد الشعر واغبراره، وجافله هنا: من الجفال؛ وهو الشعر الكثير.

(٣) سطيّ الساعدين: ذو بطش، والعذوّر: السيء الخلق، وإنّما جعله عذوّراً لشدّة تهممه بأمر الأضياف، وحرصه على تعجيل قراهم، حتى تنصب المراجل وتهيّأ المطاعم للضيفان ثمّ يعود إلى خلقه الأول.

(٤) يرعدان: تصيبهما الرعدة إمّا من خوفه لاستعجاله إيّاهما، وإمّا من البرد، والعداميل: جمع عدمل: الضخم القديم من الشجر، والصامل: اليابس.

(٥) الثنى: الناقة التي ولدت بطنين، وولدها الثاني يسمّى ثنياً أيضاً، وخيرها عظم جاره: يريد أنْ خير عظم فيها يهديه لجاره، ولم تَعْدُ: لم تصرف.

(٦) مرّ: ماءة لبني أسد، والمِردى: في الأصل، صخرة يكسر بها النوى، يقال: فلان مردى الحروب أو الخصوم أي يرمون به فيكسرهم.

(٧) الدريس هنا: الدرع الخلقة، والمفاضة: الدرع الواسعة، يقول: إنّه أنفق ماله فيما نشر له حمداً، فلم يكن لإرثه إلاّ ما ذكر من السلاح.

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازنيّ ثابت قطنة وكعب الأشقريّ ـ أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده:

إليك امتطيتُ العيسَ تسعين ليلة　　أرجّي ندى كفّيكَ يابن المهلّبِ

وأنت امرؤٌ جادتْ سماءُ يمينه　　على كل حيٍّ بين شرْق ومغْربِ

فجُدْ لي بطرْف أعوجَي مشهّر　　سليم الشّظا عبْلِ القوائم سلْهبِ(١)

سبوحٍ طموحِ الطّرف يستنُّ مرْجم　　أمرُّ كإمرار الرِّشاء المشذّبِ(٢)

طوى الضُّمرُ منه البطنَ حتى كأنه　　عقاب تدلّت من شماريخ كبكبِ(٣)

تُبادر جُنْحَ الليلِ فرْخين أقْويا　　من الزاد في قفْرٍ من الأرض مجدبِ(٤)

فلمّا رأت صيْداً تدلّتْ كأنها　　دلاةٌ تهاوى مرْقباً بعد مرقبِ(٥)

فشكّت سوادَ القلب من ذئب قفرةٍ　　طويلِ القرا عاري العظام معصّبِ(٦)

وسابغةٍ قد أتْقن القينُ صنعها　　وأسمر خطّيٍّ طويلٍ محرَّبِ(٧)

وأبيض من ماء الحديدِ كأنه　　شهابٌ متى يلْقَ الضّريبةَ يقْضبِ(٨)

وقل لي إذا ما شئتَ في حوْمة الوغى　　تقدّمْ أو اركبْ حومة الموت أركب

فإني امرؤٌ من عُصْبةٍ مازنيّةٍ　　نماني أبٌ ضخمٌ كريمُ المركَب

---

(١) الطرف: الكريم من الخيل، وأعوجيّ: نسبة إلى أعوج، وأعوج فرس كريم سابق كان لبني هلال، رُكب صغيراً فاعوجّت قوائمه، وإليه تُنسب الخيل الكرام، ومشهّر: معروف المكان مذكور، والشظا: عظم لاصق بالرقبة، وعبْل: ضخم، والسلهب من الخيل: ما عظم وطالت عظامه.

(٢) فرس سبوح: يسبح بيديه في سيره، واستنّ الفرس في المضمار: إذا جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة، وفرس مرجْم: يرجم الأرض بحوافره، وأمرّ الحبل إمراراً: أحكم فتْله.

(٣) كبكب: جبل بعرفات، وشماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس الجبل.

(٤) جنح: الليل: أي في جنح الليل وهو الطائفة منه، وأقوى: افتقر.

(٥) الدلاة: الدلو، وتهاوى: تساقط، والمرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب

(٦) سواد القلب: حبّته، والقرا: الظهر، والمعصّب: الجائع.

(٧) وسابغة: معطوف على طرف، أي بدرع سابغة، وهي التامة الطويلة.

(٨) وأبيض: أي وسيف أبيض، والشهاب: شعلة من نار ساطعة، والضريبة: ما يضرب، ويقضب: يقطع.

قال: فأمر له يزيدُ بدرع وسيف ورُمح وفرس، وقال له: قد عرفتَ ماشرطْتَ لنا على نفسك؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجَّتي بيِّنة، وهي قول الله عزّ وجل: (والشُّعراءُ يتَّبِعُهُم الغاوونَ. ألم ترَ أنَّهُمْ في كلِّ وادٍ يهيمُون. وأنَّهُمْ يقولون مالا يفعلُونَ). فقال (له) ثابت قطنة: ما أعجب ما وفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة! مدحتَ الأمير ببيتين، وسألته حوائجك في عشرة أبيات، وختمتَ شعرك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردت حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فاكذبْتَها كأنَّك كنتَ تخدعه، فقال له يزيد: مهْ يا ثابت، فإنّا لا نُخدع، ولكنّا نتخادع، وسوّغه ما أعطاه، وأمر له بألفي درهم. ولجَّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه:

لا يعـرفُ الناسُ منه غير قُطنتـه ... وما سـواها من الأنسـابِ مجْهُولُ (١٤/٢٦٤)

(٤٥)

نسخت من كتاب ابن النطاح: وذكر الهيثم بن عدي عن ابن دأب قال: حدّثنا شُعيب بن صفوان أنَّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبِّب بابنة معاوية، ويذكرها في شعره، فقال الناس لمعاوية: لو جعلته نكالاً؟ فقال: لا، ولكن أداويه بغير ذلك. فأذن له وكان يدخل عليه في أخريات الناس، ثمَّ أجلسه على سريره معه، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال: ابنتي الأخرى عاتبة عليك. قال: في أيِّ شيء؟ قال: في مدحتك أختها وتركك إياها. قال: فلها العُتْبى وكرامة، أنا ذاكرها وممتدحُها. فلما فعلَ وبلغ الناس قالوا: قد كنا نرى أنَّ نسيب ابن حسان بابنة معاويةَ لشيء، فإذا هو عنْ رأيِ معاوية وأمره. وعلم مَن كان يعرف أنه ليس له بنتٌ أخرى، أنَّه إنما خدعه ليشبِّب بها، ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية. (١٥/١١٠)

(٤٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمر بن شبة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله:

عزفْتَ بأعشاشٍ وما كدت تعزِفُ ... وأنكرت من حِدْراء ما كنت تعرفُ

فقال له: زِدني. فأنشده قوله:

ثلاث واثنتان فهنَّ خمـس ... وسادسة تميل إلى الشمام

فقال له سليمان: ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة؛ أقررت بالزنا عندي وأنا إمام، ولا بد لي من إقامة الحد عليك. قال: إن أخذت فيَّ بقول الله عزوجل لم تفعل. قال: وما قال الله عز

وجل؟ قال: قال: «والشعراء يتبعُهُم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون». فضحك سليمان، وقال: تلافيتها ودرأتَ عن نفسك، وأمر له بجائزة سنية، وخلع عليه.
(١٦٧/١٦)

(٤٧)

أخبرني عمّي قال: حدّثني جعفر العاصميّ قال: حدّثنا عيينة بن المنهال، عن الهيثم بن عديّ، عن أبي يعقوب الثقفيّ، قال: قال حمزة بن بيض: دخلت يوماً على مخلد بن يزيد، فقلت:

إنَّ المشارق والمغارب كلها ... تُجْبى وأنت أميرها وإمامُها

فضحك ثم قال: مه؟ فقلت:

أغفيتُ قبل الصبح نومَ مسهَّدٍ ... في ساعة ما كنت قبلُ أنامها

قال: ثم ماذا كان؟ قلت:

فرأيت أنك جُدت لي بوصيفة ... موسومة حسنٍ عليَّ قيامُها

قال: قد فعلت، فقلت:

وببدرة حُملت إليَّ وبغلة ... سفواء ناجية يصلُّ لجامها(١)

قال: قد حقّق الله رؤياك. ثم أمر لي بذلك كله، وما علم الله أني رأيت من ذلك شيئاً. (٢١٨/١٦)

(٤٨)

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب، مدمنة عليه، لا تكاد تفارقه، وكأسها الذي كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم، وهو في خزائن الخلفاء حتى الآن، وفيه يقول الوليد بن يزيد:

علِّلاني بعاتقات الكروم ... واسقياني بكأس أمِّ حكيم
إنها تشرب المدامة صِرفا ... في إناء من الزجاج عظيم
جنِّبوني أذاة كل لئيم ... إنه ما علمتُ شرُّ نديم
ثم إن كان في النَّدامى كريم ... فأذيقوه مسَّ بعض النعيم
ليت حظي من النساء سُلَيْمى ... إنّ سلْماي جنّتي ونعيمي
فدعوني من الملامة فيها ... إنّ من لامني لغيرُ حليم

---

(١) السفواء: قليلة شعر الناصية، والسريعة، ويصلّ: يصوّت ما فيه من الحلية.

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاماً، فقال لأم حكيم: أتفعلين ما ذكره الوليد؟ فقالت: أو تصدقه الفاسق في شيء، فتصدقه في هذا؟ قال: لا، قالت: فهو كبعض كذبه. (١٦/٢٧٨)

(٤٩)

... قال هشام بن عبد الملك للكميت: أنت القائل:

فقُلْ لبني أميَّةَ حيثُ حلُّوا ... وإنْ خِفْتَ المُهنَّد والقطيعا[1]
أجاعَ اللهُ مَنْ أشبعتموه ... وأشبع منْ بجورِكُمُ أجيعا
بمرْضيٍّ السياسة هاشميٍّ ... يكونُ حَيَاً لأمَّتِه ربيعا

فقال: لاتثريب يا أمير المؤمنين، إن رأيت أنْ تمحُو عنّي قولي الكاذب قال: بماذا؟ قال: بقولي الصادق:

أورثتْهُ الحَصانُ أمُّ هشامٍ ... حسبَاً ثاقباً ووجْهاً نضيرا
وتعاطى به ابنُ عائشةَ البد ... رَ فأمسى له رقيباً نظيرا
وكساه أبو الخلائف مرْوا ... نُ سنِّي المكارم المأثورا
لم تجهَمْ لـهُ البطاحُ ولكنْ ... وجدتْها لهُ مغاراً ونُورا (١٧/١٤)

(٥٠)

وأخبرني عمّي، قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، قال: لما دخل الكميتُ بن زيْد على هشام، سلّم ثم قال: يا أمير المؤمنين، غائب آب، ومذنب تاب، محا بالإنابة ذنْبه، وبالصِّدق كذبه، والتوبةُ تذْهب الحَوْبة، ومثلُك حلُم عن ذي الجريمة، وصفح عن ذي الرِّيبة. فقال له هشام: ما الذي نجّاك من القسريّ؟ قال: صدْقُ النّية في التوبة. قال: ومَنْ سنَّ لك الغيَّ وأوْرطك فيه؟ قال: الذي أغْوى آدم فنسيَ ولم يجدْ له عزْماً، فإن رأيْتَ يا أمير المؤمنين ـ فدتْكَ نفسي ـ أنْ تأذن لي بمحْو الباطل بالحقّ، بالاستماع لما قلتُه! فأنشده:

ذكر القلبُ إلْفَهُ المذكورا ... وتلافى من الشباب أخيرا (١٧/٢٠)

---

(١) القطيع: السوط.

(٥١)

أخبرني الحرميّ، عن الزبير، عن محمد بن سلاّم، قال: كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسة في المسجد الحرام، فرأت عُمر بن أبي ربيعة يطوفُ بالبيت، فأرسلتْ إليه: إذا فرغت من طوافك، فائتنا، فأتاها، فقالت: ألا أراك يابْنَ أبي ربيعة إلا سادراً في حرم الله! أما تخاف الله! ويحك إلى متى هذا السَّفه! قال: أيَّ هذه، دعي عنك هذا من القول، أما سمعْتِ ما قلْتُ فيك؟ قلت: لا، فما قلْتَ؟ فأنشدها قوله:

قالت سُعيدةُ والدموعُ نوارِفٌ   منها على الخدّيْن والجلبابِ
ليتَ المغيريَّ الذي لم أجزِهِ   فيما أطال تصيُّدي وطلابي
كانت تردّ لنا المُنى أيامُنا   إذ لا نُلامُ على هوى وتصابي
أسُعيدُ ما ماءُ الفراتِ وطيبُه   منّي على ظمأ وحبّ شرابِ
بألذّ منك وإن نأيْتِ وقلّما   يرْعى النساءُ أمانةَ الغيّابِ

فقالت: أخزاك الله يا فاسق، ما علم الله أنّي قلت مما قلتَ حرْفاً ولكنك إنسانٌ بهُوت. (١٧/١٥٨)

(٥٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثني الزبير بن بكار قال: أخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: حدّثني إسماعيل بن محمد المخزوميّ قال: اجتمع نسوة عند امرأة من أهل المدينة فقلن: أرسلي إلى الأحوص، فإنّا نحبُّ أن نتحدث معه ونسمع من شعره، فقالت لهنّ: إذاً لا يزيدكنّ على أن يخرج إذا عرفنكنّ، فيشهركنّ وينظم الشعر فيكنّ، فلم يزلن بها حتى أرسلت إليه رسولاً يذكر له أمرهنّ ولا يسميهنّ، ويقول له أن يأتيهنّ مخمّر الرأس، ففعل، وتحدّث معهنّ وأنشدهنّ، فلما أراد الخروج وضع يده في تَوْر(١) بين أيديهنّ فيه خَلوق، فغطى رأسه وخرج ووضع يده على الباب، ثم تفقّد الموضع الذي كان فيه فغدا إليه، وطاف حتى وجد أثر يده في الباب، فقال:

خمس دسسْنَ إليَّ في لطفٍ   حور العيون نواعمٌ زُهُرُ
فطرقتهنّ مع الجريّ وقد   نام الرقيب وحلّق النسرُ
مستبطنا للحيّ إذ قرعوا   عضباً يلوح بمتنه أثرُ

---

(١) التور: إناء.

فعكفن ليلتهنَّ ناعمةً ... ثم استفقن وقد بدا الفجرُ
بأشمَّ معسول فكاهته ... غضُّ الشباب رداؤه غمْرُ(١)
رزْن بعيدُ الصوت مشتهر ... جيبت له جوْب الرحي عمْرو
قامت تخاصره لكِلّتها ... تمشي تأوُّدُ غادة بِكر
فتنازعا من دون نسوتها ... كلماً يسُرُّ كأنّه سِحْرَ
كلٌّ يرى أنَّ الشباب له ... في كلّ غايةِ صبْوةٍ عُذْرُ
سيفانةٌ أمر الشباب بها ... رقراقة لم يُبْلها الدهرُ
حتّى إذا أبدى هواه لها ... وبدا هواها ماله ستْرُ
سفرتْ وما سفرتْ لمعرفة ... وجْهاً أغرَّ كأنّهُ البدْرُ

قال إسماعيل بن محمد: فخرجتُ وأنا شابّ ومعي شبابٌ نُريد مسجد رسول الله(ص)، فذكرنا حديثَ الأحوص وشعْره، وقدّامنا عجُوزٌ عليها بقايا من الجمال، فلما بلغنا المسجد وقفتْ علينا والتفتتْ إلينا، وقالت: يافتْيان، أنا والله إحدى الخمس، كذب وربِّ هذا القبْر والمنبر ما خلتْ معه واحدةٌ منّا، ولا راجعته دُونَ نسوتها كلاما. وحدّثني عمّي، عن أبيه، قال: قال حبيب بن ثابت: صدرْتُ إلى العقيق، فخلا لي الطريق، فأنشدتُ أبيات الأحوص هذه، وعجوزٌ سوْداء قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما أقول ولا أشعر بها، فقالت: كذب والله يا سيّدي؛ إنَّ سيفه ليلتئذ لعُرجون ابْن طاب يتخصّر به، وإني لرسولهنّ إليه. قال الزبير: وحدّثني عمّي، عن أبيه، عن الزُّبير بن حبيب، قال: كنْتُ أنشد قول الأحوص: خمس دَسَسْنَ إليَّ في لطف

قال: فإذا نسوة فيهنّ عجوز سوداء، فأقْبلْنَ على العجوز، فقلن لها: لمنْ هذا الشعر؟ قالت: للأحوص، فقلت: للأحوص لعمري، فقالت لهن: أنا والله الجريُّ، خرج نسوة يصلّين في مسجد قُباء، ثم تحدّثْنَ في رحْبة المسجد، في ليلةٍ مقمرة، فقُلْن: لو كان عندنا الأحوص! فخرجت حتى أتيتُهنّ به، وهو متخصِّر بعرجون ابن طاب، فتحدّث معهنّ حتى دنا الصبح، فقلن له: لا تذكر خبرنا، ولا تذكر إلا خيراً، قال: قد فعلت، وأنشدهن تلك الساعة من الليلة تلك الأبيات، ثم استمرت بأفْواهِ الناس تُغنّى: خمْس دسن إليّ في لطف
الأبيات كلّها، والله ما قامتْ معه امرأةٌ ولا كان بينه وبين واحدةٍ منهنّ سرّ. (٣٥٢/١٧)

---

(١) الغمر من الثياب: الواسع.

(٥٣)

وقال هارون: أخذت من خطّ أبي عدنان: أخبرني أبو ثروان الخارجي، قال: سمعت أشياخ الحيّ يقولون: اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم: أبقي أحدٌ أشعر منكم؟ قالوا: لا. فقال الأخطل: كذبوا يا أمير المؤمنين، قد بقي مَنْ هو أشعر منهم، قال: ومنْ هو؟ قال: عمران بن حطان، قال: وكيف صار أشعر منهم؟ قال: لأنّه قال وهو صادق ففاقهم، فكيف لو كذب كما كذبوا. (١٨/١١٦)

(٥٤)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا محمد بن مُوسى، وحدّثني بعضُ أصحابنا، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ: أنّ امرأةَ عِمران بن حطّان قالت له: ألم تزعم أنّك لا تكْذب في شعرك؟ قال: بلى، قالت: أفرأيتَ قولك:

وكذا مجْزاة بن ثو رٍ كان أشجعَ من أسامهْ

أيكون رجل أشْجعَ من الأسد؟ قال: نعم، إنّ مجزاةَ بن ثوْر فتح مدينة كذا، والأسد لا يقدر على فتْح مدينة. (١٨/١٢٠)

(٥٥)

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بني أبي ربيعة على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجدّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متلوِّما يُنْهضُك الحزْم ويُقعدك العزمُ، وتهمُّ بالإقْدام وتجْنح إلى الإحْجام، انفذْ لبصيرتك وأمضِ رأيك، وتوجّهْ إلى عدُوِّك، فجدُّك مُقبل، وجدُّه مُدبر، وأصحابُه له ماقتون، ونحن لك محبّون، وكلمتُهم مُفْترقة، وكلمتُنا عليك مُجْتمعة، واللهِ ما تُؤتى من ضعْف جنان، ولا قلّةِ أعْوان، ولا يثبِّطُك عنه ناصح، ولا يُحرِّضُك عليه غاش، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً فقال: هاتِها، فإنك تنطق بلسان ودُود وقلْب ناصح، فقال:

آلُ الزُّبير من الخلافة كالّتي عجلَ النِّتاجُ بحمْلها فأحالها

أو كالضِّعاف من الحمولة حُمِّلت ما لا تُطيق فضيّعت أحمالها

قُوموا إليهم لا تناموا عنهمُ كم للغُواة أطلْتُموا إمْهالها

إنّ الخلافةَ فيكمُ لا فيهمُ ما زِلْتُمُ أركانها وثمالها(١)

(١) ثمالها: غياثها.

أمسوا على الخيرات قُفْلاً مغلقا		فانهض بيُمْنك فافتحْ أقفالها

فضحك عبدُ الملك وقال: صدقتَ يا أبا عبد الله، إنَّ أبا خُبيب لقفلٌ دون كل خير، ولا نتأخّر عن مناجزته إن شاء الله، ونستعين الله عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأمر له بصلة سنية. (١٣٣/١٨)

(٥٦)

أخبرنا وكيع قال: حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدّثني الزُّبير بنُ بكّار قال: حدّثني أبو غزيّة قال: حدّثني أنسُ بنُ حبيب قال: خرج ابنُ أذيْنة إلى هشام بن عبد الملك في قوم من أهل المدينة وفدوا عليه، وكان ابنُه مسْلمة بن هشام سنة حجَّ أذن لهم في الوفود عليه، فلما دخلوا على هشام انْتسبوا له وسلّموا عليه، فقال: ما جاء بك يابن أذيْنة؟ فقال:

أتينـا نمُـتُّ بأرحـامنـا		وجئنا بإذْن أبي شـاكـر
فـإنَّ الذي سـارَ معـروفـه		بنجـدٍ وغـار مـع الغـائرِ
إلى خيْر خِنْدِفَ في ملكها		لبـادٍ من النَّاس أو حـاضـر

فقال له هشام: ما أراك إلا قد أكْذبْتَ نفسك حيث تقول:

لقد علمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي		أنّ الذي هو رِزْقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعنِّيني تطلُّبُه		ولو جلسْتُ أتاني لا يعنِّيني

فقال له ابن أذيْنة ما أكذبْتُ نفسي يا أمير المؤمنين، ولكني صدقْتُها، وهذا من ذاك. ثم خرجَ من عنده فركب راحلته إلى المدينة، فلما أمر لهم هشامٌ بجوائزهم فقده، فقال: أين ابنُ أذيْنة؟ فقالوا: غضب من تقْريعك له يا أمير المؤمنين، فانصرف راجعاً إلى المدينة، فبعث إليه هشام بجائزته. (٣٢٥/١٨)

(٥٧)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ قال: حدّثني عمي قال: كانت لِمسكينٍ الدّارميِّ امرأة من منقر، وكانت فاركاً(١) كثيرةَ الخصومة والمُماضّةِ(٢)، فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه:

---

(١) الفارك: المبغضة لزوجها. (٢) المماضّة: المنازعة والمشادّة.

إنْ أدْعَ مسكيناً فما قصرتْ   قِدْري بيـوتُ الحـي والجُدُرُ

فوقفتْ عليه تسمع حتى إذا بلغ قوله:

ناري ونارُ الجار واحدة   وإليـه قبلـي تُنزل القِدرُ

فقالت له: صدقت والله، يجلس جارُك فيطبُخ قدره، فتصطلي بناره، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذانه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أجلْ والله، إن القدر لتنزل إليه قبلك، فأعرض عنها، ومرّ في قصيدته حتى بلغ قوله:

ماضرُ جاراً لي أجاوره   ألا يكـون لبيتـه سـترُ

فقالت له: أجل، إن كان له ستر هتكته، فوثب إليها يضربها، وجعل قومه يضحكون منهما. وهذه القصيدة من جيد شعره. (٢١٣/٢٠)

(٥٨)

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ، عن زكريا بن ثباة الثقفي قال: أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله:

بفي الشّامتين الصُخْر إن كان مسّني   رزيّـة شِـبْل مُخْـدرٍ في الضّـراغم(١)

قال: يا أبا يحيى، أرأيت ابني؟ قلتُ: لا، قال: والله ما كان يساوي عباءته. (٣٠٠/٢١)

(٥٩)

قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدّثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، وأخبرني به الجوهريّ وجحْظة عن ابن شبّة عن محمد بن سلام، وكان محمد في زمام الحجاج زمانا قال: انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالرّدم وهو قائم والناس حوله ينشد مديح سليمان بن عبد الملك:

وكم أطلقتْ كفاك مـن غـلّ بائس   ومن عُقْدةٍ ما كان يُرجى انحلالُها

كثيـراً من الأيدي التي قـد تكتّفَتْ   فككـتَ وأعناقـاً عليهـا غِلالُهـا

قال: قلت: أنا والله أحدُهم، فأخذ بيدي وقال: أيّها النّاس سلوه عما أقول والله ما كذبت قط. (٣٠٩/٢١)

---

(١) بفي: بفم، وهو خبر مقدّم عن الصخر، والجملة دعائية، ومخدُر: ملازم خدره. يريد أنّه لم يتأثر بموت ابنه هذا، ففيم يشمت الشامتون.

(٦٠)

أخبرني جحظة قال: حدّثني ابن شبة، عن محمد بن سلاّم فذكر مثله وقال فيه: والله ما كذبت قط ولا أكذب أبداً. (٢١/٣١٠)

(٦١)

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده:

عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف

فقال: زدني: فأنشده:

ثلاثٌ واثنتان فتلك خمس ... وواحدة تميل إلى الشِّمام

فبِتْنَ بجانبيّ مصرَّعات ... وبتُّ أفضُّ أغلاق الختام

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللتَ نفسك للعقوبة، أقررتَ بالزنى عندي، وأنا إمام، ولا تريد مني إقامة الحدّ عليك. فقال: إن أخذت فيَّ بقول الله عزوجل لم تفعل فقال: وما قال؟ قال: قال الله تبارك وتعالى: (والشّعراء يتّبعُهم الغاوون، ألم تر أنّهم في كلّ وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون مالا يفعلون)، فضحك سليمان وقال: تلافيتَها ودرأت عنك الحدّ وخلع عليه وأجازه. (٢١/٣٧٣)

(٦٢)

أخبرني ابنُ خلف وكيع، عن هارون بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل قال: حدّثنا القحذميّ، عن ابن عيّاش: قال: لقيت الفرزدق فقلتُ له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول:

فليتَ الأكفُّ الدافنات ابنَ يوسفٍ ... يُقطَّعْن إذ غيّبْن تحت السقائفِ(١)

فقال: نعم، أنا، فقلت له: ثم قلت بعد ذلك له:

لئن نفرُ الحجّاج آلُ معتّبٍ ... لقُوا دولةً كان العدوُّ يُدالُها(٢)

لقد أصبح الأحياء منهم أذلّةً ... وفي الناس موتاهم كلوحاً سبالُها(٣)

---

(١) ابن يوسف: هو الحجاج، وابن مفعول الدافنات، والسقائف: جمع سقيفة، والمراد بها هنا ما يسقف به القبر من حجر ونحوه، يدعو على الأيدي التي دفنت الحجاج بالقطع في معرض رثائه. (٢) نفر: فاعل فعل محذوف، تقديره لئن لقي نفر الحجّاج، آل معتّب بدل من نفر الحجّاج، والدولة: الغلبة وكان العدو يدالها: كانت تتاح للعدو. (٣) هذا البيت جواب القسم في البيت الأول، وضمير منهم يعود على نفر =

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه. (٢١/٣٩٨)

(٦٣)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني أبو العباس المروزيّ، قال: حدّثنا ابن عائشة قال: حضر ابنُ أبي عتيق عُمر بن أبي ربيعة يوما وهو ينشد قوله:

ومَن كان محروباً لإهْراق دمعة ... وَهَى غربُها فليأتنا نبْكه غدا

نُعِنْه على الإثكال إن كان ثاكلاً ... وإن كان محزوناً وإن كان مُقْصدا

قال: فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخرّيت، وقال: قم بنا إلى عمر. فمضينا إليه، فقال له ابن أبي عتيق: قد جئنا لموعدك، قال: وأي موعد بيننا؟ قال: قولك فليأتنا نبْكه غدا. قد جئناك لموعدك، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك، أو ننصرف على أنَّك غير صادق، ثم مضى وتركه. (٢٢/٨)

= الحجّاج، وكلوحاً: جمع كالح، بمعنى عابس، والسبال: جمع سبلة، وهي طرف الشارب، أو طرف اللحية.

العصر العباسي

(١)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: لم يذهب على أحدٍ من الرُّواةِ أنَّ عمر كان عفيفاً يصف ولا يقف، ويحُوم ولا يرد. (١١٩/١)

(٢)

وكان بشّار كثير التلوّنِ في ولائه، شديد الشَّغْب والتعصُّب للعجم، مرَّةً يقول يفتخرُ بولائه في قيس:

أمِنْتُ مضرَّةَ الفُحْشَاءِ أني ... أرى قيساً تضُرُّ ولا تُضارُ[١]
كأنَّ الناسَ حين تغيبُ عنهم ... نباتُ الأرضِ أخطَأهُ القطارُ[٢]
وقد كانت بتدْمُرَ خيلُ قيسٍ ... فكان لتدْمُرٍ فيها دمارُ
بحيٍّ من بني عيلانَ شُوسٍ ... يسيرُ الموتُ حيث يقالُ ساروا
وما نلقاهُمُ إلا صدرْنا ... بريّاً منهمُ وهُمُ حِرارُ[٣]

ومرَّةً يتبرأُ من ولاء العرب فيقولُ:

أصبحتُ مولى ذي الجلالِ وبعضُهم ... مولى العُريبِ فخذْ بِفضْلِكَ فافخرِ
مولاك أكرم من تميم كلِّها ... أهلِ الفعالِ ومن قُريشِ المشْعَرِ
فارجِعْ إلى مولاك غير مُدافعٍ ... سُبْحانَ مولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخرُ بولاء بني عُقيلٍ:

إنَّني من بني عُقيلِ بن كعبٍ ... موضعَ السَّيفِ مِنْ طُلى الأعناقِ[٤] (١٣٩/٣)

---

(١) الفحشاء: جمع فاحش وهو السيء الخلق. (٢) القطار: جمع قطر وهو المطر.

(٣) حرار: جمع حران وهو الشديد العطش. --

(٤) الطلى: أصول الأعناق؛ واحدتها طلية أو طلاة.

(٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهْرويه قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال: مررتُ ببشّار وهو مُتبطّح في دهْليزه كأنه جاموس، فقلتُ له: يا أبا مُعاذ، مَنِ القائل:

في حُلّتي جسمُ فتىً ناحلٍ لو هبّتِ الريحُ به طَاحَا

قال: أنا؛ قلت: فما حملك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك! فقال بشّار: مِن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يأهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقْتكم على كلّ حال!. (٢١٤/٣)

(٤)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال: مدح بشّارٌ المهديَّ فلم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: لم يستجدْ شعرك؛ فقال: والله لقد قلتُ شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد، ولكنّا نكذب في القول فنُكْذَبُ في الأمل. (٢١٥/٣)

(٥)

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفْوان قال: جلس إلى بشّار أصدقاءُ من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن يُنشدهم شيئاً مما أحدثه، فأنشدهم قوله:

أنَّى دعاه الشّوقُ فارتاحا من بعد ما أصبح جحجاحا(١)

حتّى أتى على قوله:

في حُلّتي جسمُ فتىً ناحلٍ لوهبّت الرّيح به طاحا

فقالوا: يابن الزانية، أتقول هذا وأنت كأنّك فيل عرضُك أكثر من طولك! فقال: قوموا عنّي يابني الزِّناء؛ فإنّي مشغول القلب، لستُ أنشط اليوم لمشاتمتكم. (٢٢٣/٣)

---

(١) الجحجاح: السيّد المسارع في المكارم.

(٦)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال: زعم أبو العالية أنّ بشّاراً قدم على المهديّ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك، فأنشده قوله:

يا منظراً حسناً رأيتُهْ ... من وجه جارية فديتُه
بعثتْ إليَّ تسومني ... بُردَ الشّباب وقد طويتُهْ
واللـه ربِّ محمد ... ما إن غدرتُ ولا نويتُهْ
أمسكتُ عنك وربّما ... عرض البلاءُ وما ابتغيتُهْ
إنّ الخليفة قد أبى ... وإذا أبى شيئاً أبيتُهْ
ومُخضَّبٍ رخص البنا ... ن بكى عليّ وما بكيْتُه
ويشوقني بيتُ الحبيـ ... ـب إذا ادَّكرتُ وأين بيتُه
قام الخليفة دونه ... فصبرتُ عنه وما قليْتُه
ونهانيَ الملك الهما ... م عن النّسيب وما عصيتُه
لا بل وفيتُ فلم أضع ... عهداً ولا رأياً رأيتُه
وأنا المُطلّ على العدا ... وإذا غلا علْق شريتُه(١)
أصْفي الخليلَ إذا دنا ... وإذا نأى عنّي نأيتُهْ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يُعطه شيئاً؛ فقيل له: إنَّه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخش صرْفُه على أحد، ولكنّه كذّب أملي لأنّي كذبت في قولي. ثم قال في ذلك:

خليليَّ إنّ العسر سوف يُفيقُ ... وإنّ يساراً في غدٍ لَخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمان إذا صحا ... صحوتُ وإن ماق الزّمان أموقُ(٢)
أأدْماء لا أستطيع في قلّة الثّرى ... خُزوزاً ووشياً والقليلُ محيقُ(٣)

---

(١) العلق: النفيس من كلّ شيء. (٢) ماق: حمق.

(٣) الأدماء: لغةً، الظبية التي أشرب لونها بياضاً، وهي هنا علم. والخزوز: جمع خز، وهو نوعان: أحدهما ثياب تنسج من صوف وحرير، وثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده. والوشي: نوع من الثياب الموشية أي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون. ومحيق: لا خير فيه.

خُذي من يدي ما قلَّ إنّ زمانَنا شَموسٌ ومعروفُ الرجالِ رقيقُ
لقد كنتُ لا أرضى بأدنى معيشة ولا يشتكي بُخلاً عليَّ رفيقُ
خليليَّ إنّ المالَ ليس بنافعٍ إذا لم ينلْ منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ إذا ضاقت عليَّ محلّةٌ تيمّمتُ أخرى ما عليَّ تضيقُ
وما خابَ بين اللهِ والناسِ عاملٌ له في التّقى أو في المحامدِ سوقُ
ولا ضاقَ فضلُ اللهِ عن متعفّفٍ ولكنّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ (٢٣٩/٣)

(٧)

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله:

كأنّ فُضولَ الكأسِ من زبداتها خلاخلُ شُدّت بالجُمانِ إلى حَجْلِ(١)

فقال له موسى: والله لأجلدنّك حدَّ الخمر، قال: ولم يا أمير المؤمنين! إنما نقول ولا نفعل، فقال: كذبت، قد وصفتها صفة عالمٍ بها، قال: فاجعل لي الأمان حتّى أتكلّم بحُجّتي، قال: تكلّم وأنت آمنٌ، قال: أجدتُ وصفها أم لم أجدْ؟ قال: بلى قد أجدت، قال: وما يُدريك أني أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها! إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شركتني في ذلك بطبعك، وإن كان وصفُها لا يُعلم إلا بالتجربة فقد شركتني أيضاً فيها؛ فضحك موسى وقال له: قد نجوتَ بحيلتك منّي، قاتلك الله فما أدهاك!. (٢٦٤/٣)

(٨)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: لمّا قال أبو العتاهية:

تَعالى الله يا سلْمُ بنَ عمْرٍ أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال سلم: ويلي على ابن الفاعلة، كنز البُدور ويزعمُ أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيَّ هذين!. (٨٣/٤)

(٩)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن

---

(١) الزبدات: جمع زبدة وهي الطائفة من الزَّبَد الذي هو طفاوة الماء واللعاب وغيرهما، والجمان: اللؤلؤ، والحجل: الخلخال.

عن بعض أصحابه: قال: كنت في مجلس خُزيمة، فجرى حديثُ ما يُسفَك من الدماء، فقال: والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجَّةٌ إلاَّ رجاء عفوه ومغفرته. ولولا عزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة، وأن أصير بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً، ما كان في الأرض أزهدُ ولا أعبدُ منِّي؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقْعة من أبي العتاهية فيها مكتوب:

أراكَ امـرأً ترجـو من الله عـفْوهُ … وأنـت على مـا لا يُحـبُّ مُقـيـمُ
تدلُّ على التـقـوى وأنـت مُقَصِّرٌ … أيا منْ يُداوي الناس وهـو سـقـيمُ
وإنَّ امرأً لم يُلهِهِ اليوم عن غدٍ … تخـوُّفَ مـا يأتـي بـه لحكيـمُ
وإنَّ امـرأً لم يجـعلِ البـرَّ كنزه … وإنْ كـانتِ الدنيـا لـه لعـديـمُ

فغضب خُزيمة وقال: والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحف من كنوز البرّ فيرغب فيه حرٌّ. فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: لأنَّه من الذين يكنزون الذهب والفضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله. (٩٩/٤)

(١٠)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ ونوْفل بن ميمون عن يحيى بن عُرْوة بن أذينة قال: خرجتُ في حاجة لي، فلمّا كنت بالسَّيالة(١) وقفت على منزل إبراهيم بن عليّ بن هرْمة، فصحْتُ: يا أبا إسحاق، فأجابتني ابنتُه: من هذا؟ فقلت: انظُري، فخرجتْ إليَّ فقلت: أعلمي أبا إسحاق؛ فقالت: خرج والله آنفا؛ قال: فقلت: هل من قرىً؟ فإني مُقْوٍ من الزاد؛ قالت: لا والله، ماصادفته حاضراً؛ قلت: فأين قولُ أبيك:

لا أمْتِـع العُوذ بالفصالِ ولا … أبتـاع إلاَّ قريبـةَ الأجـلِ

قالت: بذاك والله أفناها - أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيوب بن عباية بمثل هذا الخبر سواء، وزاد فيه: - قال: فأخبرت إبراهيم بن هرْمة بقولها، فضمّها إليه وقال: بأبي أنت وأمي! أنت والله ابنتي حقا، الدارُ والمزْرعةُ لك. (٢٦٠/٥)

(١١)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني نوْفل بن ميمون قال

---

(١) السَّيالة: أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة.

حدّثني مُرقع قال: كنت مع ابن هرْمة في سقيفة أمّ أذنيْة، فجاءه راعٍ بقطعة من غنم يشاوره فيما يبيع منها، وكان قد أمره ببيع بعضها؛ قال مُرقّع: فقلت: يا أبا إسحاق، أين عزب عنك قولك:

لا غنمي مُدّ في الحياة لها   إلا لِدَرْكِ القِرى ولا إبلي

وقولك فيها أيضاً:

لا أمتِع العُوذَ بالفصال ولا   ولا أبتاع إلا قريبة الأجلِ

فقال لي: ما لك أخزاك الله ؟ من أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء. (٥/٢٦١)

(١٢)

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني علي بن محمدَ النوفلي عن أبيه: أنّ ابن هرمة كان اشترى غنماً للربح، فلقيه رجل فقال له: ألست القائل:

لا غنمي مُدُّ في الحياة لها   إلاّ لِـدَرْكِ القِرى ولا إبلي

قال: نعم؛ قال: فوالله إنّي لأحسبك تدفع عن هذه الغنم المكروه بنفسك، وإنّك لكاذب؛ فأحفظه ذلك فصاح: مَنْ أخذ منها شيئاً فهو له؛ فانتهبها الناس جميعاً؛ وكان ابن هرمة أحد البخلاء.

(٥/٢٦١)

(١٣)

أخبرنا وكيع قال حدّثنا حمّاد عن أبيه (عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمد بن زيد عن أبيه) قال: اجتمع قوم من قريش أنا فيهم، فأحببنا أن نأتي ابن هرمة فنعبث به، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده، فلما انتهينا إليه خرج إلينا فقال: ما جاء بكم؟ فقلنا: سمعنا شعرك فدعانا إليك لما سمعناك قلت:

إنّ امرأ جعل الطريق لبيته   طُنُباً وأنكر حقّه لَلَئيمُ(١)

وسمعناك تقول:

وإذا تنوّر طارق مُستنبحٌ   نَبَحَتْ فدلّته عليّ كلابي
وعوين يستعجلنه فلقينه   يضرِبْنه بشراشر الأذناب(٢)

---

(١) الطُنُب: حبل الخباء والسرادق ونحوهما، وقد يستعار للطرف والناحية. (٢) شراشر الأذناب: أطرافها.

وسمعناك تقول:

كم ناقة قد وجأتُ منحرها   بمُستهل الشُؤْبُوب أو جملِ(١)

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا   أبتاع إلاَّ قريبة الأجلِ

قال: فنظر إلينا طويلاً ثم قال: ما على وجه الأرض عصابةٌ أضعفُ عقولاً ولا أسخفُ ديناً منكم؛ فقلنا له: يا عدوَّ الله يا دعيّ، أتيناك زائرين (و) تُسْمِعُنا هذا الكلام!؛ فقال: أما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء: (وأنّهُمْ يقولون مالا يفْعلون) أفيُخْبركم الله أنّي أقول ما لا أفعلُ وتريدون منِّي أن أفعلَ ما أقول!؛ (قال) فضحكنا منه وأخرجناه معنا، فأقام عندنا في نزهتنا يشْركُنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة. (٥/٢٦٢)

(١٤)

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي: حدّثنا عبد الله بن الوليد الأزْديّ قال حدّثني جعفر بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين قال: سمع مزيد قول ابن هرْمة: لا أمْتِع العُوذَ بالفصالِ ولا   أبتاعُ إلاَّ قريبةَ الأجلِ

قال: صدق ابن الخبيثة، إنَّما كان يشتري الشاة للأضحى فيذْبحها من ساعته. (٥/٢٦٢)

(١٥)

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا ابن سلاّم قال: كان كثيِّر مدّعيا ولم يكن عاشقاً، وكان جميلٌ صادقَ الصّبابة والعشق. (٩/٣٢)

(١٦)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر ابن شبّة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبيدة يقول: كان جميل يصدُق في حبه، وكان كثيِّر يكذب. (٩/٣٢)

(١٧)

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك، عن

(١) وجاه: ضربه بسكّين ونحوه.

إسحاق قال: دخلت يوماً على المأمون فوجدته حائراً متفكرًا غير نشيط، فأخذتُ أحدّثه بمُلَح الأحاديثِ وطُرفها، أستميله لأن يضحك أو ينْشط، فلم يفعل، وخطر ببالي بيتان فأنشدتُه إيّاهما، وهما:

ألا علّلاني قبلَ نوْح النَّوائحِ ... وقبلَ نُشوزِ النفس بين الجوانح[1]

وقبل غدٍ، يالهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا راح أصحابي ولستُ برائحِ

فتنبّه كالمتفزّع ثم قال: مَن يقول هذا ويحك؟ قلت: أبو الطَّمحان القَيْنيُّ يا أمير المؤمنين. قال: صدق والله، أعِدْهما عليّ. فأعدتهما عليه حتى حفظهما. (١٣/١٢)

(١٨)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثني أبي، قال: خرج المهديّ يوماً، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشده قوله:

أضحت يمينك من جود مصوَّرة ... لا بل يمينك منها صُوِّر الجودُ

فقال: كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعا لأحد، بعد قولك في معْن بن زائدة حيث تقول:

ألمّا بمعنٍ ثم قولا لقبره ... سُقيت الغوادي مرْبعاً ثم مربعا

أخرجوه عني؛ فأخرجوه. وتمام الأبيات:

أيا قبر معن كنت أوّل حفرةٍ ... من الأرض خُطّت للمكارم مضجعا

أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرُّ والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه ممرعا

أبى ذكر معن أن تموت فعاله ... وإن كان قد لاقى حِماماً ومصرعا (١٦/٢٣)

(١٩)

قال ابن الأعرابيّ: كان حاتم من شعراء العرب، وكان جواداً يُشبه شعره جوده، ويصدّق قوله فعله. (١٦/٣٣٦)

(٢٠)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكرانيّ، قال: حدّثني أبو حاتم، قال: سمعتُ أبا مالك عمْرو بن

---

(١) النشوز: ارتفاع الشيء عن موضعه، ونشوز النفس بين الجوانح: خروجها منها عند الموت.

كرْكرة يقول: أنشدني ابنُ مُناذر قصيدته الدَّالية التي رثى فيها عبدَ المجيد، فلمَّا بلغ إلى قوله:

يقدح الدَّهرُ في شماريخ رضْوى ويحـُـطّ الصُّخــور مــِــنْ هَـبُّـودِ

قلت له: هبُّود، أيّ شيء هو؟ فقال: جبل، فقلت: سخنتِ عَيْنُك، هبُّود والله بئر باليمامة ماؤها مِلْح لا يشْرب منه شيءٌ خلقه الله، وقد والله خريتُ فيها مرّات، فلما كان بعد مدة وقفتُ عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها، فلما بلغ هذا البيت أنشدها: ويحُطُّ الصُّخورَ من عبُّود

فقلت له: عبُّود، أيُّ شيء هو ذا؟ فقال: جبل بالشّام، فلعلك يابن الزّانية خريت عليه أيضاً، فضحكتُ ثم قلْت: لا ما خريت عليه ولا رأيتُه، وانصرفت عنه وأنا أضحك. (١٨/١٨١)

(٢١)

فأخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أبي، قال: قال بكر بن النّطّاح الحنفيّ قصيدته التي يقول فيها:

هنيئاً لأخواني ببغداد عيدهُم وعيدي بحلوانٍ قراعُ الكتائبِ

وأنشدها أبا دلف فقال له: إنك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشُّجاعة، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قطّ، ولا فيك، فقال له: أيُّها الأمير وأيّ غناء يكون عند الرجل الحاسر الأعْزل؟ فقال: أعطوه فرساً وسيفاً وتُرساً ودرعاً ورمحاً، فأعطوه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه، فلقيه مالٌ لأبي دُلف يحمل من بعض ضياعه، فأخذه وخرج جماعةٌ من غلمانه فمانعوهُ عنه، فجرحهم جميعاً وقطعهم وانهزموا، وسار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرْسخاً، فلما اتصل خبرُه بأبي دُلف قال: نحن جنينا على أنفسنا، وقد كنُّا أغنياء عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه بالأمان، وسوّغه المال، وكتب إليه: صِرْ إلينا فلا ذنْب لك، لأنا نحن كنا سبب فعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا؛ فرجع ولم يزل معه يمتدحه، حتى مات. (١٩/١٠٦)

(٢٢)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، عن علي بن الصبّاح - وأظنّه مرسلاً وأنّ بينه وبينه ابن أبي سعد أو غيره لأنّه لم يسمع من علي بن الصبّاح - قال: حدثّني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشدني أشجع بيت وأعفّه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

ومَــنْ يَفْتقِـرْ منّا يعِشْ بحســـامه ومَنْ يفتقر من سائر الناس يسألِ

وإنَّا لنلهو بالسيوف كما لهتْ　　عروس بعقد أو سِخاب قرنفلِ(١)

فقال: ويحك! مَن يقول هذا؟ فقلت: بكر بن النطاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسأل أبا دُلف ويمتدحه وينتجعه! هلاّ أكل خبزه بسيفه كما قال!　(١٠٨/١٩)

(٢٣)

أخبرني محمدُ بن مزْيد وعيسى بنُ الحسين، قالا: حدّثنا الزبير بن بكّار، قال: قال عبد الله بن الحسن الكاتب: أنشد المأمون قول أبي العتاهية:

تعالى الله يا سلم بن عمروٍ　　أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال

فقال المأمون: صدق لعمرُ الله، إنَّ الحِرْص لمفسَدةٌ للدِّين والمروءة، والله ما رأيت من رجل قط حرْصاً ولا شرهاً، فرأيت فيه مُصطنعاً، فبلغ ذلك سلما الخاسر، فقال: ويلي على ابن الفاعلة بيّاعِ الخزف، كنزَ البُدور بمثْل ذلك الشعر المفكّكِ الغثّ، ثم تزهد بعد أن استغنى، وهو دائباً يهتف بي، وينسبني إلى الحرص، وأنا لا أملك إلا ثوْبيّ هذين.　(٢٧٦/١٩)

(٢٤)

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني محمدُ بن حاتمٍ المؤدِّبُ قال: قيل للمأمون: إن دِعْبل بن عليّ قد هجاك، فقال: وأيّ عجب في ذاك؟ هو يهجو أبا عبّاد ولا يهجوني أنا! ومَن أقدم على جُنون أبي عباد أقدم على حلمي، ثم قال: للجلساء: مَن كان منكم يحفظ شعره في أبي عبّاد فليُنْشدْنيه، فأنشده بعضهم:

أولى الأمور بضيعة وفسادِ　　أمرٌ يدبِّره أبو عبّادِ

خرِقٌ على جلسائه فكأنهم　　حضروا لملْحمة ويوم جلادِ

يسْطو على كُتّابه بدواته　　فمُضمَّخٌ بدم ونضْحِ مدادِ

وكأنّه من دير هِزْقلَ مُفلتٌ　　حرِدٌ يجر سلاسل الأقيادِ(٢)

فاشدد أميرَ المؤمنين وثاقه　　فأصحُّ منه بقيّةُ الحدّادِ

قال: وكان بقية هذا مجنوناً في المارسْتان، فضحك المأمون، وكان إذا نظر إلى أبي عبّاد يضحك، ويقول لمن يقرب منه: والله ما كذب دعبل في قوله.　(١٤٠/٢٠)

---

(١) سخاب قرنفل: عقد قرنفل.　(٢) دير هِزْقل: قرية شرقي واسط بينهما فرسخ. وقع فيها الطاعون فخرج أهلها هاربين فأماتهم الله ثمّ أحياهم ليعتبروا، والحرد: الغضبان.

صنعة الشعر ودواعيه . شياطين الشعراء
ثقافة الشاعر

تقدّم نصوص هذه القضية ثلاثة محاور هي صنعة الشعر ودواعيه، وشياطين الشعراء، وثقافة الشاعر، وقد آثرنا وضعها في مكان واحد، مثلما صنعنا في قضية السرقات والانتحال، وذلك لأنّها جميعاً ذات علاقة مباشرة بعملية بناء القصيدة عامّةً، وضروب المعارف التي تزوّد بها الشعراء، قبل شروعهم في ذلك البناء.

ويراد بصنعة الشعر تلك النصوص التي تحدَّثت عن كيفية نظم الشعراء قصائدهم، والصعوبات التي تواجههم في أثناء عملية النظم، وقبلها، واختيارهم الأوقات الملائمة والأمكنة التي تعينهم على النظم، يضاف إلى ذلك التوقّف عند فريقين من الشعراء: فريق يؤثر الطبع، والسهولة، وإذاعة الشعر بلا إعادة نظر فيه، أو تجويد صنعته، مع نماذج من الارتجال الذي وقع في بعض الأبيات، أو القصائد، ورأي (النقّاد) فيه، أمّا الفريق الثاني فهو يتكلّف في شعره، ويرهق نفسه للوصول إلى عويص المعاني، وبعيد المجازات، مع تبيان الحالات العسيرة التي يمرُّ بها أولئك الشعراء وهم ينظمون قصائدهم.

أمّا شياطين الشعراء فهي تلك الفكرة التي رافقت الشعراء منذ العصر الجاهلي، في أنَّ لكلِّ شاعرٍ شيطاناً ينفث الشعر على لسانه، ويعينه على النظم، وإذا توقّف عن رفد الشاعر عجز عن القول وأفحم فلم يستطع أن يقول شيئاً، وقد قطع بعض الشعراء الشوط إلى نهايته فجعلوا لشياطينهم أسماء، وراحوا يتحدَّثون عن أشياء وقعتْ لهم معهم. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنَّ الجاحظ قد ناقش هذه الفكرة مناقشة علمية هادئة، وعلَّل لها بتعليلات هي الغاية في الموضوعية، والنظر الصائب، وردَّها إلى الوهم الذي يحدث للشاعر بسبب الوحدة والانفراد، فنراه يقول، الحيوان (٢٤٨/٦): « .. يكون في النهار ساعات ترى الشخص الصغير في تلك المهامه عظيماً، ويوجد الصوت الخافض رفيعاً، ويُسمع الصوت الذي ليس بالرفيع، مع انبساط الشمس غدوة من المكان البعيد، ويوجد لأوساط الفيافي والقفار والرمال والحرار في أنصاف النهار مثل الدويّ من طبع ذلك الوقت، وذلك المكان». وممّا يقوّي رأي الجاحظ هذا، ما وجدناه عند بعض النقّاد المتخصِّصين من حديث عن عملية النظم، فهم يردّونها إلى الوعي التام لدى الشاعر، وقيامه وحده بهذه العملية بعيداً عن أيّة مؤثِّرات خارجية، نجد هذا عند ابن طباطبا - مثلاً - في كتابه عيار الشعر، فكأنَّ المناخ العام منذ العصر العباسي قد بدأ يميل إلى عدم

الأخذ بهذه الفكرة، أو الإيمان بها على أنَّها من المسلَّمات، ولعلَّ التطوّر الحضاري، وضروب الثقافات قد لعب دوراً مهماً في تقوية هذه النظرة العقلانية لعلمية نظم الشعر، ولكنّنا على صعيد آخر نرى نصوصاً في هذا العصر تومئ إلى الشياطين، وجودة شعرهم على لسان الشاعر، ومساعدتهم لهم، ويمكننا أن نُرجع هذا إلى شدّة الإعجاب بالشعر نفسه الذي جاء متميّزاً، متفرِّداً كأنَّ البشر عاجزون عن الإتيان بمثله، ولذلك لابدَّ من قوى خارجية تعين على نظمه، فلتكن الشياطين، أو سكنة وادي عبقر، الذي ردَّت العرب إليه كلَّ ما هو خارق، بعيد عن المألوف، لا يجري على العادة، فهم يقولون شعر عبقريّ، ونسج عبقري، فكأنَّ جودة الشعر، وقوّة سبكه قد دعت إلى هذه النسبة إلى الشياطين، وإلاّ فهم عارفون أنَّ الشاعر وحده هو صاحب هذا الشعر، بلا قوى تعينه عليه.

أمّا ثقافة الشاعر فهي تلك النصوص الملتقطة التي تشير إلى مصادر معرفة الشاعر، أيّا كانت هذه المصادر، دينية، لغوية، إخبارية، تارخية، فلسفية، وغيرها. ولا شكَّ أنَّ الشاعر يستخدم هذه الثقافة التي حصَّلها، ويستند إليها وهو ينظم شعره، وهي - في جهة أخرى - ذات دلالة على مكانته، ومدى قدرته على الاستفادة من علوم عصره، ولا نظفر بنصوص كثيرة عن هذا المحور في كتاب غير الأغاني، فكأنَّ التراجم التفصيلية للشعراء قد أعانت على تقديم مثل هذا اللون النادر من المادّة، وفتحت الباب واسعاً أمام أبي الفرج كي يضمِّن تلك التراجم جوانب تفصيلية عن حياة الشعراء، كانت ثقافتهم نقطة مضيئة، نافعة للنقد فيها.

العصر الجاهليّ

(١)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أبو عليّ العنزيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني رجلٌ عن أبانَ بن تغلب عن سماك بن حرْب قال قال لي يحيى بن متّى راويةُ الأعشى وكان نصرانياً عبادياً وكان معمَّراً قال: كان الأعشى قدرياً(١) وكان لبيدٌ مُثْبِتاً. قال لبيد: مَنْ هداه سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعم البالِ ومَنْ شـاء أضلْ

وقال الأعشى: إستأثر اللهُ بالوفاء وبالـ ـعدل وولّى الملامة الرَّجُلا

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبه؟ قال: من قبل العباديِّين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوه ذلك(٢). (١١٢/٩)

(٢)

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن محمد القصير قال حدّثنا محمد بن صالح قال حدّثني أبو اليقْظان قال حدّثني جُويرية عن يشْكُر بن وائل اليشْكريّ، وكان من علماء بكر بن وائل ووُلدَ أيام مُسيلمة فجيء به إليه فمسح على رأسه فعمي، قال جُويرية فحدّثني يشْكُرُ هذا قال حدّثني جرير بن عبد الله البجليّ قال: سافرت في الجاهليّة فأقبلتُ على بعيري ليلةً أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدّم فوالله ما يتقدّم، فتقدّمتُ فدنوت من الماء وعقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوّهون عند الماء فقعدت. فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدُّ تشويها منهم فقالوا: هذا شاعرهم فقالوا له: يا فلان أنشدْ هذا فإنه ضيف! فأنشد: « ودِّع هريرة إن الركب مرتحلُ» فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت:

---

(١) القدرية: جاحدو القدر، أي ينكرون أنّ الله قدّر على عباده الشرّ

(٢) هذا جانب من ثقافة الأعشى الذي ظهر في شعره بعد هذا.

تسمع للحلي وسْواساً إذا انصرفتْ كمـا اسـتعان بريـحٍ عِشْـرقٌ زجِلُ

فأعجب به. فقلت: مَن يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعْلبة أنشدنيها عام أوّلَ بنجْران. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتُها على لسانه وأنا مِسْحلٌ صاحبه(١)، ما ضاع شعر شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس. (١٥٦/٩)

(٣)

وقال ابن الأعرابيّ حدّثني أبو زياد، وذكر بعض هذا الخبر إسحاقُ الموصليّ عن حمّاد الراوية وعن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: وكان بشامة بن الغدير خال (زهير بن) أبي سُلْمى، وكان زُهيْر منقطعاً إليه وكان مُعْجباً بشعره، وكان بشامةُ رجلاً مُقْعداً ولم يكن له ولد، وكان مُكْثراً من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان لخُؤلتهم، وكان بشامةُ أحزم الناس رأياً، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزُوا أتوْه فاستشاروه وصدروا عن رأيه، فإذا رجعُوا قسمُوا له مثلَ ما يقْسِمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثُر ماله. وكان أسعدَ غطفان في زمانه. فلما حضره الموتُ جعل يقْسِم ماله في أهل بيته وبين بني إخوته. فأتاه زُهيْرٌ فقال: يا خالاه لو قسمْتَ لي من مالك!! فقال: والله يابن أختي لقد قسمْتُ لك أفضلَ ذلك وأجْزله، قال: وما هو؟ قال: شعري ورثْتنيه. وقد كان زُهيْرٌ قبل ذلك قال الشعر، وقد كان أوّل ما قال. فقال له زهير: الشعر شيءٌ ما قلته فكيف تعتدّ به عليّ؟ فقال له بشامةُ: ومن أين جئتَ بهذا الشعر! لعلك ترى أنّك جئت به من مُزيْنة، وقد علمت العرب أن حصاتها وعينَ مائها في الشعر لهذا الحيّ من غطفان ثم لي منهم، وقد رويْته عنّي(٢). وأحذاه نصيباً من ماله ومات. (٣١١/١٠)

(٤)

قال الأصمعيّ: إنّ الحارث بن حلِّزة لما ارتجل هذه القصيدة (ومطلعها:

آذنتنا ببينهـا أسـماء رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منه الثّواءُ)

بين يدي عمرو(٣) قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته: «قفي قبل التفرّق ياظعينا» وغير

---

(١) صاحبه: يعني شيطانه الذي ينفث الشعر على لسانه. (٢) هم عبيد الشعر الذين ذكرهم الأصمعي، وكان الواحد يتعلّم من سابقه، ويأخذ عنه، ومن زهير أخذ كعب ابنه، والحطيئة.

(٣) جاء في العمدة لابن رشيق (٢٥٢/١)، طبعة قرقزان: «وأعظم ارتجال وقع قصيدةُ الحارث بن حلِّزة بين يدي عمرو بن هند؛ فإنّه يقال: أتى بها كالخطبة».

الأصمعيّ ينكر ذلك وينكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم. (١١/٤٣)

(٥)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنا العُمريَ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية عن سماك بن حرْب عن يونس بن متّى راوية الأعشى قال: كان لبيدٌ مُجْبراً حيث يقول(١):

مَنْ هداهُ سُبُلَ الخيْرِ اهْتدى ناعمَ البال ومنْ شاء أضلّ

وكان الأعشى قدريّاً حيث يقول:

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ ـعدْلِ وولّى الملامةَ الرّجُلا

فقلت له: من أين (أخذ) هذا؟ فقال: أخذه من أساقفة نجْران، وكان يعود في كلِّ سنةٍ إلى بني عبد المدان، فيمدحهم ويُقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادمنهم، ويسمع من أساقفة نجْران قولهم؛ فكلُّ شيءٍ في شعره من هذا فمنهم أخذه. (١٢/٣)

(٦)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال: حدّثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ، قال: حدّثنا عمي قال: أتى رجل الأبيرد الرياحيّ وابن عمه الأخوص، وهما من رهطِ ردفِ الملك من بني رياح، يطلب منهما قطرانا لإبله فقالا له: إن أنت بلّغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً. فقال: قولا. فقالا: اذهب فقل له:

فإنّ بُداهتي وجِراء حولي لذو شقٍّ على الحُطَم الحرون(٢)

قال: فلما أتاه وأنشد الشعر أخذَ عصاه، وانحدر في الوادي، وجعل يُقْبل فيه ويدبر، ويهمْهِمُ بالشعر(٣). ثم قال: اذهبْ فقل لهما:

---

(١) رأينا في النصّ الأول السابق أنّ لبيداً وُصِفَ بأنّه مثبت، ويوصف هنا بأنّه مُجَبّر، وهو الذي يقول بالجبر، وهو عند أهل الكلام إسناد أفعال العبد إلى الله سبحانه إيجاداً وتأثيراً، ويقول الجبرية: إنّه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها.

(٢) البداهة: أولّ جري الفرس، والجراء: الجري، والشقّ: المشقّة، والحطم: المسوف المنيف، والحرون: أصله الفرس الذي لا ينقاد. (٣) كأنّ الشاعر بفعلته هذه يجهّز الجو النفسي للدخول إلى الشعر، ويروض =

القوافي كي ينظمها، فلم يتأتَّ له الشعر هكذا بداهة، بل احتاج إلى هذه الخلوة، والإقبال والإدبار ليقول الشعر، وأورد ابن رشيق في العمدة (١/٣٨٢)، طبعة قرقزان، قول الخليع: مَنْ لم يأت شعره مع الوحدة فليس بشاعر، وسنرى نماذج من حركات الشعراء، وأفعالهم التي تدخل في هذا المضمار في النصوص المقبلة.

فإنَّ عُلالتي وجِراء حولي ... لذو شقٍّ على الضَّرِع الظَّنونِ
أنا ابن الغُرِّ من سَلَفَيْ رياحٍ ... كنصل السيف وضَّاحُ الجبينِ
أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني(١)
وإنَّ مكاننا من حِميريٍّ ... مكانُ الليث من وسط العرينِ
وإنَّ قناتنا مشظٌ شظاها ... شديد مدُّها عُنُقَ القرين(٢)
وإني لا يعود إليَّ قِرني ... غداة الغِبِّ إلا في قرين(٣)
عذرتُ البُزْلَ إذ هي صاولتني ... فما بالي وبالُ ابنَيْ لبون(٤)
وماذا تبتغي الشعراء منِّي ... وقد جاوزتُ رأس الأربعين
أخو الخمسين مُجْتمعٌ أشُدِّي ... ونجّذني مداورةُ الشؤون(٥)
سأحيا ما حييتُ وإنَّ ظهري ... لذو سندٍ إلى نَضَدٍ أمين(٦) (١٣/١٣٤)

(٧)

أخبرنا ابن دريد قال: حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أن الحصين بن الحمام، قال:

وقافيةٍ غيرِ إنسيةٍ ... قرضْتُ من الشِّعر أمثالها(٧)
شرودٍ تلمَّعُ بالخافقينِ ... إذا أنشدتْ قيل من قالها(٨) (١٤/١٤)

---

(١) جلا: من الجلاء والظهور، كناية عن العلوّ، والثنايا: جمع ثنيّة وهي العقبة أو الجبل كناية عن تسوّر قمة المجد، متى أضع العمامة تعرفوني، قال ثعلب: العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم. (٢) مشظ، وهو مثل لامتناع جانبه، أي لا تمسّ قناتنا فينالك منها أذى. (٣) قرني: نظيري، والقرين: المصاحب، والمعنى أنّه لا يأتي منفرداً لضعفه. (٤) البزل: جمع بازل وهو ما بلغ من الإبل التاسعة، وابن اللبون: ما كان في العام الثاني واستكمله، أو إذا دخل في الثالثة، والمعنى: للقويّ عذر إذا صاولني، فما عذر الضعيف. (٥) نجّذني: جعلني مجرّباً. (٦) النضد: الوسائد وما حشي من المتاع، وهو أيضاً الأعمام والأخوال المتقدّمون في الشرف. (٧) غير إنسيّة: يعني أنّه ألهمه إيّاها جنيّ، وهذا داخل في اعتقادهم أنّ للشاعر شيطاناً ينفث الشعر على لسانه. (٨) قافية شرود: سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير، وتلمّع: تبرق وأصله تتلمّع فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، والخافقان: المشرق والمغرب.

(٨)

.. قال أبو نواس: .. إنْ الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على ابنته، وقد كان ثقّفها(١) وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عُدّي لي المُخزيات(٢). فتعدّ قوله: أغرُّ أروعُ يستسقى الغمامُ به لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا

وما أشبهها من شعره. (١٦/٣-٤٠)

(٩)

وقال ابنُ الأعرابيّ: قال حمّاد الراوية: تحرّك كعب بن زهير وهو يتكلّم بالشعر، فكان زُهير ينهاه مخافة أنْ يكون لم يستحكمْ شعرُه، فيُرْوى له ما لا خيْرَ فيه، فكان يضرْبُه في ذلك، فكلما ضربه يزيدُ فيه فغلبه، فطال عليه ذلك، فأخذه فحبسه، فقال: والذي أحلفُ به لا تتكلّم ببيتِ شعر إلاّ ضربتُك ضرْباً يُنكّلك عن ذلك فمكث محبوساً عدّة أيام، ثم أخبِر أنه يتكلّم به، فدعاه فضربه ضرْباً شديداً، ثم أطلقه وسرّحه في بَهْمه(٣) وهو غُليم صغير، فانطلق فرعى ثم راح عشيّةً، وهو يرتجز: كأنّما أحدو ببَهمي عيرا من القُرى مُوقرةً شعيرا

فخرج إليه زُهير وهو غضْبان، فدعا بناقته فكفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابْنه كعْب، فأخذ بيده فأردفه خلْفه، ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعثَ ابْنه كعْباً ويعلم ما عنده من الشعر، فقال زهير حين برز إلى الحيّ:

إني لتُعْديني على الحي جسْرةٌ تخُبُّ بوصّالٍ صرومٍ وتُعْنِقُ(٤)

ثم ضرب كعْباً، وقال له: أجِزْ يا لُكع. فقال كعب:

كبُنْيانةِ القرْنيّ موضعُ رحلها وآثارُ نسْعيها من الدّفِّ أبْلقُ(٥)

فقال زهير: على لا حبٍ مثل المجرّةِ خلْتَهُ إذا ا علا نشْزاً من الأرضِ مُهْرقُ(٦)

---

(١) ثقف الشيء يثقفه: حذقه أتقنه، وجوده، وتثقيف الشعر إعادة النظر فيه المرّة بعد المرّة بغية التجويد.

(٢) المخزيات هنا: أن يقول السامع بعد سماعه هذا الشعر: أخزاه الله، استحساناً له، وإعجاباً به. ويشير هذا النص إلى أنْ الأعشى كان يعتني بشعره قبل إذاعته، ويجيد في صنعته، تنقيحاً، وتهذيباً.

(٣) البهم: الصغار من ولد الضأن. (٤) الجسرة: الناقة القوية، وتخبّ وتعنق: ضربان من السّير.

(٥) الدفّ: المشي، والنسع: سيْر مضفور يُجعل زماماً للبعير وغيره، والنسعان: هنا البطان والحقَب، والنسع: المفصل بين الكفّ والساعد. (٦) اللاحب: الطريق الواضح، والمهرق: الأملس.

أجز يا لُكع، فقال كعب:

مُنـيرٌ هداهُ ليلُـه كنهـاره جميـعٌ، إذا يعْلُو الحُزونة أفْـرَقُ

قال: فتبدّى زُهيْر في نعْت النعام، وترك الإبل، يتعسَّفُه عمْداً ليعلم ما عنده، قال:

وظـلَّ بوعسـاءِ الكثيبِ كـأنّه خباءٌ على صقْبيْ بوانٍ مروّقِ

صقْبيْ عَمودي، بوان: عمود من أعمدة البيت، فقال كعب:

تراخى به حُبُّ الضَّحاء وقد رأى سـماوةَ قشْـراء الوظيفين عوْهقِ(١)

فقال زهير: تحنُّ إلى مثْـل الحبابير جُثَّمٍ لـدى منتج مِنْ قيضها المتفلّقِ(٢)

الحبابير: جمع حُبارى، وتجمع أيضاً حُباريات، فقال كعب:

تحطَّم عنها قيْضُها عن خراطمٍ وعـنْ حـدَقٍ كالنَّبْخِ لـم يتَفتَّـقِ

الخراطم هاهنا: المناقير، والنَّبخ: الجُدْري، شبّه أعيُنَ ولدِ النعامة به. قال: فأخذ زهير بيد ابنه كعب، ثم قال له: قد أذِنْتُ لك في الشِّعْرِ يا بُنيّ(٣). (٨٣/١٧)

(١٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ، قالا: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثنا علي بن الصباح، عن هشام، عن إسحاق بن الجصّاص قال: قال زُهير بيتاً ونصفاً ثم أكدى(٤)، فمرَّ به النابغة، فقال له: أبا أمامة، أجِزْ، فقال: وما قلت؟ قال: قلت:

تزيد الأرضُ إمّا متَّ خفّاً وتحْيا إنْ حييتَ بها ثقيلا(٥)

نزلتَ بمستقرِّ العِرْضِ منها

أجِزْ، قال: فأكدى والله النابغة، وأقبل كعْب بْنُ زهير، وإنه لغلام، فقال أبوه: أجز يابُنيّ، فقال: وما أجيز؟ فأنشده، فأجاز النصف بيت، فقال: وتمنع جانبيها أنْ يزُولا

---

(١) تراخى: تطاول والضحاء للإبل: مثل الغداء للناس، وسماوة: شخص، وقشراء الوظيفين: يعني الساقين، وعوهق: طويلة العنق. (٢) القيض: القشرة العليا للبيضة.

(٣) من المعروف أنّ كعب بن زهير قد ورث الشعر من والده، وهذا لون من ألوان التعليم، والوراثة الذي لقنه زهير لولده.

(٤) أكدى: امتنع عليه القول، فلم يستطع أتمام البيتين، وجاء في العمدة، لابن رشيق، طبعة قرقزان (٣٧٢/١): «... ومثل أجبل: أكدى، وذلك أن يصادف حافر البئر كُدْية (هي الصخرة العظيمة) فلا يزيد شيئاً على ما حفره». (٥) خفّا: خفّة.

فضمَّه زُهيرٌ إليه، وقال: أشهد أنك ابْني. (٨٣/١٧)

(١١)

أخبرنا عبد الله بن مالك النحويّ الضرير، قال: حدّثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيباني، قالا: كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلا محتاجاً، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غُنيمة له، ومعه أخته ماويّة؛ ليوردا غنمهما الماء، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه(١)، فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجراتٍ فاستظلّ تحتهنّ، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالكي نظر إليه وأخْتُهُ إلى جنبه، فقال:

ذاك عبيدٌ قد أصاب ميّا   يا ليتــه ألقحهـا صبيـا

فحملت فوضعت ضاويا(٢)

فسمعه عبيد، فرفع يديه، ثم ابتهل، فقال: اللهم إن كان فلان ظلمني، ورماني بالبهتان فأدلني منه - أي أجعل لي منه دولة، وانصُرْني عليه - ووضع رأسه فنام، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر:

فذُكِر أنه أتاه آت في المنام بكُبَّة(٣) من شعْر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال: قم، فقام وهو يرتجز، يعني بني مالك؛ وكان يقال لهم بنو الزِّنْية يقول:

أيا بني الزِّنْيــة ماغرّكُـم   فلكُم الوَيْلُ بسربال حَجَرْ(٤)

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر، وكان شاعر بني أسد غير مدافع. (٨١/٢٢)

(١٢)

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمي، قالا: حدّثنا محمد بن عبيد: قال: حدّثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ، عن الشرقيّ بن القطاميّ: قال: ... إنَّ عبيد بن الأبرص كان أوّل مَن أشرف على (المنذر بن ماء السماء) في يوم بؤسه فقال: هلا كان الذِّبْحُ لغيرك يا عبيد؟... أنشدني فقد كان شعرك يعجبني، فقال عبيد: حال الجريض(٥) دون القريض(٦)، وبلغ الحزام

---

(١) جبهه: صكّ جبهته، أو قابله بما لا يحبّ. (٢) الضاوي: المهزول النحيف.

(٣) الكبّة: مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة. (٤) السربال: الدرع.

(٥) الجريض: الغصّة، أو اختلاف الفكّين عند الموت (٦) جاء في عمدة ابن رشيق، طبعة قرقزان (٢٥٦/١): =

الطبيين(١). (٨٦/٢٢)

= «ومن الشعراء مَنْ شعره في البديهة، والروِيَّة سواء، وعند الأمن والخوف، لقدرته، وسكون جأشه، وقوة غريزته، كهدبة الخشرم .. وطرفة بن العبد .. وأين هؤلاء من عبيد بن الأبرص، وهو شيخ كبير من شيوخ الصناعة، ومقدَّم في السنّ على الجماعة، إذ يقول له النعمان يوم بؤسه: أنشدني ، فقال: حال الجريض دون القريض».

(١) الطبيان: تثنية طبي، وهو حلمة الضرع، أو الضرع كلّه، وهو مَثَل يُضرب للأمر تجاوز حدَّه.

العصر الإسلامي

(١)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول: كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعين قصيدةً(١). (١٧٤/٢)

(٢)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ومحمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبيه قال: قال رجل: ضِفْتُ قوماً(٢) في سفر وقد ضللت الطريقَ، فجاءوني بطعام أجدُ طعمه في فمي وثقله في بطني، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ: أنشد عمّك؛ فأنشدني: عفا من سُليمى مُسْحلانُ فحامِرُهْ تمشّى به ظُلمانُه وجآذِرُهْ

فقلت له: أليس هذا للحُطيئة؟ فقال: بلى، وأنا صاحبُه من الجن. (١٧٧/٢)

(٣)

وجدتُ في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزُّبير بن بكّار عن حُميد بن محمد بن عبد العزيز الزُّهريّ عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه: أنّ رسول الله(ص) نظر إلى زُهير بن أبي سُلْمى وله مائةُ سنة فقال: «اللهم أعذني من شيطانه» فما لاك بيتاً حتى مات. (٢٩١/١٠)

(٤)

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، وأخبرني محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم،

---

(١) لا نرى أنّ هذه الغزارة الشعرية تتفّق مع ما عُرِف عن الحطيئة من أنّه واحد من عبيد الشعر. خاصة أنّ الأصمعي هو ناقل ذلك الخبر وهذا أيضاً. فالقصائد الأربعون ـ وفق النصّ ـ عدد كبير جداً لشاعر غير منقحّ لشعره، فكيف بمن يدع القصيدة تمكّث عنده حولاً كريتاً، مثلما ذهب الأصمعي. فهذا النصّ فيه نظر.

(٢) ضفت: أي نزلت عليهم ضيفاً.

عن أبي عبيدة، قالا: أتى الحطيئةُ كعب بن زهير وكان الحطيئةُ راويةَ زهيْر وآل زهير(١) ـ فقال له: يا كعب، قد علمتَ روايتي لكم أهل البيت(٢) وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرك، فلو قلتَ شعراً تذكرُ فيه نفسك وتضعُني موْضعاً بعْدك! وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثنّي بي؛ فإنَّ الناس لأشعاركم أرْوى، وإليها أسرع، فقال كعب:

فمَنْ للقوافي شانها مَنْ يحُوكها إذا ما ثوى كعْبُ وفوَّزَ جرْولُ(٣)
يقول فلا تعْيا بشيء يقولُه ومنْ قائليها مَنْ يُسيءُ ويعْملُ(٤)
كفيتُكَ لا تلْقى من الناس واحداً تنخّلَ منها مثْل ما يُتنخّلُ(٥)
يثقّفُها حتى تلينَ متونُها فيقْصُر عنها كلُّ ما يُتمثّلُ(٦) (٨٢/١٧)

---

(١) هذا جانب من ثقافة الحطيئة الذي شكّل شعره فيما بعد.

(٢) أهل البيت: يريد أهل بيت زهير، وهذا يعني ذلك الاتجاه الذي تميّز به زهير، وأولاده من بعده، والحطيئة معهم، وقد وقفت عند هذا الأمر بشكل مفصّل في كتابي الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٥٩) وما بعدها.

(٣) فوّز الرجل: إذا قضى نحبه، وشانها: جاء بها شائنة معيبة، وجرول: الحطيئة.

(٤) يعمل: يتصنّع ويتكلّف. (٥) تنخّل: اصطفى واختار.

(٦) تمثّل هذا البيت: ضربه مثلاً.

العصر الأموي

(١)

قال عبدُ الرحمن بن عبد الله قال عمرانُ بن عبد العزيز: عذل ابنُ أبي عتيق عمر في ذكره زينب في شعره؛ فقال عمرُ:

لا تلُمْني عتيقُ حسْبي الذي بي   إنَّ بي يا عتيــقُ ما قد كفـاني

لا تلمني وأنت زيَّنتها لي

قال: فَبَدَرَه ابنُ أبي عتيق، فقال: أنتَ مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ابن أبي ربيعة: هكذا وربِّ البيت قلتُه. فقال ابن أبي عتيق: إنَّ شيطانك وربِّ القبْر ربما ألمَّ بي، فيجدُ عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته، فيُصيبُ منِّي وأصيبُ منه. (٩٨/١)

(٢)

قالوا: وكان الحارث ينهى أخاه عمر بن أبي ربيعة عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقول شعراً؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحْجٍ وأبْين(١) مخافة أن يهيجه مُقامه بمكة على قول الشعر؛ فطرب يوما فقال:

هيهاتَ مـن أمةِ الوهَّـاب منزلُنا   إذا حللْنا بسيف البحر من عدنِ(٢)

واحــتلَّ أهلُكِ أجيـاداً وليس لنا   إلا التـذكُّرُ أو حـظٌّ مــن الحــزنِ(٣)

لو أنَّها أبصـرتْ بالجزْع عبْرته   مــن أنْ يُغـرِّد قُمْــريٌّ علـى فنــنِ(٤)

إذاً رأتْ غير ما ظنَّتْ بصاحبها   وأيقنـتْ أنَّ لَحْجـاً ليس من وطني

---

(١) لحج وأبين: موضعان باليمن. (٢) سيفُ البحر: ساحله.

(٣) أجياد: موضع بمكة، سُمّي بذلك لأنَّ تبَّعاً لما قدم مكة ربط خيله فيه. (٤) الفنن: الغصن.

ما أنْسَ لا أنْسَ يوم الخيف موقفها ... وموقفي وكلانا ثَمَّ ذو شَـجَنِ(١)
وقولها للثُّريّا وهي باكيةٌ ... والدمع منها على الخدّين ذو سُنَنِ(٢)
بالله قُولي لـه في غير معتَبةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث في اليمن
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرْتَ بها ... فما أخذت بترْك الحج من ثمن

قال: فسارتِ القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث، فقال: هذا والله شعر عمر(٣). (١/ ١١٠)

(٣)

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف ومحمد بن خلف قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال حدّثني محمد بن عبد الرحمن التيْميّ عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزوميّ قال: كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية (فأرسل إليها الرسل حتى)... دخل إليها وقد تهيّأتْ أجملَ هيئة، وزيّنَتْ نفسها ومجلسها وجلستْ له من وراء سِتْر، فسلّم وجلس. فتركتْه حتى سكن، ثم قالت له: أخبرني عنكَ يا فاسق! ألستَ القائل:

هلاّ استحيْتِ فترْحمي صبّاً ... صَدْيان لم تدعي له قلْبا
جشمَ الزيارةَ في مودّتكم ... وأراد ألاّ تُرْهقي ذنْبا
ورجا مُصالحةً فكان لكم ... سِلْماً وكنتِ ترينْه حرْبا
يأيّها المُعْطي مودّتَه ... منْ لا يراكَ مُسامياً خِطْبا
لا تجْعلنْ أحداً عليك إذا ... أحببته وهويته ربّا
وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفت به ... واطوِ الزيارةَ دونه غبّا
فلذاك أحسنُ من مُواظبةٍ ... ليستْ تزيدُكَ عنده قُرْبا
لا بل يملُّك عند دعْوته ... فيقولُ هاهِ وطالما لبّى(٤)

فقال لها: جُعِلْتُ فداكِ! إنّ القلبَ إذا هوى نطق اللسانُ بما يهْوى(٥). فمكث عندها شهراً لا

---

(١) الخيف: موضع بمِنى. (٢) ذو سنن: ذو طرائق.

(٣) كأنّ ما سمعه يشبه نمط عمر، وأسلوبه فسارع إلى نسبة الشعر إليه.

(٤) هاه: كلمة تُطلق للوعيد، وحرّك لضرورة الشعر.

(٥) يشير عمر هنا إلى واحد من دواعي الشعر التي تحثّ عليه. السَهْلُ قوله، وهو الخوض في تجربة الحبّ، ونرى ابن رشيق في العمدة، طبعة قرقزان (١/ ٣٧٤) يقول: «وسئل ذو الرُمّة: كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر؟ فقال: كيف ينقفل دوني، وعندي مفتاحه. قيل له: وعنه سألناك، ما هو؟ قال: الخلوة بذكر =

يدْري أهلُه أين هو. ثم استأذنها في الخروج، فقالت له: بعد أن فضحْتني! لا والله لا تخرُج إلا بعد أن تتزوّجني، ففعل وتزوّجها؛ فولدت منه ابنين أحدهُما جُوانٌ؛ وماتت عنده. (١/٢٠٤)

(٤)

قال حمّاد وأخبرني أبي عن أيُّوب بن عباية، وأخبرنا الحرميّ عن الزُّبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيُّوبَ بن عباية قال حدّثني رجلٌ من خُزاعة من أهل كُليَّةَ - وهي قرْيةٌ كان فيها النُّصيب وكُثيِّر - قال: بلغني أنّ النُّصيب قال: قلتُ الشِّعْرَ وأنا شابٌّ فأعجبني قولي، فجعلتُ آتي مشْيخةً من بني ضمْرة بن بكْر بن عبْد مناة - وهم موالي النُّصيب - ومشيخة من خُزاعة، فأنشدهم القصيدة من شعْري، ثم أنسبُها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون: أحسنَ والله! هكذا يكون الكلام! وهكذا يكون الشِّعْرُ!

فلمَّا سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنّي مُحْسنٌ، فأزمعْتُ وأزْمعتُ الخروجَ إلى عبدِ العزيز بن مرْوان وهو يومئذٍ بمصر، فقلتُ لأخْتي أمامة وكانت عاقلةً جلْدةً: أي أخيَّة، إنّي قد قلت شعراً، وأنا أريد عبد العزيز بن مرْوان، وأرجو أن يُعْتقك اللهُ عزّوجلّ به وأمّك، ومَن كان مرْقوقاً من أهل قرابتي. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعُون! يابنَ أمِّ، أتجْتمعُ عليك الخصْلتان: السَّوادُ، وأن تكون ضُحْكةً للناس! قال: قلت فاسْمعي، فأنشدتُها فسمعتْ، فقالت: بأبي أنتَ! أحْسنْتَ والله! في هذا والله رجاءٌ عظيمٌ، فاخْرُجْ على بركة الله.

فخرجتُ على قَعُودٍ لي حتّى قدمْتُ المدينة، فوجدتُ بها الفرزدقَ في مسْجد رسول الله (ص)، فعرَّجْتُ إليه فقلت: أنشدُه وأسْتَنْشدهُ وأعْرضُ عليه شعري. فأنشدتُه، فقال لي: ويْلك! أهذا شعْرُك الذي تَطْلُبُ به الملوك؟ قلتُ نعَمْ. قال: فلستَ في شيء، إن استطعتَ أن تكْتُم هذا على نفسك فافعلْ. فانْفضخْتُ عرقاً، فحصبني[1] رجلٌ من قُريشٍ كان قريباً من الفرزدقِ، وقد سمع إنْشادي وسمع ما قال لي الفرزدقُ، فأومأ إليَّ فقمتُ إليه. فقال: ويْحك! أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق؟ قلت نعم. فقال: قد والله أصبْتَ، والله لئنْ كان هذا الفرزدقُ شاعراً لقد حسدك! فإنّا لنعرف محاسن الشعر، فامْضِ لوجْهك ولا يكْسرنّك. قال: فسرَّني قولُه، وعلمتُ أنّه

= الأحباب». ويقول أيضاً (١/٣٨١): «وقال بعضهم: مَنْ أراد أن يقول الشعر فليتعشّق، فإنّه يرقّ». وهو يشبه ما طفح على لسان عمر في هذا النصّ.

(١) حصبني: رماني بالحصباء.

قد صدقني فيما قال، فاعتزمتُ على المُضيِّ[1]. (١/٣٢٥)

(٥)

أخبرني الحسين قال قال حمّاد: قرأتُ على أبي عن ابنِ عباية عن الضحّاك الحزاميّ قال: دخل نُصيبٌ مسجد رسول الله(ص)، وعمربن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذ أميرُ المدينة، وهو جالس بين قبر النبيّ (ص) ومنبره، فقال: أيُّها الأمير، ائذنْ لي أن أنشدكَ من مراثي عبد العزيز. فقال: لا تفعلْ فتحزُنني، ولكن أنشدني قولك «قفا أخويّ»؛ فإنَّ شيطانَك كان لك فيها ناصحا حين لقّنك إيّاها. فأنشده:

قفا أخويَّ إنَّ الدارَ ليستْ ... كما كانتْ بعهدِكُما تكونُ

ليالي تعلمانِ وآلُ ليلى ... قطينُ الدارِ فاحتملَ القطينُ[2]

فعُوجا فانظُرا أتُبينُ عمّا ... سألناها به أم لا تُبينُ

فظلاً واقفينِ وظلَّ دمْعي ... على خدّي تجودُ به الجُفُونُ

فلولا إذ رأيتَ اليأس منها ... بدا أن كِدْتَ ترْشُقُك العيونُ[3]

برحْتَ فلم يلُمْكَ الناسُ فيها ... ولم تغْلَقْ كما غلقَ الرَّهينُ (١/٣٤٥)

(٦)

أخبرني محمدُ بن يزيد قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاقَ عن أبيه عن عثمان بن حفْص الثّقفيّ عن أبيه قال: رأيتُ النُّصيب بالطائف، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قُوهيٌّ ورداءٌ وحِبَرةٌ، فجعل يُنْشدنا مديحاً لابن هشام، ثم قال: إنَّ الوادي مسبَعةٌ، فمنْ أهلُ المجلس؟ قالوا: ثقيف؛ فعرف أنَّا نُبغِضُ ابن هشام ويُبْغضنا، فقال: إنَّا لله! أبعدَ ابنِ ليلى امْتدحُ ابن جيْداء! فقال له أهل المجلس: يا أبا مِحْجن، أتطلب القريض أحياناً فيعسُر عليك؟ فقال: إي والله لربَّما فعلتُ، فآمرُ براحلتي فيُشدُّ بها رحْلي، ثم أسير في الشّعاب الخالية، وأقف في الرِّباع المُقْوية،

(١) يشير هذا النصّ إلى محاولات الشاعر الأولى، والتردّد الذي يعتريه خوف الفشل، فلذلك نراه ينسب الشعر إلى غيره ليتبيّن ردَّ فعل المستمعين، وما يزال التردّد يلازمه حتى استمع إلى ذلك الرجل القرشي الذي أعادالثقة إلى نفسه، وشجّعه على المضيّ فيما عزم عليه.

(٢) القطين: السكّان في الدار، وهو كالخليط، لِفظ الواحد والجماعة فيه سواء.

(٣) ترشقك العيون: تحدّ النظر إليك كأنّها ترميك بسهام لحظها

فيُطْرُبني ذلك ويُفْتَحُ لي الشعرُ(١). والله إنِّي على ذلك ما قلتُ بيتاً قطُّ تستحي الفتاةُ الحيية من إنشاده في سِتْرِ أبيها. قال إسحاقُ قال عثمان بن حفص فوصفه أبي وقال: كأنِّي أراه صدْعاً(٢) خفيف العارضيْن ناتئ الحنْجرة. (١/٣٦٣)

(٧)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن الضَّحَّاك عن عثمان عن أبيه قال: قيل لنُصيب: هرم شِعْرُك. قال: لا! والله ما هرم، ولكن العطاء هرمَ، ومَن يُعْطيني مثل ما أعطاني الحكَم بن المطَّلب! خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة، فلمَّا رأيتُه قلتُ:

أبا مـرْوانَ لسـتَ بخارجيٍّ ... وليس قديمُ مجدك بانتحال(٣)

أغـرُّ إذا الرِّواقُ انجاب عنه ... بدا مثلَ الهلال على المثالِ(٤)

تراءاه العيـونُ كمـا تـراءى ... عشـيَّةَ فِطْرِها وضَـحَ الهلالِ

قال: فأعطاني أربعمائة ضائنة ومائةَ لقْحةٍ، وقال: ارفعْ فراشي؛ فرفعتُه فأخذتُ من تحته مائتيْ دينار. (١/٣٦٦)

(٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن موسى بن طلْحة عن عبد الله بن عمر ابن عثمان النَّحويّ عن أنيس بن ربيعة الأسلميّ أنه قال: غدوتُ يوماً إلى أبي عُبيدة بن عبد الله بن زمْعة وهو مُحْتلٌ بالرُّحْبة(٥)، فألفيتُ عنده جماعةً منا ومن غيرنا، فأتاه آتٍ فقال له: ذاك النُّصيب منذُ ثلاثٍ بالفَرْش(٦) من ملل(٧) مُتلدِّدٌ(٨) كأنَّه والهٌ في أثرِ قوم ظاعنين. فنهض أبو عبيدة ونهضْنا معه، فإذا نُصيب على المنحر من صفر(٩)، فلمَّا عاينَنا وعرف أبا عُبيدة هبط؛ فسأله عن

---

(١) هذا لون آخر من ألوان استدعاء الشعر، وطلبه، وقد رأينا غير نصيب من الشعراء يفعل فعله، كأنَّهم يشحذون قرائحهم، ويعينون أنفسهم على قول الشعر بهذه الخلوة.

(٢) الصدَع: الرجل الخفيف اللحم. (٣) الخارجيّ هنا: الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم.

(٤) رواق البيت: سترةُ مقدَّمه من أعلاه إلى الأرض، وإنجاب: انكشف، والمثال: الفراش.

(٥) الرّحبة: البقعة المتّسعة بين أفنية القوم. (٦) الفَرْش: وادٍ بين غَميس الحمام وملل.

(٧) ملَل: اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين. (٨) تلدّد: تلفَّت يميناً وشمالاً، وتحيَّر.

(٩) صفر: جبل أحمر من جبال ملل قرب المدينة.

أمره، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحلّهم بالفرْش فاستْولهه ذلك. فضحك به أبو عبيدة والقومُ، وقالوا له: إنما يُهْتر(١) إذا عشق منِ انتسب عُذْرِيّاً، فأمّا أنت فمالك ولهذا؟! فاستحيا وسكن. وسأله أبو عبيدة: هل قلتَ في مُقامك شعراً؟ قال: نعمْ! وأنشد:

لعمرْي لئن أمْسيتَ بالفرْشِ مُقْصداً ... ثويَّاكَ عبُّودٌ وعُذْنةُ أو صفضرُ(٢)

ففرَّع صبًا أو تيمّمَ مُصْعداً ... لربعٍ قديم العهدِ ينْتكفُ الأثرْ(٣)

دعا أهله بالشام برْقٌ فأوْجفُوا ... ولم أر متبوعاً أضرُّ من المطرْ

لتسْتبْدلنْ قلباً وعيناً سواهُما ... وإلا أتى قصداً حشاشتك القدرْ

خليليَّ فيما عِشْتُما أو رأيتُما ... هل اشتاق مضْرورٌ إلى من به أضرّ

نعم ربَّما كان الشَّقاءُ مُتيَّحاً ... يُغطِّي على سمْعِ ابنِ آدم والبصرْ(٤)

قال: فانصرف به(أبو عبيدة) إلى منزله، وأطعمه وكساه وحمله، وانصرف وهو يقول:

أصاب دواء علّتك الطبيبُ ... وَخاضَ لك السُّلُوَّ ابنُ الزُّبيبِ(٥)

وأبْصر منْ رُقاك مُنفِّثاتٍ ... وداؤك كان أعْرف بالطبيبِ(٦) (٣٦٨/١)

(٩)

أخبرني حبيبُ بن نصْر قال حدّثنا أحمدُ بن أبي خيثمة قال حدّثني مُصْعب، وأخبرنا الحرميّ عن الزُّبير عن عمِّه مُصْعب وعن محمد بن الضّحّاك بن عثمان عن أبيه قال، دخل حديثُ بعضهم في بعضٍ، وأخبرني محمد بن مزْيد عن حمّاد عن أبيه عن مصْعب قال: كانت حبشيةٌ من مولَّداتِ مكة ظريفةٌ صارتْ إلى المدينة، فلمّا أتاهم موتُ عمر بن أبي ربيعة اشتدَّ جزعُها وجعلت تبْكي وتقول: مَن لمكة وشعابها وأباطحها ونُزهها ووصف نسائها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها! فقيل لها: خفِّضي عليك! فقد نشأ فتى(٧) من ولد عثمان رضي الله عنه. يأخُذ

---

(١) أهتر الرجل: إذا ذهب عقله م كبر، أو مرض، أو حزن.

(٢) الثويان: مثنى ثويّ وهو المقيم معك في مكان واحد، وعبود: جبل بالسيّالة وملّل، وعذْنة: ثنيّة قرب ملل.

(٣) فرّع في الجبل وأفرع: انحدر، وصباً. الظاهر أنّها هنا مصدر من صب اللازم، لا وصف من الصبابة؛ يقال: صب في الوادي: إذا انحدر فيه، وانتكف الأثر: تتبّعه في مكان سهل، وذلك لأنّ الأثر لا يتبيّن في الأرض الغليظة الصلبة. (٤) متيماً: مقدراً. (٥) خاض الشراب: خلطه وحركه، وابن الزّبيب: هو أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة. (٦) منفّثات: يريد رقى منفّثات، أي ذات نفث.

(٧) الفتى: هو العرجيّ، عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

مأخذه ويسلك مسلكه(١). فقالت: أنشدوني من شعره، فأنشدوها؛ فمسحت عينها وضحكت وقالت: الحمد لله الذي لم يُضيِّعْ حرمه. (٣٨٦/١)

(١٠)

قال إسحاق: وحدّثني أبو داود أن بني ذُبيان تزعُم أن الرَّمَّاح بن ميّادة كان آخر الشعراء.
قال إسحاق: وحدّثني أبو صالح الفزاريّ أن القاسم بن جُنْدب الفزاريّ، وكان عالماً، قال لابن ميادة: والله لو أصلحتَ شعرك لذُكرتَ به، فإنّي لأراه كثير السَّقَط؛ فقال له ابن ميادة: يابنَ جُندب، إنما الشعر كنبْلٍ في جفيرك(٢) ترمي به الغرض، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ(٣) وقاصد(٤).
(٢٦٩/٢)

(١١)

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال أخبرني طمَّاحُ ابن أخي الرَّمَّاح بن ميّادة قال: قال لي عمّي الرَّمّاح: ما علمتُ أنّي شاعرٌ حتى واطأتُ(٥) الحطيئة، فإنه قال:

عفا مُسْحُلانٌ من سُلَيْمى فحامِرُهْ تمشّى به ظُلْمانُه وجآذِرُهْ

فوالله ما سمعتُه ولا رويته فواطأته بطبعي فقلتُ:

فنو العُشّ والممدورُ أصبحَ قاوياً تمشّى به ظُلْمانُه وجآذِرُهْ(٦)

---

(١) كأنّ في هذا إشارة إلى تأثير عمر في العرجي، واستفادة الثاني من أسلوب الأول، وطرازه في القول.

(٢) الجفير: ما توضع فيه السهام.

(٣) العاصد: الملتوي الذي لا يصيب الهدف.

(٤) من الواضح أنّ هذا النصّ يشخّص اتجاهين في الشعر وعمله، الأول يتطلّب التجويد، والتنقيح فيه قبل إذاعته، والثاني لا يأبه بهذا الإصلاح والتهذيب، بل يتركه هكذا معتمداً على تلك النظرة التي ترى أنّه سهام، فربّما أصابت الهدف، وربّما أخطأته. فكأنّ الاتجاه الأول قد تبنّاه القاسم وهو عالم مثلما وُصف، والثاني قد تبنّاه ابن ميّادة وهو شاعر، وسنرى فيما بعد أنّ بعض الشعراء كانوا ينظمون شعرهم، ويدعون للرواة أمر إصلاحه، وتهذيبه، ومعلوم أنّ جمهرة من الشعراء لا تأخذ بهذا الاتجاه، بل تعمد هي إلى شعرها تنظر فيه، وتُصلحه.

(٥) واطأت: وافقت، والمواطأة من مصطلحات السرقات، وقد مرّ الحديث عنه.

(٦) ذو العشّ: من أودية العقيق بواحي المدينة، والممدور: موضع في ديار غطفان، وقاوياً: مقفراً خالياً.

فلما أنشدتُها قيل لي: قد قال الحطيئة: تمشّى به ظلمانه وجآذره. فعلمتُ أني شاعرٌ حينئذ(١).

(٢٦٩/٢)

(١٢)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ قال حدّثني محمد بن أنس السّلاميّ قال حدّثني محمد بن سهْل الأسديّ راويةُ الكُمَيْت: أنّ الحكم بن عبْدل الأسدي أتى محمد بن حسّان بن سعد التميميّ وكان على خراج الكوفة، فكلّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه؛ فقال: أماتني الله إن كنتُ أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً؛ فانصرف ابنُ عبدل وهو يقول:

دعِ الثلاثين لا تعْرض لصاحبها ... لا باركَ اللهُ في تلك الثلاثينا
لمّا علا صوتُه في الدار مُبْتكرا ... كأشتفانٍ يرى قوما يدوسونا
أحسِنْ فإنّك قد أعطيتَ مملكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليوم مفتونا
لا يُعطِكَ اللهُ خيراً مثلها أبداً ... أقسمتُ بالله إلاّ قلتَ آمينا

قال: فلم يضع له شيئاً مما على الرجل؛ فقال فيه:

رأيتُ محمداً شرهاً ظلوماً ... وكنتُ أراهُ ذا ورعٍ وقصْدِ
يقولُ أماتني ربِّي خداعاً ... أماتَ اللهُ حسّان بن سعْدِ
فما صادفتَ في قحْطان مثْلي ... ولا صادفتُ مثلك في معدٍّ
أقلَّ براعةً وأشدَّ بُخْلاً ... وألأمَ عندَ مسئلة وحمْدِ
نحوتُ محمداً ودُخانُ فيه ... كريح الجعْرِ فوق عطين جلْدِ(٢)
فأقسِمُ غيرَ مُسْتثْنٍ يمينا ... أبا بخرٍ لتتُّخمنَّ ردّي
فلو كنتَ المهذّب من تميمٍ ... لخفْتَ ملامتي ورجوْتَ حمْدي
نكهْتَ عليّ نكْهةَ أخْدريّ ... شتيمٍ أعْصلِ الأنيابِ ورْدِ(٣)

---

(١) كأنّ تشابه شعر الشاعر المبتدئ مع شعر شاعر كبير يمنحه الثقة فيما يقول، خاصة إذا لم يكن قد سمع شعر ذلك الشاعر، أو استفاد منه.

(١) الجعر: قذارة كلّ ذي مخلب من السباع، والعطين: الجلد المنتن.

(٢) الأخدريّ: الأسد، والشتيم: الأسد العابس، وأعصل الأنياب: معوجّها، والورد: الأحمر الضارب إلى الصفرة.

فــمـــا يدنو إلى فــمــه ذُبابٌ   ولـو طُلِيَتْ مــشـافـره بقَنْدِ(١)

فإن أهديتَ لي من فيك حتْفا   فإنّي كالذي أهديــتَ مُهْـدي

قال محمد بن سهْل: وما زال ابنُ عبدل يزيد في قصيدته هذه الداليّة حتى مات(٢). وهي طويلة جداً. قال: واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكاري ليسوق بغله أو حماره فيقول: عدْ(٣) (أمات اللهُ حسّان بن سعْد) فإذا سمع ذلك أبوه قال: بل أمات الله ابني محمداً، فهو عرّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً. (٤١٢/٢)

(١٣)

أخبرني الحرميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني بعض أصحابنا: أنّ الأحوص مرُّ بعبّاد بن حمْزة بن عبد الله بن الزُّبير ومحمد بن مصعب بن الزّبير بخيمتي أم معبد(٤)، وهما يريدان الحجّ مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورحْل فاخرٍ وبزة مرتفعة، فحدّثهما أنّه قدم على يزيد بن عبد الملك، فأجازه وكساه وأخْدمه(٥)؛ فلم يرهما يهشّان لذلك، فجعل يقول: خيْمتيْ أمِّ معْبد، عباد ومحمّد، كأنّه يروض القوافي للشعر يُريد قوله. فقال له محمد بن مُصْعب: إنّي أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأراك تُريد أن تهجونا! وكلُّ مملوك لي حرٌّ لئن هجوتنا بشيء إنْ لم أضربْك بالسيف مجتهداً على نفسك. فقال الأحوص: جعلني الله فداك! إنّي أخاف أن تُسمَعَ هذا فيّ عدواً فيقول شعراً يهجوكما به فينْحلنيه، وأنا أبرئكما الساعة، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً. (٢٤٢/٤)

(١٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصْعب قال حدّثنا الزبير بن خُبيب عن أبيه خُبيب بن ثابت قال: خرجْنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير إلى العُمْرة، فإنّا لبقُرْب قُديْد(٦) إذ لحقنا الأحوصُ الشاعر على جملٍ برحْل؛ فقال: الحمدُ لله الذي وفّقكم لي(٧)،

---

(١) القند: عسل قصب السكر.

(٢) كأنْ هذه القصيدة قد أصبحت شغله الشاغل. يعيد النظر فيها، ويزيد في أبياتها، إلى نهاية عمره.

(٣) عدْ: هذه الكلمة تقولها العامة لزجر البغال بدل (عدس).

(٤) خيمة أمّ معبد، ويقال بئر أمّ معبد: موضع بين مكة والمدينة. (٥) أخدمه: وهب له خادماً.

(٦) قُديد: اسم موضع قرب مكة. (٧) وفّقكم لي: جعلكم تصادفونني وتلاقونني.

ما أحبُّ أنّكم غيرُكم، وما زلتُ أحركُ في آثاركم مذ رُفعتم لي؛ فقد ازددت بكم غبْطةً.

فأقبل عليه محمد، وكان صاحب جدّ يكره الباطل وأهله، فقال: لكنّا والله ما اغتبطْنا بك ولا نُحبُّ مسايرتك، فتقدَّمْ عنّا أو تأخرْ. فقال: والله ما رأيتُ كاليوم جواباً! قال: هو ذاك. قال: وكان محمد صاحبَ جدّ (يكره الباطل وأهله)، فأشفقنا مما صنع، ومعه عدّةٌ من آل الزبير، فلم يقْدرْ أحدٌ منهم أن يردُّ عليه. قال: وتقدَّم الأحوصُ، ولم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر إليه. فلمّا هبطْنا من المُشلَّل(١) على خيمتيْ أم معبد، سمعت الأحوص يُهمهم بشيء، فتفهمتُهُ فإذا هو يقول: خيمتيْ أمِّ معبد، محمد، كأنّه يُهيِّئ القوافي؛ فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد، فقلتُ: إنِّي سمعتُ هذا يُهيئ لك القوافي، فإمَّا أذنْتَ لنا أن نعتذرَ إليه ونُرْضيه، وإمَّا خلَّيْتَ بيننا وبينه فنضربه؛ فإنَّا لا نُصادفه في أخلى من هذا المكان. قال: كلاّ! إنَّ سعيد بن مُصْعب قد أخذ عليه إلاّ يهجو زُبيْرِيّاً أبداً، فإن فعل رجوتُ أن يُخْزيه الله، دعْه. (٢٤٣/٤)

(١٥)

أخبرني الحرميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن الضّحّاك عن المُنْذر بن عبد الله الحزاميّ: أنَّ عراكَ بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مرْوان في انتزاع ما حازوا من الفيْء والمظالم من أيديهم.

فلمّا وليَ يزيدُ بن عبد الملك ولّى عبد الواحد بن عبد الله النّصريَّ المدينة، فقرّب عراك بن مالك وقال: صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطع أمراً دونه، وكان يجلس معه على سريره، فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيد بن عبد الملك: أن ابْعثْ مع عراك بن مالك حرسيًا حتى يُنْزله أرض دهْلك وخُذْ من عراكٍ حمولته. فقال لحرسيٍّ بين يديه وعراكٌ معه على السرير: خُذ بيد عراكٍ فابْتَعْ من ماله راحلةً ثم توجَّهْ به نحو دهْلك حتى تُقرَّه فيها؛ ففعل ذلك الحرسيّ. قال: وأقدم الأحوص؛ فمدحه الأحوصُ؛ فأكرمه وأعطاه. قال: فأهلُ دهْلك يأثُرُون الشعر عن الأحوص، والفقْه عن عراك بن مالك. (٢٥٥/٤)

(١٦)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء والطوسيّ قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك

---

(١) المشلّل: جبل يُهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

بن عبد العزيز قال: حدثني عبد الله بن مسلم بن جُندب الهُذليّ قال: شيخ لنا من هذيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال: جئتُ الفرزدق... ودخلت على رواته فوجدتهم يعدّلون ما انحرف من شعره... ثم أتيتُ جريراً .. وجئتُ رواته وهم يقوّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد(١). (٢٥٦/٤)

(١٧)

أخبرني المهلّبيّ أبو أحمد حبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا حدّثنا عمر بن شبّة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش الهمداني قال: كان الشَّعْبيّ عامرُ بنُ شراحيل زوج أخت أعشى هَمَدان، وكان أعشى همْدان زوج أخت الشعبي؛ فأتاه أعشى همدان يوماً، وكان أحد القُرّاء للقرآن، فقال له: إني رأيت كأني أدخِلتُ بيتاً فيه حِنْطة وشعير، وقيل لي: خذ أيّهما شئت، فأخذتُ الشَّعير، فقال: إن صدقتْ رؤياك تركت القرآن وقراءته وقلت الشعر؛ فكان كما قال. (٣٤/٦)

(١٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكّار، وحدّثني حمزة بن عُتْبة قال: قال أبو دهبل الجُمحيّ: لما قلت أبياتي التي قلت فيها:

اعْلم بأنّي لمن عاديتَ مُضْطغِنٌ ضبأً وأنّي عليك اليوم محسود

قلتُ فيها نصف بيت (وأنّ شكرك عندي لا انقضاء له) ثم أُرْتِج عليّ، فأقمتُ حولين لا أقعُ على تمامه، حتى سمعتُ رجلاً من الحاج في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لُبنان؟ فقال: جبل بالشأم؛ فأتممتُ نصف البيت: ما دام بالهضْب من لبنان جلْمودُ. (١٣٠/٧)

(١٩)

... فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلّى العشاء بمنزله في عِلِّيَّة(٢) له قال: ارفعوا إليَّ باطية من نبيذ وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ، قال: فجعل يُهمْهِم، فسمعتْ صوته عجوز في الدار فاطّلعتْ في الدَّرجة حتى نظرتْ إليه، فإذا هو يحبو على الفراش عُريانا

---

(١) السِّناد: كلّ عيب يوجد في القافية قبل الرويّ، ولعلّ في هذا النصّ توضيحاً لما ذهبنا إليه في التعليق على النصّ العاشر المتقدّم. (٢) العليّة: الغرفة.

لما هو فيه، فانحدرتْ فقالت: ضيفكم مجنون! رأيت منه كذا كذا! فقالوا لها: اذهبي لطيَّتك، نحن أعلم به وما يمارس(١). (٣٠/٨)

(٢٠)

قال (راعي الإبل): فسرنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهَمْ بالشريف وهو أعلى دار بني نُمير، فيحلف بالله راعي الإبل إنّا وجدنا في أهلنا: فغضّ الطَّرفَ أنَّك من نُمير
وأقسم بالله مابلَغه إنسيّ قط، وإنَّ لجرير لأشياعاً من الجنّ(٢). (٣١/٨)

(٢١)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدة قال: أقبلَ راكبٌ من اليمامة؛ فمرَّ بالفرزدق وهو جالس في المرْبد؛ فقال له: من أين أقبلتَ؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ابن المراغة قال نعم. قال: فأيّ شيءٍ أحْدثَ بعدي؟ فأنشده:

هاج الهوى لفؤادك المُهْتاج

فقال الفرزدق: فانظُر بتُوضِحَ باكرَ الأحْداجِ(٣)

فأنشده الرجل: هذا هوىً شغف الفؤادَ مبرِّحٌ

فقال الفرزدق: ونوىً تقاذفُ غيرُ ذاتِ خلاجِ(٤)

فأنشده الرجل: إن الغراب بما كرهتَ لمولعٌ

فقال الفرزدق: بنوى الأحبَّةِ دائمُ التَّشْحاجِ(٥)

فقال الرجل: هكذا والله، قال أفسمعتها من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أوَ ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أمدح بها الحجّاج؟ قال نعْم. قال: إياه أراد. (٣٢/٨)

---

(١) يبيّن هذا الوصف حالة جرير وهو ينظم الشعر، إذ لم في مظهر سويّ بحيث إنّ المرأة. ظنّته مجنوناً، وهذه الحالة تنتاب كثيراً من الشعراء، بحيث يتراءى لمن لا يعرف أنّه أمام مشهد غير مفهوم.

(٢) يُلاحظ أنّ هذه الفكرة تسيطر على كثير من الناس بحيث يستبون إلى كلّ شيء غير قابل للتصديق إلى الجنّ. وخاصة إذا كان الفاعل شاعراً.

(٣) توضح : كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة، والأحداج: مراكب النساء.

(٤) غير ذات خلاج: نوى مقطوع بها لا يخالجفيها الشكّ والرِّيب.

(٥) تشحاج الغراب: صوته.

(٢٢)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال حدّثني مولى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة أنسيتُ اسمه قال: كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأرْويه. فجاءني ليلةً فقال: إن راعي الإبلِ النُّمريَ قد هجاني، وإنّي آتيك الليلة فأعدَّ لي شواءً رشْراشاً(١) ونبيذاً مُخْفساً(٢): فأعددتُ له ذلك. فلما أعْتم جاءني فقال: هلُمَّ عشاءك، فأتيتُه به، فأكل ثم قال: هلُمَّ نبيذك، فأتيتُه به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دواةً وكَتِفاً؛ فأتيتُه بهما، فجعل يُمْلي عليَّ قوله:

أقلّي اللومَ عاذلَ والعتابا وقُولي إن أصبْتُ لقد أصابا

حتى بلغ إلى قوله: فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ

فجعل يردِّده ولا يزيد عليه حتى حملتني عيني، فضربتْ بذقني صدْري نائماً، فإذا به قد وثب حتى أصاب السُّقْفَ رأسهُ وكبَّر ثم صاح: أخزيتُه والله! أكتُبْ: «فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا» غضضتُه وقدّمتُ إخوته عليه! والله لا يُفْلح بعدها (أبداً). فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيْريَ بعدها. (٣٢/٨)

(٢٣)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال: رأتْ أمُّ جريرٍ وهي حاملٌ به كأنها ولدتْ حبْلا من شعرٍ أسود، فلما سقط منها جعل ينْزُو فيقع في عُنُقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فانتبهتْ فزعةً فأوِّلَتِ الرُّؤيا فقيل لها: تلدين غلاماً شاعراً ذا شرٍّ وشدّةَ شكيمة وبلاءٍ على الناس فلما ولدتْه سمّته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجرير: الحبل. (٤٩/٨)

(٢٤)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا دماذُ أبو غسّان عن أبي عُبيدة قال: بذل محمد بن عُميْر بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة أربعةَ آلافِ درهم وفرساً لمن فضّل من الشعراء الفرزدق على جرير، فلم يُقْدم عليه أحد منهم إلا سُراقة البارقيّ فإنّه قال يفضل الفرزدق:

---

(١) شواء رشراش: خَضِل ندٍّ يقطر دسماً. (٢) المخفس: السريع الإسكار.

أبْلغ تميماً غثَّها وسمينها والحكم يقْصد مرّةً ويجُورُ
أنَّ الفرزدقَ برزتْ أعراقُه سبْقاً وخلَّفَ في الغُبار جريرُ
ذهب الفرزدقُ بالفضائل والعُلا وابن المراغة مخلَّفٌ محسورُ
هذا قضاءُ البارقيِّ وإنّني بالمَيْل في ميزانهم لَبصيرُ

قال أبو عُبيدة فحدّثني أيّوب بن كُسيب قال حدّثني أبي قال: كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه، وقال له: إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبْرح حتى تُجيب عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتك إن لقيتُك ليلاً، وأخْرجَ إليه كتاب بشْر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها، فأخذها ومكث ليلته يجتهدُ أن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فهتف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له: أزعمت أنك تقول الشعر! ما هو إلاّ أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحْسن أن تقول شيئاً! فهلاّ قلت:

يا بِشْرُ حقَّ لوجهك التبشيرُ هلاّ تضيتَ لنا وأنت أميرُ

فقال له جرير: حسْبُك كُفيتُك(١). قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أنار الصبحُ فقال جرير:

يا صاحبيَّ هل الصباحُ مُنيرُ أم هل للومِ عواذلي تفْتيرُ(٢)

إلى أن فرغ منها. وفيها يقول:

قد كان حقُّكَ أن تقول لبارقٍ يا آلَ بارقَ فيمَ سُبَّ جريرُ
يُعْطي النساءُ مهورهنَّ كرامةً ونساءُ بارقَ مالهنَّ مُهُورُ

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر، فقرنتْ بالعراق وأفْحِم سُراقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضته. (٦٨/٨)

(٢٥)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني محمد بن الهيثم قال حدّثني عمّي أبو فراس قال حدّثني وثْقةُ بنُ معروف قال: نزل جريرٌ على عنْبسة بن سعيد بواسط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا

---

(١) هل يشير هذا النصّ إلى أنّ صاحب الشاعر من الجنّ ينفث على لسان الشاعر جزءاً من القصيدة، ويقوم الشاعر بإكمالها؟ مضمون النصّ يشير إلى هذا، ولعلّ هذا داخل ضمن تشقيق هذه القضية، وتفريعها بسبب انتشارها، وسيطرتها على أذهان كثير من الناس، ومنهم الشعراء.

(٢) التفتير: السكون بعد الحدّة، واللين بعد الشدّة.

بإذن الحجّاج، فلما دخل على عنْبسة، قال له: ويْحك! لقد غررتَ بنفسك! فما حملك على ما فعلت؟ قال: شعرٌ قلتُه اعتلج في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير. قال: فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تُطْلعنَّ رأسك حتى ننظر كيف تكونُ الحيلة لك. قال: فأتاه رسول الحجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ، وهو قاعدٌ في الخضْراء(١) وقد صُبَّ فيها ماء استنقع(٢) في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً. قال عنْبسة: فقعدتُ على الكرسيّ، وأقبل عليَّ الحجّاج يحدِّثني. فلما رأيتُ تطلُّقه وطيب نفسه قلتُ: أصلح الله الأمير! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفَّه عجبُه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ودخل مدينتك من غير أن يُسْتأذنَ له. قال: ومن هو؟ قلتُ: ابن الخطفى، قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل، قال: يا غلام! فأقبل الغِلْمانُ يتسارعون. قال: صِفْ لهم موضعه من دارك؛ فوصفتُ لهم البيت الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأدخِل عليه وهو مأخوذٌ بضبْعيْه حتى رُمي به في الخضراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفّش كما يتنفَّشُ الفرْخ. فقال له: هيه! ما أقدمك علينا بغير إذننا لا أمَّ لك؟ قال: اصلح الله الأمير! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منِّي الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلّق الحجّاج وسكن، واستنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يسعون. فقال: عليّ بالجارية التي بعث بها إلينا عاملُ اليمامة؛ فأتِيَ بجارية بيضاء مديدةِ القامة. فقال: إنْ أصبتَ صفتها فهي لك. فقال: ما اسمها؟ قال: أمامة؛ فأنشأ يقول:

ودِّعْ أمامةَ حانَ منك رحيلُ ... إنَّ الوداعَ لمن تُحبُّ قليلُ
مثلُ الكثيبِ تهيّلتْ أعطافُه ... فالريحُ تجْبرُ متْنه وتهيلُ
تلك القلوبُ صوادياً تيَّمْتها ... وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وانتحبتْ. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورحالها. (٨/٧٥)

(٢٦)

قال هارون حدّثني القاسم بن يوسف عن الأصمعيّ: أنَّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطيِّرها(٣). (٨/٢٨٤)

---

(١) الخضراء: هي خضراء واسط، وتعرف بالقبّة الخضراء، بناها الحجّاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة. (٢) استنقع الماء: اجتمع.

(٣) يطيّرها: يذيعها. وهذا الاختيار لون من ألوان التجويد، والتهذيب أيضاً، فالأخطل لا يستبقي من الأبيات =

سوى ما يرضيه، ويعتقد أنّه أحسن الأبيات، وأجودها، أمّا التي يهملها فهي تقلّ جودة عن تلك، ولذلك لا تستحقّ سوى الإهمال

(٢٧)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي قال: قال كثيِّر: ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلْتُه. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغميم(١) أو بقاع حمْدان(٢)، إذ راكبٌ قد دنا منّي حتى صار إلى جنبي؛ فتأمّلته فإذا هو من صُفْر(٣) وهو يجرُّ نفسه في الأرض جرّاً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليّ. قلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا قرينك من الجنّ. فقلتُ الشعر. (٩/٢٤)

(٢٨)

ومما وجدناه في أخباره كثير ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم وهي متنقبة تميس في مشيتها؛ فلم يعرفها كثيِّر، فاتّبعها وقال: يا سيِّدتي! قفي حتى أكلِّمك فإني لم أرَ مثلك قطُّ، فمَن أنتِ ويحك؟ قالت: ويحك! وهل تركت عزّة فيك بقيّة لأحد؟ قال: بأبي أنت! والله لو أنَّ عزَّة أمةٌ لي لوهبتها لك. قالت: فهل لك في المخالّة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: أنّى وكيف بما قلتَ في عزَّة؟! قال: أقلبه فأحوِّله إليك. نسفرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا! فأبلس ولم ينطق وبهُت. فلما مضت أنشأ يقول:

ألا ليتني قبل الذي قلتُ شيب لي ... من السمّ جدْحاتٌ بماء الذَّرارحِ
فمتُّ ولم تعلم عليّ خيانة ... وكم طالبٍ للربح ليس برابح
أبوءُ بذنبي إنني قد ظلمتُها ... وإني بباقي سرِّها غيرُ بائح (٩/٣٢)

(٢٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحزاميّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال: جئتُ عُبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفخ وهو مغتاظ؛ فقلت له: مالك؟ قال: جئت أميركم آنفاً - يعني عمر

---

(١) الغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة.

(٢) بقاع حمدان: موضع بعينه. (٣) الصفر: النحاس.

بن عبد العزيز ـ فسلَّمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردًا عليَّ، فقلت:

فمسًا تراب الأرض منها خُلقتما

وذكر الأبيات الأربعة. قال فقلتُ له: رحمك الله! أتقول الشعر في فضلك ونُسكك! قال: إنَّ المصدور إذا نفث برأ. (١٤٥/٩)

(٣٠)

... فقال (الفرزدق): قاتلَ الله (الأنصاري)! ما رُميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره! فارقتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصعِّد وأصوِّب في كلِّ فنٍّ من الشعر: فلكأنّي مُفْحَم أو لم أقل قطَّ شعراً حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلتُ ناقتي ثم أخذت بزمامها فقُدْتها حتى أتيتُ ذباباً (جبل بالمدينة) ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لُبْنى وقال سعدانِ: أبا ليلى! ـ فجاش صدري كما يجيش المِرْجل، ثم عقلتُ ناقتي وتوسَّدت ذراعها؛ فما قمت حتى قلت مائة وثلاثين بيتاً...

(٣٣٨/٩)

(٣١)

وقال أبو عمرو: بعث الجُنيْدُ بن عبد الرحمن المُرِّيَّ إلى خالد بن عبد الله القسْريَ بسبْيٍ من الهند بيضٍ، فجعل يهبُ لأهل البيت كما هو للرّجل من قريش ومن وجوه الناس، حتى بقيتْ جاريةُ منهنَّ جميلةٌ كان يدَّخرها وعليها ثيابُ أرْضها فُوطتان. فقال لأبي النَّجْم: هل عندك فيها شيءٌ حاضر وتأخذها الساعة؟ قال: نعم أصلحك الله! فقال العُرْيان بن الهيثم النُّخعيَّ: كذب والله ما يقدر على ذلك(١). فقال أبو النَّجْم:

علقتُ خوْداً من بنات الزُّطِّ ... ذات جهازٍ مُضغطٍ مُلطِّ(٢)
رابي المَجَسِّ جَيِّدِ المَخَطِّ ... كأنَّما قُطَّ على مِقطِّ
إذا بدا منها الذي تُغطِّي ... كأنَّ تحت ثوبها المُنْعطِّ(٣)
شطَّاً رميتَ فوقه بشطِّ ... لم ينْزُ في البطن ولم ينْحطِّ(٤)
فيه شِفاءٌ من أذى التَّمطِّي ... كهامةِ الشيخ اليماني الثَّطِّ(٥)

(١) هذه إشارة إلى ارتجال الشعر، وكأنَّ العُريان يذهب إلى أنَّ أبا النجم لا يقدر على الإرتجال، والظاهر أنَّه كان قادراً عليه. (٢) الزطّ: جيل أسود من السند، والجهاز هنا: متاع المرأة، وملطّ: مستور.

(٣) المنعطّ: المشقوق. (٤) الشطّ: جانب السنام (٥) الثطّ: الخفيف اللحية.

وأومأ بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم. فضحك خالد وقال للعُرْيان: كيف ترى! أحتاج إلى أن يُروّي[1] فيها يا عُرْيان؟! قال: لا والله! ولكنّه ملعون ابن ملعون. (١٠/١٥٤)

(٣٢)

وقال الأصمعيّ أخبرني عمّي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النَّجْمِ أنَّ أبا النَّجْم قال: الحمد لله الوهوبِ المُجْزل

في قدْر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشْياخ إلى حاتم الجزّار، ومقدار ما بينهما غلوةٌ[2] أو نحوها. قال: وكان أسرعَ الناس بديهةً[3]. (١٠/١٥٧)

(٣٣)

أخبرني ابن دُريد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة: كان الطِّرِمّاح والكُميت يصيران إليّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به، فأراه بعْدُ في أشعارهما. (١٢/٣٦)

(٣٤)

.. حتى إذا بلغ (الأعرابي) وهو ذو الرّمة قوله:

تنجو إذا جعلت تدمي أخشّتُها وابتلّ بالزّبدِ الجَعْدِ الخراطيمُ[4]

قال: أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنة، فما ظفرتُ به إلاّ آنفاً.. (١٢/٣٨)

(٣٥)

وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبدالملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدثني حفص بن عمر العُمَريّ عن لقيط بن بُكَير المحاربيّ قال: قدم الأخطل الكوفة فنزل على قبيصة بن والق، فقال المتوكّل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه: انطلق بنا إلى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره. فأتياه فقالا: أنشدنا يا أبا مالك. فقال: إني لخاثر[5] يومي هذا. فقال له المتوكل: أنشدنا أيها الرجل، فوالله لا تُنشدني

---

(١) يروّي: يتروى ويفكّر، أي إنّه قالها هكذا ارتجالاً على البديهة. (٢) الغلوة: رمية سهم، أبعد ما يقدر عليه.
(٣) هذا يؤكّد ما ورد في النصّ السابق. (٤) تنجو: تسرع، والأخشّة: جمع خشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليُجذَب بها، والجعد من الزّبد: الثخين الغليظ. (٥) يقال خثُرت نفسه: غثّت وخبثت وثقلت.

قصيدة إلا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري. قال: ومن أنت؟ قال: أنا المتوكل. قال: أنشدني ويحك من شعرك! فأنشده:

للغانيات بذي المجاز رسومُ ... فببطن مكة عهْدُهنَّ قديمُ(١)

فبمنْحرِ البُدْنِ المقلّد من منىً ... حللٌ تلوح كأنّهنّ نجوم

لاتنه عن خُلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذ فعلت عظيم

والهمُّ إن لم تُمضه لسبيله ... داءٌ تضمّنه الضلوعُ مقيمُ

قال وأنشده أيضاً:

الشِّعر لُبُّ المرءِ يعرضُه ... والقولُ مثلُ مواقع النَّبْلِ

منها المقصِّرُ عن رميّته ... ونوافذٌ يذهبن بالخصْلِ(٢)

قال وأنشده أيضاً:

إنّا معشرٌ خُلقنا صُدورا ... مَن يسوِّي الصُّدور بالأذنابِ

فقال له الأخطل: ويحك يا متوكل! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس. (١٢/١٥٩)

(٣٦)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا العتبيّ عن العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال: أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعيّ الذي يقال له الفياضُ، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفْتُه. فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها وقال: حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليَّ سراً.

فبينا المتوكل بالحيرة وقد رمدَ رمداً شديداً، فمرَّ به قسٌّ منهم فقال: مالك؟ قال: رمدتُ. قال: أنا أعالجك. قال: فافعل. فذرَّه، فبينا القس عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره، يفكر في هجاء عكرمة ـ وذلك غير مُطَّردٍ له ولا القولُ في معناه ـ إذ أتاه غلام له فقال: بالباب امرأة تدعوك. فمسح عينيه وخرج إليها، فسفرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةٌ حُسْناً، فقال لها: ما

---

(١) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة، وماء لهذيل بعرفة.

(٢) نوافذ: قويّات مؤثرات، والخصل: الخطر، وهو السبق الذي يتراهن عليه، ولعلّ رأي هذا الشاعر يشبه إلى حدٍّ كبير رأي ابن ميادة في النصّ العاشر السابق من أنّ الشعر يصيب هدفه أحياناً، ويخطئ أخرى، وفيه إشارة إلى أنّ الإصلاح والتهذيب غير مرغوب فيه.

اسمك؟ قالت: أميةُ. قال: فممن أنتِ؟ فلم تخبره. قال: فما حاجتك؟ قالت: بلغني أنك شاعر فأحببت أن تنسب بي في شعرك، فقال: أسفري. ففعلت فكرَّ طرفه في وجهها مُصعِّدًا ومصوبًا، ثم تلثمت وولَّت عنه. فاطَّرد له القولُ الذي كان استصعب عليه في هجاء عكرمة وافتتحه بالنسيب(١) فقال:

أجدَّ اليومَ جيرتُك احتمالا ... وحثَّ حُداتهم بهمُ الجمالا
وفي الأظعان آنسةٌ لعُوبٌ ... ترى قتْلي بغير دمٍ حلالا
أميَّةُ يوم ديرِ القسِّ ضنَّت ... علينا أن تُنوِّلنا نوالا
أبيني لي فربَّ أخٍ مصافٍ ... رُزِئتَ وما أحبُّ به بِدالا

وقال فيها يهجو عكرمة:

أقلني يابن ربعيَّ ثنائي ... وهَبْها مدحة ذهبت ضلالا
وهبْها مدحة لم تُغن شيئا ... وقولا عاد أكثره وبالا
وجدنا العزَّ من أولاد بكرٍ ... إلى الذُّهلين يرجع والفعالا
أعكرم كنتُ كالمبتاع داراً ... رأى بَيْعَ النَّدامةِ فاستقالا
بنُو شيْبان أكرمُ آل بكرٍ ... وأمتنهم إذا عقدوا حبالا
رجال أعطِيتْ أحلامَ عادٍ ... إذا نطقوا وأيديها الطوالا
وتيمُ الله حيٌّ حيُّ صدقٍ ... ولكنَّ الرَّحى تعلو الثِّفالا (١٦٦/١٢)

(٣٧)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدَّثني عمي عن عبد الله بن مُصْعب قاضي المدينة قال: دخل عقيلُ بن عُلَّفة على يحيى بن الحكم، وهو يومئذ أميرُ المدينة، فقال له يحيى: أنكِح ابن خالي - يعني ابن أوفى - فلانة ابنتك؟ فقال: إنَّ ابنَ خالك ليرْضى مني بدون ذلك، قال: وما هو؟ قال: أن أكُفَّ عنه سنن(٢) الخيل إذا غشيَتْ سوامه(٣). فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه: أخرجاه. فأخرجاه، فلما ولَّى قال: أعيداه إليَّ،

---

(١) يلاحظ صعوبة القول عليه في المرة الأولى، ثم انفتاحه، وتدفّقه بعد مجيء المؤثّر، والداعي إلى القول.

(٢) السنن: استنان الخيل، وهو عدوها لمرحها، ونشاطها.

(٣) السوام: كلّ ما رُعي من المال في الفلوات إذا خُلّي يرعى حيث شاء.

فأعاداه، فقال عقيل له: مالك تُكْرني إكرار الناضح(١)؟ قال: أما والله إني لأكرك أعرج جافيا.

فقال عقيل: كذلك قلت:

تعجَّبتْ إذ رأت رأســي تجلّله ... من الروائع شيبٌ ليس من كبرِ

ومـن أديـمٍ تولّى بعد جدّتـه ... والجفنُ يخلقُ فيه الصَّارمُ الذكرُ(٢)

فقال له يحيى، أنشدني قصيدتك هذه كلها. قال: ما انتهيتُ إلاَّ إلى ما سمعت. فقال: أما والله إنك لتقول فتقصِّر، فقال: إنّما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة. (٢٦٢/١٢)

(٢٨)

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا العلاء بن الفضل قال حدّثني أبي قال: مرَّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيِّ وهو يُنْشد في المجلس شعراً فقال: مَن هذا الذي يُنشد شعرا كأنه من أشعارنا؟ فقالوا: يزيدُ بن الحكم، فقال: نعم؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته(٣). وأم يزيد بكرةُ بنتُ الزِّبرْقان بن بدر، وأمها هُنيدةُ بنتُ صعْصعة بن ناجية. وكانت بكرة أوّلَ عربيّة ركبت البحر فأخْرج بها إلى الحكم وهو بتوَّج(٤)، وكان الزبرقان يكنى أبا العباس، وكان له بنون منهم العباسُ وعيّاش. (٢٨٦/١٢)

(٢٩)

أخبرنا محمدُ بن العباس اليزيديَ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثني العمريَ عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا ابنُ عياش عن أبيه قال: سمعت الحجّاج - واستوى جالسا - ثم قال: صدق والله زهيرُ بن أبي سُلمى حيث يقول:

ومـا العفــوُ إلاَّ لامـرئٍ ذي حفيظـــة ... متى يعْفُ عن ذنب امرئ السُّوءِ يلْججِ

فقال له يزيد بن الحكم: أصلح الله الأمير، إني قد رثيت ابني عنْبساً ببيت، إنه لشبيه بهذا. قال: وما هو؟ قال قلت:

ويأمنُ ذو حلْمِ العشيرة جهله ... عليه، ويخشى جهله جُهلاؤها

---

(١) الناضح: الدابة يُستقى عليها. (٢) الذكر والذكير من الحديد: أيبسه وأشدّه وأجوده، وفي البيت إقواء.

(٣) كأنّ الفرزدق يشير هنا إلى أنّ القرابة من الممكن أن تؤثّر في نمط الشاعر، فيأتي شعره مشابهاً لأقاربه.

(٤) توّج: بلد بفارس.

قال: فما منعك أن تقول مثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به؟ فقال: إنَ ابني والله كان أحبَ إليَّ من ابنك. (٢٨٩/١٢)

(٤٠)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عمرو بن بحرٍ الجاحظُ ودماذُ أبو غسّان، قالا جميعاً، قال أبو عبيدة:دخل أرطاة بن سُهيَّة على عبد الملك بن مرْوان، فقال له: كيف حالُك يا أرطاة؟ - وقد كان أسنَ - فقال: ضعُفتْ أوصالي، وضاع مالي، وقلَّ منّي ما كنت أحبُّ كثرته، وكثُر منّي ما كنت أحبُ قِلّته. قال: فكيف أنت في شعرك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطربُ ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهبُ، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربع(١)، وعلى أنّي القائل:

رأيــتُ المــرءَ تأكُلُـه اللَّيالــي ... كـأكلِ الأرضِ ساقطة الحديدِ
ومـا تبْغـي المنيَّةُ حـيـن تأتي ... على نفْسِ ابن آدم من مـزيدِ
وأعْلمُ أنَّهــا ســتكرُّ حـتّى ... تُوفّي نذرهــا بأبي الوليــدِ

فارتاع عبد الملك ثم قال: بل تُوفّي نذْرها بك ويْلك! مالي ولك؟ فقال: لا تُرَعْ يا أمير المؤمنين، فإنّما عنيْتُ نفسي - وكان أرطاة يُكْنى أبا الوليد فسكن عبد الملك، ثم استعبر باكياً وقال: أما والله على ذلك لتلُمنَّ بي(٢). (٣١/١٣)

(٤١)

.. قال بشر بن مروان لعبد الله الزّبير: إنّي أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين فتهيّأ لذلك يابنَ الزّبير، قال: أنا فاعل أيّها الأمير، قال: فماذا تقول له إذا وفدت عليه ولقيته إن شاء الله. فارتجلَ(٣) من وقته هذه القصيدة ثم قال:

---

(١) هذه هي دواعي الشعر، وأسبابه الشائعة في النقد العربي، وقد نقل ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٨٠/١)، قول أرطاة هذا، وأورده ابن رشيق في العمدة، طبعة قرقزن (٢٤٧/١)، وقال: «وقالوا: قواعد الشعر أربع: الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب، فمع الرغبة يكون المديح والشكر، ومع الرهْبة يكون الاعتذار، والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقّة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعّد والعتاب الموجع».

(٢) كانت هذه الأبيات سبباً في قيام كره شديد بين عبد الملك وشعر أرطاة بعد سماعه إيّاها، ينظر الموشّح (ص ٢٧٣).

(٣) عرّف ابن رشيق في العمدة (٣٥١/١)، الارتجال فقال: «هو ما كان انهماراً وتدفّقاً، لا يتوقّف فيه قائله»، وفرّق بينه وبين البديهة.

أقول: أمير المؤمنين عصمتنا ... ببشر من الدهر الكثير الزَّلازل(١)

وأطفأت عنا نار كلّ منافق ... بأبيض بهلول طويل الحمائلِ

نمتْه قُرومٌ من أمية للعلا ... إذا افتخر الأقوام وسْط المحافلِ

هو القائد الميمونُ والعصمة التي ... أتى حقُّها فينا على كل باطلِ

أقام لنا الدين القويمَ بحلمه ... ورأيٍ له فضلٌ على كل قائلِ

أخوك أمير المؤمنين ومن به ... نُجادُ ونُسقى صوبَ أسْحَمَ هاطلِ

إذا ما سألنا رفده هطلت لنا ... سحابة كفّيه بجودٍ ووابلِ

حليمٌ على الجُهّال منا ورحمةٌ ... على كلّ حافٍ من معدٍّ وناعلِ (١٤/٢٥٤)

(٤٢)

أخبرني وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: وحدّثني دعبل قال: بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوما فقال:

لا يعْرفُ الناسُ منه غير قطنته ... وما سواها من الأنْساب مجهولُ

وقال: هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال: اشهدوا أنّي قائله، فقالوا: ويحك ما أردت (إلا) أن تهجو نفسك به، ولو بالغ عدوُّك مازاد على هذا. فقال: لابدَّ من أن يقع على خاطر غيري، فأكون قد سبقتُه إليه، فقالوا له: أما هذا فشرَّ قد تعجَّلته، ولعلّه لا يقع لغيرك، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدهم على أنّه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يردُّ على حاجب:

هيْهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبقت به ... فاطلبْ له ثانياً يا حاجبَ الفيل (١٤/٢٦٨)

(٤٣)

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا أبوغسان دماذ؛ عن أبي عبيدة، قال: نزل الفرزدق هو ومَن معه بقوم من العرب، فأنزلوه وأكرموه، وأحسنوا قِراه، فلما كان في الليل دبَّ إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها، فصاحت، فتبادر القوم إليها، فأخذوها من يده وأنبوه، فجعل يفكر واهتم، فقال له الرجل الذي نزل به: مالك؟ أتحب أن أزوجك من هذه الجارية. فقال: لا، والله. ما ذلك بي، ولكنّي كأني بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر، فقال فيَّ:

---

(١) مرَّ شرح الأبيات فيما سبق.

وكنتَ إذا حللتَ بدار قوم رحلتَ بخزْية وتركت عارا

فقال له الرجل: لعلّه لا يفطن لهذا. فقال: عسى أن يكون ذلك. قال: فوالله مالبثوا أن مرّ بهم راكب ينشد هذا البيت فسألوه عنه، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيّره بذلك الفعل، وفيها هذا البيت بعينه. (١٦/١٦٨)

(٤٤)

أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن سعد الكرانيّ، قال: حدّثنا أبو عمر العمريّ، عن لقيط، قال: اجتمع الكميت بن زيد وحمّاد الراوية في مسجد الكوفة، فتذاكرا أشعار العرب وأيّامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكُميت: أتظنّ أنك أعلمُ منّي بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظنّ! هذا والله هو اليقين. فغضب الكُميت ثم قال له: لكَمْ شاعر بصير، يقال له عمرو ابن فلان، تروْي؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان ابن عمرو، تروْى؟ فقال حمّاد قولا لم يحفظه؛ فجعل الكُميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف، ويسأل حماداً: هل يعرفه؟ فإذا قال: لا، أنشده من شعره جزءاً منه حتى ضجرنا. ثم قال له الكُميت: فإنّي سائلك عن شيء من الشِّعر، فسأله عن قول الشاعر:

طرحُوا أصحابَهُمْ في ورطة قذفَك المقلة شطْرَ المُعْتَرَكْ

فلم يعلم حمّاد تفسيره، فسأله عن قول الآخر:

تدرّيْننا بالقولِ حتى كأنما تدرّيْنَ ولْدانا تصيدُ الرُّهادنا

فأفحِمَ حمّاد، فقال له قد أجّلْتُكَ إلى الجمعة الأخرى، فجاء حماد ولم يأتِ بتفسيرهما، وسأل الكُميْتَ أنْ يفسّرهما له، فقال: المقْلة: حَصاةٌ أو نواة من نوى المُقْل يحملها القوم معهم إذا سافروا، وتُوضع في الإناء ويُصبُّ عليها الماء حتى يغمُرها، فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء. والشُّطر: النّصيب. والمعترك: الموضعُ الذي يختصمون فيه في الماء، فيلقونها هناك عند الشرِّ. وقوله: «تدرّيْننا» يعني النساء، أي ختلْننا فرميْننا والرهادن: طيرٌ بمكةَ كالعصافير(١).

(٢/١٧)

---

(١) من الواضح أنّ هذا النص يبيّن سعة معارف الكميت خاصة وهو يقارع حافظاً كبيراً للشعر، رواية له، مثل حمّاد، فنراه ذكر أسماء شعراء لم يسمع بهم حمّاد، مع معرفة نادرة بالغريب، وسنن العرب في كلامها، وهو مثال واضح لاتّساع ثقافته، وغزارة روايته.

(٤٥)

...فتكلم الكميت بخطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قطّ، وامتدح هشام بن عبد الملك بقصيدته الرّائية، ويقال إنه قالها ارتجالا، وهي قوله: «قِفْ بالديار وقوفَ زائرْ» مضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

ماذا عليك من الوُقُو ... فِ بها وأنك غيرُ صاغرْ
درجتْ عليها الغاديا ... تُ الرّائحاتُ من الأعاصر

وفيها يقول:

فالآن صِرْتُ إلى أميّة ... والأمور إلى المصايرْ

وسئل الكميت عن هذه القصيدة فقال: ما أحفظ منها شيئاً؛ إنما هو كلامٌ ارتجلتُه. (٧/١٧)

(٤٦)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، قال: حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدّثني إسماعيل بن عبد الله الطلحيّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل، عن حمّاد الراوية، قال: كانت للكُميت جدّتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتُخْبِرانه بأخبارِ الناس في الجاهلية، فإذا شكّ في شِعْر أو خبر عرضه عليهما فيخبرانه عنه، فمنْ هناك كان علمه(١). (٣٠/١٧)

(٤٧)

وقال هارون بن الزيات: أخبرني ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، قال: كان لذي الرُمّة إخوة ثلاثة: مسعود، وجرْفاس، وهشام، كلّهم شعراء، ، وكان الواحد منهم يقول الأبيات فيبني عليها ذو الرمة أبياتاً أخر، فينشدها الناس، فيغلب عليها لشهرته وتُنْسب إليه. (٣/١٨)

(٤٨)

قال محمد بن صالح: وقال لي خالد بن كلثوم وأبو عمرو: قال أبو حزام وأبو المطرِّف: لم يكن أحدٌ من القوم في زمانه أبلغَ من ذي الرمة، ولا أحسن جوابا؛ كان كلامه أكثر من شعره. (٨/١٨)

(٤٩)

أخبرني وكيع، عن حماد بن إسحاق، قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه. (٩/١٨)

---

(١) هذا مصدر مهم من مصادر ثقافة هذا الشاعر، خاصة أنّ الجدّتين قد أدركتا الناس، وسمعتا، ونقلتا تجربتهما لهذا الحفيد، فاستثمر ما سمع، ووظّفه في شعره.

(٥٠)

وقال هارون بن محمد: أخبرني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق البلخيّ، عن سفيان بن عُيينة، عن ابن شُبرمة، قال: سمعت ذا الرمة يقول: إذا قلتُ: كأنَّه، ثم لم أجد مخرجا فقطع الله لساني(١). (١٨/١٠)

(٥١)

وكان ذو الرُّمَّة مُستعلياً هشاماً حتى لقي جريرٌ هشاماً، فقال: غلبك العبدُ، يعني ذا الرّمة، قال: فما أصنع يا أبا حَزْرة، وأنا راجز وهو يُقصِّدُ، والرُّجزُ لا يقوم للقصيد في الهجاء؟ ولو رفدْتني، فقال جرير ـ لتُهمته ذا الرُّمَّة بالميل إلى الفرزدق ـ قل له:

غضِبْتُ لرجْلٍ من عديَ تشمَّسوا ... وفي أيِّ يومٍ لم تشمَّسْ رجالُها
وفيم عديٌّ عند تيْمٍ من العُلا ... وأيامنا اللاّتي تُعدُّ فعالُها
وضبَّةُ عمِّي يابْنَ جُلٍّ فلا ترُمْ ... مساعيَ قومٍ ليس منكَ سجالُها
يُماشي عديّاً لؤمُها، لا تُجنُّه ... من الناس ما مسَّتْ عديّاً ظلالُها
فقل لعديٍّ تستعن بنسائها ... عليَّ فقد أعيا عديّاً رجالُها
أذا الرُّمِّ قد قلَّدْتَ قومك رُمَّةً ... بطيئاً بأمر المُطْلقين انحلالُها

قال أبو عبد الله: فحدّثني أبو الفرّاف، قال: لما بلغت الأبياتُ ذا الرُّمَّة قال: والله ما هذا بكلام هشام، ولكنه كلامُ ابن الأتان(٢). أخبرنا أبو خليفة، قال: حدّثنا ابن سلاّم، قال: وحدّثني أبو البيْداء، قال: لما سمعها قال: هو والله ينتمي شِعْرَ حنظليٍّ عُذريّ، وغلب هشام على ذي الرمّة بها. (١٨/١٨)

(٥٢)

قال جرير لذي الرمة: أنشدني ماهجوت به المرئي، فأنشده قوله:

---

(١) يشير ذو الرُّمَّة إلى براعته في التشبيه، وهي صفة ذكرها غير واحد من نقّاد الشعر، إذ نرى ابن قتيبة يقول: «وقالوا: ذو الرُّمَّة أحسن الناس تشبيهاً». الشعر والشعراء (١/٥٣٤)، ويقول ابن سلاّم: « وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمَّة». طبقات فحول الشعراء (١/٥٥)، وغيرهما، فكأنَّ التشبيه أصبح صنعتةً يجيدها حيث يجيء فيها بالأفانين.

(٢) كأنّ ذا الرُّمَّة أدرك أنّ ما يسمعه من الشعرِ مختلف عن طراز هشام، لخبرته به، فنفى أن يكون هذا الشعر له، ورآه أقرب إلى أسلوب جرير، وسننه في الهجاء فنسبه إليه، وهو محقّ مثلما تبيّن من سياق الخبر.

نبتْ عيناكَ عن طللٍ بحُزْوى عفته الريح وامتضح القطارا

فأطال جداً، فقال له جرير: ماصنعت شيئاً، أفأرفدك؟ قال: نعم، قال: قل:

يَعدُّ الناسبُون إلى تميم بُيوتَ المجْدِ أربعةً كبارا
يعُدُّون الرِّبابَ وآلَ سعْد وعمْراً ثم حنظلةَ الخيارا
ويهْلك بينها المرئيُّ لغْواً كما ألغيْتَ في الدِّيةِ الحُوارا

فغلبه ذو الرّمة بها. قال: حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ، قال: حدّثني جماعة من أهل العلم أنَّ ذا الرّمّة مرَّ بالفرزدق فقال له: أنشدني أحْدث ما قلت في المرئيّ، فأنشده هذه الأبيات، فأطرق الفرزدق ساعة، ثم قال: أعد، فأعاد، فقال: كذبت وأيم الله، ما هذا لك، ولقد قاله أشدُّ لحْيين منك، وما هذا إلاَّ شعرُ ابن الأتان. فلما سمعها المرئيّ جعل يلطم رأسه، ويصرخ ويدْعو بويْله، ويقول: قتلني جرير، قتله الله! هذا والله شعره الذي لو نقطت منه نقطةٌ في البحر لكدّرته، قتلني، وفضحني. (١٨/٢٠)

(٥٣)

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن الحسن الأحول، عن بعض أصحابه، عن الشنْبُو بن قُسيم العُذْريّ، قال: سمعتُ ذا الرّمّة يقول: مِنْ شعري ما طاوعني فيه القولُ وساعدني، ومنه ما أجهدتُ نفسي فيه، ومنه ما جننت به جنوناً؛ فأما ما طاوعني القول فيه فقولي:

خليليّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحلِ

وأما ما أجهدتُ نفسي فيه فقولي: أأنْ توسّمتَ من خرْقاء منزلة

أما ما جُننت به جنوناً فقولي: ما بالُ عينك منها الدَّمْعُ ينسكبُ(١) (١٨/٢٢)

(٥٤)

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، قال: قال حمّاد الراوية: ما تمم ذو الرّمة قصيدته التي يقول فيها: «ما بالُ عيْنك منها الماء ينسكب» حتى مات، كان يزيد فيها منذ قالها

---

(١) يبيّن ذو الرُّمّة الأطوار التي يمرّ بها، والحالات النفسية المختلفة التي تنتابه حين ينظم شعره، فتارة يأتيه الشعر طوعاً بلا صعوبة، وثانية يواجه مشقّة في نظمه، وثالثة يعسر عليه القول حتى يصف ما يصيبه بالجنون، وهذا تشخيص مهم، ونافع للحالات التي ترافق عملية الإبداع الشعري، وهي تصدر عن شاعر متمرّس، خبير، ولعلَّ هذا راجع إلى الحالات النفسية، وطبيعة القصيدة نفسها.

حتى تُوفيَ. (١٨/٢٣)

(٥٥)

أخبرني علي بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير يقول: ما أحببتُ أن يُنسب إليَّ من شعر ذي الرّمّة إلاَّ قوله: «مابال عينك منها الماء ينسكبُ» فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً. (١٨/٢٣)

(٥٦)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش: عن أبي سعيد السكريّ، عن يعقوب ابن السكيت، عن محمد بن سلاّم، عن أبي الفرّاف، قال: قال ذو الرّمة لرؤبة: ما عنى الراعي بقوله:

أناخا بأسْوا الظنُّ ثمُتَ عرّسا قليلاً وقـد أبقى سُـهيْلٌ فعرّدا

فجعل رؤبة يقول: هي كذا هي كذا، لأشياء لا يقبلها ذو الرمّة، فقال له رؤبة: فمهْ؟ ويحك! قال: هي الأرض بين المُكلئة وبين المُجْدبة. (١٨/٢٥)

(٥٧)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب المهلّبيّ، عن ابن شبّة، عن المدائنيّ، عن سلمة عن محارب، قال: كان ذو الرمّة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك، فقيل له: كيف تقول: عُزير ابن الله أو عزير بن الله؟ فقال: أكثرهما حروفا. أخبرني إبراهيم بن أيُّوب، عن عبد الله مسلم، قال: قال: عيسى بن عمر: قال لي ذو الرّمة: ارفع هذا الحرْف، فقلتُ له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه: اكتم عليَّ فإنه عندنا عيْب. (١٨/٣٠)

(٥٨)

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: وحدّثني أبو الفرّاف قال: دخل ذو الرّمة على بلال بن أبي بُردة، وكان بلال راوية فصيحاً أديباً، فأنشده بلال أبيات حاتم طيّئ، قال:

لحـا اللـهُ صُعْلوكـاً مُنـاهُ وهمُّـه مِنَ العيْش أن يلقى لبُوساً ومطْعما

يرى الخِمْسَ تعذيباً وإنْ نال شبْعةً يبتْ قلْبُهُ مِـنْ شدةّ الهـمّ مُبْهمـا

هكذا أنشد بلال، فقال ذو الرّمة: يرى الخمْص تعذيباً، وإنما الخِمْسُ للإبل، وإنما هو خمْص البطن، فضحكَ بلال - وكان محكاً - وقال: هكذا أنشدنيه رُواة طيّئ، فردَّ عليه ذو الرمّة، فضحك،

ودخل أبو عمرو بن العلاء، فقال له بلال: كيف تنشدهما؟ وعرف أبو عمرو الذي به فقال: كلا الوجهين جائز. فقال: أتاخذون عن ذي الرّمة؟ فقال: إنّه لفصيح، وإنّا لنأخذ عنه بتمريض. وخرجا من عنده، فقال ذو الرّمة لأبي عمْرو: والله لولا أني أعلم أنك حطبْتَ في حَبْله ومِلتَ مع هواه لهجوتُك هجاء لا يقعدُ إليك اثنان بعده. (٣٢/١٨)

(٥٩)

أخبرني الجوهريّ قال: حدّثنا ابن شبّة، عن ابن معاوية، قال: قال حماد الراوية: قدم علينا ذو الرمّة الكوفة فلم نرَ أحسنَ ولا أفصح ولا أعلم بغريبٍ منه؛ فغمَّ ذلك كثيراً من أهل المدينة، فصنعوا له أبياتاً وهي قوله:

رأى جمــلاً يوماً ولـم يـكُ قبلهـا   من الدَّهر يدري كيف خلْقُ الأباعرِ

فـقـال: شظايا مَعْ ظبـايا ألا لنا   وأجـفـل إجـفـال الظّليم المبـادرِ

فـقلت له: لا ذعْلَ ملْكيل بعـدمـا   مـلا نيـفق التُّبّان منـه بعـاذرِ

قال: فاستعادها مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: ما أحسب هذا من كلام العرب. (٣٣/١٨)

(٦٠)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار، قال: حدّثني عمّي، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنا أبو الحسن الأحول، عن الطُّوسيّ، عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ، قال: قدم جبيهاء الأشجعيُّ البصرة بجلوبة(١) له يريد بيعها، فلقيه الفرزدقُ بالمرْبد، فقال: ممَّن الرَّجُل؟ قال: من أشجع، قال: أتعرفُ شاعراً منكم يُقال له جبْهاء أو جُبيهاء؟ قال: نعم. قال: أفتروي قوله:

أمِن الجميع بذي البقاع ربُوعُ   هاجـت فـؤادك والرُّبـوعُ تروعُ

قال: نعم، قال: فأنشدنيها، فأنشده قوله منها:

من بعد ما نكرت وغـيَّر آيها   قطْرٌ ومُسْـبَلة الدُّموع خـريـعُ

يا صاحبيَّ ألا ارْفعا لي آيـةً   تشْفي الصدّاع فيُذهل المرفوعُ

ألواح ناجـيـة كـأنَّ تليلهـا   جـذْعٌ تُطيف به الرُّقـاةُ منيعُ

حتى أتى على آخرها، فقال الفرزدق: فأقسم بالله إنك لجبهاء، أو إنَّك لشيْطانه. (٩٤/١٨)

---

(١) الجلوبة: الإبل يحمل عليها متاع القوم.

(٦١)

قالت سلمى زوج سعد بن أبي وقاص لأبي محجن الثقفي: في أيّ شيء حبسك عمر؟ فقال: أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته، ولكنّي كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ يدبّ الشعر على لساني فينفثه أحياناً.. (٧/١٩)

(٦٢)

أخبرني الحسنُ قال: حدّثني أحمد قال: حدّثني محمدُ بن سلاّم الجُمحيّ قال: كان السريُّ بنُ عبد الرحمن ينادم عُتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوفٍ وجُبير بن أيمنَ بن أمِّ أيمن مولى النبيِّ - (ص) - وخالدَ بن أبي أيوب الأنصاريّ، وكانوا يشربون النبيذ، وكلُّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدر مستوراً ، فقال السريّ:

إذا أنت نادمتَ العُتيْرَ وذا الندى　　جُبيرا ونازعتَ الزجاجة خالدا

أمنتَ بإذنِ اللـه أن تُقرع العصا　　وأن يُنْبهوا من نومة السُكر راقدا

فقالوا: قبحك الله! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعةِ لسرنا؟ إنك لحقيق ألاّ ننادمك. قال: والله ما أردتُ بكم سوءاً، ولكنه شعر طفح فنفثته عن صدري. (٢٠٠/٢٠)

(٦٣)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدّثنا عمر بن شبة وغيره، قال: قال سلمة بن عياش - وذكر محمدُ بن داود، عن عسلِ بن ذكوان، عن أبي حاتم، عن الأصمعيّ، عن سلمة بن عياش مولى بني عامر بن لؤيّ - قال: دخلت على الفرزدق السجن، وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إنَّ الذي سمك السماءَ بنى لنا　　بيْتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ

وقد أفحمَ وأجبل(١)، فقلت له: ألا أرفدك؟ فقال: وهل ذاك عندك؟فقلت: نعم، ثم قلت:

بيْتٌ زُرارة مُحْتبٍ بفنائه　　ومُجاشع وأبو الفوارس نهشل

فاستجاد البيت وغاظه قولي له، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش، فقال: كل أيْرِ حمار

(١) أفحم وأجبل: صعب القول عليه

من قريش! فمن أيِّها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله رضعة(١)، جاورتُهم بالمدينة فما أحمدتُهم، فقلت: ألأمُ والله منهم قومُك وأرضع. جاء رسولُ مالك بن المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد، ولا نصرك، فقال: قاتلك الله ما أكرمك! وأخذ البيت، فأدخله في قصيدته. (٢٠/٢٩٥)

(٦٤)

أخبرني الحسنُ بن علي الخفّاف عن ابن مهرويه عن أبي مسلم المستملي عن الحرمازي عن يحيى بن نُجيم قال: لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه، فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزا كثيراً وقصيدا صالحا وشهر بهما، وسار شعره في البدو والحضر(٢)، ورواه الناس. ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرفع منه، وأعطاه، وشفع له، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك، فمدحه، ولم يزل به حتى أغناه. قال يحيى بن نُجيم: فحدّثني أبو نخيلة قال: وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته، وقلت له:

أمسْلم إنّي يابنَ كلِّ خليفة ... ويافارس الهيجا وياجبل الأرضِ
شكرتُك إنَّ الشكر حبل من التقى ... وما كل من أوليته نعمة يقضي
وألقيت لما أن أتيتُك زائراً ... عليَّ لحافا سابغ الطول والعرضِ
وأحييت لي ذكري وما كان خاملاً ... ولكنّ بعض الذكر أنبهُ من بعضِ

قال: فقال لي مسلمة: ممن أنت؟ فقلت: من بني سعد. فقال: مالكم يابني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز؟ قال: فقلت له: أنا والله أرجز العرب، قال: فأنشدني من رجزك، فكأنّي والله لما قال ذلك لم أقل رجزا قَط، أنسانيه الله كلّه، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة، فظننتُ أنّها لم تبلغ مسْلمة، فأنشده إياها، فنكس رأسه وتتعتعت، فرفع رأسه إليّ وقال: لا تُتعب نفسك، فأنا أروى لها منك، قال: فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير، فعرفني وقرّبني، وما

---

(١) رَضَعَة: لئام، جمع راضع.

(٢) يبيّن هذا النصُّ مصدر ثقافة أبي نخيلة الرئيسي، فقد كانت البادية ذلك المنبع الثرّ الذي نهل منه، واستفاد ما شاء له الاستفادة، وقد كانت البادية في ذلك الوقت مستودع علم كثير، وشعر غزير، فلا غرو أن تقوّم بعد هذا من أبي نخيلة، حتى قال الشعر والرجز مثلما ورد في النصّ

رأيت ذلك أثر فيه، يرحمه الله ولا قرّعني به حتى افترقنا. (٢٠/٣٩٢)

(٦٥)

أخبرني هاشم بن محمدٍ الخزاعيُّ قال: حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال: حدّثنا أحمد بن المعذّل عن عليّ بن أبي نُخيلة الحمانيّ قال: دخلتُ مع أبي إلى أرض له وقد قدم من مكة، فرآها وقد أضرَّ بها جفاء القيِّم عليها وتهاونه بها، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف، فقلت: الساعةَ يقول في هذا شعراً(١)، فلم ألبث أن التفت إليَّ وقال:

شاهد مالاً ربُّ مالٍ فساسهُ سياسة شهم حازم وابن حازمِ
أقام بها العصرين حيناً ولم يكن كمن ضنَّ عن عُمرانها بالدراهمِ
كأنَّ نقيض الليف عن سعفاته نقيضُ رحال الميس فوق العياهم(٢)
وأضحت تغالي بالنبات كأنها على متن شيخ من شيوخ الأعاجم(٣)
وما الأصل ما رُوِّيتَ مضرب عرقه من الماء عن إصلاح فرع بنائم (٢٠/٤٠٣)

(٦٦)

...قال هدبة بن الخشرم هذه القصيدة ارتجالاً:

ألا يالقومي للنَّوائب والدَّهر وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري
وللأرضِ كم من صالحٍ قد تأكَّمت عليه فوارتْهُ بلمّاعةٍ قفْرِ
فلا تتَّقي ذا هيْبةٍ لجلاله ولا ذا ضياعٍ هنَّ يتْركن للفقرِ

حتى قال:

رُمينا فرامينا فصادف رميُنا منايا رجالٍ في كتابٍ وفي قدْرِ
وأنت أميرُ المؤمنين فما لنا وراءك من معدى ولا عندك من قصْرِ
فإن تك في أموالنا لم نضق بها ذراعاً، وإن صبرٌ فَنَصْبرُ للصَّبر (٢١/٢٦٤)

---

(١) يريد أنه سيرتجل شعراً بسبب ما رآه من الإهمال.

(٢) نقيض الرحال: صوتها، والميس: التبختر، والعياهم: جمع عيهم، وهو الشديد، والناقة السريعة.

(٣) تغالي: من غالى بالسهم إذا رفع به يديه لأقصى الغاية.

(٦٧)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا: كان جميلُ بن معمر العُذريّ راوية هُدْبة، وكان هُدْبة راوية الحطيئة، وكان الحطيئةُ راوية كعب بن زهير وأبيه(١). (٢١/٢٧٣)

(٦٨)

حدّثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم - يعني أبا العيناء - عن أبي زيد النحويّ، عن أبي عمرو قال: جاء غالب أبو الفرزدق إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إنّ ابني هذا من شعراء مضر فاسمع منه، قال: علّمه القرآن. فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيّد نفسه في وقت، وآلى: لا يحلُّ قيده حتى يحفظ القرآن(٢). قال محمد بن يحيى: فقد صحّ لنا أنّ الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة، وندع ما قبل ذلك، لأنّ مجيئه به بعد الجمل - على الاستظهار - وكان في سنة ست وثلاثين، وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام هو وجرير والحسن البصريّ وابن سيرين في ستة أشهر، وحُكي ذلك عن جماعة، منهم الغلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه. (٢١/٢٨٣)

(٦٩)

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدّثنا عامر بن أبي عامر - وهو صالح بن رستم الخراز - قال: أخبرني أبو بكر الهذلي قال: إنّا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطّى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد: الرجل يقول: لا والله، وبلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أوَ ما سمعتَ ماقلتُ في ذلك؟ قال الحسن: ما كُلّ ما قلت سمعوا، فما قلت؟ قال: قلت:

---

(١) هذه هي السلسلة التي ابتدأت منذ العصر الجاهلي، واستمرّت إلى العصر الأموي، ولا شكّ أنّ الرواية هنا تعني من ضمن ما تعنيه التأثر، والتشابه في الأساليب، والاستفادة من السابق.

(٢) لا شكّ في أنّ هذه النصيحة الغالية من لدن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه من جهة، وأخْذ الفرزدق بها من جهة أخرى قد أثّرت في شعر الفرزدق، ونمطه الشعري، فقد كان القرآن، ومايزال مهوى أفئدة الشعراء، والمتأدبين، ولطالما أفاض النقّاد في ضرورة قراءة القرآن الكريم. وحفظه، والاستفادة من نظمه المعجز، وبيانه الرائع، ولذلك فقد كسب الفرزدق مكسباً كبيراً في حفظه القرآن، ودراسته، وفهمه.

ولستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقوله إذا لم تعمَّدْ عاقداتِ العزائمِ(١)

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد، نكون في هذه المغازي فنُصب المرأة لها زوج، أفيحلّ غشيانها وإن لمْ يُطلقْها زوجها؟ فقال الفرزدق: أوَ ما سمعت ما قلتُ في ذلك؟ قال الحسن: ما كُلُّ ما قلت سمعوا، فما قلت؟ قال: قلت:

وذاتَ حليلٍ أنكحْتنا رماحنا حلالاً لمن يبْني بها لم تُطلَّق(٢) (٢١/٣٠٤)

(٧٠)

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشيّ، عن محمد بن سلام: (اجتمع الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص، فأنشد الفرزدق شعراً) فعبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أنْجدتْ أمُّك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتُها فولدتك إذ شابهتْني في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي، فوجده لقِناً. (٢١/٣٢٢)

(٧١)

وأخبرني ابن دريد قال: حدثّنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبيّ، عن عوانة بن الحكم، قال: بينما جرير واقف في المِرْبد وقد ركبه الناس وعمر بن لجأ مواقفه فأنشده عمر جواب قوله:

يا تيْمُ تيْمَ عديٍّ لا أبا لكم لا يقذفنَّكُم في سوأةٍ عمرُ
أحين صرْتُ سِماماً يابني لجأٍ وخاصرتْ بي عن أحسابها مُضرُ(٣)

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذبتَ وشرُّ القولِ أكذبُهُ ماخاطرتْ بك عن أحسابها مُضرُ
ألستَ نزوة خوّارٍ على أمةٍ؟ لا يسبق الحلباتِ اللؤمُ والخورُ(٤)

وقد كان الفرزدق رفده بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبحاً

(١) يريد أنَّ بيته ينظر إلى قوله تعالى: «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم».

(٢) ذات: مفعول مقدّم لأنكحتنا، يريد أنَّ سبايا الحرب إماء يحل الاستمتاع بهنّ، ولعلَّ هذا النصَّ نموذج من حفظ الفرزدق القرآن الكريم، والاستفادة من أحكامه، وتشريعاته.

(٣) خاطرت: رفعت. (٤) الحلبات: جمع حلبة بمعنى الميدان.

لك يابن لجأ، أهذا شعرك، كذبت والله ولو متَّ، هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردَّ جوابا. (٢١/٣٢٤)

(٧٢)

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي، قال: حدّثني القاسم بن محمد الأنباريّ، قال: حدّثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ، قال: كانت امرأةٌ من عُقيل يقال لها ليلى، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يحادثها، وأقبل فتى من قومها، كانت تألفه، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها، وتركت الفرزدق، فغاظه ذلك، فقال للرَّجل: أتصارعني؟ قال: ذلك إليك. فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فضرط الفرزدقُ، فوثب عنه الرجل خجلاً، وقال له الرجل: يا أبا فراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت بك، ما جرى، فقال: ويحك، ما بي أن صرعتني، ولكن كأني بابن الأتان جرير، وقد بلغه خبري هذا، فقال يهجوني:

جلستَ إلى ليلى لتحظى بقُربها فخانك دُبْرٌ لا يزال يخونُ
فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وكاءها كما شدَّ خرْتاً للدِّلاص قُيونُ(١)

قالوا: فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريراً الخبر، فقال فيه هذين البيتين. (٢١/٣٤٠)

(٧٣)

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدّثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروفُ بابن نصر، عن الأصمعيّ، قال: كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق وجرير، قال: فدعاني الفرزدق يوماً، فقال: إني قلت بيت شعر والنُّوار طالق إن نقضه ابن المراغة، قلت: ماهو؟ قال: قلت:

فإنِّي أنا الموتُ الذي هو نازلٌ بنفسك فانظر كيف أنت تُحاوله

فارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريراً بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتاً، وحلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، أظنّ والله ذلك؟ ما هو؟ ويلك، فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ في الرمل، ويحثوه على رأسه وصدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزرة، طلقت امرأةُ الفاسق، وقال:

---

(١) الوكاء: الخيط الذي تربط به الصرّة أو الكيس ونحوهما، والخرت: الثقب، والدّلاص: الدرع اللينة، والقيون: جمع قين، وهو الحدّاد

أنا الدهرُ يفني الموتُ والدهر خالدٌ   فجئني بمثل الدهرِ شيئاً يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدتُه إياه، وأعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث. (٢١/٣٥٥)

(٧٤)

أخبرنا عبد الله بن مالك: قال: أخبرني أبو مسلم؛ قال: حدّثني الأصمعيّ، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدُها عليك، لقد أتى على زمان، ولو سمعت ببيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني. (٢١/٣٦٠)

(٧٥)

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليماميّ، قال: شرب الفرزدق شراباً باليمامة وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إن الغلمة قد آذتني فاكسبني بغياً، قال: من أين أصيب لك ها هنا بغياً قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية؛ فقال: هل من امرأة تقبِّل(١)، فإن معي امرأتي وقد أخذها الطَّلق فبعثوا معه امرأة. فأدخلها على الفرزدق وقد غطّاه، فلما دنت منه واثبها، ثمَّ ارتجل مبادراً، وقال: كأني بابنِ الخبيثة يعني جريراً وقد بلغه الخبر قد قال:

وكنتَ إذا حللتَ بدار قومٍ   رحلْتَ بخزيةٍ وتركت عارا

قال: فبلغ جريراالخبر، فهجاه بهذا الشعر. (٢١/٣٦٣)

(٧٦)

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدّثنا أبو مسلم، قال حدّثنا الأصمعيّ عن هشام بن القاسم، قال: قال الفرزدق: قد علم الناس أنّي فحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة لقلْع ضرسٍ من أضراسي أهونُ عليّ من قولِ بيت شعر(٢). (٢١/٣٦٥)

---

(١) تقبّل: أي تشتغل قابلة، أي مولدّة.

(٢) يشير الفرزدق هنا إلى ما يلاقيه من العناء، والمشقّة حين ينظم الشعر، وخصَّ هذه المشقّة في أوقات معينة، وقد فصلّتُ الحديث عن هذا النصّ وغيره فيّ كتابي الشعراد النقّاد   الفرزدق (ص ١٤٥).

أخبرني عبد الله بن مالك، قال. حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبيّ: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ والأخفش جميعاً، عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة والكلبيّ: قال: وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعاً: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان فاتى الفرزدقُ كثيِّرَ عزّة.

فبينا هما يتناشدان الأشعار إذ طلع عليهما غلام شخت(١) رقيق الأدمة، في ثوبين ممصرين، فقصد نحونا، فلم يسلم، وقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش، أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أمَّ لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً، فأردتُ أن أعرضه عليك، وأؤجلك سنة، فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، وإلا فأنت منتحلٌ كذّاب، ثم أنشده:

ألم تسألِ الرّبع الجديدَ التكلُّما .. حتى بلغ إلى قوله:

وأبقى لنا مرُّ الحروب ورزؤُها ... سيوفاً وأدراعاً وجمّاً عرمرما(٢)

متى ما تُرِدْنا من معدٍّ عصابةٌ ... وغسانَ نمنعْ حوضنا أن يُهدَّما

لنا حاضرٌ فعْمٌ وبادٍ كأنه ... شماريخُ رضْوى عزةً وتكرُّما(٣)

أبى فِعلُنا المعروفَ أن ننطق الخنا ... وقائلنا بالعُرف إلا تكلُّما

بكل فتى عاري الأشاجع لاحه ... قراعُ الكماة يرشح المسكَ والدّما(٤)

ولدنا بني العنقاء وابنيْ محرِّقٍ ... فأكرم بذا خالاً وأكرم بذا ابْنما(٥)

يُسوِّدُ ذا المالِ القليل إذا بدت ... مروءتُه فينا وإن كان مُعدما

وإنّا لنقري الضيف إن جاء طارقاً ... من الشحم ما أمسى صحيحاً مسلمّاً(٦)

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمعن بالضُّحى ... وأسيافُنا يُقطرن من نجدةٍ دما

---

(١) شخت: الضامر النحيف خلقة. (٢) جمّا عرمرما: جيشا كثير العدد. (٣) فعم: ممتلئ، ورضوى: جبل.

(٤) الأشاجع: أصول الأصابع، ويكنّي بعريها عن كثرة قبضها على السلاح، ولاحه: أهزله وأضمره، ويكنّي بقوله: يرشح المسك والدم عن أنّه مترف وقتِ السلم، شجاع وقت الحرب.

(٥) ولدنا: ولدت أوائلنا. (٦) يريد أنّه إذا قرى لا يعمد إلى الهزيل أو السقيم من نوقه فيذبحه.

فأنشده القصيدة، وهي نيِّف وثلاثون بيتا، وقال له: قد أجَّلتُك في جوابها حولا، فانصرف الفرزدق مغضباً، يسحب رداءه، وما يدري أيَّة طرقه حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثيِّر، فقال له: قاتل الله الأنصار ما أفصحَ لهجتهم، وأوضح حُجَّتهم، وأجودَ شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا.

حتى إذا كان من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنتُ فيه بالأمس، فأتى كثيِّر، فجلس معي، وأنَّا لنتذاكر الفرزدق، ونقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حلَّة أفوافٍ(١)، قد أرخى غديرته، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه، وشتمناه، فقال: قاتله الله: ما مُنيت بمثله، ولا سمعت بمثل شعره، فارقته، وأتيت منزلي، فأقبلت أصعِّدُ وأصوِّب في كل فن من الشعر، فكأني مفحم لم أقل شعراً قط، حتى إذا نادى المنادي بالفجر رحلتُ ناقتي، وأخذت بزمامها حتى أتيت ريَّاناً، وهو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلتُ ناقتي وتوسدت ذراعها، فما عتمت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً، فبينا هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا، ثم قال: إني لم آتِك لأعجلك عن الأجل الذي وقتُّه لك، ولكني أحببت ألا أراك إلا سألتك: إيش صنعت؟ فقال: اجلس، وأنشده قوله:

عزفتَ بأعشاشٍ وما كنت تعزفُ ... وأنكرتَ من حدراءَ ما كنت تعرفُ

ولجَّ بك الهجرانُ حتى كأنما ... ترى الموتَ في البيت الذي كنت تألفُ

حتى بلغ إلى قوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومانا إلى النَّاس وقَّفوا

وأنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاريّ كئيباً. (٣٧١/٢١)

(٧٨)

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيُّ: قال حدَّثنا الحسن بن عليل العنزيّ، قال: حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ، قال: حدَّثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال: قيل للفرزدق: مالك وللشعر؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً، ولا كان صعصعةُ شاعراً، فمن أين لك هذا؟ قال: من قبل خالي، قيل: أيُّ أخوالك؟ قال: خالي العلاء بن قرظة الذي يقول:

---

(١) أفواف: ثياب رقاق موشاة مخططة.

إذا ما الدَّهرُ جرَّ على أناسٍ بكلكلــــه أنــــاخ بآخـــرينـــا

فقــل للشــامتين بنا أفيقــوا سـيلقى الشــامتون كما لقينا (٢١/٢٩٦)

(٧٩)

ونسختُ منْ كتاب أبي سعيد السُّكَّريِّ، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيِّ وأبي عبيدة قالا: كان أبو صخر الهذليُّ منقطعاً إلى أبي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد؛ مدّاحاً له، فقال له يوماً: ارْثني يا أبا صخر، وأنا حيٌّ، حتى أسمع كيْفَ تقول، وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إيّاي في حياتي؟. فقال: أعيذُكَ بالله أيُّها الأميرُ من ذلك، بل يُبقيك الله ويقدِّمني قبلك، فقال: ما مِنْ ذلك بُدٌّ. قال: فرثاهُ بقصيدته التي يقول فيها(١):

أبا خالدٍ نفسي وَقَتْ نفْسك الرَّدى وكـان بها من قبـلِ عثْرتك العثْرُ

لتبكـكَ ياعبدَ العزيز قلائصٌ أضـرَّ بهـا نصُّ الهـواجر والزَّجرُ

ســـمونَ بنا يجْتبْن كـلَّ تنوفةٍ تضلُّ بها عنْ بَيْضهنَّ القطا الكُدر(٢)

فمـا قـدمتْ حتى تواترَ سـيرُها وحتى أنيخَـتْ وهي ظالعـةٌ دُبرُ

فـفرّج عن رُكْبانهـا الهم والطوى كريمُ المحيّا ماجدُ واجدٌ صقرُ

أخـو شـتـواتٍ تقْتلُ الجـوعَ دارُهُ لمنْ جـاء لا ضـيقُ الفناء ولا وعـرُ

ولا تـهنني الفـتـيـان بعـدك لذَّةٌ ولابَلَّ هـامَ الشـامتين بكَ القطْر

وإن تمسِ رمساً بالرُّصافة ثاويا فما مـات يابنَ العيصِ نائلُك الغمر(٣)

وذي ورقٍ مـن فضلِ مالكَ مالُـه وذي حـاجةٍ قدرشْتَ ليس له وفرُ(٤)

فـأمْسى مُريحاً بعدَ ما قد يُؤوبه وكـلَّ بـه المْولى وضاقَ بـه الأمر

---

(١) هل يشير هذا النصّ إلى أن الشعر صناعة قائمة برأسها، مستقلّة عن غيرها، لا تحتاج إلى مؤثر خارجي في بعض الأحيان لكي تنتج، بل تكفي أدوات معينة، مثل: الثقافة، واللغة، ومعرفة الناس؟ هذا النصّ يشير إلى هذا، فقد رثى الشاعرُ الرجلَ وهو حيٌّ يسمع رثاءه بأذنه، فلا يمكن الادّعاء بوجود المؤثر، أو اللحظة التي تفجّر القول، وعند قراءة الأبيات نجد الشاعر قد عمد إلى الشائع، المعروف من معاني الرثاء من حيث وصف المتوفّى بأنّه سليل مجد، كريم، يعني الآخرين ويساعدهم، فكأنَّ الشاعر هنا قد عوّل على الشعر قبله أكثر من تعويله على المؤثرات التي لم يكن لها وجود البتّة، وسنرى نظائر لهذا النصّ فيما سنستقبل من نصوص.

(٢) التنوفة: الأرض التي لا ماء بها ولا أنيس، والكدر: لون هذه القطا. (٣) العيص: الأصل والحسب.

(٤) ذو ورق: ذو مال، ورشت: أعطيت وأنعمت

قال: فاضعف لهُ عبدُ العزيز جائزته ووصله، وأمر أولاده فرووا القصيدة. (١١٦/٢٤)

(٨٠)

وقال أبو عبيدة في خبر جرير أيضاً: فلما قال: «ففُضَّ الطَّرف إنَّك من نُمير» وثبت وثْبةً دقَّ رأسهُ السُّقفُ، فجاء له صوتٌ هائلٌ، وسمعت عجوزٌ كانت ساكنة في علُّو ذلكَ الموضع صوْته، فصاحتْ: يا قوْم، ضيفُكم والله مجْنونٌ، فجئنا إليه وهو يحبُو ويقول: غضضتُه والله، أخزيتُه والله، فضحتُه وربِّ الكعْبة، فقلت له: مالك يا أبا حزرة؟ فأنشدنا القصيدة، ثم غدا بها عليه. (٢٠٩/٢٤)

(٨١)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدَّثنا الحسن بن الحسين السكريّ عن الرياشي عن الأصمعيّ قال: (اختصم جرير مع الراعي).. فانصرف جرير مغضباً حتى إذا صلى العشاء ومنزله في عُلِّيَّة قال: ارفعوا إليَّ باطية من نبيذ، وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ فجعل يهيتم فسمعته عجوز في الدار، فطلعت في الدُّرجة حتى إذا نظرت إليه فإذا هو على الفراش عريان لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون، رأيت منه كذا وكذا، فقالوا لها: اذهبي لطيتُك، نحن أعلم به وبما يمارس، فمازال كذلك حتى كان السحُر، فإذا هو يكبِّر، قد قالها ثمانين بيتاً، فلما بلغ إلى قوله:

فغضَّ الطرف إنَّك من نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فذاك حين كبَّر، ثم قال: أخزيتُه والله. (٢٠٦/٢٤)

(٨٢)

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش؛ قال: حدَّثني محمد بن الحسن بنِ الحرون قال: قال أبو عُبيدة: أنشد جريرٌ الرَّاعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر ـ فلما بلغ فيها قوله: «بها برصٌ بأسفل إسكتيْها» غطَّى الفرزدق عنْفقته بيده، فقال جرير: كعنفقةِ الفرزدق حينَ شابا

فقال الفرزدق: أخزاك الله، والله لقد علمتُ أنَّك لا تقولُ غيرها، قال: فسمع رجل كان حاضراً أبا عُبيدة يُحدِّث بها، فحلَفَ يميناً جزْماً أنَّ الفرزدق لقَّن جريراً هذا المِصْراع بتغطية عنفقته ولو لم يفعل لما انتبه لذلك، وما كان هذا بيتاً، قاله مُتقدِّما، وإنما انتبه لذلك. (٢١١/٢٤)

العصر العبّاسي

(١)

وأم عمر بن أبي ربيعة أمّ ولد يقال لها مَجْد سُبيت من حضر موت، ويقال من حمير. قال أبو مُحلّم ومحمد بن سلام: هي من حمير، ومن هناك أتاه الغزل؛ يُقال: غزلٌ يمان ودلٌّ حجازي (٦٦/١)

(٢)

أخبرنا يحيى قال حدثنا حمّاد عن أبيه عن أبي داود قال: أمُّ بني ثوْبان - وهم أبرَد أبو ابن ميّادة والعوثبانُ وقريض وناعضة، وكان العوثبان وقريض شاعرين - أمّهم جميعاً سلْمى بنت كعْب بن زُهير بن أبي سلْمى. ويقال: إن الشعر أتى ابن ميادة عن أعمامه من قبل جدّهم زُهير. (٢٦٧/٢)

(٣)

عهدتني ناشئاً ذا غرّة　　رجِل الجُمّة ذا بطنٍ أقبْ
أتبعُ الولدانَ أرخي مئزري　　ابن عشْر ذا قُريْطٍ من ذهبْ
وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ　　ولها بيتُ جوارٍ من لُعبْ

الشعر لامرئ القيس، ويقال: إنه أوّلُ شعرٍ شبِّب فيه بالنساء. (٢١٣/٢)

(٤)

وأمّا مَدْرَج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجرميّ، وإنما سُمّي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ وأنّها تسكُن الهواء وتتراءى له، وكان محمقاً؛ وشعرُه هذا:

لابنة الجنّيّ في الجوّ طللْ　　دارسُ الآياتِ عافٍ كالخللْ
درستْهُ الريحُ من بين صَباً　　وجنوبٍ درجتْ حيناً وطلّ (١٢٩/٣)

(٥)

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: وُلد بشّار أعمى فما نظر إلى الدنيا قطُّ، وكان يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البُصراء أن يأتوا بمثله؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كأنَّ مُثار النقع فوقَ رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئا فيها؟ فقال: إن عدم النظر يُقوِّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغلَ بما يُنظرُ إليه من الأشياء فيتوفّر حسّه وتذكو قريحتُه(١)؛ ثم أنشدهم قوله:

عميتُ جنيناً والذكاءُ من العمى ... فجئتُ عجيب الظنِّ للعلم موئلا

وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافداً ... لقلب إذا ما ضيّع الناسُ حصّلا

وشعرٍ كنَوْر الروض لاءمتُ بينه ... بقولٍ إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا (١٤٢/٣)

(٦)

وأخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عُبيدة: قال بشّار الشعر ولم يبلغ عشْرَ سنين، ثم بلغ الحُلُم وهو مخْشيٌّ معرّةِ لسانه. (١٤٣/٣)

(٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال: قال بشّار الشعر وله عشرُ سنين، فما بلغ الحُلُمَ إلاّ وهو مخْشيٌّ معرّة اللسان بالبصْرة. قال: وكان يقول: هجوتُ جريراً فاستصغرني وأعرضَ عنّي، ولو أجابني لكنتُ أشعر أهل زماني. (١٤٤/٣)

---

(١) يثير هذا النصّ ملاحظتين، أولاهما تشخيص بشار لحالته من حيث إنْ العمى لم يك شرّاً كلّه، بل ساعده على التروّي، وإنعام النظر، والإنشغال بأمور غير النظر، وهذا ساعده على المجيء بتلك التشبيهات الجيدة، أمّا الملاحظة الثانية فهي إنْ منابع التشبيه ليست المشاهدةُ وحدها، بل يقف معها اطّلاع الشاعر على أساليب الشعراء في التشبيه، واستفادته منهم، والإضافة إليهم بعد هذا، ونحسب أنْ هذا قد توفّر عند شاعر كبير مثل بشّار حين جاء بالتشبيه الرائع وهو لم يَرَ الدنيا على حدّ قول النصّ، بل كان تعويله على مَنْ كان قبله، ثم مجيؤه بالبديع المستطرف من التشبيه الذي يتكئ فيه على نفسه، وموهبته.

(٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثنا أحمد بن المبارك قال حدّثني أبي قال: قلتُ لبشّار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ وقد قال فيه شيئاً استنكرته العربُ من ألفاظهم وشُكَّ فيه، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه؛ قال: ومن أين يأتيني الخطأ! وُلدتُ ها هنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شيْخاً من فُصحاء بني عُقيل ما فيهم أحدٌ يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعتُ فأبديتُ إلى أن أدركتُ، فمن أين يأتيني الخطأ!(١). (١٤٩/٣)

(٩)

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيميّ قال: دخل بشّار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصور ويُشيرُ عليه برأي يستعمله في أمره، فلما قُتلَ إبراهمُ خاف بشارٌ، فقَلَبَ الكنية، وأظهر أنه كان قالها في أبي مُسلم وحذف منها أبياتاً وأوّلها(٢):

أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

قَلَبَ هذا البيت فقال: «أبا مسلمٍ».

على الملك الجبّار يقتحمُ الردى ويصرعُه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمعْ بقتل مُتوَّجٍ عظيم ولم تسمع بفتكِ الأعاجم
تقسّم كسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلامَ نائم

يعني الوليد بن يزيد

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدةٍ عليه ولا جرْيَ النُّحوسِ الأشائم
مُقيماً على اللّذاتِ حتى بدتْ له وجوهُ المنايا حاسراتِ العمائم
وقد تردُ الأيامُ غرّاً وربّما وردْنَ كُلوحاً باديات الشّكائم

(١) يفصّل بشّار الحديث عن عمق عوره باللغة، وابتعاده عن الخطأ، فالولادة بين الفُصحاء، والإقامة في البادية عاملان مهمّان في استقامة اللسان، واستخدام الفصيح من اللفظ، وهذا جزء مهم من ثقافة بشار الواسعة التي وظّفها في شعره.

(٢) لعلّ هذا التغيير، والحذف داخل ضمن ما أشرنا إليه سابقاً من صنعة الشعر، وقدرة الشاعر على قول الشعر بالاعتماد على موهبته، ومعارفه، من غير أن تكون للمؤثرات الخارجية كبير أثر فيه.

ومرْوانُ قد دارتْ على رأسه الرحى وكان لمــا أجرمــت نــزْر الجـرائـم(١)

فأصبحتَ تجري سادراً في طريقهم ولا تتّقــي أشــباه تلك النقــائــم

تجـرَّدت للإســلام تـعـفو سـبـيله وتُعْــري مطــاهُ لليُـوثِ الضَّراغـم(٢)

فمـا زلتَ حتى استنصر الدينُ أهله عليـك فـعـانوا بالسَّـيوفِ الصوارم

فــرُمْ وزَراً يُنْجـيـك يابن ســلامــةٍ فلست بناجٍ من مــضـيـم وضــائـم

جعل موضع «يابن سلامة» «يابن وشيكة» وهي أمُّ أبي مسلم.

لحا الله قومـاً رأسُـوك عليهــم وما زلْتَ مـرءوسـاً خـبيثَ المطاعم

أقــولُ لبــسَّـامٍ عليــه جـلالـةٌ غـدا أرْيحـيّاً عـاشـقــاً للمكارم

من الفـاطميّينَ الدُّعاةِ إلى الهدى جهـاراً ومَنْ يهديك مثلُ ابنِ فـاطمِ

هذا البيت الذي (خافه و) حذفه بشارٌ من الأبيات.

سراجٌ لعين المســتــضيء وتارةً يـكــون ظلامــاً للعــدوِّ المزاحـم

إذا بلغ الرأيُ المشُورةَ فـاسـتعِنْ برأيِ نصيح أو نصيحـةِ حـازم

ولا تجعلِ الشُّورى عليكَ غضـاضـةً فـإنَّ الخـوافــي قــوّةٌ للقــوادم

وما خـيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختـهـا وما خـيــرُ ســيفٍ لم يؤيَّدْ بقـائـم

وخــلِّ الهُوينا للضَّعـيـف ولا تكُنْ نؤومــاً فــإن الحــزْمَ ليس بنائم

وحــاربْ إذا لـم تُعـطَ إلا ظُلامــةً شـبا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالم (١٥٦/٣)

(١٠)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا عليّ بن مـهديّ قال حدّثنا نجمُ بن النّطاح قال: عهدي بالبصرة وليس فيها غزلٌ ولا غزلةٌ إلاّ يرْوي من شعر بشّار، ولا نائحةٌ ولا مُغنيّةٌ إلاّ تتكسَّب به، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يهابُه ويخاف معرّة لسانه. (١٤٩/٣)

(١١)

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا أحمد بن خلاّد، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمرانَ الصُّيرفيّ، قالا حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي

---

(١) يريد به مروان آخر ملوك بني أمية الذي قتله أبو العبّاس السفاح بمصر. (٢) تعفو: تمحو، والمطا: الظهر.

قال قلتُ لبشّار: إنّك لتجيءُ بالشيءِ الهجين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال قلتُ: بينما تقول شعراً تُثيرُ به النقع وتخلعُ بهِ القلوب، مثل قولك:

إذا ما غضبنا غضْبةً مُضريّةً هتكنا حجاب الشمس أو تُمْطر الدما

إذا ما أعرْنا سيّداً من قبيلةٍ ذُرى مِنْبرٍ صلّى علينا وسلّما

تقول:

ربابةُ ربّةُ البيتِ تُصبُّ الخلَّ في الزَّيتِ

لها عشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصّوتِ

فقال: لكُلِّ وجهٌ وموضعٌ، فالقولُ الأوّلُ جدٌّ، وهذا قُلْتُه في ربابة جاريتي، وأنا لا آكلُ البيضَ من السُّوق، وربابةُ (هذه) لها عشرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمعُ لي البيض (وتحفظه عندها)، فهذا عندها مِنْ قولي أحسنُ مِنْ: «قفا نبْكِ مِنْ ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ» عندك(١). (١٦٢/٣)

(١٢)

أخبرني الحسن (بن عليّ) قال حدّثني أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قدامة بن نوح قال: كان بشّار يحشو شعره إذا أعوزتْه القافيةُ والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعرا له فقال فيه: غنِّني للغريض يابنَ قنانِ

فقيل له: مَن ابنُ قنان هذا، لسنا نعرفه من مُغنِّي البصرة؟ قال: وما عليكم منه! ألكم قِبلَهُ دينٌ فتطالبوه به، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدركوه، أو كفلتُ لكم به فإذا غاب طالبتُموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا وبينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نعرفه، فقال: هو رجل يُغنِّي لي ولا يخرُجُ من بيتي؛ فقالوا له: إلى متى؟ قال: مُذ يوم وُلِدَ وإلى يوم يموتُ. قال: وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة: ... ... ووافا ني هلالُ السماء في البردانِ(٢)

فقلنا: يا أبا معاذٍ أين البردان هذا؟ لسنا نعرفُه بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سمّيتُه

---

(١) لعلَّ بشاراً يشير هنا إلى مايسمّى بمطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي أفاض النقاد، والبلاغيون في الحديث عنه، ولعلَّ الجاحظ في الحيوان (٣٩/٣)، أقرب المتحدثين عن هذه القضية إلى هذا النصّ حين يقول: «لكلّ ضرب من الحديث، ضرب من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء، فالسخيف للسخيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية ... ».

(٢) هذه النقاط موضع بياض في أصول الكتاب نفسه.

البردان، أفعليكم مِنْ تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه!. (١٦٣/٣)

(١٣)

حدّثني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسّان دماذ ـ واسمه رفيعُ بن سلمة ـ قال حدّثني يحيى بنُ الجونِ العبْديّ راويةُ بشّار قال: كنا عند بشار يوماً فأنشدنا قوله:

وجاريةٍ خُلقتْ وحدها كأن النساء لديْها خدمْ
نُوار العذارى إذا زُرْنَها أطفْنَ بحوراءَ مثلِ الصَّنَمْ(١)
ظمئتُ إليها فلم تسْقني بريٍّ ولم تَشْفني من سقمْ
وقالت هويتَ فمتْ راشداً كما مات عُروةُ غماً بغمّ(٢)
فلما رأيتُ الهوى قاتلي ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عمّ
دسسْتُ إليها أبا مِجْلزٍ وأيّ فتىً إن أصابَ اعتزمْ
فما زال حتى أنابتْ له فراحَ وحلَّ لنا ما حُرُمْ

فقال له رجل: ومَنْ أبو مجلزٍ هذا يا أبا مُعاذ؟ قال: وما حاجتك إليه! لك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلة! هو رجل يتردّدُ بيني وبين معارفي في رسائل، قال: وكان كثيراً ما يحشُو شعره بمثل هذا. (١٦٤/٣)

(١٤)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الحجّاج قال: دخل بشّار على عُقْبة بن سلْم، فأنشده بعضَ مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤْبة يُنْشده رجزاً يمدحه به، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ؛ ثم أقبل على بشار فقال: هذا طرازٌ لا تُحْسنه أنت يا أبا مُعاذ؛ فقال له بشّار: ألي يُقال هذا! أنا والله أرْجزُ منك ومن أبيك وجدّك؛ فقال له عقبة: أنا والله وأبي فتحْنا للناس باب الغريب وباب الرّجز، ووالله إني لخليق أن أسُدّه عليهم؛ فقال بشّار: ارحمْهم رحمك الله! فقال عقبة: أتستخفّ بي يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس

(١) النوار: صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعاً حوله يدورون به، وهو وارد هنا على وجه التشبيه.

(٢) يشير إلى عروة بن حزام العذري صاحب عفراء، أحد العشّاق المشهورين الذين قتلهم العشق.

وطهّرهم تطهيراً: ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغضباً، فلما كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها:

يا طلل الحيِّ بذات الصَّمْدِ ... بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدي(١)
أوحشْتَ من دعدٍ وترب دعدِ ... سقْياً لأسماءَ ابنةِ الأشدِّ
قامت تراءى إذ رأتْني وحدي ... كالشَّمس تحت الزِّبرج المُنْقدِّ(٢)
صدَّت بخدٍّ وجلتْ عن خدِّ ... ثم انثنتْ كالنَّفس المرتدِّ
عهْدي بها سقْياً له من عهْدِ ... تُخلِفُ وعدا وتفي بوعدِ
فنحن من جهْد الهوى في جهدِ ... وزاهر من سبطٍ وجعْدِ
أفْدَى له الدّهرُ ولم يستهدِ ... أفوافَ نوْرِ الحبر المجدِّ
يلقى الضُّحى ريحانُه بسجْدِ ... بُدِّلتُ من ذاك بُكىً لا يُجدي
وافق حظّا من سعى بجَدِّ ... ما ضرُّ أهل النُّوْكِ ضعفُ الجدِّ
الحرَّ يُلْحى والعصا للعبدِ ... وليس للملحف مثلُ الردِّ
والنَّصفُ يكْفيك من التعدّي ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ(٣)
حملتُه في رُقعةٍ من جلْدي ... أرقُبُ منه مثلَ يوم الوِرْدِ(٤)
حتى مضى غيرَ فقيد الفقْدِ ... وما درى ما رغبتي من زُهدي
اسلمْ وحُيِّيتَ أبا الملدِّ ... مفتاحَ باب الحدث المنسدِّ
مُشترِكَ النَّيْلِ وَرِيُّ الزَّنْدِ ... أغرُّ لبّاسَ ثياب الحمدِ
ما كان منّي لك غيرُ الوُدِّ ... ثم ثناءٌ مثلُ ريح الوِرْدِ
نسجْتُه في مُحْكمات النُّدِّ ... فالبسْ طرازي غيرَ مُستردِّ
للّه أيامُك في معدِّ ... وفي بني قحْطانَ غيرُ عدِّ
يوما بذي طخْفةَ عند الحدِّ ... ومثلُه أودعتَ أرضَ الهندِ(٥)
بالمرْهفاتِ والحديد السَّرْدِ ... والمُقرباتِ المُبْعداتِ الجُرْدِ(٦)

---

(١) الصَّمْد: موضع في ديار بني يربوع. (٢) الزبرج: السحاب، والمنقدّ: المتقطِّع.

(٣) النَّصف: الإنصاف، ويقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممدّ. (٤) الورد: من أسماء الحمّى

(٥) طخفة: موضع بعد النباج، وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة، وفيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء. (٦) السَّرْد: الدروع، والجرد: الخيول.

إذا الحيا أكْدى بها لا تُكْدي تُلحِمُ أمراً وأموراً تُسْدي(١)

وابنُ حكيم إن أتاك يرْدي أصمُّ لا يسمعُ صوتَ الرعدِ(٢)

حيَّيته بتُحفة المُعدِّ فانهدَّ مثلَ الجبل المُنْهدِّ

كُلّ امرئٍ رهْنٌ بما يؤدِّي وربَّ ذي تاج كريم الجدِّ

كآلِ كسرى وكآل بُردِ أنكب جافٍ عن سبيل القصدِ(٣)

فصلته عن ماله والولْدِ

فطرب عُقبةُ بن سلْم وأجْزل صلته، وقام عقبةُ بن رُؤبة فخرج عن المجلس بخزيٍ، وهرب من تحت ليلته فلم يعُدْ إليه. وذكر لي أبو دُلف هاشمُ بن محمد الخُزاعيُّ هذا الخبر عن الجاحظ، وزاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سوءِ أدب عُقْبة بن رؤبة وقد أجملَ بشارٌ محْضره وعشرته، فقابله بهذه المقابلة القبيحة، وكان أبوه أعلم خلقِ الله به، لأنه قال له وقد فاخره بشعره: أنت يابُنيَّ ذهْبانُ الشِّعر إذا مُتَّ مات شعرُك معك، فلم يوجد من يرويه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يُعْرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالِّ على سُخفه وسقوطه وسُوءِ أدبه. (٣/١٧٤)

(١٥)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم: قال أبو النُّضير الشاعرُ: أنشدتُ بشّارا قصيدةً لي: فقال لي: أيجيئكَ شعرُك هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفيْنةِ بعد الفينةِ إذا تعمّلت له(٤)؟ فقلت: بل هذا شعرٌ يجيئني كلما أردتُه؛ فقال لي: قل فإنك شاعر؛ فقلت له: لعلّك حابيتني أبا مُعاذٍ وتحمّلت لي؛ فقال: أنتَ أبقاك اللهُ أهونُ عليّ من ذلك. (٣/١٨٠)

(١٦)

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن أبي يعقوب الخُريميّ الشاعر أنّ بشّاراً قال: لم أزل منذ سمعتُ قولَ امرئ القيس في تشبيهه شيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول:

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطْباً ويابساً لدى وكرها العُنّابُ والحشفُ البالي

---

(١) الحيا: المطر، وأكدى: بخل. (٢) يردي: يعدو. (٣) الأنكب: المائل. (٤) هذا سؤال خبير.

أعْمِلُ نفسي في تشبيه شيئين في بيتٍ حتى قلتُ:

كأنَّ مُثار النقعِ فوقَ رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه (١٩٦/٣)

(١٧)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان بشّار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويُحرّضه ويُشيرُ عليه، فلم تصل إليه حتى قُتل، وخاف بشّارٌ أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مُسلم والمدح والمشورة لأبي جعفرٍ المنصور، فقال:

أبا مُسلمٍ ما طيبُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عما قليلٍ بسالمِ

وإنما كان قال: أبا جعفرٍ ما طيبُ عيشٍ، فغيّره وقال فيها:

إذا بلغَ الرأيُ النصيحةَ فاستعنْ بعزْمِ نصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ
ولا تجعل الشُّورى عليك غضاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ
وخلِّ الهُوينى للضعيفِ ولاتكن نَؤوماً فإنَّ الحزم ليس بنائمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختها وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائمِ
وحاربْ إذا لم تُعطَ إلا ظُلامةً شبا الحربِ خيرٌ من قبول المظالمِ
وأدْنِ على القُرْبى المُقرَّبَ نفسه ولا تُشْهِدِ الشّورى امرأً غير كاتمِ
إذا كنتَ فرداً هرَّك القومُ مُقبلاً وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالعزائمِ(١)
وما قرعَ الأقوامَ مثلُ مشيَّعٍ أريبٍ ولا جلّى العمى مثلُ عالمِ(٢)

قال الأصمعيّ: فقلت لبشّار: إني رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: أما علمتَ أنَّ المشاورَ بين إحدى الحُسنيين: بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأ يُشاركُ في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر. (٢١٣/٣)

(١٨)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال: كان أبو العتاهية قضيفاً(٣)، أبيضَ اللون، أسودَ الشعر، له وفرة جعدة، وهيئة حسنة ولباقة

---

(١) يقال: فلان هرّه الناس إذا كرهوا ناحيته.

(٢) المشيّع: الشجاع، كأنّه قد شيّع قلبه بما يركب من الأهوال. (٣) القضيف: الدقيق العظم، القليل اللحم.

وحصافة، وكان له عبيد من السُّودان، ولأخيه زيد أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخزف في أتُّون لهم؛ فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجير لهم يُقال له أبو عباد اليزيديّ من أهل طاق الجرار بالكوفة، فيبيعه على يديه ويردّ فضله إليهم. وقيل: بل كان يفعل ذلك أخوه زيدٌ لا هو، وسُئل عن ذلك فقال: أنا جرّار القوافي(١)، وأخي جرّار التّجارة. (٨/٤)

(١٩)

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني روْح بن الفرج الحرمازيّ قال: جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول: لو شئتُ أن أجعل كلامي كلّه شعرا لفعلتُ. (١٣/٤)

(٢٠)

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرْب، قال حدّثني المعلّى بن عثمان قال: قيل لأبي العتاهية: كيف تقول الشعر؟ قال: ما أردتُه قطّ إلا مثَل لي، فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد(٢). (١٣/٤)

(٢١)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو عكْرمة قال: قال محمد بن أبي العتاهية: سُئل أبي: هل تعْرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض. وله أوْزانٌ لا تدخلُ في العروض. (١٣/٤)

(٢٢)

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سعْدان عن شيخ من أهل بغداد قال: قال أبو العتاهية: أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنُوا تأليفه كانوا شعراء كلُّهم. قال: فبينما نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مسحٌ: «ياصاحب المسْح تبيع المسْحَ؟». فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول:

يا صاحب المسح تبيع المسحا .. قد قال شعراً وهو لا يعلم. ثم قال الرجل: «تعال إن كنتَ تريد الرِّبح». فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم، قال له: تعالَ إن كنتَ تُريد الرّبحا (٣٩/٤)

---

(١) يعني يصنعها مثلما تُصنع الجرار. (٢) أي إنّ موهبته تسعفه في الأحوال جميعها، فيختار من نتاجها

(٢٣)

أخبرني يحيى بن عليّ إجازة قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال: جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ. فقلتُ: يا أبا إسحاق، أما يصعُب عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ مَن يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مُستكرهة؟ قال: لا. فقلت (له): إنّي لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافي السُّهلة. قال: فاعْرِضْ عليَّ ما شئتَ من القوافي الصعبة. فقلت: قل أبياتاً على مثل البلاغ. فقال من ساعته:

أيُّ عيشٍ يكون أبلغ من عيـ ... ـشٍ كفافٍ قُوتٍ بقدر البلاغِ[1]

صاحبُ البغْي ليس يسلمُ منه ... وعلى نفْسه بغى كلُّ باغي

رُبَّ ذي نِعمة تعرَّض منها ... حائلٌ بينه وبين المساغِ

أبْلغ الدهرُ في مواعظه بل ... زاد فيهنّ لي على الإبلاغِ

غبنتْني الأيامُ عقلي ومالي ... وشبابي وصحّتي وفراغي

(٤٠/٤)

(٢٤)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبّار الفزاريّ قال: اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره، وعلى ظهره قفصٌ فيه فخّار يدور به في الكوفة ويبيع منه، فمرّ بفتيان جلُوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه، فسلّم ووضع القفص عن ظهره، ثم قال: يا فتيانُ أراكم تذاكرون الشعر، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه، فإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم؛ فهزئوا منه وسخروا به وقالوا نعم. قال: لابدّ أن يُشْترى بأحد القمارين رُطبٌ يُؤكل فإنه قمار حاصل، وجعل رهْنه تحت يد أحدهم، ففعلوا، فقال: أجيزوا: ساكني الأجداثِ أنتُمْ وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يجيزوا البيتَ، غُرِّموا الخطر[2]؛ وجعل يهزأ بهم وتمّمه:

مثلنا بالأمس كُنتم

ليت شعري ما صنعتم ... أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة طويلة في شعره. (٤٧/٤)

---

(١) البلاغ هنا: الكفاية. (٢) الخطر: الرهان.

(٢٥)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا: وقعتْ رقعةٌ فيها بيتا شعرٍ في عسكر المأمون؛ فجيء بها إلى مُجاشع بن مسْعدة، فقال: هذا كلام أبي العتاهية، وهو صديقي، وليست المخاطبة لي ولكنّها للأمير الفضل بن سهل. فذهبوا بها، فقرأها وقال: ما أعرف هذه العلامة. فبلغ المأمونَ خَبَرَها فقال: هذه إليّ وأنا أعرف العلامة. والبيتان:

ما على ذا كنّا افترقنا بسندا ... نَ ومــا هكـذا عهدنا الإخاء(١)

تضْـرِبُ النـاس بالمُهنّدة البيــ ... ـضِ على غدْرهم وتنْسى الوفاء

قال: فبعث إليه المأمون بمالٍ. (٤/٤٩)

(٢٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمروس صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية، قال: كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً، سمعتُ بِشْراً المرِّيسيّ يقول له: يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلان جارك وإمام مسجدكم؛ فإنه مُشبِّه(٢). قال: كلاّ! إنّه قرأ بنا البارحة في الصّلاة: «قُلْ هوَ الله أحدٌ»؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ «قُلْ هو الله أحد». (٤/٨٠)

(٢٧)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: أقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلّم بالشعر. (٤/٥)

(٢٨)

وإنّما سمّي النابغة لأنه أقام مدّةً لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله (الجعديّ). (٤/٥)

---

(١) سندان: مدينة ملاصقة للسند.

(٢) المشبِّه: الذي يرى رأي المشبِّهة، وهم فرقة من الشيعة يقولون: إنّ معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إمّا روحانية وإمّا جسمانية، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكّن.

(٢٩)

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على القحْذميّ: قال الجعديّ الشعر في الجاهلية ثم أجْبل دهراً ثم نبغ بعدُ في الشعر في الإسلام. (٥/٥)

(٣٠)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثني عيسى بن أيوب القُرشيّ قال حدّثني غيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حرْب عن أبيه قال: مررتُ بابن هرْمة وهو جالس على دُكّان(١) في بني زُريق، فقلت له: يا أبا إسحاق، ما يُجلسك هاهنا؟ قال: بيت كنت قلته ثم انقطع عليَّ الرويّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه، فأبغضته وتركته؛ قلت: ما هو؟ قال:

فإنك واطِّراحك وصلَ سُعْدى　　لأخرى في مودّتها نُكوبُ

قال: قلته ثم انقطع بي فيه؛ فمرّت بي جُويرية صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأكلّمها إذا مرّت بي، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد ورم وجهها وتغيّر خلْقُها، (عمّا أعرف)، فسألتُها عن خبرها فقالت: (كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره) فاستعار لي أهلي حلْياً وثقبوا أذني لألبسه فورم وجهي وأذناي كما ترى، فردّوه ولم أشهد العُرْس؛ قال ابن هرْمة: فاطَّردَ لي الشعرُ فقلت:

كثاقبةٍ لحلْي مستعارٍ　　بأذنيها فشانهما الثقوبُ
فردّت حَلْي جارتها إليها　　وقد بقيت بأذنيها نُدوبُ　　(٢١٤/٥)

(٣١)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشد شعره وأنا أسمع منه، فلمّا فرغ أخذ بيده كُبّة شعر فألقاها في فمي فابتلعتها؛ فأوّلَ ذلك بعضُ مَن ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعر. قال يزيد بن محمد: وكذلك كان، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه. (٢٧٤/٥)

---

(١) الدّكان: الدّكة المبنية للجلوس عليها.

(٣٢)

المرقَّش لقب غلب عليه بقوله: الدار وحْشٌ والرسومُ كما   رقّش في ظهر الأديم قلَمْ

وهو أحد من قال شعرا فلُقِّب به. واسمه - فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْباني - عمرو.   (١٢٧/٦)

(٣٣)

أخبرني علي بن العبّاس قال حدّثني الحسين بن علّوان قال حدّثني العبّاس بن عُبيد الله الكاتب قال: كان حسين بن الضّحاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلثٌ من الليل، فأمر بأن يبيت مكانه، فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون، فقال لحسين: هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبها؟ فقال: لم يمض شيء وأنا أقول الساعة؛ وفكر هنيهةً ثم قال:

حثَّتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاّهي   وطاب يومي بقرب أشباهي
فاستَثْر اللهو من مكامنه   من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي
بابنة كرْمٍ من كفّ منتطقٍ   مؤزّرٍ بالمُجون تيّاه
يسقيك من طرفه ومن يده   سقيَ لطيف مجرِّبٍ داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربها   حيرانُ بين الذكور والساهي

قال: فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته، واصطبح يومه ذلك معهم؛ وقال: نحقِّق قولك ياحسين ونقضي لك كلَّ أرب وحاجة.   (١٦٠/٧)

(٣٤)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن مُغيرة المهلّبيّ قال حدّثنا حُسين بن الضّحاك قال: كانت لي نوْبةٌ في دار الواثق أحضرها جلس أو لم يجلس. فبينا أنا نائم ذاتَ ليلة في حجرتي، إذ جاء خادم من خدم الحُرم فقال: قُمْ فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له: وما الخبر؟ قال: كان نائماً وإلى جنْبه حظيّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً، فألمّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد إلى فراشه؛ فغضبتْ حظيّتُه وتركتْه حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتها؛ فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال اخْتُلستْ عزيزتي، ويحكم أين هي! فأُخبِر أنها قامت غضبى ومضت إلى حجرتها، فدعا بك. فقلت في طريقي:

غضبتْ أنْ زُرْتُ أخرى خِلْسةً   فلها العُتْبى لدينا والرِّضا
يا فدتْكِ النفسُ كانت هفوةً   فاغفريها واصفحي عمّا مضى

واتركي العذلَ على مَن قالـه　　وانسُبي جوْري إلى حكم القضا

فلقــد نبّهــتني مَــن رقْدتـــي　　وعلى قلبي كنيــرانِ الغـضــا

قال: فلما جئتُه خبّرني القصةَ وقال لي: قُلْ في هذا شيئاً؛ ففكرّتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات. فقال: أحسنتَ وحياتي! أعِدْها يا حسين؛ فأعدتُها عليه حتى حفظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي. (١٦٠/٧)

(٣٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قال: كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضّحاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوى خادماً له؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه، وكان جالساً في صحْنٍ حوله نرجس في قمر طالع حسنٍ؛ فقال للحسين: قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنِّي فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

وصف البدرُ حسن وجهك حتى　　خِلْتُ أنّي وما أراك أراكـــا

وإذا ما تنفّس النرجسُ الغضُّ　　توهمْتُــه نسـيمَ شـــذاكــا

خُـــدَعٌ للمُنى تعلّلُني فيــــ　　ـك بإشـراق ذا ونفـحـة ذاكـا

لأدُومنّ يا حبيبي على العهـد　　لهـــذا وذاك إذ حكيـاكـــا

قال عمرو: فقال له صالح: تغنَّ فيها، فتغنّيتُ فيها من ساعتي. (١٦٨/٧)

(٣٦)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أبي قال: أحبَّ المتوكل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضّحاك وأن يرى ما بقي من شهوته لما كان عليه؛ فأحضره وقد كبر وضعُف، فسقاه حتى سكر، وقال لخادمه شفيع: اسقه، فسقاه وحيّاه بوردةٍ، وكانت على شفيع ثيابٌ مورّدة؛ فمدّ الحسينُ يده إلى ذراع شفيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أتجمّشُ أخصَّ خدمي عندي بحضْرتي! فكيف لو خلوت! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكلُ غمز شفيعاً على العبث به. فقال الحسين: يا سيّدي، أريد دواةً وقرطاساً، فأمر له بذلك، فكتب بخطّه:

وكالوردةِ الحمْراء حَيّــا بأحمرٍ　　من الورد يمشي في قراطق كالوردِ(١)

---

(١) القراطق: جمع قرطق: قباء ذو طاق واحد.

لـــه عبثاتٌ عنــد كـــلِّ تحيَّـــةٍ بعينيه تستدعي الحليمَ إلى الوجدِ
تمنيَّتُ أن أسقى بكفَيْه شرْبَةً تذكِّرني مـا قـد نسيتُ من العـهـدِ
سـقى الله دهراً لم أبِتْ فيـه ليلةً خلياً ولكـن من حـبـيب على وعـدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له: ادفعْها إلى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنتَ والله يا حُسين! لو كان شفيع ممن تجوز هبتُه لو هبتُه لك، ولكن بحياتي إلاَّ كنت ساقيه باقي يومه هذا وأخدُمْه كما تخدمُني؛ وأمر له بمال كثير حُمل معه لمَّا انصرف. قال أحمد بن يزيد فحدَّثني أبي قال: صِرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكّل بأيام، فقالت له: ويْلك! أتدري ماصنعتَ؟! قال نعم أدري؟ وما كنتُ لأدعَ عادتي بشيء! وقد قلتُ بعدك:

لا رأى عطْـفـة الأحبَّـــة مَــن لا يُصـــرِّحُ
أصـغرُ الساقيْين أشـــكـــلُ عنـدي وأمْلـــحُ
لو تراه كـالظّبْي يســـنـــح حــيناً ويبـــرح
خِلْتَ غصناً على كثيــــبٍ بنـــورٍ يرشّـــــح

(١٧٠/٧)

(٣٧)

أخبرني عليّ بن سليمـان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد المبرّد، وحدّثني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرُّوميّ قال: اجتمع حسين بن الضّحاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشميّ فاحتبسهما عنده. وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحم وكان عمرو بن بانة يتعشّقه ويُسِرُّ ذلك من ابن شغوف. فلمّا أكلوا ووضُع النبيذُ قال عمرو بن بانة للحسين: قل في مُقْحمٍ أبياتاً أغنِّ فيها الساعة. فقال الحسين:

وا بأبـي مُقْحــمٌ لعزَّتــه قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتتِمـا
تحبُّ بالله من يخصّك بالودِّ فمــا قــال لا ولا نعمـــا

وغنّى فيه عمرو. (١٧٢/٧)

(٣٨)

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال حدّثنا أبو هفّان قال: سألت حسين بن الضّحاك عن خبره المشْهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه

وبات عنده وكيف كان ابتداؤه، فقلت له: إني أشتهي أن أسمعه منك. فقال لي: دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وسميٌّ من المطر فرشَّ رشّاً حسناً، واليومُ في أحسن منظر وأطيبه، وهو جالس على سرير أبنُوس وعليه قُبَّةٌ فوقها طارمةٌ(١) ديباجٍ أصفر وهو يُشْرِفُ على بستان في داره، وبين يديه وصائفُ يتردَّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدّينار؛ فسلّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، ونظر إليَّ كالمستنطق؛ فأنشدتُ أقول:

ألستَ ترى ديمةً تهْطلُ ... وهذا صباحُكَ مُسْتقبلُ

فقال: بلى. فقلت: وتلك المُدامُ وقد شاقنا ... برؤيته الشادنُ الأكحلُ

فقال: صدقت فمهْ؛ فقلتُ: فعاد به وبنا سكْرةٌ ... تهوِّن مكروه ما نسألُ

فسكت. فقلت: فإني رأيت له نظرةً ... تُخبرُني أنه يفعلُ

ثم قال: مهْ؛ فقلت: وقد أشكل العيشُ في يومنا ... فيا حبّذا عيشُنا المُشْكِلُ

فقال: العيش مشكل، فما ترى؟ فقلت: مبادرةُ القصْف وتقريبُ الإلْف. قال: على أن تقيم معنا وتبيت عندنا فقلت له: لك الوفاءُ وعليك مثلُه لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني، . فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً. ولم أرَ الغلامَ، فسألتُ عنه فقال لي: الساعة يجيء، فلم نلبث أن وافاني؛ فسألته أين كان؟ فقال: كنت في الحمّام وهو الذي حبسني عنك. فقلتُ لوقتي:

وابأبي أبيضُ في صُفْرةٍ ... كأنّه تِبْرٌ على فضّه

جرّده الحمّامُ عن دُرّةٍ ... تلوحُ فيها عُكَنٌ بضّه (١٧٨/٧)

(٣٩)

حدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن مروان قال حدّثني حسين بن الضّحاك قال: كان صالح بن الرشيد يتعشّق غلاماً يسمّى يُسْراً خادم أخيه أبي عيسى، فكان يُراوده عن نفسه فيعده ولا يفي له. فأرسله أبو عيسى ذات يومٍ إلى صالح أخيه في السّحر يقول له: يا أخي إني قد اشتهيتُ أن أصْطبح اليوم، فبحياتي لما ساعدتني وصرْتَ إليَّ لنصطبح اليوم جميعاً.

---

(١) الطارمة: بيت من خشب كالقبّة، وهو دخيل أعجميّ معرّب، والمراد به هنا ستر رقيق مظلّل به الكرسي.

فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه في السَحر وهو مُنْتش قد شرب في السَّحر، فأبلغه الرسالة؛ فقال: نعم وكرامة، اجلس أوّلاً فجلس؛ فقال: يا غلام أحضرني عشرة آلاف درهم فأحضرها؛ فقال له: يا يُسْر دعْني من مواعيدك ومَطْلك، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واقْضِ حاجتي، وإلاّ فليس ها هنا إلا الغصْب؛ فقال له: يا سيدي؛ إني أقضي الحاجة ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوعه، فقضى حاجته، وأمر صالحُ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين: ثم خرج إليّ صالح من خلْوته فقال: يا حسين، قد رأيتَ ما كنّا فيه، فإن حضرك شيءٌ فقل؛ فقلت:

أيا مَنْ طرْفُه سحْرٌ ومَنْ ريقتُه خمرُ
تجاسرتُ فكاشفتُـ ـك لمّا غُلبَ الصبرُ
وما أحْسَنَ في مثلِـ ـك أن ينْهتكِ السِّتْرُ
وإنْ لامني النّاس ففي وجهك لي عذرُ
فدعْني من مواعيـ ـدك إذ حيّنك الدهرُ
فلا واللهِ لا تبر حُ أو ينقضيَ الأمرُ
فإمّا الغصْبُ والذّم وإما البذلُ والشكرُ
ولو شئتَ تيسّرتَ كما سُمّيتَ يا يُسْرُ
وكن كاسمك لا تمْنـ ـعكَ النّخْوةُ والكِبْرُ
فلا فُزْتُ بحظّي منـ ـك إن ذاع له ذكرُ

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لعمْري تيَسر يُسْرٌ كما ذكرت. فقلت: نعم ومَنْ لا يتيسّر بعد أخذه الدِّيَة! لو أردتني أيضاً بهذا لتيسّرتُ. فضحك ثم قال: نُعطيك يا حُسين الدِّيَة لحضورك ومساعدتك، ولا نُريدك لما أردنا له يُسْراً، فبئست المطيّةُ أنت! وأمر لي بها. (١٨٨/٧)

(٤٠)

حدّثني أحمد بن العباس قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال حدّثني مهديّ بن سابق قال: قال الواثق لحسين بن الضّحاك: قل الساعة أبياتاً ملاحاً حتى أهبَ لك شيئاً مليحاً؛ فقال: في أيّ معنى يا أمير المؤمنين؟ فقال: امْدُدْ طرْفك وقل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصِفْه. فالتفتُّ فإذا ببساط زهره قد تفتّحت إنواره أشرق في نُور الصبح؛ فأرْتِج عليّ ساعةً حتى خجلتُ وضقْتُ ذرْعاً، فقال لي الواثقُ: مالك ويْحك! ألستَ ترى نُورَ صباح، ونَوْر أقاح! فانفتح

القولَ فقلت(١):

أَلستَ ترى الصبحَ قد أَسفرا ... ومُبْتكر الغيث قد أمْطرا
وأسفرتِ الأرضُ عن حُلّة ... تُضاحك بالأحمر الأصفرا
ووافاك نيسانُ في ورده ... وحثّك في الشُّرْب كي تسكرا
وتُعْمِل كأسين في فتية ... تُطارد بالأصغر الأكبرا
يحُثّ كؤوسهم مُخْطَفٌ ... تُجاذبُ أردافُه المِئْزرا
ترجّل بالبان حتى إذا ... أدار غدائره وفَرّا
وفضّضَ في الجُلّنارِ البها ... ر والأبنوسة والعبهرا(٢)
فلمّا تمازج ما شذّرتْ ... مقاريضُ أطرافه شذّرا
فكلٌّ يُنافس في برّه ... ليفعل في ذاتِه المُنْكرا (١٩٦/٧)

(٤١)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أبي قال: كان الواثق يلاعب حسين بن الضحّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه، وكان الواثق يتحظاه، فجعل يلعب وينظر إليه، ثم قال للحسين بن الضحّاك: إن قلتَ الساعة شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرح به فقال الحسين:

أُحبُّك حبّاً شابه بنصيحة ... أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيقُ
وأقسم ما بيني وبينك قُرْبةٌ ... ولكنّ قلبي بالحسان علوق

فضحك الواثق وقال: أصبت ما في نفسي وأحسنت. وصنع الواثق فيه لحنا. (٢٠١/٧)

(٤٢)

أخبرني عمّي قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم وعبد الله بن أبي سعد قالا حدّثنا محمد بن محمد الأنباريّ قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال: كنتُ عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن

---

(١) هذه هي البديهة التي فرّق ابن رشيق بينها وبين الارتجال، وهي التي «فيها الفكرة والتأيد» العمدة (٣٥١/١)، وقد احتاج الحسين إلى هذه الفكرة قبل أن يفتتح القول عليه.

(٢) الجلّنار: زهر الرُّمان، والبهار: نبت له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع، والأبنوسة: ضرب من الخشب إذا وُضع على جمر بخرٌ بخاراً طيّب الرائحة، والعبهر: الياسمين والنرجس.

الرّبيع وهو مُضْطبعٌ وخادم له يسقيه؛ فقال لي: يا أبا عليّ، قد استحسنتُ سقي هذا الخادم؛ فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل؛ فقلت:

أحيتْ صبُوحي فكاهةُ اللاهي — وطاب يومي بقرب أشباهي
فاستثر اللهو من مكامنه — من قبل يوم منغّص ناهي
بابنةِ كرْم من كفّ مُنْتطقٍ — مؤتزر بالمجون تيّاه
يسقيك من طرْفه ومن يده — سقْيَ لطيفٍ مجرّب داهي
كأساً فكأساً كأن شاربها — حيرانُ بين الذُّكور والساهي

قال: فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقية يومنا. (٢١٦/٧)

(٤٣)

وروى الحسن بن عليّ بن المعتزّ الكوفيّ عن أبيه عن السيّد قال: رأيتُ النبيّ (ص) في النوم وكأنه في حديقةٍ سبخةٍ(١) فيها نخل طوالٌ وإلى جانبها أرض كأنها الكافورُ ليس فيها شيء، فقال أتدْري لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول الله قال: لامرئ القيس بن حُجْر، فاقلعها واغرسها في هذه الأرض ففعلتُ. وأتيتُ ابن سيرين فقصصتُ رؤياي عليه؛ فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا؛ قال: أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس إلا أنّك تقوله في قوم بررة أطهار قال: فما انصرفتُ إلاّ وأنا أقول الشعر. (٢٣٧/٧)

(٤٤)

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني إسحاق بن محمد النَّخعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال: كنّا كثيراً ما نقول للسيّد: مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء؟ قال: لأنْ أقول شعراً قريباً من القلوب يلذّه مَنْ سمعه خيرٌ من أن أقول شيئاً تضلّ فيه الأوهام. (٢٤٧/٧)

(٤٥)

وقال عليّ بن المغيرة حدّثني عليّ بن عبد الله السدوسي عن المدائنيّ قال: كان السيّد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل عليّ رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً.

---

(١) السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلاّ بعض الشجر.

فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه؛ فوقف بالكُناسة ثم قال: يا معشر الكوفيّين، مَن جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيتُه فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يُحَدِّثونه ويُنشدهم؛ حتى أتاه رجل منهم وقال: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب؛ فلبس ثيابه وأراد لُبْسَ الخُفّ فلبس أحد خُفَّيه، ثم أهْوى إلى الآخر ليأخذه فانقضّ عُقابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسود(١) وانساب فدخل حُجْراً؛ فلبس عليٌّ رضي الله عنه الخُفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً؛ ففكر هنيهةً ثم قال:

ألا يا قومِ للعجب العُجابِ　　　لخُفّ أبي الحسين وللحُبابِ(٢)

أتى خُفّاً له وانساب فيه　　　لينْهش رجلَه منه بناب

فَخَرَّ من السماء له عُقابٌ　　　من العِقبان أو شِبْهُ العُقابِ

فطار به فحلّق ثم أهوى　　　به للأرض من دون السَّحاب

إلى جُحْرٍ له فانساب فيه　　　بعيدِ القعرِ لم يُرْتَجْ بباب

كريهُ الوجه أسودُ ذو بصيصٍ　　　حديدُ النّاب أزرقُ ذو لُعابِ

ودُوفع عن أبي حسنٍ عليٍّ　　　نقيعُ سِمامه بعد انسيابِ

ثم حرّك فرسه ومضى وجعل تشْبيبها بعد ذلك:

صبوتُ إلى سُلَيْمى والرَّباب　　　وما لأخي المشيب وللتَّصابي　　　(٧/٢٥٦)

(٤٦)

أناةٌ فإن لم تُغْنِ عقّب بعدها　　　وعيداً فإن لم يُغْنِ أغنتْ عزائمه

الشعر لإبراهيم بن العبّاس، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أوّل. هذا بيتٌ قاله إبراهيمُ وهو لا يعلم أنه شعر، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه: «وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناةً، فإن لم تُغْن عقّب بعدها وعيداً، فإن لم يُغْنِ أغْنتْ عزائمُه». فلما تأمّله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره.　　　(١٠/٤٢)

(٤٧)

وأمّا إبراهيم بن العبّاس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتّاب، وكان عبدُ الله أسنَّهما

---

(١) الأسود: العظيم من الحيات.　(٢) الحُباب: الحيّة.

وأشدُّهما تقدُّما، وكان إبراهيم أدبهماوأحسنهما شعراً، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويُسْقط رَذْله، ثم يُسقط الوسط، ثم يسقط ما يُسْبَق إليه. فلا يدعُ من القصيدة إلا اليسير(١)، وربما لم يدعْ منها إلاَّ بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

ولكنَّ الجوادَ أبا هشـامٍ ۝ وفيُّ العهدِ مأمونُ المغيبِ

وهذا ابتداء يدُلّ على أن قبله غيره؛ وقوله في أخيه:

ولكنّ عبد الله لما حـوى الغنى ۝ وصـار له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضاً ابتداء يدلّ على أنّ قبله غيره. (٤٣/١٠)

(٤٨)

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني ابن السّخيّ قال: وهب عبد الله بن العبّاس لأخيه إبراهيم ثُلُثُ ماله، ووهب لأخته الثلث الآخر، فسار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم:

ولكنَّ عبد الله لمّا حوى الغنى ۝ وصـار لـه من بين إخـوته مـالُ

رأى خَلَّةً منهـم تُسـدُّ بماله ۝ فساهمهم حتى استوتْ بهمُ الحالُ

وهذا مما عيب على إبراهيم قوله ابتداءً «ولكنَّ عبد الله» وقد كرّره في شعره فقال:

ولكـنَّ الجـوادَ أبـا هشـام ۝ وفـيُّ العهـد مـأمـونُ المغيبِ

بطـيءٌ عنك مـا اسـغنيتَ عنه ۝ وطلاَّعٌ عليك مع الخطـوبِ

والسبب في ذلك اختيارهُ شعره وإسقاطُه مالم يرْضه منه. (٥٠/١٠)

(٤٩)

وليحيى أشعارٌ كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لنعرف أعراق مروان (بن أبي حفصة حفيده) في الشعر. (٧٧/١٠)

---

(١) هذا لون من الإصلاح يبلغ فيه صاحبه منتهى التجويد، إذ يبدأ بإسقاط الرذل، ثمّ الوسط، فما سُبق إليه، ولا تبقى من القصيدة غير أبيات قليلة، وهذا يشير إلى شدّة البصر بالشعر، والنفاذ في معرفة أنواعه: العالي، والوسط، والرديء، وهو يدلّ كذلك على اطّلاع واسع على الشعر المتقدّم، والمعاصر بحيث يؤدي هذا الاطلاع إلى نفي الأبيات التي تشبه ما قاله غيره، ولا يكون هذا بغير ذلك الاطلاع، وهذا طراز نادر من (الشعراء النقّاد).

(٥٠)

... قال مروان بن أبي حفصة لخلف: إنّي إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتُها في حول. أقولها في أربعة أشهر، وأنتخلُها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة أشهر(١). (٨٢/١٠)

(٥١)

أخبرني عليّ بن الحسين قال حدّثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدّثني أحمد بن حمْدون قال: لما افتُتحت أرْمينية وقُتل إسحاق بن إسماعيل دخل عليّ بن الجهْم فأنشد المتوكّل قصيدته التي يُهنِّيه فيها بالفتح ويمدحه، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاق بن إسماعيل:

أهْلاً وسَهلاً بك من رسولِ جئتَ بما يشْفي من الغليل
بجملةٍ تُغْني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
قهْراً بلا ختْلٍ ولا تطويل

فاستحسن جميعُ مَنْ حضر ارتجاله هذا وابتداؤه، وأمر له المتوكّل بثلاثين ألف درهم، وتمّم القصيدة. وفيها يقول:

جاوز نهْرَ الكُرِّ بالخيول تردى بفتْيان كأسْد الغيل(٢)
مُعوَّداتٍ طلبَ الذُّحُول خُزْر العيون طيبي النُّصول(٣)
شُعْثٌ على شُعْث من الفحول جيشٌ يلفُّ الحزْنَ بالسُّهولِ
كأنّه مُعْتلجُ السُّيول يسُوسُه كهْلٌ من الكهولِ
لا ينثني للصَّعْب والذُّلُول على أغرُّ واضح الحُجولِ
حتى إذا أصْحر للمخْذول ناجزه بصارمٍ صقيلِ
ضرْباً طِلَحْفاً ليس بالقليل ومنْجنيق مثْلِ حلْقِ الفيلِ(٤)

---

(١) كأنّه يشابه في هذا شعراء الحوليات الذين يبقون القصيدة عاماً كاملاً قبل إذاعتها، يصلحونها، ويعيدون فيها النّظر. (٢) الكرّ: نهر بين أرمينية وأرّان يشقّ مدينة تفليس، وتردى الخيل ردياً ورديانا: ترجم الحصا بحوافرها من شدّة وطئها.

(٣) الذّحول: جمع ذحل وهو الثأر، وخُزْر: جمع أخزر وخزراء، وخزر العين: ضيقها، وهو كناية عن الغضب.

(٤) طلحفاً: شديداً.

ترْفضُ عن خُرْطومـه الطويل ... طواعـقٌ من حـجـر السِّجِّيل
تترك كـيدَ القومِ في تضْليل ... مـا كـان إلاَّ مِثْلُ رجْـع القيل
حتى انْجلت عن حزبه المَفْلولِ ... وعـن نســاءٍ حُسَّـرٍ ذُهُــولِ
صـوارخٍ يَعْثـرُن في الذُّيول ... ثواكـــلُ الأولاد والبُعُـــول
لا والذي يُعْـرف بالعـقــول ... من غـيـر تحـديدٍ ولا تمثيلِ
مـــا قـــام للــه وللرســول ... بالدِّين والدُّنيــا وبالتَّــريلِ

خليفـــةٌ كجعـفر المأمـولِ (۲۳۱/۱۰)

(٥٢)

حدّثني جعفر بن قدامة قال: كنّا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشرُ وكان يحبّها ويهيم بها. فخرجتْ علينا من صدر البستان في زمن الربيع، وعليها غلالة معصفرة وفي يديها جنَّابي[1] باكورة باقّلا. فقالت له: يا سيدي تلعب معي جنّابي؟ فالتفت إلينا وقال على بديهته غير متوقف ولا مفكّر:

فديتُ مَنْ مرَّ يمشي في معصفرة ... عشـــيَّةً فســقــاني ثمّ حيّانــي
وقــال تلعــبُ جنّابــي فقلـــتُ لــه ... مَنْ جاد بالوصل لم يلعب بهجرانِ (۲۸۰/۱۰)

(٥٣)

... قال يعقوب بن السِّكِّيت: كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث (بن حلّزة قصيدته: آذنتنا ببينها أسماءُ) في موقف واحد ويقول: لو قالها في حولٍ لم يُلَمْ[2]. (۱۱/٤٥)

(٥٤)

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق، وأخبرني محمد بن مزْيدٍ عن حمّاد عن أبيه قال: وُلد للفضْل بن يحيى مولودٌ، فوفد عليه أبو النُّضير ولم يكن عرف الخبر فيُعدّ له تهنئة، فلمّا مثل بين يديه ورأى الناس يهنّئونه نثْراً ونظْماً قال ارتجالاً:

ويفْـرحَ بالمولـودِ مــن آلِ برْمــكٍ ... بغاةُ النّدى والسّيفِ والرُّمحِ والنَّصْلِ

(۱) الجنّابي: لعبة للصبيان يتجانب الغلامان فيعتصم كلّ واحد عن الآخر، وجنّابي باقلا يظهر أنّه شيء كالسلّة.
(۲) ينظر التعليق على النصّ الرابع/ العصر الجاهلي من نصوص هذه القضية.

وتنْبســطُ الآمــالُ فــيــه لفـضـله

ثم أرتِـج عليه فَلَمْ يدْر ما يقول: فقال الفضل يلقنه: ولا سيَّما إنْ كان من ولدِ الفضل فاستحسن الناس بديهة الفضلِ في هذا، وأمر لأبي النُّضير بصلة. (٢٨٥/١١)

(٥٥)

وقد أخبرني محمد بن مزْيد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن أبي سعيد مولى قائد قال: لمّا أتانا قتلُ عبد الله بن عليٍّ مَن قتل من بني أميَّة كنتُ أنا وفتىً من ولد عثمان وأبو عديّ العبليُّ مُتوارين في موضع واحد، فلحقني من الجـزْع ما يلحق الرجل على عشيرته، ولحق صاحبيَ كما لحقني، فبكينا طويلاً، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا، فقال كلّ واحد منّا بعضها غير محصلٍ (ما) لكلِّ واحدٍ منّا فيها، قال: ثم أنشدنيها، فأخذتُها من فيه(١):

تقــول أمامــةُ لَمّــا رأتْ نُشوزي عن المضجع الأنْفس (٣٠٢/١١)

(٥٦)

... قال الرياشي: ... كان منصور النمري من تعليم العتّابي وتخريجه(٢). (١١٨/١٣)

(٥٧)

قال عبد الله بن يزيد الكاتب: ... كان عبد الصمد (بن المعذّل) سريعاً في قول الشعر، وكان في أبي تمام إبطاء. (٢٥٣/١٣)

(٥٨)

حدثني أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال: حدثني أبي قال: قال يحيى بن أكْثم لمحمد بن حازم الباهليّ: ما نعيبُ شعرك إلاّ أنك لا تطيل؛ فأنشأ يقول:

أبي لي أن أطيل الشعر قصْدي إلى المعْنى وعلْمي بالصَّوابِ

وإيجــازي بمُخْتـصــرٍ قريــبٍ حـذفـتُ به الفـضـول من الجـوابِ

فــأبعثُــهنَّ أربعــةً وخــمْســاً مُـثــقّفــةً بألفــاظٍ عــذابِ

---

(١) كأنّهم صنعوا هذه القصيدة مجتمعين، كلّ واحد يصنع أبياتاً، وضُمّت الأبيات إلى بعضها ونُسبت بعد هذا للعبلي. (٢) من تعليم العتّابي: أي من تلاّميذه.

خوالدَ ماجدا ليلٌ نهاراً ... وما حسُن الصِّبا بأخي الشَّبابِ
وهُنَّ إذا وسَمتُ بهنَّ قوماً ... كأطواقِ الحمائم في الرِّقابِ
وهُنَّ إذا أقمتُ مُسافراتٌ ... تهادتْها الرُّواةُ مع الرِّكابِ (٩٨/١٤)

(٥٩)

أخبرني بذلك محمد بن خلف وكيعٌ قال: حدّثنا ابن أبي خيْثمة عن بعض رجاله عن الأصمعيّ، وأخبرني وكيعٌ قال: حدّثني طلْحة بن عبد الله الطّلْحيّ قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: كان ابن أبي الزوائد يتعشّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهيبيِّين(١)، وكان يختلف إليها وهي في النُّخْل بحاجزة. فلمّا حان الجدادُ قال:

حُجيْجُ أمسى جدادُ حاجزةٍ ... فليت أنَّ الجداد لم يحنِ(٢)
وشتّ بيْنٌ وكُنْتِ لي سكناً ... فيما مضى كان ليس بالسَّكنِ(٣)
قد كان لي منْكِ ما أسرُّ به ... وليتَ ما كان منكِ لم يكُنِ
نعفُ في لهْونا ويجْمعُنا الـ ... ـمجْلسُ بين العريش والجرنِ(٤)
يُعْجبُنا اللّهْوُ والحديثُ ولا ... نخلط في لهْونا هناً بهنِ
لوْ قدْ رحلتُ الحمارَ منكشفاً ... لم أرها بعْدها ولم ترني

فقال له أبو محمد الجُمَحيُّ: إنَّ الشعراء يذكرون في شعرهم أنّهم رحلوا الإبل والنَّجائب، وأنت تذكر أنّك رحلْتَ حماراً، فقال: ما قلتُ إلاّ حقّاً، والله ما كان لي شيء أرْحلُه غيره(٥).

(١٢١/١٤)

---

(١) الصهيبيون: نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي، الصحابي الذي شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله (ص)، توفي بالمدينة سنة (٣٨هـ)، رضي الله عنه.

(٢) جد النخل: صرمه وقطعه، وأمس هنا تامّة، وحاجزة: اسم البقعة التي كان فيها النخل.

(٣) شتّ: فرّق، والبين: البعد والفراق.

(٤) الجُرْن: موضع تجفيف التمر.

(٥) كأنَّ أبا محمد الجمحي يأخذ على الشاعر خروجه على التقلي المتبّع في القصيدة العربية من حيث استخدام الإبل لرحيل، بينما يذكر الشاعر هنا أنّه استخدم حماراً، وفي هذا يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٧٦/١): «وليس لمتأخّر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدّمين في هذه الأقسام، فيقف على منزل عامر أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما، لأنَّ المتقدّمين رحلوا على الناقة والبعير».

(٦٠)

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسّان دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لمّا قال حمّاد عجرد في بشّار:

شبيهُ الوجه بالقردِ إذا ما عمي القــردُ

بكى بشّار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حمّاد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنّه يراني ولا أراه، فيصفُني ولا أصفُه(١)، قال: وتمامُ هذه الأبيات:

ولــو ينْكَـــهُ فـــي صلـْـد صـــفـــاً لانصـــدع الصلْدُ
دنيٌّ لــم يـَــرُح يومـــاً إلى مـــجـــدٍ ولم يغْدُ
ولم يحضُـــر مع الحُضـّا ر في خـــيـــرٍ ولم يبْـدُ
ولـــم يُخْـــشَ لـــه ذمٌّ ولـم يُرجَ له حـــمـــدُ
جــرى بالنُّحْس مــذكــان ولــم يجــرِ لــه ســعــدُ
هــو الكلــب إذا مــا مــا تَ لــم يوجــد لـــه فقْــدُ (١٤/٣٢٩)

(٦١)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ قال: لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار: ويا أقبح من قردٍ إذا ما عَميَ القردُ

قال بشّار: لا إله إلاّ الله، قد والله كنت أخاف أن يأتي به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقتُ به خوفاً من أن يُسمع فاهجس به، حتى وقع عليه النُّبطيُّ ابنُ الزانية. (١٤/٣٣٣)

(٦٢)

أخبرني حبيب بنُ نصر قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال أبو عبيدة: مازال بشّارٌ يهجو حمّاداً ولا يرفُثُ في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد:

---

(١) رأينا في النصّ الخامس السابق أنّ بشاراً لم يجعل العمى شرّاً كلّه، بل يذهب إلى أنّه قد أعانه على تجميع بقيّة حواسه، وانصرافه إلى شيء واحد بسببه، بينما نجده هنا يجزع بسبب العمى، وينسب عجزه عن وصف حمّاد إليه، ولا ندري لِمَ لَمْ يُعنه هنا مثلما أعانه هناك.

من كــــان مــــثلَ أبيك يا أعـــمـى أبوه فـــلا أبا لـه
أنت ابنُ بُرْد مــــــثلُ بُرْ دِ في النَّذالــة والرذالـــه
زحرتْك من جُحْر استها في الحـشِّ خارثةٌ غزالـه(١)
من حيث يخرج جَعْر مُنْـ ـتنــة مدنَّســة مُذالـــه
أعمى كســتْ عينيه من وذح استِها وكسـت قذاله
خـنـزيــرةٌ بـظــْـراءُ مـنـ ـتنةُ البُداهـة والـعُلالــه
رسْحـاء خـضـراءُ المفـا بن ريحُهـا ريـحُ الإهـالـه
عــذْراءُ حُبلـى بالقـــوْ مـي للمجـانة والضَّلالـه
مـرقتْ فـصارت قـحـبةً بجـعـالــةٍ وبلا جـعـالــه
ولقـد أقلتُـــك يابــنَ بُــرْ دٍ فـاجـتـرأت فـلا إقـالـه

فلمّا بلغتْ هذه الأبيات بشّار أطرق طويلاً، ثم قال: جزى الله ابن نهْيا خيراً، فقيل له: علام تجزيه الخير؟ أعلى ما تسمع؟ فقال: نعم، والله لقد كنت أردُّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودّة، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيّداً عنه، وأهدفني عورةً ممكنةً منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أمَّ حمّاد في هجائه إياه، ويذكرُ أباه أقبح ذكر. (٣٤٥/١٤)

(٦٣)

وأخبرني الحسين بن علي عن أحمد بن سعيدٍ الدمشقي، عن الزبير بن بكّار عن عمّه: أنَّ المهديّ أنشدَ هذه الأبيات وغُنِّي فيها بحضرته:

أنت دعْها وارجُ أخـرى مـن رحيق السـلسـبيل

فسئل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، فدعا به فقال له: ويلك تزندقتَ؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ومتى رأيت قرشياً تزندق؟ والمحنة(٢) في هذا إليك، ولكنّه طربٌ غلبني، وشعرٌ طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقتُ به. فخلى سبيله. (٢٨٦/١٥)

---

(١) زحرتك: ولدتك، والحُشّ: المتوضأ، سُمّي بذلك لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين. ومن الواضح أنَّ حمّاد عجرد قد أسفّ في هذه القصيدة إسفافاً واضحاً، وهذا يظهر من ألفاظها القبيحة التي تكثر فيها.

(٢) المحنة: الإمتحان.

(٦٤)

والنعمان بن بشير: هو من المعروفين في الشعر سلفا وخلفا، جدُّه شاعر، وأبوه شاعر، وعمه شاعر، وهو شاعر، وأولاده وأولاد أولاده شعراء. (٤٣/١٦)

(٦٥)

ولكعب بن مالك أصل عريق، وفرع طويل في الشعر: ابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر، والزُّبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر، وعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أبو الخطّاب شاعر، ومعن بن وهْب بن كعب شاعر، وكلهم مجيد مُقدّم. (٢٢٦/١٦)

(٦٦)

وكان عبد يغوث بن صلاءة شاعراً من شعراء الجاهلية، فارساً سيداً لقومه من بني الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني، إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم أسِر فقتل. وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرق لهم في الجاهلية والإسلام، منهم اللُّجلاح الحارثيّ، وهو طُفيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مُسْهر فارس شاعر، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل في عينه يوم فَيْف الريح. ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن علّبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارساً شاعراً صعلوكا، أخِذ في دم، فحُبس بالمدينة، ثم قُتل صبْراً. (٣٢٨/١٦)

(٦٧)

أخبرني جحْظة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: مرُّ أبو تمام بمخنَّث يقول لآخر: جئتك أمس فاحتجبت عنّي، فقال له: السماء إذا احتجبت بالغيم رُجِّي خيرُها، فتبيّنتُ في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى، ليضمنه في شعره، فما لبثنا إلا أياماً حتى أنشِدْتُ قوله:

ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماء تُرجّى حين تحْتجب (٣٩٦/١٦)

(٦٨)

أخبرني محمد، قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن جعفر الأنباريّ ـ وهو أبو عاصم بن محمد الكاتب ـ قال: حدّثني عليّ بن محمد النّوفليّ قال: كانت فوْزٍ لرجلٍ جليل من أسباب السلطان،

وكان العبّاس يتشبّه في أشعاره وذكر فوْز بما قاله أبو العتاهية في عُتْبة، فحجّ بها مولاها، فقال العباس:

يـا ربّ رُدَّ عليْنـــا　　　　مَنْ كان أنساً وزينا
مَنْ لا نُسرُّ بعيشٍ　　　　حتى يكــون لدينـا

(٦٧/١٧)

(٦٩)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، عن المدائنيّ، قال: كان أبو عطاء منقطعاً في طريق مكة، وخباؤه مطروحٌ، فمرُّ به نَهيكُ بن مَعْبدَ العطارديّ، فقال: لمنْ هذا الخباء المُلْقى؟ فقيل: لأبي عطاء السنديّ، فبعث غلماناً له، فضربوا له خباءً، وبعث إليه بألطاف وكسوة، فقال، مَنْ صنع هذا؟ قالوا نهيك بن معبد، فنادى بأعْلى صوته يقول:

إذا كنت مرْتادَ الرجال لنفْعهم　　　　فناد بصـوْت: يا نهيكُ بن معْبد

فبعث إليه نهيك: لا، زِدْنا يا أبا عطاء. فقال أبو عطاء: إنما أعطيناك على قدْر ما أعطيتنا، فإنْ زِدْتنا زِدْناك. والله أعلم.

(٢٣٦/١٧)

(٧٠)

قال ابن أبي فنن: وكان والبة أستاذ أبي نواس، وعن أخذ ومنه اقتبس. (١٠٥/١٨)

(٧١)

وذكر أبو دعامة، عن عطاء الملط قال: كان ابن مناذر يؤمّ النّاس في المسجد الذي في قبيلته، فلما أظْهرَ ما أظهره من الخلاعة والمُجون كرهوا أن يُصلّي بهم وأن يأتمُّوا به فقالوا شعراً وذكروا ذلك فيه وهجوه، وألقوا الرقعة في المِحْراب، فلما قضى صلاته قرأها، ثم قلبها وكتب فيها يقول:

نُبِّئْت قافيةً قيلت تناشـدها　　　　قومٌ سأترك في أعراضهم نَدَبا
ناكَ الذين رووْهـا أمُّ قـائلها　　　　ونـاك قـائلَها أمُّ الذي كـتـبـا

ثم رمى بها إليهم ولم يُعد إلى الصلاة بهم.

(١٧٢/١٨)

(٧٢)

أخبرني محمد بن عمران الصّيْرفيّ، قال: حدّثنا الحسن بن عُليْل العنزيّ، قال: حدّثنا أبو

الفضل بن عبدان بن أبي حرب الصفّار، قال: حدّثني الفضلُ بنُ موسى مولى بني هاشم، قال: دخل ابنُ مُناذر المسجد الجامع بالبصرة، فوقعت عينه على غلام مُستند إلى سارية فخرج والتمس غلاماً ورُقعة ودواة، فكتب أبياتاً مدحه بها، وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصِل الرُّقعة إلى الفتى المُستند إلى السارية، فذهب بها إلى الغلام، فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها يقول:

مـثلُ امتـداحـك لي بلا ورِقٍ ... مـثلُ الجـدار بُني على خُصٍّ
وألذُّ عندي من مـــديحك لي ... سُودُ النِّعـــالِ ولِيّن القُمْص
فـإذا عزمتَ فـهيِّء لـي ورِقـاً ... فـإذا فـعلتَ فلستُ أسـتعصي

فلما قرأها ابنُ مُناذر قام إليه فقال له: ويلك، أأنْتَ أبو نُواس؟ قال: نعم، فسلّم عليه وتعانقا، وكان ذلك أوّل المودَّة بينهما. (١٧٣/١٨)

(٧٣)

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُريد، قال: حدّثني أبو حاتم، قال: اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مُناذر، فقال له أبو العتاهية: يا أبا عبد الله، كيف أنت في الشّعر؟ قال: أقول في الليلة إذا سنح القولُ لي، واتّسعت القوافي عشرة أبياتٍ إلى خمْسة عشر، فقال له أبو العتاهية: لكنّي لو شئْت أن أقولَ في الليلة ألفَ بيْت لقلْت، فقال ابنُ مُناذر: أجلْ والله إذا أردتُ أن أقول مثلَ قولك:

ألا يا عُتْبَةَ السّاعه ... أموتُ السّاعة السّاعه

قلت؛ ولكني لا أعوِّد نفسي مثل هذا الكلام السّاقط، ولا أسمح لها به، فخجل أبو العتاهية وقام يجرُّ رجْله(١). (١٧٣/١٨)

---

(١) من الواضح أنّ هذا النصّ يعيّن اتجاهين في قول الشعر يضمّان جمهرة كبيرة من الشعراء، اتجاه يهدف إلى تجويد الشعر وتحسينه وتقليب النظر فيه، وآخر يذيع كلّ ما تسمح به البديهة، ويعين عليه الطبع. وقد رأينا أنّ ابن مناذر يصف هذا النوع من الشعر بأنّه ساقط، إذ هو قادر عليه ولكنّه ينأى عنه، ويتجنّبه، والعارفون بأسرار الصناعة مثل ابن مناذر يعرفون أنّ هذا الشعر أسهل من غيره، ولذلك تكثر أبياته، وتطول قصائده.

(٧٤)

قال خلاّد الأرقط: ... كان ابن مُناذر ينحو نحو عديّ بن زيد في شعره، ويميل إليه ويقدِّمه. وقال محمد بن الحجّاج الجراداني: كان ابن مُناذر ينحو نحو عدي بن زيد في شعره، ويقدِّمه، ويتخذه إماماً. (١٨/١٧٥)

(٧٥)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال قال ابن مناذر: قلت: يقدحُ الدهرُ في شماريخ رضْوى

ثم مكثتُ حولاً لا أدري بِمَ أتمِّمُه، فسمعت قائلاً يقول: هبُود، قلت: وما هبُود؟ فقال لي: جُبيل في بلادنا، فقلت: ويحُطُّ الصُّخورَ من هبُودِ

قال إسحاق: وسمع أعرابيٌّ هذا البيت، فقال: ما أجهل قائله بهبُود! والله إنها لأكَيْمة ما توارى الخارئ، فكيف يحُطُّ منها الصُّخور! (١٨/١٨٠)

(٧٦)

أخبرني عمّي، قال: حدّثني الكُرانيّ، قال: حدّثني بشر بن دحية الزِّياديّ أبو مُعاوية قال: سمعتُ ابنَ مُناذر يقول: إن الشِّعْر ليسهُل عليَّ حتى لو شئتُ ألاّ أتكلّم إلا بشعر لفعلت(١). (١٨/١٩٦)

(٧٧)

أخبرنا عمّي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعْد، قال: حدّثنا عبدُ الله بن مروان بن معاوية الفزاريّ، قال حدّثنا سفيان قال: سمعتُ أعرابيةً تقولُ: منْ يشتري مني الحزاة؟ فقلت لها: وما الحزاة؟ قالت: تشتريها النّساء للطُّشّة والخافية والإقلات. قال عبد الله بن مروان. فسألتُ ابنَ مناذر عن تفسير ذلك، فقال: الطُّشَّة: وَجَعٌ يصيب الصبيان في رؤوسهم كالزُّكام. والخافية: ما خفي من العلل المنسوبة إلى أذى الجن. والإقلاتُ: قلة الولد. وأنشدني ابنُ مُناذر بعقب ذلك:

---

(١) وهو بهذا يختلف عن أبي العتاهية، لأنه مع اقتداره على الشعر، لا يترك نفسه على سجيّتها، بل يختار ممّا يقوله، ويطرح الرديء منه، وقد رأينا هذا في نصٍّ سابق.

بُغاثُ الطَّيرِ أكثرُها فراخاً　　وأمُّ الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نزُورُ

أي قليلة الفراخ.

أخبرني محمد بن الحسنُ بن دُريد، قال: حدّثني أبو حاتم، قال: سمعتُ محمّد بن مُناذر يقول: العذراء: البتولُ، والبتورُ، والبتيلُ واحد، وهي المُنْقطعة إلى ربّها(١).　(٢٠٥/١٨)

(٧٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني العباس بن الفضل الربعي قال: حدّثنا التَّوَّزي قال: سألتُ أبا عبيدة عن اليوم الثاني من النَّحر: ما كانت العرب تسميّه؟ قال: ليس عندي من ذلك علم. فلقيت ابن مُناذر بمكة، فأخبرته بذلك، فعجب وقال: أيسقط هذا عن مثل أبي عبيدة! هي أربعة أيام متواليات كلّها على الراء! أولها يوم النحر، والثاني يوم القرّ، والثالث يوم النَّفر والرابع يوم الصدر، فحدّثته - يعني أبا عبيدة - فكتبه عن ابن مُناذر، وقد روى ابن مناذر الحديث المُسند ونقله عنه المحدّثون.　(٢٠٦/١٨)

(٧٩)

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ، قال: حدّثنا الحسنُ بنُ عليل العنزيّ، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله العبْديّ، قال: حدّثنا عليّ بن المبارك الأحمر، قال: لقيَ أبو العتاهية ابن مناذر بمكّة، فجعل يُمازحُه ويُضاحكه، ثم دخل على الرّشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا ابن مُناذر شاعرُ البصْرة يقول قصيدةً في سنة، وأنا أقول في سنة مائتي قصيدة فقال الرشيد: أدخله إليّ، فأدخله إليه وقدّر أنّه يضعُهُ عنده، فدخلَ فسلّم ودعا، فقال: ما هذا الذي يحْكيه عنك أبو العتاهية؟ فقال ابنُ مُناذر: وما ذاكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: زعم أنكَ تقولُ قصيدةً في سنة، وأنّه يقول كذا وكذا قصيدة في السنَّة، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كنت أقول كما يقول:

ألا يا عُتْبـةَ السّـاعه　　أموتُ السّاعةَ السّاعه

لَقُلْتُ منه كثيراً، ولكنّني الذي أقول:

إنَّ عبْـدَ المجيـدِ يوم تولّى　　هـدَّ رُكناً مـا كـانَ بالمهْدودِ

---

(١) يشير هذا النصّ والذي بعده إلى سعة معارف ابن مناذر اللغوية، واطلاعه على كلام العرب، ومن المؤكد أنّه يستفيد من هذا كلّه في شعره.

ما درى نعْشُــه ولا حاملــوه　　　ما على النَّعْشِ من عفافٍ وجودِ

فقال له الرشيد: هاتها فأنشدنيها، فأنشده، فقال الرشيد: ما كان ينبغي أن تكون هذه القصيدة إلاَّ في خليفة أو وليّ عهْد، مالها عيبٌ إلاَّ أنك قُلْتَها في سوقة، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فكاد أبو العتاهية يموت غمّاً وأسفاً. (٢٠٨/١٨)

(٨٠)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدّثني أحمد بن محمد حرّان، عن قدامة بن نوح، قال: جلس جعْفرُ بنُ يحيى بالصالحيّة يشرب على مستشرف له، فجاءه أعرابيٌ من بني هلال، فاشْتكى واستماح بكلام فصيح ولفْظ مثله يعْطف المسؤل، فقال له جعْفر بن يحيى: أتقولُ الشعر يا هلاليّ؟ فقال: قد كنت أقوله وأنا حدث أتملّح به، ثم تركتُه لمَّا صِرْتُ شيخاً، قال: فأنشدنا لشاعركم حُميد بن ثوْر، فأنشده قوله:

لمنِ الدِّيارُ بجانبِ الحُمْسِ　　　كمحطِّ ذي الحاجاتِ بالنِّفْسِ

حتى أتى على آخرها، فاندفع أشجعُ، فأنشده مديحاً له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها، فقال:

ذهبتْ مكارمُ جعْفرٍ وفعالُــه　　　في النّاس مثلَ مذاهب الشمسِ
ملك تسوسُ له المعالي نفسهُ　　　والعقلُ خيْرُ سياسةِ النُّفْسِ
فإذا تراءتْه الملوكُ تراجعُوا　　　جهْرَ الكلام بمنْطقٍ همْسِ
ساد البرامكَ جَعْفرٌ وهمُ الأُلى　　　بعد الخلائف سادةُ الإنْسِ
ما ضرَّ منْ قصدَ ابنَ يحيى راغباً　　　بالسَّعْدِ حلَّ به أم النَّحسِ

فقال له جعْفر: صِفْ موضعنا هذا، فقال:

قُصورُ الصالحيّة كالعذارى　　　لبسْنَ ثيابهُنّ ليوْمِ عُرْسِ
مُطلاّتٌ على بطْنٍ كسَتْه　　　أيادي الماء وشْياً نسْجَ غرْسِ
إذا ما الطَّلُّ أثّر في ثراه　　　تنفّس نَوْرُه من غير نفْسِ
فتغْبقُه السَّماء بصبْغ ورْسٍ　　　وتصْبَحُه بأكؤس عين شمْسِ

فقال جعفر للأعرابيّ: كيف ترى صاحبنا يا هلاليّ؟ فقال: أرى خاطرَه طوْعَ لسانه، وبيان الناس تحْتَ بيانه، وقد جَعَلْتُ له ما تصلنّي به، قال: بل نقرُك يا أعرابيّ ونُرْضيه، وأمر للأعرابيّ

بمائة دينار ولأشجع بمائتين. (١٨/٢١٦)

(٨١)

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال: حدّثني أبو هفّان قال: حدّثني أحمدُ بن سليمان قال: قال يزيد بن عقال: كنا وُقوفاً والمهديُّ قد أجرى الخيْلَ فسبقها فرسٌ له يُقال له الغضبان، فطلب الشُعراء فلم يحضر أحدٌ منهم إلا أبو دُلامة، فقال له: قلّده يا زندُ، فلم يفهم ما أراد فقلّده عمامته، فقال له المهدي: يابْنَ اللُّخْناء، أنا أكثرُ عمائم منك! إنما أردتُ أن تُقلّده شعْرا، ثم قال: يا لهفي على العُمانيّ، فلم يتكلّم بها حتى أقبل العُمانيّ، فقيل له: ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين فقال: قدِّموه، فقدَّموه فقال: قلّدْ فرسي هذا، فقال غير مُتوقف:

قد غضبَ الغضْبانُ إذ جدَّ الغضبْ وجاء يحمي حسَباً فوق الحسبْ

من إرْث عبّاس بنِ عبد المُطَّلبْ وجاءت الخيلُ به تشكو التَّعبْ

له عليها مالكُم على العربْ

فقال له المهديُّ: أحسنتَ واللهِ، وأمر له بعشر آلاف درهم (١٨/٢٢٠)

(٨٢)

نسخْتُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوابة: حدّثني الحسنُ بن سعيد عن أبيه قال: كان داودُ بن يزيد بن حاتم المُهلّبيّ يجلس للشُعراء في السَّنة مجلساً واحداً فيقْصدونه لذلك اليوم ويُنْشدونه، فوجّه إليه مُسلم بنُ الوليد راويته بشعره الذي يقول فيه:

جعلتَه حيث ترتابُ الرّياح به وتحسُد الطير فيه أضْبُعُ البيدِ

فقدم عليه يوم جلُوسه للشُعراء، ولحقه بعقبِ خروجهم عنه، فتقدَّم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له: استأذن لي على الأمير. قال: ومَنْ أنت؟ قال: شاعر. قال: قد انصرم وقتُك، وانْصرف الشُعراء، وهو على القيام، فقال له: ويْحكَ قد وفدْتُ على الأمير بشعْر ما قالت العربُ مثله. قال: وكان مع الحاجب أدب يفْهم به ما يسمع، فقال: هاتِ حتى أسْمع، فإن كان الأمرُ كما ذكرتَ أوصلتُك إليه. فأنشده بعضَ القصيدة، فسمع شيئاً يقصرُ الوصفُ عنه، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعْر ما قيل فيه مثلُه، فقال: أدخل قائله، فأدخله، فلمّا مثل بين يديه سلّم وقال: قدمتُ على الأمير ـ أعزّه الله ـ بمدْح يسمعه فيعلم به تقدُّمي على غيري ممّن امتدحه. فقال: هاتِ، فلما افتتح القصيدة وقال:

لا تـدْعُ بي الشَّـوق إني غيرُ معْمـودِ نهى النُّهى عن هوى البيضِ الرَّعاديد

استوى جالساً وأطرق، حتى أتى الرَّجلُ على آخرِ الشِّعر، ثم رفع رأسه إليه ثم قال: أهذا شعْرك؟ قال: نعم أعزَّ الله الأمير. قال: في كَمْ قُلْته يافتى؟ قال: في أربعة أشهر، أبقاك الله، قال: لو قُلْته في ثمانية أشْهرُ لكنتَ محسناً(١)، وقد اتَّهمتُك لجودة شعرك وخُمول ذكرك، فإن كُنتَ قائلَ هذا الشِّعر فقد أنظرتُك أربعةَ أشْهرٌ في مثله، وأمرتُ بالإجراء عليك، فإن جئتنا بمثل هذا الشِّعر وهبتُ لك مائةَ ألفِ درهم وإلا حرمْتك. فقال: أو الإقالة، أعزَّ الله الأمير قال: أقلْتك. قال: الشِّعر لمسلم بن الوليد، وأنا راويته والوافدُ عليك بشعره، فقال: أنا ابنُ حاتم، إنَّك لَمَّا افتتحْتَ شعره فقلت: لا تدْعُ بي الشَّوقَ إنِّي غيرَ معْمودِ

سمعتُ كلامَ مُسْلم يُناديني فأجبْت نداءه واستويْتُ جالساً. ثم قال: يا غلام، أعطه عشرة آلافِ درهم، واحمل السَّاعة إلى مسلم مائة ألف درهم. (٤٣/١٩)

(٨٣)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال: حدَّثني إبراهيمُ بن محمد الورَّاقُ قال: حدَّثني الحُسيْن بن أبي السَّريَّ قال: كان مسلم بن الوليد أستاذ دعْبل وعنه أخذ، ومن بَحْرِه استقى، وحدَّثني دعبل أنَّه كان لا يزال يقول الشِّعر فيعرضُه على مُسْلم، فيقول له: إيَّاك أن يكون أوَّلُ ما يظْهر لك ساقطاً فتُعرف به، ثم لو قلت كُلُّ شيء جيِّداً كان الأوَّل أشْهرَ عنك، وكُنتَ أبداً لا تزال تُعَيَّر به، حتى قُلْتُ: «أينَ الشَّبابُ وأيَّةً سلكا» فلما سمع هذه قال لي: أظهر الآن شعرك كيف شئْت. (٥١/١٩)

(٨٤)

قال الحُسين: وحدَّثني أبو تمَّام الطَّائيّ قال: مازال دعْبل مُتعصباً لمسلم، مائلاً إليه، معترفاً بأستاذيَّته حتى ورد عليه جُرْجانَ، فجفاه مسلم، وهجره دعبل، فكتب إليه:

أبا مخْلدٍ كُنَّا عقيدَيْ مودَّة هوانا وقلْبانا جميعاً معاً معا
أحوطُك بالغيْب الذي أنتَ حائطي وأجزعُ إشفاقاً بأنْ تتوجَّعا
فصيَّرني بعد انْتكاثكَ مُتْهما لنفسي عليها أرهبُ الخلْق أجْمعا

---

(١) كأنَّه رأى أن هذا الكلام محتاج إلى وقت طويل لكي يُنظم بسبب عمقه، وغوصه على المعاني، والألفاظ.

غششتَ الهوى حتى تداعتْ أصولُه ... بنا وابتذلتَ الوصلَ حتى تقطّعا

وأنزلتَ من بين الجوانحِ والحشا ... ذخيرةَ ودٍّ طالَ ما قد تمنَّعا

فلا تلحيَنِّي ليس لي فيك مطمعٌ ... تخرّقتَ حتى لم أجد لك مرقَعا

فهبْك يميني استأكلتْ فقطعتُها ... وجشَّمتُ قلبي صبره فتشجّعا

قال: ثم تهاجرا بعد ذلك، فما التقيا حتى ماتا. (١٩/٥١)

(٨٥)

أخبرني عمّي والحسين بن القاسم الكوكبيّ قالا: حدّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال: حدّثني أحمدُ بن الحُسين الهشاميّ أبو عبد الله قال: حدّثني عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال: كنت جالساً على دجلة في ليلة من الليالي، وأخذت دواةً وقرطاساً وكتبت شعراً حضرني وقلته في ذلك الوقت:

أخلفكَ الدهرُ ما تنظُرُه ... فاصبر فذا جَلَّ أمرِ ذا القَدَرِ

لعلّنا أن نُديلَ من زمنٍ ... فرّقنا والزّمانُ ذو غِيَرِ

قال: ثم أرتِج عليَّ فلم أدرِ ما أقول حتى يئست من أن يجيئني شيء، فالتفت فرأيتُ القمر وكانت ليلة تتمّه فقلت:

فانظر إلى البدْر فهو يُشْبهه ... إن كان قد ضَنَّ عنك بالنُّظر (١٩/٢٣٢)

(٨٦)

أخبرني الحسنُ بن عليّ. قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني علي بنُ الحسنِ الشّيبانيّ، قال: حدّثني أبو المستهلّ، قال: دخلت يوماً على سلم الخاسر، وإذا بين يديه قراطيسُ فيها أشعار يرثي ببعضها أمَّ جعفر، وببعضها جاريةً غير مسمّاة، وببعضها أقواماً لم يموتوا، وأمُّ جعفر يومئذ باقية. فقلت له: ويحك! ما هذا؟ فقال: تحدثُ الحوادثُ فيطالبوننا بأن نقول فيها، ويستعجلوننا، ولا يَجْمُل بنا أن نقول غير الجيّد، فنُعدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً، على أنّه قيل في الوقت(١). (١٩/٢٧٥)

---

(١) مرَّ بنا فيما مضى أنَّ أحد الممدوحين طلب من شاعره أن يرثيه، وقد فعل، ونرى الشاعر هنا يُعدّ قصائد الرثاء قبل موت أصحابها، استعداداً له، فكأنَّ القالب، والمادّة موجودة، فلم يبق غير النظم، فليفعل. وهل بقي للتجربة، والأثر الخارجي من أثر؟

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمار الثقفيُّ قال: حدّثني الحسين بنُ عبد الله بن جبلة بن عليّ بن جبلة قال: كان لجديّ أولاد. وكان عليّ أصغرهم، وكان الشيخ يرقّ عليه، فجُدر فذهبتْ إحدى عينه في الجُدريّ، ثم نشأ فأسلِم في الكتّاب، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحُمل على دابّة ونُثر عليه اللّوْز، فوقعتْ على عينه الصحيحة لوزة فذهبت، فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان، فإن أعنتموني على هذا الصبيّ. وإلا صرفْتُ بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب، قال: فكنا نأتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى برع، وحتى كان العالم إذ رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبغويّ وكان ذكيا مطبوعاً، فقال الشعر، وبلغه أن الناس يقصدون أبا دُلف لجُوده وما كان يُعطي الشعراء، فقصده - وكان يسمّى العكوّك - فامتدحه بقصيدته التي أولها:

ذاد ورْدَ الغيِّ عن صدَره ... وارعوى واللهوُ من وطره

يقول فيها في مدحه:

يادواءَ الأرض إن فسدت ... ومُديلَ اليُسر من عُسُره
كلُّ من في الأرض من عرب ... بين باديه إلى حَضَره
مستعير منك مكرمة ... يكتسيها يومَ مُفتخره
إنما الدنيا أبو دُلف ... بين مبْداه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ... ولّت الدنيا على أثره

فلما وصل إلى أبي دُلف وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه - استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اتهموك، وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إنّ المحنة تزيل هذا، قال: صدقْت، فامتحنوه، فقالوا له صِف فرس الأمير، وقد أجّلناكَ ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول، فجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

ريعت لمنشور على مفرقه ... ذمُّ لها عهدَ الصِّبا حين انتسبْ
أهداب شيب جُددٌ في رأسه ... مكروهةُ الجِدّة أنضاء العُقب(١)
أشرقن في أسودَ أزرين به ... كان دُجاه لهوى البيضِ سببْ

(١) العقب: جمع عقبة، وهي النوبة.

واعتقن أيامَ الغواني والصِّبا | عن ميت مطلبه حيُّ الأدبْ
لم يزدجر مُرْعويا حين ارعوى | لكن يدٌ لم تتصل بمطّلبْ
لم أرَ كالشيب وقارا يُجتوى | وكالشُّباب الغضِّ ظِلاًّ يُستلب
فنازلٌ لم يُبتهج بقربه | وذاهب أبقى جوى حين ذهب
كان الشباب لِمّة أزهى بها | وصاحباً حراً عزيز المصطحب
وأذعرُ الرَّبربَ عن أطفاله | بأعوجيٍّ دُلفيِّ المنتسبْ(١)
تحسبه من مرح العزِّ به | مستنفراً بروعة أو ملتهبْ
مرتهج يرتجُّ من أقطاره | كالماء جالت فيه ريح فاضطربْ
تحسبه أقعِد في استقباله | حتى إذا استدبرته قلتَ أكبْ
وهو على إرهاقه وطيّه | يقصر عنه الحزمان واللَّببْ(٢)
تقول فيه حنبٌ إذا انثنى | وهو متن القدح ما فيه حنب
يخطو على عُوج تناهبْنَ الثرى | لم يتواكل عن شظىً ولا عصب(٣)
تحسبها ناتئة إذا خطت | كأنها واطئة على الرُّكبْ
شتّا وقاظ بُرْهتيه عندنا | لم يوتَ من برٍّ به ولا حدبْ
يصان عصريْ حَرِّه وقُرِّه | وتُقصر الخُور عليه بالحلبْ(٤)
حتى إذا تمّت له أعضاؤه | لم تنحبس واحدة على عتب
رُمنا به الصيد فرادينا به | أوابد الوحش فأجدى واكتسبْ
مُجذّم الجري يباري ظلّه | ويُعرق الأحقبَ في شوط الخبب(٥)
إذا تظنينا به صدَّقنا | وإن تظني فوته العيرُ كذب(٦)
لا يبلغُ الجهدَ به راكبُه | ويبلغُ الريحَ به حيث طلبْ
ثم انقضى ذاك كأن لم يَعنِه | وكلُّ بقيا فالِى يوم عطب
وخلف الدهرُ على أبنائه | بالقدْح فيهم وارتجاعِ ما وهب(٧)

---

(١) أعوجي: فرس. (٢) الحزمان: مثنى محزم وهو الحزام، واللبب: ما يشدُّ في صدر الدابة ليمنع سقوط الرحل. (٣) الشظى: انشقاق العصب. (٤) الخور: جمع خيرة، وهي الخيّرة من الإبل، والحلب: اللبن. (٥) مجذّم: مسرّع، والأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه أو خصره بياض، والخبب: نوع من العدو، والسرعة. (٦) تظنّينا: أعملنا الظنّ. (٧) بالقدح: بالإصابة منهم.

فحمَّل الدهر ابن عيسى قاسماً ينهضْ به أبلجُ فرّاج الكُربْ
كرونق السيف انبلاجاً بالندى وكفراريه على أهل الرّيَبْ
ما وسنت عين رأت طلعتَهُ فاستيقظت بنوْبة من النُّوب
لولا ابنُ عيسى القرْمُ كنّا هملا لم يؤتثلْ مجد ولم يُرعَ حسبْ
ولم يقم في يوم بأس ونديً ولا تلاقى سبب إلى سبب
تكاد تبدي الأرض ما تضمره إذا تداعت خيله هلا وهب[1]
ويستهلُّ أملا وخيفة جانبُها إذا استهلَّ أو قطبْ
وهو وإن كان ابن فرعيّ وائل تحوى غداة السبق أخطارُ القصبْ
يا زهرة الدنيا ويا باب الندى ويامجير الرُّعب من يوم الرُّهبْ
لولاك ما كان سدى ولا ندى ولا قريش عُرفت ولا العرب
خذها إليك من مليءٍ بالثنا لكنه غير مليء بالنَّشب
فاثوِ في الأرضِ أو استفزز بها أنت عليها الرأس والناس الذنبْ

قال: فلما غدا عليه بالقصيدة وأنشده إيَّاها استحسنها مَن حضر، وقالوا: نشهد أن قائل هذه قائل تلك. فأعطاه ثلاثين ألف درهم، وقد قيل: إن أبا دُلف أعطاه مائة ألف درهم، ولكن أراها في دفعات؛ لأنه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدة قصائد. (١٤/٢٠)

(٨٨)

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيّ قال: حدّثني هارونُ بن محمدٍ بن عبد الملك الزياتُ قال: حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قلت: وُصف الصدُّ لمن أهوى فصدّ

ثم أجبلتُ، فمكثت عدة ليال لا يستوي لي تمامه. فدخل عليَّ التيميّ ورآني مفكراً، فقال لي: ما قصتُك؟ فأخبرته، فقال: وبدا يمزح بالهجر فجدّ

ثم أتممتها. فقلت: ماله يعدل عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحدْ؟

وخرجْتُ إلى مدح الفضل بن الربيع، فقلت:

قد أرادوا غرّة الفضل وهل تُطلب الغرّة في خيس الأسدْ

---

(١) هلا وهب: اسمان لزجر الخيل.

ملك ندفع مـــا نخـشى بـه   وبه يصلح منّا مـــا فــســـد
يفعـل النـاس إذا مـا وعــدوا   وإذا مـا فعــل الفضــل وعــدْ (٢٠/٤٥)

(٨٩)

أخبرني جحظة عن عليّ بن يحيى المنجم عن إسحاق قال: اشتركت أنا وأبو محمد التيميّ في هذا الشعر: وُصِفَ الصدُّ لمن نهوى فصدّ
وذكر البيتين (وهما):

وُصِفَ الصدُّ لمن نهوى فـصدْ   وبدا يمــــزح بالهجـر فجَــدّ
مالَــه يعْــدل عني وجهــــه   وهـــو لا يعدلُـــه عندي أحــدْ (٢٠/٤٦)

(٩٠)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أبو العيناء قال حدّثنا محمدُ بن عمر قال: خرج كوثرٌ خادمُ محمد الأمين ليرى الحرب، فأصابته رَجْمة في وجهه، فجلس يبكي، فوجّه محمدٌ مَن جاء به، وجعل يمسح الدم عن وجهه، وقال:

ضـربوا قُرّة عـيني   ومن أجلي ضـربـوهُ
أخـذ اللــه لقلبـــي   من أناس أحـرقـوه

قال: وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته، فقال للفضل بن الربيع، مَنْ ها هنا من الشعراء، فقال: الساعة رأيت عبد الله بن أيوبَ التيميّ، فقال: عليّ به، فلما أدخِل أنشده محمد هذين البيتين، وقال: أجزهما، فقال:

مـا لمن أهوى شـبـيـهُ   فَبِــه الدنيـا تتـيــهُ
وصلُــه حلـو ولكـــن   هجــره مُــرٌّ كــريهُ
مَن رأى الناسُ له الفضلَ   عليهــــم حَسَـــدوه
مثلَ ما قد حسد القا   ئـمَ بالملك أخـــوه

فقال محمد: أحسنت، هذا والله خير مما أردنا، بحياتي عليك يا عباسيّ إلا نظرت، فإن جاء على الظّهر ملأتَ أحمال ظهره دراهم، وإن كان جاء في زورق ملأته، فأوقرتُ له ثلاثة أبغل دراهم. (٢٠/٤٨)

(٩١)

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابن مَهرويه قال: حدّثني أبو جَعْفرٍ العجليُّ قال: كان أحمدُ بن أبي دؤاد يطعن على دعبل بحضرة المأمون والمعتصم، ويسبُّه تقرباً إليهما لهجاء دعبل إياهما، وتزوج ابنُ أبي دُواد امرأتين من بني عجل في سنة واحدة، فلما بلغ ذلك دعبلاً قال يهجوه:

غصبْتَ عجلا على فرجين في سنة   أفسدْتَهمْ ثم ما أصلحْتَ من نسبكْ

ولـو خطبْتَ إلـى طـوقَ وأسـرته   فـزوّجـوك لما زادوك في حسـبكْ

نك من هويت ونلْ مـا شـئت من نشـب   أنـت ابنُ زرياب منسـوباً إلى نشبك

إن كـان قـوم أراد اللـه خـزيهُـم   فـزوجـوك ارتغـابا منك في ذهبكْ

فذاك يوجـب أن النبْـعَ تجمعـه   إلى خلافـك في العيدان أو غرَبكْ(١)

ولو سـكتَ ولم تخطـب إلى عرب   لما نبشْـتَ الذي تطويه من سـببكْ

عُدَّ البيوتَ التي ترضى بخطبتهـا   تجـد فـزارةُ العكلـيَّ مـن عربك

قال: فلقيه فزارة العكْليّ، فقال له: يا أبا عليّ، ما حملك على ذكرى حتى فضحتني، وأنا صديقك؟ قال: يا أخي والله ما اعتمدتُك بمكروه، ولكن جاءني الشعر لبلاءٍ صبّه الله عز وجل عليك لم أعتمدك به. (١٣٤/٢٠)

(٩٢)

أخبرني هاشمُ بن محمدٍ الخُزاعيّ قال: سمعتُ الجاحظ يقول: سمعْتُ دعبل بن عليٍّ يقول: مكثْتُ نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقُه إلا وأنا أقول فيه شعراً. (١٥١/٢٠)

(٩٣)

أخبرني الحسنُ قال: حدّثنا ابنُ مهرويه قال: حدّثنا إبراهيم بن المدبِّر قال: كنت أنا وإبراهيمُ بن العباس رفيقين نتكسّبُ بالشعر قال: وأنشدني قصيدة دعبل في المطلب بنِ عبد الله:

أمطّلبُ أنت مسـتعذبُ   سمامَ الأفاعي ومسـتقبلُ

---

(١) النبع: شجر القسيّ، والسهام ينبت في قمّة الجبال، وهو من أجود الأشجار، والخلاف: شجر يشبه الصفصاف، والغَرَب: نوع من الشجر.

قال، وقال لي دعبل: نصفها لإبراهيم بنِ العباس، كنتُ أقول مصراعا فيجيزُه، ويقول هو مصراعاً فاجيزه. (٢٠/١٨٣)

(٩٤)

أخبرني بذلك أبو الحسن عليُّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتبُ عن أبيه وأهله. وكان جعيفران أديبا شاعراً مطبوعاً، وغلبت عليه المرّة السوداء، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقلُه وطبعه، فقال الشعر الجيد. وكان أهله يزعمون أنه من العجم ولد أذين. (٢٠/١٨٨)

(٩٥)

وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب، وذكر اليوسفيّ صاحب الرسائل أنّ خالداً قال أيضاً في ذلك:

بيِّنَ صفو الزمان عن كدرهِ | في ضحِكات الربيع عن زهره
ياسرُّ من را بوركْت من بلدٍ | بُورك في نبْته وفي شجره
غرسُ جُنود الإمام ينبته | بابكُ والمازيارُ من ثمره
فالفتح والنصر ينزلان به | والخصب في ترْبه وفي شجره

فسأله المعتصم: لمن هذا الشعر؟ فقال: لخالد يا أمير المؤمنين، قال: الذي يقول:

كيفَ تُرْجى لذاذةُ الإغتماضِ | لمريضٍ من العيون المراضِ

فقال محمدُ بن عبد الملك: نعم يا أمير المؤمنين، هُو له، ولكنّ بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم، وبلغ خالداً الخبرُ، فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بن عبد الملك ـ وقيل لأبي جعفر ـ أعزه الله: إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل(١). (٢٠/٢٧٥)

(٩٦)

قال اليوسفيّ: ولمّا قال خالد في صفة سُرّ من رأى قصيدته التي يقول فيها:

اسْقني في جرائرٍ وزقاق | لتلاقي السرور يوم التلاقِ

---

(١) أي لا فائدة فيها، ولا قيمة لها.

من سُلافٍ كأنَّ في الكأس منه عبراتٍ من مقلتيْ مشتاقِ
في رياضٍ بسُرَّ من را إلى الكرْ خ ودعْني من سائر الآفاقِ
بادِ كاراتِ كلّ فتح عظيم لإمام الهدى أبي إسحاقِ

وهي قصيدة، لقيه دعبل فقال: يا أبا الهيثم، كنتَ صاحبَ مُقطعات فداخلت الشعراء في القصائد الطوالَ وأنت لا تدوم على ذلك، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلبَ عليه. فقال له خالد: لو عرفتُ النُّصْحَ منك لغيري لأطعتك في نفسي. (٢٧٦/٢٠)

(٩٧)

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني أبو العيناء، قال: دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبقَ منهم أحد، فالتفت إلى سعيدِ بن وهب كالمستنطق فقال له: أيها الوزير، إنِّي ما كنت استعددْتُ لهذه الحال، ولا تقدّمت لها، عندي مقدِّمة فأعرفها، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة، فقال: هاتهما فرُبَّ قليلٍ أبلغَ من الكثير، فقال سعيد:

مدحَ الفضلُ نفسه بالفعالِ فعلا عن مديحنا بالمقالِ
أمروني بمدحه قلتُ كلا كبُر الفضل عن مديح الرجالِ

قال: فطرب الفضل، وقال له: أحسنتَ والله وأجدْت! ولئن قلَّ القولُ ونزر لقد اتسع المعنى وكثر. ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلُّ منْ أنشده مديحاً يومئذ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما. (٣٤٠/٢٠)

(٩٨)

فاخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن محمد بن مزيد: قال: حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية. قال: جاء رجل إلى أبي العتاهية - ونحن عنده - فساره في شيء فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال: ، وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً:

قالَ لي ماتَ سعيدُ بن وهب رحم الله سعيدَ بن وهبِ
يا أبا عثمان أبكيتَ عيني يا أبا عثمان أوْجعتَ قلبي

قال: فعجبنا من طبعه وأنّه تحدّث، فكان حديثه شعراً موزوناً. (٣٣٦/٢٠)

(٩٩)

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ عنْ محمدِ بن سلاّم، قال: قلت ليونس: هل رأيت عربياً قطُّ أفصحَ من رؤبة؟ قال: لا، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه. قال يونس: قال لي رؤبة: حتى متى أزخرف لك كلام الشيطان؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك!. (٣٤٦/٢٠)

(١٠٠)

حدّثني محمدُ بن يحيى: قال حدّثني سوّار بن أبي شراعة، عن البحتري: قال: وحدّثني أبو عبد الله الآلوسي، عن علي بن يوسف، عن البحتري: قال: كان أوّل أمري في الشعر ونباهتي أنّي صرتُ إلى أبي تمّام، وهو بحمْص، فعرضتُ عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم(١)، فأقبل عليَّ، وترك سائر مَن حضر، فلما تفرّقوا قال لي: أنتَ أشعرُ مَنْ أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلّةً فكتب إلى أهل معرّة النُّعمان، وشهد لي بالحذق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرتُ إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظّفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أولَ مالٍ أصبته. وقال عليّ بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائيّ، وهو ـ على بذاذته(٢) ـ شاعر، فأكرموه». (٤٠/٢١)

(١٠١)

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنبس، فرأيتُها قريبة اللفظ، موافقة المعنى لما ذكره جحظةُ، والذي يتعارفه الناس أنّ أبا العنْبس قال هذه الأبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحتري، فلما ابتدأ وأنشد قصيدته:

عن أيّ ثغرٍ تبتسمْ ... وبأيّ طرْف تحتكم

صاح به أبو العنْبس من خلفه:

فـي أيّ سلْحٍ ترتـطـم ... وبـأيّ كـفٍّ تـلـتـقِمْ
أدخلـتَ رأسـكَ في الرّحم ... وعلمـتَ أنـك تنهـزمْ (٥١/٢١)

---

(١) كأنّه يذكّرنا بصنيع الشعراء في العصر الجاهلي حين كانت تعرض أشعارها على النابغة الذبياني وهو جالس في قبّته بسوق عكاظ.

(٢) البذاذة: سوء الحال، ورثاثة الهيئة.

(١٠٢)

... ولأسد أشعار كثيرة ذكرت هذه منها ها هنا لأن تعلم إعراقهم في العلم والشعر. (٢٢/٤)

(١٠٣)

أخبرني بذلك جحظةُ عن أحمد بن حمدون، وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدّثني عليّ بن يحيى المنجم: كان عليّ بنُ الجهم يُقرَّب من أنس المتوكل جداً، ولا يكتمه شيئاً من سرِّه مع حرمه وأحاديث خلواته، فقال له يوماً: إني دخلت على قبيحة، فوجدتُها قد كتبتْ اسمي على خدِّها بغالية؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ، فقل في هذا شيئاً. قال: وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء السِّتر، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكّل، قال: فدعا عليّ بن الجهم بدواة، فإلى أن أتوه بها وابتدأ بفكر، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويّة:

وكاتبةٍ بالمسك في الخدِّ جعفرا | بنفسي مخطُّ المسكِ من حيث أثّرا
لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكفِّها | لقد أودعتْ قلبي من الحبِّ أسطرا
فيا منْ لمملوك لملك يمينه | مطيعٍ له فيما أسرُّ وأظهرا
ويا من مناها في السريرة جعفرٌ | سقى الله من سُقيا ثناياك جعفرا

قال: وبقيَ عليّ بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف. وأمر المتوكل بالأبيات، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنّيَ فيها، قال علي بن يحيى: قال عليّ بن الجهم بعد ذلك: تحيَّرتُ والله، وتقلّبتْ خواطري، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله. (٢٢/٢٠٠)

(١٠٤)

أخبرني محمد بن يحيى قال: وفد عمارة على المتوكل، فعمل فيه شعراً، فلم يأتِ بشيء. ولم يُقارب، وكان عُمارة قد اختلّ وانقطعَ في آخر عُمْره، فصار إلى إبراهيم بن سعْدان المؤدب، وكان قد روى عنه شعره القديم كلّه، فقال له: أحبُّ أن تُخرَج إليَّ أشعاري كلّها لأنقل ألفاظها إلى مدح الخليفة، فقال: لا والله أو تقاسمني جائزتك، فحلف له على ذلك، فأخرج إليه شعره، وقلب قصيدة إلى المتوكل وأخذ بها منه عشرة آلاف درهم، وأعطى إبراهيم بن سعدان نصفها، والله أعلم. (٢٤/٢٥٧)

المصـــادر و المـراجــع

(المقدّمـة والهوامـش)

---

١ - الأغاني ، لأبي الفرج الأصـفهاني ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية . القاهرة سنة ١٩٦٣ .

٢ - أبو العلاء المعـري ... ناقـداً . د. وليد محمود خالص . الناشر مكتبة المكتبة .العين . الطبعة الثانيـة ، سنة ١٩٨٦.

٣ - أبو الفرج الأصـفهاني وكتابه الأغاني . محمد عبد الجواد الأصمعي . دار المعارف بمصـر ، الطبعـة الثانية ، بلا تاريخ .

٤ - اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة . د. أحمد مطلوب ، الناشر وكالة المطبوعات – الكويت. الطبعـة الأولى . سـنة ١٩٧٣ .

٥ - اتجاهـات النقـد الأدبـي من الجاهليـة إلى نهايـة القرن الرابـع الهجري . د. منصـور عبد الرحمن ، ملتزم الطبع والنشـر مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٧٩ .

٦ - اتجاهـات النقـد الأدبـي في القرن الخامس الهجري . د. منصـور عبد الرحمن ، ملتزم الطبـع والنشـر مكتبـة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٧٧ .

٧ - اتجاهات النقد خلال القرنين الســادس والسابع الهجريين . د. محمد عبد المطلب مصطفى . دار الأندلس للطباعة والنشـر والتوزيع ، الطبعة الأولى . سـنة ١٩٨٤ .

٨ - الاتقان في علوم القرآن . جلال الدين الســيوطي . تحقيق محمد أبو الفضـل إبراهيم . الهيـئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . سـنة ١٩٧٤ .

٩ - أدب الكتّـاب . الصولي . نسـخه ، وعني بتصـحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجت الأثري . ونظر فيه علأمـة العـراق السـيد / محمـود شكري الآلوسي . يطلب من دار الكتب العلميـة . بيروت . لبـنان . تاريخ المقدمة سـنة ١٣٤١ هـ .

١٠ - استخدام المصـادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام . د. علي إبراهيم حسـن . ملتزم النشـر والطبع مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الثالثـة سـنة ١٩٨٠ .

١١ - أسـرار البلاغـة . عبد القاهر الجرجاني . تحقيق هـ . ريتـر . استانبـول . سـنة ١٩٥٤ .

١٢ - أسس النقد الأدبي عند العرب . د. أحمد أحمد بدوي . دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجّالة . القاهرة . سنة ١٩٧٩ .

١٣ - أشعار أولاد الخلفاء . الصولي . عُني بنشره ج . هيورث. دن دار المسيرة . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٢ .

١٤ - اعجاز القرآن . لأبي بكر الباقلاني . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف بمصر . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٨١ .

١٥ - أعيان الشيعة . السيد/ محسن الأمين . حققه وأخرجه حسن الأمين . دار التعارف للمطبوعات . بيروت . سنة ١٩٨٦ .

١٦ - أمالي الزجّاجي . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . ملتزم الطبع والنشر المؤسسة العربية الحديثة ، الفجالة . القاهرة ، الطبعة الأولى . سنة ١٣٨٢ هـ .

١٧ - أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ، للشريف المرتضى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان . سنة ١٩٧٦ .

١٨ - الأنواء في مواسم العرب . ابن قتيبة الدينوري . مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . سنة ١٩٨٨ . طبعة مصوّرة .

١٩ - الإيضاح في علوم البلاغة . الخطيب القزويني . تحقيق جماعة من علماء الأزهر . القاهرة . بلاتاريخ .

٢٠ - البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ بن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعةالثانية ، سنة ١٩٧٧ .

٢١ - البديع . ابن المعتز . تحقيق كراتشكوفسكي . لندن . سنة ١٩٣٥ .

٢٢ - البديع في نقد الشعر . أسامة بن منقذ . تحقيق د. أحمد أحمد بدوي ، و د. حامد عبد المجيد . القاهرة . سنة ١٩٦٠ .

٢٣ - البرهان في وجوه البيان . لابن وهب الكاتب . تحقيق د. أحمد مطلوب ، و د. خديجة الحديثي . مطبعة العاني . بغداد . الطبعة الأولى . سنة ١٩٦٧ .

٢٤ - البيان والتبيين . الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الرابعة . سنة ١٩٧٥ .

٢٥ - تاريخ الأدب العربي . د. عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الرابعة . سنة ١٩٨١ .

٢٦ - تاريخ بغداد ، للحافظ أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان .

٢٧ - تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة . سنة ١٩٧٩ .

٢٨ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر في القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري . د. احسان عبّاس ، دار الثقافة . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨

٢٩ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤ .

٣٠ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع ، الأستاذ طه أحمد إبراهيم . دار الكتب العلمية بيروت . لبنان . سنة ١٩٨٥ .

٣١ - تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري ، د. داود سلوم ، مكتبة الأندلس بغداد . سنة ١٩٦٩ .

٣٢ - تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري د. محمد زغلول سلام . دار المعارف بمصر . القاهرة ، بلا تاريخ .

٣٣ - تحرير التحبير ، ابن أبي الاصبع المصري . تحقيق د. حفني محمد شرف . القاهرة . سنة ١٣٨٣ هـ .

٣٤ - التراث النقدي ، نصوص ودراسة ، د. محمد زغلول سلام . دار المعارف بمصر ، القاهرة ، بلا تاريخ .

٣٥ - تيارات ثقافية بين العرب والفرس . د. أحمد محمد الحوفي . دار نهضة مصر للطباعة والنشر . الفجالة . القاهرة . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٧٨ .

٣٦ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر . سنة ١٩٨٥ .

٣٧ - جمهرة أشعار العرب . لأبي زيد القرشي . حقّقه وعلّق عليه وزاد في شرحه د. محمد علي الهاشمي . دار القلم . دمشق ، الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦ .

٣٨ - جوهر الكنز . نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي . تحقيق د. محمد زغلول سلام . الناشر منشأة المعارف . الاسكندرية . بلا تاريخ .

٣٩ - حسن التوسّل إلى صناعة الترسّل . شهاب الدين محمود الحلبي . تحقيق الدكتور أكرم عثمان يوسف . مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . سنة ١٩٨٠

٤٠ - حلّ رموز كتاب الأغاني للمصطلحات الموسيقية العربية . الحاج هاشم محمد الرجب . مطبعة العاني . بغداد . الطبعة الأولى ، سنة ١٩٦٧ .

٤١ - حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، الحاتمي . تحقيق الدكتور/ جعفر الكتاني . وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . سنة ١٩٧٩ .

٤٢ - الحيوان . الجاحظ . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي . بيروت . لبنان . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٦٩ .

٤٣ - خزانة الأدب ، لعبد القادر البغدادي ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٩ .

٤٤ - الدرّ الفريد وبيت القصيد . محمد بن أيدمر . مخطوط . يصدره مصوراً فؤاد سزكين . معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت . سنة ١٩٨٨

٤٥ - دراسات في نقد الأدب العربي ، من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث ، د. بدوي طبانة ، دار الثقافة ببيروت . لبنان . الطبعة السادسة ، سنة ١٩٧٤ .

٤٦ - دراسة الأدب العربي . د. مصطفى ناصف . دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨١ .

٤٧ - دراسة الأغاني ، شفيق جبري ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق سنة ١٩٥١ .

٤٨ - دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه . د. داود سلوم . عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية . بيروت ، الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٥ .

٤٩ - دراسة في مصادر الأدب ، د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ، سنة ١٩٨٦ .

٥٠ - دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر . الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة . سنة ١٩٨٤

٥١ - الديارات . لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي . تحقيق كوركيس عواد . مطبعة المعارف . بغداد . الطبعة الثانية . سنة ١٩٦٦ .

٥٢ - ديوان البحتري . تحقيق حسن كامل الصيرفي . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة .

٥٣ - ديوان بشار بن برد. جمعه وشرحه وكمله وعلّق عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور . الشركة التونسية للتوزيع ، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر . سنة ١٩٧٦ .

٥٤ - ديوان الحطيئة ، برواية وشرح ابن السكّيت . تحقيق د. نعمان محمد أمين طه . الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٧ .

٥٥ - ديوان دعبل بن علي الخزاعي . جمعه وقدّم له وحقّقه عبد الصاحب عمران الدجيلي . دار الكتاب اللبناني . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٢ .

٥٦ - ديوان ذي الرمة . حقّقه وقدّم له الدكتور عبد القدوس أبو صالح . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . دمشق . سنة ١٩٧٢ .

٥٧ - ديوان عدي بن الرقاع العاملي . تحقيق د. نوري حمودي القيسي ، و د. حاتم صالح الضامن . مطبوعات المجمع العلمي العراقي . بغداد ، سنة ١٩٨٧ .

٥٨ - الرجز ، نشأته ، وأشهر شعرائه . جمال نجم العبيدي . مطبعة الأديب البغدادية . سنة ١٩٧١ .

٥٩ - رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة . سنة ١٩٧٩ .

٦٠ - رسالة ابن المنجّم في الموسيقى ، وكشف رموز كتاب الأغاني . تحقيق وشرح وتعليق د. يوسف شوقي ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٦ .

٦١ - الزينة في الكلمات الإسلامية العربية . أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي . تحقيق حسين الهمداني . القاهرة . سنة ١٩٥٧ .

٦٢ - سنن ابن ماجة . دار الفكر . بيروت . الطبعة الثانية . بلاتاريخ .

٦٣ - سنن الترمذي . حقّقه عبد الوهاب عبد اللطيف . دار الفكر . بيروت . سنة ١٩٨٠ .

٦٤ - السيرة النبوية . لابن هشام . حقّقها ، وضبطها ، ووضع فهارسها مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي . بلا ذكر لمكان وسنة الطبع .

٦٥ - شخصيات كتاب الأغاني . صنعه د. داود سلوم و د. نوري حمّودي القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد سنة ١٩٨٢ .

٦٦ - شرح ديوان حماسة أبي تمام . المرزوقي . تحقيق أحمد أمين ، وعبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . سنة ١٩٥١

٦٧ - شرح ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغواني) . عني بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور سامي الدهان . دار المعارف بمصر . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٠ .

٦٨ - شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام . الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . الدار العربية للكتاب . ليبيا . تونس . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٨ .

٦٩ - شرح نهج البلاغة . لابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار احياء الكتب العربية . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٦٥ .

٧٠ - شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني . جمع وتصنيف طلال سالم الحديثي و كريم علكم الكعبي . مطبعة دار التضامن . بغداد . سنة ١٩٦٧ .

٧١ - شعر مروان بن أبي حفصة . جمعه وحقّقه وقدّم له د. حسين عطوان . دار المعارف بمصر . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٢ .

٧٢ - شعر منصور النمري . جمعه وحقّقه الطيّب العشّاش . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . دار المعارف للطباعة دمشق . سنة ١٩٨١ .

٧٣ - الشعر والشعراء . ابن قتيبة الدينوري . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٧ .

٧٤ - شعراء الدولتين الأموية والعباسية . د. حسين عطوان . دار الجيل . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨١ .

٧٥ - الشعراء النقاد ... الفرزدق . د. وليد محمود خالص . مكتبة الفلاح . الكويت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٦ .

٧٦ - صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني الراوية د. محمد أحمد خلف الله . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة الطبعة الثالثة . سنة ١٩٦٨ .

٧٧ - صفوة البيان لمعاني القرآن . تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف . مطابع الشروق . سنة ١٩٨٢ .

٧٨ - الصّلتان العبدي ، حياته وماتبقّى من شعره . د. وليد محمود خالص . دراسة نُشرت ضمن دراسات الندوة الأولى عن مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي . مدينة العين . دولة الإمارات العربية المتحدة . سنة ١٩٨٨ .

٧٩ - الصناعتين ، لأبي هلال العسكري . تحقيق علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم . عيسى البابي الحلبي وشركاه . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧١ .

٨٠ - طبقات الشعراء . ابن المعتز . تحقيق عبد الستار أحمد فراج . دار المعارف بمصر . الطبعة الرابعة . سنة ١٩٨١ .

٨١ - طبقات فحول الشعراء . محمد بن سلام الجمحي . قرأه وشرحه محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة . سنة ١٩٧٤ .

٨٢ - الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز . يحيى بن حمزة العلوي . القاهرة . سنة ١٩١٤ .

٨٣ - العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين . فهمي عبد الرزاق سعد . الأهلية للنشر والتوزيع . بيروت . سنة ١٩٨٠ .

٨٤ - العصر الجاهلي . د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر . الطبعة السابعة . سنة ١٩٧٦ .

٨٥ - العصر العباسي الأول . د. شوقي ضيف . دار المعارف بمصر . الطبعة السادسة . سنة ١٩٧٦ .

٨٦ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه . ابن رشيق القيرواني . تحقيق د. محمد قرقزان . دار المعرفة . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٨ .

٨٧ - عن اللغة والأدب والنقد ، رؤية تاريخية .. ورؤية فنية د. محمد أحمد العزب . دار المعارف بمصر . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ .

٨٨ - عيار الشعر . ابن طباطبا العلوي . تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع . دار العلوم للطباعة والنشر . الرياض . سنة ١٩٨٥ .

٨٩ - عيون الأخبار . ابن قتيبة الدينوري . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . سنة ١٩٧٣ .

٩٠ - فحولة الشعراء . الأصمعي . تحقيق ش . تـوري قدّم لها د. صلاح الدين المنجد . دار الكتاب الجديد . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧١ . ونشرها الدكتور محمد عبد القادر أحمد ، ضـربة لأبي حاتم السجستاني . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . سنة ١٩٩١ .

٩١ - فصول في النقد العربي وقضاياه . محمد خير شيخ موسى . دار الثقافة . الدار البيضاء . المغرب الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٤ .

٩٢ - الفوائد . ابن قيّم الجوزية . القاهرة . سنة ١٣٢٧ هـ .

٩٣ - الفهرست . ابن النديم . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

٩٤ - في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية ، العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي . د. محمد طه الحاجري . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت . سنة ١٩٨٢ .

٩٥ - في مرآة النقد العربي القديم ، د. فتحي محمد أبو عيسى ، الناشر المكتبة القومية الحديثة ، طنطا ، مصر ، سنة ١٩٧٩ .

٩٦ - في النقد الأدبي عند العرب ، د. محمد طاهر درويش ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٩ .

٩٧ - قواعد الشعر . ثعلب . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . القاهرة . سنة ١٩٤٨ .

٩٨ - الكافي في البيزرة . عبد الرحمن بن محمد البلدي . حقّقه وقدّم له وعلّق عليه احسان عباس ، وعبد الحفيظ منصور . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٣ .

٩٩ - الكافي في العروض والقوافي . الخطيب التبريزي . تحقيق الحسّاني حسن عبد الله . الناشر مكتبة الخانجي . القاهرة . سنة ١٩٧٨ .

١٠٠ - لسان العرب . ابن منظور . دار صادر . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١٠١ - المتخيّر من كتب النقد العربي ، تخيّرها وقدّم لها د. محمود الربداوي . مؤسسة الرسالة بيروت . لبنان . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨١ .

١٠٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ابن الأثير . قدّم له . وحقّقه ، وعلّق عليه د. أحمد الحوفي ، و د. بدوي طبانة . دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجالة . القاهرة . بلا تاريخ .

١٠٣ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء الثالث ، المجلد الثامن ، سنة ١٩٢٨ .

١٠٤ - محاضرات الأدباء ، الراغب الأصفهاني . بلا تاريخ ومكان الطبع .

١٠٥ - محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي وصدر الإسلام . د. السيد العراقي . القاهرة . سنة ١٩٨٣ .

١٠٦ - المحبّ والمحبوب والمشموم والمشروب . السريّ بن أحمد الرفاء . تحقيق مصباح غلاونجي . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . دار الفكر للطباعة . دمشق . سنة ١٩٨٦ .

١٠٧ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها . جلال الدين السيوطي . شرحه ، وضبطه ، وصحّحه ، وعنون موضوعاته ، وعلّق حواشيه ، محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي . ومحمد أبو الفضل إبراهيم . دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة . بلا تاريخ .

١٠٨ - المستقصى في أمثال العرب . الزمخشري . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٨ . نسخة مصورة عن طبعة حيدر أباد الدكن باعتناء الدكتور محمد عبد المعين خان .

١٠٩ - مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب . د. شرف الدين علي الراجحي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٥ .

١١٠ - المصون في الأدب ، لأبي الحسن بن عبد الله العسكري . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٢ .

١١١ - المعاني الكبير ، ابن قتيبة الدينوري . باعتناء عبد الرحمن بن يحيى اليماني . حيدر أباد الدكن . سنة ١٣٦٨ هـ . نسخة مصوّرة بدار الكتب العلمية . لبنان . سنة ١٩٨٤

١١٢ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي . حقّقه ، وعلّق عليه ،ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد . عالم الكتب . بيروت . طبعة مصوّرة عن طبعة المكتبة التجارية . القاهرة . سنة ١٩٤٧

١١٣ - معجم البلدان . ياقوت الحموي الرومي . دار احياء التراث العربي . بيروت . لبنان . سنة ١٩٧٩ .

١١٤ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . د. أحمد مطلوب . مطبوعات المجمع العلمي العراقي . بغداد . سنة ١٩٨٣.

١١٥ - معجم النقد العربي القديم . د. أحمد مطلوب . دار الشؤون الثقافية العامة . وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . سنة ١٩٨٩

١١٦ - مفتاح العلوم . السكاكي . القاهرة . سنة ١٩٣٧ .

١١٧ - مقاتل الطالبيّين . أبو الفرج الأصفهاني . شرح وتحقيق السيد أحمد صقر . الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١١٨ - مقالات في تاريخ النقد العربي . د. داود سلوم . منشورات وزارة الثقافة والإعلام . الجمهورية العراقية . دار الرشيد للنشر . سنة ١٩٨١ .

١١٩ - مقدمة ابن خلدون ، تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون . دار احياء التراث العربي . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١٢٠ - مقدمة في النقد الأدبي . د. محمد حسن عبد الله . دار البحوث العلمية . الكويت ، الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٥ .

١٢١ - ملامح النقد العربي بين القديم والحديث . د. عبد الرحمن عبد الحميد علي . جامعة الأزهر . كلية اللغة العربية . مطبعة الجامعات للطبع والنشر . القاهرة . سنة ١٩٨٠ .

١٢٢ - الملل والنحل . الشهرستاني . على هامش الفِصَل في الملل والأهواء والنحل . لابن حزم . دار المعرفة . بيروت . لبنان . سنة ١٩٨٦ .

١٢٣ - مناهج التأليف عند العلماء العرب . قسم الأدب . د. مصطفى الشكعة . دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الرابعة . سنة ١٩٨٢ .

١٢٤ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . حيدر آباد الدكن ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية . سنة ١٣٥٧ هـ .

١٢٥ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء . صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني . تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة . دار الغرب الإسلامي . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٦ .

١٢٦ - الموازنة بين الطائيين . الآمدي . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٢ .

١٢٧ - الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء . المرزباني . تحقيق علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر . القاهرة . سنة ١٩٦٥ .

١٢٨ - النثر الفني في القرن الرابع . زكي مبارك . دار الجيل . بيروت . سنة ١٩٧٥ .

١٢٩ - نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب . ابن سعيد الأندلسي . تحقيق الدكتور نصرت عبد الرحمن . مكتبة الأقصى عمّان . الأردن . سنة ١٩٨٢ .

١٣٠ - نصوص من النقد العربي القديم . اعداد الأستاذ الدكتور عثمان موافي . دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . سنة ١٩٨٩ .

١٣١ - نصوص من النقد العربي . اختارها وحلّلها د. محمود الربيعي . الناشر مكتبة الشباب ، القاهرة . سنة ١٩٧٦ .

١٣٢ - نصوص النظرية النقدية في القرن الثالث للهجرة ، جمع وتبويب وتقديم د. جميل سعيد و د. داود سلوم ، مطبعة النعمان . النجف الأشرف . الجمهورية العراقية . سنة ١٩٧٠ .

١٣٣ - نصوص النظرية النقدية عند العرب . من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث . د. وليد قصّاب . المكتبة الحديثة ، الإمارات ، العين . سنة ١٩٨٧ .

١٣٤ - نضرة الاغريض في نصرة القريض . المظفر بن الفضل العلوي . تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق . دمشق . مطبعة طربين . سنة ١٩٧٦ .

١٣٥ - نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب . د. أمجد الطرابلسي . نشر وتوزيع مكتبة دار الفتح بدمشق . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٧٢ .

١٣٦ - النظرية النقدية عند العرب . د. هند حسين طه . منشورات وزارة الثقافة والإعلام . الجمهورية العراقية . دار الرشيد للنشر . سنة ١٩٨١ .

١٣٧ - نقد الشعر . قدامة بن جعفر . تحقيق وتعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . بلا تاريخ .

١٣٨ - النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام . د. محمد إبراهيم نصر . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي . الطبعة الأولى . سنة ١٩٧٨ .

١٣٩ - النقد الأدبي ، أحمد أمين . ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية . الطبعة الرابعة . القاهرة سنة ١٩٧٢ .

١٤٠ - النقد العربي ، مداخل تاريخية حول اتجاهاته الأساسية ، نصوص بلاغية ونقدية قديمة وحديثة . د. عبد المنعم تليمة و د. عبد الحكيم راضي . الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، القاهرة سنة ١٩٧٧ .

١٤١ - النقد العربي القديم ،تحليل ودراسة د. عبد اللاه محمود حسن محروس ، مطبعة الأمانة . شبرا. القاهرة . سنة ١٩٨٣ .

١٤٢ - النقد المنهجي عند العرب . د. محمد مندور ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة . بلا تاريخ .

١٤٣ - نوادر المخطوطات . تحقيق عبد السلام هارون . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٢ .

١٤٤ - الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني . تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي دار القلم . بيروت . بلا تاريخ .

١٤٥ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . شمس الدين بن خلكان . حققه د. احسان عباس . دار صادر بيروت ، سنة ١٩٧٧ .

١٤٦ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . الثعالبي . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٩٧٣ .

(فهرس الكتاب)

- مقدمة عامة	٧	٢٨
- القضية الأولى : الشعر ، مكانته ، فائدته ، أثره	٢٩	٤٥٧
- مقدمة	٣١	٣٥
- النصوص والتعليق	٣٧	٤٥٧
- القضية الثانية : الأغراض الشعرية ...	٤٥٩	٦١٣
- مقدمة	٤٦١	٤٦٤
- النصوص والتعليق	٤٦٥	٦١٣
- القضية الثالثة : آراء في الشعر	٦١٥	٩٧٢
- مقدمة	٦١٧	٦٢٧
- النصوص والتعليق	٦٢٨	٩٧٢
- القضية الرابعة : آراء في الشعراء	٩٧٣	١١١٨
- مقدمة	٩٧٥	٩٧٧
- النصوص والتعليق	٩٧٨	١١١٨
- القضية الخامسة : السرقات والانتحال	١١١٩	١١٩٨
- مقدمة	١١٢١	١١٢٣
- النصوص والتعليق	١١٢٤	١١٩٨
- القضية السادسة : نسبة الشعر إلى شاعرين ...	١١٩٩	١٢٨٦
- مقدمة	١٢٠١	١٢٠٣
- النصوص والتعليق	١٢٠٤	١٢٨٦

- القضية السابعة : القدماء والمحدثون ...	١٢٨٧ - ١٢٩٣
- مقدمة	١٢٨٩ - ١٢٩٠
- النصوص والتعليق	١٢٩١ - ١٢٩٣
- القضية الثامنة : أشعر العرب أو النّاس	١٢٩٤ - ١٣٥٩
- مقدمة	١٢٩٦ - ١٢٩٨
- النصوص والتعليق	١٢٩٩ - ١٣٥٩
- القضية التاسعة : الصدق والكذب في الشعر	١٣٦١ - ١٤١٤
- مقدمة	١٣٦٣ - ١٣٦٤
- النصوص والتعليق	١٣٦٥ - ١٤١٤
- القضية العاشرة : صنعة الشعر ودواعيه شياطين الشعراء . ثقافة الشاعر	١٤١٥ - ١٥١٤
- مقدمة	١٤١٧ - ١٤١٨
- النصوص والتعليق	١٤١٩ - ١٥١٤
- المصادر والمراجع [المقدمات والهوامش]	١٥١٥ - ١٥٢٦

رقم التصنيف: ٨١٠/٩٠
المؤلف ومن هو في حكمه :وليد محمود خالص
عنوان الكتاب :النقد الأدبي في كتاب الأغاني
الموضوع الرئيسي: ١- الأدب العربي
٢- النقد الأدبي
بيانات النشر :عمان: دار اسامة
تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

الناشر